محمد حسنين هيكل

حرب الثلاثين سنة

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يو ان

تصميم الغلاف والاشراف الفنى
مـاهـــر الـدهـــبى

المحتــويات

الباب الثالث
صفحة

مقدمات العاصفة !

الباب الرابع

كلاب الصيد جاهزة !

الباب الخامس

ضباب الحرب

الباب السادس

قنابل الدخان

صفحة

الباب السابع

انفجار البركان

الباب الثامن

بعد العاصفة

الملحق الوثائقى

مقدمـــــة

عندما صدر أول كتاب من هذه المجموعة عن « **حرب الثلاثين سنة** » - تلقيت خطابا من « **السير ستيفن رانسيمان** » أستاذ التاريخ الأشهر الذى حقق لنفسه مكانة فريدة حين جلس على كرسى التاريخ فى جامعة « كامبردج » وفى جامعة « أوكسفورد » - رغم المنافسة التقليدية بين الجامعتين ...

جاءنى خطاب « رانسيمان » مع الصديق السفير « نديم دمشقية » الذى كان لسنوات طويلة سفيرا للبنان وعميدا للسلك السياسى العربى فى لندن . وكان « نديم دمشقية » فى زيارة لجامعة « أوكسفورد » فى إحدى المناسبات والتقى بـ « السير ستيفن رانسيمان » ، ووجده يحدثه عن كتابى الذى فرغ من قراءته ، وحين قال له « نديم دمشقية » إنه وأنا أصدقاء عمر رجاه أن يكون رسولا يحمل إلىّ خطابا منه ومعه هدية أضعها باعتزاز فى مكتبتى : هى دراسته العظيمة التى تقع فى ثلاثة أجزاء عن «الحروب الصليبية » والتى تعتبر بحق أهم ما كتب عن هذه الحروب التى كانت واحدة من المعالم البارزة فى التاريخ الإنسانى وما يؤثر فيه من صدام الحضارات .

كان خطاب « السير ستيفن رانسيمان » بالغ الرقة ، فياضا فى كرمه . وكانت سطوره على النحو التالى :

« **عزيزى .....**

لقد فرغت قبل أيام من قراءة كتابك الأخير وكنت أبحث عن وسيلة اتصل بك . ولسعادتى قابلت السفير دمشقية ومن خلال حديثى معه عرفت أنكما أصدقاء . وقد بعثت إليك معه بكتابى عن الحروب الصليبية ولست أعرف إذا كنت اطلعت عليه ، فإذا كان الأمر كذلك فلا أظنك تمانع أن تكون لديك نسخة مكررة منه ، كتب لك مؤلفه عليها اهداءً بخطه تحية لك و ....

إننى قرأت كتابك وتصورت كم كان يمكن أن يختلف كتابى ، وكتب كثيرين من الذين عانوا كتابة التاريخ غيرى ـ لو أنه أتيحت لنا جميعا رواية شاهد عيان عاش وقائع الأحداث التى نتعرض لها ثم فعل مثلما فعلت أنت وسجل لنا ما رأى .

ولا أخفى عليك أننى أحسدك على تجربتك التى أعطتك الفرصة لتعيش التاريخ وتكتب عنه أيضا .

هناك قول شائع لعلك تتذكره وهو يقول « إن التاريخ له آذان ، ولكن ليس له عيون » ـ بمعنى أننا نسمع روايات عما جرى من وقائعه منقولة لنا بالسماع والتواتر عن هذا أو ذاك من الناس ، ومعظمها مكتوبة بأثر رجعى يخلط الوهم بالحقيقة إلى درجة تتركنا مع نوع من الفولكلور الأسطورى يعذبنا كثيرا فرزه إذا كان ذلك الفرز ممكنا على الإطلاق ! وصحيح أننا نصادف فى بعض المرات وثائق مكتوبة ، ولكننا نجد أنفسنا حائرين أمامها لا نستطيع أن نقدر بالضبط أصالتها وظروفها ومدى تعبير ما فيها عن الواقع كما جرى .

ولقد كان ما أثار اهتمامى فى تجربتك هو أن التاريخ عندك له آذان ، وله أيضا عيون ، وهذه تجربة أتمنى لو ناقشتها معك إذا خطر لك يوما أن تعود إلى أوكسفورد .....

....

....

(إمضاء) »

□

وبعثت إلى « السير ستيفن رانسيمان » ردا على رسالته ...

بدأته بأن شكرت له فضله الذى اعتبرته ثلاثة أفضال فى آن معا : فضل أنه قرأ ما كتبت ، وفضل أنه بادر إلى الاتصال بى ، وفضل أنه أهدانى عمله الضخم عن الحروب الصليبية .

ثم قلت له :

« إنك تكرمت فنسبت ما أكتبه إلى « علم التاريخ » وهذا شرف « لا أظننى أستحقه » . فقد كنت وما أزال حتى الآن كاتبا وصحفيا همومه كلها فى الحاضر والمستقبل ، وليست فى الأمس وما قبله ـ ومن ثم فهو قارىء للتاريخ وليس كاتبا له .

وأنت تعرف أكثر منى ألف مرة أن التاريخ حى فى الحاضر ومؤثر فى المستقبل .

وفى نفس الوقت فإن الماضى نفسه مفتوح ـ رغم مرور الحقب والقرون ـ لرؤى الحاضر والمستقبل . فأنتم فى الغرب مثلا رجعتم إلى إعادة تفسير الماضى بل وإعادة بنائه مرات متكررة على ضوء منظورات لاحقة ومستجدة .

أعدتم تفسير الماضى وبناءه مرة بالمنظور الدينى . ومرة أخرى بالمنظور الأخلاقى . ومرة ثالثة بالمنظور الاقتصادى . بل رجعتم إليه بإعادة التفسير والبناء مرة رابعة بالمنظور النفسى . . . إلى آخره .

وهكذا عاش هذا الماضى مرة أخرى فى الحاضر والمستقبل ـ بمقدار ما أن الحاضر والمستقبل كانا يعيشان دائما فى الماضى !

إن العودة إلى التاريخ من منظور جديد تجربة جرت عندكم ، ومازالت تجرى ، وسوف تظل جارية طالما هناك فكر إنسانى واثق من حريته مهتد بعقله ـ وأما فى العالم الثالث ـ ونحن فيه ـ فإن التعرض للتاريخ حكاية مختلفة :

تاريخنا القديم منقوش على الأحجار تشهد به الآثار ، ومواريثه الثقافية والحضارية سارية فى أعماقنا ـ وهذه حالة طبيعية .

وأما تاريخنا الحديث فهو صراع ضد قوى السيطرة والتخلف ـ مازال محتدما .

إن دورنا فى تقرير مصائرنا بالكاد بدأ . وخطواتنا فيه قرب المداخل . وحوافظ التاريخ لم تقم بعد بضم واحتضان وقائعه ووثائقه لكى تؤمنه وتصونه . ومعنى ذلك أن ضميرنا الوطنى والقومى مكشوف لأن تاريخ أى شعب أو أمة هو المؤثر الأكبر على ضميره أو ضميرها . وعندما يصبح الضمير عاريا فالأعصاب كلها عارية . والأعصاب هى مكمن الإرادات .

ولأن الصراع على الشرق الأوسط وفيه مازال مستمرا ، فإن قصته مفتوحة . هى بعد نوع من التاريخ السائل لم يتماسك ، وبالتالى يمكن التعرض له بتحويل أو تعطيل مجراه ، أو تغيير مادته وشكله ولونه .

وهنا تدور معركة الضمائر . معركة الأعصاب . معركة الإرادات . ولا أبالغ إذا قلت لك إن قوى السيطرة والتخلف تتمنى طردنا من الزمن ، ولو استطاعت لفعلت . ولأن ذلك مستحيل فى هذا العصر الذى أصبحت فيه الدنيا قرية عالمية واحدة (كما يقولون) ، فإن بديل الطرد من الزمن هو التلاعب بهذا الزمن ومسخه إلى فراغ .. إلى ضياع .

وهنا تشتد الحاجة إلى محاولة قراءة التاريخ ـ أكثر مما تشتد الحاجة إلى محاولة كتابته . »

ثم قلت للسير « ستيفن رانسيمان » :

« هكذا فإن قصارى ما أطمح إليه مما أكتبه عن « حرب الثلاثين سنة » ـ الحرب المستمرة إلى الآن ـ هو المشاركة مع كثيرين غيرى فى تنشيط ذاكرة أمة . ونحن جميعا نفعل ذلك عن اعتقاد بأن الذاكرة هى أكبر محرض على الفعل .

إن لدينا هنا صراعا من نوع مثير . فهو صراع على ذاكرة أمة يريد لها بعضهم أن تنسى فى منتصف الطريق من هى ؟ وإلى أين كانت

قاصدة عندما بدأت رحلتها إلى المستقبل ؟ - ويريد لها آخرون أن تتذكر نفسها وطريقها ، والمستقبل !

هى أشبه ما تكون بإنسان تعرض لحادثة فى الطريق وجاءته ضربة فوق رأسه على غير استعداد فأصابته بجرح جسمانى وصدمة نفسية .

وهرع إليه ناس متباينة أهواؤهم :

منهم من يريد « الضربة على الرأس » غيبوبة دائمة ، ومنهم من يتفهم « الضربة على الرأس » وقعة مؤلمة تؤدى مع الألم إلى حالة دوار أو لحظة غياب لا ينبغى أن يطول .

هذه هى القضية فى صورة إنسانية مختصرة .

ولك كل التقدير وموفور الاحترام .»

□

حتى هذه اللحظة لا يزال توجهى فى كتابة قصة حرب الثلاثين سنة على النحو الذى شرحته فى ردى على « السير ستيفن رانسيمان » :

«قراءة التاريخ .... وليست كتابته . وتنشيط الذاكرة ... وليس إصدار الأحكام » !

ولقد التزمت بهذا المنهج فيما ظهر حتى الآن من مجموعة « **حرب الثلاثين سنة** » وقد ظهر بالفعل منها جزءان (« **ملفات السويس** » و« **سنوات الغليان** ») .

وهذا هو الجزء الثالث بعدهما بعنوان « الانفجار » ، ينصب على المرحلة الدقيقة والحساسة من معركة سنة ١٩٦٧ - وهو أصعب فصول القصة وأشدها تعقيدا ولعله أكثرها استحقاقا واستدعاءً لتنشيط الذاكرة . فهذه بالضبط هى لحظة « الخبطة على الرأس » التى يجرى التركيز عليها فى المحاولة المستميتة الجارية لتحويل عارض دوار مؤقت إلى حالة غيبوبة دائمة ، وانتهازها فرصة لضرب قوى التغيير والتقدم فى العالم العربى المعاصر ، وإرغام الأمة على الركوع فكرا بعد أن جرى إرغامها على القعود عملا ، وهذه حالة يصعب قبولها أو الاستسلام لها !

وليس هناك شك فى أننا سنة ١٩٦٧ واجهنا تجربة مزعجة مهما كانت تسمياتنا لها : نكسة ، هزيمة ، أو أى وصف آخر .

وإن كنت شخصيا لا أميل إلى وصف الهزيمة . ذلك لأن الهزيمة تعنى تسليم طرف ـ بالكامل ـ لطرف آخر . فإذا رفض هذا الطرف أن يسلم وهو مالك لإرادته ـ فهو إذن غير مهزوم . وأكثر من هذا فإن هذا الطرف إذا صمم على المقاومة وأعطى نفسه امكانية العودة باقتدار إلى ميدان الصراع ، فهو إذن لم ينهزم ، بل هو ـ أكثر من ذلك ـ استعاد لقوته فرصتها من جديد حتى فى إحراز النصر .

وهذا هو منطق الصراع وقانونه .

ومع ذلك فلتكن تسمية ما حدث سنة ١٩٦٧ بأى وصف نختار ـ فالباقى بعد ذلك أن المسؤولية عنه تقع على رجل كانت لديه شجاعة أن يتحملها أمام الناس راضيا بما يرضيهم !

الأهم بعد ذلك أن التاريخ لم يتوقف عند ٥ يونيو ١٩٦٧ ، كما أن الأمة فى وجود هذا الرجل وبعد غيابه استعادت كامل وعيها وإرادتها ، وواصلت القتال حتى استطاعت بجهد خارق سنة ١٩٧٣ أن تعبر محنتها وسط عاصفة من النار والدم .

لكن المحاولة المستميتة لضرب قوى التغيير والتقدم فى العالم العربى لم تتوقف ، والسبب واضح وهو أن القصد المقصود ليس معركة ضمن معارك ، وليس رجلا ضمن رجال ـ ولكنها فكرة « مستقبل » يخشاه الذين يحاولون إرغام الأمة على الركوع والقعود !

ولعلنا نتذكر أن أساتذة الحرب ابتداء من « ماكيافيللى » وحتى « فوللر » يقولون إن أى حرب لها هدفان .

هدف ابتدائى ، وهدف نهائى :

- **أما الهدف الابتدائى فهو « تحطيم القوة المسلحة للعدو » .**
- **وأما الهدف النهائى فهو « تحطيم إرادته » .**

وفى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ نجح الطامعون فى هذه الأمة فى « تحطيم قوتها

المسلحة » ، وكان هذا هو الهدف الابتدائى . ولكنهم لم ينجحوا فى تحقيق هدفهم النهائى وهو « تحطيم إرادتها » .

وهم الآن يريدون منها أن تنسى ذلك ، رغم أن هذا الهدف النهائى لم يتحقق حتى فى سنة ١٩٦٧ ، كما أن الهدف الابتدائى بدوره أفلت منهم أيضا فى نفس السنة ، لأن إرادة الأمة دفعتها إلى إعادة بناء قوتها المسلحة ، والعودة بسرعة إلى الميدان لتقاتل حتى وصلت من ٥ يونيو ١٩٦٧ إلى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

□

قبلنا صادفت أمم كثيرة وشعوب ، محنة الهزيمة فى السلاح ، ولم تتحول هذه الهزيمة إلى حملات تمزق ضميرها وتعرى أعصابها وتنهش إرادتها ، وإنما تحولت المحن إلى دروس وهمم متنبهة وقادرة . **كذلك حدث للولايات المتحدة الأمريكية** فى حروب ومعارك كثيرة ـ من « بيرل هاربور » حيث فقدت كل أسطولها فى المحيط الهادى أمام ضربة جوية مفاجئة من اليابان ـ وحتى فيتنام على الشواطىء الشرقية والجنوبية لآسيا .

ونفس الشىء حدث لبريطانيا العظمى ـ وهى أشهر الامبراطوريات التقليدية فى زماننا ـ من « دنكرك » حيث هرب جيشها نجاة بنفسه من جيوش « هتلر » ، إلى « الملايو » حيث ضاعت منها امبراطورية بأسرها استولت عليها اليابان فى أيام معدودات !

ونفس الشىء وأكثر حدث لفرنسا : فقد وقع نصفها تحت الاحتلال الألمانى مباشرة وفيه عاصمتها باريس . ونصفها الآخر وعاصمته « فيشى » تولت أموره حكومة متواطئة مستسلمة . لم يقف إلاّ رجل واحد فى المنفى هو « شارل ديجول » . واعتبر التاريخ وقفته رمزا لمقاومة وكبرياء فرنسا .

تلك كلها جرى اعتبارها هزائم للسلاح ، وليس هزائم للإرادة .

وظلت عجلة التاريخ تدور .

أكثر من ذلك فقد صادفت أمم كثيرة وشعوب ، محنة الهزيمة فى السلاح وفى

الإرادة معا ، وكان الاستسلام بلا قيد أو شرط ، ومع ذلك رفضت هذه الأمم والشعوب الحية أن تجعل هزيمتها نقطة النهاية فى التاريخ !

بل إن بعض المهزومين ظلوا ، وسوف يبقون إلى الأبد ، رمزا يجسد عز ومجد أمم ، والمثال الشهير على ذلك « **نابليون** » . وهو أعظم اسم فى تاريخ فرنسا .

حتى ألمانيا واليابان وكانت هزيمتهما ساحقة فى الحرب العالمية الثانية ـ ما كادت الحرب تضع أوزارها إلاّ وكانت الأمم هناك تتطلع إلى المستقبل ، وترفض من الخارج أو من الداخل أية محاولة لإرغامها على الركوع أو القعود فكرا أو عملا .

بل إن كلتيهما الآن « قوة أعظم » على قمة عالمية فى عصر جديد . زاحفتان إلى نفس المستقبل (القديم) بوسائل متغيرة !

فى الدنيا كلها ، وفى العصور على اختلافها ، وحيث الأمل متجدد وإرادة الحياة غلابة ـ يحدث ذلك أو مثله . إلاّ هنا على الأرض العربية .

ولنا أن نتساءل عن الدواعى والأسباب ؟

□

هناك أسباب بالطبع ويجب أن نضعها تحت النظر :

□ **أولا** : أن المنطقة التى يدور صراع الشرق الأوسط ، عليها وفيها ، هى أهم الجوائز الاستراتيجية والاقتصادية فى القرن العشرين . كانت باستمرار منطقة رئيسية فى صراعات التاريخ على امتداد قرون ، ولكنها فى القرن الحاضر اكتسبت قيمة مضاعفة ـ فإلى جانب توسطها للعالم وتحكمها فى بحاره خصوصا البحر الأبيض المتوسط ومضايقه ، ووصلها وفصلها لقاراته ـ فإنها اكتسبت عناصر جذب إضافية فى النصف الأول من القرن العشرين . فقد ظهرت فيه كأكبر مصدر ومستودع للطاقة التى قامت عليها الثورة الصناعية الثانية ، وكان بترولها الرخيص فى البداية هو أهم دعم اقتصادى حصلت عليه أوروبا الغربية إلى درجة أن « **هنرى كيسنجر** » ـ عندما بدأت أسعار البترول فى الارتفاع بعد حرب أكتوبر ـ **قال ، وقوله مسجل عليه فى مؤتمر الدول الصناعية الذى عقد فى باريس (ابريل سنة ١٩٧٤) :**

« الآن جاء الوقت لكى يتوقف « مشروع مارشال » الأمريكى لإنعاش أوروبا » .

وكان « هنرى كيسنجر » يعنى بذلك أن الولايات المتحدة أتاحت لأوروبا الغربية طاقة رخيصة حتى تستطيع إعادة بناء نفسها بعد دمار الحرب العالمية الثانية ، ثم أن السعر الرخيص لهذا البترول الذى تتحكم فيه أمريكا كان جزءا لا يتجزأ - ولعله الجزء الأكبر - من « مشروع مارشال » !!

وقد لفت هذا القول نظر كثير من الباحثين فإذا هم يكتشفون بالأرقام أن الثورة الصناعية الثانية فى الغرب كله لم تستفد من « طاقة » بترول الشرق الأوسط فحسب ، وإنما استفادت من سعره الذى وصلت نسبة إسهامه فى تمويل تقدمها إلى ما يوازى الثلث تماما من ثروة الغرب الصناعية !

ثم زاد على ذلك - طوال حقب الخمسينات والستينات وأوائل السبعينات من هذا القرن - أن المنطقة ذاتها راحت تحارب لاستعادة السيطرة على موضعها وموقعها ومواردها ، وتحاول جاهدة أن تكسر عوائق تخلفها وأن تسابق أمسها إلى غد أفضل منه يجعلها شريكة فى الزمان الجديد وعوالمه المتقدمة - ولكن الآخرين لم يكونوا راضين ولا قابلين :

وهجموا عليها مرة سنة ١٩٥٦ - وخرجت منتصرة .

وحاولوا حصارها من بعد انتصارها - وظلت تفلت منهم .

وانقضوا عليها سنة ١٩٦٧ ، ورأوها تقع على الأرض - ثم فوجئوا بها تنتصب واقفة - بل وتعود إلى ساحات النار .

وانتظروها هناك عند جسور السويس ، وإذا هى تعبر الجسور سنة ١٩٧٣ .

ولم يسلموا لها بحقها .

وتحول الصراع من ساحات النار المتوهجة إلى ساحات أخرى وعرة ومعتمة .

وفصول الصراع مازالت تجرى فى هذه الساحات حتى هذه اللحظات !

الانحياز . يزيد على ذلك أن الاتحاد السوفيتى كان المصدر الذى حصل منه العرب على سلاح يمكن أن يخوض قتالا مع إسرائيل ، فالسلاح الغربى لا يصلح لهذه المهمة مهما بلغت درجة كفاءته أو حتى تفوقه - لأنه مشروط ومقيد !

وهكذا فإن الدور السوفيتى فى الشرق الأوسط كان - من وجهة نظر عربية - دورا مفيدا وبناءً ، **ولعل أزمته الكبرى أنه فى معركة سنة ١٩٦٧ تعثر وكاد يقع ، فقد تردد الاتحاد السوفيتى فى الساعة الحاسمة وتخبط ، ثم راح يلملم نفسه وأطرافه ويحاول ، ولكن محاولته جاءت بأقل من الحجم المناسب ومتأخرة عن الوقت المناسب . ورغم جهده فى التعويض إلى حد جعل أكتوبر ١٩٧٣ ممكنا - فإن كثيرين لم ينسوا تردد وتخبط الساعات السوداء ، إلى جانب أن أطرافا أخرى كانت واقفة له بالمرصاد . وهكذا فإنه عندما وقف الرئيس « أنور السادات » سنة ١٩٧٥ ليعلن فى مجلس الشعب المصرى إلغاء معاهدة التحالف التى وقعها هو بنفسه مع الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٧١ - أصبح واضحا أن الاتحاد السوفيتى فقد دوره فى قلب الشرق الأوسط . وكانت تلك بداية النهاية لمرحلة حضوره على المسرح العالمى كإحدى القوتين الأعظم بينما القرن العشرون يدخل إلى حقبة التسعينات منه !**

أى أن دور الاتحاد السوفيتى كإحدى القوتين الأعظم بدأ فعليا فى الشرق الأوسط وتوقف عمليا فيه ، ولم يعد أمام موسكو بعد سنة ١٩٧٥ غير الانسحاب من قلب المنطقة إلى أطرافها المجاورة للحدود السوفيتية - أفغانستان مثلا - ومن يومها استمرت عملية طى البساط الأحمر : من قلب الشرق الأوسط الى أركانه ، ثم من الشرق الأوسط إلى أوروبا الشرقية : بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وألمانيا الشرقية ، ثم يتواصل طى البساط الأحمر فى الداخل السوفيتى نفسه : « أذربيجان » و « جورجيا » و « طادجيكستان » من جمهورياته الجنوبية ، و « لاتفيا » و « استونيا » و « ليتوانيا » من جمهورياته الشمالية .

كل ذلك - وسوف تؤكده الأيام والحقائق - بدأ من اختبار سنة ١٩٦٧ - الذى تعثرت فيه امكانيات القوة وحدودها ، ودرجة تماسك الأعصاب وتحملها !

وبالتالى فإن سنة ١٩٦٧ لم تكن فقط صداما بين مصر وإسرائيل ، ولا فقط

صراعا بين العرب وإسرائيل ـ وإنما كانت هذه السنة اختبارا أهم من ذلك بكثير فى آثاره وتداعياته المتواصلة !

إن التراجع السوفيتى فى الشرق الأوسط كان أول ظاهرة من بوادر الزلزال الذى مازال يرج الاتحاد السوفيتى حتى هذه اللحظة وما وراءها .

- **إن هذا التراجع ـ رغم استثمارات هائلة وضعها الاتحاد السوفيتى فى توريدات السلاح وفى مشروعات كبرى ـ بدأ يطرح قضية حساب التكاليف . وكان الحساب ثقيلا .**
- **وخروج الاتحاد السوفيتى من المنطقة بالطرد أحدث نوعا من ضياع الهيبة ، لأن نصف قيمة أى قوة عظمى مرهون بهيبتها ، فإذا أصبحت هذه الهيبة موضع تساؤل فإن كل الذئاب الجائعة تتشجع على مهاجمة الدب الجريح الذى ينزف دمه على الثلوج البيضاء !**
- **وأكثر من ذلك فإن فوائض أموال المنطقة التى توهم الاتحاد السوفيتى أنه اقترب منها ـ كانت جميعا تتدفق بعيدا عنه . وهذه الفوائض العربية كانت أهم مصدر لتمويل الثورة الصناعية الثالثة فى أمريكا وأوروبا الغربية واليابان ، وأما الاتحاد السوفيتى فقد راح يستكمل خط تراجعه ويتخلف كثيرا عن السباق .**

وليس من الإنصاف أن يخطر ببال أحد أن هذا التراجع السوفيتى كان مجرد صد من العرب ونكران جميل ، فمثل ذلك إذا ورد على البال نصف حقيقة ، ونصفها الآخر **أن الاتحاد السوفيتى مسؤول عن نصيب مما جرى له فى الشرق الأوسط ، فقد كان أول منزلق وقع فيه ـ بعد قفزته الأولى إلى المنطقة ـ هو ارتطامه الشهير مع الحركة القومية العربية ، وكان الظن السوفيتى أن العامل القومى بقية متخلفة من زمن فات ومضى ، وأن الأممية هى الغد المأمول الذى يجب أن يلحق به كل الناس ، وكان ذلك زللا لا يغتفر ، وقد اكتشف هو فى بلاده وأثناء عملية التراجع أن قضية الهوية الوطنية والقومية حية وفاعلة حتى بعد سبعين سنة من قيام الدولة الأممية الأولى .**

كذلك فإن الاتحاد السوفيتى وقع فى خطأ وقعت فيه امبراطوريات سبقته ـ حين ظنت أن الجنة التى تبشر بها هى منتهى أمل جميع البشر . غائبا عنها أن

الأصول الحضارية لكل شعب أو أمة هى التى تعطيه جنته الموعودة مختلفة عن جنة الآخرين مهما أطنبوا فى التبشير بخلودها ونعيمها ، ومهما أفاضوا وتبحروا !

ويبين لنا مجملا لهذا كله أن معركة الشرق الأوسط كانت فى جزء منها - أدركنا ذلك أو لم ندركه ! - مجالا لصراع أوسع منها - وهو الصراع على الغلبة فى العالم !

وهذا صراع لا ينطفىء لهيبه حتى وإن تغير المتصارعون دولا وأفكارا وأعلاما .

☐ ثالثا : إن منطقة الشرق الأوسط التى دارت على أرضها معركة سنة ١٩٦٧ كانت أكثر المناطق القابلة للاختراق الخارجى ، وقد جرى اختراقها بالفعل حتى أصبحت كلها ثقوبا واسعة لا يسهل رتقها بالإبرة والخيط ، أو ترقيعها بالقصاصات - خرقا أو ورقا - هنا أو هناك . كانت هذه المنطقة مساحة محشورة بالعقائد الدينية والقوميات والأقليات والطوائف المتغاضبة مع بعضها ، وكانت مزدحمة بالقبائل والأرياف والمدن المتفاوتة فى درجات نموها وتطورها ، والمتنافسة فيما بينها كل منها يدعى لنفسه حقا فى حكمها بجاه الثروة ، أو بسند العصبية ، أو بدعوى التمدن ، أو بقهر السلاح ... أو ، وهذا هو الأخطر ، بأنواع غريبة من التحالفات الأجنبية الظاهرة والخفية ، المعلنة وغير المعلنة ، الشرعية وغير الشرعية ، إلى آخره !

باختصار كان الشرق الأوسط فى حالة نزاعات وفتن ضارية يقوم فيها الأجنبى بدور النار والزيت والماء فى نفس الوقت !... وكانت أبسط النتائج كما أظهرت وقائع سنة ١٩٦٧ أن الخطوط تاهت وضاعت ، وأن المواقف تشتتت وماعت . واختلط الحابل بالنابل - كما يقولون !

وساد المنطقة - ومازال حتى هذه اللحظة يسودها - منطق غريب وهو منطق « التحالف مع الشيطان » (مستعارا من تعبير « تشرشل » الشهير بعد حلفه مع « ستالين » وقوله « إننى على استعداد للتعاون مع الشيطان ضد هتلر ») - لكنه فى حالة أمة مخترقة لم يكن العدو من الخارج - بل كان العدو من الداخل ... و« الشيطان » معه !

والنتيجة أن « الأحلاف مع الشيطان » فى المنطقة زادت وزادت أثقالها .

وعلى سبيل المثال فإن حلفا مع الشيطان الإسرائيلى أضاع بالكامل وطنا من أحلى أوطان الأمة العربية - وهو لبنان - وذلك حين اختارت قوى فيه وأحزاب أن تتعاون مع إسرائيل هربا من الإقرار بحقائق تاريخية واجتماعية واقتصادية لم يعد ممكنا - ولا مفيدا - تجاهلها ! ولا أتجاوز إذا قلت إننى رأيت شواهد ذلك مبكرا فى لبنان سنة ١٩٧٥ . وأصابنى هم شديد لم أستطع كتمانه ، ووقفت أمام شاشة التليفزيون اللبنانى فى مساء يوم من أيام فبراير تلك السنة أقول حزينا : « إن لبنان ينزلق إلى الحرب الأهلية » !

وعلى أى حال فلم يكن ذلك أول حلف فى المنطقة - ولا كان هو آخر حلف - مع « الشيطان » .

□

رغم هذا كله ... كله ، فإن فكرة المستقبل العربى لم تنهزم ولم تتنازل عن حلمها أو تتراجع أمام المطالبين بالسيطرة على موضعها وموقعها ومواردها - ولا أمام الواهمين بتبديل فكرها وعقلها وروحها - ولا أمام « الشيطان » وأحلافه .

ما زالت الفكرة حية ، من الخليج إلى المحيط كما كنا نقول ، معبرة عن نفسها بتفاعلات حادة وشحنات حارة وهدير مكتوم - كأنما هى عملية انحلال كوكب وميلاد كوكب جديد فى آفاق كون لا تتوقف حركته ولا تتعطل قوانينه !

لم يستطع الزحف الإسرائيلى على سيناء سنة ١٩٦٧ ، ولا التطويق الأمريكى للعبور سنة ١٩٧٣ - اغتيال الأمل فى قلب وعقل أمة حاولت أن تمسك بزمام مصائرها ذات يوم وما زالت تحاول .

إن التجربة أثبتت أن الغزو من الخارج عقيم ، فالقوة العسكرية وحدها لها حدود لا تستطيع تجاوزها مهما كان تركيز نيرانها . فإسرائيل سنة ١٩٦٧ سيطرت على أراض عربية تزيد مرات عن المساحة التى قررتها لها الأمم المتحدة فى قرار

التقسيم ، وتزيد مرات أيضا عن خطوط الهدنة التى انتهت إليها معركة ١٩٤٨ ـ ولكن ذلك لم يعطها حدودا آمنة ، ولا أكد حقها فى سلام يستحق وصف السلام .

وفى مرحلة تالية فإن التطويق لم يثبت أنه أكثر نجاحا من الغزو ، فالولايات المتحدة الأمريكية ، وهى ضليعة فى ابتكار وتطبيق نظريات الانقلاب من الداخل ، التفت وناورت ، وباعت واشترت ، وخدعت وغوت ، ولكنها ما زالت حتى هذه اللحظة فى المنطقة بغير صديق حقيقى ، وبدون حليف تستطيع الاعتماد عليه غير صديقها الإسرائيلى ، وهو نوع من الأصدقاء ينطبق عليهم القول المأثور عن السياسى البريطانى « دزرائيلى » : « **إذا كان هؤلاء أصدقاؤك فما حاجتك إلى أعداء ؟** » ! - أى أنه نوع من الأصدقاء يضر أكثر مما ينفع ، على المدى التاريخى الطويل .

من هنا يجىء هذا التركيز على سنة ١٩٦٧ !

يتنافس فيه جمع من الأطراف غريب بدءا بهؤلاء المطالبين بالسيطرة دون حق ، وانتهاءً بأولئك الذين سعوا إلى التحالف مع « الشيطان » دون وازع !

هؤلاء جميعا يناسبهم أن يتوقف العدد عند ١٩٦٧ ولا يتواصل بعده إلى ١٩٧٣ ـ والأسباب والأهداف ظاهرة :

- **هناك سبب وهدف تثبيت حالة الهزيمة وتعميق الشعور بها إلى النخاع .**

- **وإذا تم النجاح فيه ـ فإن الأمة المهزومة فى أعماقها ، راضية قابلة بأى حل تجود به سماحة الغالبين !**

- **وإذا وقع ذلك فإن أصدقاء هؤلاء الغالبين وحلفاءهم فى الداخل العربى تخلو لهم الأرض وما عليها ، وهو ما حدث فعلا ، فما كادت جيوش الحرب تتوقف ـ حتى بدأت جيوش النهب تزحف !**

- **وبتفاعل هذا كله مع بعضه ومع الظروف ـ فإن الأمة بعده أسيرة لحالة من الإحباط واليأس مغلوبة على أمرها ـ ولعله المطلوب !**

لهذا كله يجىء التركيز على ١٩٦٧ لتصبح وحدها الواقع المر ، ثم لا يتبقى من ١٩٧٣ إلاّ صدى نشيد من بعيد !

والغريب أن هذا التركيز على سنة ١٩٦٧ لا يجيء بقصد الدرس والاستيعاب ولا يجيء بقصد المراجعة والحساب ، وإنما يجيء حملات بعد حملات - لا توقظ مستقبلا ولا تقدم حلا ، لأن المستقبل والحل لا يتحققان باستغلال الماضى لابتلاع الحاضر ، وإنما يتحققان بتمكين الحاضر من هضم الماضى واستيعابه !

وهذه أهمية التجارب فى حياة الأمم وطريقها إلى القوة والحكمة ...

ولا أغالى إذا قلت إن هذا الجزء من « حرب الثلاثين سنة » استغرق منى أكثر من غيره جهدا وصبرا فى الفرز والفحص ، والكشف والاستجلاء . وأظن أننى مدين بفضل كبير فى قراءة هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية لفيلسوف التاريخ العربى الأعظم « عبد الرحمن بن خلدون » الذى وقفت يوما بإجلال وخشوع أمام مخطوطة مقدمته المودعة فى خزائن مكتبة « القرويين » فى فاس أقلب صفحاتها ، واصلا إلى نهايتها حيث كتب ذلك العالم الجليل بخط يده عبارة : « **الحمد لله . المنسوب إلىّ صحيح** » . ثم وقع بختمه .

وفى هذه المقدمة التى كتبها قبل أكثر من خمسمائة سنة ، يكاد « ابن خلدون » يرسم صورة فوتوغرافية للمشقة التى يمكن أن تواجهها أى محاولة لاستجلاء الحقيقة ، أو ما هو قريب منها فى حدث من حجم ونوع معركة ١٩٦٧ وما ثار حولها ولايزال - وذلك حين يقول فى مقدمته العظيمة : « **إن الغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل ، فالأخبار مظنة الكذب ومطية الهذر ، والكذب متطرق للخبر بطبيعته** » .
ثم يروح بعد ذلك يعد الأسباب المؤدية إلى ذلك فيذكر بالنص :

« **منها التشيعات للآراء والمذاهب ، فإن النفس إذا كانت فى حالة الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر ، حتى تتبين صدقه من كذبه ، وإذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها من الانتقاد فتقع فى قبول الكذب ونقله .**

ومنها الذهول عن المقاصد ، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب .

ومنها الجهل فى تطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس

والتصنع فينقلها المخبر وهى بالتصنع على غير الحق فى نفسه .

ومنها تقرب الناس فى الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب .

ومنها الجهل بطبائع الأحوال فى العمران ، فإن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته وفيما يعرض له من أحواله ، فإذا كان السامع عارفا بطبيعة الحوادث والأحوال فى الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك فى تمحيص الخبر وعلى تمييز الصدق من الكذب ! »

□

ولقد حاولت فى هذا الكتاب نفس ما جربته من قبل فى أجزاء مختلفة من قصة حرب الثلاثين سنة (« ملفات السويس » - و « سنوات الغليان ») وهو أن أقوم بنسج الوثائق فى صلب رواية الوقائع حتى تظهر الصورة أكثر ما تكون أمانة وصدقا .

وبرغم أننى عشت الحوادث شاهد عيان (وليس عينا للتاريخ كما تفضل « السير ستيفن رانسيمان ») فإننى لم ألجأ إلى الحديث بضمير المتكلم إلاّ فى مناسبات قليلة جدا اعتمدت فيها على أوراقى . وربما كان بين مقاصدى لهذا التعسف فى الالتزام بالوثائق أننى تمنيت - خصوصا فى هذه الفصول من قصة حرب الثلاثين سنة - أن تبتعد الرواية عن مظان التبرير ، والحقيقة أن التبرير غير وارد فالمسؤول عن صدمة سنة ١٩٦٧ وقف بنفسه أمام أمة بأكملها يعلن مسؤوليته ويتحمل تبعاتها ، وبالتالى فلا يليق بأحد بعد ذلك أن يجتهد إلاّ فى التحقيق والتدقيق والفحص والفرز - وهدفه كما هو الهدف فى أى قراءة متأنية للتاريخ - أن يستطيع القارىء وضع نفسه تماما فى الموضع الذى كان فيه صانع القرار السياسى حين اتخذ قراره بكل ما يحتمله أى قرار إنسانى « **لأن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته وفيما يعرض له من أحواله** » - على حد تعبير « ابن خلدون » !

□

أستأذن أن أضيف مجموعة ملاحظات :

١ - إننى عملت فى هذا الكتاب على أساس قاعدة عرضتها من قبل ، وهى أن يكون كل جزء من مجموعة « حرب الثلاثين سنة » (وذراها الساخنة الثلاثة :

معركة السويس ١٩٥٦ ـ ومعركة سيناء الأولى ١٩٦٧ ـ ومعركة سيناء الثانية ١٩٧٣) ـ كتابا مستقلا بذاته يمكن أن يقرأ متصلا بغيره مما سبق ـ أو منفصلا عنه .

٢ ـ إن « حرب الثلاثين سنة » لم تكن صراعا محليا أو إقليميا ، وإنما كانت مشهدا من مشاهد عالم بأكمله فى فترة معينة من تاريخه ، وفى ظروف بعينها أثرت وفرضت ، ومن هنا فإن قصة ما جرى فى يونيو سنة ١٩٦٧ تتصل اتصالا وثيقا بما كان يجرى على الساحة العالمية عند منتصف الستينات وحولها ، وبالمناخ السائد وقتها ، وبالمتغيرات العظمى التى جعلت حقبة الستينات من القرن العشرين مرحلة لها خصائص لابد من التعرف عليها . وحتى وقت قريب كانت مرحلة الستينات هى موضع التركيز فى اهتمام الدارسين والباحثين ، وهناك شبه توافق على أن حقبة الستينات كانت هى البداية الحقيقية لما تفجر بعد ذلك فى التسعينات مما لا يزال العالم يتابعه مشدودا ومبهورا .

ومن الحق أن أضيف أننى كتبت بعض الأجزاء الأولى من هذا الكتاب ، وهى مخصصة للبحث عن متغيرات العالم فى الستينات ، منذ أكثر من سنة كاملة ، ولقد عدت إليها بالمراجعة بعد كل التطورات التى جرت فى أوروبا فى نهاية سنة ١٩٨٩ ـ ولم يخطر ببالى أن أغير شيئا منها ، بل تركتها كما كتبتها أصلا لأن ما كتبته كان صورة الواقع كما بدا فى زمانه ، وليس من العدل أن تستعار له بأثر رجعى أسباب لم تكن ظاهرة فى حينه !

٣ ـ إن قصة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ ليست قصة أيام ستة اندلع فيها القتال ثم ساد وقف إطلاق النار بعده ، وإنما القصة قبل ذلك بكثير وبعده بكثير ، لأن وقائع التاريخ الكبرى لا تهبط على المواقع مثل قوات المظلات .

وقد أضيف إلى ذلك أننى راعيت فى سياق رواية الأحداث أن تتكشف للقارىء وقائعها بنفس الطريقة والمنطق والتوقيت الذى تكشفت به أمام صانع القرار الذى كان مسؤولا عن إدارة الأزمة ـ وقد وجدت هذا الترتيب الطبيعى أكثر ملاءمة من غيره .

٤ ـ إننى واحد من الذين يقدرون مدى الجهد الذى يبذله هؤلاء المهتمون بما يسمى بمسيرة السلام . وإنى لأتمنى أن تقع عيونهم أو عيون بعضهم على صفحات من هذا الكتاب لعل بعض الزوايا فيما يرون أن ينزل عليها شعاع ضوء يكشف ويبين .

لعل هذا الشعاع يظهر أن قصة الأراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ أعقد بكثير مما يبدو على سطح الأحداث .

٥ - إن قارىء هذا الكتاب قد يلاحظ - كما لاحظ من قبل فى كل مجموعة كتب حرب الثلاثين سنة - **أننى لم أترك نفسى كثيرا لتفاصيل العمليات العسكرية ، والملاحظة صحيحة ، فهناك آخرون غيرى أقدر على ذلك ، وبعضهم حاول مشكورا بالفعل ، وعلى أى حال فإننى واحد من الذين يعتقدون أن مصائر المعارك تتقرر قبل أن تنطلق رصاصة واحدة فى ميدان القتال ، وبالتالى فإن الصراع السياسى الشامل وملابساته هو جوهر القصة فى أى حرب ، وليس جوهرها هو تصادم الدبابات وصراخ المدافع وعويل الطائرات .**

٦ - إننى التزمت فى نسج الوقائع وربطها بما تستطيع الوثائق أن تعززه وتؤكده ، بمعنى أننى لم أقدم واقعة أو أربط حلقة إلاّ إذا كانت هناك وثيقة أو شهادة تدل عليها ، وترتب على ذلك أن هناك مساحات متروكة لقارىء هذا الكتاب يستطيع أن يمعن النظر فيها وأن يقلب الأمور على وجوهها ويصل فيها إلى ما يراه ، وهذا منهج فى رواية الأحداث معقول ومقبول لأنه يجعل كمال الصورة جهدا مشتركا بين الكاتب وقارئه . وبالتوازى مع ذلك فربما قلت إننى لست من أنصار النهايات « المربوطة » لأى رواية من مشهدها الأول إلى مشهدها الأخير . وظنى أن أى راوية لأى رواية عليه أن يعرض ما لديه من الوقائع والوثائق والتحليلات ، ثم يترك المجال مفتوحا لسامعه - أو قارئه - يستخلص النتائج التى يراها ، ويربط النهايات أو الخلاصات كما يقوده إليها منهجه فى التفكير والتقدير ...

٧ - إننى هذه المرة أيضا - وكما فى كل المرات السابقة - عهدت إلى « **مركز الأهرام للترجمة والنشر** » أن يقوم بواسطة خبرائه على ترجمة الوثائق الأجنبية التى حصلت عليها - ودافعى إلى ذلك - لا يزال - هو الحرص على حيدة النصوص ودقة تعبيرها .

٨ - إن القارىء سوف يلاحظ فى هذا الكتاب أننى اقتربت مرات - ولو أنها قليلة - من جوانب إنسانية فى سلوك بعض الأطراف ، ولم أفعل ذلك إلاّ بالقدر الضرورى لبيان الاعتبارات والملابسات التى دفعت هؤلاء الأطراف إلى تصرفاتهم العامة ، وأنا أعرف أن هذا المنهج ليس مستحبا لكثيرين (أعتبر نفسى ضمنهم) -

لكن مثل هذا الاقتراب - فى بعض الأحيان - ضرورى وإلاّ بدت تصرفات الناس على المسرح العام للحوادث ناقصة فى التبيين . والواقع أنه ربما كان علينا أن نقاوم هذا التحفظ فى تقديرنا لدور الطبيعة الإنسانية فى السياسة . فالناس مهما علت أقدارهم بشر ، وتصرفاتهم تصدر بالدرجة الأولى عن هذا العنصر البشرى فيهم . لكن هذه القضية مازالت ملتبسة فى أذهاننا ، ولعلها بقية من عصور امتزاج السلطة بالدين وهذا ظاهر حتى فى تعرضنا لأهم مراحل تاريخنا ، بما فى ذلك المرحلة الأكبر والأخطر ، وهى مرحلة الفتنة الكبرى التى بدأت من صدر الإسلام ومازالت مستعرة على مشارف القرن الواحد والعشرين . فنحن نوقر كل أطراف الصراع فى هذه الفتنة الكبرى ، نعتبرهم جميعا صحابة ، وكلهم من المرضى عنهم فى الدنيا والآخرة . وبهذه العصمة للأشخاص ، حتى من طبائع البشر ، يلتبس التاريخ قديمه وحديثه حتى الآن !

٩ - إننى مرة أخرى - وكما ألزمت نفسى فى كل المرات التى كتبت فيها عن حرب الثلاثين سنة - **اختصرت حديث السياسة الداخلية مؤثرا الإفاضة فى حديث الصراع الأكبر الدائر فى الشرق الأوسط ، وهو الصراع على المنطقة وفيها وعلى ذلك فقد اقتربت من شؤون الداخل بالقدر الذى اعتقدت أن هذه الشؤون أثرت أو تداخلت مع « حرب الثلاثين سنة » ، وهذا هو الموضوع الذى أعطية الأسبقية الأولى والأهمية لأنى أزعم أن الصراع على الشرق الأوسط وفيه لم ينته ، وإن انقضى عصر وحل محله عصر آخر له لغته وتعبيراته المختلفة عن هذه الصراعات .**

وظنى أن السلام مع إسرائيل لايزال مستحيلا ، لأنه يصعب علىّ أن أرى سلاما يقوم بين طرفين يجلسان على مائدة ، أحدهما يقدم الجغرافيا والتاريخ والقانون سندا لحقه ، والآخر يؤسس دعواه على أنه وقع عقدا مع مجمع آلهة : إله سماوى ، وإله أمريكى ، وإله نووى !

١٠ - وأخيرا مازال أمامى من هذه المجموعة عن « حرب الثلاثين سنة » فصلها الأخير ، وهو المرحلة الخاصة بمعركة ١٩٧٣ وماتلاها إلى الآن ، وأشعر على هذا النحو أننى حاولت تقديم رؤية مفصلة وموثقة لفترة من أهم الفترات فى حياة هذه الأمة ، خصوصا وأنها فترة حية : سواء كانت الأمة مازالت تعيش فى هذه

الفترة ، أو أن هذه الفترة مازالت تعيش فى الأمة . وإنى لأدعو إلى الله أن اتمكن بالظروف العامة والظروف الخاصة من أداء المهمة خصوصا أمام أجيال الشباب التى أعتقد أنها هى وحدها مستودع الأمل .

ثم أضيف ملاحظة ختامية **وهى أننى بكل قصة « حرب الثلاثين سنة » وتقصى وقائعها وقراءة تاريخها لا أريد أن أثبت شيئا أو أنفى شيئا ، ولا أن أقنع أحدا برأى أو أثنيه عن رأى غيره ، فليست تلك مهمة الكاتب الصحفى بالمعنى الذى أفهمه وهو « أننا أحياء بقدر ما نحن واعون » . والطريق إلى الوعى هو المعرفة ، والمعرفة هى القوة والحق معا وفى نفس الوقت !**

وهذه مسألة بالنسبة لنا حيوية ، لأن « حرب الثلاثين سنة » ليست قصة من الماضى وإنما هى قصة فى المستقبل باعتبار اتصال وتواصل التاريخ ...

وأليس صحيحا أن أكبر مشكلة تطرح نفسها على العالم فى الحقبة القادمة هى قضية وحدة ألمانيا ، وأليست هذه القضية قصة بدأت منذ نصف قرن - وربما أكثر ؟!

وأليس صحيحا أيضا أن أكبر مشكلة تطرح نفسها على العالم العربى فى الحقبة القادمة هى قضية هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل - وأليست هذه بقية متخلفة من أساطير التاريخ .. حتى أساطير التاريخ ؟!

وإذا كان ذلك فكيف بالتاريخ الحى سائلا يتدفق . جاريا فى فكر وأعصاب أمة مستهدفة بالحصار ، معرضة للانحسار ... فضلا عن أنها هذه الساعة ليست فى أحسن أحوالها !

محمد حسنين هيكل

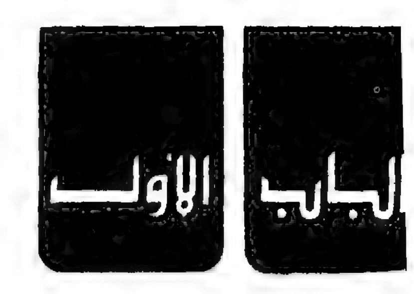

« الستينات »

« القرن العشرون أهم عصور التاريخ الإنسانى ، والستينات منه أخطر الحقب فيه »!

الفصل الأول

أزمنة متغيرة

عندما يكتب تاريخ القرن العشرين ، الذى توشك شمسه على الغروب الآن ، فسوف يبرز هذا القرن باعتباره أخطر العصور التى عاشها الجنس البشرى .

فى هذا القرن عاش على سطح هذا الكوكب عدد من البشر يزيد على كل الذين عاشوا عليه منذ بدء الخليقة . وفيه صنع هؤلاء البشر من العلوم والمعارف ما يزيد عشر مرات عما صنعه الذين سبقوهم منذ بدأ الإدراك والوعى والضمير والفكر الإنسانى . قبل قرابة عشرة آلاف سنة هى عمر الحضارة من اللحظة التى جرى فيها اكتشاف الزراعة وبدأ استقرار المجتمعات .

ولقد كانت كل حقبة فى هذا القرن اندفاعة هائلة إلى آفاق جديدة من الضياء الباهر لاح قادرا على اقتحام كل ظلمات وحجب الجهل والمجهول . وتجلى مبكرا وكأنه بشارة بوعد حضارى عظيم ، حل أخيرا يوم استحقاقه بعد مسيرة إنسانية شامخة !

كان العالم المتقدم (وهو يومئذ أوروبا وأمريكا الشمالية) مازال حين بدأ القرن العشرون يعيش ما سمى بـ « الفترة الجميلة » «la belle époque» وهى فترة تضوعت

بعطر سنوات من السلام والرخاء امتدت على الجسر الواصل بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وكانت فترة ازدهرت فيها الصناعة والتجارة نتيجة للفائض الذى حققته المستعمرات بالنسبة لأوروبا ـ من ناحية ـ ونتيجة لاستكمال بناء ، وبداية صعود ، القوة الأمريكية ـ من ناحية ثانية .

ولم يكن الوعد الحضارى كله هو عطر « الفترة الجميلة » والرخاء المادى الذى دفع كلفتها ، وإنما كان هناك ما هو أبعد وأعمق . ذلك أنه على هذا الجسر الممتد بين القرنين تدفقت إضافات جديدة وعديدة تحمل ظنوننا وإشارات تومىء إلى أن طبيعة العلاقة بين الإنسان وعالمه آخذة فى التشكل من جديد بهدى العقل وسلطانه وبغير قيود أو حدود .

وربما كان أكثر ما رمز إلى ظهور « **دنيا جديدة** » هو الإعلان الذى أصدرته الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن ـ مايو سنة ١٩٠١ ـ وجاء فيه « **أن عملية الكشوف الجغرافية قد اكتملت وأنه لم تعد فى الكرة الأرضية كلها بقعة غير معروفة وغير مطروقة وغير مرسومة** » . ولقد تناهى هذا الإعلان إلى أسماع الكافة فى المشارق والمغارب بينما هم منهمكون فى مناقشات واسعة حول ملاحظات « داروين » عن أصل الأنواع ، ونظرات « فرويد » فى أعماق النفس ، وتحليلات « ماركس » لقضايا الإنتاج .

وطلعت شمس القرن العشرين وسط أفق متوهج بالتفاؤل والثقة المتزايدة بالنفس . فقد غمر الإنسان إحساس بأنه أصبح يعرف عالمه برا وبحرا ، ومن القطب إلى القطب . ثم إنه أيضا على وشك أن يعرف قصة حياته منذ اختلجت حياة على سطح هذا الكوكب . ثم إنه كذلك على وشك الوصول إلى حل لكل المكنونات من أسراره فى أعماق النفوس . ثم إنه ، إضافة إلى هذا كله ، على وشك أن يعثر على قانون لعلاقات الإنتاج وهى صميم حركة المجتمعات .

□

وعندما بدأت الحقبة الأولى ـ العشرة الأولى ـ من القرن العشرين كان معدل الاندفاع يكتسب قوة مضاعفة ، وعلى كل النواحى والاتجاهات .

● فى هذه الحقبة تسارعت الكشوف العلمية يلاحق بعضها بعضا . كان « رذرفورد » قد تمكن من تحديد الأشعة التى استطاع فيما بعد أن يكسر بها الذرة . وكان « بيير وماري كورى » قد أمسكا بمادة « الراديوم » . وكان « آينشتين » يعلن اكتشافه لنظرية النسبية . وكان « ماركونى » يبعث بأول رسالة باللاسلكى عبر المحيط الأطلنطى . وكان

« لاندشتينر » قد توصل إلى تحليل فصائل الدم . وكان « ايستمان » قد بدأ فى صنع أفلام « كوداك » . وكان « اديسون » - بعد الكهرباء - يعرض على الدنيا شيئا جديدا يختزن الكهرباء وهو البطارية . وكان الأخوان « رايت » يقومان بتجربة أول طيران عبر بحر الشمال من بريطانيا إلى فرنسا . وكان « كورين » فى باريس يجرب أول طائرة عمودية (هليكوبتر) . وكانت السينما الناطقة قد ظهرت لأول مرة فى معرض باريس الدولى .

● **وفى هذه الحقبة واصلت حركات التحرر الإنسانى زحفها** . كانت امبراطوريات الاستبداد تتهاوى أمام ضغط ثورات الجماهير التى زحفت على قصور « آل مانشو » فى « بكين » ، وعلى قصور « آل هابسبورج » فى « فيينا » ، وعلى قصور « آل عثمان » فى « استانبول » ، وعلى قصور « آل رومانوف » فى « سان بيترسبورج » .

وفى حين ظهر وكأن الامبراطورية النمساوية الهنجارية تذوب ، وظهر وكأن الامبراطورية العثمانية تتفتت ، فإن « سن يات سن » فى الصين كان يحاول الحفاظ على تماسك هذه القارة الشاسعة . ونفس الشىء فى امبراطورية روسيا فقد كان « لينين » يخطط من لندن لاستيلاء البلاشفة على السلطة فى موسكو ، وقد بدت له الامبراطورية الروسية - وهى قارة أخرى - « تفاحة ناضجة على وشك السقوط » - كما قال أيامها !

فى نفس الوقت كان « غاندى » يقود حركة ضد التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا قدر لها أن تكون تجربة تمهيدية لما فعله بعد ذلك فى الهند . وكانت السيدة « بانكهرست » تقود حركة لتحرير المرأة فى انجلترا مبتدئة بحق المشاركة فى التصويت والترشيح لانتخابات مجلس العموم . وكان أول حزب للعمال يجرى تأسيسه فى بريطانيا بمشاركة بين طلائع المثقفين ونقابات العمال . وكان العالم العربى يتنبه بتأثير أجواء عصر « اسماعيل » وحركة « عرابى » ودعوات « الأفغانى » و « محمد عبده » .

● **وفى هذه الحقبة توجهت وسائل القوة إلى استكمال استعدادها** . فقد كانت بريطانيا تضع أول غواصة فى عمق البحار . وكان المدفع الرشاش يحدث انقلابا فى أساليب القتال تبدت نتائجه المروعة فى المعركة مع الدراويش أثناء حملة إعادة فتح السودان . وتحول الأسطول البريطانى من استعمال البخار إلى استعمال البترول وقودا لبوارجه ومدمراته ، واختلفت بذلك مطالب السيطرة على المحيطات . وكانت فكرة الدبابة قد تحولت إلى رسوم على ورق . ثم أن الطيران بدا إمكانية مهيأة لقلب نظريات القتال رأسا على عقب .

● **وفى هذه الحقبة راحت أساليب الحياة العادية للناس كل يوم تتغير** . قدم

« جيليت » موسى الحلاقة السهل المريح . وظهر دواء « الأسبرين » . وجرى فى أمريكا تسجيل أول اسطوانة ناطقة وكانت بصوت « كاروزو » . وظهرت السيارة فى لندن من صنع الصديقين « رولز » و « رويس » ، وفى برلين من صنع « ديملر » و « بنز » واشتهرت باسم ابنة « ديملر » وهى « مرسيدس » ، وفى « ديترويت » طور « هنرى فورد » أسلوب إنتاج سيارته بحيث يبنى أكثر من خمسمائة ألف سيارة فى السنة مستعملا نظرية خطوط التجميع التى أثبتت كفاءتها العالية فى الصناعة ، وبهذا كانت « السيارة » على وشك أن تبدأ عصرها الذهبى الذى غير إيقاع الحياة تغييرا شاملا .

● **وفى هذه الحقبة عززت أدوات الإنتاج قدراتها ، ذلك لأن دخول البترول كوقود للمحركات أحدث ثورة لم تقتصر على السيارة وحدها وإنما امتدت إلى مجالات الزراعة والصناعة ومن ثم إلى مجال المال** . وكانت الولايات المتحدة هى القوة المتأهبة أكثر من غيرها لهذا التحول العظيم . كانت أراضيها الشاسعة ومواردها المائية السخية قد جعلتها أكبر حقل زراعى عرفه التاريخ . وكان فيها من المعادن ـ وأولها البترول ـ ما يفيض عن حاجتها . وكانت قد أتمت بناء شبكات السكك الحديدية التى ربطت ولاياتها النائية وجعلت منها بالفعل ـ لا بمجرد الدستور ـ بلدا واحدا . ولقد بانت للدنيا كلها مجتمعا شابا وفوارا ومتجددا ، خاليا من عقد المواريث التاريخية التى تمسك بخيال مجتمعات أخرى وتقيد حيويتها واندفاعها . وتبدت نتيجة لذلك مستعدة لاستقبال كل ما تصنعه أوروبا ومستعدة لتمويله . وكان نصف الكرة الغربى تحت أمرها والمحيط الأطلسى يحميها من الشرق كما أن المحيط الهادى يحميها من الغرب . وكانت قد مدت سيطرتها من أمريكا الشمالية إلى أمريكا الجنوبية ، وحصل « روكفللر » علي معظم موارد أمريكا الجنوبية من البترول وأهمها آبار المكسيك وفنزويلا ، وجاء يوم أعلن فيه رسميا أن ثروة « روكفللر » تقدر بألف مليون دولار وكانت تلك أول مرة يستعمل فيها العالم رقم البليون ، وكان ما يخطف الأبصار فى ثروة « روكفللر » وغيره من أصحاب البلايين (مثل « ديللون » و « مورجان » و« دى بونت » و « فاندربلت » وغيرهم) ـ أن الدولار وقتها وبإعلان من الرئيس « مكينلى » سنة ١٩٠١ أصبح مربوطا بالذهب وتوأما له بالميزان !

هكذا لاح القرن الجديد ، القرن العشرون ، منذ بداياته قرنا للعلم وللحرية ، وللوفرة والغنى ، ولنوع جديد من الحياة السهلة فى تناولها والسريعة فى إيقاعها كموسيقى الجاز التى ترددت أنغامها وأصداؤها فى لحظة ميلاده متدفقة من العالم الجديد ـ أمريكا .

وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن هذا القرن العشرين سوف يكون قرنا

أمريكيا[١] بمقدار ما كان القرن الثامن عشر (من « لويس » الرابع عشر إلى « نابليون » الأول) قرنا فرنسيا ، وبمقدار ما كان القرن التاسع عشر (بعصر « فيكتوريا » وأبهته) قرنا بريطانيا .

وأقبل القرن الجديد تصاحبه بشارات سلام ليس كمثله سلام ، ورخاء ليس كمثله رخاء ، وعدل ليس كمثلة عدل ، وللجميع .

□

إن أحلام السلام والرخاء والعدل كانت فيما يبدو سابقة لأوانها ، فإن الحقبة الثانية - العشرة الثانية - من القرن العشرين قادت البشرية إلى شلال دم بالحرب العالمية الأولى ، وكانت أمريكا - التى دخلت إليها متأخرة بعد أن استنزف الجميع قواهم - هى الطرف الذى حسمها بعد عام من اشتراكه فيها . وكانت الدنيا كلها تعلل نفسها بمقولة إنها « الحرب التى أنهت كل الحروب » !

وكانت أهم نتائج الحرب العالمية الأولى - بعد الظهور الأمريكى فى أوروبا - هى استيلاء البلاشفة بقيادة « لينين » على السلطة فى روسيا ، واندفاعهم إلى بناء دولة الشيوعية الأولى فى التاريخ أملا مطروحا على المستقبل يؤكده أو ينفيه !

ومرة أخرى بدا أن القرن العشرين ما زال قرنا أمريكيا ، وبدا أيضا أن السلام القادم بعد الحرب سوف يكون سلاما أمريكيا !

لكن الحقبة الثالثة - العشرينات - من القرن جاءت لتقول مرة أخرى إن التوقعات سابقة لأوانها ، فأمريكا بعد الحرب مباشرة لم تجد فى نفسها القدرة على إدراة شؤون العالم لأن القوى الأوروبية القديمة كانت لا تزال تملك بقايا عزيمة ، وظلت الموازين معلقة تتأرجح حركتها بعرض المحيط الأطلسى فى حيرة ... ومع هذه الحيرة فإن السلام لم يجىء . ولا جاء الرخاء . بل بالعكس

---

(١) كان الأديب الايرلندى الكبير ، جورج برنارد شو ، أحد أقطاب الحركة الفابية الداعية إلى إنشاء حزب للعمال - صاحب صيحة ترددت وقتها بأن القرن العشرين سوف يكون ، قرن الاشتراكية ، - وبعد سنوات قليلة وفى مقابل هذه الصيحة كان الصحفى الأمريكى العظيم ، والتر ليبمان ، يناقض ، برنارد شو ، قائلا إن ، القرن العشرين أمريكى ، . وصدقت نبوءة ، ليبمان ، ، ربما لأن الصحفى بنى رؤيته على حقائق قوة ، فى حين أن الأديب ترك أحلامه تشكل رؤاه .

وقع الانهيار الاقتصادى الكبير وكانت بدايته فى بورصة نيويورك ١٩٢٩ ، وعلى أية حال فإنه حتى فى دوامة الأزمة كان القرن العشرون ما زال قرنا أمريكيا !

وجاءت الحقبة الرابعة - الثلاثينات - من القرن تمنى نفسها بأن الكارثة الاقتصادية أمكن تلافيها بمزيج من آراء الاقتصادى البريطانى « ماينارد كينز » وهمة السياسى الأمريكى « فرانكلين روزفلت » . وتوهم بعض الحالمين أن « الفترة الجميلة » يمكن أن تعود ، لكن ظهور النازية فى ألمانيا (« هتلر ») متحالفة مع الفاشية فى ايطاليا (« موسولينى ») معززة بالعسكرية فى اليابان (« توجو ») - أشعل حربا عالمية ثانية وقفت فيها بريطانيا بشجاعة تحت قيادة « تشرشل » ، ثم رجحت موازين القوة حين دخل الاتحاد السوفيتى تحت قيادة « ستالين » بمدد من البشر ليست له نهاية وكثافة فى النيران لم يستشعرها العالم من قبل . ثم استقرت الموازين نهائيا وجرى حسم الحرب بالقنبلة الذرية الأمريكية التى فجرتها أمريكا (بقيادة « ترومان ») وتوقفت أكبر مذبحة عرفها التاريخ الإنسانى طول عمره ، وكان ذلك فى الحقبة الخامسة - الأربعينات - من هذا القرن .

ولقد أدى السلاح النووى إلى تأكيد الشخصية الأمريكية للقرن العشرين . وفى هذه المرة كانت أوروبا قد نزفت ما تبقى فيها من عزيمة ، ووقفت القارة التى صنعت اليقظة والنهضة والامبراطورية عاجزة عن حماية أى قيمة أو احتضان أى فكرة أو رعاية أى اختراع . وفتح العالم الجديد ذراعيه بسرعة يستقبل - أو يطوق - كل حضارة وعلوم وتكنولوجيا الغرب . وفى الواقع فإنه حتى قبل أن تتوقف معارك الحرب كانت أمريكا ، البعيدة عن ميادينها وساحاتها ، هى المهرب وراء المحيط لكل ما يستحق الحرص عليه فعلا أو أملا مما تبقى فى أوروبا . وهكذا لجأت إلى العالم الجديد ولاذت به كل الأسرار العلمية للعالم القديم من الذرة إلى الرادار ، ومن الكمبيوتر إلى المحرك النفاث ، ومن البنسيلين إلى الليزر . ثم أصبحت أمريكا مستودع ذهب العالم حتى أن وزارة الخزانة الأمريكية كدست فى مخزن ذهب واحد فى قلعة « فورت نوكس » ما قيمته أربعين بليون دولار من السبائك الذهبية ، ثم إنها أيضا أصبحت مسرحا لعبقريات الفكر والفن التى قصدت إليها وتوطنت فى مراكزها الفوارة من الجامعات والمعاهد إلى استديوهات السينما فى هوليوود !

ورمزا لهذا كله - وربما إشهارا له - فقد أصبحت نيويورك هى المقر الرسمى لمنظمة « الأمم المتحدة » التى أقيم مبناها على شاطىء النهر الشرقى فوق أرض قدمتها أسرة « روكفللر » منحة وهدية لمجتمع الدول الجديد !

وحين بدأت الحقبة السادسة - الخمسينات - كان العالم على صورة بالغة الغرابة والتعقيد - لأن السلاح الذى حسم الحرب العالمية الثانية جعلها بالفعل آخر الحروب : فمن ناحية كان صعبا على الولايات المتحدة « سياسيا » حتى فى ظل احتكارها للسلاح النووى أن تستخدمه ضد حليفها السوفيتى فى « الحرب التى أنهت كل الحروب » ! - ومن ناحية أخرى أصبح ذلك صعبا عليها « عمليا » بعد أن انكسر الاحتكار الأمريكى . وفى كل الأحوال فإن السلاح النووى كان مستحيلا « إنسانيا » مهما كانت الظروف .

ولم تؤد استحالة الحرب إلى مجىء السلام لأن صراع العقائد والمصالح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى اشتعل بنار الحمى بدلا من نار القنابل تقليدية أو ذرية - وكانت الولايات المتحدة مازالت مصرة على أنه القرن الأمريكى فى الوقت الذى ظن فيه الاتحاد السوفيتى أنه نجح فعلا فى صنع شكل المستقبل لما بقى من هذا القرن وما بعده . واحتدم صراع العقائد والمصالح . ومع استحالة إدارة الصراع بالنار ، فقد جرت تجربة إدارته مستغنية عن النار . وكانت تلك هى الحرب الباردة !

ولقد زادت درجة حرارة الحمى بحركة الثورة الوطنية التى اجتاحت ثلاث قارات جنوبية هى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية .

وحين جاءت الستينات من القرن العشرين - كان هذا القرن مازال أمريكيا بصفة عامة ، لكن هذه الصفة الغالبة عليه كانت تواجه تحديات كثيرة من مصادر مختلفة أولها الاتحاد السوفيتى ، ثم حركة التحرر الوطنى فى قارات الجنوب الثلاث ، ثم بقايا من الامبراطوريات الأوروبية القديمة تعيش فى حماية القوة الأمريكية وتتمرد أحيانا على هيمنتها .

كانت الملامح الأمريكية للقرن العشرين هى المقولة الوحيدة التى صدقت من بداياته لأنها كانت حقيقة قوة . وأما كل بشارات الوعد الحضارى الذى تعلق بالقرن العشرين فإنها جميعا لم تجىء .

لم يجىء السلام الذى ليس كمثله سلام . ولم يجىء الرخاء الذى ليس كمثله رخاء . ولم يجىء العدل الذى ليس كمثله عدل - وللجميع .

وبدأ العالم يعيش تفاعلات وتقلصات ، وتناقضات وصراعات لم يسبق لها مثيل .

كان القرن العشرون كله خطيرا . وإذا الظروف والمستجدات تثبت أن الستينات منه بالذات أخطر الحقب فيه . ذلك أن متغيرات كثيرة راحت تحدث آثارها وتجرى أحكامها وتفرض نتائجها حتى بغير أن يتوفر الفهم العقلانى الكامل للأسباب والدواعى . كان العالم يرى ما يجرى ويعيشه كل يوم ويحار فى تعليل أسبابه : **حقائق واقعة بدت طويلا فى رسوخ الجبال تنكمش وتتقلص ولا يظهر مكانها على الأرض ما يملأ الأفق . وقيم تقليدية تتداعى وتسقط ولا يحل محلها شىء يقوم بدورها فى سلوك الأفراد والجماعات . وتحالفات تاريخية تنفك ولا يملأ فراغها جديد له شكل محدد أو قوة فعل تضبط علاقات الدول والكتل . وأحلام كثيرة تتبخر سرابا فى نفس اللحظة التى كانت فيها بعض الأوهام تتجسد وكأن الوهم يمكن ان يصبح له مستقبل !**

باختصار بدت الستينات عالما كاملا من « الفوضى فى كل مكان » ، وكان ذلك نص التعبير الذى استعمله رئيس وزراء الصين « شوين لاى » أحد أبرز عمالقة القرن العشرين خلال حديث جرى معه فى بكين[2] .

عند منتصف الستينات وحولها ، كان قد مضى على انتهاء الحرب العالمية الثانية عقدان من الزمان . عشرون سنة كاملة وحافلة (من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥) .

وفى هذه الفترة كانت آثار الحرب وتداعياتها ، والطاقات التى فجرتها ، تغير العالم ظاهرا وباطنا وتنقله من حال إلى أحوال أخرى . وفى حين أن الحال الأول كان محكوما إلى حد ما . فإن الأحوال المستجدة بدت منفلتة ومستعصية على كل محاولات الترتيب والتنظيم ، ذلك أن حجم ما ثار وتداعى وتفجر كان أكبر من أن يتحكم فى إدارته مركز واحد حتى وإن كان هذا المركز هو عاصمة القوة التى تلقى بظلها على القرن العشرين .

---

(٢) حديث أجريته مع « شوين لاى » رئيس وزراء الصين منشور فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٧٣ .

وربما كان فى واشنطن من راودهم حلم التحكم - لكن الحقائق الوافدة مع كل يوم راحت تناقض الحلم وتعانده .

كانت الحرب قد انتهت بخريطة سياسية جديدة للعالم ، وهى خريطة لم ترسم حدودها تحركات الجيوش حين توقفت معارك القتال فحسب ، وإنما شاركت فى رسمها أيضا عقائد اجتماعية متعارضة . ذلك أن الجيوش الأمريكية والقوى المتحالفة معها (فى أوروبا الغربية) لم تكن ترفع أعلامها الوطنية فحسب ، وإنما كانت ترفع فوقها علم الرأسمالية - وفى المقابل فإن الجيوش السوفيتية والقوى المتحالفة معها (فى الصين وأوروبا الشرقية) لم تكن - هى الأخرى - ترفع أعلامها الوطنية فحسب ، وإنما كانت ترفع فوقها علم الشيوعية !

وهكذا انقسم العالم من اللحظة الأولى بعد الحرب إلى عالمين مختلفين عسكريا وعقائديا !

لكن المشكلة كانت أكثر صعوبة من مجرد الانقسام العسكرى والعقائدى . ذلك أنه فى اللحظة الثانية بعد الحرب تبين أن الخطوط الداخلية على الجانبين ليست متطابقة ، أى أن مساحات النفوذ العسكرى فى كل عالم من العالمين الجديدين ليست هى بالضبط مساحة النفاذ العقائدى فيه ، بمعنى أنه كان هناك داخل مساحة النفوذ العسكرى السوفيتى مثلا من يتطلعون إلى رؤية اجتماعية أخرى غير الشيوعية ، والعكس صحيح فقد كان هناك داخل مساحة النفوذ العسكرى الأمريكى من يتطلعون إلى نظرية اجتماعية أخرى غُير الرأسمالية !

وبالطبع فإن كلا من العالمين سارع نشيطا إلى تصحيح الخلل الذى ظهر ناحيته ، وبالوسائل المتاحة لديه ، حتى يحقق التطابق بين خطوطه الداخلية : العسكرية والعقائدية - ويفرض هذا التطابق إذا دعا الأمر .

□ □ ولم يكن لدى الشيوعية - وراء بريق النظرية - إلاّ قوة الجيش الأحمر ولو حتى بالقمع المباشر خصوصا بمنطق العصر الستالينى (مثلما حدث فى ألمانيا الشرقية وبولندا ، ثم تكرر بعد ذلك فى المجر وتشيكوسلوفاكيا) .

□ □ وأما الرأسمالية فقد كان لديها - وراء قوة الجيوش - ما تغرى به سواء تحت اسم المساعدات لإعادة البناء والتعمير بعد دمار الحرب وخرابها (مثل مشروع مارشال لإنعاش أوروبا الغربية) - أو بالرشوة المباشرة

والسافرة (مثلما حدث فى أول انتخابات عامة أجريت فى فرنسا وايطاليا وألمانيا الغربية وغيرها) .

وتحول الانقسام إلى مواجهة ، وتحولت المواجهة إلى صراع يقف فيه عالم أمام عالم آخر مختلف عنه . وكان الصراع ممتدا إلى العمق حيث يحاول كل طرف أن يطابق خطوطه العسكرية والعقائدية .

وبعد ذلك فإن العمق نفسه لم يقتصر على أصحابه الأصليين ومعسكراتهم ، وإنما اتسع مجال العمق لكى يشمل العالم كله ، فقد راح كل طرف من الطرفين يعرض نفسه بإمكانياته وعقائده ونموذجه فى التقدم على مستوى الكرة الأرضية كلها .

أصبحت المواجهة مثلثة الزوايا : قدرة ذاتية لها وسائلها من القوة ولها توجهها الاجتماعى - ومعسكر يقف وراءها وهى تختص بترتيب شؤونه لكى يكون سندها فى المواجهة - ومثال تقدمه للعالم تبشر به وتغرى عليه وتفرضه لو استطاعت إذا واتتها الفرصة !

وتحققت فى التاريخ لأول مرة ظاهرة لم تتحقق فيه من قبل وهى بروز كيان أكبر من الدولة ، وأكبر من الامبراطورية ، وهو كيان القوة الأعظم الذى تتوافر له زوايا هذه الثلاثية الكبيرة : القدرة الشاملة بالقوة والفكرة - والمعسكر الذى يقف وراءها مقتنعا أو مضطرا - والنموذج العالمى الذى تقدمه دعوة ومثالا .

كانت الظاهرة جديدة تماما ، وكانت بعض نواحيها معرضة للتماس وربما للاحتكاك ، ومع ذلك فقد ساد الظن لبعض الوقت بأن ضبطها ممكن باستعمال سوابق التاريخ بأسلوب أكثر تطورا وأشد كفاءة .

شىء من التنظيم أو النظام الدقيق يتلافى أخطاء الماضى - وهكذا كان نظام الأمم المتحدة بدلا من نظام عصبة الأمم[٣] .

---

(٣) كان المفروض أن يكتمل نظام الأمم المتحدة بأن يكون بجوارها صندوق للنقد الدولى يتولى تنظيم العلاقة بين العملات ويضمن توازنها ، وكذلك بنك دولى للإنشاء والتعمير يتولى تنظيم حركة التدفقات المالية من منابعها إلى مصابها حتى لا يقع تضارب ، ثم أن تكون بجانب هذا كله مؤسسة تنظم شروط التجارة وتعريفات الجمارك وقواعد الحماية - وكان ذلك عن تشخيص دقيق يري أن المنافسة الاقتصادية هى مدخل المنافسة السياسية ثم العسكرية - لكن هذه المؤسسات لم يتحقق لها هذا الدور فى إطار نظام الأمم المتحدة لأن الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية قاطعتها جميعا باعتبارها أدوات محتملة للسيطرة المالية الغربية ، وبالفعل فإن هذا الاحتمال تحقق على نحو أو آخر .

وشىء من القوانين التقليدية لموازين القوى (فى طاقات الإنتاج - وفى معدلات التسليح - وفى نمط التحالفات) تمسك بحركة المواجهة كى لا يفلت زمامها وتختل الأمور ويقع الصدام - وهكذا كان التوازن بين كتلة غرب وكتلة شرق .

□

عند منتصف الستينات وحولها - وبعد انقضاء عقدين من الزمان على انتهاء الحرب العالمية الثانية ، والنظام الجديد الذى قام فى أعقابها وهو الأمم المتحدة ، وتوازن القوى الذى أمسك بالسلام القلق الذى جاء فى ظلال السلاح النووى - تحقق بجلاء أن كليهما : النظام الجديد (الأمم المتحدة) - وتوازن القوى الجديد (غرب - وشرق) - غير قادر على الفعل فى أزمنة متغيرة تختلف عما سبقها على طول التاريخ الإنسانى وعرضه :

- **كان المتغير الأول فى هذه الأزمنة هو استحالة الحرب بين الكبار -** مهما كان أو يكون - بسبب طبائع الأسلحة النووية التى كانت أسرارها وأهوالها تتكشف يوما بعد يوم - وتزيح يوما بعد يوم من أى خيال - مهما شط وغلا - إمكانية الاحتكام إلى السلاح ، وهو بين الكبار لا يمكن إلاّ أن ينتهى نوويا حتى وإن لم تكن بدايته كذلك - وكانت تلك ثورة فى وسائل استعمال القوة لتحقيق الأهداف .

- **وكان المتغير الثانى فى هذه الأزمنة هو اتساع آفاق التكنولوجيا** بشكل لم يسبق له مثيل ، وقد اعتمدت فى قفزتها الأولى على المخترعات التى ولدتها ضرورات الحرب العالمية الثانية التى انتهت ، إلى جانب ضرورات الحرب العالمية الثالثة التى لا يمكن أن تبدأ - وكانت آفاق هذه التكنولوجيا واسعة على نحو لم يتطلع إليه عقل ولا تطاول إليه فكر . وقد امتدت هذه الآفاق من مجالات إنتاج السلع وتوزيعها ، إلى مجالات المواصلات والاتصالات ، إلى مجالات العلم والمعلومات ، إلى مجالات الإعلام والثقافة ، وحتى إلى مجالات التسلية والترفيه - وكانت هذه ثورة أخرى فى وسائل حياة السلام حتى وإن كان صانعها الحقيقى هو حدة المنافسة تحسبا لخطر الحرب !

- **وكان المتغير الثالث فى هذه الأزمنة ناشئا عن تلاقى وتفاعل هاتين الثورتين : ثورة القيود على استعمال وسائل القوة ، وثورة الانطلاق إلى استعمال وسائل التكنولوجيا - ومن مؤدى هذا التلاقى تفجرت ثورة ثالثة أعم وأشمل ، وهى ثورة انفجار الأحلام والآمال والتطلعات . ثورة بدا معها أن**

كل شيء ممكن ، وكل حركة متاحة ، وكل حدود مفتوحة خصوصا إذا اقترن الأمل بالجسارة .

☐

كانت هذه « حالة عالمية » مستجدة وغير مسبوقة ، وبالقطع كانت لها آثارها . تداعيات تؤدى إلى نتائج ، ونتائج تؤدى إلى تداعيات . سيل متدافع الموجات يتدفق إلى ما لا نهاية . أو هكذا بدا .

والواقع أنه نتيجة للثورات الثلاث (استحالة الحرب ـ وإمكانيات التكنولوجيا ـ وانفجار الآمال والتطلعات) ـ تسارع إيقاع التطورات فى النصف الثانى من الخمسينات على نحو يخطف الأبصار ويقطع الأنفاس :

١ ـ نتيجة لتأثير الثورات الثلاث فإن خطوط المواجهة العسكرية والعقائدية ـ بين الغرب والشرق ـ بدأت تتداخل وتختلط رغم حواجز الجليد الذى راكمته الحرب الباردة !

كانت أوروبا الغربية قد استفادت من مظلة الحماية الأمريكية ومن مشروع مارشال الذى استهدف إنعاش اقتصادها بعد خراب الحرب ، وراحت على الفور تفكر فى نفسها وفى مستقبلها وفى دورها فى الحالة العالمية المستجدة وغير المسبوقة . كانت شريكة لأمريكا فى حلف الأطلنطى ، ولكن الحوادث أظهرت لها أنها فى وضع التابع وليس فى وضع الشريك ، وكانت معركة السويس هى الدليل الحى الذى اقتنعت بعده بأن عليها أن تجد لنفسها دورا متكافئا فى التحالف الغربى حتى ولو كان دور الشريك الثانى مع الشريك الأول .

وبتوجيه « جورج مونيه » بدأت أوروبا تنشيء سوقها المشتركة . وبتوجيه « شارل ديجول » بدأت فرنسا تبنى رادعها النووى المستقل . وبتوجيه « ويلى برانت » بدأت ألمانيا الغربية تتطلع إلى الشرق وتقيم جسورا مع موسكو على أمل استعادة وحدة ألمانيا فى يوم من الأيام لكى تعود موحدة ـ أو شبه موحدة ـ إلى دورها التاريخى الذى تطمح إليه باعتبارها وسط وقلب أوروبا !

ولم تكن الولايات المتحدة راضية ، لكن أوروبا الغربية باستعادة نهوضها وبالمعجزة الاقتصادية الألمانية وبطول قامة الجنرال « ديجول » ـ كانت قادرة على تحمل عدم الرضا بالملاينة تارة ، وبالعناد تارة أخرى !

٢ ـ وعلى ناحية الشرق كان هناك شيء مماثل يحدث فى الصين ـ وبدوره كان نتيجة ضرورية لتأثير الثورات الثلاث ـ ذلك أن الصين بحجمها لم تكن تريد دور التابع للاتحاد السوفيتى فى المعسكر الشيوعى . وكان منطقها فى البداية أن شركة العقيدة تستوجب شركة التقدم ، وحين أحس الاتحاد السوفيتى أنه مطالب بدفع ضرائب التنمية فى الصين ، بدرجة حجمها وواقع تخلفها ـ توقف لإجراء حساب ، ولم تكن أرقام الحساب هى الأساس الذى طرحته الصين ، ودب الخلاف بين « ماوتسى تونج » و « نيكيتا خروشوف » وأصبح ما بين الصين والاتحاد السوفيتى ـ داخل إطار الشرق ـ أكثر حساسية وتوترا مما هو قائم بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة عبر خطوط المواجهة بين الشرق والغرب !

وإلى جانب ذلك فإن شعوب بلدان أوروبا الشرقية التى انتظمت فى سلك حلف وارسو كالعقد المرصوص ـ لم تكن فى صميم قلبها متحمسة لقبول سيطرة جحافل جيوش الشرق التى جاءت تطرد الألمان ثم لم تخرج بعد أن طردتهم ، وتوالت حركات التمرد ، وكانت الإجابة هى القمع بالسلاح أو التلويح به رغم وحدة العقائد .

٣ ـ **وما بين الشرق والغرب كان هناك عالم ثالث** واتته الفرصة ليطالب بالمكبوت من آماله فى الاستقلال والتنمية . ففى ظل استحالة الحرب ، وفى ظل كبرياء الاستقلال الجديد ، وفى ظل أطياف المنى التى لوحت بها التكنولوجيا الساحرة ـ كانت ثورة التطلعات فى هذا العالم الثالث أكثر جموحا مما كانت فى غيره من مناطق الدنيا . ولقد ساعد على إحساس هذا العالم بفرصته أن كلا من المعسكرين راح يعرض عليه نموذجه بإلحاح شديد .

وفى سنوات قليلة هبت عاصفة من الأحلام على آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وكانت « باندونج » (مؤتمر الدول المستقلة فى آسيا وأفريقيا سنة ١٩٥٥) نقطة تحول ، ثم جاءت معركة السويس تأكيدا لكل من يطلب الدليل على أن الأمل مصحوبا بالجسارة قادر على تحدى الأشباح القديمة جميعها ابتداء من تحدى سلاح الامبراطورية كما فعل شعب مصر ، إلى تحدى قيد التخلف كما فعل شعب مصر أيضا بنجاحه فى إدارة وتسيير حركة الملاحة فى قناة السويس .

٤ ـ وفى النصف الأول من الستينات كان عدد الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة قد تضاعف ثلاث مرات عما كان عليه ، وتغيرت مراكز الثقل فى المنظمة الدولية التى كان مقدرا لها أن تكون إطار النظام العالمى الجديد . وفى البداية كان مركز الثقل يميل ناحية الغرب ، وبالزحام الجديد فى الأمم المتحدة مال الميزان ناحية الشرق الذى شجع حركات الاستقلال لأنها كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد امبراطوريات الغرب التقليدية . ولكن المشكلة أن القادمين الجدد ـ وإن حققوا ديمقراطية الأمم المتحدة ـ

إلاّ أنهم أثروا على فاعليتها ، فقد ضغطوا على تركيبها الهش بأكثر مما يستطيع تحمله بالموازين الدقيقة التى تحكمه .

وحدث تغيير كبير فى طبيعة الأمم المتحدة : تحولت فى فترة من الفترات إلى منبر كلام ، فقد كان ذلك أقصى ما تملكه الدول المستقلة حديثا للتعبير عن نفسها . ثم تحولت بعد ذلك إلى جهاز بيروقراطى ثقيل ، فقد ألقت هذه الدول على المنظمة الدولية أعباء طارئة كما أنها اتخذتها بابا إلى كل ميدان لا تستطيع أن تدخله وحدها ، وهكذا شهدت الأمم المتحدة إنشاء أكثر من ألفى جهاز للتنسيق الرسمى بين الدول الأعضاء فيها . وعلاوة على ذلك فإنها أضافت إلى الإطار المحيط بهذه المنظمة حوالى ثمانية عشر ألف جهاز آخر للتنسيق غير الحكومى الذى يريد أن يصل نفسه بها .

٥ ـ ولم يلبث الكبار الذين أنشأوا الأمم المتحدة أن أدركوا أن النظام الدولى الذى أقاموه (والذى اشتد فيه الزحام واستحكمت البيروقراطية) لم يعد صالحا لهم خصوصا وأن خلل الموازين سوف يؤثر عليهم أكثر مما يؤثر على الآخرين . وهكذا ـ فى عصر « كنيدى » و« خروشوف » ـ هاجر الكبار من هذا النظام بقضاياهم الحيوية وأولها مشاكل السلاح النووى والسباق نحو الفضاء ، وفى نفس الوقت احتفظوا بصلاتهم معه قائمة كمجال للتأثير السياسى والنفسى ، وانعكس هذا الاتجاه على الفور فى شخصية السكرتير العام للأمم المتحدة .

كان « تريجفى لى » ـ من النرويج ـ أول سكرتير عام للأمم المتحدة ، وقد أحرج موسكو فى أزمة كوريا .

وكان « داج همرشولد » ـ من السويد ـ هو ثانى سكرتير عام للأمم المتحدة ، وقد تحدى لندن وباريس فى أزمة السويس ، ولم يقبل مسايرة واشنطن فى أزمة لبنان ولا فى أزمة الكونجو .

وحين قتل « همرشولد » فى حادث طائرة غامض فوق إقليم كاتانجا بالكونجو ، وقع اختيار الاثنين الكبار على رجل يصلح للمرحلة الجديدة من حياة الأمم المتحدة وهو « يو ثانت » ، وكان شبه راهب بوذى من بورما ، وقد أدرك منذ البداية أن عليه قبل أى اعتبار آخر أن يضمن رضا القوتين الأعظم وأن يظل دائما فى دائرة التوافق بينهما مهما ضاقت دون أن يخرج عليها . ولقد كانت الولايات المتحدة أكثر خبثا ، ذلك أنها حرصت على أن تترك بجوار السكرتير العام الجديد رجلا من رعاياها مقبولا من القادمين الجدد

إلى الأمم المتحدة لأنه زنجي ، وهو الدكتور « رالف بانش » الذى حصل على جائزة « نوبل » للسلام بسبب دوره فى اتفاقيات « رودس » التى انتهت بها المعركة الأولى من معارك الصراع العربى ـ الإسرائيلى بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ . وكان الدكتور « رالف بانش » على صلة وثيقة بدوائر صنع القرار الأمريكى منذ كان دبلوماسيا فى وزارة الخارجية ، وضالعا فى عمليات التنسيق بينها وبين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى سنواتها المبكرة .

□

وعند منتصف الستينات وما حولها كان واضحا أن الضغوط الهائلة لحركة الثورات الثلاث ـ استحالة الحرب ، وإمكانيات التكنولوجيا ، وانفجار التطلعات ـ لا تستطيع أن تكتفى بكل ما تحقق أو لم يتحقق فى العقدين التاليين للحرب العالمية الثانية : لا يكفيها قيام المعسكرات والمواجهة بينها ثم التوترات والتقلصات الجارية وراء الخطوط فى كل معسكر ـ ثم أنها أيضا لا تستطيع أن تكتفى بقيام تنظيم للأمم المتحدة مع الأخذ فى الحسبان أن التطورات اللاحقة كلها أثرت على فاعليته حين أصبحت الساحة زحاما بين كثيرين من المستقلين حديثا لم تتوافر لهم بعد الفرصة للتحقق مما جرى ويجرى فى عالمهم ، يرونه أمامهم ولا يقدرون أبعاده وأعماقه ـ ثم إن هذه الضغوط الهائلة لحركة الثورات الثلاث لا تستطيع أن تكتفى باتصالات على مستوى القمة بدأت وتائرها تنتظم بين واشنطن وموسكو ابتداء من عصر « كنيدى » و « خروشوف » وما بعده وبعدهما !

إن هذه الاتصالات على مستوى القمة ربما كانت كافية لمواجهة ضرورات استحالة الحرب ـ لكن بقية الثورات : التكنولوجيا والتطلعات ، كانت تبحث عن مسالك جديدة للحركة على اتساع العالم .

وكانت تجربة تنظيم العالم بالأمم المتحدة قد أعطت لهذه الضغوط الهائلة للثورات الثلاث نماذج جديرة بالتأمل والدرس . فقد ظهرت على سبيل المثال منظمة الصحة العالمية . ومنظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) . وإلى جانب ذلك فقد كانت هناك نظم أخرى أنشأتها الاحتياجات الطارئة وقد أثبتت فاعليتها بالتجربة مثل النظام العالمى للأرصاد الجوية(*) ، والنظام العالمى للطيران المدنى ، والنظام العالمى للإذاعات الذى يوزع موجات الأثير على الدول المختلفة حتى لا تختلط وتتداخل أصواتها ، ثم حدث نفس الشيء بعد ذلك بالنسبة للنظام العالمى للأقمار الصناعية .

(*) كانت هناك من قبل ترتيبات لتبادل معلومات الأرصاد ولكن ذلك كان أبعد عن أن يكون نظاما عالميا للأرصاد يتمكن من رسم خريطة جوية واحدة للعالم كله متغيرة كل ثانية .

إن هذه المنظمات والنظم وضعت سوابق فى العمل على مستوى العالم وعبر كل الحدود بضغوط الثورات الثلاث ـ وكان السؤال الهائم الذى يبحث لنفسه عن إجابة فى بداية الستينات هو : إن هذه التنظيمات والنظم نجحت فى العالم بإرادات الدول وفى إطار الأمم المتحدة أو بالقرب منها ـ فهل يمكن أن يكون نموذجها صالحا للتطبيق فى مجالات أخرى لا تشترط فيها إرادات الدول ولا الالتصاق أو القرب من الأمم المتحدة خصوصا وأن بعض الثورات الضاغطة بقوى العصر الجديد تستطيع بالفعل أن تتجاوز هذا الشرط ، بل إن المصالح القادرة على الاستجابة للضرورات الجديدة يلائمها أكثر أن تتحرك على مستوى العالم بدون شرط إرادات الدول منفردة أو مجتمعة . فهذه الإرادات تخضعها لقيود السيادة فى حين أن أوضاع العالم الجديدة تسمح لها بتخطى هذا كله وتجاوزه .

كانت الرأسمالية قد تعلمت فى مرحلة سابقة درس « الاحتكار » ، والآن كان أمامها فى مرحلة لاحقة أن تتعلم درس « الانتشار » !

□

وعند منتصف الستينات وحولها ظهر فى العالم مخلوق جديد اخر هو المؤسسة العابرة للحدود وللقارات(**) ، وسرعان ما تحول هذا المخلوق إلى دولة لا تحتاج إلى وطن ، ثم إلى امبراطورية لا تحتاج إلى أقاليم .

كانت الامبراطورية الجديدة مجالا لا مقر له ولا عاصمة ولا أرض ولا شعب ! وصعدت وعلت امبراطورية البترول مثلا . ثم امبراطورية السلاح . ثم امبراطورية البنوك . ثم امبراطورية التأمين . ثم امبراطورية الطيران . ثم امبراطورية الالكترونيات . ثم امبراطورية الفضاء . ثم امبراطورية الأقمار الصناعية . ثم امبراطورية التليفزيون . وهكذا ...

كلها وغيرها امبراطوريات جديدة . قوتها غالبة وفعلها غير مرئى . سيطرتها محسوسة ولكنها لا تقاوم على ساحة أو فى شارع أو من على منبر فى الأمم المتحدة . وفى بعض الأحيان تتجلى هذه الامبراطوريات من بعيد مثل ظواهر الطبيعة ، لكن أحدا لا يستطيع أن يستوقفها وإلاّ فهى محاولة أشبه ما تكون بدق المسامير فى سحابة حتى يتيسر وقف ارتحالها ومساءلتها من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟!

(**) يصطلح على تسميتها عادة بوصف الشركات « عبر القومية » «Transnational» تارة أو « متعددة الجنسيات » «Multinational » تارة أخرى .

ولقد كان أقصى ما أمكن الوصول إليه فى ترتيب الأمور وتنسيقها هو التوصل إلى نوع من الربط بين الامبراطورية بالصورة القديمة والامبراطورية بالصورة المتجددة ، فقد جمعت بين الاثنتين تحالفات من نوع غريب ، وربما كان أبرز التحالفات التى بدأت فى البروز مع منتصف الستينات ثلاثة هى : **التحالف الامبراطورى للدولار وكان الأكبر والأقوى . ثم التحالف الامبراطورى للمارك الألمانى وقد أصبح عماد النظام النقدى للسوق الأوروبية المشتركة . وكان التحالف الامبراطورى للين اليابانى يتأهب للبروز على شواطىء المحيط الباسيفيكى مرتكزا على جنوب شرق آسيا .**

وكانت الثورات الثلاث مازالت تغير وجه الأرض - والفضاء أيضا - وتتدافع بموجات بعد موجات من المستجدات !

عند منتصف الستينات وحولها كانت المستجدات الزاحفة على حياة العالم بتأثير الثورات الثلاث (استحالة الحرب العالمية - والوعد العظيم للتكنولوجيا - وجموح التطلعات الزائدة) - تسوق عواصف للتغيير لا يقف أمامها حاجز أو قيد .

ومن اللحظة الأولى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد الجنود من ميادين القتال المختلفة من كل بقاع الأرض وصيحتهم المدوية هى أن ما قاسوه لا يجب أن يتكرر مرة أخرى . وكانت حقائق السلاح النووى أمامهم وأمام غيرهم تزكى صيحتهم وتعطيها مصداقية حقيقية وعملية .

وربما من هنا أن أول ما فعله المقاتلون ، ومعظمهم مازال بعد فى ميادين القتال لم يبرحها ، أنهم أسقطوا أبطال النصر وفى مقدمتهم « ونستون تشرشل » القائد الأسطورى لبريطانيا فى المعركة ضد النازية ، وبدلا منه جاء إلى رئاسة الوزارة فى مقرها الرسمى « ١٠ داوننج ستريت » - « كليمنت آتلى » رئيس حزب العمال الذى كان وعده للناخبين مجتمعا جديدا للرفاهية بدلا من عناء الحرب وعذابها . وكان « فرانكلين روزفلت » بطل النصر الأمريكى قد أعفى من السقوط لأن الموت أخذه قبل يوم الاحتفال ، ودخل إلى البيت

الأبيض فى واشنطن بدلا منه رجل عادى (« هارى ترومان ») لا يدعى البطولة ولا يمت إليها بسبب ، فقد كانت تجربته كلها فى تجارة الخردوات وفى السياسة الأمريكية المحلية بعيدا عن المسارح المهيبة للعمل الدولى وأضوائها الساطعة وصخبها الملون !

ولم يكن حلم مجتمعات الرفاهية - بعيدا عن أحلام البطولة المستحيلة - وهما أو سرابا لأن وعد التكنولوجيا الذى نقل حرارته إلى ثورة التطلعات جعل جماهير الناس فى كل مكان يتصورون أن تحقيق الأحلام على الأرض وفى هذه الحياة ممكن دون انتظار لما بعدها !

وحين جرى ما جرى على الساحة الدولية ، وعند القمة ، من صراع العقائد وظهور المواجهات وبروز الكتل العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ثم بزوغ عصر النظم الدولية الحاكمة على غير أرض وغير حدود - راح ذلك كله يطرح أسئلة كبيرة ومعقدة لا عهد للإنسان بها . ولم تكن المؤسسات التقليدية أعلم بحقائق ما يجرى من الرجل العادى ، ولم يبد من تصرفاتها أن « **المعصومين والعالمين والعارفين** » يملكون إجابات لا يملكها الرجل العادى حيث كان من أقطار الدنيا !

كانت مؤسسة الدين - مثلا - قادرة على التبشير والوعظ ، ولكن جماهير الناس كانت تريد السلع والخدمات . تريد شيئا تراه بصرف النظر عما ينتظرها وراء الغيب . تطلب الفردوس الآن ولا تقبله مرجأ إلى حين أو مشروطا بسلوك معين فى الدنيا خطر لها أنه ملزم للفقراء وحدهم وغير ملزم للأغنياء .

وكان صراع العقائد يلقى بثقله كله فى كفة الدنيا وليس فى كفة الآخرة ، وحاولت الكنيسة فى وقت من الأوقات أن تساير إلى درجة التسليم بالكثير من مقدساتها حتى أن أحد الأساقفة فى انجلترا[٤] أصدر كتابا يقول فيه إن المسيحية كفكرة تستطيع بمبادئها الأخلاقية أن تستغنى عن الأساطير بما فيها أسطورة الميلاد المعجزة للمسيح ، بل إن ذلك كان عنوان كتابه : « **كنيسة بلا مسيح** » !

وكانت مؤسسة الدولة هى الأخرى فى أزمة ، ذلك أن صراع العقائد راح يهز كيانها . ففى بريطانيا - مثلا - جاء حزب العمال إلى السلطة بنداء الاشتراكية سنة ١٩٤٥ - لكنه فى سنة ١٩٥٠ فقد السلطة لصالح حزب المحافظين - بزعامة « تشرشل » مرة أخرى - الذى جاء على أساس رأسمالية المحافظين هذه المرة ، وليس على أساس حلم أو وهم البطولة !

---

(٤) أسقف مقاطعة « ليستر » .

كانت نقابات العمال المتحالفة فى اتحادها "T.U.C" هى قاعدة حزب العمال ، وفى نفس الوقت كان اتحاد الصناعات البريطانية "C.B.I" هو قاعدة حزب المحافظين . وفى صراع العقائد بين الأحزاب ، بين الاشتراكية والرأسمالية ، أصبحت البيروقراطية (الإدارة المكتبية الحكومية بالدرجة الأولى) هى عنصر الاستمرار المتواجد دائما ، وانتقلت السلطة الحقيقية إليها بصرف النظر عن نتائج الانتخابات . وما حدث فى بريطانيا حدث فى غيرها ، فقد أصبح جهاز الدولة ، خصوصا بالقضايا المعقدة التى دخلت فى اختصاصه وأولها قضايا التكنولوجيا - أكبر وأعقد من أن يبت فيها أو حتى يناقشها نائب منتخب من جماهير الشعب . وبمقتضى هذا الانتقال فإن أجهزة الدولة أخذت لنفسها سلطات تجعل من أحكام الدساتير نصوصا معطلة على أوراق فى ملفات والملفات محبوسة فى أدراج معتمة . وكانت الظلال تلف كل القضايا والخطط لأن البيروقراطية لم تعتبر نفسها مسؤولة أمام أحد ، وإنما علقت مسؤوليتها بتقديراتها هى ، فمقاعد الحكم لعبة كراسى موسيقية ، وأما مواقع الإدارة فهى فى مكانها بعد هؤلاء وهؤلاء . ثم توهمت عناصر البيروقراطية - تبعا لذلك - أن معلوماتها ملك لها وليست حقا لغيرها يعرف ما لا تجوز معرفته لعامة الناس خصوصا فى ظل صراع دولى تحتدم معاركه . وهكذا أصبح أكبر قدر من الحقائق - ومن السياسات - موكول إلى أقل عدد من الناس لدرجة أن السياسات الاقتصادية لأغنى الدول فى العالم تركزت فى يد سبعة من محافظى البنوك المركزية فى أمريكا وأوروبا واليابان يجتمعون سرا مرة كل شهر فى مدينة سويسرية معزولة (« بال ») ويقررون كل شىء فى اقتصاديات بلادهم وأولها علاقات المال ، والعالم كله يتأثر دون أن يعرف لأن الأقوياء هم الذين يضعون القانون والضعفاء يطيعون بغير مساءلة ، وتلك من سنن الحياة !

ولم تكن مؤسسة الدولة بدورها محصنة ضد صراع العقائد ، وإنما اخترقها إلى الأعماق ذلك الصراع . ففى بريطانيا - مثلا - تواطأت مجموعة من خريجى جامعة « كامبردج » وممن وصلوا إلى أعلى المناصب فى حكومات بلدهم (« فيلبى » و « بيرجيس » و « ماكلين » و « بلنت » من المخابرات والخارجية والقصر الملكى على التوالى) وتعاونوا مع السوفيت لأن ميولهم الشيوعية استحوذت على ولائهم حتى ضد وطنهم الأصلى بادعاء الانحياز إلى مجتمع الطبقة العاملة هناك وضد مجتمع الطبقة الرأسمالية عندهم . وفى المقابل فإن طائفة من كبار المنفذين فى الدولة البريطانية وصل بهم الشك فى وطنية رؤساء الوزارات والوزراء من حزب العمال إلى درجة أنهم حجبوا عنهم أهم أسرار الدولة حتى

لا تتسرب عن طريقهم إلى الروس - ! - ، بل إن بعضهم راودته فكرة الانقلاب العسكرى لخلع حزب العمال من السلطة التى أعطتها له أصوات الناخبين بالعملية الديمقراطية ، وكان ذلك بدعوى الحرص على الأمن القومى وضروراته بصرف النظر عن الدساتير .

ولم يعد القانون سيدا ، ففى زحام التطورات تعالت الأصوات تتساءل عن حقيقة القوانين ؟ ومن يضعها ؟ وهل هى محايدة فى صراع المجتمعات ؟

كان « ماركس » قد تحدى قداسة الدولة حارسة كل الفضائل كما صورها « هيجل » . وكانت مقولة « ماركس » إن « **الدولة ليست محايدة وإنما هى أداة فى يد الطبقة الأقوى** » . ثم جاء مفكر ضخم من وزن « هارولد لاسكى » نجم مدرسة لندن للاقتصاد وأحد مصادر الإلهام فى الحركة الاشتراكية البريطانية بعد الحرب ليضيف إلى مقولة « ماركس » عن الدولة - مقولة جديدة عن القانون مؤداها أن « **القانون هو الآخر ليس محايدا وإنما هو تعبير طبقى ، فحزب الأغلبية - رأسماليين أو عمالا - هو الذى يتولى التشريع للقوانين برؤاه الاجتماعية وما على القضاء بعد ذلك غير تطبيقها ، وإذن فأين حياد القانون** »؟!

ولقد استحكمت أزمة القانون بالتطورات التى توالت بعد الحرب ، ومن بينها محاكمات مجرمى الحرب النازيين فى « نورمبرج » . **كان دفاع كبار المسؤولين الألمان فى قاعات المحاكمة أنهم ليسوا مسؤولين ، فهم لم يفعلوا غير إطاعة الأوامر الصادرة إليهم من رئاساتهم العليا بحكم القانون ، وكان منطق القضاة الذين حكموا على كثيرين منهم بالإعدام هو أنهم كانوا مطالبين بعصيان القانون وتحكيم ضمائرهم بصرف النظر عن القوانين . وكان ذلك مبدأ له عواقبه . فالقانون قاعدة عامة ، والضمير اختيار فردى ، فإذا كان على كل مسؤول أن يحتكم إلى ضميره بصرف النظر عن حكم القانون إذن فهى شريعة جديدة تقلب الثابت والمستقر يقينا من عصور سابقة .**

ولم تكن مؤسسة القانون وحدها هى التى تأثرت بظروف الحرب وما بعدها بمنطق نبذ القواعد العامة لصالح التقدير الشخصى لكل إنسان ، وإنما امتد التأثير إلى مؤسسات تاريخية عريقة مثل « الفاتيكان » (مقر الكنيسة الكاثوليكية فى روما) - فقد شن اليهود حملة لا مثيل لها على البابا « بيوس » السادس - الذى كان يجلس على العرش البابوى للفاتيكان - بدعوى أنه كان شاهدا على اضطهاد « هتلر » و « موسولينى » لليهود فى أوروبا طوال سنى الحرب ولم يحرك ساكنا لمقاومة هذا الاضطهاد . وحين دافع « بيوس » عن نفسه بأنه **لم يكن للكنيسة تقليديا الحق فى أن تتدخل فى السياسة ، فقد كان الصراخ فى وجهه بأن**

الإنسانية كان يجب أن تكون أقوى من التقاليد . ومرة أخرى فإن الاعتبار الإنسانى اجتهاد واسع ، والتقاليد سوابق محددة لها احترام القانون .

كانت تلك كلها ـ بشكل أو آخر ـ غارات منظمة أو غير منظمة على الماضى . وكان لها جميعا سند حقيقى من عواصف المستجدات على العالم . لكن المشكلة الحقيقية فى العواصف حين تهب لأسباب طبيعية أنها لا تعرف الحد الذى تتوقف عنده وليس ذلك من طبائعها ، والنتيجة أن الهجوم على الماضى أصبح فى جزء منه هجوما على التاريخ . والهجوم على التاريخ أصبح فى جزء منه هجوما على الثقافة . والهجوم على الثقافة أصبح فى جزء منه هجوما على الهوية .

وهكذا فإن ما هز الرواسى القديمة للدين والدولة والقانون والتقاليد راح يمد أثره إلى الوطنية أيضا . وفى وقت من الأوقات كان الشعار القائل « وطنى مخطىء أو مصيب » هو القاعدة الذهبية التى تحكم الولاءات . ولم تصمد هذه القاعدة الذهبية طويلا أمام عواصف المستجدات التى جاءت بها العقائد والتكنولوجيا والتطلعات . وكان التبرير السهل لتغير الولاءات مقولة أن الوطنية هى البيئة التى يجد كل فرد فيها أمنه ودوره ومستقبله ، وفى وقت من الأوقات كان الوطن وحده هو الذى يوفر هذه البيئة ، وفى الأزمنة المتغيرة اختلفت الأحوال ، فأصبح وطن أى فرد هو حيث يجد الظروف ملائمة لأمنه ودوره ومستقبله دون أن يرتبط ذلك ببقعة بعينها من الأرض .

كانت تلك هى المقولة التى أدت إلى أكبر هجرة للعقول عرفتها الإنسانية ، وقد بدأ نزيفها من أوروبا وفى اتجاه أمريكا . ثم زادت حدة النزيف وتنوعت مصادره وإن ظل التوجه معظم الأحيان فى ذات الاتجاه .. عبر المحيط إلى أمريكا أيضا !

وكانت مؤسسة الأسرة هى المعقل الوحيد الباقى للمقاومة ، لكن الضغوط النازلة على كل المؤسسات والقيم التقليدية من تأثير عواصف المستجدات لم تلبث أن مدت أثرها إلى الأسرة بدورها ، وكان الادعاء ـ وهو حق فى جوانب كثيرة منه ـ أنها « **دنيا متغيرة بظروفها وضروراتها وطموحاتها » ، وهكذا فإن أجيالا جديدة خرجت بحياتها من إطار الأسرة ، وحتى إذا لم تخرج بالفعل فإنها خرجت بالفكر . متواجدة فى الإطار أو بقربه لكن شؤونها وشجونها أشرعة مفرودة لاستقبال الرياح تدفعها إلى بحار واسعة وشواطىء غريبة !**

وهكذا اهتزت وتداعت كل ركائز الثبات واليقين ، وازدحمت الأجواء بسحابات

من الشك والقلق . كانت البشرية تحاول بوسائل غير واضحة أن تبحث فى أرض غير مطروقة عن معالم غير محددة !

كل هذا واختراقات المجهول لا تتوقف : من الاستعداد لنزول أول إنسان على سطح القمر بعد أن أعلن الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » أن ذلك هدفه قبل انتهاء حقبة الستينات . إلى حل رموز الخلايا (الجينات) وهى سر الحياة. إلى جراحات زرع الأعضاء . إلى حبوب منع الحمل التى كانت على وشك أن تنزل إلى الأسواق . وكانت العقول الالكترونية تتحول بسرعة إلى جهاز متاح لكل بيت كالراديو والثلاجة إلى آخره !

□

إن العلماء والمفكرين والمثقفين هم عادة مراجع الهداية الطبيعية فى ظروف التغيير . ولقد قاموا بذلك منذ أقدم العصور حين كان دورهم الحقيقى لا يزال خميرة كامنة فى وظائف السحر والكهانة والفلسفة أحيانا . لكن سحرة وكهنة وفلاسفة العصر الحديث لم يكونوا حازمين مثل أسلافهم السابقين . كانت مستجدات العصر أمامهم رموزا وطلاسم وأسرارا غير قابلة للحل ، وتفرقت بهم السبل وتبعثرت من خلفهم وتشتتت جموع الناس !

- **عالم نووى شهير مثل العالم البريطانى « فوخس »** قرر إعطاء ما لديه من أسرار القنبلة الذرية للسوفيت لأن احتكار أمريكا لهذا السلاح بدا له خطرا على السلام الذى لا يتحقق فى ظنه إلاّ بالتوازن النووى بين العملاقين .
- **ومفكر عظيم مثل « برتراند راسل »** خرج بنفسه يقود المظاهرات والاعتصامات ضد مخاطر الحرب النووية تحت شعار « **أن نكون حمرا** (أى شيوعيين) **خير من أن نكون موتى** » «better red than dead».
- **وفيلسوف ضخم من حجم « جان بول سارتر »** فى فرنسا اندفع إلى دعوة أن الإنسان سيد مقاديره بصرف النظر عن المواريث والتقاليد والقوانين - وأى رباط آخر مما صنعه التطور الإنسانى سابقا !

كانت مراجع الهداية كما هو واضح مما سبق تميل قليلا ناحية الشرق وساعدها على ذلك جنون المرحلة المكارثية[٥] فى أمريكا من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٥٤ ، وكانت

---

(٥) السناتور « مكارثى » أحد أعضاء مجلس الشيوخ وقد رأس لجنة خاصة سميت « لجنة النشاط المعادى لأمريكا » وكانت دعوته هى مقاومة تسلل الشيوعيين إلى المواقع الحساسة فى الولايات المتحدة ، وقد تمادى فى حملته إلى حد أفزع كل أنصار الحرية ليس فى أمريكا وحدها وإنما فى العالم كله . وقد اعتبر « مكارثى » - والمكارثية نسبة إليه بعد ذلك - رمزا للرجعية والتخلف بدعوى مقاومة الشيوعية .

مرحلة معادية للعلم والفكر والثقافة ـ لكن الرأسمالية استعادت مرونتها بسرعة واستطاعت القوى المالية الكبرى أن تأخذ لحسابها مولدات الفكر القادرة على النقد والتقييم والمراجعة ، فإذا مؤسسة « روكفللر » مثلاً تجذب إلى فلكها أكبر المجتهدين وفقهاء السياسة والتاريخ والاقتصاد فى المجتمع الأمريكى مثل : « ماك جورج باندى » ، و « آرثر شليزنجر » ، و « كينيث جالبرايث » وغيرهم كثيرون .

وفى نفس الوقت فإنه على المعسكر الآخر وقعت لمولدات الفكر ظاهرة مختلفة ، فكاتب عظيم مثل « باسترناك » ، وعالم كبير مثل « سخاروف » ، ومؤلف موسيقى ممتاز مثل « بيروفكيف » ـ راحوا يمدون أبصارهم عبر خطوط التقسيم العسكرى والعقائدى وهاجسهم : **أن مناخ الحرية هناك أصح وأصلح !**

☐

وعند منتصف الستينات وحولها كان عالم الفكر (الكتاب) قد تنازل عن دوره بحكم التكنولوجيا ـ لعالم الإعلام (الإذاعة والتليفزيون والصحافة الشعبية) .

كان التليفزيون بالظلال والألوان قد حول الدنيا كلها إلى شريط من الصور الحية تتحرك من خلاله كوكبة نجوم على مسرح العالم الواسع .

وكان ذلك عصر الزعامات الجذابة القادرة على إيقاظ خيال الجماهير وإثارته . وحين تلاقت جاذبية النجوم مع حيوية الصور كانت النتيجة سنوات من البريق بدا وهاجا وفوارا بالأمل .

كان « كنيدى » فى الولايات المتحدة يدعو إلى « حدود جديدة » للإنسانية . وكان « خروشوف » فى الاتحاد السوفيتى يحاول أن يعطى للشيوعية وجها إنسانيا بعد عتمة عصر « ستالين » . وكان البابا « يوحنا الثالث والعشرون » فى روما يحاول أن يجعل من الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة متجاوبة مع قيم إنسانية أكثر تحررا . وكان « ديجول » فى باريس يحلم بأن يستعيد لفرنسا عظمتها . وكان « نهرو » فى الهند يبشر بعالم يسود فيه السلام والعلم . وكان « جمال عبد الناصر » فى مصر يتصدر حركة تحرر تندفع كموجة عاتية من الخليج الثائر إلى المحيط الهادر . وكان « تيتو » فى يوجوسلافيا يمارس تجربة فى الشيوعية تؤكد استقلالها عن موسكو . وكان « كاسترو » فى « كوبا » يتحدى الاحتكارات الدولية فى معقل امتيازات هذه الاحتكارات فى أمريكا اللاتينية . وكان

« همرشولد » فى نيويورك يحاول أن يجعل من الأمم المتحدة سيادة للقانون الدولى فى ظروف معقدة .

كان هؤلاء جميعا رموزا تلاقى فيها سر الجانبية وسحر الصور .

وكانت هناك رموز أخرى للعصر فى مجالات مختلفة ومعان شديدة التفاوت ، فقد أصبحت « مارلين مونرو » مثلا رمزا للإغراء . و « أوناسيس » رمزا للغنى . و « بيكاسو » رمزا للفن . حتى التمرد أصبح له رمز بملامح وتقاطيع « جيفارا »(٦) .

كان ذلك عصر النجوم : الجانبية والصور وذلك التعلل بأمل - لكن شريط الصور مضى بحركته فى اتجاه المأساة ، وكانت الذروة فى الولايات المتحدة ذلك أن « كنيدى » الذى أعلن بالفرح يوم بدء رئاسته يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ أنه أول رئيس أمريكى من مواليد القرن العشرين - ما لبث أن أنتهى بفاجعة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣ حين جرى اغتياله فى « دالاس » .

كان الفرح بالصور ، وكان الاغتيال بالصور ، وكانت الجنازة بالصور .

كانت الصور قد أعطت نفسها قوة ذاتية لها قدرة مستقلة على الفعل ، وبصرف النظر عن جانبية النجوم .

وعندما جاء « جونسون » بخشونة جنوبى من تكساس ، كانت الصور ما زالت تؤدى دورها وكان تأثيرها كاسحا خصوصا وأن الرئيس الجديد - سنة ١٩٦٤ - قام بتكثيف التدخل الأمريكى فى جنوب شرق آسيا ، ثم اتضح أنه دخل فى حرب بدون موافقة من الكونجرس . وأنه موّل الحرب بدون اعتمادات مخصصة بالقانون . أى أنه بعث بنصف مليون شاب للقتال فى فيتنام بدون شرعية ، كما أنه صرف أكثر من مائة بليون دولار على الحرب معتمدا على الاستدانة من الداخل والخارج . كانت الصور تصنع الصور ، فمشاهد ميدان القتال فى فيتنام كانت تؤدى إلى مشاهد مظاهرات الاحتجاج فى واشنطن ، وكانت مظاهرات الاحتجاج فى واشنطن ترتد بآثارها على ميدان القتال فى فيتنام ... وهكذا .

ولم تكن مظاهرات الشباب وحدها هى التى راحت تزحف على البنتاجون وتحاصره ،

---

(٦) ارنستو جيفارا ، كان أقرب الناس إلى « كاسترو » فى معركة الثورة الكوبية ضد الجنرال « باتستا » ، وفيما بعد نذر نفسه لهدف الثورة فى المطلق فجرب فى أفريقيا ثم عاد إلى أمريكا اللاتينية وانتهى نهاية مأساوية فى بوليفيا .

وإنما خرج معها كتّاب كبار مثل « نورمان مايلر » الذى استلهم من هذا الزحف كتابه الشهير « جيوش الليل » !

ولقد راحت الصحافة تجرى وراء التليفزيون ، وبما أنها لم تكن تستطيع أن تجاريه فى حيوية الصور الملونة فإنها اتجهت إلى ما يسمى « التغطية بالعمق » أو الاستقصاء الدقيق للتفاصيل . وتكشفت خبايا وسقطت آلهة وحدثت ردود أفعال ، واشتعلت ثورة الشباب الأمريكى .

ولم يكن سقوط الآلهة أمام صحافة العمق والاستقصاء مقصورا على أمريكا وحدها ، وإنما امتد التأثير إلى أوروبا أيضا فإذا فضيحة « بروفيومو » تهز وزارة « هارولد ماكميلان » وتؤدى إلى إسقاطها . كان « بروفيومو » وزيرا للبحرية وكشفت الصحافة البريطانية أنه كان على علاقة ببائعة هوى اسمها « كريستين كيللر » وكانت « كريستين كيللر » فى نفس الوقت على علاقة بالكولونيل « ايفانوف » مساعد الملحق العسكرى السوفيتى فى لندن .

ولقد أدى سقوط وزارة « ماكميلان » إلى سقوط حزب المحافظين فى الانتخابات وفوز « هارولد ويلسون » زعيم حزب العمال برئاسة الوزارة ، وكان ذلك هو الوقت الذى بحث فيه « بيتر رايت » وزملاء له من المخابرات البريطانية إمكانية القيام بانقلاب ضد حكومة « ويلسون » واعتقال وزرائه جميعا واحتجازهم على الباخرة « كوين مارى » . وقيل إن سر المؤامرة لم يكن مكتوما عن اللورد « مونتباتن » عم الأمير « فيليب » دوق أدنبره وزوج ملكة بريطانيا ، وقيل إنه عرف وسكت ـ على الأقل ـ فقد كان بدوره قلقا على بقايا الامبراطورية من تسلل طلائع الشيوعية متخفية فى أذيال « هارولد ويلسون » !!

كانت الشكوك غلابة والخلط شديد والتخبط قانون اليوم وقاعدته ـ لكن ما هو أسوأ من ذلك أن وسائل الإعلام الحديثة ـ وأولها التليفزيون ـ فكت تماسك المجتمعات وأرخت روابطها المشتركة . **ذلك أن من خواص التليفزيون أن كل فرد يجلس أمامه وحيدا ومستغرقا بالكامل فيه . هو وحده أمام عالم الصور . فإذا أثبتت الاحصائيات أن كل فرد كان يقضى أمام التليفزيون ما متوسطه ثلاث ساعات فى اليوم ـ إذن فإن كل فراغه كان عزلة عن مجتمعه وانسياقا تائها فى عالم الصور .**

زاد على ذلك أن تلك كانت فترة ثورة الأجهزة الاليكترونية التى يضع الفرد سماعتها على أذنه ليصغى لصوت الموسيقى ويرسخ عزلته عما حوله حتى وإن كان سائرا فى شارع شديد الزحام .

ولم يكن صوت الموسيقى الجديدة هو ما تبقى من روائع العصر الكلاسيكى أو عصر الباروك وما كتبه أمثال « باخ » و « بيتهوفن » و « موزار » و « هايدن » و «.شوبير » و « شوبان » و « شومان » و « براهمز » ، وإنما كان صوت الموسيقى الجديدة هو ذاته صرخات عصر الشك والخلط والتخبط يطلقها « الفيس بريسلى » فى أمريكا وموسيقى الـ « روك » التى استوحت إيقاعها من صرخات الغرائز الأولى للإنسان وأنفاسها المتقطعة وعرقها المتصبب !

وليس هناك ما هو أدق فى التعبير عن دخائل أى عصر أو أى مجتمع - أكثر من صوت موسيقاه . فهى الصدى المباشر لحالته النفسية والفكرية ومزاجه العام ، وهى اعترافه بنفسه لنفسه وسره يفشيه بلا تحرز أو احتياط !

عند منتصف الستينات وحولها كانت المستجدات فى العالم قد أصابت أهله بحالة من الفوضى الشاملة ومن نوع لم يسبق له مثيل - ذلك أن الرواسى التقليدية التى اهتزت لم تسلم دورها لرواس جديدة تحتفظ للمجتمعات بتوازنها بما يضمن لها سلامتها ويساعدها على تحقيق سلامها مع غيرها من المجتمعات . والذى حدث أن سرعة التغيير أصابت القديم بكل أعراض الأزمة قبل أن يتمكن الجديد من امتلاك بعض مقومات النضوج . ولم تكن تلك حالة يمكن قبولها طويلا بسبب نوع التحديات التى تواجهها البشرية لأول مرة فى حياتها ، وكانت الإشكالية الكبرى فى هذه التحديات أن قمة العالم فى العلاقات بين القوتين الأعظم منضبطة بحكم استحالة الحرب بالأسلحة النووية - لكن هذا الانضباط على القمة كان يقابله انفلات تحتها حيث استحكمت وسادت الفوضى . ولم يكن ذلك وضعا قابلا للاستمرار ، فلا يمكن تجنب الصدام على القمة إذا كانت العناصر والعوامل والتوجهات تحت السطح كتلا متصادمة .

ولقد أضيفت إلى هذه الإشكالية الكبرى واحدة ثانية لا تقل عن الأولى أثرا وخطرا وهى الإدراك المتزايد لحقيقة أن كوكب الأرض وسكانه مصير واحد لا فكاك منه . وفى مراحل سابقة من التاريخ تصرف سكان الأرض وكأن كوكبهم كتلة صماء محايدة لا علاقة

لها بما يفعلون على سطحه . زرعوا وحرثوا ، وحفروا واستخرجوا ، وتقاتلوا بالأيدى والمدافع ولم يحدث شيء اللهم إلاّ خدوش بسيطة على قشرة الأرض . كان الظن دائما أن صراع الحياة بين إنسان وإنسان فى حين أن الطبيعة محايدة ! ثم جاءت حركة المستجدات وأولها الأسلحة النووية الكامنة والمتربصة من أعماق البحار إلى أعالى الفضاء . فإذا الكل يكتشف أن الإنسان ليس قادرا فقط على تدمير نفسه وإنما هو قادر أيضا على تدمير كوكبه .

ولقد كان العالم الأشهر « ألبرت آينشتين » هو أول من أطلق صيحة أنه « **عالم واحد أو لا عالم على الإطلاق** » ، وكان ذلك قبل أن ترد على لسان الزعيم السوفيتى « ميخائيل جورباتشوف » بأكثر من ثلاثين سنة . وحين سكت صوت « آينشتين » بالموت سنة ١٩٥٥ . كانت هناك ألسنة كثيرة تردد صيحته وتضيف إلى أسبابه أسبابا أخرى بينها أن حدود الأوطان لم تعد حاميا من الكوارث التى تصيب البيئة من التلوث ، والإشعاعات ، والأوبئة التى أصبحت حركتها بسرعة طيران النفاثات(٧) . وكانت الصيحة بكل تنويعاتها معقولة . وكانت الطبيعة نفسها شاهدا على معقوليتها . فالظواهر الطبيعية من الرياح إلى الأمطار إلى العواصف إلى الزلازل لا تقيد نفسها بالخطوط السياسية للحدود ، وإنما هى خاضعة لقوانين أخرى عابرة للحدود وللقارات .

□

ولقد كانت عقدة هذه الإشكاليات الكبرى وغيرها . هى البحث عمن يتصدى لهذه المهام ويقنع العالم بضرورات التحكم العقلانى فى المستجدات الطارئة عليه ، ثم بالتنظيم القادر على هذا التحكم ، ثم بالقبول بعدالة هذا التنظيم باعتباره صالح الجميع فى « **عالم واحد أو لا عالم على الإطلاق** » !

من الذى يقدم الحل لمعضلة التناقض بين الانضباط الصارم على القمة الدولية ، والانفلات الصارخ تحتها ؟

ومن الذى يقنع بالاستجابة لحقيقة أنه « **عالم واحد أو لا عالم على الإطلاق** » ؟

---

(٧) فيما تلا تلك الفترة التى بدأ فيها الوعى العالمى العام بهذه المخاطر جاءت الدلائل مؤكدة . فالبحر الأبيض المتوسط بدأ يواجه الموت من نفايات عمليات التصنيع العشوائى فى جنوب أوروبا . وكارثة حريق المفاعل النووى الروسى فى « تشرنوبل » داهمت بإشعاعاتها بلدانا كثيرة بدون انتظار . ومرض الأيدز بدأ ينساب عبر الحدود دون أن يلحظ أحد !

وكان المأزق الحقيقى أنه لا توجد شرعية دولية أو عالمية أو إنسانية قادرة ، وعلى فرض أن طرفا حاول فأى ضمان هناك لقبول محاولته فى هذا المناخ من الفوضى العارمة المعبأة بالشكوك والريب ؟!

كانت شرعية القوتين الأعظم مجروحة . ولم يكن لأى منهما الحق فى قيادة أخلاقية أو معنوية لعالم يستبد به القلق :

● **شرعية الولايات المتحدة الأمريكية** (وهى التى تصدرت لقيادة الغرب) **مجروحة من أثر فيتنام . إلى جانب ما ظهر من أن القوة الأمريكية العظمى أعطت شكل الحرية وحجبت جوهر المساواة .**

● **وشرعية الاتحاد السوفيتى** (وهو دولة الشيوعية الأولى) **مجروحة ليس فقط بسبب تجربة الستالينية ، ولكن أيضا بسبب عمليات التدخل العسكرى بالقمع ضد قوى شيوعية أخرى فى ألمانيا الشرقية والمجر وبولندة (وتشيكوسلوفاكيا فيما بعد) . ولقد استبان على أى حال أنها بدورها وقعت فى الخطيئة التى وقعت فيها الرأسمالية الأمريكية ولكن بطريقة عكسية ، فقد أعطت شكل المساواة وحجبت جوهر الحرية !**

● **وكانت شرعية أوروبا** (والصدارة فيها وقتها لبريطانيا وفرنسا) **مجروحة من أثر السويس ، وفاقدة التوازن من أثر ضياع الامبراطورية .**

● **وكانت شرعية الأمم المتحدة** (وهى النظام الذى تعلقت به لبعض الوقت آمال الشعوب) **قد تواضعت بشدة وتحولت إلى كلمات ضاعت منها قوة الفعل**

● **وفى نفس الوقت كانت شرعية الدول الصغيرة أشد تواضعا . فالشرعية ليست مجرد نداء أخلاقى ومعنوى وإنما هى أيضا مقدرة وقرار ، وهذا هو الفارق بين الواعظ ورجل الدولة !**

وفى المحصلة فإن كل الشرعيات بدت عاجزة . القوية منها مجروحة والتقليدية منها تترنح تحت ضغط المستجدات .

كانت هناك حاجة إلى شرعية أخرى جديدة ، ولم يكن غريبا ولا مستغربا أن تكون تلك هى الفترة التى ظهرت فيها الدعوة إلى العمل المباشر باعتباره الحل الوحيد . ومن المفارقات أنه فى الغرب راح الفيلسوف الفرنسى « جان بول سارتر » **ينادى بأنه لم يعد أمام كل فرد حر إلاّ أن ينزل بنفسه إلى الشارع ويغير ما لا بد من تغييره . وفى نفس**

اللحظة فإن المفكر الاسلامى « أبو الأعلى المودودى » (الذى أصبح فكره دستورا لحركات الأصوليين المسلمين كجماعات الجهاد وغيرها) **كان ينادى بأن الزمن أصبح يدعو كل مسلم إلى تغيير المنكر بيده !**

وهكذا ظهرت على الأفق المضطرب دعوة إلى شرعية جديدة : **« شرعية العمل المباشر »** .

□

وعند منتصف الستينات وحولها كانت شرعية العمل المباشر قد طرحت نفسها بشدة . وحتى بدون حاجة إلى دعوات فلاسفة الغرب الملحدين أو مفكرى الشرق الأصوليين ، فقد بدا العمل المباشر وقتها مخرجا وحيدا ممكنا ومتاحا . لكن مثل هذا الطرح كان ينطوى على مزالق كثيرة . فالعمل المباشر يعنى ببساطة أنه من حق كل طرف أن يعتبر رؤاه مصدرا لشرعية تصرفه ، وبالتالى فإن من حقه أن يأخذ القانون فى يده ويتصدى لما يعترض طريقه . **وتقابل « سارتر » (العلمانى الملحد) و « المودودى » (المسلم الأصولى) على نقطة واحدة دون قصد أو اتفاق !**

وبمنطق الأمور وتداعيها بدأ التصدى للأمر الواقع بخروج قوى كثيرة اعتبرت أن صوتها لم يسمع من قبل كى تطالب الآخرين بالإصغاء لها ، وكانت الولايات المتحدة بالطبع هى المسرح الأكبر الذى بدأت عليه محاولات الخروج . وفى جزء منه كان ذلك الخروج بحثا عن هوية ضائعة .(٨)

وبدأ خروج السود فى الولايات المتحدة تحت قيادة « مارتن لوثر كنج » ، وفى البداية لم يكن فى يده غير الانجيل ، ولم يكن لديه ما يقوله غير عبارته الشهيرة « لقد رأيت حلما فدعونا نسعى إلى تحقيقه » .

وبعد خروج السود بدأ خروج المرأة . كان السود يطالبون بإنهاء عصر التمييز بين الناس بسبب اللون ، وجاءت حركات المرأة تطالب بإنهاء التمييز بين الناس بسبب الجنس .

---

(٨) فى نفس هذا الوقت التقت عمليات البحث عن الهوية ـ ثقافية أو عرقية أو دينية ـ وبرزت فى العالم أكثر من ثمانمائة حركة أقليات تبحث عن نفسها وتجد فى البحث إلى درجة الحرب الأهلية وتفتيت الأوطان ، وقد ورد هذا الرقم فى بيان صادر عن مؤتمر لبحث النزاعات الدولية تحت مستوى القمة عقد فى مدريد سنة ١٩٨٧ .

وبعد خروج السود وخروج المرأة ـ خرج دعاة نبذ الحرب ونزع السلاح النووى وشعارهم الذى صكه فيلسوف الرياضيات و « البحث عن السعادة » ـ « برتراند راسل » ـ يقول « دعونا نمارس الحب بدلا من ممارسة الحرب » .

وتوالت عمليات الخروج حتى أن بعضها خرج عن حد المعقول والمقبول حينما خرجت مسيرات الشواذ جنسيا يطالبون بحقهم فى ممارسة الحب بالطريقة التى يفضلونها !

□

ولم يؤد الخروج فى البداية إلى نتائج لأن قوى الأمر الواقع كان فى استطاعتها أن ترى وتسكت فى مرحلة ، وأن تسمع ولا تجيب فى مرحلة تالية ، وفى كل المراحل فإنها لم تكن تملك القابلية للتغيير السهل والطوعى ، فكل تغيير مفروض هو عملية انسلاخ ـ بالجراحة دائما ـ تجرى فى الحياة وليس فى غرفة عمليات مجهزة باللوازم من مشارط القطع إلى عقاقير التخدير !

وهكذا تصاعد الخروج إلى تظاهر ، وكان اتساع نطاق الحرب غير المشروعة وغير القانونية ـ فى فيتنام يصب زيتا على نار الاحتجاج التى اشتد لهيبها .

وفى منتصف الستينات وحولها كانت المظاهرات الحاشدة والغاضبة هى مشهد كل يوم فى كل مدينة أمريكية وأوروبية أيضا . وساعدت ظروف الحياة الجديدة على اتساع حجم المظاهرات ، ذلك أن التكدس فى تجمعات البشر المستعدين للتظاهر كان ضخما . فالريف يشحن إلى المدن كل يوم ملايين من الباحثين عن فرصة أو سانحة . ومشروعات الإسكان الجديدة تحشد أكبر عدد من الناس فى أقل قدر ممكن من مساحة الأرض . والجامعات محشورة بعشرات الألوف من الطلبة من كل الألوان والنزعات . ووسائل الإعلام تنقل إلى الملايين حيث كانوا كل صيحة وكل شعار !

ومع اشتداد حركة الاحتجاج لم يعد فى مقدور قوى الأمر الواقع أن تتظاهر بأنها ما زالت لم تر ولم تسمع ، وهكذا بدأ الاحتكاك من استعمال العصى لضرب المحتجين إلى استعمال الغازات المسيلة للدموع لتفريق كتلهم !

وبدأت حركة التصاعد فى المواجهة : من الخروج إلى التظاهر إلى الاحتجاج فى ناحية ـ وفى المقابل انتقل الرد من التجاهل إلى المنع إلى القمع !

وكان شبح العنف يطل برأسه وابتعد بعض الذين آثروا أن يتجنبوه . والغريب أن ظاهرة اعتزال المجتمع وقعت فى الغرب وفى الشرق ذات الوقت من الستينات ـ مع اختلاف المنطق والأسباب .

□ **فى الغرب كان الاعتزال** بمنطق وأسباب اليأس من المجتمع وإيثار العودة إلى حالة الطبيعة الأولى ، وهكذا ظهرت حركات « الهيبيز » وغيرها من حركات الهرب الجماعى إلى البدائية .

□ **وفى الشرق كان الاعتزال** بمنطق وأسباب اليأس من مجتمع ضل طريقه إلى الله فحق تكفيره ، والهجرة منه حتى ينهار من ذات نفسه ، وحينئذ تكون العودة إليه لفرض الصلاح والعدل ، وهكذا ظهرت حركات التكفير والهجرة وغيرها من حركات الاعتزال حتى تتهيأ فرص الهداية .

□

ولم يكن هناك مفر من العنف الذى أطلت أشباحه ، فالمجتمعات تشعر بالإحباط حين ترى الفساد وتعجز عن دفعه ، وحين يلوح لها الأمل وتضيع منها فرصة بلوغه ، ثم يلى ذلك أن تتصدى قوى الأمر الواقع بالقمع لمحاولات الاحتجاج ـ حينئذ يصبح العنف أقدارا يصعب تفاديها !

ومرة أخرى كانت الولايات المتحدة هى المسرح الكبير . وفى شهور قليلة سقط نجم الحدود الجديدة الرئيس « كنيدى » قتيلا برصاصات أطلقت عليه من الخلف . وسقط « مارتن لوثر كنج » نجم أحلام السود قتيلا برصاصات فى صدره . وسقط « روبرت كنيدى » رمز عودة الأحلام الشاردة أو استعادتها قتيلا برصاصات أفرغت فى رأسه .

وخرجت قوى الأمر الواقع فى الولايات المتحدة تدافع عن نفسها بشراسة ، وكانت تلك هى فترة الإرهاب الكبير الذى قادته مؤسسات الدولة فى الولايات المتحدة ، وبينها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى آلت إليها مهام « العمل المباشر » لتحقيق أهداف فى السياسة الخارجية الأمريكية ، وأعطيت لها كل الصلاحيات والإمكانيات اللازمة لهذه المهام فوق الدستور وفوق القانون . وبينها أيضا مكتب التحقيقات الفيدرالية بقيادة رئيسه الدموى « ادجار هوفر » الذى بلغ من سطوته أنه بقى فى منصبه أربعين سنة كاملة ، وقد كان عليه أن يتولى تطويع الداخل الأمريكى وتأديبه !

وحينما تلجأ الدولة إلى العنف - مختلفا عن القوة - فإنها تدفع ضريبته من شرعيتها ، وحين تمارس بنفسها الإرهاب فإنها تعرض شرعيتها للتآكل . وهذا ما حدث ليس فقط فى الولايات المتحدة وهى أكبر الديمقراطيات وإنما فى مجتمعات كثيرة غير المجتمع الأمريكى أضعف منه فى عوامل القوة وأقل منه اتصالا بمجموعات القيم الديمقراطية .

وأدى العنف والعنف المضاد ، والإرهاب والإرهاب المضاد ، إلى فترة من أعجب فترات التاريخ . فترة تناقصت فيها الشرعيات الطبيعية بسرعة مخيفة ، وتصاعد فيها وهم « العمل المباشر » من جانب الأفراد والجماعات إلى حدود خطيرة من الاغتيالات وخطف الطائرات الذى ظهر لأول مرة فى منتصف الستينات وحولها - إلى احتجاز الرهائن واستعمال السموم فى التخلص من الخصوم !!

ولم تكن الدول بعيدة عن وهم « العمل المباشر » وأنه « الشرعية الوحيدة » الباقية والممكنة فى أزمنة متغيرة لم تتوصل بعد إلى قوانينها وقواعدها !

وهكذا نزل العمل السياسى إلى حد الجريمة ، وتدنى العمل الدولى إلى مستوى المؤامرة !

الفصل الثانى

سقوط « خروشوف »

وسط هذا العالم المائج بالمستجدات والمتغيرات (ومحصلتها الادعاء بشرعية العمل المباشر) كانت مصر - الجمهورية العربية المتحدة - تحاول مثل غيرها فى مجتمع الدول أن تفهم الأحوال الجديدة وأن تكون يقظى لتقلباتها ومفاجآتها حتى لا تأخذها الحوادث على غرة دون أن تكون مستعدة ، وبغير أن تكون لديها البدائل الممكنة لمقابلة طوارىء الأحداث .

ولعلها - مثل آخرين غيرها - كانت تراقب ما يجرى دون أن تتمثل أمامها أبعاده الكاملة وأعماقه ، فلقد كان صعبا بينما المستجدات والمتغيرات تتلاحق أن يصل طرف دولى بالبعد والعمق إلى حساب دقيق لتفاعلاتها .

وعلى وجه اليقين فقد كان فى القاهرة إحساس حاد بأن المناخ العالمى حافل بإشارات لأشياء ما زالت بعد فى بداياتها ، وهى تنطوى على مخاطر شديدة وتقتضى حذرا صارما فى التعامل معها لتأثيراتها الفادحة ليس فقط على دور مصر فى عالمها ولكن على أمنها ذاته .

وبشكل ما فإن « جمال عبد الناصر » كان يشعر أن خطوطه طالت بأكثر مما

هو ضرورى . وبخلفيته العسكرية فقد كان يدرك أن الخطوط الطويلة دائما مكشوفة ومعرضة . ولم يكن سعيدا وهو يرى الجيش المصرى يقاتل فى اليمن فى ظروف معقدة وضد جيش من المرتزقة الأجانب ـ ولا كان سعيدا وهو يرى نفسه محشورا وسط المؤامرات الدولية فى الكونجو ـ ولا كان سعيدا وهو يرى طموحاته للأمة العربية مرهونة بجنازير الدبابات وهى تشارك فى انقلابات وانقلابات مضادة فى مواقع متعددة من العالم العربى ـ ولا كان سعيدا بحالة العلاقات بينه وبين القوتين الأعظم ـ ولا كان سعيدا بما يجرى فى دول الجوار العربى وفى مقدمتها ايران وتركيا ـ وأهم من ذلك كله لم يكن سعيدا بما يلحظه من توجهات السياسة الإسرائيلية وهى متربصة به عند أول منحنى من الطريق !

ومع الشعور بطول الخطوط وانكشافها وتعرضها ـ فقد كان « جمال عبد الناصر » يشعر ـ بشكل ما أيضا ـ أن كل ما يواجهه خارج الحدود يتشابك ويتقاطع مع الأوضاع فى مصر ذاتها ، فقد كان كل ما يجرى حولها يصب فى النهاية داخلها ابتداء من القتال فى اليمن إلى الإحساس بالتربص الإسرائيلى . ومن الطبيعى أن ما يواجهه أى بلد خارج حدوده يؤثر عليه داخل هذه الحدود ، ولكن المشكلة فى حالة مصر كانت أقرب وألصق ، وكان المثال الصارخ لذلك هو حرب اليمن التى حاول « جمال عبد الناصر » إيقافها بكل وسيلة أثناء اجتماع مؤتمر القمة الثانى فى الاسكندرية (سبتمبر ١٩٦٤) وقد حضره الأمير « فيصل آل سعود » نائبا للملك ، وكان قد بدأ بالفعل عملية تطويق أخيه الملك « سعود » تمهيدا لعزله . وقد أحس « جمال عبد الناصر » ، ومؤتمر القمة ما زال منعقدا فى الاسكندرية ، أن حل قضية الحرب فى اليمن ما زال بعيدا ، فقد وصله نص حوار جرى فى حديقة قصر المنتزه بين الأمير « فيصل » والرئيس التونسى « الحبيب بورقيبة » ، وفى هذا الحوار ورد على لسان الأمير « فيصل » قوله إنه « إذا لم ينسحب الجيش المصرى من اليمن فنحن على استعداد لأن نجعل منها مقبرة كبيرة له » !

ولم تكن هذه أول مرة يسمع فيها « جمال عبد الناصر » مثل هذا القول أو يقرأه منقولا عن الأمير « فيصل » ، ولكنها كانت أول مرة يتاح له فيها أن يتحقق من القول مباشرة ومن مصدر لا شبهة حول صدقه !

وكان « جمال عبد الناصر » أول راغب فى سحب الجيش المصرى من اليمن ، فلم يكن تدخله هناك أمنية سعى إليها وقصد لها ، ولكنه كان يرى

نفسه مضطرا بضرورات حماية الثورة اليمنية التى تعرضت للحرب عليها من لحظة إعلانها . ولقد كانت هواجسه ملحة فى هذه الضرورات ، فقد كان يعرف أن القضية أكبر من أزمة مع السعودية لأن تواجد الجيش المصرى فى اليمن ، أى فى شبه الجزيرة العربية ، يجعل سلاحه قريبا بأكثر مما هو لازم من منابع البترول فيها ، وهو أمر يشغل بال قوى دولية عتيدة وامبراطوريات جديدة ومصالح عابرة للقارات - لا يمكن أن تسكت جميعا على ما يمثله وجود الجيش المصرى قرب منابع البترول فى شبه الجزيرة العربية !

ولم تكن اليمن مع ذلك مصدر الخطر الوحيد ، بل ولا حتى أكبر المصادر الموجبة للقلق !

وفى نفس اليوم الذى انتهت فيه الزيارة الرسمية التى قام بها الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » لمصر ، قام « جمال عبد الناصر » بتوديع ضيفه (يوم ٢٥ مايو ١٩٦٤) ثم عاد إلى بيته وراح يجرى تقييما للزيارة التى قام بها للقاهرة - ولأول مرة - زعيم إحدى القوتين الأعظم . ولم يقف طويلا فى تقييمه أمام الاتفاقيات المحددة التى أمكن التوصل إليها بالنسبة لخطط التصنيع وبرامج التسليح واستكمال بناء السد العالى . استعرض الخطوط العريضة لهذه الاتفاقيات بسرعة ، ثم انتقل إلى ما بعدها قائلا :[١]

« إن أهم ما حققناه فى اعتقادى هو وضع العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ومصر على أسس جديدة بعد الخلافات التى كانت بيننا بسبب الشيوعيين ونتيجة لما جرى فى العراق وسوريا » .

ثم أضاف :

« من الواضح أن السنوات القادمة فترة خطرة بالنسبة لنا ولغيرنا من الدول المتحررة ، فالعالم يتغير بسرعة وأحوالنا فيه معقدة ، وبالتأكيد فإن صداقة بلد قوى متقدم مثل الاتحاد السوفيتى يمكن أن تكون عنصر طمأنينة لنا . كان ذلك فى بالى طول الوقت أثناء زيارة خروشوف قبل أى مطلب آخر . »

---

(١) لقاء مع « جمال عبد الناصر » فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين ٢٥ مايو ١٩٦٤ فى غرفة مكتبه فى بيته بمنشية البكرى .

كانت زيارة خروشوف لمصر فرصة سانحة للتعرف على حقيقة الموقف السوفيتى من مصر والعالم .

ثم مضى « جمال عبد الناصر » يستعرض ثلاث لقطات لفتت نظره أثناء لقاءاته مع « خروشوف » :

● لقطة من موقف تحدث فيه « خروشوف » عن استحالة الحرب العالمية وقال فيه للوفد المصرى فى المحادثات معه : « لا يجب أن يخطر ببالكم أن الحرب العالمية ممكنة مهما كانت الظروف . الحرب النووية كارثة لم أكن أعرف أنا نفسى حدودها الحقيقية إلاّ بعد أن وصلت إلى رئاسة اللجنة المركزية للحزب . إذا قامت الحرب فسوف تنتهى فى نفس اليوم بتدمير كل مراكز الحياة والتقدم فى الاتحاد السوفيتى وأمريكا . وضحايا هذا اليوم الواحد الوحيد من الحرب سوف يصل عددهم إلى ما لا يقل عن مائتى مليون ميت أو حى ينتظر الموت فى ظرف ساعات أو دقائق » .

● ولقطة من موقف ثان تحدث فيه « خروشوف » عن إمكانيات التكنولوجيا الحديثة وقال : « إن الزراعة فى الغد سوف تختلف عن الزراعة اليوم . سوف يصبح ممكنا فى وقت قريب جدا أن تزرعوا كل صحارى مصر بنصف كمية المياه التى تستعملونها الآن . سوف تجدون وراء السد العالى مياها تفيض كثيرا عن حاجتكم .

زراعة المستقبل سوف تجرى كلها على مسطحات رقيقة من الماء بارتفاع سنتيمترات قليلة فى أوعية هائلة من البلاستيك أو الألومنيوم . إننى رأيت تجارب مذهلة فى الاتحاد السوفيتى لزراعة المستقبل ، وهى تختلف كثيرا عما رأيته فى بلادكم وما رأيته فى بلادنا أيضا » .

● ولقطة من موقف ثالث كان « خروشوف » يتحدث فيه عن الصين وقال : « لا يخدعكم زعماء الصين بكلامهم عن الثورة المستمرة . هم أول من يدرك ضرورات الحذر وسط الأجواء الدولية المكفهرة رغم كل محاولاتنا لتخفيف حدة توترها . الدليل على أنهم يفهمون ويحاولون توريط الآخرين فقط هو الطريقة التى تعاملوا بها مع الأمريكيين عندما بدأوا فى ضربهم بالمدافع على جزر « كيموى » و « ماتسو » . كانوا يردون على المدافع الأمريكية بالإنذارات الشفوية . وقد بعثت لماوتسى تونج أقول له « إن حالك مثل حال زوج يضبط زوجته كل يوم فى الفراش مع رجل غريب وهو فى كل مرة يهددها بالطلاق لكنه لا يفعل » . أحيانا أسأل نفسى متى يكف ماو عن الكلام ويفعل إذا كان يريد . لن يفعل لأنه ببساطة لا يستطيع ! »

□

ومضى « جمال عبد الناصر » بعد استعراض هذه اللقطات من مواقف الزيارة يقول :

« إننا فى حاجة لدراسة أعمق عن تأثير استحالة الحرب لأنها سوف تفرض ضمنيا تحقيق تعايش سلمى بين القوتين الأعظم يمكن أن تكون له تأثيرات كبيرة على حركة التحرر الوطنى لأن استحالة الحرب مجرد مقدمة يدخل منها أطراف القمة الدولية إلى ما بعدها . وما بعدها تعاون بينهم تتوثق أواصره فى كل يوم ، ونحن كدول غير منحازة كنا نخشى قيام الحرب ونقول إن الأقوياء سوف يفرضون علينا حربهم . إذا تحاربوا فسوف تصل إلينا إشعاعات القنابل وأخطار تساقط الغبار النووى . ونحن الآن أمام حالة مستجدة ، فلا يجب أن نتركهم يفرضون علينا سلامهم . ربما جاء هذا السلام ـ على الأقل فى جزء منه ـ على حسابنا . سلام الأقوياء كذلك فى معظم الأحيان » .

ثم واصل « جمال عبد الناصر » كلامه قائلا :

« فى الفترة القادمة أمامنا عدة خطوط عريضة لابد أن نتحرك عليها :

□ الخط الأول : رسمناه بزيارة « خروشوف » . أعدنا علاقاتنا بالاتحاد

السوفيتى إلى وضعها الطبيعى وعلى أساس سليم يعرف فيه كل منا موقف الآخر بالضبط . لابد لنا من صديق قوى فى هذا العالم الخطر والمتغير .

□ الخط الثانى : إننا نحتاج إلى أكثر من صديق ، ولو كان فى مقدورنا أن نحصل على صداقة الولايات المتحدة لكان ذلك واجبا علينا ، لكنى أعلم أنه مطلب مستحيل . على الأقل نحن مطالبون بـ « تثبيت » موقف الولايات المتحدة معنا حتى لا يسوء بأكثر مما هو ضرورى . بيننا إسرائيل بطبيعة الحال . وبيننا مشكلة تناقضنا مع أصحابهم العرب ، وهم فى نفس الوقت أصحاب البترول . وبيننا ضغوطهم علينا بسبب سعينا للحصول على الطاقة النووية ومحاولاتنا لتطوير صناعة الصواريخ والطائرات ، وهم ليسوا مقتنعين بأن مثل هذه المجالات ضرورية لنا فى عصر التكنولوجيا على الأقل من زاوية المعرفة ، وإعداد الخبراء ، والتجربة العملية .

□ الخط الثالث : إن سندنا الرئيسى هو من قوى التقدم فى حركة القومية العربية ، وهذه قضية صعبة لأن قوى التقدم لا تمشى بأزرار ولا تقف بأزرار ، وإنما هى تفاعلات تاريخية وآمال طال كبتها ، وناس يختاروننا دون أن نختارهم ، فكل واحد فى العالم العربى يستطيع صادقا أو متظاهرا أن يختارَ الوقوف تحت علمنا ، وفى نفس الوقت لا نستطيع نحن أن نختار من يقف تحت علمنا .

□ الخط الرابع : إنه من الضرورى أيضا تثبيت علاقاتنا على الأقل مع القوى التقليدية فى العالم العربى . هم لا يحبون بالطبع ما نتحدث فيه وندعو إليه ونمثله لكن خلافاتنا معهم لا يجب أن تندفع إلى آخر الطريق ، ونحن المسؤولون قبل غيرنا عن احتواء هذا التناقض . إن « فيصل » هو الباب الطبيعى ، وأعرف أنه لابد لنا أن نطمئنه ولا نيأس من طمأنته مع معرفتى بصعوبة هذه المهمة .

□ الخط الخامس : إن أوروبا الغربية هى احتياطى معقول فى الغرب وعلاقاتنا بهم يمكن أن تتحسن . « ديجول » يدرك هذا وأنا من أنصار أن نبدأ معه بداية جديدة . وأظن أن هناك إمكانيات متاحة مع فرنسا فى عهده خصوصا بعد استقلال الجزائر وخروج حربها من حساب علاقاتنا معه ، وأنا أثق فيه أكثر مما أثق فى « ماكميلان » (رئيس وزراء بريطانيا وقتها) . « ديجول » عسكرى شريف وأهدافنا مختلفة عن أهدافه ولكن يمكن فهم منهجه فى التفكير ، وأما « ماكميلان » فسياسى مراوغ يقول شيئا ويفعل عكسه .

□ الخط السادس : الدول غير المنحازة بالتحديد هى أقرب القوى إلى فهمنا ،

لكن علاقاتنا معهم يجب أن تتسع أكثر فى مجالات الاقتصاد والتصنيع العسكرى والمدنى والتعاون العلمى . حتى الآن نحن نركز على السياسة ، ولكن ما وراء السياسة أجدى وأهم .

□ الخط السابع : دول آسيا وأفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية . هؤلاء رصيد واسع و ..... »

وتوقف « جمال عبد الناصر » لم يكمل العبارة وانتقل مباشرة إلى بند آخر قائلا :

« □ الخط الثامن : بالطبع هناك المواجهة بيننا وبين إسرائيل . هذه لا حل لها فى حياتنا ولا فى حياة أبنائنا . المهم أن نقوى أنفسنا لكى نستطيع دائما الدفاع عن حدودنا على الأقل ، ونردع أى مغامرة على أى حدود عربية أخرى . أما تحرير فلسطين - وهو أملنا - فأخشى أنه لا يزال حلما بعيدا وإن كان علينا أن لا نتخلى عنه بحال من الأحوال . لكننا على المدى القريب مسؤولون عن التزام الحرص والحذر وتجنب المغامرات غير المحسوبة .

□ الخط التاسع : الجبهة الداخلية وأمامنا فيها عمل كبير ، فالخطة الخمسية الأولى نجحت بنسبة ٧٥٪ على الأقل ، والخطة الثانية أمامنا . وإذا أردنا تحقيق هدف مضاعفة الدخل القومى مرة كل عشر سنوات - إذن فان ما ينتظرنا ضخم . »

ثم قال « جمال عبد الناصر » :

« فى هذا كله نحتاج إلى بال طويل . إلى ضبط للنفس . إلى صبر . كثير من الصبر . . »

واستدرك قائلا وهو يضحك :

« وليس ضروريا أن نستورد الصبر من الصين . . »

□

كان باديا أن مصر ترى بشكل عام ملامح العصر الجديد ، بعضها على الأقل . وكان باديا أيضا أن مصر لها خطوط عامة فى توجيه حركتها ، والحقيقة أنه لم يكن فى مقدور طرف وسط هذه « الأزمنة المتغيرة » أن يرسم لنفسه ما هو أكثر من خطوط عامة تعطيه قدرا كافيا من المرونة فى التعامل مع المتغيرات والمستجدات .

يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٤ كان « جمال عبد الناصر » يقرأ ويعيد قراءة رسالة طويلة تلقاها من الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » . كانت الرسالة تقع فى سبع عشرة صفحة كاملة . وكان « خروشوف » يتحدث فيها عن المتغيرات الطارئة على العالم وتأثيرها على النزاعات الإقليمية . وقد بدأها « خروشوف » بالنص التالى :

« عزيزى الرئيس

لقد رأيت أن أوجه إليكم هذه الرسالة لألفت انتباهكم إلى واحدة من المشاكل التى تعتبر من وجهة نظرنا ذات أهمية حيوية للهدف الذى نسعى إليه جميعا وهو تدعيم السلام . والمشكلة التى أقصدها بالذات هى مشكلة النزاعات الإقليمية بين الدول ووسائل تسويتها .

وفى البداية فإنى أود أن أشرح لكم السبب الذى يدعو حكومة الاتحاد السوفيتى إلى إثارة هذه المسألة فى هذه اللحظة بالذات ولماذا نوليها اعتبارا وأهمية خاصة .

إننى أرجو أن تتفقوا معى فى أن هدفنا الآن قد اختلف ، ففى مرحلة من المراحل كان هدفنا الحفاظ على السلام ، وفى هذه المرحلة فإن هدفنا ينبغى أن يكون الحفاظ على الحياة نفسها ، وهو هدف يجب أن تدعمه جهود كل الشعوب والأمم بصرف النظر عن اختلاف القوميات والأجناس والآراء السياسية والعقائد الدينية .

والحقيقة أننا إذا استطعنا أن نقيم بدقة حقائق العصر النووى فإنه لا مفر أمام جميع ساسة العالم الذين يحملون مقاليد المسؤولية وأقدار العالم ومستقبله فى أيديهم من أن يتجمعوا على هدف بذل قصارى الجهد فى تحقيق خطوات ثورية تؤدى إلى استبعاد احتمال وقوع حرب جديدة تماما سواء على المستوى الإقليمى أو ما هو أوسع منه . »

ثم مضى « خروشوف » فى رسالته يقول بالنص :

« لقد حدثت تغييرات عظيمة على المسرح العالمى ، وكلها تدعونا إلى تجربة وسائل أخرى فى حل المشاكل الدولية بما فيها النزاعات الإقليمية ، فلم يعد هناك نزاع يمكن تسويته بالقوة للحصول على مزايا لطرف على حساب طرف آخر . ولهذا فإن الحكومة السوفيتية تطرح عليكم أهمية التفكير فى عقد اتفاق دولى (أو معاهدة) تؤكد فيه الدول نبذها لمنطق استعمال القوة فى حل النزاعات . وفى رأينا أن هذا الاتفاق (أو المعاهدة) ينبغى أن يحتوى على النقط الرئيسية التالية :

□ أولا : تعهد من جانب كل الدول بعدم اللجوء إلى القوة لحل المنازعات .

□ ثانيا : اعتراف بحقيقة أن أراضى الدول لا يجب أن تكون ـ ولو بصورة مؤقتة ـ هدفا لغزو أو هجوم أو احتلال عسكرى أو أى إجراء قسرى مهما كانت دواعيه السياسية أو الاقتصادية أو الاستراتيجية أو الحدودية أو أية دواع ذات طبيعة أخرى .

□ ثالثا : إعلان صريح بأن الخلافات بين الدول على النظم الاجتماعية ، أو رفض الاعتراف أو انقطاع العلاقات الدبلوماسية لا يمكن أن تكون سببا لانتهاك حرمة أى دولة بواسطة أى دولة أخرى .

□ رابعا : تعهد قاطع بحل جميع النزاعات الإقليمية بالوسائل السلمية مثل المفاوضات أو بوسائل التوفيق والتحكيم ، أو بأية وسائل أخرى تختارها الأطراف المعنية طبقا لميثاق الأمم المتحدة . . »

. . . .

. . . .

ثم طالت الرسالة بعد ذلك إلى سبع عشرة صفحة [٢] .

□

---

(٢) أصل الرسالة فى أرشيف منشية البكرى الذى نقل بعد ذلك إلى قصر عابدين ، وتوجد صور منها فى وزارة الخارجية التى كلفت مع جهات رسمية أخرى بإعداد مشروع للرد عليها . وأصلها المحفوظ الآن فى قصر عابدين فى الملف رقم ١٩٦٤/٥ والذى يحمل عنوان « مراسلات مع القادة السوفيت » .

كان السفير السوفيتى فى القاهرة قد سلم الرسالة فى مقر رئاسة الجمهورية يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٤ ، ولكن « جمال عبد الناصر » كان مشغولا بحضور مؤتمر قمة الدول غير المنحازة ، وقد عقد فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة من ٥ إلى ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ . وبعد انتهاء المؤتمر وسفر رؤساء الوفود المشتركة فيه ـ سنحت له الفرصة لقراءة الرسالة . ولفتت نظره فيها على الفور عبارات ذات معنى أولها عبارة « **إن هدفنا فى مرحلة سابقة كان حفظ السلام ، وهدفنا فى العصر النووى أصبح حفظ الحياة** » . **ولقد كان على استعداد لأن يفهم هذه العبارة ومضمونها ـ لكن ما أثار تساؤله هو العبارات المسهبة والمرسلة عن النزاعات الإقليمية ووسائل حلها ...**

كان « خروشوف » قد أثار هذه القضية خلال محادثاته فى مصر قبل شهور (فى زيارته لها فى مايو ١٩٦٤) ، وكان « جمال عبد الناصر » قد أبدى فيها وجهة نظر مفادها « **أنه يوافق على مخاطر استعمال القوة لحل النزاعات الإقليمية فى ظل الموازين النووية المستجدة ، لكنه مع ذلك يرى أن هناك ضرورة لا مفر منها إذا أريد تحقيق هذا الهدف ، وهى ضرورة بذل جهد دولى مكثف لحل هذه النزاعات خصوصا تلك المستعصية على الحل بين الأطراف مباشرة مثل الصراع العربى الإسرائيلى ، فمثل هذه الصراعات لا يمكن أن تتجمد أو حتى تتوقف مضاعفاتها بمجرد التوقيع على اتفاق (أو معاهدة) ينبذ استعمال القوة .** »

ورد « خروشوف » على وجهة نظر « جمال عبد الناصر » بقوله « **إنه كان يتحدث عن النزاعات الإقليمية بصفة عامة ولم يكن يقصد الصراع العربى الإسرائيلى بالذات** » .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى التأكيد على « **أنه لا يستطيع أن يتحدث عن النزاعات الإقليمية بطريقة مجردة . فهو عندما يسمع تعبير النزاعات الإقليمية فإن ذهنه ينصرف حتى بطريقة لا إرادية إلى الصراع العربى الإسرائيلى ، وهو لا يزال مقتنعا بأن العدل هو المقدمة التى لا بديل عنها لتحقيق السلام** » .

□

فى الساعة الحادية عشرة والربع من مساء يوم الثلاثاء ١٣ أكتوبر ١٩٦٤ كان « جمال عبد الناصر » جالسا إلى مكتبه فى الدور الأرضى من بيته منكبا على ملفات أمامه يقرؤها حين طرق الباب أحد أفراد السكرتارية الخاصة ، وهو السيد « محمود فهيم » ، الذى دخل يحمل مظروفا فى يده ويقول « إن السفير اليوجوسلافى حضر إلى بيت الرئيس دون

موعد ومعه رسالة عاجلة من الرئيس « تيتو » ، وهو لا يطلب مقابلة وإنما هو واقف بالباب يريد أن يتأكد من وصول الرسالة إلى يد الرئيس « عبد الناصر » وذلك نظرا لأهميتها العاجلة » .

وفض « جمال عبد الناصر » بيده المظروف الذى يحمل رسالة « تيتو » وراحت عيناه تجرى على السطور :

« صديقنا العزيز

لقد بلغنى الآن - الساعة التاسعة فى بلجراد - أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى اجتمعت بعد ظهر اليوم واتخذت قرارا بإعفاء نيكيتا خروشوف من جميع مناصبه . إن الاتهام الذى وجه إليه من جانب اللجنة المركزية هو اتباع سياسات خاطئة .

ولقد فهمت أن هناك بيانا رسميا حول هذا الإجراء سوف يذاع غدا فى موسكو الساعة السادسة مساء ، وعلى أى حال فقد رأيت إعلامكم بالأمر لأهميته دون أن أنتظر ورود التفاصيل ، وإن كان قد بلغنى أن أدجوبى (صهر خروشوف) قد فُصل من رئاسة تحرير جريدة ازفستيا ، كذلك فُصل مدير إذاعة موسكو ، كما أن هناك تغييرات أخرى فى عدد من مناصب الدولة الحساسة فى الاتحاد السوفيتى .

ومعلوماتنا الأولية تشير إلى أن « ميخائيل سوسلوف » عضو المكتب السياسى - « البريزيديم » - هو الذى قدم الاقتراح بعزل خروشوف . إن خروشوف لم يكن فى موسكو يقينا عندما اتخذ قرار عزله ، وإنما كان فى مصيف سوتشى (على البحر الأسود) وقد كانت هناك نشاطات سرية واجتماعات عديدة فى الخفاء قبل اجتماع اللجنة المركزية شارك فيها الماريشال مالينوفسكى وزير الدفاع . وقد علم سفيرنا فى موسكو أن خروشوف دعى فى اللحظة الأخيرة لمواجهته بقرار اللجنة المركزية الذى صدر بالإجماع . ولسنا على أى حال متأكدين من أن خروشوف ووجه بالقرار فعلا .

صديقكم المخلص

تيتـو »

كانت رسالة « تيتو » مفاجأة كاملة . ولقد ضاعف من وقع المفاجأة أن « جمال عبد الناصر » كان يدخل فى حساباته للمرحلة القادمة تصور أنه أثناء زيارة « خروشوف » للقاهرة ومحادثاته فيها ـ قد تمكن أخيرا من وضع العلاقات بين القاهرة وإحدى القوتين الأعظم على أساس سليم يقوم على فهم مشترك من جانب الطرفين كلاهما لموقف الآخر ودوافعه وخططه . وكانت آراء « خروشوف » عن النزاعات الإقليمية وحلولها تثير هواجسه أحيانا ـ لكن تأكيدات « خروشوف » كانت دائما مطمئنة ـ بأنه لا يقصد ـ بالذات ـ الصراع العربى الإسرائيلى .

ولكنه الآن ـ وباختفاء « خروشوف » ـ طرأت فى موسكو ظروف مختلفة .

□

صباح اليوم التالى ١٤ أكتوبر كان العالم يموج بأنباء متضاربة عن تطورات غامضة وخطيرة تجرى فى الاتحاد السوفيتى . وكانت موسكو ـ كالعادة ـ صامتة لا تقول شيئا . وفى الساعة الحادية عشرة مساء أنهى راديو موسكو إذاعته دون كلمة واحدة عن « خروشوف » . وبعدها بساعة وربع الساعة تقريبا (الساعة الأولى من صباح يوم ١٥ أكتوبر) أذاعت وكالة « تاس » نبأ من أربعة سطور كان نصه :

« عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى يوم ١٣ أكتوبر . وقد قبلت اللجنة المركزية طلب نيكيتا خروشوف بإعفائه من واجباته كسكرتير أول للجنة المركزية ، وكعضو فى مجلس الرئاسة ، وكرئيس لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتى ـ وذلك بسبب تقدمه فى السن وضعف صحته » .

وفى اليوم التالى أذيع ان اللجنة المركزية انتخبت « ليونيد بريجنيف » سكرتيراً أول لها (أى زعيما للحزب) وأن مجلس السوفيت الأعلى قد انتخب « أليكسى كوسيجين » رئيسا لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتى .

ويوم ١٧ أكتوبر صدر لأول مرة تفسير رسمى ـ على الطريقة السوفيتية ـ جاء فى مقدمته بالنص :

« إن الحزب باتحاده وبتوجيه النشاط الإنشائى للجماهير نحو الهدف العظيم يسترشد ببوصلة دقيقة هى نظرية ماركس ولينين القوية ، فهى تحلل بعمق العمليات المتشابكة للحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وتعمل على إيجاد الحلول الصحيحة لها على هذا الأساس .

إن الحزب اللينيني عدو للذاتية ، أى انفراد الإنسان بالعمل ثم التباهى بذلك . وعدو للانسياق مع التيار فى عمليات البناء الشيوعى . وعدو للمشروعات التى توضع على عجل وبدون دراسة . وعدو للنتائج غير الناضجة والقرارات العاجلة والتصرفات التى تتجاهل الحقائق . والتباهى والتفاخر وشن الحملات الكلامية وحب إصدار الأوامر وعدم الرغبة فى مراعاة الحقائق والإنجازات العلمية وتجاهل التجارب العملية ، كل هذا يتعارض مع مبادىء الحزب .

إن بناء الشيوعية عملية حية وإنشائية لا تحتمل أساليب من يجلسون على المقاعد المريحة ولا تقبل إلاّ القيادة الجماعية . إن الزعامة الجماعية من أهم المبادىء ، فهى سلاح جيد ثبتت صلاحيته وتعد أعظم ما يملكه حزبنا من الناحية السياسية . »

كانت هذه إذن أسباب عزل « خروشوف » كما قدرها الذين قاموا بالانقلاب عليه وإسقاطه ، وكان واضحا من أسلوب البيان أن الذى تولى وضع أفكاره وقام بصياغتها هو « ميخائيل سوسلوف » مسؤول الحزب عن الشؤون العقائدية وفيلسوفه من عهد « ستالين » وبعده .

وبدأ سيل من المعلومات يتدفق على القاهرة ، وكان أكثره من الرئيس « تيتو » الذى راح يتابع من الداخل وبوسائله واتصالاته تفاصيل ما يجرى ، وكان أهم ما احتوته معلومات الرئيس « تيتو » أن « خروشوف » نفسه لم يفاجأ بالمخطط الذى وضع لعزله وإسقاطه ، فقد تلقى معلومات عنه قبل وقوعه بعدة أسابيع . وأحال هذه المعلومات إلى « سيميتشاستنى » رئيس المخابرات السوفيتية (K.G.B.) ، لكنه لم يتلق ردا من « سيميتشاستنى » لأنه كان ضالعا فى العملية وواحدا من المشاركين فى التدبير . وأدرك « خروشوف » بخبراته السابقة أن شيئا ما يجرى فى الخفاء وأن « سيميتشاستنى » لن يرد عليه بجواب شاف على الأقل ، فاتصل بـ « أنستاس ميكويان » رئيس مجلس السوفيت الأعلى وطلب إليه أن يتحرى الأمر ، ومرة أخرى حدث نفس الشىء فإن « ميكويان » لم يرد . وقبل أن تتصل سكرتارية اللجنة المركزية بـ « خروشوف » الذى كان يقضى أجازة فى مدينة « سوتشى » فى « القرم » لتدعوه لحضور اجتماع طارىء للجنة المركزية ، أدرك « خروشوف » أن ما كان ينتظره قد حدث فعلا . فقد عاد اثنان من رواد الفضاء السوفيت إلى الأرض ولم يتصلا به بالتليفون لتلقى تهانيه كما هى العادة ، ومعنى ذلك ببساطة أن « أحدا » فى موسكو أصدر أمرا واجب الطاعة بتجاهل زعيم الاتحاد السوفيتى . وبعدها

تلقى « خروشوف » طلب استدعائه لحضور اجتماع اللجنة المركزية . وركب طائرة وضعت تحت تصرفه إلى موسكو وهو يعرف مقدما ما ينتظره هناك !

وذكرت معلومات الرئيس « تيتو » أيضا أن « خروشوف » عندما دخل اجتماع اللجنة المركزية وجدها معبأة ضد سياساته ، وبالذات ضد محاولاته لتجديد التجربة السوفيتية ، وهى ما وصفه بيان الحزب الشيوعى السوفيتى بـ « الانسياق مع التيار فى عملية البناء الشيوعى » . وقد ثار « خروشوف » - على ما تذكر المعلومات - واتهم أعضاء اللجنة المركزية بأنهم « لا يفهمون طبائع العصر الذى يعيشون فيه » . وعندما طرح للتصويت قرار إعفائه من جميع مناصبه كان « خروشوف » بنفسه أحد الذين رفعوا أيديهم بالموافقة على هذا القرار . وكان يقول لكل من يريد أن يسمع إنه « **تعب وفقد صحته وحيويته مع رفاق** » **لم يفهموا شيئا ولا يريدون أن يفهموا شيئا** » .

□

ويوما بعد يوم بدأت الصورة تتضح أكثر ، فقد ظهر على سبيل المثال أن محاولات تجديد التجربة السوفيتية بحكم متغيرات العالم ومستجداته كانت أكثر مما تحتمله القيادات التقليدية على قمة الحزب الشيوعى السوفيتى . وظهر أيضا أن استحكام الخلاف مع الصين كان قضية أخرى متفجرة - ومع ذلك فقد كان هناك عنصران بالتحديد لعبا دورا حاسما فى التعجيل بانقلاب السلطة وفى توقيته :

□ **أولهما** : الخلافات التى راحت تتسع بين « خروشوف » وبين المؤسسة العسكرية السوفيتية وعلى رأسها وزير الدفاع الماريشال « مالينوفسكى » الذى كان دائم الإلحاح فى الحصول على اعتمادات أكثر لسباق السلاح مع الولايات المتحدة ، وكان رأى « خروشوف » أن الاتحاد السوفيتى لا يستطيع تحمل هذه الأعباء إلى ما لا نهاية ، وإذا كان عليه أن يتحملها فإن حجمها سوف يؤثر يقينا على عملية تجديد التجربة الاشتراكية .

وكان « خروشوف » يحاول إقناع ماريشالات الاتحاد السوفيتى بأن يقبلوا تخفيضا بنسبة الثلث فى ميزانية الدفاع بواقع استحالة الحرب من ناحية ، ومن ناحية أخرى بحقيقة أن المخزون من الأسلحة النووية لدى الاتحاد السوفيتى أصبح كافيا لتدمير الغرب مرتين وليس ذلك ضروريا لأن « مرة واحدة تكفى » .

لكن المؤسسة العسكرية السوفيتية كانت ملحة فى طلب السباق مع الولايات المتحدة إلى النهاية لأن توقف طرف دون توقف الطرف الآخر قد يؤدى إلى « اختراع » أو

« اختراق علمى » مفاجىء تنقلب به الموازين الحساسة وتصبح القوة القادرة على التدمير المضاعف عاجزة إزاء ما لم تكن تتوقعه ، وكان معنى هذا الإلحاح العسكرى أن الاعتمادات الإضافية الضرورية للتطوير الاقتصادى والاجتماعى ليست متوافرة وليس منتظرا توافرها فى مستقبل مرئى . ولم يكن « خروشوف » فى وضع يسمح له بتجاهل رأى المؤسسة العسكرية ، فهى المسؤولة عن أمن الكتلة الشرقية فى عالم منقسم إلى كتلتين ، أو فى عالم تعمه الفوضى نتيجة للمستجدات والمتغيرات . كذلك فإن المؤسسة العسكرية هى الضمان الأخير لوحدة « الامبراطورية » السوفيتية ، وهى تتكون من عشرات القوميات الوطنية والعرقية والثقافية ، وبالتالى فإن هذه الامبراطورية أشبه ما تكون بلوحة من الموزاييك تحتاج إلى إطار يمسك بأجزائها متصلة ومتكاملة ، وفى ظروف تعرض فيها إطار الحزب لشروخ فإن إطار الجيش أصبح البديل الوحيد الباقى !

وإضافة لذلك فإن المؤسسة العسكرية كانت قد لعبت دورها كاملا فى الانتقال من عصر « ستالين » إلى ما بعده ، بل وكان الجنرالات هم الذين تولوا بأيديهم عملية إعدام « بريا » وزير داخلية « ستالين » . ثم عادت المؤسسة العسكرية لتلعب نفس الدور عندما قام « خروشوف » بتصفية من أسماهم « المجموعة المعادية للحزب » . وكان حليف « خروشوف » فى هذه القضية هو الماريشال « جوكوف » البطل الأسطورى لمعركة اقتحام برلين !

☐ **وكان السبب الثانى** فى التعجيل بالانقلاب هو أن « خروشوف » سمح - وكان سماحه تحت ضغوط - بنشر تقرير كتبه الزعيم الشيوعى الايطالى « بالميرو تولياتى » قبل أيام قليلة من وفاته .

كانت وراء تقرير « تولياتى » الذى اشتهر باسم « وصية تولياتى » قصة مثيرة . فقد حدث أن هذا الزعيم الشيوعى الذى احتل منزلة خاصة فى الحركة الشيوعية الدولية بدأ يشعر بالقلق مما يجرى فى المعسكر الشيوعى . وقرر أن ينتهز فرصة صيف لكى يسافر إلى الاتحاد السوفيتى ويلتقى بنفسه مع « نيكيتا خروشوف » ويتحدث إليه . وعندما وصل « تولياتى » إلى موسكو كان يتصور أن « خروشوف » سيقابله على الفور ، ولكنه أُخطر بأن مقابلته مع « خروشوف » مؤجلة لأنه خارج إلى رحلة يتفقد فيها بعض التجارب الزراعية الجديدة فى الاتحاد السوفيتى . واقترح عليه أحد أصدقائه ألاّ يضيع وقته ينتظر فى العاصمة وأنه قد يكون مفيدا له أن يذهب إلى أحد المصايف على البحر الأسود حتى يعود « خروشوف » . وبالفعل فإن « تولياتى » قصد إلى مصيف « سوتشى » للراحة والعلاج ، ولم يشأ أن يضيع وقته فعلا وإنما جلس فى غرفته يكتب تقريرا مفصلا بوجهات

نظره حتى يكون أساسا للمناقشة مع « خروشوف » عندما يلقاه . وكان « تولياتى » ما زال يكتب حين أصيب فجأة بنزيف فى المخ أدى إلى وفاته . وذهبت أرملته إلى المكتب الذى كان يجلس إليه قبل إصابته وطوت مجموعة الأوراق التى فرغ من كتابتها ثم وضعتها فى صدرها وعادت بها مع جثمانه إلى روما . وهناك طلبت من زعيم الحزب الشيوعى الايطالى الذى خلف « تولياتى » وهو « لويجى لونجو » أن ينشر تقرير زوجها باعتباره وصيته . وبالفعل قام الحزب الشيوعى الايطالى بنشر التقرير « الوصية » وأدى نشره إلى أزمة عميقة زاد من عمقها أن « خروشوف » رأى أنه وقد وقع نشر التقرير فى روما فلم يعد ممكنا حجبه عن النشر فى موسكو . وكان التقرير يمس أربع نقاط شديدة الحساسية :

« ١ ـ إن كل الأحزاب الشيوعية يجب أن تكون متساوية فى الحقوق ، ولم يعد ممكنا قبول مقولة أن هناك أحزابا مسيطرة وأحزابا تابعة ، وأن وحدة الحركة العمالية لن تتأثر بالمساواة بين الأحزاب الشيوعية وإنما ما سوف يؤثر فيها هو دعوى الحزب المسيطر .(٣)

٢ ـ إن الديمقراطية السياسية تواجه أزمة داخل المجتمعات الشيوعية ليس فقط من ناحية الحريات الديمقراطية بل من ناحية الحريات الشخصية أيضا ، وأن استحكام أزمة الديمقراطية قد وصل إلى درجة لم يعد ممكنا أن تتحملها الشرعية ذاتها !

٣ ـ إن الجمود العقائدى والبيروقراطى لعهد « ستالين » لم يقض عليه قضاء كاملا رغم الحملة ضده ، بل إنه ما زال متمركزا فى مواقع قوة متعددة استطاعت أن تقف وأن تثبت دورها وتؤكده بعد اختفاء « ستالين » .

٤ ـ إن هناك قحطا فى التفكير النظرى فى المعسكر الشيوعى بينما العالم يتطور بسرعة ويعيش تغييرات ثورية تختلف حساباتها عن القديم الموروث ، مما حول الفكرة الشيوعية بالفعل إلى فكر جامد ومتخلف عن مواكبة العصر.»

□

وكانت تلك إشارات توحى بأن « أزمة خروشوف » هى فى حقيقة أمرها مجرد ظل

---

(٣) كان « خروشوف » وقتها يفكر فى عقد مؤتمر للأحزاب الشيوعية فى العالم يتم فيه طرد الصين من الحركة الشيوعية العالمية !

لأزمة أكبر تعيشها الحركة الشيوعية ، ودولة الشيوعية الأولى فيها ، وكذلك بقية دول المعسكر الشيوعى كله[٤] .

ولقد كانت أهم الإشارات إلى الأزمة « العامة » للشيوعية ، فى زحام تطورات الأزمة الخاصة لـ « خروشوف » هى حقيقة أن « خروشوف » لم يقاوم قرار عزله ، وإنما كان بنفسه أحد الذين رفعوا أيديهم بالموافقة على القرار !

كان « جمال عبد الناصر » متشوقا إلى أن يعرف كل ما هو ممكن عن أسباب الأزمة التى عصفت فى موسكو بالرجل الذى استطاع أن يرتب معه بعد خلاف طويل ـ صاخب فى بعض مراحله ـ مستقبل العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى . كان التفاهم الذى تم بينه وبين « خروشوف » يضع العلاقات بين البلدين على أساس واضح يعترف بأسباب للاختلاف بينهما ، وفى نفس الوقت يتيح المجال لإمكانيات واسعة من التعاون . ومن وجهة نظر « جمال عبد الناصر » فإن التفاهم الذى حل فى العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى كان ضروريا فى جانب منه لعملية التوازن المطلوبة فى أزمنة متغيرة . وفى حين تركزت أنظار العالم على موسكو فى تلك الفترة لأسباب عديدة ـ منها أهمية الدور الذى يضطلع به الاتحاد السوفيتى كإحدى القوتين الأعظم فى الواقع الدولى المعاصر ، ومنها أن « خروشوف » كإنسان كان نجما مثيرا من نجوم تلك الفترة ـ فإنه بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » كان هناك ما هو أكثر .

لقد راحت روايات متسربة من موسكو تقول إن علاقة « خروشوف » الخاصة بمصر

---

(٤) يمكن القول باطمئنان أن هذه الأزمة التى أطلت برأسها فى وقت « خروشوف » وقام هذا الزعيم السوفيتى البارز بمحاولة أولى لمواجهتها وتوقفت بسقوطه ـ عادت إلى الظهور مرة ثانية حتى جاء الزعيم السوفيتى « ميخائيل جورباتشوف » لمواجهتها بعد أن زادت حدتها أكثر بفترة الجمود التى حكم فيها « بريجنيف » من سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٨٤ حين مات وخلفه « أندروبوف » أستاذ « جورباتشوف » وحاميه .

كانت بين أسباب سقوطه . وكانت هذه الروايات تقول إن عددا من الدول الاشتراكية - وبينها الصين - راعها حجم المساعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى لمصر (السد العالى مثلا) وقد قارنت بين ما حصلت عليه مصر وبين ما حصلت عليه هى متذكرة أن مصر دولة غير منحازة ، ثم إنها تعارض الشيوعية و « تضطهد » الشيوعيين ومع ذلك فإن نصيبها من المساعدات السوفيتية كان نصيب الأسد ، أكبر عدة مرات مما يحصل عليه شركاء العقيدة الواحدة وأطراف المعسكر الموالى لموسكو . ولم يكتف « خروشوف » بالسد العالى فى مرحلتيه : الأولى والثانية - لكنه أثناء وجوده فى القاهرة أضاف إلى اتفاقية مساعدات التصنيع اتفاقية ثانية حجمها ٢٠٠ مليون روبل (دولار تقريبا) . وأضافت الروايات المتسربة قصة أخرى تقول إن « خروشوف » أخطأ حين أهدى لكل من « جمال عبد الناصر » و « عبد الحكيم عامر » أثناء زيارته لمصر وسام « بطل الاتحاد السوفيتى » وهو أعلى وسام يمكن أن يحصل عليه أحد من الكرملين . وقد رأى بعض الزعماء السوفيت وعدد من زعماء الكتلة الاشتراكية أنه من المستغرب - وهنا موقع الخطأ - أن يحصل اثنان فى مصر على وسام « بطل الاتحاد السوفيتى » بينما مصر تتخذ مواقفها المعروفة من الشيوعية والشيوعيين .

كانت هذه الروايات متسربة من موسكو تتردد كثيرا فى تقارير وكالات الأنباء الغربية وفى تحليلات مراسليها من العاصمة السوفيتية ، وكان معنى ذلك - إذا تحقق صدقه - أن العلاقات المصرية السوفيتية مقبلة على إعادة نظر من جانب القيادة السوفيتية الجديدة !

□

ويوم ٢٦ أكتوبر بعث السفير المصرى فى موسكو - الدكتور « مراد غالب » - ببرقية خاصة إلى رئاسة الجمهورية يقول فيها : « **إن نائب وزير الخارجية السوفيتية اتصل به وسأله عن موعد وصول المشير عبد الحكيم عامر إلى موسكو للمشاركة فى احتفالات العيد السابع والأربعين للثورة السوفيتية ، وأنهم يعلمون أن المشير عامر تلقى دعوة لحضور هذا الاحتفال باسم خروشوف باعتباره رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى . وقد أوضح نائب وزير الخارجية أن التطورات الأخيرة لا تؤثر ولا ينبغى لها أن تؤثر على قبول الدعوة ، ثم أبدى أن رئيس الوزراء الجديد أليكسى كوسيجين بنفسه هو الذى كلف وزارة الخارجية بأن تسأل عن موعد وصول المشير عامر إلى موسكو ، وأنه (أى نائب وزير الخارجية) يعتقد أن هذه الزيارة فرصة هامة لتجديد وتوثيق العلاقة بين الزعامة المصرية والقيادة الجديدة للاتحاد السوفيتى .** »

ويوم ٦ نوفمبر ١٩٦٤(٥) وصل « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو للاشتراك فى الاحتفالات التى بلغت ذروتها يوم ٧ نوفمبر ، وخلال الاستقبال الذى جرى فى قاعة كاترين العظيمة بأعمدتها المرمرية الشاهقة فى جلال ، وتيجان الأعمدة المصنوعة من الذهب - التقى المشير « عامر » بالقيادة السوفيتية الجديدة التى ظهرت كثلاثى يضم « بريجنيف » و « كوسيجين » و « بادجورنى » ، ولم يكن هناك مجال لحديث طويل فقد كان الاستقبال حفلا لجميع الوفود - وكان التركيز الأشد على الوفد الصينى الذى رأسه « شوين لاى » - ومع ذلك فإن « بريجنيف » أراد أن يعطى لـ « عبد الحكيم عامر » إشارة مبكرة فقال له :

- « إن الرفيق « كوسيجين » سوف يراك بعد الاحتفالات مباشرة ، ونرجو أن يكون حديثه معك مفيدا ، وأهم شىء حتى ذلك الوقت أن لا تصدقوا دعايات المستعمرين الذين يريدون أن يبذروا الشكوك بيننا » .

ثم أضاف « بريجنيف » :

- « إننا نقترح أن يتم لقاء بينك وبين الرفيق « أوستينوف » نائب رئيس الوزراء حتى تمهدوا مسائل البحث التى ستطرحونها مع الرفيق « كوسيجين » » .

. . . .

. . . .

وهكذا بدأت لقاءات القيادة الجديدة مع « عبد الحكيم عامر » باجتماع بينه وبين « أوستينوف » نائب رئيس الوزراء المسؤول عن الصناعات الثقيلة والصناعات الحربية ، واستغرقت مقدمات الحوار دقيقتين لا أكثر ، فقد اختار « أوستينوف » أن يبدأ بسؤال « عبد الحكيم عامر » عن « انطباعاته عن العرض العسكرى الذى حضره » ورد « عبد الحكيم عامر » بقوله : « ممتاز » . وعاد « أوستينوف » يسأل : « هل تجرون عروضا مماثلة فى الأعياد على هذا النحو » ؟ ورد « عبد الحكيم عامر » قائلا : « ليس بنفس الشكل ، ففى العادة يجرى عرض عسكرى ، ثم بعده عرض للشباب ، وفى الختام اجتماع سياسى يتحدث فيه الرئيس » . وقال « أوستينوف » : « كيف حال مقابلاتك مع

---

(٥) كانت لى الفرصة مرة أخرى أن أسافر مع المشير عبد الحكيم عامر إلى الاتحاد السوفيتى على الطائرة السوفيتية من طراز « تى يو ١٠٤ » وقد جاءت إلى مصر خصيصا لنقله والوفد المصاحب له إلى العاصمة السوفيتية . وتعتمد كل التفاصيل الواردة فى هذا الفصل على المحاضر الرسمية للمقابلات ، وقد كتب معظمها الدكتور « مراد غالب » سفير مصر فى موسكو - كما أننى سجلت محاضر بعض ما حضرت منها - وكل المحاضر محفوظة فى ملفات قصر عابدين بعد نقلها إليه من منشية البكرى .

ضيوفنا الآخرين هنا » ؟ وفهم « عبد الحكيم عامر » معنى الإشارة فقال : « نعم بالأمس في الساعة الخامسة مساء قابلت شوين لاى » ! وكان رد « أوستينوف » على الفور : « ما رأيك فى جو موسكو فى الشتاء هل تجده قارسا لا يحتمل » ؟!

ووجد « عبد الحكيم عامر » أن الأولى به أن يدخل إلى موضوعه مباشرة فقال : **« الحقيقة أننا نتعامل معكم كأصدقاء ولا نسمح لأنفسنا بالتدخل فى شؤونكم ، ولكن دعايات الغرب انتهزت فرصة تغيير القيادة وشنت حملة من حرب الأعصاب تريد إقناعنا بأنكم على وشك تغيير سياستكم معنا ، وقد تلقيت تأكيدات من لحظة وصولى إلى موسكو بأن هذا غير صحيح ، ولكننا أردنا أن نتلقى التأكيدات من أعلى المستويات هنا خصوصا وأن الرئيس « عبد الناصر » سوف يلقى خطابا هاما فى مجلس الأمة يوم ١٢ نوفمبر ، وبالطبع سوف يتعرض فى خطابه للعلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وهو يحرص على أن يكون دقيقا فيما يقوله للشعب ، ولذلك كان ضروريا أن نفتح الموضوع معكم وإلاّ ما كنا فتحناه » .**

وجاء الدور على « أوستينوف » فقال :

ـ « نرجوكم أن تعرفوا أن السياسة فى الاتحاد السوفيتى ليست مبنية على أفراد بل على الوثائق الحزبية . ونحن لدينا برنامجان : برنامج لبناء المجتمع السوفيتى ، وبرنامج لإقامة الصداقات مع الدول الأخرى . ونحن لسنا مثل الإستعماريين نعمل لمصالح ذاتية ولكننا نؤمن بالصداقة بين الشعوب ونعتبرها أهم ضرورات السلام .

إن رئاسة اللجنة المركزية كلفتنى أن أبلغك أننا نقدر تقديرا عاليا علاقتنا مع مصر ، وأيضا أننا نسعى نحو تقويتها . وسوف يقابلك أى مسؤول تطلب أن تراه فى القيادة لكى يكرر لك هذا التأكيد ، وسوف أكون عمليا معك فأطلب منك أن تطرح أية مشاكل تراها فى علاقاتنا ، وسوف ترى أننا سوف نبادر إلى حلها على الفور .

حسب معلوماتى فإن الاتفاقات الاقتصادية تسير فى طريقها ، وأنتم عليكم أقساط متأخرة حجمها ٣٩ مليون روبل ، ونحن ندرس تأخير مواعيد سدادها بناء على طلبكم بسبب أعباء اليمن .

بالنسبة لاتفاقيات السلاح فهمت أن لديك قائمة طلبات جديدة . يظهر أنها قائمة طويلة ، وعندما سمعت عنها قلت « **إن أصدقاءنا المصريين يريدون ـ كما يظهر ـ اختبار نوايانا من جديد » .** »

وقدم « **عبد الحكيم عامر » لـ « أوستينوف » قائمة طلبات شراء السلاح الجديدة**

وكانت من ست صفحات : صفحة للصواريخ وصفحة للقوات الجوية - وصفحة للقوات البرية - وصفحة للمدرعات - وصفحة للبحرية - وصفحة لمعدات الاتصال والمواصلات .

وأمسك « أوستينوف » بقوائم الطلبات ووزنها فى يده ثم قال « **قائمة ثقيلة** » ، ثم راح يقرأ الصفحات وعقب بقوله : « **بالطبع لا تتوقع منا أن نعطيك ردا على هذه الطلبات فى يوم أو يومين . هذا موضوع سوف يأخذ بحثا من المستويات السياسية والعسكرية هنا** » . ثم أضاف : « **المهم أنه لا توجد مشاكل حقيقية فى مجال الاتفاقات العسكرية ، كما لا توجد مشاكل حقيقية فى مجال الاتفاقات الاقتصادية** » . وانتهزها « عبد الحكيم عامر » فرصة فقال : « **الواقع أن هناك مشكلة نواجهها دائما فى التسليح السوفيتى . فى التسليح الغربى مثلا نحن نعرف معظم ما لديهم لأنهم ينشرون عنه ، بل إن كثيرا من المعدات يعلن عنها فى كتالوجات مطبوعة . وأما بالنسبة للتسليح السوفيتى فنحن لا نعرف كل ما عندكم . نحن ندرك أن هناك أشياء سرية لا تريدون إعطاءها لأحد ، ونحن لا ننوى طلبها ، ومع ذلك فإننا نتوقع أن تساعدونا على اختيار ما يلزمنا بإعطائنا فكرة ولو من باب النصيحة عما يلزم لطبيعة ظروفنا ومعاركنا من المعدات** » .

ورد « أوستينوف » : « **نحن نعطيكم كل شىء ... حتى ما يعتبر من الأسرار ... نحن نعطيكم أسلحة سرية** » . وَرد « عبد الحكيم عامر » : « **ونحن نحافظ عليها** » .

وأضاف « أوستينوف » فى النهاية :

- « **إنك سوف تقابل الرفيق كوسيجين غدا ، وأرجوك أن تصارحه بكل شىء ، وهو من جانبه سوف يكون صريحا معك** » !

. . . .

. . . .

وعندما تم اللقاء مع « كوسيجين » كان رئيس الوزراء السوفيتى الجديد جاهزا بأكبر قدر من الإجابات التى قصدها وافية وكاملة :

١ - إن التغيير الذى حدث فى القيادة السوفيتية لا يمس من قريب أو بعيد علاقات الاتحاد السوفيتى مع مصر ، فسياسة التعامل مع العالم العربى وأفريقيا من خلال القاهرة هى سياسة تقررت فى المكتب السياسى كخط استراتيجى ، ولم يكن « خروشوف » إلاّ معبر عنها .

ثم أضاف « كوسيجين » - طبقا لمحضر الاجتماع - قائلا بالحرف :

« يوجد ناس يصطادون فى المياه العكرة وليس عندنا أحد منهم ، فالمياه هنا صافية وهم لن يصطادوا شيئا ، والمهم أن لا تتركوهم يصطادون شيئا عندكم . فهم سوف يحاولون إثارة الشكوك ولذلك نرجوكم .. إذا خطر لكم سؤال اسألونا نحن مباشرة » .

٢ - إن القيادة السياسية الجديدة سوف تثبت للمتشككين خيبة تحليلاتهم ليس فقط بالاحتفاظ بمستوى الدعم الاقتصادى والعسكرى للجمهورية العربية المتحدة وإنما بتكثيف هذا الدعم ، فالسد العالى ليس حلم مصر وحدها ولكنه أيضا حلم الاتحاد السوفيتى الذى يريده صرحا على النيل شاهدا على إمكانيات التعاون بين العالم الثالث والاتحاد السوفيتى .

ثم أضاف « كوسيجين » طبقا لمحضر الاجتماع :

« نحن نعلم جهود مصر فى حركة التحرر الوطنى . نعلم ماذا تفعلون فى اليمن وعدن وفى قبرص وفى أفريقيا ، ونعلم أن الأمريكان يرسلون لكم التهديد تلو التهديد . هم يعتمدون على إسرائيل وعلى الأسطول السادس فى البحر الأبيض ، ولكن أنتم لستم وحدكم » .

٣ - إن تغيير « خروشوف » كانت له أسباب موضوعية تتمثل فى استئثار « خروشوف » بالسلطة ، واتباعه لسياسات خاطئة فى تصريف شؤون الدولة والتسرع فى تبنى مشروعات غير مدروسة بادعاء الرغبة فى تجديد الماركسية فى عالم يتغير بسرعة .

ثم أضاف « كوسيجين » طبقا لمحضر الاجتماع :

« إن صعوبات التنمية لا تقتصر على الدول الصغيرة . إن الدول الكبيرة أيضا لديها صعوبات ، ولابد أن تجد الوسائل التى تتغلب بها على صعوباتها . نحن هذا العام نحتاج إلى ألف مليون دولار زيادة للتنمية ، لكنك لا تستطيع أن تخطف هذا المبلغ من أى بند تجده أمامك كبيرا دون أن تجرى عملية توازن ضرورى بين الاحتياجات . الحقيقة نحن جميعا فى حاجة إلى إدارة رشيدة تأخذ فى حسابها التكاليف فى مواجهة المسؤوليات . حسابات التكاليف شىء مهم جدا » .

٤ - إن القيادة السوفيتية الجديدة تريد أن تقف من الماركسية موقفا خلاقا وهى تدرك عمق التغييرات الجارية فى العالم ، لكن المشكلة أن « خروشوف » باندفاعه كان على وشك أن يحول عملية التجديد المطلوبة للماركسية إلى عملية خروج وتحريف لا أحد يضمن إلى أين تصل ، فدعوة المرونة قد تصل حتى دون علم دعاتها إلى ردة لا تؤثر على الاتحاد

السوفيتى وحده وإنما تؤثر على أسس الفكر الماركسى ذاتها مع ملاحظة أن التجربة السوفيتية عادة لها دور الريادة فى هذا الفكر .

ثم أضاف « كوسيجين » طبقا لمحضر الاجتماع :

« إن لينين أعطى للفكر الماركسى مصادر قوية يمكن العودة إليها دائما ، وهذه قضية تختلف عن تجديد الفكر الماركسى من مصادر بعيدة عنه وغريبة عليه » .

٥ ـ ثم وضع « كوسيجين » فوق هذه الأسباب الموضوعية سببا ذاتيا قال إنه يتردد قبل أن يفضى به إلى المشير « عامر » لكنه يفعل ذلك بروح المصارحة بين الأصدقاء ، وهنا تحدث عن دور أسرة « خروشوف » فى الحكم ومظاهر المحسوبية والاستغلال التى شابت هذا الدور . ثم أشار إلى تصرفات « خروشوف » الشخصية وبينها تصرفه فى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٠ حينما خلع حذاءه ، وراح يضرب به على المائدة مقاطعا . ثم وصل إلى علاقات « خروشوف » الإنسانية بزملائه حتى فى المكتب السياسى ونزوعه إلى إهانتهم علنا فى اجتماعات الحزب والحكومة .

وخلص فى النهاية إلى أن حكم « خروشوف » كان مجموعة من الأخطاء المحزنة وكان لابد من وضع حد لها .

وعاد « عبد الحكيم عامر » بعد أسبوع فى موسكو وقدم تقريره عما رأى وسمع لـ « جمال عبد الناصر » . وكان « جمال عبد الناصر » أقرب مما يتصور إلى الحقيقة حينما كان أول تعليق له بعد أن أصغى طويلا لـ « عبد الحكيم عامر » :(٦)

ـ « إن هذا معناه ببساطة أن التجربة السوفيتية لم تكن على صواب قط فى أى مرحلة من مراحلها ومنذ بدأت الثورة .

ستالين حكم قرابة خمسة وعشرين سنة ، ثم ظهر فى تقرير خروشوف إلى المؤتمر العشرين أن حكم ستالين كان سلسلة من الجرائم المستمرة .

---

(٦) من المفارقات أن « جمال عبد الناصر » لم يكن وهو يبدى هذه الملاحظة يتصور أن تجربته فى مصر سوف تتعرض لظاهرة مماثلة رغم الاختلاف الهائل فى جميع الظروف والملابسات والنتائج . ويبدو أن تلك طبائع النظم فى البلاد التى لم يكتمل نموها الاجتماعى ، ثم تجد نفسها فى بعض مراحل تطورها معتمدة على رجل واحد يقف بمفرده أو على قمة تنظيم واحد . وعندما يغيب هذا الرجل الواحد لسبب أو آخر فإن من يخلفه يبحث عن شرعيته فى أسباب قصور سلفه ـ ناسيا إيجابياته ـ وهكذا يبدو الحاضر دائما نقيضا للماضى ، وتستمر العجلة فى الدوران تطحن وليس بالضرورة أن يتحول طحينها إلى خبز للناس !

والقيادة الجماعية التى جاءت بعد وفاة ستالين برئاسة مالنكوف استمرت سنتين ثم جرى الانقلاب عليها وقيل إنها كانت قيادة عاجزة .

ثم جاء خروشوف من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٦٤ ـ أى تسع سنوات ـ وها نحن نسمع أنها كانت فترة من الأخطاء المحزنة . »

كان تعليق « جمال عبد الناصر » إشارة إلى شكل الأزمة فى الاتحاد السوفيتى ، ولكن الأزمة نفسها كانت أكثر تعقيدا من أشخاص الزعماء الذين بلغوا القمة فى الكرملين ، وأكثر اتصالا عند جذورها بأسباب أوسع من أساليب هؤلاء الزعماء !

□

كانت الأزمة أكبر من « ستالين » ومن « مالنكوف » ومن « خروشوف »[٧] ، والواقع أنها كانت كامنة فى أعماق تطبيق « لينين » للماركسية فى روسيا بالذات ، عقب سقوط حكم القياصرة من « آل رومانوف » !

إن نظرية الشيوعية كما قدمها « ماركس » و « انجلز » ـ لم تكن فى فكر الاثنين مهيأة لروسيا بأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب العالمية الأولى . كان تحليل « ماركس » و « انجلز » أن الشيوعية تتحقق بعد الرأسمالية وليس قبلها وفى بلد صناعى تنمو فيه الطبقة العاملة وقيادتها (البروليتاريا) وتمارس دورها وليس فى مجتمع إقطاع زراعى ـ بالدرجة الأولى ـ لم يعرف الصناعة الكبيرة على نطاق واسع ولا تعاظم فيه حجم الطبقة العاملة القادرة على قيادة الثورة الشيوعية وفقا لقوانين الماركسية .

كان « ماركس » و « انجلز » يرشحان « ألمانيا » و « انجلترا » و « أمريكا » للحلم الشيوعى الممكن بعد مرحلة التصنيع ، ولكن « لينين » اختار فيما يبدو أن يستبق المراحل طالما أن حالة الثورة سادت فى روسيا (الحلقة الأضعف فى سلسلة الرأسمالية) بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى وسقوط القيصرية . وربما تنكر « لينين » قول « ماركس » المشهور إن « **الإنسان هو الذى يصنع تاريخه** » ، لكنه تناسى باقى القول الذى ألحق به « ماركس » هذه العبارة كشرط لازم لنفاذ فعلها ، وهو إضافته بأن « **ذلك يحدث فى إطار الواقع المادى والموضوعى المحيط بالإنسان وهو يصنع تاريخه** » . ولعل الحالة الثورية التى وجد « لينين » نفسه وسطها عند وصوله فى قطار ألمانى إلى « سان بترسبورج » عاصمة روسيا

---

(٧) ولعلها أكبر أيضا من « جورباتشوف » الذى يحاول الآن أن يتصدى لها !

جعلته يتخيل أن « **الإنسان يستطيع صنع تاريخه ولو بالقفز فوق الواقع المادى والموضوعى** » ، ومن المحتمل أن أحلامه وصلت به إلى ظن أن « **المثقف الثورى** » يستطيع أن يحل محل الطبقة العاملة وينوب عنها ويعوض بالتزامه غيابها ، وربما من هنا أن أغلبية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى جاءت - مثل « لينين » نفسه - من صفوف المثقفين الثوريين ، بينما كانت الأقلية من العمال والفلاحين .

كانت تلك بذرة الأزمة الأولى بمعايير التحليل الماركسى نفسه . ثم أضيفت إليها بذرة أزمة ثانية حينما مات « لينين » وخلفه « ستالين » الذى أعطى لنفسه - بقوة الضرورات - مهمة بناء الصناعة فى الاتحاد السوفيتى بادئا بالصناعة الثقيلة والكهرباء والزراعة الجماعية . ولم يكن ممكنا بالطبع بناء الصناعات الثقيلة وكهربة الاتحاد السوفيتى وفرض الزراعة الجماعية بجهود المثقفين حتى وإن كانوا من الثوريين ، وإنما كانت هذه المهام كلها فى حاجة إلى الأجهزة الإدارية ، ولأن هذه الأجهزة الإدارية بدأت تعمل وفق خطط حديدية فقد أصبح عملها إصدار الأوامر من أعلى وفرض الطاعة على كل المستويات ولو حتى إلى درجة القهر والإرهاب - وهكذا حدث ما حدث فى عصر « ستالين » مما وصفه « خروشوف » بعد ذلك فى تقريره إلى المؤتمر العشرين (سنة ١٩٥٦) وعلق عليه بقوله : « **على فرض أن ستالين كان يريد للناس أن يدخلوا إلى جنته الموعودة فإن أحدا ليس له أن يسوق الناس إلى الجنة بالعصا** » !

من محصلة هذا كله : أن مثقفى الحزب نابوا عن الطبقة العاملة واختلفوا فيما بينهم كعادة المثقفين على تفسير الأهداف والوسائل ، ومضت جماعات منهم تصفى جماعات . ثم أن الجهاز الحكومى ناب عن الحزب ، فقد كان هذا الجهاز هو الذى يضع الخطط ويقوم أيضا على تنفيذها . ثم إن الإنسان السوفيتى لم يصنع تاريخه وإنما سيق إليه بالعصا .

ومع ذلك فمن الإنصاف أن يقال إن « ستالين » قام بالفعل ببناء قاعدة ضخمة للقوة المادية فى الاتحاد السوفيتى ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فدمرت جزءا كبيرا من هذه القاعدة ، وعاد « ستالين » بعد الحرب يعيد بناءها بتكلفة إنسانية باهظة .

وحين جاء « خروشوف » إلى السلطة فقد حاول أن يستعيد للتجربة روحها متصورا أن توفر القاعدة المادية الضخمة التى بناها « ستالين » يمكن أن يحقق له الشرط الغائب الذى أفلت من « لينين » . وفى حماسة المحاولة أطلق « خروشوف » عبارته الشهيرة عن « اللحاق بالغرب وتجاوزه فى كل مجالات الإنتاج » ، وأضاف إليها كلمته التى ظلت تطارده طويلا عن « أن الشيوعية سوف تدفن الرأسمالية قبل مرور عشرين سنة » !

كان « خروشوف » يحمل كل طبائع الفلاح وتفاؤله بـ « **المحصول القادم** » ، وعندما وصل إلى القمة فى الاتحاد السوفيتى وتعرف على إمكانيات القوة المتاحة له أخذته النشوة لبعض الوقت وتصور أن الأحلام ليست بعيدة عن التحقيق .

□

وكانت الدولة السوفيتية نموذجا نادرا فى التاريخ ، فإن البلد القيصرى الذى ورثته الثورة الشيوعية كان امبراطورية توسعت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى ضمت شعوبا وقوميات وأديانا متعددة . وكانت أنحاء هذه الامبراطورية الشاسعة كلها متصلة بالمركز الامبراطورى ومن حوله ، وبالتالى فقد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الوطن ، وهكذا فإن الحلم لم يكن ينتظر التحقيق فى روسيا البيضاء وحدها ، وانما وصل انتظاره بعدها إلى أوكرانيا وبعد أوكرانيا إلى القوقاز وبعد القوقاز يمتد الانتظار فى اتجاه الشرق حتى سيبيريا . والمشكلة فى الأحلام أنها تستعيد الأمل . واستعادة الأمل فاتحة شهية ، وراحت المطالب تسبق الإمكانيات . وفى حديث مع « خروشوف » فى مكتبه فى اللجنة المركزية سنة ١٩٥٧[٨] قال « خروشوف » : « **عندنا أزمة إسكان .. الناس جميعا يطالبون بمساكن جديدة . وأمامنا مهمة أن نبنى خمسة وثلاثين مليون مسكن لكى نجعل مستوى الإسكان لائقا فى الاتحاد السوفيتى** » . **ولم تكن الآمال مقصورة على الإسكان بل تعدته إلى تحقيق « الهوية » للشعوب والقوميات والأديان الداخلة فى نطاق الامبراطورية السوفيتية . والبحث عن « الهوية » زلزال فى المجتمعات ، فكل البشر (والحيوانات أيضا) يولدون وهم ينطقون بصوت ، وعندما يتحرك اللسان ويتحول الصوت إلى كلام يبدأ ظهور « الهوية » باللغة . وعندما يزداد عرض الكلام وعمقه بحيث يعكس التجربة المشتركة للجماعة تنجلى الثقافة وتتحدد « الهوية » بطريقة كاملة وتبدأ الحركة من أجل التمايز وتأكيد الذات ، وتحدث هزات الزلزال للامبراطوريات .**

ولم يكن « خروشوف » مستعدا .

فالامبراطورية التى كان مسؤولا عنها كانت ـ كما سبق القول ـ نموذجا نادرا فى التاريخ ، لأن أى امبراطورية سابقة أو لاحقة كان فى استطاعتها أن تتخلى عن الأطراف بعضها أو حتى كلها إذا زادت الخسائر عن الأرباح . فالامبراطورية فى النهاية عملية استغلال لها حساباتها . وعلى سبيل المثال فإن بريطانيا كانت تستطيع أن تتخلى عن الهند ـ

---

(٨) مقابلة أجراها محمد حسنين هيكل مع الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ .

درة الامبراطورية - ومع ذلك يبقى « الوطن البريطانى » سليما متماسكا - كذلك بنفس المعيار كانت فرنسا تستطيع أن تتخلى عن شمال أفريقيا كله وتظل فرنسا هى فرنسا . وكانت هولندا تستطيع أن تتخلى عن أفريقيا كله وتظل فرنسا هى فرنسا . وكانت هولندا تستطيع أن تتخلى عن اندونيسيا ومع ذلك تواصل هولندا حياتها ودورها . **لكنه فى حالة الامبراطورية الروسية كان الأمر أشد اختلافا ، فقد تحولت الامبراطورية إلى « وطن » ملتف حول مركزه - وبالتالى فإن التخلى عن « كازاخستان » أو « أذربيجان » فى الجنوب ، و « استونيا » أو « ليتوانيا » فى الشمال ، و « سيبيريا » فى الشرق - لم يكن - إذا جرى - عملية انسحاب امبراطورى وإنما عملية تمزيق « وطن » !**

وتفاعلت مشكلة آمال المستقبل مع مشكلة الهوية التاريخية لوحدات الامبراطورية التى تنبهت واستيقظت تبحث عن نفسها بعد سنوات طويلة ضغطتها فيها قوة الدولة القادرة والعقيدة المسيطرة ، وتبين فى النهاية أنه لا الدولة القادرة ولا العقيدة المسيطرة استطاعت تذويب وصهر الخصائص الذاتية للهوية الإنسانية لكل هذه الوحدات .

ولم يكن هناك بديل إلاّ الدعوة إلى الصبر أو العودة إلى القمع ، وكلاهما كان قد استنفد مخازنه واحتياطياته !

□

ومن ناحية ثانية كان المعسكر (الكتلة) يتعرض لانفكاك روابطه باختلاف الاتجاهات وتباين مصالح الدول خصوصا بعد أن تأكدت استحالة الحرب .

فقد اختار « تيتو » على سبيل المثال طريقا آخر إلى الشيوعية . وكذلك فعلت الصين بمنطق أن ظروفها التاريخية مختلفة لأن ثورتها كانت ثورة فلاحين . ثم توصل الحزب الشيوعى الإيطالى تحت قيادة زعماء مجددين من طراز « جرامشى » إلى « تولياتى » إلى « برلنجوير » لاجتهادات تتسق مع واقع وجود إيطالياً فى إطار معسكر الغرب بل وعضوية حلف الأطلنطى .

ووصل « برلنجوير » زعيم الحزب الشيوعى الإيطالى فى زمن المتغيرات الكبرى إلى مقولات أشد جرأة مما هو قابل للتصديق . فعدا صيحة « تولياتى » التى وردت فى « وصيته » الشهيرة عن المساواة بين الأحزاب الشيوعية وفتح باب الاجتهاد لتجديد العقائد - فإن « برلنجوير » دفع بالمسائل خطوة أو خطوات أبعد حين رسخ « الصفقة التاريخية » مع اليمين الحاكم فى إيطاليا ، وحين تنازل عن فكرة الوصول إلى الحكم بالثورة وقبل الانخراط فى قواعد اللعبة البرلمانية ملتزما بشروطها ، وحين رضى طوعيا بعدم المطالبة بالاشتراك

فى حكم إيطاليا رغم كل ما لحزبه من أعضاء فى مجلس النواب الإيطالى حتى يتجنب إثارة الولايات المتحدة أو استثارتها ، **بل ومضى إلى أبعد من ذلك فأعلن أن الحزب الشيوعى الإيطالى لا يرى تناقضا بين أفكاره وبين بقاء إيطاليا عضوا فى حلف الأطلنطى أو شريكا فى السوق الأوروبية .**

وهكذا كانت كتلة الداخل فى الامبراطورية الروسية تتشقق . ثم أن كتلة المعسكر الشيوعى مضت بعد ذلك تتفكك .

ومرة ثانية لمَ يكن خروشوف مستعدا .

ومع ذلك فإن « خروشوف » لم يكتف بمحاولة أن يستعيد للتجربة روحها فى موطنها وإنما تحرك إلى أبعد فحاول أن يعرضها على العالم بجاذبية جديدة . وفى هذا الوقت من الخمسينات كانت حركة الثورة الوطنية - وخصوصا حركة القومية العربية فى الشرق الأوسط القريبة من حدود الاتحاد السوفيتى - تهز أركان الامبراطوريات الاستعمارية القديمة وتتمرد على سلطان الامبراطورية الأمريكية الجديدة . ووجد « خروشوف » إلى جانبه مفكرا سياسيا وضعه « ستالين » فى السجن وهو « أوليانوفسكى » الذى طرح رأيا جديدا عن الدول المستقلة حديثا ناقض فيه رأى « ستالين » .

كان رأى « ستالين » فى هذه الدول المستقلة حديثا : « **من ليس معنا فهو مع الامبريالية** »(٩) .

وكان رأى « أوليانوفسكى » فى مناقضة « ستالين » أن « **من لا يقف مع الامبريالية فسوف يجد نفسه معنا ، أو أنه سيجد أرضية مشتركة يقف فيها معنا** » .

وخرج « خروشوف » إلى العالم الواسع من أكبر الأبواب . ويقول تقرير رسمى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية(١٠) أنه ابتداء من منتصف الخمسينات ولمدة ٢٣ سنة بعدها قدم الاتحاد السوفيتى مساعدات أو اتفاقيات بمساعدات اقتصادية وعسكرية لثمان وستين دولة من الدول النامية يبلغ حجمها ثلاثة وثلاثين بليون دولار . وفى هذه الفترة قام الاتحاد السوفيتى بتعليم خمسين

---

(٩) كان ذلك نفس قول « دالاس » من المنظور الآخر الأمريكى . وكانت تلك دعواه فى وصف موقف عدم الانحياز بأنه « موقف غير أخلاقى » !

(١٠) تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية رقم ١٠٢٧٨/٧٧/٢٢ م ، وقد أفرج عنه بمقتضى قانون حرية المعلومات فى شهر سبتمبر ١٩٨٧ .

ألف طالب من هذه الدول ، كما قام بتدريب سبعة وستين ألف فرد من العسكريين والمدنيين .

ولم يكن الاتحاد السوفيتى قادرا على تحمل هذا الاستنزاف إلى ما لا نهاية مع ملاحظة أن هذه الدول الكثيرة العدد فى العالم الثالث كانت بمواريثها الثقافية أقرب إلى الغرب ، وكانت بمزاجها الوطنى مفرطة فى الحرص على استقلالها حتى عند أبسط المظاهر .

وبدت التكاليف أكثر من النتائج .

□

زاد على ذلك تطور خطير أضيف إلى الأزمة وزاد من تعقيداتها .

ففى هذه اللحظة من منتصف الستينات وحولها كانت الرأسمالية تقوم بأكبر انقلاب فى تاريخها وهو الانتقال من الثورة الصناعية الثانية إلى الثورة الصناعية الثالثة . كانت الثورة الصناعية الأولى ـ باختصار ـ هى البخار . وكانت الثورة الصناعية الثانية ـ باختصار أيضا ـ هى الكهرباء . وكانت الثورة الصناعية الثالثة ـ باختصار أشد ـ هى الاليكترونيات .

وكانت الثورة الصناعية الثالثة ـ وبحكم متغيرات الأزمنة ـ تحتاج إلى مناخ وإلى رؤى وإلى وسائل ليست متوافرة فى الاتحاد السوفيتى .

فمن ناحية كانت هذه الثورة تحتاج إلى حرية فى الفكر والمبادرة خارج القوالب التقليدية ، وربما ضدها . كذلك كانت ـ من ناحية ثانية ـ تحتاج إلى عناصر مستقلة تماما قادرة على الحركة عبر المحيطات والقارات . وأخيرا فإنها ـ من ناحية ثالثة ـ كانت تحتاج إلى استثمارات طائلة ومرنة لا تحكمها خطط مركزية متعسفة .

وكان ذلك كله متاحا فى الغرب ، فى الولايات المتحدة واليابان وأوروبا الغربية حيث الأفكار طليقة والمبادرة حرة ، وحيث العناصر المستقلة ممثلة فى الامبراطوريات الجديدة البازغة (**كامبراطورية البنوك وغيرها**) تعرف مكانها بالفعل على خريطة العالم ، وحيث فوائض الأموال سواء من التجارة العالمية أو من عوائد المواد الخام للعالم الثالث تصب وتتجمع .

ومن المفارقات اللافتة للنظر أنه فى الوقت الذى تزايدت فيه مساعدات الاتحاد السوفيتى للعالم العربى مثلا ـ فإن فوائض أموال البترول العربى لم تعرف طريقها على

الإطلاق إلى الاقتصاد السوفيتى . ومن الحق أن يقال إن الاقتصاد السوفيتى لم تكن لديه جاذبية المغناطيس لهذه الفوائض لا اجتماعيا ولا سياسيا ولا ماليا .

وهكذا توقف الاتحاد السوفيتى عند حد أن يكون قوة عظمى فى عصر الصناعة ، وأما فى عصر ما بعد الصناعة - الثورة الثالثة - فإنه راح يرقبه بمزيد من الحيرة وربما الحسد فى بعض الأحيان . ولقد ركز جهده فى هذا المجال على عنصر واحد بالذات وهو العنصر العسكرى الذى لم يكن يملك أن يتخلف فيه سواء فى الناحية النووية أو نواحى الصواريخ ، وأما فى نواحى الإنتاج المدنى فقد كان العجز ملحوظا . ووصل الاتحاد السوفيتى فى بعض الفترات إلى وضع لجأ فيه إلى « سرقة وتهريب » بعض منجزات التكنولوجيا الجديدة خصوصا فى مجال السلاح . ففى هذا المجال لم يكن الاتحاد السوفيتى قادرا على أن يتخلف مهما كان الثمن ، والواقع أن ما تسرب عن تقارير المخابرات السوفيتية «K.G.B.» يظهر بوضوح أن الجزء الأكبر من العمل السرى لهذا الجهاز فى تلك الفترة كان مركزا على التكنولوجيا والجانب العسكرى منها بالتحديد .

ولقد كان الإحساس بالخطر التكنولوجى كبيرا حتى فى مجال « النظرية » ، ذلك أن الماركسية تعتمد فى أحد تحليلاتها الرئيسية على صراع بين الفقراء والأغنياء ، وبين الضعفاء والأقوياء على ندرة فى السلع لا تقدر على إشباع شهوات الجميع . ولكن التكنولوجيا الجديدة بدت قادرة على إلغاء ندرة السلع بدون حاجة للاستغلال بمعناه التقليدى ، فوسائل الإنتاج فى الثورة الصناعية الثالثة أحدثت وفرة لم تخطر ببال أحد ، كما أن مظان الاستغلال فى علاقات الإنتاج معها أصبحت فى حاجة إلى اجتهادات مختلفة عما قال به « ماركس » و « انجلز » و « لينين » !

كانت هذه المتغيرات تحدث حالة أشبه ما تكون بحالة الدوار فى بعض الأحيان . كل هذا وضغوط الامبراطورية المتشققة تتزايد ، وضغوط المعسكر الذى يتفكك تتزايد ، وضغوط المؤسسة العسكرية تتزايد هى الأخرى ولديها دواعى ذلك من أمن الامبراطورية وحماية الكتلة . وكان مطلب المؤسسة العسكرية هو قبول سباق السلاح إلى نهايته ، ومعنى ذلك ببساطة أنه الدوران حول النفس فى دائرة مغلقة لا يبدو منها مخرج أو حل ، فكل المخارج والحلول تنطوى على مخاطر فادحة فى الأمن على المدى القريب والبعيد ، وليس هناك من يقدر على تحمل المسؤولية .

كان « ستالين » قد قاد الاتحاد السوفيتى إلى عصر بناء الصناعة الثقيلة ، واستطاع « خروشوف » أن يسير بالاتحاد السوفيتى فى عصر الثورة الصناعية الثانية إلى مداه ، **وعندما وصل إلى مشارف الثورة الصناعية الثالثة وقفت الحقائق الموضوعية أمامه عائقا ومانعا ، فقد كان التحدى يقتضى تغييرات لا حدود لها فى البنية النفسية والفكرية والاجتماعية والسياسية لبلاده .**

وكانت تلك الاعتبارات والعوامل كلها هى أزمة الاتحاد السوفيتى فى صميمها . ومنها تفرعت أزمة « نيكيتا خروشوف » . رجل بلغ السبعين ، وحاصرته التناقضات ، وحذر واحتج وثار ، لكنه فى النهاية رفع يده فى اجتماع اللجنة المركزية موافقا معها بالإجماع على تنحية نفسه ، وعلى الخروج من الضوء إلى الظل وربما الظلام !

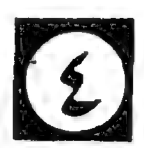

وليس مؤكدا أن الصورة على هذا النحو كانت واضحة ـ ذلك الوقت ـ فى القاهرة ومفهومة . وكان ذلك صعبا ـ على أى حال ـ بالنظر إلى واقع وملابسات عملية تأسيس العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى .

كانت العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى منذ اليوم الأول علاقة اضطرار وليست علاقة اختيار . فإن مصر لم تتجه إلى الاتحاد السوفيتى إلاّ بعد أن أصابها اليأس من الولايات المتحدة . ولم يكن ذلك مستغربا ، فإن الفكر السياسى لمصر وبقية العالم العربى ومعظم العالم الثالث ـ كان أقرب إلى الغرب ثقافيا واجتماعيا على الأقل بحكم اللغة ، فقد كان عدد الذين يعرفون اللغة الروسية ـ فضلا عن الآداب والفنون ـ أقل من القليل فى مصر وغيرها . ولم يكن هناك من يعرف ما فيه الكفاية عن التركيبة الاجتماعية أو السياسية لهذا البلد الضخم ـ إحدى القوتين الأعظم ـ الذى أقبل مترددا على التعامل مع العالم الثالث وفى مقدمته مصر .

وكانت المعرفة السائدة عن الاتحاد السوفيتى فى كل هذه البلدان انطباعية فى معظمها[١١] إن لم تكن مسطحة : بلد شيوعى ـ حزب واحد مسيطر ـ زعيم واحد فوق البلد

---

(١١) لم يكن العالم العربى قبل سنة ١٩٥٥ يعرف عن الاتحاد السوفيتى مباشرة ، وكان كل ما يصل إليه هو ما تنقله وسائل الإعلام الغربى .

والحزب ـ « ستالين » أو « خروشوف » أو « بريجنيف » فيما بعد ـ أما البلد نفسه فهو مجهول كبير . وأما الحزب فهو سر مغلق . وأما الرجل الواحد فهو ديكتاتور قادر على كل شيء .

وكان الظن أن هذا الرجل الواحد يعمل بعيدا عن أى مؤثرات أخرى مما تصنعه التعددية الحزبية أو مواقع النفوذ أو جماعات الضغط ، ومن سوء الحظ أن ظواهر الأمور فى الاتحاد السوفيتى كانت تساعد على الترويج لهذا الانطباع .

وبالتالى فإن الاهتمام بالاتحاد السوفيتى فى مصر ـ وغيرها ـ كان مقصورا على مركز واحد يحتله رجل واحد أو مجموعة رجال من أعضاء المكتب السياسى وغيرهم لا يوجد أحد ، دون أن يفكر أحد فى النفاذ إلى مؤسسات أخرى مثل الحزب ولجنته المركزية ، ومثل الأكاديميات والجامعات ، إلى آخره !

ولقد تضاعفت خطورة هذه النظرة المسطحة إلى الاتحاد السوفيتى عندما بدأ التعامل الفعلى معه ـ بالاضطرار وليس بالاختيار ـ فإذا الدول المقبلة على التعاون مع الاتحاد السوفيتى تواجه بيروقراطية لا تقل تخلفا عن البيروقراطية التى تعرفها فى بلادها .

وبالطبع فإن الغربة الثقافية بما فيها حواجز اللغة جعلت الحوار يجرى تبادلا للشعارات أكثر مما يجرى تبادلا للأفكار .

ومن ناحيته فإن الاتحاد السوفيتى لم يستطع تقدير « الحالة النفسية » التى خرجت بها شعوب العالم الثالث ودوله إلى مرحلة الاستقلال ، فلم يدرك دور الدين فيها ، ولا فهم حقيقة الاختراق الفكرى الغربى لها ، ولا حلل قوة الجذب الكامنة داخل المشروع الرأسمالى الغربى بالنسبة لهذه الدول ولو حتى بسحر الدعاية والإعلان فى عصر خطفته ثورة اتصالات ساقت الكل كالقطيع أمامها !

ثم أضيف إلى ذلك أن الفارق فى القوة والحجم بين الطرفين صنع ـ وكان لابد له أن يصنع ـ قدرا كبيرا من الحساسية فى التعامل بين الاتحاد السوفيتى ودول العالم الثالث وفى مقدمتها مصر . ومع ذلك فقد كان التعامل على مستوى القمة هو الحل الذى طرح نفسه ـ وأما تحت القمم فلم يكن هناك شيء يمكن الاعتماد عليه لتأسيس علاقات وثيقة وصحية بين الطرفين . فقد كان سهلا أن يقف « جمال عبد الناصر » و « نهرو » و « سوكارنو » وغيرهم على قدم المساواة مع « خروشوف » و « كوسيجين » و

« بريجنيف » ، ثم يسود الظن بأن ذلك وحده كاف ، وينسى الجميع أن أهداف العلاقات بين الدول قد يمكن تحديدها على مستوى القمم ، وأما تنفيذ هذه الأهداف فإنه موكول بما هو تحت هذه القمم وبعيدا عنها .

□

ولم يكن غريبا - وهذا هو الحال - أن يكون شاغل مصر وقيادتها بعد سقوط « خروشوف » هو أن تبحث عن البديل أو البدائل . الخليفة أو الخلفاء . ثم أن يكون شاغل موسكو فى نفس الوقت هو طمأنه مصر إلى أن شيئا لم يتغير ، وكله سوف يظل كما كان وأفضل !

وكان النهج التقليدى المتبع للعلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وهو البحث عن صلات مباشرة على مستوى القمة الجديدة فى الكرملين - مازال هو المسيطر . ولعلهم فى موسكو كانوا يفكرون بنفس الأسلوب ، وهكذا طرحت فكرة زيارة يقوم بها « جمال عبد الناصر » إلى الاتحاد السوفيتى ردا على زيارة رئيس الوزراء السوفيتى (« نيكيتا خروشوف ») لمصر فى مايو ١٩٦٤ .

وتحققت هذه الزيارة أخيرا فى أغسطس سنة ١٩٦٥ . ويلفت النظر أن أهم بند فى برنامج هذه الزيارة كان عطلة نهاية أسبوع يقضيها « جمال عبد الناصر » ومعه عدد من أعضاء الوفد المصرى[١٢] ، مع القيادة السوفيتية الجديدة فى بيت ريفى هو فيللا « زافيدوفا » على بعد حوالى ستين ميلا من موسكو .

كانت هناك فسحة يومين كاملين تقضيهما القيادة - من الناحيتين - بعيدا عن كل الرسميات فى ضرب بط وصيد سمك ومناقشات مفتوحة وحرة تعطى للطرفين فرصة لتوثيق العلاقات الشخصية بينهما .

وإلى حد كبير فإن الزيارة استطاعت تحقيق هدفها ، فقد سمع الوفد المصرى قصصا وحكايات طويلة شارك فيها الجميع .

تحدث « ميكويان » بعد العشاء مرة عن اليوم الأخير لـ « ستالين » ، ثم روى كيف أن « لينين » فى وصيته وهو يحس بالنهاية تقترب منه طلب من الحزب أن يختار رجلا آخر لخلافته فيه مزايا « ستالين » وليست له عيوبه !

---

(١٢) كان لى الحظ أن أكون واحدا منهم .

عبد الناصر يصافح ميكويان بينما وقف بريجنيف فى يسار الصورة .

وروى « بريجنيف » نوادر بلا نهاية عن « خروشوف » وكيف كان يتصرف هو وأقاربه وكأن السلطة فى الإتحاد السوفيتى مسؤولية عائلية !

وتحدث « كوسيجين » عن افتتان بعض القادة السوفيت بأية أفكار جديدة تطرح عليهم ، حتى أن أستاذا فى الاقتصاد هو الأستاذ « ليبرمان » كاد يقنعهم بتبنى نظرية السوق والربح باعتبارها الطريق الوحيد إلى التنمية !

وفى نهاية الزيارة الرسمية قام « كوسيجين » بإبلاغ « جمال عبد الناصر » بأن الحزب والحكومة وافقا على طلبات التسليح التى سبق أن تقدم بها المشير « عبد الحكيم عامر » أثناء زيارته لموسكو فى شهر نوفمبر الماضى ! وزاد على ذلك أيضا أن الاتحاد السوفيتى تنازل عن خمسمائة مليون روبل من ديون مصر للاتحاد السوفيتى تقديرا للأعباء التى تتحملها مصر فى دعم حركة التحرر الوطنى .

وبعد انتهاء الزيارة ، وفى الطائرة التى أقلت « جمال عبد الناصر » خارجة من الأجواء السوفيتية ، كان شاغله سؤال عدد من أعضاء الوفد المصرى عن انطباعاتهم .

وكان الدكتور « محمود فوزى » هو الذى دعى للكلام أولا ، وقد لخص رأيه فى عدة نقاط عرضها بأسلوبه الخاص وطريقته المتميزة على النحو التالى :(١٣)

١ ـ إنه يخشى أن المتغيرات التى تجرى فى العالم لا تكفى فى مواجهتها النصوص المقدسة للنظرية كما أحس من خلال ما سمعه من القادة السوفيت ، وبالتالى فإن هذه القيادة مطالبة بعملية تجديد تتعدى بكثير ما أحس أنهم يفكرون فيه .

٢ ـ إنه لا يعتقد بإمكانية القيادة الجماعية « التى رأيناها بين بريجنيف وكوسيجين وبادجورنى ، وإنه يظهر أن القيادة الجماعية هى مجرد فاصل مؤقت بين أدوار رجال أقوياء » .

٣ ـ إنه لا بد أن يظهر فى وقت ليس ببعيد رجل واحد من بين الثلاثة الذين رأيناهم ، « فكل قارب لابد له من قبطان » .

٤ ـ إنه يشعر أن القيادة السوفيتية الجديدة مقبلة فى المرحلة القادمة على سياسة يدخل فيها عنصر حساب التكاليف بأكثر مما كان مرعيا أيام « خروشوف » .

٥ ـ إن القوى المسيطرة فى الغرب سوف تضغط على القيادة الجديدة باستفزازات تعرضها لاختبارات قاسية ، وربما كان ذلك محتملا أكثر فى العالم الثالث . « وكل أملى أن لا يقع هذا الاستفزاز ـ إذا جاء ـ عندنا فى العالم العربى » .

وكان « جمال عبد الناصر » يسمع باهتمام .

□

وكانت القاهرة ما زالت تطلب مزيدا من توثيق العلاقات مع القمة فى الاتحاد السوفيتى ، وربما كانت موسكو تريد ذلك أيضا ، فقد كانت هناك قضايا كثيرة تحتاج إلى بحث ، وأسئلة معلقة تحتاج إلى إجابات محددة ، خصوصا وأن التطورات فى سوريا راحت تدفع إلى المقدمة بمجموعات متطرفة بوضوح فى جنوحها إلى اليسار ، وترددت من موسكو أصداء أصوات تستحسن الموقف « الواضح » الذى اتخذته دمشق .

---

(١٣) مجموعة أوراق محمد حسنين هيكل ـ مذكرة مكتوبة يوم الأربعاء أول سبتمبر ١٩٦٥ .

وهكذا جرى ترتيب زيارة يقوم بها رئيس الوزراء « أليكسى كوسيجين » إلى مصر .

كانت العلاقات على مستوى القمم ما زالت مطلبا رئيسيا ، **وربما من هنا كان أهم بند فى زيارة « كوسيجين » عندما جاء إلى القاهرة هو لقاء حر ومفتوح ، بعيدا عن كل الرسميات ، حيث يقوم الجانبان المصرى والسوفيتى برحلة بحرية على الباخرة « الحرية » من الاسكندرية إلى بورسعيد . وعلى أمواج البحر ومع هوائه النقى تدور الأحاديث طليقة من غير قيود .**

وفى هذا اللقاء كان أول ما طرحه « جمال عبد الناصر » هو الحديث عن شكل العلاقات بين البلدين فى مرحلة دقيقة ، وانتقل إلى أهمية اللقاءات بين البلدين تحت مستوى القمة وبأوسع من ذروتها . ثم قال لـ « كوسيجين » بلا مواربة إن « **الأزمة التى نشأت بعد تغيير القيادة السوفيتية فى الخريف الماضى ، كان سببها بوضوح** « **أن خروشوف كان الرجل الوحيد الذى عرفناه وتحدثنا فى كل شىء معه** » . ثم أضاف « **إن مستوى العلاقات بين البلدين يستحق درجة أكثر من العمق والاتساع ، وإن هذا لن يتأتى إلاّ إذا استطاعت مستويات مختلفة فى العمل السياسى والتنفيذى أن تلتقى بالمستويات المقابلة لها على الناحية الأخرى حتى تتسع دائرة الحوار وتتعدد جسور الاتصال** » . وكان « كوسيجين » من جانبه متحمسا .

وحين عاد « كوسيجين » إلى موسكو بعث إلى « جمال عبد الناصر » برسالة حارة[١٤] عن الصدى الذى وجده حين قدم تقريرا عن زيارته لمصر فى اجتماع للجنة المركزية . وكانت الرسالة ودية إلى الحد الذى دعا السفير المصرى فى موسكو إلى ترجمتها للعربية بنفسه . ثم كانت الرسالة ذات فائدة عملية أيضا لأنها حملت فى سطورها موافقة اللجنة المركزية على تأجيل أقساط قرض التسليح المستحقة للاتحاد السوفيتى على مصر لعشر سنوات قادمة حتى تستطيع مصر تركيز مواردها بالكامل على مهام التنمية .

وتلقى « كوسيجين » ردا على رسالته . وكان هذا الرد بدوره وديا إلى أبعد درجة[١٥] . وكتب السفير المصرى فى موسكو رسالة شخصية إلى مكتب الرئيس فى

---

(١٤) أصل الرسالة موجود فى أرشيف منشية البكرى وقد نقل إلى قصر عابدين ، وهذه الرسالة محفوظة فى الملف رقم س/٣٠/٢٥ ، ونصها مع صورة منها منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١)

(١٥) أصل هذه الرسالة كان موجودا فى أرشيف منشية البكرى ونقل إلى قصر عابدين ، وكانت هذه الرسالة فى نفس الملف مع رسالة « كوسيجين » ورقمه س/٣٠/٢٥ . ونصها مع صورة منها منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢)

القاهرة تحدث فيها باستفاضة عن « أجواء » موسكو الزاخرة بعواطف التقدير والإعجاب[١٦] .

□

ولشهور متصلة من سنة ١٩٦٦ ، بدت القاهرة راضية عن علاقاتها مع موسكو ، فقد تم اجتياز اختبار مفاجىء (سقوط « خروشوف ») بطريقة طيبة ونتائج أطيب - فى عصر حافل بالمتغيرات والمستجدات .

كانت القاهرة تتابع ما يجرى فى موسكو وفى ظنها - كما يظهر من مسار العلاقات بين البلدين - أن قيادة جديدة جماعية تقود الاتحاد السوفيتى بهمة ونشاط ، وتدير علاقاته مع العالم - بما فيه مصر - بكفاءة واقتدار .

كان نجم « بريجنيف » يعلو يوما بعد يوم بما بدا معه أن نبوءة الدكتور « محمود فوزى » عن ضرورة ظهور « **قبطان لكل قارب** » - تؤكد نفسها . فقد برز « بريجنيف » درجة على الأقل فوق « كوسيجين » و « بادجورنى » وإن ظل طابع القيادة جماعيا . وكان « ميكويان » ما زال ظاهرا فى الصورة وإن تنازل عن رئاسة الدولة لـ « بادجورنى » . وكان « جروميكو » لا يزال وزيرا للخارجية . وكان الماريشال « مالينوفسكى » على وشك أن يسلم وزارة الدفاع للماريشال « جريتشكو » (رئيس هيئة أركان الحرب) . **وكانت هناك ثلاثة نجوم تصعد بسرعة فى سماء الكرملين : « شليبين » و « مازاروف » و« أندروبوف »** ، **وكانت القاهرة قد عرفتهم جميعا على نحو أو آخر وتابعت نشاط كل واحد منهم عن كثب وباهتمام .**

ورغم كل عوامل الاطمئنان الظاهر فقد بدا على نحو أو آخر أن اندفاع القيادة الجديدة ينفّس بخاره يوما بعد يوم ، ومع التنفيس تتباطأ الحركة . وكان لابد للكل أن يدركوا أن الأزمة أعمق من مجرد تغيير فى الأساليب ، ومن مجرد تغيير فى الوجوه ، ومن مجرد نمط فى القيادة ينقل سلطاتها من رجل واحد إلى ثلاثة رجال أو حتى إلى عشرة !

وكانت أزمات الاتحاد السوفيتى - التى دعت « خروشوف » لأن يصوت ضد نفسه - فى حاجة إلى حلول من عند الأساس . لكن المعضلة أن البحث عند الأساس كان قادرا على

---

(١٦) صورة من رسالة السفير المصرى فى موسكو موجهة إلى سكرتير الرئيس للمعلومات وقد كتبها السفير بخط يده ، ونصها مع صورة منها منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣)

هز البناء كله ، وهى مسؤولية لا يجرؤ عليها أحد فى بلد يقوم فيه النظام على أساس عقائد تبدو شبه مقدسة[١٧] .

☐

كان الاتحاد السوفيتى عارفا بالمتغيرات والمستجدات التى تجرى فى العالم من ناحية فكرية وسياسية ، لكنه من ناحية عملية وتطبيقية بدا حائرا فى استقبالها . وربما كان غريبا أن تتحول دولة الثورة الكبرى إلى قوة صد محافظة بالتردد العقائدى والثقل البيروقراطى . ولقد كان الاتحاد السوفيتى على وجه اليقين يرى تأثير المتغيرات والمستجدات ويرصد ما انتهت إليه من نظريات العمل المباشر ويفهمها ، فالروسى لاعب شطرنج ممتاز لكن الجمود الفكرى والإدارى حدد مجال حركته . كان « الملك » (زعيم الحزب) يتحرك وحده خطوة خطوة ، وأما « الطوابى » و « الأفيلة » و « الأحصنة » و« البيادق » فإنها فى الغالب الأعم تلزم مربعاتها وتخشى الخروج منها لأن الخروج مسؤولية تحتاج إلى حرية .

ولعل الاتحاد السوفيتى تصور بعد ذلك أن القلاقل التى حدثت وتحدث نتيجة لنظريات العمل المباشر إضافات محتملة إلى أرصدته . فتيارات الاحتجاج بين الشباب والزنوج والأجناس والقوميات والأعراق فى أمريكا وفى أوروبا الغربية ، والقوة المتزايدة للنقابات العمالية فى بريطانيا ، وتمرد السوق الأوروبية على الهيمنة الأمريكية ، وتوجه ألمانيا الظاهر إلى الشرق ، وصيحات التمرد الصادرة من العالم الثالث - كلها روافد سوف تصب لحسابه فى النهاية .

وكان لمسؤول الشؤون العقائدية فى الحزب الشيوعى السوفيتى - « ميخائيل سوسلوف » منطق يقول « إن هذا الخروج على نطاق واسع فى الغرب على المؤسسات دليل على إفلاس الرأسمالية ، فحين تنفلت الجماهير من الأطر التى كان مفروضا أن تحتوى عملها وتنظمه ، فمعنى ذلك أن هذه المؤسسات متداعية إلى السقوط »[١٨] .

---

(١٧) لم يجرؤ أحد على هز البناء كله حتى اضطر جيل جديد من الحزب إلى ذلك اضطرارا حين وصل « ميخائيل جورباتشوف » إلى السلطة بعد عشرين سنة مما أسماه هو بنفسه فترة « الجمود العظيم » !

(١٨) حوار جرى بين « ميخائيل سوسلوف » و « محمد حسنين هيكل » فى مبنى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٤ .

ولم يكن « سوسلوف » فى هذا المنطق وحده وإنما تابعه كثيرون أخذتهم مقولة « **حركة التاريخ** » وظنوها قدرا لابد له أن يقع . وربما خطر لبعضهم أن الشيوعية فى أزمة ، لكنهم عللوا أنفسهم بأن أزمة الرأسمالية أشد ، وبالتالى فإن العواقب سوف تطول غيرهم قبل أن تصل إليهم . وكانت هناك طمأنينة مستغربة ساورتها الظنون أن حركات التمرد والاحتجاج فى الغرب واصلة لا محالة إلى الثورة ، **وحتى إذا كان ذلك صحيحا فقد كان فيه خلط بين فكرة الثورة - وهى ظاهرة متكررة فى التاريخ - وبين الماركسية - وهى نظرية واحدة فى محيط الثورة . وعلى أى حال فقد كان « سوسلوف » فى تلك الأيام دائم الترديد لعبارة أن « الماركسية هى حركة التاريخ نفسه يمشى واعيا بذاته » .**

ولم يكن ذلك دقيقا ، ففى تلك المرحلة بالتحديد كان التاريخ قد اختار أسلوبا آخر لحركته ، وهو أسلوب « العمل المباشر » الذى كان الاتحاد السوفيتى يبدى الرضا عن تأثيراته عند الآخرين ، غافلا عن تأثيراته عليه وعلى مزاج العالم .

وكانت سنة ١٩٦٧ تقترب فى حساب الشهور والأيام . وكان الطرف الصديق لمصر يعيش ويمارس دوره العالمى فى إطار أزمة أبسط ما يمكن أن يقال فيها أنها تحدد حركته .

كان الاتحاد السوفيتى فى تلك الفترة أشبه ما يكون بعملاق بدأ الشك يداخله فى حقائق قوته الفكرية والمادية وفى إمكانية تقدمه بحيوية المراجعة والتجديد ، وراحت الهواجس من الداخل تستبد به أصواتا متعارضة تتأرجح بالظنون وتعبر عن مواقع للرؤية مختلفة . فالحكومة تتكلم بلغة ، والحزب يتكلم بلغة ، والجيش له لغة أخرى - والقرار بين الثلاثة ينقصه التركيز - وكان الأمل الغيبى الذى يخدر أعصاب الكل هو « حتمية التاريخ » التى كان مرجوا منها أن تؤكد انتصار « القوى التقدمية » وتحقق نبوءات القرن التاسع عشر فى أخريات القرن العشرين - وبصرف النظر عن كل المتغيرات والمستجدات وما يترتب عليها ويتوالى بعدها !

الفصل الثالث

الحكومة الخفية

كانت مصر على حد تعبير « جمال عبد الناصر » تأمل لو كان في استطاعتها أن تحصل على صداقة الولايات المتحدة ، وفي نفس الوقت فقد كانت ترى صعوبة تحقيق هذا الأمل . وكان مطلبها التالى تحته أن تتمكن « من تثبيت موقف الولايات المتحدة حتى لا يسؤ بأكثر مما هو ضرورى » ، ولكن هذا المطلب بدوره بدا بعيدا ، فقد كانت الولايات المتحدة هى الأخرى فى أزمة وإن اختلفت فى نوعها عن أزمة الاتحاد السوفيتى . وفى حين أن الأزمة السوفيتية كانت « قيدا » ، فإن الأزمة الأمريكية كانت « انفلاتا » تخطى كل الحدود .

كانت « المرونة » هى الضرورة الأولى للعمل المباشر . وكانت « المرونة » ـ بما فيها عنصر القدرة على الاستجابة السريعة للمتغيرات ـ هى أبرز مظاهر الأزمة السوفيتية . ونتيجة لضياع هذا العنصر فإن الاتحاد السوفيتى وجد نفسه حبيس نفس الأساليب القديمة فى العمل المباشر : الدعاية الصريحة ، أو التستر وراء واجهات تطالب بأهداف إنسانية نبيلة كهدف السلام أو هدف التضامن مع الشعوب المقهورة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، أو تشجيع الأحزاب الشيوعية فى البلدان الأخرى سواء كان نشاطها مصرحا به أو محظورا بالقانون ـ فإذا لم ينجح هذا كله ـ ومعظمه بالفعل كان نجاحه محدودا ـ

فإن البديل الوحيد الباقى هو التدخل العسكرى السافر بالجيش الأحمر حيث يكون ذلك ممكنا ومأمونا ـ أى على حدوده فقط ! ـ كما حدث فى عديد من بلدان الكتلة الشرقية ، ثم تكرر بعد ذلك بطريقة فجة فى أفغانستان !

وأما الولايات المتحدة فقد كانت قصة أخرى مختلفة تماما فى ممارسة نظرية العمل المباشر . والحاصل أن التجربة الأمريكية من أساسها كانت هى « المرونة » ذاتها سائلة ومتدفقة . فهى أمة جديدة تتشكل من جماعات إنسانية مختلفة ومتنوعة هاجرت إلى العالم الجديد مصممة على أن تتحرر من كل المواريث والعقد التاريخية والقانونية وحتى الأخلاقية ، بدعوى أن المنفعة هى المصدر الأوحد للشرعية ، كما أن النجاح هو المعيار الأصلح لقياس الأفعال والتصرفات . وقد أثبت هذا المنطق فاعليته فى حركة استيطان أمريكا الشمالية ، وإنشاء الولايات المتحدة والاستقلال عن أوروبا ثم العودة إليها بعد استكمال عوامل القوة الضرورية أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وقد خرجت الولايات المتحدة من هذه الحرب الأخيرة وقد تحقق لها التفوق الكامل بلا منازع إلى درجة جعلت القرن العشرين ـ بالنفاذ والنفوذ فيه ـ قرنا أمريكيا .

ومن الضرورى ملاحظة أن الدولة ـ أى دولة ـ كانت دائما تملك الوسيلة الشرعية والقانونية للعمل المباشر ، وهى الحرب . فلما استحالت الحرب بحكم حقائق المستجدات والمتغيرات فى العالم ، وأصبح من اللازم إيجاد وسائل أخرى للعمل المباشر ـ لم تلبث الولايات المتحدة طويلا حتى أقلمت نفسها ـ بالمرونة ـ على أساليب من العمل المباشر راحت تطور نفسها بالتجارب العملية على الأرض مرحلة بعد مرحلة :

□ **كانت المرحلة الأولى** فى كوريا سنة ١٩٥٠ . وكان منطق الحرب لا يزال موجودا فى التفكير الأمريكى . وكان كل ما استطاعت الولايات المتحدة أن تتوصل إليه فى تطوير أساليب العمل المباشر هو أنها استغلت مظلة الأمم المتحدة فحصلت من هذه المنظمة الدولية بمقتضى مبدأ التجمع من أجل السلام ـ على قرار بإرسال قوات دولية لنجدة كوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية . ومع أن علم الأمم المتحدة كان هناك يرفرف على ميادين القتال فى كوريا ، ومع أنه كانت هناك ألوية وكتائب وفصائل من بلدان غير الولايات المتحدة قررت المشاركة فى الحرب طبقا لمبدأ التجمع من أجل السلام ـ فإن الأمر الواقع على الأرض جعلها حربا أمريكية بالجيوش والتمويل والضحايا ـ وكل شىء . وكان الثمن باهظا ، ووقعت المسؤولية فيه بالكامل على الرئيس الأمريكى وقتها « هارى ترومان » .

□ **وكانت المرحلة الثانية** أن « هارى ترومان » فى أواخر حكمه سنه ١٩٥١ ـ

أصدر قانون الأمن القومى الذى أنشئت بمقتضاه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لكى تصبح أكبر وأخطر أدوات السياسة الأمريكية فى تحقيق أهدافها فى أزمنة متغيرة .

وكان المنطق الذى قام عليه قانون الأمن القومى الأمريكى منطقا بسيطا يستلهم فكرة المنفعة كمصدر للشرعية والنجاح كمعيار لقياس التصرفات والأفعال ، بصرف النظر عن التاريخ والقانون والأخلاق !

كان المنطق يقوم على أن المستجدات والمتغيرات فى العالم لابد من مواجهتها بعمل مباشر . وهذا العمل المباشر يصعب عليه اعتماد الوسائل التقليدية فى التأثير على الآخرين كالقوة المسلحة ، فذلك أصبح ضربا من المستحيلات . وإذن فلابد من عمل مباشر غير تقليدى وغير ظاهر حتى لا يخضع لرقابة المؤسسات التقليدية بضرورة الأشياء .

وكانت الفتوى « الأصولية » التى فتحت الطريق لقانون الأمن القومى الأمريكى تقريرا أعدته لجنة خاصة أشرف على أعمالها الرئيس الأمريكى الأسبق « هربرت هوفر » - وقد جاء فى تقريرها إلى الرئيس « ترومان » فى أواخر سنة ١٩٥١ ما نصه بالحرف :

« إنه من الواضح الآن أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه عدوا لا يخفى أهدافه فى السيطرة الدولية ، وعلينا أن نحاربه . وفى حربنا معه فليست هناك قواعد تستحق الالتزام بها سواء من ناحية السلوك الإنسانى أو الأخلاق . فإذا كان على الولايات المتحدة أن تنتصر فى هذه الحرب ، فإن القيم التقليدية للتعامل العادل يجب أن يعاد النظر فيها . ومن المحتم علينا أن نتعلم دروس الانقلاب والتخريب وتدمير أى عدو بطرق أكثر مهارة وأشد تعقيدا من أية طرق قد تستخدم ضدنا .»(١)

واتساقا مع نفس المنطق ، واستمرارا لنفس السياق ، صدر قانون الأمن القومى الأمريكى ، وهو القانون رقم ٨٠ - ٤٥٣ ، وقد نص على إنشاء مجلس للأمن القومى تابع لرئيس الجمهورية ومقره فى البيت الأبيض ، ومهمته « **أن يعمل بكل الوسائل وبواسطة وكالة المخابرات المركزية وغيرها من أجهزة الأمن القومى التى يقتضى الأمر إنشاءها - على تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية على مستوى العالم ، وله أن يتخذ الخطط والعمليات التى يراها كفيلة بتحقيق أهدافه** » .

---

(١) هذا النص الرسمى أذيع علنا لأول مرة ضمن التحقيق الذى أجراه « ويليام مويرز » المستشار الخاص للرئيس « جونسون » عن موضوع « الحكومة الخفية للولايات المتحدة الأمريكية » .

كان مؤدى القانون على هذا النحو هو أن رئيس الولايات المتحدة أصبحت له حكومتان : حكومة ظاهرة مسؤولة أمامه ويحاسبها الكونجرس ، وحكومة خفية مسؤولة أمامه ولا يحاسبها أحد .

ولم يضع هذا القانون قيدا على حرية العمل المباشر مهما كان نوعه أو حجمه غير قيد واحد هو أن يكون نشاطه موجها بحيث يمكن للرئيس الأمريكى - فى كل الأحوال - أن ينفى بطريقة معقولة أية مسؤولية مباشرة له عن هذا النشاط إذا ما حدث وانكشفت أسراره جزئيا أو كليا ، وأطلق على هذا القيد « القانونى » «Plausible deniability» أى « النفى القابل للتصديق » - وكان المنطق فى ذلك أن يكون الرئيس الأمريكى قادرا مباشرة على الفعل دون أن يكون فى نفس الوقت معرضا مباشرة للاتهام !

ولقد كان هذا القانون هو الذى ابتدع لأول مرة منصب « **مستشار الرئيس للأمن القومى** » حتى يكون حلقة الاتصال بين الرئيس وبين مجلس الأمن القومى الذى تمثل فيه كل أجهزة العمل المباشر التى تجمعت كلها فيما سمى بعد ذلك بـ « **لجنة الأربعين** » نسبة إلى رقم المادة الخاصة بها فى التوجيه الرئاسى الصادر بتشكيلها فى ذلك الوقت . وكان مستشار الرئيس للأمن القومى - بحكم منصبه - هو الذى يرأس اجتماعات هذه اللجنة الخطيرة المشرفة على توجيه العمل المباشر بكل أساليبه نيابة عن أكبر قوة فى العالم وفى التاريخ ، ولعله من هنا كانت الحساسية الخاصة لمنصب « مستشار الرئيس للأمن القومى » ، **ففضلا عما هو ظاهر من اختصاصاته الرسمية - كانت اختصاصاته السرية جامحة وفادحة إلى الحد الذى أصبح معه بالفعل « الرئيس التنفيذى للحكومة الخفية للولايات المتحدة الأمريكية » على حد تعبير « بيل مويرز » الذى كان مساعدا خاصا للرئيس « ليندون جونسون » ومن أقرب الناس إليه !**

ولم تتح الظروف للرئيس « ترومان » - صاحب قانون الأمن القومى - فرصة قيادة الحكومة الخفية إلى جانب قيادة الحكومة الظاهرة ، فقد ضغطت عليه حرب كوريا حتى اضطرته إلى الانسحاب من السباق على الرئاسة التى كان مقررا أن تبدأ مدتها فى ٢٠ يناير ١٩٥٢ - وبدلا منه فإن الجنرال « ايزنهاور » دخل إلى البيت الأبيض رئيسا للولايات المتحدة - جاهزا ومستعدا .

وفى عهد « ايزنهاور » - وقد كان بحكم خلفيته العسكرية مدركا لاستحالة الحرب - فإن الحكومة الخفية للولايات المتحدة الأمريكية صالت وجالت ، وساعدها على ذلك أن مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - وهو « آلان دالاس » - كان شقيقا لوزير خارجية

الولايات المتحدة مع « ايزنهاور » - وهو « جون فوستر دالاس » - وهكذا انسجم الخفى مع الظاهر وتلاشت الحدود .

وكان الانقلاب على « مصدق » فى إيران - بعد إقدامه على تأميم البترول - وقد أدار عمليات هذا الانقلاب - سنة ١٩٥٣ - « كيرميت روزفلت » مسؤول وكالة المخابرات المركزية وقتها عن الشرق الأوسط ، والذى استحق بجدارة أن يقف أمامه شاه إيران العائد إلى عرشه بعد الهرب إلى روما ، لكى يقول له « إننى مدين بعرشى لله ولشعبى ولك » - وكان الشكر لله وللشعب صادرا عن اللسان ، وأما الشكر لـ « روزفلت » فقد كان صادرا من القلب !

وفى السنة التالية - ١٩٥٤ - قرر « ايزنهاور » تجربة العمل المباشر فى « جواتيمالا » لأن زعيمها « جاكوبو آربنز » تجرأ وأمم مزارع « شركة الفواكه المتحدة » وهى إحدى أكبر الشركات الأمريكية العاملة فى أمريكا اللاتينية . واختارت المخابرات الأمريكية ضابطا من أعوانها هو الجنرال « كارلوس كاستيللو أرماس » لقيادة انقلاب ضد « آربنز » ، وأشرف على الإعداد لهذا الانقلاب من الوكالة مسؤولها فى أمريكا اللاتينية « وهو وقتها « فيليب رادنجر » الذى أعترف بعد نجاح الانقلاب بأن نجاحه كلف شعب جواتيمالا مائتا ألف قتيل !

وفكر « ايزنهاور » فى محاولة أخرى - بعد صفقة الأسلحة بين مصر والاتحاد السوفيتى سنة ١٩٥٥ - ولكن فصولها لم تكتمل . وكانت تلك هى محاولته للخلاص من « جمال عبد الناصر » ، ولم تكتمل فصولها كما اكتملت فصول إيران وجواتيمالا لأنه لم يكن هناك ملك مثل الشاه « محمد رضا بهلوى » ، ولا جنرال من نوع « كاستيللو » .

وفكر « ايزنهاور » فى أسلوب الاغتيال ، أو فكرت فيه حكومته الخفية - ولم تواته الفرصة فى مصر ، وإن كانت قد واتته بعد ذلك فى الكونجو مع الزعيم الوطنى « باتريس لومومبا » سنة ١٩٦٠ .

وحين جاء « جون كنيدى » إلى البيت الأبيض بادئا مدة رئاسته للولايات المتحدة فى ٢٠ يناير ١٩٦١ ، وجد الخطط معدة لغزو كوبا وإسقاط « كاسترو » ، ووجد أن كل استعدادات وأدوات الحكومة الخفية جاهزة تنتظر الإشارة من الرئيس الجديد . وكان « ريتشارد بيسيل » ، وكيل المخابرات المركزية الأمريكية ، هو المكلف بالإشراف على العملية ، وكان قريبا يحوم حول « كوبا » متنقلا من « فلوريدا » على الساحل الأمريكى

المواجه لـ « كوبا » إلى « هندوراس » و « كوستاريكا » و « جواتيمالا » و « نيكاراجوا » ، وكلها محيطة بـ « كوبا » كما يحيط بها البحر من كل الجهات . وكانت كل العناصر المطلوبة من التجارب السابقة فى مكانها : العناصر البديلة المتعاونة ، وقوات المرتزقة ، وطيران الوكالة الخاص ، والأسلحة ، والشركات الكبرى ، والحملة النفسية . وصدر الأمر بالتنفيذ . ولأن « كاسترو » كان متأهبا ومستعدا فقد فشلت العملية فى « خليج الخنازير » وطلبت الوكالة تدخل القوات المسلحة الأمريكية لإنقاذ الخطة ، وتردد « كنيدى » ثم رفض مبديا أسبابه الحقيقية فى الرفض وهى أن عدم الرغبة أو القدرة على استعمال القوات المسلحة الأمريكية مباشرة هو نفسه مبرر قيام وكالة المخابرات بما تقوم به حاليا ، فإذا جاءت الآن تطلب التدخل السافر « إذن فقد عدنا بالضبط إلى المحظور الذى فعلنا كل شىء لكى نتجنبه » !! ـ وتساءل « كنيدى » عما إذا كانت إحدى حكومات أمريكا الوسطى القريبة تستطيع تعزيز العملية ؟ ـ وكان الرد الذى تلقاه بالنفى !

□ **وكانت المرحلة الثالثة** أنه نتيجة لتجارب متعددة امتدت من « طهران » إلى « هافانا » استطاعت الحكومة الخفية بدروس النجاح والفشل أن تستخلص أسلوبا للعمل تكاملت ملامحه فى بدايات الستينات ، وشكّل هذا الأسلوب شبه نظام متكامل متعدد الزوايا والأركان . ولعل العنصر الغائب الذى تم اكتشافه نتيجة التجربة الكوبية هو ما سمى فيما بعد بـ : « **دور رجل البوليس المحلى** » . كانت العناصر الأخرى المطلوبة لانقلاب مضاد ضد نظام يتخذ موقف العصيان للسياسة الأمريكية ـ ما زالت جميعا فى مكانها . ثم ظهر نتيجة للتجربة الكوبية أن النظام تنقصه إضافة حيوية هى وجود قوة محلية قريبة قادرة ومستعدة فى لحظة مناسبة لأن تكون شريكة فى الضربة الأولى أو الضربة الأخيرة للعمل المباشر ـ وكله تحت إشراف وكالة المخابرات المركزية .

ولقد بدأت تجربة هذا النظام ـ الذى ظهرت وتكاملت عناصره الضرورية المطلوبة ـ لأول مرة فى فيتنام . وكان رجل البوليس المحلى القادر والمستعد هو فيتنام الجنوبية ، وكان الطرف المطلوب إنهاء عصيانه هو فيتنام الشمالية . ولم تكن التجربة فى فيتنام مجرد انقلاب مضاد ، وإنما كانت مسؤولية موروثة من نظام امبراطورى قديم فقدت فيه فرنسا أعصابها وفرصتها وقبلت هزيمة « ديان بيان فو » ، ولم يعد لديها غير الخروج من الهند الصينية الفرنسية كلها . وتقدمت الولايات المتحدة تحمل العبء الامبراطورى الذى ناءت به فرنسا . وكانت تلك واحدة من أكبر القرارات التى واجهت « كنيدى » فى السنة الثانية من رئاسته ، وبعد تجربة « كوبا » التى واجهته فى سنة رئاسته الأولى .

كانت فكرة « **رجل البوليس المحلى** » قد بلورت نفسها وتبناها « كنيدى » بتأثير بعض

دعاة العمل المباشر وبينهم فى ذلك الوقت مستشاره للأمن القومى « ماك جورج باندى » ، ووزير دفاعه « روبرت ماكنمارا » . وفى هذه التجربة الأولية لدور « رجل البوليس المحلى » كانت « سايجون » عاصمة فيتنام الجنوبية هى قاعدة العمل ضد « هانوى » عاصمة فيتنام الشمالية ، وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى مقعد القيادة وتحت تصرفها كل عناصر العمل اللازمة . وكان تقدير الوكالة أن جيش فيتنام الجنوبية قادر على المهمة لكنه يحتاج إلى إمداد بالسلاح ويحتاج إلى خبرة للتدريب . وبدأ الانزلاق الأمريكى يوما بعد يوم فى مستنقعات فيتنام لكنه حتى تلك اللحظة لم يكن تدخلا سافرا ، لأن « كنيدى » كان حريصا حتى آخر يوم فى حياته على أن لا يتجاوز الخطوط الحمراء رغم أن عدد الخبراء الأمريكيين الذين ذهبوا لتدريب « رجل البوليس المحلى » فى « سايجون » بلغ يوم اغتياله أكثر من عشرة آلاف خبير . لكنهم كانوا جميعا من المتطوعين ، ثم إنهم كانوا جميعا تحت قيادة المخابرات المركزية ، وأخيرا فإن عملهم فى فيتنام كان يدار بواسطة الحكومة الخفية وليس غيرها فى واشنطن .

وعندما اغتيل « كنيدى » أثناء زيارة قام بها لمدينة « دالاس » فى « تكساس » خلفه فى البيت الأبيض نائبه « ليندون جونسون » . وقد أراد « جونسون » أن يترك بصمته على السياسة الخارجية الأمريكية وتصور أن جنوب شرقى آسيا مهيأ لأن يكون مسرحه الرئيسى . وبدأت عملية التصعيد فى فيتنام . فقد زاد عدد « الخبراء الأمريكيين » فى فيتنام الجنوبية ، ولم يظهر رد فعل فى موسكو أو بكين - ربما لأن الأولى كانت فى حيرة ، والثانية تريد توريطه أكثر . ومهما يكن فإنه تشجع وبدأ تدفق القوات الأمريكية رسميا على فيتنام ، وخيل لبعض الجنرالات الأمريكيين من طراز الجنرال « ويستمورلاند » أنهم يستطيعون ليس فقط غزو فيتنام الشمالية وإخضاعها ، وإنما بعد ذلك كشف الصين وضرب التنين الصينى الأصفر فى مقتل . ووصل التصاعد متجاوزا كل الخطوط الحمراء ، فقد أصبح للولايات المتحدة الأمريكية مع نهاية سنة ١٩٦٤ وبداية سنة ١٩٦٥ قرابة نصف مليون جندى أمريكى فى فيتنام .

هكذا تحولت فيتنام إلى حرب تخوضها الحكومة الرسمية فى الولايات المتحدة ، ومع ذلك فقد كان التخطيط لها ما زال فى يد الحكومة الخفية : مجلس الأمن القومى ووكالة المخابرات المركزية - وكانت تلك هى الحقيقة العملية التى عزلت كل حرب فيتنام بكافة تطوراتها عن المؤسسات الشرعية وأولها الكونجرس .

□

وعند منتصف الستينات وحولها كانت أساليب العمل المباشر قد حققت نقلة أخرى نوعية وكيفية فى وسائل عملها . ذلك أن عناصر المقاومة ضد حرب فيتنام فى الرأى العام الأمريكى وفى الكونجرس زادت من ضغوطها ، ووقفت بالمرصاد للرئيس الأمريكى ترصد حركاته ومناوراته وتطور الأساليب الكفيلة بالحد من جموحها . وكانت وسيلة الكونجرس لذلك بالطبع هى الوسيلة التى وضعها الآباء الأوائل الذين كتبوا الدستور الأمريكى لكبح جماح السلطة التنفيذية ، وهى : **المال !**

إن الرئيس - بحكم الدستور الأمريكى - ليس مسؤولا أمام الكونجرس . ولكن الكونجرس وحده هو الذى له حق الإشراف على اعتماد كل سنت ودولار فى ميزانية الولايات المتحدة ، فإذا أراد الكونجرس أن يعرقل اتجاها ما من اتجاهات الرئيس فوسيلته الناجحة إلى ذلك أن يحجب عنه الاعتمادات اللازمة لتمويل ما يريد . وهكذا بدأ الكونجرس يحاصر « جونسون » ماليا .

ولكن الحصار المالى للكونجرس كان يستطيع أن يؤثر على عملية ضخمة فى حجم حرب فيتنام ، لكنه فى عمليات أخرى أقل اتساعا من حرب يشترك فيها نصف مليون جندى أمريكى - فإن الأمور كان يمكن تسييرها بدون اعتمادات تعرض على الكونجرس ، فلدى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ما يكفى للصرف على نشاطها (**ميزانيتها سنة ١٩٦٥ ثمانية بلايين دولار**) - وبالرغم من ذلك فلقد استجدت عمليات تقتضى ما لا تستطيع الوكالة - أو لا تريد - أن تتحمله على ميزانيتها ، وهكذا ظهر مصدر جديد للتمويل .

بدأت الحكومة الأمريكية الخفية تدعو إلى منطق أن المستفيدين من نجاح عملية ما يتحتم عليهم أن يشاركوا فى تكاليفها .

وهكذا دعيت شركات أمريكية كبرى من الشركات المتعددة الجنسيات ، وحكومات أجنبية فى بعض الظروف - إلى المساهمة فى تمويل عمليات الحكومة الخفية للولايات المتحدة ، والغريب أن ذلك جرى بعلم الرئيس الأمريكى واسمه .

ولقد كشفت تحقيقات لجنة السناتور « تشرش » ، وكذلك لجنة السناتور « تاور » - أن احتكار الماس العالمى شارك فى تمويل عمليات الكونجو التى انتهت باغتيال « لومومبا » ، وتنصيب « موبوتو » الذى مازال يحكم فى زائير حتى اليوم والذى تقدر ثروته ببلايين الدولارات .

كذلك كشفت نفس التحقيقات عن أن بعض الحكومات العربية ساهمت بالمال

فى تمويل عمليات للحكومة الخفية جرت من أنجولا إلى نيكاراجوا .

بل كشفت نفس التحقيقات أن بعض أصحاب الملايين الأمريكيين فوتحوا باسم رؤساء الولايات المتحدة - من « جونسون » إلى « ريجان » - بأن يتبرعوا بالملايين لعمليات سرية تبدو ضرورية للحد من « نشاط الشيوعية الدولية » .(٢)

ومن المنطقى أن يكون نفس الشىء قد حدث فى عمليات الحكومة الخفية فى منطقة الشرق الأوسط ، فمن البدهى أن الشركات الدولية والحكومات المحلية كانت لها مصالح مهددة فى هذه المنطقة بأكثر مما كان لها فى غيرها .

واختلط الحابل بالنابل ، وظهرت صور مزعجة ومحزنة . وتداخل الظاهر والخفى ، الدولى والإقليمى ، السياسى والعسكرى ، الدينى والبترولى - وظهرت بصمات لهذه العناصر كلها على وقائع مشهودة فى الشرق الأوسط .

كان جنوب شرق آسيا يلح على « ليندون جونسون » وعلى رئاسته كلها ، ويجره ويجرها معه إلى مزيد من التورط فى فيتنام . وعندما بلغ هذا التورط مداه واستعمله « جونسون » كعنصر يلهب به مشاعر الشعب الأمريكى فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٤ - تحولت طبيعة الحرب فأصبحت هيبة الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى مرهونة بها . وكذلك أصبحت معلقة عليها هيبة الرئيس الأمريكى ومكانته كرجل دولة فى التاريخ .

وبصرف النظر عن إلحاح جنوب شرق آسيا - فلم يكن معقولا ولا ممكنا أن يقتصر اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية على منطقة واحدة فى العالم ناسية ما عداها . وفى كل الأحوال فإن منطقة جنوب شرق آسيا لم تكن موطن أهم المصالح الحيوية للولايات المتحدة ، ولعلها كانت الخامسة فى الترتيب . قبلها السباق مع الاتحاد السوفيتى . وقبلها أوروبا

(٢) الأمثلة عديدة فى تقرير اللجنة الخاصة للكونجرس فى قضية « إيران / كونترا » والتى رأسها عضو الكونجرس « لى هاملتون » من مجلس النواب ، والسناتور « دانييل انيوهى » من مجلس الشيوخ ، وقد جاء فيه أن المليونير « سبيتز شانل » من تكساس دفع مليونين من الدولارات تبرعا لهذه العملية ، وأن المليونير « ريتشارد ميللر » شارك فيها بخمسة ملايين دولار ، وأن سلطان بروناى تبرع بعشرة ملايين دولار برجاء خاص من الرئيس « ريجان » ، وأن حكومة المملكة العربية السعودية دفعت ما يصل إلى سبعين مليون دولار !

الغربية . وقبلها الشرق الأوسط . وقبلها أمريكا اللاتينية . وتلك هى أولويات الاستراتيجية الأمريكية وقتها وإلى نهاية القرن بأى معيار .

وفى تلك الفترة من منتصف الستينات وحولها كان سباق السلاح مع الاتحاد السوفيتى (الأولوية الأولى) على أشده ونتائجه تظهر مع كل هزة فى الكرملين ، وكانت أوروبا الغربية (الأولوية الثانية) تمارس حياتها وتطورها بطريقة طبيعية . **لكن منطقة الشرق الأوسط بدت من منظور واشنطن حالة مختلفة . ففى الشرق الأوسط كانت حركة القومية العربية باندفاعها الفوار تتحدى السيطرة الغربية ، أو على الأقل تتحدى التوجيه الغربى لمصائرها وأقدارها .**

كانت هذه الحركة قد بدأت بتحدى مخططات الغرب للسيطرة والتوجيه غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة ، فقد تمردت ضد الامبراطوريات الأوروبية القديمة ، وفى الوقت الذى حاولت فيه الولايات المتحدة الأمريكية إرث هذه الامبراطوريات وتسلم صولجاناتها - قامت الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وحاولت الولايات المتحدة ترويض هذه القوة البازغة فى القاهرة ، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل حتى جاءت معركة السويس التى خرجت منها الحركة القومية العربية وقد أعطت نفسها قوة متزايدة ومتجددة .[٣]

وجاءت « سنوات الغليان » بوقائعها الهائلة من « دمشق » إلى « بيروت » إلى « بغداد » إلى « الجزائر » إلى « اليمن » - منطقة بأكملها تتحرك من المحيط إلى الخليج . وأمة بأسرها تجرب صياغة حياتها من جديد بالثورة .

ولم تكن الولايات المتحدة بالطبع فى مقعد المتفرج ، ولعلها كانت على وشك أن تدخل فى مرحلة متقدمة من مراحل العمل المباشر - بعد كوريا وإيران وجواتيمالا وكوبا وفيتنام !

□

كانت الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت طرفا فى مشاكل عديدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، لكن الطرفين فى واشنطن وفى القاهرة كلاهما كان يحاول أن يمد جسورا فوق أخاديد الخلافات المتسعة يوما بعد يوم .

---

(٣) رجاء مراجعة كتاب « سنوات الغليان » لمحمد حسنين هيكل ، وقد صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٨٨ .

كان هناك بين الاثنين ذلك الخلاف الأبدى الأزلى بشأن إسرائيل . وكانت رغبة الولايات المتحدة هى التوصل إلى تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى تكفل حق إسرائيل بصرف النظر عن حق العرب .

وكان هناك بين الاثنين ذلك الخلاف الجذرى العميق حول حركة القومية العربية . تراها الولايات المتحدة مهددة لصداقات تقليدية لها فى المنطقة ، بينما تراها القاهرة حركة شعبية لا يملك أحد أن يكبح طموحاتها فى الحرية والعدل .

ثم طرأت على هذه الخلافات الأبدية الأزلية ، والجذرية العميقة ـ مضاعفات مستجدة سببها أن الجمهورية العربية المتحدة راحت تستكشف إمكانيات القوة النووية ، وتجرب صناعة الصواريخ والطائرات ـ بحثا عن تكنولوجيا العصر قبل بحثها عن السلاح .

ولم تكن الولايات المتحدة ـ لا فى « عصر كنيدى » ولا فى عصر « جونسون » بعده ـ قابلة لأى من ذلك[٤] أو مستعدة للتغاضى عنه ، فقد كانت من منظور واشنطن تهديدا لإسرائيل وتغييرا فى موازين القوى الإقليمية . وكان المأزق الحقيقى أن العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة كانت بطبيعة الأحوال معبأة بأسباب الشك والتوتر ، ومن هنا فقد كانت كل أزمة جديدة طارئة على العلاقات بين الطرفين قادرة على الاستدعاء الكامل لكل المخزون والمكبوت لدى كل من الطرفين ضد الآخر . وهكذا دائما أزمات الشك والتوتر لا تقتصر تفاعلاتها على ما هو جار فى لحظة بعينها ، وإنما تجىء لحظة الشك دائما معبأة بكل ما سبقها وبكل ما يتوقع أن يلحقها من الظنون والتوجسات !

وعندما نشب القتال فى اليمن سعت الولايات المتحدة أن تصل فيه إلى حل يضمن مصالحها ويحقق مطالب أصدقائها فى المنطقة ، وتكررت المساعى لكن الحرب مع ذلك راحت تأخذ منحنى خطرا وتصنع إفرازات أشد خطورة . ولواء القيادة معقود طوال الوقت للحكومة الخفية !

□

---

(٤) رجاء مراجعة البابين الخامس والسادس من كتاب « سنوات الغليان » .

جيمس آنجلتون .

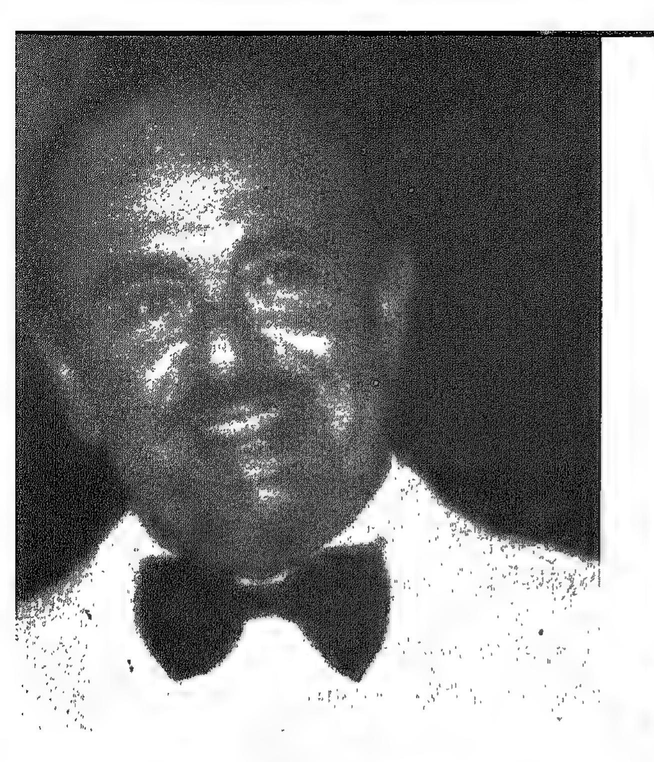

عدنان خاشقجى

وربما كان أخطر إفرازات حرب اليمن فى تلك الفترة (منتصف الستينات وما حولها) هو ظهور مجموعة قوة عربية جديدة وصلت إلى قرب مواقع صنع القرار فى بعض العواصم التقليدية ، وكان معظم أفراد تلك المجموعة من رجال أجهزة المخابرات المحلية المتصلين بمخابرات الدول الغربية الكبرى ، وكانت بداية ظهورهم هى الحاجة إليهم فى الاتصالات مع أجهزة المخابرات فى الغرب وفى صفقات شراء السلاح - وربما كان النموذج الظاهر لنوعية الرجال من هذه المجموعة رجل مثل عدنان خاشقجى » الذى تردد اسمه وقتها كأبرز سمسار سلاح بين مجموعة من نفس النوع تضم كثيرين .

وتلاقت هذه المجموعة المهتمة بالسلاح ـ بواقع الصلات العملية ـ مع مجموعات المخابرات الدولية المهتمة بالمنطقة والعاملة فيها تحت الأرض وفوقها .

ثم أصبح التلاقى الثنائى بين تجار السلاح وبين عملاء المخابرات تجمعا ثلاثيا حين انضم إلى الفريقين فريق ثالث دفعته مصالح سابقة ولاحقة إلى التحالف معهما ، وهو شركات البترول .

ولقد كان هذا التحالف الثلاثى (السلاح والمخابرات والبترول) هو الذى أخذ على عاتقه مهمة تغيير شكل الحرب فى اليمن حين- استخدم آلاف المرتزقة

الأجانب من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها للقتال ضد الجيش المصرى فى اليمن .

وكان هذا التحالف الثلاثى هو الذى جر إلى ساحة الحرب عددا من قوى المنطقة ، فى مقدمتها إيران تحت حكم الشاه الذى سارع إلى مسرح اليمن يصفى مع « جمال عبد الناصر » حسابات أخرى لم تبدأ فيه .

وكانت بريطانيا على استعداد للتعامل الوثيق مع هذا التحالف لأن الثورة اليمنية راحت تمد تأثيرها داخل الجنوب العربى وعدن ، كما راحت هذه التأثيرات تتسرب إلى الخليج العربى ومحمياته وقتها .

ثم انضمت إسرائيل إلى هذا التحالف ، وكان تجار السلاح هم الذين فتحوا لها الأبواب ، وكانت جاهزة للدخول تنتظر فرصتها حتى جاءتها الدعوة فى لقاء تم بين « عدنان خاشقجى » و « شيمون بيريز » فى باريس سنة ١٩٦٤(٥) .

□

إن ظهور هذا التحالف الثلاثى (السلاح والمخابرات والبترول) ـ ثم اتصال هذا التحالف مباشرة بإسرائيل ـ أتى إلى المنطقة العربية بظاهرة لم يسبق لها مثيل ، فهذه لأول مرة نخبة قوة قريبة من مواقع صنع القرار ، لكنها تختلف فى تكوينها وثقافتها وارتباطاتها عن أية نخبة قوة عرفها العالم العربى من قبل .

فى حقب سابقة فى التاريخ القريب كانت النخبة فى المنطقة خليطا من عناصر الملاك والموظفين والمثقفين من أخلاط تركية ـ عربية ـ محلية . وكانت هذه هى النخب المتحركة على الساحة فى مطلع القرن . وكانت تتوزعها اجتهادات شتى ، لكنها بقيت مرتبطة بضوابط من الولاء للخلافة ، أو الرغبة فى التعاون مع أوروبا الغربية استجلابا لعوامل النهضة ، أو النزوع إلى الاستقلال الوطنى .

وفى حقبة تالية ظهرت غلبة الخليط العربى ـ المحلى على النخب المتحركة على

---

(٥) اعتراف « عدنان خاشقجى » بنفسه خلال تحقيقات فرعية جرت حول دوره فى عملية إيران / كونترا التى قام فيها « خاشقجى » بدور رئيسى فى بيع أسلحة إسرائيلية وأمريكية لإيران أثناء حرب الخليج ـ وكانت بعض أرباح هذه الأسلحة تذهب لتمويل عمليات التخريب ضد حكومة نيكاراجوا .

الساحة ، وقل دور العامل التركى ، وانتهت الولاءات للخلافة ، وظهر التنازع بين القومية والوطنية . وكانت لبعض النخب اتصالات خارجية ، لكن هذه الاتصالات الخارجية ظلت مرتبطة بإطار تتنازعه فكرة الوحدة العربية وفكرة الاستقلال الوطنى .

وفى حقبة ثالثة بعد الحرب العالمية الثانية ، وحينما هبت رياح التغيير حاملة معها بذور الثورة ، كانت النخب المؤثرة على الساحة لخليط من أصحاب العقائد أو النظريات الثورية تحالفوا مع شباب الضباط فى الجيوش العربية وانضمت إليهم جماعات المثقفين . وكانت هناك رؤى متنوعة للعلاقات مع العالم والقوى المتصارعة فيه ـ لكن التنوع كان محكوما بتوجهات سياسية واجتماعية .

وبالطبع فإن كل هذه الحقب عرفت عناصر من النخب تورطت فى علاقاتها الخارجية إلى درجة الانزلاق ، لكن هذه الظاهرة بقيت هامشية ، وفى بعض المرات طالها العقاب سواء بمشاعر الناس أو بأحكام القوانين .

وأخيرا ـ ومع الصراع العنيف إلى درجة الحرب الأهلية العربية بين القوى الجديدة والقوى التقليدية فى العالم العربى ـ ظهرت على الساحة تلك النخبة الطارئة التى يمثلها « تحالف السلاح والمخابرات والبترول » . كانت عناصر هذا التحالف كلها بغير جذور فى تراب المنطقة أو فى تراثها . ولقد دخلت تمارس دورها بحافز المصلحة المباشرة المتخففة من أى قيمة . كان الهدف بسيطا خاليا من أية ارتباطات مهما كان مصدرها . الهدف هو الغنى ، ويتصل به النفوذ لدى من يملكون مفاتيح هذا الغنى ، وليس هناك أى اعتبار آخر .

ومن الناحية الاجتماعية فإن التاريخ عرف من قبل مثل هذه الظواهر . ولقد برز نموذجها فى تجارة السلاح بالذات . فتاجر السلاح لابد له أن ينزع عنصر القيمة من عمله ويتذكر عنصر السعر وحده ، فإذا فكر فى القيمة فإنه يترك سوقه أو يقضى عمره فى عذاب نفسى لا شفاء منه .

ولقد كان النموذج الثانى الذى أبرزه التاريخ لغلبة السعر على القيمة هو مهنة « الجندية المرتزقة » التى ظهرت قرونا طويلة فى أوروبا وبدت بعض ملامحها فى عديد من العصور المملوكية فى الشرق الأوسط . ذلك أن الجندى المرتزق صناعته القتل مقابل الولاء لمن يدفع له . وهكذا فهو السعر وليس القيمة ، وإلاّ كان عليه أن يلقى سلاحه .

وبالطبع فإن النموذج التقليدى الذى سبق إلى فصل القيمة عن السعر فى التاريخ هو « **البغاء** » حيث « **الغرائز** » لا علاقة لها بـ « **العواطف** » - وإلاّ اختلت قواعد اللعبة !

واللافت للنظر أن نخب القوة الجديدة فى العالم العربى وفى ظرف عنيف من تطوره اقتربت على نحو أو آخر من كل هذه النماذج السابقة لغلبة السعر على القيمة فى التاريخ .

وربما - من هنا - لم يكن صعبا على هذه النخب الجديدة للقوة أن تجد نفسها متصلة مباشرة بإسرائيل . ولقد حدث من قبل أن جرت اتصالات بين أطراف عربية وبين إسرائيل . لكن هذه الاتصالات كانت - حتى فى إحساس القائمين بها - خطيئة ترتكب سرا ولدواع يحركها الأمن أو الخوف ، وفى أضيق نطاق . وأما بالنسبة إلى نخبة القوة الجديدة فى العالم العربى فلم يكن الحال كذلك .

وكان ذلك كله عنصرا طارئا فى العالم العربى . بغير سوابق يقاس عليها . وبغير حسابات للنتائج يمكن تقديرها .

□

كان « ليندون جونسون » أقرب أصدقاء إسرائيل فى واشنطن (من موقعه كرئيس للأغلبية الديمقراطية فى مجلس النواب) ، وعندما وصل إلى الرئاسة داخل البيت الأبيض بعد اغتيال « جون كنيدى » - كان واضحا أن محاولات التعايش بين واشنطن والقاهرة فى الشرق الأوسط قد وصلت إلى نهاية الطريق . وكان « جونسون » معبأ ضد مصر منذ البداية ، وفى الواقع منذ أزمة السويس حين اختلف مع « ايزنهاور » صراحة على موقفه من الأزمة وعلى الدور الذى قام به لإقناع إسرائيل بالانسحاب من سيناء وغزة فى الشهور الثلاثة الأولى من سنة ١٩٥٧ .

ولقد التقى « جونسون » عقب دخوله البيت الأبيض مع آراء الفريق الذى كان ينادى فى اشنطن بأنه لا فائدة من كل المحاولات التى تجرى للتفاهم مع « جمال عبد الناصر » ، وكانت أهم مواقع هذا الفريق فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وفى الجناح الذى يرأسه « جيمس أنجلتون » نائب رئيسها فى ذلك الوقت ، وكانت علاقته بإسرائيل وثيقة منذ أيام الحرب العالمية الثانية حين كان ينسق شبكاته وراء خطوط النازى فى أوروبا الشرقية

مع عدد من العناصر اليهودية المتصلة بالوكالة اليهودية فى فلسطين .(٦)

وكان « جيمس آنجلتون » من أنصار الاعتماد على إسرائيل فى إعادة ترتيب أوضاع الشرق الأوسط ، فى حين كان هناك جناح آخر فى الحكومة الخفية يعارضه بمنطق أن التعاون مع إسرائيل كـ « رجل بوليس محلى » فى المنطقة من شأنه إحراج أنظمة عربية موالية للغرب .

وراح هذا الفريق المتحفظ تجاه إسرائيل - و « جونسون » يستمع إليه لبعض الوقت - ينادى باعتماد شاه إيران « رجل بوليس محلى » للمنطقة لكن الوقائع أظهرت أن حدود شاه إيران محصورة ، فهو يستطيع إثارة المتاعب فى بؤرة محددة ولكنه لا يملك إمكانيات العمل التى تسمح له بممارسة الدور الواسع على رقعة المنطقة كلها .

كانت إسرائيل وحدها تملك هذه الإمكانية ، لكن الحرج إزاءها كان ما زال قائما - وحين بدأ ثلاثى القوة الجديد فى المنطقة يتصل بإسرائيل وضمن أطرافه عناصر عربية ، فقد بدأ الحرج يخف درجة بعد درجة حتى كان ذلك الخطاب الذى كتبه السفير « محمد القونى » مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة ، موجها إلى الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية (أول إشارة ظاهرة إلى ملامح مرحلة جديدة فى العمل المباشر الموجه إلى مصر) ، وجاء فيه(٧) أن السفير البريطانى فى واشنطن وهو اللورد « هارليك » قال له فى حضور « أدلاى ستيفنسون » (المندوب الأمريكى الدائم) وأيضا كل من سفير فرنسا وسفير بنما وسفير غانا لدى الأمم المتحدة ما نصه :

« إن التصعيد الذى يقوم به جونسون فى فيتنام الآن مسألة تهمكم أنتم فى الشرق الأوسط على الخصوص لأن جونسون ليس عنده وقت الآن لمعالجة أمور الشرق الأوسط وأزماته فهو يريد التفرغ لموضوع فيتنام ، وبما أنه لا يستطيع أن يهمل أو يستغنى عن الشرق الأوسط ، ولهذا فإنه بنصيحة أصحابه قرر أن يترك الزمام فيه لإسرائيل لأنها تعرف المنطقة وهى فى وسطها وما يجرى فيها يهمها أكثر مما يهم غيرها ، كما وأنه مما لا شك فيه

---

(٦) رجاء مراجعة كتابىّ « ملفات السويس » و « سنوات الغليان » لمحمد حسنين هيكل ، فقد تعرضت بعض فصول الكتابين بالتفصيل لنشاط المخابرات المركزية الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وذلك فى أكثر من موضع .

(٧) النص الكامل لهذا الخطاب منشور فى كتاب « سنوات الغليان » فى صفحات ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ .

كان ذلك الخطاب داعيا إلى كثير من التفكير فى القاهرة ، وقد قرأه « جمال عبد الناصر » وأعاد قراءته أكثر من مرة ، واختلفت الآراء فى شأنه . فمن ظاهر الأحوال كانت تصرفات « جونسون » تدعو إلى تصديق ما جاء فيه بالكامل . ومن ناحية أخرى فإن واقع الأحوال ، وبالنظر إلى حجم مصالح الولايات المتحدة ، كان يدعو إلى اعتبار الخطاب نوعا من حرب الأعصاب غير المباشرة !

والحقيقة أن كلا الاحتمالين كان جائزا ، خصوصا وأن اتفاقات من هذا النوع بين الدول كانت قد أصبحت مسألة معقدة تختلف كثيرا عما كان أيام السويس حينما تواطأت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى مؤامرة محددة ومكشوفة للعدوان على مصر .

كان صعبا أن يتكرر ما حدث فى السويس سنة ١٩٥٦ لعدة أسباب : أولها أن الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن حالها حال بريطانيا وفرنسا من اليأس فى العالم العربى بحيث تهون عليهما أية عواقب مهما كانت ضرائبها . كذلك فإن العقاب الذى لحق ببريطانيا وفرنسا كان درسا بالغ القسوة لغيرهما إذا ما راودته فكرة اتباع نفس الطريق .

وربما كان الأدق هو القول بأن المعلومات التى بلغت أسماع السفير « القونى » ورأى تسجيلها فى خطابه إلى الدكتور « محمود فوزى » كانت مداخل تلاق عام لنوايا متوافقة تطلب نفس الشىء من طرق اقتراب مختلفة .

والأرجح أن ذلك كان أقرب ما يكون إلى ما حدث فعلا فى تلك الفترة .

كان « جونسون » متجها إلى صدام مع مصر . وكانت إسرائيل مصممة .

وكانت فى الولايات المتحدة عناصر تخشى التعاون مع إسرائيل ، ولم يكن « جونسون » مستعدا لتجاهل هذه العناصر ولا راغبا فى تجاهلها حتى تلك اللحظة على الأقل .

لكن تلاقى النوايا مع اختلاف الطرق يخلق حركة ذاتية تقترب بها الأطراف من بعضها ، وتتسق التصرفات بالاتجاه العام للنوايا أكثر مما تلتصق بالتخطيط المسبق . ذلك أن كل طرف من الأطراف يكون راغبا فى الاحتفاظ بحريته إلى آخر وقت ممكن ، وفى نفس الوقت فإنه يجد نفسه مستجيبا لدواعى الاتجاه العام للنوايا . وتتخلق مواقف وتتشكل توجهات تكسب مع كل يوم أرضا جديدة إذا كان الجو ملائما واتجاه الحوادث مواتيا .

□

ولعل أكثر ما كان يجب أن يثير الانتباه هو شخص الرجل الذى برز على مسرح الصراع فى اليمن ، وهو « روبرت كومر » مساعد مستشار مجلس الأمن القومى الأمزيكى .

كان « روبرت كومر » من أكثر مسؤولى مجلس الأمن القومى تبحرا فى العمل المباشر فى فيتنام ، وقد تولى تنظيم وتنفيذ مشروع « فينوكس » الذى يستهدف القيام بعمليات تصفية جسدية لكل العناصر المشتبه فى تعاونها مع الشيوعيين فى فيتنام الجنوبية ، وقد بلغ عدد الذين جرت تصفيتهم بهذا الأسلوب سنة ١٩٦٤ ما يزيد على أربعة عشر ألف فيتنامى جنوبى .

وفجأة ظهر « كومر » على مسرح اليمن ينسق مع التحالف الثلاثى « للسلاح والمخابرات والبترول » ويشارك فى توجيه خطط المرتزقة ضد الجيش المصرى ، حتى أن المسؤولين فى البيت الأبيض الأمريكى كانوا يسمون حرب اليمن كلها بوصف أنها « حرب كومر الخاصة » .

وكان « روبرت كومر » ـ إضافة إلى ذلك كله ـ من أشد المتحمسين للتعاون مع إسرائيل واعتمادها لدور « رجل البوليس المحلى » فى الشرق الأوسط . وكان اقترابه من تجار السلاح العرب يزيد من اتجاهه إلى إسقاط أى حرج بشأن أى دور يمكن أن يكون لإسرائيل فى إعادة ترتيب أمور المنطقة .

وهكذا فإن الربط بين « فيتنام » و « اليمن » و « إسرائيل » بدت له ظلال من شخصية رجل له أصبع فى كل كعكة كما يقولون !

كذلك فإن هذا الربط كانت له صلات منطقية أوسع بأسباب « سياسة العمل المباشر » على كل الجبهات ، ففى هذا الوقت لم تكن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تعمل فى الخارج فقط وفى مجالات الأمن القومى وهى موضوع اختصاصها القانونى ، وإنما ظهر دورها فى داخل الولايات المتحدة بالرقابة على كل قوى التمرد ومتابعتها وملاحقتها حتى بالاغتيال .

وكان ذلك هو الطريق الذى أدى إلى تورط وكالة المخابرات المركزية فى عمليات من نوع فضيحة « ووترجيت » فى عصر الرئيس « نيكسون » (١٩٧٣) ، ثم مضى يواصل مسيرته بعد ذلك إلى فضيحة بيع أسلحة لإيران ورصد أرباحها لمساعدة متمردى « كونترا » ، وهو ما أصبح معروفا فى عصر الرئيس « ريجان » (١٩٨٧) بفضيحة « إيران ـ كونترا » ، وهى فضيحة ما زالت تلقى بظلالها حتى هذه اللحظة على السياسة

الأمريكية فى عهد الرئيس الحالى « جورج بوش » ـ والمدهش أن بعض « العرب » الذين ظهرت أدوارهم لأول مرة فى إطار حرب اليمن ، وضمن تحالف المخابرات والبترول والسلاح ـ وتحت إدارة وتوجيه الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة ـ كانوا ما زالوا هناك بأشخاصهم وأدوارهم ومطالبهم : السعر متخفضا من أى قيمة !(٨)

من القاهرة ، كانت آفاق واشنطن تبدو من بعيد ملبدة بغيوم كثيفة . ولم يكن الأمر هو خطاب السفير لدى الأمم المتحدة « محمد القونى » وما يحمله من إشارات وعلامات تنذر بالشر ، وإنما كانت حقيقة الأمر هى المناخ العام الذى رأته القاهرة سائدا فى واشنطن ، ليس فقط فى النظر إليها وحدها ، وإنما فى النظر إلى مجمل قضايا العالم فى ذلك الوقت .

والواقع أن خطاب السفير « القونى » دخل ضمن العوامل فى تقدير موقف الولايات المتحدة ، ولكنه لم يتحول وحده ليصبح تقدير الموقف كله . وكان ذلك معقولا ، وإلى حد ما كان دقيقا ، لأن البيت الأبيض كان ـ مع وجود توافق فى النوايا على الأمد الطويل ـ لا يزال يتأرجح بين الخيارات وفى إطار الملابسات التى تحيط بمسرح تتوالى مشاهده .

كان واضحا للقاهرة من بعيد أن الرئيس الأمريكى داخل فى حرب فيتنام إلى النهاية ، فهو لا يقبل أن تواجه الولايات المتحدة هزيمة عسكرية أمام قوة آسيوية من الدرجة الثانية أو الثالثة ـ ثم إنه إذا كان ذلك جائز الحدوث فى يوم من الأيام فإنه لا يريد ذلك فى عصره وإبان رئاسته .

وكان التصاعد فى فيتنام سريعا إلى درجة مرهقة لأعصاب الدنيا كلها فى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٦٤ والشهور الأولى من سنة ١٩٦٥ . وبصورة أدق فإن هذا التصاعد أخذ العالم إلى حافة الهاوية ابتداء من حادثة خليج « تونكين » التى ادعى فيها « جونسون »

---

(٨) يرجى مراجعة تحقيقات لجان الكونجرس التى حققت فى فضيحة « إيران ـ كونترا » ، وتقارير هذه اللجان ، وأهمها اللجنة التى رأسها السناتور « جون تاور » وصدر تقريرها بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٨٧ ، واللجنة الثانية برئاسة السناتور « لى هاملتون » والتى صدر تقريرها بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٨٧ .

(بغير حق كما أظهرت تحقيقات الكونجرس فيما بعد) أن المدافع الفيتنامية أطلقت نيرانها على وحدات بحرية أمريكية تعمل خارج المياه الإقليمية فى خليج « تونكين » ، ثم اتخذ « جونسون » من هذا الادعاء ذريعة لإرسال جيوش جرارة بالبحر والجو لتوسيع نطاق الحرب فى فيتنام - **حتى كان شهر فبراير ١٩٦٥ فإذا « جونسون » يأمر السلاح الجوى الأمريكى بضرب « هانوى » فى نفس يوم وصول رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » إليها فى زيارة رسمية لإجراء محادثات حول الحرب .**

وبدا للقاهرة أن هذا التصعيد فى فيتنام ، سواء باستغلال حادثة خليج « تونكين » ، أو بإحراج « كوسيجين » إلى هذه الدرجة - بمثابة حماقة فى استعمال القوة تترتب عليها زيادة غير محسوبة فى التوتر الدولى .

□

وبالتوازى مع هذا التصعيد فى فيتنام - فإن إدارة « جونسون » بدأت تنحو منحى سافرا من التعسف فى « الكونجو » ، فقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أنها قدمت طائرات لنقل قوات مظلات بلجيكية لغزو مدينة « ستانلى فيل » التى لاذت بها بقايا الحكومة الوطنية فى « الكونجو » . ثم بدأت الأخبار تصل عن مذابح فى « ستانلى فيل » تقوم بها قوات الغزو البلجيكى التى عززتها بسرعة كتائب من المرتزقة الأجانب تساعدهم جماعات من قوات « تشومبى » المتعاون مع بلجيكا والراغب فى فصل إقليم « كاتنجا » بكل ثرواته المعدنية الهائلة عن الكونجو المستقل .

وعمت الثورة كل أفريقيا ، فقد أبرق الرئيس الجزائرى « أحمد بن بيللا » إلى كل رؤساء أفريقيا يقترح التعاون فى اتخاذ تدابير عملية لوقف العدوان ، وانعقد مجلس الأمن فى اجتماع طارىء ، ووجه الامبراطور الأثيوبى « هيلاسلاسى » - وهو وقتها رئيس منظمة الوحدة الإفريقية - دعوة إلى مؤتمر قمة إفريقى ينعقد بسرعة فى أديس أبابا .

وكانت القاهرة قد تركت زمام المبادرة فى هذه الأزمة الإفريقية الطارئة للجزائر تتحدث فيها باسم القوى الثورية فى القارة ، ولإثيوبيا تتحرك فيها باسم القوى المحافظة إلى جانب رئاسة امبراطورها لمنظمة الوحدة الإفريقية .

ولم يكن دافع القاهرة إلى هذا الموقف الحذر هو الإشارات والعلامات القادمة من واشنطن ، من نوع خطاب السفير « محمد القونى » ، وإنما كانت هناك أسباب ودواع أكثر

قربا وعجلة ، فقد كانت اتفاقيات مشتريات مصر من القمح الأمريكى بتسهيلات بينها السداد بالجنيه المصرى وعلى أقساط مع توجيه المدفوعات إلى المساعدة فى مشروعات محلية - قد انتهت وحان وقت تجديدها باتفاقيات تحل محلها .

والحاصل أن الاتفاقيات كانت منتهية بانتهاء عام ١٩٦٤ ، ومن هنا كانت الحكومة المصرية مهتمة بفتح باب المفاوضات بشأن اتفاقيات جديدة قبل أن يقبل عام ١٩٦٥ . وبشكل ما فإن الحكومة المصرية أحست بأن الحكومة الأمريكية تتلكأ فى فتح باب المفاوضات لعقد اتفاقيات تغطى سنة ١٩٦٥ وتفى باحتياجات مصر فيها .

وبالتأكيد فإنه كان فى واشنطن تلكؤ مبعثه عدة أسباب . بينها بالطبع سبب الضغط المعنوى والاقتصادى على الأقل لإشعار مصر بأنها تحتاج إلى القمح الأمريكى ، ومن ثم فإنه يتعين عليها أن تأخذ فى اعتبارها رغبات حكومة الولايات المتحدة . وبينها بالقطع ما ظهر فيما بعد من أنه كانت هناك مناقشة محتدمة كانت لا تزال جارية وقتها فى أروقة صنع القرار الأمريكى ، وهى مناقشة كانت تطرح بالتساؤل جدوى التعامل مع « جمال عبد الناصر » ، وما إذا كانت مواجهته بالضغط والعنف أكثر فائدة من ملاينته واسترضائه ؟

وكان البيت الأبيض لا يزال يبحث وينقب مفاضلا بين سياسة التصعيد وسياسة التهدئة . كانت هناك عناصر مؤيدة للتصعيد إلى درجة المخاطرة بتجربة « العامل الإسرائيلى » . وكانت هناك عناصر مؤيدة للتهدئة ، وأكثرها فى وزارة الخارجية ، ترى أن وقت التصعيد فى الشرق الأوسط لم يجىء بعد لأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تواجه حرائق مشتعلة على طول الخط الممتد من فيتنام إلى الكونجو مرورا بالشرق الأوسط !

□

فى القاهرة كان هناك إدراك ، بالإحساس وبالمعلومات ، أن واشنطن تماطل فى شأن تجديد اتفاقيات مبيعات القمح ، وأن هذه المماطلة جزء من عملية مراجعة سياسية تجاه التعامل مع مصر . **وكان هناك رأيان فى دوائر صنع القرار المصرى ، تماما ، كما كان هناك رأيان فى دوائر صنع القرار الأمريكى :**

● رأى يرى بتشديد الضغط على الولايات المتحدة باعتبار أنها « متورطة » إلى الآخر فى فيتنام ، و « مفضوحة » فى الوقت ذاته فى الكونجو ، وأنها

والحال كذلك لا تملك الدخول فى مواجهة مع مصر ، وبالتالى فإنها سوف تستجيب لا محالة وتطلب إلى سفيرها فى مصر أن يفتح باب التفاوض فى توريدات القمح الأمريكى لمصر .

- **ورأى آخر يرى أن « القوى الأعظم » حيوان من نوع جديد فى العالم ، وأن التعامل معه يقتضى مرونة فى الحركة تتجنب مواجهته بـ « التناطح » رأسا برأس وتشابكا بالقرون . وفى كل الأحوال فإن تشديد الضغط بعد حد معين يحول الصراع إلى مواجهة مكشوفة فى العراء ، وهذا خطر يستحسن تجنبه فى الأوضاع الإقليمية السائدة فى العالم العربى . كما أن تجنبه ضرورة مع وجود رئيس أمريكى فى البيت الأبيض على استعداد لأن يلجأ إلى حماقة القوة فى أى لحظة ـ مع ملاحظة أن الاتحاد السوفيتى بعد سقوط « خروشوف » مازال مشغولا بإعادة الدرس والتقييم فى الداخل والخارج .**

وكالعادة فإن تدافع الحوادث لا ينتظر استقرار المناقشات حتى تصل إلى خيارات مقبولة يمكن صياغتها فى قرارات نافذة .

فبينما هذه المناقشات تجرى فى واشنطن وفى القاهرة ، قام طلبة الكونجو فى مصر بمظاهرة يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٦٤ ـ احتجاجا على التدخل الأمريكى فى « ستانلى فيل » ، وتوجهت المظاهرة إلى مبنى السفارة الأمريكية فى « جاردن سيتى » وتمكن هؤلاء الطلبة من إشعال النار فى مكتبة الاستعلامات الأمريكية ، كما ألقوا كرات ملتهبة على أجزاء أخرى من مبنى السفارة . وشبت حرائق وحدثت خسائر .

كان السفير الأمريكى وقتها هو « لوشيوس باتل » ، وهو واحد من أكفأ الدبلوماسيين الذين خدموا فى مصر وأكثرهم حماسة لتحسين العلاقات بين البلدين . وكان سوء حظه أنه جاء إلى منصبه فى مصر والأجواء كلها مشحونة بأسباب التوتر . ومع ذلك فقد راح يحاول .

وعندما شب الحريق فى السفارة الأمريكية كان « باتل » مضطرا إلى تقديم احتجاج رسمى ، ولقد كان لديه ما يقوله غير تقديم احتجاج . وذهب بالفعل لتقديم احتجاجه إلى وكيل وزارة الخارجية السفير « فريد أبو شادى » ، لكنه آثر أن يحتفظ بما أراد أن يضيفه غير الاحتجاج حتى يقابل الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ويفضى إليه بملاحظات أخرى رجاه تقديمها للرئيس « جمال عبد الناصر » ، وكان مؤداها ما يلى :(٩)

---

(٩) محضر مقابلة بين الدكتور « محمود فوزى » والسفير « لوشيوس باتل » يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٤ .

« ١ ـ إن العناصر التى هاجمت السفارة الأمريكية لم تكن كلها من طلبة الكونجو . فقد كانت هناك وجوه سمراء بمقدار ما كانت هناك وجوه سوداء !

٢ ـ إن قوات الإطفاء تأخرت فى الوصول إلى مبنى السفارة مما ساعد على انتشار النيران .

٣ ـ إن كفاءة الأمن المصرى معروفة ، ولا يمكن أن يفلت منها كل هذا العدد من المتظاهرين الذين وصلوا إلى السفارة ، كما أنه من المستغرب أن يضل هؤلاء بكل شحناتهم من الكرات القابلة للهب دون اعتراض .

٤ ـ إن الحادث وقع فى اليوم الذى تحتفل به أمريكا بـ « عيد الشكر » وهو لهذا ينتظر أن يكون أثره على الرأى العام الأمريكى مضاعفا .

٥ ـ إنه « كصديق لمصر » يجد نفسه مضطرا إلى أن يقول إن هذا الحادث جاء فى أسوأ وقت ممكن بالنسبة إلى الاتصالات الدائرة بين البلدين فى قضايا عديدة سياسية واقتصادية (لم يشر بالتحديد إلى موضوع القمح ، لكن التلميح كان محسوسا) . »

وطلب الرئيس « جمال عبد الناصر » من رئيس الوزراء وقتها السيد « على صبرى » تقريرا مفصلا عن ملابسات الهجوم على السفارة الأمريكية وإشعال الحريق فيها . **وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن الحادث خطير ، ليس فقط بسبب حريق شب فى السفارة الأمريكية ، ولكنه أولا وقبل كل شىء لأنه يعكس قصورا لا شك فيه من جانب الأمن المصرى وإلاّ كان عليه « أن يصدق تلميحات السفير الأمريكى إلى وجود « تساهل مقصود » إزاء المظاهرة ، وفى هذه الحالة فإنه يسأل : ما هو الغرض ؟ » !**

ثم اتصل « جمال عبد الناصر » بالدكتور « محمود فوزى » وقال له :

ـ « إن الخطأ علينا هذه المرة ، وأنا لا أستكبر فى الحق ، ولهذا فإننى أرى أن تدعو السفير الأمريكى لمقابلتك وتقدم له اعتذار الحكومة المصرية عن الحادث واستعدادها لدفع تعويض عن خسائره » .[١٠]

وأمكن حصر الأزمة .

□

---

(١٠) كنت حاضرا فى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر حينما اتصل تليفونيا بالدكتور محمود فوزى .

للأزمات خاصية أن تجيء جماعة ولا تجيء فرادى . ولعل التوتر الذى يصاحب أزمة هو نفسه الذى يهيىء الأجواء لنشوب أزمة جديدة حتى وإن لم يكن هناك مقتضى حقيقى من الواقع لها . وهكذا كان بالفعل فى الأسابيع الأخيرة من سنة ١٩٦٤ .

أمكن حصر أزمة حريق السفارة . وبعدها بأسبوعين - حوالى منتصف ديسمبر - أجرى وزير التموين الدكتور « كمال رمزى استينو » اتصالا مع السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » بهدف تحديد موعد للقاء بينهما يبحثان فيه موضوع مشتريات القمح . وقال السفير الأمريكى لوزير التموين « **إنه ينتظر تعليمات من واشنطن بفتح باب المفاوضات** » ، ثم أضاف « **إنه فى كل الأحوال يسعده أن يقابل الدكتور كمال رمزى استينو ، وهو يأمل أن تصل تعليمات واشنطن قبل الموعد المحدد بينهما ، وعلى أى حال فإن المقابلة الأولى بينهما فى هذا الموضوع سوف تركز على الطلبات المصرية من القمح ، فإذا لم تكن التعليمات قد وصلت فإن سماع طلبات مصر مفيد فى كل الأحوال ، وفى الغالب فإن واشنطن سوف تكون مشغولة الآن بأعياد الميلاد ، والأرجح أن تتحرك الأمور فى بداية السنة الجديدة** . »

وكان موعد المقابلة بين الاثنين بعد ظهر يوم ٢١ ديسمبر ١٩٦٤ .

ثم طرأ حادث يوم ١٩ ديسمبر لم يكن فى حساب أحد .

كان الحادث الذى طرأ فجأة حادثا غريبا ، فقد دخلت طائرة صغيرة قادمة من اتجاه البحر إلى منطقة الاسكندرية ، وتصدت لها مقاتلة مصرية طلبت إليها تحديد هويتها واتجاهها ، ولم تتلق ردا ، فقامت بإسقاطها وقتل طيارها .

ومضت ساعات وإذا هوية الطائرة تكتشف كطائرة أمريكية ، **وأكثر من هذا فهى مملوكة لصاحب شركة بترول من تكساس هو « جون ميكوم » ، وهو صديق شخصى للرئيس « ليندون جونسون » وجاره فى مزرعته فى نفس الولاية (تكساس)** .

ولم يكن « جون ميكوم » فى الطائرة التى جاءت من الأردن حيث تركت صاحبها هناك بعد أن وقع عقد امتياز للبحث عن البترول فى جنوب المملكة الأردنية الهاشمية .

واتصل « جون ميكوم » من عمان بصديقه فى البيت الأبيض يبلغه بما جرى لطائرته التى كان يقودها طياره الخاص (وهو أمريكى اسمه « هونيت ويليامز ») .

واتصل الرئيس « جونسون » بوزير خارجيته وكان ثائرا .

وبدوره اتصل وزير الخارجية الأمريكى بسفيره فى القاهرة « لوشيوس باتل » !

وقضى « لوشيوس باتل » طول نهار ٢١ ديسمبر فى منطقة الحادث جنوب الاسكندرية واستمع إلى ما توافر من تفاصيل ، كما أشرف على إجراءات إعداد جثة الطيار للشحن إلى الولايات المتحدة ، ثم عاد إلى سفارته بعد الظهر فكتب عدة برقيات إلى واشنطن . ثم توجه إلى موعده فى وزارة التموين مع الدكتور « كمال رمزى استينو » .

كان وزير التموين جاهزا بطلباته وأوراقه لا يعلم بما جرى ، ولكنه لاحظ من البداية أن السفير الأمريكى دخل إلى مكتبه والضيق باد عليه . ولم ينتظر السفير الأمريكى حتى يفتح وزير التموين المصرى ملفاته ويتحدث فى موضوع طلبات القمح ، وإنما بادره بقوله :

ـ سيدى الوزير

كان فى استطاعتى اليوم أن أعتذر عن موعدى هنا بسبب حادث مؤسف شغل واشنطن وشغلنى طوال اليوم ، لكنى مع ذلك فضلت أن أجىء فى موعدى لأعتذر لك بنفسى حتى لا يساء فهم تصرفى » .

ثم راح السفير الأمريكى يروى للدكتور « رمزى استينو » تفاصيل ما جرى ، ثم كان تعقيبه :

ـ « إنه جاء فى موعده حتى لا يساء فهمه ، ومع ذلك فهو يرى أن الجو العام غير صالح لمناقشة طلبات القمح المصرية ، وأنه إذا بعث بها اليوم أو غدا إلى واشنطن فمن المحقق أنها سترفض ، وهو لا يريد ذلك ويجد من الأنسب تأجيل مناقشة الموضوع . »

ويبدو أن الدكتور « كمال رمزى استينو » فوجىء بالقصة كلها . وتعطل الحديث . وانتهت المقابلة فى دقائق !

كان الأمر حتى هذه اللحظة حادثاً مؤسفاً . وربما نصف أزمة . وفى اليوم التالى تحول إلى أزمة سياسية كاملة .

□

فى اليوم التالى ٢٢ ديسمبر كان « جمال عبد الناصر » كالعادة كل سنة يستقل قطارا خاصا إلى بورسعيد ليشترك فى احتفالات عيد النصر ويلقى خطابه السنوى المنتظر فى المدينة التى واجهت عدوان سنة ١٩٥٦ .

وكان الضيف البارز فى هذا الاحتفال هو عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى « شليبين » وهو وقتها أحد النجوم الصاعدة .

وأثناء رحلة القطار كان السيد « علي صبرى » رئيس الوزراء قد عرف بما حدث فى اللقاء بين وزير التموين والسفير الأمريكى . وسمع « جمال عبد الناصر » عن الموضوع ، وفى الغالب فإن ما سمعه لم يكن كاملا .

وعندما وقف « جمال عبد الناصر » ليلقى خطابه أمام جماهير بورسعيد تحدث عن معركة السويس ، وعن الإرادة المصرية ، وعن رفض الضغوط والإنذارات ، ثم وصل إلى القول :

- « نحن لا نقبل ضغطا من أحد ولا تدخلا » .

ثم أضاف :

- « إننى أقول هذا الكلام بمناسبة ، فبالأمس ذهب السفير الأمريكى إلى مقابلة نائب رئيس الوزراء للتموين وكان « مأموص وزعلان » وقعد عنده دقيقتين ، وكان المفروض أن يتكلموا عن التموين . المواد التموينية التى نجىء بها من أمريكا حسب قانون الحاصلات . وقال له « والله لا أقدر أن أتكلم الآن فى الموضوع ! ليه ؟ لأن سلوكنا نحن هنا فى مصر لا يعجبهم . أنا أقول إن الذى لا يعجبه سلوكنا يشرب من البحر ، والذى لا يكفيه البحر الأبيض يأخذ البحر الأحمر يشربه كمان .. نحن لا نبيع استقلالنا من أجل ٣٠ مليون جنيه قمح أو أربعين أو خمسين .» .

كانت الصورة التى تلقاها « جمال عبد الناصر » غير كاملة ، وبالتالى جاء رد فعله إزاءها بنفس معيارها .

ولقد كان أكثر من أدهشهم رد الفعل هو السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » الذى هرول يحاول مرة أخرى وضع صورة لما جرى أمام الرئيس « جمال عبد الناصر » - والواقع فإنه فى مثل هذه الحوادث تكون التفاصيل ، والمناخ الذى تجرى فيه الوقائع عادة - أكثر تعبيرا عن جوهر ما جرى أكثر من مجرد ألفاظ تنتقل خارج إطارها وبنغمة تختلف عن إيقاعها الأصلى .

ووصل تصوير « باتل » للحادثة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » الذى أجرى تدقيقا للوقائع تبين معه نقص الانطباعات السريعة التى نقلت إليه فى القطار لبورسعيد ، ولم يكن هناك شىء يمكن عمله غير إبداء إشارة ودية إلى «باتل » تبلغه أن يعتبر الموضوع منتهيا

وأن ينساه[١١] . ولكن « لوشيوس باتل » كان فى مأزق ، ذلك أن وزير الخارجية الأمريكى « دين راسك » بعث إليه ببرقية يطلب فيها تقريرا كاملا عن الواقعة .

كانت المآزق كلها قابلة للاجتياز ، ولكن المشكلة الحقيقية جاءت من تراكم وقائع توالت وراء بعضها فجأة . فمن حريق السفارة - إلى إسقاط الطائرة - إلى انطباعات غير كاملة عن مقابلة ترتب عليها هجوم عنيف فى بورسعيد - هذا فى نفس الوقت الذى كان الرئيس الأمريكى فيه يواجه انتخابات مدة جديدة للرئاسة بنى حملته فيها على التصعيد فى حرب فيتنام . كما أن « **العامل الإسرائيلى** » بدأ يطرح نفسه بشدة عليه فى مواجهة قضايا الشرق الأوسط بينما هو مشغول اليدين فى فيتنام . ثم أن مجلس النواب الأمريكى - بتأثير أصوات اليهود - كان يحاول وضع قيود على تقديم القمح إلى أية دول تعارض السياسة الأمريكية .

وليس فى وسع أحد أن يقطع بشىء عما كان يدور فى فكر السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » ، لكنه رد على وزير خارجيته ببرقية قال فيها : « **إن المشاكل الأخيرة التى طرأت على العلاقات بيننا وبين الجمهورية العربية المتحدة ذات صفة معقدة . ومن جانبى فإننى أقترح أن أجىء إلى واشنطن ، وكان فى نيتى أن أستأذنكم فى قضاء عطلة رأس السنة مع أسرتى ، فإذا تلقيت موافقتكم فإنى جاهز للسفر على الفور** » .

ورد عليه وزير الخارجية « دين راسك » ببرقية قبل فيها اقتراحه ، وأذن له بالسفر إلى واشنطن ، وطلب منه أن يعد مذكرة بما يريد عرضه عليه على أن يناقشها مع وكيل الوزارة لشؤون الشرق الأوسط فور وصوله إلى العاصمة الأمريكية لأنه هو - « دين راسك » - سوف يكون مشغولا مع الرئيس الذى ذهب لقضاء أجازته فى مزرعته فى تكساس استعدادا لبدء إدارته الجديدة فى أوائل السنة الجديدة .

وطلب السفير « لوشيوس باتل » موعدا مع الدكتور « محمود فوزى » ليستأذن فى

---

(١١) كان السفير « لوشيوس باتل » قد مر على مكتبى فى « الأهرام » لأمر يتعلق بحادث الطائرة ، وقد روى لى واقعة لقائه بالدكتور « كمال رمزى استينو » وأبديت تفهما لموقفه فى هذه اللحظة ، وإن كنت رجوته فى معاودة الاتصال بوزير التموين بأسرع ما يمكن . وعندما ألقى الرئيس « جمال عبد الناصر » خطابه فى بورسعيد يوم ٢٢ ديسمبر اتصل بى « باتل » بادى القلق مما حدث ، وذكرنى بما رواه لى فى الليلة السابقة ، وقال إنه على استعداد لأى مواجهة حتى تتضح الحقيقة ، كما ألح علىّ فى نقل وجهة نظره إلى الرئيس مع طلبه للتحقيق - وفعلت ثم نقلت إلى « باتل » رد الرئيس ، وقد تلقاه قبل سفره إلى واشنطن .

السفر إلى واشنطن ، وأثناء مقابلته مع الدكتور « فوزى » قال السفير الأمريكى :[١٢]

- « دكتور فوزى .. إننى أريد أن أسألك سؤالا مفتوحا ، وقد تجده ساذجا ولكنى أحب أن أستبعده من تصوراتى بناء على تأكيد منك .»

وقال له الدكتور « فوزى » بالانجليزية « Shoot » - أى أطلق ما عندك .

وقال « باتل » بتحرج ظاهر : **« إننا واجهنا سلسلة من الوقائع سيئة الحظ فى الأسابيع الأخيرة ، وقد سألت نفسى مرة ما إذا كانت هذه كلها محض مصادفات ، أو أنها تخطيط مقصود يسعى له بعض الأطراف بقصد ؟ »**

ورد عليه الدكتور « فوزى » قائلا :

- « إن هذه براعة دبلوماسى يريد أن يقلب المائدة لصالحه ، فهو يعلم أن المصائب الثقيلة تجىء من واشنطن ، وأن ما يحدث فى القاهرة مجرد ردود أفعال يضيق صدرها وتنفس عن مشاعرها أحيانا وليس أكثر . وإنه يستطيع أن يؤكد أنه ليس هناك مخطط ولا مخططون . »

□

وقضى « لوشيوس باتل » ثلاثة أسابيع فى الولايات المتحدة ، وعاد فى أواخر شهر يناير . وظهر اليوم الأول من فبراير استقبله الرئيس « جمال عبد الناصر » فى بيته بمنشية البكرى . وخرج « باتل » من المقابلة ليبعث إلى وزير خارجيته ببرقية جاء فيها بالنص :[١٣]

« وزارة الخارجية

رقم ٩٥٧

من : القاهرة ***تسلمت : أول فبراير ١٩٦٥***

الساعة ٢٦ : ٩ مساء

التصرف : وزير الخارجية ٢٦٧١ - أولوية

التاريخ : أول فبراير الساعة ٤ مساء (القسم الأول من ثلاثة أقسام)

للوزارة تعميمها حسب الضرورة .

---

(١٢) مذكرة كتبها الدكتور « محمود فوزى » عن اجتماعه بالسفير الأمريكى « لوشيوس باتل » فى بيته بالبدرشين مساء يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٦٤ .

(١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ، البرقية رقم ٢٦٧١ - ٣٤ ، ويحتوى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤) صفحة ٩٤٨ على صورة للصفحة الأولى من هذه البرقية .

عدت توا من اجتماع لمدة حوالى ساعة مع الرئيس ناصر . وقد شكرته شكرا حارا لأنه استقبلنى فى المساء قبل العطلة الكبيرة فى السنة ، وقلت له إننى ممتن للفرصة التى أتيحت لإجراء حديث لأننى عدت أخيرا من واشنطن . وتحدثت قليلا عن تنصيب (الرئيس) والثلج وما إلى ذلك ، وذكرت أننى تحدثت مع عدد كبير من الأشخاص فى كل من الفرع التنفيذى والكونجرس ، بما فى ذلك الوزير راسك . وقلت له إن مقابلتى الرئيسية مع الرئيس جونسون لم تتم مع الأسف بسبب مرضه ، وإن كان الموعد حدد بعناية ليكون فى آخر يوم لى فى واشنطن . وقلت إننى منذ ذلك الوقت تلقيت تعليمات ورغبت فى إجراء عدد من التعليقات بناء على أحاديثى والتعليمات التى تلقيتها من واشنطن . وتكلمت بعد ذلك على النحو التالى :

إن رئيسنا بل جميع الذين تحدثت معهم يحدوهم أمل كبير فى المحافظة على علاقات طيبة مع الجمهورية العربية المتحدة إن أمكن . ولدينا اهتمام عميق بأن تكون مصر قوية مستقلة مزدهرة . كما أننا نشترك فى الاهتمام الكبير باستقلال دول الشرق الأدنى وتعزيزها . وسنواصل العمل فى سبيل إقامة علاقات بناءة مع جميع هذه الدول ، وفى أن تكون سياستنا وتصرفاتنا فى منطقة الشرق الأوسط غير متحيزة . والرئيس يحترم كرامة الأمم الأخرى ويصر على أن يتراءى ذلك فى سياسة الولايات المتحدة وكذلك كرامة بلادنا الخاصة .

وعند هذه النقطة قاطعنى الرئيس ناصر مشيرا إلى خطبة ٢٣ ديسمبر بشىء قليل من الحرج ، فقد لاح أنه يريد إبعاد هذه الخطبة من علاقاتنا ولكن دون الإقرار بخطأ . وقال إنه لم يكن هناك أى أمر شخصى مقصود ، وأن التقرير الذى تلقاه عن محادثات استينو أشار إلى أن المعونة ترتهن بتصرفات مصر وسلوكها . فقلت إن شيئا من هذا القبيل لم يكن مقصودا ، واقترحت أن نضع وراء ظهورنا عددا من الأحداث التى جرت فى الماضى ونتطلع إلى المستقبل بأمل . فقال إننا سنفعل ذلك ، ولكن علينا معالجة الحادثة . وتحدث بعد ذلك لا عن الخطبة بل عن المعونة ، معربا عن العرفان لها وعن الأمل فى أن تستمر ، ولكن تحت الشرط المعبر عنه وهو أن الجمهورية العربية المتحدة مستقلة فى تصرفاتها .

. . . .

باتل »

ثم تطرق « باتل » فى برقيته بعد ذلك إلى الكونجو ... وذهب بعيدا فى تفاصيل وتطورات أزمته التى تحولت إلى دوامة لا يتوقف دورانها من السطح إلى الأعماق المظلمة .

وكان الكونجو قد تحول على أى حال إلى عرض جانبى ، بينما ظلت الواجهة الأمامية الواسعة للمسرح - فى منتصف الستينات وحولها - مفتوحة وجاهزة لمشاهد أخرى فى قصة الصراع علي قلب الدنيا ... فى الشرق الأوسط وفى ظروف متغيرة ومستجدات طغت على العالم ودفعته إلى بؤر الخطر بسياسة العمل المباشر .

الباب الثانى

منحنى على الطريق !

« الحقيقة السياسية غالية ، ذلك لأنه لا شىء فى العمل السياسى يتحول إلى حقيقة ثابتة إلا بعد التجربة . وعندما تقع التجربة فإن ثمنها يكون قد دفع بالكامل ! »

الفصل الأول

الرقص على البارود

في الأيام الأولى من سنة ١٩٦٥ بدت في القاهرة ضرورات ملحة تفرض إجراء نوع من إعادة تقييم السياسات والمواقف . وكان هناك شعور ضاغط بأن أشياء كثيرة تجرى تحت السطح في واشنطن مع بدء رئاسة جديدة لـ « ليندون جونسون » ، وهي رئاسة عاد فيها إلى البيت الأبيض مفوضا من الناخبين وليس فقط لمجرد أنه كان نائب رئيس مع « كنيدى » مطلوب منه بنص الدستور أن يكمل مدة رئيسه الأصلى . كان كثيرون من قبل يعايرون « جونسون » أثناء تكملته لرئاسة « كنيدى » بأنه رجل دفعته المصادفات بطلقة مسدس إلى المكتب البيضاوى في البيت الأبيض ، ولكنه في هذه الانتخابات التي خاضها باسمه وبشخصه حصل على أغلبية تزيد بكثير عما حصل عليه « كنيدى » نفسه .

وكانت هناك أسباب عديدة وراء الشعور الضاغط الذى يلح على القاهرة : فهناك شخصية « جونسون » أولا وتكوينه النفسى كما ينعكس في تصرفاته ، ثم علاقاته الحميمة أكثر من اللازم بإسرائيل وبمناصريها من يهود أمريكا ، ثم اعتماده المتزايد على حماقة القوة حسب وصف « ويليام فولبرايت » رئيس لجنة الشؤون الخارجية في

مجلس الشيوخ الأمريكى ، ثم هذا التورط إلى أقصى الحدود فى فيتنام ، ثم علاقاته الظاهرة وغير الظاهرة بمصالح مالية كبرى فى الشرق الأوسط بينها شركات البترول العاملة فى ولايته الأصلية « تكساس » وفى العالم العربى ذات الوقت . وبالطبع كان هناك أيضا ذلك التحذير المبكر الذى احتوته رسالة السفير « محمد القونى » إلى الدكتور « محمود فوزى » . كل ذلك والرجل باق على رأس الامبراطورية الأمريكية لأربع سنوات قادمة على الأقل ، ومتصرف بالكامل أمرا ونهيا فى أدوات ووسائل قوتها .

وعلى الجانب الآخر فقد كانت القاهرة تشعر أن بعض المضاعفات فرضت نفسها على العلاقات بين البلدين بما لم تكن له ضرورة حقيقية ، مثل المظاهرة التى قام بها طلبة الكونجو وانتهت بإحراق جزء من السفارة الأمريكية بالقاهرة ، ثم حادث إسقاط طائرة المليونير الأمريكى ـ الصديق لـ « جونسون » ـ « ميكوم » . وأخيرا سوء التفاهم الذى نشأ عن مقابلة السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » ووزير التموين المصرى « كمال رمزى استينو » . وبشكل ما فإن القاهرة قدرت أن العلاقات بينها وبين واشنطن تحتاج الآن إلى محاولة للربط تضبط تفاعلاتها ، وتبعدها عن مهاوى الانزلاقات الجانبية التى لا ضرورة لها .

وفكر « جمال عبد الناصر » جديا فى إرسال الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ـ إلى واشنطن لتهنئة الرئيس « جونسون » برئاسته الجديدة ، ولحديث صريح ومباشر معه ومع البارزين من أركان إدارته .

☐

والحقيقة أن الوساوس المتزايدة التى ساورت القاهرة فى تلك الأوقات ـ كانت قد بدأت قبل ذلك بشهور ، وبالتحديد عندما قام رئيس الوزراء الإسرائيلى « ليفى أشكول » فى الصيف(*) السابق بزيارة رسمية إلى الولايات المتحدة اختلفت فى كل تفاصيلها عن زيارات غيرها قام بها رؤساء وزراء إسرائيل للعاصمة الأمريكية .

وقف « ليندون جونسون » على باب البيت الأبيض يستقبل « أشكول » بالتحية العبرية « شالوم » . ثم أقام له أكبر دعوة عشاء شهدها البيت الأبيض بعد التجديدات الكبيرة التى أدخلت عليه بإشراف « جاكلين كنيدى » . وزاد عدد المدعوين عما تحتمله طاقة قاعة العشاء

(*) جرت زيارة « أشكول » المعنية هنا لواشنطن ما بين ٣ إلى ٢٠ مايو ١٩٦٤ .

الكبرى فى البيت الأبيض ، فأقيمت حلبة الرقص فى البهو الخارجى ، وافتتح الرئيس الأمريكى مهرجان الرقص بدعوة « ميريام » زوجة « ليفى أشكول » إلى الرقص معه ، وظل يدور بها ثلاث رقصات كاملة . ودعى الموسيقى الكبير « ميشا المان » - وهو يهودى مهاجر من الاتحاد السوفيتى - إلى العزف بعد العشاء ، واختار « المان » أن يخصص برنامجه كله لمعزوفات من موسيقى « باخ » وهو المؤلف المفضل لدى « أشكول » . وبعد العشاء قدم « أشكول » لـ « جونسون » هدية تمثل كرة من النحاس مصبوبة فى وعاء من الفضة قال إنها من كنوز الملك سليمان وأن تاريخها يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد . ثم قدم له ساعة مكتب من الذهب تحمل بدلا من الأرقام اثنى عشر رمزا يمثل كل واحد منها قبيلة من قبائل إسرائيل . وكان ذلك فى حد ذاته بسيطا يمكن أن يعزى أمره إلى فرط الرغبة فى المجاملة . **لكن التفاصيل التى جاءت بعده عن اللقاء الذى دار على انفراد بين « جونسون » و « أشكول » لم تكن بسيطة ، فقد سمعت همسا فى واشنطن تفاصيل عن المحادثات أشارت إلى أن « أشكول » طلب من « جونسون » أسلحة تضمن لإسرائيل التفوق بنسبة ثلاثة إلى واحد على الدول العربية الأربع المحيطة بإسرائيل (مصر ، سوريا ، الأردن ، لبنان) . وكان الأساس الذى بنيت عليه هذه النسبة بالغ الغرابة . كانت السياسة الأمريكية تقيم التوازن فى التسليح بين العرب وإسرائيل على أساس أن تكون قوة إسرائيل معادلة تماما لقوة كل الدول العربية المحيطة بها . وكانت حجة « أشكول » الآن فى هذه النسبة الجديدة التى طلبها أن الدول الأربع المجاورة هى التى ستبدأ بشن الهجوم ، وسوف تلحق بها بقية الدول العربية ، وبما أن عدد الدول الأعضاء فى الجامعة العربية فى ذلك الوقت كان ثلاث عشرة ، فقد كانت نسبة الأربع إلى المجموع هى الثلث .**

كانت الدول العربية فى الأصل تعترض على خرافة التوازن بين إسرائيل وبين كل المحيطين بها ، فبعض المحيطين بإسرائيل قادر عملا على الاشتراك فى القتال إذا حدث واندلعت نيرانه ، وبعضهم حتى وإن امتلك أى قدر من الأسلحة - عاجز لأسباب كثيرة عن استعماله . وبالتالى فإن مقولة التوازن - رغم الاعتراض عليها فكرة ومبدأ - منطق غريب .

والآن كان « أشكول » فى واشنطن يقدم منطقا حسابيا أغرب ليبرر تفوقا بنسبة ثلاثة إلى واحد على الدول الأربع التى لها خطوط مع إسرائيل . وكان الأسوأ من ذلك أن الأخبار التى سربت على استحياء فى واشنطن كانت تشير إلى أن **الرئيس الأمريكى على استعداد لقبول هذه الحسبة الملتوية التى قدمها إليه « أشكول » .**

ولم يترك « أشكول » مجالا للشكوك فى مؤتمر صحفى عقده غداة اجتماعه المنفرد ووردت فى أقواله عبارة لافتة للنظر قال فيها : « **نعم ، إن إسرائيل تريد أن تتوسع فإذا كنا نعتبرها وطنا ليهود العالم فإنها لابد أن تتسع لكل واحد منهم حتى وإن لم يكن ينوى الهجرة إليها فى الوقت الحاضر** » .

ثم أضيف إلى هذه الاستفزازات استفزاز آخر . فقد حدث أن أصدر المستشارون الإعلاميون للسفارات العربية بيانا حذروا فيه من أن عقد صفقات سلاح جديدة مع إسرائيل يمكن أن يلحق ضررا بالغا بالعلاقات العربية الأمريكية . وكان تصرف وزارة الخارجية الأمريكية إزاء هذا البيان - وهو تصرف غير مسبوق فى ممارسات الدبلوماسية الأمريكية . هو أن دعت كل السفراء العرب فى واشنطن - ثلاثة عشر سفيرا - إلى مقابلة « جورج بول » مساعد وزير الخارجية الذى أبلغهم « **أن الرئيس جونسون يعتبر بيان المستشارين الإعلاميين فى سفاراتهم تدخلا غير مقبول فى الشؤون الداخلية الأمريكية** » . **وعندما حاول بعض السفراء العرب مناقشة « جورج بول » فيما سمعوه منه ، كان رده أنه مكلف بإبلاغهم ما سمعوه ، وليس مفوضا بمناقشة زيارة « أشكول » معهم** .

وفى الأيام الأخيرة من سنة ١٩٦٤ كانت القاهرة تتابع أعمال المؤتمر الصهيونى السادس والعشرين فى القدس ، وقد عقد برئاسة « ناحوم جولدمان » .وكان تركيز المؤتمر على قضية الهجرة إلى إسرائيل . وقد تبنى « ناحوم جولدمان » رأيا فى المؤتمر مفاده أن إسرائيل فى حدودها الحالية لا تتسع لمهاجرين جدد ، وأن المناخ العام فيها على أى حال لا يشجع على الهجرة . وكان رد المندوبين الذين يمثلون وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية هو وبصلافة « هذه قضية لا شأن لكم بها . إن عليكم زيادة معدلات الهجرة ، وعلينا نحن أن نحصل لهم على الأرض اللازمة لهم » . **وتساءل « جولدمان » خلال مناقشات المؤتمر عما إذا كان ما سمعه يعنى أن إسرائيل تنوى « غزو » أراض جديدة ؟ - ورد عليه الوزير « بنحاس سابير » قائلا إنه « يستهول أن يسمع من يهودى ، ويهودى فى مكانة جولدمان ، تعبير الغزو فى وصف حق الشعب اليهودى فى العودة إلى وطنه التاريخى فى أرض إسرائيل » .**

□

وعندما عاد الكونجرس الأمريكى إلى عقد اجتماعاته بعد انتهاء أجازة رأس السنة (١٩٦٥) - إذا بلجنة الشؤون الخارجية فى مجلس النواب تتلقى

اقتراحا من بعض أعضائها بوقف مبيعات القمح الأمريكى إلى مصر « حتى تغير الحكومة المصرية سياساتها وتتخذ سياسات أقرب إلى مصالح الولايات المتحدة الأمريكية » . ومر المشروع بسرعة فائقة فى لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكى ، واتخذ طريقه إلى مجلس النواب نفسه الذى قرر يوم ٢٦ يناير ١٩٦٥ بأغلبية ٢٠٤ أصوات ضد ١٧٧ صوتا - وقف اتفاقيات بيع القمح الأمريكى إلى مصر . وحاولت الحكومة الأمريكية أن تستر المظاهر ، فأعلن متحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومة لا توافق مجلس النواب على رأيه ، وترى أن ذلك يقيد حريتها فى تسيير أمور السياسة الخارجية الأمريكية .

وكانت تلك كلها ظواهر لا تدعو للارتياح فى أقل القليل .

وفى هذا الوقت انفجرت قنبلة جديدة ، وكان انفجارها فى بون . فقد تكشفت تفاصيل صفقة سلاح ضخمة قدمتها ألمانيا الغربية لإسرائيل .

كانت الأنباء عن هذه الصفقة متواترة فى بعض العواصم الأوروبية فى الأسابيع الأخيرة من سنة ١٩٦٤ . وفى الأسبوع الأخير من شهر يناير ١٩٦٥ تأكدت هذه الأنباء ، بل وتبين أن تسليم الصفقة على وشك أن يبدأ . وتلقت القاهرة قائمة بصفقة السلاح الألمانية لإسرائيل ، وكانت بنودها على النحو التالى :

☐ **مدرعـات :**

٢٠٠ دبابة من طراز « باتون » الأمريكى .

٢٠٠ مدرعة من طراز « هوتشكيس » .

٣٠ ناقلة جنود من طراز « H.S. » .

كتيبة دبابات من الطراز الألمانى الجديد « ليوبارد » .

□ **مدفعيـة :**

٢٠٠ مدفع عيار ٤٠مم مضاد للطائرات يعمل بالرادار .

٧٢ مدفع عيار ١٠٥مم ذاتى الحركة .

٦٠ مدفع عيار ٢٠مم ذاتى الحركة طراز « م ـ ٤٢ » .

٣٦ مدفع عيار ١٥٥مم من طراز « هاوتزر » الأمريكى .

□ **طيران :**

٤٨ قاذفة قنابل نصفها من طراز « اف ـ ٨٤ » الأمريكى ، والنصف الآخر من طراز « فيات ـ ج ٩١ » الإيطالى .

٢٧ طائرة ملاحظة جوية ومواصلات .

١٥ طائرة هليكوبتر من طراز « ٥٨ ـ س » الأمريكى .

٢٤ طائرة نقل عسكرى من طراز « نور ـ أطلس » .

□ **بحريـة :**

٦ زوارق طوربيد من طراز « جاجوار » .

٢ غواصة ساحلية حمولة ٣٠٠ طن .

إضافة إلى بنود أخرى من السلاح لم تتوصل إليها المعلومات الواردة من بون .

كان حجم الصفقة كبيرا ، وأضيف إلى مخاطر حجمها الكبير أنها كانت بمبلغ يصل إلى مائة مليون دولار هدية مقدمة بدون مقابل ، أى أن حصول إسرائيل عليها لا يرتب أى عبء اقتصادى عليها .

□

كان الذى كشف صفقة هدايا السلاح الألمانى لإسرائيل هو اعتراض رئيس البرلمان الألمانى الهر « جرستنماير » عليها بمنطق أن ألمانيا التى عانت ما عانت فى الحرب العالمية الثانية ، لا يجوز لها أن تصدر السلاح لمناطق التوتر فى العالم . لقد عثر « جرستنماير » على مبدأ عام يقيم عليه معارضته دون أن يقترب بالتخصيص من تحديد اسم إسرائيل ، وذلك حتى لا يتعرض للتهمة الجاهزة والقاتلة بـ « معاداة السامية » . ولم يقتنع « جرستنماير » بالحجج المضادة التى قدمها المستشار الألمانى « ايرهارد » لتبرير موافقته على عقد هذه الصفقة . وكانت الحجج المضادة التى قدمها « ايرهارد » لمعارضيه وبينهم « جرستنماير » كما يلى :

١ ـ إن صفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل يمكن اعتبارها ملحقا للتعويضات التى استحقت على ألمانيا نتيجة لما عاناه اليهود أيام « هتلر » .

٢ ـ إن الصفقة فى الواقع تم الاتفاق عليها من ناحية المبدأ قبل عدة سنوات بين « بن جوريون » وبين المستشار « أديناور » ، ومع أن ذلك جرى قبل أن يتولى هو (« ايرهارد ») منصب المستشارية ـ إلاّ أن تعهد « الدولة الألمانية » لا يسقط بتغير المستشارين !

٣ ـ إن الحكومة الأمريكية والرئيس « جونسون » بالتحديد هما اللذان استعجلا تنفيذ الاتفاق القديم ـ وكلاهما مازال على رأيه .

وكانت هذه الحجج جميعا مردودا عليها ، فالتعويضات الألمانية بدأ دفعها لإسرائيل منذ سنة ١٩٥٢ . وبرغم أن أحدا لا يستطيع أن يثبت أحقية إسرائيل فى إرث من تعرضوا للاضطهاد من اليهود فى عصر النازى ـ فإن ألمانيا الغربية عقدت فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ اتفاقية تعهدت فيها بأن تدفع إلى إسرائيل مبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون مارك ألمانى على شكل بضائع يتم توريدها فى مدة ١٢ سنة .

وفى ١٩ يونيو ١٩٦٣ ، أى بعد لقاء « بن جوريون » و « أديناور » ، ارتفع مقدار التعويضات الألمانية لإسرائيل إلى أربعين ألفا ومائتى مليون مارك ألمانى ، أى أنه زاد أكثر من عشر مرات فى عملية ابتزاز واحدة !

وإذن فإن ألمانيا الغربية دفعت لكل يهودى يقيم فى إسرائيل عشرين ألف مارك ألمانى نقدا ، وفوقها الآن هدايا السلاح !

☐

ووجدت القاهرة أنه لا مفر أمامها من الدخول فى مواجهة ضد هدايا السلاح الألمانى لإسرائيل . وكان حتما أن تكون المواجهة متعددة الجبهات بسبب ملابسات القضية وظروفها . وهكذا أخذت القاهرة الطريق المباشر إلى المواجهة ، ودعت مجلس الجامعة العربية إلى اجتماع عاجل على مستوى وزراء الخارجية لبحث الصفقة . وفى نفس الوقت اتبعت أسلوب الاقتراب غير المباشر ، ووجهت دعوة إلى مستشار ألمانيا الشرقية « فالتر أولبرخت » عارفة مقدما أن مثل هذه الزيارة سوف تسحب العلاقات بين بون والقاهرة إلى حافة الأزمة . وكان حساب القاهرة أنه هناك عند حافة الأزمة

وبموازين متعادلة (بون وهدايا الأسلحة لإسرائيل ، والقاهرة والدعوة القائمة لـ « أولبرخت ») يمكن الحديث من أجل الوصول إلى حل متوازن .

وحدث ما توقعته القاهرة بالفعل من آثار لدعوة « أولبرخت » لزيارتها ، وارتبكت حكومة ألمانيا الغربية فيما يمكن أن تفعله ، واستدعى السفير الألمانى الغربى فى القاهرة ، وهو الدكتور « جورج فيدير » إلى بون للتشاور ، واتصل به « شرويدر » وزير الخارجية الألمانى تليفونيا يطلب إليه أن يقابل الرئيس « جمال عبد الناصر » إذا استطاع قبل مغادرته للقاهرة حتى يحضر مشاورات بون ومعه آخر كلمة فى موقف مصر .

وبدأ السفير لقاءه مع الرئيس « عبد الناصر »[1] بأن أخطره باستدعائه إلى بون وأنه يرغب فى أن يستطيع نقل وجهة النظر المصرية كاملة إلى المسؤولين فيها . ثم أضاف « أنه كصديق لمصر يريد فقط أن يقول إن كثيرين فى ألمانيا ، وبينهم رئيس البرلمان الألمانى « جرستنماير » يفهمون مشاعر مصر والعرب إزاء صفقة سلاح ألمانى لإسرائيل - لكنهم جميعا يتمنون لو أن مصر والعرب استطاعوا تقدير ظروف ألمانيا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات مع اليهود وإسرائيل ، وأن هذا موضوع يثير حساسيات لا يتصورها أحد فى الغرب وفى ألمانيا وبالطبع فى إسرائيل » . ورد عليه الرئيس « عبد الناصر » قائلا إن السفير « **لابد يعرف أن الشعب الألمانى له فى مصر وفى الأمة العربية تقدير خاص . وأن الشعوب العربية تأثرت إلى أبعد مدى من اتفاقية التعويضات التى عقدتها ألمانيا الغربية مع إسرائيل ، وأن هذه التعويضات هى التى أعانت إسرائيل على الحياة فى السنوات الحاسمة الأولى من عمرها . ولقد قبل العرب أن يسمعوا أعذاراً من أصدقائهم الألمان حاولوا بها تبرير اتفاقية التعويضات . ولم تكن هذه الأعذار مقنعة ، ومع ذلك فقد سارت الأمور على نحو أو آخر . وأما الآن فإن الأمور أخذت منحى خطيرا بصفقة الأسلحة . فهذه الصفقة تشجيع صريح لإسرائيل على العدوان ، وهو أمر لا تستطيع مصر ولا بقية الدول العربية أن تسكت عليه » . وتساءل الدكتور « فيدير » قائلا : « إن بون قد تكون مستعدة لأن تفهم حساسية العرب فى هذا الصدد ، لكن السؤال الذى يحرج الجميع هو : لماذا يكون الرد على صفقة الأسلحة لإسرائيل هو دعوة أولبرخت لزيارة**

---

(١) محضر المقابلة فى ملفات وزارة الخارجية المصرية ،وقدأرسلت إليها صورة منه نقلا عن مذكرة أملاها الرئيس « جمال عبد الناصر » - كما أرسلت نسخة منه إلى القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة ورئاسة مجلس الوزراء . وأهمية النسخة الموجودة فى ملفات وزارة الخارجية أنها تحمل تأشيرة بخط الرئيس « جمال عبد الناصر » تطلب إخطار السفير المصرى فى بون « جمال منصور » بفحوى المقابلة .

مصر وهو أمر غير مقبول على الإطلاق بالنسبة لألمانيا الغربية ؟ » وعقب « جمال عبدالناصر » قائلا « وكذلك تسليح ألمانيا الغربية لإسرائيل بالنسبة لنا هو الآخر أمر غير مقبول على الإطلاق » .

□

وسافر الدكتور « فيدير » إلى ألمانيا وحضر اجتماعا لمجلس الوزراء الألمانى نوقشت فيه تفاصيل الأزمة . ويبدو أن تقرير « فيدير » كان قاطعا فى أن مصر لن تعدل عن دعوة « أولبرخت » طالما بقيت صفقة الأسلحة لإسرائيل قائمة . وبدت بون حائرة لا تعرف ما هى الخطوة التالية فى الأزمة . ثم تصاعدت الأزمة أكثر حينما أعلنت بعض الدول العربية وبينها الجزائر والكويت أنها تؤيد الموقف المصرى وتسانده . واتجه « ايرهارد » إلى طلب وساطات بينه وبين « جمال عبد الناصر » ، واتصل بالجنرال « فرانكو » رئيس أسبانيا الذى قبل أن يتوسط وانتدب مبعوثا خاصا يمثله ، وهو الماركيز « دى نيرفا » ، الذى سافر إلى بون مزودا بتعليمات من الجنرال « فرانكو » تنصح الحكومة الألمانية بأن تكون أكثر استعدادا لملاقاة العرب فى منتصف الطريق .

ثم وصل الماركيز « دى نيرفا » إلى القاهرة ومعه اقتراحات جديدة من بون خلاصتها أن **« الحكومة الألمانية على استعداد لوقف صفقة السلاح لإسرائيل والتمسك بمبدأ حظر تصدير الأسلحة إلى مناطق التوتر . وفى مقابل ذلك إلغاء زيارة « أولبرخت » لمصر أو تأجيلها إلى موعد يتحدد فيما بعد »** . وكانت القاهرة على استعداد لقبول هذا الموقف الألمانى الجديد واعتبار أن الازمة فى طريقها إلى الحل . ثم تبين أن المقترحات الألمانية لها بقية لم تخطر بها مصر ، وإنما أخطرت بها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية . وكانت هذه البقية : **تعهد ألمانى بدفع قيمة صفقة الأسلحة (حوالى مائة مليون دولار) نقدا لإسرائيل تشترى بها السلاح من حيث تريد . ثم تلاحقت الحوادث فإذا إسرائيل تعلن غضبها على ألمانيا بسبب « تراجع بون المشين أمام عبد الناصر » . ثم أعلن « ليفى أشكول » بعد اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلى أن « حكومة إسرائيل ليست مستعدة لتلقى « بقشيش مالى » من ألمانيا بديلا عن صفقة الأسلحة التى تعهدت بتقديمها للشعب اليهودى » .**

□

وفى نفس الوقت لم تكن القاهرة ـ بدورها ـ راضية عن هذه الإضافات « المالية »

التى ألحقتها بون بقرار وقف صفقة الأسلحة . وكان « أولبرخت » فى طريقه إلى الاسكندرية على ظهر باخرة تحمل اسم « صداقة الشعوب » . وفى اليوم الذى وصلت فيه باخرة « أولبرخت » للاسكندرية عقد مجلس الوزراء الألمانى الغربى اجتماعا طرح فيه « ايرهارد » تطبيق قانون « هاليشتاين » على مصر ، وذلك بقطع العلاقات معها . ونبهه بعض الوزراء إلى خطورة هذا التصرف ، منكرين بأن زيارة « أولبرخت » لمصر لا تعنى من الناحية الفنية اعترافا دبلوماسيا من جانب مصر بحكومة ألمانيا الشرقية . وتقرر تعديل اقتراح « ايرهارد » والاكتفاء بقطع العلاقات الاقتصادية مع مصر . وبضغوط من أجنحة كثيرة فى حزب الديمقراطيين المسيحيين ، وهو حزب « ايرهارد » ، تقرر إيفاد مندوب جديد إلى مصر ، وهو الدكتور « رودلف فيرنر » رئيس المجموعة البرلمانية للحزب فى البرلمان الألمانى .

وجاء الدكتور « فيرنر » إلى مصر يحاول أن يشرح للرئيس « جمال عبد الناصر » أن دعوة « أولبرخت » إلى القاهرة جعلت موقف « ايرهارد » مستحيلا ، فى حين أنه للحق ليس مسؤولا عن الصفقة ، وإنما المسؤول عنها هو سلفه « أديناور » . بل إنه - أى « فيرنر » - مستعد لأن يقول بأنه حتى « أديناور » الذى وقع الصفقة يمكن اعتباره هو الآخر غير مسؤول عنها . وأنه - أى « فيرنر » - قبل أن يجىء إلى القاهرة اتصل بـ « أديناور » تليفونيا وسأله عن الظروف التى تم فيها توقيع الصفقة مع « بن جوريون » . ورد عليه « أديناور » بقوله : « إننى لم أوقع شيئا مع بن جوريون مباشرة . إن الأمريكيين هم الذين وضعوا مشروع الاتفاقية ، وقد وقعته معهم وليس فى حضور بن جوريون » . وطالت المناقشات وراح « فيرنر » يقدم مجموعات من الحجج الفرعية بينها أنه يخشى أن يعتقد الأمريكيون « أن دعوة أولبرخت للقاهرة تمت تحت ضغط الاتحاد السوفيتى » . ورد « جمال عبد الناصر » بأنه يظن « أن الأمريكيين يعرفوه بأحسن من ذلك ، وأنهم إذا أرادوا استعمال هذا الخط فى الدعاية فإن لهم مطلق الحرية . وعلى أى حال فهذه الحجة الجديدة لن تنقص أو تزيد شيئا فى حملتهم النفسية على مصر بشأن علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى » .

وأحس « فيرنر » أنه استهلك جميع حججه ولم ينجح فى مهمته . وكانت الحوادث تسير فى اتجاه معاكس ، ففى بون أعلن أن « المستشار ايرهارد بعد خلافات فى مجلس الوزراء لم يتمكن المجلس من الوصول إلى قرار فيها - استعمل سلطته الدستورية وقرر أنه فى الوقت الذى تتمسك فيه ألمانيا بحظر تصدير السلاح لإسرائيل ، فإنه من المحتم

عليها إقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين بون وإسرائيل ». [٢]

وأعلنت القاهرة أنها قررت استدعاء السفير « جمال منصور » سفيرها فى بون الذى دعى لمقابلة وزير الخارجية « شرويدر » قبل سفره من العاصمة الألمانية حيث رجاه الوزير أن يحمل للقاهرة رسالة تدعو إلى وقف تصعيد الأزمة . وكان مبعث قلق وزارة الخارجية الألمانية ما أعلن من أن مصر قررت دعوة مجلس الجامعة العربية إلى جلسة طارئة تبحث قطع العلاقات مع ألمانيا مقابل اعترافها بإسرائيل .

□

وبعد وصول « جمال منصور » إلى القاهرة بأيام لحق به « رودلف فيرنر » عائدا إلى العاصمة المصرية مرة أخرى يحمل رسالة مكتوبة من « ايرهارد » إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيها بالنص: [٣]

« عزيزى الرئيس

إن أسفى عميق لأن العلاقات التقليدية بين بلدينا قد تدهورت أخيرا . ولست أريد أن أدخل فى تفصيلات أسباب هذا التدهور الآن ، ولكن ما أريده هو أن أحول دون تدهور جديد يصيب العلاقات بين بلدينا بضرر لا يمكن إصلاحه . إننا قررنا تبادل السفراء مع إسرائيل وسوف يكون لدينا هنا فى بون خلال أسابيع سفير لإسرائيل . إن هناك سبعا وثمانين دولة من الدول الغربية والشرقية وغير المنحازة لها علاقات مع إسرائيل ومع العرب فى نفس الوقت . ولقد كان السؤال الذى يوجه إلىّ باستمرار هو لماذا لا يكون لنا نحن أيضا علاقاتنا مع إسرائيل. خصوصا وأننا ـ كما تعلم ـ ألحقنا أكبر العذاب بالشعب اليهودى فيما مضى . »

ثم استطرد « ايرهارد » يقول فى رسالته موجها كلامه لـ « جمال عبد الناصر » إنه « مهما يكن فإنى أريد أن ألفت نظركم إلى النقطة التالية :

---

(٢) لم تكن هناك برغم كل المساعدات الألمانية ـ بما فيها اتفاقيات التعويضات ـ لإسرائيل علاقات دبلوماسية بين البلدين ، وفى البداية كان السبب من جانب إسرائيل التى لم تكن تريد بعد استقلالها أن « تدنس » موقفها الدولى بعلاقات مع الشعب الذى فعل ما فعل باليهود أيام « هتلر » ، أو على الأقل سكت على ما جرى فى بلاده !

(٣) أصل الرسالة فى ملفات قصر عابدين التى كانت تشكل فى الأصل أرشيف منشية البكرى .

إنه إذا قامت الجمهورية العربية المتحدة بتأسيس علاقات دبلوماسية مع ما يدعى بألمانيا الديمقراطية فإننى لا أظن أنه سوف يكون فى مقدوركم أو فى مقدورى أن نفعل شيئا لمنع الضرر الذى سيلحق بالعلاقات بين العرب والأمة الألمانية . ولست أظن أن أحدا منا ، أنتم أو أنا ، يريد أن يتحمل هذه المسؤولية أمام التاريخ » .

ثم ختم « ايرهارد » رسالته قائلا « **إننى أكتب لكم هذه العبارات بقلب مثقل بالهموم ، فقد عملت طول عمرى من أجل علاقات عربية ألمانية طيبة طالما أن ذلك كان ممكنا ، وأما الآن فإن الكرة فى ناحيتكم من الملعب** » .

وقرأ « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة التى سلمها إليه « رودلف فيرنر » ، وقال للمبعوث الألمانى : « **إننى مازلت عاجزا عن فهم الأسباب التى دعتكم إلى التصرف على هذا النحو من بداية الأزمة إلى نهايتها** » . **وتنهد « فيرنر » وسكت للحظة ، ثم قال لـ « جمال عبد الناصر » : « سيدى الرئيس . إننى أتردد كثيرا قبل أن أقول لك هذا الكلام ، ولكنى أظن من حقك أن تعرفه ، وربما من حق الشعب الألمانى أيضا . إن هذه الأزمة فى العلاقات بيننا فرضت فرضا علينا ولا أعتقد أن ذلك خاف عليك . إن الرئيس جونسون شدد ضغطه على « المستشار » حتى لم يعد أمامه غير أن يقبل وهو عالم مقدما بأنه مرغم على سياسة تضر بألمانيا وبالعرب وبالصداقة التقليدية بينهما . ولقد كان أمله أن تقدروا أنتم هنا ظروفه وتساعدوه على الخروج من المأزق بأقل قدر من الخسائر** » !

وقد رأى « جمال عبد الناصر » على أى حال أن يرد على رسالة « ايرهارد » الأخيرة بكلمة أخيرة منه هو أيضا يشرح فيها موقفه ، وجاء فيها بالنص :(٤)

« إننى إذ أشكر لكم النية التى حدت بكم إلى إرسال هذا الخطاب إلىّ كجهد أخير فى الأزمة التى طرأت على علاقاتنا نتيجة قرار حكومتكم بإنشاء علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ـ فإنى ألاحظ أن وجهة نظركم قد بنيت على افتراض لا يعبر عن الحقيقة بالقدر الكافى . »

ثم قال « جمال عبد الناصر » فى رده على « ايرهارد » ما نصه :

« إذا كان الشعب الألمانى يشعر بمسؤولية ضمير تجاه ما تعرض له اليهود

---

(٤) صورة الرسالة فى ملفات قصر عابدين .

فى ألمانيا وأوروبا تحت الحكم النازى ، ففى ظننا إلى حد اليقين أن هذا الشعب لابد يشعر بمسؤولية ضمير أيضا تجاه الأمة العربية ، فلقد استغلت العنصرية الصهيونية الآم اليهود تحت الحكم الهتلرى لتنفيذ مؤامرة رهيبة ضد الأمة العربية بانتزاع جزء من أرضها لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين . إن الأمة العربية فى جزء مما تعرضت له كانت تدفع كفارة الضمير الألمانى . وكان محتما أن تكون هذه الحقيقة دائما أمام الشعب الألمانى وحكومته فى كل تصرف إزاء الأمة العربية وخاصة فيما يتعلق بإسرائيل . »

وطوال فترة الأزمة كان السياسى والدبلوماسى الأمريكى المخضرم « ايفريل هاريمان » دائم السفر إلى إسرائيل . كثيرا ما تردد على مقر رئاسة الوزارة فيها . بل وحاضرا عدة مرات جلسات مجلس الوزراء ، ولجنة الأمن التابعة له . ويوم ٢٥ فبراير ١٩٦٥ ـ على سبيل المثال ـ أعلن « ليفى أشكول » للصحفيين الذين كانوا فى انتظار انتهاء اجتماع بينه وبين « هاريمان » أن « الرئيس جونسون أبلغنى بواسطة مبعوثه الخاص صديقنا السفير ايفريل هاريمان أن الولايات المتحدة على استعداد لأن تعوضنا عن صفقة السلاح الألمانية ، وأنها فوق ذلك تتكفل بتوفير كل ما يساعد إسرائيل على أن تدافع عن نفسها ضد الأعداء المحيطين بها من كل جانب » !

□

كانت القاهرة تعرف بصفة عامة أن الرئيس « جونسون » هو الذى يقف بنفسه وراء صفقة السلاح الألمانى لإسرائيل . ولكن التفاصيل كانت غائبة عن علمها فى ذلك الوقت مغلقة فى الملفات السرية لوزارة الدفاع ومجلس الأمن القومى الأمريكيين .

كان المشرف على تنفيذ الصفقة هو « روبرت كومر » المساعد الخاص للرئيس لشؤون الأمن القومى ، وهو الرجل الذى لاح ظله مرات كثيرة فى معارك اليمن وفى الاتصالات بإسرائيل وفى غير ذلك من العمليات التى تهتم بها « الحكومة الخفية » فى أمريكا وتضعها تحت رعايتها المباشرة .

والآن تكشف الملفات السرية المودعة فى المكتبة الخاصة التى تحمل اسم الرئيس « جونسون » والتى أنشئت تخليدا لذكراه فى ولايته الأصلية « تكساس » ـ عن مجموعة من الرسائل يضمها الملف رقم ١ ـ ٦٤/٢٦٢٦٦ ، وفى هذه المجموعة من الرسائل يظهر « كومر » وكأنه هو المفاوض الحقيقى بالنيابة عن إسرائيل إلى درجة أن مساعد وزير الدفاع الأمريكى يكتب خطابا موجها إلى :

المستر روبرت د . كومر
مكتب المساعد الخاص للرئيس لشؤون الأمن القومى
٣٧٢ مبنى المكتب التنفيذى

« عزيزى بوب
إننا مهتمون بمذكرتك المعروضة على الرئيس والمحولة إلينا بشأن إمداد إسرائيل بدبابات من طراز « م - ٤٨ » ، وطلبك تعليقا عليها . إنك محق تماما فى أن هذه التوصية تتفق مع الخط الذى تتبناه وزارة الدفاع . وإنك محق أيضا فى افتراضك أننا لا نحبذ وضع أى تحديد على بيع ١٥٠ دبابة من طراز « م - ٤٨ » بواسطة الجمهورية الفيدرالية الألمانية إلى إسرائيل ..
.... »

ثم تمضى الرسالة بعد ذلك فى مناقشة تفاصيل التوريد .

وتظهر وثائق نفس الملف أيضا برقية من « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع إلى السفير الأمريكي فى بون يقول له فيها : « **إننى سوف أرسل إلى بون بعد ظهر هذا اليوم مجموعة عمل صغيرة لقضاء مهمة عاجلة تتعلق بترتيب اختيار وبيع ما بين ١٠٠ - ٣٠٠ دبابة ألمانية الصنع إلى طرف ثالث . وسوف يرأس مجموعة العمل فرانك سلون نائب مساعد الوزير ومعه اثنان من الضباط الخبراء بالدبابات الألمانية الصنع . وسوف يكون فريق العمل مستعدا لمناقشة تفاصيل السعر والتسليم والتسليح والمواعيد** » . ثم يمضى « ماكنمارا » قائلا فى برقيته : « **إننى أثق أنك سوف تستقبل هذا الفريق بأسرع ما يمكن وسوف تقدم لأفراده كالعادة كل مساعدتك الودية** » .

كانت لهجة الرسالة على هذا النحو توضح أن الاتصال يتم من خارج القنوات الطبيعية ، ومن خارج الأجهزة الرسمية المختصة ، ولم يكن هناك شك فى أن الطرف الثالث فى الصفقة هو إسرائيل التى ورد اسمها صراحة فى خطاب مساعد الوزير إلى « روبرت كومر » - ولا فى أن العملية تتم بإشراف « الحكومة الخفية » مع استعمال أجهزة الحكومة الرسمية تسهيلا وسرعة .

□

وربما كان الاتحاد السوفيتى هو الطرف الذى كان فى مقدوره أن يحصل على معلومات لم يكن فى وسع غيره أن يحصل عليها . ففى يوم ٢٨ فبراير ١٩٦٥ طلب السفير

السوفيتى فى القاهرة « فلاديمير أيروفييف » موعدا مع المشير « عبد الحكيم عامر » ليبلغه بتقرير معلومات خاص من موسكو جاء فيه ما يلى :

« ١ ـ تم الاتفاق على تسليم إسرائيل ٣٠٠ دبابة أمريكية من طراز « م ـ ٤٨ » ولدى الألمان مخزون من هذا الطراز من الدبابات يبلغ حجمه ١١٥٠ دبابة .
٢ ـ حتى شهر يناير الأخير تسلمت إسرائيل بالفعل عن طريق الألمان ٤٠ دبابة من هذا الطراز ، والولايات المتحدة سوف تقوم بتسليم الباقى مباشرة .
٣ ـ هناك اتفاق على توريد أجهزة لاسلكى وشفرة وأجهزة اليكترونية للمدفعية والمواصلات .
٤ ـ هناك مجموعة من ١٤ خبيرا ألمانيا موجودين فى إسرائيل للإشراف على بناء قواعد صواريخ . »

(وهنا سأله المشير « عبدالحكيم عامر »(٥) عما إذا كانت هذه الصواريخ من الأرض إلى الأرض ، أو من الأرض إلى الجو . ورد السفير بقوله « إن الرسالة التى تلقاها وطلب إليه توصيلها إلى المشير لم تذكر شيئا عن هذه النقطة ، ولكنه سوف يعاود الاتصال بموسكو والإجابة عن سؤال المشير ») .

وعاد السفير إلى استكمال بقية تقرير المعلومات الذى تلقاه فأضاف :

« ٦ ـ هناك ٤٥ فردا من الجيش الإسرائيلى بينهم ٤ صف ضباط يتلقون تدريبا فى قاعة « مينستر » ، كما يوجد عدد من الفنيين فى شؤون الرادار يتلقون تدريبهم فى مطار « أوزودورف » .
٧ ـ قال السفير السوفيتى إنه لم يتلق بعد معلومات كافية عن سؤال وجهه إليه « السيد الرئيس » فى مقابلة أخيرة بينهما طالبا أية معلومات يستطيع الاتحاد السوفيتى أن يقدمها لمصر عن مفاعل ديمونة النووى الذى قال الرئيس للسفير إنه « على وشك أن يبدأ العمل فى المستقبل القريب » . وقد وعد بأنه سوف يتصل إذا جاءته معلومات . »

---

(٥) مذكرة من المشير « عبد الحكيم عامر » مرسلة إلى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » مكتوبة بخط اليد ، وأصلها فى ملفات قصر عابدين .

كان « جمال عبد الناصر » شديد الاهتمام ببرنامج إسرائيل النووى ، ولقد كان يتابع بنفسه البرنامج المصرى النووى ، ولكنه كان يدرك أن المشروع الإسرائيلى متقدم فى ذلك الوقت بثلاث سنوات عن المشروع المصرى . وكان يتفهم أسباب ذلك ويقبلها عن معرفة بأن إسرائيل كانت لها ميزة استقبال لاجئين من العلماء اليهود القادمين من أوروبا ، فضلا عن أن آخرين - يهودا وغير يهود - من الجامعات الأوروبية والأمريكية تطوعوا بجهودهم لمعهد « وايزمان » الذى كلف باستضافة المشروع الإسرائيلى فى أيامه الأولى .

ومن المفارقات الغريبة أن العالم المرموق فى البرنامج الإسرائيلى ، وهو الدكتور « إسرائيل دوستروفسكى » ، والعالم المرموق فى البرنامج المصرى وهو الدكتور « محمد النادى » كانا معا فى نفس الوقت يدرسان فى لندن ، ولبعض الوقت كان معهما فى معامل الجامعة الدكتور « بهابها » وهو العالم الهندى المرموق فى البرنامج النووى الهندى .

وبشكل ما فإن الدكتور « محمد النادى » كان يعتقد أن التفكير المصرى والتفكير الإسرائيلى يسيران فى نفس « طرق الاقتراب » من تنفيذ مشروعيهما . ثم بدأت المسافة تتسع بين المشروعين حين تقدمت فرنسا لمساعدة إسرائيل ببناء مفاعل « ديمونة » فى قلب صحراء النقب بقوة ٢٤ ألف كيلو وات ، ثم لحقت الولايات المتحدة لمساعدة إسرائيل ببناء مفاعل أصغر فى منطقة « سوريك » على شاطىء البحر الأبيض بقوة ٥ آلاف كيلو وات .

ثم اختلف وضع المشروع الإسرائيلى بعد أن انتقل الإشراف عليه انتقالا كاملا إلى الجيش الإسرائيلى ، وإن ظل الدكتور « ارنست برجمان » رئيسا للجنة الطاقة الذرية . وكان « بن جوريون » هو الذى اتخذ القرار أثناء رئاسته للوزارة الإسرائيلية ، وتسجل محاضر لجنة الأمن القومى قوله : « **إننى لا أعرف إلى أين يمكن أن نصل ، ولكنى أسعى إلى اليوم الذى تستطيع فيه إسرائيل أن ترغم أعداءها على توقيع اتفاقية سلام طبقا للأوضاع القائمة على الأرض ، ولا يكون فى مقدور هؤلاء الأعداء مناقشة هذه الشروط لأنهم يعرفون ما يمكن أن ينتظرهم** » !

ومن المحتمل أن يكون الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » قد ألمح إلى هذا كله فى آخر مقابلة له مع « بن جوريون » فى سنة ١٩٦٠ حين سجل فى يومياته أنه قال لـ « بن جوريون » : « **لا أظن أن الأسلحة النووية تستطيع أن تكون أساسا لضمان أمن إسرائيل . وإذا كنت تشك أن الاتحاد السوفيتى قد يعطى العرب أسلحته النووية فإنى أؤكد لك أن ذلك لم يحدث حتى الآن ، ونحن واثقون أنه لن يحدث فى يوم من الأيام** » ![٦]

والغريب أنه فى نفس هذا الوقت كان بعض الأطراف فى « الحكومة الخفية » وعلى رأسهم « جيمس أنجلتون » وكيل إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ـ يسهلون لإسرائيل عمليات الحصول على معدات ومعلومات ضرورية لبرنامجها النووى ، **وقد كلفت بذلك شركة تأسست لهذا الغرض فى ولاية بنسلفانيا تحت اسم « شركة المواد والمعدات النووية » ، وسجل عقد تأسيسها أن الشركاء الرئيسيين فيها ثلاثة هم : الدكتور « زالمان شابيرو » والدكتور « فردريك فورشر » والدكتور « ليونارد بيكوفيتش »** .

وفي سنة ١٩٦٢ ، وفى عهد الرئيس « كنيدى » ، كانت « **لجنة الرقابة على الأنشطة النووية فى أمريكا** » قد اكتشفت حقيقة « شركة المواد والمعدات النووية » وكتبت تقريرا وقعه سكرتيرها العام « جيمس ووترز » ، جاء فيه بالنص : « إن الشركة تعمل لحساب إسرائيل كمستشار فى التكنولوجيا والتدريب واختيار العلماء » . ثم أضاف : « **إن الشركة تتلقى من جهات رسمية تقارير ووثائق ومعلومات عن أسلحة لا يمكن أن تكون متاحة لحكومة أجنبية** » .

بل وأكثر من ذلك فإن « شيرمان كنت » رئيس مكتب التقديرات الاستراتيجية فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ـ كتب تقريرا بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٦٤ موجها إلى مستشار الرئيس للأمن القومى يقول فيه : « **إن إسرائيل تتمتع بتفوق عسكرى ظاهر على خصومها من العرب فرادى أو جماعات ، وحصولها على القوة النووية قد يدفعها إلى اتخاذ موقف أكثر تشددا تستغل فيه شبح الأسلحة النووية لابتزاز جيرانها دون عرض حل مقبول لنزاعها معهم . وهذا يعنى ببساطة أنها تدفعهم دفعا إلى أحضان الاتحاد السوفيتى باعتباره الطرف الدولى الوحيد الذى يستطيع مساعدتهم نوويا** » .

□

---

(٦) يوميات « أيزنهاور » فى مكتبته بآبيلين ـ كانساس ـ المجلد السادس .

وبعد أن دخل « جونسون » إلى البيت الأبيض خلفا لـ « كنيدى » خفتت كل الأصوات التى كانت تهمس بالتحذير داخل دوائر صنع القرار السياسى الأمريكى سواء فى الحكومة الرسمية أو فى الحكومة الخفية ـ بل وأكثر من ذلك بدأت عملية خداع تكشفها الوثائق الأمريكية الموجودة الآن فى مكتبة « جونسون » بولاية تكساس . ففى الوقت الذى كلف فيه السفير الأمريكى فى القاهرة سنة ١٩٦٢ بأن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » تأكيدا بأن « **معلومات حكومة الولايات المتحدة تقطع بأن إسرائيل لا تصنع ولا تنوى أن تصنع أسلحة نووية** » ـ فإن برقية سرية من وزير الخارجية إلى السفير الأمريكى فى القاهرة احتوت على فقرة بالغة الأهمية تقول له بالحرف :

« عليك أن تحذر الحكومة المصرية من التوسع فى برنامج الصواريخ الذى يدفع بسباق السلاح فى المنطقة إلى درجة خطيرة من التصعيد . ولابد لك أن تلاحظ أن هناك خيطا دقيقا بين أن يفهم ناصر منك خطورة طبيعة التصعيد ويقدر نتائجه ، وبين أن تعطيه الانطباع بأن إسرائيل توشك أن تصبح قوة نووية بمعرفتنا وقبولنا الضمنى . ولك أن تختار أفضل السبل لإقناع ناصر بأن لا يقحم نفسه فى لعبة لا يستطيع أن يربحها بسبب تقدم إسرائيل التكنولوجى والوسائل الخارجية المتاحة لها للحصول على ما تحتاجه من مواد ومعدات . »

إن نفس الملف الذى يضم هذه البرقية الموجهة إلى السفير الأمريكى فى القاهرة[٧] يضم برقية أخرى لها دلالاتها أرسلها الملحق الجوى الأمريكى فى إسرائيل وجاء فيها بالنص :

« التقيت مع مصدر موثوق به جدا (رجاء مراجعة ا . س ٢١٠٠٠٠) وقد كشف لى المعلومات التالية :

١ ـ أجريت أخيرا تجارب فى جزيرة ديليفان على الصاروخ أرض أرض الذى تصنعه إسرائيل بالتعاون مع فرنسا ، وقد جاءت تجربة الصاروخ بنتائج لا بأس بها . والاتجاه فى إسرائيل هو إلى استعمال منصات إطلاق ثابتة نظرا لضيق الرقعة الجغرافية .

٢ ـ عندما أبديت تشككا فى نتائج تطوير هذا الصاروخ إذا لم تكن عليه رؤوس حربية غير تقليدية ، اندفع المصدر يقول لى « لا تقلق . فعندما نحتاج

---

(٧) المجلد الرابع : مجلس الأمن القومى الأمريكى ٢ / ٦٥ ١١ ٦٥ مكتبة ليندون جونسون .

إلى الرأس الحربى الذى نريده فسوف تحصل عليه . وعندما يتم ذلك فسوف يسود السلام هذا الجزء من العالم » . ثم أضاف « إن إسرائيل سوف تحصل على شىء يرهب الجميع » . »

ثم أضاف الملحق الجوى الأمريكى فى ختام برقيته عبارة قال فيها « **إن معلومات هذا المصدر كما تعرفون صحيحة دائما ، وفى مساء اليوم الذى تحدثت فيه إليه فقد كان نهاره حافلا بمقابلات مع موشى ديان وعزرا وايزمان قائد الطيران ومساعده الكولونيل هود ونائب وزير الدفاع شيمون بيريز . »**

□

لم يكن ذلك كله متاحا بالتفاصيل وقتها ، ومع ذلك كانت القاهرة ترى آفاق واشنطن من بعيد ملبدة بالغيوم ، وتحس أن هناك أشياء تجرى فى الخفاء وفى العلن أيضا حيث بدأت الولايات المتحدة صراحة تلعب دور مورد السلاح الرسمى لإسرائيل .

وبعد كل الحوادث التى جرت فى نهاية سنة ١٩٦٤ وبداية سنة ١٩٦٥ - فإن « جمال عبد الناصر » راح يفكر جديا فى إرسال الدكتور « محمود فوزى » إلى واشنطن . وقبل أن يتخذ قرارا نهائيا فى هذا الصدد - تلقى طلبا من السفير الأمريكى فى القاهرة يطلب مقابلة عاجلة لتسليم رسالة شخصية من الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » .

الفصل الثانى

التهديد مكشوف ومغطى !

كانت الرسالة التى حملها السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » موجهة إليه من الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » - رسالة من جزءين : أولهما خطاب مكتوب يحمل توقيع الرئيس « جونسون » ، والثانى رسالة شفوية أو ما يسمى «Note verbale» وكانت هى الأخرى مكتوبة وإن لم تحمل توقيع الرئيس .

كانت الرسالة الموقعة بمثابة تقدمة للرسالة الحقيقية التى حملت نبرة لم تظهر من قبل فى المراسلات المباشرة بين الرؤساء فى واشنطن والقاهرة .

كانت الرسالة المكتوبة كما يلى :[1]

---

(١) أصل الرسالة موجود فى مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس . صندوق رقم « ٤ » مراسلات رئاسية مع بلدان الشرق الأوسط ١٩٦٥ .

« البيت الأبيض
واشنطن
١٨ مارس ١٩٦٥

سرى

عزيزى السيد الرئيس

منذ رسالتى إليكم بتاريخ ١٢ ديسمبر الماضى تطلعت إلى مزيد من تبادل وجهات النظر بيننا . ومما يؤسف له الآن أن توترات جديدة قد نشأت فى الشرق الأدنى . وقد أقلقتنى بعمق التطورات التى حدثت فى العلاقات المباشرة بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، والتى وضعت قيودا على الصداقة التى أرجوها بين حكومتينا وشعبينا . وبوصفكم زعيما ذا كبرياء لشعب هام ، فالذى أعرفه أنكم تشاطروننى رأيى وهو أن أفضل سبيل لمعالجة الصعوبات التى من هذا النوع هو أن نناقشها كرجل لرجل مع الاحترام الكامل لحقوق كل منا ومسؤولياته .

لهذا رجوت السفير باتل ليطلب موعدا لمقابلتكم لكى يقدم لكم هذه الرسالة الشخصية ، وليبحث معكم القضايا التى تهم كلينا والتى لها أهمية حالية فى الشرق الأدنى .

والمشكلة التى تحتاج لهذا النوع من المناقشة اليوم هى الأسلوب الأفضل لمعالجة موضوع سباق التسلح المتنامى فى الشرق الأوسط..... »[٢]

وأما الرسالة الشفوية - وقد كانت نقاطها مكتوبة أيضا[٣] - فقد لفت النظر بين بنودها التى وصلت إلى أربعة عشر بندا ما يلى :

« ١ - إن رئيس الولايات المتحدة قد تزايد قلقه إزاء الضغوط التى تطورت فى العلاقات بين الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الغربية - والشرق الأوسط . وبصورة خاصة أقلقته التناقضات الأخيرة بين سياسات الولايات المتحدة

---

(٢) صورة كاملة من نص رسالة الرئيس « جونسون » وبتوقيعه - إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٥) صفحة ٩٥٠ .

(٣) النص الكامل للمذكرة الشفوية التى طلب « جونسون » من « باتل » نقلها للرئيس « جمال عبد الناصر » منشور بنصوصه الكاملة - ١٤ بندا - فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٦) صفحة ٩٥٤ .

والجمهورية العربية المتحدة . وقد اتفق أن حدث تدهور فى علاقات الغرب مع المنطقة ، وفى نفس الوقت تزايدت حدة التوترات الناشئة عن النزاع العربى - الإسرائيلى . فخطر التنازع على مياه الأردن وأنشطة القيادة العربية الموحدة قد دفعا إلى المقدمة موضوع التنافس المستمر على السلاح فى الشرق الأوسط . ولعله لم يكن هناك مفر من أن تؤدى التوترات الناشئة إلى زيادة الشكوك والريب (....)

٢ - كان رد الفعل من جانب الإسرائيليين شديدا إزاء ما بدا لهم أنه جوانب الحقد والضغينة فى المشروعات العربية لتحويل المياه ، وفى النغمة الملتهبة الحربية للبيانات العربية ، وفى تكديس القيادة العربية الموحدة للسلاح ، ثم فى إلغاء شحنات الأسلحة الألمانية . وكجزء من الجهد المستمر الذى تبذله الولايات المتحدة للحد من التوترات ، قام الرئيس جونسون بإيفاد السيد المحترم ايفريل هاريمان والسيد روبرت كومر إلى إسرائيل لتهدئة الإسرائيليين والتحدث معهم صراحة عما يزعجهم (..........)(٤)

٣ - أدت هذه المحادثات إلى التخفيف من حدة الموقف ، وإن كانت المشكلات الأساسية باقية ومازالت تمثل سببا محتملا للحرب . ويبدو من العرب أنهم قلقون من أن تضرب إسرائيل ضربة عسكرية خارج حدودها ، ولكن إسرائيل بدورها منزعجة من البيانات المنسوبة إلى بعض الزعماء العرب والتى تعرب عن النية فى محو إسرائيل من الوجود ذات يوم (!) .

والولايات المتحدة تقلقها الحجج التى تسوقها إسرائيل بأنها قد تضطر إلى التصرف لتحول دون أن يؤدى تدفق الأسلحة السوفيتية إلى جعل اليد العليا للعرب فى خاتمة المطاف (..........) وتلقاء هذه الضغوط فإننا نحس بدورنا بأن الإسرائيليين قد يرون ذات يوم أنهم مضطرون إلى التحول عن البرنامج النووى السلمى إلى برنامج للأسلحة .

٤ - انصرفت جهود الولايات المتحدة إلى محاولة التأكد من ضبط النفس الإسرائيلى من خلال التشاور وإعادة الطمأنة (......) وتحقيقا لهذه الأهداف ، ومحافظة على جو يتأتى فيه التوصل إلى حلول سلمية أعددنا طمأنة

---

(٤) تراجع النصوص الكاملة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب صفحة ٩٥٥ .

الإسرائيليين إلى أنه إزاء موافقتنا على أن هناك خللا خطيرا فى الميزان لا يستطاع تصحيحه من مصادر أخرى ، فإن الولايات المتحدة - إستثناء من سياستها المعلنة حاليا - ستقدم أسلحة محدودة ولكن فى نطاق ضيق لإسرائيل .

٥ - ومن المهم تأمل هذا التطور فى منظوره الخاص (........) ونحن عارفون أن كل جانب قد استطاع الحصول على أسلحة من مصادر أخرى . ونحن ندرك جيدا أن كل جانب بوصفه دولة ذات سيادة يعد نفسه أفضل من يحكم على ما يحتاج إليه فى الدفاع عن نفسه (.........) ولكن ضبطنا للنفس لم يقابله ضبط مماثل من جانب الاتحاد السوفيتى ، وادعى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية أنه إذ يورد كميات هائلة من الأسلحة إلى دول المنطقة - إنما يعمل للسلام (.........)

٦ - (.........) فهناك إذن خطر من أن يظفر جانب بمزية عسكرية لها من حيث كبر حجمها ما يحدو بالطرف الآخر إلى شن اعتداء يحقق به السبق ، ولاسيما إذا بدا أن مزاياه هو آخذة فى الضمور (........)

٧ - وعليه فإذا أبى طرفان الاهتداء إلى توفيق سلمى أو إلى ترتيب نوع من التخفيف من سباق التسلح ، فلا بديل أمام المجتمع الدولى إلاّ بيع السلاح تصحيحا للخلل فى الميزان وبالتالى صيانة السلم . وبالمراعاة لهذا المبدأ باعت حكومة الولايات المتحدة صواريخ « هوك » لتبديد مخاوف الإسرائيليين من قاذفات الجمهورية العربية المتحدة . ولهذا السبب بعينه فستكون حكومة الولايات المتحدة مستعدة الآن لبيع أنواع وكميات محدودة من الأسلحة المطلوبة لإسرائيل لأغراض دفاعهم (.........)

٨ - إن حاجة الولايات المتحدة إلى بيع الأسلحة إلى إسرائيل إنما يحكمها طبعا ما يفعله العرب . ولابد من إدراك أن العرب إذا جعلوا من بيع الأسلحة المحدودة من جانب الولايات المتحدة إلى إسرائيل قضية كبرى - فربما أثار هذا رد فعل شعبيا فى الولايات المتحدة يضر بضبط النفس الذى تتذرع به حكومة الولايات المتحدة حتى الآن (.........)

٩ - وفى هذا المقام يهم الرئيس جونسون أن يعرف الرئيس ناصر بأننا قد

وافقنا على بيع أسلحة معينة إلى الأردن[٥] فقد درسنا طلبا أردنيا بدقة على مدى بضعة أشهر ، ومع أن العرب قد لا يقدرون هذا الخطر فإن البديل ، وهو وجود أسلحة سوفيتية فى الأردن معناه أن يكون للسوفيت وجود ونفوذ فى منطقة كانت ممتنعة عليهم فى الماضى (........) ومن هنا قررت الولايات المتحدة بيع أسلحة إلى الأردن للحيلولة دون استغلال السوفيت للموقف .

١٠ - (..........) وستواصل حكومة الولايات المتحدة الضغط على إسرائيل حتى لا تتجه اتجاها نوويا . وكما هو معروف فقد أماطت صحافة الولايات المتحدة اللثام عن رحلة أخيرة قام بها أمريكيون إلى مفاعل ديمونة (............)

١١ - (......................)

١٢ - (......................)

١٣ - إننا نرحب بآراء الرئيس ناصر والجمهورية العربية المتحدة حول الكيفية التى يمكن بها نزع الفتيل من الصراع العربى الإسرائيلى (...........)

١٤ - إن الرئيس جونسون مدرك لحساسية هذه الموضوعات ، وهو يأمل فى النظر إلى آرائه الصريحة بنفس الروح التى قدمت بها . وإننا لنسعى إلى تقليب الرأى معا فى محاولة لمنع اندلاع النيران التى تستطيع الانتشار لأبعد بكثير من حدود الشرق الأدنى . »

قرأ « جمال عبد الناصر » الرسالتين اللتين حملهما إليه السفير « لوشيوس باتل » - الرسالة الموقعة بإمضاء « جونسون » ، والمذكرة الشفوية المرفقة بها - ثم وضع الاثنتين على مائدة أمامه والسفير « باتل » يتطلع نحوه بانتظار واهتمام . ثم كان تعليق « جمال عبد الناصر » بما مؤداه أنه « لا يستطيع أن يقبل ما جاء فى الرسالة الثانية على وجه الخصوص كما قرأه فى نصوصه ، وهو فى نفس الوقت ليس مستعدا لإعطاء رد سريع بوجهة نظره . ولأن رسائل جونسون حوت موضوعات بالغة الأهمية ، وبعضها صيغ

---

(٥) تكررت ظاهرة تغطية الصفقات الكبيرة لإسرائيل بصفقات مع بعض الدول العربية بهدف التغطية وامتصاص دواعى الحملات المضادة للولايات المتحدة ، إلى جانب ادعاء الحياد فى الصراع .

بعبارات تفوح منها رائحة التهديد - فإنه يؤثر أن يدرسها بعناية مع « زملائه » ثم يحدد موعدا آخر للسفير يتلقى فيه رده . » ثم أضاف « جمال عبد الناصر » : « لقد كنت أشعر على نحو ما بأن العلاقات بيننا تدخل إلى مرحلة صعبة ، وأن هناك ما لا نستطيع تعليله بسهولة من مواقف واشنطن - لكنى أرى أمامى الآن أسلوبا لا أستطيع قبوله ... » .(٦)

وحاول السفير « لوشيوس باتل » أن يوضح « أنه يخشى أن يكون الرئيس قد فهم من بعض سطور الرسالة أكثر مما هو مقصود بها » . وسأله « جمال عبد الناصر » : « أليس هذا هو النص الذى جاءتك به المذكرة الشفوية من واشنطن ؟ » - ورد « باتل » بأن « النص جاءه من مكتب مستشار الأمن القومى للرئيس » . وقال « جمال عبد الناصر » : « إذن فإن المسألة لا تحتمل الاجتهادات فى التفسير » .

وبعد ثلاثة أيام اتصل السفير « باتل » برئاسة الجمهورية يرجو أن لا تتسرع الجمهورية العربية المتحدة فى الرد على رسائل الرئيس « جونسون » وأن تنتظر بعض الوقت لأن « الرئيس قرر إيفاد مندوب خاص يمثله فى لقاء مباشر مع الرئيس ناصر ، وأن هذا المبعوث هو المستر « فيليبس تالبوت » مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط ، وهو ممثل وزارة الخارجية الدائم فى مجلس الأمن القومى . »

يوم ٢٥ مارس ١٩٦٥ وقف « جمال عبد الناصر » أمام مجلس الأمة المصرى يؤدى اليمين الدستورية بادئا فترة رئاسة جديدة للجمهورية مدتها ست سنوات . وفى الأيام الأولى لمدة الرئاسة الجديدة كانت هناك عدة اجتماعات خصصت لبحث السياسات العامة فى المرحلة المقبلة . كان هناك نوعان من الاجتماعات : اجتماعات رسمية مقيدة بجداول أعمال ، واجتماعات حرة طليقة يكون جدول أعمالها مجرد عناوين عامة . كانت اجتماعات النوع الأول هى

---

(٦) مذكرة أملاها الرئيس « جمال عبد الناصر » بعد مقابلته للسفير الأمريكى ، وأصلها فى ملفات قصر عابدين .

اجتماعات المؤسسات الشعبية أو الرسمية كاللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، أو مجلس الوزراء . وكانت الاجتماعات الحرة الطليقة هى لقاءات مفتوحة يدعو إليها « جمال عبد الناصر » عددا من زملائه وأصدقائه ، وكانت تعقد فى الغالب فى استراحة القناطر إذا كان الموسم شتاء أو استراحة برج العرب إذا كان الموسم صيفاً ، وقد أطلق « جمال عبد الناصر » على هذه الاجتماعات وصف « المعسكرات السياسية » ، فقد كانت تجرى فى جو خال من القيود والرسميات ، وعادة ما كانت تستمر لمدة يومين أو ثلاثة فى جو أشبه ما يكون فعلا بجو المعسكرات .(٧)

وشهدت تلك الأيام لقاءين من نوع هذه « المعسكرات السياسية » خصص أولهما للسياسة الداخلية ، وكان التركيز فيه على الخطة الخمسية الأولى التى قاربت على الانتهاء وحققت نجاحا لا شك فيه . ومع التطلع إلى الخطة الخمسية الثانية للتنمية - فإن « جمال عبد الناصر » كان مهتما ببعض المظاهر السلبية التى ظهرت فى فترة تنفيذ الخطة ، وكان أهمها - كما بدا فى طريقة إدارته للمناقشات : الآثار التضخمية لتنفيذ الخطة ، وكانت هذه ظاهرة طبيعية ، فقد اقتضت الخطة إنفاق مبالغ طائلة على إنشاءات ومشروعات لم تتح لها الفرصة لكى تعطى عوائدها . ومن ناحية أخرى فقد بدا أن حرب اليمن تفرض تكاليف كان يمكن توجيهها إلى الخطة . وكان أهم ما انتهت إليه المناقشات فى المجال الداخلى هو أن الأمور تقتضى مزيدا من التدقيق والحذر فى المرحلة القادمة حتى لا تفلت عوامل التضخم وتتفاقم آثارها .

وكان الاجتماع الثانى فى « المعسكرات السياسية » مخصصا للأوضاع الإقليمية والدولية . وفى هذا المجال احتدمت المناقشات واختلفت الآراء ، وفى بعض اللحظات تصادمت التوجهات .

□

كان خطاب « جونسون » إلى « جمال عبد الناصر » بتاريخ ١٨ مارس ١٩٦٥ نذيرا

---

(٧) أتاحت لى الظروف أن أشارك فى كثير من هذه « المعسكرات السياسية » ، وكان أكثرها فى استراحة القناطر الخيرية أو استراحة برج العرب . وفى معسكرات هذه الفترة حضرت واشتركت فى مناقشات المعسكرين .

يدعو إلى الكثير من التفكير ، فقد كانت نبرة التهديد المبطن فيه بادية للعيان . وصحيح أن السفير الأمريكي في القاهرة رجا بعد ذلك فى تأخير الرد على هذا الخطاب حتى يجيء مساعد وزير الخارجية « فيليبس تالبوت » . لكن ذلك لم يكن له أن يغير من حقيقة الأمر شيئاً . فمهما استعمل مساعد وزير الخارجية فى زيارته من وسائل دبلوماسية للتخفيف والتغطية ، فإن المحاولة لن تعدو أن تكون مجرد طلاء ظاهرى يحسن الشكل ولا يحسن الجوهر .

وكانت هناك مناقشة مستفيضة لتقييم النتائج التى أسفرت عنها معركة صفقات السلاح الألمانى لإسرائيل :

● **كان هناك رأى يرى** أن المعركة تمثل نجاحا للجمهورية العربية المتحدة ، فقد كشفت سياسة ألمانيا وأرغمتها على وقف صفقة السلاح لإسرائيل ، كما أنها اضطرت الولايات المتحدة إلى أن تسفر عن وجهها وتقوم صراحة وأمام الشعوب العربية بدور مورد السلاح الرسمى لإسرائيل ، وهو دور كانت الولايات المتحدة تتردد فى إعلانه صراحة مداراة لأصدقائها العرب . وكان هذا الرأى يرى فوق ذلك أن قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية ليس خسارة كبيرة لأن « **الأمر الواقع** » يشير إلى أن ألمانيا الغربية رضيت لنفسها دور « التابع » للسياسة الأمريكية .

● **وكان هناك رأى آخر يرى** أن مجمل معركة السلاح الألمانى لإسرائيل لم يكن مواتيا ، وأن نتيجتها النهائية سلبية . فإذا لم تكن إسرائيل قد حصلت على السلاح من ألمانيا فإنها حصلت على ثمنه تشترى به من حيث تشاء ، ثم أن ألمانيا أقدمت على إنشاء علاقة دبلوماسية مع إسرائيل ، وتم ذلك فى جو مفعم بالعداء للعرب . وأما مقولة أن قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية ليس خسارة كبيرة لأن الأمر الواقع يشير إلى أن ألمانيا الغربية رضيت لنفسها دور التابع ، فإن مثل هذه المقولة تعسف . فـ « **الأمر الواقع** » فى لحظة من اللحظات ليس حكما أبديا لأن كل الأوضاع تتطور وتتغير باستمرار ، وحتى إذا بدا الآن أن ألمانيا الغربية مسوقة أمام السياسة الأمريكية فإن النظرة السليمة للأمور تقتضى عند التقييم الصحيح للأشياء ألاّ يكون النظر إلى هذه الأشياء فقط ، وإنما إلى إمكانية تطورها وتغيرها فى المستقبل . ثم إن الشواهد كانت قائمة فعلا على أن دور ألمانيا يبرز

فى أوروبا ، وأن نوعا من العلاقة الخاصة ينمو بينها وبين فرنسا مما يخلق احتمالات مشجعة لظهور قطب موازن للسياسة الأمريكية فى قلب أوروبا .

وهكذا فإن النظر الصحيح للسياسات لا بد له أن يأخذ اعتبارين فى نفس الوقت : الأمر الواقع زائدا احتمالات تطوره كما يظهر من الدلائل الموضوعية التى تشير إلى هذه الاحتمالات .

□

وطرح « جمال عبد الناصر » ظاهرة راحت تلفت نظره بشدة ، فقد ركزت الولايات المتحدة الأمريكية جهدا كبيرا فى محاولة إقناع أطراف أخرى فى العالم بأن مصر خاضت معركة السلاح الألمانى لإسرائيل بهذه الضراوة بناء على تحريض من الاتحاد السوفيتى . وعرض فى هذا الصدد نص رسالة بعث بها إليه الرئيس « جوزيب بروز تيتو » أشار فيها إلى رسالة تلقاها من رئيس وزراء الهند فى ذلك الوقت « لال بهادور شاسترى » ، الذى خلف « نهرو » فى رئاسة الوزارة بعد وفاته . فى هذه الرسالة قال « شاسترى » لـ « تيتو » إنه استقبل قبل أيام فى دلهى مبعوثا خاصا من الرئيس « جونسون » ، وهو السفير « ايفريل هاريمان » ، وأن « هاريمان » قال له إن **معلومات الحكومة الأمريكية تشير إلى أن الجمهورية العربية المتحدة تأخذ فى الممارسة مواقف متشددة تتناقض مع سياستها المعلنة بعدم الانحياز ، وأن ذلك التغيير تم بعد زيارة قام بها « شليبين » عضو المكتب السياسى للاتحاد السوفيتى والشخصية الصاعدة الجديدة فى مرحلة ما بعد « خروشوف » ـ للمشاركة فى احتفالات مصر بجلاء الانجليز والفرنسيين عن بورسعيد (عيد النصر) وأن « ناصر » اتخذ فرصة وجود « شليبين » فى الاحتفال وشن حملة عنيفة على السياسة الأمريكية ، وعرض بالسفير الأمريكى فى القاهرة ، وأن ذلك كله تم لإرضاء « شليبين » وتقديم عربون مقدم له على استعداد مصر لشن حملة كراهية ضد الولايات المتحدة .**

وقال « تيتو » فى رسالته إنه يقدر أن المعلومات التى أبلغها « هاريمان » إلى « شاسترى » غير صحيحة ، **لكنه رأى أن من حق الرئيس « عبد الناصر » أن يعرف بالمساعى التى تقوم بها السياسة الأمريكية ضده فى عواصم شركائه الكبار فى سياسة عدم الانحياز . وقد لاحظ « جمال عبد الناصر » وهو يعرض لهذه النقطة أنه يستغرب أن تقوم الولايات المتحدة بهذه الحملة ضده فى عواصم الدول غير المنحازة فى نفس**

الوقت الذى يجد نفسه فيه داخلا فى خلاف جديد مع الاتحاد السوفيتى بسبب رغبة الاتحاد السوفيتى فى المشاركة فى المؤتمر الثانى للدول الآسيوية الإفريقية ، وهو المؤتمر الذى يجرى الترتيب لعقده فى الجزائر فى شهر يوليو القادم .

كان المؤتمر الأول للدول الآسيوية الإفريقية قد عقد فى « باندونج » سنة ١٩٥٥ واشتركت فيه الصين كدولة آسيوية كبرى . وفى سنة ١٩٦٥ بدأت الدول الآسيوية الإفريقية تستعد لعقد مؤتمرها الثانى ، وإذا بالاتحاد السوفيتى يتقدم بطلب للاشتراك فى هذا المؤتمر باعتبار أن جزءا كبيرا من أراضيه يقع فى آسيا . وكانت مصر ، مع عدد آخر من الدول الآسيوية الإفريقية ، تعارض اشتراك الاتحاد السوفيتى فى هذا المؤتمر بمنطق أنه من الخير لحركة التضامن الآسيوى الإفريقى أن تبتعد تماما عن ظل القوتين الأعظم فى العالم ، وأنه حتى إذا قيل بأن جزءاً من أراضى الاتحاد السوفيتى يقع فى آسيا ، فإن الحقائق الظاهرة تؤكد أن الاتحاد السوفيتى هو فى واقع أمره دولة أوروبية متقدمة ، فضلا عن أنه قطب كبير فى حركة الصراع الدولى ، واشتراكه فى مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى يفقد التضامن استقلاليته عن الكتل ويؤدى إلى إحراجه دون فائدة أو هدف .

وبالطبع كانت هناك مجموعة أخرى من الدول الآسيوية الإفريقية ترى رأيا مخالفا ، وتظن أن اشتراك الاتحاد السوفيتى فى مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى الثانى مكسب لحركة التضامن نفسها بدخول إحدى القوتين الأعظم فيه .

وكانت هناك منافسة حامية بين الاتحاد السوفيتى وبين الصين فى شأن هذه القضية ، فالصين ترى أن مكانها بين الدول الآسيوية والإفريقية « **طبيعة محققة** » فى حين أن اشتراك الاتحاد السوفيتى « **صناعة مزيفة** » إلى جانب أن المعاندة فيه تزج بالتضامن الآسيوى الإفريقى ليكون ميدانا مباشرا للصراع السوفيتى الأمريكى وحروبه الباردة .

□

وتعرض « جمال عبد الناصر » لقضية أخرى شغلته فى الأيام الأخيرة . فقد عقد عدة اجتماعات مع « شوين لاى » رئيس وزراء الصين الذى زار القاهرة هذا الأسبوع[8] وقال إنه استخلص من لقاءاته مع « شوين لاى » عدة نقاط يراها مهمة :

١ ـ إن الخلاف بين الاتحاد السوفيتى والصين عاد إلى أسوأ مما كان عليه

---

(٨) الأسبوع الأول من ابريل سنة ١٩٦٥ .

فى أيام « خروشوف » ، وأن هذا الخلاف ـ بصرف النظر عن أى اعتبار آخر ـ يؤدى إلى إضعاف حركة التحرر الوطنى .

٢ ـ إن القيادة الجديدة فى الاتحاد السوفيتى تتخذ جانب الحذر الزائد وأن هذا يؤدى بها إلى مواقف مترددة ، ومن أمثلة ذلك أن الاتحاد السوفيتى تقبل التصعيد الذى قام به « جونسون » ضد فيتنام بدون رد فعل مناسب ، بما فى ذلك قيام الطائرات الأمريكية بالإغارة على « هانوى » عندما كان « كوسيجين » يزورها رسميا .

٣ ـ إن « شوين لاى » يعتقد أن الولايات المتحدة فى رئاسة « جونسون » الثانية مقبلة على سياسة من الابتزاز والتشهير تتجلى معالمها واضحة ، فمع الإدراك المتزايد لاستحالة الحرب بين القوتين الأعظم ، ويقين الكل من هذه الاستحالة تميل الموازين أكثر إلى الطرف الذى يملك أعصابا أقوى وموارد أكثر وإمكانيات دعائية أكفأ ، وأن هذا كله متوافر للأمريكان وغير متوافر للسوفيت فى نفس الوقت . ولهذا فإن الولايات المتحدة بدأت تكسب فى معارك الحرب الباردة .

٤ ـ إن « شوين لاى » توقف بحديث مفصل عند ما يجرى فى اندونيسيا ، وهى موقع من أهم المواقع فى آسيا . وكان رأيه (« شوين لاى ») أن الولايات المتحدة بدأت تنشط فى تخويف اندونيسيا ، وفى نفس الوقت فإن الاتحاد السوفيتى يبدو مشلولاً وعاجزاً عن الحركة ، بل إنه يشغل نفسه فى اندونيسيا بالخطر الصينى المزعوم تاركا المجال مفتوحاً بالكامل للولايات المتحدة .

٥ ـ إن « شوين لاى » مقتنع كما بدا له بأن الولايات المتحدة لديها الآن سياسة للانفراد بالدول غير المنحازة فى آسيا وأفريقيا واحدة بعد واحدة . وأنه ما لم تنسق هذه الدول سياساتها فإنه لن يكون أمامها إلاّ التراجع خطوة خطوة أمام الابتزاز الأمريكى .

٦ ـ وأخيرا قال « جمال عبد الناصر » إنه ناقش « شوين لاى » فى الضغوط التى تتعرض لها مصر من الولايات المتحدة ، وأنه أعطاه فكرة عن خطاب « جونسون » الأخير إليه قائلاً له « إنهم بدأوا عملية الابتزاز ضدنا بالفعل ، وإن أكثر ما يشغلنا هو إمكانيات إسرائيل النووية » . وسأله عما إذا

عبد الناصر وشوين لاى فى طريقهما لحفل أقيم لتكريم الضيف الصينى فى زيارته لمصر فى ابريل ١٩٦٥ ، والتى اتضح خلالها التنافس الصينى السوفيتى .

كانت الصين مستعدة للتعاون مع مصر فى الميدان النووى ، وكان رد « شوين لاى » إيجابيا .

□

ثم أشار « جمال عبد الناصر » إلى حادثة لفتت نظره وقتها ، وهى أن جاويشا

بريطانيا[٩] يعمل فى إدارة الخطط فى قيادة أركان حرب الامبراطورية البريطانية فى لندن اتصل بمساعد الملحق العسكرى المصرى فى لندن وعرض عليه أن يبيعه مجموعة من الوثائق العسكرية السرية لهيئة أركان حرب الامبراطورية . وتمت الصفقة وتسلم مساعد الملحق العسكرى هذه الوثائق فعلا . وقد دهش هو (أى « جمال عبد الناصر ») عندما اطلع على هذه الوثائق ووجد أنها تحوى خططا كاملة لغزو عدد من الدول العربية . وعقب « جمال عبد الناصر » على هذه الحادثة بقوله « إن الأمر بدا له محيرا » . فهو يعرف أن الدول الكبرى لديها عادة خطط طوارىء معدة لأى مفاجأة تقابلها ، وأن الوثائق التى وصلته ربما تكون شيئا من هذا النوع دون أن تعنى بالضرورة أكثر ، ومع ذلك فإنه يستغرب البساطة التى قام بها الجاويش البريطانى ببيع هذه الخطط إلى مساعد الملحق العسكرى المصرى فى لندن مقابل « خمسة وسبعون جنيها استرلينيا » - ثم تساءل عما إذا كانت « العملية كلها مرتبة كنوع من حرب الأعصاب ضد العرب ؟ »

وفى كل الأحوال فإن ملابسات العملية كلها ، مضافة إلى الجو العام فى المنطقة بأسرها لا تدعوه إلى الارتياح .

وفى النهاية كان رأى « جمال عبد الناصر » أن « الأمور سوف تتضح أكثر عندما يجىء مساعد وزير الخارجية الأمريكية « فيليبس تالبوت » إلى لقائه بعد أيام !

امتدت المقابلة بين الرئيس « جمال عبد الناصر » وبين المستر « فيليبس تالبوت » ومعه السفير « لوشيوس باتل » يوم ١٨ ابريل ١٩٦٥ ـ لمدة ساعتين ونصف الساعة . وبعد انتهائها كتب « فيليبس تالبوت » برقية سرية[١٠] إلى المستر « دين راسك » وزير الخارجية يشرح له ما دار بها (وقد وقّعت كما تقضى

---

(٩) هو الجاويش « بيرسى سيدنى آلان » وقد قبض عليه فيما بعد وحوكم وصدر الحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات .

(١٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية . البرقية الرمزية رقم ١٥٢٢٨ بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٦٥ .

الأصول الدبلوماسية بتوقيع « باتل » باعتبارها صادرة من سفارته) ، وكان نصها كما يلى :

« قضى مساعد الوزير تالبوت والسفير باتل ساعتين ونصف الساعة مع الرئيس ناصر فى مناقشة صريحة وبناءة وكاملة حول القضايا التى تهم البلدين .

أعرب تالبوت عن تقديره للحفاوة التى لقيها فى القاهرة ، وذكر أن الزيارة أتاحت له فرصة إجراء مناقشات واسعة مع وزراء حكومة الجمهورية العربية المتحدة والمسؤولين فيها . ثم ذكر تالبوت للرئيس ناصر أنه جاء إلى القاهرة بعد أن عقد اجتماعا مع سفراء الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، وكان رأى الجميع « **أننا نمر بفترة مضطربة ، وأن الاجتماع انتهى إلى أن السياسة الأمريكية يجب أن تستمر قائمة على الصداقة مع جميع شعوب بلدان المنطقة** » . وبعد أن ساق تالبوت عددا من التفاصيل التى ناقشها مؤتمر السفراء الأمريكيين فى الشرق الأوسط ، انتقل إلى الموضوع الرئيسى فى المقابلة ، وهو مشكلة « **التوازن العسكرى القائم فى الشرق الأوسط الآن** » . ومنذ الدقائق الأولى فى المقابلة ـ كانت الخطوط الرئيسية لرسالة تالبوت ترتكز على عدة عناصر :

□ العنصر الأول : هو الخطر الذى تحس به إسرائيل من جراء إنشاء القيادة العربية الموحدة نتيجة لقرارات مؤتمرى القمة العربية فى يناير ١٩٦٤ وسبتمبر من نفس السنة . ثم ما تلى انشاء القيادة العربية الموحدة من صفقات سلاح أدت إلى تعزيز القوة العربية .

□ والعنصر الثانى : إن الجمهورية العربية المتحدة تبذل جهودا كبيرة فى مجال الأسلحة غير التقليدية ، مثل الصواريخ .

□ والعنصر الثالث : اتجاه الجمهورية العربية المتحدة إلى استكشاف إمكانيات القوة النووية .

ثم كان مطلب تالبوت بعد ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة يتحتم عليها تقديم ضمانات . وأن هذه الضمانات إما أن تكون دولية أو أن تكون ضمانات للولايات المتحدة مباشرة .

□ والعنصر الرابع : هو الحرب فى اليمن .

□ والعنصر الخامس : هو الثورة فى الجنوب العربى .

□ والعنصر السادس : هو مساعدة الجمهورية العربية المتحدة لحركة الثورة الوطنية .

وأخيرا كانت هناك الإشارة إلى توريد المواد الغذائية ، والإشارة إلى أنها مرتبطة بتحسن جو العلاقات مع الولايات المتحدة عموماً . »

ومع ذلك فربما كانت النصوص التى استعملها « تالبوت » فى رسالته إلى وزير الخارجية الأمريكية هى أفضل تصوير لاقترابه من الموضوعات الشائكة التى دخل فيها .

قال « تالبوت » فى رسالته لوزير الخارجية :

« لقد قلت للرئيس ناصر إن مشكلة السلاح فى المنطقة هى أكبر المشاكل ، وأضفت أنها تنقسم إلى ثلاث شعب كبيرة : الأسلحة التقليدية ـ والأسلحة المتقدمة ـ والأسلحة النووية .

وبدأت بالأسلحة التقليدية فقلت إن مشكلتها هى التدفق المستمر لها على المنطقة من مصادر مختلفة . ويثار السؤال فى الولايات المتحدة أحياناً عن السبب فى إستمرارنا فى التمسك بسياسة ضبط النفس ما دامت الدول قادرة على شراء الأسلحة على أى حال . ومع ذلك فقد انتهينا إلى أنه ينبغى لنا أن نستمر فى سياسة ضبط النفس . وقد بعنا لإسرائيل كمية محدودة من الأسلحة وكان ذلك استثناء واحدا من السياسة المقررة .

وعندما درست الولايات المتحدة هذه المشكلة انتهت إلى أن الحل العسكرى للنزاعات فى الشرق الأوسط لن يكون مطروحا إلا إذا توافرت لطرف أو آخر ثقة زائدة ، أو شعر بغبن أو إحباط شديدين . وعندما بعنا صفقة أسلحة لإسرائيل استثناء من سياستنا المقررة فقد كانت تلك خطوة من أجل تهدئة المنطقة ، وإننا نرجو أن نتمكن من التوقف عند استثناء واحد . ومن الصعب بطبيعة الحال قراءة المستقبل الذى يتوقف جزئيا على تدفق الأسلحة من مصادر أخرى . »

وانتقل « تالبوت » إلى النوع الثانى من الأسلحة ، وهى الأسلحة المتقدمة ، فقال فى برقيته لوزير الخارجية :

« قلت للرئيس ناصر إنه فيما يتعلق بالأسلحة المتقدمة فقد سبق للولايات المتحدة أن أبلغته بقلقها وأنها مهتمة بأن تعرف ما إذا كانت تستطيع أن تساعد دول المنطقة على تجنب التسابق على حيازة الصواريخ ذات التكلفة الباهظة . وإذا كانت تلك المحاولة قد فشلت ، فليكن . ولكننا نأمل ألاّ يكون الأمر كذلك ، ونحن على استعداد لبذل جهود أخرى إذا رغبت الأطراف فى ذلك . »

ثم وصل « تالبوت » إلى النوع الثالث من الأسلحة فقال فى تقريره :

« وفيما يتعلق بالأسلحة النووية فقد أوضحت أن الرئيس جونسون أعرب عن الأولوية العليا التى توليها الولايات المتحدة لمنع انتشار الأسلحة النووية . ونحن كالجمهورية العربية المتحدة نفضل انتهاج الطريق الدولى على أساس ما جاء فى قرار ايرلندا (فى الأمم المتحدة) . وإننا ندرك الخطر المصاحب لحيازة أى دولة فى الشرق الأوسط للأسلحة النووية . وهناك أهمية كبرى فى الشرق الأوسط لضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، إذ أنها تعطى المشكلة بعدها الدولى ، وفى اعتقادنا أن الجمهورية العربية المتحدة تنظر إلى المشكلة نفس النظرة . وإذا أمكن قبول الضمانات فإن ذلك سيساعد على حل المشكلة . ورد ناصر فأشار إلى البيان الذى أدلت به حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى فيينا وأعلنت فيه قبولها للضمانات الدولية . وقال إنه يعارض فى أن تقوم الولايات المتحدة بالتفتيش باعتبار أن ذلك عمل من طرف واحد ، ولكنه يوافق على العمل الدولى . وأنه لا يستطيع أن يسمح للولايات المتحدة منفردة بامتياز كهذا . وذكر أن الجمهورية العربية المتحدة تملك مفاعلا صغيرا فى حين أن لدى إسرائيل مفاعلا ضخما ، وأن تلك فى حد ذاتها مشكلة تثير القلق ولا سيما بين العسكريين ، وإن كانت الحكومة (فى مصر) لم تتخذ بعد قراراً بإنشاء مفاعل كبير . »

واستطرد « تالبوت » يقول فى تقريره لوزير الخارجية الأمريكية :

« لقد ذكرت لناصر أن مسألة قيام الولايات المتحدة بالتفتيش غير واردة إلاّ فى حالة عدم تحقق ضمانات من الوكالة الدولية للطاقة الذرية . وأن الولايات المتحدة أيضاً ستشعر بالقلق إذا استخدم المفاعل الإسرائيلى لأغراض عسكرية ، وأن ذلك سيكون مصدر خلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، كما هو مصدر خلاف بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل . وأنه يستطيع أن يبلغ الرئيس ناصر أنه نظرا لأهمية المسألة فإن الولايات المتحدة استكشفت الموضوع واطمأنت إلى النتيجة . وعلق ناصر بقوله « المشكلة أن إسرائيل لها نفوذ فى الولايات المتحدة ، فى حين أننا لا نملك مثل هذا النفوذ » ، وقد أجبت عليه بأن مسألة انتشار الأسلحة النووية مشكلة عالمية ، وأنه ينبغى له أن يطمئن إلى أن الولايات المتحدة تعالجها من زاوية الانشغال العالمى بها ، وليس فى إطار علاقات ثنائية مع إسرائيل فحسب . »

ثم استطرد « تالبوت » يروى فى تقريره ما دار من مناقشات بينه وبين الرئيس « جمال عبد الناصر » عن صفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل ، فقال :

« لقد انتقل الرئيس ناصر إلى الأسلحة التى قررت الولايات المتحدة أن تقدمها لإسرائيل بعد توقف الصفقة الألمانية ، وقال إنه علم أن ألمانيا كانت قد سلمت بالفعل ٨٠ ٪ من الأسلحة التى عرضت توريدها . فقد تسلمت اسرائيل ١٢٠ دبابة ، بالإضافة إلى عدد من دبابات « سنتوريون » البريطانية . وتدخلت مقاطعاً بأن أرقام ناصر عن الدبابات أكثر من الواقع . ومضى ناصر فأكد أن سياسة الجمهورية العربية المتحدة لا تقوم على شن هجوم مفاجىء على إسرائيل ، وأن العرب هم الذين تعرضوا للهجوم دائما . »

□

كان موضوع السلاح هو العنصر الأول فى المقابلة . وكان العنصر الثانى مباشرة هو موضوع اليمن وما يجرى فى شبه الجزيرة العربية . وقد قال « تالبوت » فى تقريره إلى وزير الخارجية الأمريكية :

« وانتقل الحديث إلى اليمن فأشرت إلى الآمال الكبيرة التى عقدناها على حل المشكلة بعد التفاهم بين ناصر وفيصل فى الخريف الماضى . وأكد ناصر أنه لا توجد فى الوقت الحالى محادثات مباشرة بين الطرفين ، وأنه يرغب فى حل المشكلة فى أقرب وقت . وأن الجمهورية العربية المتحدة ترغب فى الخروج من اليمن ولكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك إذا استمرت المملكة العربية السعودية فى مسلكها الحاضر . وأبدى ناصر رأيه بأن الأمر لا يمكن حله على مستوى السفراء . وقال إن الموقف السياسى فى اليمن غير مشجع . فالأهالى يتلقون الأموال من الجمهورية العربية المتحدة ومن المملكة السعودية . وبعض القبائل تحصل على الأموال من الجانبين . وقال إن عدد الجنود الموجودين فى اليمن حوالى ٤٠ ألفاً ، وهو نفس العدد الذى كان موجوداً فى العام الماضى . وكرر أكثر من مرة أن الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية هو وحده الذى يحقق تسوية المشكلة ، لكنه يحتاج إلى توافر حسن النية والرغبة الصادقة من الطرفين . وعندما سألت الرئيس ناصر عما إذا كان يتوقع عقد اجتماع آخر مع فيصل قريباً ، قال إن من المحتمل أن يحدث ذلك خلال المؤتمر الإفريقى الآسيوى فى أوائل يوليو إذا قرر فيصل حضوره . وقلت لناصر إننى سوف أسافر من القاهرة إلى جدة وأن موضوع اليمن سيثار هناك من غير شك . وسألته عما إذا كان يريد منى إبلاغهم بشىء محدد ، وقال ناصر إن السبيل الوحيد هو المحادثات ولكن ليس على مستوى السفراء ، وأنه يقترح اجتماعاً بين عامر والأمير سلطان . »

ثم انتقل « تالبوت » إلى العنصر الثالث وهو تشجيع الجمهورية العربية المتحدة للثورة ضد الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى . **وقد رد الرئيس ناصر بأن الحكومة البريطانية تتدخل ضد الثورة اليمنية وترسل الأسلحة والأموال والمرتزقة إلى اليمن . وقد نشر « الأهرام » تفاصيل ووثائق هذا الموضوع .**

وانتقل « تالبوت » إلى العنصر الرابع الذى يريد أن يتعرض له ، وهو مسار حركة التحرر الوطنى عموما ، فقال فى رسالته لوزير الخارجية :

« إننى قلت للرئيس ناصر إننا نشعر بالقلق لأن ما يسمى بجبهات التحرر الوطنى تستخدم فى شتى أنحاء العالم كوسائل للتغلغل والسيطرة على البلدان الناشئة . وقد انتهز ناصر هذه الفرصة ليتحدث باستفاضة عن حركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث . وقال تالبوت : إننى سألته إذا كان لديه ما يدعوه للاعتقاد بأنه إذا توقف القصف الجارى الآن فى فيتنام فإن الثوار قد يستجيبون للمفاوضات ؟ - وقال ناصر « إن زكريا محيى الدين رئيس الوفد المصرى إلى مؤتمر جاكارتا (الاجتماع التمهيدى للمؤتمر الآسيوى الإفريقى) سيتخذ هذا الموقف فعلا بمعنى أنه سيطلب من الولايات المتحدة إيقاف غاراتها على فيتنام حتى يمكن بدء المفاوضات . ولو أن بعض البلدان المجتمعة فى جاكارتا ستؤيد رأى الصين المعارض للمفاوضات . »

وأخيرا وصل « تالبوت » إلى العنصر الخامس الذى أراده فيما يبدو اختبارا مباشرا ، فسأل « جمال عبد الناصر » عما إذا كان يقدم أسلحة لـ « مكاريوس » ، وقال « تالبوت » فى رسالته لوزير الخارجية الأمريكية :

« إن ناصر قال لى إنه « عندما تعرض القبارصة للغارات الجوية البريطانية طلب منا مكاريوس مدافع مضادة للطائرات ، وقد قدمناها له ، فالجمهورية العربية المتحدة تريد قبرص مستقلة ، وهى تشعر بالقلق من وجود القواعد البريطانية فى قبرص ، فهذه القواعد سبق أن استخدمت ضد الجمهورية العربية المتحدة فى سنة ١٩٥٦ » - على أن ناصر أبدى اهتمامه أيضا بأحوال القبارصة الأتراك . »

ثم وجه « تالبوت » سؤالا مباشرا ثانيا عن المساعدات المصرية للكونجو ، ورد « جمال عبد الناصر » بنفس الصراحة : **« إن هذه المساعدات توقفت لأن الموقف فى الكونجو تغير تماما » !**

ثم جاء ختام تقرير « تالبوت » إلى وزير الخارجية ، وفيه قال « تالبوت » :

« إننا عدنا إلى الحديث عن العلاقات المباشرة بين الولايات المتحدة والجمهورية

العربية المتحدة ، وأكدت مرة أخرى اهتمام الولايات المتحدة المستمر بدعم هذه العلاقات ؛ وأشرت مرة أخرى إلى المتاعب التى حدثت فى الشتاء الماضى وما ترتب عليها من مواقف فى الكونجرس ولدى الرأى العام الأمريكى ، وقلت إن سياسة الولايات المتحدة فى هذه المنطقة ، كما فى البلدان الأخرى ، تقوم على الحقائق السياسية . وحاولت إقناع ناصر بالتخلى عن فكرة أن انتقاد تصرفات الجمهورية العربية المتحدة لا يأتى إلاّ من جانب أصدقاء إسرائيل ، وأوضحت أن كثيرا من المفكرين الأمريكيين الآخرين أصبحوا يتساءلون عن أساس العلاقات الأمريكية العربية منذ حدثت المتاعب الأخيرة ، **وأن أحد أغراض زيارتى الحالية أن أستكشف وسائل إزالة هذه المتاعب . وأن الولايات المتحدة تعرف ما تواجهه الجمهورية العربية المتحدة من صعوبة فى الحصول على إمدادات كافية من الأغذية . وأن الولايات المتحدة حريصة على تصفية المشكلات القائمة حتى يمكن اتخاذ قرار عاجل وواضح بشأن إصدار تصريح بالإفراج عن الكميات المتبقية[١١] بموجب القانون ٤٨٠ ، وأنه الآن مخوّل فى أن يقول إن الولايات المتحدة على استعداد للنظر فى طلبات الجمهورية العربية المتحدة للحصول على القمح والذرة بمقتضى الترتيبات التى تسمح بالائتمان لمدة ستة أشهر بالنسبة للقمح و١٢ شهرا بالنسبة للذرة ، وأن سفارتنا ستبحث التفاصيل مع الدكتور القيسونى . وأستطيع أيضا أن أقول إننا نأمل أن يتحسن جو العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة حتى يمكن البدء فى التفاوض بشأن اتفاق آخر بمقتضى القانون ٤٨٠ . وأن الجهد اللازم لإقامة علاقات أفضل يجب أن يبذل من جانب كل من البلدين . » .**

وهكذا فى الخاتمة برز موضوع القمح والتلويح به ، بعيدا وقريبا ، فى أجواء العلاقات بين القاهرة وواشنطن .

□

كان « جمال عبد الناصر » فى اللقاء الذى جرى بينه وبين « فيليبس تالبوت » و« لوشيوس باتل » حريصا على أن يسمع ليستشف من النوايا قدر ما يستطيع ، ولقد تكلم وناقش ، لكنه أراد أن يسمع أكثر ، فقد أحس أن الزيارة من أولها إلى آخرها تستهدف توصيل رسالة إليه . وبعد أسبوعين من المقابلة قرر أن يكتب خطابا إلى الرئيس الأمريكى

---

(١١) كان باقيا من اتفاقية القمح المعقودة بين البلدين فى تلك الوقت مبلغ ٣٧ مليون دولار لم تستعمل لأن قرار مجلس النواب الأمريكى بوقف صادرات القمح إلى مصر أوقفها ـ وفى نفس الوقت كان الترتيب الطبيعى للأمور يقتضى عقد اتفاقية جديدة .

يضغط فيه على بعض النقط التى تعرض لها فى حديثه مع « فيليبس تالبوت » و« لوشيوس باتل » ، ثم يكون من هذا الخطاب فى نفس الوقت ردا على الخطاب الذى بعث به « جونسون » إليه فى ١٨ مارس ، والذى طلب إليه أن لا يتعجل فى الرد عليه حتى يلتقى بمساعد وزير الخارجية « فيليبس تالبوت » . وهكذا فى يوم ١٢ مايو وجه « جمال عبدالناصر » إلى الرئيس « جونسون » خطابا قال فيه :[١٢] .

« عزيزى الرئيس ليندون جونسون
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

لقد كان فى نيتى أن أبعث بزميلى وصديقى الدكتور محمود فوزى ، نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية فى الجمهورية العربية المتحدة ، إلى واشنطن مع رجاء أن تقابله ، لكى يشرح لك وجهة نظرى ونظر الحكومة ، فى عدد من القضايا الهامة التى تجرى أحداثها فى الشرق الأوسط أو خارجه ، وتؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر على العلاقات بين بلدينا .

لكننى فى ذلك الوقت وجدت أنكم تخففون إلى أقصى حد من ارتباطاتكم الخارجية ، وبالتالى فلقد وجدت من المناسب تأجيل ما أنتويته من إرسال الدكتور محمود فوزى إلى واشنطن .

ومن حسن الحظ أن زار القاهرة فى ذلك الوقت المستر فيليبس تالبوت مساعد وزير الخارجية الأمريكية ، ومن ثم فلقد وجدت من المناسب أن أشرح له وللسفير لوشيوس باتل الذى حضر مقابلته معى ، موقفنا بالتفصيل فيما ورد برسالتكم إلىّ بتاريخ ١٨ مارس ١٩٦٥ ، وفى عدد من المسائل الأخرى التى وجدت أنه قد يكون من الأفضل أن يتبين كل منا موقف الآخر فيها بكل صراحة ووضوح .

وإنى لأثق تماما فى مقدرة المستر تالبوت والسفير باتل على أن ينقلا لك صورة كاملة ودقيقة لحديثى الطويل معهما فى بيتى يوم الأحد ١٨ أبريل ١٩٦٥ .

وإذا جاز لى أن أضغط على بعض النقط ، فإنى أريد أن أؤكد ما يلى :

١ ـ إن الجمهورية العربية المتحدة حريصة كل الحرص على الصداقة العربية الأمريكية ، وعلى ضرورة تدعيمها باستمرار . وإذا كنا ندرك ـ لسوء

---

(١٢) صورة الخطاب محفوظة فى ملفات قصر عابدين .

الحظ ـ أن هناك عقبات ومصاعب تعترض هذا الهدف ، فلقد كنا ، ولا نزال ، نبذل كل جهد لإبقاء الباب مفتوحا أمام تبادل حر ومسؤول للآراء ولوجهات النظر ، ونعتقد بإخلاص أن هذا الباب يجب أن يبقى مفتوحا لصالح الشعبين الأمريكى والعربى ، ولصالح السلام فى منطقة من العالم دقيقة وحساسة .

٢ ـ إن الجمهورية العربية لم تبدأ ولم تصنع سباق التسلح فى الشرق الأوسط ، وإنما اضطرت الجمهورية العربية المتحدة ، بعد استفزازات مسلحة لا يمكن قبولها ، إلى أن تحقق لنفسها قدرة الدفاع المشروع ضد خطر عدوانى توسعى تمثله الصهيونية العنصرية ، التى سهل الاستعمار لها اغتصاب بقعة من الأرض العربية ، تتخذها قاعدة لتهديد إرادة الأمة العربية فى الحرية ، وحاجزا ضد إرادتها فى الوحدة .

والسجلات ـ بما فيها وثائق الأمم المتحدة ـ تشهد أن الجمهورية العربية المتحدة لم تستعمل سلاحها إلاّ فى حق الدفاع ، بينما كان العدوان دائما من الذين يدركون أنهم يقفون موقف العداء للطبيعة والتاريخ ، وخلافا مع مبادىء العدل والقانون .

وأحداث سنة ١٩٥٦ حافلة بالدلالات والمعانى .

٣ ـ مما يؤسف له أن عددا من دول الغرب بصفة عامة ، تحملت على نفسها مسؤولية تسليح العدوان الإسرائيلى فى صفقات خطيرة معظمها جرى سرا ، بينه ما قدمته فرنسا لإسرائيل فى بداية سنة ١٩٥٦ وآخره ما قدمته حكومة ألمانيا الاتحادية إلى إسرائيل ، مما لا تزال معنا ردود فعله فى المنطقة قوية وعنيفة .

ولقد كان لحكومة ألمانيا الغربية مركز ممتاز فى العالم العربى ، وإنه لمن المحزن لحكومة بون ، وللغرب كله ، أن يتحطم هذا المركز الممتاز الذى كان جسرا بين العرب والغرب ، وطريقا رحبا للتعاون الايجابى المثمر .

وبرغم ذلك ، فإن الجمهورية العربية المتحدة ما زالت مصممة على أن لا تجعل للمرارة سبيلا يؤدى إلى حدوث استقطاب للقوى فى الشرق الأوسط . إن الخلاف هو أصلا بين الأمة العربية وبين العدوان الإسرائيلى

ومطامعه التوسعية ، وأريدك أن تعرف أن جهودا فوق طاقة الاحتمال أحيانا تبذل لإبقاء النزاع فى هذا الإطار .

٤ ـ إن شعب الجمهورية العربية المتحدة يرى ويؤمن بأن التحدى الحقيقى الذى يواجهه ، هو بلوغ التقدم وتطوير حياته اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا لكى يستطيع أن يعيش زمانه ويساهم مع غيره من أمم الأرض فى تشريف قدر الإنسانية ، وأكاد أن أقول إن الأعمال البناءة التى يضطلع الشعب المصرى بأعبائها تشكل نموذجا رائعا لتصميم الشعوب التى وجدت نفسها أسيرة لأغلال التخلف ـ على إعادة بناء حياتها ، برغم مصاعب جمة تثقل عليها وتتزاحم من حولها .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة يعتقد أن سباق السلاح هو ظاهرة مؤقتة ، حرّكتها التجارب المريرة والمحن ، وتذكيها الشكوك كل يوم ، لكن الصمود والبقاء هو فى النهاية للحياة وحدها ، تبنيها عزائم الرجال وملكاتهم الخلاقة وقدراتهم على استغلال كل الموارد المتاحة لهم فى مجالات الانتاج والخدمات .

إن نزعات العدوان لا تستطيع إلاّ أن تدمر نفسها ، وتبقى إرادة الحياة دائما أقوى من كل أعدائها .

وفى النهاية ، تقبلوا يا عزيزى الرئيس ، صادق التقدير وكل أمانى النجاح ، وتحية طيبة وسلاما .

إمضـــاء

جمال عبد الناصـر

القاهرة فى ١٢ مايو ١٩٦٥ . »

□

وتعمد « جمال عبد الناصر » قاصدا أن لا يشير بكلمة واحدة إلى الموضوع الذى ختم به « تالبوت » حديثه معه وتقريره عنه إلى وزير الخارجية ، وهو موضوع : **مبيعات القمح الأمريكى إلى مصر . فقد كان الضغط عليه بـ « القمح » أكثر ما يضايقه ، فقد كان يشعر فيما بينه وبين نفسه أن تلك هى نقطة الضعف الرئيسية فى علاقته بالولايات المتحدة ،**

ولم تكن الخيارات سهلة أمامه ، ففوائض القمح وقتها لم تكن متوافرة خارج أمريكا . وحتى مع وجود فوائض فى أستراليا وكندا فقد كانت الشروط الأمريكية أكثر ملاءمة ويسرا . ومع إدراكه طول الوقت أن القمح الأمريكى ليس بعيدا عن السياسة الأمريكية ، فقد كان واجبه أن لا يدع الكبرياء يتملكه ، وأن يواصل الحصول على القمح الأمريكى طالما أنه يستطيع ذلك بغير تضحية بمبدأ أو بقضية ! .

ومع ذلك فإن سياسات الرئيس « جونسون » بدأت تجعل المعادلة تزداد صعوبة يوما بعد يوم .

الفصل الثالث

معركة القمح

مع بدايات صيف سنة ١٩٦٥ ـ كانت واشنطن تهيىء مسرح العمليات فى الشرق الأوسط لما يمكن تسميته بـ « معركة القمح » . وكانت توريدات القمح لمصر طبقا للقانون ٤٨٠ هى السلاح الذى دخل إلى ساحة الصراع يؤدى دوره المقرر له جنبا إلى جنب مع أدوار أخرى منوطة بأسلحة متنوعة غيره .

لقد كانت الفكرة الأساسية فى القانون ٤٨٠ ـ فكرة تضرب مجموعة عصافير بحجر واحد ، فقد كانت أهداف هذا القانون كما ورد فى مذكرة إصداره سنة ١٩٥٤ ، وكما تكرر فى المناقشات التى دارت حوله فى الكونجرس ـ هى : **تصريف فوائض الحاصلات الزراعية الأمريكية ، وهى حاصلات لم يكن مرغوبا فيها لخطرها على خفض أسعار الحاصلات الزراعية الأمريكية إلى درجة أن أحد الاقتراحات التى عرضت لحل مشكلتها نادى بإتلافها ولو عن طريق الحريق ! ـ ثم طرحت فكرة تحويلها إلى مبيعات ميسرة لبعض الدول التى لا تستطيع زراعتها توفير طعامها ـ مقابل عملات محلية من هذه الدول يجرى صرفها داخلها على احتياجات الولايات المتحدة من عملات هذه الدول ، ثم يخصص الباقى لمشروعات تنمية مشتركة بفوائد بسيطة وعلى آجال طويلة . وكانت الفكرة أن هذه الدورة تكفل تصريف فوائض الحاصلات الأمريكية ـ ثم أنها تقفل بعض**

الأسواق العالمية فى وجه غيرها من البلدان المحظوظة بالزراعة الكثيفة ـ ثم أنها بعد ذلك توفر للولايات المتحدة موارد من عملات محلية تحتاجها فى أماكن كثيرة من العالم ـ إلى جانب أنها تفتح أمامها إمكانيات للتأثير السياسى عن طريق النفوذ الناشىء من صلات القمح ... صلات رغيف الخبز !

□

كانت مصر من أول سنة ١٩٥٩ قد بدأت تستفيد من القانون ٤٨٠ ، ويلاحظ أن ذلك توافق بالضبط مع الفترة التى ترددت فيها العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفيتى نتيجة للخلاف مع نظام « عبدالكريم قاسم » فى العراق ووقوف الشيوعيين أمامه ووراءه فى معركة ضد الجمهورية العربية المتحدة كان مقصدها منذ البداية سلخ سوريا عن مصر .

كانت الاتفاقية الأولى لتوريد حاصلات زراعية ـ وأهمها القمح الأمريكى ـ إلى مصر سارية المفعول لمدة ثلاث سنوات ، فأثناء المفاوضات حولها أوضحت مصر أن « القمح » ليس سلعة عادية يشتريها الأطراف كلما طرأت الحاجة إليها ، وإنما هى سلعة حيوية ، عليها طلب منظم ومستمر ، كما أن المطلوب منها لابد من توفيره ـ والاطمئنان إلى مصادره ـ لاجال طويلة مع ملاحظة أنه سلعة لا يمكن نقلها فى أحوال طارئة عن طريق الجو ، كما قد يحدث فى سلع حيوية أخرى كالأدوية مثلا .

وهكذا غطت اتفاقية القمح سنة ١٩٥٩ و١٩٦٠ و١٩٦١ .

وفى سنة ١٩٦٠ جرى التفاوض لاتفاقية جديدة لمدة مماثلة غطت سنوات ١٩٦٢ و١٩٦٣ و١٩٦٤ .

ولقد وصل حجم الاتفاقيتين معا إلى مبلغ تسعمائة مليون دولار ، وعلى وجه اليقين فإن هذا المبلغ ـ وبقيمة النقود وقتها ـ كان يعطى لمصر مرونة اقتصادية تسمح لها بتوفير احتياجاتها الغذائية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تمكنها من توجيه مواردها من النقد الأجنبى إلى مشروعات خطة التنمية الطموحة التى حملت نفسها بها .

□

ولم يكن تنفيذ اتفاقيات فوائض الحاصلات الزراعية قضية سهلة طول الوقت بسبب ظروف العلاقات بين البلدين ، إلى جانب طبائع السياسة المحلية فى كل منها[1] .

فبالنسبة لظروف العلاقات بين البلدين فإن تضارب الأهداف ودواعى سوء الفهم بين الطرفين تلاحقت مضاعفاتها خصوصا فى ظل الاتفاقية الثانية من ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٤ ، فتلك هى الفترة التى استحكمت فيها أزمة الكونجو ، واشتعلت فيها الحرب على جبال اليمن ، وحققت مصر خلالها خطوات مثيرة لقلق واشنطن فى مجالات إنتاج الصواريخ والطائرات والأبحاث النووية ، وكلها كانت ـ ولا تزال ـ محظورات على العرب من وجهة نظر السياسة الأمريكية ![2] .

وبالنسبة لطبائع السياسة المحلية فى كل من البلدين ، فقد كان هناك فى واشنطن على سبيل المثال تأثير عوامل الضغط الصهيونى سواء على الكونجرس أو على الإدارة ، كما كانت هناك ضغوط أخرى تسانده دون أن تدرى ، فقد راحت أطراف عربية متنازعة مع مصر تلوم واشنطن على أنها باتفاقيات القمح تساعد « جمال عبد الناصر » فى نزاعاته معها .

وبالنسبة لطبائع السياسة المحلية على الجانب العربى فلابد من القول إنصافًا أن تلك هى الفترة التى شهدت تفشى وتفاقم « مرض الطفولة اليسارى » ـ على حد تعبير « لينين » الشهير ـ بين بعض العناصر فى مصر ، فلقد أصبح العداء للولايات المتحدة لدى البعض أشبه ما يكون بـ «حرفة » تمارس كل يوم بصرف النظر عن وجود دواع من المصالح أو المبادىء !

وهكذا فلقد كان يكفى أن تنقل إلى القاهرة تصريحات حمقاء لعضو فى مجلس الشيوخ أو مجلس النواب لكى تثور الأعصاب ، كما أنه كان يكفى أن تنقل إلى واشنطن فقرات من خطاب مسؤول فى الاتحاد الاشتراكى أو مقال فى جريدة فإذا كل الثيران الهائجة ترى اللون الأحمر وتتحفز للنطح بقرونها .

---

(١) كانت هناك أيضا قضايا التعقيد الإدارى على الناحيتين ، وقد أتيح لى أن أشارك فى حل عدد من مشكلاتها بحكم الدور الذى قمت به منذ البداية فى الاتفاق على مبدأ حصول مصر على مساعدات بمقتضى القانون ٤٨٠ ، وتضم مجموعة أوراقى ملفات متعددة فى موضوع القمح ، وأكتفى كنموذج لها بخطاب من السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » موجه إلىّ وخاص بمشكلة الفوائد المقررة على مبيعات القمح ـ رجاء مراجعة الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٧) صفحة ٩٥٩ .

(٢) يكفى النظر إلى الحملة الضارية التى يتعرض لها العراق الآن فى محاولته لتطوير صواريخه وقدراته النووية . .

وبالطبع فقد تحولت القضية بأصولها وفروعها إلى أزمة كاملة عندما قرر الرئيس « ليندون جونسون » انتهاج سياسة عنف تتصاعد درجاته تجاه مصر ، وانعكس ذلك فى تصرفاته وحتى فى كلماته المكتوبة فى رسائله أو المنقولة شفاهة عنه رغم كساء السكر الملون الذى راحت الدبلوماسية الأمريكية تستعمله فى تغطية نواياها المرة !

□

وفى أوائل سنة ١٩٦٥ كان الموقف فيما يتعلق باتفاقيات فوائض الحاصلات الزراعية غائما . وكان هناك مبلغ ٣٧ مليون دولار متبقية من آخر اتفاقية سارية ولكن ما هو أهم من ذلك ـ كان ضرورة التوصل إلى اتفاقية جديدة للمدى الطويل فى أجواء مشحونة بلغ من درجة عدم استقرارها أن مجلس النواب الأمريكى ناقش قرارا بوقف كل صفقات القمح إلى مصر إلاّ إذا ....!

ثم كانت سلسلة الظروف سيئة الحظ مما جرى فى أواخر سنة ١٩٦٤ ـ لكن الحقيقة التى لا يحق أن يختلف عليها أحد هى أن هذه الظروف فى حد ذاتها لم تكن المشكلة ، وإنما كانت المشكلة وجود سياسة مختلفة تقررت ودخلت بالفعل إلى قنوات التنفيذ !

وتكشف مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية فى تلك الفترة عن كثير من ملامح وأساليب تنفيذ هذه السياسة المختلفة والأجواء المحيطة بها .

بين هذه الوثائق محضر اجتماع بتاريخ ١١ مايو ١٩٦٥ بين وزير الخارجية الأمريكية « دين راسك » وبين زعماء المجموعات البرلمانية فى مجلس النواب : « ألبرت » زعيم الأغلبية الديمقراطية ، و« آندروز » زعيم الأغلبية الجمهورية ، وشارك فى الاجتماع « آدين » نائب رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس النواب . وقد تولى السفير « مكارثر » مساعد الوزير لشؤون الشرق الأوسط سكرتارية الاجتماع ، وقام بتحرير محضر لوقائعه[٣] .

وما يظهره المحضر خارج وقائع الموضوع المباشرة يكشف عن الخطوط الرئيسية فى السياسة الأمريكية تجاه موضوع المساعدات عموما ، وتتضح من إطاره العام الخطوط الرئيسية التالية :

---

(٣) الملف رقم ٧٤٧٤ من ملفات وزارة الخارجية الأمريكية ، مجموعة سنة ١٩٦٥ .

« ١ ـ إن المساعدات الغذائية تتم وضمن أهدافها خلق « حالة اعتياد » تتحول بالتدريج إلى « حالة اعتماد » .

٢ ـ عندما تظهر بوادر « حالة الاعتماد » تقوم السياسة الأمريكية عن طريق « الإيحاء » بالإشارة إلى رغبات لها يزداد تكرارها مناسبة بعد مناسبة .

٣ ـ إذا لم يحقق أسلوب « الإيحاء » هدفه فإن « الإيحاء » بتكرار الإلحاح وبالطلب الصريح يتحول إلى « ضغط » .

٤ ـ إذا لم يتوصل « الضغط » إلى بلوغ مقاصده فإن « الضغط » يتحول إلى « شرط » مسبق يرى من حقه إملاء إرادته ، وإلاّ حل « العقاب » ابتداء من التوقف عن التوريد إلى التوقف عن التوقيع . » .

وفى محضر اجتماع ١١ مايو ١٩٦٥ ، وقد عقد فى مكتب وزير الخارجية قبل غداء دعا إليه الوزير زعماء الكتل البرلمانية فى الكونجرس ، ترد على لسانه عبارات ذات دلالة فى مواضع مختلفة من الحوار :

□ ترد فى أقواله وفق المحضر عبارة يقول فيها أولا : « **إن الرئيس أمامه قرار صعب خلال أيام ، فعليه أن يقرر التصريح باستعمال مبلغ ٣٧ مليون دولار متبقية من اتفاقية سابقة** » .

ثم يضيف : « **إننا كنا قد ربطنا هذا المبلغ بتوقف مصر عن إرسال الأسلحة إلى الكونجو ، وقد أوقف ناصر إرسال هذه الأسلحة لأسباب متعددة وربما يكون بينها موقفنا** » .

□ ثم ترد فى أقواله عبارة يقول فيها ثانيا : « **إن الرئيس لم يقرر بعد أى موقف سيتخذه فى شأن فوائض المحاصيل الزراعية الى مصر ، ولكنه قرر مبدأ أن تكون مدة أى اتفاقية سنة واحدة بسنة واحدة حتى نستطيع باستمرار مراجعة موقفنا** » .

□ ثم ترد فى أقواله عبارة ثالثة يقول فيها : « **إننا نتجه إلى الإفراج عن مبلغ الـ ٣٧ مليون دولار المتبقية من الاتفاقية السابقة ، وإلاّ خاطرنا بفقد جميع وسائلنا فى التأثير على « ناصر » بينما نحن نريد أن نوفر لأنفسنا مرونة كافية** » .

□ ثم ترد فى أقواله عبارة يقول فيها رابعا : « **إن مستقبل أى اتفاقية جديدة مع مصر يتوقف على مجموعة من العوامل ، بينها الوصول إلى تفاهم مع « ناصر » بشأن**

عدد من النقط ، ونحن نريد أن نحتفظ بنوع من « القدرة » على التأثير عليه » !

□

كان القمح قضية تعددت فيها وجهات النظر ، ثم استقرت سياسات التخطيط بعد ذلك على خيارات لها ـ مثل أية اجتهادات إنسانية ـ مزاياها ومخاطرها ، وفى المحصلة فإن المخاطر فى صيف سنة ١٩٦٥ تركزت فى معضلة مؤداها من جانب : أن اتفاقيات فوائض القمح الأمريكى طبقا للقانون ٤٨٠ أغرت مصر على اتباع سياسة « **المحصولات النقدية** » ، أى المحصولات التى تدر أكبر قدر ممكن من العائد النقدى والذى يمكن أصحابه من الحصول على ما يريدون من أى مكان . وعلى سبيل المثال فقد كان عائد فدان من قصب السكر يوازى مائة جنيه استرلينى فى ذلك الوقت ، فى حين أن عائد فدان من القمح يوازى سنة وثلاثين جنيها استرلينيا ، ومن هنا أمكن تقليص مساحات القمح لحساب قصب السكر وغيره ، وهكذا فإن إنتاج القمح فى مصر سنة ١٩٦٤ كان يقل بنسبة الثلث عن استهلاكها ، ومع ذلك فقد كان هناك الاطمئنان إلى أن الفارق ـ وهو الثلث ـ يمكن تعويضه بالشراء من أمريكا وبالشروط الميسرة التى يمنحها القانون رقم ٤٨٠ (أو من مصادر أخرى مع دفع الثمن) .

وكان الجانب الثانى من المعضلة أن مشكلة الزراعة فى الاتحاد السوفيتى لا تترك عنده فوائض يقدمها مساعدة أو بيعا للآخرين ، بل كان واقع الحال فى تلك السنة الصعبة ـ ١٩٦٥ ـ أن الاتحاد السوفيتى كان يواجه عجزا فى الحبوب بين انتاجه واستهلاكه يصل إلى ١٦ مليون طن ، بينها تسعة ملايين طن من القمح . وبالتالى فإن مساحة الحركة المتاحة له فى قضية القمح كانت هى الأخرى ضيقة ومختنقة .

وبينما صيف سنة ١٩٦٥ تزداد حرارته ، كانت المناورات وراء الستار فى واشنطن مازالت تعمل بهدوء أعصاب ـ بينما كان الإحساس بالتوجس فى القاهرة يرفع حدة الأعصاب ، خصوصا وأن مخزون القمح فى مصر راح يتناقص . وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى ذلك الوقت تولى اهتماما واضحا لأية معلومات تستطيع الوصول إليها عن مخزونات القمح فى مصر ، ومن سوء الحظ أنه كان لديها من تستطيع تكليفه بهذه المهمة(٤) ـ وأنه استطاع أن يزودها تباعا بما كانت تطلبه !

□

---

(٤) رجاء مراجعة كتاب « بين الصحافة والسياسة » ، وهو يتعرض لقصة محزنة لا أريد أن أعود إلى تفاصيلها عارفا أن التاريخ سوف يعود إليها أكثر من مرة محققا وقاضيا !

ولقد أحس « جمال عبد الناصر » بعد حديثه الطويل والصريح مع مساعد وزير الخارجية الأمريكية « فيليبس تالبوت » أن موضوع القمح سوف يكون له دور فى الأيام والأسابيع القادمة ، وراح يفكر فى الطريقة التى تعطيه فسحة من الوقت أوسع ، وربما تعطيه ما هو أكثر من فسحة الوقت .

كانت مصر قد اشترت صفقات قمح من أستراليا والمكسيك لتعويض ما نقص من المخزون الضرورى ، ولكن الأسعار راحت ترتفع بشدة ، كما أن المعروض فى الأسواق العالمية راح يقل مع دخول الاتحاد السوفيتى والصين والهند مشترين لكميات هائلة . وكان لابد من إيجاد حل إضافى يصلح ليكون عنصرا للتخفيف المؤقت حتى تنجلى الأمور .

وبعد أيام قليلة من لقاء « جمال عبد الناصر » مع « فيليبس تالبوت » ـ كان عليه أن يستقبل « نوفيكوف » وزير الكهرباء فى الاتحاد السوفيتى الذى جاء ليطلع على سير العمل فى مشروع السد العالى بعد إنتهاء تنفيذ المرحلة الأولى منه ، وليقدم تقريرا إلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة عن سير عملية تصنيع وتوريد المعدات اللازمة للمرحلة الثانية من المشروع الكبير .

وراح « نوفيكوف » يعرض على الرئيس ملاحظاته عن سير العمل فى أسوان وفى الاتحاد السوفيتى ، وبعد أن فرغ من عرض ما لديه ـ فوجىء بأن « جمال عبد الناصر » يقول له إن لديه رسالة يريد إيصالها إلى رئيس الوزراء « إليكسى كوسيجين » ، وكان مؤدى الرسالة طلب شراء قمح ـ لإتاحة فرصة وقت لمواجهة الضغط ـ ثم للفت نظر واشنطن إلى أن مجال الحركة مفتوح ، وأضاف « جمال عبد الناصر » قائلا لـ « نوفيكوف » :

« إننى أعرف مشاكل الزراعة عندكم . وأعرف أنكم تستوردون القمح . ولكن ما نريده الآن جزء بسيط مما قمتم باستيراده ، ولكنه بالنسبة لنا كبير فى قيمته نظرا لعنصر الوقت ولإحباط المناورات »

واستطرد طبقا لمذكرة عن وقائع الجلسة قام بإملائها بعد انتهائها قائلا :

« إنهم فى رأيى سوف يعقدون معنا اتفاقا جديدا للقمح ، وسوف يجعلونه اتفاقا لمدة سنة واحدة ، وربما أقل لكنهم أول من يعرف أن القمح هو وسيلتهم الوحيدة لتكون لهم فى القاهرة كلمة ، فإذا توقفوا تماما فقدوا كل ما لديهم من لغة الحوار معنا . أمامهم الحرب النفسية وقد مارسوها ، وأمامهم القوة المسلحة لإرغامنا على قبول سياساتهم لكنهم لن يقدموا عليها

بعد درس السويس . وإذن لا يتبقى إلا خطر التجويع . وهذا فخ علينا أن لا نقع فيه ، وأن لا نعرض أنفسنا له بعد ذلك مهما كانت الظروف » !

وسافر « نوفيكوف » عائد إلى موسكو ...

كانت معركة القمح محتدمة فى واشنطن وفى القاهرة ، والآن انتقل مشهد من مشاهدها إلى موسكو أيضا .

ويوم ١٨ يونيو ١٩٦٥ اتصل السفير السوفيتى فى القاهرة برئاسة الجمهورية طالبا موعدا عاجلا . وقائلا إن لديه رسالة هامة من « المكتب السياسى » يريد إبلاغها للرئيس . وكانت الرسالة من « كوسيجين » .

كان مضمون الرسالة أن المكتب السياسى يقدر كل الملابسات المحيطة بتوريدات القمح الأمريكى إلى مصر . و « **أنهم يعرفون أن مصر لم تتخذ الطريق السهل للاعتماد على أصدقائها ، وإنما هم يعرفون أنها كانت داخلة مشترية فى أسواق المكسيك وأستراليا ، وأنها اتجهت إلى أصدقائها كملجأ أخير ضد مواجهة الضغوط . ولهذا فإن المكتب السياسى اتخذ قرارا بالاستجابة لطلب « جمال عبد الناصر » ، وأن إعلانا بهذا الشأن سوف يصدر فى موسكو خلال ثمان وأربعين ساعة »**

وصدر الإعلان المنتظر فى موسكو ، وجرى إخراجه بطريقة مثيرة ، فقد أعلن الاتحاد السوفيتى « **إن الأوامر قد صدرت إلى عدد من البواخر التى كانت فى البحر الأبيض متوجهة إلى ميناء « أوديسا » حاملة شحنات من القمح - بأن تغير خط سيرها وتتجه فورا إلى الاسكندرية وتفرغ حمولتها هناك تلبية لطلب من قيادة الجمهورية العربية المتحدة . »**

ولقد شاءت المفارقات أن يجيء يوم هذا الإعلان الدرامى عن حاملات القمح من البواخر السوفيتية وتحويل خط سيرها إلى ميناء الاسكندرية - فى نفس اليوم الذى اتصل فيه السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » يعطى أول إشارة عن الموافقة على الإفراج عن مبلغ الـ ٣٧ مليون دولار الباقية من اتفاقية فائض الحاصلات الزراعية الأخيرة ، مضيفا أنه سوف يكون على اتصال بوزارة الاقتصاد لتوقيع اتفاق تنفيذى بالمبلغ لكى يستأنف شحن القمح الأمريكى إلى مصر !

□

كانت معركة القمح ، وهذا هو اللافت للنظر ، قد بدأت تدار فى واشنطن على

مستوى مجلس الأمن القومى ذاته . كان مفهوما أن تدار منه معارك من نوع آخر مثل الحرب فى اليمن ، أو مثل موازين السلاح فى المنطقة ، ولكن انتقال قضية مثل القمح ولو جزئيا إلى مجلس الأمن القومى كانت له دلائل .

وتظهر وثائق مجلس الأمن القومى المحفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » مجموعة أخرى من التقارير أولها كتبه « بنيامين ريد » وهو مساعد مستشار الأمن القومى المكلف بمصر وقتها ، وقد قدمه إلى « ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومى ، كما بعث بصورة منه إلى « روبرت كومنر » ، وقد تعرض « ريد » فى تقريره لآخر تطورات معركة القمح بما فيها الزاوية السوفيتية التى استجدت على هذه المعركة أخيرا . وقد ختم « بنيامين » تقريره بالقول : (٥)

« إن صفقة القمح السوفيتى أدت إلى انتقادات علنية فى مصر ضد الولايات المتحدة التى اتهمت بشن حرب تجويع . لكن الصفقة على أى حال ساعدت على تخفيف مشكلة الإمدادات الغذائية للجمهورية العربية المتحدة ، وسمحت بمزيد من الوقت للتفكير فى خطوتنا التالية فى الجمهورية العربية المتحدة . ونحن نتفق مع السفير « باتل » على أننا يجب أن نتجنب التعليق العلنى على الأمر وأن نأخذه كله بموقف اللا مبالاة واحترام النفس . وقد قمنا فى ذات الوقت بإبلاغ السفير « كامل » (سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن) بصورة شخصية أن الدعاية المعادية للولايات المتحدة يمكن أن تعرقل أى ترتيبات تتعلق بصفقات الأغذية فى المستقبل »

□

إن تقارير ومذكرات مجلس الأمن القومى فى هذه الفترة لا تكشف فقط عن أبعاد معركة القمح ، لكنها فى نفس الوقت تلقى ظلا قاتما على بعض عناصر التمثيل الدبلوماسى المصرى وأساليب عملها ، وهى أساليب ساعدت على تأزيم المواقف أحيانا أكثر مما أدت إلى حلول لها . وبصفة عامة فقد كان الجهاز الدبلوماسى المصرى فى ذلك الوقت ـ وربما حتى اليوم ـ ينقسم إلى قسمين يمكن تسميتهما مجازا بـ « **التقليدى** » و« **المتقدم** » .

ولم تكن المسألة مسألة أعمار ، فبين « **التقليدى** » ظهر عدد كبير من الشبان

---

(٥) نص مذكرة « بنيامين ريد » منشورة بالكامل فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٨) صفحة ٩٦٢ .

خصوصا من الوافدين إلى السلك الدبلوماسى من صفوف القوات المسلحة ، ولهؤلاء فى الغالب فقد بدت الوظيفة الدبلوماسية مكافأة جاء وقت الاستمتاع بها ، ومن المؤكد أنه كانت بين هؤلاء الضباط عناصر تنتمى إلى الجناح « **التقليدى** » .

وفى نفس الوقت فإنه فى الجناح « **المتقدم** » ظهر عدد كبير من الرجال الذين عاصروا السلك السياسى قبل الثورة ، وواصلوا خدمتهم فيه وتجددوا مع التطورات وأثروا فيها ـ ومع ذلك فإن جناح هؤلاء الرجال احتوى على عناصر صعب عليها أن تتجدد ، وإذا هى فى مناصبها تعبر عن أفكارها الخاصة وليس عن سياسة الدولة التى بعثت بهم إلى حيث هم .

وكان « جمال عبد الناصر » يحس بوجود المشكلة ، ولم يجد لها حلا سريعا ، وكان تقديره أنها مما يحله الزمن حين تتقدم أجيال مكان أجيال . وعلى أى حال فإنه حتى يتحقق هذا الانتقال من جيل إلى جيل فقد اكتشف « جمال عبد الناصر » أن التعامل مع سفراء الدول الأجنبية المعتمدين فى القاهرة ، خصوصا من الدول الكبرى ، هو أدعى للسلامة . وتحوى مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى مذكرتين عن أحاديث جرت بين السفير المصرى فى واشنطن وبين وزير الخارجية الأمريكية فى حضور عدد من مساعديه .

فى هذه المجموعة « مذكرة عن حديث » بدا فيها السفير المصرى وكأنه يطالب الولايات المتحدة بأن تحمى بلاده من النفوذ الشيوعى ، وأنه يقول ما يقول « بصفة غير رسمية وبوصفه صديقا » .[٦]

وفى « محضر عن نقاش » بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٦٥ وردت عبارة على لسان المستر « مايكل ستيرنر » يقول فيها إن « كرامة الولايات المتحدة تهان فى مصر » ـ وكان رد السفير المصرى ـ كما سجله المحضر ـ هو قوله : إنه يرفض هذه الحجة ، فمن المفهوم أن تهتم دولة من الدرجة الثالثة مثل الجمهورية العربية المتحدة بمسألة الكرامة . ولكنها تكون كارثة أن تنزل الولايات المتحدة بمستواها إلى مثل هذه المسائل » !![٧]

---

(٦) نص « مذكرة حديث » بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٦٥ ، وأصلها فى مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى رقم ١١٧٤٠ .

(٧) نص « محضر نقاش » من مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٦٥ .

لم يكن « جمال عبد الناصر » مطمئنا للمجرى العام للحوادث فى صيف ١٩٦٥ . وكانت الدلائل التى رآها فى « معركة القمح » ـ إلى جانب تطورات كثيرة إقليمية وعالمية ـ تدعوه بإلحاح إلى إمعان النظر والمراجعة . وقد أحس طبقا لنص خطاب وجهه إلى عدد من الملوك والرؤساء العرب : « إن الظروف المحيطة بالقضايا العربية دقيقة . واقتناعنا يتزايد كل يوم بأن الأمة العربية على وشك أن تواجه تحديات بالغة فى خطورتها » .

كان إحساسه بأن هناك مخاطر على الطريق قويا ، وراح يفكر ، وقد وجد ثغرتين فى موقفه وموقف بقية الأمة العربية .

□ **كانت الثغرة الأولى هى « القمح »** الذى تحول إلى سلاح .

□ **وكانت الثغرة الثانية هى « اليمن »** واستمرار القتال فيها بما يؤدى إلى تمزيق عربى يتسع نطاقه خارج أى إرادات عربية ، فقد استولت على المعركة هناك قيادة الحكومة الخفية الأمريكية وكل العناصر الأجنبية التى تدعوها مصالحها إلى التعاون معها . **وفوق التمزق العربى فقد كانت هناك حقيقة أن حرب اليمن تكلف الخزينة المصرية كل سنة ما بين أربعين إلى خمسين مليون جنيه (أو ما يوازى مائة مليون دولار وقتها) ، وما لفت نظره هو أن هذا المبلغ بالضبط يستطيع أن يتكفل بشراء كل احتياجات مصر من القمح زيادة على إنتاجها المحلى منه .**

وهكذا بدا له أن بذل جهد مكثف لحل مشكلة اليمن يستطيع إذا نجح أن يسد الثغرتين فى نفس الوقت : يضع حدا للتمزق العربى ـ ويوفر اعتمادات للقمح تغنى عن الابتزاز مع بداية ونهاية ومدة تنفيذ كل اتفاقية .

□

ولقد تصور « جمال عبد الناصر » عندما راح يحاول بذل جهد مكثف أنه يستطيع تحكيم الملوك والرؤساء العرب فى العلاقات بينه وبين الملك « فيصل » ، فقد كانوا جميعا

شهودا على محاولة اتفاق بذلت فى مؤتمر القمة بالاسكندرية (سبتمبر ١٩٦٤) ـ وكتب بالفعل خطابا وجهه إلى الملوك والرؤساء العرب .(٨) .

وبينما هو ينتظر رد الخطاب ، كانت المعلومات (بما فيها البرقيات الشفرية الملتقطة) تقنعه بأن الحكومة البريطانية ألقت بكل ثقلها فى معركة اليمن حتى تصد عن الجنوب العربى الذى ما زالت تحتله وتواجه فيه نيران ثورة من أجل الاستقلال . وقرر « جمال عبد الناصر » أن الوقت قد حان لمبادرة مباشرة تجمعه وجها لوجه مع الملك « فيصل » لأن التوجه إليه من خلال بقية الملوك والرؤساء العرب لن يجيء بنتيجة لأكثر من سبب بينها ميل القادة العرب إلى المساومات والحلول الوسط القادرة على إرضاء كل الأطراف شكلا بصرف النظر عما إذا كانت هذه الحلول الوسط ومساوماتها كافية لحل موضوع النزاع . وكان مؤتمر القمة فى الاسكندرية قبلها بشهور قد توصل إلى صيغة من تلك الصيغ التى اشتهرت بها القمم العربية مؤداها أنه ما دامت مصر تصر على بقاء النظام الجمهورى فى اليمن وقد قام على أساس ثورة شعبية حقيقية ـ وما دامت السعودية تصر على عودة أسرة « حميد الدين » إلى حكم اليمن حتى لا توضع سابقة انقلاب فى شبه الجزيرة العربية ـ إذن فإن الحل هو أن تصبح اليمن لا جمهورية ولا ملكية ويكتفى فى وصفها بتعبير « دولة اليمن » كما هو الشأن فى حالة الكويت وقتها .

كان « جمال عبد الناصر » يتصور أن مسافة الخلاف الموضوعى بينه وبين الملك « فيصل » فى شأن اليمن ليست هى صميم القضية ، ولكن صميم القضية هو : الشكوك المترسبة فى النفوس أولا ـ ثم جهود جماعات المستفيدين من معركة اليمن وهم تحالف بالغ القوة يضم عددا من أجهزة المخابرات الغربية ، إلى جانب إسرائيل وإيران ، إلى جانب ثلاثى تجار السلاح وسماسرة البترول ورجال المخابرات المختلفة من بين العرب .

وعلى نحو ما فإن « جمال عبد الناصر » شده التفاؤل فى بعض اللحظات وتصور أن هناك صراعا يدور حول روح وضمير الملك « فيصل » ، وأنه إما أن يأخذه من التحالف الإقليمى الدولى الذى يحيط به ، وإما أن يتركه لهم ويواجه النتائج . وأحس « جمال عبد الناصر » أنه ربما يستطيع أن يدخل هذه المناقسة على روح وضمير الملك « فيصل » ويخرج منها بتفاهم يحتفظ بالأوضاع فى العالم العربى تحت السيطرة العربية بدلا من أن

---

(٨) النص الكامل لخطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى الملوك والرؤساء العرب منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٩) صفحة ٩٦٥ .

تظل المنطقة منفلتة ـ كما تبدو الآن ـ فى طريقها بأقصى سرعة ممكنة إلى صدام تظهر بوادره ، وإن ظلت خافية مخططاته الدقيقة وتفاصيلها !

وفى تلك الأوقات أطلع « جمال عبد الناصر » على تقرير كتبه ممثله الشخصى لمتابعة تنفيذ قرارات القمة العربية ، وهو السيد « حسن صبرى الخولى » ، عن مقابلة دارت بينه وبين السفير السعودى فى القاهرة . وفى هذا التقرير كتب « حسن صبرى الخولى » يقول :(٩) .

« أثناء تواجدى فى المطار لاستقبال الرئيس اللبنانى شارل حلو تقابلت مع السفير السعودى محمد على الرضا ، وعدنا سويا إلى مكتبى حيث اجتمعنا لمدة ساعتين وربع .

وبعد مناقشات طويلة حول ما تقوم به السعودية فى الوقت الحاضر سواء بالنسبة لليمن أو بالنسبة للجنوب أو الخليج ، أو حتى داخل المملكة السعودية من أمور معادية للجمهورية العربية المتحدة ، اعترف السفير بأن الملك فيصل غير مطمئن لموقفنا .

وتحدثنا فى عدد من الاقتراحات المحددة ، وكان تقدير السفير أن هذه المقترحات يمكن أن يوافق عليها الملك لو عرضها هو شخصيا ، ولكنه لا يضمن تأثير بطانة الملك فيصل ومعظمهم يحقد على الجمهورية العربية المتحدة ، ولابد أن نعرف أن الملك لن يطمئن على عرشه تماما إلاّ بعد سحب القوات المصرية من اليمن . »

ومساء نفس اليوم دعى السيد « حسن صبرى الخولى » لمقابلة الرئيس الذى شجعه على مواصلة الاتصال بالسفير السعودى فى القاهرة ، وبوكيل وزارة الخارجية السعودية السيد « عمر السقاف » وهو يعرف أن بين الاثنين صداقة ، كما أن « عمر السقاف » من أقرب الناس ـ وقتها ـ إلى تفكير الملك « فيصل » .

وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن يكون هدف تحرك « حسن صبرى الخولى » هو العمل على ترتيب لقاء مباشر بينه (الرئيس) وبين الملك « فيصل » ، ذلك أنه إذا

---

(٩) نص هذا التقرير وغيره من مجموعة تقارير السيد « حسن صبرى الخولى » فى هذه الفترة يضمها ملف واحد يوجد أصله فى أرشيف قصر عابدين ، وتوجد صور كاملة منه فى محفوظات القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة ووزارة الخارجية .

كان هناك أمل فى تفاهم فإن الملك « فيصل » لن يطمئن إلاّ إذا تم التفاهم « بينه وبينى » .

وتم وضع السفير المصرى فى جدة ، السيد « يحيى عبد القادر » ، فى صورة الاتصالات الجارية فى القاهرة حتى يستطيع متابعة التطورات من جانبه . وكتب « يحيى عبد القادر » من جدة يقول[10] : **« هناك انقسام بين المحيطين بالملك ، بعضهم من أنصار اللقاء المباشر بينه وبين السيد الرئيس ، والبعض الآخر لا يرى ذلك ويفضل أن يتم الاجتماع بين الاثنين فى إطار مؤتمر القمة المزمع عقده فى الرباط فى شهر سبتمبر القادم . أريد أن أذكركم بنقطة هامة وهى أن السيد الرئيس سوف يلقى كالعادة يوم ٢٣ يوليو (عيد الثورة) خطابه السنوى المنتظر . ولابد من ملاحظة أن خطاب هذه السنة سوف يقرأ فى الرياض بعناية شديدة ، والمحتمل أن يقرأه البعض بسوء نية ويجدوا فيه أشياء لم يقصدها السيد الرئيس . »**

وتقرر تعزيز الاتصالات برحلة يقوم بها السيد « حسن صبرى الخولى » مباشرة إلى الرياض لمقابلة الملك « فيصل » والسماع منه . وأخيرا أمكن ترتيب اللقاء بين الاثنين ، **فقد أبدى « جمال عبد الناصر » أنه لا يشعر بأية حساسية إذا كان عليه هو أن يذهب لمقابلة الملك « فيصل » فى جدة ، والغريب أن أحد المقربين من الملك « فيصل » قال للسفير « يحيى عبد القادر » إن « هناك من قالوا للملك إن هدف « جمال عبد الناصر » من القدوم بنفسه إلى جدة هو أن يخرج الشعب السعودى كله لاستقباله وتكون من ذلك مظاهرة للضغط على الملك » . ولم يكن شىء من ذلك فى تفكير « جمال عبد الناصر » ، وإنما كان تفكيره كله الوصول إلى حل !**

وكانت الفكرة الرئيسية التى حملها الرئيس « جمال عبد الناصر » معه هى الاتفاق على استفتاء لتقرير المصير فى اليمن ، بما فى ذلك نظام الحكم ، على أن يجرى هذا الاستفتاء تحت الإشراف المشترك لمصر والسعودية وأية أطراف عربية أخرى يمكن الاتفاق عليها !

□

كان « جمال عبد الناصر » يوم ٢١ أغسطس فى الاسكندرية ، ومنها ركب طائرة إلى ميناء « برنيس » على البحر الأحمر ، وهناك كانت الباخرة « الحرية » فى انتظاره لتنقله

---

(١٠) برقية شفرية من السفير « يحيى عبد القادر » (محفوظات وزارة الخارجية) .

وأعضاء الوفد المرافق له عبر البحر فى خط مستقيم إلى جدة التى يصل إلى مينائها بعد ظهر يوم ٢٢ أغسطس .(١١)

وحدثت لحظة دخول ميناء جدة واقعة غريبة ، فقد كان « جمال عبد الناصر » يقف على سطح الباخرة « الحرية » ويتطلع نحو الميناء الذى راحت الباخرة تقترب منه . والتفت « جمال عبد الناصر » فشاهد مدمرة أمريكية تقف على جانب من الميناء ، وأبدى ملاحظة مؤداها « **إنهم يريدون أن يقولوا لنا إنهم هنا** » ، ثم كانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » الثانية هى أن المدمرة الأمريكية لم تتبع التقاليد البحرية السليمة لتحية علم رئيس الدولة الذى يرفرف على « الحرية » . وقام قائد « الحرية » بلفت نظر قائد المدمرة الأمريكية إلى أنه خالف التقاليد المرعية فى البحار وطلب منه إيضاحا . وصباح اليوم التالى كتب السفير « يحيى عبد القادر » مذكرة نصها :(١٢)

« قدم للسفارة اليوم السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية فى جدة ، وأبلغ السيد السكرتير الثانى بها ما يلى :

١ ـ إنه مكلف من قبل حكومته رسميا بإبلاغ أسف واعتذار الحكومة الأمريكية رسميا إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، عن

---

(١١) شاءت الظروف أن أكون ضمن الوفد المرافق للرئيس ، وقد حدث ونحن فى الطائرة قبل أن نتحرك من الاسكندرية أن التفت إلىّ الرئيس « جمال عبد الناصر » وقال لى : يظهر أن السيد عمر السقاف قال لسفيرنا فى جدة « إنه بين آلاف الناس الذين تصور أن يصحبهم الرئيس عبدالناصر معه ـ فإن اسمك بالذات لم يخطر لهم باعتبار ما كتبت واعتبره الملك فيصل معاديا له » ، وقلت للرئيس إننى على استعداد لأن أنزل من الطائرة خصوصا وأن أسرتى فى الاسكندرية ولن يسعدنى شىء أكثر من أن أبقى معهم هذه الأيام . ولم يقبل الرئيس بهذا الاقتراح ، وثنى عليه السفير « محمد على الرضا » ، وكان معنا فى الطائرة ، وقال : « لا يعقل يا أخى ، نحن إخوة وأنت عندنا فى « وطنك وبيتك » . . » وبرغم هذه المشاعر الطيبة فقد كادت تحدث أزمة لا داعى لها ، فإن الرئيس « جمال عبد الناصر » وقف يقدم أفراد الوفد المصرى إلى الملك « فيصل » ، وكنا جميعا بملابس الإحرام ذاهبين لأداء العمرة قبل أول جلسة من جلسات المفاوضات . وحين جاء دورى ، فوجئت بالملك يقول : « والأستاذ هيكل بملابس الإحرام ؟ » ـ ثم أضاف قائلا : « لعلها توبة » . ولم أستطع قبول الملاحظة ساكتا وقلت للملك بكل احترام : « جلالة الملك ، إن الناس يتوبون عن خطاياهم وليس عن آرائهم » . وعندما خرجنا لركوب السيارات إلى جدة نادانى الرئيس « جمال عبد الناصر » ليقول : « لا تنسى الهدف الذى جئنا من أجله . لقد قدمنا إلى هنا لحل مشكلة ولم نجىء لتعقيدها » . واعترفت له أنى أفهمه !

(١٢) صورة من خطاب الاعتذار الذى وجهه قائد البحرية الأمريكية إلى قائد البحرية المصريه ـ منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٠) صفحة ٩٧٠ والأصل مودع فى محفوظات وزارة الخارجية .

عدم قيام المدمرة الأمريكية USS. CORRY ـ الراسية فى ميناء جدة البحرى ـ للتحية الواجبة وإطلاق مدافعها إلى اليخت « الحرية » المقل للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، لدى وصوله إلى ميناء جدة البحرى .

٢ ـ ذكر أنه مكلف من حكومته أيضا بشرح ما حدث ، وهو أنه كان من المفروض ـ وفقا للقواعد الدولية ـ أن تقوم الحكومة السعودية بإبلاغ قائد المدمرة الأمريكية بوصول يخت السيد الرئيس وموعد الوصول ، إلاّ أن ذلك الإبلاغ من جانب الحكومة السعودية لم يحدث . وصحيح أن وصول السيد الرئيس إلى ميناء جدة أمر معروف ـ إلاّ أن قائد المدمرة الأمريكية كان يجهل موعد الوصول فتعذر عليه أداء التحية الواجبة .

٣ ـ أضاف أنه ينتظر اليوم وصول مدمرة أمريكية أخرى إلى ميناء جدة اسمها USS. FOX ـ وستقوم بإطلاق ٢١ طلقة تحية لليخت الحرية فى حالة وجود السيد الرئيس فى جدة ، ولن تقوم بإطلاق مدافعها لتحية ميناء جدة ذاته حيث أن السلطات السعودية أفادت السفارة الأمريكية بعدم وجود ذخيرة كافية فى الميناء لتحية المدمرة الأمريكية الجديدة .

٤ ـ ذكر أن المدمرة الأمريكية USS. CORRY ـ بوصف قائدها أعلى رتبة من قائد المدمرة الأخرى ـ سوف يقوم بأداء التحية لليخت الحرية فى حالة رحيل السيد الرئيس بحرا عليه .

مع وافر الاحترام .

السفير

(يحيى عبد القادر)»

ثم قام قائد المدمرة الأمريكية بكتابة رسالة اعتذار قال فيها :

« إلى القائد العام لأسطول الجمهورية العربية المتحدة

من ضابط القيادة للسفينة البحرية الأمريكية كورى (د . د . ٨١٧)

إننى أقدم لكم أسفى العميق على أن السفينة البحرية الأمريكية كورى لم يجر إخطارها بالوصول المتوقع لرئيس الجمهورية العربية المتحدة أو للقائد العام لأسطولها .

أرجو قبول اعتذارى الشخصى عن أى سوء فهم نشأ من تجاهل مراسم الشرف المرعية .

وأرجو بكل احترام أن تأذنوا لى بزيارتكم فى أى وقت ملائم لكم .

مع كل الاحترام .

جـ . أ . لويل

كوماندور البحرية الأمريكية »

وكان الرئيس « جمال عبد الناصر » قد طلب إلى السفير « يحيى عبد القادر » أن يطلع السيد « عمر السقاف » وكيل الخارجية السعودية على تفاصيل الحادث حتى لا تفاجأ الحكومة السعودية بموقف يحرجها .

ووصلت التفاصيل إلى الملك الذى أشار إليها فى بداية جلسة اليوم الثانى من المحادثات فى قصر « خزام » قائلا لـ « جمال عبد الناصر » : « **والله يا فخامة الرئيس أنتم تعرفون كيف تتعاملون مع هؤلاء الناس** » !

□

كان « جمال عبد الناصر » طوال المحادثات فى جدة ـ يحاول أن يستشف ما يدور فى فكر الملك « فيصل » ، وكان يعتقد دائما أن ما تجرى به الألسن فى أية مفاوضات لا يعكس نوايا أصحابه بالضرورة ، والغالب أنه الكلام الذى قرأوه من مذكرات أعدت لهم . وأما أقرب شىء إلى الحقيقة فهو ما وراء العبارات ، وهذا تعكسه التصرفات والحركات وتعبيرات الملامح .

وبعد الجلسة الأولى للمحادثات فإن « جمال عبد الناصر » عقد اجتماعا للوفد المصرى ، وأبدى ملاحظاته على هذه الجلسة الأولى كما يلى :

« ١ ـ إنه يلاحظ أن الملك يبدى استعداده للوصول إلى اتفاق ـ ولكن السؤال هو إلى أى مدى يريد الملك أن يصل ؟ ثم هل هو حر فى التوصل فى النهاية إلى اتفاق ؟

٢ - إنه يلاحظ أن الملك سعيد ، وربما أرضى كبرياءه أنه هو (أى « جمال عبد الناصر ») الذى جاء إليه فى بلده ، ولقد لاحظ طول الطريق حواجز الأمن التى منعت جماهير الشعب السعودى من الاقتراب من الطرق الرئيسية التى اجتازها الركب من الميناء إلى قصر « خزام » ، ولم يضايقه ذلك ، فقد وجده أفضل من نواح كثيرة ، فليس هناك داع لاندفاع شعبى سعودى نحوه يحرج « فيصل » ويؤثر على مشاعره .

٣ - إنه يلاحظ أن الملك ليس حريصا على أسرة « حميد الدين » فى اليمن - لكن ما يقلقه هو سقوطها بعمل ثورى يشارك فيه الجيش ، لأن ذلك يخلق سابقة خطيرة فى شبه الجزيرة .

٤ - إنه يلاحظ أن الملك مهتم باستعادة طائراته التى لجأ طياروها بها إلى مصر ، وكذلك بفرض الحراسة على أمواله فى مصر ، وهو يعتبر هذه النقط مسألة كرامة .

٥ - إنه يلاحظ أن الملك يبدو فى بعض الأحيان مرتبكا فى تبرير مواقفه . »

وكانت هذه الملاحظة الأخيرة صحيحة إلى أبعد حد . وقد حدث فى أحد مواقف الجلسة الأولى للمحادثات أن قال « جمال عبد الناصر » موجها حديثه للملك « فيصل » :

« إن جلالتك قلت للسفير يحيى عبد القادر ، وهو معنا الآن على هذه المائدة ، إن سبب الخلاف بيننا ليس مشكلة اليمن ، فهذه مشكلة عارضة ، ولكن السبب الحقيقى للخلاف هو « تدخل الجمهورية العربية المتحدة فى الشؤون الداخلية للسعودية بمحاولتها فرض النظام الاشتراكى عليها ، أو باشتراطه كأساس لأى تعاون » .

إننى قرأت هذه العبارة فى تقرير له ، وأنا أريد بأمانة أن نضع هذه القضية للنقاش . إننى لا أريد أن أعود للماضى فنحن هنا الآن من أجل المستقبل . لكن السؤال الذى أطرحه : هل تتصورون فعلا أننى أريد أن أفرض النظام الاشتراكى على السعودية أو أعتبره أساسا لأى تعاون بيننا ؟ »

وبدا الحرج على ملامح الملك وقال لـ « جمال عبد الناصر » :

« طال عمرك .. ليس هذا ما نقوله ، ولكن هذا ما نسمعه » .

□

وربما كان أهم مشاهد محادثات جدة هو اجتماع ثنائى دار بين الاثنين ولم يحضره ثالث بينهما . وفى هذا الاجتماع الذى عقد بناء على طلب « جمال عبد الناصر » ولم يستغرق أكثر من ربع ساعة ، قال الرئيس للملك : « **إن لديه أربعة تقارير يريد أن يقدمها للملك ، وأن كل ما يريده هو أن يقرأها الملك على مهل ، وهو لا يطلب منه تعليقا عليها لا الآن ولا فيما بعد ، فهدفه من تقديمها للملك هو أن يتأكد أن « الملك يعرف » .** »

وكانت التقارير الأربعة تقارير معلومات أعدتها المخابرات الحربية المصرية ـ فرع المعلومات ـ عن النشاط الذى يقوم به المرتزقة الأجانب فى معارك اليمن . وكان أهم ما فى هذه التقارير هو مجموعات الوثائق الملحقة بها ، ووصل عددها إلى ١٢٦ وثيقة كان بينها عدد كبير من الخطابات المتبادلة بين ضباط من هؤلاء المرتزقة والقيادة التى توجه تحركاتهم فى لندن . وكانت هناك برقيات وإشارات متبادلة . وكانت هناك خطط عمليات وخرائط . وكانت هناك إشارات واضحة تدل على اشتراك عناصر إيرانية وإسرائيلية . وكانت هناك قوائم بأسلحة تم شحنها إلى القوات المعادية لثورة اليمن ، وهو بالتأكيد حجم من التسليح لا تقدر عليه إلا حكومات أو جماعات دولية ، فقد جاء فى إحدى القوائم مثلا ما يلى :

«٢٥,٠٠٠	بندقية نصف آلية أمريكية طراز M.I . عيار ٠,٣ بوصة
١٠,٠٠٠	بندقية جرمال عيار ٧,٩٢ ملليمتر
١٥,٠٠٠	بندقية انجليزى عيار ٠,٣٠٣ بوصة
٢٠٠	رشاش براوننج أمريكى عيار ٠,٥ بوصة
٣٥٠	رشاش براوننج أمريكى عيار ٠,٣ بوصة
١٠٠	بازوكا أمريكية عيار ٣,٥ بوصة مضادة للدبابات
٣٥	مدفع عديم الارتداد أمريكى عيار ٥٧ ملليمتر مضاد للدبابات
٢٥	مدفع عديم الارتداد أمريكى عيار ٧٥ ملليمتر مضاد للدبابات
٥٠	مدفع هاون عيار ٨١ ملليمتر أمريكى
١٥,٠٠٠	لغم مضاد للدبابات والأفراد
٣,٠٠٠,٠٠٠	طلقة من ذخيرة البنادق M.I . والرشاشات براوننج عيار ٠,٣ و٠,٥ بوصة
٤٠٠	صندوق ذخيرة للمدافع ٥٧ و٧٥ ملليمتر عديمة الارتداد
٥٠٠	صندوق ذخيرة هاون ٨١ ملليمتر .»

وحين حاول الملك أن يفتح أحد الملفات ، عاد « جمال عبد الناصر » بتكرار رجائه إلى الملك أن يقرأها على مهل وأن يفكر فيها طويلا ، وأنه فى كل الأحوال لا ينتظر ردا عليها لأن ما يريده ليس هو الجدل حولها ، وإنما ما يريده هو أن يكون ما فيها تحت نظر الملك وعلمه ، والباقى كله متروك له .

ويوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ تم التوصل إلى ما عرف بعد ذلك باسم « **اتفاقية جدة** » ، وكان أهم ما فيها هو الاتفاق على ثلاث نقط مبدئية :

١ - يقرر ويؤكد الشعب اليمنى رأيه فى نوع الحكم الذى يرتضيه لنفسه وذلك فى استفتاء شعبى فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ .

٢ - تعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الاستفتاء فترة انتقالية بقصد الإعداد والترتيب للاستفتاء المذكور .

٣ - تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى تشكيل مؤتمر انتقالى يتكون من خمسين عضوا ، ويمثل القوى الوطنية وأهل الحل والعقد للشعب اليمنى ، بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة حسب ما يتم عليه الاتفاق . »

كان الاتفاق فى مجمله « **معقولا** » بالنسبة للأطراف العربية المعنية ، وأولهم الشعب اليمنى الذى كان عليه أن يزيح عن أرضه آثار الحرب وأن يبدأ رحلته العسيرة والمضنية إلى القرن العشرين - **ومع ذلك فقد كان هناك « إحساس غامض » يراود كثيرين غداة توقيع الاتفاق بأن القضية لم تحل بعد ، فما هو « معقول » بالنسبة للأطراف العربية قد لا يكون « مقبولا » لأطراف آخرين ، عربا وغير عرب . ولم تكن عناصر هذا « الإحساس الغامض » غريزية ، وإنما كانت مزيجا مختلطا يمكن تحليله عقليا إلى أجزاء محددة :**

- **هل الملك جاد فى تنفيذ الاتفاق إلى النهاية أم أنه سيتوقف فى منتصف الطريق بأية تعلة لأنه لا يقبل أن يسمح بسابقة انقلاب فى شبه الجزيرة العربية ، حتى ضد خصومه السابقين من أسرة « حميد الدين » ؟**

- **وإذا كان الملك جادا ، فهل يستطيع الوقوف فى وجه عناصر من الأسرة - أو من خارجها - لديها ما تخشاه من ثورة اليمن ولديها ما تربحه من استمرار الحرب على أرضها ؟**

حوار بين عبد الناصر وفيصل ومحاولة مشتركة لفهم ما وراء العبارات وتعبيرات الملامح .

- ولقد ظهرت في المملكة عناصر أعطتها الحرب فرصا لثراء لا حدود له عن طريق تجارة السلاح . كانت السعودية من قبل تعتمد على صفقات تقتصر على الولايات المتحدة بالدرجة الأولى ، وعندما اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية في عهد « كنيدى » ـ لجأت السعودية بسرعة إلى الأسواق المفتوحة في أوروبا ، وفي خلال شهور من سنة ١٩٦٣ كانت تعاقدات السلاح في أسواق أوروبا قد وصلت إلى حدود ستمائة مليون دولار .
- وتجارة السلاح ربطت نفسها ـ عن طريق بعض شركائها ـ في التحالف غير المقدس بين السلاح والبترول والمخابرات .

- وهذا التحالف على علاقات وثيقة بقوى إقليمية فى المنطقة ، فى مقدمتها إيران وإسرائيل .
- ثم أن هناك قوى دولية لها مصلحة فى استمرار الحرب ، بينها بريطانيا التى كان عليها أن ترتب أمورها فى الجنوب العربى وفى الخليج العربى بينما الكل منشغل باليمن .
- وأخيرا وفوق كل شىء فهناك الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة تعمل من البيت الأبيض ولها ممثل خاص فى حرب اليمن هو « روبرت كومر » الذى أصبحت الحرب تنسب إلى اسمه : « حرب كومر الخاصة » ، طبقا لتعبير رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ذاته .

كانت تلك كلها علامات استفهام معلقة على مستقبل اتفاقية جدة . ووجد « جمال عبد الناصر » أنه ما دام قد كتب إلى الملوك والرؤساء العرب فى شأن الأزمة بين مصر والسعودية حول اليمن ـ قبل اتفاق جدة ـ فإنه من المناسب أن يبعث لهم جميعا برسالة عن الاتفاق بينه وبين « فيصل » ، وظروفه ونتائجه . وكان أول من تحمس فى الرد عليه هو الملك « حسين » ملك الأردن الذى كتب بخط يده على ورقة رسمية من أوراق رئاسة الوزارة ما أسماه الملك « رسالة خاصة ـ إلى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر »[١٣] ، وقال الملك فى إحدى العبارات « **لقد أكبرنا مسعاكم الهادف لتحقيق السلام فى اليمن وإقامة علاقات الإخوة الطبيعية بينكم وبين المملكة العربية السعودية** » .

□

وكان العالم العربى كله قد بدأ يتجه بأنظاره إلى الدار البيضاء حيث الموعد المقرر لاجتماع قمة عربية تستكمل قمة القاهرة (يناير ١٩٦٤) وقمة الاسكندرية (سبتمبر ١٩٦٤) .

والآن سبتمبر ١٩٦٥ كان كل الملوك والرؤساء العرب على موعد فى الدار البيضاء .

---

(١٣) صورة من نص الرسالة بخط يد الملك « حسين » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١١) صفحة ٩٧٢ ، وأصل الرسالة فى محفوظات قصر عابدين .

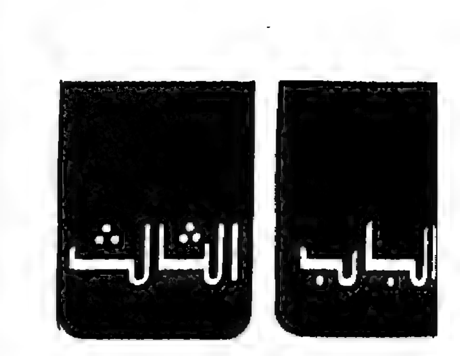

مقدمات العاصفة !

« لابد أن تكون أحلام الأمم حساب إرادات ... وإذا لم تكن تحولت الأحلام إلى كوابيس ! »

الفصل الأول

حروب الورق

كانت بوادر الخريف تهل على « الدار البيضاء » أسرابا من السحب المتقطعة ترعاها رياح منعشة محملة برائحة البحر . وكانت هذه المدينة التى تعتبر شرفة العالم العربى المطلة على المحيط الأطلسى ، قد اتخذت زينتها لمؤتمر القمة العربى الثالث غير دارية أن حقائق المؤتمر الذى تنتظره أبعد ما تكون عن أجواء الفرح والابتهاج التى عمت شوارعها رغم عوائق الأمن الحديدى الذى فرضه عليها الجنرال « محمد أوفقير » وزير داخلية المغرب حينئذ .

ولعل « جمال عبد الناصر » الذى وصل إلى الدار البيضاء ظهر يوم ١٢ سبتمبر ١٩٦٥ قادما من القاهرة ـ كان أدرى الناس بالأجواء الحقيقية للمؤتمر المنتظر ، فقد كانت رئاسة المؤتمر من نصيبه لأن الدور كان على مصر فى رئاسة مجلس الجامعة . وباعتباره رئيسا للمؤتمر فقد كان هو ـ والملك « الحسن » رئيس الدولة المضيفة ـ مسؤولان بالدرجة الأولى عن أعمال المؤتمر وإدارته . وفضلا عن رئاسة المؤتمر فقد كان « جمال عبد الناصر » هو صاحب الدعوة إلى مؤتمرات القمة التى بدأت بالمؤتمر الأول منها (يناير ١٩٦٤) ، وتلاه المؤتمر الثانى (سبتمبر ١٩٦٤) ـ ثم وجه الملك « الحسن » دعوة

لاستضافة مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء ، وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه لا داعى لحصر مؤتمرات القمة فى مصر وحدها باعتبارها عاصمة الجامعة العربية ـ بل إن المصلحة تقتضى أن تتوزع القمم على العالم العربى لتصنع بذلك تواجدا حيا على أعلى مستوى وعلى أوسع رقعة لفكرة العمل العربى الموحد . كذلك فقد ظهر رأى مفاده أنه وقد أصبحت اجتماعات القمة ظاهرة مؤسسية ـ أو توشك أن تكون كذلك ـ فإن تكاليف هذه الاجتماعات التى أصبحت ضخمة يمكن أيضا توزيع عبئها على أى دولة عربية تكون مستعدة لها .

□

كانت مؤتمرات القمة حتى ذلك الوقت سلسلة متصلة الحلقات :

وقع المؤتمر الأول لمواجهة قيام إسرائيل ببناء مشروعات على نهر الأردن تضمن لها أكبر قدر من المياه على حساب العرب الذين تقع فى أراضيهم منابع النهر نفسها ، مع ملاحظة أن النهر بعد أن يمر فى أراض تحتلها إسرائيل ـ يواصل جريانه بعد ذلك فى أراض عربية . أى أن المشروعات الإسرائيلية سوف تأخذ المياه من بعد المنابع وتستولى على الجزء الأكبر منها ، وتحرم بقية مجرى النهر العربى من المياه التى يحتاجها .

وقد وجه « جمال عبد الناصر » الدعوة إلى هذا المؤتمر الأول عندما قرأ فى تقارير عن اجتماعات رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، أن هذه الجيوش تقف عاجزة بينما المشروعات الإسرائيلية لاغتصاب مياه الأردن تجرى أمامها .

وكان تفكير مصر الذى طرحته على مؤتمر القمة الأول فى القاهرة يتلخص فى عدة نقط :

١ ـ إن العرب لا يملكون أن يجعلوا سياستهم أمام العالم مجرد منع إسرائيل من استعمال مياه نهر الأردن ، والأجدر بهم أن يقيموا لأنفسهم مشروعات لاستعمال هذه المياه ، وحينئذ تختلف القضية أمام العالم الذى لا يستطيع قبول منطق طرف لا يستعمل كل المياه الفائضة فى نهر ، وفى نفس الوقت يمنع طرفا غيره من استعمال هذه المياه .

فضلا عن ذلك فإن العرب ، كما ظهر من اجتماعات رؤساء الأركان ، ليست لديهم القوة العسكرية الكافية للتعرض للمشروعات الإسرائيلية .

٢ ـ يترتب على ذلك وضع خطة عربية للاستفادة من مياه الأردن تقام على المنابع والمواقع الحاكمة فى النهر فى أراضى سوريا ولبنان والأردن ، وتتكافل الدول العربية جميعا فى

تكاليف هذه المشروعات باعتبارها ضرورية للتنمية العربية ، وكذلك للأمن العربى على أساس أن إسرائيل كانت تعد لبناء أنبوب ضخم ينقل بعض فوائض مياه الأردن إلى منطقة النقب المتاخمة لمصر .

وإذن فلابد من خطة عربية لمشروعات الأردن ، وهيئة عربية للإشراف على هذه المشروعات ، وتمويل عربى يخصص لتنفيذها .

٣ ـ ولما كان من المحتمل أن تتعرض إسرائيل للمشروعات العربية داخل الأراضى العربية ، فإنه من الضرورى توفير حماية عسكرية كافية لهذه المشروعات ، وهكذا فإنه لابد من قيادة عربية موحدة تتولى هذه المسؤولية ، وتكون تحت تصرفها ـ سواء من جيوش الدول العربية الموجودة بعد تدعيمها ، أو من قوات أخرى تنشأ بالتخصيص لهذا الغرض ـ قوات كافية للدفاع عن المشروعات العربية .

وكان رأى مصر أنه إذا لم تكن للعرب فرصة وحرية العمل خارج خطوطهم ، فإنهم مطالبون بأن يوفروا لأنفسهم فرصة وحرية العمل داخل خطوطهم ، وهذا حق طبيعى فى الدفاع عن النفس ، فضلا عن أن مخاطره تظل فى حدود ما هو ممكن .

٤ ـ وبما أن القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة العربية فى هذه المرحلة ، فقد حان الوقت لإنشاء كيان فلسطينى يحقق مشاركة الشعب الفلسطينى بنفسه فى تحمل مسؤوليته ، ويواجه العالم باعتباره طرفا مستقلا فى الصراع له إرادته وله تعبيره السياسى عن هذه الإرادة .

وجرى اعتماد هذا المنطق ، وبمقتضاه تقرر إنشاء هيئة عربية عليا للمشروعات العربية فى الأردن ـ وتقرر إنشاء قيادة عربية موحدة مسؤوليتها بالدرجة الأولى حماية مشروعات الأردن ـ وتقرر إنشاء كيان فلسطينى هو منظمة التحرير الفلسطينية .

وعندما انعقد مؤتمر القمة الثانى كان هدفه أن يتحقق من تنفيذ قرارات المؤتمر الأول ، وأن يتأكد من قيام المؤسسات والقيادات والكيانات التى أنشأها ذلك المؤتمر ، وبأنها جميعا تجد تحت تصرفها ما يضمن لكل منها أداء دورها .

وكان مؤتمر القمة الثانى فى الاسكندرية هو المناسبة التى طرح فيها الوفد السورى برئاسة الفريق « أمين الحافظ » منطقا آخر يختلف عن المنطق المصرى ، وكان مؤدى هذا المنطق السورى أن كل هذا الذى يفعله العرب دوران حول المشاكل لا فائدة منه ، والأجدى اختصار الطرق بشن الحرب فورا على إسرائيل وتدمير المشروعات الإسرائيلية واستعادة

فلسطين لأهلها ، وطرح الفريق « أمين الحافظ » بالفعل خطة لتصوراته وجدها بقية الرؤساء والملوك العرب غير قابلة للتنفيذ لأسباب عديدة . وبناء على إصرار الوفد السورى ، وصعوبة أن يعارض الآخرون فى هدف تحرير فلسطين ، فقد طلبت القمة إلى القيادة العربية الموحدة أن تدرس اقتراحه لتكون الدراسة جاهزة للعرض على مؤتمر القمة الثالث الذى قرر الملك « الحسن » استضافته فى الدار البيضاء ، وتحدد موعده ـ بعد مشاورات ـ يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٥ ـ أى بعد عام كامل من المؤتمر الثانى ، لتتوافر فسحة من الوقت لعمليات التخطيط والتنفيذ ، ولتظهر على الأرض نتائج يمكن تقييمها والقياس عليها .

□

وقبل أن ينعقد مؤتمر القمة الثالث كانت المشاكل بادية للعيان وتكاد تكون تقليدية فى تعبيرها عن طابع العمل العربى المشترك :

□ بعض الدول دفعت أنصبتها فى تكاليف المشروعات ، واعتمادات القيادة العربية الموحدة ، ودعم الكيان الفلسطينى ـ والبعض الآخر لم يدفع ـ أو لم يدفع بالكامل تقريبا (سوريا مثلا) .

□ دول أخرى حصلت على اعتمادات مخصصة للأهداف التى قررها مؤتمر القمة ـ لكنها لسبب أو لآخر حولت الاعتمادات إلى مجالات أخرى لا علاقة لها بما تقرر (الأردن أحيانا) .

□ التخطيط للمشروعات على مستوى الخبرة الفنية يسير فى طريقه الطبيعى ، لكن التنفيذ متأخر عن مواعيده المقررة (معظم المشروعات) .

□ هناك خلافات بين مؤسسات تنسيق العمل العربى الموحد ، والجهات الرسمية فى عدد من الدول المعنية ـ (فى كل الدول المعنية !)

وكان ذلك مما يمكن حله ، ولكن المعضلات المستعصية كانت فى مواقع أخرى .

على سبيل المثال فإن لبنان كان متأخرا فى البدء بتنفيذ المشروعات لأن ذلك قد يعرضه لضربة إسرائيل ، وكان المفروض ـ وفق المخطط العربى ـ أن تدخل قوات سورية تابعة للقيادة الموحدة لكى تعزز الجيش اللبنانى فى حالة تعرض إسرائيل للمشروعات . لكن الحكومة اللبنانية أبدت وجهة نظرها بأن دخول هذه القوات العربية فى حد ذاته مبرر كاف لاستفزاز إسرائيل . **وهكذا فإن البدء فى المشروعات توقف عند حد الرسوم على الورق ، ثم نشب الخلاف بين لبنان والقيادة العربية الموحدة ، وتحول**

الخلاف إلى جدل عقيم : البناء أولا أو توفير الحماية (البيضة أولا أو الفرخة !) ـ مع الأخذ فى الاعتبار أن ظهور بوادر على تحقيق أيهما هو فى حد ذاته وبغير أية مضاعفات .. حساب مخاطرة !

نفس الشيء فى الأردن مع اختلاف فى الملابسات ، فقد كان ضروريا لحماية مشروعات المياه أن يتم تعزيز الجيش الأردنى بقوات عراقية وسعودية ، وكان رأى الأردن مقاربا لرأى لبنان فى أن دخول قوات عراقية وسعودية عبر حدود الأردن كاف فى حد ذاته كذريعة تتعلل بها إسرائيل لتوجيه ضربتها ، لكن الأردن على استعداد لأن يسمح لقوات عراقية أن تقترب من حدوده دون أن تعبرها ، وكذلك الحال مع قوات سعودية ، وكان أقصى حد مسموح به فى اقتراب القوات العراقية من الحدود الأردنية هو محطة الضخ « هـ ٤ » ، وبالنسبة للقوات السعودية فقد كان أقصى حد مسموح لها بالاقتراب منه نحو الحدود الأردنية هو منطقة « تبوك » .

وبعد ذلك فإن الأردن كان على استعداد لأن يتعاون فى تجهيز مواقع عمل لهذه القوات إذا ما استوجبت الظروف دخولها . وكان ذلك فى واقع الأمر احتمالا غير مطروح لأن الأردن قرر التركيز على بعض المشروعات الواردة أصلا فى الخطة الأمريكية لتقسيم المياه بمقتضى « مشروع جونستون »[1] ـ وبالتالى فإن حركته تجرى داخل دائرة مأمونة .

□

وفى هذه المسألة فقد كانت مصر نفسها تواجه قضية معقدة ـ ذلك أنه بمقتضى ضرورة حماية المشروعات وما تتطلبه من دخول قوات عربية إلى مواقع التنفيذ ـ فإن مصر كان عليها أن تكون جاهزة على جبهتها لإرغام إسرائيل على الاحتفاظ بجزء كبير من قواتها فى الجنوب بدلا من أن تركز قواتها بالكامل على الجبهة الشمالية ـ حيث المشروعات مع الأردن .

كان التقدير أن القوات المصرية ـ فى ذلك الوقت ـ تمثل نصف قوات الدول العربية كلها مجتمعة ، ووجود تشكيلات مؤثرة منها فى مواقع متقدمة

---

(١) مشروع وضعته الولايات المتحدة الأمريكية وطرحته منذ سنة ١٩٥١ لتقسيم مياه الأردن ، ثم طاف به ممثل خاص للرئيس الأمريكى يعرضه على دول المنطقة كبداية لإمكانيات التعاون والتكامل بين العرب وإسرائيل بدأ باقتسام موارد المياه . وكان الممثل الأمريكى الخاص هو المستر « اريك جونستون » ونسبة إليه حمل المشروع اسمه لبعض الوقت !

من سيناء يمثل رادعا قويا لإسرائيل ويدعم الحماية التى يمكن توفيرها لمشروعات المياه هناك عند مواقع التنفيذ .

وكانت مصر قد أعدت هذه القوات فعلا ووضعتها تحت إمرة قيادة المنطقة الشرقية ، وكانت الحقائق فى هذا الصدد معروفة لدى كل الحكومات العربية . وفى غمرة الإحساس العام بالتقصير ومحاولة كل طرف أن يتنصل بإلقاء اللوم على غيره ـ فإن عددا من الحكومات العربية بدأ يثير قضية وجود قوات الطوارىء الدولية فى سيناء . وكانت وجهة نظر هذه الحكومات (سوريا والسعودية والأردن) هى أن القوات المطلوبة من مصر موجودة فعلا فى مواقعها المطلوبة ، ولكن وجود قوات طوارىء دولية على الخطوط بين مصر وإسرائيل يمثل عازلا يجعل وجود القوات المصرية فى مواقعها تلك شكلا ليست له الفاعلية المرجوة !

وكان رد مصر على هذه الحجة أن قوات الطوارىء الدولية موجودة فى مواقعها منذ حرب السويس ، وأن وجودها فى هذه المواقع بقرار مصرى تملك مصر مراجعته فى أى دقيقة . وفضلا عن ذلك فإن هذه القوات لا تستطيع أن تمنع إمكانيات العمل العسكرى المصرى عند اللحظة المناسبة . فإذا جاءت هذه اللحظة فليس على الجيش المصرى أى التزام إلاّ أن يطلب إلى هذه القوات الدولية أن تبتعد عن نطاق النار ويتحرك على الفور .

وفى أثناء اجتماعات متعددة فى فترة ما بين مؤتمر القمة الثانى فى الاسكندرية ومؤتمر القمة الثالث المنتظر فى « الدار البيضاء » ـ أثيرت هذه القضية على مستويات مختلفة ، وأثار بعض المجتمعين أسئلة مفادها : « **ولماذا لا تطلب مصر من الآن سحب هذه القوات ليطمئن قلب الجميع ؟** » !

وكان الرد المصرى :

١ ـ إن طلب سحب هذه القوات فجأة وبدون مقدمات ينبه كل القوى المعادية للعرب ويستثيرهم للتحرك بضربة إجهاض .

٢ ـ وإذا كان على مصر أن تواجه هذا الاحتمال مبكرا فإنها تفضل أن تفعل ذلك بعد عودة تشكيلاتها الموجودة فى اليمن ، وهى وقتها فى حدود فرقة كاملة من المشاه ولواءين من المدرعات إلى جانب عدد من كتائب الصاعقة ـ وهذا على أى حال مطلب تسعى فيه مصر وتطلب فيه تعاون

الدول العربية ، فالأولى أن يكون الجيش المصرى بكامله فى مواقعه الطبيعية بدلا من أن يجد نفسه فى حرب مع جيوش من المرتزقة الأجانب الأوروبيين والأمريكيين فى جبال ووديان اليمن .

٣ ـ وحتى يتم ذلك فإن الجيش المصرى موجود بحجم كاف فى سيناء وبكل ما تتطلبه الخطة العربية العامة . ولم يكن ذلك الرد المصرى ـ للإنصاف ـ كافيا ولعله خلط بين صدق النوايا وبين واقع الحال !

□

وأضيفت إلى هذه المعضلات المعقدة جميعا معضلة أخرى ، فإن الوفد السورى فى اجتماعات للقيادة العربية الموحدة عقدت تمهيدا للقمة ـ عاد إلى تكرار ما أثاره الفريق « أمين الحافظ » فى قمة الاسكندرية من مقولة أن المطلوب العربى ليس أعمالا جزئية من نوع تنفيذ مشروعات الأردن وحمايتها ، وإنما المطلوب هو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر .

ويسجل المحضر السرى بتاريخ الفترة من ٢٦ إلى ٣٠ مايو ١٩٦٥ لاجتماعات الدورة السادسة ـ غير الاعتيادية ـ لمجلس الدفاع المشترك المنعقد فى مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وفى الصفحة التاسعة منه ـ طلبا من الوفد السورى بتعديل معاهدة الدفاع المشترك .

كان الوفد السورى فى اجتماع مجلس الدفاع المشترك مكونا من الدكتور « حسان مريود » وزير الخارجية ، والعقيد « فهد الشاعر » عضو المجلس الوطنى للثورة وممثل رئيس الأركان العامة ، وكان واضحا أنه الرئيس الفعلى للوفد . ويسجل المحضر السرى للاجتماع فى صفحة ١٠ على لسان العقيد « فهد الشاعر » قوله :

« إن معاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية قاصرة ولا تحقق الأهداف العربية . فلو قرأنا المادة الثانية من هذه المعاهدة لوجدنا أنها تقول إن الدول المتعاقدة تعتبر كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها ، أو على قواتها ، اعتداء عليها جميعا . ولذلك فإنها عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانها ، تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها .... (إلى آخر المادة) .

وهذه المادة لا تشير إلى تحرير فلسطين ، ولا توجد أى مواد غيرها

تشير إلى نفس الغرض ، كما أنه لا توجد فى أى مواد إشارة إلى تحرير عربستان (من إيران) ، أو إلى تحرير لواء الاسكندرونة (من تركيا) ، ولا إلى الجنوب المحتل (من بريطانيا) ، علاوة على مكافحة التجزئة فى العالم العربى . »

وهكذا كان الوفد السورى يطالب بالاستعداد للحرب الهجومية ضد إسرائيل لتحرير كل فلسطين ، وشن الحرب الهجومية ضد إيران لتحرير مقاطعة عربستان ، وشن الحرب الهجومية ضد تركيا لتحرير لواء الاسكندرونة ، وشن الحرب الهجومية ضد بريطانيا لتحرير الجنوب العربى . بل إنه طرح مبدأ استعمال القوة المسلحة لمواجهة التجزئة فى العالم العربى وفرض الوحدة .

ثم أضاف المندوب السورى إلى ملاحظاته قوله : « **من هذا يتضح أن المعاهدة هزيلة ولا تلائم الأوضاع العربية ، ومن الضرورى تعديلها لتكون أكثر شمولا بحيث تهدف إلى :**

أ - استعادة الأجزاء العربية المغتصبة ، وعلى رأسها فلسطين .

ب - تحرير المناطق العربية التى لا تزال خاضعة للاحتلال الأجنبى (عربستان - لواء الاسكندرونة - الجنوب العربى) ، واستكمال السيادة للمناطق غير المتمتعة باستقلالها .

جـ - التعاون المثمر الفعال لحفظ التراب العربى من أية تجزئة أو حركة انفصالية .

د - الوقوف فى وجه أى خطر يتعرض له الوطن العربى فى أى جزء من أجزائه ، واعتبار هذا الخطر موجها ضد الأجزاء الأخرى جميعا . »

ثم زاد الوفد السورى على ذلك فقدم مذكرة رسمية بتعديل معاهدة الدفاع المشترك ، وبتعديل اختصاصات القيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية بحيث تصبح مهمتها كما جاء فى السطور الأربعة الأولى من هذه المذكرة ، والتى تقول ما يلى بالنص :

« **القيادة العربية الموحدة جهاز عسكرى عربى مشترك لتخطيط وإدارة عمليات قوات الدول العربية الموضوعة تحت قيادتها ، وتنسيق جهودها العسكرية المشتركة فى معركتها للقضاء على الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، ويرأسها القائد العام للقيادة العربية الموحدة . . .. »** (إلى آخر المذكرة) .

واحتدمت المناقشات ، وتعددت الاجتهادات ، وبرزت حقيقة أساسية وهى أن مثل هذا التعديل فى أهداف العمل العسكرى العربى المشترك هو من اختصاص الملوك والرؤساء العرب فى اجتماع على مستوى القمة ، وليس من اختصاص مجلس الدفاع المشترك الذى يضم وزراء الخارجية ووزراء الدفاع فى الدول العربية .

ولم يكن هناك بديل آخر لتصدير هذه المعضلة بدورها إلى مؤتمر القمة المنتظر فى الدار البيضاء لتضاف إلى بقية المعضلات التى تنتظره هناك .

☐

وفى الأسابيع القليلة السابقة على المؤتمر كانت كل هذه المعضلات تموج فى أعماق المحيط العربى وتصنع فيه دوامات سريعة ومتصادمة . وفى يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٥ ـ قبل موعد القمة بأسبوعين ـ وقف « جمال عبد الناصر » يتحدث فى اجتماع عام مطلقا نداء بالتحذير قال فيه بالحرف :

« إذا استمرت عمليات الإتجار هذه داخل مؤتمرات القمة فإن روح هذه المؤتمرات تضيع وتعجز عن تحقيق أى هدف من أهدافها . وبالتالى فإن الجمهورية العربية المتحدة ستجد نفسها مضطرة إلى الانسحاب من مؤتمرات القمة لتحمل مسؤولياتها التاريخية القومية وحدها . »

وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٥ مر الملك « فيصل » على القاهرة للقيام بزيارة لـ « جمال عبد الناصر » ردا على زيارة رئيس الجمهورية العربية المتحدة لجدة قبلها بأسبوعين . وكانت العلاقات بين الاثنين ما زالت تعيش فى الأجواء الودية لاتفاق جدة . ووجدها « جمال عبد الناصر » فرصة سانحة ليحدث الملك « فيصل » فى نفس الموضوع الذى أشار إليه فى خطابه العام عن « **عمليات الإتجار داخل مؤتمرات القمة** » .

وقصد « جمال عبد الناصر » أن يكون صريحا إلى أبعد حد ممكن فقال للملك « فيصل » ـ طبقا لما ورد فى الصفحة السادسة من محضر الاجتماع المغلق بينهما صباح يوم ١٠ سبتمبر ـ(٢) ما يلى :

« إذا كان كل طرف منا سيدخل فى مزايدات هدفها إحراج الطرف الآخر بأكثر

---

(٢) جرى تسجيل هذه الجلسة ، ثم تم تفريغ التسجيل فى نسخة واحدة حفظت فى أرشيف منشية البكرى ، ثم نقلت منه إلى محفوظات قصر عابدين .

مما يستطيع فى هذه الظروف ، فإننا سنجد أنفسنا أمام طريق مسدود وخطر . فهم يطالبون الآن بتحرير فلسطين والاسكندرونة وعربستان إلى آخره عن طريق العمل المسلح ، وهذه كلها أهداف قد تكون مطلوبة ولكن تحقيقها مرهون بأجيال مقبلة ، وبأوضاع أخرى تكون فيها الأمة العربية أحسن حالا وأكثر قوة وأشد تماسكا مما هى الآن . وأنا لم أتردد فى أن أقف فى اجتماع عام ، وعلى مسمع من كل الجماهير العربية، وأقول إنه ليست عندى خطة لتحرير فلسطين ، وكنت أعلم مقدما أن هذا الكلام سوف يحدث خيبة أمل لدى الشعوب العربية ، ولكننى قبلت المسؤولية بواجب الحقيقة . فنحن بالفعل جميعا لا نملك خطة لتحرير فلسطين الآن ، ولا نملك الوسائل لتحقيق ذلك الهدف على فرض أن لدينا الخطة . واعتقادى أن الصراع بيننا وبين إسرائيل قضية مائة سنة ، وإذن فالمزايدة الآن فى هذا الموضوع لن يكون من شأنها إلاّ تضييع الممكن فى طلب المستحيل . وأنا لا أسمح لأحد أن يزايد علىّ فى قضية التحرر العربى ، واعتقادى أننا الآن مطالبون بأن نحقق لأنفسنا إمكانية العمل داخل حدودنا ، وأما خارج هذه الحدود بأعمال هجومية فإن ذلك يتعدى طاقاتنا الحالية ويعرضنا لردود فعل لا نستطيع مواجهتها . فالولايات المتحدة مثلا لن تسمح لنا بالهجوم على إسرائيل ، بل إننى على استعداد لأن أقول لك ، وأنا قادم من زيارة أخيرة للاتحاد السوفيتى ، إن الاتحاد السوفيتى نفسه لن يسمح لنا بالهجوم على إسرائيل . ولست أعرف لمصلحة من هذه المزايدات التى تنتظرنا فى الدار البيضاء . »

وقد رد الملك « فيصل » ـ طبقا لما جاء فى أقواله فى صفحة ١١ من محضر الجلسة ـ بقوله :

« إنه والله لا يفهم السبب الذى يحدو بالبعض منا إلى أن يقولوا كلاما هم أول من يعرف أنه فوق طاقتهم . لكنهم يتكلمون لإثارة الرأى العام ، وهذا هدفهم بصرف النظر عن النتائج . وهو على أى حال يتفهم موقف الرئيس لكنه يعرف مقدما أنه لا يستطيع أن يسانده فى التصدى لهذه المزايدات . فلو « نطقنا بكلمة واحدة ـ طال عمرك ـ لاتهمونا على الفور بالتخلف وبالرجعية وبأننا عملاء للأمريكان » . و« الحقيقة ـ فخامة الرئيس ـ أن التصدى لهذه المزايدات لا يجىء إلاّ منك ، فلا يفل الحديد إلاّ الحديد كما يقولون . »

وانتقل « جمال عبد الناصر » إلى نقطة أخرى ، فقال ـ طبقا لما جاء فى صفحة ١٤ من محضر الجلسة :

« إن هناك موضوعا آخر يثار ضد مصر بمناسبة وبغير مناسبة ، وهو موضوع قوات الطوارىء الدولية فى سيناء . وأنتم فى المملكة أكثر من يعرف ملابسات الموضوع ، فقد تركنا لكم سنة ١٩٥٧ كل موضوع خليج العقبة وما يتصل به ، ووقتها جرت الظروف كما تعرفون وبما لا أريد أن أتعرض له . وعلى أى حال فأنا أريد أن أؤكد لكم أن وجود قوات الطوارىء الدولية على الخطوط بيننا وبين إسرائيل لا يقيدنا على الإطلاق فى حالة اعتداء إسرائيل على أى بلد عربى يجرى فيه تنفيذ مشروعات عربية للاستفادة بمياه الأردن . فهذه القوات موجودة بإذن منا ، وسحبها مرهون بأمر من القيادة العسكرية المصرية إذا ما طرأ ظرف يستوجب ذلك . وفى هذه النقطة فقط فإننى أطلب تدخلك إذا ما أثيرت فى الدار البيضاء . ولأن هذه المسألة متعلقة بنا فسوف يكون من الصعب علىّ أن أتصدى بنفسى للمزايدين فيها » .

ورد الملك أيضا بأنه « يتفهم حقائق الموضوع ، وأنه سبقت له مناقشته مع عدد من المسؤولين الأمريكيين ، ومن بينهم الرؤساء ايزنهاور وجونسون نفسه » .

وأضاف « جمال عبد الناصر » ملاحظة قال فيها « إن صحفا معينة فى بيروت يفترض أنها تعبر عن السعودية تتخذ من قضية قوات الطوارىء نوعا من قميص عثمان » .

ورد الملك « فيصل » قائلا « إن فخامة الرئيس يعرف أن الصحافة فى العالم العربى كله « فلتانة » ، وهؤلاء ناس لهم مصالح كثيرة واسعة وليسوا مرتبطين بالمملكة . »

وعقب « جمال عبد الناصر » بأنه « يتوقع عندما يتم تنفيذ الاتفاق بشأن اليمن إن شاء الله كما يحب ويحب الملك ـ وتعود القوات المصرية من اليمن ـ أن تنتهى المزايدات فى هذا الموضوع فى أول ظرف ملائم » .

فى الطائرة من القاهرة إلى الدار البيضاء أجرى « جمال عبد الناصر » مراجعة أخيرة لملفاته ، فقد كان يتحسب إلى أنه حين يصل إلى الدار البيضاء فلن يكون لديه وقت لقراءة أوراق ، وإنما سوف تطغى اللقاءات والاجتماعات على كل وقته . ولقد كان أكثر ما لفت نظره مجددا فى الأوراق هو الوضع الحرج الذى يحيط بمهمة القيادة العربية الموحدة . فهذه القيادة تجد نفسها محاصرة بين إرادات سياسية لا تستطيع الوصول إلى قرار ، وقد وضع خطا أمام فقرة من تقرير كتبه الفريق أول « على على عامر » قائد عام القيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية جاء فيها بالنص :(٣)

« قامت القيادة بتخطيط الدفاع الجوى والبحرى عن لبنان فى السلم والحرب وفى حدود الإمكانيات المتيسرة فى الوقت الحاضر فى كل من سوريا ولبنان . واقترحت القيادة عدة مرات دخول قطعات أرضية سورية إلى لبنان لضمان موقفها البرى فى حالة الاعتداء الشامل عليها وإلى حين قيام باقى الجيوش العربية بعملياتها لنجدتها ، ولكن السلطات اللبنانية لم توافق على ذلك . ومازالت القيادة ترى ضرورة تنفيذ ذلك قبل البدء فى مشروعات التحويل . ولكن ذلك أمر متوقف على موافقة السلطات اللبنانية ذاتها وهى لا تعطى هذه الموافقة . . » .

ووراء هذا التقرير مباشرة كان الملف يحتوى على مذكرة سورية تحتج بشدة على القيادة العامة للقوات الموحدة التى لم تعط حتى الآن للقوات السورية أمرا بدخول لبنان . وتضمنت المذكرة اتهاما سوريا حاد اللهجة بالإهمال والتقاعس موجها إلى القيادة العامة .

وكان تقرير القائد العام والمذكرة السورية فى الملف بعده يكفيان فى حد ذاتهما لبيان المصاعب التى تنتظر « جمال عبد الناصر » فى الدار البيضاء . وقد نحى الملف جانبا وراح

---

(٣) التقرير رقم ١٠٣٠/٦٥/٥٣٨ بتوقيع الفريق أول « على على عامر » موجه إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية .

من مقعده فى الطائرة يعلق على الصورة العامة للموقف للجالسين معه فى الطائرة .[٤] .

وكان مجمل ما أبداه من آراء يتلخص فى مجموعة من النقاط :

١ ـ إن هناك أزمة مستعصية فى العالم العربى بين الآمال والإمكانيات . وفى هذا التناقض فإن أولويات العالم العربى مختلطة .

٢ ـ إن الأزمة الحادة بين الحكومة السورية فى ذلك الوقت وبين القيادة العليا للقوات العربية الموحدة هى فى الواقع أزمة بين « بلاغة الخطابة » و« حدود الفعل » ، وأن هذا التناقض قادر على تحويل المؤتمر إلى مسرح دعائى أكثر منه اجتماعا نافعا .

٣ ـ إنه فى هذه الأزمة يواجه مشكلة حساسة تتمثل فى حقيقة أن العسكريين البارزين فى القيادة العربية الموحدة جميعهم من المصريين . فالقائد العام هو الفريق أول « على على عامر » ، ورئيس أركان حرب هذه القيادة هو اللواء « عبد المنعم رياض » . ثم إن الفريق « محمد فوزى » رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية هو بحكم منصبه الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشؤون العسكرية . وهكذا فإن انحيازه إلى جانب القيادة الموحدة ، وهو يعرف حدود سلطتها ، قد يسهل تأويله على أنه انحياز لـ « ضباط مصريين » .

٤ ـ إن المطلب السورى الملح بطلب التحرير الفورى والكامل لفلسطين هو هدف عشرات السنين القادمة ، ولا يمكن مطالبة أى قيادة عسكرية بوضع خطة له .

□

كان هناك عنصر خامس لم يشر إليه « جمال عبد الناصر » ، ولكنه كان واقعا محسوسا فى مقصورة الطائرة التى تشق الأجواء فى الطريق إلى الدار البيضاء ، وهذا

---

(٤) كانوا ستة فى المقاعد المحيطة به ، وهم : « زكريا محيى الدين » نائب رئيس الجمهورية ، و« أنور السادات » رئيس مجلس الأمة ، والدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، و« محمود رياض » وزير الخارجية ، والفريق أول « محمد فوزى » رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية ، و« محمد حسنين هيكل » .

العنصر هو شخص « جمال عبد الناصر » نفسه . فقد كان واضحا أنه الزعيم الكبير الذى علقت عليه الأمة آمالها ، وأن كتلها الشعبية تتطلع إليه لتحقيق هذه الآمال دون أن تكون على علم بالحقائق ، وهى تطلب منه المعجزات دون أن تتوافر لديه الوسائل . وقد خبر هو ذلك بنفسه حينما أعلن أنه لا يملك خطة لتحرير فلسطين ، فقد أحدث ذلك الإعلان ضجة واسعة فى العالم العربى ، وجاء إلى لقائه عدد كبير من الساسة العرب يرجونه أن لا يكرر ذلك الإعلان لأنه صدمة لمشاعر الأمة . وكان بين الذين جاءوه بهذا القول السيد « أحمد الشقيرى » الذى كان وقتها رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية . ودار بين الاثنين حوار حول هذه المسألة . وكان رأى « الشقيرى » أن « هذا الإعلان نزل على جماهير الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة بوقع صاعقة » . ورد « جمال عبد الناصر » : « إننى أريدهم أن يعرفوا الحقائق » . وكان رأى « الشقيرى » أن « الجماهير تملك آمالها ، وأما الحقائق فهى ملك زعمائها ، وبخاصة الزعماء التاريخيون الذين تتعلق بهم هذه الآمال . » ورد « جمال عبد الناصر » بأنه « لن يكون هو وحده الذى يحرر فلسطين وإنما الشعوب هى التى يتعين عليها أن تتحمل مسؤوليات وتكاليف التحرير ، وهذا يعطيها الحق فى معرفة الحقيقة » . ورد « الشقيرى » بقوله إنه « يتوسل إلى الرئيس أن لا يكرر هذا التصريح حفاظا على معنويات الأمة » .

وكان « جمال عبد الناصر » يدرك أن ما يقوله « الشقيرى » يحمل بعض الملامح الصحيحة من الحالة العربية كما هى قائمة فى اللحظة الراهنة . فالجماهير العربية فى حالة فوران شديد ، وهى تنتظر من بطلها « أن يحقق المعجزة ، وأما الباقى فهى لا تعتبره من شأنها » . وكانت هذه مشكلة من أعقد المشاكل التى تتنازع شخصية « جمال عبد الناصر » ودوره ، ذلك أن شخصيته أسرت الجماهير العربية . وكانت الحقيقة الموضوعية وراء ذلك أنه حين أصبح آسر الجماهير العربية ـ فقد أصبح فى نفس اللحظة أسيرها . فقد كان مطالبا فى نفس الوقت ، ومهما كانت الظروف ، أن يلبى نداء هذه الجماهير وأن يلتزم فى الوقت ذاته بالحقائق الموضوعية لعوامل القوة الفاعلة .

وحين وصلت طائرته إلى الدار البيضاء كان المأزق الذى ينتظره أصعب كثيرا مما قدر .

□

كان الملك « الحسن » فى استقبال « جمال عبد الناصر » فى مطار الدار البيضاء ، وقد

أسر إليه بأن الوفد السورى برئاسة الفريق « أمين الحافظ » قد طلب ـ بعد انتهاء الجلسة الافتتاحية للقمة ـ انعقاد جلسة سرية مغلقة يقتصر حضورها على الملوك والرؤساء وحدهم ، ومع كل منهم مساعد واحد يختاره من ضمن أعضاء وفده . وكان رأى الملك ـ واتفق معه الرئيس ـ أنه من الصعب من الناحية الإجرائية رفض هذا الطلب السورى . وهكذا بدأت الجلسة الافتتاحية للقمة ، ثم تحولت القمة إلى اجتماع مغلق مقصور على الملوك والرؤساء وحدهم ومع كل منهم مساعد من أعضاء وفده .

وبدأ « جمال عبد الناصر » الجلسة فقال : « إن الوفد السورى طلب هذه الجلسة المغلقة ، ولهذا فإنه يعطى الكلمة للفريق أمين الحافظ رئيس هذا الوفد ليبدى ما لديه مما طلب من أجله هذه الجلسة » . وبدأ الفريق « أمين الحافظ » كلامه فقال « **إنه يريد أن يذكر « الإخوان » بما سبق له أن طرحه فى مؤتمر الاسكندرية فى سبتمبر الماضى ، وهو أن العمل العربى باتجاهه إلى أعمال من نوع مشروعات تحويل مياه الأردن وغيرها يضيع وقت الأمة وجهدها فى أهداف فرعية . وأن الأولى والأجدر بـ « أمجاد العرب وبطولاتهم » ضرب الأفعى على رأسها بدلا من الانشغال بذيلها** » . وعقب على هذه المقدمة بقوله « **إن القائد العام للقيادة العربية الموحدة كلف فى مؤتمر الاسكندرية ببحث مطلب تحرير فلسطين ، وهو الآن يريد أن يسأل القائد العام عما فعله بهذا القرار؟** » ورد الفريق « على على عامر » بالقول « **إن القيادة العربية الموحدة لم تكن تملك أن تتجاهل قرارا لمؤتمر القمة ، وأنها بالفعل أعدت خطوطا عريضة لمطلب التحرير ، ولكنه للأمانة يريد أن يسجل أن هذه الخطوط العريضة نوع من « التجربة النظرية » ولا يجب تحميلها أكثر** » . ورد الفريق « أمين الحافظ » بقوله « **إنه يتوقع من القائد العام أن يعرض على القمة ما توصلت إليه قيادته** » . والتفت الفريق « على على عامر » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » وسأله الرئيس : « **إننى فهمت أنكم أعددتم مشروع قرار فى هذا الشأن يعرض على القمة . ونستطيع أن نسمعه منك آخذين فى الاعتبار ما قلته من أنه تجربة نظرية** » . وراح الفريق « على على عامر » يقرأ بحرج واضح مشروع قرار كتبه بخط يده :

« سرى وشخصى لأصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية .

قرارات مؤتمر الملوك والرؤساء الثالث المنعقد فى الدار البيضاء فى سبتمبر ١٩٦٥ فيما يختص بالشؤون العسكرية

اطلع المجلس على تقرير القائد العام للقيادة العربية الموحدة ، وتقدير الموقف وفقا لقرارات مؤتمر الملوك والرؤساء الثانى المنعقد فى الاسكندرية فى شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤ ، وقرارات مجلس رؤساء الحكومات الأول والثانى المنعقدين فى يناير (كانون الثانى) ومايو (آيار) ١٩٦٥ . وقد قرر المجلس وهو موقن بعدالة قضيته ودفاعا عن حقوق الأمة العربية ، عاقدا العزم على كسب الرأى العام العالمى وتعبئة الرأى العام العربى والإسلامى - ما يلى :

أولا - التصميم على خوض معركة تحرير فلسطين معتمدين بعد الله على مقدراتنا وإمكانياتنا مهما كلفنا ذلك ومهما كانت النتيجة .

ثانيا - الموافقة على الخطوط العريضة لتقدير الموقف الذى قدمه القائد العام للقيادة العربية الموحدة .

ثالثا - التعهد بتوفير ما طلبه سيادة القائد العام للقيادة العربية الموحدة من مطالب ضرورية لنجاح المعركة . وقد قسمت المسؤوليات على الدول الأعضاء كل حسب طاقتها طبقا لما هو وارد فى المرفق (١) .

رابعا - يجتمع وزراء المالية العرب لوضع نظام مالى يقرر طريقة دفع الأموال ومكان إيداعها وطريقة الصرف ونظام المحاسبة والمراجعة . » .

ثم راح الفريق « على على عامر » يتلو نص المرفق (١) ، فتلاه على النحو التالى :

« المرفق (١) الخاص بالقطاعات العسكرية ومساهمة الدول فى سداد نفقاتها :

□ أولا - الإنشاءات المطلوبة :

أ - قوات برية :

١٠ ألوية مشاة - ١ لواء ميكانيكى - ١٠ كتائب صاعقة

الأردن : ٦ ألوية مشاة - ٧ كتائب صاعقة

لبنان : ١ كتيبة صاعقة

الجمهورية العربية المتحدة : ٤ ألوية مشاة - ١ لواء ميكانيكى - ٢ كتيبة صاعقة .

ب - قوات جوية :

١٦ سرب قاذف / مقاتل

توزع كالآتى :

الأردن ـ العراق ـ الجزائر ـ السعودية ـ الكويت : ٨ سرب قاذف/ مقاتل

سوريا : ٢ سرب قاذف / مقاتل

الجمهورية العربية المتحدة : ٥ سرب قاذف / مقاتل

لبنان : ١ سرب قاذف / مقاتل

جـ ـ قواعد جوية :

الأردن : ١ قاعدة جوية ـ ٢ مطار ميدانى

الجمهورية العربية المتحدة : ٢ مطار ميدانى

□ ثانيا ـ التشكيلات التى تقوم بها الدول وتمولها ذاتيا :

أ ـ قوات برية	إنشاء	إدارة
العراق : ٣ ألوية مشاة	١٢ مليون	٢ مليون
السعودية : ٣ ألوية مشاة	١٢ مليون	٢ مليون
ج . ع . م : ٤ ألوية مشاة	١٦ مليون	٢ر٨ مليون
١ لواء ميكانيكى	٤ مليون	,٦٠٠,٠٠٠ مليون
٢ كتيبة صاعقة	,٦٠٠,٠٠٠ مليون	,١٨٤,٠٠٠ مليون
الكويت : ١ كتيبة صاعقة	,٣٠٠,٠٠٠ مليون	,٠٩٢,٠٠٠ مليون
لبنان : ١ كتيبة صاعقة	,٣٠٠,٠٠٠ مليون	,٠٩٢,٠٠٠ مليون
	٤٥,٧٠٠,٠٠٠ مليون	٧,٩٦٨,٠٠٠ مليون

ب ـ قوات جوية		
الجزائر : ٢ سرب	١٣ مليون	١ مليون
العراق : ٢ سرب	١٣ مليون	١ مليون
السعودية : ٣ سرب	١٩,٥٠٠,٠٠٠ مليون	١,٥٠٠,٠٠٠ مليون
ج . ع . م : ٥ سرب	٣٢,٥٠٠,٠٠٠ مليون	٢,٥٠٠,٠٠٠ مليون
الكويت : ١ سرب	٦,٥٠٠,٠٠٠ مليون	,٥٠٠,٠٠٠ مليون
	٨٤,٥٠٠,٠٠٠ مليون	٦,٥٠٠,٠٠٠ مليون

جـ ـ قواعد جوية		
ج . ع . م : ٢ مطار ميدانى	١,٠٠٠,٠٠٠ مليون	
	١٣١,٢٠٠,٠٠٠	١٤,٤٦٨,٠٠٠

د ـ مجموع التكاليف :

تكاليف الإنشاء	١٣١,٢٠٠,٠٠٠ مليون
تكاليف إدارة سنوية	١٤,٤٦٨,٠٠٠ مليون

□ ثالثا ـ تشكيلات تقوم بها الدول العربية وتمول من الدول العربية الأخرى :

أ ـ قوات برية	إنشاء	إدارة
الأردن : ٦ كتائب صاعقة	١,٨٠٠,٠٠٠ مليون	٠,٥٥٢,٠٠٠ مليون
ب ـ قوات جوية		
سورية : ٢ سرب	١٣,٠٠٠,٠٠٠ مليون	١,٠٠٠,٠٠٠ مليون
لبنان : ١ سرب	٦,٥٠٠,٠٠٠ مليون	٠,٥٠٠,٠٠٠ مليون
	٢١,٣٠٠,٠٠٠	٢,٠٥٢,٠٠٠

جـ ـ قواعد جوية	
الأردن : ١ قاعدة	٢,٥٠٠,٠٠٠
٢ مطار ميدانى	١,٠٠٠,٠٠٠
	٣,٥٠٠,٠٠٠

د ـ مجموع التكاليف :	
جملة إنشاء	٢٤,٨٠٠,٠٠٠
جملة إدارة سنوية	٢,٠٥٢,٠٠٠

□ رابعا ـ مساهمة الدول فى تغطية نفقات إنشاء وإدارة التشكيلات العسكرية المذكورة سابقا :

أ ـ تقوم الدول المذكورة فى المرفق « ١ » ثانيا بإنشاء وإدارة التشكيلات المذكورة تجاه كل منها ، وتكون مستعدة لوضعها تباعا بإمرة القيادة العربية الموحدة فى مدى عامين ونصف من تاريخ انعقاد هذا المؤتمر .

ب ـ تقوم الدول المذكورة بعد بسداد الأنصبة المذكورة أمام كل منها طبقا للنظام الجارى العمل به فى تمويل صندوق الدعم الخاص بالقيادة العربية الموحدة ، وذلك لتغطية نفقات الإنشاء المذكورة فى المرفق « ١ » ثالثا كما يلى :

الأردن	٠,٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى ولمدة ١٠ سنوات
السودان	٠,٥٠٠,٠٠٠
السعودية	٠,٥٠٠,٠٠٠
اليمن	٠,٠١٠,٠٠٠
الكويت	٣,٠٣٢,٠٠٠
لبنان	٠,٥٠٠,٠٠٠
ليبيا	١,٥٠٠,٠٠٠
المغرب	١,٥٠٠,٠٠٠
منظمة التحرير الفلسطينية	٠,٥٠٠,٠٠٠

ج ـ هذا وتدفع دولة الكويت مبلغ ٣,٥٠٠,٠٠٠ فورا لإقامة القواعد الجوية .

التوقيعات

الأردن —	تونس —	الجزائر —	السودان —	العراق —
(......)	(......)	(......)	(......)	(......)
السعودية —	سوريا —		الجمهورية العربية المتحدة —	
(......)	(......)	(ـــــ)	(......)	
اليمن —	الكويت —	لبنان —	ليبيا —	المغرب —
(....)	(......)	(....)	(......)	(......)

منظمة التحرير الفلسطينية .
(.......)

□

فرغ الفريق « على على عامر » من قراءة ما كان أمامه وسكت . وساد القاعة صمت لبضع ثوان . ثم قطع « جمال عبد الناصر » الصمت قائلا : « إن رؤساء الوفود الذين سمعوا الآن هذا المشروع وما فيه من اقتراحات مفصلة يحتاجون إلى دراسة لما احتواه يشترك فيها معهم بعض مستشاريهم » . وقال الفريق « أمين الحافظ » إنه متمسك بضرورة بحث هذا المشروع وإقراره[٥] .

ثم اقترح الملك « الحسن » أن « الأمر يحتاج إلى دراسة وبحث عميقين ، وأن هذا لا يمكن أن يتم على أساس سماع رؤساء الوفود لهذا المشروع الذى قدمه القائد العام بناء على ضغط شديد وقدمه وهو يتوِل مقدما إنه تجربة نظرية ، وأن القمة لا تستطيع أن تعطل كل أعمالها فى انتظار بند واحد ، ولهذا فهو يرى أن يواصل المؤتمر جدول أعماله ، وأهمها دعم مشروعات التحويل ـ ودراسة مطالب القيادة العربية الموحدة ـ إلى جانب موضوع ثالث استجد على الساحة وهو توتر العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها الأستاذ « أحمد الشقيرى » وبين الحكومة الأردنية ، ذلك أن المنظمة بدأت تنشط بين الفلسطينيين فى الضفة الغربية وفى الضفة الشرقية أيضا ، وبدأت الاختصاصات بين الجانبين تتضارب خصوصا مع وجود رواسب وعقد فى العلاقات طفت بسرعة على السطح . »

ولم يعترض الفريق « الحافظ » مباشرة ، وإنما علق قائلا بأن « العالم العربى خليط غريب . دول ثرية بدون ناس . ودول مزدحمة بالناس بغير ثروة . ودول قريبة من

---

(٥) صورة تقرير الفريق « على على عامر » بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٢) صفحة ٩٧٣ وأصل هذا التقرير مودع فى أرشيف منشية البكرى الذى نقل إلى قصر عابدين ، كما توجد نسخة منه فى أرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة .

ميدان المعركة ، وأخرى بعيدة لا تشعر بحرارتها . دول صغيرة فى حجمها ، ودول كبيرة فى حجمها . وهذا الخليط كله لابد أن ينصهر فى بعضه وأن يتحمل بالتساوى تحديا يواجه الأمة العربية كلها بوجود الكيان الصهيونى العنصرى العميل للاستعمار الأمريكى » .

وانتهت الجلسة المغلقة على الرؤساء وحدهم ، ثم عاد المؤتمر بعد استراحة قصيرة إلى الانعقاد بهيئته الكاملة ، ووقف رئيس وزراء السودان « محمد أحمد محجوب »(٦) يعرض على المؤتمر اقتراحا جديدا قدم له بقوله « إن أمامنا جدول أعمال حافلا كذلك لابد أن الملوك والرؤساء الذين اجتمعوا فى جلسة مغلقة ناقشوا أمورا على مستوى مسؤولياتهم ، لكنه يجد نفسه فى حيرة مبعثها أنه لا يعرف كيف يستطيع العرب أن يواجهوا المستقبل مهما كانت احتمالاته ، والعلاقات الثنائية بين كل دولة من دولهم مع الأخرى ملبدة بأسباب الشك ومظاهر التوتر والحملات المتبادلة ، وأن العرب مطالبون بأن يصفوا ما بينهم وبعضهم قبل أن يتفرغوا لما بينهم وبين الآخرين » . ثم قال إن الوفد السودانى يقترح وضع ميثاق يحدد أصول التعاون بين البلدان العربية ويرسى لها قواعد من الاحترام المتبادل ، واقترح أربع نقط يرتكز عليها الميثاق ، وهى : « **تضامن الدول العربية فى خدمة الأمة وقضيتها الأولى فلسطين ـ واحترام أنظمة الحكم فى كل بلد عربى والتعهد بعدم التدخل فى شؤونها الداخلية ـ واحترام قواعد القانون الدولى ـ والامتناع عن تشجيع حركات التمرد والانفصال فى أى بلد عربى من جانب بلد عربى آخر** » .

وكان هذا هو الميثاق الذى وقعه الملوك والرؤساء يوم ١٦ سبتمبر فى الجلسة الصباحية من هذا اليوم الختامى لأعمال المؤتمر .

---

(٦) كان الأستاذ « محمد أحمد محجوب » محاميا بدأ حياته العملية مستشارا لدائرة السيد « عبد الرحمن المهدى » (باشا) زعيم طائفة « الأنصار » وكان مقربا منه ، وكان كاتبا وشاعرا وفنانا يحب الحياة ويستمتع بها . وكان « محجوب » معارضا لفكرة الوحدة مع مصر ودائم الترديد لبيت من الشعر يقول :

« ولو أنا على حجر ذبحنا — جرى الدميان بالخبر اليقين »

ومؤدى معناه أنه حتى فى حالة الذبح فإن الدم المصرى له مجرى يسيل فيه والدم السودانى له مجرى آخر ، ولا يلتقى الدميان أبدا .

الفصل الثانى

عندما تموت الامبراطوريات !

كان الملك « الحسن » الثانى ملك المغرب والرئيس « جمال عبد الناصر » قد اتفقا على أن يبقى « جمال عبد الناصر » فى المغرب بعد انتهاء مؤتمر الدار البيضاء لعدة أيام يقوم فيها بزيارة للمغرب . كان الملك يريد أن تكون الزيارة مزيجا من العام والخاص ، ولذلك حرص على أن يتضمن البرنامج زيارات لبعض مدن المغرب الرئيسية (الرباط ـ مكناس ـ ايفران) ، كذلك كان حريصا فى الوقت نفسه على أن يجعل البرنامج مفتوحا إلى أكبر حد ممكن حتى يتيح لنفسه ولضيفه فرصة كافية لأحاديث طويلة .

وحين انتهت آخر جلسات مؤتمر الدار البيضاء ، قال الملك « الحسن » لـ« جمال عبد الناصر » إنه « يستأذنه فى الأربع والعشرين ساعة القادمة حتى يقوم بوداع بقية الملوك والرؤساء العرب الذين اشتركوا فى المؤتمر ، ثم يتفرغ له بالكامل بعد ذلك » . وانتقل « جمال عبد الناصر » من فندق « المنصور » الذى كان يقيم فيه أثناء انعقاد المؤتمر ، ونزل فى قصر « أنفا » ، وهو قصر الضيافة الملكى .

ويوم الجمعة ١٧ سبتمبر ١٩٦٥ كان الملك قد انتهى من توديع كل الملوك والرؤساء

العرب الذين شاركوا فى أعمال المؤتمر ، ثم أعطى نفسه أجازة للراحة يوم السبت . وفى يوم الأحد (١٩ سبتمبر) كان مع « جمال عبد الناصر » فى الطريق بالقطار إلى الرباط ، وكانت أمامهما صحبة تمتد خمسة أيام بلياليها .

كان الملك يريد لضيفه أن يرى المغرب رؤية مباشرة . ثم إنه كان يريد أن يجرى مع ضيفه تقييما مشتركا لنتائج أعمال مؤتمر القمة . وكذلك كانت لدى الملك فيما يبدو موضوعات أخرى يريد أن يتحدث فيها مع « جمال عبد الناصر » ويعتبرها من وجهة نظره بالغة الأهمية والسرية .

وفى تلك الأيام ـ وربما حتى الآن ـ كان الملك « الحسن » متحمسا لعقد أكبر عدد من مؤتمرات القمة العربية فى بلاده . وتقديره أن المغرب العربى ، بحكم ظروفه ، ظل بعيدا إلى حد كبير عن تفاعلات حركة القومية العربية فى المشرق ، وهذه فجوة ينبغى ملؤها ، والسبيل إلى ذلك هو الربط بين جناحى العالم العربى شرقا وغربا عن طريق إثارة اهتمام بلدان المغرب بالقضايا المركزية فى القلب العربى . وربما يكون الأسلوب الأسرع لذلك هو الاهتمام العام الذى تحدثه مؤتمرات القمة ، وما يمكن أن تثيره حيث تعقد سواء على مستوى الجماهير العادية أو على مستوى التنظيمات السياسية . وإلى جانب ذلك فقد وقع فى ظن الملك أن المغرب العربى عموما يصلح أكثر من غيره لهذه المهمة ، وذلك لبعده عن العقد المباشرة للعلاقات بين دول المشرق . وربما كان الملك إلى جانب ذلك يعتقد أن بلده بالذات مهيأ أكثر من غيره من بلدان المغرب العربى لهذه المهمة . فالجزائر حديثة عهد بالاستقلال فى ذلك الوقت ، و« بورقيبة » فى تونس له آراؤه الخاصة . ولعل الملك إلى جانب ذلك كان يطمح إلى أن تكون مشاركة المغرب النشيطة فى قضايا العالم العربى تقوية لمركزه الدولى إزاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، كما أنها تعزيز لموقفه إزاء المعارضة السياسية فى الداخل .

□

ويوم الثلاثاء ٢١ سبتمبر ١٩٦٥ عقد الملك والرئيس أهم اجتماع بينهما فى قصر « إيفران » الواقع وسط الجبال المغطاة قممها بالثلوج فى أجمل منطقة من مناطق المغرب . **بدأ الملك بأن أشار إلى قلقه من بعض الاندفاعات التى ظهرت من جانب البعض فى مؤتمر الدار البيضاء ، وأشار إلى قلقه من الخطة التى عرضت على المؤتمر لتحرير فلسطين . وأبدى تخوفه من أن مثل « هذه الأوهام » كتبت على ورق . وعلق « جمال عبد الناصر » على ذلك بقوله إنه من سوء الحظ أن بعض الزعماء العرب لا يفرقون**

بين « القدرة على الحلم » و« القدرة على الفعل » ، وأنه أول من يعرف أن المعركة مع إسرائيل حتمية ، لكن أوانها مازال فى مستقبل بعيد لم تتوافر شروطه حتى الآن . وهو « لم يجد غضاضة فى أن يصارح الجماهير العربية بذلك رغم أنه كان يعرف مقدما أن هذه المصارحة سوف تعرضه لانتقادات من جانب البعض » .

ثم راح « جمال عبد الناصر » يشرح تصوره لتوجهات العمل العربى فى المرحلة القادمة . وكان تقديره « أن المعركة الحالية والدائرة فعلا الآن والموجبة لاهتمام العالم العربى كله هى معركة الجنوب العربى والخليج العربى . فهذه هى آخر معاقل السيطرة البريطانية فى الشرق العربى » . وقال إن « قيام ثورة فى اليمن طرح بشدة مسألة تحرير الجنوب والخليج ، ورفعها إلى أعلى فى قائمة الأولويات العربية . فالانجليز الذين يركزون جهدهم الآن ضد الثورة اليمنية لا يفعلون ذلك بسبب اليمن ذاته ، ولكن بسبب رغبتهم فى تسوية الأوضاع فى الجنوب العربى وفى الخليج ، فى غيبة من أى تواجد أو تأثير لبقية الأمة العربية » .

ثم أبدى « جمال عبد الناصر » أن « الملك شاهد على كل الجهود التى بذلها من أجل تصفية الأجواء فى العلاقات بين مصر وبين المملكة العربية السعودية . وأنه لهذا السبب ذهب مبادرا إلى مقابلة الملك « فيصل » فى جدة فى الشهر الماضى . وكان بين أهدافه أن يكون الملك على ثقة أن المطلوب الأول فى شبه الجزيرة العربية ليس هو إحراج السعودية ولكن إخراج بقايا السيطرة البريطانية من الجنوب العربى والخليج . وأنه حاول قدر ما يستطيع طمأنة الملك ، ولكن المشكلة تكمن فى أن بعض العناصر والمصالح تركز جميعا على إثارة مخاوف الملك بينما يرى هو (أى « جمال عبد الناصر ») أن استكمال مهام تحرير الجنوب والخليج هو دعم للسعودية وليس تهديدا لها . » .

وقال الملك إنه يريد أن يفتح قلبه للرئيس ، فهو شديد الإحساس فى أعماقه بالصلات التاريخية والثقافية بين مصر والمغرب . وهو لا يستطيع أن ينسى لمصر دورها فى مقاومة المخطط الاستعمارى الذى أبعد والده عن العرش . كذلك فهو مؤمن بأن مستقبل المغرب موصول بالعلاقات مع المشرق وبدوز مصر فيه . ثم أشار الملك إلى أنه ليست هناك خلافات بين البلدين سوى أن بعض الساسة المغاربة من المعارضة يستغلون صلاتهم بمصر وبالرئيس شخصيا . وهذا الوضع يحدث التباسا فى العلاقات بين البلدين تستحسن مواجهته بالمصارحة والاتصال الدائم . وأشار الملك بوضوح إلى النشاط الذى يقوم به الزعيم

المغربى « المهدى بن بركة » . وقال « جمال عبد الناصر » إنه يعتبر « المهدى بن بركة » صديقا ، وهو رجل يقوم بدور كبير فى الحركات السياسية التى يزخر بها العالم الثالث . وهو يخشى أن يكون هناك من يضخمون الأمور أمام الملك ، وألمح « جمال عبد الناصر » فى هذا الصدد إلى الدور الذى يقوم به الجنرال « محمد أوفقير » وزير الداخلية . وأضاف « جمال عبد الناصر » إن آخر ما يفكر فيه هو أن يقحم نفسه على الشؤون الداخلية للمغرب ، ومع ذلك فهو يجد من واجبه أن يتأكد من أن الملك على علم بالارتباطات المريبة للجنرال « أوفقير » مع قوى وأجهزة دولية لها خططها الخاصة ، وهى خطط لا يمكن وصفها بالصداقة والود تجاه العرب أو حتى الإسلام[1] .

ودار حديث تفصيلى حول بعض النواحى المتصلة بالعلاقات المباشرة بين مصر والمغرب ، ثم عاد الملك إلى حديث مؤتمر القمة مبديا قلقه مرة أخرى من المزايدات التى يقوم بها النظام فى سوريا فى موضوع الحرب مع إسرائيل . وقال الملك إنه « على صلة مباشرة بعدد من أقطاب الجالية اليهودية فى المغرب ، وأنه يعرف أن بعضهم له علاقة وثيقة مع اليهود المغاربة الذين هاجروا إلى إسرائيل . وهو لا يعترض طريق هذه العلاقة لأسباب متعددة ، بينها أنه يعتبر أن اليهود المغاربة الذين هاجروا إلى إسرائيل مازالوا يحتفظون بجزء من ولائهم للمغرب ، وهذه نقطة مفيدة خصوصا وأنها تعطى للملك فرصة لمتابعة ما يجرى فى إسرائيل عن قرب . ومن متابعته لما يجرى فى إسرائيل فهو يشعر أنهم هناك يتسلحون من الرأس إلى أخمص القدم ، وهناك قوى تساعدهم ، بل وتحرضهم وإن كانوا هم ليسوا فى حاجة إلى تحريض . والذى يقلقه فيما يراه أمامه من مزايدات عربية هو أنه يخشى أن يكون البعض ـ بدعوى الحماس ـ يلعبون ، دون أن يشعروا ، لعبة إسرائيل ، وهذا يقلقه كثيرا . »

وعاد « جمال عبد الناصر » مرة أخرى إلى ترتيب أولوياته ، فقال للملك إنه « يدرك أسباب قلقه ، ولكنه يريد أن يؤكد له أن الأولوية الأولى فى سياسة الجمهورية العربية المتحدة الآن هى جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربى ، بالتفاهم والتنسيق إذا أمكن مع الملك فيصل » . وأضاف : « عندما يجىء اليوم الذى يمكن أن تجرى فيه معركة بيننا وبين إسرائيل ، فلابد أن يكون البترول العربى حاضرا للتأثير فيها ، فهى لن تكون مجرد مواجهة عسكرية ، وإنما سوف تكون مواجهة استراتيجية دولية

---

(١) فيما بعد قام الجنرال « أوفقير » الذى كان يعتبر « رجل الملك » بعدة محاولات لاغتيال سيده ، والترتيب لأكثر من انقلاب عسكرى ضده .

واسعة ، وبدون دخول البترول فيها فإن هذه المواجهة تفقد واحدا من أهم عناصرها » .

ثم قال « جمال عبد الناصر » للملك إن « **هناك اتصالات تجرى حاليا بين مصر وبريطانيا بهدف استكشاف السبل التى يمكن أن تؤدى إلى خروج بريطانيا من الجنوب العربى والخليج . بالطبع نحن ندرك أن لديهم مصالح هناك ، ولا نظن أن أصحاب الشأن فى المنطقة يريدون حرمانهم من أية مصالح مشروعة يمكن أن تكون لهم ، ولكن المشكلة هى أنهم كانوا مصرين على استمرار السيطرة وعلى ترتيب الأحوال هناك بما يكفل استمرار هذه السيطرة** » . ثم قال الرئيس إن « **مجيء حزب العمال إلى الحكم فى بريطانيا يمكن أن يكون ظاهرة مشجعة ، فنحن نعلم أن لديهم سياسة للانسحاب العسكرى شرق السويس ، وربما أن ذلك يحسن موقفهم فى اتصالاتهم معنا . وهناك الآن ترتيب لزيارة يقوم بها وزير بريطانى للقاهرة ، وسوف نتحدث معه بمنتهى الوضوح والصراحة ، وإن كنا نعلم مقدما أنها مشكلة صعبة ، فإن الامبراطوريات تكون دائما شديدة الحساسية عندما تواجه الأيام الأخيرة من هيمنتها** » .

لا تكون الامبراطوريات شديدة الحساسية فقط فى فترة غروب شمسها ، وإنما يمكن أن تكون وحشية أيضا . فهى عند الغروب تتصرف بعصبية من يشعر أن طبيعة الأشياء ذاتها ضده ، وهو يحاول تعطيل حركتها يائسا ، وفى يأسه فإنه يمكن أن يكون عنيفا ودمويا . وتشير شواهد التاريخ إلى أن الامبراطوريات لا تموت بالسكتة القلبية ، وإنما يكون موتها أصعب من ذلك وأطول وأشد عذابا وألما !

وعاد « جمال عبد الناصر » من مؤتمر الدار البيضاء فى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر ١٩٦٥ وهو يدرك أنه أمام محاولة أخيرة للتفاهم مع امبراطورية عند الغروب ، وعلى نحو ما فقد كان يتصور أن الأجواء يمكن أن تكون مهيأة لانسحاب امبراطورى من الجنوب العربى والخليج إذا ما أمكن التوصل إلى ترتيبات ملائمة تحفظ المصالح المشروعة وتحافظ على ماء الوجه ريثما يجرى الانتقال من حالة الاستعمار إلى حالة أخرى غيرها

فى الجنوب العربى والخليج . وكانت هناك عوامل تساعده على التصور بأن هذا الانتقال ـ رغم دقته ـ ممكن ، وأول هذه العوامل اتفاقه مع الملك « فيصل » عبر لقاءات تكررت فى جدة ثم فى القاهرة ثم أثناء اجتماعات مؤتمر الدار البيضاء .

وكان العامل الثانى هو أن الحكم فى بريطانيا انتقل من حزب المحافظين إلى حزب العمال ، وأن الوزير البريطانى القادم للقائه فى القاهرة والتباحث معه فى مشاكل تلك المناطق الحساسة فى الجنوب العربى والخليج ، هو قطب من أقطاب هذا الحزب العائد إلى السلطة فى بريطانيا بعد مواقف مشرفة له فى المعارضة إبان معركة السويس ، ثم إنه عائد بشعار تقصير الخطوط العسكرية للامبراطورية تحت استراتيجية الانسحاب من شرقى السويس .

□

لم تكن لـ « جمال عبد الناصر » سابقة تعاون مع حزب العمال ، فحين قامت الثورة سنة ١٩٥٢ كان الحكم فى بريطانيا فى يد حزب المحافظين بزعامة « ونستون تشرشل » . وباعتزال « تشرشل » انتقلت رئاسة الوزارة إلى « أنتونى ايدن » ، وبسقوط « ايدن » بعد السويس أصبح « هارولد ماكميلان » رئيسا للوزراء . وبانفجار فضيحة « بروفيومو » واضطرار « ماكميلان » لتقديم استقالته ، فقد خلفه فى الوزارة اللورد « دوجلاس هيوم » . ثم خسر المحافظون الانتخابات العامة واستطاع « هارولد ويلسون » أن يقود حزب العمال إلى أغلبية برلمانية مطلقة تمكن بها من العودة إلى السلطة بعد سنوات طويلة فى المعارضة .

وكان « جمال عبد الناصر » يعرف كثيرين من أقطاب حزب العمال . فقد التقى أكثر من مرة بـ « جورج براون » نائب رئيس الحزب ، كما التقى مع « بربارة كاسل » و « وودرو وايت » و « جيم كروسلاند » وغيرهم من شخصيات الحزب الذين أصبحوا الآن وزراء من الدرجة الأولى فى حكومة العمال الجديدة .

ولم يكن قد التقى ـ بين من التقى بهم من أقطاب حزب العمال ـ بـ « جورج طومسون » الوزير البريطانى القادم لمقابلته ، ومع ذلك فقد كانت كل التقارير القادمة إلى القاهرة عن « جورج طومسون » تؤكد تحرر أفكاره ورغبته الفائقة فى إنجاح مهمته فى الشرق الأوسط .

وكانت المسائل أعقد من ذلك ، فإن سياسة الامبراطوريات لا تصنعها أفكار الوزراء

ولا حسن استعدادهم ، وإنما ترسمها هيئات أخرى أكثر دواما واتصالا بالواقع من الوزراء أفرادا أو مجالس . وفى حالة الامبراطورية البريطانية بالذات فقد كانت السلطة الحقيقية فى ذلك الوقت **وفيما يتعلق بالأجزاء الحساسة من الامبراطورية ، وفى مقدمتها الجنوب العربى والخليج ، من اختصاص المخابرات M.I.6 وهيئة أركان حرب الامبراطورية ووزارة الدفاع .**

وفى الوقت الذى كانت القاهرة فيه تتوقع أن يخرج « جورج طومسون » من لندن متوجها مباشرة إليها باعتبارها مقصد رحلته ، فإن « جورج طومسون » غادر لندن واتجه أولا إلى منطقة الخليج ، ومن هناك بدأت القاهرة تتلقى تقارير متوالية عن نشاطه فى مختلف المشيخات والإمارات .

□

فى ذلك الوقت ـ منتصف الستينات وما حولها ـ كان هناك كثيرون فى العالم العربى يرون مبكرا الأهمية الحيوية لمنطقة الخليج ، بل كان هناك من يرون أن البؤرة الحساسة فى الشرق الأوسط تتحرك من منطقة قناة السويس فى اتجاه منطقة الخليج . ولهذا فإن المنطقة بدت منذ ذلك الوقت احتمالا مشحونا بالكثير من عوامل التخوف والقلق . وضاعف من أسباب التخوف والقلق أن شاه إيران راح يشجع هجرة عناصر غير عربية إلى هذه المنطقة ، مما بدا معه أن هناك مخططا مرسوما لتغيير طبيعة تركيبها السكانى .

وتنبهت الحكومات العربية إلى ما يجرى ، وراحت تتحوط لمخاطره ، فاتخذ مؤتمر القمة العربى الثانى (الاسكندرية ـ سبتمبر ١٩٦٤) قرارا بضرورة « **دعم العلاقات العربية الأخوية بإمارات الخليج كفالة للحرية العربية التى لا تتجزأ وتحقيقا للمصالح المشتركة » ـ كما قرر المؤتمر إرسال بعثة أخوية عربية لبحث تقديم المساعدة والدعم « لإمارات ساحل عمان » (أبوظبى ـ دبى ـ الشارقة ـ عجمان ـ الفجيرة ـ أم القوين ـ رأس الخيمة) ـ ثم قرر مجلس رؤساء الحكومات العربية فى اجتماع عقده فى يناير ١٩٦٥ بالتعهد « ببذل الجهود العربية المشتركة لمساعدة هذه الإمارات على الظفر بالحرية والتقدم ومساندتها فى كل ما يدرأ عنها خطر الهجرات الأجنبية ويكفل لها المحافظة على عروبتها »** . كذلك قرر مجلس رؤساء الحكومات إنشاء صندوق فى الجامعة العربية لمعونة إمارات الخليج ، ودعا كل الدول والأقطار العربية للمساهمة فى أعمال هذا الصندوق . وبالفعل رصدت الدول العربية بسرعة مبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرلينى ساهمت فيه بالتساوى : مصر والعراق والسعودية والكويت . وراحت

الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تتصل بحكام إمارات الخليج لتحصل على موافقتهم على التعاون مع الصندوق العربى ، وإذا الحكومة البريطانية تسخر كل نفوذها لكى تحول دون أية إمكانية لهذا التعاون بين الجامعة العربية وإمارات الخليج العربى .

وفى هذه الملابسات وصل « جورج طومسون » إلى المنطقة ، وبدأت الأخبار ترد بأنه يجتمع بحكام الإمارات ويخطرهم أن **الحكومة البريطانية قررت إنشاء صندوق لمعونة إماراتهم ، وأن هذا الصندوق يتحتم أن يكون المصدر الوحيد لتوزيع المعونات . وأنه إذا رغبت الجامعة العربية أو أيا من دولها فى تقديم مساعدة لهم ، فمن الضرورى أن تمر هذه المساعدة عن طريق صندوق المعونة البريطانى ، بمعنى أن تقدم المعونات للصندوق البريطانى وهو يتصرف فيها مع ما لديه من اعتمادات واردة من مصادر أخرى .**

وزادت التقارير ، فإذا بتفاصيلها تؤكد أن بعض الحكام حاولوا أن يبينوا لـ « جورج طومسون » **أنهم لا يستطيعون رفض معونات عربية ولا أن يمتنعوا عن التعاون مع الجامعة العربية . وإذا بـ « جورج طومسون » يهددهم بالعزل إذا لم يخضعوا لما طلب .**

وفى تصوير هذا الموقف ودواعيه ونتائجه المحتملة ، كتب الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد « عبد الخالق حسونة » رسالة سرية عاجلة عممها على جميع الملوك والرؤساء العرب ، جاء فيها بالنص :

« إلى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية
يشرفنى أن أضع تحت علمكم ما يلى :

□ أولا : هنالك أخطار على الخليج العربى تتمثل فى الاستعمار البريطانى والمطامع الأجنبية فى بترول الخليج ، والادعاءات الإيرانية بتبعية البحرين لإيران والتطلع إلى أن يكون الخليج العربى بحيرة فارسية ، والهجرات المتدفقة من إيران وغيرها التى تتهدد عروبة المنطقة وتستغل فقر إمارات الساحل وحكامه فى شراء جوازات السفر للمهاجرين .

□ ثانيا : واستنادا إلى ميثاق الجامعة وقراراتها وقرارات الملوك والرؤساء العرب ، وما تم من اتصالات ـ صدر قرار مجلس رؤساء الحكومات العربية بالموافقة على مشروعات التعاون والصندوق واللجنة الدائمة

العربية . وذهبت البعثة الأولى بعد موافقة الحكام على التعاون ، كما ذهبت البعثة الفنية منذ سبعة أشهر ووضعت المشروعات بالتعاون مع الحكام واقتراحاتهم ، والتقت البعثتان بممثلى السلطات البريطانية فى المنطقة ، ثم سافر إليها المستر جورج طومسون وزير الدولة البريطانى للشؤون الخارجية باذلا المساعى بجميع الطرق لإحباط مهام بعثات الجامعة ومهددا الحكام بالعزل .

□ ثالثا : ادعت الحكومة البريطانية فى نفس الوقت على لسان سفرائها فى القاهرة وبغداد والكويت أنها لم تعلم بإنشاء صندوق عربى لمعونة إمارات الخليج إلاّ من الصحف فى شهر يونيو الماضى . كما عادت إلى أساليب العنف التى كانت تتبعها فى القرن التاسع عشر ، وعزلت حاكم الشارقة وحاصرت منازل الحكام ، وهددتهم بالعزل ، ودعت إلى أن تكون معونة دول الجامعة العربية تحت إشراف السلطات البريطانية التى ظلت مائة وثلاثين عاما لا تقدم أى عون للمنطقة العربية . بل فتح مستر هارولد ويلسون (رئيس الوزراء العمالى الجديد) الباب لدول الشرق الأوسط (غير العربية) طامعا بذلك فى إعادة محاولات حلف بغداد لإقحام إيران وتركيا وباكستان على المنطقة العربية واستخدامها أدوات للمآرب الاستعمارية المدمرة للجميع ، وخلق إسرائيل جديدة فى مناطق أكثر أهمية للعالم العربى .

□ رابعا : إن الجامعة ودولها الأعضاء تقف الآن فى موقف اختبار جديد فى إحدى قضاياها الأساسية وتحد لميثاق الجامعة ولقرارات الملوك ورؤساء الدول والحكومات العربية ولإرادة التعاون الفنى مع إمارات شقيقة ، تعاونا غير مشروط ، ولا تستند المعارضة البريطانية فيه إلى سند من القانون أو الواقع الدولى .

وإذا كان العمل العربى المشترك قد استطاع إحباط محاولات إيران منذ بداية القرن العشرين ، ثم إحباط محاولات حلف بغداد فى عام ١٩٥٥ ، وما صحبها من طلب إيران عدم النزول فى مطار البحرين إلاّ بترخيص سابق من طهران ، فإن فرص العمل الجماعى العربى اليوم أعظم ، وهى جديرة بأن تؤكد الإرادة العربية فى القضايا القومية الأساسية .

مع عظيم الاحترام .

الأمين العام

عبد الخالق حسونة »

□

ووصل « جورج طومسون » إلى القاهرة يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٥ . وتم إبلاغ السفير البريطانى السير « جورج ميدلتون » بأن الرئيس « جمال عبد الناصر » سوف يستقبل الوزير البريطانى الزائر وهو (أى السفير) معه فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهر اليوم التالى ٢٦ سبتمبر . وفى نفس يوم وصوله بعد الظهر التقى « جورج طومسون » ومعه السفير البريطانى فى القاهرة بوزير الخارجية السيد « محمود رياض » وأوضح له أن هدفه من الزيارة هو مناقشة الأوضاع فى الجنوب العربى وعدن ، وأن حكومته ترغب فى أن تساعدها الجمهورية العربية المتحدة على « تطور سلمى للأمور فى هذه المنطقة المشتعلة بالقلاقل » . وتحدث إليه « محمود رياض » بما مؤداه أن السياسة البريطانية هى السبب الذى يجعل هذه المنطقة مشتعلة بالقلاقل ، فسياسة الحكومة البريطانية لا تقوم على قمع حركة التحرر الوطنى فى عدن وفى الجنوب العربى عموما فحسب - وإنما هى تتخذ من المنطقة قاعدة للعمل ضد الجمهورية اليمنية . وأشار إلى أن الحكومة المصرية تملك مستندات دامغة على النشاط الذى يشرف عليه ويوجهه الحاكم العام البريطانى فى عدن وتشارك فيه دول كثيرة من ضمنها إيران وإسرائيل . وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة راغبة فى إيجاد صيغة للانتقال السلمى فى هذه المنطقة ، ولكن المسؤولية فى هذه المهمة تقع بالدرجة الأولى على الحكومة البريطانية . وأجاب « جورج طومسون » بأنه يعتقد أن فى الأمر عوامل مؤثرة خارجة عن إرادة الطرفين ، وأن الحكومة المصرية مدفوعة دائما فى تصرفاتها بشكوك عميقة تجاه السياسة البريطانية ، وأن هذه الشكوك لم يعد لها ما يبررها ، ثم أضاف باسما : « إننا لم نعد الآن فى أيام السويس » .

□

صباح اليوم التالى ٢٦ سبتمبر كان موعد « جورج طومسون » مع « جمال عبد الناصر » يقترب . وفى الساعة العاشرة صباحا بتوقيت القاهرة التقطت محطات الاستماع من لندن بيانا رسميا أذيع صادرا عن مجلس الملكة يعلن : « إن مجلس الملكة اتخذ قرارا بتفويض الحكومة البريطانية بإلغاء دستور عدن وفرض الحكم المباشر للمندوب السامى البريطانى على المستعمرة » . وأذاع راديو لندن هذا البيان ، وتلاه خبر عن اعتقالات لعدد من الزعماء الوطنيين فى عدن . ثم كان الخبر الثالث مباشرة فى الإذاعة البريطانية هو أن « وزير الدولة البريطانى جورج طومسون سوف يقابل الرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة فى ظرف ساعة من الآن » .

وفى دقائق كانت الصورة الكاملة لهذه التصرفات البريطانية أمام « جمال عبد الناصر » الذى أجرى عددا من الاتصالات التليفونية مع بعض الوزراء وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، **ثم قرر بعدها أنه لم يعد يستطيع مقابلة الوزير البريطانى وإلاّ اعتبرت مقابلته له موافقة على الإجراءات البريطانية ، إلى جانب أن شكل التصرفات كلها كان يوحى برغبة الاستفزاز .**

توصل « جمال عبد الناصر » إلى قراره فى الساعة الثانية عشرة إلاّ الربع ، ولم يكن قد بقى على موعد الوزير البريطانى معه إلاّ خمسة وأربعون دقيقة . واتصلت تشريفات الرئاسة بالسير « جورج ميدلتون » السفير البريطانى ، ولحقت به على باب السفارة يهم بركوب السيارة مع المستر « جورج طومنسون » متوجهين إلى مقابلة الرئيس فى بيته فى منشية البكرى . وقال رئيس التشريفات للسير « جورج ميدلتون » إنه « **مكلف بإبلاغه أن الموعد المحدد للوزير البريطانى وله لمقابلة الرئيس لم يعد قائما** » .

وفور أن تم الإبلاغ أصدرت رئاسة الجمهورية بيانا رسميا « **بأن الرئيس جمال عبد الناصر ألغى موعده مع وزير الدولة البريطانى المستر جورج طومسون بسبب الإجراءات التى اتخذتها الحكومة البريطانية فى عدن صباح هذا اليوم** » . ولساعات جلس « جورج طومسون » مع السفير البريطانى السير « جورج ميدلتون » فى مكتبه فى السفارة العتيدة يبحثان عن الخطوة التالية ، وما الذى يمكن أن يفعله « جورج طومسون » فى بقية الوقت المقدر لزيارته فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة . وبعث الاثنان ببرقية مشتركة إلى رئيس الوزراء « هارولد ويلسون » يسألانه فيها عن كيفية التصرف . ورد « هارولد ويلسون » ببرقية وصلت فى الساعة الرابعة بعد الظهر سائلا عما إذا كانت بقية مقابلات « جورج طومسون » فى القاهرة قد ألغيت أو أنها مازالت قائمة[٢] . وتوجه السير « جورج ميدلتون » بالسؤال إلى عدد من الشخصيات التى كان « طومسون » سوف يقابلها ،

---

(٢) كنت قد زرت لندن فى شهر يوليو ١٩٦٥ وقابلت « هارولد ويلسون » رئيس الوزراء البريطانى ، كما قابلت « جورج براون » وزير الخارجية ، و« جورج طومسون » وزير الدولة . وفى هذه الزيارة للندن شاركت فى مناقشة فكرة قيام وزير بريطانى بزيارة للقاهرة . ويوم ٢٦ سبتمبر كان « جورج طومسون » على موعد معى بعد الظهر فى مكتبى ، كما كنت مدعوا على العشاء فى بيت السفير البريطانى السير « جورج ميدلتون » . وقد اتصل بى السير « جورج ميدلتون » يسألنى عما إذا كان موعد « جورج طومسون » معى قائما أو أنه ألغى ، ثم سألنى عما إذا كنت سوف أحضر العشاء الذى دعيت إليه أم أننى سأقاطعه ؟ ـ وكانت إجابتى ـ بالاتفاق مع الرئيس ـ أننى فى انتظار « جورج طومسون » فى مكتبى ، وأننى حاضر للعشاء معه فى الموعد المقرر للدعوة .

وكان الرد عليه بأن كل المواعيد الأخرى مازالت كما هى ، والذى ألغى فقط هو المقابلة مع الرئيس . **وكان إلغاء هذه المقابلة بالذات هو فى واقع الأمر إلغاء لمهمة « طومسون » من أولها إلى آخرها من الناحية السياسية ، مع الإبقاء على شكلها الخارجى مجردا من أى قيمة فعلية .**

ولقد أدرك « جورج طومسون » هذه الحقيقة بشكل قاطع عندما التقى فى اليوم التالى مع رئيس الوزراء وقتها السيد « على صبرى » . فبعد مجاملات التحية مصحوبة بفنجان قهوة ، قال السيد « على صبرى » لـ « جورج طومسون » ما نصه طبقا لمحضر المقابلة **« إنه مكلف بمقابلته كمجاملة شخصية له ، ولكنه ليس مخولا بالحديث معه فى أى موضوع سياسى يتعلق بالجنوب المحتل أو الخليج . ونحن نعتبر أن تصرفات الحكومة البريطانية وتوقيت هذه التصرفات لم يترك لنا أى سبب يدفعنا للحديث معكم فى هذا الموضوع . فقد كان السبب الأساسى من هذه الزيارة هو السعى لإزالة الشكوك المترسبة من تجارب الماضى ، ولكن ما حدث أمس فى عدن وتوقيته مع زيارتك لا يؤدى إلاّ إلى تعميق الشكوك القديمة . . »**

وانتهت المقابلة فى أقل من نصف ساعة .

كان الدكتور « محمود فوزى » هو الذى كلف بأن ينقل إلى الحكومة البريطانية ممثلة فى « جورج طومسون » وجهة نظر « جمال عبد الناصر » فى الموضوع برمته . وقال الدكتور « محمود فوزى » لـ « جورج طومسون » : **« إننا لا نستطيع أن نكذب عيوننا . فقد كنت قبل مجيئك إلى القاهرة موجودا فى إمارات الخليج ، وهناك رحت تتصرف بدبلوماسية المدافع البحرية التى حدثتنا عنها كتب التاريخ فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر . وقد هددت الحكام هناك وعزلت بعضهم . ثم جئت إلى القاهرة ، وفى نفس اليوم المحدد لموعدك مع رئيس الدولة قامت حكومتكم بهذه الاجراءات الشاذة التى قمتم بها فى عدن . ولا يمكن أن يكون هذا كله من صنع المصادفات ، وإنما هو تخطيط مقصود هدفه وضع الجمهورية العربية المتحدة أمام أمر واقع لا تستطيع أن تقبله عملا أو مبدأ . ونحن جميعا ، فيما عدا الرئيس ، قابلناك بتعليمات منه ، وهدفنا أن لا نقطع كل الخيوط مرة واحدة ، لكنه كان من الضرورى أن تفهموا أن موقفنا ليس موجها بسوء الأدب إلى أشخاص أو حتى إلى دولة ، وإنما هو محكوم بمواقف مبدئية تجاه سياسات لا نستطيع قبولها . والآن فإن عليكم أنتم أن تعاودوا التفكير ، وسوف نكون فى انتظار أن نسمع منكم . »**

حتى هذه اللحظة ، وبرغم كل الاستفزازات ، لم تكن القاهرة تر·· إغلاق الأبواب ،

وإنما تريدها على الأقل مواربة فى انتظار فرص أخرى يعيد فيها الآخرون تدبر مواقفهم ومراجعة تصرفاتهم !

كانت القاهرة كما تظهر شواهد الأحداث وتطوراتها ـ متفائلة أكثر من اللازم بالنسبة لموقف وزارة حزب العمال فى بريطانيا ، وبالنسبة لغيرها من الأطراف أيضا . وبصرف النظر عن كل محاولات السياسة المصرية لإبقاء بعض الأبواب مفتوحة والطرق سالكة ، فقد كان هناك أطراف آخرون لا يهمهم ذلك ، وربما لا يريدونه . فالطرف الآخر فى الصراع فى شبه الجزيرة العربية كلها فى ذلك الوقت ، بما فيها الجنوب العربى والخليج ، لم يعد الوزارة العمالية البريطانية وحدها ولا الحكومة البريطانية بكافة أجهزتها ، وإنما كثر الأطراف واتسع نطاقهم وتشابكت وتقاطعت خططهم !

كانت هناك الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة وعلاقاتها واتصالاتها بالتحالف الثلاثى لمصالح البترول والسلاح والمخابرات . ثم كان هناك هذا التحالف نفسه ، وإلى جانب هؤلاء جميعا كان هناك الحلف المركزى الذى تكشف وثائقه عن محضر اجتماع عقد فى تلك الفترة للمجلس الوزارى للحلف ورأسه وزير الخارجية الإيرانى الذى ورد عنه قوله فى الصفحة السابعة من هذا المحضر بالحرف :[٣]

« إن المحاولات التى تجرى بين السعودية ومصر حول اليمن لن تتوصل إلى حل حقيقى ، فناصر ليس مخلصا فى أى اتفاق . وحكومة شاهنشاه إيران لا تعرف حكومة عربية لم تظهر لها ضيقها من تصرفات النظام الديكتاتورى المصرى . وإذا استطاع ناصر أن يسحب قواته من اليمن فسوف يستعملها فى مكان آخر لإثارة القلاقل ، ولذلك فإننا نوافق حكومة جلالة الملكة (البريطانية) على أنه لا ينبغى لدولنا أن تسمح بسحب القوات المصرية

---

(٣) وثائق الحلف المركزى الذى كان فى الأصل حلف بغداد ، وبعد الثورة العراقية غير اسمه إلى اسم الحلف المركزى ، وقد كانت هذه الوثيقة ضمن مجموعة أوراق قصر « نيافاران » ، ونشرت صورتها ضمن مجموعة الوثائق التى أذيعت بعد الثورة الإيرانية (المجلد ١٨) .

سليمة من اليمن ، والأفضل أن تظل معطلة (stuck) هناك بدلا من إعطائها رخصة للعمل بحرية فى مكان آخر . »

وأخيرا كانت هناك عناصر متفرقة جمعتها أهداف متباينة ، وبينهم حلف الأطلنطى ، وبينهم بعض دول أوروبا الغربية ـ ثم كانت هناك فى نهاية القائمة ـ أو بدايتها بمعنى أصح ـ إسرائيل التى كانت رؤاها أوسع من رؤى الآخرين وأكثر تحديدا وتركيزا .

□

وبدأت المشاكل تظهر ـ أولا ـ من حول اتفاقية جدة . كان الظن أن الاتفاقية واضحة ، فركائزها ثلاث نقط محددة :

١ ـ يقرر ويؤكد الشعب اليمنى رأيه فى نوع الحكم الذى يرتضيه لنفسه وذلك فى استفتاء شعبى فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ .

٢ ـ تعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الاستفتاء فترة انتقالية بقصد الإعداد والترتيب للاستفتاء المذكور .

٣ ـ تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى تشكيل مؤتمر انتقالى يتكون من ٥٠ عضوا ويمثل جميع القوى الوطنية وأهل الحل والعقد للشعب اليمنى بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة حسب ما يتم الاتفاق عليه .

وكانت هناك بعد ذلك أحكام تنفيذية لهذه المبادىء تدعو إلى اجتماع مؤتمر القوى الوطنية اليمنية فى مدينة « حرض » ، يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ . وفى نفس الوقت تقوم المملكة العربية السعودية بإيقاف مساعدتها العسكرية بجميع أنواعها أو استخدام الأراضى السعودية للعمل ضد اليمن ، كما تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب قواتها العسكرية من هناك فى ظرف ١٠ شهور ابتداء من يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ ـ أى ابتداء من يوم انعقاد مؤتمر القوى الوطنية اليمنية فى « حرض » وفى نفس الوقت توقف الاشتباكات المسلحة فى اليمن ، وتشكل لجنة سلام تتعاون فيها المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة .

ثم كان البند التنفيذى الأخير هو أن يظل هناك اتصال مباشر بين الرئيس « جمال عبد الناصر » والملك « فيصل » لتلافى حدوث أى مصاعب تقف فى طريق تنفيذ الاتفاق

كانت بداية المشاكل تصريح أدلى به الإمام المخلوع « محمد البدر » وقال فيه إنه سيرأس بنفسه مؤتمر « حرض » . وبعد ٢٤ ساعة صدر تصريح آخر بأن الأمير « الحسن » عم « البدر » هو الذى سيرأس هذا المؤتمر . ثم صدر تصريح ثالث جاء فيه أن الأمير « عبد الرحمن » ابن عم « البدر » هو الذى سيرأس وفد الملكيين فى مؤتمر « حرض » . وبدت هذه التصريحات المتلاحقة غريبة ، فقد كان المؤكد أن الثورة فى اليمن قامت ضد أسرة « حميد الدين » . والقول بأن يرأس « البدر » ـ إمام اليمن المخلوع الذى قامت الثورة ضده ـ مؤتمر « حرض » ، يمثل تناقضا غير مقبول مع الواقع . ونفس الشىء كان ينطبق على رئاسة عمه للمؤتمر ، وأما رئاسة الأمير « عبد الرحمن » لوفد الملكيين فقد كان ـ مع مجانبته للحقائق ـ مسألة يمكن التجاوز عنها .

وعلى أية حال فقد انعقد مؤتمر « حرض » فى موعده . وفى الجلسة الأولى التى عقدت يوم ٢٣ نوفمبر أثار وفد الملكيين قضية غريبة ، هى طلبه بإلغاء اسم « الجمهورية العربية اليمنية » لأن بقاء هذا الاسم معناه أن الملكيين يعترفون بوجود شىء اسمه « الجمهورية » . ورد الوفد اليمنى الذى كان يرأسه « القاضى الايريانى » نائب رئيس الوزراء بأن فهمه هو أن الجانب الملكى يحضر المؤتمر بصفته وبوصفه ، كما أن الجانب الجمهورى يحضر المؤتمر بصفته وبوصفه . وأن هذا الوفد لا يستطيع أن يتخلى عن اسم « الجمهورية العربية اليمنية » إلاّ إذا جاءت نتيجة الاستفتاء الشعبى الذى سوف يجرى فى اليمن طبقا لاتفاقية جدة ـ أن الشعب اليمنى يريد إلغاء الجمهورية والعودة إلى النظام الملكى . وبالتالى فإنه حتى يتم الاستفتاء تحت رقابة وإشراف مصر والسعودية ، فإن الطرفين اليمنيين يحتفظ كل واحد منهما بالاسم الذى يمثله ، بل إن « القاضى النعمان » وهو نائب رئيس الوفد اليمنى قال إنه لن يعترض إذا قال الوفد الملكى فى مؤتمر « حرض » إنه يمثل « المملكة المتوكلية اليمنية » . ورفض وفد الملكيين أن تستمر الاجتماعات إلاّ إذا ألغى مقدما اسم « الجمهورية العربية اليمنية » . وكانت المشكلة أن رئيس الوفد السعودى فى مؤتمر « حرض » ، وهو الدكتور « رشاد فرعون » ، تبنى وجهة نظر الملكيين .

□

وعرفت القاهرة بموقف الدكتور « رشاد فرعون » من برقية ملتقطة أمكن حل شفرتها ، وكانت رسالة من الدكتور « رشاد فرعون » موجهة إلى الملك « فيصل » ، وكان نصها كما يلى :

« مولاى

كان المفروض أن يعقد المؤتمر جلسته الثانية فى الساعة الحادية عشرة من مساء هذا اليوم (٢٥ نوفمبر ١٩٦٥) (.)وفى الوقت المحدد قدم إلى هيئة المراقبة كل من القاضى الايريانى والنعمان وأخبرونا أن الجانب الجمهورى مضرب عن الاجتماع لأن التفسير الذى أعطى لهم فى صنعاء هو غير ما فهموه هنا من إحلال نظام آخر لا ملكى ولا جمهورى فى فترة الانتقال وعلى أن يكون الاستفتاء هو الذى سيحدد نوع الحكم (.) فقلت لهم من أين فهمتم هذا التفسير (.) فأجابوا من السفير أحمد شكرى[٤] ومن المشير فى القاهرة والسيد أنور السادات (.) فقلت إذا كان هذا مفهومكم فلا يمكن المناقشة (.) وغادرت المكان وكلفت محمود عبد الهادى بأن يذهب للجانب الملكى فى مقر الاجتماع ويذكر لهم أن الجلسة قد تأجلت لحين إشعار آخر ويشكرهم على تجاوبهم (.) احترامانى مولاى (.)

رشاد فرعون »

وتم اجتماع فى القاهرة بين السفير السعودى « محمد على رضا » والسيد « حسن صبرى الخولى » الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية . وحاول السيد « حسن صبرى الخولى » أن يشرح للسفير أن إسقاط اسم الجمهورية العربية اليمنية قبل أن يتم الاستفتاء وتظهر نتائجه هو حكم مسبق لا يستطيع أحد أن يتحمل مسؤوليته فضلا عن أنه غير منطقى . فالطبيعى فى ظرف من هذا النوع أن يظل كل طرف محتفظا بموقفه حتى يقول الشعب اليمنى كلمته ويظهر رأيه . ويضاف إلى ذلك أن هناك مشكلة عملية ، فأغلبية دول العالم ـ بما فيها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ـ معترفة بحكومة الجمهورية العربية اليمنية . فإذا كان على هذا الاسم أن يتغير لكى تتم بدلا منه اعترافات بنظام آخر فى اليمن ، فمن الطبيعى أن يكون ذلك نتيجة لاحقة للاستفتاء الشعبى وليست سابقة عليه . ونفس القاعدة تنطبق على حقيقة أن الجمهورية العربية اليمنية هى التى تجلس فى مقعد الجمعية العامة للأمم المتحدة وتشترك فى نشاط المنظمة الدولية باسم اليمن . ولابد لتغيير هذا الوضع أن يكون بدوره مستندا على نتيجة الاستفتاء .

---

(٤) كان سفيرا مصريا مقيما فى اليمن فى ذلك الوقت .

كمال أدهم

السفير السعودى محمد على رضا يصغى لحديث الرئيس عبد الناصر .

وفى هذه المقابلة أبدى السفير السعودى رأيا ورد فيه أن الملك « فيصل » بعث يسأله عن السبب الذى من أجله لم يبدأ العمل بالبند التنفيذى السادس فى اتفاقية جدة ، وهو انسحاب القوات المصرية من اليمن ؟ ـ ورد السيد « حسن صبرى الخولى » **بأن السفير قد يلاحظ أن اتفاقية جدة تنص على انسحاب القوات المصرية من اليمن فى ظرف عشرة شهور تبدأ من انعقاد مؤتمر « حرض » . وها هو مؤتمر « حرض » يتعرض للمشاكل منذ أول**

يوم . وعلق السفير « محمد على رضا » بقوله بالنص طبقا للتقرير الذى كتبه السيد « حسن صبرى الخولى » :[5] .

« بصراحة ، الرجل مذعور من وجود قواتكم على حدوده . والعقدة يمكن حلها لو قال الرئيس فى خطبة أو تصريح أو ذهب إليه المشير عامر ليقول له إن القوات سوف تنسحب . إذا حدث هذا الشىء « خذوا من ذقنه مثل ما بتريدوا » .، ثم ألمح السفير السعودى فى نفس المقابلة إلى أنه « إذا لم تتحرك الأمور فإن الملك سوف يعيد مساعداته للملكيين بعد أن أوقفها » .

□

وحين قرأ « جمال عبد الناصر » هذه المذكرة التى كتبها السيد « حسن صبرى الخولى » اتصل به تليفونيا يطلب إليه أن يذهب لمقابلة السفير السعودى على الفور وأن يخطره بأن المشير « عبد الحكيم عامر » جاهز للسفر فى أى وقت لمقابلة الملك تلافيا لأى شوء فهم مبكر يعرض اتفاقية جدة للخطر .

وعرف « جمال عبد الناصر » برد الملك على اقتراحه من قبل أن يقوم السفير السعودى بإبلاغه للسيد « حسن صبرى الخولى » . فقد التقطت محطات التسمع التابعة للمخابرات العامة نص برقية بعث بها الديوان الملكى السعودى إلى سفيره فى القاهرة . وكان نصها كما يلى :

« من جلالة الملك للسفير السعودى

جوابا لبرقيتكم رقم ٥٦/٣٠ (.) لقد جاء منكم اقتراح مجىء المشير عبد الحكيم عامر للرياض (.) وهذا شىء يسرنا الاجتماع به كما تعلمون ولكن نخشى أن تفسر أن هناك اختلافات كبيرة بيننا وإخواننا فى مصر فلذلك نرى أن المباحثات الجارية بيننا بواسطتكم أو حتى مجيئكم أنتم والسيد حسن صبرى الخولى إلينا ثم التوجه لحرض حينما تصلون إلى اتفاق واضح للاتفاقية المعقودة بجدة (.) كما سبق وأوضحنا لك وجهة نظرنا ومفهومنا لها حسبما مر بنا من مناقشات أثناء المباحثات فى جدة وبعدها فهذا طيب حتى توضح

---

(٥) تقرير كتبه السيد « حسن صبرى الخولى » تحت عنوان « مذكرة للعرض على السيد رئيس الجمهورية بشأن مقابلة الشيخ محمد على رضا سفير السعودية بالقاهرة يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ » ــ وأصله محفوظ فى ملفات وزارة الخارجية المصرية .

للأمور المائعة فى حرض حدود وننهى المفاهيم المختلفة إلى الشىء الثابت فى أذهاننا جميعا (.) هناك موضوع نود أن تحيطوا به علما وهو أن البحث فى بقاء اسم الجمهورية فى فترة الانتقال أمر غير قابل للبحث مطلقا كما أننا لم نحاول بقاء اسم الملكية فى هذه الفترة حسب النقاش والمفهوم الذى سبق أن ذكرناه لكم (.) لقد كتبنا لرشاد على أننا لا نوافق على فض المؤتمر مطلقا ما لم يصلوا إلى اتفاق سلمى طبقا لما جاء فى اتفاقية جدة (.) هذا ما أحببنا أن نوضحه لكم ونتمنى لكم من الله التوفيق (.)

فيصـــل »

وقام السفير فى اليوم التالى بنقل فحوى رسالة الملك إلى السيد « حسن صبرى الخولى » ، وكانت النقطة المركزية فيها هى إصرار الملك على إلغاء اسم الجمهورية العربية اليمنية قبل إجراء الاستفتاء الشعبى . وأضاف السفير إلى ما جاء فى رسالة الملك ملاحظة جانبية لفتت نظر السيد « حسن صبرى الخولى » الذى سجلها فى الصفحة الثانية من تقريره عن المقابلة (البند رقم ٦) وجاء فيها :

« إن تفكير الملك فى الواقع محصور فى النقط الثلاث التالية :

أ - يطلب الملك تأكيدنا لسحب القوات المصرية من اليمن .

ب - مفهومه لاتفاقية جدة أنها تقضى بتذويب الجمهورية .

جـ - إنه ليست لديه اقتراحات محددة ، ولكنه لا يمانع فى أن يسمع من القاهرة أى اقتراحات محددة فى إطار ما سبق ذكره . » .

□

ولم يكن ممكنا أن يظل مؤتمر « حرض » منعقدا فى انتظار انتهاء كل هذه المناقشات . وهكذا تأجلت أعمال المؤتمر ، وانفض انعقاده ريثما يتم العثور على مدخل جديد لمناقشة القضايا المعلقة .

وكلف السيد « حسن صبرى الخولى » بمقابلة السفير السعودى فى القاهرة ومناقشة الخطوات التالية المقترحة معه . وكتب السيد « حسن صبرى الخولى » مذكرة « للعرض على السيد رئيس الجمهورية » عن المقابلة بينه وبين السفير السعودى ، وكان نص المذكرة كما يلى :

« ١ ـ طلبت مقابلة الشيخ محمد على رضا سفير السعودية ، وتمت المقابلة فى مكتبى ظهر اليوم واستغرقت ٣٥ دقيقة .

٢ ـ ذكرت له أنه بمناسبة تأجيل مؤتمر حرض لنهاية شوال القادم ، ورغبة منا فى الوصول إلى اتفاق والمحافظة على اتفاقية جدة نرى أن هذه فرصة لإعادة البحث والاتفاق والدخول إلى المؤتمر فى جلساته المقبلة بخطة موحدة ومدروسة ومتفق عليها .

٣ ـ أضفت أنه من المناسب أن يحضر للقاهرة شخصية سعودية رسمية يختارها الملك ، ويكون لديها التفويض الكامل للبحث والاتفاق على تلك الخطة الموحدة حتى فى تفاصيلها .

٤ ـ وأخيرا ذكرت له أنه بمناسبة موسم الحج فإننا نرغب فى الحصول على مبلغ فى حدود مليونى جنيه استرلينى بالريالات السعودية لمقابلة نفقات الحجاج المصريين الذين سيتراوح عددهم بين ٢٠ و٢٥ ألف حاج . ويتم سداد المبلغ فى إطار الاتفاقيات التجارية القائمة بين البلدين .

وعد بالإبراق للملك بذلك .

(أثرت البند ٤ بناء على طلب الدكتور لبيب شقير وزير الاقتصاد) . »

وجاء رد الملك فى اليوم التالى على شكل رسالة من الديوان الملكى إلى السفير ، كان على النحو التالى :

« ١ ـ بخصوص حضور شخصية سعودية مفوضة يتساءل الملك عن الموضوعات التى يمكن أن تبحث ، لأن الاتفاقية فى رأيه واضحة وصريحة وتتناول قسمين رئيسيين : الأول يختص باليمنيين ، وهذا يمكن بحثه فى مؤتمر يضمهم ـ والقسم الثانى يتناول العلاقات المباشرة بين القاهرة والرياض ، وهو يتلخص فى المادة (٥) والمادة (٦) من اتفاقية جدة (وقف مساعدة السعودية للملكيين وانسحاب القوات المصرية من اليمن) وهذان البندان لا يحتاجان لإعادة بحث .

٢ ـ وأما الموضوع الخاص بمبلغ الاثنين مليون جنيه فالملك يطلب أن يتم اتصال مباشر بين البنك المركزى ومؤسسة النقد السعودية . »

□

وكان السؤال الذى يلح على « جمال عبد الناصر » فى تلك الظروف هو « **هل هذه المواقف كلها صادرة عن العناد المأثور عن الملك فيصل أو أن مصدرها شىء أو أشياء غير ذلك ؟** ». وتولت التطورات المتلاحقة مهمة الإجابة على هذا السؤال . ففى الأسابيع الأخيرة من سنة ١٩٦٥ تلاحقت أربعة تطورات كأنها حلقات فى سلسلة واحدة :

١ - أعلنت المملكة العربية السعودية أنها نظرا لما أحاط بمؤتمر « حرض » من تعقيدات فقد قررت سحب ممثليها من لجنة الرقابة المشتركة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن . وبالفعل اختفى المندوبون السعوديون ذات صباح بدون سابق إخطار من كل المواقع التى كانوا فيها فى اليمن .

٢ - ثم قامت الحكومة السعودية بإبلاغ الأمين العام لجامعة الدول العربية أنها قررت الانسحاب من الصندوق العربى لدعم إمارات الخليج ، وأنها من الآن فصاعدا سوف تقدم دعمها لهذه الإمارات مباشرة وبوسائلها الخاصة .

٣ - ثم أعلن الملك « فيصل » فى خطابه بمناسبة موسم الحج أنه قرر الدعوة إلى مؤتمر للدول الإسلامية ليكون منها تجمع دولى جديد (كان ذلك من وجهة نظر القاهرة تذويبا لإمكانيات العمل العربى المشترك فى محيط واسع لا يمكن أن تجمعه نظرية أمن واحدة ، أو سوق مشتركة واحدة أو إدارة سياسية واحدة . وكانت القاهرة بالفعل قد أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامى للعمل من أجل الدعوة الإسلامية ، والتواصل الثقافى والفكرى بين العالم الإسلامى ورعاية الشؤون المشتركة بين المسلمين أينما كانوا) . وهكذا بدت الدعوة الجديدة محاولة لإعادة بعث فكرة الحلف الإسلامى التى ألحت السياسة الأمريكية فى طرحها فى مرحلة سابقة من أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات .

□

وكان التطور الرابع فى هذه السلسلة هو أحفلها جميعا بالدلالات . فقد كشفت مناقشة جرت فى مجلس العموم البريطانى عن صفقة سلاح ضخمة عقدتها المملكة العربية السعودية مع الحكومة البريطانية بتدخل وتنسيق مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .

بدأت المناقشة فى مجلس العموم فى بداية سنة ١٩٦٦ بسؤال موجه من المستر « اينوك باول » المتحدث باسم المعارضة المحافظة فى مجلس العموم لشؤون الدفاع ، عن حقيقة ما يقال من أن الحكومة البريطانية اشترت من الولايات المتحدة صفقة طائرات من طراز « ف ـ ١١١ » . ثم أضاف مقدم السؤال رأيه بأن إقدام الحكومة البريطانية على شراء طائرات أمريكية يعتبر ضارا بصناعة الطائرات البريطانية سواء فى سمعتها أو إمكانيات تقدمها . كما أن هذه الصفقة تشكل عبئا ماليا على الحكومة البريطانية لم يكن له داع . ورد المستر « دينيس هيلى » وهو وقتها وزير الدفاع فى حكومة العمال قائلا « **إن دافع الضرائب البريطانى لن يتحمل بنسا واحدا فى صفقة الطائرات الأمريكية ، لأن الحكومة الأمريكية قامت بتسهيل عقد صفقة طائرات بريطانية للسعودية ، وسوف تدفع الحكومة السعودية ثمن الطائرات البريطانية وهى من طراز « لايتننج » نقدا وفورا فى حدود ١٤٥ مليون جنيه استرلينى ، أو ما يوازى ٤٠٠ مليون دولار وقتها** » !

ولم يكن فى مقدور الحكومة السعودية أن تلزم الصمت فأذاعت وزارة الدفاع والطيران بيانا صحفيا قالت فيه بالنص إنه قد « **تم توقيع العقود النهائية بين المملكة العربية السعودية ، وبين كل من شركة « راثيون » الأمريكية لتزويد المملكة بالصواريخ ، والشركتين البريطانيتين « بريتيش ايركرافت كوربوريشن » المنتجة للطائرات « لايتننج » وشركة « هوكر ـ سيدلى » المنتجة لطائرات « هوكر ـ هنتر » وذلك لتزويد المملكة العربية السعودية بالطائرات الحربية الحديثة . كما أنه تجرى حاليا مباحثات أخرى مع شركتى « اير ووركس سيرفيس » و« أسوشيتد اليكتريكال اندستريز » للقيام بأعمال الصيانة والتدريب وإقامة شبكات الرادار والمواصلات اللازمة للدفاع الجوى ، وأن هذه الخطوات جزء من تدعيم القوات المسلحة للمملكة وتجهيزها بأحدث الأسلحة لتكون قادرة على القيام بمسؤولياتها تجاه العالمين العربى والإسلامى وتجاه أمن المملكة ، وكذلك مسؤولياتها تجاه القيادة العربية الموحدة وفقا لقرارات مؤتمر القمة العربية .** »

وفى شهر ابريل ١٩٦٦ كانت صفقة الاسلحة للسعودية لا تزال تناقش فى مجلس العموم البريطانى . ونقلت وكالة « اليونايتد برس » بتاريخ ١٢ مايو ١٩٦٦ برقية من لندن قالت فيها بالحرف :

« أكد فريد موللى وزير الطيران البريطانى أن صفقة الأسلحة للسعودية هى صفقة أمريكية ـ بريطانية مشتركة ، وأن بريطانيا هى التى سنعت لجعلها كذلك . وأوضح أن هذه الصفقة كانت أمريكية صرفة فى الأصل . ولكن

اتصالات أجرتها بريطانيا مع الولايات المتحدة ثم مع المملكة السعودية بموافقة الولايات المتحدة أدت فى النهاية إلى اشتراك بريطانيا فيها . »

ثم أضاف الوزير البريطانى طبقا لـ « يونايتد برس » :

« لقد عرفنا من منتصف سنة ١٩٦٥ أن المملكة العربية السعودية تريد شراء ٥٠ طائرة حربية جديدة ، ثم عرفنا فى شهر أكتوبر الماضى أن المملكة السعودية اختارت عرضا تقدمت به شركة « لوكهيد »[٦] الأمريكية ، ولكن

« روى جنكنز » الذى كان يشغل منصب وزير الطيران وقتئذ - وهو وزير الداخلية الآن - اقترح فى ذلك الوقت أن تكون الصفقة مشتركة بين بريطانيا والولايات المتحدة . وقد استطاع المستر « جون ستونهاوس » السكرتير البرلمانى لوزارة الطيران - أثناء زيارة قام بها للمملكة السعودية بموافقة من الحكومة الأمريكية - أن يصل إلى ترتيبات تجعل الصفقة بالفعل بريطانية - أمريكية مشتركة . »

ثم عرف أن ١٦٠٠ خبير عسكرى بريطانى وأمريكى سافروا فعلا إلى السعودية لأعمال التدريب والإنشاء والتشغيل للصفقة الجديدة .

والغريب أن أصداء هذه الصفقة ترددت فى الولايات المتحدة . فقد سئل وزير الدفاع لأمريكى « روبرت ماكنمارا » عن هذه الصفقة أثناء مناقشة جرت فى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى . وقال « ماكنمارا » طبقا لمحضر جلسة اللجنة (الصفحة ١٢) :

« سوف أقرأ أمامكم مذكرة سجلت فيها مناقشة جرت أخيرا مع ممثل دولة لن أذكر اسمها رغبة فى عدم إحراجها ، وإنما سوف أكتفى بالإشارة إليها بحرف (د) . قال لنا ممثل الدولة (د) ما يلى :

« إننا نشعر بالقلق لأن السوفيت قدموا إلى جار لنا كمية من الأسلحة ونحن نطلب منكم أن تزودونا بما يكفى لمواجهة ما لديهم » .

---

(٦) كانت هذه الصفقة بداية طوفان من مشتريات السلاح . ويلاحظ أن وكيل شركة لوكهيد ، كما ظهرت من تحقيقات الكونجرس ، هو السيد « عدنان خاشقجى » وهو أحد الشخصيات الظاهرة فى مجموعة القوة التى استكملت دورها فى تلك الظروف ضمن تحالف السلاح والمخابرات والبترول .

وعندما سمعنا منه ذلك بلسان دولته ، فإننا وافقنا على هذا الطلب بشروط ثلاثة مقيدة :

١ ـ أن لا تستعمل أسلحتنا إلاّ فى أغراض الدفاع المشروع عن النفس .
٢ ـ أن لا تستعمل أسلحتنا ضد إسرائيل .
٣ ـ أن لا تحوّل أسلحتنا تحت أى سبب لحيازة طرف ثالث . »

وكانت الصورة الكاملة لهذه التطورات كلها بكافة تفاصيلها ومعانيها داعية للقلق من وجهة نظر القاهرة على الأقل !!

الفصل الثالث

محاولات للتهدئة !

فى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٦٥ ، والشهور الأولى من سنة ١٩٦٦ - ورغم محاولات متعددة على جبهات مختلفة لاستثارته - كان « جمال عبد الناصر » يشعر بحسه أن دواعى الحرص واليقظة تدعوه إلى ممارسة سياسة تهدئة عامة فى المنطقة . لم تكن الصورة التى ترسمها الوثائق المتاحة الآن من ملفات وزارات خارجية الدول الكبرى ومخابراتها ، فى متناول يده بالطبع فى ذلك الوقت - لكن تصرفاته على نحو أو آخر فى تلك الفترة يمكن أن تكون إشارات إلى أنه وإن لم يكن يعرف بالضبط ما كان يدبر فى الخفاء - إلاّ أنه كان يستشعره . ولقد أحس - على حد تعبيره فى اجتماع للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى عقدت فى منتصف شهر أكتوبر سنة ١٩٦٥ - « أن الموقف فى المنطقة يجرى تسخينه بشدة ، ولا يصح أن نجارى عملية التسخين هذه . وبالعكس فأعتقد أننا مطالبون بتلطيف الأجواء وإلاّ فإننا سوف نجد أنفسنا « مجرورين » إلى حيث لا نريد . وأنا دائما من أنصار متابعة الهدف ، ولكن فى الاستراتيجية متابعة الهدف لا تعنى بالضرورة أن يذهب الواحد إلى هذا الهدف

بخط مباشر . هناك نظرية الاقتراب غير المباشر . وبها يظهر المحارب لبعض الوقت أنه يبتعد عن هدفه ، والحقيقة أنه يبتعد لكى يقترب من طريق أطول وإنما مأمون أكثر . »

كان هذا الأسلوب فى الاقتراب غير المباشر إلى الهدف هو الذى جعل « جمال عبد الناصر » يسيطر بسرعة على ردود فعله إزاء الضغط الأمريكى بواسطة مبيعات القمح فى أواخر سنة ١٩٦٤ . وكان هو الذى مكنه من أن يقرأ رسالة « جونسون » إليه بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٦٥(١) بغير انفعال . وكان هو الذى أقنعه بأن ينتظر ولا يرد على هذه الرسالة حتى يستقبل المستر « فيليبس تالبوت » المبعوث الخاص لـ « جونسون » وقد جاء لإيضاحات لها لم تكن أحسن كثيرا من نصوصها . وكان هو الذى قاده إلى رحلة جدة فى محاولة للتفاهم مع الملك « فيصل » حول اليمن فى أغسطس ١٩٦٥ . وكان هو الذى ساعده على الصبر إزاء ما بدا له من تعسف الملك فى تفسير اتفاقيات جدة .

وكان شعور « جمال عبد الناصر » بالنسبة للموقف الداخلى هو نفس شعوره إزاء الموقف فى المنطقة كلها . كان تقديره أن الموقف الداخلى معرض للضغط عليه بعنصرين :

- **العنصر الأول : عبء تنفيذ خطة التنمية الأولى داخلا فيها المرحلة الأولى من السد العالى . ومع أن الخطة نجحت نجاحا هائلا أشاد به البنك الدولى فى تقاريره ، فإن التكلفة بدت مرهقة .**

- **وكان العنصر الثانى : هو الآثار النفسية والاقتصادية لحرب اليمن التى تغيرت طبيعتها فأصبحت حرب حكومات خفية وأجهزة مخابرات دولية وتجمع احتكارات بترول وسلاح ، وخطط سيطرة امبراطورية تحارب بشراسة معركة المشهد الأخير !**

ولقد لاحظ بوضوح أن الوضع فى المنطقة يحدث انعكاسات محسوسة على الوضع داخل مصر ، **وقد بدا ذلك فى نشاط متزايد للتنظيمات السرية للإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ . كما بانت له آثار فى النشاط المعادى للنظام من جانب بعض عناصر الطبقة القديمة قبل الثورة .**

---

(١) رجاء مراجعة صفحة ١٥٣ فى الفصل الثانى من الباب الثانى لهذا الكتاب ، وهى تتضمن فقرات كاملة من رسالة « جونسون » .

ومع الأخذ بمواقف حزم تجاه قضايا محددة مثل المواجهة مع تنظيم الإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ ، وتشديد الضغط على عناصر الطبقة القديمة الذى عبر عن نفسه فيما بعد بإنشاء لجنة تصفية الإقطاع سنة ١٩٦٦ ـ فإنه بصفة عامة راح ينتهج خطا عريضا يسعى إلى تقليل درجة حرارة الوضع الداخلى .

وفى هذا الإطار كان قراره فى أكتوبر سنة ١٩٦٥ بتغيير وزارة السيد « على صبرى » وتكليف السيد « زكريا محيى الدين » بتشكيل وزارة جديدة .

□

كان « **زكريا محيى الدين** » عضوا بارزا فى مجلس قيادة الثورة ، ثم وزيرا للداخلية ، ونائبا لرئيس الجمهورية . وكان يجمع عدة ميزات بدت جميعها صالحة لمرحلة التهدئة .

وقد قوبلت وزارة « زكريا محيى الدين » الجديدة فى الخارج والداخل بنوع من الارتياح الظاهر ، فقد ترجمت على الفور اتجاها نحو التهدئة .

وبعد أسبوع واحد من تشكيل وزارة « زكريا محيى الدين » كتب السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » برقية إلى وزير الخارجية الأمريكى جاء فيها بالنص :(٢)

« إن تشكيل حكومة محيى الدين ، وإن كان قد تم لأسباب تتعلق بالأوضاع الداخلية من شأنه أن يؤدى إلى تحسن كبير فى علاقاتنا ، بشرط أن نلتقى بالجمهورية العربية المتحدة فى منتصف الطريق عن طريق المعونة . والاعتقاد أن علاقاتنا عادت إلى حالتها الطبيعية يسود الآن بين المسؤولين المصريين الذين قابلتهم فى الأيام الأخيرة بصورة غير رسمية . وإذا كانوا لم يعبروا عن آرائهم بكلمات صريحة ، فقد أشاروا إلى أنهم يعتقدون أن حكومة محيى الدين ترمز إلى عهد جديد فى العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة . وقد أعجبنا فى هذا الصدد بالنهج البراجماتى الذى تتخذه الحكومة الجديدة إزاء المشاكل الاقتصادية والإدارية ، وعزمها الواضح على التركيز على الشؤون الداخلية . وليس معنى ذلك أن المصريين تخلوا عن المغامرات ، ولكن يبدو أنه سيكون من الأيسر التعامل

---

(٢) البرقية رقم ٧٢٣٩ من مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية لسنة ١٩٦٥ .

مع « محيى الدين » والتعاون معه عما كان عليه الحال مع حكومة على صبرى .

وبالتحديد فإننى أرجو عندما يقوم وزير الخارجية الأمريكى باستقبال الدكتور القيسونى (نائب رئيس الوزراء المصرى للشؤون الاقتصادية) يوم ١٢ أكتوبر أن يقدم له عرضا محددا بشأن المعونة بمقتضى القانون (٤٨٠) ، ويستحسن أن يكون العرض وفقا للشروط التى وردت فى برقية السفارة رقم (٩٤٠) وأن تكون شروطه مناسبة ، على الأقل مثل الشروط التى منحت لبلدان مثل يوغوسلافيا . مع أننى مدرك تماما للصعوبات التى تكتنف ذلك .

إن أمامنا الآن فرصة غير عادية لإقامة التعاون بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة على أساس جديد . وأؤكد بكل قوة اعتقادى بأن التأخير فى اتخاذ القرار سيؤدى حتما إلى ضياع هذه الفرصة .

(إمضاء)

« باتـــل »

□

وتضم مجموعة وثائق الخارجية الأمريكية مذكرة(٣) عن الاجتماع المنتظر للدكتور « عبد المنعم القيسونى » مع المستر « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكى . وتسجل المذكرة أن الاجتماع تم فى غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتب وزير الخارجية فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٥ . كما تسجل أن الوفد المصرى فى الاجتماع كان مكونا ـ مع الدكتور « القيسونى » ـ من الدكتور « نزيه ضيف » وزير الخزانة ، والدكتور « حامد السايح » وكيل وزارة الاقتصاد ، والدكتور « مصطفى كامل » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن . وأما الوفد الحاضر مع وزير الخارجية الأمريكى فقد كان يتكون من « ويليام جود » نائب مدير وكالة المعونة الأمريكية ، و« ريموند هير » مساعد الوزير لشؤون الشرق الأدنى ، و« ايرل راسل » رئيس قسم مصر وسوريا فى وزارة الخارجية .

وتسجل مذكرة الخارجية الأمريكيه عن الاجتماع أنه بدأ بأن قال المستر « راسك »

---

(٣) البرقية رقم ١٠٨٠٤ من مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية لسنة ١٩٦٥ .

(وزير الخارجية) للدكتور « القيسونى » إنه قبل أن يدخل قاعة الاجتماع معه « كان على التليفون مع الرئيس جونسون » . وأن الرئيس « جونسون » كلفه بأن يقول لنائب رئيس الوزراء المصرى إنه تأثر ببرقية قرأها هذا الصباح مرسلة إليه من الرئيس ناصر بمناسبة شفائه من عملية جراحية أجريت له لاستئصال المرارة . ومع أنه سوف يرد ببرقية شكر على الرئيس ناصر إلاّ أنه رأى ألاّ ينتظر فى تبليغ شكره مباشرة إلى نائب رئيس الوزراء المصرى حتى يستعجل نقله إلى الرئيس ناصر .

ثم طلب « راسك » إلى الدكتور « القيسونى » أن يعرض ما لديه . وطبقا لمذكرة الاجتماع فقد بدأ الدكتور « القيسونى » بتوجيه الشكر إلى « راسك » الذى بذل جهده لاحتواء الأزمات التى ثارت بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية . وأضاف أنه يعرف أن بعض هذه الأزمات أثارت الكونجرس ، ولكنها كانت جميعا فى الحقيقة لا تعبر عن تغيير فى سياسة الجمهورية العربية المتحدة . ورد « راسك » قائلا إنه « لا يستطيع أن يقلل من أهمية هذه الأزمات ، ولكنه يرى من المستحسن إلقاءها خلف ظهورنا والسير إلى الأمام » .

وانتقل الدكتور « القيسونى » إلى احتياجات الجمهورية العربية المتحدة من واردات القمح . وسأله « راسك » عن الكميات وتوقيتات التوريد التى يقترحها ؟ وقال الدكتور « القيسونى » إنه « يأمل فى تجنب التوتر الذى يصاحب وضع توقيتات ضيقة كما حدث فى الماضى . فهو يفهم أن توريد المواد الغذائية له هدف سياسى ، ونشوء توترات مفاجئة بسبب ضيق توقيتات التوريد يضيع الفائدة من هذا الأثر السياسى » .

وهنا أثار وزير الخارجية الأمريكى نقطة أخرى قائلا : « ولكن هناك مشكلة ، فأنتم بسبب المياه التى توفرت لكم من السد العالى بدأتم تصدرون كميات كبيرة من الأرز ، وقد سألنى الرئيس « جونسون » الآن عن السبب الذى يجعلنا نبيع أغذية بشروط ميسرة لبلدان هى نفسها مصدرة للأغذية » . وتساءل الوزير عن « موقف الجمهورية العربية المتحدة من هذه المسألة » . ورد الدكتور « القيسونى » قائلا « إن القضية فى نظر حكومته هى قضية الموقف الاقتصادى العام فى البلاد . وأن الجمهورية العربية المتحدة استخدمت فى السنوات الماضية السلع التى حصلت عليها بمقتضى القانون (٤٨٠) أحسن استخدام لتعزيز النمو الاقتصادى بحيث أصبح المعدل السنوى الآن للزيادة فى الناتج القومى الإجمالى أكثر من ٧ ٪ سنويا . وأن الشعب المصرى يشعر من خلال تطوره الاقتصادى أنه حقق نجاحا وإنجازا ، وأنه كلما زاد معدل النمو زاد الشعور بالاستقرار ، وزادت القوى التى يمكن أن توجه نحو البناء والتقدم . »

وعاد « دين راسك » يثير قضية أخرى غير قضية الارز . **فقد لاحظ « أن الجمهورية العربية المتحدة تستكمل احتياجات استهلاكها من القمح ـ زيادة عما تنتجه وعما تحصل عليه من الولايات المتحدة الأمريكية ـ من السوق العالمية ، وهو لا يفهم لماذا لا تشترى الجمهورية العربية المتحدة هذه الكميات الإضافية من الولايات المتحدة؟ » ورد الدكتور « القيسونى » بقوله « إن بلاده تشترى هذه الكميات من الموردين الذين يعرضون أحسن الشروط مثل المكسيك واليونان وفرنسا » .**

ولم تسجل مذكرة وقائع الاجتماع أنه توصل إلى نتيجة نهائية . ولقد كان مما يلفت النظر فى هذه المذكرة أنها تحمل فى أعلاها تأشيرة نصها « إلى المستر روبرت كومر » وهو مسؤول مجلس الأمن القومى الأمريكى الذى كان يشرف فى ذلك الوقت على التنسيق مع إسرائيل وعلى جهود الحكومة الخفية فى حرب اليمن ، والآن كان هو المرجع فى حرب القمح أيضا !

□

وظل الدكتور « عبد المنعم القيسونى » فى واشنطن عدة أيام عقد خلالها عدة اجتماعات مع مسؤولين فى وزارتى الخارجية والاقتصاد ، وقد قدم فيها طلباته من القمح مع جدول التوقيتات والمواعيد . وعندما بلغت زيارته لواشنطن نهايتها لم يكن قد تلقى ردا قاطعا على كل ما طلب ، وإن كان قد تلقى بدلا من ذلك طلبات من نوع آخر . **فقد طلب إليه وزير التجارة الأمريكى رعاية مصالح بعض المستثمرين الأمريكيين فى مصر ، كما سافر إلى لقائه فى واشنطن رئيس مجلس إدارة شركة « شل » يرجوه فى تسهيل قبول الحكومة المصرية لعرض تقدمت به شركة « شل » للتنقيب عن البترول فى خليج السويس .**

وبعد عودة الدكتور « القيسونى » للقاهرة بيومين بعث السفير « مصطفى كامل » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن ببرقية شفرية[٤] ، وقد جاء فيها بالنص ما يلى :

□ « أولا :

١ ـ سوف أتلقى ردا من وزارة الخارجية عن طلبات الدكتور القيسونى خلال أيام . وقد عرفت أن راسك أبرق اليوم للسفير باتل راجيا مهلة لا تتعدى أيام قليلة . أحسب أن السبب هو أن الكونجرس لم تنفض دورته بعد . ينتظر انتهاؤها خلال بضعة أيام .

---

(٤) البرقية الشفرية رقم ٢١١٨٥٣ / ٢٩٧ .

٢ ـ سأجتمع باكر على العشاء بجميع المسؤولين بالشرق الأوسط بالخارجية من القسمين الاقتصادى والسياسى لمتابعة ما يهمنا ، وسأوافيكم برقيا بالنتيجة .

٣ ـ وعلى كل حال فإنى أتوقع أن تسير الأمور حسب ما نرجو سواء بالنسبة لاتفاقية المواد الغذائية أو أوجه التعاون الاقتصادى الأخرى .

□ ثانيا :

١ ـ قد ترون التفضل بالنظر بالإفادة عما تم فى موضوع شركة شل بسبب الاعتبارات المعروفة .

٢ ـ سنبلغ وزير التجارة ما أنهيتم به إلينا حول عدم المساس بالأوضاع المتفق عليها مع المستثمرين الأمريكيين ، وهو أمر سيكون له أثر طيب سياسيا واقتصاديا .

السفير مصطفى كامل »

وكان السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » مازال يلح . وقد كتب إلى وزير الخارجية « دين راسك » برقية أخرى من القاهرة بعد عودة الدكتور « القيسونى » إليها ، وكان نصها كما يلى :[٥]

« سرى جدا

إلى الوزيـــــر

بينما تقوم حكومة محيى الدين بوضع صورة جديدة لسياسات الجمهورية نشعر بارتياح شديد بالفرصة المتاحة الآن لوضع صورة جديدة مماثلة للعلاقات الأمريكية العربية ، ويبذل « محيى الدين » جهدا مخلصا يبدو أنه يلقى فيه تأييدا من زملائه لتغيير الاتجاه إلى سيطرة الدولة الذى كان سائدا لدى سلفه ، وإلى التركيز على المشاكل الداخلية ، وإلى تقوية الصداقة مع الولايات المتحدة . ومن الواضح أنه يعتمد على القانون ٤٨٠ فى تقديراته ، وسوف يتوقف نجاحه أو فشله إلى حد كبير على قدرته على الاستمرار فى خطة التنمية الاقتصادية ، وعلى توفير الطعام للشعب المصرى فى نفس الوقت . ومن مصلحتنا أن ينجح . فالأرجح أن المصريين سيصبحون أشد

---

(٥) البرقية الرمزية رقم ١٩٢٥٨ بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥ ، أرسلت الساعة ٩,٣٤ صباحا .

خطورة إذا لم تنجح محاولتهم الحالية . كما أن مصلحتنا بنظرة عالمية هى تشجيع الاتجاه إلى الابتعاد عن نزعة السيطرة الشديدة للدولة .

هناك أدلة متزايدة على رغبة الجمهورية العربية المتحدة فى التعاون مع الولايات المتحدة ومع الغرب عموماً ، وبينها :

١ - تأكيدات القيسونى بشأن المستثمرين الأجانب (برقية السفارة رقم ١٠٨٠) .

٢ - الجهود التى تبذلها حكومة الجمهورية العربية المتحدة لتحسين العلاقات مع المؤسسات الأمريكية بما فى ذلك مختلف شركات النفط و« بارسونز » و« وايت مور » و «كوبرز » ، وقد أبلغنا ممثلو المؤسسات المعنية بتلك الجهود . وهم متفائلون تماما بشأن المناخ هنا فى المستقبل .

٣ - فى ٢٣ أكتوبر اتصل رئيس إدارة أمريكا الشمالية فى وزارة الخارجية المصرية بسفارتنا لإبلاغنا أن حكومته اتخذت تدابير لمنع تكرار نشر هجوم مدفوع الأجر فى الصحف المصرية ضد حكومة الولايات المتحدة - وهو شىء لم نستطع إقناع الحكومة بعمله فى الماضى .

٤ - إبعاد خالد محيى الدين اليسارى من رئاسة تحرير مؤسسة الأخبار .

٥ - رسالة الرئيس ناصر الودية إلى رئيسنا بمناسبة العملية الجراحية التى أجريت له .

وبعض هذه الخطوات أقل أهمية من الأخرى ، وقد اتخذت الخطوات ١ ، ٢ ، ٤ لأسباب داخلية ، وهى مع ذلك تشير إلى ميل فى اتجاهنا بغض النظر عن الدافع إليها . لكن كل يوم يمر بدون رد إيجابى بشأن الطلبات المتعلقة بالقانون ٤٨٠ يضعف من هذا الجو الودى ومن الاحتمالات طويلة المدى لحكومة محيى الدين . كما أنه يقلل من التأثير الذى يمكن أن يحدثه رد إيجابى . من الواضح لى تماما أننا الآن عند اللحظة السيكولوجية التى يحقق فيها الرد الإيجابى أكبر فائدة للولايات المتحدة وكذلك للجمهورية العربية المتحدة . وليس فى وسعنا أن نحدد إلى أى مدى تستمر هذه اللحظة السيكولوجية المثلى ، لكنها فى الغالب ستستمر لفترة تقاس بالأيام لا بالأسابيع . وبسبب الحاجة الملحة لضمان الإمدادات من القمح ، وكذلك بسبب تشكك الجمهورية العربية المتحدة الكامن فى أننا نستخدم القمح للضغط السياسى عليها ، فإن كل تأخير من جانبنا قد يفسد الموقف برمته .

ونظرا لاعتماد الجمهورية العربية المتحدة على استيراد الحبوب ، فإن علينا التزاما أدبيا بإعطائها ردا سريعا ولاسيما إذا كان القرار بالسلب ، حتى تتمكن على الأقل من محاولة وضع ترتيبات بديلة لإطعام الشعب المصرى . ونحن نحث بقوة على الرد السريع والإيجابى بصورة ما .

(إمضـــاء)

باتــل »

□

ولأسبوعين كاملين كانت مسألة بيع القمح فى مصر تبحث على مستوى مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض ، ووزارة الخارجية ، ووزارة التجارة . ومن المحتمل أن تكون هناك جهات أخرى شاركت فى البحث ، لكن الوثائق المتاحة لا تظهر دورها . وتكشف وثائق وزارة الخارجية الأمريكية عن وثيقة برقم (س/س ١٥٥٢٩) صادرة بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٦٥ ، موجهة إلى المستر « ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومى ، بطلب توقيع التوجيه الذى تتضمنه من الرئيس شخصيا . وقد بدأت الوثيقة بمذكرة تفسيرية جاء فيها بالنص :

« مذكرة إلى الرئيس **سرى للغاية**

□ الموضوع : قرار رئاسى بشأن استعمال القانون رقم ٤٨٠ فى بيع حاصلات زراعية للجمهورية العربية المتحدة .

□ التوصية : أن تقوموا بتوقيع مشروع القرار المرفق ومؤداه أن المبيعات المطلوبة للجمهورية العربية المتحدة بمقتضى القانون ٤٨٠ الباب الأول ضرورية للمصالح الوطنية للولايات المتحدة .

□ الأسباب : تنص المادة ١٠٧ من قانون تنمية التجارة والمساعدات الزراعية الصادر سنة ١٩٥٤ والتعديلات التى طرأت عليه فيما بعد على عدم تقديم أى مبيعات بمقتضى الباب الأول من ذلك القانون إلى الجمهورية العربية المتحدة إلاّ إذا قرر الرئيس أن تلك المبيعات ضرورية للمصالح الوطنية للولايات المتحدة .

□ مرفق : مشروع القرار .»

ثم جاءت مذكرة العمل ذاتها بتوقيع المستر « دين راسك » وزير الخارجية ، وجاء فيها بالنص ما يلى :

« ١ ـ لقد أوصينا بالموافقة على إجراء مفاوضات مع الجمهورية العربية المتحدة بشأن اتفاق جديد بمقتضى القانون ٤٨٠ ، ويجرى الآن إعداد مسودة لتعليمات التفاوض لإرسالها قريبا إلى سفارتنا فى القاهرة .

٢ ـ إلى حين إرسال التعليمات الخاصة بالتفاوض نقترح إصدار تعليمات إلى السفارة بالقاهرة بما يلى :

أ ـ إبلاغ الجمهورية العربية المتحدة أننا على استعداد لإبرام اتفاق جديد بمقتضى القانون ٤٨٠ وتحديد نطاق البرنامج المقترح .

ب ـ أن تكلف سفارتنا فى القاهرة بأن تناقش مع السلطات هناك بما فى ذلك ناصر مختلف المسائل المرتبطة بالعلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة مناقشة تفصيلية .

٣ ـ بالنسبة لموضوع الاتفاق نفسه نقترح أن يكون موقفنا على النحو التالى :

أ ـ إننا على استعداد لبيع القمح للجمهورية العربية المتحدة على أن يدفع الثمن جزئيا بالدولار وجزئيا بالجنيهات المصرية .

ب ـ أن يكون للولايات المتحدة الخيار فى شراء مائة ألف طن من الأرز من الجمهورية العربية المتحدة بالجنيه المصرى .

جـ ـ أن تزيد الجمهورية العربية المتحدة مشترياتها التجارية من الأغذية من الولايات المتحدة وليس من بلاد أخرى .

د ـ إن الولايات المتحدة فى حوزتها كميات من النقد المصرى نتيجة برامج سابقة للمبيعات . ويجب أن نطلب استخدام هذه الجنيهات لسداد رسوم قناة السويس عن سفن حكومة الولايات المتحدة .

هـ ـ أن يكون لنا الحق فى بيع بعض هذه الجنيهات المصرية التى فى حوزتنا للسائحين من الولايات المتحدة ، أو لغير ذلك من الأغراض الملائمة لميزان مدفوعاتنا مع هذا البلد .

و ـ أن يطلب من الجمهورية العربية المتحدة أن توافق على إنقاص المساحة التى تزرع فى الجمهورية العربية المتحدة قطنا (لأن القطن المصرى منافس قوى لقطن الجنوب الأمريكى) .

(توقيع)

ديـن راسـك »

وتعثرت المفاوضات ، وكان لابد أن تتعثر !

ومع ذلك فإن أهم ما ينبغي ملاحظته هو أن مذكرة العمل التى وقعها « دين راسك » تحمل على ركنها العلوى الأيمن تأشيرة بخط وزير الخارجية الأمريكى تحيلها إلى « روبرت كومر » ـ منسق عمليات الحكومة الخفية فى الشرق الاوسط !

أثناء زحام المناورات الدائرة حول مبيعات القمح ، طلب السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » مقابلة عاجلة مع الرئيس « جمال عبد الناصر » لإبلاغه رسالة شفوية من الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » . وعندما تحدد للسفير موعده مع الرئيس يوم ٦ ديسمبر ١٩٦٥ ، بدأ « باتل » حديثه قائلا إنه « كان يود أن يكون لديه شىء محدد يبلغه إليه عن مبيعات القمح ، لكن هذا الموضوع لا يزال موضع بحث فى واشنطن ، ثم إن الرئيس « جونسون » طلب إليه أن يتحدث مع الرئيس « عبد الناصر » عن مشكلة فيتنام ، وأن يسأله إذا كان مستعدا للقيام بدور فى الوساطة بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية فى هذا الموضوع . فقد لاحظ الرئيس الأمريكى أن الرئيس المصرى يظهر تأييدا للجانب الآخر فى فيتنام سواء فى تصريحاته للصحافة العالمية عن هذا الموضوع ، أو فى البيانات الصادرة عن مؤتمرات ولقاءات دولية يشترك فيها مع أطراف دوليين آخرين . »

وبدا الطلب مفاجئا ، كما بدا غريبا أن يطلب « جونسون » من « جمال عبد الناصر » بالذات أن يتوسط فى هذا الموضوع . وكان رد « جمال عبد الناصر » المبدئى هو قوله للسفير الأمريكى : « **إن أزمة فيتنام التى تطورت إلى حرب شاملة قضية معقدة ، وهى بالتأكيد أكبر من أى وساطة يقوم بها سياسى بمفرده ، فقد سبق للأمم المتحدة أن حاولت . كذلك فهو يعلم أن الموضوع مطروح على قائمة الاتصالات بين القوتين الأعظم ، وكل ذلك لم يحقق هدفا ، وبالتالى فهو لا يستطيع بالضبط أن يقرر ما الذى يمكن لمصر أن تفعله فيه ، « هو يحسب أن الأمر يحتاج إلى جهد دولى منسق . »**

ورد « باتل » بأن « هذا بالضبط ما يفكر فيه الرئيس الأمريكى ، فهو الآن يرتب لجهد عالمى منسق يتصور أنه يعطى به فرصة لإمكانيات السلام » .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا « إنه على استعداد من ناحية الفكرة العامة لأن يشارك مع غيره فى محاولة تحقيق السلام فى فيتنام ، ولكنه قبل أن يبدى رأيا قاطعا يريد أن يعرف إجابة الرئيس الأمريكى عن عدة أسئلة ، رتبها على النحو التالى :

١ ـ ما هو شكل الجهد الدولى المنسق الذى ينوى الرئيس الأمريكى أن يدعو إليه ؟

٢ ـ ما هى الضمانات التى يمكن أن تقدمها الولايات المتحدة خلال الفترة التى يجرى فيها هذا الجهد الدولى المنسق ، والذى تشارك فيه مصر مع الآخرين . وهو يقصد بالضمانات هنا المناخ العام الصالح للقيام بمثل هذا الجهد الدولى المنسق .

٣ ـ ما هى الخطوط العريضة للحل الذى تتصور الولايات المتحدة أنه ممكن فى فيتنام ؟ »

ثم أضاف « جمال عبد الناصر » أنه يريد أن يكون واضحا مع الرئيس « جونسون » ، فهو لا ينوى أن يدخل بكل نفوذ مصر وهيبتها فى هذا الموضوع ، إلاّ إذا استطلع رأى « الطرف الآخر » فى استعداده لقبول جهد مصر ضمن جهود آخرين من أجل حل لمشكلة فيتنام . وسأله « باتل » عمن يقصده بالطرف الآخر ؟ فرد « جمال عبد الناصر » بأنه يقصد بالتحديد قيادة الثورة فى فيتنام الجنوبية وحكومة فيتنام الشمالية ، إلى جانب الصين .

□

واختار « جمال عبد الناصر » أن يبدأ باستطلاع رأى « شوين لاى » رئيس وزراء الصين ، فبعث إليه بملخص لرسالة الرئيس « جونسون » . ورد « شوين لاى » بأنه بحث الموضوع مع الزعيم الصينى « ماوتسى تونج » **وكان رأى الاثنين معا هو أن يقترحا على الرئيس « جمال عبد الناصر » أن لا يقبل هذه الدعوة للوساطة . فالولايات المتحدة فيما يبدو من كل تصرفاتها ليست مستعدة للسلام فى فيتنام ، بل على العكس فإنها تقوم بتصعيد الحرب يوما بعد يوم . والظن الراجح أن ما يحاول الرئيس « جونسون » القيام به هو مجرد مناورة تستهدف تشتيت التأييد العالمى لفيتنام ، كما تستهدف خديعة الرأى العام الأمريكى عن طريق الإيحاء إليه بأن رئيسه يحاول قصارى جهده من أجل حل للحرب فى فيتنام .**

وبعث « جمال عبد الناصر » إلى « شوين لاى » يقول له إنه يقدر النصيحة ، وهو نفسه يميل إلى الشك بأن الرئيس الأمريكى يناور ، لكنه لا يستطيع أن يقطع بذلك قبل

أن يسمع إجابات عن أسئلة بعث بها إليه عن طريق السفير الأمريكى فى القاهرة .

وعاد السفير يطلب مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » ليبلغه برد الرئيس « جونسون » ، وكان فحوى الرد أن الرئيس « جونسون » يفكر فى مبادرة جدية ليثبت بها حسن نواياه فى طلب السلام فى فيتنام ، فهو ينوى اتخاذ الخطوات التالية :

١ - سوف يعلن من جانبه إيقاف الغارات على فيتنام الشمالية بدون قيد أو شرط .

٢ - إن وقف الغارات سوف يستمر لفترة كافية تسمح بإجراء اتصالات لاستطلاع النوايا واختبار الجدية فى الاستعداد للمفاوضات .

٣ - فى هذه الفترة فإن الرئيس « جونسون » سوف يبعث بثلاثة ممثلين شخصيين له إلى عدد من العواصم المؤثرة ، والتى يمكن أن يكون لها دور فعال فى إحلال السلام ، وهؤلاء المبعوثون الثلاثة هم : السفير « ايفريل هاريمان » (السياسى الأمريكى المخضرم) ، والسفير « آرثر جولدبرج » (الممثل الأمريكى الدائم فى الأمم المتحدة) ، والسفير « مينن ويليامز » (مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون أفريقيا) .

٤ - إن السفير « هاريمان » سوف يختص بالاتصالات مع دول عدم الانحياز الكبرى ، ثم إن السفير « جولدبرج » سوف يختص بأوروبا بما فيها الفاتيكان . وأما السفير « ويليامز » فسوف يتولى الاتصالات مع بعض الدول الإفريقية .

ثم طلب السفير « لوشيوس باتل » من الرئيس « عبد الناصر » موعدا للسفير « هاريمان » يحضر فيه للقاهرة لمقابلته إذا كان يوافق على الفكرة . وأحس « جمال عبد الناصر » أنه يحتاج إلى مهلة للتفكير ، فقال لـ « لوشيوس باتل » إنه سوف يبلغه برده فيما يتعلق بالموعد عن طريق وزارة الخارجية .

□

ومرة ثانية بعث « جمال عبد الناصر » برسالة إلى « شوين لاى » شرح له فيها ما سمعه من السفير الأمريكى عن المبادرة التى ينوى « جونسون » أن يقوم بها . وأضاف إلى شرحه ما نصه[٦] : « إن شكل المبادرة كلها يوحى إلىّ بأنه عمل من أعمال

(٦) نصوص رسائل متبادلة بين الرئيس « جمال عبد الناصر » ورئيس وزراء الصين ، وهى جميعا محفوظة فى ملف عنوانه « وساطة فيتنام » ، وهو ملف يحتوى على ١٢٦ ورقة وكان موجودا فى أرشيف منشية البكرى ونقل منه إلى محفوظات قصر عابدين .

العلاقات العامة ، وبرغم ذلك فإننى ميال إلى قبول دعوة الرئيس الأمريكى لأسباب متعددة : أولها أننا لا نستطيع أن نرفض المشاركة فى مسعى من أجل السلام مهما كانت شكوكنا فى أصحابه ، ويتحتم علينا اختبار نواياهم والوصول معهم إلى نهاية الطريق . وهذا فى حد ذاته سوف يؤدى إلى إظهار الحقيقة بشكل من الأشكال . والسبب الثانى أننا نجرب سياسة تهدئة مع الولايات المتحدة ، ونحن لا نعرف ما الذى يمكن أن نصل إليه من نتائج ، ولكنى أشعر أننا مطالبون بتلمس كل الفرص التى يمكن أن تتاح . والسبب الثالث أننا الآن طرف معهم فى مفاوضات حساسة حول اتفاقيات القمح ، ولست أرى أن أعطيهم مبررا يتكئون عليه للتعلل بأننا نطلب منهم أن يساعدونا فى مشاكلنا ، وفى نفس الوقت نمتنع نحن عن مساعدتهم فى مشاكلهم » . وبعد هذه المصارحة الكاملة طلب « جمال عبد الناصر » من « شوين لاى » أن يحيطه علما بمواقف مختلف الأطراف علىَ الطبيعة ، كما أخطره بأنه سوف يتصل مباشرة بالزعيم الفيتنامى « هوشى منه » .

ورد « شوين لاى » برسالة ضافية على رؤيته للوضع فى فيتنام ، بدأها بقوله إنه يتفهم وجهة نظر « صديقه العزيز » الرئيس « عبد الناصر » ، وأنه مع إدراكه مقدما بأن المبادرة الأمريكية هى كما وصفها الرئيس « عبد الناصر » فى رسالته بالفعل : « عملية علاقات عامة » ـ فإنه مع ذلك قرر أن يبعث إليه بحقائق الموقف . وقد تشاور فى شأن ما يبعث به مع الرئيس « هوشى منه » . ثم لخص « شوين لاى » رؤيته للوضع فى فيتنام فى مذكرة إضافية فى ثمانى عشرة صفحة احتوت على عشرين نقطة عرضت لكافة تطورات الحرب ، ثم انتهت فى النقطة الأخيرة منها إلى القول بالحرف بأنه « فى المحصلة النهائية فإن الولايات المتحدة لا تستطيع تحقيق انتصار فى فيتنام الجنوبية . والحل الوحيد المقبول هو العودة إلى أحكام اتفاقية جنيف ١٩٥٤ ، وانسحاب القوات الأجنبية من فيتنام ، وترك الفيتناميين يحلون مشاكلهم بأنفسهم . »

وختم « شوين لاى » رسالته بنقل تحية من « ماوتسى تونج » و« هوشى منه » إلى « جمال عبد الناصر » ، ثم أضاف عبارة :

« مع احترامنا العظيم لشخصكم ولدوركم .

المخلص دائما

شوين لاى »

□

وفى يوم الأربعاء ٥ يناير ١٩٦٦ كان « ايفريل هاريمان » ومعه السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » على موعد مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وشرح « هاريمان » مهمته فى عبارات عامة ، ثم حاول أن يقول تلميحا « إن الرئيس ناصر كرجل ذى خلفية عسكرية يستطيع أن يعرف بمراجعة موازين القوة لدى الطرفين أن فيتنام الشمالية لا أمل لها فى هزيمة الولايات المتحدة عسكريا . كما أنها لا تستطيع أن تعتمد إلى النهاية على موسكو وبكين ، فكلاهما فى نزاع مع الآخر ثم إن كليهما لا يريد التورط بما يؤدى إلى حرب عالمية » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » بأنه ـ وقد أشار إلى خلفيته العسكرية ـ « فإنه من جانبه يستطيع أن يؤكد له أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تكسب حربا على الشواطىء الآسيوية . فهى ـ أى الولايات المتحدة ـ فى جنوب شرق آسيا قوة متواجدة جويا وبحريا ، ونقط ارتكازها من زاوية عسكرية بحتة هى الجزر القريبة من الشواطىء الآسيوية أى الفلبين وتايوان واليابان ، ولكنها على الشواطىء الآسيوية وفى عمق أراضيها وأمام كتل هائلة من البشر ـ لا تستطيع أن تكسب حربا . ومع ذلك فهو لا يريد أن يجعل من هذا اللقاء الآن جدلا فى الاستراتيجيات العسكرية » . ثم طلب إلى « هاريمان » أن يعطيه شرحا أكثر تفصيلا عن تصورات الرئيس « جونسون » .

ولم يزد « هاريمان » فى شرحه عن بعض العموميات . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله إنه « لم يسمع حتى الآن جديدا يخرج عما تنشره الصحف ، ومع ذلك فإنه من جانبه يرى لصالح السلام العالمى وتقديرا منه لطلب الرئيس الأمريكى جونسون إليه أن يشرح وجهة نظره » . وراح « جمال عبد الناصر » يعرض لجوانب المشكلة تفصيلا . ثم راوده شعور غريب بأن « هاريمان » لا يتابع بدقة ما يقوله له . والتفت إلى السفير « لوشيوس باتل » يسأله : « لا أعرف ما إذا كنت واضحا فيما أقول أو أننى أحتاج إلى تفصيله أكثر » . وكان رد « باتل » بصوت خفيض : « سيادة الرئيس ، لقد كان يجب أن أنبهك أن المستر هاريمان أصيب بالصمم منذ عدة سنوات ، لكنى أعد بأن أساعده فى كتابة تقرير مشترك عن لقائنا معك » . ولوهلة كان « جمال عبد الناصر » يحس أنه فى موقف حرج ، فقد أفاض فى شرح طويل لرجل لم يسمع كلمة مما قال . وكان ذلك مما أكد الاعتقاد لديه بأن المهمة كلها عملية علاقات عامة كما شك منذ بادىء الأمر . ومع ذلك فقد استغرب أن يكون رسول « جونسون » إليه وإلى غيره من زعماء عدم الانحياز رجلا جاوز الثمانين مصابا بالصمم ـ رغم أنه كان لا يزال اسما له رنين فى السياسة الأمريكية .

□

وتحتوى الملفات السرية لوزارة الخارجية الأمريكية على تقرير بعث به « ايفريل هاريمان » عن مقابلته مع « جمال عبد الناصر »(٧) موجه إلى الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » ، وجاء فيه بالنص :

«إلى الرئيس   سرى للغاية

كان لى وللسفير باتل حديث صريح مرسل قرابة ساعتين مع ناصر ووزير الخارجية المصرى . وأجملت الأسباب التى دعت الرئيس جونسون إلى إيفادى للتحدث معه ، لاسيما وقد أبدى من قبل استعدادا للتعاون معنا فى طلب حل سلمى . وكان هو وغيره قد اقترحوا وقف القصف . وهناك الآن توقف ، ونأمل أن تتجاوب هانوى بمبادرة موازية . وقد أوضحت بإيجاز رد الفعل الطيب الذى قوبلت به محادثاتى أثناء هذه الرحلة ، كما وصفت رحلات جولدبرج ووليامز .

وأكدت موقف الولايات المتحدة فى ١٤ نقطة قال ناصر إنه اطلع عليها بعد أن تلقاها من سفيرنا . وقلت له إن هذه النقاط تبين مرونة الرئيس بشأن كل موضوع ، باستثناء حق الفيتناميين الجنوبيين فى تقرير مستقبلهم الخاص . فالولايات المتحدة لن تسمح لفيتنام الشمالية بأن تستولى على فيتنام الجنوبية بالقوة . وقلت لناصر إننا نعرف أن له اتصالات مع بكين وموسكو وهانوى ، وإن كان انطباعنا هو أن بكين راغبة فى رؤية القتال مستمرا . ثم قلت إن من الأهمية بمكان إقناع هانوى بأن حجة بكين القائلة بأن الولايات المتحدة ستثبط همتها وتنسحب من فيتنام هى حجة خاطئة .

وقال ناصر إنه لا يظن أن بكين تريد استمرار الحرب . وقلت له ردا على ذلك إننا لا نعتقد أن فى وسعنا الوصول إلى أى اتفاق مع بكين ، فقد أعلنوا آراءهم وكرروها بشأن استخدام القوة والعنف فى سبيل إحداث ثورة عالمية ، وهم يريدون إثبات صدق نظريات ماوتسى تونج فى فيتنام الجنوبية . وقلت إننى أريد أن أتحدث إلى ناصر كعسكرى ، ثم قدمت له بعض الحقائق وأشرت إلى أن الرئيس قد قام بمبادرة منفردة ، وأن من حقه أن يتوقع من الذين طالبوا دواما بوقف القصف أن يحثوا هانوى على أن تتجاوب تجاوبا طيبا معنا » .

---

(٧) مجموعة ملفات وزارة الخارجية الأمريكية ـ البرقية رقم ١٦٧٧ بتاريخ ٥ يناير ١٩٦٦ .

ومضى « هاريمان » بعد ذلك فى تقريره صفحة كاملة مكررا نفس المعانى إلى أن قال فى ختام تقريره إلى « جونسون » : « وفى الختام قلت لناصر إن إخلاص الرئيس فى الأهداف العملية قد برهنت عليه إنجازاته غير العادية فى الجبهة الأمريكية الداخلية » .

ومن الواضح من بناء تقرير « هاريمان » كله وسياقه أن المبعوث الأمريكى بالفعل لم يسمع شيئا مما قاله « جمال عبد الناصر » ، وأن تقريره ارتكز بالدرجة الأولى على ما قاله هو لـ « جمال عبد الناصر » .

□

وفى يوم ١٦ يناير ١٩٦٦ أبدى الملك « فيصل » أثناء مقابلة له مع السفير الأمريكى امتعاضه من زيارة « هاريمان » إلى مصر ولقائه مع « جمال عبد الناصر » . وكانت ملاحظة الملك أن قيام الرئيس « جونسون » بتوسيط مصر فى حل قضية فيتنام يعزز مركزها ، إذ يضيف إلى هيبتها ، كما أنه يحرج غيرها من أصدقاء أمريكا فى المنطقة .

ولم يكن هناك داع لهذا الامتعاض فى واقع الأمر ، فقد كانت المحاولة الأمريكية كلها بالفعل عملية علاقات عامة موجهة إلى الرأى العام العالمى ، وإلى الرأى العام الأمريكى لإيهامه بأن الرئيس « جونسون » يحاول مخلصا أن يفعل شيئا من أجل السلام ويجند زعماء العالم كلهم فى مسعاه من أجله .

والواقع أنه فى يوم ٢٣ يناير ١٩٦٦ أصدر الرئيس « جونسون » قرارا باستئناف العمليات العسكرية ضد فيتنام ، وبالعودة إلى القصف الجوى لفيتنام الشمالية مدعيا أنه حاول بكل الوسائل ولم يجد لدى الشيوعيين فى هانوى أو فى الصين أى استجابة لنواياه الحسنة .

ويوم ٧ يونيو ١٩٦٦ حدث ما هو أغرب ، فقد أعلن أن الجنرال الإسرائيلى « موشى ديان » قام بزيارة إلى البيت الأبيض ، وأنه توجه من واشنطن إلى فيتنام ليدرس سير الحرب هناك ويقدم تقريرا عما يقترحه بشأن إدارتها إلى الرئيس الأمريكى « جونسون » . وبدا ذلك فى القاهرة أمرا يبعث على الدهشة ، فلم يكن معقولا أن تحتاج المؤسسة العسكرية الأمريكية بكل كفاءاتها وخبراتها وإمكانياتها إلى نصيحة من الجنرال « موشى ديان » .

ومن سوء الحظ أن القاهرة لم تستطع فى هذا الوقت أن تقدر جديا عمق الصلة بين تورط أمريكا فى فيتنام ، وبين الدور أو الأدوار التى يمكن أن تقوم بها إسرائيل بالتفويض

فى الشرق الأوسط ، وما يمكن أن يترتب على هذه الصلة من أسباب وأوجه للتعاون بين أجهزة معينة فى واشنطن وتل أبيب .

بعد أيام من قرار الرئيس الأمريكى باستئناف الغارات على فيتنام ، توجه السفير الأمريكى « لوشيوس باتل » إلى مقابلة مع السيد « محمود رياض » ، ولعله كان مكلفا بقياس رد فعل وزير الخارجية المصرى . وكان رد الفعل المصرى الرسمى هادئا ، فلم تكن القاهرة فى أعماقها مصدقة لحسن نوايا الرئيس « جونسون » ، ولذلك فإنه عندما سأل السفير الأمريكى وزير الخارجية عما تنوى مصر أن تفعله كان رد الأخير « إن مصر على أى حال لن توقف اتصالاتها مع أنها تعرف أن قرار استئناف الغارات على فيتنام يكاد يكون ضربة قاضية لأية احتمالات إيجابية » . ثم كان لدى السفير الأمريكى بعد ذلك سؤالا يقلقه ، فقد سمع أن جبهة التحرير الوطنى الفيتنامى تنوى فتح مكتب لها فى مصر . وأبدى ملاحظة مؤداها أن مثل هذا القرار قد يفهم خطأ فى هذه الظروف فى واشنطن . ورد عليه « محمود رياض » قائلا إنه « يستغرب أن تطلب منا الولايات المتحدة أن نتدخل بالوساطة ، وحين نعطى للطرف الآخر إمكانية التواجد الفعلى بالقرب منا لتسهيل الاتصالات فإنها لا تجد ما تقوله إلاّ أن ذلك عملا قد يساء فهمه فى واشنطن » !

وكان « لوشيوس باتل » لا يريد أن يستسلم لليأس ، وطرح فى هذه المقابلة فكرة لقاء على مستوى كبير بين القاهرة وواشنطن ، **وقال « إنه كان يأمل أن تقوم زيارة هاريمان بهذا الدور ، ولكن لسوء الحظ أن زيارة هاريمان كانت محصورة فى مشكلة بذاتها . ثم إن هذه الزيارة لم تكن فى تقديره ناجحة لا فى هدفها المباشر ولا فى تحسين جو العلاقات بين البلدين .»**

□

وبعد أيام قليلة ذهب السيد « أنور السادات » إلى مقابلة مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ليقول له إنه تلقى خطابا من السفير الأمريكى فى القاهرة يحمل له دعوة لزيارة

واشنطن . وكان الخطاب فى جيب « أنور السادات » ، وراح « جمال عبد الناصر » يقرأه ، **واكتشف أن الزيارة تتم على أساس برنامج تشرف عليه وزارة الخارجية الأمريكية ويسمى « برنامج قادة المستقبل » . وبمقتضى هذا البرنامج فإن وزارة الخارجية كانت تدعو عددا من قادة الشباب والنقابات العمالية والمهنيين للتعرف على الولايات المتحدة . وكانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » على الفور أن هذه الدعوة على أساس هذا البرنامج ليست مما يتفق مع وضع « أنور السادات » ومنصبه كرئيس لمجلس الأمة .**

وكان باديا أن « أنور السادات » يتمنى أن يلبى الدعوة ، وراح يشرح أن ما يهمه هو الاطلاع على أعمال الكونجرس الأمريكى وبالذات فى تقليد لجان الاستماع العامة فى القضايا الكبيرة والخطيرة ، وأهمها لجنة الشؤون الخارجية التى كان رئيسها ـ السناتور « ويليام فولبرايت » ـ يجرى فى ذلك الوقت سلسلة من جلسات الاستماع العام حول حرب فيتنام قصد منها بالدرجة الأولى إلى تعريف الرأى العام الأمريكى بحقائق هذه الحرب التى يشنها رئيس الولايات المتحدة بغير موافقة شرعية بإعلان الحرب من الكونجرس الذى هو السلطة الوحيدة لإعلان الحرب بمقتضى الدستور الأمريكى . ورد « **جمال عبد الناصر** » **بأنه لا يمانع فى الزيارة شريطة أن تقوم وزارة الخارجية بمحاولة لتغيير إطارها بحيث تتم كزيارة لوفد برلمانى مصرى وليس على أساس « برنامج قادة المستقبل » . وأمكن بالفعل إجراء بعض التعديلات فى إطار الزيارة على النحو الذى طلبه « جمال عبد الناصر » وتحدد موعدها بالأيام العشرة الأخيرة من شهر فبراير ١٩٦٦ .**

□

وتظهر وثائق وزارة الخارجية الأمريكية أن هذه الوزارة راحت تتعامل مع هذه الزيارة فى البداية باعتبارها مسألة روتينية عادية . فقد كتب « دين راسك » وزير الخارجية مذكرة إلى الرئيس « جونسون » كان نصها كما يلى :[٨]

« وزير الخارجية ـ سرى ٢٠ يناير ١٩٦٦ »

ثم تلى ذلك فى أعلى الوثيقة ختم مطبوع يقول : « سلمت لمكتب ماك جورج باندى (مستشار الرئيس للأمن القومى) فى الساعة ٤:٤٥ بعد ظهر ٢٠ يناير ١٩٦٦ » .

---

(٨) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية .

« مذكرة للرئيس

□ الموضوع : زيارة وفد برلمانى من الجمهورية العربية المتحدة .

□ التوصية : أن تستقبلوا أنور السادات رئيس مجلس الأمة فى الجمهورية العربية المتحدة والوفد المرافق له أثناء وجوده فى واشنطن من ٢٢ الى ٢٦ فبراير .

أوافق ....

لا أوافق ....

□ المناقشة : أنور السادات رئيس مجلس الأمة فى الجمهورية العربية المتحدة يرأس وفدا من أربعة من أعضاء المجلس على المنحة المخصصة لبرنامج قادة المستقبل . وسيكون الوفد موجودا فى واشنطن من ٢٢ إلى ٢٦ فبراير .

وأوصى بأن تستقبلوا الوفد فى أثناء وجوده هنا ، فالسادات يشغل المركز الثالث فى تسلسل السلطة فى الجمهورية العربية المتحدة ومن المقربين إلى ناصر شخصيا . وهو أعلى المصريين مكانة من جميع من تلقوا الدعوة لزيارة الولايات المتحدة فى أى وقت .

وأعتقد أن استقبالكم له يساعد فى تثبيت التحسن الذى طرأ مؤخرا على العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، ويمكن أن يكون اللقاء قصيرا ولا يخرج على حدود المجاملة .

(توقيع)

ديـن راسـك »

□

وفى يوم ٥ فبراير ١٩٦٦ بعث « جورج بول » وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ببرقية إلى السفارة فى القاهرة جاء فيها بالنص :

« بالإشارة إلى برقيتنا رقم ٤٠٩٦ وإلى برقيتكم رقم ١٩٥٨ بشأن زيارة السادات :

١ ـ مازلنا نأمل أن يتمكن الرئيس من مقابلة السادات . لا نتوقع اتخاذ قرار نهائى إلاّ قبل وصول السادات بوقت قصير . أية تخمينات علنية مسبقة فى الصحافة المصرية حول هذا الموضوع قد تؤثر بالضرر على القرار النهائى . وينطبق نفس الشىء على نائب الرئيس .

٢ ـ نتوقع أن يصل السادات وقرينته إلى واشنطن عصر يوم ٢٢ فبراير . يجب أن تقوم السفارة بحجز التذاكر . نقترح رحلة مصر للطيران ٧٨٧ إلى لندن فى ٢٢ فبراير ، ثم رحلة « بان أمريكان » التى تصل إلى دالاس رأسا الساعة ١٥ : ١٧ يوم ٢٢ فبراير . السفير كامل يستعد لإقامة عشاء بسيط غير رسمى للسادات والوفد فى مساء نفس اليوم . لن يحضره غرباء .

٣ ـ رغم أن آخر المعلومات عن الغداء فى مجلس الشيوخ لا يمكن تأكيدها قبل منتصف فبراير ، فإنكم تستطيعون أن تطمئنوا السادات ووسطاءه إلى أن الزيارات والرسميات المناسبة سوف ترتب مع أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء الكونجرس .

٤ ـ فيما يتعلق بالخطط الأخرى ، زيارة واشنطن تستغرق ثلاثة أيام مشغولة بالكامل تشمل صباحا كاملا فى وزارة الخارجية ، وحفلتى غداء ، ومقابلة فى أحد الأيام بعد الظهر مع القسم العربى لإذاعة واشنطن لاستخدامها فى مصر والشرق الأوسط ، وثلاثة حفلات عشاء ، واستقبالين بعد الظهر .

٥ ـ بالنسبة لطلب السادات أن تشمل زيارته رحلة للشاطىء الغربى نعد لقضاء نهاية أسبوع هادئة وغير رسمية فى لوس أنجلوس تشمل ديزنى لاند ، ويومين فى سان فرانسيسكو حيث نأمل فى ترتيب حفلة يحضرها العمدة أو المحافظ أو كلاهما . واليومان الأخيران فى نيويورك ربما يشملان جولة وغداء فى مبنى الأمم المتحدة ومقابلة مع العمدة أو المحافظ أو كليهما .

٦ ـ هذا البرنامج يسمح للسادات بمغادرة نيويورك مساء يوم ٣ مارس أو صباح ٤ مارس بحيث يكون مجموع أيام الزيارة تسعة أو عشرة أيام .

٧ ـ وحدة الاستقبالات تعد برنامجا خاصا لبقية أعضاء الوفد .

٨ ـ علمنا أن سفارة الجمهورية العربية المتحدة ستدعو رجال الصحافة

لحضور حفل استقبال عصر يوم ٢٤ فبراير ، وسترتب لهم لقاء غير رسمى مع السادات .

٩ - سينزل الوفد فى فندق هيلتون واشنطن إذا أمكن .

١٠ - إذا كانت السفارة ترى إجابة طلب السادات بسفر مساعده (محمد عبد السلام) الزيات قبل الوفد فلا مانع ، ولكن نرجو ألاّ يتوقع معاملة كبار الزوار .

١١ - سوف يكلف مايكل ستيرنر[٩] بمرافقة السادات أثناء الزيارة . ويذكر ستيرنر أن الوزير راسك ومساعده تالبوت لن يتمكنا من استقبال السادات فى مطار واشنطن . ونأمل أن يتاح لوكيل الوزارة هير أن يكون فى استقباله ، كما أننا نحاول أن يكون بين المستقبلين أحد أعضاء الكونجرس ، ولكننا لسنا واثقين من النجاح .

١٢ - جميع الارتباطات والاجتماعات والمواعيد والفنادق ، الخ .. قابلة للتغيير حتى آخر لحظة . ورغم أنه ليس هناك اعتراض على مناقشة الخطط بصفة عامة مع من تتصلون بهم من المصريين - فإننا نقترح أن تكون لهجتكم مؤداها « لا تهتموا بالتفاصيل فكلها ستتم بطريقة مرضية » .

(توقيع)

بـــول »

□

وتشير ملفات وزارة الخارجية الأمريكية إلى أنه فى وقت ما من تلك الفترة ارتفعت درجةُ الاهتمام فى واشنطن بزيارة « أنور السادات » بناء على تدخل بعض الوسطاء العرب وبينهم السيد « كمال أدهم »[١٠] - مستشار الملك « فيصل » وصهره - الذى كانت تربطه علاقة ودية بـ « أنور السادات » والذى كان مطلعا على ترتيبات الزيارة . وفى ٢١ فبراير ١٩٦٦ وافق الرئيس « جونسون » على أن يستقبل « أنور السادات » فى البيت الأبيض . وكتب « دين راسك » وزير الخارجية مذكرة للعرض على

---

(٩) كان « مايكل ستيرنر » وقتها بدرجه مستشار فى وزارة الخارجية وكان من مجموعة التنسيق بين الوزارة ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

(١٠) كانت العلاقة بين السيد « أنور السادات » والسيد « كمال أدهم » وثيقة إلى درجة أن « أنور السادات » كان شاهدا وقع بإمضائه على عقد زواج السيد « كمال أدهم » .

الرئيس « جونسون » بدأها بتعريفه بطريقة نطق اسم « السادات » « Sa-d-at » . وبعدها انتقل إلى التعريف بـ « أنور السادات » نفسه فقال :

« إنه يبلغ من العمر ٤٧ سنة ، وهو صحفى سابق ، ومن الأعضاء القياديين لثورة ١٩٥٢ التى جاءت بناصر إلى السلطة ، وهو فطن وحساس ومتكبر ، وهو على بينة من أن مكانته أرفع من جميع المصريين الذين زاروا الولايات المتحدة بصفة رسمية فى أى وقت . يعرف الانجليزية إلى حد ما ولكنه يفضل استخدام مترجم .

ونقترح فى حديثك معه ما يلى :

١ ـ أن تبدى ترحيبك بالاتجاه إلى تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، مما يجعلنا الآن نتفاوض لعقد اتفاق جديد بمقتضى القانون ٤٨٠ .

٢ ـ أن تبدى اعجابك بتدابير الإصلاح الاقتصادى والاعتماد على الذات التى تقوم بها حكومة محيى الدين ـ وهذا دليل على التصميم على معالجة المشاكل الاقتصادية مثل ميزان المدفوعات وانتاج السلع الاستهلاكية والحد من زيادة السكان ، وكلها أمور تشجع التعاون من جانب الغرب .

٣ ـ أن تبدى اهتمامك للموقف الودى البناء الذى اتخذه الرئيس ناصر من محاولتنا لإقرار السلام فى فيتنام . وإذا كنا نستجيب لضرورات مواصلة الضغط العسكرى فإننا مازلنا نرحب بأية مساعدة مخلصة فى سبيل التسوية .

٤ ـ أن تبدى شعورك بالارتياح لاتفاق ناصر وفيصل على تسوية الوضع المضطرب فى اليمن فى اجتماعهما فى أغسطس الماضى . ولكن من دواعى قلقنا أن نلاحظ أن الشكوك والريب من الناحيتين يمكن أن تعصف بالنجاح . وفى اعتقادنا أن إجراء مناقشة صريحة أخرى بين ناصر وفيصل من شأنها تنقية الجو .

٥ ـ أن تبدى أملك فى استمرار التحسن فى العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة مستقبلا . فحسن النية والتبادل الصريح المستمر للآراء على جميع المستويات ضرورى . ولك أن تشير له إلى أننا نعتمد اعتمادا كبيرا على السفيرين كامل وباتل اللذين كانت مشورتهما فى الماضى جديرة بثقتنا الكاملة . »

وقضى السيد « أنور السادات » عشرة أيام حافلة فى زيارة للولايات المتحدة .

□

ويوم ٤ مارس ١٩٦٦ تلقى « جمال عبد الناصر » خطابا[١١] من الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » جاء نصه كما يلى :

« البيت الأبيض واشنطون ٤ مارس١٩٦٦

عزيزى السيد الرئيس

أشكرك على الرسالة التى نقلها إلىّ السيد أنور السادات يوم ٢٣ فبراير . لقد كانت متعة أن ألتقى به ، ومفيدا أن أتحدث معه فى مسائل تتعلق باهتمامنا المشترك . ولقد سعدت بوجه خاص حين علمت من السيد السادات بعض التفاصيل عن جهود حكومتكم فى دفع التقدم الاقتصادى والعدل الاجتماعى فى مصر . كذلك كان مطمئنا لى أن أسمع منه عن جهودكم فى الوصول إلى حل عملى لمشكلة اليمن ، وإنى شديد الأمل أن تتصل المحادثات الدبلوماسية بين بلدكم وبين المملكة العربية السعودية ، وعلى أعلى مستوى إذا كان ذلك ممكنا ، فهذا هو الذى يجعل من الممكن التوصل إلى تفاهم مشترك ومرض . كما أننى آمل أيضا فى أن زيارة السيد السادات قد تكون ساهمت فى التفاهم بين قادة بلدينا ، وأنها يمكن أن تخدم رغبتنا فى تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة .

المخلص

ليندون جونسون »

□

ويوم ٢٢ مارس ١٩٦٦ بعث السفير « مصطفى كامل » ببرقية (١٢) عاجلة إلى وزارة الخارجية المصرية كان نصها :

□ أولا :

١ - اتصل بى المستر راسك تليفونيا وأخبرنى بأن الرئيس جونسون يرجو

---

(١١) صورة للخطاب منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٣) صفحة ٩٧٤ .
(١٢) برقية رقم ٩٤/٢٢١٨١١ .

أن أنقل لسيادة الرئيس عند تشرفى بالاجتماع به فى القاهرة تحياته وأطيب تمنياته .

٢ ـ وأضاف بأن الرئيس جونسون سيبعث إلىّ الليلة بصورة فوتوغرافية له مهداة منه لسيادة الرئيس وأنه يأمل أن أحظى بتسليمها لسيادته شخصيا .

□ ثانيا :

١ ـ سأجتمع باكر بالمستر كومر المستشار السياسى الأول للرئيس جونسون بالبيت الأبيض .

٢ ـ سأغادر نيويورك بالباخرة مبتدئا أجازتى يوم الجمعة ٢٥ الجارى .

السفير

مصطفى كامل »

وحين جاء السفير « مصطفى كامل » إلى القاهرة حمل صورة « جونسون » التى ـعها مهداة للرئيس « جمال عبد الناصر » بنفسه إلى مكتب الرئيس ، ثم طلب ردا عليها ـورة موقعة من « جمال عبد الناصر » إلى الرئيس « جونسون » ، وكان رأيه أن عدم ـد على الصورة بصورة يمكن أن يحدث أزمة دبلوماسية فى العلاقات بين البلدين . الفعل فإنه لم يغادر القاهرة عائدا إلى مقر منصبه فى شهر يونيو ١٩٦٦ إلاّ ومعه صورة ـداة إلى « جونسون » !

□

كانت الدبلوماسية المصرية مشغولة بما يجرى فوق السطح على مستوى تبادل ـحيات والتمنيات ، وتسليم وتسلم الصور الشخصية الموقعة بإمضاءات أصحابها . وأما ـبلوماسية الأمريكية فقد كانت عارفة بما يجرى تحت السطح .

وتظهر الوثائق السرية المحفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس(١٣) ـطابا بالغ الحساسية كتبه الوزير المفوض « دافيد نيس » الذى كان قائما بالأعمال فى ـفارة الأمريكية فى القاهرة ، وقد وجهه إلى السفير « رودجرز ب . ديفيز » نائب مساعد ـير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا . وقد جاء فيه ما يلى نص :

---

١) الوثيقة رقم ١٤/٨٤/٢١٧ فى تصنيف مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس .

« السفارة الأمريكية
الجمهورية العربية المتحدة
القاهرة
عزيزى رودجرز

منذ وصلت إلى هنا قبل أكثر قليلا من عام حاولت أن أعثر بأية وسيلة على طريقة لكسر الحلقة المفرغة التى تدور فيها علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة ، فهناك من جانب الحقائق السياسية المتعلقة بنا ، وهناك من جانب آخر ما نراه من المغامرات الخارجية المستمرة للجمهورية العربية المتحدة . ولابد أن أقول لك إننى كنت مقتنعا على الدوام اقتناعا كاملا بضرورة المحافظة إلى أبعد حد ممكن على موقف الغرب فى الجمهورية العربية المتحدة . وبصراحة فقد بدأ اليأس يدخل إلى نفسى .

وفيما يلى ملاحظاتى ، وأنا لم أناقشها مع هيئة السفارة هنا :

١ - مقال هيكل بتاريخ ٢٢ يوليو والذى تضمنته برقية السفارة رقم ٣٨١ . ثم خطاب ناصر يوم ٢٣ يوليو (وقد تضمنته برقية السفارة رقم ٣٨٨) - يمكن لهما معا - المقال والخطاب - أن يدلا على أن الجمهورية العربية يئست من أن يصلها رد إيجابى من الولايات المتحدة على طلبها الخاص لمواد غذائية قيمتها ١٥٠ مليون دولار بموجب القانون ٤٨٠ . ثم إن الجمهورية العربية المتحدة تعد نفسها للتصرف على هذا الأساس .

٢ - إن صح هذا - وهناك أدلة أخرى تعزز صحته - فلعلنا نكون مقبلين حقا على الصيف الملتهب الذى سبق لهيكل أن أشار إليه[١٤] .

٣ - وبدون المشاكل التى تفرضها الاحتمالات الخاصة بالمواد الغذائية فإننا قد نشهد مزيدا من اللجوء إلى مغامرات خارجية مثل عمليات الإرهاب فى المملكة العربية السعودية ضد نظام فيصل ، ومثل الزيادة الكبيرة فى الإرهاب فى عدن لإرغام البريطانيين على الجلاء من هناك مشيعين بالخزى والعار قبل سنة ١٩٦٨ ، وهو الموعد الذى حددوه لانسحابهم

(١٤) كنت قد كتبت مقالا ضمن مجموعة مقالات « بصراحة » عن « الصيف الخطر » تعرضت فيه لتردى العلاقات المصرية الأمريكية بسبب الضغوط الأمريكية المختلفة السياسية والاقتصادية ، وإمكانية استغلال إسرائيل لهذا التردى .

من هناك ، ومثل تجديد الحملة على قاعدة « هويلاس » فى ليبيا ، ومثل التأييد الصريح لفيتنام الشمالية وثوار الفيتكونج فى فيتنام الجنوبية . وهذا الاعتبار الأخير يمثل تغيرا فى الموقف الرسمى المحايد ، ويمكن استنتاجه من ضيق ناصر بسياستنا فى فيتنام . وتلاحظ أنه قال فى خطابه « إن تصرفات الأمريكيين ضد فيتنام الشمالية تمثل عقبة أمام التسوية السلمية ، ونحن ندين العدوان الأمريكى » .

٤ ـ وبالنظر إلى أنه لا توجد أى دلائل فى الجو العام فى العلاقات بين البلدين توحى بإمكانية تحسن خصوصا بعد قرار تأجيل اتفاق المواد الغذائية ـ فإننى أعتقد أن على واشنطن أن تعيد النظر فى سياستها . وعلينا أن نسأل أنفسنا ما إذا كان ضروريا أن نربط بين تصرفات الجمهورية العربية المتحدة فى شبه الجزيرة العربية وبين شحن المواد الغذائية لمصر . وعلينا أن نسأل أنفسنا هل مصالحنا هناك أهم من الحفاظ على ما بقى للولايات المتحدة والغرب من وضع فى الجمهورية العربية المتحدة . وعلينا أن نسأل أنفسنا هل من الحكمة حقا استخدام المواد الغذائية باعتبارها هراوة للضرب على الإطلاق ؟

٥ ـ بالنظر إلى أننى لست خبيرا متخصصا بالمنطقة مما يسمح لى بالتوصية بتغيير تكتيكاتنا فى مصر ـ فإننى مع ذلك لا أملك إلاّ التحذير من المخاطر التى قد تنشأ من سياسة تجويع مصر . وعلينا أن نسأل أنفسنا عن المخاطر الشديدة والجدية التى ينطوى عليها ضغطنا على ناصر ودفعه إلى مأزق . إذا كانت سياستنا تهدف إلى استبداله بزعامة أكثر اعتدالا فى الجمهورية العربية المتحدة ، فهذه طبعا مسألة أخرى .

أرجوك أن لا تشعر بأنك فى حاجة إلى كتابة رد على هذا الخطاب . لقد كتبت إليك لمجرد رغبتى فى أن أتأكد من أن جميع العناصر داخلة فى تكتيكاتنا الجارية إزاء مصر على ضوء عواقبها المحتملة .

المخلص

دافيد نيس »

□

كان « دافيد نيس » أقرب مما يتصور إلى التفكير الداخلى للسياسة الأمريكية وحكومتها الخفية حين ذكر عبارة « إذا كانت سياستنا تهدف إلى استبداله بزعامة أكثر اعتدالا فى الجمهورية العربية المتحدة ، فهذه طبعا مسألة أخرى » .

كان التفكير الأمريكى أوسع بكثير من حدود الجمهورية العربية المتحدة ... يمتد وراءها إلى العالم الثالث كله . وكانت هناك عوامل موضوعية تساعده !

الفصل الرابع

الرياح الساخنة !

كان العالم الثالث ـ وطن حركة التحرر ـ فى مهب رياح متعددة الاتجاهات عندما جاءت فترة منتصف الستينات . فى بداية هذه الستينات كانت رياح التغيير ـ على حد تعبير « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا ـ هى الرياح السائدة ، ومع هبوبها كان إعلان الاستقلال فى دول جديدة فى آسيا وأفريقيا يتوالى يوما بعد يوم ، وكانت أعلامه ترتفع ، وكان قادته يدخلون إلى مواقع السلطة رؤساء جمهوريات ورؤساء وزارات وقادة جيوش .

وفى منتصف الستينات كانت رياح التغيير قد استنفدت قواها وتعددت اتجاهات الرياح كما تعددت أنواعها .

كانت هناك رياح المتاعب الطبيعية الناشئةِ عن مواجهة الحقائق فى الأوطان على أرض الواقع . مجتمعات وصلت إلى الاستقلال وتوقعت ثماره . وقيادات قادت حركة الاستقلال ووعدت بهذه الثمار ، ثم فاجأتها الحقائق فإذا هى فى موقف العجز أو شبه العجز غير قادرة على الوفاء بما وعدت به ، بل إن كثيرا منها لم يكن قد استدل بعد حتى على بداية الطريق ، ونتيجة لذلك كانت هناك جماهير واسعة صدمها الشعور بالإحباط . ولما

معظم الاحيان فإن الاختلافات تنشا بين عناصر مدنية وعناصر عسكرية فى النضال من أجل الاستقلال . كما أنها أيضا تنشأ بين عناصر قاتلت أمام قوى السيطرة فى داخل الأوطان ، وعناصر أخرى قادت سياسيا من الخارج وتحملت مسؤوليات التوجيه السياسى والتعبئة العالمية ، وتوفير إمكانيات القتال من المؤن والسلاح .

وعندما يتواجد العسكرى والمدنى ، وعندما يتواجد الداخل والخارج على أرض الوطن أخيرا بعد تحقيق الاستقلال ، فإن درجة من الحساسية تصبح حالة لا مفر منها وتحتاج إلى جهد كبير يتجاوز الطاقة الإنسانية أحيانا للتغلب عليها .

ثم تنشأ بعد ذلك حساسيات أخرى من طبيعة التواجد على الأرض بعد تحقيق الاستقلال . فحينئذ يبدأ الاحتكاك بين التنظيمات التى تشكل أطر السلطة ، وفى الغالب فإن المواقع تتحدد بإطار جيش فى مواجهة إطار حزب ، وكلاهما ضعيف وإن كان أحدهما مسلحا والثانى أعزل من السلاح . وبين الاثنين ينحشر جهاز الحكم .

ثم تتعقد المشاكل أكثر حينما تبدأ عملية الاختيار بين البدائل ، سواء فى الطريق إلى التنمية أو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ، أو فى أسلوب إدارة العلاقات مع العالم الخارجى .

وعلى وجه اليقين فإن كل هذه العناصر مجتمعة ومتفرقة ، ظاهرة وغير ظاهرة ، تخفى وراءها فى النهاية نزعات وطموحات أفراد لكل منهم رؤيته ، ولكل منهم تصوره بأحقيته لأكبر قدر من السلطة والنفوذ .

وفى الجزائر كانت كل هذه العناصر منطبقة على العلاقات بين الشخصيتين البارزتين فى الثورة الجزائرية بعد الاستقلال ، وهما « أحمد بن بيلا » و« هوارى بومدين » .

كان « أحمد بن بيلا » يمثل قيادة الخارج ، وقيادة الحزب بعد الاستقلال ، والرئاسة الرسمية للدولة . وعلى الجانب الآخر **كان « بومدين »** يمثل قيادة الداخل وقيادة الجيش ، وبالتالى القوة العملية على الأرض . كما أن طبيعة المعركة ضد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر جعلت من جيش التحرير الجزائرى شبه إدارة وطنية فعلية فى المناطق التى عملت فيها ومارست منها قتالها .

ومنذ الشهور الأولى بعد الاستقلال كانت الحساسية بين الرجلين شديدة ، وكان التداخل بين سلطة كل منهما داعيا لمشاكل يصعب تفاديها . وعلى سبيل المثال فإن « بن بيلا » قام بتعيين العقيد « طاهر الزبيرى » رئيسا لهيئة أركان

حرب الجيش أثناء غيبة « بومدين » فى زيارة رسمية للاتحاد السوفيتى ، قاصدا بذلك ـ كما ظن « بومدين » ـ قص أجنحة قائد الجيش . وفى نفس الوقت فإن السيد « عبد العزيز بوتفليقة » وزير الخارجية كان يعتبر رجل « بومدين » وعينه الساهرة على أعمال مجلس الوزراء . وفى حين أن « بومدين » استطاع أن يستميل « طاهر الزبيرى » ويضمه إلى صفه ـ فإن « بن بيللا » حاول أن يفصل « بوتفليقة » من منصبه ، وعجز فى محاولته لأن « بومدين » أخطره مبكرا بأن تلك سوف تبدو أمام كل الناس إساءة إليه .

□

وقد أحس « جمال عبد الناصر » بما يجرى فى الجزائر ، ودعا الاثنين إلى مقابلته فى القاهرة ، وحاول بكل وسيلة إقناعهما بتفادى الصدام ، خصوصا وأن مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى الثانى (بعد المؤتمر الأول فى « باندونج ») قد تقرر انعقاده فى الجزائر . وتفتحت فى حضور « جمال عبد الناصر » بعض الشحنات المكتومة ، وبالتحديد قضية العلاقة بين الجيش والحزب ، واعتقاد « بومدين » أن هناك فى الحزب عناصر يسارية تتطاول بشكل غير مقبول على جيش التحرير ، وتعتبره مثل أى جيش بؤرة صالحة للانقلابات مهددة للتجربة الاجتماعية فى الجزائر . كذلك تفتحت الشحنة المكتومة لإحساس « بن بيللا » بأن الجيش الوطنى فى الجزائر بعيد عن سلطة القيادة السياسية للثورة .

وعاد الاثنان إلى الجزائر والأمل معقود على أن يتمكنا من احتواء الأزمة بينهما ، خصوصا وأن موعد قمة رؤساء آسيا وأفريقيا كان يقترب بشدة . ومن الجزائر بعث « بن بيللا » بخطاب للرئيس « جمال عبد الناصر » يطلب فيه تجنيد فريق إدارى وتنفيذى وفنى للمساعدة على إتمام قصر المؤتمرات الذى سيلتقى فيه رؤساء آسيا وأفريقيا ، لأن إعداد هذا القصر متأخر عن موعده . واستجاب « جمال عبد الناصر » على الفور . وقد طمأنه خطاب « بن بيللا » إلى أن الأمور تسير فى مجاريها الطبيعية .

وفى أواخر مايو ١٩٦٥ كتب « بن بيللا » إلى « جمال عبد الناصر » خطابا شخصيا وردت فيه عبارة لافتة للنظر ، جاء فيها بالنص : « **إن هناك مناورات ومؤامرات تدبرها أياد سوداء فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا ، وغيرها من النقاط الحساسة فى العالم** » . **وبعد أسبوعين كانت إذاعة الجزائر فجر يوم ١٩ يونيو تذيع بيانا بعزل « بن بيللا » وإعلان القبض عليه وتوجيه تهمة الخيانة العظمى إليه . وكانت تلك صدمة للقاهرة التى كانت قد تجمع فيها بالفعل عدد من رؤساء الدول الآسيوية**

الذاهبين فى طريقهم لمؤتمر الجزائر ، وكان بينهم رئيس وزراء الصين « شوين لاى » ، ورئيس اندونيسيا « أحمد سوكارنو » ، وغيرهما . وكان السؤال الذى فرض نفسه على الكل ، سواء هؤلاء الذين تجمعوا فى القاهرة أو الذين كانوا على وشك بدء الرحلة من عواصمهم إلى عاصمة الجزائر ، هو سؤال : « ماذا يحدث للمؤتمر ، وهل يعقل أن ينعقد فى موعده فى ظل انقلاب قام به الجيش الجزائرى ضد رئيس الدولة الذى وضع توقيعه على رسالة الدعوة إلى المؤتمر » ؟

وكان « جمال عبد الناصر » أكثر الكل دهشة ، وربما كان مبعث دهشته عائدا إلى سببين : أولهما ـ أن يحدث الانقلاب قبل المؤتمر (وهو لم يكن يستبعد حدوثه بشكل ما بعد المؤتمر) . والسبب الثانى ـ هو أن تصل الأمور إلى حد توجيه تهمة الخيانة العظمى إلى « بن بيللا » .

ولم يخفف من دهشته أن وزير الخارجية الجزائرى السيد « عبد العزيز بوتفليقة » دعا عند الفجر سفير الجمهورية العربية المتحدة وأبلغه برسالة توضيحية للرئيس « جمال عبد الناصر »قائلا إنه فيها مجرد ناقل عن « الأخ هوارى بومدين » الذى يهمه موقف مصر ورئيسها .

وفكر « جمال عبد الناصر » طويلا ثم قرر إيفاد المشير « عبد الحكيم عامر »(١) فى مهمة عاجلة إلى الجزائر ليسمع وجهة نظر « بومدين » فيما حدث ، وليستفسر منه عن وجهة نظره فى موضوع انعقاد المؤتمر ، ثم ليحصل ـ إذا استطاع ـ على ضمانات لسلامة حياة « بن بيللا » .

ولم يكن هناك جديد فيما سمعه « عبد الحكيم عامر » من « بومدين » عن أسباب الانقلاب ، فقد كان معظمها معروفا حتى من قبل اجتماع الاثنين بالرئيس « جمال عبد الناصر » فى القاهرة . وقد أجمل « بومدين » موقفه فى قوله لـ « عبد الحكيم عامر » بالحرف « لقد كنت أقرب الناس إليه ، وإذا كنت قد وصلت إلى حد الانقلاب عليه فلابد أن يدرك الناس أننى كنت مضطرا ولم يكن لى خيار » .

وأما بالنسبة لتوقيت الانقلاب على « بن بيللا » وتأثيره على انعقاد مؤتمر القمة فقد أوضحه السيد « عبد العزيز بوتفليقة » فى أحد الاجتماعات حين قال بمنتهى الوضوح : « إن

---

(١) كان لى الحظ ان أسافر على نفس الطائرة مع المشير « عبد الحكيم عامر » وأن أحضر جميع لقاءاته فى الجزائر .

الأزمة كانت مستحكمة ، وكانت مؤجلة إلى ما بعد مؤتمر القمة ، وكان بن بيللا مطمئنا إلى ذلك . وقد أخذنا اطمئنانه هذا لصالحنا وسبقناه » . ثم أضاف « بوتفليقة » : « إنه يعتقد أن بن بيللا كان سينتهز فرصة انعقاد المؤتمر وما بعده لكى يقوم بتصفية نهائية لكل العناصر المؤيدة لبومدين . كان يريد الخلاص منا ونحن أصحاب الحق فى الثورة والمناضلين الحقيقيين الذين قادوا الكفاح » . ويواصل « بوتفليقة » كلامه فيقول : « كانت خطة بن بيللا أن ينتهز فرصة المؤتمر ليبنى لنفسه مكانة شعبية ودولية . وكان مقررا بعد المؤتمر مباشرة أنه سيصحب الرئيس جمال فى زيارة رسمية لولايات الجزائر . وبعدها كان مقررا عقد مؤتمر الشباب العالمى فى الجزائر . وكانت ترتيبه أن يكون نجم المؤتمر . بعدها كانت تنتظره زيارة رسمية لفرنسا واجتماع مع ديجول . وأثناء هذا كله من كان يستطيع أن يضمن ما يمكن أن يفعله ؟ بعد هذا كله كان يتصور أنه سوف يكون قويا إلى درجة تسمح له أن يفعل بنا ما يشاء » . ثم ختم « بوتفليقة » كلامه قائلا ببساطة : « الآن ، أو كانت الفرصة تضيع إلى الأبد ويسيطر وحده بغير شريك » .

وحين انتقل « عبد الحكيم عامر » إلى موضوع المؤتمر ، أحس أن الآراء متضاربة ، ففى حين أن « بومدين » نفسه كان يبدو من أنصار انعقاد المؤتمر فى موعده (ربما كاعتراف وتثبيت للوضع الجديد فى الجزائر) ـ فإن بعض زملائه خصوصا من العسكريين كانوا مترددين فى إبداء مواقفهم .

وأخيرا وصلت المناقشات إلى سلامة « بن بيللا » الشخصية ، وأحس « بومدين » أنها نقطة لها أهميتها الكبرى ليس فقط بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » ، ولكن بالنسبة للشعب المصرى وبقية شعوب الأمة العربية ، فقال : « إن بن بيللا بخير وأنه رهن الاحتجاز ريثما يقرر مجلس الثورة الجديد كيفية التصرف معه ، وأن كل ما يستطيع التعهد به هو أن شيئا لن يمسه إلاّ بعد محاكمة علنية وعادلة » . ولم يكن هناك ما يمكن انتزاعه منه أكثر من ذلك .

وعاد « عبد الحكيم عامر » بتقريره لـ « جمال عبد الناصر » عن ليلة قضاها فى الجزائر لم ينم فيها أحد دقيقة واحدة ، وانقضت كل ساعاتها فى لقاءات وأحاديث مكثفة وساخنة فى بعض الأحيان . وكانت القاهرة فى مأزق كبير . كان عدد الرؤساء الآسيويين والإفريقيين المسافرين إلى الجزائر قد زاد فيها . ثم قصد إليها معظم من كانوا غادروا بلادهم فى الطريق إلى الجزائر بعد أن فاجأتهم التطورات فى منتصف الرحلة ، فلم يواصلوا سفرهم ولم يقفلوا عائدين إلى بلادهم . وكان الخيار الأسهل بالنسبة لمعظمهم أن ينضموا إلى الذين تلاقوا قبلهم فى القاهرة . وكانت نقطة التركيز فى أحاديث الجميع هى : عقد

المؤتمر أو تأجيله ، وعقده فى الجزائر إذا عقد أو فى مكان آخر على وجه الاستعجال مادام وقوع الانقلاب فى الجزائر يحول دون عقده فيها .

وكان « جمال عبد الناصر » موزعا بين رغبته فى انعقاد المؤتمر فى الجزائر تكريما لشعبها وتقديرا لما تكلفه هذا الشعب فى الإعداد لهذا المؤتمر ـ من ناحية ـ ومن ناحية أخرى فقد كان صعبا عليه أن يتصور أن جو الجزائر بعد ما حدث يستطيع احتمال مؤتمر قمة يحضره عشرات من رؤساء آسيا وأفريقيا . كذلك كانت هناك نقطة أخرى تقلقه ولم تكن قد حسمت فى الاجتماعات التمهيدية ، وهى رغبة الاتحاد السوفيتى فى الاشتراك فى مؤتمر قمة دول آسيا وافريقيا باعتبار أن جزءا كبيرا من أراضيه يقع فى آسيا . ولم يكن « جمال عبد الناصر » متحمسا لوجهة النظر السوفيتية هذه ، وكان اعتقاده أن دخول إحدى القوتين الأعظم إلى قمة التضامن الآسيوى الإفريقى من شأنه أن يؤثر على استقلالية هذا التضامن ، حتى من ناحية المظهر والشكل العام . وفى جو التوتر الذى أعقب أحداث الجزائر فقد كان محتملا أن تأخذ هذه القضية أبعادا أكبر من حقيقتها ، **وهكذا كان استعداده لقبول فكرة التأجيل لإتاحة وقت للتفكير الهادىء بعد كل ما هب من عواصف على قمة الجزائر ووراءها !**

ورجحت كفة التأجيل ، وأحس « جمال عبد الناصر » من ردود الفعل التى تلقاها من الجزائر أن هناك شعوراً لدى البعض بخيبة الأمل رغم أن حكومة الجزائر الجديدة لم تكن قد استقرت على قرار فيما يتعلق بالمؤتمر . وكتب « جمال عبد الناصر » خطاباً شخصياً إلى « بومدين » محاولاً استدراك أى سوء فهم قبل أن يستفحل بين البلدين . وبدأ خطابه(٢) قائلاً :

« عزيزى الأخ بومدين

لقد وجدت برغم زحام الحوادث وتقديرى لمشاغلك العديدة أنه من الضرورى أن أكتب إليك موضحاً ومؤكداً بعض النقط التى أرى أن عرضها الآن لازماً لكى تظل الأمور فى مكانها السليم وبمعاييرها الصحيحة ، الشىء الذى نحرص عليه كل الحرص ، إيماناً لا يتزعزع مهما كانت التطورات بصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ، البلدين والشعبين والثورتين ، وثيقة وعميقة . . . . » .

□

---

(٢) النص الكامل للخطاب منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٤) صفحة ٩٧٦

كان ما حدث فى الجزائر يوم ١٩ يونيو ١٩٦٥ نموذجا حياً للمخاطر التى يمكن أن تواجهها الدول الجديدة من الداخل .

وأما المخاطر التى تنقض من الخارج فقد كانت نماذجها كثيرة فى تلك الفترة من النصف الثانى من الستينات :

■ **سنة ١٩٦٥ كان الانقلاب الذى حدث على حكم الرئيس الاندونيسى « أحمد سوكارنو »** هو أهم وأخطر الانقلابات فى العالم الثالث . وكان بداية سلسلة طويلة من خطط العمل المباشر الذى تقوده الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة الأمريكية . وكانت اندونيسيا مطلبا رئيسيا للسياسة الأمريكية ، فهى أكبر الدول الإسلامية تعداداً ، وهى تقع على مرمى حجر عبر المضايق من جنوب شرق آسيا وفى وسطه فيتنام والحرب الضروس الدائرة فيها . ولم تحاول وكالة المخابرات المركزية الأمريكية باعتبارها الذراع الرئيسية للحكومة الخفية أن تخفى دورها فى اندونيسيا سنة ١٩٦٥ ، بل لعلها كانت حريصة على أن تظهر بعض جوانبه حتى تكون درساً لآخرين قريبين من اندونيسيا أو بعيدين عنها . ولقد كان أكثر ما يزعج الولايات المتحدة فى سياسة « سوكارنو »[٣] هو مشاركتها الإيجابية فى سياسة عدم الانحياز ، وعلاقاتها الوثيقة مع الصين ، وتأييدها العنيد للثورة الفيتنامية .

■ **ثم شهدت أفريقيا الانقلاب الأخطر الثانى ، وهو الانقلاب على نظام الرئيس الغانى « قوامى نكروما »** . وكان « نكروما » داعية بارزا للوحدة الإفريقية ، وكان مؤتمر القمة الإفريقى الذى عقد فى « أكرا » سنة ١٩٦٥ مظاهرة دولية من الدرجة الأولى ضد مخططات السيطرة الأمريكية . ثم أن « نكروما » كان قد كلف مجموعة من الباحثين الأوروبيين بجمع معلومات عن شركات الاحتكار الكبرى التى استولت - حتى بعد الاستقلال - على كل موارد الثروة الطبيعية فى أفريقيا وعن علاقة هذه الاحتكارات ببعضها ، ثم جعل من كشف أساليبها فى السيطرة على شعوب القارة ومواردها قضيته الأولى ، وكان يسميها « **العصر الثانى للعبودية** » . وأضيف إلى ذلك أن « نكروما » بدأ يلعب دورا نشيطا فى حركة عدم الانحياز وفى مساعدة حركة التحرر الوطنى فى أفريقيا - **وكان الجيش هو البؤرة التى تم تدبير الانقلاب فيها ضد « نكروما » - وطبقا للنموذج الذى تم فى اندونيسيا .**

---

(٣) يقتضى الإنصاف إشارة إلى أن الثورة المضادة فى اندونيسيا استغلت بعض التصرفات الشخصية للرئيس « أحمد سوكارنو » ، كما استغلت بعض مظاهر الفساد التى أحاطت بعدد من أقطاب نظامه ، ومع ذلك فإن النظام الذى أعقب الانقلاب عليه كان أشد فسادا بعشرات المرات مما كان عليه نظام « سوكارنو » .

ثم توالت الانقلابات فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ـ يتلو بعضها بعضا .

□

ويظهر تقرير سرى لوزارة الخارجية الأمريكية عن « دراسة لحالة غينيا » صورة محددة المعالم للأهداف التى كانت تتوخاها السياسة الأمريكية فى دول العالم الثالث عموما فى تلك الفترة . فقد جاء فى الصفحة الأولى من هذا التقرير[٤] ـ وهى الصفحة التى تحمل عنوانه وتنص على درجة سريته العالية ـ العبارة التمهيدية التالية : « **أعدت هذه الوثيقة بواسطة وزارة الخارجية وبالتشاور مع عدد من الوزارات والوكالات المعنية ، وهى صادرة الآن تحت السلطة المباشرة لوزير الخارجية لكى تكون دليلا إلى كل المسؤولين الذين يعملون فى تنفيذ السياسة الخارجية للولايات المتحدة وعملياتها** » .

وتجيء الوثيقة بعد ذلك فى ثلاث وعشرين صفحة تبدأ أولا باستعراض أهمية غينيا السياسية فى وسط القارة الإفريقية ، وعن حكومتها ، وعن علاقتها بالاتحاد السوفيتى والصين . ثم تتجه مباشرة بعد ذلك إلى تحديد المصالح الأمريكية المباشرة فى غينيا ، وأولها شركة « فرايا » للألومنيوم التى يملك الماليون الأمريكيون ٤٨ ٪ منها ، بينما يتوزع الباقى على مجموعات فرنسية وبريطانية وألمانية وسويسرية . ثم تتحدث الوثيقة عن موارد البوكسايت فى غينيا وضرورة أن يظل استغلالها فى أيد غربية . ثم تشير الوثيقة إلى أن « **الجو السياسى فى غينيا له اتجاهات اشتراكية لا تطمئن رأس المال الأجنبى الكبير** »[٥] . ثم تصل الوثيقة إلى خطوط العمل المطلوبة فتحدد بعض النقط كما يلى :

- **لا بد أن نعمل على زيادة نفوذ الولايات المتحدة بالذات والغرب عموما فى عدد من المواقع المفاتيح فى حياة غينيا الوطنية ، خصوصا فى مجالات الاقتصاد والمال والتجارة والثقافة .**
- **لا بد من عرقلة تعاون غينيا مع الكتلة السوفيتية فى مجالات الاقتصاد والمعونة الفنية والنشاط المعادى للغرب فى أفريقيا .**
- **لا بد أن نحصر نفوذ غينيا فى البلاد الإفريقية الأخرى ، مع تشجيع أى صلات بينها وبين الدول الإفريقية المعتدلة مثل ساحل العاج والسنغال .**
- **لا بد من إعادة تركيب الدولة الغينية بحيث تكون على علاقة طيبة بالغرب**

---

(٤) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية .

(٥) الصفحة السابعة من الوثيقة .

وبعيدة عن النفوذ السوفيتى ، وإعادة توجيه سياستها لتكون أقرب للدول المعتدلة .

- **لا بد من تحقيق اندماج الاقتصاد الغينى مع اقتصاد العالم الحر بحيث يتأكد حصول الغرب على احتياطيات غينيا من البوكسايت العالى الجودة .**

ثم تصل الوثيقة فى الصفحة الأخيرة منها إلى أن نقول : « **إن اختفاء سيكوتورى من المسرح السياسى لسبب أو لآخر قد يؤدى إلى نتائج سياسية ودولية هامة ، وربما أدى إلى نوع من القلاقل والنزاع على السلطة ، وذلك على أى حال يمكن أن يفتح الباب لتغييرات فى الأشخاص وفى المواقع وفى السياسات** » .

□

كانت هناك ـ عند منتصف الستينات وما حولها ـ مواقع فى العالم الثالث قد سقطت فعلا ، وكانت هناك مواقع أخرى معرضة للسقوط .

وكان نشاط الحكومة الخفية للولايات المتحدة على أشده . فوق الأرض ظاهرا ـ وتحت الأرض خفيا !

على طول الستينات كانت شبكات التجسس فى مصر وعليها حلقات متصلة ، تنكسر منها حلقة فإذا وراءها حلقة أخرى .

كانت الخمسينات قد شهدت كسر معظم حلقات التجسس البريطانى والفرنسى . وفى الستينات كان المسرح محصورا بين الشبكات الأمريكية والإسرائيلية . ولم تكن الولايات المتحدة مهتمة كثيرا بالتجسس العسكرى ، فقد كانت لها وسائلها التكنولوجية فى محاولات رصده ، وإنما كانت مهتمة بالدرجة الأولى بالتجسس السياسى والاقتصادى . وقد حققت فيه من خلال إحدى الحالات نجاحا هائلا .

كان التجسس العسكرى وعلى الأرض قرب منتصف الستينات وحولها هو شاغل إسرائيل وموضع تركيزها .

ولقد تكشف الآن أن عددا من جواسيس إسرائيل ، ومن أصول أوروبية وأمريكية ، حصلوا على بطاقات هوية من صحف عالمية ، وجاءوا إلى مصر تحت ستار أنهم مراسلون صحفيون ، وسعوا إلى مقابلة عدد من الشخصيات ، وكانت لديهم أسئلة يطرحونها ويكتبون الإجابات عليها جهارا نهارا ، وأحيانا كانوا يسجلون ما يسمعون بموافقة من يقابلونهم وبإذنهم . **وقد حدث (بعد سنين طويلة) وبعد اتفاقيات « كامب دافيد » أن زار مصر مدير المخابرات الإسرائيلية ضمن الأعضاء فى وفد رسمى ، وتطلع إليه أحد كبار المسؤولين فى مصر ، وسأله مدققا فى ملامحه - قائلا « إن وجهه ليس غريبا عليه ، وهو واثق أنه التقاه من قبل » . وابتسم مدير المخابرات الإسرائيلية قائلا للمسؤول المصرى الكبير « إن ذاكرتك تستحق الإعجاب . إننا تقابلنا مرتين قبل الآن ومن سنوات بعيدة ، وفى ذلك الوقت فإننى جئتك كمراسل لصحيفة أمريكية كبرى » (تعمد ألاّ يذكر أحدا باسمها) .**

لكن الظاهرة الغريبة فيما يتعلق بالتجسس الإسرائيلى فى مصر هو أن معظم القائمين به كانوا من الألمان . ويبدو أنه كان سهلا على إسرائيل أن تجند بعض الألمان عن طريق الابتزاز ، ثم إنها كانت تعرف أن الألمان بصفة عامة موضع قبول فى العالم العربى ، إلى جانب أن جزءا كبيرا من نشاطها التجسسى فى مصر فى تلك الفترة كان مركزا على الخبراء الألمان العاملين فى مجال تطوير الصواريخ والطائرات بالذات . ومن المحتمل ، وهو ما حدث فعلا ، أن معظم الألمان - فى غربة بلد مثل مصر - يجدون أنفسهم فى النهاية حول دائرة اجتماعية واحدة أو دوائر قريبة ومتصلة ببعضها .

□

وقد كان معظم النشاط الذى قام به الألمان لحساب إسرائيل موجها بالفعل إلى الألمان العاملين فى الصناعات الحربية المصرية . وتعتبر الشبكة التى نظمها « ولفجانج لوتز » وزوجته « والترا مارثا نيومان » هى أهم الشبكات التى عملت فى مصر فى فترة الستينات .

وكان « لوتز » - كما ورد فى السجلات الرسمية للموساد (المخابرات العامة الإسرائيلية) فيما بعد - يهوديا من مواليد « مانهايم » سنة ١٩٢١ . وكان والداه كلاهما من فنانى المسرح ، فأمه « هيلين » كانت ممثلة ، وأبوه « هانز » كان مخرجا . وفى سنة ١٩٣١ - وكان الوالدان قد انفصلا - هاجرت الأم بابنها إلى فلسطين ووجدت عملا فى

المسرح الإسرائيلى الشهير « هابيما » . والتحق « لوتز » بمدرسة « بيب شيمين » الزراعية قرب تل أبيب ، وأصبح خبيرا فى تدريب الخيول . ثم انضم إلى قوات « الهاجانا » والتحق عن طريقها بالجيش البريطانى فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان يعمل فى قسم استجواب الأسرى الألمان الذين يقعون فى أيدى القوات البريطانية أثناء حرب الصحراء .

وبعد الحرب عاد إلى فلسطين وعمل فى تهريب الأسلحة إلى « الهاجانا » ، ثم شارك مع قواتها فى معارك « اللطرون » . ووصل إلى رتبة « ميجور » عندما كان يعمل فى أحد ألوية المشاه أثناء حرب السويس . وبعد حرب السويس وجد خبراء الموساد أن « لوتز » يصلح لمهام أكبر وأخطر من مجرد الخدمة فى الجيش . وتذكر سجلات الموساد « أن لوتز أختير لأنه كان أشقر بعيون زرقاء ويتحدث الألمانية إلى جانب إلمام كاف باللغة العربية ، وكان معروفا بالجرأة وعلى استعداد للمخاطرة بحياته لتحقيق هدف . كما أنه كان بطبيعته محبا للمظاهر وقادرا على التمثيل بكفاءة ، ولعله ورث هذه الموهبة عن أمه . » ونقل « لوتز » إلى الموساد حيث جرى له تدريب مكثف على مختلف وسائل التجسس الحديثة ، ثم أعطى منهجا عن التاريخ والسياسة والثقافة فى مصر . وفى سنة ١٩٥٨ كان « لوتز » مهيأ للعمل فى مصر . وكان التوجيه الأول المحدد الخاص بمهمته فى مصر - طبقا لسجلات الموساد - يقول « **إن عددا متزايدا من الخبراء الألمان يذهبون إلى مصر لخدمة نظام ناصر ، وهم خليط من العلماء والمهندسين والفنيين . والخطرون منهم بالنسبة لإسرائيل هم أولئك الذين يعملون فى مجال صناعة الطائرات ومهندسو الفضاء العاملين فى مجال الصواريخ » . وكان لا بد من إعطاء غطاء لـ « لوتز » يعطيه شخصية جديدة تماما قبل أن يجىء إلى مصر . ولم يكن ضروريا لـ « لوتز » أن يخترع قصة حياة جديدة بالكامل ، وإنما كانت لديه قصة حياته الحقيقية حتى سن الثالثة عشرة فى ألمانيا ، وبعدها كان عليه أن يزعم أنه بقى هناك حتى قيام الحرب ثم انضم إلى الجيش الألمانى الذى كان يقاتل فى الصحراء ، وكان « لوتز » بالفعل يعرف الكثير عن شؤون هذا الجيش من تجربة استجواب الأسرى الألمان لحساب الانجليز فى الحرب . وكان عليه بعد ذلك أن يدعى أنه بعد الحرب سافر إلى أستراليا وعمل بالزراعة فيها ، وهنا تنفعه تجربته فى مدرسة « بيت شيمين » الزراعية . ثم أنه جمع فى أستراليا ثروة كبيرة وأغرم بهواية الخيول ، وهكذا قرر أن يجىء ومعه أمواله إلى مصر التى يعرف أن فيها مجموعة من خيرة أنساب الخيول العربية .**

وقضى « لوتز » طوال سنة ١٩٦٠ فى ألمانيا ليحكم بناء تفاصيل شخصيته الجديدة . ثم جاء الوقت الذى تعين فيه أن يتوجه إلى مصر ، وقد وصل إليها بالفعل فى يناير ١٩٦١ .

العميل الاسرائيلى يشرح للمحقق طريقة فك وتركيب الأجهزة

وبعد أسابيع من وصوله إلى مصر كان « لوتز » يتردد على نادى الجزيرة ونادى الفروسية تحت ستار اهتمامه بالخيول واستعداده لإرضاء هوايته بشراء خير ما يصادفه منها . وقد تعرف فى نادى الفروسية على ضابط برتبة لواء فى البوليس المصرى كان مهتما بدوره بالخيول . وبعد ستة أشهر كان « لوتز » نجما من نجوم مجتمع النوادى القاهرية ، وهو مجتمع ملىء بالمصادر والحكايات . وقد اختار « لوتز » لنفسه مسكنا أنيقا فى البيت رقم ١٦ فى شارع اسماعيل محمد بالزمالك ، كما استأجر عوامة فى النيل عند الجزيرة ووضع عليها جهاز إرسال صغير ليستطيع إرسال إشاراته إلى إسرائيل ، وكان يركز على إرسال

واحد مرة كل أسبوع ، وفى ربع ساعة من الاتصال يكون قد بعث بحصيلة أسبوع كامل من الأخبار . وبعد أقل من سنة كان « لوتز » معروفا فى الدوائر الداخلية للموساد باسم « عيننا فى مصر » .

كانت أول مهمة كلف بها « لوتز » هى تخويف الخبراء الألمان عن طريق إرسال خطابات تهديد لهم تحمل تفاصيل عن عائلاتهم وبيوتهم وأعمالهم فى ألمانيا وتنصحهم بالعودة إلى حيث كانوا حرصا على حياتهم .

ثم تطور إرسال خطابات التهديد إلى إرسال الشحنات الناسفة . وبعد عملية تخويف وإرهاب العلماء الألمان ، انتقل « لوتز » - الذى كان قد ضم إلى معارفه عددا لا بأس به من ضباط الجيش المهتمين بالفروسية - إلى محاولة الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن إنتاج الصواريخ فى مصر . وكان تركيزه بالذات على المشروع ٣٣٣ الخاص بنظم توجيه الصواريخ ، ثم اتسعت مهامه فأصبح مكلفا بتعقب مواقع بناء الصواريخ ، ومن المفارقات أنه وزوجته قبض عليهما ذات مرة بالقرب من منطقة محرمة فى الاسماعيلية كان يجرى فيها بناء قاعدة للصواريخ ، ثم أفرج عنهما على الفور على أساس أن هناك خطأ من جانبه جعله يدخل منطقة محظورة دون علمه ، وكان ذلك بعد تدخل بعض من تعرف عليهم وصادقهم من كبار الضباط .

ومع ازدياد النشاط المصرى فى مجال الصواريخ كانت قيادة الموساد تضغط على « لوتز » من أجل مزيد من التفاصيل . وزادت درجة نشاطه فى هذه الفترة إلى حد لفت أنظار المخابرات المصرية التى راحت تتابعه ثم قامت بإلقاء القبض عليه . وكمحترف ، فإنه أدرك أن لعبته قد انتهت ، واعترف وأرشد عن جهاز الإرسال الذى يستخدمه ، كما أرشد عن مخبأ كان يستخدمه لإخفاء المتفجرات وآلات التصوير والأفلام ومبلغ ٧٥ ألف دولار كان موزعا داخل عدة أظرف . وقدم « لوتز » وزوجته إلى المحاكمة ، وصدر الحكم عليهما بالسجن المؤبد .

□

كان « لوتز » منظم أهم شبكة جواسيس فى مصر ، ولكنه لم يكن أهم جاسوس لإسرائيل فى العالم العربى . فوصف الجاسوس الإسرائيلى الأول فى العالم العربى هو لا جدال « **إلياهو كوهين** » الذى استطاع أن ينفذ إلى دوائر السلطة فى دمشق ويصبح واحدا من « **صناع الملوك** » وراء الستار فى العاصمة السورية فى الستينات .

كان « إلياهو (أو « إيلى ») كوهين » من مواليد الحى اليهودى فى الاسكندرية فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٤ . وكان أبوه « شاوول » وأمه « صوفى كوهين » من المهاجرين الذين جاءوا إلى مصر من حلب . وفى الاسكندرية كان « شاوول » ـ الوالد ـ يملك محلا لبيع ربطات العنق المستوردة من باريس ، وكان أبا لثمانية أطفال ـ بينهم « إيلى » ـ وقد رباهم جميعا تربية دينية تلمودية ، ثم بعث بأنكاهم وهو « إيلى » ليدرس فى مدرسة « الليسيه » ، وقد أصبح بسهولة متحدثا بطلاقة بالعبرية والفرنسية ـ والعربية . وتجلى اهتمام « إيلى » بالديانة اليهودية مبكرا فألحق بمدرسة « الميمونيين » بالقاهرة ، ثم عاد إلى الدراسات التلمودية فى الاسكندرية تحت رعاية الحاخام « موشى فينتورا » حاخام الاسكندرية .

وكان طبيعيا أن يلفت « إيلى » نظر الجمعيات اليهودية ، وهى كثيرة فى ذلك الوقت قبل الثورة فى مصر . وعن طريق الجمعيات الدينية اقترب « إيلى » من مجالات النشاط الصهيونى السياسى فى مصر ولم يظهر له نشاط مؤثر . وفى ديسمبر سنة ١٩٥٦ فى أعقاب حرب السويس مباشرة كان على « إيلى كوهين » أن يغادر مصر نهائيا ، وختم جواز سفره بتأشيرة « سفر بلا عودة » .

ووصل « إيلى كوهين » بالباخرة من الاسكندرية إلى نابولى ، ومن نابولى استقل باخرة ثانية إلى ميناء حيفا ، وهناك التقطته المخابرات الإسرائيلية وجندته فى البداية فى إطار الأمن الداخلى ضد التجسس العربى . وفى بداية سنة ١٩٦٠ رشحه أحد كبار المسؤولين فى الموساد وهو « إيزاك زالمان » للعمل فى الخارج . وفى تلك الفترة كان « إيلى كوهين » يريد العودة إلى مصر والعمل فيها لحساب الموساد على أساس أنه من مواليدها وهو أخبر بها من غيره بين زملائه فى الموساد . ولكن « ايسر هاريل » مدير الموساد فى ذلك الوقت كان له رأى آخر ، فقد اقترح إرسال « إيلى كوهين » إلى سوريا بعد تأهيله لكى يذهب إليها مليونيرا من أصل عربى عائدا إلى وطنه بعد أن كون ثروة طائلة فى الأرجنتين .

وبالفعل أرسل « إيلى كوهين » إلى الأرجنتين التى وصل إليها على طائرة « سويس اير » فى شهر مارس ١٩٦١ ، التى هبطت به فى مطار « العزيزية » فى بوينس أيرس .

كان « إيلى كوهين » يحمل معه عند وصوله إلى عاصمة الأرجنتين جواز سفر سوريا يحمل صورته واسم « **كامل أمين ثابت** » ، ويشير إلى أنه من المشتغلين بتجارة التصدير . وما هى إلاّ أسابيع قليلة حتى كان « إيلى كوهين » باسمه الجديد وهويته الجديدة قد اندمج فى أوساط السوريين واللبنانيين الذين يعيشون فى بوينس ايرس . وبعد شهور أخرى كان

« كامل أمين ثابت » قد أصبح صاحب شركة ملاحة وله حسابات متعددة فى بنوك الأرجنتين وسويسرا .

وبهذا الإعداد كله بدأ « كامل أمين ثابت » يدعى إلى احتفالات بعض السفارات العربية ، وبينها السفارة السورية ، وهناك تعرف على الملحق العسكرى السورى الجديد العقيد « أمين الحافظ » . وتوثقت الصداقة بين الرجلين . وعندما قدر للعقيد « أمين الحافظ » أن يلعب دورا مهما فى دوامة الانقلابات السورية بعد انتهاء الوحدة بين مصر وسوريا بالانفصال - أصبح العقيد لواء ، ثم أصبح فريقا ، وجاء صديقه القديم من الأرجنتين لزيارته معززا مكرما - ولكن المضيف راح يلح على ضيفه أن يجىء بأمواله إلى سوريا وأن يستثمر فيها ، وأن يمارس نشاطه فى حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وكانت تلك هى ضربة الحظ التى لم يتوقع « إيلى كوهين » ولا قيادة الموساد خلفه أن تصل بهذه السهولة إلى أيديهم . وطلب إليه أن يستجيب على مهل لدعوة صديقه الكبير من دمشق ، ثم يذهب إليه فى العاصمة السورية ويظهر فى البداية تردده فيما إذا كان يستطيع البقاء فى سوريا أو أنه من الأفضل له أن يعود إلى الأرجنتين . ثم أن يبدى فى النهاية استعداده لقضاء فترة تجربة .

وخلال فترة التجربة كان الجاسوس الإسرائيلى ضيفا مدللا على الدوام عند أعلى مستويات القيادة السياسية والعسكرية فى سوريا . وبدأت رسائله إلى قيادة الموساد تقنع رئيسها « ايسر هاريل » أنه عثر على كنز فى العاصمة السورية . كان « إيلى » يدعى إلى كل حفلات النخبة الحاكمة فى دمشق ونواديها ، وكان يشترك فى كثير من المناقشات السياسية والاقتصادية . وبحكم صلته بالفريق « أمين الحافظ » الذى أصبح على رأس الدولة - تعرف على كثيرين من الضباط والدبلوماسيين وكبار الموظفين ، وحتى الوزراء الذين أصبحوا يثقون فيه باعتبار قربه من السلطة العليا . ووصل الأمر إلى حد أن « إيلى كوهين » قام أكثر من مرة بزيارة الجبهة السورية ، ودخل أخطر تحصيناتها فى الجولان ، وبعين خبير أعد لمهمته فقد كان يعرف المعنى الحقيقى لكل شىء تقع عليه عيناه .

وقد لعبت المخابرات المصرية دورا رئيسيا فى كشف « إيلى كوهين » . فذات يوم وصلت إلى القاهرة مجموعة من الصور للفريق « أمين الحافظ » أثناء زيارته لبعض المواقع فى الجبهة السورية . وكما يحدث عادة فقد كلف أحد ضباط الاستطلاع بالتدقيق فى الصور وتحديد جميع الأشخاص الظاهرين

فيها . وأمام وجه « كامل أمين ثابت » فى وسط الصورة بالقرب من الفريق « أمين الحافظ » توقف ضابط المخابرات المصرى لأنه لم يستطع أن يتعرف على شخصيته . وجرى تكبير صورة الشخص المجهول وعممت ـ كما يحدث ـ على عدد من إدارات المخابرات . وتذكر أحد ضباط هيئة الأمن القومى الذين يعملون فى مجال مكافحة النشاط الصهيونى فى مصر أن الوجه الذى يراه فى الصورة ليس غريبا عليه . وبعد عملية مراجعة وتدقيق اكتشف مذهولا أنه يطل فى صورة وجه « إيلى كوهين » الذى كان تحت المراقبة لنشاطه الصهيونى قبل خروجه من مصر فى نهاية سنة ١٩٥٦ .

وتقرر معاملة الموضوع بحذر شديد ، فقد كان واضحا أن ظهور « إيلى كوهين » فى صورة فى الجبهة على هذا النحو يعنى أن له أصدقاء كثيرين فى مواقع السلطة العليا فى دمشق ، وقد تتسرب الأخبار بشكل يؤدى إلى الإضرار بالعملية إذا تم إرسال المعلومات عن طريق قنوات الاتصال العادية . **وسافر من القاهرة أحد ضباط المخابرات العسكرية حاملا معه ملف « إيلى كوهين » وصوره . وهناك تم الاتصال بالعميد « أحمد سويدانى » قائد الأمن الداخلى فى سوريا ، ووضعت أمامه كل التفاصيل ، فقام بوضع « إيلى كوهين » تحت المراقبة ، واكتشف بالفعل هوائى جهاز الإرسال الذى يستعمله « إيلى كوهين » من بيته فى دمشق لكى يبعث برسائله إلى قيادة الموساد . ثم استطاع فى اليوم التالى مداهمة « إيلى كوهين » والقبض عليه . وحاول العميد « سويدانى » أن يستخدم « إيلى كوهين » كعميل لحسابه يبعث عن طريقه بما يريد إلى إسرائيل . وأبدى « إيلى كوهين » استعداده وكتب له « سويدانى » رسالة معلومات ليبعث بها عن طريق جهاز إرساله إلى إسرائيل . وبدأ « إيلى كوهين » يدقها بالفعل . كان الاتفاق بين « إيلى كوهين » وقيادة الموساد على أن يبدأ أية رسالة منه إلى قيادة الموساد بثلاثة أسطر من الكلمات لا معنى لها ، فإذا بدأ أى رسالة من رسائله بعبارات لها معنى فعلى قيادة الموساد أن تفهم من ذلك فورا أن « إيلى كوهين » يبعث بما يبعث مضطرا ، وأنه تحت حالة قسر انكشف فيها أمره . وحين بدأ « إيلى كوهين » يدق الرسالة التى وضعها أمامه العميد « سويدانى » فقد بدأ بمضمون الرسالة فورا . وأدرك « ايسر هاريل » أن كنزه الكبير فى دمشق قد سقط فى أيدى أعداء إسرائيل .**

وانكشف كل شىء ، وكان الفريق « أمين الحافظ » عاجزا عن التصديق حتى ذهب بنفسه للسجن العسكرى ، وواجه صديقه « كامل أمين ثابت » . ولم تستغرق المواجهة أكثر من دقيقة واحدة . فقد سأله الفريق « أمين الحافظ » : « **من أنت ؟** » ورد « كامل أمين

تنفيذ حكم الاعدام فى إيلى كوهين فى ساحة المرجه

ثابت » قائلا : « **إيلى كوهين من تل أبيب** » . وحوكم « إيلى كوهين » وصدر عليه حكم بالإعدام شنقا وعلنا فى ساحة المرجه ، ونفذ حكم الإعدام فعلا رغم أن إسرائيل جندت جهود عدد كبير من السياسيين فى العالم بما فيهم بابا الفاتيكان ورئيس وزراء فرنسا وقتها « جورج بومبيدو » - فى محاولة عند الدقيقة الأخيرة لتأجيل تنفيذ حكم الإعدام فى « إيلى كوهين » .

□

كانت عملية « لوتز » أهم عمليات التجسس والاختراق فى مصر . وكانت عملية « إيلى كوهين » أهم هذا النوع من العمليات فى العالم العربى كله . ثم جاءت عملية فى بغداد كانت لها دلالة خاصة ، فقد كانت موجهة إلى هدف محصور ومحدد ، وكان حريا بها أن تلفت الأنظار بأكثر من شكل المغامرة المثيرة الذى تبدى فى وقائعها .

كانت إسرائيل فى خططها كلها تتحسب للطيران العربى . وكانت تعرف أنه بسبب سرعة النفاثات وقرب المسافات وضيق رقعة إسرائيل ، فإن الطيران أقدر من غيره من الأسلحة على الوصول إليها واصابتها بجراح إن لم تكن قاتلة فهى دامية .

وكانت التقديرات الإسرائيلية كلها أن الطائرة الخطرة هى الـ « ميج - ٢١ » ، وهى أحدث ما حصلت عليه أسلحة الطيران العربية . وكانت مواصفات وخصائص طائرة الـ « ميج - ٢١ » لا تزال سرا فى تلك الأوقات ، فقد حصل الأمريكان أثناء حرب كوريا على طائرة من طراز « ميج - ١٥ » بعد أن أعلنوا عن مكافأة مليون دولار للطيار الذى يهرب بواحدة منها إليهم ، ثم حصلوا بعد ذلك على طائرة من طراز « ميج - ١٧ » بنفس الشروط وصلت إليهم عن طريق « تايوان » . وأما بعد ذلك ، فيما يتعلق بالـ « ميج - ١٩ » ، ثم الـ « ميج - ٢١ » - فقد كانت الطلبات قائمة والعروض متأخرة .

وبدأت إسرائيل تدخل الساحة ، وكان همها بكل وسيلة أن تحصل على واحدة من طراز « ميج - ٢١ » تفحصها بعناية ، وتختبرها تحت ظروف القتال ، وتعرف نقط امتيازها ونقط ضعفها حتى تكون مستعدة لها إذا ووجهت بها ذات يوم - مع أنها كانت فى هذا الوقت بالذات تعد لخطط أكثر طموحا من انتظار معارك جوية إذا جاءت الظروف .

وطبقا للتقارير[٦] التى أتاحتها الموساد (المخابرات الإسرائيلية) للدارسين فى نشاطها ، فإن هذا الجهاز وضع قوائم دقيقة بأسماء طيارى الـ « ميج » فى أسلحة الطيران العربية التى حصلت عليها فى ذلك الوقت ، وكانت ثلاثة : طيران مصر - وسوريا - والعراق . ثم درست هذه القوائم بشخصيات من احتوت أسماءهم ، ثم جرت تحريات ، وكان الاتجاه بعد ذلك إلى تركيز على طيار عراقى اسمه الرائد « منير روفا » - وبالنسبة للموساد فقد بدت ظروفه مواتية لنجاح التركيز عليه إذا جرى استخدام الأساليب المناسبة .

وظهرت فى بغداد امرأة على درجة من الجمال جرى الترتيب لها أن تلتقى « مصادفة » بـ « منير روفا » وأن تتعرف عليه ، ثم أن تدخل معه فى مغامرة عاطفية استطاعت من خلالها أن تصل إلى قلبه . ثم رتبت رحلة معه إلى أوروبا ، وهناك على نحو ما أقنعته ، فإذا هو يسافر معها بتصريح مؤقت لا يظهر له أثر فى جواز سفره - سرا

---

(٦) ما ورد فى دراسة عن « الموساد : مخابرات إسرائيل السرية » ، كتبها « دينيس ايزنبرج » و « يورى دان » و « إيلى لاندو » .

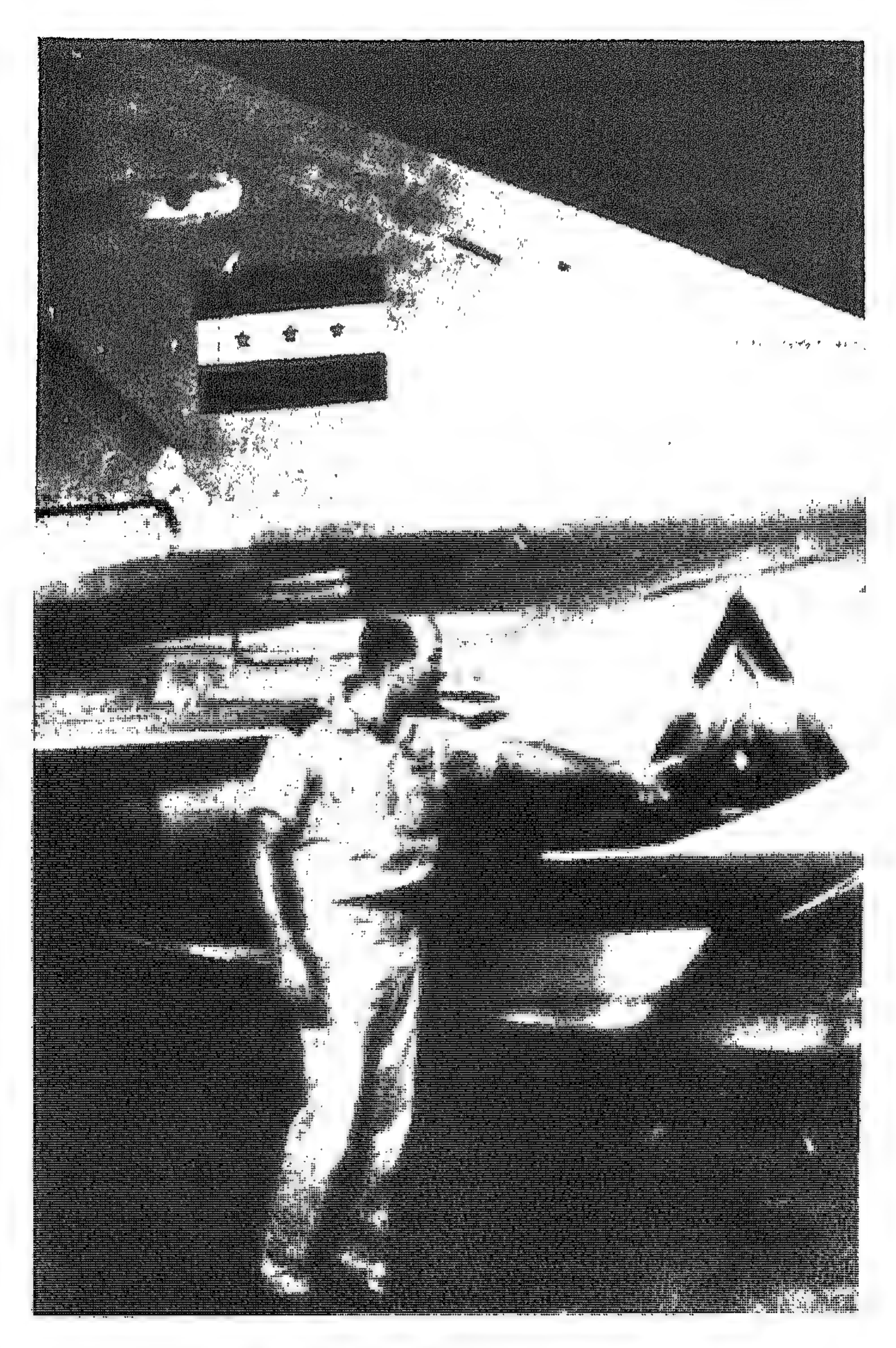

الطائرة العراقية فى إسرائيل

إلى إسرائيل ، وهناك يلتقى بعميلتين للموساد ، ثم يلتقى بعدد من قادة سلاح الطيران الإسرائيلى وبينهم الجنرال « هود » الذى أصبح قائدا للسلاح . وشارك الجميع فى رسم تفاصيل خطة تحدد يوم معين لتنفيذها ، وأطلق عليها الاسم الرمزى « ٠٠٧ » - إشارة إلى قصص « جيمس بوند » - وكان يوما من أيام شهر أغسطس ١٩٦٦ .

وفى هذا اليوم ركب « منير روفا » طائرته من طراز « ميج - ٢١ » فى إطار طلعة لسربه ، ثم ناور وابتعد ، واندفع بأقصى سرعة عبر الصحراء وعبر الأردن ودخل إلى الأجواء الإسرائيلية وهناك كانت تنتظره طائرات حراسة أو تحية من الـ « ميراج » ، وتبادل الجميع إشارات التعارف وهبط « روفا » فى مطار « عتليت » العسكرى . وحصلت إسرائيل على طائرة من طراز « ميج - ٢١ » تم فحص كل جهاز فيها وكل مسمار ، وجرى اختبارها على الأرض وفى الجو ، وفى ظروف المطاردة وظروف القتال - حتى أصبحت كتابا محفوظا عن ظهر قلب . وكانت تلك جائزة لا تفوقها جائزة أخرى فى ميدان كان بطبيعته أكثر الميادين التى تخشى وتتخوف منها إسرائيل .

كانت عمليات زرع الجواسيس واختراق الجبهات الداخلية فى العالم العربى على أشدها فى منتصف الستينات وحولها . وبالتوازى مع هذه العمليات جميعا - كانت هناك حملات الحرب النفسية وسلاحها الأول هو الدعاية والإعلام ، وكلاهما لعبة على أطراف الأصابع فى يد السياسة الأمريكية . وكانت هذه الحملات تثور أحيانا وتهدأ أحيانا ، لكنها لا تغيب فى أى وقت من الأوقات . وكانت النغمة المتكررة باستمرار فى حالة اشتداد الحملات وفى حالة هدوئها هى الإيحاء الملح بأن مصر على وشك أن تصبح جزءا من المعسكر الشيوعى ، وأن الشيوعيين فيها يمسكون بمفاتيح التأثير إلى درجة السيطرة . والغريب أن العكس كان هو الصحيح تماما ، ففى تلك الفترة كان الحزب الشيوعى المصرى قد حل نفسه لأول مرة فى تاريخ الأحزاب الشيوعية فى العالم ، وقيل للشيوعيين المصريين ضمن تصور عام للتحرك نحو الديمقراطية فى مصر أن من حقهم كأفراد ، وليس كتنظيم ، أن يمارسوا مشاركتهم فى الحياة العامة شأنهم شأن غيرهم من المواطنين فى المجتمع . وكان التقدير فى تلك الفترة أن الديمقراطية فى مصر

لن تتأتى لها فرصة حقيقية إلاّ إذا أتيح لكل التيارات الفكرية أن تشارك فى الحوار الوطنى ، وفى مقدمة هذه التيارات التيار الفكرى الدينى ، والتيار الليبرالى ، وتيار اليسار الماركسى .

كان التيار الدينى متأثرا بالصدام مع الإخوان المسلمين ، كما أن التيار الليبرالى لم تكن له قواعد حقيقية ، وأما التيار الماركسى فقد كانت لديه مرونة فى الحركة ثم إنه بالتكوين الفكرى والثقافى لكثيرين من المنتمين إليه كان قادرا بسرعة على المشاركة فى الحوار .

وفى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، ومبكرا من سنة ١٩٦٤ ، أثار « جمال عبد الناصر » ملاحظة مؤداها **أنه بالتعاون العسكرى والاقتصادى الوثيق مع الاتحاد السوفيتى ، وبالنشاط البادى لعدد من العناصر الماركسية ـ بالذات فى مجالات المسرح والنشر ـ فإن الحملات النفسية عن نفوذ الشيوعية فى مصر يمكن أن تتخذ لنفسها شواهد تحمل مظنة الصدق . ولم يكن حله المقترح لمواجهة مثل هذه الانطباعات الخاطئة التى تستغلها حملات الحرب النفسية هو تقليص العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، فقد كانت هذه العلاقة بالغة الأهمية من وجهة نظره . ولا كان حصر الفكر الماركسى أو حصاره ، فقد كان رأيه فى هذه الظروف أن الفكر الماركسى تحد منشط للفكر القومى العربى ، كما أن بعض جوانبه يمكن أن تكون عنصر إخصاب لإنضاج التجربة . وقد أدت هذه الملاحظة ـ عندما أبداها مرة فى ظروف سابقة ـ إلى مشكلة مع « خروشوف » عندما كان يزور مصر سنة ١٩٦٤ ، فقد عقب عليها قائلا لـ « جمال عبد الناصر » : « هل صحيح أنك لا ترى فكرنا كله أكثر من أنه مجرد سماد . . . وقد يكون سمادا عضويا أيضا ؟ » !**

□

كان الحل الذى استقر عليه « جمال عبد الناصر » هو أن هناك حاجة ماسة إلى توسيع نطاق الاتصالات بين مصر والغرب عموما ، سواء على مستوى العلاقات السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية . وكانت هناك بدايات لهذه السياسة جرت فعلا مع اليونان وإيطاليا وأسبانيا . وكانت هذه الدول الثلاث بحكم إطلالها على البحر الأبيض ـ قريبة تقليديا من القضايا العربية . وفى عهد البابا « يوحنا الثالث والعشرين » ورؤيته العالمية الاجتماعية ، قامت مصر بجهد خاص مع الفاتيكان ـ لكن هذا كله لم يكن كافيا ، فقد كان الأمر يحتاج إلى قوة غربية مؤثرة .

كانت الولايات المتحدة بالطبع خارج هذه السياسة ، بالتالى انتقل التركيز إلى أوروبا . وضمن قوى أوروبا كانت العلاقات مع ألمانيا الغربية لا تزال مقطوعة بسبب هدايا السلاح الألمانى لإسرائيل ومضاعفاتها ، وأما بريطانيا فقد كانت طرفا مؤثرا فى المعركة الدائرة فى العالم العربى ضد الجمهورية العربية المتحدة بحكم دورها كشريك أساسى فى حرب اليمن وفى الصراع على الجنوب ، إلى جانب رغبتها (البادية فى كل تصرفاتها) لكسر شوكة القاهرة وتأثيرها قبل سنة ١٩٦٨ ، وهو الموعد المحدد للانسحاب من شرقى السويس بما فيه الخليج العربى .

وهكذا فإنه بين كل القوى الأوروبية المؤثرة ، لم يعد باقيا إلاّ فرنسا . وكان « جمال عبد الناصر » معجبا بالجنرال « ديجول » . وحدث فى مناقشة اللجنة التنفيذية العليا التى بحثت المبادرات السياسية المصرية المطلوبة لمواجهة الحرب النفسية ـ أن طرح أحد المشاركين فى الاجتماع سؤالا بما إذا كانت فرنسا على استعداد لعلاقات وثيقة مع مصر بعد تجربة السويس وتجربة الجزائر ، وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه يعتقد أن الجنرال « ديجول » ، بتوجهاته المستقلة عن الولايات المتحدة وبأحلامه فى دور فرنسى فى المشرق العربى ، مستعد للاستجابة . ثم أضاف طبقا لمحضر الجلسة « إنه حتى إذا لم يكن الجنرال ديجول مستعدا فمن واجبنا أن نجعله كذلك » .

وهكذا بدأ جهد دبلوماسى مكثف يركز على فرنسا وعلى الجنرال « ديجول » . وفى أواخر ١٩٦٥ كان هذا الجهد قد وصل إلى نتيجة أولية ، وكان الرأى قد استقر على أن يكون هناك لقاء على مستوى عال ومباشرة مع الجنرال « ديجول » .

□

يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٥ وصل المشير « عبد الحكيم عامر » إلى باريس فى زيارة رسمية ـ ممثلا للرئيس « جمال عبد الناصر » وبدعوة خاصة من الجنرال « ديجول » .

وفى أول لقاء بين الاثنين فى قصر الاليزيه يوم ١٧ أكتوبر ـ لم تستغرق المجاملات وقتا طويلا طبقا للأسلوب المعروف عن الجنرال « ديجول » . وما لبث الرئيس الفرنسى أن قال لـ « عبد الحكيم عامر » مباشرة : « **أريدك الآن أن تحدثنى عن الأحوال فى منطقتكم . أنت تعرف أن فرنسا لها علاقات تقليدية بالعالم العربى ، وقد اعترضت هذه العلاقات فى السنوات الأخيرة مصاعب لا نريد أن نتحدث عنها ، فقد مضت وانتهت وأغلقت صفحاتها ، ونحن الآن فى مرحلة جديدة وأريد أن أسمع منك** » . وبدأ « عبد الحكيم عامر » **يتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو وتأثرها بالثورة الفرنسية التى لعبت ـ**

على حد قوله طبقا لمحضر الجلسة(٧) - « دورا رائدا فى الحرية وحقوق الانسان » . ثم استطرد « عبد الحكيم عامر » قائلا إنه يوافق الجنرال « ديجول » على طى صفحات الماضى ، ولهذا فهو لن يتعرض فى حديثه لكل ما واجهته الثورة حتى وقت السويس ، متأكدا أن الرئيس الفرنسى يعرف كل شىء . ثم انتقل ليقول إن الوضع فى العالم العربى الآن يمكن تلخيصه فى وجود أمة تسعى إلى حريتها وتريد تحقيق وحدتها القومية . وأن هذا الصراع من أجل الحرية والوحدة أدخل شعوب الأمة العربية وعلى رأسها مصر فى صراع مرير مع الولايات المتحدة الأمريكية . وتدخل الجنرال « ديجول » ليقول « إنه أول من لفت أنظار شعوب العالم إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول أن ترث دور الامبراطوريات الأوروبية ، وأن ما فعلوه فى الشرق الأدنى هو نفس ما فعلوه فى المغرب وفى الهند الصينية » .

وبدأ « عبد الحكيم عامر » يشرح الضغوط الأمريكية الواقعة على مصر اقتصاديا وسياسيا وحتى عسكريا . وعلق « ديجول » بقوله إنه « يعتقد أن العالم خسر كثيرا بوفاة الرئيس كنيدى قبل الأوان ، فقد كان شابا لديه الاستعداد لأن يفهم ويتعلم » . ثم أضاف : « مشكلة الأمريكان أنهم يريدون أن يكونوا شرطى العالم ومعلمه وقسيسه و « بنكيره » ، وهذه كلها أدوار متناقضة مع بعضها . ولقد زاد عليها فى عصر الرئيس جونسون دور آخر جعلها أكثر صعوبة ، وهو دور راعى البقر » . وحين ضحك « عبد الحكيم عامر » - قال له الجنرال « ديجول » إنه لم يقصد بما قاله أى سخرية ولكنه يتكلم جادا .

وشرح « عبد الحكيم عامر » بعض جوانب السياسة المصرية وأهدافها ، ثم كانت لدى الرئيس « ديجول » أسئلة محددة بدأها بالعلاقات بين المشرق فى العالم العربى والمغرب . ثم سأل عن لبنان وعن اليمن . ثم بدأ يعرض وجهة نظره فى الوضع العالمى ، وكان انتقاده للسياسة الأمريكية فى فيتنام شديد المرارة ، وتقديره فى هذا الموضوع أن « الحرب سوف تطول لأن أمريكا لن تستطيع تحقيق نصر ولن تستطيع قبول هزيمة فى نفس الوقت ، وهذا أسوأ ما يواجه قوة كبرى » . وقد ذكر على الفور بعد هذه الملاحظة عن السياسة الأمريكية فى جنوب شرق آسيا أن « الشرق الأوسط محكوم عليه بأن يتعامل مع الولايات المتحدة . وعلى دوله أن تجد الوسيلة التى تدير

---

(٧) محضر للجلسة كتبه المشير « عبد الحكيم عامر » بخط يده ، وأصله الآن فى محفوظات قصر عابدين .

بها هذا التعامل ، وهى تستطيع تخفيف قوة الضغط الأمريكى بموازنته بعلاقات بناءة مع أوروبا » . وفيما يتعلق بأوروبا فقد كان واضحا أن الجنرال « ديجول » يعنى فرنسا ، فقد ذكر أن بريطانيا تقبل دور الذيل لأمريكا تحت خرافة العلاقات الخاصة بين الـ « أنجلو ساكسون » . ثم انتقل إلى ألمانيا الغربية فذكر أن ألمانيا الغربية قوة اقتصادية كبيرة حاليا ، ثم إنها قوة سياسية كبرى محتملة فى المستقبل . وسأل عن العلاقات بين مصر وألمانيا بعد موضوع الأسلحة التى قدموها لـ « اليهود » . ثم قال « ديجول » : « إننى لم أكن أحب الألمان وقد حاربتهم فى حياتى مرتين فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ـ ولكنهم تعلموا درسهم وتغيروا ، ولا بد لكل الناس أن يساعدوهم على إكمال تغييرهم إلى نهايته » .

ثم انتقل الرئيس « ديجول » إلى ذكرياته فى مصر التى زارها عدة مرات ، كل مرة لعدة شهور أثناء الحرب العالمية الثانية وحينما كان قائدا لـ « حركة فرنسا الحرة » . وقال إنه قابل الملك « فاروق » ، وقابل عددا من الباشوات ، واقتنع ـ نتيجة لمقابلاته معهم ـ **أن مصر مقبلة على ثورة بعد انتهاء الحرب . ثم كانت لديه بعد ذلك أسئلة عن الأوضاع الداخلية فى مصر وما فعلته الثورة لتحسين أحوال الفلاحين (قالها الجنرال « ديجول » بالاسم العربى) . وعقب بأنه حفظ العنوان وعرف الكثير عن أحوال الفلاحين من مشاهداته أثناء زياراته لمصر ومن قراءته لكتاب « الفلاحين » الذى كتبه الأب « عيروط » (راهب يسوعى مشهور عاش فى مصر ودرس أحوال الفلاحين دراسة متعمقة) .**

وفى مساء نفس اليوم أقام الجنرال « ديجول » عشاء لـ « عبد الحكيم عامر » وألقى فيه خطابا بدأه بقوله[8] : « السيد الماريشال ـ هذه أول مرة لثمانية وثلاثين عاما مضت يقوم فيها سياسى مصرى قائد بزيارة رسمية لفرنسا[9] .

منذ وقت بعيد طرأت تغيرات هامة على العلاقات بين بلادكم وبلادى ، وأقل ما يمكن أن توصف به هذه العلاقات ـ فى ذلك الوقت ـ أنها كانت مضطربة ، لكن وجودكم اليوم فى باريس له مغزى كبير ، هو أن مصر وفرنسا تعملان اليوم من أجل تجديد علاقات الصداقة بينهما . وفى فترة من الفترات فإن هذه الصداقة بين مصر وفرنسا صنعت تاريخا ،

---

(٨) النص الرسمى لخطاب الجنرال « ديجول » كما وزعه قصر الاليزيه على الصحافة يوم ١٨ أكتوبر ١٩٦٥ .

(٩) كان الجنرال « ديجول » يقصد الإشارة إلى زيارة الملك « فؤاد » الرسمية لفرنسا فى أواخر العشرينات .

وهما الآن تتطلعان إلى مد آفاق التعاون بينهما فى ظل حقائق جديدة . وقد أثبتت الجمهورية العربية المتحدة ، ولا تزال تثبت ، أنها تريد أن تعيش وتعمل مستقلة عملا نابعا من ضميرها وحدها ، وهى تبذل جهدا جديرا بالإعجاب فى مجالات كثيرة للبناء والتقدم . إن الجمهورية العربية المتحدة تقوم فى الشرق الأوسط وفى وسط العالم العربى بتحمل مسؤولية كبرى نذرت نفسها لها . وقد اختارت بإصرار طريقا مستقلا يناسب ظروفها السياسية ، واستفادت من موقعها الجغرافى الفريد ومكانتها التاريخية وقيمتها المعاصرة فاستطاعت فى المجال الدولى أن تحقق لنفسها أهمية كبرى وتلعب دورا يؤكد لها اعتبارا سياسيا واحتراما فى كل مكان . وإننى أريدك أن تنقل للرئيس « ناصر » الذى نقدر صفاته العظيمة أن فرنسا الجديدة ، فرنسا التى لا تزال الجمهورية الخامسة تقوم ببنائها ـ على أتم استعداد للمساهمة فى جهد مشترك مع مصر الجديدة التى تحقق وجودها فى الجمهورية العربية المتحدة . »

وبعد تبادل الخطب وانتهاء العشاء اقترح الجنرال « ديجول » على « عبد الحكيم عامر » إقامة معرض للآثار المصرية فى باريس ليعيد إلى أذهان الشعب الفرنسى « أجواء مصر » ويذكره بإسهامه الحضارى الفريد فى التاريخ الإنسانى .

كان هذا كله ـ صادرا عن الجنرال « ديجول » ـ يعنى أن باب فرنسا الذى طرقته مصر قد انفتح .

□

وما هى إلاّ أسابيع قليلة بعد زيارة « عبد الحكيم عامر » إلى باريس حتى بعث الجنرال « ديجول » برسالة إلى « جمال عبد الناصر » يقترح فيها أن يبعث ممثلا شخصيا له لمقابلته تكملة لتبادل الآراء بين الاثنين . واختار « ديجول » أن يكون مبعوثه هو الأديب الفرنسى الكبير « **أندريه مالرو** » الذى كان فى نفس الوقت وزيرا للثقافة ، وكان المعروف أنه من أقرب الناس فكرا إلى « ديجول » وأن العلاقات بين الرجلين كانت نموذجا فريدا فى الصلة بين المفكر ورجل الدولة . وكان هناك إحساس فى القاهرة بأن « ديجول » لم يكن يستطيع أن يجد رسولا فى هذه المرحلة خيرا من « مالرو » الذى كان عاشقا لمصر ودارسا مخلصا لتاريخها .

ودخل « مالرو » إلى مكتب « جمال عبد الناصر » وبدأ فسلمه خطابا من الجنرال « ديجول » جاء فيه بالنص :

« لقد كلفت أندريه مالرو وزير الدولة (للثقافة) بأن يتولى ترجمة تقديرى الشخصى العظيم لكم ، ومشاعر الصداقة التى يكنها الشعب الفرنسى لشعب الجمهورية العربية المتحدة . وأعرف أن مالرو لن يفوت الفرصة لكى يعرض عليكم وجهات النظر الفرنسية فى كل المشاكل التى يهتم بها بلدانا . إننى أصغيت إلى الماريشال عامر عندما كان يزورنا باهتمام كبير ، وأعتقد أن زيارته لباريس ساعدت على توثيق التفاهم بين الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا . وبهذه الروح نفسها فقد رأيت أن نواصل معا تبادل الآراء والمعلومات بيننا صريحة ومباشرة . وإنى لأرجوك أن ترحب بأندريه مالرو وأن تصغى إليه .

توقيع

ديجـول »

وكان « جمال عبد الناصر » مستعدا لأن يصغى بغير حدود . وقد دخل « مالرو » فى حديثه مع « جمال عبد الناصر » من مدخل تاريخ مصر . وراح لمدة ساعة كاملة يتحدث عن الحضارة المصرية القديمة ، وانتقل منها لخمس دقائق إلى الحضارة الصينية القديمة . ثم نظر فى ساعته واكتشف أنه نسى نفسه فى حديث الثقافة والحضارة ، فحاول أن يعتذر لكى ينتقل إلى أحاديث السياسة . **وطمأنه « جمال عبد الناصر » إلى أنه يسمع سياسة طوال أربع وعشرين ساعة كل يوم ، وأنه سعيد بهذه الجولة التى طوف به « مالرو » خلالها بالحضارات القديمة .**

وعندما انتقل « مالرو » إلى مجالات السياسة ، وقد استغرق حديثه فى أحوال العالم المعاصر كله مدة نصف ساعة ـ فقد كان حديثه أقرب إلى الإشارات التلغرافية المختصرة والسريعة . وكانت أبرز الإشارات التى عرضها :

« ١ ـ إن أوروبا سوف تجد نفسها خلال السوق الأوروبية المشتركة التى ستصبح قوة مؤثرة فى الموازين العالمية . ثم ذكر « إن الجنرال ديجول لا يريد انجلترا عضوا فى مجتمع الدول الأوروبية فى الوقت الحاضر على الأقل لأن دخولها سوف يؤدى إلى تمييع الإرادة الأوروبية المستقلة عن أمريكا ، كما أن لندن يمكن أن تلعب دور حصان طروادة[١٠] » .

---

(١٠) قصة شهيرة فى الملاحم الإغريقية عن التسلل إلى داخل حصن طروادة بواسطة جنود اختبأوا فى قلب نموذج لحصان ضخم سمح له أهل المدينة المحاصرة بدخولها .

٢ ـ إن فرنسا تنوى القيام بمبادرات تجاه الاتحاد السوفيتى ، وهناك خطة الآن لزيارة يقوم بها الجنرال ديجول لموسكو فى ٢٠ يونيو القادم ، وأنه يأمل فى أن تستطيع هذه الزيارة تحقيق مناخ أفضل فى أوروبا والعالم .

٣ ـ إن صيانة توازن القوى العالمى تقتضى الاعتراف بالصين الشعبية كقوة عظمى ، وهى فى طريقها إلى هذا الوضع فعلا فى القرن القادم .

٤ ـ إن السيطرة الاقتصادية الأمريكية هى السلاح الرئيسى للسياسة الأمريكية . والولايات المتحدة الأمريكية تتلاعب بأقدار العالم عن طريق الدولار . وفى رأى الجنرال ديجول أن النظام النقدى العالمى لا يمكن أن يستقر إلاّ بعودة من نوع ما إلى قاعدة الذهب فى حساب سعر العملات وعلاقتها ببعضها .

٥ ـ إن الشرق الأوسط هو أكثر المناطق استعدادا للتفجر فى العالم بسبب الموزاييك السياسى والثقافى فى المنطقة ، إلى جانب المصالح الأمريكية الحاكمة فى بترول الشرق الأوسط ، كما أن هناك الدور الذى يمكن أن تلعبه إسرائيل التى تحولت الآن تماما من دائرة التأثير الأوروبى وأدخلت نفسها بالكامل فى دائرة التأثير الأمريكى ـ ومع ذلك فإن فرنسا ، ومعها بقية أوروبا ، على استعداد لأن تقوم بأى دور مفيد فى سبيل صيانة سلام المنطقة .

٦ ـ إن الجنرال ديجول يريد أن يعرف الرئيس ناصر أنه فوجىء بحجم العلاقة النووية بين فرنسا وإسرائيل وأنه أمر بإنهائها . وأنه فيما يتعلق بعقود السلاح المعقودة بين البلدين سنة ١٩٥٧ و ١٩٥٨ فإن ما تبقى منها سوف يتم تنفيذه ، كما أن توريد قطع الغيار سوف يستمر إلى سنة ١٩٦٨ طبقا للعقود « لأن فرنسا لا بد لها أن تحترم توقيعها » . ومع إدراك الجنرال ديجول بأن الرئيس ناصر قد لا يعجبه ذلك ، فإنه يتمنى أن يقدر الرئيس منطق « قداسة العقود » ، وهو يصلى من أجل أن لا يجىء يوم يستعمل فيه السلاح الفرنسى الذى تم أو يتم توريده لإسرائيل فى معركة ضد العرب ! »

وأضاف « مالرو » نقلا عن « ديجول » :

« إن هذا القرار لا يجب فهمه على أن فرنسا تنوى مقاطعة إسرائيل أو فرض حصار عليها لصالح العرب ـ وإنما إطاره الصحيح هو أن فرنسا تريد أن تكون فى وضع يسمح لها بالقيام بدور بناء فى مستقبل المنطقة ،

وبالتعامل مع كل الأطراف بدون انحياز مسبق ضد طرف ، خصوصا فى توريدات السلاح .

٧ - إن فرنسا لا تنصح بالاعتماد على الأمم المتحدة فى عملية صيانة السلام فى المنطقة . فالجمعية العامة للأمم المتحدة لها نفوذ معنوى بغير قوة إلزام ، وأما مجلس الأمن فإن سلطته سلبية بواسطة حق الفيتو الذى يستطيع به الكبار أن يعترضوا على القرارات ، ولكنه لا يملك قوة إيجابية قادرة على الفعل فى مناطق الأزمات . وهو يتصور أن اجتماعات القمة الرباعية (أمريكا - الاتحاد السوفيتى - بريطانيا - وفرنسا) تستطيع مؤقتا أن تلعب دورا فى الأزمات ، لكن الولايات المتحدة تعارض ذلك وتتهم ديجول بأنه يسعى إلى فرض إدارة رباعية على العالم ، وفى الحقيقة فإنها تفضل الانفراد وحدها بمصائره . »

وقد قال « مالرو » فى النهاية « إنه لا يعتقد أنه نقل كل آراء الجنرال ديجول بطريقة كافية ، ولكنه على أى حال سمح لنفسه بأن يقوم بما يمكن تسميته جولة حول الأفق العالمى . وهو يأمل على أى حال أن يكون اللقاء المصرى الفرنسى القادم لقاء مباشرا بين ناصر وديجول ، وهو يحس أن كليهما يستطيع أن يفهم الآخر ، كما أنه لمس إعجابا متبادلا بين الاثنين ، خصوصا وأن كليهما يعلق أهمية كبرى على قيمة الكرامة الوطنية . »

وتعددت الأبواب المفتوحة بين باريس والقاهرة .

الباب الرابع

كلاب الصيد جاهزة !

« ظلام الليل كله لا يستطيع أن يطفىء نور شمعة . يستطيع إذا تحالف مع هبة ريح ! »

الفصل الأول

« إنهم وراءك » !

لم تكن كل الأبواب فى العالم مفتوحة . والنجاح فى فتح باب أو بابين مع فرنسا كان إنجازا له قيمته ، لكن هذه القيمة تظل محدودة فى إطار فرنسا أو أوروبا على أكثر تقدير . ولم تكن تلك الأبواب فى تلك الفترة هى الأبواب الأهم أو الأخطر . كانت الأبواب الأهم والأخطر لا تزال مستعصية ، وكان بعضها مغلقا . وكان بينها ما يحمل علامات للخطر .

وفى شهر يوليو ١٩٦٦ تلقى « جمال عبد الناصر » رسالة عاجلة من السيد « ذو الفقار على بوتو » الذى كان وزيرا لخارجية الباكستان فى حكومة الجنرال « أيوب خان » - ثم أصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية الباكستان حتى قام الجنرال « ضياء الحق » بانقلاب عسكرى ضده وقبض عليه ونفذ فيه حكم الإعدام شنقا فى سجن روالبندى (يوم ٤ ابريل سنة ١٩٧٨) رغم نداءات عالمية راحت تناشد « ضياء الحق » بكل الأساليب أن يعدل عن إعدام زعيم وطنى فى حجم « ذو الفقار على بوتو »[1] .

---

(١) هو والد « بناظير بوتو » التى أصبحت رئيسة وزراء الباكستان ثم أقالها الرئيس الباكستانى وقد قادت حملة تولى حزبها السلطة على أساس ذكرى « ذو الفقار على بوتو » وشعبيته الكاسحة فى الباكستان .

كان « ذو الفقار على بوتو » قد ترك منصبه كوزير لخارجية الباكستان وذهب ليقيم لاجئا فى جنيف (سويسرا) . ثم راودته فكرة طلب مقابلة « جمال عبد الناصر » وألحت عليه ضرورات استشعرها ، وبعث يطلب موعدا ، وأجيب طلبه ووصل إلى القاهرة . ومساء يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٦ استقبله « جمال عبد الناصر » لمدة ساعة ونصف الساعة وهو يحس فى قرارة نفسه أن « بوتو » لديه شىء مهم يقوله له ، فعلاقته الطويلة بـ « أيوب خان » (صاحب أول انقلاب فى الباكستان ، وأبرز شخصية فى تاريخها ـ حتى ذلك الوقت ـ بعد مؤسسها « محمد على جناح ») ، إلى جانب الفترة التى قضاها كوزير لخارجية الباكستان وما أتاحته له من المشاركة فى اجتماعات الحلف المركزى ـ قد وفرت له كثيرا من المعلومات . وفى ذات الوقت فإن « جمال عبد الناصر » اكتشف من لقاءات مصرية باكستانية رسمية سابقة شارك « بوتو » فيها ـ أنه رجل ذكى قادر على المحافظة على مبادئه ، واضح فى فكره .

☐

وبدأت المقابلة بأن قال « جمال عبد الناصر » لـ « ذو الفقار على بوتو » :[٢] «**إننى سعيد لرؤيتك » . ورد « بوتو » : « شكرا ، كيف أنت ياسيدى » ؟ ولم تطل المجاملات ، فقد بدأ « بوتو » على الفور يتحدث عن الأسباب التى ألحت عليه حتى طلب موعدا مع « جمال عبد الناصر » . ثم قال « إننى كما تعلم تركت منصبى كوزير لخارجية الباكستان منذ أسابيع ، وبعدها ذهبت لأداء العمرة ، ثم قررت أن أسكن فى جنيف مبتعدا لبعض الوقت عن أى عمل سياسى . وبعد أيام من إقامتى فى جنيف بدأت أحس أنه من واجبى أن أجىء إليك لأضع تحت تصرفك بعض ما أعرفه عن الأوضاع التى سوف تؤثر فى مصائر كل المعتقدين بإمكانية الحرية والتنمية فى آسيا وأفريقيا . فأنت الوحيد الباقى على المسرح من الزعماء الكبار لحركة التحرر الآسيوى ـ الإفريقى . حتى لو كان نهرو لازال موجودا على قيد الحياة فقد كان يمكن نظريا أن أفكر فى التوجه إليه بأفكارى ومخاوفى . ولكن بتأثير العلاقات بين الهند والباكستان فقد كان مستحيلا علىّ أن أفعل ذلك . كان يمكن أن أفكر فى سوكارنو ، ولكن سوكارنو فى أيامه الأخيرة الآن . وهم يسقطونه ببطء ، وأنا حزين لما يجرى له وإن كنت أظن أنه شارك فى صنع مصائبه . ولهذا ، سيدى الرئيس ، فإنى أرجوك أن تسمع منى لأنى أشعر أن من واجبى أن أتحدث**

---

(٢) سجلت مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » مع « ذو الفقار على بوتو » ثم جرى تفريغها فى نسخة واحدة يوجد أصلها بمحفوظات قصر عابدين .

إليك بصراحة . فأنا لا أريد أن أتحدث علنا كما شرحت لك ، وفى نفس الوقت فإن لدىّ ما أفضى به إلى من يستطيع أن يتصرف إزاءه ، خصوصا إذا كان هو نفسه ، فى إطار مخاوفى ، معرض لخطر شديد .» واستطرد « بوتو » وقد ارتفعت نبرة صوته : « أرجوك أن تعرف أنهم خارجون لاصطيادك ياسيدى ! » «They are out to get you sir»

كان « جمال عبد الناصر » يسمع باهتمام ولفترة طويلة لم يقاطع ، وقد أحس على الفور أن « بوتو » يتحدث عن السياسة الأمريكية من خبرة اتصاله بها كوزير خارجية لقرابة عشر سنوات فى الباكستان وهى الحليف القريب من الولايات المتحدة وعضو حلف بغداد ثم الحلف المركزى بعده . وفهم « بوتو » أن « جمال عبد الناصر » يريد أن يسمعه بدون مقاطعة ، فواصل حديثه قائلا « **إن السياسة الأمريكية قد بدأت تدخل فى مرحلة نشيطة جدا فى آسيا وأفريقيا . وقد أخذت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية توجيهات من الرئيس جونسون باتباع سياسة هجومية فى كل مكان . ورغم مأزقهم العسكرى فى فيتنام فقد أصبحوا يعتقدون أن الموقف الدولى ملائم ، فهناك من وجهة نظرهم ـ كما استنتج من مقابلات عديدة مع الساسة الأمريكيين ، خصوصا فى اجتماعات الحلف المركزى ـ فرصا سانحة فى أكثر من موقع من العالم .**

- **فهم يعتبرون** أن القيادة السوفيتية الحالية أظهرت رغبتها فى التراضى معهم بأى ثمن . وهذه فرصة سانحة .
- **وهم يعتقدون** أن النزاع الصينى السوفيتى يقسم العالم الشيوعى إلى معسكرين متخاصمين . وهذه فرصة سانحة أخرى .
- **وهم يعتقدون** أن الحرب الهندية الباكستانية الأخيرة قسمت شبه القارة الهندية . وهذه فرصة سانحة ثالثة .
- **وهم يعتقدون** أن العالم العربى قد انقسم إلى جبهتين : فهناك دعاة القومية العربية ، وقد نشأت فى مواجهتهم أخيرا فكرة المؤتمر الإسلامى . وهذه فرصة سانحة رابعة .
- **وفى أفريقيا** فإن كل دولة إفريقية فى أوضاعها الحالية تمثل فرصة سانحة .

وقد باتوا يعتقدون أنه لا يحق لهم أن ينتظروا نهاية الحرب الفيتنامية لكى يسووا أمورهم فى العالم ، وإلاّ ضاعت عليهم هذه الفرص السانحة جميعا .

عبد الناصر وذو الفقار على بوتو

ولقد ترسب لدىّ الشعور بأنهم قرروا أنهم يستطيعون مواصلة هدفين فى نفس الوقت : تحقيق انتصار عسكرى فى فيتنام ، وتحقيق انتصارات سياسية فى أى مكان يهمهم من العالم الثالث وحيث يشعرون أن مصالحهم مهددة من قبل أية حركات سياسية أو زعامات لها وضع خاص ، **والأسلوب الذى قرروه لذلك هو أسلوب الاعتماد على طرف محلى يساعدونه بكل الوسائل الظاهرة والخفية ، ويحقق لهم بالوكالة ما يطلبونه لأنفسهم .»**

□

كان « جمال عبد الناصر » مازال يسمع باهتمام . وواصل « بوتو » كلامه ، فشرح الضغوط الأمريكية لمساعدة إنشاء المؤتمر الإسلامى كبديل لحركة القومية العربية ، وقال : **إننا كنا نسمع عن فكرة مؤتمر إسلامى يشجعه الملك فيصل ومعه عدد من أصدقائه ، بينهم شاه إيران . وقد كنت فى اجتماع لوزراء خارجية الحلف المركزى فى اسطنبول حينما جاءنا أول إعلان عن إقامة المؤتمر . وكان راسك (« دين راسك » وزير خارجية**

أمريكا) متحمسا للفكرة . وقد تحدث محبذا لها مع الأتراك ومع الإيرانيين ومعى . ولاحظت أنه لم يكن قادرا على كتم مشاعره ، فقد قال فى حضورى لوزير خارجية تركيا إن هذا العمل هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن ينجح فى محاصرة نفوذ الجمهورية العربية المتحدة . وقد ناقشته فى حضور وزير خارجية تركيا وإيران ، وقلت له إننى أفهم أن يعقد بين الوقت والآخر اجتماع عام للمسلمين ، ولكن أن يتحول ذلك إلى مؤسسة دائمة فذلك سوف يؤدى إلى مشاكل كثيرة . فهل أنتم فى الغرب مثلا تستطيعون أن تجتمعوا كمسيحيين ؟ لا شك أن ذلك سوف يحدث دهشة فى العالم لأننا سوف نعود إلى تقسيمه على أساس دينى . وقال لى راسك أمام زميلاى من تركيا وإيران إنه يستغرب صدور هذا الكلام عنى وأنا وزير خارجية الباكستان ، وهى دولة قامت على أساس دينى . وقد رددت عليه بأن ذلك حدث فى دولة واحدة ولظرف خاص . ولكنه إذا حدث على مستوى العالم وبدون داع يقتضيه ، فإننى أخشى عواقبه .»

كان « بوتو » لا يزال يتحدث ، وجمال عبد الناصر يصغى : « لقد كان علىّ بعد ذلك أن أذهب إلى طهران ، وهناك قابلت الشاه وعرضت عليه مخاوفى . وقد وافقنى على بعضها ، وقال لى : « إنهم إذا كانوا يقيمون مثل هذا الحلف لمواجهة ناصر وحصر نفوذه فإنهم لن ينجحوا . فأنت تعرف هؤلاء العرب كما أعرفهم أنا . وهم لا يستطيعون أن يواصلوا معركة إلى النهاية . وسوف تجدهم يتوقفون قبل نهاية الطريق . وإذا كان ضروريا تحقيق الهدف الذى يتحدثون عنه فلابد من إيجاد وسائل أخرى لتنفيذه ، وليس ضروريا أن تكون هذه الوسائل عربية ، بل إنه من الضرورى لنجاحها أن لا تكون غربية » . »

□

وانتقل « بوتو » إلى تجربته الشخصية مع الأمريكيين فقال : « إننى ذهبت إلى الرئيس أيوب خان وحاولت إقناعه بأن تتخذ الباكستان سياسة مستقلة تحتفظ على الأقل بمسافة محترمة بينها وبين السياسة الأمريكية . وفى بعض الأحيان أحسست أنه يتأرجح بين آرائى وبين الضغوط الأمريكية . وقد ذهب أيوب خان مرة لزيارة واشنطن وكلت معه ، وكان طلبه الرئيسى زيادة المعونة للباكستان . وكان لديه موعد مع الرئيس جونسون وذهب وحده ، وعندما عاد قال لى : « إنهم قد يفكرون فى زيادة المعونة للباكستان بشرط واحد » . وسألته عن هذا الشرط ورد علىّ بقوله « التخلص منك » . » ويبدو أن « جمال عبد الناصر » دهش ، فقد قاطعه عند هذه النقطة وسأله :

« من الذى قال هذا ؟ » ورد « بوتو » : « الرئيس جونسون شخصيا فى ديسمبر » . ثم استطرد « بوتو » قائلا : « ولقد زاد غضبهم علىّ بعد أن نجحنا فى مؤتمر طشقند بدعوة من كوسيجين فى تهدئة الأمور بين الهند والباكستان بمشاركة من رئيس وزراء الهند شاسترى . كانت السياسة الأمريكية ضد هذا الاتفاق تماما ، ولكنه لم يكن فى وسعهم معارضته صراحة وإلاّ ظهروا وأنهم يؤيدون استمرار الحرب بين القوتين الكبيرتين فى شبه القارة الهندية . الغريب أن أصدقاءهم فى الباكستان شنوا علىّ حملة : بدعوى أننى فرطت فى مصالح الباكستان . وقد ركزوا هذه الحملة فى أوساط القوات المسلحة الباكستانية . وقد ذهبت للرئيس أيوب وقلت له « إننى مستعد لترك الحكومة والابتعاد فى الظل لعدد من السنين ، فأنا لا أريد أن أعرضه لمشاكل » . وقد رفض هو بشدة بادىء الأمر ، ثم اتصل بى بعدها بيومين على التليفون وقال لى « ضع تليفونك على جهاز الشفرة حتى لا يستطيع أحد أن يسمعنا » وقلت له « إن الذين يهمهم أن يسمعونا سوف يسمعونا مهما كانت الأجهزة التى نستعملها لضمان سرية الكلام ، ولذلك من الأفضل أن أجىء إليك » . وذهبت إليه ووجدته يقول لى « لقد حاولت بكل جهدى أن أحتفظ بك إلى جانبى ولكنى أدرك الآن أنه جاء الوقت لكى نفترق » . وقدمت له استقالتى على الفور وخرجت من لاهور مع عائلتى ، وفوجئت بمظاهرة كبيرة تجىء إلى محطة السكك الحديدية فى لاهور مؤيدة لى . وكنت أحس بحرج شديد . وعندما وصلت إلى كراتشى كانت المظاهرات أشد . واتصل بى الرئيس أيوب وقال لى « بعد ما حدث فأنا أرى من الأفضل أن تسافر خارج الباكستان كلها لشهرين أو ثلاثة حتى تهدأ الأمور » . وقد قلت للرئيس أيوب على التليفون « إننى سوف أغادر الباكستان غدا مسافرا لأوروبا » . ورد علىّ بقوله « لا تتصور أن دورك السياسى قد انتهى » . وقلت له « إن شاء الله » . قلتها له بالعربية كما تقولوها أنتم . فهى فيما أعرف نص قرآنى . ثم قلت للرئيس أيوب « إننى مازلت شابا وأثق أن مستقبلى لازال أمامى » . وهنا سأله « جمال عبد الناصر » : « كم عمرك الآن » ؟ ورد « بوتو » قائلا : « سبعة وثلاثون عاما قضيت منها ثمانية وزيرا لخارجية الباكستان » . وقال له « جمال عبد الناصر » : « بالفعل مازال مستقبلك أمامك » . ورد « بوتو » قائلا وكأنه يقرأ الغيب : « ولكنهم لن يتركونى ، ولا أعتقد أن هدفهم هو مجرد إخراجى من وزارة الخارجية ، وإنما هدفهم هو تصفيتى تماما فتلك هى سياستهم مع أى شخص لا يطيعهم فى ١٠١ ٪ من طلباتهم » .

□

وعاد « بوتو » إلى مواصلة حديثه من نفس هذه النقطة فقال : « إن مشكلتى الشخصية مؤجلة ولكن مايقلقنى هو موقفكم أنتم » . واستوضحه « جمال عبد الناصر » متسائلا : « تقصد سياسة الجمهورية العربية المتحدة » ؟ ورد « بوتو » على الفور : « لا بل أقصدك أنت شخصيا ، وما يحيرنى هو كيف يمكن أن يتصرفوا معك ؟ لقد استطاعوا أن ينالوا سوكارنو لأن سوكارنو كشف نفسه أمامهم بتصرفاته الشخصية » .

ثم توجه « بوتو » إلى « جمال عبد الناصر » بسؤال مباشر : « هل تذكر يوم مررنا بالقاهرة قبل الموعد المقرر لمؤتمر القمة الآسيوى الإفريقى فى الجزائر ؟ كان سوكارنو هنا ، وجئت أنت لاستقباله ، وكنا واقفين على باب فندق هيلتون . وكانت معه فتاة أمريكية جميلة قدمها لك بوصفها صحفية أمريكية » . وتذكر « جمال عبد الناصر » الواقعة ، وواصل « بوتو » كلامه قائلا : « لم تكن صحفية ، فعندما ذهبت إلى اندونيسيا بعد ذلك بأسابيع وجدتها هناك . وكنت واثقا أنها عميلة لوكالة المخابرات المركزية دسوها عليه . كانوا يعرفون أن الجمال هو ضعفه الشديد . وأنا واثق أيضا أنهم هم الذين دسوا عليه زوجته اليابانية التى استطاعت أن تستولى عليه بالكامل . لقد كنت وأنا وزير خارجية أتلقى تقارير من سفيرنا فى جاكارتا تقول لنا إن زوجته « راتونا سارى ديوى » تسهر كل ليلة فى السفارة الأمريكية بحجة لعب « البريدج » مع السفير وأصدقائه . وحين ذهب الرئيس أيوب مرة لزيارة سوكارنو ، جاءت هى لمقابلة الرئيس أيوب وطلبت منه أن ينصح سوكارنو بالتعاون مع الأمريكيين وإلاّ فإنهم قادرون على الإضرار به . »

وسكت « بوتو » قليلا ثم استطرد : « هم الآن يصفونه فعلا بانقلاب بطىء يزحف يوما بعد يوم ، وهو لا يقدر على عمل شىء » . وهنا سأله « جمال عبد الناصر » : ماهو الموقف فى اندونيسيا الآن » ؟ ورد « بوتو » بسرعة : « فوضى » . وسأله « جمال عبد الناصر » : « هل الأمريكيون هم المسيطرون الآن ؟ ورد « بوتو » : « سيطرتهم تزداد يوما بعد يوم » . وعاد « جمال عبد الناصر » يسأل : « من هو رجلهم القوى فى الجيش ، هل هو الجنرال عبد الحارس ناسوتيون » ؟ ورد « بوتو » : « إن الجنرال سوهارتو هو الجالس فى سرج الحصان الآن » . ومرة أخرى عاد « جمال عبد الناصر »يسأل : « هل رأيت سوكارنو أخيرا » ؟ ورد « بوتو » : « نعم ، لقد رأيته يوم ٩ يونيو الأخير . فقد كانت آخر مهمة رسمية لى كوزير لخارجية الباكستان فى اندونيسيا . وقد حاولت تحذيره مما يجرى حوله ، وقد رد علىّ بعصبية قائلا » « إننى لن أترك اندونيسيا لتتحول إلى مزرعة للغرب ، وإذا أحسست أن سيطرتهم زادت فى

جاكارتا فسوف أذهب إلى شرق جاوا ، ومن هناك أقود حركة تحرير مرة أخرى » .
وكان رأيى وأنا أسمعه يتحدث على هذا النحو أنه يحلم . فقد كان يكفى وجود زوجته اليابانية إلى جانبه لاستنزاف مقاومته ساعة بعد ساعة .» ثم تساءل « بوتو » وكأنه يتحدث مع نفسه : « هل تلاحظ الطريقة التى تكتب بها المجلات الأمريكية عن زوجته اليابانية » ؟ ثم أجاب بنفسه على تساؤله : « لا يكفون عن الإعجاب بها ونشر صورها بملابس الاستحمام ، ونشروا لها مرة صورة تظهرها عارية كواحدة من آلهة الإغراء » . ثم عقب على ذلك قائلا : « عندما تبدأ المجلات الأمريكية فى تحويل أى واحد أو واحدة فى العالم الثالث إلى نجم ، فمعنى ذلك أنه أو أنها لعبة فى أيديهم . إن سوكارنو يتحدث عن المقاومة فى شرق جاوا وهو عاجز عن المقاومة فى داخل بيته ، فعمره الآن ٦٦ سنة قضى منها ٢٢ سنة رئيسا لاندونيسيا ، وأظنه سوف يتحمل الهوان حتى اللحظة الأخيرة ويموت بالحسرة رغم أنه كان واحدا من القادة العظام لحركة الثورة الوطنية . »

ثم توقف « بوتو » قائلا : « على أى حال ليس ذلك ما يعنينى . ما يعنينى هو موقفكم أنتم . كيف أحوالكم هنا ياسيدى ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » عليه قائلا : « نحن هنا نتعرض لضغوط سياسية واقتصادية ونفسية ، ولكننا نقف ثابتين ، ونعتقد أن هناك شرطين أساسيين للقدرة على مواجهة الضغوط : الشرط الأول - جبهة داخلية قوية وموحدة . والشرط الثانى - اقتصاد سليم . بتوفير هذين الشرطين نعتقد أننا - وغيرنا فى نفس ظروفنا - نستطيع أن نصمد لكل أنواع الضغوط ، فهم يحاولون معنا . أوقفوا مبيعات القمح لنا كجزء من حملة الحصار الاقتصادى . أكثر من ذلك فقد تلقيت معلومات من نيويورك بأن شركات البترول الأمريكية العاملة فى مصر عثرت على اكتشافات كبيرة ، ويظهر أن خبر هذه الاكتشافات وصل إلى واشنطن ، وفى اجتماع لمجلس الأمن القومى الأمريكى صدرت توجيهات لهذه الشركات بأن « تنام » على اكتشافاتها وتخفى كل أثر لها حتى لا تتاح لنا من موارد البترول الجديد إضافات تخفف من أثر حصارهم الاقتصادى علينا . وكل يوم نكتشف محاولة جديدة للاختراق والتجسس .

وأخيرا قبضنا على صحفى مشهور كان يعمل لحسابهم ولم يستطع السفير الأمريكى ، حين واجهته بالحقائق ، أن ينكر تورط المخابرات المركزية الأمريكية مع هذا الصحفى . وقد قلت له إننى أسمع كلامه هو

فأصدقه ، وأسمع كلام مندوب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مع هذا الصحفى وغيره فأجد أنه (أى السفير) إما يخدعنى أو أنه هو نفسه مخدوع لا يعرف ما تفعله الأجهزة السرية لحكومة بلاده . وقلت له إنه يستطيع - إذا اراد - أن يحصل على نسخة من كل التحقيقات والتسجيلات التى جرت فى هذه القضية . فقال لى إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إلاّ بإذن من واشنطن وأنه سوف يبعث فى طلب هذا الإذن . وقد رد على مكتبى بعد يومين وقال إنه تلقى تعليمات من واشنطن بألا يقرأ ولا يسمع شيئا .»

وتشعبت الأحاديث ثم عادت قرب نهاية اللقاء إلى حيث بدأت . وقال «بوتو» : « إننى أردت أن أتحدث إليك ، وأن أضع ما لدىّ تحت علمك تاركا لك الباقى » . ورد «جمال عبد الناصر » : « إلى أين أنت ذاهب بعد ذلك ، ولماذا لا تبقى معنا فى القاهرة لبعض الوقت » ؟ ورد « بوتو » بأن « ذلك قد يسبب إحراجا للقاهرة ، وأن الأفضل له وحتى لموقفه فى الباكستان أن يعيش لبعض الوقت فى جنيف » . وقال له «جمال عبد الناصر » :« إنك على أى حال شاب ، وتستطيع أن تريح نفسك حتى سنوات لكننى واثق أن لديك دورا تلعبه فى الباكستان » . ثم استطرد « جمال عبد الناصر » : « إنك قلت لى ما أردت أن تقوله ، وأنا أريد الآن أن أقدم لك نصيحة واحدة هى أن لا تتحدث علنا مع أى إنسان ضد الرئيس أيوب » . ورد « بوتو » قائلا إنه لا يفعل ذلك أبدا ، وهو لم يتحدث بصراحة مع أحد عن الرئيس أيوب إلاّ معه هو (يقصد الرئيس عبد الناصر) . وواصل « بوتو » كلامه قائلا « إنه يلتزم بذلك رغم أنه يعرف أن أيوب متورط بمصالح شخصية مع عدد من الشركات الأمريكية بينها شركة جنرال موتورز » التى يمثلها فى الباكستان وكيل من أقربائه (أقرباء أيوب) . »

وكان ذلك آخر لقاء بين الرجلين .

فى صيف سنة ١٩٦٦ كانت العواصم الثلاث الكبرى لحركة عدم الانحياز ، وهى القاهرة وبلجراد ودلهى ، فى تشاور بينها وبين بعضها . كان هناك إحساس فى العواصم الثلاث بأن هناك متغيرات كبيرة فى العالم تفرض على حركة عدم الانحياز أن تقوم بدراستها بعمقق ، وإلاّ فقدت الحركة ذاتها صلتها بالواقع

التاريخى الذى تعمل في إطاره . وقد توصلت هذه المشاورات إلى أنه منذ المؤتمر الكبير الذى عقدته الدول غير المنحازة فى القاهرة فى شهر أكتوبر ١٩٦٤ ـ حدثت تطورات كبرى فى العالم بينها سقوط « خروشوف » ، وانسحاب فرنسا من حلف الأطلنطى ، وتزايد التورط الأمريكى فى حرب فيتنام ، وقيام الصين بأول تفجير ذرى ، والغزو الأمريكى لجمهورية الدومينكان هذا كله إلى جانب غارة الانقلابات الأمريكية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ثم لجوء الولايات المتحدة إلى أنواع جديدة من الحرب النفسية والاقتصادية على دول العالم الثالث ـ وهذه التطورات كلها تقتضى تشاورا بين دول عدم الانحياز .

وكان رأى الماريشال « تيتو » من بلجراد هو أفضلية اجتماع رؤساء الدول الثلاث المؤسسة لحركة عدم الانحياز ، وهى مصر ويوغوسلافيا والهند ، كتمهيد لمؤتمر موسع يعقد بعد ذلك سنة ١٩٦٧ أو ١٩٦٨ . وكان رأيه أن المؤسسين الثلاثة يحتاجون إلى بلورة وتركيز أفكارهم معا قبل أن تطرح هذه الأفكار المتصلة بالتغييرات الحادثة فى العالم ـ على مؤتمر موسع تحضره قرابة ثمانين دولة قد لا يتوافر لها بالضرورة نفس الوضوح الذى يستشعره المؤسسون الثلاثة . وكان « جمال عبد الناصر » متحمسا لفكرة الاجتماع الثلاثى ودواعيها ، وقد أضاف اقتراحا بأن يكون الاجتماع الثلاثى فى دلهى ليكون إلى جانب أهدافه الأساسية موقف تأييد ومساندة لـ « انديرا غاندى » التى كانت قد انتخبت رئيسة لوزراء الهند بعد الموت المفاجىء لسلفها « لال بهادور شاسترى » الذى خلف والدها « جواهر لال نهرو » سنة ١٩٦٤ .

وقد انهمك « جمال عبد الناصر » فى هذه الفترة فى محاولة لدراسة المستجدات فى العالم وعلاقتها بالمشكلات التى تواجهها الدول النامية حاليا ومستقبلا . والتقى بكثيرين من أصحاب الرأى والمفكرين فى ذلك الوقت ، وكان بينهم الدكتور « على الجريتلى » الاقتصادى المصرى البارز .

وقد ذهب الدكتور « على الجريتلى » إلى مقابلة طويلة مع « جمال عبد الناصر » مقترحا أن يبحث قادة عدم الانحياز الثلاثة الجوانب الاقتصادية فى التطورات العالمية وأن لا يركزوا على الجوانب السياسية كما فعلوا فى الاجتماعات السابقة . وقد قال إنه بمتابعته يعرف أن الدول غير المنحازة لم تهمل فى اجتماعاتها السابقة قضايا الاقتصاد ، لكنها فى رأيه لم تركز عليها بما فيه الكفاية . وهو يرى أن كل المداخل للمرحلة القادمة لابد أن تكون اقتصادية ، فهذه لن تكون قضايا السياسة فى الحاضر وإنما ستكون أيضا قضايا السياسة فى المستقبل . وقال الدكتور « الجريتلى » **إنه يريد أن يضرب مثلا بقضية الديون**

التى يقترح أن يضعها الثلاثة الكبار فى دلهى على جدول أعمالهم لأنه يستطيع من الآن أن يراها كأحد أكبر وسائل سيطرة القوى الكبرى فى المستقبل ، فهو يلاحظ أن القوى الكبرى تسهل للدول النامية عمليات الاقتراض لكى تعطيها الحبل الذى تخنق به نفسها فى المستقبل . وقال الدكتور « الجريتلى » أنه حصر ديون الدول النامية فى العام الماضى ١٩٦٥ فوجدها ٣٣ بليون دولار . ومع أن الدول غير المنحازة لا تتحمل الجزء الأكبر من هذه الديون ، فالهند مثلا مدينة بأربعة بلايين دولار ، ومصر مدينة بـ ١,٣ بليون دولار - إلا أنه يخشى أن تتزايد الديون على الجميع ثم يستيقظون ذات يوم فإذا هم جميعا فى المصيدة (٣) .

وكان اقتراح الدكتور « على الجريتلى » هو أن تتبنى الدول الثلاث فى دلهى حركة مطالبة عامة بتجميد الديون وبتخفيض الفوائد عليها إلى ما لا يزيد عن ٢,٥ ٪ سنويا(٤) . وقد اقتنع « جمال عبد الناصر » بالمنطق الذى عرضه عليه الدكتور « على الجريتلى » وطلب إليه وضع مذكرة وافية يأخذها معه إلى دلهى ويعتبرها واحدة من ركائز التفكير الجديد للدول غير المنحازة .

□

وصل « جمال عبد الناصر » إلى دلهى يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٦ ، ووصل فى نفس اليوم أيضا الرئيس « تيتو » . ثم كان أول لقاء غير رسمى بين الثلاثة يوم ٢٠ أكتوبر على عشاء أقامته « انديرا غاندى » ، وتقرر أن تبدأ الجلسة الأولى الرسمية لعملهم يوم ٢١ أكتوبر . وبعد انتهاء العشاء الخاص الذى أقامته « انديرا غاندى » اقترب « تيتو » من « جمال عبد الناصر » وسأله عما إذا كان يستطيع أن يقابله مقابلة خاصة وعلى انفراد صباح الغد الباكر ، ولو حتى على الإفطار وقبل أن تبدأ الجلسة الرسمية الأولى . واتفق الاثنان بالفعل على أن يجىء الرئيس « تيتو » صباح اليوم التالى مبكرا ويتناول طعام الإفطار مع « جمال عبد الناصر » وحده فى الجناح الذى خصص لإقامته بقصر « راشترابائى بهافان » وعندما جاء الماريشال « تيتو » فى الصباح الباكر كان أول ما قاله لـ « جمال عبد الناصر »

---

(٣) وصل مجموع ديون العالم الثالث سنة ١٩٨٩ إلى ٩٧٥ بليون دولار ، بدلا من ٣٣ بليون دولار سنة ١٩٦٥ . وصلت ديون الهند إلى ٥٥ بليون دولار - ومصر إلى ٥٤ بليون دولار - الأرجنتين ٩١ بليون دولار - البرازيل ١٠٦ بلايين دولار - المكسيك ١٠٤ بلايين دولار ، الخ ..

(٤) تدفع بعض الدول الآن فوائد على ديونها تصل إلى ٢٥ ٪ ، وقد أصبحت على هذا النحو مصدرة لرأس المال إلى الدول الدائنة .

الذى كان واقفا لاستقباله على الباب الخارجى للجناح « إنه يكره الاستيقاظ مبكرا ، وقد قام اليوم بتضحية كبيرة لم يكن ليقوم بها لولا خاطر صديقه » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » وهما مازالا على باب الجناح إنه « بالفعل استغرب أن يطلب منه تيتو لقاء فى مثل هذا الوقت من الصباح ، لكنه أدرك أن داعيه إلى ذلك لا بد أن يكون قويا » . وهز « تيتو » رأسه وقال « هو بالفعل كذلك » . ثم دخل الاثنان إلى قاعة الصالون الداخلى التى أعدت فيها مائدة الإفطار . وطلب « تيتو » أن لا يقف أحد للخدمة عليهما أثناء الإفطار قائلا « إن عليهما أن يجربا الخدمة الذاتية » وكان « جمال عبد الناصر » لايزال يستغرب ، فلم تكن تلك عادة « تيتو » فى ظروف طبيعية [٥] .

وبدأ « تيتو » حديثه قائلا[٦] « إنه عرف بموضوع بالغ الخطورة وقد أراد أن يكون الرئيس جمال عبد الناصر على علم به » . ثم قطع كلامه وتوجه بسؤال مباشر إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » قائلا له : هل صحيح أنكم وضعتم خطة عسكرية للقضاء على إسرائيل ، أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الدار البيضاء فى العام الماضى » ؟ ودهش « جمال عبد الناصر » من السؤال وبدت دهشته واضحة أمام صديقه الذى واصل حديثه قائلا : « منذ عدة شهور ألح جولدمان [٧] علىّ بطلب مقابلة معى ولم أستجب لطلبه بسرعة متصورا أنه يريد أن يسمعنى واحدا من « مونولوجاته الشهيرة » عن السلام طالبا وساطتى معك كما فعل مرات من قبل . ولكن جولدمان بعث إلىّ يقول إن لديه موضوعا عاجلا يريد اطلاعى عليه ، وهو موضوع جديد تماما . وقد حددت له موعدا وقابلته بالفعل قبل عشرة أيام فى دوبروفنيك . وعندما لقيته فإنه لم ينتظر حتى المجاملات التقليدية ، وإنما بدأ على الفور بما يشغله قائلا لى : « إن رؤساء الدول العربية الذين اجتمعوا فى الدار البيضاء وضعوا خطة للقضاء على إسرائيل ، وإن هذه الخطة وصلت من ثلاثة مصادر إلى حكومة إسرائيل . وقد دعانى

---

(٥) كان الاثنان يتفاهمان باللغة الانجليزية التى تعلمها الرئيس «تيتو» عند سن الخامسة والخمسين .

(٦) نقلا عن مذكرة أملاها الرئيس «جمال عبد الناصر» عقب الاجتماع مباشرة . وقد استغرقت ثلاثة صفحات ونصف الصفحة من حجم الفولسكاب .

(٧) كان «ناحوم جولدمان» . وقتها رئيسا للمؤتمر اليهودى العالمى . وكانت هناك خلافات دائمة بينه وبين رؤساء وزارات إسرائيل حول أحقية كل منهما بالتحدث عن يهود العالم . وهل هو المؤتمر اليهودى الذى مثله طوال القرن العشرين أم دولة إسرائيل التى لا تضم أكثر من خمس يهود العالم . وإن كانت تعتبر نفسها التجسيد الحى لحلم الدولة اليهودية . وبالتالى تطالب بهذا الحق لها .

رئيس الوزراء ليفى أشكول بطريقة عاجلة إلى مقابلته فى القدس وأطلعنى على هذه الخطة ، وقال لى « إذا كنت تتصور أننا فبركناها لإقناعك بما نقول فلك أن تسأل أصدقاءك فى البيت الأبيض [٨] أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى واشنطن ، فقد وصلت إليهم الخطة كما وصلت إلينا . وقد اطلع عليها الرئيس جونسون بنفسه وقرر بعدها زيادة المساعدات العسكرية لإسرائيل بطريقة تخطت كل الحدود التى عرفناها من قبل » . »

□

حاول « جمال عبد الناصر » أن يسيطر على مشاعره وحتى تعبيرات وجهه ، وكان يريد أن يسمع أكثر ، وكان لدى الرئيس « تيتو » ما يضيفه ، فاستطرد قائلا إن « **جولدمان قال لى بعد ذلك إن أشكول أخبره بأنه الآن لا يستطيع أن يقبل أنصاف حلول ، فإسرائيل فى خطر لم يتعرض له اليهود منذ أيام هتلر والهولوكوست ، وبالعكس فإن الخطر هذه المرة أفدح ، فاليهود الذين اختفوا تحت حكم النازى كانوا فى المنفى ، وأما الآن فإن ٢,٥ مليون يهودى معرضون للإبادة فى عقر وطنهم بعد أن استطاعوا تحقيق حلم إنشاء الدولة . وكان طلب أشكول بعد ذلك من جولدمان هو أنه يريد من الحركة اليهودية أن تدبر له مبلغا كبيرا جدا من المال لاستكمال احتياجات إسرائيل من السلاح ، فهى لا تريد أن تعتمد فقط على المصادر الأمريكية للسلاح رغم كرمها البادى ، لأن اعتمادها بالكامل على المصادر الأمريكية من شأنه أن يعطى لواشنطن نوعا من حق الاعتراض ـ الفيتو ـ على تحقيق أية أهداف إسرائيلية لا تريدها الولايات المتحدة وتريدها إسرائيل . ثم قام أشكول بدعوة الجنرال رابين رئيس أركان الحرب لكى يشرح لجولدمان الموقف الصعب الذى يمكن أن تجد إسرائيل نفسها فيه لو أن الخطة العربية للدار البيضاء وضعت موضع التنفيذ . وتحدث رابين فقال إنه لا يشك فى صحة الوثيقة ولا يشك فى النوايا التى تتضمنها ، والسؤال الوحيد الباقى أمامه هو « متى ؟ » ـ أى أنها مسألة توقيت وإسرائيل لا يمكن أن تقبل توقيتا عربيا يفرض عليها** . » وواصل الرئيس « تيتو » حديثه فقال : « **عندما سمعت هذا الكلام من جولدمان**

---

(٨) تكشف فيما بعد أن « جيمس آنجلتون » نائب رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وزعيم الجناح المنادى بالاعتماد على إسرائيل بالكامل لتصفية الأوضاع فى الشرق الأوسط مرة واحدة وإلى الأبد ، حصل أيضا من مصادر خاصة له على الوثيقة التى كتبها الفريق « على على عامر » بخط يده وقدمت أثناء مؤتمر الدار البيضاء .

كان تعليقى عليه أننى لا أصدق . وعلى فرض أن العرب لديهم مثل هذه النوايا فلست أظن أنهم يضعونها على ورق . وحتى إذا وضعوها على ورق ، فمن المؤكد أنهم سوف يحتاطون كيلا تصل إلى إسرائيل وإلى الولايات المتحدة أخبارهم من ثلاثة مصادر أو أربعة . ورد علىّ جولدمان بأن ذلك كان انطباعه الأولى وهو يسمع أشكول ، لكنه بعد أن رأى الأوراق وتأكد أن البيت الأبيض والمخابرات المركزية لديهما علم بحقيقة الموضوع فإنه كان مضطرا أن يصدق . »

وكان « جمال عبد الناصر » يغالب الحرج الذى انتابه وهو يجد نفسه مطالبا بتوضيح الأمور للرئيس « تيتو » ، وقد بدأ فقال له « إنه يعرف أن هناك ورقة من هذا النوع طرحت على مؤتمر الدار البيضاء وأن هذه الورقة كتبت نتيجة مزايدات سياسية ، ولكنها لم تتحول إلى قرار من قرارات القمة » . ثم أضاف أن « أول من يعرف أن ذلك كان مسار الموضوع . هو الولايات المتحدة الأمريكية التى كان لها كثيرون من الأصدقاء فى المؤتمر . ومن الناحية العملية فهم أول من يعرف أن هدف القضاء على إسرائيل يتعدى حدود الإمكانيات العربية فى الحاضر وفى المستقبل المرئى . »

وبينما كان « جمال عبد الناصر » لايزال يواصل محاولته فى الشرح ، كان الشعور بالدهشة قد انتقل منه إلى ملامح « تيتو » الذى سأله مرتاعا : « هل يعنى ذلك بالفعل أنكم وضعتم هذا الكلام على ورق » ؟ وراح « جمال عبد الناصر » يحاول إعطاء « تيتو » فكرة عن أجواء المزايدات العقيمة التى تجرى أحيانا بين العرب ، وكلها مزايدات خطابية عاجزة عن الفعل . وكان الرئيس « تيتو » يردد عبارة « ولكن الورقة معهم » ، ويكررها .

وبعد شرح مستفيض بدأ الرئيس « تيتو » يتفهم جوانب الصورة التى رسمها له « جمال عبد الناصر » وقد توجه أخيرا إلى « جمال عبد الناصر » بسؤال قال فيه « هل أستطيع أن أنقل ذلك عنك إلى جولدمان » ؟ ورد عليه « جمال عبد الناصر » معترضا بأن ذلك لو حدث يزيد الأمور تعقيدا ، وما يقترحه هو أن الرئيس « تيتو » الآن قد أصبح فى الصورة الكاملة لحقيقة ما حدث ، وأنه يستطيع على مسؤوليته أن يتصرف كما يرى ملائما دون أن ينسب شيئا إلى « جمال عبد الناصر » . ثم عاد « جمال عبد الناصر » يقول لـ « تيتو » : « صدقنى أن هذه كلها ، سواء من إسرائيل أو من الولايات المتحدة ، عمليات تصيد ، فهم يعرفون الحقائق بأكثر مما تقول به أى ورقة يذهب بها إليهم عميل من عملائهم . هم يستعملون هذه الورقة وسيلة من وسائل تحقيق أهدافهم بما فيها التأثير على أصدقائنا مثلك ، وكل ما أتمناه أن لا تبتلعوا هذا الطعم حتى وإن بدا لكم أنه طعم حقيقى . »

وسادت على مائدة الإفطار لحظات من الصمت ، فقد أحس كل من الرجلين أنه يحتاج إلى التفكير فيما سمعه . وقطع الرئيس « تيتو » مائدة الصمت بقوله « **إن ما أزعجه فى هذا الموضوع أكثر من غيره هو أنه يتحسب لاتجاهات العمل الأمريكى المباشر فى المرحلة القادمة ، وبالذات على الشواطىء الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط** » . ثم استطرد يشرح ما مهد له قائلا : « **لقد عقدنا سلسلة من الاجتماعات لتقييم الموقف الدولى استعدادا لمؤتمرنا هنا ، وقد اهتممنا بالذات بالمناطق القريبة منا والتى يؤثر علينا ما قد يحدث فيها . وقد توصلنا إلى تقدير أن السياسة الأمريكية تواجه الآن ظروفا معقدة مع كل الحلفاء الذين تعتمد على قواعدهم فى الشواطىء الشمالية للبحر الأبيض المتوسط . فلديهم مشاكل فى اليونان ، ولديهم مشاكل فى ايطاليا ، ولديهم مشاكل فى تركيا ، والأوضاع فى أسبانيا والبرتغال ليست مستقره ، فنظام فرانكو فى مدريد ، ونظام سالازار فى لشبونة كلاهما معرض لتغييرات واسعة النطاق . وأخطر من ذلك خروج فرنسا من حلف الأطلنطى . ومعنى ذلك أن الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض - وهو الخط الأول لأية مواجهة مع الاتحاد السوفيتى - ليس فى استطاعته أن يطمئن بالكامل إلى قواعده على الشواطىء الشمالية للبحر الأبيض . وقد توصلنا إلى استنتاج أن السياسة الأمريكية لديها الدوافع لمحاولة إعادة ترتيب الأوضاع على الشواطىء الجنوبية للبحر الأبيض لكى تكون عنصرا مساعدا ، أى بديلا يطمئن إليه الأسطول الأمريكى السادس عند اللزوم . والشواطىء الجنوبية للبحر الأبيض هى الشواطىء الإفريقية ، والعقبات التى تواجه السياسة الأمريكية عليها تتمثل فيكم وفى الجزائر . وأما باقى الشاطىء الآسيوى فهو مضمون لهم . والجزائر مازالت تعيش تأثيرات ما بعد خلع بن بيللا ، وهكذا لا يتبقى غير الجمهورية العربية المتحدة يركزون جهدهم عليها فى محاولة إعادة ترتيب شاطىء البحر الجنوبى** . »

ثم استطرد « تيتو » يقول : « **إن تقديراتنا أن المخاطر المتربصة بالعالم الثالث عموما كبيرة ، فالزعماء السوفيت الثلاثة الذين يتولون مقاليد الأمور فى الكرملين نماذج مختلفة القسمات من بيروقراطيى الحزب التقليديين . وفى البداية تفاءلنا بهم بعد قلقنا من الاندفاعات غير المحسوبة التى كان يقوم بها خروشوف . وبعد سنتين عليهم فى السلطة الآن فإننا نخشى ، نتيجة لمتابعتنا تصرفاتهم ، أن زمام المبادرة يفلت من أيديهم وينتقل بسرعة إلى الأمريكان . فهم يريدون أن يصلوا بأى ثمن إلى اتفاق مع الأمريكان حتى يخففوا عن أنفسهم أعباء سباق السلاح ويقوموا بنقلها إلى اعتمادات التنمية والرفاه الاجتماعى . والأمريكان بالطبع يرون مقصدهم ويستغلونه**

فى تطويعهم خلال موقف بعد موقف . » ثم أضاف « تيتو » إن « الخلاف الصينى السوفيتى تحول فى العالم الثالث إلى عملية تمزيق لوحدة القوى الثورية أدت إلى نوع من التراجع العام فى حركة قوى التقدم » .

ثم انتهى « تيتو » مما لديه قائلا : « هذا ما خطر لى أن أتحدث فيه بمفردى معك ، وهناك موضوعات أخرى كثيرة نستطيع أن نبحثها فى جلسات المؤتمر وباشتراك زميلتنا الجديدة انديرا » !

طوال سنة ١٩٦٦ كان « جمال عبد الناصر » مشغولا بمعضلة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية وطريقة تكييفها والوصول إلى الحل الأمثل لإدارتها . فمن ناحية كانت هناك تناقضات حتمية بين سياسة البلدين وأهدافهما ، ومن ناحية أخرى كانت هناك ضرورات عدم الوصول بهذه التناقضات إلى نقطة الصدام السافر الذى يؤدى إلى انفجار يصعب حصره . وكان مما يضاعف من صعوبة الأمر أمامه هو تلك الإشارات المتضاربة التى تصدر عن واشنطن .

ففى بداية سنة ١٩٦٦ استطاع الدكتور « عبد المنعم القيسونى » (نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية فى وزارة السيد « زكريا محيى الدين ») ـ عقد اتفاقية محدودة طبقا للقانون ٤٨٠ لبيع الحاصلات الزراعية ، ولم تكن هذه الصفقة تغطى أكثر من شهور قليلة ، وبعدها كان « جمال عبد الناصر » شبه واثق أن تلك هى النهاية فى شأن مبيعات القمح من الولايات المتحدة لمصر . وعلى نحو ما فإنه كان يشعر أن سياسة التهدئة مع الولايات المتحدة الأمريكية لم تأت بنتيجة ، وأنهم أخطأوا فى تفسيرها واعتبروها مظهر ضعف يمكن استغلاله ، وليس فرصة أخرى يمكن استثمارها .

وفى هذه الفترة زاره « جورج ماكجى » مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط . والتقى به يوم ٨ ابريل ١٩٦٦ ، وكان معه السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » . وفى بداية المقابلة سأله « ماكجى » عن تقييمه للعلاقات الأمريكية

المصرية . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا ـ طبقا لمحضر الاجتماع ـ « إذا أردت رأيى بصراحة فهو أن بيننا صراعا مزدوجا . فأنتم طوال علاقاتنا لم تتركونا لنعمل بحرية ، ونحن طوال علاقاتنا لم نقبل منكم أن تمنعونا من العمل بحرية ، والنتيجة هى هذا الصراع المزدوج الذى ذكرته لك . من ناحية لانتزاع حقنا فى حرية العمل ، ومن ناحية ثانية فى تنفيذ هذا العمل الذى نعتبره تجسيدا لحريتنا . » ورد « ماكجى » بأنه « يرى أن الرئيس يضع اللوم كله على الجانب الآخر » . وسأله « جمال عبد الناصر » أن « يحدد موقفه بمنتهى الوضوح ، وأن ينسى لدقائق أنه مساعد لوزير الخارجية الأمريكية وأنه يتحدث مع رئيس دولة أجنبية ، وإنما يكون الحديث بين إنسان وإنسان . » وقال « ماكجى » إنه وقد أخذ الضوء الأخضر فسوف يسمح لنفسه أن يتحدث بشكل غير رسمى ، وهو يرجو أن يبادله الرئيس هذا الأسلوب . وبدأ « ماكجى » فقال إنه « سوف ينسى ماضى العلاقات فى السنين الطويلة منذ شهر يوليو ، وسوف يركز فقط على نماذج أخيرة مما اعترض العلاقات بين البلدين » . وبدأ « ماكجى » حديثه « إنسان لإنسان » بأن قال « إننا عقدنا فى أول السنة صفقة قمح محدودة ، وقد أردناها كدليل على حسن النوايا ، ولكننا لاحظنا أنكم زدتم صادراتكم من الأرز ، وكنا قد فهمنا أنكم سوف تبيعون لنا بالجنيه المصرى ١٠٠ ألف طن من الأرز ولكنكم لم تفعلوا » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » قائلا « إن معنى تحديد صادراتنا من الأرز ـ الذى يفيض عن حاجتنا نتيجة المياه الجديدة من السد العالى ـ هو ببساطة أننا نعرقل خطة التنمية . ولست أعرف لماذا يتعين علينا أن نحدد صادراتنا من الأرز » . ورد « ماكجى » بقوله « لأن الكونجرس يضغط على الرئيس الأمريكى بمنطق أنه لا يحق له بيع مواد غذائية بشروط ميسرة طبقا للقانون ٤٨٠ لبلد يصدر المواد الغذائية » . وقال « جمال عبد الناصر » إنه « يرى أن هذا المنطق لا يستقيم . فأن تصدر مصر أرزا يزيد عن حاجتها فتلك عملية اقتصادية بحتة ، وأن تمنع أمريكا بيع قمح إلى مصر فتلك عملية سياسيه بحتة . » ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يقول لـ « ماكجى » : « وليس فى علمى أننا تعهدنا بالامتناع عن تصدير الأرز . ولقد سمعنا منكم هذا الشرط ولم نقبله . كما أننى لا أعرف من الذى جعلكم تفهمون أننا سنبيع لكم ١٠٠ ألف طن من الأرز بالجنيه المصرى . »

وكان النموذج الثانى الذى أثاره « ماكجى » هو استمرار مصر فى مشروع إنتاج الصواريخ والطائرات ورفضها لأى رقابة أمريكية . ورد « جمال عبد الناصر » بأن « تلك عودة إلى الماضى ، فقد أثرتم هذا الموضوع منذ سنتين ، وقلنا لكم إن تدخلكم فى هذا الأمر مسألة تتعارض مع السيادة . وأنتم تقومون بمساعدة إسرائيل فى مشروعها

لإنتاج الصواريخ وفيما هو أخطر من ذلك ونحن نعرف جزءا من التفاصيل ، وها هو السفير باتل جالس معنا ويشهد أننى فاتحته فى هذا الموضوع أكثر من مرة . »

ثم عاد « ماكجى » يقول « إن مساندة مصر لمؤتمر القارات الثلاث الذى عقد فى هافانا وشارك فيه مندوبون من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كان فى الواقع مظاهرة عدائية ضد الولايات المتحدة ، وودية تجاه الاتحاد السوفيتى . وقد رجاكم السفير باتل وفقا لتعليمات من واشنطن ألا تشاركوا فى هذا الاجتماع الذى قدرنا مبكرا طابعة المثير ضدنا ، ولكنكم لم تقبلوا الرجاء . »

وكان لدى « جمال عبد الناصر » كثير يقوله فى الرد على هذه النقطة ، ولم يقصر فى قوله - قال لـ « ماكجى » ولـ « باتل » : « أولا - إننى سمعت منكم مثل هذه المخاوف قبل مؤتمر باندونج ووقتها كان إلحاحكم شديدا لكى لا أشارك فى المؤتمر ، ومع ذلك كان قرارنا الاشتراك فى هذا المؤتمر ، ولم تكن النتيجة مظاهرة عداء لأمريكا ، وإنما كانت مظاهرة تأييد للكفاح من أجل حرية الشعوب . وفى هذه المرة (مؤتمر القارات الثلاث) فإنه كان بوسع أى واحد منا أن يستنتج أن المؤتمر سوف تعلو فيه نبرة العداء للسياسة الأمريكية ، وعليكم أن تسألوا أنفسكم لماذا ؟ وإذا فعلتم ذلك بأمانة فسوف تكتشفون أنكم وحدكم تتحملون المسؤولية . فسياسة تدبير الانقلابات فى بلدان أفريقيا وآسيا ، وسياسة الضغط الاقتصادى ، وسياسة الحملات النفسية والدعائية التى تمارسونها - كان محتما أن تؤدى إلى إثارة مثل هذا العداء . » ثم استطرد « جمال عبد الناصر » وقد زادت حدة نبرات صوته يقول « إنكم الآن تلجأون إلى القتل » . وأبدى « ماكجى » دهشته وكرر ببراءة كلمة « إلى القتل » ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » : « نعم ، إلى القتل . ولن أعود إلى الماضى وأتحدث عن قتل لومومبا فى الكونجو ، وإنما أتحدث عن واقعة حدثت أخيرا ، وهى تصفية الزعيم المغربى المهدى بن بركة » . واستطرد قائلا « إنك لن تستطيع إقناعى بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لم تكن وراء قتل بن بركة . إن أوفقير (وزير داخلية المغرب وقتها) كان فى التخطيط لهذه العملية وتنفيذها منسقا لوكالة المخابرات المركزية التى أرادت عقاب بن بركة على دوره النشيط فى الإعداد والدعوة لمؤتمر القارات الثلاث فى هافانا . وقد قام بخطف بن بركة وتعذيبه وقتله بواسطة بعض المجرمين المحترفين ، وهذا أسلوب نعرف أن المخابرات المركزية لجأت إليه من قبل فى محاولة استخدمت فيها عصابات المافيا للخلاص من فيدل كاسترو فى كوبا . ونحن نعلم أن بعض العناصر فى أجهزة الأمن الفرنسى شاركت فى التغطية على هذه العملية ، واعتقادنا أن هذه العناصر

تعاونت بغير علم حكومة الجنرال ديجول ، وكان تعاونها بتحريض وترتيب مع المخابرات المركزية . »

وحاول « ماكجى » أن ينفى هذا كله ، وقال فى نهاية رده على هذه النقطة **« إنه يعرف أنه لن يستطيع إقناع الرئيس ببراءة المخابرات المركزية من تدبير خطف وقتل بن بركة ، والرئيس نفسه قالها له فى بداية كلامه فى موضوع بن بركه حين قال له « إنك لن تستطيع إقناعى » . » ثم قال « إن ما يزعجه دائما فى العلاقات المصرية الأمريكية هو طبقات الشك المترسبة فوق بعضها طول السنين » .**

وانتقل « ماكجى » إلى نقطة ثانية فطرح موضوع التطورات الأخيرة فى اليمن ، قال « **إننا نلاحظ أن عملية التصالح التى بدأت بعد زيارة الرئيس لجدة فى أغسطس ١٩٦٥ ـ قد توقفت الآن . وأن العلاقات بين مصر والسعودية عادت إلى سابق حالتها من السوء والتوتر** . » ثم تساءل « ماكجى » : « **ألا يمكن لأحد من المسؤولين المصريين أن يذهب الآن إلى السعودية مرة أخرى** » ؟ ورد عليه « جمال عبد الناصر » قائلا :

« إننى بدأت أفقد الأمل . فإن فيصل مثلكم أخطأ فى فهم معنى زيارتى له بقصد الوصول إلى حل فى اليمن . فقد تصور أننا مضغوطون بين اليمن وإسرائيل . وهو لا يعرف أننى ذهبت إلى السعودية فى العام الماضى لأن الجيش كان يطالبنى بأن أعطيه الحرية فى ضرب قواعد العدوان . فلم تكن هناك فائدة فى قصر نشاطنا على مواجهة قوات المرتزقة الأجانب فى اليمن ، وإنما كان ضروريا لاستكمال ردع العدوان أن نقوم بضرب قواعده . وكان معنى ذلك أننى سوف أضرب السعودية ، ولكى أتجنب هذا القرار الصعب فقد ذهبت بنفسى إلى مقابلته بغير حساسية ، وأخطأ فى فهم موقفى . »

□

وحوالى منتصف سنة ١٩٦٦ كانت القاهرة تتابع باهتمام تغييرات كبيرة تجرى فى البيت الأبيض فى واشنطن . فقد استقال « ماك جورج باندى » من منصب مستشار الأمن القومى للرئيس (وإن ظل باقيا فى كواليس البيت الأبيض) ، وكان هو البقية الباقية فى البيت الأبيض من أيام « كنيدى » . وكذلك بدأ نفوذ « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع يشحب بسبب المأزق العسكرى الأمريكى فى فيتنام . وكان الاثنان ينتميان إلى ما أطلق عليه

« المافيا الايرلندية » . ولم تكن تلك مشكلة ، وإنما كانت المشكلة **أن مواقع النفوذ الحاكم فى البيت الأبيض انتقلت من « المافيا الايرلندية » إلى « مافيا يهودية » ، فقد حل « والت روستو » محل « باندى » كمستشار للأمن القومى ، كما أصبح شقيقه « يوجين روستو » مساعدا لوزير الخارجية . وفى نفس الوقت زاد بطريقة لافتة للنظر نفوذ « آرثر جولدبرج » المندوب الأمريكى الدائم فى الأمم المتحدة - وهو أيضا يهودى . وكانت خاتمة المطاف تعيين « ريتشارد هيلمز » الذى كان من قبل مسؤولا عن قسم العمليات الخاصة[٩]فى وكالة المخابرات المركزية ، ثم مديرا عاما لها .**

وكان الرئيس « جونسون » الذى يحس بالإحباط بسبب مأزق فيتنام ، قد بدأ يسلى نفسه كل ليلة بلعب « البوكر » مع أصدقاء له من ملوك البترول وأصحاب الملايين من ولايته الأصلية تكساس . وزاد نفوذهم على قراراته السياسية فى الشرق الأوسط ، ولم ينس أحد فى القاهرة أن علاقات مجموعة بترول تكساس (المرتبطة ببترول الشرق الأوسط) كانت هى التى تشرف على تنمية ثروة « جونسون » الخاصة . وقد جرت العادة فى أمريكا على أنه عندما يدخل أحد الرؤساء إلى البيت الأبيض فإن ثروته الشخصية توضع فيما يسمى

يوجين روستو   **والت روستو**

(٩) كانوا فى البيت الأبيض يطلقون عليها وصفا أكثر صراحة ، وهو وصف « العمليات القذرة » «Dirty Tricks»

بـ « الصندوق الأعمى » «Blind Trust» ، وبمقتضى هذا الترتيب فإن أصدقاء الرئيس يتولون نيابة عنه رعاية شؤونه دون أن يكون على علم بالتفاصيل ، وذلك لتجنب تضارب المصالح .

وفى هذه الفترة أيضا تردد الجنرال « موشى ديان » أكثر من مرة على مكتب مستشار الأمن القومى ، وكان السبب الظاهر الذى يقدم للصحافة ولغيرها من وسائل الإعلام هو أن الجنرال الإسرائيلى يقدم آراءه عن الحرب فى فيتنام بعد أن قام بنفسه بزيارة ميادين القتال هناك . وكانت تلك حجة واهية لأن « موشى ديان » ذهب إلى أحد لقاءاته فى البيت الأبيض فى صحبة الوزير المفوض فى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن « أفراييم ايفرون » وهو المكلف بدور ضابط الاتصال مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . كما أنه ذهب مرة أخرى فى صحبة شخص آخر لم تعرف هويته ، واتضح فيما بعد أنه البريجادير « أميت » رئيس جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى ذلك الوقت .

□

وتضيف مجموعة الوثائق السرية الأمريكية إلى هذه الصورة لمسات إضافية أخرى لم تكن فى ذلك الوقت ظاهرة أو مرصودة . ففى بداية شهر مايو ١٩٦٦ يسجل مكتب تليفونات البيت الأبيض محادثة تليفونية بين « جونسون » ووزير خارجيته « دين راسك » . وخلال المحادثة يجىء سؤال موجه من الرئيس إلى وزير خارجيته يقول فيه « جونسون » : « **إنهم لفتوا نظرى إلى زيادة الحركة بين المصريين وديجول** » . **ثم يسأل « جونسون » وهو يعنى « ديجول » : « ما الذى يسعى إليه » ؟**

ويبدو أن موقف « ديجول » بحث تفصيلا فى الأيام التالية واستقر الرأى على محاولة ترتيب لقاء غير رسمى بين « جونسون » و« ديجول » بدون أن يظهر فى هذا الترتيب أنه قصد مقصود . ويوم ٢٠ مايو ١٩٦٦ يبعث « آرثر جولدبرج »(١٠) المندوب الأمريكى الدائم رسالة إلى الرئيس « جونسون » جاء فيها بالنص :

« قابلت سيدو (المندوب الفرنسى الدائم فى الأمم المتحدة) وألمحت له أنه إذا كانت لدى ديجول خطة لزيارة الأمم المتحدة أو كندا الفرنسية ، فقد يهيىء له ذلك فرصة مناسبة لمقابلة الرئيس جونسون الذى يسعده أن يرى ديجول . إن اقتراح هذا اللقاء جاء من جانب الوزير ، وقد قمت بصورة غير

---

(١٠) الوثيقة رقم (ى س ى ن - ٤٧٦٠) بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٦٦ فى ملفات وزارة الخارجية الأمريكية .

رسمية بنقل هذه الفكرة إلى سيدو فى لقاء اجتماعى دون أن أعزوها إلا إلى نفسى . واليوم بحث عنى سيدو بعد انفضاض جلسة مجلس الأمن الخاصة بروديسيا وقال لى « إنه تحادث مع ألفان (السفير الفرنسى فى واشنطن) فى هذه الفكرة ، وأنه هو وألفان يتطلعان بحماسة إلى فتح قناة اتصال مباشرة بين الرئيس جونسون وديجول » . »

□

وعلى امتداد شهور ربيع وصيف سنة ١٩٦٦ امتلأت الصحف الأمريكية وغيرها من وسائل الإعلام بحملة بدت مفاجئة تدعى بأن مصر قد توصلت إلى اتفاق استراتيجى مع الاتحاد السوفيتى ، وأن البلدين توصلا إلى تنسيق كامل فى سياساتهما فى المنطقة العربية وخارجها . وفى الواقع فإنه لم يكن قد طرأ جديد على العلاقات المصرية السوفيتية يبرر هذه الحملة أو يعطيها أساسا تستند إليه . ولم يكن هناك شك فى أنها حملة مقصودة ، ولكن الذى لفت الأنظار هو أن السفير الأمريكى فى القاهرة « لوشيوس باتل » وقع ضحية لهذه الحملة أو لعله كان مكلفا بالاستجابة لمقتضياتها . فقد اتصل تليفونيا يوم ٢٤ مايو بالسيد « حسن صبرى الخولى » يسأله سؤالا محددا هو : « **هل صحيح أنكم أعطيتم قواعد للبحرية السوفيتية فى ميناء برنيس على البحر الأحمر ؟ إن معلوماتى الشخصية هى أن ذلك لم يحدث ، ولكنى أريد أن أكون مستندا إلى تأكيد رسمى حين أجيب عن هذا السؤال الذى جاءنى من واشنطن** .» ورد عليه « حسن صبرى الخولى » على الفور بأنه « **يستطيع مطمئنا أن يؤكد له أن ذلك لم يحدث** » .

وتظهر الوثائق السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية[١١] أن هذه الوكالة كلفت بوضع تقرير عن العلاقات المصرية السوفيتية ، وبمقتضى هذا التكليف أعدت الوكالة مذكرة مخابرات بدأت على النحو التالى :

« ربما كانت مصر واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يتحركان الآن صوب فترة من التعاون الأوثق فى سبيل تحقيق أهدافهما المشتركة فى العالم العربى . فالعداوة التى أحياها ناصر تجاه الزعماء العرب المحافظين والمعتدلين ، وعداوته المتجددة للسياسة الأمريكية والبريطانية فى الشرق الأوسط ـ قد زادت بكل تأكيد من استعداده للتعاون مع موسكو . والزعامة

---

(١١) نص مذكرة مخابرات صادرة عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحت عنوان « العلاقات المصرية السوفيتية » بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٦٦ وتحت رقم (٦٦ / ٠٨٣٠)

الحالية فى موسكو ستتجاوب تجاوبا حذرا مع الفرص التى قد يعرضها ناصر لتوسيع النفوذ السوفيتى فى المنطقة . ويبدو عليها الآن فعلا أنها على استعداد للعمل معه بصورة أوثق نوعا ما مما كان فى الماضى فى دعم اتجاهه الخاص بشأن القومية العربية والاشتراكية ومعارضته للنفوذ الغربى . »

ثم تصل مذكرة المخابرات إلى أن تقول ما يلى بالحرف :

« يشير عدد من التقارير التى تلقيناها أخيرا إلى أن مصر ـ لقاء مقابل سوفيتى ما ـ ربما ضمانة عسكرية ـ ستقوم بشن حملة تخريب فى شبه الجزيرة العربية وضد عدد آخر من البلدان العربية الموالية للغرب . وهى حملات طالما خاضت القاهرة مثلها بدرجات متفاوتة من الحماسة والنجاح . ومن المؤكد أن السوفيت انتفعوا من الجهود المصرية لتحجيم النفوذ الغربى فى الشرق الأوسط ، والأرجح أنهم يتطلعون إلى مزيد من مثل هذه المنافع . كما أن هناك تقارير أخرى تشير إلى أن الهجوم المصرى القادم سوف يشمل إيران أيضا . ولكن معلوماتنا تشير إلى القيود التالية :

١ ـ إن السوفيت لا يستطيعون إعطاء ناصر شيكا بالتأييد على بياض .

٢ ـ إن ناصر لا يزال غير مستعد لأن يلقى بنفسه فى أحضان موسكو رغم مشاكله معنا بسبب مبيعات القمح طبقا للقانون ٤٨٠ . ومن المؤكد أنه سيواصل المحافظة على صورته باعتباره زعيما غير منحاز ، رغم أن عدم انحيازه لم يقنعه أبدا بالمساواة فى التعامل بين الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية . »

ثم خلصت مذكرة المخابرات المركزية إلى القول :

« إننا مازلنا متمسكين بآخر تقرير قدمناه لمجلس الأمن القومى بشأن الجمهورية العربية المتحدة ، وهو أننا مازلنا نشك تحديدا فى أن ناصر سوف يخل بمبدئه الأساسى فى معارضة القواعد الأجنبية فى بلاده ، وذلك بمنح الاتحاد السوفيتى الحق فى قاعدة عسكرية » .

وبرغم ذلك فإن حملة الادعاء بارتماء القاهرة فى أحضان موسكو تعالت نيرانها ، كما أن مناورات شديدة الالتواء رتبت تعللا بها !

□

دافيد نيس

ليفى اشكول

وفى ١٦ يونيو ١٩٦٦ قدمت وزارة الخارجية مذكرة إلى الرئيس « جونسون » جاء فيها ما يلى :(١٢)

« ١ - إننا لا نستطيع عقد اتفاق بيع أغذية لمصر طبقا للقانون ٤٨٠ للأسباب التى ناقشناها من قبل ، ومن بينها على الأخص سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن ، ومشاركة الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر القارات الثلاث ، ومهاجمة ناصر لسياستنا فى فيتنام ، وحملة الجمهورية العربية المتحدة ضد المملكة العربية السعودية .

٢ - إننا لسنا فى حاجة إلى إعلان علنى صريح لقرارنا بالامتناع عن بيع القمح إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فإن مثل هذا الإعلان سوف يؤدى إلى مواجهة مباشرة مع القاهرة ، فضلا عن أنه سوف يسقط أى فرصة لنا للضغط على سياسة ناصر .

٣ - إن مصلحتنا فى الأجل الطويل تملى علينا أن نستمر فى اللعبة - نقرر ما نريد ونتركهم يأملون كما يريدون ، وبهذا نتجنب المصادرة على المستقبل ، وأظن أن هذه مخاطرة محسوبة . . »

---

(١٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية لسنة ١٩٦٦ .

وتسجل وثائق وزارة الخارجية الأمريكية نص خطاب رسمي ، وإن كان شخصيا ، كتبه « دافيد نيس » القائم بأعمال السفارة الأمريكية بالقاهرة أثناء غياب السفير « لوشيوس باتل » في أجازة في واشنطن أخطر فيها أنه تقرر نقله من القاهرة ليشغل منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط ، وان كانت مسألة خلف له في سفارة القاهرة لم تتقرر بعد .

وقد جاء في الخطاب الذي كتبه « دافيد نيس » موجها إلى المستر « رودجرز ديفيز » - نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا - ما يلي بالحرف :(١٣)

« عزيزي رودجرز

كتبت إليك في ٢٨ يوليو عن خشيتي من أن نكون قد وضعنا أنفسنا في مأزق بأن ربطنا على نحو غير مرن بين معونتنا الغذائية للجمهورية العربية المتحدة وبين سلوكها في الشرق الأدنى . وقد قرأت توا التحليل البديع لبوب سترونج عن التحركات الأخيرة في الجمهورية العربية المتحدة في إطار الوضع الشامل للشرق الأدنى (برقية بغداد رقم ٧٠١) - وهو يقرر بإفحام وإقناع شديدين ما أحسست به دائما ، وهو أن لمصر « حتمياتها » التي تعلو قيمتها على أي سعر يمكن لنا أن ندفعه لها في ضوء حقائقنا السياسية الداخلية الخاصة . وإني لأتساءل هل تتعارض هذه الحتميات المصرية حقا مع مصالحنا الحيوية في المنطقة ؟ ألسنا نطالب ناصر بأن يضحي بكل شيء في سبيل المحافظة على مصالح قصيرة الأمد للولايات المتحدة والمملكة المتحدة ؟ في اعتقادي أن ذلك ما نفعله ، ونتيجة له فإننا نتحرك بعناد في اتجاه معركة حاسمة في المنطقة ناشئة عن محاولة تجري الآن من جانب « أصدقائنا » لإسقاط ناصر ، وردود فعل ناصر على ذلك وأنا أراها حتى الآن دفاعية إلى حد كبير . وإنني لأتفق مع بوب سترونج في أننا حتى ولو لم نفعل أكثر من الوقوف موقف المتفرج والمراقب فإننا سنجد أنفسنا متورطين بصورة لا مخرج منها . وفي رأيي أن المحاولة لن تنجح ، وأن استمرارنا في الضغط على مصر بالمواد الغذائية لن يتمكن من جعل ناصر ينحني لمشيئتنا بأكثر مما فعل تجاه معالجتنا الخرقاء لموضوع الأسلحة ، والسد العالي قبل عقد مضى

---

(١٣) أصل الخطاب محفوظ في مكتبة « ليندون جونسون » تحت رقم ٢١٧١١ بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٦٦ .

من الزمان . وإنى لأعجب كيف يمكن فى المناخ الحالى أن نتمكن من إقناع المصريين بأن الباب مازال مفتوحا إن لم يجىء شىء من خلال هذا الباب .

ومن المؤكد أننى لست ساذجا بحيث لا أدرك الصعوبات التى تنشأ بسبب تصرفات مصر وسياساتها ، ولكننى واثق أنه من الضرورى لعلاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة فى المستقبل وعلاقاتنا مع كل المنطقة - أن نهتدى حالا إلى وسيلة « لوقف الانحدار نحو المأساة » . وإنى لأقدر أى توجيهات فى وسعكم إرسالها لى ، وسأتناولها بأقصى حد من الكتمان ، وإن كنت أنصح باتخاذ بادرة إيجابية ملموسة ، وأتمنى أن توفق فى تقديم حجج مقنعة إلى البيت الأبيض وأن تبذل جهدك إلى أقصى حد .

المخلص

دافيد نيس »

والغريب أنه فى نفس هذا الوقت كتب « ليندون جونسون » بنفسه خطابين متعاقبين للرئيس « جمال عبد الناصر » . ففى يوم ٢٣ أغسطس كتب « ليندون جونسون » إلى « جمال عبد الناصر » خطابا يقول فيه :

« البيت الأبيض - واشنطن ٢٣ أغسطس ١٩٦٦

عزيزى السيد الرئيس

لقد أسعدنى أن أعلم بطريقة خاصة أن ابنتك وزوجها يرتبان لزيارة شهر عسل فى بلادنا قريبا . وإنى لآمل أن تكون زيارتهما سعيدة وذكرياتها لا تنسى . وكما تعلم فان مسز جونسون وأنا كان لدينا عرائس جدد فى عائلتنا أخيرا ، وإنى لأدعو الله أن يبارك هؤلاء الأزواج الشبان وأن يتقبل شكرنا لهذه التجربة الإنسانية التى تربط بيننا جميعا .

المخلص

« ليندون جونسون »

وكانت « منى » ابنة الرئيس « جمال عبد الناصر » التى تزوجت من « أشرف مروان قد ذهبت مع زوجها إلى الولايات المتحدة فى دورة تدريبية تتصل بعمله آنئذ ، وعندما وصلت إلى هناك دعتها « ليدى بيرد جونسون » ، زوجة الرئيس الأمريكى ، مع زوجها للغداء فى البيت الأبيض . وطافت معها لمدة ساعتين كاملتين تريها معالم مقر رئيس الولايات

المتحدة . وأثناء هذه الجولة وصلت زوجة الرئيس الأمريكي وابنة الرئيس المصرى إلى باب المطبخ ، وقالت زوجة « جونسون » : « لقد كان هذا المطبخ من قبل مكتبا خاصا فى الدور العلوى للرئيس كنيدى ، وحولناه إلى مطبخ عائلى بجانب جناحنا الخاص لأن زوجى لا يعمل إلاّ فى المكتب البيضاوى » . ثم وصلتا أمام حمام وإذا زوجة « جونسون » تقول لابنة الرئيس المصرى : « كانت هذه غرفة نوم الرئيس كنيدى عندما يحب أن ينام وحده ، وقد حولناها إلى حمام إضافى لأنى وليندون ننام دائما فى غرفة واحدة » . ووصلت السيدتان فى نهاية الجولة وقبل الغداء إلى المكتب البيضاوى ، وخرج « ليندون جونسون » معهما متوجها إلى قاعة الغداء . وعندما جلس الجميع إلى المائدة فوجئت ابنة الرئيس « جمال عبد الناصر » بالرئيس الأمريكي يقول لها : « **يا صغيرتى الحلوة ، قولى لأبيك إننى لا أحب أن أقتل أحدا ولا أرغب فى تجويع أحد** » .

ويوم ٢٤ أغسطس كتب « جونسون » خطابه الثانى فى يومين لـ « جمال عبد الناصر » وقد جاء فيه مايلى :

« البيت الأبيض ـ واشنطن ٢٤ أغسطس ١٩٦٦

عزيزى السيد الرئيس

لقد كان كريما منكم أن تبعثوا إلَى بصورة لكم مبروزة وموقعة بإمضائكم ، وإنى لسعيد أن أتمكن من إضافة صورتكم إلى صورة قادة عالميين موقعة منهم ، وهى مجموعة أعتز بها كثيرا

وإنى لأقدر لفتتكم الكريمة

المخلص

ليندون جونسون

وكتب « جمال عبد الناصر » ردا على خطاب « جونسون » الأول بتاريخ ٢٣ أغسطس ، قال فيه :

« لقد عادت ابنتى منى إلى القاهرة من رحلتها التى زارت فيها الولايات المتحدة الأمريكية ، والتى كان من حظها خلالها أن توجهوا لها ولزوجها الدعوة لزيارتكم فى البيت الأبيض حيث قضيا بعض الوقت معكم وفى الجو العائلى لأسرتكم . ولقد سمعت من ابنتى الكثير عن هذه التجربة ، وكان حماسها ومازال شديدا لما رأته وسمعته وأحست به خلال الساعات التى قضتها

بينكم . وعلى وجه الخصوص فهى تذكر لكم وللسيدة ليدى بيرد جونسون ما أحطتموها به من الود والحنان .

وإذ أكتب إليكم معبرا عن شكرى فإن زوجتى تشاركنى فى توجيه التحية إلى السيدة قرينتكم ، تحية أم إلى أم .»

ولم يكن من شأن أية تغطية بالمجاملات والتحيات أن تخفى حقيقة وواقع أن العلاقات المصرية الأمريكية تواجه أزمة تزداد تعقيدا يوما بعد يوم .

الفصل الثانى

الطوق الإقليمى

فى أواخر شهر يونيو ١٩٦٦ تلقت القاهرة معلومات مثيرة للقلق من طهران مؤداها أن « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل قام بزيارة سرية إلى العاصمة الإيرانية ، وقضى فيها عدة ساعات اجتمع أثناءها مع شاه إيران « محمد رضا بهلوى » وأن الموضوع الرئيسى بين الاثنين كان مشروع بناء خط أنابيب بترول جديد بسعة ٣٢ بوصة بين ميناء إيلات وشواطىء البحر الأبيض عبر إسرائيل . وكان ما يبعث على الاهتمام أن المصدر الذى نقل هذه الأخبار إلى القاهرة وصف المشروع طبقا لتصورات أصحابه من الإسرائيليين الذين عرضوه على الشاه ـ بأنه بديل لقناة السويس بالنسبة لنقل بترول إيران ، وربما غيرها من دول الشرق الأوسط ـ إلى أوروبا .

كانت القاهرة تعرف أن هناك خط أنابيت بين إيلات والبحر الأبيض أنشىء فعلا بعد معركة السويس بسعة ١٨ بوصة ، وكان هذا الخط هو الشريان الرئيسى للبترول الإيرانى . والآن كانت هناك محادثات لمضاعفة سعة هذا الخط تقريبا .

وكانت القاهرة تعرف أكثر من ذلك عن أوجه التعاون القائمة بين إيران وبين إسرائيل . ولكن ما تكشفه مجموعات الوثائق السرية المتاحة الآن يظهر ما هو أبعد بكثير

مما كانت القاهرة قد عرفته فى ذلك الوقت ، فقد كان التعاون بين إسرائيل وإيران جزاءا من استراتيجية أشمل بدأ تنفيذها من وقت طويل .

☐

تكشف مجموعة وثائق البيت الأبيض الأمريكى التى قامت بترتيبها « آن ويتمان » - السكرتيرة الخاصة للرئيس « دوايت أيزنهاور »[1] - عن بداية الخيط الأول فى استراتيجية إسرائيل الشاملة فى المنطقة ، وكانت البداية المؤكدة هى خطاب من « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل إلى الرئيس الأمريكى بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٥٨ (ويلاحظ أن هذا الخطاب يجىء بعد عشرة أيام بالضبط من ثورة العراق فى ٢٤ يوليو ١٩٥٨) .

وفى هذا الخطاب يكتب « بن جوريون » إلى « أيزنهاور » قائلا :

« **عزيزى الرئيس**[2]

فى هذه اللحظة الخطيرة أشعر بأهمية أن أبعث إليك بأفكارى عن الموقف الناشىء من الأزمة الخطيرة التى نواجهها الآن . إن الذين درسوا منا كتابات الكولونيل ناصر وسياساته واثقون أن مطامعه هى أن يسيطر على كل بلاد العالم الإسلامى والقارة الإفريقية - وبالتالى فإن الذين تابعوا ما يحدث أخيرا فى العراق لم يدهشوا له ، ولم يجدوا فيه نهاية للقصة .

إن نزول القوات البريطانية فى الأردن لن يحمى بقايا العائلة الهاشمية . ورغم أن الموقف فى لبنان أفضل من الموقف فى الأردن . فمن المشكوك فيه أن يستطيع الجيش الأمريكى (الذى نزل فى لبنان) على المدى البعيد المحافظة على استقلال لبنان بسبب أن المسلمين فى هذا البلد يؤيدون ناصر . بينما المسيحيون منقسمون على أنفسهم .

إن مستقبل السعودية يبدو أيضا فى مهب الريح ، وكذلك ولايات الخليج العربى . . . . »

---

(١) مكتبة « أيزنهاور » - مجموعة أوراق « آن ويتمان » (١٩٥٣ - ١٩٦٣) الصندوق ٣٦ الشرق الأوسط - شهر يوليو ١٩٥٨ (رقم ٤) .

(٢) النص الكامل لخطاب « بن جوريون » وصورة منه منشوران فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٥) صفحة ٩٨٠ .

ومضى « بن جوريون » فى خطابه إلى « أيزنهاور » فقال إنه فكر طويلا فيما يمكن عمله للحد من مطامع ناصر وإحباط خططه ، وتوصل مع زملائه فى حكومة إسرائيل وفى قيادة الجيش الإسرائيلى إلى أن الأمر يقتضى إقامة تعاون وثيق بين مجموعة دول الجوار المحيطة بنفوذ ناصر بحيث يمكن بناء تحالف إقليمى يحتوى هذا الخطر ويساعد فى وقت من الأوقات على تصفيته عندما تسنح ظروف ملائمة .

وتطرق « بن جوريون » إلى وصف جهود إسرائيل لإقامة هذا التحالف الإقليمى الذى تفكر فى بنائه ، فقال بالنص :

« لقد بدأنا يا سيادة الرئيس نعمل جديا فى هذا الموضوع فى الشرق الأوسط منذ سنتين ، وأجرينا اتصالات بالفعل مع بعض دول الحزام الخارجى المحيط بناصر وبالتحديد إيران والسودان[٣] واثيوبيا وتركيا . وهدفنا هو بناء سد عال حقيقى أمام الطوفان الناصرى السوفيتى . وأستطيع أن أسجل أمامك أننا راضون تماما عن الخطوات الأولى التى اتخذناها فى هذا الاتجاه فقد كانت جميعها ناجحة . لقد أقمنا علاقات ثقة مشتركة وصداقة مع حكومة إيران ومع رئيس وزراء السودان وعدد من أقرب مساعديه ، وكذلك مع امبراطور اثيوبيا . وأخيرا أقمنا اتصالات مع حكومة تركيا تجاوزت الطرق الدبلوماسية الرسمية وأصبحت علاقات حميمة عن طريق قنوات سرية . إن هدفنا من إنشاء هذا التجمع من البلدان ليس بناء تحالف رسمى وعلنى ، وإنما إقامة إطار للمساعدة المتبادلة وتنسيق الجهود فى المجالات السياسية والاقتصادية وأية مجالات أخرى تدعو إليها الحالة . ومثل هذا التجمع يستطيع أن يقف للتوسع السوفيتى الذى يجرى من خلال ناصر . وبناء من هذا النوع قد يكون قادرا على إنقاذ لبنان ، وربما فى الوقت المناسب سوريا[٤] أيضا . إن دول هذا التجمع كما ترون تضم دولة لغتها العربية وهى السودان ، ودولتين مسلمتين غير عربيتين هما إيران وتركيا ، ودولة مسيحية هى اثيوبيا - ثم دولة إسرائيل . »

وراح « بن جوريون » يعطى لـ « أيزنهاور » نصائحه عن أولويات العمل ، فقال

(٣) كان رئيس وزراء السودان فى ذلك الوقت هو السيد « عبدالله خليل » وهو رئيس حزب الأمة فى الوقت نفسه .

(٤) كانت سوريا وقتها الإقليم الشمالى للجمهورية العربية المتحدة ، وهذه الإشارة تظهر تحفز إسرائيل للعمل ضد الوحدة ، وقد كانت بالفعل مقدمة للدور الذى قامت به إسرائيل ليلة الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١

« إن ثلاثة من هذه البلدان ، وهى إيران والسودان واثيوبيا ، تحتاج بسرعة إلى تدعيم قوى ضد الانقلاب من الداخل أو من الخارج . ولتحقيق ذلك فلابد من تنظيم قوة فعالة للأمن الداخلى ، وكذلك قوة عسكرية أو بوليسية قادرة على التدخل السريع لمنع أى محاولة للانقلاب تدبر من الداخل أو من الخارج » .

ثم راح « بن جوريون » يعرض خدماته فقال :

« إننى لا أريد أن أبالغ فى قدراتنا ولكنى أعرف أسباب قصورنا المادى والإنسانى وغير ذلك ، وأهمها محدودية رقعة أراضينا وعدد سكاننا ، ومع ذلك فإننى أقول إنه فى استطاعتنا إنشاء مثل هذه القوات فى البلاد التى ذكرتها . وقد تكون لدى بعضهم حساسية من قيام دول كبرى بهذه المهمة ، ولكن نظرا لحجم إسرائيل فإن أحدا منهم لن تساوره مخافة السيطرة عليه من جانبنا . إن حكام هذه البلاد الثلاثة لديهم ثقة كاملة فينا ، ونحن نستطيع أن نؤدى الخدمة المطلوبة فى هذا الشأن . »

□

ولقد تلقى « بن جوريون » ردا من « أيزنهاور » على اقتراحه ببناء سد عال حول مصر ، ولكن الرد[٥] فيما يبدو لم يكن على مستوى مطالبه . وهكذا قررت إسرائيل أن تعمل مباشرة ، وأن تثبت للولايات المتحدة فى الوقت المناسب أنها قادرة .

وتكشف مجموعات عديدة من الوثائق[٦] أن إسرائيل بدأت تضع استراتيجية واضحة المعالم والخطوط ابتداء من سنة ١٩٥٩ ، فقد فاجأها انقلاب السودان الذى قام به الجيش السودانى[٧] وأطاح بحكومة حزب الأمة ورئيسها السيد « عبد الله خليل » رغم أنباء راجت فى البداية عن أن « عبد الله خليل » نفسه تواطأ مع قيادة الجيش لتسهيل عملية الانقلاب . وهكذا لم يبق من دول الجوار الإقليمى التى كانت إسرائيل تعتمد عليها إلاّ إيران وتركيا

---

(٥) لم تستطع مجموعة الباحثين التى كلفتها بتقصى أثر رد « أيزنهاور » على « بن جوريون » من العثور عليه سواء فى ملفات الخارجية أو فى مجموعة « آن ويتمان » .

(٦) وثائق حلف بغداد وما عثر عليه من وثائق الحلف المركزى ، وأوراق شاه إيران بعد الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩ .

(٧) قام الجيش السودانى بقيادة الفريق « ابراهيم عبود » بانقلابه على حكومة « عبدالله خليل » فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٨ .

واثيوبيا . وفى ذلك الوقت تحددت المهام الاستراتيجية فى التفكير الإسرائيلى لهذا التحالف الإقليمى كما يلى :

- ☐ **تركيا** - رادع لسوريا
- ☐ **إيران** - رادع للعراق
- ☐ **اثيوبيا** - رادع للسودان إذا ما مضى قادته العسكريون الجدد فى طريق التعاون مع مصر .

وبهذا المنطق يكون دور الرادع المخصص لمصر من نصيب إسرائيل .

وكان التركيز الأكبر فى المرحلة الأولى - وقد استمر إلى النهاية - على إيران . وكان مما يسهل ذلك أن السياسة الإيرانية كانت بمطامع الشاه مسوقة بشعور من المرارة الشديدة ضد ظهور حركة القومية العربية - يضاف إلى ذلك أن إيران بلد غنى بموارد البترول ، ثم أنه بعد ذلك خاضع لتأثير ثلاثى القوة الجديد الذى يضم مصالح البترول والسلاح والمخابرات ، والذى كانت صلاته بقصر « نيافاران » وثيقة ومباشرة .

وفى هذه الفترة من أواخر الستينات كانت المخابرات الإسرائيلية هى التى تولت بالتعاون مع الجنرال « باختيار » رئيس الأمن الإيرانى - مهمة تنظيم وتدريب « السافاك » (المخابرات الإيرانية) وتزويد هذا الجهاز بكل ما يحتاج إليه من معدات .

وكان الجنرال « يهوشافاط هاركابى » مدير المخابرات الإسرائيلية هو أول زائر كبير عبر على الجسر الذى بدأ بناؤه بين تل أبيب وطهران . وقد وصل إلى طهران مدعوا من الجنرال « كيا » رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيرانى الذى قام قبلها بزيارة ذات طابع شخصى لإسرائيل . وكان الغطاء الذى أعطى لزيارة الجنرال « هاركابى » هو أنه سوف يلقى محاضرتين فى كلية أركان الحرب الإيرانية . وقد وصل « هاركابى » إلى طهران فى أول أيام سنة ١٩٥٩ ، ورتب له موعد مع الشاه شخصيا[٨] وقد بدأ حديثه مع الشاه قائلا **« إن العلاقات بين إيران وإسرائيل تعود إلى عصر قورش الكبير »** . ثم ذكر أن **« ما تواجهه إسرائيل الآن يكاد يشبه ما واجهته إيران فى معركة « نهاوند » حين أحاطت جيوش الغزاة العرب بجيش فارس وأبادته ، وهى مأساة محفورة فى التاريخ الإيرانى » !!**

---

(٨) دراسة « صموئيل سيجيف » عن المثلث الإيرانى ، وكان موضوعه الأساسى فى هذه الدراسة هو وقائع فضيحة إيران - كونترا التى هزت حكومة الرئيس « ريجان » ، وقد تعقب فى هذه الدراسة جذور التعاون الإسرائيلى - الإيرانى منذ بداياته الأولى .

ولكن « هاركابى » لم يسترح كثيرا لمقابلته مع الشاه ، فقد أحس أن الشاه لم يقتنع بعد بفكرة التحالف الإقليمى مع إسرائيل . وكان كل ما يريده فى الوقت الحاضر هو استعمال إسرائيل فى هدفين برزا بوضوح فى حديثه ، وهما :

١ ـ مساعدته مع الحكومة الأمريكية لكى تتفهم دوره فى المنطقة أكثر ، وتبيعه ما يطلبه من السلاح .
٢ ـ مساعدته مع يهود أمريكا المسيطرين على وسائل الإعلام فى تحسين صورته أمام الرأى العام الأمريكى .

وأما فيما يتعلق بالتعاون المشترك ضد مصر ، فقد قال الشاه « **إن موقفه يختلف عن موقف إسرائيل . ففى حين أن إسرائيل سوف تكون سعيدة إذا رضى ناصر بالتفاوض المباشر ـ أو غير المباشر ـ معها ، فإنه هو ـ أى شاه إيران ـ لا يرضيه شىء أقل من القضاء على ناصر شخصيا .** » ولم يكن فى استطاعة « هاركابى » أو غيره من المسؤولين الذين التقوا بالشاه فى هذه الفترة أن يصارحوه بأن هدف إسرائيل النهائى هو نفس هذا الهدف الذى يطالب به هو من أول لحظة .

□

وفى قاعة محكمة الثورة التى عقدت فى طهران بعد سقوط حكم الشاه وتولت محاكمة عدد من جنرالاته ، أدلى ثلاثة منهم وهم : الجنرال « مينوشير وجدى » والجنرال « رضا بارافارش » ، والجنرال « حسين ربيعى » ـ بمعلومات مؤكدة أظهرت صورة لم تكن فى تصور أحد عن المدى الذى بلغه التعاون بين الشاه وإسرائيل . **فقد ظهر أن كل رؤساء وزارات إسرائيل من « بن جوريون » إلى « ليفى أشكول » إلى « جولدا مائير » إلى « اسحق رابين » إلى « مناحم بيجين » ـ قاموا جميعا بزيارات لإيران . كما ظهر أن جميع قادة الجيش الإسرائيلى فعلوا نفس الشىء . وقال الجنرال « ربيعى » إن « إسرائيل قامت بتدريب ٤٠٠ طيار إيرانى فى إسرائيل » .**

كذلك ظهر أن السلاح الجوى الإسرائيلى وشركات الطيران المتصلة به والتى أنشىء بعضها كواجهة ظاهرة للنشاط الخفى لهذا السلاح ـ حصل على عقود صيانة شملت كل السلاح الجوى الإيرانى .

والغريب أن جانبا من هذا النشاط انكشف بمحض المصادفات أمام مصر ، ولم يتابع ـ من سوء الحظ ـ إلى نهايته لإظهار الحقيقة كاملة . ففى شهر أغسطس ١٩٦٦ **اتصل وزير**

خارجية قبرص بالسفير المصرى فى نيقوسيا وأبلغه أن طائرتين إيرانيتين دخلتا إلى المجال الجوى القبرصى وقد أمرهما برج المراقبة بالنزول فى أحد المطارات القبرصية . وتسبب ذلك فى مشكلة لأن برج المراقبة فى القاعدة العسكرية البريطانية فى مطار « اسكوبى » طلب إلى الطائرتين الإيرانيتين أن تنزلا فى قاعدته على خلاف ما طلب برج المراقبة المدنى القبرصى . وهكذا حدثت مشكلة بسبب الخلاف أدت إلى كشف الحقيقة ، وهى أن الطائرتين الإيرانيتين قادمتان من تركيا ذاهبتان إلى إسرائيل . وكانت إحداهما بقياد الطيار « محمد السبحات » ، وكان قائد الثانية هو الطيار « محمد حسين هارمنه » .

ويروى الجنرال « مائير آميت » ـ رئيس المخابرات الإسرائيلية ـ أنه ذهب يوما إلى إيران مكلفا بأن يطلب من رئيس وزرائها أن تظهر العلاقات الإيرانية ـ الإسرائيلية على مستواها المناسب والحقيقى وفى ضوء النهار ، بدلا من أن تجرى فى الخفاء على نحو يجعل إسرائيل تحس بأن إيران تمارس علاقتها بها بأسلوب « **الخطيئة** » . ورد عليه رئيس وزراء إيران قائلا له باللغة الفرنسية : « **وما الذى يضايقكم فى هذا يا سيدى الجنرال ؟ أليس صحيحا أن العشق ألذ من الزواج ؟** »

كانت الزيارة التى لفتت نظر القاهرة إلى المجرى الذى تسير فيه العلاقات الإسرائيلية الإيرانية ، والتى قام بها « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل فى شهر يونيو ١٩٦٦ ـ أخطر مما وقع فى الظن فى ذلك الوقت . فالزيارة لم تدم ساعات ، كما جاء فى التقارير التى وصلت للقاهرة ، وإنما استمرت ثلاثة أيام كاملة . ولم يكن موضوع البحث فيها بين رئيس وزراء إسرائيل وبين الشاه هو مجرد عرض مشروع خط الأنابيب الكبير بين إيلات والبحر الأبيض ، **وإنما كانت القضية المركزية فى الزيارة قضية استراتيجية** . وقد قال « أشكول »[٩] **فى لقائه مع الشاه إن هناك مبدأ أوليا يريد إقراره بالنسبة للبلدين ، وهو يتلخص فى سؤال واحد هو « هل أن ناصر عدو أم لا ؟» وقد أوضح أنه « إذا أجبنا على هذا السؤال بطريقة محددة ، فإنه بقية التفاصيل تصبح سهلة وتتحول إلى رؤوس موضوعات ظاهرة تشكل جدول أعمال للمحادثات بين الطرفين » . وكان رد الشاه على هذا السؤال المحدد ـ وقد مهد له بأنه يتحدث باسم حكومته وشعبه ـ هو قوله « نعم ، إن ناصر عدو » . وكان سؤال « أشكول » الثانى هو « هل نقف ساكتين أمام عدو أم**

---

(٩) دراسة « صموئيل سيجيف » .

نتحرك للقضاء عليه ؟ وهل يتصرف كل منا بمفرده مع اتفاق أهدافنا.، أم أن الضرورات تحتم علينا أن نتعاون معا ؟» وكان رد الشاه على هذين السؤالين بالإيجاب .

وتواصلت اللقاءات على مدى ثلاثة أيام ، ولا توجد وثائق كافية لمعرفة تفاصيل ما انتهت إليه ، وإن كانت الوثيقة التى يمكن الاعتماد عليها هى حقيقة أن إسرائيل مع بداية سنة ١٩٦٧ كان لديها مخزون من البترول الإيرانى يكفى جميع احتياجاتها لمدة ثلاثة شهور تحت ضغوط حالة الطوارىء .

☐

كانت إسرائيل تتحرك فى نفس الوقت تجاه تركيا . وقد استطاع السفير الإسرائيلى فى أنقره وهو « إلياهو ساسون »[١٠] ، أن يقيم اتصالا مباشرا مع « فطين زورلو » وزير خارجية تركيا فى أواخر الخمسينات . كما استطاع ترتيب اجتماعات بين رئيس وزراء إسرائيل ورئيس وزراء تركيا السيد « عدنان مندريس » . كذلك قام الجنرال « حاييم لاسكوف » رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى بزيارة لتركيا . ولكن الطريق إلى تركيا لم تكن مفتوحة أمام إسرائيل بسبب التطورات المتلاحقة التى طرأت على الأوضاع فى تركيا مع بداية الستينات . فقد قام الجيش التركى بانقلاب عسكرى أزاح فيه حكومة « مندريس » الذى انتهى مصيره إلى المحاكمة والحكم عليه بالإعدام .

☐

وأما فى اتجاه اثيوبيا فقد بدأت محاولات توجهت مباشرة نحو الامبراطور « هيلاسلاسى » . وحققت هذه المحاولات بعض النجاح فى دوائر البلاط فى أديس أبابا ، ولكن الامبراطور - رغم تعاطفه مع إسرائيل - لم يعد متحمسا للمحاولات الإسرائيلية بعد إقامة منظمة الوحدة الإفريقية ودور مصر النشيط فيها ، واقتراح « جمال عبد الناصر » بأن تكون أديس أبابا هى العاصمة الدائمة لمنظمة الوحدة الإفريقية . وكان هذا مرضيا للامبراطور إلى أقصى حد . وقد كان « جمال عبد الناصر » يتعامل مع الامبراطور « هيلاسلاسى » بتفهم عميق لمصالح مصر فى اثيوبيا التى تتمثل بالدرجة الأولى فى واقع ان الهضبة الاثيوبية هى مصدر فيضان النيل ، كما أن هناك رابطة عضوية قوية بين الكنيسة الاثيوبية والكنيسة القبطية المصرية ، وهى تعتبر الكنيسة الأم بالنسبة للكنيسة الأثيوبية .

---

(١٠) والد السفير الإسرائيلى السابق فى القاهرة « موشى ساسون » .

ولم يجد الامبراطور أى مبرر يدعوه إلى تعاون وثيق مع إسرائيل ، بل إنه بدا له أن مثل هذا التعاون قد يجىء بمخاطر تزيد عن فوائده .

ولبعض الوقت حاولت إسرائيل أن تركز على الجيش الاثيوبى ، ولكنها اكتشفت بعد قليل أن « جمال عبد الناصر » يملك شعبية لا شك فيها بين الضباط الشبان فى الجيش الاثيوبى ، وقد راح معظمهم يعتبرونه مثلا إفريقيا أعلى . وقد أحس الامبراطور بهذه المشاعر لدى ضباط جيشه ، ورأى أن استغلال صداقته لـ « جمال عبد الناصر » قد يكون أدعى إلى تدعيم هيبته بين ضباط جيشه الشبان .

□

ومع نهاية سنة ١٩٦٦ كانت عملية بناء التحالف الإقليمى التى سعت إليها إسرائيل قد نجحت فى إيران ومع الشاه ـ ونجحت إلى حد ما ولفترة ما فى تركيا ـ ولم تستطع أن تحقق شيئا كثيرا يذكر فى اثيوبيا ومع الامبراطور .

كانت إسرائيل تسعى وتشدد مساعيها فى الإطار الإقليمى ، ومع ذلك فقد كانت على قناعة كاملة بأن عليها أن تكون « عمليا » قادرة وحدها فى المنطقة ، وأما خارج المنطقة فإن الولايات المتحدة هى الحامى والسند !

كان عام ١٩٦٤ هو عام اتفاق النوايا بين « جونسون » المنشغل فى حرب فيتنام ، وبين إسرائيل التى كان عليها أن تضبط الأمور فى الشرق الأوسط أثناء انشغاله ، ونيابة عنه ، وبالأصالة عن نفسها .

وكان عام ١٩٦٥ هو عام البحث والدرس والتنسيق ، وبحث الاحتياجات والطلبات وتهيئة المسرح للفرص السانحة وتطوراتها المحتملة .

وجاء عام ١٩٦٦ ليصبح عام تلبية الطلبات والاحتياجات بحيث تكون موجودة حيث يجب أن توجد عندما تسنح الفرص .

والوثائق السرية لمجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض الأمريكى هى أصرح وأصدق المصادر التى تكشف عن هذا التصاعد فى ترتيب مسرح الشرق الأوسط .

ويكشف البند الأول من تقرير لمجلس الأمن القومى بتاريخ ١٩ مايو ١٩٦٦ عن صورة الحقيقة بكل أبعادها ومخاطرها حين يقول بالنص : « **إن معونة الولايات المتحدة لإسرائيل فى السنة المالية ١٩٦٦ ستبلغ ١١٠٠ مليون دولار ، وكانت فى العام السابق - ١٩٦٥ - ٩٢ مليون دولار ، منها ٥٢ مليون دولار مساعدات اقتصادية و٤٠ مليون دولار مبيعات أسلحة .** »

ومعنى ما يقول به هذا البند ببساطة أن المساعدات الأمريكية لإسرائيل قفزت عام ١٩٦٦ لتصبح عشرة أمثال ما كانت عليه سنة ١٩٦٥ . زيادة عشرة أمثال ما بين عام إلى عام يليه .

ويشير نفس التقرير فى البند الثالث منه إلى أن مساعدات السلاح عام ١٩٦٥ شملت ٢١٠ دبابات ، منها ١١٠ من طراز « م - ٨٤ » ، و ١٠٠ من طراز « م - ٤٣ » ، بلغت تكاليفها ٣٤ مليون دولار . وأما باقى المساعدات العسكرية لسنة ١٩٦٥ التى كان إجمالها ٤٠ مليون دولار - وهو مبلغ ٦ ملايين دولار - فقد كان يمثل ثمن ٤٠ دبابة من طراز « م - ٤٣ » معدلة .

وفيما يتعلق بمساعدات سنة ١٩٦٦ التى زادت عشر مرات ، فإن تقرير مجلس الأمن القومى لا يدخل فى تفاصيلها ، كما أن مجموعات الوثائق الخاصة بها جميعا ليست متاحة ولا حتى بقانون حرية المعلومات . فقد اعتبرت بقرار من الرئيس الأمريكى « جونسون » أمرا حساسا يتعلق بالأمن القومى الأمريكى فى المستقبل ، وبالتالى لا ترفع السرية عنها حتى بأحكام المحاكم .

وكانت الدول العربية جميعا قد تلقت معلومات من مصادرها المختلفة عن « صفقات سلاح كبيرة » توصلت إليها إسرائيل مع الولايات المتحدة . ومع ذلك فإن أى واحدة من هذه الدول لم تستطع أن تصل إلى تفاصيل الحقيقة ، ولا حتى إلى حجمها .

وفى بداية سنة ١٩٦٦ كتبت وزارات خارجية سوريا والعراق وغيرها من الدول العربية خطابات سرية إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية تطلب إليه عرض هذا الأمر على مجلس الجامعة العربية ، وتطلب مواجهته بالحزم الذى يقتضيه الموقف . وعلى سبيل المثال فقد جاء فى مذكرة الحكومة السورية إلى الأمين العام للجامعة العربية[١١] ما نصه :

---

(١١) ملفات وزارة الخارجية السورية - الوثيقة رقم « س - ٦٦١٠٩ » .

« إن حكومة الجمهورية العربية السورية ترى من الواجب القومى أن تعلن الدول العربية استنكارها الشديد للموقف الأمريكى العدائى ، وأن تستعمل جميع الوسائل التى فى حوزتها لوضع حد لهذا التهديد الخطير الذى يعرض سلامة البلاد العربية وأمنها وحياة شعوبها لأفدح الأخطار ، كما ترى أن تلفت الدول العربية أنظار العالم إلى أن تزويد إسرائيل بهذه الأسلحة إنما يضع فى أيدى المعتدين الإسرائيليين أنواعا من أحدث الأسلحة وأكثرها فتكا لم تزود بها حتى بعض جيوش أوروبا الداخلة فى نطاق الحلف الأطلسى ، مما يحمل على الاعتقاد بأن إسرائيل تمهد لعدوان جديد كما حصل فى عام ١٩٥٦ » .

وكتبت الحكومة العراقية تقول :

« إن حكومة الجمهورية العراقية تعتبر قيام الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بطائرات مقاتلة ، واستمرار مدها بالأسلحة الثقيلة ، بالإضافة إلى المساعدات الاقتصادية الهائلة ، سيخلق وضعا خطيرا جدا فى المنطقة » .

وتجمعت معلومات كثيرة لدى القيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية وكتب[١٢] الفريق « على على عامر » القائد العام لهذه القيادة خطابا سريا إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، نصه :

« سرى جدا

السيد الأمين العام

تحية عربية طيبة وبعد ،

لما كان من المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بإمداد إسرائيل بأسلحة هجومية .

ولما كان تكرار مثل هذه الصفقات سيؤدى إلى اختلال ميزان القوى فى المنطقة ويضع الدول العربية فى موقف حرج عسكريا ، فإنى أرى أن الموقف يتطلب دعوة مجلس الدفاع المشترك إلى الانعقاد فى أقرب وقت ممكن لعرض

---

(١٢) مجموعة وثائق جامعة الدول العربية ـ الوثيقة رقم ٥٣٧ (أ) ٥٧٥/٦٦ بتاريخ ٤ يونيو ١٩٦٦ .

الموضوع عليه ، وليصدر ما يراه من توصيات فى هذا الشأن .
مع وافر التحية .

فريق أول
على على عامر
قائد عام القيادة العربية الموحدة
لجيوش الدول العربية »

☐

ولم تكن إسرائيل نفسها قد أبقت فى الأمر سرا يترك لأحد مجالا للشك ، فقد راح « ليفى أشكول » رئيس الوزراء الإسرائيلى يتحدث صراحة عن صفقات السلاح الأمريكية لإسرائيل وبطريقةٍ لافتة للنظر . ففى يوم ٦ ابريل ١٩٦٦ أدلى « أشكول » بحديث صحفى لجريدة « دافار »[١٣] ورد فيه بالنص قوله : « **يجب أن يفهم الجميع أن الوقت الذى كان فيه رئيس وزراء إسرائيل يضطر إلى دخول البيت الأبيض من الباب الخلفى قد انقضى ، فإن الباب الأمامى للبيت الأبيض أصبح الآن مفتوحا على مصراعيه لإسرائيل** » . ثم أضاف قوله بالنص : **إن إسرائيل فى سعيها للمحافظة على توازن السلاح تحصل الآن على كمية من الأسلحة الأمريكية أكبر من أى كميات كانت تحصل عليها فى أى وقت مضى** » .

وراحت مراكز دولية تتابع مشتريات السلاح فى العالم ، كما راحت دوائر صحفية - تحاول جميعا تقصى ما تستطيع الوصول إليه عن صفقات السلاح الأمريكى لإسرائيل . وكان قصارى ما توصل إليه الكل هو العثور على أرقام تقريبية لبندين اثنين :

١ - إن الجزء البارز من الصفقة الجديدة يقع فى مجال الطيران حيث حصلت إسرائيل على ما بين ٨٠ - ١٠٠ طائرة أمريكية من طرز حديثة قاذفة ومقاتلة .

٢ - إن حجم الذخائر فى الصفقة الجديدة لافت للنظر ، فالذخائر فى الصفقة الجديدة وحدها يزيد ثمنها عن ٢٠٢ مليون دولار .

وإزاء هذا السيل من المعلومات المتواترة فى عواصم العالم المختلفة أحست الحكومة

---

(١٣) عدد جريدة « دافار » الصادر يوم ٦ ابريل ، وبرقية وكالة الـ « يونايتد برس » الصادرة عن القدس المحتلة فى نفس اليوم .

الأمريكية ـ فيما يبدو ـ أنها مطالبة بتقديم إيضاحات لعدد من الدول العربية ، وبينها حكومة الكويت فقد قام السفير الأمريكى فى الكويت بتسليم وزارة الخارجية الكويتية مذكرة (١٤) مائعة جاء فيها بالنص :

« لقد ترددت فى الفترة الأخيرة روايات صحفية عن مبيعات معدات عسكرية أمريكية إلى عدد من بلدان الشرق الأدنى . إن السياسة الأمريكية فى المنطقة كانت تحاول باستمرار أن تمتنع عن دور مورد السلاح الرئيسى لهذه المنطقة ، فى الوقت الذى كانت تساعد فيه عددا من بلدان هذه المنطقة على الحصول على احتياجاتها بين وقت وآخر بواسطة صفقات مختارة . وكانت هذه الاستثناءات للسياسة الأمريكية العامة تجرى على أساس دراسة كل حالة على حدة ، بحيث لا تصبح هذه المبيعات عنصرا يؤدى إلى عدم الاستقرار . وقد بذلت الولايات المتحدة على مر السنين جهودا مختلفة لتشجيع سياسة الحد من سباق السلاح فى المنطقة . وحتى تتحقق فوائد هذه السياسة فإن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدى أمام الآثار المحتملة لعدم الاستقرار الذى تؤدى إليه مبيعات السلاح السوفيتية إلى المنطقة . وعلى مدى سنوات ، ولمواجهة التجديدات الضرورية فى احتياجات السلاح فإن الحكومة الأمريكية باعت إلى حكومة إسرائيل كميات من المعدات لكى تستطيع مواجهة ضرورات دفاعها وأمنها الداخلى . وقد دخلت ضمن هذه المعدات صفقة من دبابات « باتون » . ولا ينبغى أن ينسى أحد أننا والحكومة البريطانية قد وافقنا أخيرا على إمداد المملكة العربية السعودية بصواريخ « هوك » . كذلك فقد قمنا من قبل ببيع نظام دفاعى من صواريخ « هوك » إلى إسرائيل ، وكان ذلك لأغراض الدفاع . كذلك فإن حكومة الولايات المتحدة قدمت برنامج أسلحة محدود إلى الأردن ، كما قدمت إليه كميات من المعدات الأخرى تتضمن بعض الدبابات من طراز « باتون » .

إن سياسة الولايات المتحدة تقتضى باستمرار الامتناع عن إعطاء أية تفاصيل عن نظم الأسلحة التى تقدمها إلى بلدان أخرى ، وعلى هذا الأساس

---

(١٤) نص المذكرة الأمريكية لحكومة الكويت محفوظ فى أرشيف وزارة الخارجية المصرية ، فقد قامت وزارة الخارجية الكويتية بتسليم نسخة منها للعلم بواسطة مبعوث خاص حضر إلى القاهرة وسلمها لوزير المصرى .

فإن حكومة الولايات المتحدة ليست فى وضع يسمح لها بأن تدخل فى أية تفصيلات عن المساعدات العسكرية التى تقدمها للدول الأخرى . وكل ما تستطيع أن تؤكده هو أن بيع هذه المعدات لهذه الدول يجرى وفق السياسة المقررة للولايات المتحدة الأمريكية . »

□

وكانت القاهرة تتابع هذا كله باهتمام مشوب بكثير جدا من الحذر وربما القلق . وعلى نحو ما فقد كان هناك إحساس بأن الأمور بين واشنطن والقاهرة تجاوزت الحدود التى كانت فيها الوسائل الدبلوماسية التقليدية تكفى . وكانت هناك إشارات وتلميحات من واشنطن بأن وزير الخارجية الأمريكى « دين راسك » قد يقوم بنفسه بزيارة للمنطقة يحاول خلالها امتصاص الغضب الجارف فى العالم العربى من تأثير هذه الصفقات الهائلة للسلاح مع إسرائيل . وكان من رأى عدد من المسؤولين فى القاهرة أنه قد يكون من الأفضل انتظار الزيارة المحتملة لـ « دين راسك » لطرح هذا الموضوع جديا مع واشنطن وعلى المستوى الذى يتفق مع خطورته .

وتسجل وثائق وزارة الخارجية الأمريكية أنه فى يوم ١٤ ابريل ١٩٦٦ بعثت وزارة الخارجية الأمريكية إلى سفيرها فى القاهرة « لوشيوس باتل » برقية شفرية[١٥] كان نصها كما يلى :

إلى السفير فى القاهرة
للتصرف فورا

إن وزير الخارجية لا يبدو قادرا على القيام بزيارة القاهرة كما كان متصورا . ولهذا فنحن نطلب أن تنتهز أول فرصة مناسبة فى أقرب وقت لتتأكد من أن ناصر قد أخطر عن طريقنا بمبيعات الطائرات لإسرائيل . ونحن نترك لحسن تصرفك خير الوسائل لإبلاغه بذلك سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . وفى حالة ما إذا قررت اتخاذ الطريق المباشر فنحن نرى أن تبدأ بإخطار سامى شرف ثم حسن صبرى الخولى ثم وزير الخارجية رياض . ونحن نعتقد أنك يجب أن تؤجل إثارة الموضوع مع هيكل[١٦] . وطبقا

(١٥) البرقية رقم ٢٥٩٠ ـ مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية لسنة ١٩٦٦ .

(١٦) سألت السفير « لوشيوس باتل » بعد سنوات طويلة وبعد أن أمكن الحصول على هذه البرقية عن السر وراء هذه العبارة ، وكان جوابه « أنه يظن أنه كانت هناك خشية فى واشنطن بأن معرفتى المبكرة لهذا الأمر قد تدفعنى إلى المبادرة بإعداد حملة فى الأهرام عليه دون انتظار للفترة من الوقت تستوعب فيها الجهات الرسمية موقفها من المعلومات الأمريكية » .

لاقتراحنا السابق إرساله إليك فى برقية الوزارة رقم ٥٦٩١ ـ عليك أن تنصحهم بأن يأخذوا الموضوع بدون إثارة ، وعليك أن توضح لهم بتأكيد أن هذه المبيعات تمثل سلسلة تمت وانتهت فى هذه المرحلة . إضافة إلى هذا فنحن نرى أنك إذا سئلت فى التفاصيل فإنك مخول أن تبين لهم أن عدد الطائرات التى تضمنتها الصفقة لإسرائيل لا يزيد عن ٥٠ طائرة . »

وقام السفير « باتل » بالفعل بإبلاغ عدد من المسؤولين المصريين بما كلف بإبلاغه إليهم وفقا للترتيب الذى ورد فى برقية الوزارة إليه .

□

ودعى السفير « لوشيوس باتل » إلى مقابلة مع الرئيس « جمال عبد الناصر » الذى استقبله يوم ٢ مايو ١٩٦٦ لكى يبلغه رسالة إلى الرئيس « جونسون » . وكانت الرسالة تشتمل على عدة نقاط أبرزها ما يلى : (١٧) .

« ١ ـ إن الجمهورية العربية المتحدة مندهشة من هذه المعلومات التى أبلغت لها متأخرة جدا عن موعدها ، فإن أنباء الصفقة الأمريكية لإسرائيل تتردد فى الدوائر الدبلوماسية وفى الصحافة العالمية منذ عدة شهور . ولم يبلغ أى طرف مصرى مسؤول بها إلاّ بعد أن أصبحت أخبارها مشاعا يعرفه كل العالم .

٢ ـ ومن الواضح أن الهدف من ذلك الإبلاغ هو محاولة احتواء رد الفعل العربى ، وأن ذلك كان قصدا ظاهرا مما قاله السفير باتل للمسؤولين المصريين الذين قام بإبلاغهم عن الصفقة عن « النصيحة بعدم التهويل فى المسألة » ، وضرورة حصر نطاق رد الفعل فيها فى أضيق الحدود حتى لا يؤثر على مستقبل العلاقات الأمريكية ـ العربية .

٣ ـ إن مستقبل العلاقات العربية ـ الأمريكية بهذه الصفقة قد أصبح فى الواقع معبأ بالديناميت ، وليس فى طاقة أحد على أى مستوى أن يحتوى المضاعفات التى يمكن أن تترتب على تسليح إسرائيل بهذه الطريقة الفادحة فى حجمها وفى أخطارها فى نفس الوقت ، فالعرب قد يسكتون مضطرين عن أية معونات تقدم لإسرائيل ، ولكنهم عندما تكون المساعدات أسلحة وبهذا الحجم فإن المسألة تتحول إلى حياة أو موت بالنسبة للأمة العربية .

---

(١٧) مذكرة عن المقابلة أملاها الرئيس « جمال عبد الناصر » على السيد « سامى شرف » وأرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية والقيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة والسفارة المصرية فى واشنطن .

٤ ـ إن السفير أبلغ بعض المسؤولين المصريين أن الطائرات الأمريكية ضمن الصفقة الجديدة أقل من ٥٠ طائرة . وقد عرفت مصر بوسائلها أن هذا الرقم يحتوى على خدعة محزنة ، فقد تأكد لها أن هذا العدد الذى لا يقل عن ٥٠ طائرة هو نوع واحد من الطائرات وهو الطائرات من طراز « سكاى هوك » ، وأن هذه الطائرات ضمن الصفقة عددها بالضبط ٤٨ طائرة وهى من طراز « سكاى هوك ٤ أ » وهذه هى أحدث الطائرات الهجومية فى الترسانة الأمريكية ، وأن تحصل عليها إسرائيل قبل حلف الأطلنطى نفسه ـ فهذا أمر لا تستطيع القاهرة أن تتقبله ببساطة .

٥ ـ إنه من الواضح أن الرئيس الأمريكى دخل فى هذه الصفقة معتمدا على أن القاهرة سوف تحاول السيطرة على ردود فعلها انتظارا لقبول طلباتها من مبيعات القمح . وهو يريد من السفير الأمريكى أن يتفضل بإبلاغ الرئيس الأمريكى أن مصر لم تعد تريد قمحا أمريكيا . فإذا كانت طلباتها من القمح سوف تستغل لتمرير صفقات سلاح بهذا الحجم ، فإن مصر لم تعد تريد هذا القمح . وهى تقدم شكرها وعرفانها على ما تلقته من قبل من مبيعات وفقا للقانون ٤٨٠ ، ولكنها الآن ليست على استعداد لأن تشتريه بدم أبنائها . »

وأحس « باتل » ـ طبقا لما ذكر بعد المقابلة ـ أنه لم ير « جمال عبد الناصر » متجهما كما رآه هذه المرة . وروى أنه فى نهاية المقابلة قال للرئيس : « **إننى عندما قبلت منصب السفير فى القاهرة جئت وكلى أمل فى أن أبدأ صفحة جديدة فى العلاقات بين واشنطن والقاهرة . والآن فإنى أرى كل آمالى فى القاهرة قد تحطمت وتحولت أمام عيناى إلى ركام .** »

وحدث بعدها بالفعل أن « لوشيوس باتل » كتب رسالة شخصية إلى وزير الخارجية الأمريكية « دين راسك » يقترح عليه فيها أن يفكر جديا فى نقله من القاهرة إلى أى منصب آخر ، فهو يشعر أن فائدته فى القاهرة قد فقدت كل ما كان باقيا فيها من أثر !

كان الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » يتصرف فى موضوع صفقات السلاح لإسرائيل وغيره بدون أى دواع للحذر . فقد كان العالم العربى أمامه مفتوحا لكل محاولات التأثير والضغط والاختراق . كما أن عناصر عديدة فى العالم العربى كانت على استعداد لأن تعترف معه بأن العدو فى الشرق الأوسط هو الجمهورية العربية المتحدة وليس إسرائيل .

وبعد إعلان صفقات السلاح مباشرة كان الملك « فيصل » فى طريقه للقيام بزيارة رسمية للولايات المتحدة . وقبل أن يصل الملك بأيام أذاعت وزارة الخارجية نص تعهد سرى كان الرئيس الأمريكى الراحل « جون كنيدى » قد قدمه للأمير « فيصل » مكتوبا بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٦٢ . والغريب أن هذا التعهد قدم للأمير « فيصل » وهو ولى للعهد ، ولم يقدم لـ « سعود » وهو الملك وقتها . وكان نص هذا التعهد كما أذاعته وزارة الخارجية الأمريكية : « **أود أن يصبح مفهوما بوضوح أن بإمكان المملكة العربية السعودية أن تعتمد على صداقة الولايات المتحدة وتعاونها فى كل ما يمس سلامتها وأمنها** » . وأضافت وزارة الخارجية الأمريكية إلى هذا التعهد بيانا رسميا قالت فيه : « **إن كل حكومة أمريكية منذ عهد الرئيس ترومان قدمت مثل هذا التعهد للمملكة العربية السعودية** » .

وكان موعد وصول الملك إلى الولايات المتحدة الأمريكية هو يوم ٢١ يونيو ١٩٦٦ . وكان الترتيب لهذه الزيارة قد اختلف عما كان فى أية زيارة سبقتها ، وكان هذا الاختلاف يعكس التغيير الذى طرأ على نخبة القوة فى الشرق الأوسط . ففيما سبق كان الذى يمهد لزيارات « فيصل » للولايات المتحدة هو « عبد الرحمن عزام » (باشا) أو رجال من طرازه ، وفى يونيو من سنة ١٩٦٦ فإن مجموعة المقدمة التى سبقت لكى تمهد لزيارة الملك كانت نوعا آخر من الناس . كان رئيس المجموعة هذه المرة هو السيد « عدنان خاشقجى » ، وكانت مجموعته مكونة من عدد من تجار السلاح المشتركين معه فى عمولات الصفقات الكبيرة التى كانت المملكة قد فتحت لها الأبواب على مصراعيها . وكان هذا هو الوقت الذى بلغت فيه العمولة التى دفعتها شركة « لوكهيد » حدود مائة مليون دولار . كذلك كان مع « عدنان خاشقجى » عدد من رجال المخابرات الذين التقطتهم المخابرات السعودية من عدد من الأجهزة المماثلة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وعدد من الدول الأوروبية .

وقد انضمت إلى هؤلاء فى واشنطن مجموعة من ممثلى شركات البترول المهتمة بالشرق الأوسط –وهكذا فإن الترتيب لزيارة « فيصل » هذه المرة لم يكن فى يد نخبة من السياسيين ، وإنما كان فى يد مجموعة القوة الممثلة لتحالف البترول والسلاح والمخابرات الذى راح نفوذه يتزايد بمعدلات خطيرة فى مرحلة بالغة الدقة والحساسية فى السياسة العربية . **وقد أوضحت مجموعة المقدمة مبكرا وفى اتصالاتها الأولى أن إسرائيل ليست هى المشكلة بالنسبة للمملكة وربما بالنسبة لغيرها من دول البترول ، وأن الخطر الحقيقى فى رأيهم جميعا هو حركة القومية العربية كما تمثلها القاهرة . كذلك أوضحت مجموعة المقدمة أن السعودية ماضية فى تنفيذ فكرة المؤتمر الإسلامى كبديل يمكن الالتفاف به من حول الجامعة العربية . والمدهش أن « عدنان خاشقجى » فى إطار نشاط مجموعة المقدمة طرح لأول مرة فكرة « حلف ماريشال » للشرق الأوسط يموّل من فوائض البترول وينفذ لصالح المنطقة كلها ، بما فيها إسرائيل ، بعد « تسوية الأمور أو تهدئتها فى المنطقة »**[١٨] . وتشير التقارير المتوافرة عن نشاط مجموعة المقدمة أنه كان هناك جو من النشوة يملأ الأجواء انتظارا لثروات هائلة قادمة من فوائض البترول يتضاءل بجانبها ما هو موجود حاليا منها . وقد ذكر أحد التقارير أن السيد « عدنان خاشقجى » قال أثناء أحد الاجتماعات مع الأمريكيين : « **إن هناك بلايين فى السماء تنتظر النزول على الأرض ، وماذا سنفعل بها غير أن نستعملها فى الشراء منكم** » ؟!

وفى الغالب فإن معظم المفاوضات الفعلية بين واشنطن والرياض تمت بواسطة مجموعة المقدمة . وحين وصل الملك « فيصل » فقد كان كل ما تبقى عدد من المراسم والزيارات تلقى فيها التأكيدات النهائية بالمساندة والتأييد . وربما كان أهم هذه الزيارات هى الزيارة التى قام بها للبيت الأبيض ، والتقى فيها منفردا مع الرئيس « جونسون » لمدة نصف ساعة لم يحضرها معهما إلاّ مترجم واحد قدمته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وليس وزارة الخارجية كما كانت العادة من قبل . ولقد كان الشىء الوحيد الذى أذيع بعد هذا الاجتماع المنفرد هو تصريح على لسان « روبرت ماكلوسكى » المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية قال فيه « **إن تدهور الأوضاع فى اليمن بعد تعثر اتفاق جدة وفشله قد**

---

(١٨) كان « عدنان خاشقجى » - باعترافه أثناء تحقيقات قضية « إيران - كونترا » - قد التقى ابتداء من سنة ١٩٦٤ أكثر من مرة بـ « شيمون بيريز » فى باريس وغيرها من عواصم أوروبا . وكان هذا هو الوقت الذى طرحت فيه إسرائيل فعلا مشروعا للتنمية على مستوى المنطقة كوسيلة لتحقيق السلام بترابط وتكامل المصالح بين جميع الفرقاء .

لقاء بين جونسون وفيصل فى احتفال بالسفارة السعودية فى واشنطن ، فى الزيارة التى أكد فيها جونسون للملك أن السعودية تستطيع أن تعتمد على صداقة أمريكا

جرى بحثه بين الملك والرئيس ، وأن الرئيس قدم للملك تعهد الولايات المتحدة بأن السعودية تستطيع الاعتماد على صداقة أمريكا مهما كانت تطورات الأمور فى اليمن » .

□

ولم تكن صورة العالم العربى على الطبيعة هى مجرد ما يجرى بين الولايات المتحدة والسعودية . والواقع أن الثغرات المفتوحة كانت فى كل مكان ، ففى هذه الفترة فى العراق كانت الأمور فى حالة سيولة تبعث على القلق . كان الرئيس العراقى « عبد السلام عارف » قد قتل فى حادثة سقوط طائرة هليكوبتر ، واختير للرئاسة بعده شقيقه اللواء « عبد الرحمن عارف » . ولم تكن لـ « عبد الرحمن عارف » سابقة اشتغال بالسياسة حتى حين كان شقيقه الأكبر رئيسا للعراق . هكذا فإن القصر الجمهورى فى عهده أصبح معرضا لكل القوى والعناصر الراغبة فى التأثير على القرار . **وبلغ جو الشك والغموض فى بغداد مبلغه حين طلب « عبد الرحمن عارف » أن تتولى قوة مصرية مهمه حراسة القصر الجمهورى فى بغداد . وبالفعل وصلت إلى بغداد قوة من ٣٥٠ ضابطا وجنديا كانت مهمتها بالدرجة**

الأولى حراسة « عبد الرحمن عارف » . وكانت تلك حراسة رمزية أكثر مما هى فعلية ، فمثل هذه القوة لم تكن تمثل أكثر من معنى رمزى بتأييد الجمهورية العربية المتحدة لـ « عبد الرحمن عارف » .

وكان شاه إيران متربصا يتحين الفرص . وفى تقرير سرى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتاريخ ٢١ مايو ١٩٦٦(١٩)جاء فى البند السادس منه بالنص :

« إن علاقات العراق الوثيقة بمصر زادت فى الفترة الأخيرة ، كما أن وجود مجموعة عسكرية مصرية فى العراق قد أدى إلى اقتناع الشاه بأن الحكومة العراقية هى أداة فى يد ناصر وأن شبكة القومية العربية تضيق من حول إيران » .

وفى نفس اليوم (٢١ مايو ١٩٦٦) طلب السفير السوفيتى فى القاهرة موعدا عاجلا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ، وذهب إليه لإبلاغه برسالة من رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » . وكانت رسالة « كوسيجين » تروى أن شاه إيران « محمد رضا بهلوى » اتصل على وجه الاستعجال برئيس الوزراء السوفيتى وأبلغه أن « **جمال عبد الناصر » يعد مؤامرة لقتله ، وأن هناك مجموعة شكلت لتنفيذ الاغتيال مكونة من ثلاثة رجال أسماؤهم كما يلى : « باشاكيب حسين » - « حسن برجاس » - « عادل مصطفى السرلى » . وأن هؤلاء الثلاثة المكلفين بالاغتيال موجودون الآن فى مدينة البصرة يتلقون تعليماتهم وتدريبهم النهائى قبل التسلل إلى إيران لتنفيذ الاغتيال .**

ودهش الرئيس « جمال عبد الناصر » فلم يكن فى علمه أن أى جهاز من أجهزة الجمهورية العربية المتحدة يرتب لمثل هذا العمل الخطير . وقد كتب أسماء الثلاثة بخطه(٢٠) ثم مد يده إلى سماعة تليفون الطوارىء واتصل بهيئة المخابرات ، وتأكد أنه ليس للمخابرات دخل ولا علم بأية محاولة لاغتيال شاه إيران . والتفت إلى السفير السوفيتى يقول له إنه « **كان واثقا من أن الموضوع بغير أساس ، ومع ذلك فقد أراد أن يتثبت وفى حضور السفير** » .

---

(١٩) مذكرة مخابرات رقم ٣١٠٧ عنوانها « التهديد العربى لإيران » مودعة فى مكتبة « ليندون جونسون » بتكساس . وتوجد صورة لهذه الفقرة من هذا التقرير فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٦) صفحة ٩٨٥ .

(٢٠) صورة من أصل الورقة التى كتب عليها الرئيس « جمال عبد الناصر » معلومات السفير السوفيتى بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٧)صفحة ٩٨٧ .

وأخرج السفير السوفيتى أوراقا من جيبه ومضى يقول « **إن الحكومة السوفيتية كلفته بأن ينقل بعض المعلومات إلى الرئيس جمال عبد الناصر مباشرة** » . ثم راح يقرأ من الأوراق التى أخرجها من جيبه قائلا :

« **إن مندوبا خاصا من المخابرات الإسرائيلية سلم لشاه إيران عددا من الوثائق السرية التى حصلت عليها المخابرات الإسرائيلية من العراق ، ومن ضمنها :**

١ ـ معلومات عن الأوضاع الداخلية فى العراق .

٢ ـ معلومات عن أوضاع الجيش العراقى ودرجة الاستعداد فيه وتنظيمه .

٣ ـ تقارير عن الأحوال على مناطق الحدود العراقية المتاخمة للحدود الإيرانية .

ونتيجة لهذه المعلومات فإن الشاه قرر أن يبدأ فى اتخاذ إجراءات ضد نظام الحكم فى العراق ، فقد بدأت المخابرات الإيرانية تنشط مع الأكراد ، وقد أنشأوا بالفعل معسكر تدريب جديدا ، كذلك أصدر الشاه تعليمات بأن تقوم القوات الإيرانية بمناورات عسكرية على الحدود الإيرانية فى الخريف . كما أن القيادة العامة للقوات المسلحة الإيرانية كلفت بأن تعد خطة لاحتمال القيام بضربة عسكرية ضد العراق تقوم بها القوات المحتشدة تحت ستار مناورات الخريف . »

□

وكانت هناك بؤرة أخرى للتوتر العربى ـ العربى . فقد ساءت ثم تردت العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية ، التى كان يرأسها فى ذلك الوقت السيد « أحمد الشقيرى » وبين الحكومة الأردنية . كانت الخلافات بين الطرفين قد بدأت منذ أواخر سنة ١٩٦٥ ، وفى يوم ١٨ أكتوبر ١٩٦٥ كتب الملك « حسين » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » خطابا[٢١] وجهه إليه بـ « أخى الأعز » ، ثم جاء فيه :

---

(٢١) النص الكامل لرسالة الملك « حسين » وبتوقيعه منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٨) صفحة ٩٨٨

« أظن أن سيادتكم قد سمعتم بالحملات المتجنية التى شنها ويشنها السيد أحمد الشقيرى ورهطه من وراء مذياع فلسطين فى القاهرة على الأردن قبل أن يجف الحبر الذى كتبت به مقررات مؤتمر القمة الثالث الذى كان لحنكة ودراية سيادتكم فى إدارة دفته وتوجيه جلساته أبلغ الأثر فى نجاحه العظيم وفى الكثير الغالى الذى أقره فى سبيل دعم التضامن العربى واستكمال المخطط القومى باستعادة حقنا المغتصب فى فلسطين .

والحجة التى يتذرع بها السيد الشقيرى فى مهاتراته هى أن الأردن يعيق عمل المنظمة ولا يسمح لها بحرية العمل ... حرية العمل فى مفهومه كما تكشفت بجلاء ووضوح إنما تستهدف سلخ المواطن الأردنى الفلسطينى فى غرب نهر الأردن عن أرضية المواطن الأردنى الفلسطينى فى شرقه ، وإثارة ما دفن من الحزازات المستترة والفتن النائمة وتفتيت وحدة الشعب والجيش ......»

ثم مضت الرسالة إلى نهايتها واستغرقت أربع صفحات ، ثم وقعها الملك « أخوكم الوفى حسين بن طلال » .

ورد عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » موجها الحديث إليه بوصفه « أخى العزيز » ، وجاء فى الرسالة :(٢٢)

« لقد درست ما تضمنته الرسالة بشأن ما ذكرتم جلالتكم عما تردده إذاعة فلسطين من القاهرة التى تشرف عليها وتديرها منظمة التحرير الفلسطينية . وإنى على ثقة أن جلالتكم تعلمون أن هذه الإذاعة وإن بثت برامجها من القاهرة إلاّ أنها تعتبر إذاعة مستقلة فى الواقع لا تتبع أية هيئة أو جهاز رسمى أو حكومى للجمهورية العربية المتحدة ، ولهذا فليس لنا اشراف أو توجيه بأية صورة على ما يذاع منها .

ومع ذلك وتقديرا لما جاء فى رسالتكم ، وتدعيما لما بين البلدين الشقيقين من أخوة فقد اتخذنا من جانبنا إجراء خاصا نعتقد أنه غير عادى ، وفى حدود أقصى ما يمكن أن نتخذه فى هذا الشأن وهو ألاّ يذاع شىء من

---

(٢٢) النص الكامل لرسالة الرئيس « جمال عبد الناصر » منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٩) صفحة ٩٩٢ .

إذاعة فلسطين دون أن يسجل مسبقا حرصا على حصر المسؤولية إذا ما أذيع شيء يعتبر تجنيا على أية جهة أو أى شخصية أو خروجا على روح التضامن العربى والأخوة العربية . كذلك فقد صدرت التعليمات إلى حاكم قطاع غزة للعمل على تأجيل زيارة السيد أحمد الشقيرى المرتقبة للقطاع إلى أن تسوى الأمور وتهدأ الأحوال . »

ثم مضت الرسالة فاستغرقت صفحتين كاملتين .

ولكن الأمور لم تسو ولا هدأت الأحوال ، بل على العكس من ذلك زادت توترا ليس فقط بين منظمة التحرير والأردن ، وإنما أيضا بين حكومة الأردن وحكومة الجمهورية العربية المتحدة . وكان السبب الإضافى للتوتر هو زيارة قام بها الملك « فيصل » إلى الأردن أعلن بعدها أن الأردن قرر الدخول فى عملية إنشاء الحلف الإسلامى تحت دعوة المؤتمر الإسلامى .

وفى ١٤ يوليو ١٩٦٦ كتب الملك « حسين » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » خطابا طويلا من تسع صفحات ، وقال الملك فى رسالته :

« إننى يا سيادة الأخ إذ أكتب إليك اليوم فلكونك المسؤول العربى الكبير الذى هداه الله فجعل دعوة التلاقى بمستوى القمة فى وطننا الكبير تنساب على لسانه فى يوم غير بعيد » .

ثم مضى الملك فأشار فى خطابه إلى أن هناك خلافات طرأت سببها استمرار مشكلة اليمن ، وإلى اختلاف الآراء حول الحلف الإسلامى . وعند هذه النقطة قال الملك بالنص :

« وكم آلمنى يا أخى وحز فى نفسى ما بلغنى من قولك مؤخرا ما معناه : « الشخص الذى ما استطاع دخول حلف بغداد يبشر الآن بالحلف الإسلامى » . آلمنى وحز فى نفسى أن تصدر هذه الإشارة عنك شخصيا ولا أخال بأن غيرى هو المقصود بها . فأنت يا أخى تعرف ما لا يعرفه سواك من دقائق الأمور فى تلك الحقبة من تاريخنا . تعرف ظروف بلدك هذا الأردن آنذاك . وتذكر القيود والأغلال التى كان يرزح تحت وطأتها فكانت المرحلة التى لاح لنا خلالها أن انضمامنا إلى الحلف قد يمكننا من بلوغ بعض أهدافنا . ووقع ما وقع . وأرجو مرة أخرى يا أخى أن تتأكد من أننا لو أردنا دخول الحلف يومذاك وكان هذا هو هدفنا لدخلناه ولما تمكنت قوة من ردنا عن دخوله . أفلا يحق لى يا أخى من بعد أن أعتب عليك من بعد وأن أتألم ؟......»

ثم عاد الملك مرة أخرى إلى مشكلة الخلاف بينه وبين منظمة التحرير الفلسطينية ، فقال بالنص :

« يؤسفنى أن أقول لسيادتكم الآن إن خشيتى التى أعربت عنها قد تحققت رغم كل المحاولات لتصليح الاعوجاج ، وجرينا وراء السراب لإبقاء بصيص خافت من الأمل فى إمكان التعاون مع رئيس المنظمة والمنظمة بشكلها ولبوسها الحالى حتى انطفأ ، وأصبح واضحا جدا من تصرفات الشقيرى ، وبصورة خاصة قبيل انعقاد مؤتمر غزة إلى الآن أن هدف المنظمة بعد أن سيطر عليها الحزبيون والهدامون والمخربون الذين وحدوا صفوفهم فى جبهة واحدة تحت ثوب منظمة التحرير هو شرق خط الهدنة لا غربه ، وضرب العمل العربى الجاد الهادف ، والخروج عن نطاق القيادة العربية الموحدة التى هى الأمل الأخير فى معركة التحرير إلى نزوات عاطفية متطرفة غير مسؤولة لا جدوى منها ولا نتيجة إلاّ تعريضنا جميعا لخوض المعركة قبل أن نستكمل مخططنا الذى اتفقنا عليه فى الجلسات السرية فى الدار البيضاء . »

ثم وصل الملك فى الصفحة السابعة من رسالته ليقول بالنص :

« وبناء على ذلك ، وبعد أن استفرغنا كل صبر وأناة وحسن ظن فقد أصبح واضحا لدينا بما لا يترك أى مجال لأى شك أن هدف المنظمة فى تشكيلتها الحالية هو تقويض العمل الجاد فى الأردن ، ونسف الأردن وكل ما بنيناه خلال السنين الطويلة لأمتنا ولفلسطين لا لأنفسنا ، ونسف مقررات القمة وتحطيم الثقة التى مكناها هنا لسنوات طويلة ، والتى هى الأساس الحقيقى لكل عمل جدى يستهدف حقا قضية مصير ومعركة تحرير ...... ولذا لم يعد بإمكاننا التعامل مع هذه المنظمة لما نعرفة من سوء نواياه والصغار التى تتطوق به فى حملات الدجل والتهريج . . »

ثم ختم الملك رسالته قائلا : **« إننى سأغادر وطنى لفترة قصيرة وسيكون من دواعى سعادتى أن أسير فى أجواء بلدكم العزيز فى طريقى إلى الخارج . وأرجو أن تتأكد من أنى سأسر جدا فيما لو أمكننى القيام أثناء رحلتى بأى أمر ترونه خدمة لأخى وشعبه وبلده »** .ثم وقع بخط يده : **« أخوكم الوفى .. حسين بن طلال »** .

□

وكانت الأحوال فى السودان على حافة خطرة ، فإن الحكومة المدنية التى جاءت إلى السلطة بعد سقوط الانقلاب الذى قاده الفريق « ابراهيم عبود » ، عادت سنة ١٩٦٦ لكى تعيد نفس الأجواء التى أدت إلى سقوط الحكم المدنى سنة ١٩٥٨ .

□

وحتى اليمن الذى كان يواجه حربا مسلحة على حدوده تحاول نقل معاركها إلى أعماقه - راح النظام الثورى فيه والحاكم فى صنعاء يتعرض لانقسامات داخلية قسمت جبهته الوطنية إلى ثلاث كتل : كتلة يتزعمها المشير « عبد الله السلال » ، وكتلة يتزعمها رئيس الوزراء الفريق « العمرى » ، وكتلة من الساسة المخضرمين الذين أيدوا الثورة فى أيامها الأولى وأبرزهم « القاضى النعمان » .

ووصلت التناقضات بين القوى الثلاث إلى درجة كان يمكن أن تهدد القاعدة التى يرتكز عليها الجيش المصرى فى حماية ثورة الشعب اليمنى ودولته الجديدة .

□

وكانت الأوضاع فى الجنوب العربى والخليج شديدة التعقيد ، فإن الحكومة البريطانية كانت حريصة على ترتيب الأوضاع فى هاتين المنطقتين الحيويتين - بما يلائم مصالح الغرب فيهما قبل سنة ١٩٦٨ ، وهو الموعد المقرر لإتمام تنفيذ سياسة الانسحاب شرق السويس . وكان أهم عنصر فى ترتيب الأوضاع هو التأكد من عدم اتصال أى علاقة بين المنطقتين وبين بقية العالم العربى ، وخصوصا مصر .

وتكشف الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية عن محضر اجتماع عقد فى هذه الوزارة حضره نائب الوزير السفير « دافيد بروس » مع وزير الخارجية البريطانى « مايكل ستيوارت » . وفى هذا الاجتماع ناقش الطرفان أخبارا ترددت عن أن الكويت تنوى تقديم تسهيلات مالية للجمهورية العربية المتحدة . وورد فى محضر هذا الاجتماع على لسان السفير البريطانى فى واشنطن السير « هارولد كاشيا » قوله « إنه يأمل أن لا تكون هذه الأخبار صحيحة ، وأنه إذا كانت صحيحة فإنه يأمل أن تتعاون الدولتان على فرض التمسك بالسياسات التى أقرها وزير الخارجية (الأمريكى) راسك ووزير الخارجية ستيوارت بشأن أهداف البلدين فى المنطقة حتى لا يستطيع عرب الخليج « أن يلعبوا على الجانبين » .

□

ويوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٦ أعلن فى القاهرة رسميا أن الملك « سعود » يطلب حق الإقامة فى مصر ، وأنه كتب خطابا[٢٣] إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يطلب فيه أن يسمح له بأن يقضى بقية حياته فى بلد إسلامى . وكان الملك منذ إرغامه على التنازل عن العرش قد طوف لاجئا بعدد من بلدان أوروبا ، ثم استقر به المقام منفيا فى اليونان .

واستجاب « جمال عبد الناصر » لطلبه قائلا له « إن مصر وطن لكل العرب والمسلمين » . ووصل الملك « سعود » فعلا إلى القاهرة ، وثارت ثائرة الملك « فيصل » فأسقط جوازات سفر الملك « سعود » وأبنائه الذين جاءوا معه بالإضافة إلى أفراد حاشيته . وكانت لدى « سعود » حسابات طويلة يصفيها مع الملك « فيصل » ، ومع ذلك فإن القاهرة طلبت إليه فى الأسابيع الأولى من التجائه إلى مصر أن يتصرف « بحكمة وصبر » .

وفى بداية التجائه إلى مصر حاول « سعود » أن يلتزم بهذه النصيحة ، ولكن نجاحه لم يكن كبيرا ، فقد راح يروى لكل من يقابله تفاصيل مثيرة عن خلافاته مع « فيصل » ابتداء من معركة السويس حين اعترض « فيصل » على ذهاب بعض الطائرات المصرية إلى السعودية وقت العدوان لكى تبقى فى الأمان هناك ولا تتعرض للتفوق الجوى لقوات الغزو . وكان رأى « سعود » أن « هؤلاء الإخوان الطيارين وطائراتهم ضيوف عندنا لهم واجب الإكرام » . بينما كان رأى « فيصل » أن « وجودهم فى مطارات سعودية يعرض المملكة نفسها لخطر الغارات » . وروى الملك كيف أن « فيصل » حصل منه بالضغط والإكراه مستغلا مرضه . على تفويض بصلاحيات الحكم فى غيابه عن المملكة وفى حضوره ، ثم إنه بعد أن شفى من مرضه استشار اثنين من الخبراء القانونيين . أحدهما مصرى وهو الدكتور « عبدالمنعم مصطفى » ، والثانى سعودى وهو الدكتور « ناصر الشعيبى » . حول حقه فى استعادة صلاحياته ، وأفتيا بحقه فى ذلك باعتباره ملكا ، فلما كتب خطابا إلى « فيصل » يسحب منه صلاحيات الحكم ، جاءه بعض الأمراء بالخطاب قائلين له إن « فيصل » لن ينفذ ما جاء فى هذا الخطاب وأن أسرة « عبد العزيز » تؤيده ، ولم يكن ذلك صحيحا .

ثم روى الملك كيف تضايق عندما ذهب « فيصل » إلى الولايات المتحدة بغرض

---

(٢٣) صورة من خطاب الملك « سعود » بإمضائه إلى « جمال عبد الناصر » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٠) صفحة ٩٩٤ .

العلاج ، ولكنه انتهز الفرصة هناك وحصل من « كنيدى » على عهد حماية السعودية ، وكان العهد موجها له هو وليس إلى الملك الشرعى للبلاد .

ثم وصل الملك فى رواياته المثيرة إلى ظروف خلعه ، فقال « إن واحدا لا يريد ذكر اسمه جاءه متخفيا فى الساعة الثالثة صباح أحد الأيام وقال له « خذ حذرك فهذه الليلة سيأتون إليك جميعا ويطلبون منك التنازل ، فإذا لم توافق فهو القتل » . »

وقال « سعود » إنه تأكد من هذه الرواية ، وأمر الحرس الملكى بتطويق قصر الناصرية الذى كان فيه ، وأرسل ابنه الأمير « محمد » إلى مقابلة « فيصل » ليقول له « إن أوامره للحرس هى للدفاع عن نفسه وقصره ، وهذا دفاع عن النفس » . وعرف « سعود » أن « فيصل » دعا السفير الأمريكى من جدة ، وقام السفير بطلب الطائرات الأمريكية من مطار الظهران فطارت فوق الرياض وحامت حول القصر ، « وأرسل السفير الأمريكى لنا مكاتيب بأن الحرس إذا لم يسلم فى ظرف ٢٤ ساعة تضربهم الطائرات الأمريكية . وكانت هذه حجة تذرع بها رئيس الحرس عثمان آل حميد حتى يسحب قواته ، وفعلا جاءت طائرات أمريكية مرة ثانية . وفى اليوم التالى أتانى خالة (خال « فيصل ») محمد ابراهيم قاضى القضاة وقال إنه رسول من فيصل ، وقال لى الأحسن أن تتنازل قبل أن تثور البلد ويكون ضحيتها الجميع . ورفضت التنازل . وأمروا القوات من الجيش بالهجوم على القصر . والجيش رفض . وعاد محمد ابراهيم مرة ثانية وقال إن العائلة والعلماء مجتمعون فى بيت محمد بن عبد العزيز ، وكل ما حولى مطوق بالجيش ، وإما أن أتنازل أو يخلعونى . ثم أرسلوا لى نص خطاب تنازل مع « صالح العباد » رئيس ديوان فيصل ، ورفضت توقيعه . وكانت حالتى الصحية تسوء ، وخشيت القتل ، فطلبت طائرة ألمانية وخرجت مع أسرتى . »

ثم قدم « سعود » بعد ذلك مذكرة كتبها بمعونة بعض المستشارين الذين تجمعوا حوله وجهها للرئيس « جمال عبد الناصر » قال فيها ما مؤداه إنه يستطيع أن ينهى حرب اليمن بأسرع مما يستطيع الجيش المصرى الذى يقاتل فيها وبدون أية تضحيات بالنسبة لمصر ، فهو يعرف شخصيا كل زعماء القبائل المؤثرين فى السعودية وخصوصا بمقاطعتى « جيزان » و« نجران » المتنازع عليهما بين اليمن والسعودية ، وهو على استعداد للتضحية بآخر « جنيه ذهب » يملكه ـ لضمان ولاء القبائل . وذلك فى رأيه هو العنصر الحاسم الذى ينهى الحرب ويضع « فيصل » فى موقف الدفاع عن النفس .

وأشر « جمال عبد الناصر » على هذه المذكرة بكلمة واحدة قال فيها :

« يؤجل » .وكان تقديره أنه لو وضعت خطة « سعود » موضع التنفيذ لكانت تلك هى القطيعة الكبرى .(٢٤) .

□

وكانت سوريا هى الساحة المكشوفة والمعرضة أكثر من غيرها فى قلب العالم العربى . فقد توالت فيها الانقلابات العسكرية حتى بلغ عددها بعد الانفصال خمسة عشر انقلابا صامتا أو مدويا . وكانت القوة المحركة لمعظم هذه الانقلابات مجموعة الضباط العلويين الخمسة ، وهم : « حافظ الأسد » ، و« صلاح جديد » ، و« محمد عمران » ، و« أحمد ألمير » ، و« عبد الكريم الجندى » . وقد كانوا هم الذين ديروا لإسقاط « أمين الحافظ » ليحل محله اللواء « صلاح جديد » ، ثم ليحل « محمد عمران » محل « صلاح جديد » . ثم اختير الدكتور « نور الدين الأتاسى » رئيسا للدولة ، ثم اختير الدكتور « يوسف زعين » رئيسا للوزراء والدكتور « ابراهيم ماخوس » وزيرا للخارجية . وكان الوضع كله تركيبة تدعو إلى القلق .

وظهرت فى دمشق مجموعات من المغامرين المستعدين لبيع أنفسهم وأدوارهم لمن يدفع أكثر إلى درجة فتحت المسرح السورى لمحاولات انقلابية تكاد تكون شبه هزلية قام بتمويل بعضها خليط من تحالفات عربية وأجنبية يربط بينها ثلاثى البترول والمخابرات والسلاح . وكان الانقلاب الذى قاده العقيد « سليم حاطوم » نموذجا محزنا لهذا النوع من الانقلابات . وقد لجأ قائده بعد فشله إلى الأردن ومعه فلول من قواته الهاربة !

---

(٢٤) سمح للملك « سعود » بأن يحاول تنفيذ خطته المقترحة بعد ذلك بأربعة شهور ، وبالفعل سافر لليمن وقضى فيها أسبوعا سعى أثناءه إليه عدد كبير من زعماء القبائل والمشايخ ، ووزع الملك عليهم فعلا ثلاثة أرباع مليون جنيه من الذهب .

الفصل الثالث

كلاب الصيد

يوم أول ديسمبر ١٩٦٦ كان المستر « يوجين بلاك » فى زيارة للقاهرة وعلى موعد فيها مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . كان « يوجين بلاك » قد تعرف على « جمال عبد الناصر » عندما كان رئيسا للبنك الدولى للإنشاء والتعمير . وكان هذا البنك سنة ١٩٥٥ شريكا فى العملية الغربية لتمويل مشروع السد العالى ، وسحب عرضه بالاشتراك فى هذا التمويل عندما سحبت الولايات المتحدة عرضها . وفى يوم إعلان تأميم قناة السويس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ قال « جمال عبد الناصر » أثناء الخطاب الذى أعلن فيه قرار التأميم إن « يوجين بلاك » كان يذكره بـ « فرديناد دى ليسبس » ودوره فى خدمة الاحتكارات الدولية التى استولت على قناة السويس .

ولم تكن تلك نهاية العلاقات بين الرجلين ، فقد تقابلا بعد ذلك مرات عديدة ، وتحولت وقائع المعركة القديمة إلى نوع من ذكريات مرحلة سبقت . وشارك البنك الدولى فيما بعد فى مشروعات تطهير القناة بعد العدوان ، وفى غير ذلك من المشروعات التى ساهم البنك الدولى فى تمويلها . وتعددت اللقاءات بين الاثنين ، وإلى حد ما فإن نوعا من الود نشأ بينهما

خصوصا وأن « يوجين بلاك » كان حريصا على خلق صداقات عربية ، فقد كانت خطته لمستقبله الشخصى ، بعد أن يترك البنك الدولى ، أن يعمل بالاستشارات الاقتصادية لبعض دول الخليج التى تجمعت لديها فوائض من عوائد البترول . وقد تمكن « يوجين بلاك » بالفعل من تنفيذ خطته وأصبح مستشارا لعدد من المؤسسات المالية العربية ، وعلى رأسها بعض المؤسسات الكويتية .

وفى ذلك اليوم الأول من شهر ديسمبر كان الجو فى منطقة الشرق الأوسط ملبدا بالغيوم ومعبأ بأسباب التوتر . والحقيقة أن المنطقة كانت فى حالة قلق لم يهدأ منذ الصيف ، ففى ١٤ يوليو ١٩٦٦ دارت معركة جوية فوق مواقع تحويل نهر الأردن بين الطائرات السورية والطائرات الإسرائيلية ، وفقد الطيران السورى عددا من طائراته . ويوم ١٥ أغسطس ١٩٦٦ تجددت المعارك الجوية ، إلى جانب اشتباكات على الماء فى بحيرة « طبريا » بين سوريا وإسرائيل . **وفى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٦ كان مجلس الأمن يناقش شكوى من إسرائيل ضد سوريا ، وكان واضحا أن الشكوى الإسرائيلية غطاء ومبرر لضربة أخرى تعد لها إسرائيل على خطوط الهدنة . وفى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ قامت إسرائيل بعدوان كبير على قرية « السموع » فى لواء الخليل فى الأردن . وكان ذلك غريبا ، فقد كان كل المراقبين يتوقعون أن تجىء الضربة ضد سوريا ، وكانت دهشتهم شديدة أن الضربة جاءت موجهة للأردن ، وكانت حجة إسرائيل أن ثلاثة من جنودها قتلوا قبل ساعات فى حادث انفجار لغم على بعد كيلومترين من خطوط الهدنة فى اتجاه منطقة « وادى عربة » . وأنتجت الغارة ، فضلا عن الخسائر البشرية الوحشية التى حلت بقرية « السموع » آثار سياسية ترددت أصداؤها على شكل مناقشات عاصفة فى مجلس الأمن ، وعلى شكل مظاهرات غاضبة فى مدن الضفة الغربية التى تظاهر سكانها محتجين بأن حكومة الأردن لم تفعل شيئا للدفاع عنهم ضد العدوان الإسرائيلى .**

□

كان هذا المناخ الملتهب فى المنطقة هو الذى فرض نفسه على المقابلة بين « جمال عبد الناصر » و« يوجين بلاك » فى اليوم الأول من ديسمبر . وقال « يوجين بلاك » إنه كان فى واشنطن حينما جاءت أنباء الهجوم ، وتصادف وجوده فى البيت الأبيض حيث ذهب لمقابلة أحد أعضاء مجلس الأمن القومى ، وهناك سمع كلاما كثيرا عن الأوضاع فى الشرق الأوسط . وتفرعت المناقشات بين الرجلين ، **وقال « يوجين بلاك » فى مسار الحديث « إنه يعرف أن الرئيس جونسون ناقم على السياسة المصرية ، وهو (أى « يوجين بلاك »)**

ينصح الرئيس ناصر كصديق أن يحاول تهدئة الموقف بقدر ما يستطيع لأن جونسون بطبيعته رجل ذو مزاج متقلب وهو يشعر بمأزقه فى حرب فيتنام ، وقد يحاول أن يجد لنفسه منافذ أخرى ينفس بها عن شعوره بالإحباط » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » فى سياق الحديث قائلا إنه « بذل كل جهده للتهدئة ولكن كل محاولاته لم تنجح » . وسكت « جمال عبد الناصر » قليلا ثم قال « إنك تعرف أكثر من غيرك أننا لسنا على استعداد لأن نبيع استقلالنا مقابل قمح ، ولو كنا على استعداد لأن نبيع استقلالنا مقابل أى شىء لما كان هناك داع لكل المخاطر التى واجهناها » . ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يقول : « إننى قلت لسفيره هنا إننا لم نعد نريد قمحا . لقد حاول أن يتخذ من القمح أداة للضغط علينا ، وقد تركنا له سلاحه وأبلغناه أننا لم نعد نريد قمحه » .

وبدت تعبيرات تردد على قسمات « يوجين بلاك » ، ثم بدا وكأنه غالب تردده وقال : **« إن موضوع القمح ليس هو ما يشغل بالى ، ما يشغل بالى أن عددا يتزايد من مستشاريه ينصحوه الآنِ بإطلاق حرية العمل لإسرائيل » . وكان التعبير الذى استعمله « يوجين بلاك » هو « «To Unleash Israel» . وعلق « جمال عبد الناصر » على عبارة « يوجين بلاك » بأن « إسرائيل فعلا قد انطلقت للعمل سواء كان ذلك بتصريح جونسون أو بغير تصريحه »** . وانتهت المقابلة ، لكن التعبير الانجليزى الذى استعمله « يوجين بلاك » ظل عالقا فى فكر « جمال عبد الناصر » وفور خروج « يوجين بلاك » طلب قاموسا[1] انجليزيا ـ عربيا لكى يجد بنفسه معنى التعبير بدقة ، ووجد أنه يعنى **« إطلاق سراح كلاب الصيد لكى تطارد الفريسة » .**

وكانت تلك علامة واضحة على اهتمام « جمال عبد الناصر » بالكلمة التى سمعها من « يوجين بلاك » والتى بدرت منه بطريقة بدت عفوية ، أو ربما لم تكن عفوية ؟! ـ وإن كان من الصعب الآن القطع بالتقدير النهائى الذى توصل إليه « جمال عبد الناصر » لما فهمه من هذا التعبير على لسان « يوجين بلاك »[2] ، وبالذات بالنسبة لعواقب ترتبت على

---

(١) يعرف قاموس « أوكسفورد المختصر » كلمة «Leash» بأنها حظيرة كلاب الصيد أو السلاسل التى تمسك بهذه الكلاب ، أو صقور الصيد ، كما يعرّفها بأنها إمساك اللجام أو الزمام . كما يعرّفها بأنها استعملت فى تاريخ انجلترا لوصف الإدارة المكلفة بحفظ كلاب الملك .

(٢) قابلت الرئيس « جمال عبد الناصر » فى اليوم التالى لاجتماعه مع « يوجين بلاك » وسمعت منه تفاصيل هذه المقابلة بما فيها هذا التعبير الذى بحث عن معناه فى القاموس وقد وجدته فى أوراقى التى كتبتها عن هذا اللقاء مختلطا بضغوط مبيعات القمح ، وبالغارات الإسرائيلية المتكررة على جبهات مختلفة فى المنطقة ، وبردود الفعل الناجمة عنها فى المحافل الدولية أو فى العالم العربى .

التوتر الحاد على الخطوط مع سوريا ، ثم الخطوط مع الأردن . فقد كان كل توتر على هاتين الجبهتين : سوريا والأردن - قد أدى إلى ردود فعل عكست نفسها على مصر بحكم وضعها ومسؤولياتها فى المنطقة .

□

كان ما حدث على الجبهة السورية صدمة لأعصاب القيادة السياسية والعسكرية فى دمشق ، فقد أسفرت المعركة الجوية التى اشتبكت فيها الطائرات الإسرائيلية مع الطائرات السورية عن سقوط إحدى عشرة طائرة سورية فى اشتباك استمر ما لا يزيد عن نصف ساعة . كان ظاهرا أن الطيران السورى وقع فى كمين نصب بعناية وأحدث آثاره العسكرية المباشرة ، ومن ثم آثاره السياسية خصوصا على فكر القيادة وتقديرها للأمور .

وقعت المعركة الجوية يوم ١٥ أغسطس ١٩٦٦ ، وعقدت القيادات السورية السياسية والعسكرية سلسلة من الاجتماعات المتصلة لبحث الموقف وعواقبه . وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٦ كتب الدكتور « نور الدين الأتاسى » رئيس الدولة السورية رسالة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول فيها بالنص :

« سيادة الرئيس

إن المسؤولية التاريخية تحتم علىّ أن أخطركم بأن المعلومات المتوافرة لدينا تجعلنا نتوقع هجوما إسرائيليا كبيرا فى الجو فى الأيام القليلة القادمة . وطبقا لما لدينا من معلومات فإن الإسرائيليين يريدون أن ينتهزوا فرصة إعلاننا عن استئناف خططنا لتحويل مياه الأردن كحجة لاستئناف الهجوم على مشروعات التحويل ، على أن يتطور هذا الهجوم علينا إلى ضربة جوية شاملة لا تترك هدفا داخل حدودنا إلاّ وقد دمرته . وقد قررت القيادة ضرورة التوصل إلى تنسيق كامل مع الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة . ونحن نقترح فتح خط لاسلكى مباشر بين قيادة الجيش فى سوريا وفى الجمهورية العربية المتحدة ، ونرى أيضا ضرورة تغيير الشفرات المستعملة الآن لتأمين الاتصالات وحتى يكون فى وسعنا إخطاركم دقيقة بدقيقة عن تطورات الحوادث المحتملة . ونعتقد أنه لابد للبلدين اللذين وضعت عليهما المقادير مسؤولية قيادة القوى التقدمية فى العالم العربى من حماية آمال الأمة وتجسيد قواها الفعالة والرادعة » .

وختم « الأتاسى » رسالته برجاء أن يستقبل الرئيس وفدا سوريا على مستوى عال يذهب للقائه فى القاهرة فى أى وقت يشاء .

ورد الرئيس « جمال عبد الناصر » برسالة قال فيها إنه « يوافق على استقبال وفد سورى طبقا لما طلبه « الأتاسى » ، ولكن جدول ارتباطاته للفترة القادمة مزدحم ، ففضلا عن شواغل ملحة فى الداخل (فى أعقاب تغيير وزارى كلف فيه المهندس « صدقى سليمان » بتشكيل وزارة جديدة تحل محل وزارة السيد « زكريا محيى الدين ») - فهو أيضا على سفر إلى الهند لاجتماع ثلاثى بينه وبين الرئيس « تيتو » والسيدة « انديرا غاندى » ، وأنه فور عودته من دلهى سوف يكون مستعدا لاستقبال هذا الوفد » .

ووصل « جمال عبد الناصر » عائدا من دلهى إلى القاهرة يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦ . وبعدها بيومين لحق به إلى القاهرة وفد سورى يضم كلا من : الدكتور « يوسف زعين » رئيس الوزراء ، والدكتور « ابراهيم ماخوس » وزير الخارجية ، واللواء « أحمد سويدانى » رئيس أركان الحرب ، والعقيد « عبد الكريم الجندى » مدير العمليات . وانضم إلى الوفد فى القاهرة الدكتور « سامى الدروبى »[٣] .

واستقبل الرئيس « جمال عبد الناصر » (ومعه المشير « عبد الحكيم عامر » ، والسيد « زكريا محيى الدين » ، والسيد « صدقى سليمان » رئيس الوزراء الجديد) - أعضاء الوفد السورى فى بيته بمنشية البكرى لزيارة تحية قبل المحادثات فى الساعة الخامسة والنصف مساء يوم أول نوفمبر ١٩٦٦ . ولم يكن الوفد السورى على استعداد لأن يجعلها زيارة تحية فقط ، فقد راح كل أعضائه يتحدثون عن التوتر على خطوط الهدنة بما فيه الاشتباكات الجوية الأخيرة وضرورة أن تواجهها الجمهورية العربية المتحدة وسوريا معا « بإجراء ردعى » .

وتسجل الصفحة رقم ٦ من محضر هذه الجلسة الأولية أن « جمال عبد الناصر » قال لأعضاء الوفد : « نحن سوف نتقابل فى القبة غدا لجلسة المحادثات الرسمية الأولى بيننا ، وسوف نتكلم فى هذه الموضوعات وتفاصيلها . وما أريدكم أن تفكروا فيه ، وأنا أتكلم بكل صراحة لأن هذا طبعا موضوع مصير ، ما أقصده أنكم لا بد أن تفكروا

(٣) كان الدكتور « سامى الدروبى » وهو أديب ومفكر وسياسى لامع ، قريبا إلى قلب « جمال عبد الناصر » منذ تجربة الوحدة والظروف التى مهدت لها . وبعد سقوط الانفصال اختير « سامى الدروبى » سفيرا لسوريا فى القاهرة وبكى وهو يقدم أوراق اعتماده للرئيس « جمال عبد الناصر » .

بالحساب . فلا نقول كلام أكثر من اللازم ولا أقل من اللازم . الأمانة تقتضينا أن نحسب جيدا . والنقطة التى أخاف منها أن أعداءنا يحاولون توريطنا فى عملية مع إسرائيل على أساس مخطط يشترك فيه الاستعمار والرجعية . هذه هى النقطة التى يجب أن نضعها فى الاعتبار . هناك مسألة أخرى لابد أنكم فكرتم فيها وهى أنه لابد قبل أى عمل مشترك بيننا أن نبنى ثقة ، فبغير ثقة تكون كل الخطط مجرد حبر على ورق . »

. . . .

. . . .

وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التالى ٢ نوفمبر ١٩٦٦ بدأت الاجتماعات الرسمية مع الوفد السورى فى قصر القبة ، وانضم إلى الوفد المصرى السيد « محمود رياض » وزير الخارجية ، والسيد « حسن صبرى الخولى » . كان تقدير « جمال عبد الناصر » قبل الاجتماع هو أن الهدف المطلوب تحقيقه على وجه السرعة هو طمأنة القيادة السورية بما يجعلها تتصرف بغير عصبية . وقدر « جمال عبد الناصر » أنه يستطيع أن يصل بالمفاوضات مع السوريين إلى إعادة إحياء ميثاق الدفاع المشترك الذى عقد بين البلدين سنة ١٩٥٥ مع تدعيمه بما يلائم التطورات التى وقعت منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

وعندما بدأ الاجتماع وطلب هو إلى الوفد السورى أن يعرض ما لديه ، فوجىء بأن رئيس الوزراء السورى الدكتور « يوسف زعين » يطرح موضوعا جديدا تماما وهو موضوع الحرب الشعبية . وكان مؤدى وجهة نظره « أن حرب الأنظمة [٤] العربية والجيوش التقليدية لم تؤد إلى نتيجة ، وأن الطريق الصحيح الذى يؤدى إلى النصر هو أن تتولى الشعوب مسؤولية الحرب . فحرب الأنظمة والجيوش التقليدية التى تقوم على انتظار فعل التطور وسباق السلاح هى حرب محكوم عليها بالفشل لأن الزمن فى صالح إسرائيل ، وسوف يوفر لها من أسباب التطور وإمكانيات السلاح بفضل علاقاتها مع أمريكا فرصة دائمة للتفوق على العرب . ولكن الذى لا تستطيع إسرائيل أن تتفوق عليه هو كل الأمة العربية فى مواجهة إسرائيل ، فنحن أكثر من مائة مليون ، وهم أقل من اثنين مليون . » وسأله « جمال عبد الناصر » : كيف تجىء بكل الأمة العربية إلى المعركة ؟ » ورد الدكتور « زعين » بقوله : « إن المطلوب هو تثوير الموقف على

(٤) محضر رسمى للجلسة وهو مكتوب بخط السيد « حسن صبرى الخولى » ، وقد جرى تصوير عدة نسخ منه وزعت على رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الخارجية واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وهيئة المخابرات العامة .

خطوط الهدنة مع إسرائيل . ولتتفضل إسرائيل بدخول دمشق إذا كانت تستطيع ، وبدخول القاهرة إذا كان ذلك فى مقدورها . فعندما تفعل ذلك تكون الحرب بالفعل هى حرب الجماهير » . ومرة أخرى سأله « جمال عبد الناصر » : « ولكننا عندما نبدأ فى عملية تثوير الموقف على الجبهات حسب ما تقول ، فسوف تكون الخطوة الأولى التى تقوم بها إسرائيل هى تحويل الحرب من اللحظة الأولى إلى حرب نظامية . فهى بالطبع سوف تضرب بجيشها وسيكون على جيوشنا أن تتصدى لها لأننا لا نستطيع ـ عقلا ولا منطقا ـ أن نسمح لها بأن « تتفسح » على الطرق المؤدية إلى دمشق وإلى القاهرة . فإذا لم نكن مستعدين بالدرجة الكافية ، وإذا هزمت جيوشنا فلست أرى كيف يمكن بعد ذلك لشعوبنا أن تقوم بمهام الحرب الشعبية ؟»

وعاد الدكتور « زعين » يقول : « إننا لا نستطيع أن نتصرف بالطريق الكلاسيكى العادى ، والمفتاح فى رأينا هو تفجير طاقات الشعب(٥) . قد يكون هذا الكلام فى حيز العموميات وقد بدأنا « نسوى » دراسات حوله وندرس تجارب العالم ـ ندرس الجزائر مع تقديرنا لاختلاف الظروف ، وندرس فيتنام ونضع شعار « الحرب الشعبية » موضع التطبيق . لابد أن ندرب الشعب ، وأن ندعو كافة المواطنين إلى حمل السلاح واستعماله ، وهذا هو الطريق الأضمن الذى يقودنا إلى النصر . ولابد أن نقف جميعا تحت شعار « الحرب الشعبية » . » « وأبدى « جمال عبد الناصر » ملاحظة(٦) قال فيها للدكتور« زعين » : « أراك تقلب الأوضاع . لابد أن نجد الحل الصحيح أولا ثم نعبر عنه بشعار نقف تحته . وأما أن يصبح الحل هو الشعار ، فهذا منطق يصعب علىّ فهمه » (٧) .

وتدخل اللواء « أحمد سويدانى » فى المناقشة فقال « إن إسرائيل مجرد معسكر كبير يقع فى وسط المنطقة ، ومن حوله قواعد كثيرة للرجعية والاستعمار متصلة به . وإذا انتظرنا الطريقة التقليدية لإدارة المعركة فسوف نجد نفسنا فى حالة استنزاف مستمر لطاقاتنا وامكانياتنا المادية . والدبابات التى نشتريها هذه السنة تصبح بعد سنتين عتيقة ولابد من شراء غيرها ، وهذا هو الحال الذى نحن فيه من ١٨ سنة . والحل الوحيد

---

(٥) صفحة ٤١ من محضر الجلسة .
(٦) صفحة ٤٥ من محضر الجلسة .
(٧) صفحة ٤٧ من محضر جلسة المحادثات الرسمية بين الوفدين المصرى والسورى فى قصر القبة يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٦ .

هو تفجير ثورة فى الوطن العربى كله وخلق شىء جديد يؤدى إلى طوفان يستطيع تحرير فلسطين . أما التخوف مبكرا من العواقب فهذا يؤدى إلى الإحجام بدلا من الإقدام . »

وتدخل الدكتور « ابراهيم ماخوس » وزير الخارجية السورى فقال « إن حرب التحرير لا يجب أن يفهم منها أنها الخطوط مع إسرائيل فقط ، وإنما لابد أن تتسع الحرب الشعبية إلى كل المواقع التى يسيطر عليها الاستعمار ، بما فيها النظم الرجعية . » وأضاف الدكتور « ماخوس » قائلا « إنه مستعد لأن يقول إن تحرير الأردن بالحرب الشعبية يجب أن يسبق تحرير فلسطين . وكذلك الحال بالنسبة للسعودية . . » واضطر « جمال عبد الناصر » أن يقول له : « إن ما تقوله الآن هو أسهل طريق للهزيمة ، فلابد أن ندرك أننا فى هذه الحالة لن نكون فى مواجهة إسرائيل أو الأردن أو السعودية ، وإنما فى مواجهة أمريكا . هناك موضوعين اثنين تهتم بهما أمريكا فى العالم العربى : الموضوع الأول هو إسرائيل ، والموضوع الثانى هو البترول ، فإذا دخلت الحرب مع إسرائيل دون حسابات دقيقة فأنت مصطدم مع أمريكا ، وإذا تعرضت للبترول بالحرب الشعبية فأنت مصطدم مع أمريكا »(٨) .

وطلب المشير « عبد الحكيم عامر » الكلمة ليقول : « نحن فى الحقيقة نتكلم فى موضوع ضخم يتوقف عليه مصير شعوب . وهو موضوع حيوى ويجب أن يدرس جيدا ويوضع له تخطيط سليم تكون احتمالات نجاحه أكثر من احتمالات خسارته . وأنا أوافق مع ما أبداه الرئيس جمال من أنه إذا هزمت القوى التقدمية فى معركة غير مجهزة وغير مدروسة جيدا ، نكون أعطينا الاستعمار كل ما يريده ونكون قد ألقينا فعلا بالقوى التقدمية كلها فى أحضانه . نحن لا نستطيع أن ننكر الواقع ، وأمريكا دولة قوية لا شك فى هذا(٩) وإمكانياتها العسكرية ضخمة ، واتجاهاتهم الأخيرة فى المواجهة واضحة فهم يواجهون مواجهة عسكرية فى كل مكان ولم يعودوا يحسبوا حساب المعسكر الشيوعى بالحذر الذى كانوا يحسبون به « زمان » . »

ولم ييأس الدكتور « زعين » فقال : « معنى ذلك أننا سننتظر مائة سنة » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » : « إنك لست فى حاجة لانتظار مائة سنة ولا حتى خمسين ،

---

(٨) صفحة ٧٨ من محضر الجلسة .

(٩) صفحة ٨١ ـ ٨٢ من محضر جلسة المحادثات الرسمية بين الوفدين المصرى والسورى فى قصر القبة يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٦ .

وإنما عليك أن تعرف أنك لا تستطيع أن تحقق هدفك إلاّ بتحضير وتجهيز طويل المدى يأخذ فى اعتباره الإمكانيات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية للأمة . وكلامك عن حرب التحرير الشعبية لا يصلح لكل زمان ومكان . وأنت تقول فيتنام وتنسى الصين وتايوان . المسائل تحتاج إلى دراسة جيدة ، وأنا أعتقد أن تحقيق أهدافنا ممكن ولكن يحتاج إلى وقت وإلى أعصاب . وأنا لا أستطيع أن أرفع شعارا إلاّ إذا كنت متأكدا من قدرتى على تنفيذه »[١٠] .

. . . .

. . . .

وكان ما أمكن التوصل إليه بعد يومين من المناقشات هو ما قدره « جمال عبد الناصر » منذ البداية ، **وهو إعادة إحياء ميثاق الدفاع المشترك بين البلدين بحيث يصبح أى عدوان على أحدهما عدوانا على الآخر ، وإنشاء قيادة مشتركة للجبهتين يقودها رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، وحددت مدة الاتفاق بخمس سنوات** .

كان ذلك رد فعل الأحداث على الجبهة السورية . وكان قد حدث قبل أن يسمع « جمال عبد الناصر » تعبير « يوجين بلاك » عن الإلحاح على الرئيس الأمريكى بأن يطلق العنان لإسرائيل «unleash» !

□

وإزاء الحوادث على الجبهة الأردنية (وقد تمثلت فى اختراق إسرائيلى كبير للجبهة فى مواجهة الخليل) - كان رد الفعل السياسى فى القاهرة مشابها مع اختلاف فى التفاصيل . ففى الوقت الذى كان « جمال عبد الناصر » يقابل فيه « يوجين بلاك » فى القاهرة ، كانت القلاقل مازالت مشتعلة فى بعض مدن الضفة الغربية ، وبالذات فى نابلس وجنين وطولكرم . وكان دفاع حكومة الأردن عن نفسها إزاء اتهامها بالتقصير فى رد العدوان ، هو أن قواتها كانت تقف وحدها أمام قوة الجيش الإسرائيلى كله . فالجيش السورى كان منشغلا بالأحداث الداخلية فى سوريا وبالتهديدات الماثلة على خط الهدنة بينه وبين إسرائيل ، وفى نفس الوقت فإن الجيش المصرى كان مختبئا وراء قوات الطوارىء الدولية فى سيناء . ومع أن مصر كانت قد حشدت مجموعة فرقة كاملة فى سيناء تحسبا للطوارىء

---

(١٠) صفحة ١٠٥ من محضر الجلسة .

على الجبهة الأردنية ، فقد كان الرد على ذلك أن حشد هذه القوات فى سيناء لا يعنى شيئا مادام حاجز قوات الطوارىء قائما يمنعها من العمل . وكانت هذه النغمة لحنا متكررا باستمرار فى كل إعلام الجبهة العربية المحافظة . وكان التعبير الأعلى صوتا عن هذا اللحن المتكرر يجد مجاله فى عدد من صحف بيروت التى أعطت نفسها بالكامل لهذه الجبهة . وكانت بعض إذاعات المنطقة تلتقط هذه النغمات وتعيد تكرارها بما فيها إذاعة إسرائيل نفسها ، وأكثر من ذلك فإن اذاعة دمشق راحت تردد نفس النغمة .

وخلال الأسبوع الثانى من شهر ديسمبر تلقى « جمال عبد الناصر » برقية بالشفرة من « عبد الحكيم عامر » الذى كان يقوم بزيارة رسمية للباكستان جاء فيها بالنص :

لقد استمعت أثناء وجودى هنا إلى عدد من الإذاعات العربية ووجدتهم يشهرون بنا دعائيا ويتهمون الجيش المصرى بأنه يختبىء خلف قوات الطوارىء . وأرى أن نبحث جديا ضرورة طلب سحب هذه القوات حتى لا يتهمنا أحد بأننا لا نستطيع أن نتحرك بسرعة وحرية لنجدة العرب . »

ولم يرد « جمال عبد الناصر » على هذه البرقية وآثر أن يتركها معلقة حتى يعود « عبد الحكيم عامر » من رحلته إلى الباكستان ، وكان مقررا أن تنتهى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٦ .

كان فى فكر « جمال عبد الناصر » أن موضوع سحب قوات الطوارىء سبقت دراسته أثناء الاستعدادات التى جرت منذ عام ١٩٦٥ - عند الإعداد لمؤتمر القمة العربى فى الدار البيضاء . ووقتها ، وخلال الحملة العامة التى جرت على عدم تأهب الدول العربية للعمل العسكرى المشترك ، تلقت مصر نصيبها من الدعاية المضادة بنفس حجة وجود قوات الطوارىء الدولية كحاجز مانع من المشاركة فى رد أى خطر إسرائيلى مفاجىء . وعندما جرى بحث المسألة على مستوى القيادة العليا للقوات المسلحة بحضور الرئيس « جمال عبد الناصر » ، **كان الرأى الذى ساد فى المناقشات أن مثل هذا الإجراء يتطلب إنشاء فرقتين جديدتين لتعويض غياب جزء من القوات المصرية فى اليمن . ويومها اتخذ القرار بإنشاء فرقتين ، ورصدت الاعتمادات اللازمة لذلك وأضيفت إلى ميزانية القوات المسلحة لسنة١٩٦٦ .**

كان « جمال عبد الناصر » يريد انتظار عودة « عبد الحكيم عامر » إلى القاهرة لكى

يسمع منه تفصيلا نتائج خطة إنشاء فرقتين إضافيتين . ولم يشأ لحساسية الموضوع أن يسأل أحدا من هيئة أركان الحرب فى الجيش المصرى فى غياب « عبد الحكيم عامر » . حتى لا يثير تساؤلات حول هذا الموضوع الحساس قبل تكوين رأى نهائى عن احتمالاته .

. . . .

. . . .

وفى الأيام الأخيرة من سنة ١٩٦٦ كلف « جمال عبد الناصر » مجموعة عمل محدودة بإعداد تقدير وتصوير لخطوة سياسية يكون هدفها إنهاء وجود قوة الطوارىء الدولية على خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل . وبعد أيام كانت مجموعة العمل قد وضعت تصورا يشمل عدة خطوات على النحو التالى :

١ - يقوم وزير الخارجية بإرسال خطاب إلى « يو ثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول فيه :[١١] « لقد كلفتنى حكومة الجمهورية العربية المتحدة بإبلاغكم أن الجمهورية العربية المتحدة قررت إنهاء مهمة قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة التى تقرر تمركزها على خطوط الهدنة الفلسطينية منذ العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ . وإن الجمهورية العربية المتحدة وهى تتخذ هذا القرار تقدر أن العمل الذى قامت به الأمم المتحدة فى تلك الظروف كانت له قيمة تاريخية لا يقتصر أثرها فقط على حماية حق الشعب المصرى فحسب وإنما فى نفس الوقت على حقوق شعوب كل الدول المحبة للسلام . إن الجمهورية العربية المتحدة تقدر أيضا تقديرا عاليا الكفاءة التى استطاعت بها هذه القوة أن تمارس مهامها فى الظروف الصعبة التى أنشئت فيها ومارست فيها عملها ، سواء تحت توجيه سلفكم داج همرشولد أو تحت توجيهكم أنتم . وكما تتذكرون فإن الجمهورية العربية المتحدة احتفظت لنفسها دائما بالحق فى إنهاء مهمة هذه القوات فى الوقت الذى ترى فيه ذلك مناسبا . وإن الجمهورية العربية المتحدة فى رغبتها لتسهيل مهمتكم تقترح أن تعطيكم فترة ٦ شهور تبدأ من اليوم لإنهاء عمل هذه القوة بالوسائل التى ترونها ملائمة ، وتنفيذا للقرار الذى أتشرف بنقله إليكم » .

---

(١١) هناك ملف خاص بهذه المحاولة المبكرة لسحب قوة الطوارىء ، وهو يضم مجموعة مشروعات وثائقها ، وكان محفوظا فى أرشيف منشية البكرى ، وهو الآن فى محفوظات قصر عابدين .

٢ ـ أضافت مجموعة العمل بعد ذلك اقتراحا بإرسال خطابين إلى كل من رئيسة وزراء الهند « انديرا غاندى » والرئيس اليوغوسلافى « تيتو » ، باعتبار أن بلديهما يشاركان بأكبر نصيب فى قوات الطوارىء الدولية . وأعدت المجموعة بالفعل مشروعا لصيغة الخطابين إلى كل من « انديرا غاندى » و« تيتو » . وكانت الصيغة تبدأ بتوجيه الشكر إلى كل منهما على الكفاءة والمستوى العالى للكتائب التى شاركت من بلديهما فى قوات الطوارىء استجابة لدعوة السكرتير العام للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٥٦ ، وأن عمل هذه القوات كان نموذجا ممتازا من نماذج الحرص على السلام ، وكان مثالا بناء فى التعاون الدولى على حل المشاكل المعقدة فى العالم . ثم يمضى مشروع الخطاب إلى كل من « انديرا غاندى » و« تيتو » ليقول : « إن نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة سوف يقدم علم الجيش المصرى تقديرا وشكرا وإعرابا عن العرفان للكتائب العائدة إلى بلادها » .

وأعدت تفاصيل خطة العمل ومشروعات وثائقها ، وكتبت على أوراق رئاسة الجمهورية ، وقدمت للرئيس « جمال عبد الناصر »[١٢] . **وكانت ملاحظته بعدها أنه يرى مشروعا لخطة بالتفاصيل كما يرى صيغا مقترحة للرسائل ، ولكنه لا يجد معها تقدير الموقف الذى طلبه فى الموضوع نفسه قبل التخطيط له . وكان الرد الذى تلقاه هو أن مجموعة العمل ليست مقتنعة بأن المناخ فى المنطقة وفى العالم ملائم لهذه الخطوة الآن ، وقد وجد أعضاؤها أن يكون عرض وجهة نظرهم على الرئيس فى هذا الشأن شفويا وغير مكتوب حتى لا يقطع الطريق على أية اجتهادات أخرى** . وكان تعليقه : **« ربما كان الأفضل أن ننام على الفكرة يومين أو ثلاثة ، ثم نعود إلى بحثها عندئذ »** .

كان ذلك رد فعل الأحداث على الجبهة الأردنية . وقد حدث بعد أن استمع « جمال عبد الناصر » لحديث « يوجين بلاك » عن الإلحاح على الرئيس الامريكى بأن يطلق العنان لإسرائيل «unleash»!

وفى الحقيقة فإن « كلاب الصيد » جميعا كانت منطلقة سواء كان هناك من فتح لها باب الحظائر ، أو أنها قفزت من فوق جدرانها ، لأن الواقف على الباب لم يكن قد توصل بعد إلى أنها اللحظة المناسبة للإنطلاق !

---

(١٢) كان من حظى أن أكون ضمن مجموعة العمل تلك . وقد كنت الذى عرضت نتائج ما توصلت إليه على الرئيس « جمال عبد الناصر » .

في الأيام الأخيرة من سنة ١٩٦٦ كان واضحا أن القرار الأمريكي النهائي هو « الخلاص من ناصر » على حد التعبير الذي استعمله « دافيد نيس » القائم بالأعمال الأمريكي في القاهرة[١٣] في خطابه القلق إلى نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا . وكان هذا الاتجاه سياسة مقررة على مستوى البيت الأبيض ، ومعروفة في دوائر صنع القرار الأمريكي التي يعنيها الأمر . وكان معروفا أيضا على مستوى صنع القرار الأمريكي أن الأسلوب الذي انتهى إليه « جونسون » هو إطلاق حرية العمل لإسرائيل ، وهو ما عبر عنه « يوجين بلاك » في مقابلته مع « جمال عبد الناصر » يوم أول ديسمبر ١٩٦٦ «To Unleash Israel». وأما العنصر الذي كان محاطا بالسرية الكاملة فهو الطريقة والأسلوب والتوقيت التي يتم بها إطلاق حرية العمل لإسرائيل .

وكان السر محصورا في مجموعة[١٤] ضيقة من الأفراد لا يزيدون عن خمسة في واشنطن ، وهم : الرئيس الأمريكي نفسه ، ومستشاره لشؤون الأمن القومي « والت روستو » ، والمدير الجديد لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية « ريتشارد هيلمز » ، و« روبرت كومر » مسؤول مجلس الأمن القومي الموجه لنشاط تحالف السلاح والمخابرات والبترول ، ثم « جيمس آنجلتون » وكيل إدارة المخابرات المركزية الأمريكية لشؤون العمليات والذي كان مسؤولا في نفس الوقت عن الصندوق الاسرائيلي[١٥] . والغريب أن « جيمس آنجلتون » أصبح في الترتيب الجديد مسؤولا عن

---

(١٣) رجاء مراجعة صفحة ٣٢٧ من هذا الكتاب .

(١٤) تعتمد رواية بعض من الوقائع في هذا الفصل على حديث مطول جرى ذات ليلة من سنة ١٩٧٩ بين « جيمس آنجلتون » وصديق مقرب إليه في لندن . وكان هذا الصديق دبلوماسيا عمل في واشنطن عددا من السنين ، وهناك ربطته بـ « آنجلتون » صداقة لم تكن وثيقة ولم تكن سطحية . لكن « آنجلتون » اقترب منه كثيرا في السنوات الأخيرة التي أصبح فيها ساخطا على واشنطن ، ولائذا بلندن في كل فرصة تسنح له . وكان « آنجلتون » ليلتها في حالة أزمة عصبية انتابته في السنوات الأخيرة من عمله في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وحين جرى تخطيه لمنصب مدير الوكالة .

(١٥) هو الاعتماد المخصص للعمليات السرية المشتركة بين الولايات المتحدة والمؤسسات اليهودية والصهيونية في العالم ، وهو اعتماد بدأ نشاطه وقت الحرب وفي بلدان الكتلة الاشتراكية حيث لليهود وجود مؤثر ونافذ خصوصا في مجال المعلومات . وقد استمر هذا التعاون بعدالحرب ، وانتقل الإشراف اليهودي عليه إلى دولة إسرائيل بعد إنشائها . (رجاء مراجعة كتابي « ملفات السويس » و« سنوات الغليان » لمحمد حسنين هيكل) .

صندوق جديد أطلق عليه وصف « **برميل الزيت** » ، وقد تجمعت فيه مساهمات لـ « **تزييت** » عجلة الأمورفى الشرق الأوسط ، وقد ساهمت فى رصيد الصندوق مجموعة من رجال البترول فى تكساس ، وعدد من شركات البترول الأمريكية ، وعدد من الشركات الكبرى المهتمة بالشرق الأوسط ، إلى جانب مساهمات عربية . ولم يكن هؤلاء المساهمون جميعا يعلمون بالهدف الذى تجمع من أجله هذه المساهمات ، وإن كان المفهوم أنها لتمويل نشاط سرى فى الشرق الأوسط ، يصعب الحصول على اعتمادات مفتوحة له من الكونجرس لأن طلبها بطريقة مكشوفة يفسد الهدف المطلوبة له . كما أن التكاليف اللازمة أكبر مما يمكن تغطيته على هامش اعتماد آخر . وهذا أسلوب لجأت إليه المخابرات الأمريكية من وقت طويل ، وقد مارسته بعد ذلك فى مواقع كثيرة على طول الخط ما بين اندونيسيا إلى أنجولا . **وفى وقت من الأوقات وصل رصيد « برميل الزيت » إلى حوالى مائتى مليون دولار .**

(وربما أضفت أن هناك ما يدعونى إلى الاعتقاد بأن الصحفى الأمريكي الشهير « جوزيف كرافت » كان على نحو ما فى صورة ما يجرى سرا وخفاء بدءا بالاتفاق الأصلى بين إسرائيل و« جونسون » !) .

وكانت هذه المجموعة الأمريكية العليمة ببواطن الأمور على اتصال فى واشنطن بضابطى اتصال إسرائيليين اقتصرت عليهما وحدهما مهمة التنسيق بين من يعرفون فى واشنطن ومن يعرفون فى إسرائيل . وكان الاثنان هما : الجنرال « مائير آميت » مدير المخابرات الإسرائيلية ، وكان شبه مقيم بصفة دائمة فى واشنطن تحت ستار تنسيق شحن السلاح - يساعده فى ذلك « أفراييم ايفرون » وهو مسؤول من « الموساد » ألحق بمكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى لشؤون الأمن القومى ، ثم انتدب كوزير مفوض بالسفارة الإسرائيلية فى واشنطن كغطاء ظاهر لمهمته الحقيقية . وكان الجنرال « موشى ديان » رسولا متجولا بالقرب من أجواء العملية تحت ستار اهتمامه بحرب فيتنام ، و« لأن البيت الأبيض حريص على سماع آرائه فى أساليب معاركها وفنون إدارتها » !

وتجمع كل المصادر على أن تعبير «to unleash Israel» كان من صياغة « جيمس آنجلتون » شخصيا ، وقد كان أكثر المتحمسين له ومنذ زمن طويل . لكن آخرين فى المجموعة الأمريكية الداخلة فى سر العملية كانت لهم ملاحظات على حماسة « آنجلتون » ، فقد كان تقدير « ريتشارد هيلمز » (مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية منذ أواخر سنة ١٩٦٦) على سبيل المثال - مع موافقته على « التصور العام » - أن الأمر يحتاج إلى عدة ضمانات فصّلها على النحو التالى :

١ - إن عملية إطلاق حرية العمل لإسرائيل لابد أن تتم فى توقيت لابد من

إحكامه ، فهذا التوقيت يلزم ربطه بظرف يحقق أكبر قدر من الاقتناع لدى الرأى العام العالمى ولدى القوى الدولية المهتمة بشؤون الشرق الأوسط ـ بأن إسرائيل لم يكن لها خيار غير الالتجاء إلى القوة . وهذا عنصر يجب أن يحسب بدقة وإلاّ أدى إلى ردود فعل غير مواتية كما حدث فى السويس .

٢ ـ إن هذا التوقيت ينبغى اختياره بحيث يحقق هدفه فى ظرف لا يسمح للاتحاد السوفيتى بحرية المناورة ، كما أنه من المحتم أن يتم أى عمل فى هذا الشأن بطريقة خاطفة لا تسمح للاتحاد السوفيتى أو لغيره من الأطراف بأن يفكروا فى ردود فعلهم مرتين . وإنما يجب أن تأخذهم المفاجأة قبل أن يفكروا مرة واحدة .

٣ ـ إنه لا يجب أن يكون « توافق توجهات الحركة » بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية نوعا من الاتفاقات الموثقة والمسجلة على ورق ، وهى اللعنة التى أصابت تواطؤ السويس سنة ١٩٥٦ . وقد استعمل « هيلمز » فى إحدى المناسبات تعبير « لا يجب ترك أى بصمات للأصابع فى أى موقع مهما كان نائيا ، ولا مسدسا مازال الدخان يتسرب من فوهته ! » .

٤ ـ إن أى عمل تقوم به إسرائيل فى التوقيت المناسب ينبغى أن يتم بأسلوب جراحى دقيق بحيث لا يصل حد المشرط إلى التأثير على أى بلد عربى صديق للولايات المتحدة ، سواء كان التأثير ماديا أو معنويا .

٥ ـ إنه يتحتم أن يكون الطرفان على اتفاق كامل فيما يتعلق بحدود العملية . وقد كان هناك إحساس لدى بعض المشاركين فى السر ، وبينهم « روبرت كومر » أن إسرائيل ـ أو على الأقل بعض العناصر فيها ـ قد تنتهز فرصة تنفيذ العملية لكى تجد عذرا تستدير به على الضفة الغربية من الأردن . وقد كانت هناك « حالة اشتباه » بأن مطلب إسرائيل الرئيسى هو الضفة الغربية للأردن تستكمل بها حلم أرض إسرائيل ، وتعتبر ذلك نصيبها فى الصفقة بمقدار ما أن ضرب « عبد الناصر » هو النصيب المطلوب للرئيس « جونسون » وللنخبة المشايعة لسياسته فى دوائر صنع القرار الأمريكى ، ولها أيضا بالطبع[١٦] !

□

(١٦) قد يكون مناسبا للذين لا يتصورون أن تصل دولة عظمى إلى هذا النوع من التعاملات ـ مراجعة تحقيقات الكونجرس بشأن النشاط الأمريكى السرى بالتعاون مع دول صديقة ضد أطراف ثالثة معادية . والنماذج الكاملة لهذا النوع من النشاط : تحقيقات لجنة « تشرش » بشأن كوبا سنة ١٩٧٥ ، وتحقيقات لجحنة « جون تاور » (١٩٨٧) بشأن الفضيحة القريبة لـ « ايران ـ كونترا » وكانت إسرائيل طرفا رئيسيا فيها .

وفى إسرائيل لم تكن هناك ضرورة - فى رأيهم - لكل هذه الملاحظات والتحوطات اللازمة لها . **وفى كل الأحوال فقد كان اعتقادهم أن سنة١٩٦٧ التى تشرف على بدايتها لا ينبغى أن تمر إلاّ وقد حدثت عملية اصطياد « الديك الرومى » . وكان تعبير « الديك الرومى » هو الوصف الذى استعمله الرئيس الأمريكى « جونسون » بنفسه خلال اجتماع جرى فيه بحث إمكانيات تفويض إسرائيل فى الشرق الأوسط أثناء انشغاله هو فى حرب فيتنام وبالشرق الأقصى عموما . وقد استعمل « جونسون » هذا التعبير فى وصف « جمال عبد الناصر » شخصيا قائلا إنه يمشى فى المنطقة مختالا بنفسه كـ « الديك الرومى » .**

ومن وقتها وحتى يونيو ١٩٦٧ كان تعبير « الديك الرومى » هو الإشارة الرمزية لعملية إطلاق حرية العمل لإسرائيل «To Unleash Israel».

وكان عدد الذين يعرفون بسر عملية اصطياد « الديك الرومى » محصورا فى إسرائيل كما هو فى الولايات المتحدة . وقد اقتصروا على « ليفى أشكول » رئيس الوزراء و« جولدا مائير » ، و« شيمون بيريز » ، وثلاثة من العسكريين هم الجنرال « رابين » رئيس هيئة أركان الحرب ، والجنرال « عزرا وايزمان » قائد الطيران ، والجنرال « ايجال آللون » الذى كان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للعمل ومسؤولا حقيقيا عن أعمال مجلس الوزراء المصغر المهتم بالأمن والدفاع .

وكان مجمل الآراء فى إسرائيل وفى مواجهة الملاحظات التى قيلت همسا فى واشنطن ، على النحو التالى :

١ - إنهم يوافقون على أهمية عنصر التوقيت لكنهم لا يرون أن هذا العنصر يحتاج إلى كل هذا العناء ، فتطورات الحوادث فى الشرق الأوسط يمكن أن تعطى فى أى لحظة فرصة ملائمة يمكن النفاذ منها .

٢ - إن الاتحاد السوفيتى الآن ، وتحت قيادته الثلاثية الجديدة ، يركز على أوضاعه الداخلية ، وقد تزايد الإحساس لدى هذه القيادة بأن « مشروعهم فى الشرق الأوسط » زادت تكاليفه وأصبحت بغير قاع ، وأنهم إذا وجدوا موقفا حازما من جانب الولايات المتحدة فسوف يغلب عليهم التردد لا محالة - خصوصا إذا لم يظهر لواشنطن دور يمكن الإمساك به فى العملية .

٣ - إن إسرائيل لا تريد قبل غيرها من الأطراف أن تكرر ما حدث لها سنة ١٩٥٦ . فقد اتهمت بأنها لعبت دور مخلب القط فى يد بريطانيا وفرنسا بينما

كانت قادرة بنفسها على تحقيق كل أهدافها . ولقد كان « بن جوريون » فى سنة ١٩٥٦ ملتزما جانب الحذر إلى درجة أنه طلب أوراقا مكتوبة ، وأما الآن فإن إسرائيل مستعدة وحدها لتحمل مسؤولية المخاطرة ، وهى واثقة أنها تقدر على المهمة « إذا أعطيت الأدوات اللازمة لتنفيذها » .

٤ ـ إن قضية الحساسية الزائدة لموقف « أطراف عربية أخرى » تختلف فى الظروف الجديدة عما كانت عليه فى ظروف السويس . فهناك الآن أطراف عربية على اتصال فعلا بإسرائيل ، بل إن بعضها يطلب تعاون إسرائيل ، خصوصا فى عمليات اليمن . كما أن العالم العربى كله فى وضع يختلف اختلافا بيّنا عما كان عليه سنة ١٩٥٦ .

٥ ـ وعند نقطة الأردن فقد كانت الايضاحات الإسرائيلية « مضغوطة » بعض الشىء مكتفية بالتأكيد على أن إسرائيل لا تستطيع أن تتعرض للأردن بغير استفزاز يصدر عن عمان .

□

كان الطرفان ـ كما هو واضح ـ قد استفادا إلى أبعد حد من تجربة التواطؤ الثلاثى فى السويس ، وقاما معا بدراسة التفاصيل إلى درجة التشريح فى محاولة لتجنب أخطائها . وكانت طبائع الأحوال الدولية والفكر السياسى والعسكرى الملاحق لهذه التطورات قد غيرت كثيرا من ضرورات التواطؤ بين طرفين دوليين على تنفيذ عملية معينة ، فقد بطل كل ما اتبع فى السويس من أساليب ، وحلت محله سياسة تقوم على أساس توافق عام على هدف يتم توفير كل الأدوات اللازمة لتنفيذه ، ثم تترك آليات الحركة تبنى متطلباتها وتحدد ضروراتها بالاتساق مع تطورات الحوادث ذاتها . ومع ذلك فقد **كان الغالب على التفكير الإسرائيلى فى تلك الفترة هو أن سنة ١٩٦٧ يجب أن تشهد الموقعة الحاسمة فى عملية اصطياد « الديك الرومى » . وكانت أسباب إسرائيل موزعة داخل عدد من الدوائر المتصلة أو المتقاطعة .**

● **كانت هناك أولا الدائرة الإسرائيلية** ، وكان ما فيها يدعو إلى الاعتقاد بأن إسرائيل أمام فرصة نادرة لن تتوافر لها مطلقا :

□ **إن القوات المسلحة الإسرائيلية حصلت على حجم من التسليح كما ونوعا يصعب أن يتوافر لها ، وقد أتمت التشكيلات المقاتلة تدريباتها عليه ،**

فإذا ترك فترة طويلة بدون استعمال فإن كفاءته سوف تقل بالتقادم (كانت طائرات الـ « ميراج » الفرنسية ـ ولدى إسرائيل فى ذلك الوقت ستة أسراب منها ـ هى أكثر ما يشغل بال المسؤولين عن التسليح فى إسرائيل) ، كما أن كفاءة الذين تدربوا عليه سوف تقل بالانتظار . والنتيجة أن هذا الكم من السلاح سوف يجىء ويذهب دون أن يحقق هدفه .

□ إن هذا السلاح يمكن أن تكون له خطوط إمداد متصلة فى حالة نشوب القتال ، ذلك أن التوافق مع الولايات المتحدة على مستوى البيت الأبيض يضمن لإسرائيل أن لا تكون وحدها حتى وإن جاءها المدد بوسائل غير مباشرة .

□ إن المجموعة القيادية العسكرية فى إسرائيل الداخلة فى إطار التوافق المشترك لها فترة خدمة معينة ، ووجود عناصر منها فى القيادة العليا ضرورى لتنفيذ التخطيط (« رابين » كرئيس لأركان حرب الجيش الإسرائيلى و« وايزمان » كقائد لسلاح الطيران) .

□ إن الوضع الاقتصادى فى إسرائيل ـ خلافا لكل ما هو ظاهر على السطح ـ كان لايزال متمتعا بحالة لا بأس بها من الصحة نتيجة لتدفق المساعدات (ويظهر تقرير رسمى أمريكى أن إسرائيل فى تلك الفترة حققت معدلا من النمو يتراوح ما بين ٩٪ و١٠٪) ـ لكن هذه التوقعات المستقبلية كانت تشير إلى احتمالات تراجع بدأت مقدماته فعلا (خصوصا مع قرب انتهاء أثر اتفاقية التعويضات الألمانية) ، كذلك كان هناك تراجع فى معدلات الهجرة إلى إسرائيل عن تصور لدى المستعدين للهجرة بأنها بلد محاصر ضاق بمن فيه ، وقد أصبح من الضرورى مقاومة هذا التصور لأن استمرار الهجرة هو ضمان استمرار الروح فى إسرائيل ، والطريق الوحيد لوقف التراجع إذن مزدوج : من ناحية لإثبات أن إسرائيل ليست محاصرة ، ومن ناحية أخرى لإثبات أنها قادرة على كسر الحصار ، والتأكيد للكل بأن هناك أرضا مفتوحة تنتظر المهاجرين الجدد . فإذا أمسكت إسرائيل بالفرصة ونجحت أمكن منع التراجع .

□ إن هذه الظروف مجتمعة تهيىء للنجاح ، فإذا تحقق ذلك فقد كسرت إسرائيل أهم أعدائها فى المنطقة ، كما فتحت الباب لاحتمالات أخرى أكبر مما يمكن حسابه مقدما .

● وكانت هناك الدائرة الأمريكية (فى تفكير إسرائيل) ، وأهم العوامل فيها :

□ إن اسرائيل لأول مرة تتوافق على عمل مع إحدى القوتين الأعظم وعلى مستوى القمة (الرئيس الأمريكى نفسه) .

□ إن هذه الميزة ليست متاحة للأبد ، فهناك تطورات قد تؤثر عليها وكانت التقديرات الإسرائيلية أنه إذا ظهرت بوادر حل فى فيتنام أو تحسن فى العلاقات بين القوتين الأعظم ، فإن الرئيس الأمريكى قد لا يعود راغبا فى مغامرة فى الشرق الأوسط تعقد له المطلب الذى تحقق له بعد عناد فى الشرق الأقصى .

□ إن الفرصة الزمنية المتاحة لإسرائيل كى تتصرف محدودة بسنة ١٩٦٧ . فالسنة التالية لها (١٩٦٨) هى سنة انتخابات للرئاسة وتجديد نصفى للكونجرس - ومعنى ذلك أنه طوال سنة ١٩٦٧ فسوف تكون كل المؤسسات السياسية فى الولايات المتحدة الأمريكية - كما هى العادة - فى حاجة إلى الأصوات اليهودية والنفوذ اليهودى . وأما فى سنة ١٩٦٨ فإن « جونسون » نفسه قد لا ينجح فى الانتخابات لأن حرب فيتنام تلتهم بسرعة ما تبقى من شعبيته .

● وكانت هناك دائرة دولية (فى التفكير الإسرائيلى أيضا) ، وأهم العوامل فيها :

□ إن نجاح إسرائيل فى كسر الاتجاهات المعادية للغرب فى العالم العربى من شأنه أن يجعلها شريكا على قدم المساواة فى التحالف الغربى الكبير - وهو بذلك يعطى لدورها الدولى نقلة هائلة إلى الأمام .

□ إن مظلة الحماية السياسية التى يوفرها التأييد الأمريكى فى اللحظات الحاسمة سوف تؤدى إلى تردد الاتحاد السوفيتى . فإذا تردد الاتحاد السوفيتى واستطاعت إسرائيل أن تحقق هدفها فسوف تبدو فى الغرب وفى الولايات المتحدة بالذات وكأن انتصارها هو - فى جانب منه - على الاتحاد السوفيتى ، وهذا سوف يعزز مكانتها .

□ إن محصلة ذلك يمكن ترجمتها عمليا على الساحة الدولية بتعاطف أكثر مع إسرائيل ومساعدات أكثر سخاء لها ، وربما تفتحت أبواب جديدة لهجرة أعداد كبيرة من اليهود إليها . إلى جانب أن المسرح الإقليمى ، بما فيه تركيا وإيران وغيرهما ، سوف يكون أكثر استعدادا لقبول دور قيادى لإسرائيل فى الشرق الأوسط .

● وكانت هناك دائرة عربية (فى التفكير الإسرائيلى أخيرا) ، وأهم العوامل فيها :

□ إن العالم العربى يبدو فى هذه الفترة ممزقا أكثر مما كان فى أى وقت مضى . فهناك أزمة حادة فى العلاقات بين مصر والسعودية ، وبين الفلسطينيين وحكومة الأردن ، وبين العراق وجيرانها فى الشرق والغرب . والصراع الاجتماعى فى العالم العربى على أشده ، والقوى التى تسمى نفسها ثورية فيه تحاول كل منها توريط الأخرى .

(تحسبت إسرائيل أيضا لاحتمال أن يتمكن « سعود » الذى لجأ إلى القاهرة فى هذه الفترة من النجاح فى العودة إلى العرش بواسطة مساعدات مصرية) .

□ إن القوة العسكرية الرئيسية فى العالم العربى ، وهى الجيش المصرى ، سوف تجد نفسها فى مواجهة المحظور الذى يتحتم على كل جيش أن يتفاداه وهو الحرب على جبهتين : فى اليمن منذ سنة ١٩٦٣ ، ومع إسرائيل إذا قررت أن موعد العمل قد حان .

□ وإلى جانب ذلك فإن الجيش السورى ، وهو القوة العربية الأقرب إلى قلبها ، مرهق الآن بآثار سلسلة من الانقلابات العسكرية وما أعقبها من تصفيات .

□ كما أن الدولة الرئيسية فى العالم العربى ، وهى مصر ، تواجه مشاكل اقتصادية طارئة سببها تلاقى ثلاثة عوامل فى نفس الوقت : تكاليف حرب اليمن ، مضافا إليها توقف مبيعات القمح الأمريكى بشروط سهلة ، وفوق هذا فإن مصر صرفت مبالغ هائلة على مشروعات التنمية بما فيها السد العالى ، ولم تكن قد حصلت بعد على الفوائد المنتظرة لهذه المشروعات .

وكان الشوق الحارق المستتر فى كل هذه الدوائر هو **رغبة إسرائيل فى الاستيلاء على الضفة الغربية للأردن** ، وهو مطلب مستمر تبدى من أيام التحضير لحملة السويس ، وعاد إلى الظل بعدها وان لم يفقد إطلاقا جاذبيته . وفى تلك الأيام من أواخر سنة ١٩٦٦ لم يكن عامل الضفة الغربية موجودا بطريقة ظاهرة فى أى دائرة من الدوائر . ومع ذلك فإن الجانب الأمريكى كان لديه باستمرار هاجس أن ما تريده إسرائيل فى « المحصلة

النهائية » ليس مجرد المشاركة فى اصطياد « الديك الرومى » وإنما الحصول وحدها على غنيمة الضفة الغربية[١٧] .

وقد وجد هذا الهاجس تعبيرا جليا عن نفسه فى خطاب لألفاظه رنين خاص - بعث به الرئيس « ليندون جونسون » إلى الملك « حسين » فى أواخر نوفمبر ١٩٦٦ بعد العدوان الإسرائيلى على الأردن فى منطقة الخليل . وفى هذا الخطاب الذى تتضمنه برقية وزارة الخارجية الأمريكية إلى سفارتها فى عمان[١٨] جاء قول الرئيس الأمريكى لملك الأردن بالنص كما يلى :

« إننى أعرف أن هذا العمل (الغارة الإسرائيلية على منطقة الخليل) قد وضع جلالتكم فى موقف صعب . وإننى لواثق - بفضل ما هو مشهود لكم به من شجاعة وحكمة واعتدال - أنكم ستذللون الصعاب التى ستواجهكم . ومن ناحيتنا أؤكد لكم أن هذه الحكومة باقية على اهتمامها بسلامة الأردن وأمنه وبالتقدم الاقتصادى لشعبه ورفاهيته . وقد أمرت بإجراء مراجعة عاجلة للتدابير التى تستطيع حكومة الولايات المتحدة اتخاذها إزاء هذه المصاعب . وسنظل على اتصال بحكومتكم حول هذا الأمر . »

ثم مضى الرئيس « جونسون » فى رسالته للملك « حسين » يقول بالحرف :

« وأخيرا فقد أبلغنى السفير بيرنز (السفير الأمريكى فى عمان) قلق جلالتكم لأن سياسات إسرائيل قد تغيرت ، ولأن إسرائيل تعتزم الآن احتلال أراضى الضفة الغربية لنهر الأردن . ولئن كان فى وسعى أن أفهم أسباب هذا القلق فإن لدينا من الأسباب الوجيهة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن من غير المحتمل إلى حد كبير أن تقع الأحداث التى تخشونها فعلا . »[*] .

---

(١٧) رجاء مراجعة كتاب « ملفات السويس » لمحمد حسنين هيكل فى شأن مطلب إسرائيل الملح وقت التحضير لعملية السويس فى احتلال الضفة الغربية وضم الجزء الأكبر منها إليها أو ضمها بالكامل إذا أمكن . وبالتحديد يرجى مراجعة الصفحات رقم : ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥٢٢ ، ٥٣٠ ، و٥٦٤ .

(١٨) ملفات وزارة الخارجية الأمريكية - البرقية رقم ٩٠٦٠٣ بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ ، وتوجد نسخة منها بالملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢١) صفحة ٩٩٥ .

(*) الخطوط تحت سطور هذه العبارة مضافة هنا لمعنى التأكيد .

ثم ختم الرئيس « جونسون » رسالته بقوله :

« وإن الاحتجاجات الخاصة القوية التى قمنا بها فى إسرائيل ، وكذلك بياناتنا العلنية الصريحة ، تبين بوضوح أن إسرائيل إذا اتخذت السياسات التى تخشونها فسيكون لذلك أخطر العواقب . ولا يخامرنى شك بأن موقفنا مفهوم تماما للإسرائيليين . »

كانت مطالب الطرفين المتوافقين على اصطياد « الديك الرومى » متسقة . وأما خلاف الضمائر فقد كان يلعب دوره المستتر فى مصير الضفة الغربية . كان الحفاظ عليها فى إطار الأردن رغبة سياسية أمريكية ، وأما بالنسبة لإسرائيل فقد كان الاستيلاء عليها مطلبا حارقا تغذيه نزعات أسطورية تغطى نفسها بغلالة التاريخ ، وتغريها الآن بوادر فرصة قد لا تسنح مرة أخرى !

□

وكانت إسرائيل لاتزال تدير البصر إلى الجبهات الرئيسية الثلاث المحيطة بها ، ثم تمده بعد الجبهات إلى ما وراءها - وخطوط استراتيجيتها العامة تأخذ شكلها النهائى يوما بعد يوم على أساس أن :

- **سوريا هى « عنصر الإثارة » الذى يمكن استغلاله**
- **و« مصر » هى « مركز الثقل » الذى يتحتم ضربه**
- **والأردن - الضفة الغربية منه بالذات - هى « الجائزة » التى لابد من الحصول عليها !**

ولم يعد السؤال بـ : « هل » ؟ - وإنما أصبح السؤال بـ :« متى »؟ و« كيف » ؟ - خصوصا والولايات المتحدة « متفقة » فى مطلب تصفية مركزالثقل المصرى . ولكنها « مختلفة » فيما يتعلق بجائزة الضفة الغربية !

وغربت شمس سنة ١٩٦٦ ، وبدأ عام جديد معبأ ومثقل بالاحتمالات والفرص والمخاطر .

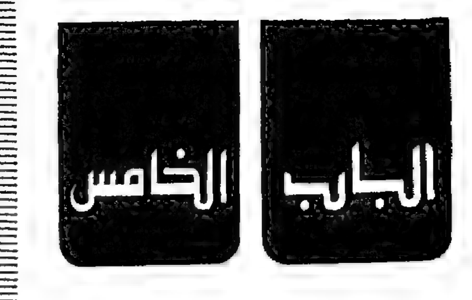

ضباب الحرب

« ضباب الحرب عملية لا تقل أهمية عن ضربة الحرب . فمن المهم أن تجعل عدوك قبل اللحظة الحاسمة فى حالة ارتباك تتزاحم فيها الأمور عليه حتى إذا جاءته الضربة فى لحظة الارتباك ـ كان محتملا أن تصبح القاضية !

الفصل الأول

أوراق مختلطة

لم تبن سنة ١٩٦٧ منذ بدايتها سنة سعيدة بالنسبة لمصر ، حتى من الناحية الطبيعية ، فقد كانت الأسابيع الأولى منها فترة صقيع أصابت بعض مزارعها بنوع من الشلل . ثم إن الربيع عندما جاء صحبته فى شهر ابريل موجة خماسين اشتد قيظها إلى درجة أصابت بعض أشجارها بلمسة من الحريق !

وفى تلك الفترة كانت ثورة يوليو (سنة ١٩٥٢) تمر بمرحلة صعبة من مراحل نموها وتطورها ، وللثورات عادة أربع مراحل صدقت فى جميع الثورات العظيمة ابتداء من الثورة الفرنسية وما جاء بعدها :

□ **المرحلة الأولى** هى فترة سقوط أو إسقاط نظام قديم ، وظهور قوى اجتماعية جديدة تأتى إلى السلطة بعده وأملها أن تتمكن من « لمّ شمل » الجميع ، بما فيهم عناصر من النظام القديم تجنبا لعداوات يمكن تفاديها مبكرا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عن رغبة فى الاستعانة بكل الخبرة السابقة المتراكمة فى إدارة أمور الدولة .

[وبالنسبة لثورة يوليو امتدت تلك المرحلة من يوليو ١٩٥٢ إلى ما بعد السويس مباشرة فى نهاية سنة ١٩٥٦ ـ وبرغم صدور قانون الإصلاح الزراعى فإن الصدام ظل محصورا مع طبقة كبار

ملاك الأراضى ، وانتقل كثيرون فيهم من ملكية الأرض الزراعية فى الريف إلى ملكية العقارات فى المدن] .

□ **المرحلة الثانية** هى فترة تقوم فيها الثورة بعملية الفرز الضرورى الذى تقوم به كل الثورات ، ويصبح توجهها إلى التحول الاجتماعى أكثر إلحاحا من حرصها على « لمّ شمل » الجميع بصرف النظر عن امتيازاتهم الطبقية . وهنا تدخل الثورة - أى ثورة - فى معارك داخلية ، فهى تشعر أن الطبقات القادرة تستغل « لمّ الشمل » لحساب امتيازاتها ، وربما زادت من امتيازاتها على حساب هذه الرغبة فى « لم الشمل »!

[وبالنسبة لثورة يوليو فإن تلك المرحلة بدأت من أول سنة ١٩٥٧ واستمرت إلى الستينات ، وفى هذه الفترة صدرت قرارات تأميم البنوك ، ثم صدرت قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ - وكانت تلك أبرز اجراءات التحول الاجتماعى] .

□ **المرحلة الثالثة** هى فترة تجد فيها الطبقات الممتازة من بقايا النظام القديم أنها مضطرة إلى المقاومة ، وهنا تجد الثورة نفسها - بحكم الضرورات - مضطرة إلى العنف ، وفى بعض التجارب الثورية - كما فى الثورة الفرنسية - فإن المقاومة من ناحية والعنف من ناحية أخرى وصلا بالأوطان إلى حافة الحرب الأهلية بل والغزو الخارجى ، لأن النظم الاجتماعية المحيطة يعتريها القلق من فوران المركز الثورى ، كما أن استنفارها يتم بواسطة عناصر النظام القديم الذى كان على صلة جوار بها قبل الثورة - وهذا أيضا حدث للثورة الفرنسية وللثورة الروسية ولغيرهما .

[وبالنسبة لثورة يوليو فإن تلك المرحلة بدأت بالانفصال سنة ١٩٦١ ، ثم تلته إجراءات الحراسة فى نفس السنة ، ثم حرب اليمن التى كانت فى جانب من جوانبها حربا أهلية على اتساع العالم العربى ، ثم تلا ذلك صدام متجدد مع الإخوان المسلمين ، إلى جانب نشاط فى الريف من جانب بعض الملاك القدامى جرت مواجهته بما سمى بـ « لجنة تصفية الإقطاع »] .

□ **المرحلة الرابعة** هى فترة يبدأ فيها عنف الثورة فى إحداث ردود فعل يجرى استغلالها باسم مطالب مشروعة ، مثل تقنين التصرفات وسيادة القانون والحريات العامة ، إلى آخره - وفى العادة فإن أى نظام ثورى أصيل يحاول الملاءمة بين مطالبه ومطالب جماهيره التى يؤثر فيها منطق المطالب المشروعة ، وهنا تحدث عملية الملاءمة اللازمة بين الشرعية الثورية والشرعية القانونية .

[وبالنسبة لثورة يوليو فإن تلك المرحلة شهدت مقدماتها فى ميثاق العمل الوطنى سنة ١٩٦٢ ، واستمرت متداخلة مع مراحل أخرى حتى صدر بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨] .

□

والمهم أنه فى بداية سنة١٩٦٧ كانت الثورة المصرية لا تزال فى المرحلة الحرجة ، وهى المرحلة الثالثة التى تتسم بالمقاومة من جانب القديم ، والعنف يمارسه النظام الجديد . وفى العادة فإن هذه أصعب المراحل فى حياة الثورة ـ ذلك أن المقاومة والعنف ليسا خطوطا محددة لمواجهة بين معسكرين منفصلين تماما ، وإنما هى بواقع الحياة نفسها خطوط متداخلة ومعسكرات مفتوحة على بعضها البعض ، فالصراع هنا فى حقيقة أمره صراع مصالح مختلطة ، ورؤى غير محددة ، وارتباطات إنسانية ، واجتهادات فكرية ، ثم اختلاف نفوس وأعصاب وأمزجة ، إلى جانب أن هذه المرحلة فى نمو وتطور الثورات هى المرحلة التى تظهر فيها عادة أعراض العنف والعنف المضاد ، وإلى الحد الأقصى فى الحالتين .

والحقيقة أن الثورة فى هذه المرحلة تعيش حالة تناقضات حادة بسبب مطالب متعارضة أو تبدو متعارضة :

- فهدف أى ثورة فى أى بلد هوالتمكين للمواطن الحر ـ ومن ناحية أخرى فإن ضغوط القوى الخارجية ـ من إقليمها أو بعيدا عنه ـ تضطرها دفاعا عن نفسها إلى التضييق بقيود تستهدف حماية الوطن حرا ، وعادة ما تحتك مطالب المواطن الحر بمطالب الوطن الحر !

- ثم إن قيمة أى ثورة هى بمقدار ما تطرحه من الأفكار الجديدة ، وما توفره من إمكانيات الحراك الاجتماعى من قاع المجتمع إلى سطحه ـ ومن ناحية أخرى فإن الأفكار الجديدة لا تكون على الفور مستعدة للحوار مع الأفكار المترسخة قبلها ، إلى جانب أن الطبقات المتحركة على السلم الاجتماعى لا تكون بعد قادرة على الدفاع عن مكتسباتها .

وهكذا تزداد عوامل الاحتكاك !

وعلى سبيل المثال ففى تاريخ الثورة الفرنسية كانت هذه هى المرحلة التى استعدى فيها الملكيون جيوش بروسيا والنمسا وانجلترا لغزو وطنهم ـ فرنسا ـ وعلى الناحية الأخرى فقد كانت تلك على الجانب الثورى هى مرحلة ظهور حكم الإرهاب الذى مثله « روبسبيير » ، وبمقتضاه ظهرت المقصلة لتصبح رمز الثورة الفرنسية فى تلك السنوات من عمرها !

وفى حالة الثورة المصرية فإن الإرهاب لم يكن مطروحا ، كما أن الحرب الأهلية فى إطار الوطن لم تكن واردة ، ثم إن الحرب الأهلية على اتساع العالم العربى - وبؤرتها فى اليمن - كانت محصورة ، وإن ظل خطر التدخل الأجنبى فيها ماثلا وقائما طول الوقت ، مرهونا بمقاصد وبمخططات غير عربية بالدرجة الأولى .

كذلك فإنه فى حالة الثورة المصرية لم يكن هناك مجال لظهور المقصلة لأسباب متعددة منها طبيعة الشعب المصرى ، وربما كان ضروريا إضافة طبيعة « جمال عبد الناصر » إلى جانب طبيعة الشعب المصرى ، فقد كان عزوفا عن سفك الدماء ولعله كره هذه الظاهرة فى الثورة الفرنسية رغم أنه كان واحدا من المعجبين بها والدارسين لتاريخها . وربما أن دراسته لتاريخها هى التى أنقذت الملك « فاروق » ، فحين طالب بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة بإعدامه كان رد « جمال عبدالناصر » هو التذكرة بتاريخ الثورة الفرنسية ومقولته الشهيرة بأن « **سفك الدماء لن يؤدى إلاّ إلى المزيد من سفك الدماء** » .

ومع ذلك فإن هذه المرحلة لم يكن ممكنا لها أن تجىء وتذهب دون أن تتبدى بعض الظواهر الداعية إلى القلق ، وبينها :

١ - **إن الطبقة المتوسطة فى مصر** - وهى عماد حركتها الفكرية والاقتصادية والسياسية - أصابتها وساوس من ظواهر العنف والعنف المضاد ، وأصبحت لديها تساؤلات حائرة تبحث لنفسها عن إجابات مقنعة !

٢ - **إن الطبقات المتوسطة فى بلدان العالم العربى** - خارج مصر - وكانت هى الرصيد الاحتياطى الكبير للثورة المصرية - أخافتها القرارات الاشتراكية ، وكذلك التبست عليها الحقائق فى حرب اليمن حين بدا أن السلاح العربى يقتتل مع بعضه ، وكان ذلك جزءا من الحرب النفسية الهائلة ضد الثورة ، وهو جزء لعبت فيه بعض صحف بيروت دورا كبيرا (وفيما بعد فإن لبنان لسوء الحظ دفع ثمنا غاليا لمطامع الذين ارتضوا هذا الدور ومثله لواحد من أحلى الأقطار العربية) .

٣ - **إن صراع المصالح المختلطة** والرؤى غير المحددة والارتباطات الإنسانية والاجتهادات الفكرية واختلاف النفوس والأعصاب والأمزجة - أحدثت اهتزازات ظهرت آثارها حتى انعكست على مؤسسات الدولة المصرية ذاتها .

٤ - ولقد ضاعف من مشاكل هذا كله أن الذين لم يجدوا لأنفسهم مكانا فى الجهاز التنفيذى - وهو الركن الأساسى للنفوذ فى مصر كما فى كل بلدان

العالم الثالث - وجدوا أن المكان المفتوح لهم هو التنظيم السياسى ، وذهبوا إليه مزودين بالعدة التى تصوروا أنها لازمة هناك . وكانت العدة أفكارا نصف مقروءة ونصف مهضومة ونصف قادرة على التعبير عن نفسها بوضوح . والحاصل أن عددا من أقطاب الاتحاد الاشتراكى راح كل منهم يبحث لنفسه عن « ملقن » عقائدى تكون ألفاظه وعباراته أكثر ثورية !

٥ - ولقد تزامن مع هذا ظهور شكل جديد من أشكال الطبقة الجديدة ، وكانت فى معظمها مكونة من بعض ضباط الجيش السابقين الذين تركوا الخدمة العسكرية والتحقوا بوظائف مدنية أو اتخذوا صفة رجال الأعمال ، وكان معظمهم على اتصال بوكلاء مشايخ البترول وأعوانهم ، كما أنهم ألحقوا أنفسهم على نحو أو آخر بعناصر من بقايا الطبقة القديمة .

وكان ظهور هذه الطبقة الجديدة داعيا إلى القلق ، فلم يكن ظهورها علامة خطر اجتماعى فقط ، وإنما كان أيضا علامة خطر سياسى ، فهؤلاء كانوا بمصالحهم الطارئة أقرب إلى قوى الثورة المضادة منهم إلى الثورة التى تمسحوا بنفوذها لكى يحتلوا ما احتلوه من مراكز .

٦ - إن ضغوط الثورة على نظم النفط كانت قد تزايدت بعد السويس وبعد حرب اليمن ، ووجدت هذه النظم أنه أصبح من المتعين عليها أن تتوسع فى استعمال عوائد النفط بأكثر من الحدود العائلية . وأدى ذلك إلى خلق قطاعات عريضة مستفيدة من عوائد النفط على اتساع العالم العربى كله ، وتجلى ذلك فى قطاعات معينة (كالمقاولين وجماعات من المهنيين وغيرهم وغيرهم ..) ونتيجة لذلك فقد حدثت عملية انتقال للولاءات من صف الثورة إلى صف الثروة ، وكان ذلك بالطبع خصما على الحساب من أرصدة النظم الثورية فى ظروف زاد فيها الخلط بين الثورة والانقلاب .

٧ - إضافة إلى ذلك فقد كانت هناك بعض أعراض ما يسمى بـ « تعب المعادن » «Metal Fatigue» ؛ فالنظام الثورى المصرى كان قد قضى فى الحكم خمس عشرة سنة ، وكانت الآمال والطموحات والأحلام قد ألقت عليه أعباء ثقيلة فى مجالات التنمية نهض بمسؤولياتها على نحو استحق تقدير العالم حتى أن البنك الدولى (فى تقريره الصادر يوم ٥ يناير ١٩٨٠) اعتبر تجربة التنمية المصرية نموذجا يشار إليه فى العالم الثالث ، لأنه ما بين ١٩٥٧ إلى ١٩٦٧ حقق نسبة فى النمو متوسطها ٦,٧٪ بدون اعتماد على مساعدات خارجية .

وكان فى مجال التحول الاجتماعى قد تمكن من تغيير الخريطة الطبقية لمصر سواء فى إعادة التوزيع أو تكافؤ الفرص الذى عبرت عنه مجانية التعليم حتى المرحلة الجامعية ، مع ملاحظة أن التعليم فى البلدان النامية هو أكبر وسائل الصعود الاجتماعى . ومن ناحية أخرى فإن النظام الثورى فى مصر أصبح قاعدة الأمة العربية وقلعتها ـ وعلى مستوى هذا العالم مركزا نشيطا من مراكز المطالبة بنظام عالمى جديد .

ولم يكن تحقيق هذا كله بلا تكلفة ! ـ وكان أبرز البنود فى حساب التكاليف أن الثورة المصرية اكتشفت أن خطوطها طالت ، وكانت المشكلة التى تواجه كل الثورات أن طريق الثورة أشبه ما يكون بـ « السلالم » ـ إما أن تواصل صعود الدرجات واحدة بعد الثانية ـ وإما أن تستدير وتبدأ فى النزول درجة بعد درجة .

□

وفى بداية سنة ١٩٦٧ ـ ورغم كل شىء ـ كانت الثورة المصرية تواصل الصعود على درجات السلم ، وإن بدا أثر الجهد على الخطى .

وكان هناك اختلاف اجتهادات على قمة السلطة حول هذه النقطة بالذات : **مواصلة الصعود وبأى سرعة ، أو التوقف على بعض درجات السلم ، أو نزول بعضها لالتقاط الأنفاس .**

كانت وزارة السيد « على صبرى » (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) قد أشرفت بنجاح يستحق التقدير على تنفيذ خطة التنمية الأولى ، وكانت عملية التصنيع التى أدارها الدكتور « عزيزصدقى » ، وبناء السد العالى الذى أدار عمليته المهندس « صدقى سليمان » ـ هما أبرز ملامح هذه الخطة ـ ولكن هذا الاندفاع إلى التنمية أحدث بالطبع آثاره التضخمية .

ورأى « جمال عبد الناصر » أن هذا الاندفاع يحتاج إلى جهد فى التدعيم ليسد الثغرات التى تركها وراءه ـ وهكذا كلف السيد « زكريا محيى الدين » بتشكيل وزارة جديدة فى سبتمبر ١٩٦٥ .

وتبدى اختلاف الاجتهادات بعد الشهر الأول من وزارة « زكريا محيى الدين » ، وكانت تلك ظاهرة صحية فى مطلق الأحوال .

سامى شرف صلاح نصر على صبرى

كان « جمال عبد الناصر » يرى أن عملية سد الثغرات تقتضى وقفة على درجة السلم التى وصل إليها الصعود ، ولكنها لا تقتضى خطوة واحدة فى اتجاه النزول . وكان هناك اجتهاد آخر من الوزارة أبداه رئيس الوزراء الجديد بمشورة كبار الفنيين فى وزارته وعلى رأسهم الدكتور « عبد المنعم القيسونى » ، وهو نائب رئيس الوزراء فى الوزارة الجديدة كما كان فى وزارة السيد « على صبرى » - ومؤدى هذا الرأى أن الظروف تقتضى بعض الانكماش ، وكانت تلك أيضا نصيحة من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى .

واحتدمت مناقشات موضوعية كان ملخص رأى « جمال عبد الناصر » فيها « **إننا نأخذ بتجربة اشتراكية ، وقد نواجه بعض المشاكل ، ولكننا لا نستطيع إزاء هذه المشاكل أن نجىء بقمة الرأسمالية العالمية ممثلة فى صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ونطلب منهما المشورة فى حل مشاكل تجربة نمو اشتراكى** » .

وكان قوله بعد ذلك :

« **إننى أسلم أن الاقتصاد فى الفترة السابقة كان « زائد السخونة » «overheated» بسبب الإسراع فى عمليات التنفيذ ، ونحن الآن نحتاج إلى عملية تدعيم للخطوط قد تفرض علينا إعادة النظر فى بعض مشروعات الخطة الجديدة ، ولكن هناك أشياء لا تقبل إعادة النظر فى رأيى وأهمها استصلاح واستزراع الأراضى الجديدة لكى تستعمل مياه السد العالى وإلاَّ تحول هذا السد إلى هرم جديد وليس أكثر ! ثم إننا لابد أن نركز على الصناعات الثقيلة مثل صناعة الآلات التى تصنع الآلات وإلاَّ زاد علينا عبء الاستيراد ، فضلا عن إهدار امكانيات وموارد يمكن استغلالها .**

وأنا على استعداد لأن أقبل مضاعفة الدخل فى اثنتى عشرة سنة بدلا من عشر سنوات . وأستطيع أيضا أن أقبل إعطاء سنة من السلطة المطلقة للمنفذين فى كل المجالات . وأستطيع كذلك أن أقبل وجهة نظر الدكتور القيسونى عن وجود ظواهر تضخمية (بنسبة ٨٪ سنة ١٩٦٦) لابد من امتصاصها ، ولكن امتصاصها لا يمكن أن يتم كله فى عام واحد لأنه سوف يجعل الحياة مستحيلة على الناس » .

وقال « جمال عبد الناصر » موجها حديثه للدكتور « عبدالمنعم القيسونى » :

« إننى ألاحظ أن الدكتور لبيب شقير (وزير التخطيط) يأخذ اتجاها متطرفا فى القبول بالتضخم ما دام ظهوره نتيجة لأعباء التنمية والانتاج وليس نتيجة إسراف أو استهلاك . ثم أجدك بدورك تتخذ موقفا متطرفا على الناحية الأخرى ، وأنا أخشى من المواقف المتطرفة مهما كان اتجاهها لأنه بهذه الطريقة يمكن أن تضيع الحقيقة » .

وفى المحصلة النهائية كان تقدير « جمال عبد الناصر » : « **نقف ، نعم ، ولكن لا ننزل على السلم درجة** » .وفى المقابل كان رأى « زكريا محيى الدين » أنه « **حتى لو اضطررنا للنزول درجة أو درجتين ، فإن هذا النزول مجرد استعداد لمعاودة الصعود**[1] .

□

وكانت بعض القضايا المحددة من عملية مواصلة الصعود ، أو التوقف المؤقت ، أو النزول درجة أو درجتين . تناقش فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، وتشابكت مع الخطوط أصوات متعارضة ورؤى شخصية للقضايا وللناس وصلت إلى حد تبادل التهم . وعلى سبيل المثال فقد كتب السيد « على صبرى » . وهو يومها الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى . خطابا بخط يده إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص مايلى :[2] .

---

(١) مذكرة عن محضر اجتماع حضره رئيس الوزراء ونوابه وعدد من الوزراء فى بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ٢٨ يناير ١٩٦٦ .

(٢) صورة من الخطاب بخط يد السيد « على صبرى » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٢) صفحة ٩٩٧ ، وقد تلقيت هذه الصورة من مكتب الرئيس وكان لى رأى مخالف ليس هذا موضعه .

« الاتحاد الاشتراكى العربى

الأمين العام

السيد الرئيس

بمناسبة اجتماع اللجنة التنفيذية العليا مساء اليوم أرجو إثارة الموضوعات الآتية :

١ - موضوع الاتفاق الأخير الذى وقع بالأحرف الأولى فى ايطاليا والخاص بتسوية التزاماتنا قبل شركة « ايتال كونسالت » على أساس سعر الصرف الجديد للجنيه المصرى . هذا المطلب الذى رفضته منذ سنتين لأنه غير مطابق للعقد ولم تستطع الشركة معارضة هذا الرفض . بل إن الشركة كانت ، ولازالت تسعى إلى المزيد من النشاط فى استصلاح أراضى جديدة على مياه السد العالى بما يدل على أنها ليست خاسرة فى الصفقة (عبد المحسن أبو النور يعلم التفاصيل) إلاّ أن القرار اتخذ بواسطة القيسونى مع حامد السايح الذى رأس الوفد وهذا ليس من سلطته . مع شكى الكبير فى (وصف) السايح و (وصف آخر) فإن العملية مريبة لأن هناك قرار سابق من مجلس الوزراء برفض مثل هذا الاتفاق .

٢ - موضوع تسوية متطلبات شركة « أينى » الايطالية للبترول والذى رفضه مصطفى خليل ، ولازال القيسونى يضغط عليه لقبوله . مماثل للموضوع السابق وفيه خسارة كبيرة .

٣ - موضوع تعويض شركة شل - والذى أعد له القيسونى - اتفاق ملتوى يسمح باستخدام رسوم المرور فى القناة لتسوية التعويض . وقد أعد المشروع بحيث يحقق غرض شركة شل مع تغطيته مظهريا بطريقة دفترية لا تمثل الواقع .

وهذا الموضوع أعتبره فى منتهى الخطورة . لأن الغرب يريد بأى طريقة النفاذ إلى رسوم المرور واستخدامها ولو جزئيا فى هذه المرحلة لتسديد التزاماتنا بطريقة المقاصة . إن رسوم المرور وهى تدفع فوريا لنا وبالعملة الصعبة تعتبر قاعدة هامة لحصيلة النقد الأجنبى المضمون المنتظم ولا يجوز أن نفرط فى مليم واحد . فالموضوع ليس موضوع قيمة مبلغ التعويض أو تحصيله من الزيادة فى المرور كما يصوره القيسونى ، بل هو

موضوع مبدأ . هل نقبل أن ندفع التزاماتنا بطريقة المقاصة المباشرة من رسوم المرور ؟ وهل نقبل أن يسمح ولو جزئيا لأى شركة أو دولة أجنبية بدفع الرسوم بالجنيه المصرى ؟

إذا استمرينا فى خلافنا مع شركة شل بشأن التعويض فهذا من مصلحتنا ، إنهم هم المتلهفين على التعويض وليس نحن .

٤ ـ موضوع تعديل اتفاق البترول مع شركة « بان أمريكان » والذى يرفضه مصطفى خليل ويعرفه بالتفصيل ، ولازال أيضا القيسونى يضغط عليه حتى يقبل التعديلات .

الفكرة من إثارة هذه الموضوعات :

١ ـ ألاّ يشعر القيسونى أنه يستطيع أن يساوم الأجانب على حساب المصلحة الوطنية ، ولابد له قبل أن يتصرف من الرجوع لكم فى هذه الأمور . فإنها تمس مشاكل تطبيق سياسة بل هى مسائل تمس المبادىء الأساسية للدولة .

٢ ـ تشجيع العناصر التى تريد أن تعارض مثل هذه الإجراءات ولكنها تخشى المعارضة شعورا منها بأن هذه السياسة موافق عليها .

مع فائق احتراماتى .

إمضاء

على صبرى »

□

ولم يكن خطاب السيد « على صبرى » تعبيرا وحيدا عن الخلافات التى دارت حول منهاج عمل وزارة السيد « زكريا محيى الدين » . وتوضح مجموعة من التقارير التى قدمت إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » فى هذه الفترة أن أجواء السلطة عند القمة **كانت مشحونة بتوترات لا ترجع إلى اختلاف الرؤى الاجتماعية** ولا تتصل فقط بإشكالية صعود درجات السلم أو الوقوف أو النزول ـ وإنما هى إلى جانب ذلك كله موصولة باعتبارات أخرى مما تصنعه الطبائع البشرية .

● تلقى الرئيس « جمال عبد الناصر » ـ مثلا ـ تقريرا عن ارتفاع سعر كيلو اللبن من ستة إلى ثمانية قروش ، وكان التقرير مصحوبا بتحقيق عن صدى هذا الارتفاع لدى الرأى العام . وكان الذين كتبوا هذا التقرير يؤدون واجبهم بالطبع

فى إخطاره بما يجرى ، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يعرفون حساسيته الشديدة إزاء أى رفع فى الأسعار يمكن أن يؤثر على مستوى معيشة الجماهير الواسعة التى يفترض أن الثورة تمثل مصالحهم[٣] .

● وتلقى الرئيس « جمال عبد الناصر » تقريرا آخر عن أسلوب العمل داخل مجلس الوزراء جاء فيه بالنص : « إن الدكتور مصطفى خليل والدكتور عزت سلامة والسيد عبد المحسن أبو النور فى حالة ضيق من أسلوب العمل فى مجلس الوزراء ومن طريقة المعاملة . وأكثرهم ضيقا الدكتور عزت سلامة حيث حدث حديث تليفونى بينه وبين السيد رئيس الوزراء وكانت المحادثة عنيفة . إن طريقة العمل تتسم بالمكتبية والورق المتبادل ، وليس هناك صلات أو علاقات شخصية ، بل العملية تتم بالأمر فى أغلب الأحيان . كما بدأ البعض يلاحظ أن هناك أسماء معينة ممن يطلق عليهم رجال السيد زكريا - بدأت أسماؤهم فى الظهور وتولى المناصب . كما ظهرت حساسيات بين الجهاز التنفيذى والاتحاد الاشتراكى .

● وتلقى الرئيس « جمال عبد الناصر » تقريرا آخر عن مداولات مجلس الوزراء وكيف أن الاتجاه العام فيه « بعيد » جانح إلى اليمين ، وكيف أنه حدث أثناء المناقشات - وكان الموضوع هو سحب بعض المزايا - أن رئيس الوزراء قال : « **الفلاح عاش طول عمره بجلباب واحد ، وفى السنوات الأخيرة تعود أن يعيش بجلبابين - وليست هناك مشكلة أن يعود إلى الجلباب الواحد مرة أخرى لسنة أو سنتين بضرورات التنمية** » .

وكانت هذه مجرد نماذج تكرر منها الكثير . وفى لقاء من اللقاءات الدورية بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء أثارها « جمال عبد الناصر » وكان تركيزه شديدا فى موضوع الأسعار ، وفى موضوع العلاقة بين الجهاز التنفيذى والتنظيم السياسى ، وفى ضرورة انحياز النظام للفقراء لأن تلك شرعيته . وبدوره فإن رئيس الوزراء كانت لديه شكوى من التنظيم السياسى ، فإن عددا من ضباط الشرطة أبلغوا وزير الداخلية الذى أبلغ بدوره رئيس الوزراء - أن هناك اتصالات تجرى ببعضهم لإقناعهم بالانضمام إلى التنظيم الطليعى فى الاتحاد الاشتراكى العربى . وفى حضور رئيس الوزراء كتب « جمال عبد الناصر »

---

(٣) تقرير من سكرتارية الرئيس للمعلومات إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط السيد « سامى شرف » .

تعليمات بخط يده بوقف أى محاولات لضم ضابط من الشرطة إلى التنظيم السياسى . وكان تعليقه « إنه من الغباء أن يحاول التنظيم السياسى إجراء اتصالات سرية مع بعض ضباط من الشرطة لضمهم إلى التنظيم الطليعى ، فمهمة الشرطة أن تكشف عن كل خبىء وأن ترفعه لرئاساتها ، فإذا طلب إليها أن تقوم بنشاط تخفيه عن هذه الرئاسات فهذا إفساد لجهاز الأمن دون أن تكون وراءه فائدة للعمل السياسى »(٤) .

وفى الوقت الذى كان فيه الاتحاد الاشتراكى داخلا فى مشكلة أو مشاكل مع الجهاز التنفيذى ، فإن العلاقات بين قيادته وبين المشير « عبد الحكيم عامر » شهدت تأزما مفاجئا فى الأسبوع الثانى من شهر فبراير ١٩٦٧ . وفى يوم ٢٠ فبراير قرأ « جمال عبد الناصر » تقريرا كان بمثابة صدمة بالنسبة له . كان التقرير من إدارة المباحث العامة وكان يتحدث عن إشاعات تجرى فى الأوساط الفنية عن زواج المشير « عبد الحكيم عامر » بالممثلة السيدة « برلنتى عبد الحميد » زواجا عرفيا ، وأن هذا الخبر تأكد بحقيقة أن السيدة « برلنتى عبد الحميد » تنتظر مولودا نتيجة لهذا الزواج . وطلب « جمال عبد الناصر » مزيدا من التفاصيل ، واتصل بنفسه بوزير الداخلية يطلب أن تصله معلومات وافيه فى هذا الموضوع على الفور ، وأن تراعى أقصى درجات الحيطة والحذر فى تقصى المعلومات حتى لا تحدث إساءة لا لزوم لها لأى من الأطراف قبل الوثوق من الحقيقة .

وتأكد الخبر . ورأى « جمال عبد الناصر » أن ينتظر أياما قبل أن يفاتح « عبد الحكيم عامر » فى هذا الموضوع حتى لا تملكه انفعالات الغضب وتصعب المناقشة الجادة فى تصرف يصعب السكوت عليه . والواقع أن هذه الحادثة التى بدت لـ« جمال عبد الناصر » نوعا من الانحراف الخطير ، استدعت إلى ذاكرته مشكلة حدثت قبل سنة بالضبط ـ مارس

---

(٤) انتهى الجدل بين الجهاز التنفيذى والتنظيم السياسى إلى تغيير وزارة السيد « زكريا محيى الدين » بوزارة يرأسها المهندس « صدقى سليمان » ، وحدث ذلك فى شهر أكتوبر ١٩٦٦ .

١٩٦٦ ـ حين عرف أن بعض العاملين فى مكتب المشير من الضباط وغيرهم يجيئون ببضائع (ثلاجات وأجهزة تكييف وتليفزيونات) من عدن عن طريق اليمن ويبيعونها فى السوق السوداء فى القاهرة . ووقتها أثار « جمال عبد الناصر » هذا الموضوع مع « عبد الحكيم عامر » قائلا له « **إنه لا يريد أن يدخل فى هذه القضية بسلطته أو بسلطة الحكومة حتى لا يحرج المشير ، ولهذا فهو يطلب منه شخصيا تصفية هذه الانحرافات ومعاقبة المسؤولين عنها** فورا ـ ثم قال « جمال عبد الناصر » لـ « عبد الحكيم عامر » بالحرف : « **إننى أريد أن تأمر بنفسك بالتحقيق فى هذه الموضوعات ، ولا أريدك أن تتصرف بمنطق « الصعيدى » الذى يتصور أنه مكلف بحماية رجاله فهذا منطق مشايخ غفر لايليق بك » . وبالفعل جرى التحقيق وتم حساب الذين ثبتت مسؤوليتهم فيه ، ولكن « جمال عبد الناصر » ظل على اقتناعه بأن أشياء كثيرة تجرى « من تحت ذقن حكيم » . والآن فإن أمامه ماهو أخطر**[٥] .

وكان شعور « جمال عبد الناصر » لأول وهلة أن « عبد الحكيم عامر » يجب أن يبتعد عن منصبه ، وما دام قد اختار أن يغلب ضعفه الإنسانى على شعوره بالواجب فإن الأمور أصبحت تقتضى حسما . وقام « جمال عبد الناصر » باستدعاء « عبد الحكيم عامر » لمقابلته يوم أول مارس ١٩٦٧ . وكانت مشاعره مختلطة بين الأسى والغضب فقد كان « عبد الحكيم عامر » من أقرب الناس إليه منذ كانا فى عز الشباب ضابطين بالقوات المسلحة ، ثم خدما معا فى السودان قرابة عامين . ثم كان « عبد الحكيم عامر » ساعده الأيمن فى تنظيم الضباط الأحرار ، وكان هو الذى يتولى الإشراف على شؤون التنظيم بما فيها الاتصال مع الضباط الذين انضموا إلى صفوفه ، وكان « عبد الحكيم عامر » بطبيعته إنسانا ودودا قادرا على كسب ثقة زملائه والاحتفاظ بودهم . وليلة الثورة كان « عبد الحكيم عامر » بجانبه طوال الوقت . وفيما بعد ولصلته بتنظيم الضباط الأحرار ، ولمعرفته الواسعة بهم وبغيرهم من المتعاطفين مع الثورة أو الذين ساعدوا على قيامها وعلى استقرارها ـ رقى إلى رتبة اللواء وأصبح قائدا عاماً للقوات المسلحة (وقد ساعده فى هذه المهمة وتولى وزارة الحربية بعده السيد « شمس بدران ») .

---

(٥) كان « جمال عبد الناصر » ينظر إلى السلوك الشخصى لأى إنسان بمعيار شديد التزمت ، وكان قد فرض على نفسه هذه المعايير المتزمتة ، ومن ثم فقد توقع أن يلتزم بها كل الناس . وأتذكر مرة أنه لم يصدق حين قرأ أن « الرئيس الامريكى جون كنيدى وشقيقه وزير العدل روبرت كنيدى كانا على علاقة ـ فى نفس الوقت ـ مع مارلين مونرو ممثلة الإغراء الشهيرة فى هوليوود . وأن مارلين مونرو واجهت نهايتها بحادث بدا أنه انتحار بالعقاقير فى ظروف مشكوك فيها توحى جميعا بجريمة قتل لم تكن تدبيراتها بعيدة عن ظل بعض أجهزة الأمن ! »

ومع أن « عبد الحكيم عامر » لم يكن فى أحسن أحواله أثناء معركة سنة ١٩٥٦ ، إلاّ أن ظروف العدوان الثلاثى كانت تغلب أى قائد على أعصابه . ثم إن تجربته فى سوريا لم تكن تجربة ناجحة . وبرغم ذلك فإن « جمال عبد الناصر » كان دائما على استعداد لأن يعطى لـ « عبد الحكيم عامر » فرصة أخرى ، وكان « عبد الحكيم عامر » من ناحيته يشعر بهذه الحقيقة ، ومن ثم فإنه أصبح فى بعض الأحيان حساسا بأكثر مما هو لازم .

وحين وصل « عبد الحكيم عامر » إلى مكتب « جمال عبد الناصر » فى بيته فى منشية البكرى ـ فإنه أحس على الفور بأن هناك شيئا غير عادى فى الجو ، وبدا من بعض تصرفاته أن لديه فكرة عن الموضوع الذى استدعى من أجله !

كان أسلوب « عبد الحكيم عامر » المعتاد عندما يوجه إليه أى تساؤل عن تصرف من تصرفاته أن يبدأ بإثارة زوابع صغيرة ويتخذ مظهر الغاضب المجروح المعتدى عليه ، وهكذا عندما سأله « جمال عبد الناصر » فى موضوع زواجه السرى ، بدأ غاضبا ومتألما وقائلا « إنه سئم من هذه الحملات الموجهة ضده والتى تثور من وقت لآخر ، وأنه لم يعد يطلب غير أن يبتعد ويستريح ، وأنه يفضل أن يعود إلى قريته فى « أسطال » بالمنيا ويعيش هناك فلاحا عاديا « يزرع ويقلع » ولا يكون نائبا لرئيس الجمهورية أو نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة » .وانتظره « جمال عبد الناصر » حتى أفرغ ما لديه ، ثم كان تعليقه أن كل ما سمعه من المشير خارج الموضوع ، وأن سؤاله كان سؤالا محددا وليست هناك جدوى من تجنب الرد عليه مباشرة . وهكذا هبط « عبد الحكيم عامر » فورا من الغضب أو التظاهر به دفاعا عن النفس ، واعترف بعلاقته مع السيدة « برلنتى عبد الحميد » ، ولم يجد ما يبرر به تصرفه سوى أنه وجد أخيرا إنسانة تستطيع أن تفهمه . وكانت الدموع تلوح فى عينيه وهو يحاول أن يكتمها ، ثم لم يتمالك نفسه وراحت دموعه تجرى على خديه فى صمت . وسأله « جمال عبد الناصر » عن الظروف التى تعرف فيها عليها . وكان رد « عبد الحكيم عامر » أنه تعرف بها عن طريق « صلاح نصر » وحين حاول « جمال عبد الناصر » أن يسأله إذا لم يكن قد فكر فى الثورة وفى أسرته وفى أولاده وهو يسلم نفسه لعواطفه تتحكم فيه ، قال « عبد الحكيم عامر » إنه تعذب فى الشهور السابقة بما فيه الكفاية ، وأنه الآن على استعداد لأن يقبل ما يراه الرئيس بما فى ذلك أن يترك موقعه . وكان رأى « جمال عبد الناصر »أنه مع الأسف الشديد لا يجد سبيلا آخر . وساد صمت فى المكتب لعدة دقائق وكلا الرجلين لا يعرف ما هى الخطوة التالية . وقطع « عبد الحكيم عامر » الصمت وقال إنه يقبل

أى قرار يراه الرئيس ولكنه يريد أن يقول شيئا ولو حتى لمجرد تسجيل الحقائق ، فهو يعترف بأنه أخطأ ، ولكنه يعرف أن الاتحاد الاشتراكى هو الذى كان وراء عملية التشهير به ، وأنه واثق أن هناك منشورات طبعت فى مقر هذا الاتحاد ، ثم إنها وزعت بعد ذلك على نطاق واسع بقصد الإساءة إليه .

كان « جمال عبد الناصر » يصغى لـ « عبد الحكيم عامر » وهو يفكر فى الخطوة التالية . واستقر رأيه على أن الأمر يقتضى مواجهة تتم على مراحل حرصا على اعتبارات كثيرة ، وقال لـ « عبد الحكيم عامر » إنه يرى أن عليه الآن أن يقوم بأجازة طويلة يبتعد فيها عن الضوء العام . وقال « عبد الحكيم عامر » إنه يستطيع أن يفهم حكمة هذا القرار ، ولكنه يسأل ما إذا كان من المستحسن أن يقضى فترة الابتعاد هذه خارج مصر ؟ ورد عليه « جمال عبد الناصر » بأنه لا يمانع فهو يقدر أن الأيام القادمة سوف تكون صعبة على « عبد الحكيم عامر » من زاوية شخصية ومن زاوية عامة . واقترح « جمال عبد الناصر » أن يسافر « عبد الحكيم عامر » إلى يوغوسلافيا ، وأن يقضى هناك شهرا يكون فيه « جمال عبد الناصر » قد اتخذ قراره بشأن الخطوة التالية . وحاول « عبد الحكيم » أن يناقش فكرة أن يكون سفره إلى يوغوسلافيا ، وكان رد « جمال عبد الناصر » أن هذه نقطة فرعية ، والمهم هو أن يبتعد « عبد الحكيم عامر » شهرا على الأقل .

وطالت الجلسة بين الاثنين بعد ذلك ، وشهدت لحظات انفعال إنسانى مؤثر . وعلى أى حال فإن النتيجة لم تتغير . وفور خروج « عبد الحكيم عامر » طلب « جمال عبد الناصر » من مكتبه إعداد قرار بسفر « عبد الحكيم » . وبالفعل أعد القرار وكان نصه على النحو التالى :

« قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم لسنة ١٩٦٧

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور ، وعلى قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم ٣١٨٣ لسنة ١٩٦٦ ـ قرر

□ المادة الأولى : ووفق على سفر السيد المشير عبد الحكيم عامر للعلاج فى الخارج على أن يرافق سيادته كل من الدكتور أحمد عفت عبد الوهاب والسيد محمد محمد أبو نار ، وعلى أن تتحمل الحكومة جميع نفقات العلاج ومصاريف الإقامة والسفر لسيادته ولجميع المرافقين ، خصما على

الاعتماد المدرج لميزانية وزارة الخزانة لعلاج المواطنين .

□ المادة الثانية : على وزير الخزانة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية فى مارس ١٩٦٧» .

□

كانت مشاعر « جمال عبد الناصر » موزعة فى اتجاهات شتى ، فقد كانت هناك أولا صداقته الطويلة لـ « عبد الحكيم عامر » والدور الذى قام به فى تنظيم الضباط الأحرار ثم خلال خمسة عشر عاما من الثورة ، مع التسليم بأنه فشل فى عدد من المسؤوليات التى كلف بها ـ لكنه من ناحية أخرى كانت هناك اعتبارات عملية هى التى دعت « جمال عبد الناصر » إلى القرار بحل المشكلة على مراحل بدءا بالسفر لمدة شهر ابتعادا عن الضوء العام ، ثم النظر فى الخطوة التالية .

وكانت الاعتبارات العملية التى تدور فى فكر « جمال عبد الناصر » كما يلى :[٦] .

١ ـ إن إخراج « عبد الحكيم عامر » لابد أن تستتبعه تغييرات واسعة فى القيادة العليا للقوات المسلحة . ومثل هذه التغييرات آن أوانها منذ وقت طويل ـ لكن السؤال الذى لابد أن يطرح الآن هو : « ما هو تأثير تغيير القيادات بالجملة فى هذا الوقت على القوات الموجودة فى اليمن ؟ » وكانت المعارك قد تجددت بعد الفشل الكامل لاتفاقية جدة .

٢ ـ إن « جمال عبد الناصر » كان قد كلف القوات المسلحة بأن تتولى مواجهة بعض القضايا فى الجبهة الداخلية وذلك عن قصد مقصود . وكانت أهم هذه القضايا : التحقيق مع تنظيمات الإخوان المسلمين ونشاط لجنة تصفية الإقطاع . وكان الهدف من تكليف القوات المسلحة بهذه المهام هو أن تعرف كل العناصر المضادة للثورة أن القوات المسلحة موجودة بالقرب من أمن الوطن ومن المكاسب الاجتماعية لجموع شعبه . وكانت تجربة الانفصال فى سوريا وما تلاها فى المنطقة العربية قد زينت لبعض القوى فى المنطقة وخارجها أن القوات المسلحة فى العالم العربى كله تميل فى اتجاه المحافظة والرجعية .

---

(٦) مجموعة أوراق محمد حسنين هيكل عن لقاء مع الرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ٧ مارس ١٩٦٧ .

٣ - ثم كانت هناك إلى جانب ذلك مشكلة بالغة الدقة ، فقد حدث قبل شهور أن « عبد الحكيم عامر » قدم تقريرا إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يفيد بأن الضباط المصريين الذين يدرسون فى المعاهد العسكرية العليا فى الاتحاد السوفيتى يتعرضون لضغوط عقائدية . وقال « عبد الحكيم عامر » فى تقريره لـ « جمال عبد الناصر » إن البرامج التى تعد لهؤلاء الضباط قد جرى تغييرها فى الفترة الأخيرة بحيث أدخل عليها علم الاجتماع باتجاه واضح يتجه إلى تأكيد « أن التحول إلى الشيوعية هو ضرورة حتمية للمجتمعات الساعية للتقدم » . كما أن منهج علم الاجتماع الذى يدرس لهؤلاء الضباط يحتوى على مقررات عن اللينينية - الماركسية .وعلى أثر هذا التقرير فقد بعث الرئيس « جمال عبد الناصر » بتعليمات مباشرة منه إلى الدكتور « مراد غالب » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى موسكو يطلب منه أن يثير هذا الموضوع بحزم لا تردد فيه مع الماريشال « جريتشكو » ، وأن عليه أن يصل فى الأمر إلى نهايته ، فإذا ظلت المناهج كما هى فإن الجمهورية العربية المتحدة سوف تجد نفسها مضطرة إلى سحب جميع بعثاتها العسكرية من موسكو . ثم قام « جمال عبد الناصر » بإثارة نفس الموضوع بنفسه مع السفير السوفيتى قائلا « إنه يدرك أن هذا الأمر من اختصاص وزارة الدفاع ، وأنه كلف مراد غالب بإثارته مع الماريشال جريتشكو ، لكنه مع ذلك رأى أن تكون القيادة فى الكرملين على علم باتجاهات فكره حتى لاتحدث مضاعفات لا لزوم لها » .

ورد الدكتور « مراد غالب » بأنه أثار الموضوع على أعلى المستويات فى موسكو ، وقد قيل له « إن الضباط المصريين يدرسون كل العلوم جنبا إلى جنب مع الضباط السوفيت ، فإذا كانت رغبة القاهرة هى كما شرحها ، فمعنى ذلك أنه إما أن يوضع برنامج خاص بالضباط المصريين ، وإما أن يتغيبوا عن بعض الدروس » .وفى تقرير الدكتور « مراد غالب » وردت عبارة منسوبة إلى نائب وزير الدفاع السوفيتى قال فيها : « إن هذه الحساسية المفرطة لا تفسير لها إلاّ أن الضباط المصريين « بورجوازيون » » . وكان القرار الذى استقر عليه « جمال عبد الناصر » فى النهاية هو أن الضباط المصريين الدارسين فى موسكو عليهم أن يتغيبوا عن حضور محاضرات منهج اللينينية - الماركسية . وكانت القضية لاتزال موضع أخذ ورد بين القاهرة وموسكو .

وكان إحساس « جمال عبد الناصر » بشكل مبهم هو أن إقصاء « عبد الحكيم عامر » مرة واحدة فى هذه الظروف قد يفسر خطأ فى موسكو ، وربما فى القاهرة . ولقد شعر

« جمال عبد الناصر » أن إحساسه كان سليما عندما قرأ تقريرا بعث به الدكتور « مراد غالب » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى موسكو عن خلاصة حديث دار بينه وبين « سيميونوف » وكيل وزارة الخارجية ، **وقال « مراد غالب » إن « سيميونوف » أبدى اهتماما ظاهرا بالأوضاع فى الجيش ، وتساءل عن احتمال وجود عناصر يمينية ورجعية وإخوانية (من الإخوان المسلمين) فى صفوفه ، وعن مدى ما وصل إليه الاتحاد الاشتراكى من قوة وهل يستطيع أن يصمد ضد أى ثورة مضادة ؟ وكان سؤاله الأخير عما إذا كان هناك « تنظيم حزبى داخل الجيش » ؟ ورد عليه « مراد غالب » بأنه لن يكتب هذا الكلام للقاهرة ، فلو كتبه فإن البعض قد يساورهم شك فى أن الدروس العقائدية للضباط المصريين كانت أمرا مقصودا ، وهو يعرف - و « سيميونوف » كذلك - أن القاهرة شديدة الحساسية تجاه مثل هذه المسائل .**

□

وفى هذا الوقت حدثت واقعة غريبة ألقت بظلها على حسم موضوع « عبد الحكيم عامر » فى هذه الظروف .

كان الاتحاد الاشتراكى قد أقام معسكرا كبيرا للشباب فى « أبو قير » . وكان المفروض أن يخصص هذا المعسكر لمحاضرات ومناقشات فكرية . وإذا هذا المعسكر يخصص وقته لمناقشة إشكالية مختلفة وهى « **كيف يستطيع التنظيم السياسى أن يقاوم احتمال انقلاب عسكرى تقوم به القوات المسلحة ؟**»

كان المشروع نظريا ، وكان أصحاب الفكرة فيه والقائمون عليه يضعون فى أذهانهم ما حدث فى الجزائر وفى اندونيسيا وفى غانا وفى غيرها من بلدان العالم الثالث التى تعرضت لانقلابات عسكرية .وكانت الظروف مختلفة أشد الاختلاف فى مصر ، لكن « **أمراض الطفولة اليسارية** » - على حد تعبير « لينين » - كانت تدفع بعض الناس إلى التفكير فيما لايجوز التفكير فيه ، وأسوأ من ذلك أن يكون توقيت التصرفات متوافقا مع ظروف لا تستطيع احتمال أعراض « أمراض الطفولة اليسارية » مهما بلغ من حسن نواياها .

وكتبت المخابرات العسكرية تقريرا عما جرى فى معسكر« أبوقير» رفعته إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذى قام بإرساله إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بغير تعليق . وكانت دهشة « جمال عبد الناصر » بالغة وهو يقرأ التقرير ، وقد وجد أن الموضوع شديد الحساسية وطلب التحقيق سياسيا فى وقائعه . وسئل السيد « على صبرى » رسميا فى

الموضوع بوصفه أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى . وكانت هناك قرائن ثابتة لا تحتاج إلى سؤال أو جواب ، فقد كانت بعض أوراق مشروع التدريب « على مواجهة انقلاب تقوم به القوات المسلحة » - مكتوبة بالآلة الكاتبة . وكان رد السيد « على صبرى » أنه « لم يكن يعرف تفاصيل الموضوع » على هذا النحو ، وأن « بعض مساعديه أخطأوا دون شك » ، وأنه « يشعر بضيق إلى درجة أنه يفكر فى الاستقالة خصوصا وأنه يرى نفسه معرضا لحملات تستهدف إحراجه ، وكانت تستغل مقالات يكتبها فى جريدة الجمهورية عن التحول الاشتراكى ، والآن وقع فى يد هذه العناصر مشروع « أبو قير » . وكان مما لفت نظر « جمال عبد الناصر » فى التحقيق الذى تم مع السيد « على صبرى » عبارة قال فيها بالحرف « إن أحدا لايريد أن يصبح الاتحاد الاشتراكى قوة ثانية فى البلد ، وهناك ناس يريدون أن يظل الجيش هو القوة الوحيدة الموجودة . ومن الذى يستطيع أن يضمن لى الجيش وهل فكره اشتراكى ؟»

وكانت هذه الواقعة نقطة حائرة فى تفكير « جمال عبد الناصر » فى مسألة « عبد الحكيم عامر » فى ذلك الوقت ، وبعد إطالة التفكير اتجه رأيه إلى أنه حتى سفر « عبد الحكيم عامر » خارج مصر لمدة شهر على الأقل ينبغى إرجاؤه وإلاّ أسىء تفسير كل شىء ، وانفتح الطريق أمام بلبلة تسىء إلى معان كثيرة .

واتصل « جمال عبد الناصر » بـ « عبد الحكيم عامر » يطلب إليه أن يواصل عمله بطريقة عادية حتى تتم مراجعة الموقف بأكمله فى فرصة قريبة .

□

وكان مما لفت النظر فى ذلك الوقت أن السيد « صلاح نصر » - رئيس هيئة المخابرات العامة - الذى أحس بأن « جمال عبد الناصر » قد عرف أنه المسؤول عن تعريف « عبد الحكيم عامر » بالسيدة « برلنتى عبد الحميد » - راح يتصرف بعصبية . فقد طلب من السيد « سامى شرف » سكرتير الرئيس للمعلومات أن يمر عليه لأمر هام . وبالفعل زاره « سامى شرف » فى منزله ، وكتب تقريرا[٧] عن المقابلة قدمه للرئيس « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص ما يلى :

---

(٧) مذكرة بخط السيد « سامى شرف » فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٣) صفحة ٩٩٨ .

« طلبنى السيد صلاح نصر لمقابلته أمس فى منزله وعندما قابلته قال لى إنه « زعلان منى » . فلما استفسرت منه عن السبب قال « إنى مكلف بعض الصحفيين من أخبار اليوم وروز اليوسف بتتبع أخباره » . فنفيت له هذا الكلام بصفةقاطعة وقلت له إننى من ناحية المبدأ لا أتصل بصحفيين . وما الدافع لأن أتتبع أخباره ونحن علاقتنا منذ مدة وبناء على أوامر سيادة الرئيس سليمة وطيبة جدا ولا يشوبها شائبة . ثم أضفت أننى بصفة شخصية كلما زاد اتصالى به ازداد احترامى له وتقديرى له . وتناقشت معه فى مدى التعاون الملموس بيننا فى كل شئ . ثم ختمت ردى بأنى رغم هذا على أتم استعداد لمواجهتى بأى كلام منسوب إلىّ أو وقائع تثبت هذه الإشاعات أو نقل الكلام ومستعد للتحقيق . وقلت له إن هناك حملات ملحوظة الآن غرضها الإيقاع بيننا وبين بعض ، وبين كبار المسؤولين وبعضهم البعض ، وأنه يجب أن نفوت هذه الحملات على أصحابها .فذكر لى أنه كما تعاهدنا إذا كان هناك أى شئ يسمعه يمس العلاقة بينى وبينه سيبلغنى به لتكون الأمور واضحة . ثم بدا عليه بعد ذلك مباشرة انفعال غريب وبدت الدموع فى عينيه ، وقال إنه مخلص لسيادتكم وأنه لايريد شيئا ولا يطمع فى منصب ، وأنه فكر فى الاستقالة وأنه طلب مقابلة سيادتكم لذلك . وذكر كلام فى هذا المعنى مما يبدو منه أنه فى حالة عصبية متعبة ....»

[كان جهاز المخابرات العامة منذ أنشئ وحتى منتصف الستينات ـ أكفأ أجهزة المخابرات فى المنطقة ، وكان جهد السيد « صلاح نصر » فى إنشائه وإدارته لاينكر . ولكن طول البقاء فى المنصب ، مع ظروف السرية المطلوبة للجهاز والتى تؤدى إلى ظاهرة الانحراف التى تعرفها كل الأجهزة المماثلة ـ قادته إلى مواضع الزلل . وكان السيد « صلاح نصر » شخصية تتنازعها تناقضات داخلية . وأتذكر أننى رأيته فى الهند سنة ١٩٦٦ ، وكان ضمن أعضاء الوفد المصرى الذى سافر لاجتماع قمة الدول غير المنحازة فى نلهى . ولكن مهمته الحقيقية هناك كانت للتنسيق بين المخابرات الهندية والمخابرات المصرية . وحدث أثناء هذه الزيارة أن صحبه مدير المخابرات الهندى لزيارة مجموعة معابد « كاجور او » فى ولاية « ماديا برديش » وهى معابد مغلقة للزوار العاديين بسبب ما تحتويه من تماثيل الجنس الفاضح ـ وكان « الجنس » فى معابد « كاجور او » ضمن الطقوس الدينية التى تمهد للرهبنة ـ فترة نسيان للنفس فيه بغية الاكتفاء ـ تؤدى إلى الملل منه برغبة التطهر . ولكننى سمعت السيد « صلاح نصر » يتحدث عن زيارته لهذه المعابد بالتركيز على ما رآه فيها ، وليس بالفلسفة الكامنة وراءها بصرف النظر عن صحتها ! ـ ثم وجدت بعد ذلك ـ أثناء قراءتى لمحاضر التحقيق معه ومع غيره فى وقائع قضية انحراف المخابرات (سنة ١٩٦٧ و ١٩٦٨) ـ عبارة أن « الجنس وسيلة للسمو والتطهر » تتكرر منسوبة إلى السيد « صلاح نصر » ـ وأدركت أن ما رآه فى

معابد ، كاجور او ، كان أكبر مما يستطيع أن يفهمه وأن يحتمله ، وهذه مشكلة كثيرين تجيئهم السلطة دون أن تصحبها الموازين الثقافية التى تستطيع ترويض نزوع البشر إلى ما يتصورونه من متع الحياة !] .

كان السيد « صلاح نصر » قد عرف أن الرئيس « جمال عبد الناصر » يلقى عليه اللوم فى موضوع السيدة « برلنتى عبد الحميد » . وقد طلب مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » أكثر من مرة فى تلك الظروف ولم يتلق رداً على طلبه .

□

كان مجمل هذه الأحوال الداخلية يلح على « جمال عبد الناصر » ويشغل باله ، وكان تفكيره يتجه إلى المستقبل بمقدار ما أقلقته ظواهر الحاضر . وكان الرأى الذى انتهى إليه بعد ليال من التفكير الطويل هو أن الأزمة فى حقيقتها لم تعد أزمة أشخاص وإنما هى أزمة نظام(٨) . كان تحليله لسبب الأزمة أن القوى الاجتماعية والأفكار التى أطلقتها الثورة وحررتها قد أصبحت أكبر من النظام السياسى الذى أقامته الثورة . وإذا كان يمكن اعتبار هذه الحقيقة نجاحا لما أمكن تحقيقه ، فإنه من الخطر الوقوف عند هذا الحد وإلاّ وجد النظام السياسى للثورة نفسه عقبة فى طريق التطور الطبيعى للأمة أكثر منه دافعا لهذا التطور . وهكذا فإن النظام السياسى لا بد له أن يتغير . **وكان رأيه أن المستقبل يقتضى صيغة جديدة تماما ، وأن الحزب الواحد فى هذه الظروف وفى هذا العصر أصبح « لعبة خطرة » - قالها بالانجليزية** «A Very Dangerous Game» وأضاف « **إن الحزب الواحد بغير معارضة قد أثبت أن عيوبه أكثر من أى شىء آخر ، وبالتالى لابد أن تكون هناك معارضة ، والمعضلة التى تواجهنا هى كيف يمكن أن تكون هناك معارضة لاتعود بالبلد إلى الوراء وتعيد عهد الخضوع للاستعمار وعهد الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم** » . وكان يتابع باهتمام محاكمات تجرى فى بلجراد لوزير الداخلية السابق « رانكوفيتش » الذى تحول إلى مركز قوة ألحق بالنظام اليوغوسلافى أضرارا فادحة فيما تورط فيه من فساد وانحراف . كانت الخواطر تلح على ذهنه بضرورات التغيير ، ولم يكن قد توصل بعد إلى صيغة كاملة ، وإن كانت بعض الخطوط العامة قد فرضت نفسها عليه وأهمها طبقا لكلامه بالحرف :

« • **إن النظام على النحو القائم الآن يترك مصير البلد لرجل واحد ، وهذه مخاطرة بالمستقبل .**

---

(٨) مجموعة أوراق محمد حسنين هيكل - حديث مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢٠ أبريل ١٩٦٧ .

« ● إن هذا الوضع يمكن أن يدفع بالجماهير إلى السلبية ، وبالتالى يترك أهم القرارات للبيروقراطيين أو التكنوقراطيين .

« ● إنه لابد أن تتسع عملية إعادة التنظيم لقوى معارضة تكون لها صحفها لكى تستطيع أن تعرض أفكارها على الناس ولكى تكون رقيبا على تصرفات الدولة » .

□

وفى تلك الفترة من بداية سنة ١٩٦٧ أدرك « جمال عبد الناصر » أن تعرضه لـ « مرض السكر » أصبح معروفا لدى من يهمهم الأمر فى العالم - رغم أنه كانت هناك احتياطات شديدة لكتمان هذا الأمر . ومع أن « السكر » مرض منتشر يتعرض له الملايين فى العالم بنسبة أو أخرى ، فقد كان هناك حرص فى مصر على ألآ يعرف أحد ، خصوصا وقد أكد كل كبار الأطباء الذين أشرفوا على علاج الحالة أنها لا تمثل خطورة على صاحبها ولا تعوق كفاءة أدائه لعمله .

وكان الدليل على أن الخبر أصبح معروفا لمن يهمهم الأمر أن المستشار الثقافى المصرى فى بون - عاصمة ألمانيا الغربية - تلقى خطاباً من أحد الأطباء المصريين الذين يعملون فى شركة « هوكست » كان نصه كما يلى :

« تحية واحتراما »

بناء على محادثة بينى وبين الأستاذ فاسيليتسكى الذى يعمل كمدير للقسم العلمى ، فقد أبلغنى السيد الأستاذ أنه يتعجب لأنه ترسل إلى مصر - رئاسة الجمهورية - نوع من الأدوية ضد مرض السكر . والأستاذ يعتقد أن هذا النوع أصبح لا يستعمل لأن الشركة أنتجت منذ مدة ماهو أحدث منه وأفضل فى مكافحة هذا المرض . ولأنى فهمت من حديث السيد الأستاذ أنه يعنى هذا الدواء لشخصية عربية كبيرة .

لذلك أكتب لسيادتكم للتحقق من صحة هذا الكلام .

وفقنا الله جميعا لخدمة وطننا العربى .

د . محمد جمال ابراهيم »

وقام المستشار الثقافى بإرسال هذا الخطاب إلى السيد « زكريا محيى الدين » الذى بعث به إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » .

ولقد أفاد هذا الخطاب بأكثر مما قدر مرسله ، وحدث بعده أن استدعى عدد من الأطباء العالميين فى مرض السكر ، وبينهم الطبيب البريطانى « ويلفريد أوكلى » والطبيب الدانمركى « جاكوب بولسين »[٩] ، وبالتعاون مع أطباء « جمال عبد الناصر » المصريين - تم وضع برنامج للمتابعة الصحية أكثر كفاءة ودقة .

ومع ذلك فقد كانت مشكلة جميع الأطباء مع « جمال عبد الناصر » أنهم يطلبون منه تخفيف ساعات عمله إلى عشر ساعات فى اليوم بدلا من أربع عشرة ساعة ، وبأن يأخذ أجازة منتظمة يوما كل أسبوع وشهرا كاملا كل سنة ... وكان ذلك هو الدواء الوحيد الذى لا تسمح له به الظرُوف ، فقد كان التزامه بجماهير الناس التزاما من نوع غريب ، وكان يعود مرات من لقاءات مع الجماهير ليقول والدموع تلمع فى عينيه : « **إن الناس يجعلوننى أشعر وكأننى أذوب ... وأشعر أن ما قدمناه قليل إزاء ما ينتظرونه** »[١٠] .

فى الشهور الأولى من سنة ١٩٦٧ كان « جمال عبد الناصر » - على نحو أو آخر - يقوم فى فكره وفى محاوراته مع الدائرة القريبة منه بعملية واسعة لإعادة النظر والمراجعة . وكانت هذه العملية الواسعة شاملة لمناحى الأوضاع الدولية والعربية والداخلية . والظاهر أنه فى تلك الفترة كان يشعر - ويعبر أحيانا عن شعوره - بأن هناك أشياء كثيرة تتغير وهو لم يستطع أن يصل فيها إلى قرار . وكانت هناك ظواهر يرصدها ولا يستطيع النفاذ بعد إلى أساسها . ومخاطر يراها دون أن يتمكن من تحديد الأسلوب الأمثل لمواجهتها . وضرورات طارئة تفرض نفسها عليه بغير أن تتوافر لديه أسس التحليل الموضوعى لهذه الضرورات . ومتغيرات تجرى على ساحة العالم وبالذات فى العلاقات بين

---

(٩) أفاد من مجيئهما إلى القاهرة مئات من مرضى السكر ، فقد قضى كل منهما عدة أيام فى مستشفى جامعة « عين شمس » ، وقاما بإلقاء عدد من المحاضرات .

(١٠) مجموعة أوراق محمد حسنين هيكل - نص من محادثة تليفونية مع « جمال عبد الناصر » يوم ٤ فبراير ١٩٦٧ .

القوتين الأعظم ، ولكن مداها وعمقها كانا غير واضحين ، كما أن تداعياتها ظلت مجهولة .

والحقيقة أن عالما جديدا كان يتشكل عند منتصف الستينات وحولها ويجعل أحكامه محسوسة بصرف النظر عما إذا كانت دواعيها مفهومة بالكامل لمن يعنيهم الأمر أم لا .

وربما أن لقاءاته فى تلك الفترة تكشف بوضوح كامل عن كم وحجم وعمق الأسئلة الملحة عليه وخمائر الأفكار الدائرة فى ذهنة تبحث لنفسها عن إجابات :

□ □ □ **فى يوم ٤ فبراير ١٩٦٧** - على سبيل المثال - كان فى زيارته وفد عراقى يرأسه الفريق « عبد الرحمن عارف » رئيس الجمهورية العراقية . وكان « جمال عبد الناصر » قلقا على الأوضاع فى العراق . فقد بدت له هذه الأوضاع فى هذا البلد العربى المهم وموقعه الخطير - مكشوفة ومعرضة . فالحكم نفسه ضعيف وما حوله مزدحم بالمتناقضات والقوى المتصارعة . وبغداد غارقة فى خلاف مستحكم مع دمشق . والحلف الإسلامى يعتبر العراق هدفه المباشر بالضغط لأن الظروف هناك مهيأة للانقضاض ، ومع ذلك فالشعارات عالية وكذلك درجة الحرارة .

● وتنقل الصفحة الخامسة من محضر هذا الاجتماع عن « جمال عبد الناصر » قوله للوفد العراقى بالحرف :

« لقد سمعت أن كلاما نقل عنى فى بغداد عن موقفى إزاء تأميم البترول العراقى ، وسمعت أن هذا الكلام جرى تداوله فى أوساط عديدة منسوبا إلىّ بطريقة لا تعبر عن رأيى تماما ، ولذلك فأنا أريد أن انتهز هذه الفرصة لكى أقول لكم ما حصل : لقد جاءنى القائم بالأعمال العراقى ، ولم يكن السفير قد وصل بعد للقاهرة ، وقال لى إن عنده رسالة منكم مؤداها أنكم تريدون معرفة رأيى بالنسبة لمشكلة البترول . إننى قلت له بالضبط إن أمامكم ثلاث خيارات : الخيار الأول هو الصبر حتى تواتيكم الظروف الملائمة . والخيار الثانى هو التهديد بالتأميم بغية الحصول على شروط أفضل من الشركة البريطانية . والخيار الثالث هو التأميم . وقلت له إن التأميم فى هذه الظروف صعب إلا إذا كانت لديكم خطة مؤكدة بنسبة ١٠٠٪ بأنكم تستطيعون أن تبيعوا بترولكم . فموضوع البترول يختلف عن موضوع قناة السويس . ففى حالة قناة السويس كان العالم فى حاجة إلى القناة . أما بالنسبة للبترول فأنتم فى حاجة إليه قبل العالم .

والتهديد بالتأميم يبدو لى هو الآخر صعبا لسبب واحد . إن التهديد بعمل شىء لا يحقق آثاره إلاّ إذا كان الطرف الآخر مستعدا لتصديق هذا . والمشكلة كما أراها أنكم كما

أعرف بالتجربة ـ وأنا أحدثكم بصراحة ـ ليس فى استطاعتكم أن تكتموا سرا . ومعنى ذلك أن الشركة ستعرف أنكم لستم جادين فيما تهددون به إلى النهاية .

وكان ما رجحته فى ختام حديثى مع القائم بالأعمال هو أنه ليس أمامكم إلاّ الصبر فى انتظار ظروف ملائمة » .

● ثم تنقل الصفحة السابعة من المحضر عن « جمال عبد الناصر » قوله بالحرف فى هذا الموضوع :

« إن هذه النصيحة بالصبر كانت صادرة عن شعور بالمسؤولية ، ولو قلت غيرها لاعتبرت نفسى غير مسؤول » .

● وتنقل الصفحة الثامنة من محضر هذا الاجتماع عن « جمال عبد الناصر » قوله بالحرف :

« لقد عرفت أنكم لستم مرتاحين إلى ميثاق الدفاع المشترك الذى عقدناه مع سوريا . وهناك فى بغداد من تصوروا أننى بهذا الميثاق انحزت إلى سوريا فى خلافها مع العراق . وهذا لم يكن فى ذهنى على الإطلاق إنكم أول من يعرف أن بيننا وبين الحكم القائم فى سوريا الآن مشاكل كثيرة من تركة الانفصال وما بعده . وقد كنت أربط تحسين العلاقات مع النظام السورى بقبوله السماح للوطنيين السوريين الذين اضطروا للجوء إلى القاهرة بعد الانفصال ـ بأن يعودوا إلى سوريا . ولقد اضطررت إلى أن أغفل هذا الشرط وأقترب أكثر من السوريين لأن هناك أولويات . هناك معارك حالّة وهناك معارك مؤجلة . والمعركة القومية هى الاعتبار الحالّ . وأما الخلافات بيننا فهى موضوع مؤجل . إننى قبلت بتوقيع معاهدة الدفاع المشترك الخاص مع سوريا لأن هناك هجوما رجعيا استعماريا يركز على تقويض النظام فى سوريا ، وإذا سقط هذا النظام وحل محله حكم رجعى فى دمشق فإن الأمور ستزداد تعقيدا . إن القضية أمامى كانت أكبر ، وكان لابد أن نظهر لسوريا إزاء التحرش الذى تواجهه أنها لاتقف وحدها . وقد اشترطت عليهم شرطا واحدا فى النطاق القومى وهو متعلق بكم ، إننى طلبت وقف المعركة معكم . والحقيقة أننى أجد نفسى فى حيرة بين بغداد ودمشق . فهم يطلبون منى أن أضغط عليكم ، وأنتم تطلبون منى أن أضغط عليهم . وأنا أعتقد أننا جميعا لا نتحمل ضغوط بعضنا على البعض ، ويكفينا ما نواجهه من ضغوط أعدائنا » .

● وتنقل صفحة ٢٠ من محضر الاجتماع عن « جمال عبد الناصر » قوله بالحرف :

« لقد آن أن نواجه الحقائق بدون غطاء . أنتم تكلمتم الآن عن القيادة السياسية الموحدة بيننا ، وأنا أريد أن أقول لكم ـ واعذروا صراحتى ـ إن ما بيننا عملية مظهرية أكثر منها عملية حقيقية . لقد أعلنا قيام قيادة سياسية موحدة ـ وعقدنا اجتماعات نشرت لها عشرات من الصور . وتكلمنا فى أمور كلها عامة وسطحية . وأخشى أننا لم نأخذها إطلاقا مأخذ الجد . ولو كنا فعلنا ذلك لكنا الآن حققنا نتائج كثيرة . نحن نجلس ساعات طويلة ولا نفعل إلاّ استعراض مواقف ، ولكننا لا نوجد إرادات لها قدرة على الفعل . أى أننا نرفع لافتات ، وهذه اللافتات ليس وراءها شىء . هذا شعورى وهذا هو منطقى . ولا أخفى عليكم أننى كنت أحس أن هذه هى رغبتكم . وهكذا لم أفتح هذا الموضوع لأنى فضلت أن أترك لكم الحرية فى مواجهة ظروفكم بالطريقة التى ترونها . أحيانا كان لى عتاب عليكم ولكنى لم أفتح فمى به ، على سبيل المثال : أنتم استقبلتم بعثة عسكرية سعودية فى الوقت الذى كان فيه الرصاص السعودى ، أو الرصاص المشترى بأموال سعودية ، يوجه إلى صدور أبنائنا فى اليمن . مثال آخر : أنتم بالطبع تسمعون إذاعات محطة الأهواز الموجهة ضدنا من إيران وهى تشن علينا هجماتها كل ليلة بغير انقطاع ، وتركز علىّ بالذات حتى أننى أصبحت أسميها محطة جمال عبد الناصر . وفى نفس الوقت فإنكم كنتم تحاولون تحسين علاقاتكم مع إيران . وأنا قلت فى هذا الوقت للبزاز[11] « نحن لسنا عقبة فى طريق تحسين علاقاتكم مع إيران . ونحن لا نعارض فيه على الإطلاق خصوصا إذا كان من شأنه تسهيل المعركة فى الشمال مع الأكراد » . »

● وتنقل الصفحة ٤١ من المحضر عن « جمال عبد الناصر » قوله بالحرف :

« إننى سمعت من الأخ عبد الرحمن عارف كلاما كثيرا عن الأعداء فى الداخل ، وأنا أريد أن أقول له بأنه لا يصح لنا جميعا أن ننسى أنه لا ثورة بدون ثورة مضادة . عندما توجد الثورة فلابد أن توجد فى الحال الثورة المضادة . لماذا ؟ لأن الثورة معناها قوى التغيير ، والثورة المضادة معناها قوى التغيير . ولابد أن يعرف الأخ عبد الرحمن أنه فى يوم ١٤ يوليو حين قامت الثورة فى العراق قامت معها الثورة المضادة فى نفس الوقت ، وهذه طبيعة الأشياء . نحن فى مصر الآن مضى علينا ١٥ سنة ، ومع ذلك فإن الثورة المضادة موجودة . ولقد وقفت فى مجلس الأمة آخر مرة وقلت لهم بصراحة إن البلد فيها حزب رجعى غير علنى وهو منظم أكثر من الاتحاد الاشتراكى لأن ما يجمعه هو مصالح لها جذور ممتدة ومتصلة من عشرات السنين . وقد وقفت

(١١) الدكتور « عبد الرحمن البزاز » كان رئيسا لوزراء العراق قبلها بشهور .

مرة فى إحدى الخطب وقلت إن أكثر تلغرافات التهنئة التى أتلقاها فى المناسبات هى من عناصر الثورة المضادة . وهم فى الحقيقة لاينسون المناسبات ولكن النوايا شىء آخر . وكنت دائما أقول إن هؤلاء أقلية ، ولكن الثوار الحقيقيين أيضا أقلية . والصراع بين الفريقين هو صراع على اكتساب ثقة الجماهير ، أو بمعنى أصح صراع للتأثير على الجماهير . من يستطيع أن يؤثر على الجماهير أكثر هو الذى يفوز . إن الذين يشتغلون بالسياسة فى بلاد مثل بلادنا لايزيد عددهم عن خمسة آلاف أو عشرة آلاف ، وقد أكون مبالغا فى هذه الأرقام . وفى المقابل فإن العناصر النشيطة المضادة ، المشتغلة بالسياسة لاتزيد أيضا عن هذا العدد . أما الباقون فهم جماهير عريضة تسمع وترى وقد تتأثر ، وإما أن تؤثر عليها أنت أو يؤثر عليها غيرك ـ يعنى إما أن تؤثر عليها الثورة أو تؤثر عليها الثورة المضادة »

● وتنقل الصفحة ٤٨ من المحضر عن « جمال عبد الناصر » قوله بالحرف :

« إن هناك قوى سياسية كان يمكن أن تكون رصيدا احتياطيا للثورة ، ولكنها لسوء الحظ ولأسباب مختلفة تلعب دور الرصيد الاحتياطى للثورة المضادة ، وأقصد ـ بالذات ـ فئتين : الشيوعيين والإخوان المسلمين

□ □ **بالنسبة للشيوعيين** هناك حقيقة أن الشيوعية أفلست ، ومشكلة الشيوعيون العرب أنهم لايعرفون ذلك حتى الآن وربما أنهم لا يريدون أن يعرفوه . ولذلك فهم يكتفون بترديد مقولات قديمة فات عليها الوقت . إننى أرجو الأخ عبد الرحمن عارف أن يسأل الرئيس سيكوتورى[١٢] عما قاله لى فى آخر مرة قابلنى فيها هنا فى القاهرة . لقد كان سيكوتورى فى زيارة لبعض دول أوروبا الشرقية وقد مر علينا فى القاهرة ، وعقدنا اجتماعا غير رسمى فى بيتى ، وفوجئت به يقول أثناء الحديث وهو يمسح دموعه : « **يا أخى ناصر إن الماركسية أفلست تماما وتحجر الفكر الذى تصورته أنا فى يوم من الأيام مفتاحا لكل باب** » .

□ □ **وأما الإخوان المسلمين** فلديهم فكر له أساس نشترك فيه جميعا وهو أساس ضارب فى أعماق كل منا . مشكلتهم أنهم يريدون تحويل هذا الفكر إلى أداة تصل بهم إلى السلطة . وهذه عقدة خطيرة لأنها تدفع إلى ساحة الصراع بقوى تتوهم أنها تملك سلطانا على الحياة ، والموت ليس لها . ونحن نضطر مرات إلى اعتقال كثيرين من هؤلاء وهؤلاء . ولكن الاعتقال ليس حلا وإنما هو عملية تحييد ضرر حتى تعطى الفرصة للمجتمع

---

(١٢) كان الرئيس « أحمد سيكوتورى » فى ذلك الوقت رئيسا لجمهورية غينيا وكان من أبرز الثوار الأفارقة .

ليقوم بترسيخ أفكاره بعيدا عن ضغط أيديولوجيات متحجرة أو تعصب تنتج عنه آثار خطيرة .

والغريب أن الإخوان يتهموننا بالشيوعية فى الوقت الذى نرى فيه نحن أن الدين ركيزة أساسية من ركائز الثورة . وفى نفس الوقت فإن الشيوعيين يتهموننا باليمينية لسبب أساسى فى رأيهم وهو أننا نرفض ديكتاتورية البروليتاريا » .

□

□ □ □ **وفى يوم ٩ مارس ١٩٦٧** كان « جمال عبد الناصر » - فى مثال ثان - يستقبل زائرين يختلفان تماما عن الفريق « عبد الرحمن عارف » والوفد العراقى المرافق له . كان الزائران هما الفيلسوف الفرنسى الشهير « جان بول سارتر » ومعه الكاتبة الفرنسية الكبيرة « سيمون دى بوفوار »[١٣] . كان « جمال عبد الناصر » مهتما بلقاء « سارتر » و« دى بوفوار » وهما وقتها طليعة حركة التجدد الثورى فى فرنسا وفى أوروبا ، فضلا عن أن « سارتر » كان مؤسس المدرسة الوجودية فى الفلسفة ، وكانت « سيمون دى بوفوار » حليفه الضخم فى معركة إعادة اكتشاف وتجديد حيوية المجتمعات الأوروبية فى فترة منتصف الستينات وما حولها . وفى نفس الوقت كان « سارتر » و« دى بوفوار » متشوقان للقاء « جمال عبد الناصر » ، ويظنان أن لديهما الكثير يقولانه له ويسمعانه منه .

● وتسجل الصفحة الأولى من محضر الاجتماع ترحيب « جمال عبد الناصر » بالاثنين ، ثم قول « سارتر » إنه رأى السد العالى وزار الأرض الجديدة المستزرعة على مياهه ، كما شاهد المجتمعات السكانية الجديدة التى تقدمت إلى الحياة بعد تراجع الصحراء . ثم أضاف أنه لم يكن يعرف الكثير عن الثورة المصرية ، وما كان يعرفه كان أكثره - بصراحة - من مصادر إسرائيلية أو غربية قد تكون معادية لمصر . بل إنه يستطيع أن يشهد بهذا العداء بعد أن رأى ما رأى فى مصر . **لكنه يرى من واجبه أن يثير إلى جانب هذا موضوعا آخر يتعلق بحقوق الإنسان . فمنذ وصل إلى مصر تلقى فى فندقه عددا من الخطابات يشكو له أصحابها من ضغط واقع عليهم** . ويدأ « جمال عبد الناصر » يتحدث .

● وتسجل الصفحة الثانية من المحضر قوله لـ «سارتر » :

« إننى لست فى حاجة إلى أن أطلب من أجهزة الأمن أن يبحثوا لى عن مرسلى

---

(١٣) كان « جان بول سارتر » و « سيمون دى بوفوار » ضيفين علىّ فى القاهرة « كرئيس لتحرير « الأهرام » وقتئذ » لمدة عشرة أيام . وقد حضرت لقاءهما مع الرئيس « جمال عبد الناصر »

فى خضم مشاغله اهتم جمال عبد الناصر بلقاء سارتر (الذى يقف إلى يساره) وسيمون دى بوفوار (إلى يمين عبد الناصر)

هذه الخطابات إليك . فأنت وأنا نستطيع أن نتصور نوع الناس الذين يعرفون فى مصر عنك وعن السيدة سيمون دى بوفوار . بالطبع إنهم الطبقة التى تقرأ الفرنسية أو تقرأ غيرها من اللغات الأجنبية وتتابع الأدب العالمى . وأنا لا ألومهم إذا وجدوا سببا لأن يكتبوا إليك . أستطيع وتستطيع معى أن تقطع أنهم من كبار الملاك السابقين وقد حددنا ملكياتهم ولا أظنهم يحبون ذلك أو يقبلونه . وهم لا يستطيعون وقف حركة الثورة ، وبالتالى فإنه لامانع عندهم من أن يشتكوا إلى كل من يتصورون أنه قادر على سماع صوتهم وعلى إسماعه . فهذه هى الطبيعة الإنسانية وأنا أفهمها ، ولكنى فى الوقت الذى أرى فيه دموع الأغنياء لابد أن أتذكر قهر الأغلبية التى كانت غريبة فى وطنها لاتملك فيه شيئا » .

● وتسجل الصفحة الثالثة من المحضر قول « جمال عبد الناصر » لـ« سارتر » و« دى بوفوار » :

إن الناس بالطبيعة محافظون ، والملكية غريزة طبيعية فى الإنسان ، فإذا أردت أن تقوم بتغيير فى أوضاع الملكية فإنك لا تصطدم فقط بالغريزة الطبيعية لدى الذين تمسهم إجراءاتك فحسب ، وإنما تصطدم بالغريزة الطبيعية لكثيرين ليسوا الآن من كبار الملاك ، ولكنهم يحلمون أن يصبحوا كذلك فى يوم من الأيام » .

● وتسجل الصفحة الرابعة من محضر الاجتماع قول « جمال عبد الناصر » لـ « سارتر » و« دى بوفوار » .

« إن مرحلة الانتقال من مجتمع تسيطر فيه القلة إلى مجتمع تتحقق فيه عدالة التوزيع عملية فى منتهى الصعوبة ، كما أن مرحلة الانتقال هذه هى أخطر المراحل فى حياة المجتمعات لأن التنظيم القديم للمجتمع يكون قد تهاوى ، وفى نفس الوقت لايكون التنظيم الجديد لهذا المجتمع قد قام بعد » .

وتدخلت « سيمون دى بوفوار » فى الحديث فسألت عن تعليم المرأة وتعدد الزوجات وتأثير الدين فى حياة المجتمع ، ثم أضافت إلى هذه الكتلة من الأسئلة سؤالا آخر عن مشكلة زيادة عدد السكان .

● وتسجل الصفحة التاسعة من محضر الاجتماع عن « جمال عبد الناصر » قوله لـ « سيمون دى بوفوار » :

إننى لا أريدك أن تأخذى بمقولة أن الإسلام يمكن أن يكون عائقا للتطور . فميزة الإسلام فى رأيى أنه دين مفتوح على كل العصور وكل مراحل التطور . وأنا دائما أنقل عن النبى محمد قوله داعيا الناس للاجتهاد إزاء مستجدات العصور« أنتم أعلم بشؤون دنياكم » .

وبالنسبة لتعدد الزوجات فأنا لا أرى أن الإسلام يتركها رخصة مفتوحة وإنما هى رخصة مقيدة بشروط تجعل التعدد صعبا بل تكاد تجعله مستحيلا . والدليل على ذلك ما نراه عمليا أمامنا ومؤداه أن ظاهرة تعدد الزوجات تتلاشى تدريجيا فى المجتمع المصرى .

وأما عن تعليم المرأة ، وأنا أعتبره الأساس الحقيقى لحريتها ، فسوف أطلب من مكتبى أن يبعثوا إليك بإحصائيات عن عدد « البنات » فى مراحل التعليم المختلفة ، وكذلك فى مجالات العمل . فى مجتمع المدارس والجامعات الآن أكثر من مليون فتاة ، وفى مجالات العمل المختلفة الآن حوالى ٢ مليون سيدة تعمل . وفى رأيى أن هذه حركة

التطور حية ومرئية . وأنا أعرف أن بعض المشايخ قد يقفون على منابر مساجدهم ليقولوا كلاماً آخر ، ولكن كلامهم فى اعتقادى غير مؤثر لأن ضرورات التطور أقوى من كل ما يقولون .

أما بالنسبة للزيادة فى عدد السكان فأنا أعرف أنها مشكلة قائمة . فهناك زيادة سنوية فى عدد السكان تقدر بـ ٨٠٠ ألف . وفى أول الثورة كان تعدادنا ٢٢ مليون ، واليوم نحن ٣١ مليون » .

وتدخل « سارتر » فى المناقشة ليقول إنه لابد من ايجاد حل على مستوى الدولة لهذه المشكلة . واستطرد « جمال عبد الناصر » مستكملا عرض رأيه قائلا :

« **تستطيع أن تقوم بحملات دعائية كما تشاء ، ونحن أقمنا لجانا لتنظيم الأسرة فى كل المدن والقرى ، وفى رأيى أن الحل الحقيقى ليس فى أى حملات دعائية . الحل الحقيقى فى زيادة الإنتاج عن طريق استصلاح الأراضى والتصنيع ، وكذلك فإن التعليم فى رأيى هو أهم عنصر لأنه يبدو لى من الإحصاءات أن أبناء المتعلمين أقل من أبناء غير المتعلمين . فالمتعلم ينظم حياته على أساس موارده ، وأما غير المتعلم فيترك المسائل للمصادفات » .**

ومرة أخرى قاطعه « سارتر » قائلا : « **إن واحدا من المحافظين قال لى إن المشكلة مشكلة كهرباء ، فعندما يتم استكمال مشروعكم لكهربة الريف فسوف يدخل التليفزيون على أوسع نطاق ، وسيكون من أثر هذا أن الناس سيجدون شيئا آخر يسليهم غير ممارسة إنجاب الأطفال » .**

ومضى « جمال عبد الناصر » يستكمل حديثه ضاحكا وقائلا لـ « سارتر » : « **لكن المشكلة أنه حتى إذا عممنا التليفزيون ، فإن برامجه تنتهى فى الساعة الحادية عشرة والنصف وبعدها فإن الليل طويل . ولايزال تقديرى أن التعليم وزيادة الانتاج تقدم أحسن وسائل للحل . على سبيل المثال كان عندى عشرة أخوات ، وأحد أصدقائى وهو الماريشال « عامر » كان عنده ١٣ أخ ـ ولكنى الآن عندى خمس أولاد . وأتصور أن أيا من أبنائى سوف يجد من الصعب عليه أن يكون عنده أكثر من اثنين أو ثلاثة » .**

● وتسجل الصفحة ٢٨ من محضر الاجتماع حوارا بين « جمال عبد الناصر » و« سارتر » جرى على النحو التالى :

☐ **سارتر** : « إن اليسار فى أوروبا لايستطيع أن يفهم موقفكم من حل الحزب الشيوعى

المصرى . لقد سمعنا أن هذا الحزب قد حل نفسه بنفسه ولانتصور أن حزبا شيوعيا يتخذ مثل هذا الإجراء إلاّ تحت الضغط »

☐ **جمال عبد الناصر** : « أى يسار فى أوروبا هذا الذى تتحدث عنه ؟ هل هو يسار الاشتراكيين فى فرنسا الذين يقودهم جى موليه والذين رأيناهم متواطئين فى العدوان علينا سنة ١٩٥٦ مع الاستعمار البريطانى ومع إسرائيل ؟»

☐ **سارتر** : « أنا لا أقصد موليه ولا أقصد الاشتراكيين الفرنسيين . الاشتراكيين الفرنسيين ضيعوا كل اختياراتهم التاريخية وانتهوا بالتحالف مع اليمين ولذلك فإنهم خانوا » .

☐ **جمال عبد الناصر** : « الحقيقة أننى أسائل نفسى كثيرا هذه الأيام عن معنى هذه التعبيرات التى نستعملها بما فيها تعبير « الاشتراكيين » . هذه التعبيرات فى رأيى تحتاج إلى صياغات جديدة ، وعلى أى حال فسأعود إلى سؤالك . نحن لم نمارس أى ضغط على الحزب الشيوعى لكى يحل نفسه ، وأظن أن عناصر كثيرة فى هذا الحزب اكتشفت بالتجربة أن قضايا التطور تحتاج إلى تفكير جديد . هل أنت شيوعى ؟»

☐ **سارتر** : « إننى ماركسى ، ولكننى لا أنتمى تنظيميا إلى حزب » .

☐ **جمال عبد الناصر** : « إننى مستعد أن أفهمك . وأنا بالفعل أفرق بين الماركسية والحزب الشيوعى . الماركسية فكر يطرح نفسه على الناس ويؤثر فيهم بقدرته على الحوار وإيجاد حلول لقضايا التطور والتقدم . وعندما تتحول الماركسية إلى حزب شيوعى فإنها تتحجر لأنها تدخل فى قالب تنظيمى لايسمح بالمراجعة والتجديد وإنما يوجه همه إلى التجميد والسعى للحصول على السلطة . وبما أن الشيوعيين أقلية فإنهم يلجأون إلى العمل السرى وإلى تنظيمات ما تحت الأرض ، شأنهم فى ذلك شأن أقصى اليمين . ومع ذلك فأنا أريد أن أسألك لماذا تسألنى عن الحزب الشيوعى وحده ؟ إننى أفكر فى تعددية من نوع جديد ولم أعثر على الصيغة الملائمة بعد . والحقيقة أننى أخشى من الحزبية . **فلو أبحنا الحزبية الآن وفى ظل الحرب الباردة التى تجرى على الساحة العالمية الآن لوجدتنى على الفور أمام حزب شيوعى موالى لروسيا ، وحزب رجعى موالى للأمريكان ، وربما حزب دينى يؤدى قيامه إلى فتنة دينية فى البلاد . ولهذا فالقضية فى رأيى أكبر من الحزب الشيوعى** » .

☐ **سارتر** : « إننى لاحظت أن الرئيس وضع إسرائيل فى نفس الصف مع الاستعمار البريطانى وقوى اليسار الفرنسية التى خانت رسالتها ، وهذا يعقد الأمور فى الشرق الأوسط » .

□ **جمال عبد الناصر** : « الذى يعقد الأمور ليس أننى أضعهم فى هذا الصف أو ذلك ، ولكن الذى يعقدها فعلا هو إسرائيل . لا يمكن لأى جماعة من الناس أن ينقضوا على بلد ويأخذوه لأنفسهم ويحولوا سكانه الأصليين إلى مواطنين من الدرجة الثانية . الذى يعقد الأمور هو ضياع الحقوق العربية فى فلسطين . بعض الناس يتصورون أن هذا الجيل من الشعب الفلسطينى تعود على ضياع وطنه وأنه يموت أو يكاد يموت . وينسون فى هذا أن جيلا جديدا سوف يظهر . جيل لا يشعر بالضياع ولا يشعر بالمهانة ، وهذا الجيل سوف يقاوم ليحصل على حقوقه الإنسانية أولا ، ثم الوطنية ، وهكذا . والشىء الثانى الذى يعقد الأمور فى موضوع إسرائيل ليس تصنيفنا لها ، وإنما علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهو موضوع يدفع المنطقة الآن إلى حافة الحرب . فإسرائيل تريد التوسع وتريد أن تفرض هذا التوسع بالقوة ، وهذا معناه الحرب » .

□ **سارتر** :« هناك مجموعات فى إسرائيل ، خصوصا من اليسار ، يتفهمون قضية الشعب الفلسطينى » .

□ **جمال عبد الناصر** :« الموضوع ليس موضوع مشكلة تفهم ، وإنما الموضوع يتلخص فى مشكلتين : المشكلة الأولى الهجرة لإسرائيل . باستمرار الهجرة لن تتسع إسرائيل للقادمين إليها وستلجأ للتوسع ، وهذا يؤدى إلى الحرب . والمشكلة الثانية أنه إذا كان هناك من يتفهم مشكلة الشعب الفلسطينى ـ كما تقول ـ من عناصر اليسار الإسرائيلى ، فلا أظن أن لديهم ما هو أكثر من الألفاظ والتعاطف بها ـ ببساطة لأن أهم حقوق الفلسطينى هى حق العودة ، فإذا عادوا فسيصبحون أغلبية ، وعندئذ تذوب فكرة دولة إسرائيل » .

● وتسجل صفحة ٤٨ من محضر الاجتماع ردا لـ « جمال عبد الناصر » على سؤال وجهه إليه « سارتر » عن القضية التى تشغله الآن أكثر من غيرها ، وكان قوله :

« العالم كله يحاول إخراج الشباب من السياسة ويحاولون إلهاءهم بأنواع من الرقص الجديد ويحولون اهتمامهم إلى الرياضة ، وأنا أرى ذلك خطرا كبيرا . القضية التى أتمنى لو استطعت أن أركز عليها هى أن يشعر الشباب أن السياسة هى عملية صنع مستقبله ، وأن اهتمامه بها ومشاركته فيها هما أكبر ضمانات المستقبل . ما أراه فى الاتحاد السوفيتى وما أراه فى غيره يجعلنى أقلق لأن الأجيال القديمة تحجب أجيالا جديدة عن المشاركة ، وهذه مشكلة . فإذا حجبنا الشباب عن العمل السياسى تتوقف حيوية الأنظمة

ويزداد الاعتماد على عناصر القوة فى المجتمع مثل الجيش مثلا . وهذه ليست وصفة مضمونة لحماية التطور » .

□

□ □ □ **وفى يوم ٢٩ مارس ١٩٦٧** كان « جمال عبد الناصر » يلتقى بـ « أندريه جروميكو » وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، فى حضور السيد « محمود رياض » وزير الخارجية ، والسفير « ديمترى بوحداييف » سفير الاتحاد السوفيتى - يومئذ .

● وتسجل صفحة ٢١ فى محضر الاجتماع قول « جمال عبد الناصر » لـ«جروميكو » بالحرف :

« إن هناك مسألة تلفت نظرنا وقد رأيت أن أبحثها معك صراحة . فقد سمعتك قبل قليل تتحدث عن الصراع المستمر بينكم وبين الولايات المتحدة الأمريكية . والحقيقة أنه ينتابنى شعور مخالف لما سمعته منك . فنحن نلمس أن العلاقة بينكم وبين الأمريكان طيبة جدا ، وأن هناك محادثات مستمرة بينكما ، كما أن هناك اتفاق على كثير من المسائل . إن الصحف العالمية مليئة بالمقالات عن هذا التقارب بينكم وبين الأمريكان . وسوف ألفت نظرك إلى مقال نشرته جريدة لموند الفرنسية فى الأسبوع الماضى ، وكان يتكلم عن عمق المحادثات التى تجرى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وسوف اترك المقالات جانبا وأروى لك واقعة بالتحديد . فبعد عودة المشير عامر من موسكو أخيرا فوجىء سفيرنا فى واشنطن بوكيل وزارة الخارجية الأمريكية يقول له مسألتين :

■ **المسألة الأولى** أن وكيل الخارجية الأمريكية[١٤] قال لسفيرنا إنكم - أى السوفيت - أطلعتوهم على تفاصيل المحادثات التى جرت بينكم وبين المشير ، وقال له بالتحديد إنهم عرفوا منكم أن كمية القمح التى اتفقنا عليها هى ٢٥٠ ألف طن .

■ **والمسألة الثانية** أن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية قال لسفيرنا إن

---

(١٤) كان رد « جروميكو » على هذه النقطة أنهم أحسوا أن الأمريكيين يعطون بعض الدول معلومات مضللة يتصوّرها هؤلاء حقيقية بينما هى ليست كذلك . ورجا التفريق بين Information بمعنى معلومات وDisinformation بمعنى تضليل .

هناك اجتماعات دورية بين أفراد من السفارة الأمريكية وأفراد من السفارة السوفيتية فى القاهرة . وأن السفارتين تبحثان معا بعض المسائل التى تهمهما فى القاهرة .

لابد أن أقول لك إننا عندما سمعنا هذا الكلام اندهشنا واستغربنا جدا . وقد كان رأى المشير عامر أن يثير هذا الموضوع صراحة معكم . وقد طلبت منه أن لا يفعل . وأنا أريد أن أضيف إلى ذلك الآن وأمامك أنه إذا كان هذا هو السبيل لصيانة السلام العالمى فكل ما نطلبه هو أن نعرف الحقيقة ، **فنحن لانستطيع أن نفرض أنفسنا على الاتحاد السوفيتى . إن علاقاتنا مع الولايات المتحدة تسوء يوما بعد يوم ، ونحن تحت شعور أنكم تقفون معنا ، ولكن ما نسمعه يثير مخاوفنا ، فنحن لا نعادى سياسة الولايات المتحدة لأننا نريد ذلك ، وإنما نعاديها لأننا مضطرون . فإذا كان موقفكم قد تغير فمن الحق أن نعرف ماذا حدث وما هى دواعيه ؟» .**

● وتسجل صفحة ٢٣ من محضر الاجتماع قول الرئيس « جمال عبد الناصر » لـ« أندريه جروميكو » بالحرف :

« ما دمنا نتكلم بصراحة فهناك موضوع آخر أثار استغرابنا وهو أنكم أعلنتم عن صفقة بيع سلاح لإيران . لقد أعلنها رئيس وزراء ايران فى البرلمان الايرانى وقال فى اعلانه ولابد أنكم سمعتم : « **إن تحسن العلاقات مع الاتحاد السوفيتى سوف يمكننا من نقل الجيش الإيرانى إلى الجنوب حتى نستطيع الوقوف ضد أطماع الجمهورية العربية المتحدة** » . وهذا فى رأينا يعنى أن إيران مقبلة على استفزاز عسكرى موجه إلى العراق . مقدما أستطيع أن أتوقع أنك سوف تقول لى إن سياسة الاتحاد السوفيتى من وراء إعطاء أسلحة لشاه إيران هى حصر النفوذ الأمريكى وعدم ترك أمريكا تنفرد بإيران ، لكن هذا كلام لا يدخل عقلى بسهولة . فارتباط شاه إيران بأمريكا ارتباط عضوى ، وأنتم أكثر منى تعرفون ذلك .

هناك مسألة أخرى فى هذا السياق أحب أن أذكرها ، **وهى أن لدىّ ما يحملنى على الاعتقاد بأن أسلحتكم التى ترسلونها إلى إيران يذهب بعضها إلى باكستان ، ولا أعرف إذا كنتم بحثتم أثر ذلك على الهند . وأنا لست ضد أن تبيعوا أسلاحا لمن تريدون ، ولكن بيع السلاح لابد أن تصاحبه تقديرات سياسية لا تأخذ فى اعتبارها مصالحكم فقط ، وإنما تأخذ فى اعتبارها مصالح أصدقائكم أيضا** » .

● وتسجل صفحة ٣٢ من محضر الاجتماع قول « جمال عبد الناصر » لـ « أندريه جروميكو » بالحرف :

« نريد أن نقف أكثر من هذا أمام قضية مقاومة الاستعمار . أنا أريد أن أفهم موقفكم أكثر فى هذه القضية . والحقيقة أننى لست متأكدا من فهمى لموقفكم إزاءها . وقبل أن أنزل للقائك هنا كنت أطالع برقيات المراسلين الأجانب الصادرة من القاهرة إلى بقية العالم . وكان أكثر ما لفت نظرى فيها هو أن جميع هذه البرقيات أجمعت على نقطة واحدة وهى **أن المستر جروميكو قادم لزيارة القاهرة لكى يخفف حدة التصادم بيننا وبين بريطانيا فى الجنوب العربى ، وأن يطلب من مصر تخفيف تأييدها للثورة فى الجنوب . إننا نريد أن نعرف موقفكم فى هذا بصراحة . فخططنا كلها مبنية على مقاومة الاستعمار فى منطقتنا ، ونحن واثقون أننا إذا لم نقاوم الاستعمار ونقضى عليه فإنه هو الذى سيقضى علينا وهنا فى القاهرة . والمعركة فى الجنوب جزء من حرب شاملة بيننا وبين الاستعمار ، وليس هناك إلاّ أحد حلين : إما أن يخرج الانجليز ويتركوا عملاءهم فى الحكم وهذا يكون استعمارا جديدا - وإما أن يخرج الانجليز ويأخذ الوطنيون سلطة الحكم . ونحن مع الوطنيين فى الجنوب العربى كما كنا معهم فى الجزائر - فهل أنتم عند نفس الموقف من قضية مقاومة الاستعمار ، أو أن موقفكم تغير ؟»**

● وتسجل صفحة ٣٠٧ من محضر الاجتماع قول « جمال عبد الناصر » لـ « أندريه جروميكو » بالحرف :

« إن هناك جوانب فى سياستكم نستطيع فهمها بل ونقبل بها . فسياستكم إزاء فرنسا - رغم أن فرنسا جزء لا يتجزأ من النظام الغربى - سياسة مفهومة ونحن نؤيد تحسين العلاقات بينكما ، ونعتبر أن الزيارة التى قام بها « ديجول » للاتحاد السوفيتى كانت مفيدة . وأيضا نعتبر أن زيارة « كوسيجين » القادمة إلى باريس مفيدة ، ذلك أن « ديجول » يبنى سياسته فى أوروبا على إنشاء مركز أوروبى مستقل عن الهيمنة الأوروبية - لكن هناك أشياء أخرى نحتاج فيها الى إيضاحات منكم ، ونرجو ألاّ تتصوروا أن طلبنا لهذا الإيضاح يمثل تدخلا فى شؤونكم ، فنحن نتجنب ذلك لأننا لا نريد لأحد أن يتدخل فى شؤننا » .

الفصل الثانى

إشارات متضاربة !

فى تلك الشهور الأولى من عام ١٩٦٧ - كان « جمال عبد الناصر » يحاور. ويناقش ويفكر ، ويحاول أن يفهم متغيرات عصر يرى ظواهرها أمامه ولايستطيع بعد أن ينفذ إلى أعماقها . ولم يكن فى هذه الحالة وحده ، وإنما كان هناك عالم بأسره عند منتصف الستينات وما حولها ، يقوم بنفس الشىء ، ذلك أن تراكمات كثيرة أضيفت إلى بعضها ، وفوقها تفاعلاتها وتداعياتها ، وكانت كلها بالفعل تخلق حالة من السيولة العالمية تفردت بها الستينات عن غيرها من حقب القرن العشرين .

وكانت حالة السيولة هذه تدفع البعض إلى البحث والتنقيب - وفى نفس الوقت فإن البعض الآخر رآها فرصة متاحة للحركة والتأثير والفعل المباشر ... والانقضاض .

ولقد بدت بعض التطورات مثل القش الطائر مع الريح يشير إلى اتجاهها ، ثم أن بعضها الآخر بدا مثل كتل الحجر على الطريق يصعب تجاهلها بدون مخاطر صدام .

وكان القش الطائر فى الريح إشارات ظاهرة لكل من يريد أن يرى ويستنتج . وربما أن بعض الإشارات لم تكن مرئية ، ومع ذلك فإن ما كان مرئيا كان حريا أن يلفت الأنظار .

ولم يكن فى استطاعة أحد فى ذلك الوقت ـ وفى حينه ـ أن يطالع تقريرا سريا قدمه مكتب التقديرات فى وكالة المخابرات المركزية إلى مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض ، ويحمل رقم ٦٨٨ س .س . ، وقد جاء فيه بالنص :(١)

« يبدو أن شعبية ناصر تعمل لصالح أهدافه كما تعمل ضدها . فالمصرى الفقير يجنح إلى عبادته . ومن ناحية أخرى فإن المصريين يتوقعون من البطل الزعيم أن يحقق المعجزات الضرورية ، ومع هذا لا يرون أنفسهم حتى الآن مضطرين للتورط فى البحث عن حلول . ولعل أقوى عامل وحيد يجنح إلى المساعدة على التغلب على الفتور السياسى لدى الجماهير هو جيش ناصر . فلأول مرة فى التاريخ يصبح لمصر جيش وطنى بالكامل لها أن تفخر به . وإلى سنوات قليلة مضت كان الشباب يشمئز من الخدمة فى الجيش باعتبارها خدمة حقيرة قذرة وأدنى من أن تتفق مع كرامتهم . أما اليوم فقد صارت الخدمة العسكرية أمرا مقبولا باعتبارها واجبا وطنيا وجزءا عاديا من الحياة . ويسعى الجيش لتعليم الملتحقين به موضوعات سياسية وما إليها من الأمور غير العسكرية . وهو يجاهد فى سبيل غرس معلومات عن مصر وأهداف ناصر فى عقول الذين يجندون فيه سنويا ، وعددهم عشرين ألفا ، وإثارة رغبتهم فى خدمة البلاد بعد عودتهم إلى الوظائف المدنية . ويبقى أن نرى نتائج هذه الجهود ، حين يتحرر عشرات الآلاف من الذين خدموا فى الجيش من أوهام السياسات التى جرهم إليها الإعجاب بأمجاد العمل فى سبيل ثورة ناصر » !!

□

ولم تكن كل الإشارات خفية مثل هذا التقرير ـ وإنما كان بعضها ظاهرا فى الجو للعيان . ويكفى كعينة لهذا النوع من الإشارات التركيز على الأسبوع الأخير من شهر مارس ١٩٦٧ :

● يوم ٢١ مارس ١٩٦٧ كانت أمام « جمال عبد الناصر » مجموعة تقارير عن قيام وكالةالمخابرات المركزية الأمريكية بالاتفاق مع بعض شركات الطيران الدولية على تركيب كاميرات خاصة فى بطون طائراتها بحيث تستطيع أن تلتقط صورا تغطى سطح

---

(١) محفوظات مكتبة « ليندون جونسون » ـ مجموعة الأوراق الخاصة بالرئيس . مكتب مستشار الأمن القومى .

مصر كلها أثناء طيرانها فى الأجواء المصرية . كما أفادت نفس التقارير بأن الطائرات الأمريكية الحربية التى تمر فى المجال الجوى المصرى بإذن خاص تفعل نفس الشىء على نطاق أوسع .وصدر قرار يحدد ممرات جوية خاصة للطيران المدنى الدولى لا يخرج عنها مهما كانت الظروف . كذلك صدر قرار بمنع الطيران العسكرى الأمريكى تماما فوق الأراضى المصرية . وبعث السفير « عثمان نورى » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى عمان ببرقية شفرية إلى وزارة الخارجية المصرية قال فيها[٢] :« استدعانى إلى مقابلته السيد وزير الخارجية الأردنية ظهر اليوم . فى مقابلة ودية شرح لى موضوع نقل الأسلحة بواسطة الطائرات الأمريكية إلى الأردن ومدى حيوية هذا الموضوع . ذكر أن قرار حكومة الجمهورية العربية المتحدة بمنع طائرات النقل الأمريكية سيؤدى إلى صعوبات ومضاعفات . رجا أن تعيد حكومة الجمهورية العربية المتحدة النظر فى هذا القرار وأن تسمح للطائرات الأمريكية بالاستمرار فى المرور بأجوائها فى طريقها للأردن . سلمنى مذكرة بهذا الخصوص » .

● **يوم ٢١ مارس** ـ أيضا ـ بعث السفير « محمد القونى » المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة ببرقية عن حديث دار بينه وبين « يو ثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة . وفى هذا التقرير نسب « القونى » إلى « يو ثانت » قوله إنه كان يتحدث مع وزير الخارجية الأمريكى المستر « دين راسك » عن بعض قضايا الشرق الأوسط ، **وفوجىء « يو ثانت » بـ « راسك » يقول له « إن أحدا منا لم يعد يستطيع أن يفتح أمام جونسون أى موضوع يتصل بمصر ، فالرئيس جونسون لم يعد يطيق أن يذكر أمامه اسم ناصر »**[٣] .

● **ويوم ٢٣ مارس** بعث الملحق العسكرى المصرى فى موسكو العقيد بحرى « فتحى شراكى » ببرقية عن حوار دار بينه وبين الملحق العسكرى الأمريكى . وفى هذا الحديث قال الملحق الأمريكى للملحق المصرى « **إن الأضرار التى تلحقها السياسة المصرية بالمصالح الأمريكية أضرار بالغة ، وأنه لابد للجميع أن يفهموا أن الشرق الأوسط أهم للمصالح الأمريكية من فيتنام . وإذا كان التركيز الأمريكى الظاهر الآن هو على فيتنام فإن هذا ليس معناه أنهم لايروا أن ما يحدث فى الشرق الأوسط أخطر عليهم من فيتنام على المدى الطويل »**[٤] .

---

(٢) محفوظات وزارة الخارجية المصرية . ملف البرقيات الشفرية من « عمان » لسنة ١٩٦٧

(٣) محفوظات وزارة الخارجية المصرية .

(٤) محفوظات إدارة المخابرات العسكرية .

● **ويوم ٢٥ مارس** بعث السفير « مراد غالب »(٥)من موسكو بتقرير ينقل فيه أن سفير بورما هناك قال له « إن يو ثانت (السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو بورمى الجنسية) عندما قابل بريجنيف وكوسيجين سمع منهما تحذيرا من الاتجاهات الخطرة لسياسة جونسون واندفاعه فى الحماقة مما يعرض العالم لخطر حرب ثالثة » . وقد قال الاثنان له « إن جونسون أخطر من دالاس ، **وأنهم لن يترددوا فى التدخل إذا وقع صدام فى الشرق الأوسط . وأضافوا أن الحرب العالمية الثالثة قد تنشب نتيجة لحروب متعددة فى مناطق متفرقة من العالم كما حدث فى الحرب العالمية الثانية التى بدأت فى الواقع من حرب الحبشة سنة ١٩٣٦ ، إلى الحرب الأهلية فى أسبانيا سنة ١٩٣٧ ، إلى اجتياح هتلر لتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨** » .

● **وفى يوم ٢٩ مارس** كان « جمال عبد الناصر » مشغولا بشؤون التعاون فى مجالات الذرة وانتاج الطائرات مع الهند . كان قد أجرى محادثات هامة مع العالم الهندى الدكتور « بهابها » المشرف على برنامج الطاقة النووية فى الهند . وكان « بهابها » قد جاء إلى القاهرة بدعوة خاصة نتيجة محادثات جرت بين « جمال عبد الناصر » و« انديرا غاندى » فى الهند . وفى هذه الزيارة ، وفى حديث سرى فى إطارها ، تم الاتفاق على روابط أكثر بين برامج تطوير التكنولوجيا فى البلدين ، وذلك لفائدتهما معا .

فالهند متقدمة فى المجال النووى ، ومصر أكثر تقدما فى مجال الصواريخ ، وإن ظلت هناك مشكلة فى التوجيه بعد غياب الدكتور « بيلز » خبير الصواريخ الألمانى الذى خاف من التهديد الإسرائيلى وهجر البرنامج المصرى إلى البرنامج الصينى وقتها .

كذلك كانت مصر أكثر تقدما فى مجال صنع المحركات النفاثة ، وكانت الهند أكثر تقدما فى مجال بناء هياكل الطائرات .

وجاء « بهابها » للحديث فى مجال التعاون النووى . وبعدها بأيام وصل هيكل طائرة من الهند من طراز « هـ٢٤» ووضع فيه محرك مصرى من طراز « هـ ٣٠٠ » ، وقام طيار التجارب الهندى الشهير « شابرا » بتجربة الطائرة الجديدة (محرك مصرى وهيكل هندى) ، وكانت التجربة نجاحا كاملا ، فقد نزل طيار التجارب « شابرا » مندفعا فى اتجاه « آبا بانت » سفير الهند وقتها فى مصر وكان أحد شهود التجربة ليعانقه قائلا له : « **مدهش .. لم أكن لأصدق لو لم أكن بنفسى الذى اختبر الطائرة** » .

---

(٥) محفوظات وزارة الخارجية المصرية .

وفى حين أن « جمال عبد الناصر » كان سعيدا بهذا التعاون ، فإن آخرين لم يكونوا سعداء وإنما كانوا يرقبون ما يجرى بتربص كاد صبره أن ينفد .

● **وفى يوم ٣٠ مارس ١٩٦٧** وصلت إلى القاهرة بدون مقدمات واضحة رسالة من المستر « روبرت أندرسون » - وكان صديقا لعدد من الرؤساء الأمريكيين بما فيهم « جونسون » - يعرض فيها اقتراحا بدا غريبا . **فقد كان اقتراحه عقد اجتماع سرى بين « جمال عبد الناصر » وبين الرئيس « ليندون جونسون » يتم على ظهر سفينة فى البحر الأبيض أو فى المحيط الأطلسى تبدأ رحلتها من أحد الموانىء فى أسبانيا** . واحتار « جمال عبد الناصر » فى هذا الاقتراح ، ومع ذلك فقد غالب حذره وبعث إلى « أندرسون » موافقا عليه . وظل يومها يتساءل عما إذا كان ذلك الاقتراح جديا ؟ - وإذا لم يكن ، فما هو باعثه ؟

والحقيقة التى تظهر من ربط الظاهر والخفى من الإشارات - أن هذا الاقتراح كان مجرد قنبلة دخان تغطى شيئا أو تشد الأنظار عن شىء !

□

كان هذا كله من القش الطائر مع الريح ، ثم جاء دور كتل الحجر التى تقف فى منتصف الطريق ، فقد تلقى « جمال عبد الناصر » تقريرا سريا كتبه الفريق « على على عامر » القائد العام للقيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية وقدمه إلى مجلس الدفاع المشترك ، وفيه رأى القائد العام أن يبرىء ذمته وذمة قيادته من تردى الأوضاع العربية . وقد استعرض القائد العام فى تقريره هذه الأوضاع ، ثم وصل إلى أن يقول بالنص (٦) ما يلى :

« إننى أرى من واجبى أن أوضح بعض الحقائق عما تطور إليه الموقف العربى حاليا ، تاركا لمجلسكم الموقر اتخاذ ما يراه من قرارات لمعالجته .

□ أولا : **إنه قد أصبح من الواضح أن الموقف السياسى الحالى فى المحيط العربى يقف حائلا دون تنفيذ القرارات الصادرة من مجلسكم الموقر** والتى تعالج الموقف العسكرى تجاه إسرائيل . ولما كانت هذه القرارات قد صدرت بناء على توصيات هذه القيادة ضمانا لتنفيذ مخططاتها فقد أصبح تنفيذ هذه المخططات أمرا مشكوكا فيه .

---

(٦) صورة من تقرير الفريق « على على عامر » بتوقيعه منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٤) صفحة ١٠٠١.

□ ثانيا **إن توقف الدول الممولة عن سداد التزاماتها المالية يؤدى بالوضع العسكرى إلى موقف متدهور وخطير** ، فمن المعروف أن الطاقات العسكرية الإسرائيلية تستمد موارد إنشائها وبقائها من العالم الصهيونى الخارجى . فهى طاقات مستوردة للعدوان على العالم العربى ، ومن الطبيعى عندئذ أنه لمواجهة هذا الموقف يلزم دعم طاقات الدول العربية المحيطة بإسرائيل من جاراتها العربية وإلاّ لما وجدت فى مواردها الاقتصادية ما يكفى لإنشاء الإمكانيات العسكرية لمواجهة العدوان ، وهو الوضع الذى كان قائما قبل انعقاد مؤتمر القمة وإنشاء هذه القيادة .

وقد سارت برامج تعزيز القوى العسكرية فى هذه الدول سيرا حسنا وفى زمن قصير قاربت فيه من الوصول إلى مرحلة الكفاية فى الدفاع عن أراضيها . والآن وقد توقفت الدول العربية عن تمويل هذه العملية فإنى أخشى أن يعود الوضع القهقرى إلى ما كان عليه مما يؤدى إلى تعرض الأرض العربية فى الدول المحيطة بإسرائيل إلى الضياع . وكنت أود أن يبقى هذا الموضوع خارج أى نزاع سياسى سيما وأنه يتعلق بتمكين الدّول العربية من الدفاع المشروع عن نفسها ضد العدو الغاصب الذى يستمد أسباب قوته من معونات تأتيه من الخارج .

□ ثالثا : **إن استمرار الوضع على هذا الحال سيؤدى بالدول المعرضة للعدوان إلى اختصار قواتها العسكرية إلى الحد الذى تسمح به طاقاتها المحلية الاقتصادية وبما هو دون الحد الأدنى الذى ترى هذه القيادة أنه يكفل الدفاع عنها ، وبلا سيطرة منا على ذلك .**

□ رابعا : إنه بناء على ذلك فإن هذه القيادة ترى أن واجب الأمانة يقتضى أن تبلغ مجلسكم الموقر أن استمرار هذه الأوضاع **لايمكنها من تنفيذ المهمة التى قررها مجلس الملوك والرؤساء فى اجتماعه الثانى فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤ وهى تعزيز الدفاع العربى على وجه يؤمن للدول التى تجرى فيها روافد نهر الأردن حرية العمل العربى فى الأرض العربية كهدف أولى عاجل ، ثم تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى كهدف قومى نهائى .**

□ خامسا: إن الظروف التى أنشئت فيها هذه القيادة وكلفت فيها بالمهمة المذكورة عالية

قد تغيرت تغيرا جذريا لا يخفى على مجلسكم الموقر ، وهذا مما يدعونا إلى إعادة النظر فى الموقف تجاه هذه القيادة والمهمة الموكلة إليها .

فإما أن نعتبر أن الظروف الحالية المحيطة بالعالم العربى ظروفا مرحلية مؤقتة ـ كما نرجو جميعا ـ وعليه يعاد تكييف المهمة المكلفة بها هذه القيادة فى هذه الفترة المرحلية على ضوء واقعنا الحاضر وما يسمح به من إمكانيات عملية ، على أن تعتبر هذه المهمة مؤقتة تزول بزوال الظروف الراهنة .

أو إذا رأى مجلسكم الموقر أن الظروف الراهنة فى الموقف العربى قد يمتد بها المدى طويلا فإنى أرى أنه منْ الأمانة أن نصارح أمتنا العربية بذلك وألاّ نبقى هذه القيادة بلا عمل جدى طويلا ، فتكون واقعا مخيبا للآمال ، خير منه أن تكون أملا مرتقبا يوم أن توحد السياسة العربية صفوفها .

والرأى لمجلسكم الموقر .

فريق أول

على على عامر

القائد العام للقيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية

(إمضاء)

وكان تعليق « جمال عبد الناصر » على تقرير الفريق « على على عامر » أنه يوافق على أن مصارحة الأمة بالحقائق ضرورية . وكان هناك آخرون يرون أن ذلك صعب ، فإن إعلان الحقائق قد يكون صدمة للناس . والغريب أن « جمال عبد الناصر » استعمل تعبيرا قاطعا فى معناه[٧] ، فقد قال بالحرف : « أحسن للناس أن يصدموا اليوم من أن يهزموا غدا » !

□

كانت هذه الكلمات على لسان « جمال عبد الناصر » تعبيرا معبأ بالمرارة والحذر عن حقائق الموقف العربى وهى تتردى كل يوم ، ولكنه أغلب الظن ـ وفى تلك اللحظة ـ كان تعبيرا مباشرا محصورا فى حدود النهاية التى آلت إليها أمور القيادة العربية الموحدة ، ولا يتعداها إلى الربط الدقيق والوثيق بكل ما سبقها وبكل المناخ الأوسع فى المنطقة وفى العالم .

---

(٧) مذكرة عن حديث تليفونى مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ضمن أوراق « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٣١ مارس ١٩٦٧ .

فى تلك اللحظة كان اهتمامه موزعا على جبهات عديدة ، وكان تفكيره مأخوذا بعدد كبير من الأسئلة المعلقة تبحث عن إجابات محددة تتلاءم مع متغيرات تصعب ملاحقتها .

كان ذلك حال « جمال عبد الناصر » فى القاهرة ـ ولكنه لم يكن حال الملك « حسين بن طلال » فى عمان ، وكانت تلك طبائع أشياء . ففى حين أن القاهرة كانت طرفا مشاركا فى أفق واسع من الاهتمامات والقضايا الضخمة فى أكبر الأوطان العربية ، وبدور بارز ومؤثر فى المنطقة وفى العالم ـ فإن عمان كانت دائما طرفا فى لعبة واحدة محددة ، وكان تركيزها كله عليها لأن مصالحها وأمنها ، وحياتها ذاتها ، تتوقف مع حركة هذه اللعبة !

كانت عمان ، وبأكثر من أى عاصمة عربية ، مضطرة لأن تعيش دائما بعيون مفتوحة تحرص على ألاّ تفوتها لمحة ، وبآذان يقظة على الآخر تحرص على ألاّ تفوتها همسة . والحاصل أن دقة موقف الأردن منذ اللحظة التى أنشىء فيها سنة ١٩٢١ كانت تفرض عليه ـ حرصا على البقاء فى حد ذاته ـ أن يكون متنبها إلى كل مايدور حوله . ولقد ترافق إنشاؤه مع بداية الانتداب البريطانى على فلسطين ، ومع الخطى الأولى فى الزحف الصهيونى لإقامة إسرائيل على أساس وعد« بلفور » . ومن هذه الظروف فإن عمان كانت على اتصال وثيق بالقوى الفاعلة فى الشرق الأوسط سواء فى ذلك الامبراطورية القديمة والجديدة أو القوى الاستيطانية الوافدة على المنطقة تحلم بموقع مسيطر فى قلبها !

كان الملك « حسين » قد درس واستوعب جيدا ـ ومن منظور عمان ـ تاريخ قيام دولة شرق الأردن سنة ١٩٢١ وظروف تحولها إلى المملكة الهاشمية الأردنية سنة ١٩٤٩ بعد ضم الضفة الغربية إليها فى أعقاب معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ . وكذلك كان قد درس واستوعب ـ من نفس المنظور ـ تاريخ الهاشميين وبالذات جده الملك « عبدالله » فى هذه المملكة التى شاءت لها الظروف أن تقوم على خط الاحتكاك المباشر فى الصراع بين العرب وإسرائيل .

وكان الملك « حسين » شديد الاقتناع بعدد من الأمور بدت له حقائق ومسلمات لابد من النزول على مقتضياتها :

□ **أولا :** كان مقتنعا بأن بقية العرب لم يدرسوا بالقدر الكافى ظروف قيام شرق الأردن ، وأن جده الملك « عبدالله » - فى غياب إرادة عربية قادرة - لم يكن أمامه غير أن يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من فلسطين ، وأنه حاول كل ما حاول مع الحركة الصهيونية بغرض أن تقبل نوعا من الكيان الإسرائيلى فى داخل دولة عربية - شرق الأردن وغربه - يكون هو ملكها لكى يحفظ عليها طابعها العربى ، ولكن الحركة الصهيونية بقيادة « بن جوريون » كانت منذ البدايات الأولى تريد فلسطين كلها من النهر إلى البحر .

□ **ثانيا :** وكان مقتنعا أيضا بأن بقية العرب لم يدرسوا بالقدر الكافى ظروف قيام المملكة الهاشمية الأردنية بعد معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ . فقد كانت دولة إسرائيل التى أعلن قيامها يوم ١٥ مايو من تلك السنة ، والتى خاضت معارك انتصرت فيها على كل الجيوش العربية - تريد من ذلك الوقت المبكر أن تحتل الضفة الغربية للأردن لولا مجموعتين من الأسباب دولية - وإسرائيلية ؟

فأما الأسباب الدولية فقد تمثلت فى مخاوف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من أن يؤدى احتلال إسرائيل لكل فلسطين إلى قلاقل بغير حدود فى العالم العربى فى وقت كانت فيه الدولتان الكبيرتان تحاولان شد العالم العربى إلى أحلافهما العسكرية ضد الاتحاد السوفيتى والشيوعية الدولية .

يضاف إلى ذلك أن الرأى العام العالمى كان مهيأ لقبول قيام دولة يهودية فى فلسطين على أساس شرعية قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ - فإذا ما جاءت إسرائيل الآن لتأخذ كل فلسطين فإن هذا من شأنه أن يضع إسرائيل ومؤيديها فى الولايات المتحدة والغرب بصفة عامة فى موقف صعب يؤيد منطق الغزو ويجافى حكم الشرعية الدولية .

وأما مجموعة الأسباب الإسرائيلية فقد كانت أشد تعقيدا ، وقد أجملها « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل فى مذكراته(٨) ، وأوردها على النحو التالى :

---

(٨) رجاء مراجعة دراسة الأستاذ « آفى شاليم » بعنوان « التواطؤ عبر الأردن » الصادرة عن جامعة « أوكسفورد » سنة ١٩٨٨ ، وبالذات الصفحات من ٣٧١ إلى ٣٨٥ - وهذه الدراسة تعتبر أهم وأخطر ما كتب عن العلاقات الإسرائيلية - الأردنية .

١ ـ إن إسرائيل لا يكتمل كيانها إلاّ بضم الضفة الغربية ، بما فيها القدس الشرقية ، إلى الدولة الصهيونية وضمن حدودها . وصحيح أنها توسعت بمعركة سنة ١٩٤٨ إلى أكبر مما نص عليه قرار التقسيم الصادر سنة ١٩٤٧ . ولكن الدولة الصهيونية تظل ناقصة عن حدودها التاريخية طالما بقيت « يهودا »و « السامرة » خارج إطارها .

٢ ـ إن هناك اعتبارات عملية تدفع إسرائيل الآن إلى القبول مؤقتا بالإقليم الذى أعطاه لها قرار التقسيم والأراضى التى أضافتها إليه بقوة السلاح ، وهذه الاعتبارات هى :

أ ـ إن تعداد سكان إسرائيل حين قيام الدولة لم يكن يزيد عن ستمائة ألف من اليهود ، وإلى جوارهم أربعمائة ألف من العرب ، وهذا توازن لايسمح بضم الضفة الغربية وفيها مليون من العرب .

ب ـ إن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل فى مستقبل السنين سوف تغير هذا التوازن ، وعلى إسرائيل أن تراعى المجتمع الدولى حتى يسمح ويشجع هجرة اليهود إليها بما يغير هذا التوازن البشرى .

جـ ـ فى ظل التوازن السكانى الحالى فلن يكون فى استطاعة الدولة الوليدة أن تجد يهودا يذهبون للحياة فى الضفة الغربية ويستوطنون أراضيها .

د ـ إن الدولة الجديدة لا تملك حاليا القوة العسكرية الكافية ولا الموارد المالية اللازمة للغزو العسكرى والاستيطان .

هـ ـ إن احتلال الضفة الغربية فى ظروف ١٩٤٨ سوف يطرح مشكلة القدس عالميا فى وقت لم يتهيأ فيه الرأى العام العالمى ـ وبخاصة الرأى العام المسيحى لقبول واقع أن القدس أصبحت عاصمة إسرائيل .

و ـ إن مستقبل الأيام قد يوفر هذه العوامل كلها ويتيح الظروف التى تجعل ضم الضفة الغربية ممكنا شرط أن يكون المناخ العالمى مهيأ وعوامل القوة العسكرية والمالية متاحة .

□ **ثالثا :** إن الملك كان مقتنعا أيضا بأن بقية العرب لم يتفهموا ليس فقط هذه الدواعى السياسية ، ولكنهم أيضا لم يتفهموا دواعيه الأمنية لمملكته التى لها أطول حدود مشتركة مع إسرائيل إذ يبلغ طولها ٦٥٠ كيلو متراً . **وهو لا يستطيع أن يحافظ على هذه الحدود بأى نوع من أنواع القوة ، ولكنه يستطيع بكل لون**

من ألوان السياسة . وضمانته الوحيدة لها دولية ، وليست هناك ضمانة عربية .

وكان الملك قد مارس طوال الخمسينات وحتى منتصف الستينات وما حولها منتهى المرونة فى حركته السياسية ، وعندما بدأت سلسلة مؤتمرات القمة والتى قام بمقتضاها كيان فلسطينى ، كان الملك يحس أن حركة الصراع العربى الإسرائيلى تضعه بين شقى رحى ، فهو يشعر بالضغوط العربية الشعبية والرسمية وراءه ، وفى نفس الوقت فإنه يعرف ما لا يعرفه غيره من أن إسرائيل لا تنتظر إلاّ ثغرة تنفتح لها حتى تنقض على الضفة الغربية وهى حلمها المؤجل من سنة ١٩٤٨ .

كان الملك قد استطاع بقدرة هائلة على المناورة فى العالم العربى وعلاقة خاصة ووثيقة مع الولايات المتحدة - التى آلت إليها مقاليد سياسة الغرب فى المنطقة - أن يجتاز مآزق كثيرة .

وعند منتصف الستينات وما حولها كان المأزق الحقيقى الأول هو قيام منظمة التحرير ، وبقيامها وقع النظام الأردنى فى إشكالات إلى حد الأزمات مع المنظمة برئاسة السيد « أحمد الشقيرى » ، ووصل الأمر إلى حد أن الملك أبلغ الجامعة العربية رسميا بأنه أعطى للوفد الأردنى أمرا بالانسحاب من أية جلسة للجامعة العربية يحضرها السيد « أحمد الشقيرى »[٩] . وكان المأزق الثانى هو خطط تحويل مياه نهر الأردن ، وقد حاول النظام فيه أن يستفيد من رصيد الأموال العربية المخصصة لهذه المشروعات- دون أن يمس مشروعات التحويل الإسرائيلية . وكان المأزق الثالث هو خطط القيادة العربية الموحدة وما تقتضيه من دخول قوات عراقية وسعودية إلى الأردن - وكان الملك واثقا أن ذلك يعنى الحرب !

وفى أواخر ١٩٦٦ كان الأردن يشعر أن اللعبة أصبحت بالغة الخطر .

□

ولقد كان فى الأردن من أحسوا مبكرا أن الأمور سائرة إلى صدام لاشك فيه فى المنطقة . وليس فى وسع أحد أن يقطع حتى الآن بقدر المعلومات التى كانوا فى عمان

---

(٩) خطاب من وزير الخارجية الأردنى إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام للجامعة العربية بتاريخ ١١ مارس ١٩٦٧ (محفوظات الامانة العامة للجامعة العربية)

يعرفونها عن الخطط التى أشار إليها « يوجين بلاك » عندما تحدث عن سياسة إطلاق اسرائيل «Unleash Israel» - **ولكن البعض فى عمان كان لابد أن يدرك أن « كلاب الصيد » حين تنطلق من حظائرها فإنها قد لا تسير بالضبط على الخط المرسوم لها فى اتجاه مصر ، وأنها قد تحيد عن هذا الخط قليلا لتأخذ الفريسة التى طال انتظارها فى الضفة الغربية .**

كانت عمان بالتجربة تعرف أن هناك مساحة كبيرة للاتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، ولكنها فى نفس الوقت كانت تعرف أن هناك أيضا مساحة خلاف قد تتباين فيها الأهداف . **ومن الأمور القابلة للتصور أن تتعاون إسرائيل مع الولايات المتحدة فى هدفهما المشترك لاصطياد « الديك الرومى » فى القاهرة . وإلى جانب ذلك فليس هناك ما يمنع إسرائيل من إضافة فريسة الضفة الغربية غنيمة خالصة لها وحدها متأكدة سلفا أنها إذا نجحت فى الجزء المشترك بينها وبين الولايات المتحدة - فإن الولايات المتحدة قد لا تمانع كثيرا فى انفراد إسرائيل بجزء آخر من الأهداف يخصها وحدها ، خصوصا إذا استطاعت إسرائيل تهيئة المسرح والظروف !**

والذى يستعيد قراءة رسالة الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » إلى الملك « حسين » يستطيع أن يلمح مخاوف الملك ، ويستطيع أيضا أن يستشف عدم ثقة « جونسون » الذى قال فى رسالته للملك بالحرف :

« وأخيرا فقد أبلغنى السفير بيرنز (السفير الأمريكى فى عمان) قلق جلالتكم لأن سياسات إسرائيل قد تغيرت ، ولأن إسرائيل تعتزم الآن احتلال أراضى الضفة الغربية لنهر الأردن . ولئن كان فى وسعى أن أفهم أسباب هذا القلق فإن لدينا من الأسباب الوجيهة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن من غير المحتمل إلى حد كبير أن تقع الأحداث التى تخشونها فعلا » .

□

وفى أوائل سنة ١٩٦٧ كان النظام فى الأردن معرضا لضغوط عنيفة ، فقد كانت القاهرة تشن حملات شديدة عليه بسبب اشتراكه فى عمليات تجنيد المرتزقة

لحرب اليمن - ثم أضيفت إلى هذه الحملة - حملة أخرى بسبب ما قيل من أن الحكومة الأردنية تماطل فى الاستجابة لطلبات القيادة العربية الموحدة .

وفى ٢١ يناير ١٩٦٧ وصلت إلى القيادة العربية الموحدة معلومات - مأخوذة عن تقرير إحدى اللجان فى الكونجرس الأمريكى - **تفيد أن الحكومة الأردنية حصلت من القيادة العربية الموحدة على مبالغ مقدارها ٢١ مليون جنيه استرلينى[١٠] لكى تشترى بها أسلحة ، ولكن الحكومة الأردنية حصلت على أسلحة أمريكية مجانية ضمن مجموعة صفقات سلاح قدمت لثلاث دول فى المنطقة هى إسرائيل وإيران والأردن .**

وأثارت القيادة العربية الموحدة هذه القضية - واعتبرت حكومة الأردن ذلك مساسا بها ، وردا عليه قامت الحكومة الأردنية بإبلاغ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية رسميا أنها « **قررت عدم الاشتراك فى اجتماع مجلس الدفاع العربى الأعلى المحدد لانعقاده يوم ١٤ فبراير ١٩٦٧** » ، وأبدت وجهة نظرها فى « **أن الموقف الآن يتحتم بحثه فى مؤتمر عربى على مستوى القمة** » .

وتأجل انعقاد مجلس الدفاع شهرا ، وعندما التأم جمعه يوم ١٢ مارس سنة ١٩٦٧ اتخذ المجلس قرارا « بتكليف القيادة العامة لجيوش الدول العربية أن تعيد تقديراتها وحساباتها على أساس استبعاد الأردن (والسعودية) من خطط الدفاع العربى المشترك . ووقف السيد « محمود رياض » وزير الخارجية المصرية يقول طبقا لمحضر الجلسة : « **لابد من الاستمرار فى دعم منظمات القمة الثلاث (الهيئة العربية لمياه الأردن - والقيادة العربية المشتركة - ومنظمة التحرير الفلسطينية) - كأسلوب للعمل العربى المشترك فى خدمة قضية الشعب الفلسطينى** » . وقال السيد « محمود رياض » إن « **حكومة الأردن قد أخذت من الأموال العربية أكثر من ٢١ مليون جنيه استرلينى** » ، وأشار إلى أن « **حكومة الأردن أخذت فوقه من إمارات البحرين وقطر ودبى مبلغ ٣,٥ مليون جنيه** ،

---

(١٠) كانت تفاصيل هذه المبالغ كما يلى :

٨,٠٧٦,٠٣٢ جنيها استرلينيا سنة ١٩٦٤

٦,٦٩٤,٥٩٧ جنيها استرلينيا سنة ١٩٦٥

٤,١٣٢,٠٥٩ جنيها استرلينيا سنة ١٩٦٦

٢,٤٣٦,٢٢٩ جنيها استرلينيا (اعتماد إضافى سنة ١٩٦٦)

وأن السلاح الأمريكى الذى وصل إلى الأردن قدم إليها مجانا ، والموضوع الآن يحتاج إلى مراجعة جديدة للموقف بعد أن أصبح الأردن لا ينفذ أى قرار ولا يلتزم بأية خطة ، ويجب وضع خطة جديدة على أساس أن الأردن لاينفذ شيئا » .

ثم أعلن السيد « محمود رياض » فى المجلس « **أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد تام لأن تنفذ تنفيذا كاملا جميع مقررات مجلس الدفاع المشترك سواء بقيت القيادة العامة الموحدة أو لم تبق ، وأنها قررت أن تتدخل فورا للدفاع عن أى بلد عربى يتعرض لأى اعتداء إسرائيلى حتى ولو كان هذا الاعتداء على الأردن أو السعودية » .**
وأشار رئيس الوفد المصرى إلى معاهدة الدفاع المشترك بين سوريا وبين الجمهورية العربية المتحدة ، وإلى ما أعلنه الرئيس « جمال عبد الناصر » بأنه « **إذا وقع أى عدوان على الأردن فإن الجمهورية العربية المتحدة ستتدخل على الفور لدفعه » ، ثم قال « إن القضية مطروحة على بساط البحث أمامكم ، وإن تخلف الأردن والسعودية لايمكن أن يعوق سيرنا » .**

ولم يكن الملك « حسين » - فيما يظهر من تحركاته فى تلك الفترة - يشغل نفسه كثيرا بما يجرى فى أروقة الجامعة العربية بما فيها القيادة العربية الموحدة - بل لعل الحملات السياسية والدعائية الموجهة إليه كانت تفيده لدى آخرين خصوصا فى الولايات المتحدة التى كان فى مقدورها وحدها أن تكبح جماح إسرائيل وتشد كلاب الصيد عن الضفة الغربية . لكن الملك بتجربة طويلة ونافذة بدأ يخشى من الأحوال المتفجرة على الجبهة السورية .

كانت الجبهة السورية مع إسرائيل قد اشتعلت بنيران متقطعة طوال الشهور الأولى من سنة ١٩٦٧ . وكانت اشتباكات المدفعية ، وغارات الطيران ، وتسلل وحدات الفدائيين الفلسطينيين من ناحية ، ووحدات الكوماندوز الإسرائيلية من ناحية أخرى - تتزايد مع كل يوم .

ودعى مجلس الوزراء الإسرائيلى إلى لقاءات عاجلة ومتكررة طوال شهرى فبراير ومارس ١٩٦٧ ، وبدأ المجلس يدعو إلى جلساته عدداً من العسكريين يتقدمهم الجنرال « اسحق رابين » رئيس الأركان العامة ، وكان الحديث كله عن « توجيه ضربة انتقامية كبيرة إلى سوريا » .

وحاول « يو ثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة أن يحتوى الأزمة ، فكلف الجنرال أودبول » كبير مراقبى الهدنة بدعوة لجنة الهدنة الإسرائيلية - السورية إلى اجتماع عاجل

لبحث الأوضاع المتردية . وانعقد الاجتماع فعلا تحت رئاسة الجنرال « أودبول » ، ولم يستطع الوصول إلى نتيجة لأن إسرائيل فيما بدا كانت مصممة على ما وصفته بـ « **تأديب سوريا** » .

وفى يوم ٥ ابريل وقف رئيس وزراء إسرائيل « ليفى أشكول » فى الكنيست (البرلمان) الإسرائيلى يعلن أمام المجلس : « **إن إسرائيل قررت أن ترد بالطريقة التى تراها ملائمة على سوريا ، وأن الطريق إلى دمشق مفتوح** » .

ويوم ١٣ ابريل وزع الوفد السورى بيانا فى الأمم المتحدة قدم إلى كل أعضاء مجلس الأمن ـ جاء فيه « **إن أية هجمات أخرى تشنها إسرائيل سوف تؤدى إلى اشتعال الموقف ، مهما كان الثمن** » . وقال البيان إن « **الاشتباك الذى وقع أخيرا بين الجانبين السورى والإسرائيلى يمثل تدهورا خطيرا للموقف على خطوط الهدنة .إن إسرائيل مسؤولة عن الهجوم ، وليس للأمم المتحدة أن تقف ساكنة ترقب القوى العدوانية وهى تتحرك** » . وأضاف البيان « **إن سوريا لن تتخلى عن واجبها المشروع فى الدفاع عن نفسها ضد هذه السياسات التوسعية والاستعمارية** » . وقال البيان « **إن الكيان الإسرائيلى العدوانى فى المنطقة يستخدم أداة تخريب لتنفيذ مؤامرة واسعة ضد القوى التقدمية فى الوطن العربى** » وحذر البيان من أن « **نتائج مثل هذه المؤامرة لن تكون محدودة ، وأن اشتعال الموقف الذى تثيره هذه القوى العدوانية سيكون حقيقيا وواسع النطاق** » .

ثم أضاف البيان السورى إلى هذا كله جملة لها معنى خاص ، فقد قال بالحرف :
« **إن الولايات المتحدة الأمريكية قد حولت إسرائيل إلى « مجرم محترف » !** »

□

لم تكن القاهرة بعيدة عن هذه التطورات المتلاحقة بطبيعة الأحوال . كانت ملتزمة بمعاهدة الدفاع العربى المشترك ، وبخطط القيادة العربية الموحدة ـ وأيضا باتفاق ثنائى خاص بينها وبين سوريا .

وفى هذه الأجواء المشحونة قرر « جمال عبد الناصر » أن يوفد الفريق أول « محمد صدقى محمود » قائد القوات الجوية إلى دمشق للقاء مع قائد الطيران السورى الذى أصبح وزيرا للدفاع وهو الفريق « حافظ الأسد » ، وليبحث معه الموقف على الخطوط مع إسرائيل . وفى الحقيقة فإن الفريق أول « صدقى محمود » كان مكلفا بمهمة تقص للحقائق عن الأوضاع على الجبهة السورية ، وبالذات أوضاع الطيران بعد سلسلة من الاشتباكات الجوية كان الطيران السورى يتعرض خلالها لتفوق إسرائيلى ظاهر .

وعاد الفريق أول « صدقى محمود » الى القاهرة ، وقدم يوم ١٢ ابريل تقريرا مفصلا إلى المشير « عبد الحكيم عامر » جاء فيه بالحرف :

« إنه نقل إلى « الإخوة فى سوريا » أن الجمهورية العربية المتحدة تقف معهم » .

ثم أورد « صدقى محمود » فى تقريره ملاحظات قال فيها :

« إنه أحس أن القيادة العسكرية السورية تعيش فى جو تسوده عصبية شديدة ، وأنه وجد لازما عليه تخفيف توتر أعصابهم الذى يؤدى إلى تصرفات تساعد على تأزيم الموقف » .

وقال الفريق « صدقى » :

« إنه رأى أن يقابل ثلاثة من الطيارين السوريين الذين أسقطت طائراتهم ليسمع منهم بنفسه عن تجربتهم ، وقد قابلهم بالفعل ، وهم النقباء « على عنتر » و « محيى الدين داوود » و« أحمد القوتلى » ، وأنه طلب إليهم أن يكتبوا تقارير عن خلاصة تجربتهم مع الطيران الإسرائيلى ، وقالوا له إنهم كلفوا بهذا العمل من قيادتهم ، وقد طلب من القيادة تقاريرهم » .

كان هؤلاء الطيارون الثلاثة الذين اسقطت طائراتهم قد نزلوا بالباراشوت فى الأراضى الأردنية . وأمر الملك « حسين » بتسليمهم إلى سوريا على الفور ، وتم تنفيذ أمره !

ولم يكن الأمر بتسليم الطيارين الثلاثة هو شاغل الملك الوحيد فى هذه الفترة ، وإنما كانت لديه شواغل أخرى . وحتى هذه اللحظة فإن أحداً لايستطيع أن يقطع إذا كانت شواغل الملك مبعثها معلومات محددة بلغته ، أو مخاوف راحت تساوره بفعل الحاسة السادسة لديه ، وهى حاسة أثبتت ظروف عديدة أنها يقظى ومتنبهة لما يجرى فى المنطقة ظاهرا وخفيا .

والحاصل أن الملك بدأ يرى أن الموقف على الخطوط السورية الإسرائيلية قد يكون بداية رفع الستار عن مشهد جديد فى المنطقة .

وقرر الملك أن يتصرف على مسؤوليته وأن يقوم بحركة من أخطر ما قام به فى حياته الحافلة !

ولعله كان يشعر أن الحوادث تحولت من حساب الأسابيع ... إلى حساب الأيام والساعات . وكان شعوره سليما .

الفصل الثالث

هنـــاك فـــخ !

يوم ٢٨ ابريل ١٩٦٧ تلقى الفريق « عبد المنعم رياض » رئيس هيئة أركان حرب القيادة العربية الموحدة رسالة من الملك « حسين » تستدعيه لمقابلة خاصة مع الملك فى أسرع وقت ممكن . وحمل الفريق « عبد المنعم رياض » رسالة الملك وتوجه إلى مكتب رئيسه الفريق أول « على على عامر » ، وكان مجاورا لمكتبه فى مبنى القيادة العليا فى مصر الجديدة . كانت رسالة الملك « حسين » مفاجئة له ، وكذلك كانت مفاجئة للفريق « على على عامر » عندما عرضها عليه . فقبلها بأسابيع قليلة كان الأردن قد أعلن رسميا أنه قرر وقف تعامله بالكامل مع كل المؤسسات التى أنشأتها مؤتمرات القمة العربية .

وراح الفريق « رياض » والفريق أول « على على عامر » يحاولان تصور الأسباب التى يحتمل أن تكون وراء دعوة الملك المفاجئة-لرئيس أركان حرب القيادة العربية الموحدة . كان كلاهما يعرف أن الملك يرتاح لـ « عبد المنعم رياض » ولشخصيته المفتوحة ، وأن نوعا من الصداقة قد نشأ بين الاثنين ، وأن الملك كثيرا ما يتحدث مع « عبد المنعم رياض » فى أمور تخرج عن اختصاصه كرئيس لأركان حرب القيادة العربية الموحدة . وكان تساؤل الاثنين هو ما إذا كان الملك يريد مقابلة « عبد المنعم رياض »

ليتحدث معه فى شأن من شؤون القيادة العربية الموحدة ، أو أنه شأن آخر . وقد اتفق رأيهما على أن يسافر « عبد المنعم رياض » بسرعة إلى عمان . ومن باب الاحتياط فقد رؤى أن يحمل « عبد المنعم رياض » معه تقريرا من القائد العام لقوات القيادة العربية الموحدة يتعرض لآخر تطورات الموقف . وكان هذا التقرير يتفهم بشكل واضح وجهات النظر الأردنية فى عدد من المشاكل المتعلقة بالجبهة الأردنية وأهمها دخول جيوش عربية إلى أراضى الأردن . وقد جاء فى الصفحة السادسة من هذا التقرير ما نصه :

« ونتيجة للاعتداء الأخير على الجبهة الأردنية فقد طلبت هذه القيادة من السلطات الأردنية أن تسمح بدخول القوات العراقية والسعودية الى أراضيها خشية أن يكون هذا الاعتداء والظروف التى أحاطت به مقدمة لمحاولة أكبر للاعتداء على الأراضى العربية فى الأردن ، وبخاصة الضفة الغربية التى يعلن الحزب الحاكم فى إسرائيل أنها تدخل ضمن برنامج توسعه الأول . وقد وافقت القيادة الأردنية على طلبنا هذا من ناحية المبدأ ، وترى أن دخول هذه القوات سيدفع العدو إلى القيام بعدوان شامل عليها ، ولهذا اشترطت النقاط الآتية قبل السماح بدخول القوات :

١ - أن تحدد الجهات العربية العليا التى تتحمل نتائج مثل هذا التواجد على ضوء كل الاعتبارات . ومنها القيادة العربية الموحدة .

٢ - أن القوات العراقية والسعودية بحجمها الذى حددته القيادة غير كاف لسلامة هذه العملية إن لم تتمركز باقى القوى العربية على جبهاتها مستعدة للقيام بواجبها إذا تدخلت إسرائيل فى هذه العملية .

٣ - أن يتم زيارة هذه القوات بواسطة المسؤولين (الأردنيين) والتأكد من تحشدها ودرجة استعدادها لتنفيذ مخططات القيادة قبل دخول القوات للأردن .

٤ - أن تزال قوات الطوارىء الدولية من حدود الجمهورية العربية المتحدة ، أو تتضح وجهة نظرها بشأن هذه القوات وبأنها لاتشكل عائقا على عملياتها التعرضية فى حالة مهاجمة إسرائيل للأردن .

٥ - أن يؤمن الدفاع الجوى » .

□

وأضاف الفريق « عبد المنعم رياض » قبل أن يستقل الطائرة ذاهبا إلى الأردن تحوطا جديدا . فقد اتصل بالمشير « عبد الحكيم عامر » نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

المصرية وأخبره برسالة الملك « حسين » ، كما حاول استطلاع رأيه فى النقاط الواردة فى التقرير الذى يحمله معه . وقد قال بالحرف ـ طبقا لمذكرة كتبها بخط يده :

« إن أهم نقطة تحتاج إلى توضيح من الجمهورية العربية المتحدة هى أن قوات الطوارىء لا تشكل عارضا أمام قوات الجمهورية العربية المتحدة فى حالة تحشدها أو قيامها بأى عمل تعرضى ضد إسرائيل كما حدث عام ١٩٦٠ (فبراير) » .

وطبقا لتقرير الفريق « عبد المنعم رياض » فإن المشير « عبد الحكيم عامر » خوله فى أن يقول للملك « حسين » إذا ما طرح الموضوع للمناقشة بين الاثنين « **إن قوات الطوارىء لا تضع أى قيد على حرية الجمهورية العربية المتحدة فى الحركة عند الظرف المناسب** » .

ومع ذلك فلم يكن فى وسع أحد أن يقطع بالسبب الذى رأى الملك « حسين » من أجله أن يدعو الفريق « عبد المنعم رياض » إلى لقائه فى عمان . ولم تكن الحيرة إزاء هذا السبب مقصورة على الذين سمحت لهم ظروفهم أن يعرفوا بالدعوة فى القاهرة ، وإنما امتدت الحيرة حتى إلى وكالات الأنباء العالمية ، ومنها وكالة « رويتر » البريطانية للأنباء ، وقد أذاعت من بيروت برقية عن المقابلة جاء فيها بالنص :

« استقبل الملك حسين اليوم (أول مايو) الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القيادة العربية الموحدة الذى وصل اليوم فى زيارة مفاجئة للأردن . ولم يعرف أحد لماذا حضر وإلى متى يبقى ؟ وقد أعرب المراقبون فى بيروت عن دهشتهم لهذه المقابلة لأن الملك حسين كان قد أعلن أنه لن يتعامل مع أية منظمة أنشأتها مؤتمرات القمة السابقة . والقيادة العربية الموحدة هى إحدى ثلاث مؤسسات أنشأتها المؤتمرات السابقة (منظمة التحرير الفلسطينية ـ هيئة تحويل روافد الأردن ـ والقيادة العربية الموحدة) ».

حينما دخل « عبد المنعم رياض » إلى مكتب الملك واتخذ مقعده بدعوة منه أمامه ، لاحظ الفريق « عبد المنعم رياض » على الفور أن الملك يبدو مهموما . وكان سؤاله الأول لـ « عبد المنعم رياض » عن « **الأحوال** » . وانصرف ذهن « عبد المنعم رياض » فورا إلى أن الملك يسأل عن الأحوال العامة . وكان رده « **أن الأحوال تبدو له فى منتهى الخطورة . فعدا ما يعرفه الملك بالتفاصيل عن أوضاع العمل العربى الموحد ـ فإن الأحوال فى**

إسرائيل نفسها لابد أن تثير قلق كل الذين يهمهم أمر العالم العربى ومستقبله . فهناك أزمات بدأ ظهورها فى الاقتصاد أدت إلى زيادة عدد العاطلين فى إسرائيل . ثم أن هناك ظاهرة هجرة متزايدة من يهود إسرائيل إلى مواطنهم الأصلية . كما أن هناك خلافات داخلية على مستوى السياسة العليا فى إسرائيل ، يتعلق بعضها بمشكلة الأمن . وكل هذا من شأنه أن يجعل الإسرائيليين فى حالة عصبية يحتمل معها أن يقدموا على أية مغامرة » . وأضاف « عبد المنعم رياض » أنه « **بعد أن تلقى دعوة الملك تحدث مع الفريق على على عامر وتحدث مع المشير عبد الحكيم عامر ، وقد يكون فى استطاعته إذا أذن له الملك أن يعرض عليه النتائج »** .

ومرة أخرى لاحظ الفريق « عبد المنعم رياض » أن الملك ـ كما يبدو من ملامحه ـ مشغول بشيء آخر . وسكت منتظرا أن يسمع من الملك . وكان ما سمعه الفريق « عبد المنعم رياض » مفاجئا له . فقد بدا الملك فى بداية حديثه مترددا تجيء كلماته بطيئة وكأنه يفكر فى كل كلمة يقولها وفى كل حرف . وأحس الفريق « عبد المنعم رياض » أن ما يسمعه خطير ، واستأذن الملك إذا كان يسمح له بأن يكتب بعض النقاط مما يسمع حتى لايضيع منه شيء . وسمح له الملك وإن كان قد رجاه فى معاملة ما يسمعه بأقصى درجات السرية ، وأن ينقله إلى شخص واحد فقط وهو الرئيس « جمال عبد الناصر » .

كان مؤدى ما قاله الملك للفريق « رياض » على النحو التالى :

> **« إن الفريق رياض يعرف ويتابع بلاشك كل أسباب ودواعى الخلافات القائمة بينه وبين القاهرة . لكن هناك موضوعات تعلو على أى خلافات لأنها تمس الأمن القومى فى الصميم . والآن فإن الملك لديه ما يدعوه إلى اليقين بأن هناك فخا يدبر للجمهورية العربية المتحدة وللرئيس جمال عبد الناصر . فهناك محاولة لتوريطهم فى حرب مسلحة لا تلائمهم ظروفها . وأن « الجماعة » فى سوريا مخترقين وبعضهم متواطيء مع جهات لديها خططها . والفكرة الأساسية فى هذه الخطط الآن هى إشعال الموقف على الجبهة السورية بما يفرض على مصر أن تقوم بأى عمل لنجدة سوريا ، وهنا تصبح مصر هى الهدف الأول للمؤامرة ويجرى ضربها . وهو يريد أن تصل رسالته هذه إلى الرئيس جمال عبد الناصر بأسرع ما يمكن ، ويرجو أن يتأكد الرئيس أن دافعه إليها هو واجبه القومى وليس أى سبب آخر . وهو يتمنى أن تؤخذ رسالته جدا ولا تحمل على محمل موقفه من بعض الأطراف المعنية فى دمشق »** .

وحاول الفريق « عبد المنعم رياض » أن يستوضح الملك أكثر ، فقد بدا له أن الملك يتحدث بمقتضى معلومات يعرفها أكثر مما يتحدث بوحى مشاعر تراوده . ولكن الملك لم يبد أى استعداد لتجاوز ما قاله[1] .

ولقد خرج الفريق « عبد المنعم رياض » من مقابلته مع الملك وفى ذهنه عدد كبير من الأسئلة المتشابكة والمعقدة راحت كلها تلح عليه وهو يركب الطائرة عائدا إلى القاهرة يوم ٢ مايو ١٩٦٧ :

- **ما الذى يعرفه الملك بالضبط ؟ ولماذا لم يفصح عنه كله ؟**
- **ما الذى تعرفه الأطراف الدولية الأخرى كما يعرفه الملك ؟**
- **من هم « الجماعة » الذين يقصدهم الملك فى سوريا ويعرف أن بينهم ضالعين فى التواطؤ ، وآخرين راغبين فى التوريط ؟**
- **ما الذى دعا الملك فجأة إلى هذا التحذير للقاهرة وعلاقاته بها شبه مقطوعة ؟ ثم ألاّ يحرجه هذا التحذير المبكر للقاهرة أمام قوى مختلفة إذا تسرب شىء عنه ؟**
- **ما هى مصادر الملك التى تجعله يتحدث بهذه الدرجة من الثقة وكأن ما يعرفه علم يقين ؟**

كان الفريق « رياض » يعتبر نفسه صديقا للملك « حسين » وكان مقدرا لحجم اتصالاته الدولية ، وقد استقر فكره فى النهاية على أن رسالة الملك قضية تستحق الاهتمام وكان تلخيصه لها ـ بصرف النظر عن الأسئلة الملحة ـ هو : **« أن هناك مؤامرة لاستدراج مصر أو توريطها بحيث يمكن ضربها . وأن سوريا هى طعم الاستدراج أو التوريط . وأن موعد التنفيذ قريب . وأن الملك « حسين » برغم كل الاعتبارات قرر أن يحذر مصر لسبب رئيسى هو خشيته أن تصل المخاطر إلى مملكته لصعوبة حصر ألسنة النار إذا اشتعلت فى المنطقة ـ هذا بالطبع إلى جانب أسباب أخرى موضوعية » .**

وتوجه الفريق « عبد المنعم رياض » من المطار إلى مكتبه فى القيادة العليا الموحدة

---

(١) الغريب أنه فى هذا الوقت من أول مايو ١٩٦٧ ـ كان هناك تقرير لدى إدارة المخابرات البريطانية M.I.6 ـ أشار إليه « أنتونى بيرسون » فى الصفحة السابعة عشرة من دراسته عن فترة التمهيد لمعركة سنة ١٩٦٧ ـ وكان هذا التقرير يقول بأن التفكير السائد فى التخطيط الأمريكى الإسرائيلى يتجه إلى « أن تقوم إسرائيل باحتلال شبه جزيرة سيناء ، وتحويلها إلى منطقة عازلة بين مصر وإسرائيل . وأن يكون من جراء ذلك إلحاق هزيمة ساحقة بالقوات المسلحة المصرية ، ويترتب على هذه الهزيمة الإساءة إلى هيبة ناصر واحتمال إزاحته من السلطة ولو بواسطة انقلاب عسكرى يقوم به الجيش المضروب فى معركة سيناء » .

لجيوش الدول العربية ، وجلس يكتب تقريرا بخط يده إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » ، ثم توجه إلى مكتب الفريق أول « على على عامر » يستأذنه (طبقا للتقاليد العسكرية وتسلسل مراتب القيادة) أن يتولى إرساله مغلقا إلى الرئيس . وطبقا لنفس التقاليد فإن الفريق أول « على على عامر » بعث بالخطاب إلى المشير « عبد الحكيم عامر » طالبا إرساله الى مكتب رئيس الجمهورية . وحتى يوم ١٣ مايو لم يكن هذا الخطاب قد وصل الى يد الرئيس « جمال عبد الناصر »[٢] .

وفى مساء يوم ١٣ مايو عرف الرئيس « جمال عبد الناصر » بوجود مثل هذا الخطاب من الفريق « عبد المنعم رياض » فسأل عنه . وقرأه ظهر يوم ١٤ مايو . وكان الوقت متأخراً .

□

تدفقت مياه كثيرة تحت الجسور من الساعة التى قام فيها الفريق « عبد المنعم رياض » بكتابة تقريره ، إلى الساعة التى قرأه فيها الرئيس « جمال عبد الناصر » . وعلى أى حال فليس من المؤكد أن قراءة مبكرة لذلك التقرير كان من شأنها تغيير مجرى الحوادث . ذلك لأن مسار أى أزمة تتداخل فيه عشرات العوامل بل مئاتها ، ومحصلتها فى النهاية هى التى تشكل منظور القرار السياسى .

كانت سوريا قد تحولت إلى تفاحة ناضجة توشك أن تقع فى يد إسرائيل ، وكان التهديد مباشرا على دمشق ، وكانت الأفعال وردود الأفعال دائرة متصلة لا يستطيع أحد أن يقطع أين بدايتها وأين نهايتها . والحقيقة أن إسرائيل كانت تستفز ، وفى نفس الوقت فإن النظام فى سوريا كان متلهفا على أن يقبل الاستفزاز ، ومع كل حركة كانت درجة الخطر تتصاعد ، والمشكلة أن الذى كان معرضا للخطر لم يكن النظام الحاكم وإنما الوطن المحكوم وهو سوريا - أو هكذا بدا فى الظاهر .

---

(٢) شاءت الظروف أن ألتقى بالفريق « عبد المنعم رياض » فى قاعة المحاضرات بالأكاديمية العسكرية العليا وكنت فيها مع الماريشال « مونتجمرى » قائد العلمين الأشهر ، وكان يزور مصر بترتيبات خاصة شاركت فى الإعداد لها ضمن الاحتفال بمرور ربع قرن على معركة العلمين . وبعد أن انتهت المحاضرة جاءنى الفريق « عبد المنعم رياض » وتوجهنا معا إلى مكتبى فى « الأهرام » ، وهناك قال لى إنه يريد أن يتأكد أن تقريرا كتبه بخط يده موجها للرئيس « جمال عبد الناصر » قد وصل إلى يده وأنه اطلع عليه لأهمية ما فيه . واتصلت تليفونيا بالرئيس ورويت له ما سمعت ، وهكذا طلب التقرير بنفسه .

والحقيقة أن شكل النظام الذى آلت إليه السلطة فى دمشق فى تلك الأوقات كان يستوجب الكثير من التفكير . فعلى القمة منه ـ بعد سلسلة من الانقلابات عند منتصف الستينات وحوله ـ كانت هناك مجموعة من خمسة من الضباط كانوا جميعا أثناء الوحدة مبعدين فى القاهرة ، وفيها شكلوا ما أسموه باللجنة العسكرية السرية التى بدأت تخطط لدور مقبل لها فى سوريا . وكان الخمسة من العلويين ، وهم بترتيب ما بدا من أهميتهم فى ذلك الوقت : « محمد عمران » و« صلاح جديد » و« عبد الكريم الجندى » و« أحمد المير » و« حافظ الأسد » . وكان « « حافظ الأسد » هو أذكاهم بالتأكيد ، وأكثرهم قدرة على الرؤية والحساب ، ولقد كان هو الرجل الذى آلت إليه مفاتيح القوة فى دمشق ، فأصبح وزيرا للدفاع عندما احتدمت الصراعات وجرت التصفيات بين الأجنحة التى وقع التنافر بين أطرافها .

وكان الضباط العلويون الخمسة قد وضعوا على واجهة السلطة الظاهرة فى سوريا ثلاثة من الأطباء الشبان ، أولهم الدكتور « نور الدين الأتاسى » الذى عين رئيسا للدولة ، والدكتور « يوسف زعين » الذى عين رئيسا للوزراء ، والدكتور « ابراهيم ماخوس » الذى عين وزيرا للخارجية .

وكان خليط الضباط العلويين الخمسة والأطباء الشبان الثلاثة على قمة ووجه السلطة فى دمشق فى تلك الظروف الخطرة ـ وضعا شديد الحرج . فالفريق الأول منهم (الضباط) تنحصر تجربته فى لعبة التصفيات الجارية فى ذلك الوقت ـ والفريق الثانى (الأطباء) لاتزيد تجربته السياسية عن التطوع فى صفوف جبهة التحرير الجزائرية ، ولا تبعد ثقافتهم كثيرا عن قراءات جيش التحرير الجزائرى ومعظمها فى تلك الأيام ترجمات مما كتبه « ماوتسى تونج » عن الحرب الشعبية . وكان « جمال عبد الناصر » قد حذرهم عندما لقيهم فى أواخر سنة ١٩٦٦[٣] من واقع التحدى الموجه إلى سوريا ، ومن طريقة تناولهم له وتجاوبهم معه . لكن تحذيراته لم تحتفظ بمفعولها طويلا ، ومن ثم راح النظام فى دمشق ـ بالرغبة فى التوريط أو السقوط فى التواطؤ حسب رؤية الملك « حسين » ـ يفقد أعصابه يوما بعد يوم أمام استفزازات إسرائيل التى كانت تتصرف وفق لعبة أرسيت قواعدها .

□

وكان موقف الاتحاد السوفيتى مما يجرى فى سوريا ملتبسا بشكل كان لابد له أن يلفت النظر . وعلى سبيل المثال ففى يوم ١٩ ابريل ١٩٦٧ كتب الدكتور « مراد غالب »

---

(٣) رجاء مراجعة الفصل الثالث من الباب الرابع من هذا الكتاب ـ الصفحات من ٣٦٣ إلى ٣٦٧ .

السفير المصرى فى موسكو تقريرا يقول فيه : « **لقد التقيت أمس مع سيميونوف** (وكيل الخارجية السوفيتية) **وكان بادى اللهفة على الأوضاع فى سوريا ، وقد سألنى عن مدى تأييدنا لها إزاء استفزازات إسرائيل . وقلت له « إننا نتابع الموقف باهتمام » . وقد قال لى إن المجموعة الحاكمة فى سوريا شباب متحمسون يحلمون بالثورة ويستعملون كلمة الثورة كثيرا . وهو يرجو ألا نضيق بهم وأن نعطيهم الطمأنينة التى تجعلهم يتصرفون باتزان** » .

كان هذا رجاء سوفيتيا واضحا بتأييد سوريا ، ومع ذلك فإن الدكتور « مراد غالب » واصل روايته عن مقابلته لـ « سيميونوف » ، فذكر أن وكيل الخارجية السوفيتية قال له أثناء الحديث : « **لابد أن سوريا مريضة جدا ، وإلاّ لما جاءوا لها بثلاثة من الأطباء يعالجونها . واحد فى رئاسة الدولة ، وثان فى رئاسة الوزراء ، وثالث فى وزارة الخارجية** » .

وبعدها بيومين التقى « مرادغالب » مرة أخرى بـ « سيميونوف » وتحدث معه عن الاستفزازات الإسرائيلية لسوريا . ونقل عنه « مراد غالب » قوله « **إن تأييدكم لسوريا من شأنه أن يريح أعصاب النظام هناك . وربما يريحهم أيضا أن تحاولوا التوسط بينهم وبين العراق** » . ثم قال « سيميونوف » لـ « مراد غالب » : « **يظهر أن هناك عملية قبض على بعض الشيوعيين فى مصر ، ونحن لا نريد أن نتدخل ، ولكننا نخشى من محاولات الغرب لاستغلال اضطهاد الشيوعيين فى مصر كمادة للدعاية ضدنا عالميا** » .

□

وفى يوم ٢٨ ابريل ١٩٦٧ كان السيد « أنور السادات » فى موسكو مارا بها فى طريقه إلى زيارة كوريا الشمالية . والتقى فى نفس اليوم (٢٨ ابريل) بوكيل وزارة الخارجية السوفيتية « سيميونوف » . وبدأ الحديث بمجاملات عادية ، ثم انتقل إلى آخر التطورات فى اليمن ، ثم عاد « سيميونوف » إلى اثارة موضوع سوريا .وروى أن « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل بعث برسالة إلى « أليكسى كوسيجين » رئيس الوزراء السوفيتى يتحدث فيها عن الأوضاع على الخطوط السورية الإسرائيلية ويقول فيها **إن سوريا هى التى تقوم بالاستفزاز فى المنطقة ، وأن السفير الإسرائيلى حينما ذهب لتسليم رسالة « ليفى أشكول » سمع من « كوسيجين » تقريعا شديدا لقيام إسرائيل بحشد قوات ضد سوريا . وقد قال له السفير إنه مخول بأن ينفى له وجود مثل هذه الحشود ، وأن**

« ليفى أشكول » طلب إلى السفير السوفيتى فى تل أبيب « أن يذهب بنفسه إلى زيارة للجبهة الشمالية لكى يتحقق على الطبيعة من أنه لا توجد حشود إسرائيلية غير عادية أمام سوريا » . وروى « سيميونوف » أيضا أن « كوسيجين » رفض كلام السفير الإسرائيلى ، كما أن السفير السوفيتى فى تل أبيب رفض كلام « ليفى أشكول » . وأضاف « سيميونوف » طبقا لمحضر الجلسة أن « الاتحاد السوفيتى ليس فى حاجة إلى إرسال أحد إلى الجبهة الشمالية لكى يعرف الحقيقة . فلديه الوسائل التى يستطيع بها معرفة الحقيقة دون زيارة المواقع . فالمواقع يمكن ترتيبها فى أى وقت ، وأما الواقع الحقيقى فالاتحاد السوفيتى يستطيع أن يعرفه » .

وفى اليوم التالى (٢٩ ابريل ١٩٦٧) التقى « أنور السادات » ـ قبل أن يغادر موسكو متوجها إلى « بيونج يانج » عاصمة كوريا الشمالية ـ برئيس الوزراء السوفيتى « اليكسى كوسيجين » . وانتهز « كوسيجين » الفرصة لكى يسأل « أنور السادات » عن الموقف فى سوريا والاستفزازات الإسرائيلية الموجهة إليها ، وما هى « آخر الأخبار والتحليلات » فى القاهرة . ورد عليه « أنور السادات » قائلا « **إنكم تعرفون الموقف هناك أكثر منا ، ولديكم وسائلكم لمتابعته ، ولقد تحدثت فى هذا الأمر أمس مع الرفيق سيميونوف** » . وكان رد « كوسيجين » طويلا ومسهبا ، فقد قال : « **الحقيقة أن الموقف فى المنطقة كله معقد . أنتم فى معركة مع أمريكا وانجلترا ، ونحن نتفق معكم فيها مائة فى المائة ، لكن هناك بؤر خطر نخشى منها . فى اليمن نحن مرتاحون لأن الوضع استقر بعض الشىء ، فأنتم أعطيتم السلال درسا ينفعه لكى يكون رجل دولة . الموقف فى الجنوب قلق ، والانجليز مستعدون لصدام مسلح . وإذا كان توازن القوى الآن فى صالحكم ، فإن هذا لا يعطيكم الحق فى أن تكونوا مرتاحين[٤] لأن القوى المعادية قد تزداد عشرة أضعاف فى المستقبل ، وذلك بسبب الموقف فى السعودية وكل منطقة الخليج . هذه المنطقة معرضة ، والانجليز يحشدون فيها قوات كثيرة . العراق ، نحن نفهم استعدادكم لتأييد الحكومة فيه ، ولكن كل يوم تحدث مفاجأة ، وحركة القوى هناك كلها فاترة . واليد القوية غير موجودة . وكثير من المسؤولين هناك يقبضون من الانجليز والأمريكان ، والمعركة على العراق حادة ، وإذا كانت لديكم توصيات أو اقتراحات نحن نريد أن نسمعها . إيران وضعها أيضا صعب ، وهم جيراننا ، والانجليز والأمريكان واليابانيون يشتغلون هناك بشدة ونحن وجدنا من الملائم أن نتعامل مع الشاه . ونعرف هنا أن الرئيس ناصر ليس مرتاحا لتعاملنا مع الشاه . نحن لا نستطيع أن نقول لشاه**

---

(٤) صفحة ٨ من محضر الجلسة .

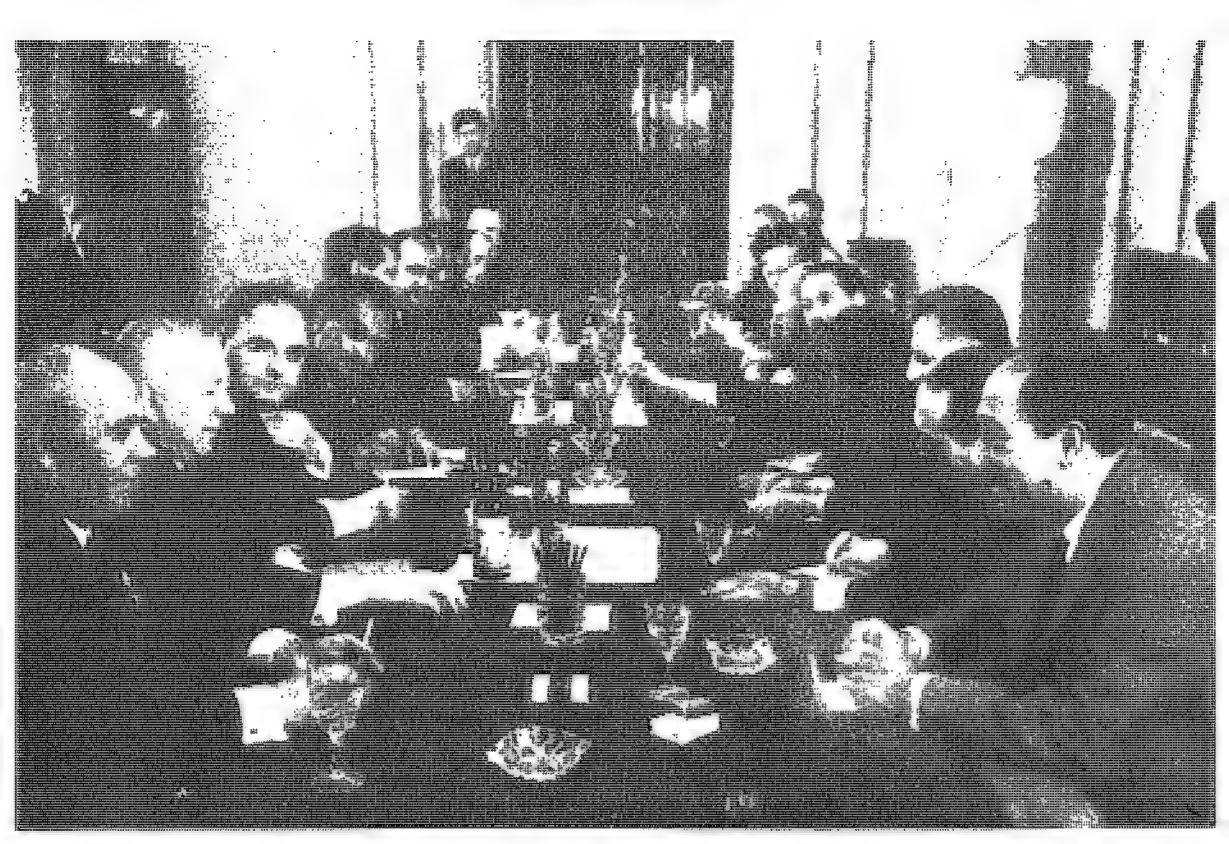

جلسة المباحثات بين الوفدين المصرى برئاسة أنور السادات والسوفيتى برئاسة بادجورنى .

إيران عندما يجىء لنا : « أنت شاه ونحن شيوعيون ، فاذهب فى داهية وليحدث ما يحدث » . نحن نريد تحييد الشاه . وهناك خطط أمريكية لتسليحه بشدة ، والدول الغربية كلها مشتركة فى تسليحه بما فيها ألمانيا الغربية ، ونحن دخلنا فى هذه العملية وهدفنا تحييد الشاه . لا نستطيع أن نترك إيران تماما للغرب ، ولا يمكن أن نقول له عندما يطلب منا سلاحا إننا لن نبيع له ما يطلبه ، وأنه لا يستطيع أن يشترى منا إلاّ بطيخ ومشمش فقط . والآن موضوع سوريا . إسرائيل تستفزهم باستمرار ونحن لابد أن نطمئنهم » .

□

وفى يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ كان السيد « أنور السادات » عائدا من كوريا الشمالية عن طريق موسكو أيضا . وفى هذه المرة قابله رئيس الدولة السوفيتى « نيقولاى بادجورنى » . ومرة أخرى كان « بادجورنى » مشغولا بالحشود الإسرائيلية أمام سوريا ، وقال لـ « أنور السادات » طبقا للصفحة الرابعة من محضر الجلسة : **« سوريا تواجه موقفا صعبا . ونحن سنساعد سوريا فى الموقف الذى تواجهه . وقد أخطرنا الرئيس ناصر فى القاهرة بما**

لدينا من معلومات » . ثم انتقل « بادجورنى » فجأة إلى احتمالات البترول فى مصر ، وقال لـ « أنور السادات » : « إن احتمالات البترول عندكم طبقا لتقديرات خبرائنا كبيرة ، وتعطيكم آمالا واسعة » . ورد عليه « أنور السادات » : إن الخبراء السوفيت قالوا لنا احتمالات نخشى من تصديقها » ورد بادجورنى قائلا : « إن أصدقاءكم السوفيت لا يقولون لكم إلاّ ما هو حق ، ولكم أن تكونوا على ثقة من أننا سوف نقف معكم باستمرار » .

□

وكانت الإشارات المتضاربة ما زالت متلاحقة أيضا :

● فى نفس يوم المقابلة بين « أنور السادات » و« بادجورنى » (١٣ مايو ١٩٦٧) - **ذهب مندوب المخابرات السوفيتى الذى كان معروفا باسم « سيرجى » ، وكانت وظيفته الرسمية مستشارا بالسفارة السوفيتية بالقاهرة - إلى مقابلة عاجلة مع مدير المخابرات العامة لينقل إليه رسالة من موسكو عن أن هناك حشودا إسرائيلية بحجم أحد عشر لواء تتجمع أمام الجبهة السورية . وكانت ظواهر الأحوال فى منطقة الشرق الأوسط كلها تنبىء بمقدمات عاصفة توشك على الانقضاض .**

● وكانت الصحف الأمريكية تشن حملة شعواء ضد الجمهورية العربية المتحدة بسبب حادث وقع للبعثة الأمريكية فى تعز . فقد قامت مظاهرة ضد مكتب النقطة الرابعة الأمريكى ، وإذا بعضهم من داخل مكتب البعثة يطلق النار بمدفع « بازوكا » على المظاهرة فيقتل أربعة من أفرادها ويجرح البعض الآخر . وتقتحم الجماهير الغاضبة مبنى مكتب البعثة الأمريكية وتقوم باحتلاله ، بينما تقبض سلطات الأمن اليمنية على بعض العاملين فيه بتهمة أنهم أطلقوا الرصاص فتسببوا فى مقتل مواطنين يمنيين . وقد كتب وزير الخارجية الأمريكية « دين راسك » خطابا إلى المشير « عبد الحكيم عامر » يطلب إليه التدخل للإفراج عن هؤلاء الموظفين وإعادة صناديق أوراق تخص البعثة الأمريكية قامت السلطات اليمنية بمصادرتها .

● وكان الملك « فيصل » قد وصل إلى لندن فى زيارة عاجلة لينسق مع رئيس الوزراء البريطانى « هارولد ويلسون » سياسة بريطانيا والسعودية فى الجنوب العربى وجهدهما المشترك لمواجهة « القوميين العرب » الذين تؤيدهم مصر .

● ونقلت وكالة أنباء « رويتر » من تل أبيب تصريحا لـ « آبا ايبان » يقول فيه « **إن الشرق الأوسط لم يكن إطلاقا ولن يكون فى المستقبل منطقة عربية فقط وإنما لابد أن تقوم فيه قوميات متعددة . وأن محاولة جمال عبد الناصر لتوجيه مصائر المنطقة يجب اعتراضها ، وأن هذا هو رأى بعض الزعماء العرب أنفسهم** » .

● وفى دمشق أصدرت وزارة الخارجية السورية بيانا قالت فيه « **إن سوريا تحمل إسرائيل وحماتها مسؤولية ما قد يحدث فى المنطقة ، وأن سوريا على استعداد لمواجهة أى عدوان بكل ما تملك من طاقات ، وبعزم وتصميم لايعرف التردد ولا الاستسلام** » .ثم أضاف البيان « **إن اسرائيل تمهد لعدوان كبير ، وسوريا لن تكون وحدها إزاء هذا العدوان ، وإنما ستقف معها فى مواجهته كل الأقطار العربية التقدمية . وأن اتفاقيات الدفاع المشترك سوف توضع موضع التنفيذ فى حال قيام إسرائيل بهذا العدوان** » .

□

ومساء نفس اليوم (١٣ مايو ١٩٦٧) ـ تلقى الرئيس « جمال عبد الناصر » برقية من موسكو بملخص ما سمعه السيد « أنور السادات » من الزعماء السوفيت عن الموقف على الحدود السورية ـ الإسرائيلية . وكان السيد « أنور السادات » قد طلب من الدكتور « مراد غالب » أن يبعث بهذا الملخص بالشفرة بطريقة عاجلة حتى يصل إلى القاهرة فورا قبل وصوله هو ، وبالتالى يمكن كسب خمس ساعات من الإنذار المبكر .

وفى نفس الوقت تلقى الرئيس « جمال عبد الناصر » تقريرا عن المعلومات التى نقلها مندوب المخابرات السوفيتية فى القاهرة إلى المخابرات المصرية .

وكانت وكالات الأنباء المختلفة تحمل تأكيدات إضافية عما يجرى على الخطوط السورية الإسرائيلية . فقد ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية « **إن المراقبين الدبلوماسيين فى تل أبيب يتوقعون أن تتخذ إسرائيل من العرض العسكرى السنوى الذى تقيمه اليوم فى تل أبيب** (فى الاحتفال بذكرى إقامة الدولة الإسرائيلية) ـ **ستارا لحشد عسكرى واسع النطاق** » . **كما نقلت الوكالة عن رئيس وزراء إسرائيل قوله** « **إن هناك مواجهة حتمية بين سوريا وإسرائيل طالما أن سوريا تشجع عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل إسرائيل** » . ثم نقلت الوكالة أيضا فى برقية من تل أبيب عن الجنرال « إسحق رابين » رئيس أركان الحرب الإسرائيلى قوله « **إن اسرائيل تعلم أن سوريا تقف وراء جميع أعمال التخريب ، وأن رد فعل إسرائيل هذه المرة سوف يكون مختلفا عن الأعمال الانتقامية التى قامت بها من قبل** » .

وفى نفس الوقت كانت وكالة الـ « يونايتد برس » الأمريكية تنقل من عدن أخبارا عن **قيام اثنتين من حاملات الطائرات البريطانية - هما « فيكتوريوس » و« هرمس » - بمناورات فوق منطقة الجنوب العربى بهدف تأكيد قدرة بريطانيا على حماية أصدقائها فيه ، وذلك بمناسبة انتهاء مدة خدمة الحاملتين « فيكتوريوس » و« هرمس »** فى البحر الأحمر وصدور أوامر لهما بالتوجه إلى البحر الأبيض فى طريقهما - كما قيل - إلى قاعدتهما الأصلية فى بريطانيا .

وفى نيويورك كان « يو ثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة يعقد مؤتمرا صحفيا يقول فيه إنه « **قلق من الأنباء الواردة من إسرائيل عن تفكيرها فى استخدام القوة ضد سوريا ، وأنه يناشد كل الأطراف فى الشرق الأوسط التزام ضبط النفس واحترام اتفاقيات الهدنة** » .

□

وفى الساعة السادسة من بعد ظهر يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ اتصل الرئيس « جمال عبد الناصر » تليفونيا بالمشير « عبد الحكيم عامر » ودعاه إلى لقائه وبحث معه صورة الموقف وتداعياته فى الساعات الأخيرة . وبالفعل وصل « عبد الحكيم عامر » إلى بيت الرئيس فى الساعة السابعة والنصف مساء ، وكان الرأى بين الاثنين « **أن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع أن « تقف ساكتة » وأن الحوادث تفرض عليها أن تكون مستعدة « لكافة الاحتمالات »** » . « **وكان القرار هو « دعوة أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى اجتماع طارىء صباح غد - ١٤ مايو - لدراسة ما يمكن اتخاذه من إجراءات تقتضيها ضرورات الاستعداد** » . **كذلك درس الاثنان فكرة إيفاد الفريق أول « محمد فوزى » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، ومعه وفد من كبار الضباط ، إلى دمشق لإخطار القيادة هناك بما تقرر اتخاذه من إجراءات وللتنسيق العملى إزاء احتمالات تصاعد الموقف .**

وبعد منتصف الليل بقليل ، والمناقشة بين « جمال عبد الناصر » و« عبد الحكيم عامر » تكاد تصل إلى نهايتها ، وصل السيد « أنور السادات » من موسكو ، وتوجه إلى بيت الرئيس فورا وانضم إلى الاجتماع حاملا معه صورة حية للقاءاته فى موسكو .

صباح يوم الأحد ١٤ مايو دخل « جمال عبد الناصر » مكتبه مبكرا ، فقد كان جالسا فيه بالفعل في الساعة السابعة والربع . كان نومه فى تلك الليلة متقطعا ، فقد ظلت معه ـ حتى بعد أن أوى إلى فراشه فى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ـ أصداء المناقشات التى دارت بينه وبين « عبد الحكيم عامر » وشارك فيها بعد ذلك « أنور السادات » . وكان يستشعر خطورة الموقف وهو يعرف أن هناك اجتماعا بعد ساعات قليلة لرئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة . وقد توقع أن يتصل به المشير « عبد الحكيم عامر » تليفونيا على الأقل قبل بدء الاجتماع لكى يسمع توجيهاته الأخيرة قبل انعقاده .

ولقد انشغل بعد ذلك فى مناقشات حول مستجدات الأوضاع مع عدد من زملائه ومعاونيه ، وبينهم السيد « زكريا محيى الدين » ، والسيد « صدقى سليمان » رئيس الوزراء ، والدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، والسيد « على صبرى » الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى ، وعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .

كان تحليل وتدقيق الموقف السياسى العام يشغله بالكامل ، وكانت الصورة واضحة فى ذهنه ، كما أن توجهه حيالها كان على نفس الدرجة من الوضوح ، وكانت خطوط أفكاره تجرى على النحو التالى :(٥)

١ ـ إن التهديد الموجه لسوريا ـ بما فيه تصريحات جديدة حملتها وكالات الأنباء اليوم منسوبة إلى الجنرال « رابين » وصلت إلى حد القول بأن إسرائيل على استعداد للزحف واحتلال دمشق نفسها وإسقاط النظام فيها والعودة إلى خطوط الهدنة مرة أخرى ـ هو تهديد لايحمل الخطر فقط ولكنه

---

(٥) اتصل بى الرئيس « جمال عبد الناصر » تليفونيا فى الساعة التاسعة والثلث وطلب إلىّ تحويل جهاز التليفون المباشر الذى كان يربط مكتبى بمكتبه إلى الـ "Scrambler" ، وهو جهاز معقد يؤمن سرية المكالمات التليفونية لأنه يحوّل ذبذبات الصوت السارية فيه إلى نوع من الشفرة لا يمكن فهمه لأى مستمع على الخط ، ثم يقوم بتحويل هذه الذبذبات إلى الصوت العادى عند الناحية الأخرى من الجهاز وهى جهة التلقى .

يحمل الإهانة أيضا ، فضلا عن أنه يخلق فى دمشق حالة من العصبية يمكن أن تؤثر تأثيرا سلبيا على مجمل الأوضاع .

٢ ـ إن التهديد الموجه لسوريا حقيقى ، والدليل عليه هو حجم الحشود الإسرائيلية المحيطة بالجبهة السورية . والمعلومات بشأن هذه الحشود لم يؤكدها الاتحاد السوفيتى وحده وإنما أكدتها مصادر مختلفة غيره ، فضلا عن أن التهديدات الاسرائيلية السافرة لسوريا تقوم كدليل عملى عليها .

٣ ـ إنه مستعد لأن يقبل وجهة النظر التى تقول إن التهديدات نفسية أكثر منها واقعية ، ومع ذلك فإن هذه التهديدات النفسية يمكن أن تخلق فى الداخل مضاعفات خطيرة بحكم تأثيرها على الجبهة الداخلية السورية .

٤ ـ إنه إذا حدث بالفعل وسقط النظام فى سوريا نتيجة لعمل مباشر من إسرائيل ، أو نتيجة لآثار نفسية تحدثها التهديدات فى الجبهة الداخلية ـ فإن تداعيات سقوط هذا النظام ـ برغم كل ما يمكن أن يقال عنه ـ سوف تؤثر على العراق . وبالتالى فإن الدور سوف يكون على بغداد بعد الفراغ من دمشق .

٥ ـ إنه إذا حدث هذا ، فإن الجبهة الشرقية فى المواجهة مع إسرائيل سوف تنهار . وإذا حدث ذلك ، فإن مصر سوف تجد نفسها فى عزلة حقيقية لأنها ستكون وحدها أمام إسرائيل .

٦ ـ إن سقوط دمشق وبغداد فى يد نظم حكم رجعية أو مستعدة للتعاون أو السكوت على خطط الاستعمار ـ سوف يؤدى إلى إحساس بالإحباط لدى جماهير عربية واسعة تتابع مجرى الحوادث وتتطلع بأنظارها إلى القاهرة فى هذه الأوقات الحرجة .

٧ ـ إن هناك احتمالا بأن يؤدى الإحساس بالخطر الموجه لسوريا ـ إلى نوع من اليقظة العربية تتنبه ولو متأخرا إلى الخطر الذى يتربص بالجميع .

وقد وجد « جمال عبد الناصر » على مكتبه فى هذه الساعة من الصباح الباكر برقية شفرية من السفير « محمد عوض القونى » المندوب المصرى الدائم لدى الأمم المتحدة جاء فيها بالنص ما يلى :[٦]

« بالأشارة إلى برقيتنا المفتوحة رقم ٤٢ :

---

(٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية ، وهذه البرقية برقم ٢٥٣٦/١٠٧ ، وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

□ **أولا** - أصدر يو ثانت (السكرتير العام للأمم المتحدة) تصريحا ألقى فيه باللوم على منظمة فتح لأن عملياتها من سوريا تؤدى إلى إشعال الموقف مع إسرائيل ، وهذا التصريح يؤسف له . وقد علمت أن الجنرال أودبول ومساعديه أبرقوا إلى يو ثانت بأن إسرائيل فى حالة توتر شديد وأنها قد تقوم بعمل ضد سوريا .

□ **ثانيا** - طلب سفير سوريا عقد المجموعة العربية (يقصد مجموعة السفراء العرب المعتمدين لدى الأمم المتحدة) لاتخاذ موقف لها . أشرت عليه بمقابلة السكرتير العام لاستيضاحه أولا ، وعلى ضوء ذلك يمكن التصرف . فرحب بذلك .

□ **ثالثا** - اتصلت بالسكرتير العام صباح اليوم السبت (١٣ مايو) وأوضحت أنه كان يحسن أن يقابل يو ثانت سفير سوريا ليتبين الحقائق من الجانب العربى . وأن هذا التصريح أثره عكسى فقد تتخذه إسرائيل مبررا للقيام بأعمال عدوانية .

□ **رابعا** - اجتمعت المجموعة العربية اليوم وكان هناك اتجاه من السعودية والأردن لاتخاذ موقف ضد السكرتير العام إلاّ أنه رئى أخيرا :

١ - أن يقابل سفير سوريا السكرتير العام للإعراب عن قلق المجموعة العربية ولاستيضاح الأمر .

٢ - أن أى إجراء يؤدى إلى الدخول فى معركة مع السكرتير العام يستوجب أولا الرجوع إلى الحكومات .

٣ - ترى وفود سوريا والأردن والسعودية ولبنان أن الدكتور بانش يضلل السكرتير العام[٧] .

□ **خامسا** - ليس من المصلحة استفزاز السكرتير العام والأفضل الاكتفاء بإشعاره بخطأ فى التقدير من مستشاريه وقلق العرب وعدم رضائهم عما لحقهم من ضرر بسبب ذلك . ولعل دمشق تتمشى معنا فى هذا الرأى فتصدر تعليمات لممثلها بذلك .

إمضاء

السفير محمد عوض القونى »

. . . .

. . . .

---

(٧) كانت هذه إشارة مبكرة إلى الدور الذى يقوم به الدكتور « رالف بانش » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، والذى كان ربما بغير علم « يو ثانت » قناة جانبية مفتوحة مع واشنطن إلى جانب قناتها الرسمية المتمثلة فى المندوب الأمريكى الدائم فى نيويورك وهو وقتها « آرثر جولدبرج » . وهو دور سوف يتزايد تأثيره فى توجيه الحوادث فيما بعد .

وكان مجمل هذه العوامل والمعلومات يدعو « جمال عبد الناصر » إلى إحساس عميق بأن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع أن تقف ساكتة .

ومن المحتمل أيضا أنه كان فى مشاعر « جمال عبد الناصر » عنصر آخر يتعلق بثقة الجماهير العربية فيه ، وهى مرة أخرى علاقة[٨] الآسر والأسير وبمقتضاها فإن شخصيته كانت آسرة للجماهير العربية ، وفى ذات الوقت فإنه كان أسيرها .

أى أن مشاعر وطموحات الجماهير كانت تعنى عنده أكثر مما تعنى عند غيره . وكان عليه أن يدخلها فى اعتباره ـ مهما كانت حساباته الواقعية .

□

ولم يتصل به « عبد الحكيم عامر » كما توقع قبل بدء اجتماع رئاسة هيئة أركان حرب ، وإنما اتصل به قرب نهاية الاجتماع وكان تقريره له « **أنهم توصلوا إلى إجراءات بتحرك تشكيلات متتالية مصرية تتوجه على الفور إلى سيناء وتحتل مراكزها هناك استعدادا لكل الاحتمالات ، وأنه قد أعد توجيها بقرارات تصدر عنه كنائب للقائد الأعلى للقوات المسلحة** » ـ ثم أضاف إلى ذلك « **أنهم أقروا اقتراح إرسال الفريق « فوزى » إلى دمشق على الفور** » .

ولا يستطيع أحد أن يقطع بتفاصيل ما دار بين الاثنين فى هذا الحديث التليفونى ـ وربما أن الإشارة الوحيدة التى يمكن بالاستنتاج أن تشير إليه هى عدد من الإضافات[٩] كتبها « عبد الحكيم عامر » بخط يده على المشروع الأصلى لتوجيهاته إلى القوات المسلحة . وكان ذلك ـ طبقا للوثيقة الأصلية التى صدرت تحمل قرارات نائب القائد الأعلى ـ على النحو التالى :

---

(٨) أقرب وصف لها هو التعبير الانجليزى الشهير "Syndrome" ، وترجمته طبقا لقاموس « أوكسفورد » : « الأعراض المتزامنة » .

(٩) رجاء مراجعة صورة الوثيقة ، وهى منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٥) صفحة ١٠٠٥ .

« سرى للغاية

قرارات نائب القائد الأعلى

بتاريخ ١٥ ماى ١٩٦٧

□ عام :

١ ـ أصدر السيد المشير نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة القرارات التالية :

أ ـ ترفع درجة الاستعداد للقوات المسلحة إلى درجة الاستعداد الكامل للقتال اعتبارا من سعت ١٤٣٠ ١٤ ماى ١٩٦٧ .

ب ـ تتحرك التشكيلات والوحدات المقررة فى خطط العمليات من أماكن إيواءها (كذا فى الأصل) الحالية إلى مناطق تمركزها المحددة .

جـ ـ تكون القوات المسلحة مستعدة استعدادا كاملا لتنفيذ جميع مهام القتال على جبهة إسرائيل فى ضوء تطورات الموقف .

□ الموقف السياسى والعسكرى :

٢ ـ تشير المعلومات من المصادر المختلفة إلى أن إسرائيل قد بدأت فى حشد قواتها أمام الجبهة السورية .

٣ ـ نوايا إسرائيل العدوانية تكشفت فى تصريحات أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى وإسحق رابين رئيس الأركان الإسرائيلى ... بغزو سوريا .

٤ ـ تتمشى نوايا إسرائيل وإجراءات حشد قواتها مع مخططاتها التوسعية فى المنطقة العربية اعتمادا على أوضاع وسياسة الحكومات الرجعية بضرب سوريا (أضاف المشير « عبد الحكيم عامر » بخط يده كلمة « وإسقاطها ») ـ وهى دولة عربية متحررة ـ كمرحلة من مراحل المخطط الصهيونى الاستعمارى فى المنطقة (أضاف « عبد الحكيم عامر » فى هذا الموقع بخط يده عبارة « فإذا نجحت تتبعها بضربات أخرى لباقى الدول العربية المتحررة ») .

٥ ـ (١٠) إن اعتبارات الأمن القومى ج . ع . م. يحتم عدم السماح للمخططات الصهيونية بأى توسع على حساب أية دولة عربية .

٦ ـ إن ج . ع . م . لاتسمح بأى (شطب « عبد الحكيم عامر » عبارة « لا

---

(١٠) قام المشير « عبد الحكيم عامر » بنقل البند الخامس فى الوثيقة لكى يصبح البند السادس ويرتفع البند السادس بالتالى إلى رقم (٥) ليحل محله ، وكان هذا التعديل فى ترتيب البنود بإشارة سهم منحن .

تسمح بأى » وأضاف بدلا منها عبارة « يحتم عليها دورها أن تتدخل أيضا فى أى معركة (شطب « عبد الحكيم عامر » بخط يده عبارة « فى أى معركة »[11] وأضاف بدلا منها عبارة « ضد أى »)) عمليات عسكرية إسرائيلية تستهدف احتلال الضفة الغربية لنهر الأردن أو على أى بقعة عربية فى الوطن العربى (أضاف « عبد الحكيم عامر » فى هذا الموقع بخط يده عبارة قال فيها « حتى لو كان تحت حكم رجعى ») .

٧ ـ إن تكاتف القوى العربية التقدمية فى تنسيق دفاعها المشترك ضد أى عدوان إسرائيلى كما جاء فى اتفاقية الدفاع المشترك (أضاف المشير « عبد الحكيم عامر » بخطه عند هذه الفقرة عبارة « بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ») لهو ضمان لأمن وسلامة واستقلال الدول التقدمية .

٨ ـ (وقد بدأ هذا البند بإضافة على النص الأصلى له كتب فيها « عبد الحكيم عامر » عبارة إن قوة ج . ع . م . تزداد بزيادة قوة معسكر الكتلة التقدمية داخل الدول العربية والعكس صحيح ، وهو يعنى عزلنا ثم تكاتل (كذا فى النص) القوى الرجعية علينا لضربنا لذلك ») ينبغى أن يكون واضحا أن دور ج .ع .م . الرئيسى فى مساندة المعارك المصيرية فى العالم العربى إنما ينبع أصلا من مصالحها القومية وأمنها الذى يتأثر ويؤثر فى كل المحيط العربى (ثم أضاف المشير « عبد الحكيم عامر » بخطه عبارة ألحقها بهذا البند قال فيها « وهذه المساندة هى خط الدفاع الأول عن أمننا القومى ») .

٩ ـ إن ج . ع . م . لحريصة كل الحرص .. ويقظة لكافة تطورات الأحداث السياسية والعسكرية لتحديد الزمان والمكان المناسبين للعمليات العسكرية الناجحة ... أى أنها لن تسمح لنفسها بالقيام بعمليات عسكرية إلاّ على أساس التقدير الكامل لكافة الاحتمالات ، محافظة منها على أمنها وسلامتها .

١٠ ـ إذا حاولت القوى الاستعمارية التى تحرك إسرائيل وترسم لها دورها العدوانى فى العالم العربى .. أن تتخذ من إسرائيل مخلبا للقط فى توسيع وتعميق العمليات الحربية ـ كما حدث فى عدوان ٥٦ ـ فإن المعسكر الشرقى لن يقف بمعزل عن الأحداث وتطوراتها ويترك القوى الغربية الاستعمارية للتصرف بحرية فى المنطقة العربية .

---

(١١) يبدو من اختيار الكلمات أن المشير « عبد الحكيم عامر » كان يحاول أن يتجنب استعمال كلمة « معركة » فى هذه الظروف التى بدأت فيها الخطوة الأولى من تصاعد الأزمة .

١١ ـ (ثم أضاف المشير « عبد الحكيم عامر » بندا أعطاه بخطه رقم « ١١ » كتب فيه بخط يده جملة « إن تحرك قواتنا إلى سيناء استعدادا للمعركة يجعل إسرائيل تفكر مرتين قبل أن تغزو سوريا » (شطب « عبد الحكيم عامر » كلمتى « تغزو سوريا » وأضاف بدلا منهما عبارة « تقدم على غزو سوريا »)»)

. . . .

. . . .

كانت توجيهات نائب القائد الأعلى فى مجملها معقولة ، ولعل الخطأ الأساسى فيها كان فى البندين الأخيرين ١٠ و١١ وأحدهما يتعلق بموقف المعسكر الشرقى لأن فترة منتصف الستينات وما حولها كانت قد جاءت بمتغيرات على الموازين الدولية بدأت آثارها تؤدى دورها رغم أن قوانينها لم تكن قد اتضحت بعد . كذلك كانت الإشارة إلى عدوان السويس سنة ١٩٥٦ هى الأخرى فى غير موضعها ، فإن القياس فى معركة على معركة سابقة خطأ فادح لأن السنوات الطويلة التى تفصل بين المعارك كفيلة بإحداث تغييرات ضخمة وشاملة ، وبالتالى فإن القياس خطأ ، والصواب هو مجرد الاستفادة بالدرس لأن التاريخ لا يكرر نفسه .

والحقيقة أنه من أكبر مشاكل سنة ١٩٦٧ أن القياس على سنة ١٩٥٦ غلب فى مواقع عديدة ، وجمد بوحى تجربة مسبقة إمكانيات متاحة لرؤية الحقائق فى ظرف مستجد !

ثم إن البند الأخير الذى أضافه « عبد الحكيم عامر » كاملا فى نهاية وثيقته كان متناقضا مع المخططات السرية المدبرة للمنطقة (والتى كانت شواهدها ماثلة فى الأجواء معبأة بنذر الخطر) فإسرائيل لم تكن مستعدة لأن تفكر مرتين أمام تحرك القوات المصرية إلى سيناء ـ لقد فكرت مرة واحدة ورتبت أمورها ونسقت . والآن فإن حشد القوات المصرية فى سيناء لم يكن رادعا لها بمقدار ما كان لاح أمامها وكأنه فرصة متاحة يمكن استغلالها لوضع خطة اصطياد « الديك الرومى » موضع التنفيذ !

ومن الظاهر أن القاهرة لم تكن متنبهة بالقدر الكافى إلى كل المخاطر الكامنة حولها والتى كانت تتحفز لانتهاز أول فرصة مواتية . ومن الظاهر أيضا أنها لم تكن تنتظر تداعيا سريعا للحوادث ، فقد كان هناك حرص واضح على عدم اعتراض الحياة المدنية العادية بظن أنها مواجهة نفس طويل . وكانت هذه - بعد اجتماع هيئة أركان حرب القوات المسلحة - هى توجيهات المشير « عبد الحكيم عامر » التى أصدر بها الفريق أول « محمد فوزى » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية أمرا بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٧ جاء فيه بالنص ما يلى :

« الجمهورية العربية المتحدة
القيادة العامة للقوات المسلحة
التاريخ ١٤ - ٥ - ١٩٦٧

الملحق « ١ »
تعبئة القوات المسلحة المصرية

إلى هيئة التنظيم والإدارة

أصدر المشير توجيهات شفوية لهيئة التنظيم والإدارة بالاعتماد على القطاع المدنى فى أضيق الحدود - أقل مما جاء بالخطة - حتى لا تتأثر كفاءة الانتاج بالقطاع المدنى أو اقتصاديات الجمهورية بدرجة كبيرة حتى يمكن تطبيق سياسة النفس الطويل إذا لزم الأمر ذلك .

وتنفيذا لهذه التوجيهات تقوم هيئة التنظيم والإدارة بحصر الاحتياجات المختلفة ذات الأهمية القصوى وتأجيل الاحتياجات الأقل أهمية وإعادة توزيعها بالنسبة لبعض التشكيلات والوحدات - سواء بالزيادة أو النقص - وتصدر تبعا لذلك أوامر الاستدعاء الخاصة بهذه الوحدات .

فريق أول
رئيس هيئة أركان حرب
القوات المسلحة
إمضاء
محمد فوزى »

وبرغم ذلك فقد كان احتمال نشوب القتال واردا بشكل يصعب إغفاله . ففى نفس اليوم أصدر الفريق أول « محمد فوزى » رئيس هيئة أركان حرب « تعليمات عمليات حربية » كان نصها كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سرى للغاية

الجمهورية العربية المتحدة

القيادة العامة للقوات المسلحة

التاريخ ١٤ - ٥ - ١٩٦٧

تعليمات عمليات حربية

تؤكد المعلومات من مصادرها المختلفة نية إسرائيل فى العدوان على الجمهورية العربية المتحدة .

وفى ضوء اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية قررت القيادة العليا للقوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة التدخل جوا وبرا فى حالة قيام إسرائيل بعدوان شامل على الأراضى السورية بقصد احتلالها أو جزء منها أو تدمير القوات الجوية السورية .

القرارات :

١ - ترفع درجات استعداد القوات الجوية والدفاع الجوى والقوات البرية والقوات البحرية وقوات الدفاع المدنى اعتبارا من سعت ١٢٠٠ يوم ١٤ - ٥ - ١٩٦٧ إلى درجة الاستعداد الكاملة .

٢ - إتمام التعبئة العامة للقوات المسلحة العربية قبل ١٧ -٥ - ١٩٦٧ وإيقاف فرق التعليم بالمعاهد والمنشآت التعليمية فى الجمهورية العربية المتحدة فورا وتوزيع الضباط لتدعيم القيادات والوحدات .

٣ - إتمام التحشدات أمام جبهة الجمهورية العربية المتحدة فى اتجاه إسرائيل برا وجوا قبل يوم ١٧ - ٥ - ١٩٦٧ .

٤ - تجهيز الخطط التعرضية والدفاعية المشتركة المقررة بالاتفاق مع القيادة العامة السورية .

٥ ـ يتم التوزيع الاستراتيجى للقوات البحرية طبقا للخطط المقررة مع التجهيز لتنفيذ العمليات التعرضية البحرية .

٦ ـ بإتمام الاستعداد الكامل للدفاع الجوى يبدأ سطع (استطلاع) جوى فى إسرائيل .

فريق أول
رئيس هيئة أركان حرب
القوات المسلحة
إمضاء
محمد فوزى »

وهكذ فإنه فى ليلة ١٥ مايو و١٦ مايو ١٩٦٧ كانت هناك قوات ضخمة تتدفق من كل مراكز إيواء القوات المسلحة إلى مواقع تحشدها فى سيناء ، وكان بعض هذه القوات يمر بالقاهرة وغيرها من المدن الكبرى فى طريقه إلى الجبهة . وما هى إلاّ ساعات حتى أصبحت هذه التحركات حديث مصر والمنطقة والعالم كله . وارتفعت درجة حرارة الموقف العام فى الشرق الأوسط . ومنذ تلك اللحظة بدأت تطورات الحوادث تكتسب لنفسها حركة ذاتية مستقلة تفعل فعلها إلى جانب كل الخطط المقدرة وحسابات الأطراف على اختلاف بواعثها ودواعيها .

وبفعل هذه الحركة الذاتية المستقلة للحوادث فإن الخطوة التالية التى طرحت نفسها على الفور ـ كانت هى مشكلة قوات الطوارىء الدولية ، ولم تكن هذه مفاجأة ، وإنما كانت قضية جرى التحسب لها منذ وقت طويل .

كان التفكير فى سحبها (كما ورد من قبل) قد بدأ سنة ١٩٦٤ وأثناء الاستعداد لمؤتمر القمة العربى الثالث فى الدار البيضاء . ثم تجدد مرة أخرى فى أواخر سنة ١٩٦٦ بناء على اقتراح من المشير « عبد الحكيم عامر » إزاء حملات دعائية راحت تستغل موضوع هذه القوات . ثم عاد إلى الظهور مرة ثالثة فى معرض « تطمين » الملك « حسين » إلى التعاون مع خطط القيادة العربية الموحدة فى ربيع سنة ١٩٦٧ .

وفى الاجتماع الطارىء الذى عقده « جمال عبد الناصر » مع « عبد الحكيم عامر » مساء يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ ـ فإن موضوع قوات الطوارىء فرض نفسه على البحث فى دراسة الخطوات والخطط التى كان لابد من اتخاذها وتنفيذها لمساندة سوريا .

وفى اجتماع ١٣ مايو كانت هناك نقاط اتفاق حول هذه القوات ، وفى نفس الوقت كانت هناك نقاط خلاف دارت حولها مناقشات طويلة .

كان هناك اتفاق على النقاط التالية :

١ ـ إن مساعدة سوريا تقتضى أن تكون القوات المسلحة جاهزة للقتال .
٢ ـ أن نية القتال أولا ـ ثم تحمل تبعاته عمليا بعد ذلك يصعب تحقيقها إذا كانت قوات الطوارىء عازلا يقف بين الجمهورية العربية المتحدة وبين حرية العمل على جبهتها .
٣ ـ وبالتالى فإنه لابد بشكل ما من « تصرف » إزاء هذه القوات يضمن على الأقل حرية العمل للقوات المصرية على جبهتها .

ولكن نقاط الخلاف برزت بعد ذلك .

فقد كان رأى المشير « عبد الحكيم عامر » ـ من ناحية ـ هو « طلب سحبها تماما » .

وفى نفس الوقت كان رأى « جمال عبد الناصر » :

أن طلب سحب هذه القوات بالكامل قد يحدث مشكلة دولية تعطل الأثر المعنوى لحشد القوات . ثم إنه بعد ذلك قد يؤدى إلى وضع عراقيل أمام عمل هذه القوات فعلا إذا ما فرضته الضرورات .

ولتلافى ذلك فقد كان رأى « جمال عبد الناصر » هو أن يكون الطلب المصرى هو إخلاء قوات الأمم المتحدة لمواقع خط الحدود الدولية مع فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وكان هذا هو الرأى الذى انتهت إليه مناقشات مساء ١٣ مايو التى استمرت إلى ما بعد منتصف ليل ١٤ مايو ـ وكان هو نفسه الرأى الذى عرفت به رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى اجتماعها صباح يوم ١٤ مايو عندما أثير موضوع قوات الطوارىء أثناء بحث خطة التحركات إلى سيناء .

□

كان الزحام شديدا فى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة يوم ١٥ مايو . فعدا متابعة تحركات الجيوش المتجهة إلى سيناء ـ كان هناك سيل من التدابير والأوامر المتعلقة بها يتوالى واحدا وراء الآخر . فقد أصدر المشير « عبد الحكيم عامر » **قرارا بأن يكون**

الفريق أول « عبد المحسن مرتجى » قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع إسرائيل فى حالة بدء أية عمليات عسكرية . كذلك تضمن الأمر أن يتولى الفريق أول « محمد صدقى محمود » قيادة القوات الجوية ، كما يتولى الفريق أول « سليمان عزت » قيادة القوات البحرية[١٢] .

وكان هذا الترتيب لقيادة الجبهة مثار مناقشة بين « جمال عبد الناصر » و« عبد الحكيم عامر » . فقد كان رأى « جمال عبد الناصر » هو أن تكون قيادة الجبهة شاملة لكل الأسلحة على نمط ما أظهرته تجارب الحرب العالمية الثانية ـ بمعنى أن يكون القائد العام للجبهة هو المسؤول عن قيادة عمليات الأسلحة جميعا (برية وجوية وبحرية) ـ فى حين كان رأى « عبد الحكيم عامر » أن هذا التوحيد للقيادة قد يؤدى إلى حساسيات شديدة بين القادة ، وأنه من الأفضل أن يتولى قائد كل سلاح مسؤولية الجهد الذى يقوم به سلاحه . وقد قبل « جمال عبد الناصر » وجهة نظر « عبد الحكيم عامر » تلافيا لحساسيات القادة ، وإن كان قد طلب منه أن يكون شخصيا مسؤولا عن التنسيق بينهم حتى لا تتضارب المسؤوليات وتتأثر بذلك مهام القتال إذا حدث ونشب .

وفى وسط زحام يوم ١٥ مايو ، وفى مناخ مفعم بالتوتر الذى أحدثته تحركات الجيوش المتجهة لسيناء ـ كان المشير « عبد الحكيم عامر » يتعامل فى التخطيط مع ثلاث قيادات (برية وجوية وبحرية) . كما كان على اتصال مستمر برئاسة الجمهورية من ناحية ، وبمجلس الوزراء من ناحية أخرى ـ كما أنه كان مطالبا بتوجيه عدد من المطالب المحددة ، وأهمها توجيه الفريق « محمد فوزى » بالطريقة التى يتعين عليه أن يخطر بها الجنرال « اندار جيت ريكى » قائد قوات الطوارىء الدولية التابعة للأمم المتحدة ـ بموقف مصر إزاء قواته فى ظروف الأزمة التى نشبت فى المنطقة .

كان الزحام شديدا ، وكان كل شىء يجرى على عجل ، وبعضه يسبب مضاعفات لم يكن هناك داع لها فى تلك الساعات !

---

(١٢) كان الفريق أول « عبد المحسن مرتجى » فى تلك الوقت يتولى منصب قائد القوات البرية ، وكان الفريق أول « محمد صدقى محمود » يتولى منصب قائد القوات الجوية كما كان الفريق أول « سليمان عزت » يتولى منصب قائد القوات البحرية .

الفصل الرابع

أخطاء الحساب

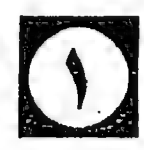

كان « جمال عبد الناصر » قد تحدث مع الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية - ضمن من تشاور معهم يوم ١٤ مايو فى الساعات التى كان ينتظر فيها نتائج مناقشات رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وقد اتفق معه فى هذا الحديث الذى دار بين الاثنين تليفونيا على أن يلتقيا فى اليوم التالى - ١٥ مايو - فى الساعة الثانية عشرة ظهرا . وكان جدول الأعمال الذى حدده الرئيس وطلب إلى نائب رئيس الوزراء أن يكون مستعدا له هو موضوع سحب قوات الطوارىء الدولية .

وحين جاء الدكتور « فوزى » إلى موعده كان يحمل معه ملفا يضم مجموعة من الأوراق بينها اتفاقه سنة ١٩٥٦ على عمل ومهمة قوات الطوارىء فى مصر . وقد بدأ بحث الموضوع بدون أية مقدمات(١) حين ذكر الرئيس « جمال عبد الناصر » للدكتور « فوزى » أن رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية مجتمعة الآن مع المشير « عبد الحكيم عامر » لبحث الاجراءات التى يتوجب على مصر اتخاذها لمساندة سوريا -

---

(١) كان من حظى أن أحضر الاجتماع بين الاثنين وقد دونت فى حينه ملاحظاتى عليه .

ليس فقط وفاء لتعهداتها بحكم اتفاقيات الدفاع المشترك وإنما لمسؤوليات وواجبات التضامن العربى أولا . ثم تطرق إلى الموضوع الذى سوف يطرح نفسه بلا جدال وهو موضوع قوات الطوارىء الدولية . وكانت لديه نقاط يريد أن يستوثق منها ، فقد كان فهمه وتصرفه قائما على أساس أن سحب قوات الطوارىء هو حق لاينازع للحكومة المصرية فى أى وقت تراه مناسبا . وأمن الدكتور « فوزى » على هذه الحقيقة . وكان لدى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك سؤال عما إذا كان تنفيذ إجراءات انسحاب القوات يقتضى من السكرتير العام أن يعرض الطلب المصرى على مجلس الامن أو على الجمعية العامة للأمم المتحدة ؟ ـ وكان رد الدكتور « فوزى » أن نصوص وروح اتفاقه مع « همرشولد » والذى تأسست عليه مهمة قوات الأمم المتحدة لا يعطى دورا فى هذا الأمر لا لمجلس الأمن ولا للجمعية العامة . فالاتفاق فى ذلك الوقت تم بينه وبين « همرشولد » بوصفه سكرتيرا عاما للأمم المتحدة . وفى هذا الإطار فهو لا يرى موجبا يفرض على « يو ثانت » السكرتير العام اللاحق للأمم المتحدة أن يعرض الطلب لا على مجلس الأمن ولا على الجمعية العامة ، فهو بنص الاتفاق مطالب بالتنفيذ ، وبعده فإنه قد يرى إخطار مجلس الأمن أو الجمعية العامة بتصرفه إذا رغب فى ذلك .

ودخل « جمال عبد الناصر » بعد ذلك إلى النقاط التى تثير اهتمامه فى تلك الساعات ، فقال للدكتور « فوزى » إن لديه مشكلة تتمثل فى أنه لم يصل حتى هذه اللحظة إلى رأى بشأن سحب قوات الطوارىء بما يؤدى إلى إنهاء عملها ومهمتها تماما ، وذلك لعدة أسباب . ثم مضى « جمال عبد الناصر » يعد أسبابه والدكتور « فوزى » يصغى إليه فى صمت . وقال « جمال عبد الناصر » وهو يطرح أسبابه :

□ **السبب الأول** :أنه لا يريد لهدفه أن يضيع وسط الزحام . فهدفه فى هذه اللحظة أن يكون قادرا على مساعدة سوريا بالتدخل عسكريا إذا تعرضت لعدوان إسرائيلى . وليس هدفه إنهاء عمل قوات الطوارىء ، فهو يخشى ـ وقد شرح ذلك بالأمس لـ « عبد الحكيم عامر » ـ أنه لا يريد أزمة دولية فرعية تشغل الأطراف والأذهان عن قضية نجدة سوريا .

□ **السبب الثانى** :أن قطاع غزة ـ فى حالة نشوب عمليات عسكرية ـ سوف يكون أول الأهداف التى قد تتجه إليها إسرائيل . فالدفاع عن القطاع صعب عسكريا ، لأنه أشبه ما يكون بشريط ضيق على منحنى البحر ، وفى مقدور إسرائيل أن تقطعه وتعزله عن مصر ثم تحتله بضربة واحدة . وإذا حدث ذلك فإنه قد يكون صدمة عنيفة فى أول أيام القتال . وهو كعسكرى سابق يعتقد أن حشد أكبر قدر من القوات فى القطاع للدفاع عنه عو عملية تعزيز لوضع خاسر مقدما . فأية قوات تدخل إلى غزة ليس لديها مجال للمناورة أو للحركة ،

ومن المرجح أن يتم عزلها عن مجموعة الجيش الرئيسية فى سيناء من أول ضربة .

□ **السبب الثالث** : أن إنهاء مهمة قوات الطوارىء تماما سوف يؤدى ضمن ما يؤدى إلى دخول قوات مصرية إلى « شرم الشيخ » ، وفى هذه الحالة فإن إجراءات حالة الحرب سوف تفرض على الفور ضرورة التعرض للملاحة الإسرائيلية عبر مضايق « تيران » . ومع أنه يعرف أن حجم الملاحة الإسرائيلية فى هذه المضايق محدود إلى أقصى حد فإن المسألة سوف تصبح مسألة مبدأ لابد من إعماله . وهو ليس متأكدا من أن هذه اللحظة مناسبة لمثل هذا التصرف من جانب مصر . فقد تطرح على نطاق أوسع قضية حرية الملاحة فى المضايق ، وقد تؤدى أيضا إلى أزمة فرعية لايريدها فى الوقت الذى يسعى فيه إلى تركيز الاهتمام كله على احتمالات العدوان الإسرائيلي ضد سوريا وتدخل مصر لمساندتها .

[كانت هناك نقطة لم يشر إليها الرئيس « جمال عبد الناصر » ولا الدكتور « فوزى » فى هذا الاجتماع بينهما ، وهى النقطة الخاصة بنوع وحجم التعهدات التى أعطاها الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » سنة ١٩٥٦ لإسرائيل فى شأن خليج العقبة وهى نقطة كانت تستوجب كثيرا من البحث . ومن سوء الحظ أن كل ما يتصل بهذه النقطة كان مشمولا بتعهدات سرية أمريكية لإسرائيل لم تعرف فى ذلك الوقت ، ولم تتضح أبعادها الحقيقية إلا بعد أسبوع من هذا اللقاء .]

واستطرد الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول إنه من هذه الأسباب جميعا فهو يريد أن يكون الطلب المصرى بسحب قوات الطوارىء موجها بحيث يقتصر على خط الحدود الدولية بين مصر وفلسطين قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ ، لأن ذلك الوضع يعطيه ما يريده بالضبط وهو جبهة مفتوحة أمام إسرائيل لنجدة سوريا دون أن يصل الأمر إلى غزة وشرم الشيخ . ثم أضاف قائلا إنه على العكس تماما يتمنى لو كان فى الاستطاعة إيجاد ترتيب من شأنه أن تتمركز القوات الدولية كلها فى غزة ، وأن تبقى هناك لحمايتها من ضربة إسرائيلية تنقض عليها فى الساعات الأولى من القتال . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » أن هذه هى النقاط التى تشغل باله هذه اللحظة ، وقد رأى أن يطلب فيها نصيحة الدكتور « فوزى » .

ودارت مناقشة بين الاثنين انتهت بأن أقر الدكتور « محمود فوزى » أن يكون طلب سحب القوات موجها إلى الجنرال « ريكى » قائد القوة ، فهذا يستبقى الموضوع بادىء ذى بدء فى إطار التدابير العملية . ثم إن طلب الفريق « فوزى » لابد من صياغته بحيث يعطى معنى « طلب سحب القوات » من الحدود الدولية لمصر دون تعرض لطلب السحب الكامل لهذه القوات .

واتصل « جمال عبد الناصر » تليفونيا بالمشير « عبد الحكيم عامر » بينما الدكتور

« فوزى » لايزال موجودا فى مكتبه ، ونقل إليه ما انتهى إليه رأى الاثنين بشأن الطلب الذى سيقوم الفريق « فوزى » بتوجيهه إلى الجنرال « ريكى » .

كان الدكتور « فوزى » لايزال موجودا فى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » بعد هذه المحادثة التليفونية مع المشير « عبد الحكيم عامر » . وانتقل الحديث بينهما إلى نقطة أخرى ، فقد كانت برقية السفير « محمد القونى » التى قرأها « جمال عبد الناصر » فى اليوم السابق لاتزال فى ذاكرته ، وقد لفتت نظره فيها إشارة السفير « القونى » الى مواقف وتصرفات الدكتور « رالف بانش » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة وتأثيره الشديد على « يو ثانت » . كان الدكتور « محمود فوزى » يعرف - بحكم خبرة طويلة - أجواء الأمم المتحدة ظاهرا وباطنا . كما أنه كان قد احتك وتعامل مع الدكتور « رالف بانش » . وكان تقديره أن « بانش » يحاول دائما أن يجعل نفسه مقبولا لدى الإدارة الأمريكية فى واشنطن . ومن هنا فإن تصرفاته تبدو فى بعض الأحيان داعية للشكوك . لكنه ليس مستعدا إلى أن يذهب فى شكوكه إلى نفس الحد الذى يذهب اليه السفير « القونى » . ولقد سمع هو بنفسه عدة مرات شكاوى من السفير « القونى » عن مواقف « بانش » ، بل سمع منه اتهامات محددة بأنه على نحو أو آخر متصل ببعض أجهزة العمل السرى للحكومة الخفية فى الولايات المتحدة - لكنه شخصيا لا يذهب إلى هذا الحد شكا فى الدكتور « رالف بانش » . وهو يعتقد أن ما يحرك مساعد السكرتير العام فى النهاية هو رغبته فى إرضاء الإدارة الأمريكية ، وهو ليس فى حاجة إلى ما هو أكثر لأنه يشغل أعلى منصب وصل إليه « ملون » فى الولايات المتحدة . ثم أنه حاصل على جائزة « نوبل » للسلام بعد نجاحه فى تسوية معركة سنة ١٩٤٨ باتفاقية الهدنة فى « رودس » (١٩٤٩) وقد كان هو وسيط الأمم المتحدة فى المفاوضات التى أدت إليها .

□

صباح اليوم التالى - ١٦ مايو - وجد « جمال عبد الناصر » على مكتبه مظروفا من القيادة العليا للقوات المسلحة يحتوى على مذكرة بخط يد المشير « عبد الحكيم عامر » نصها :

« السيد الرئيس

مرفق الخطاب الذى يرسله فوزى إلى ريكى ويتم تسليمه اليوم لريكى فى مكتبه فى قطاع غزة .

إمضاء

عبد الحكيم عامر »

وكان نص الخطاب المرفق كما يلى :

« الجمهورية العربية المتحدة
القيادة العليا للقوات المسلحة
١٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

الجنرال ج . أ . ريكى
قائد قوات الطوارىء الدولية ـ غزة

أحيطكم علما أننى أصدرت تعليمات إلى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد إسرائيل فور قيامها بعمل عدوانى ضد أية دولة عربية .

وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا فى سيناء على حدودنا الشرقية . ولضمان أمن القوات الدولية المتمركزة فى نقط المراقبة على حدودنا أطلب إصدار أوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد أصدرت تعليماتى لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن .

أفاد بتنفيذ هذا الطلب .

توقيع
فريق أول محمد فوزى
رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة
للجمهورية العربية المتحدة »

كان الخطاب لأول وهلة يغطى كل ملاحظات « جمال عبد الناصر » ، فقد أشار إلى « الحدود الشرقية » ، كما رتب طلب السحب على « ضمان أمن قوات الطوارىء الدولية » فى حالة نشوب قتال . ومع ذلك اتصل « جمال عبد الناصر » بالمشير « عبد الحكيم عامر » يطلب نص الترجمة الانجليزية التى ستسلم إلى الجنرال « ريكى » . وتلقى هذا النص فى ظرف نصف ساعة وكانت له ملاحظة عليه ، فقد وجد أن النص الانجليزى استعمل تعبير "All these Troops" . واتصل تليفونيا بالدكتور « محمود فوزى » يستطلع رأيه . وكان رأى الدكتور « محمود فوزى » أن ملاحظة الرئيس على هذا التعبير الانجليزى فى محلها لأنها يمكن أن تحدث التباسا باستعمال تعبير « سحب كل القوات » . وكان اقتراحه بعدها استبدال كلمة « سحب ـ Withdrawal » بكلمة أخرى مثل "Redeployment" أى « إعادة توزيع القوات » .

وعاد « جمال عبد الناصر » يتصل مرة أخرى بالمشير « عبد الحكيم عامر » ويبلغه باقتراح الدكتور « فوزى » **ويعيد التأكيد على أن أكثر ما يشغله هو قطاع غزة وصعوبة الدفاع عنه فى حالة بدء أية عمليات ، وخشيته الشديدة فى هذه الحالة من أن تبدأ العمليات بصدمة لا داعى لها ، ثم يكرر اعتقاده بأن تمركز قوات الطوارىء فى غزة هو أسلم سبيل لتأمين القطاع .**

ورد المشير بأن إجراءات تسليم الخطاب إلى الجنرال « ريكى » قد بدأت فعلا والرسول الذى يحمله هو الآن فى الطريق لتسليمه ، ولكنه سوف يأمر بإيقاف المهمة واستبدال الخطاب الأصلى بخطاب جديد يستعمل تعبير « إعادة تمركز » بدلا من تعبير « سحب كل القوات » .

□

وكانت إجراءات تسليم الخطاب إلى الجنرال « ريكى » تسير فى طريقها المرسوم فعلا . فقد اتصل به فى مقر إقامته المطل على البحر فى غزة اللواء « ابراهيم الشرقاوى » مسؤول الاتصال بين قيادة القوات المسلحة المصرية وقيادة قوة الطوارىء الدولية ليبلغه أن هناك رسالة هامة إليه ينتظر وصولها فى أية لحظة ، وأنه يريد مسبقا أن يعرف بتحركاته مساء هذا اليوم حتى يستطيع أن يلقاه فى أى وقت فور وصول حامل الرسالة الهامة .

وقد أحس الجنرال « ريكى » عقب هذه المحادثة التليفونية بأن الرسالة المنتظرة تتعلق بعمل قوة الطوارىء الدولية . فقد كان فى اليومين السابقين يتابع بالطبع ما يجرى فى القاهرة ، وتصله الأنباء عن تحركات القوات المصرية . وقد روى فى مذكراته التى كتبها ونشرها فيما بعد تحت عنوان « خطأ سيناء » (صفحة ١٥) أنه أبلغ اللواء « الشرقاوى » أنه لن يغادر مقر إقامته وإنما سوف يبقى هناك فى انتظار أية معلومات أخرى من اللواء « الشرقاوى » . وفى الساعة العاشرة مساء دق التليفون فى مقر إقامته وكان المتحدث هو اللواء « الشرقاوى » الذى أبلغه أن حامل الرسالة وصل إلى غزة وأنه موجود الآن فى مكتب الاتصال المصرى فى غزة وأنهم ينتظرونه هناك . وغادر الجنرال « ريكى » مقر إقامته متوجها إلى مكتب الاتصال فى غزة . وهناك وجد اللواء « الشرقاوى » ومعه العميد « عز الدين مختار » الذى كان يحمل إليه خطاب الفريق أول « محمد فوزى » .

ويقول الجنرال « ريكى » فى مذكراته أنه فتح المظروف الذى يحوى خطاب الفريق « محمد فوزى » وقرأه ، وكان شعوره بعدها ـ على حد تعبيره بالنص ـ « **إنها الحرب** » .

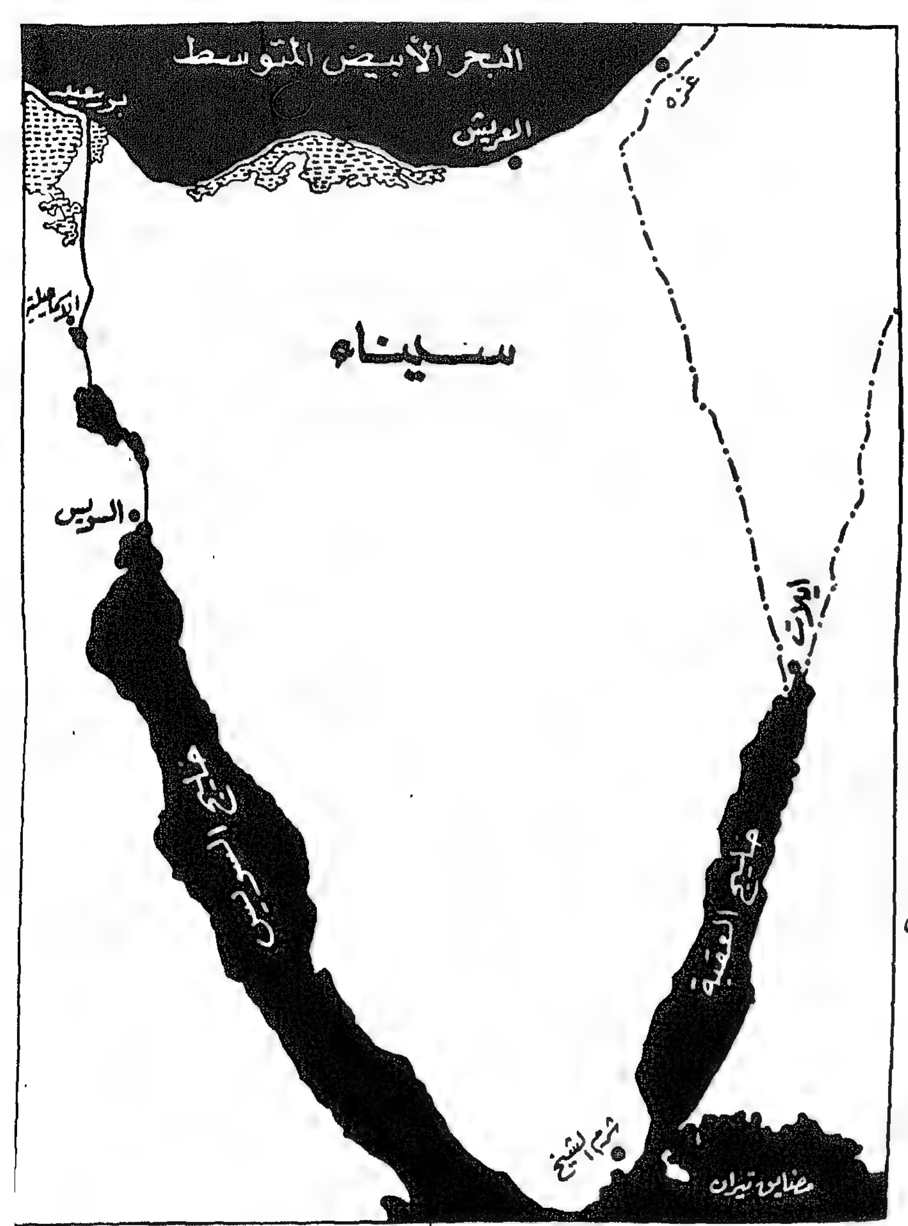

خريطة سيناء
وموقع مضايق تيران

لكنه لم يبد رأيه للضابطين المصريين الجالسين معه ، واكتفى بأن قال لهما « **إنه لا يجد سبيلا أمامه إلاّ إخطار سكرتارية الأمم المتحدة بفحوى ما تلقاه ، فهو مسؤول أمام السكرتير العام ومكلف منه بمهام قيادته ولا يستطيع أن يتصرف بشيء قبل أن يتلقى تعليمات محددة من رئاسته** » . وحين ذكر له العميد « عز الدين مختار » أن رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ينتظر منه ردا سريعا على رسالته ـ كان تعليقه أنه

يرجح أن تصله تعليمات من نيويورك فى ظرف ساعات ، وأنه فى الصباح الباكر سوف يكون مستعدا للرد .

□

وفى نفس الوقت تقريبا كان المشير « عبد الحكيم عامر » يتصل تليفونيا بالرئيس « جمال عبد الناصر » ليبلغه أن محاولته لوقف تسليم الرسالة الأصلية واستبدالها برسالة جديدة لم تنجح ، وأن الجنرال « ريكى » قد تسلم بالفعل النص الأصلى لخطاب الفريق « فوزى » .

ولم يكن هناك ما يمكن عمله ، وكان تقدير « جمال عبد الناصر » على أى حال أن الأمر يمكن تداركه فى الاتصالات اللاحقة ، وفى الإيضاحات التى يمكن أن تطلبها الأطراف الدولية من الجمهورية العربية المتحدة ، وأثناء الاتصالات السياسية التى سوف تجرى فيما بعد .

وجرى إعداد كتابة ورقة « توجيهات » مفصلة ترسل إلى عدد من سفراء الجمهورية العربية المتحدة فى الخارج ، ومن يحتمل أن يثار معهم موضوع قوات الطوارىء الدولية .

كانت الساعات اللاحقة قرينة إضافية تؤكد شكوك السفير « محمد القونى » فى مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة الدكتور « رالف بانش » . كان « بانش » قد تلقى معلومات أكثر وضوحا عن حدود طلب الجمهورية العربية المتحدة بشأن قوات الطوارىء الدولية . فقد جرى لفت نظر الجنرال « ريكى » إلى التدقيق فى معنى الإشارة الواردة عن سحب القوات من « نقط المراقبة على حدودنا » فى نص خطاب الفريق « فوزى » إليه . وبالتالى فإن السكرتارية العامة للأمم المتحدة كانت على علم بأن الطلب المصرى لا يصل صراحة إلى حد طلب سحب كل قوات الطوارىء من كل المواقع التى تتمركز فيها . وإنما تحدد طلبها لذلك بمواقع الحدود .

وفى الوقت الذى كان فيه السكرتير العام للأمم المتحدة « يو ثانت » على استعداد لأن يدرس الأمر على هذا النحو ، خرج الدكتور « بانش » بنظرية مؤداها أن « عمل قوة

الطوارىء وحدة لا تتجزأ ، فمهمتها هى ضمان الحيلولة دون اشتباك مسلح بين مصر وإسرائيل . وهى تؤدى هذا الدور بمجرد تواجدها وليس بقوة سلاحها ، فهى لا تحمل إلاّ أسلحة خفيفة . كما أن الدول المشاركة فيها لم تبعث بها إلى المنطقة فى مهام قتال ، وبالتالى فإن هناك وحدة معنوية واحدة تصوغ عمل القوة وتحدد إطارها . **وبالتالى فإن على مصر أن تقرر إما أن تطلب سحب القوات بالكامل وإما أن تقبل بقاءها بالكامل . » وكان هذا الموقف من « بانش » يمثل خطوة على طريق تصعيد الأزمة .**

وعند منتصف الليل بتوقيت نيويورك بعث السفير « محمد القونى » ببرقية شفرية إلى وزارة الخارجية (برقم ١١١/٢٥٨٧) جاء فيها بالنص ما يلى :

- **« أولا : دعانى الدكتور بانش مساء اليوم إلى مقابلة السكرتير العام فورا وكان معه بانش[٢] . يلاحظ أن الدكتور بانش هو الذى دعا ثم حضر المقابلة وكان هو المتحدث الرئيسى فيها . أطلعنى على برقية وردت من الجنرال ريكى عن طلب الفريق فوزى انسحاب قوات الطوارىء من على خطوط الهدنة فورا محافظة على سلامتها بسبب ...... (كلمة غير مقروءة فى البرقية)**

- **ثانيا : فيما يلى ملخص حديث بانش :**

١ - إن الجنرال ريكى لا يستطيع الاستجابة للفريق فوزى .

٢ - إن انسحاب القوات من أى جزء من خطوط الهدنة يجعل وجودها كله غير ذى موضوع .

٣ - إن حكومة القاهرة لا قيادة قواتها المسلحة هى صاحبة السلطة فى مطالبة السكرتير العام فى سحب هذه القوات من أراضى الجمهورية .

٤ - إنه فى حالة هذه المطالبة فإن السكرتير العام يخطر الجمعية العامة للحصول على موافقتها . وهنا اعترضت قائلا بأن « قوات الطوارىء موجودة ببلادنا بموافقة حكومتنا وطالما بقيت هذه الموافقة ، وأن الاتفاقية التى تمت بهذا الشأن عقدت بين حكومتنا والسكرتير العام لا الجمعية العامة . ولذلك فحكومتنا لها الحق فى

---

(٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

أى وقت فى مطالبة السكرتير العام بسحب هذه القوات ، وليس للسكرتير العام خيار آخر غير سحبها . وله بعد ذلك إن أراد أن يخطر الجمعية العامة » . أمن على ذلك يانش .

- **ثالثا : لتأكيد ذلك كررت أمام الاثنين وبموافقتهما :**

١ ـ إن لحكومة القاهرة الحق فى مطالبة السكرتير العام وحده بسحب قوات الطوارىء .

٢ ـ إن السكرتير العام لا يستطيع فى هذه الحالة إلاّ سحبها .

٣ ـ إنه إذا أراد إخطار الجمعية العامة فلن يقوم بذلك قبل إصدار أوامره بسحب تلك القوات .

- **رابعا : طلب منى يو ثانت الرجوع إلى حكومتى لاستيضاح الأمر . وفى حالة طلب سحب تلك القوات أن يقدم إليه .**

- **خامسا : يبدو لى أن أمريكا وانجلترا تحاولان تنسيق جهودهما مع فرنسا فى نطاق الأمم المتحدة بشأن الأزمة الحالية فى الشرق الأوسط .**

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

وفى نفس الوقت كان السفير « مصطفى كامل » فى واشنطن يبعث ببرقية شفرية أخرى إلى القاهرة ـ برقم ٢٦٣١ / ١٥٧[٣] يقول فيها :

« اتصلت بى الخارجية فى ساعة متأخرة من الليل وأنهت إلىّ بأن السلطات المصرية أبلغت قوات الطوارىء الدولية بالانسحاب إلى منطقة غزة . أوضحت لهم أنه ليست لدىّ معلومات حتى الآن فى هذا الشأن . »

كان نص سؤال الخارجية الأمريكية للسفير المصرى دقيقا وشديد الاتصال بالنوايا المصرية عندما أشار إلى « **منطقة غزة** » ، ولكن السفير « **مصطفى كامل** » كان بعيدا عن آخر التطورات . فمن ناحية كان القرار قد صدر بنقله من منصبه ، ورشح بدلا منه السفير « **أحمد حسن الفقى** » الذى كان يستعد لتسلم أوراق اعتماده والسفر إلى واشنطن ـ إلى

---

(٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

السفير مصطفى كامل
يصافح الرئيس جونسون

جانب أن القاهرة كانت حتى هذه اللحظة تفضل أن تركز على نيويورك والسكرتارية العامة للأمم المتحدة فى موضوع سحب قوات الطوارئ . وكان هناك شعور على نحو ما بأن واشنطن إذا سبقت غيرها فى الإمساك بزمام الموقف على الناحية الأخرى من المحيط ، فإنها قد توجه مسار الموضوع كله إلى اتجاه يزيد الأزمة تعقيدا .

□

كانت القاهرة تعرف بالطبع أن الولايات المتحدة سوف تكون فى داخل الأزمة ، وكان تصورها أن إبقاء مركز الأزمة فى نيويورك ولو لبضع ساعات قبل أن تتدخل واشنطن فيها بحكم حقائق الأشياء ـ يعطيها ولو بضع ساعات من حرية الحركة المفتوحة . ومن

الواضح أن هذا التصور لم يكن واقعيا بالكامل ، فإن واشنطن كانت فى صميم الأزمة بالفعل من أول دقيقة بوجود الدكتور « رالف بانش » . كان « يو ثانت » أشبه ما يكون بـ « راهب بوذى » بعيد عن الدنيا ، ولعل ذلك كان من الأسباب التى رجحت اختياره سكرتيرا عاما للأمم المتحدة بعد مصرع « داج همرشولد » فى الكونجو (سنة ١٩٦١) . ولذلك فإن قدرا كبيرا من السلطة فى السكرتارية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك تركز فى الدكتور « رالف بانش » والدور الذى يمكن أن يقوم به إلى جوار « الراهب البوذى » اللاجىء إليه باستمرار فى طلب رأيه ومشورته . ولم يكن « يو ثانت » يعتبر أن « رالف بانش » خبير بشؤون الشرق الأوسط بحكم تجاربه السابقة فقط ـ وإنما كان أيضا يملك قدرا من الشفافية تجعله يعرف أن الدكتور « بانش » هو عين الإدارة الأمريكية داخل أروقة السكرتارية العامة للأمم المتحدة . وقد دعا ذلك عددا من المراقبين فى تلك الفترة إلى مقولة إن الفواصل تضيع فى بعض الأحيان بين « الأمم المتحدة » و« الولايات المتحدة » . وبرغم ذلك فإن عددا من هؤلاء المراقبين الدوليين كانوا على استعداد للمجازفة بالقول إنه فى « لحظات الحقيقة » فإن « الراهب البوذى » يملك شجاعة أن يجعل صوته الخافت مسموعا .

ويوم ١٧ مايو بعث السفير « محمد القونى » ببرقية شفرية ـ برقم ٢٦٢٦ / ١١٢[٤] قال فيها بالنص :

☐ « أولا :

١ ـ علمت أن ممثلى أمريكا وانجلترا اتصلا أمس بسفير فرنسا ليقابلوا سويا السكرتير العام بشأن طلب عقد اجتماع لمجلس الأمن للنظر فى الموضوع (طلب مصر بشأن قوات الطوارىء) . وقد اعتذر سفير فرنسا لعدم توفر البيانات لديه .

٢ ـ طلب السكرتير العام مقابلة ممثلى الدول المشتركة فى قوات الطوارىء . اجتمعت قبل ذلك مع سفيرى الهند ويوغوسلافيا فعلمت أن هناك مساعى تبذل لكى يوجه السكرتير العام نداء إلى السيد الرئيس لإبقاء قوات الطوارىء . رجوت أن يعارضوا لأن مثل هذا النداء فى الظروف الحاضرة تجعل من تدخل السكرتير العام نوعا من الضغط والتحامل علينا .

---

(٤) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

٣ ـ علمت من كل من سفيرى فرنسا والدانمارك أن الدكتور بانش هو صاحب الفكرة ، وأنه أفهمهما أن دافعه إليها هو خشيته من تحرك القوات الإسرائيلية إذا ما عادت قوات الجمهورية العربية المتحدة إلى شرم الشيخ .

☐ **ثانيا** : ملخص ما علمناه مما جرى فى اجتماع السكرتير العام المشار إليه أعلاه (يقصد اجتماعه مع ممثلى أمريكا وانجلترا وعدد من الدول التى تشارك بوحدات فى قوات الطوارىء) :

١ ـ شرح السكرتير العام التطورات الأخيرة .

٢ ـ تساءلت وفود كندا والبرازيل والسويد عما يمكن عمله فى الظروف الحالية ، وأيدت كندا اقتراح توجيه النداء السالف ذكره . اعترضت يوغوسلافيا وأيدتها الهند واعتبرتا هذه الخطوة سابقة لأوانها إذ لم يتلق السكرتير العام طلبا رسميا بعد من الحكومة المصرية ، كما ذكر هو (أى يو ثانت) أنه لا يعرف بعد مدى مطالب القاهرة وهل هى إزالة «Removal» أو إعادة توزيع «Redeployment» قوات الطوارىء .

وذكر السكرتير العام أنه ليست هناك الآن حشود على الحدود السورية الإسرائيلية . وانتهى الأمر إلى الانتظار فى توجيه النداء إلى أن يتبين موقف حكومة القاهرة . ذكر السكرتير العام أنه لن يسمح للقوات الدولية بالرد بالقوة على قوات الجمهورية العربية المتحدة[٥] .

☐ **ثالثا** : قابلت السكرتير العام بناء على طلبه مساء اليوم :

١ ـ سألنى عما « إذا كان قد وردت تعليمات من القاهرة » وأجبت « أن هذه مسألة لا يمكن الرد فيها بهذه السرعة ، فلم ينقض إلاّ ٢٤ ساعة » .

٢ ـ سلمنى مفكرة بنقاط حديثنا أمس وبعض الآراء الأخرى بدلا من أن يقدم إلىّ خطابا رسميا . فلما وجدت بعد الاطلاع عليها أن بعض العبارات شديدة أبدى يو ثانت استعداده لتغييرها فورا ، وظهر أن الدكتور بانش هو الذى حرر هذه المفكرة . واعتذر بانش بأنها « عبارات متداولة فى مثل هذا الشأن ولا عيب فيها عند رجال القانون » إنما قام بتغييرها فعلا . والمفكرة مرسلة إليكم ببرقية مفتوحة . وجاء فى المفكرة « أن السكرتير العام سيخطر الجمعية العامة فى

---

(٥) ولم يكن هذا الاحتمال واردا . والظن أنها كانت نتيجة نصيحة أخرى من نصائح الدكتور « بانش » الذى توقع أن يحدث تحرش بالقوات الدولية .

نفس الوقت الذى سيصدر فيه أوامره عند طلب حكومة القاهرة منه سحب القوات » . والواقع أننا اتفقنا أمس على أن يصدر الأوامر بالانسحاب أولا ثم يخطر الجمعية العامة ثانيا .

٣ ـ كان السكرتير العام مجاملا .

٤ ـ أثرت موضوع الحشود ونوايا إسرائيل فعاد الدكتور بانش يؤكد بناء على المعلومات التى وردت إليه من الجنرال « بول » (يقصد الجنرال أودبول كبير مراقبى الأمم المتحدة) ومن مصادر أخرى « أنه ليست هناك حشود إسرائيلية » . أجبت « بأن لنا من الوسائل ما نستطيع به الجزم بأنه كانت هناك حشود ومن الجائز أن تكون تفرقت ، فمن السهل والقوات ميكانيكية أن يتم ذلك فى أسرع وقت » .

٥ ـ ذكر الدكتور بانش « أنه من الجائز أن سوريا قلقت من تصريحات رجال الحكم فى إسرائيل » ، وعقبت عليه بأنه « من الطبيعى أنهم وقد هددوا فى تصريحاتهم ـ دعموا ذلك بحشود عسكرية » .

٦ ـ طلب السكرتير العام أن أتصل به أو بالدكتور بانش فى أى وقت تأتى فيه معلومات من القاهرة .

□ رابعا : ملاحظاتنا :

١ ـ أحدثت التطورات دويا كبيرا فى الأمم المتحدة واستحوذت على اهتمام السكرتارية والوفود وطغت على غيرها .

٢ ـ يبدو للكثيرين أن موقفنا غير واضح من قوات الطوارىء ، فهل نحن نطالب بسحبها نهائيا أم نقتصر على المطالبة بالانسحاب من مواقع معينة علما بأن ذلك سيجعل مهمة القوات غير فعالة وسوف يرجح رأى بانش .

٣ ـ ظهر بعض التذمر لدى الوفود المشتركة فى قوات الطوارىء (كندا بالذات) من معاملتنا الأخيرة لتلك القوات .

٤ ـ إذا استقر الرأى على طلب سحب القوات كلية فيحسن إرجاء هذا الطلب إلى ما بعد انتهاء الدورة الخاصة الحالية للجمعية العامة حتى لا يثار هذا الموضوع فيها .

موقف سفيرى الهند ويوغوسلافيا وخاصة الأخير كان مشكورا .

المندوب الدائم

(توقيع)

محمد عوض القونى »

□

وفى القاهرة دعا الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى اجتماع طارىء ضم المشير « عبد الحكيم عامر » والسيد « زكريا محيى الدين » والسيد « أنور السادات » والسيد « على صبرى » إلى جانب رئيس الوزراء السيد « صدقى سليمان » ونائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية الدكتور « محمود فوزى » ووزير الخارجية السيد « محمود رياض » ، وكان الهدف من الاجتماع هو مراجعة آخر تطورات الموقف على ضوء ما هو جار فى نيويورك .

وقبل أن يبدأ الاجتماع الطارىء فى القاهرة فى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » بساعة واحدة ، اتصل به السيد « محمود رياض » وزير الخارجية يبدى رأيا مفاده « **أنه يخشى أن يتورط « يو ثانت » تحت ضغط « بانش » وغيره ـ بتوجيه نداء إلى الرئيس لإبقاء قوات الطوارىء ، وأنه لهذا يقترح أن يبعث إليه برسالة ليعدل عن هذا الاقتراح « حتى لا نفاجأ بأن السكرتير العام للأمم المتحدة وضع هيبته الشخصية ووزن منصبه الدولى فى إجراء يؤدى إلى إحراجنا وإحراجه** » . » وأقر « جمال عبد الناصر » اقتراح وزير الخارجية . وهكذا بعث السيد « محمود رياض » ببرقية شفرية إلى السفير « القونى » جاء فيها بالنص :

« إلى السفير محمد القونى ـ من وزير الخارجية

رجاء مقابلة يو ثانت ونصحه بعدم إرسال أى نداء فى شأن قوات الطوارىء لئلا يرفض هذا الاقتراح من القاهرة ويؤدى ذلك إلى إحراج السكرتير العام وهو شىء لا نرغب فيه إطلاقا . »

وكان هذا آخر ما فعله وزير الخارجية قبل أن يغادر مكتبه متوجها إلى الاجتماع مع الرئيس « جمال عبد الناصر » .

□

وبدأ الاجتماع الطارىء فى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » بأن عرض الرئيس مجرى الحوادث فى الأيام الثلاثة السابقة ، ثم خلص إلى مجموعة آراء طرحها على النحو التالى :

١ ـ من الواضح أن تدخلات « بانش » وضعت « العقدة فى المنشار » حسب تعبيره . فلم نعد نستطيع الآن أن نتحدث عن إعادة تمركز قوات الطوارىء لأن « بانش » سوف يستغل هذا الموضوع ويخيرنا بين بقاء القوات بالكامل أو سحبها بالكامل . ونحن لا نستطيع أن نقبل بقاءها بالكامل .

٢ ـ إن « بانش » فى الواقع يحاول أن يفرض علينا أحد خيارين : إما أن نرضخ للأمر الواقع ونتراجع عن طلبنا ، أو نقبل تصعيد الموقف بطلب السحب الكامل ، وهو يعرف أن الخيار الأول يفقدنا كل مصداقية ، وأن الخيار الثانى ينطوى على مخاطرة .

٣ ـ إنه يرى والأمر كذلك أنه من الأفضل للجمهورية العربية المتحدة أن تطلب سحب القوات بالكامل ، بل إنه لا يميل إلى قبول اقتراح السفير « القونى » ـ رغم وجاهته ـ بتأجيل الموضوع كله إلى حين انتهاء الدورة الخاصة للجمعية العامة . فالأزمة الناشئة لم يكن سببها مطالبة مصر « من الهواء » بسحب قوات الطوارىء ، وإنما كان سببها هو الحشود الإسرائيلية ضد سوريا ومسؤولية مصر فى نجدتها .

٤ ـ إن عجلة الحوادث دارت بما لم يعد يسمح لمصر إلاّ بطلب واحد وهو طلب السحب الكامل للقوات ، وإذا لم تطلبه هى فإن « بانش » سوف يصر عليه رغبة فى إحراجها ، وبالتالى فإن من الأفضل أن يكون القرار قرارها وليس قرار « بانش » .

ودارت مناقشات واسعة تركزت كلها فى استعراض الحوادث والمواقف ، وأما القرار نفسه فقد كان موضع اتفاق لأن الملابسات والظروف لم تعد تحتمل غيره . وقد استقر الرأى على أنه وقد « اتسع النطاق السياسى » للموضوع بالكامل فلم يعد هناك مجال لطلب جديد إلى الجنرال « ريكى » يقدمه الفريق « فوزى » ، وبالتالى فمن الضرورى أن يكتب السيد « محمود رياض » خطابا رسميا إلى « يو ثانت » يطلب إليه فيه سحب قوات الطوارىء من مصر . وكان التساؤل الذى طرح نفسه بعد ذلك هو احتمالات رد فعل « يو ثانت » ـ مع حساب تأثير « بانش » ـ على هذا الطلب . واقترح الدكتور « فوزى »

أن يجرى مسعى ـ بالتوازى مع خطاب « رياض » لـ « يو ثانت » ـ للاتصال بحكومتى يوغوسلافيا والهند ـ ولهما أكبر نصيب فى وحدات قوات الطوارىء ـ لكى تعلن الحكومتان استعدادهما لسحب وحداتهما من قوات الطوارىء بمنطق « أن هذه القوات كانت تؤدى مهمتها باتفاق مع مصر ، وما دامت مصر قد غيرت رأيها فإن الدولتين يستحيل عليهما استبقاء وحداتهما فى بلد لم يعد راغبا فى ضيافتها » .

ووافق الرئيس « جمال عبد الناصر » على الاقتراح ، وقال إنه سوف يتصل فورا بالرئيس « جوزيب بروز تيتو » رئيس يوغوسلافيا ، والسيدة « انديرا غاندى » رئيسة وزراء الهند .

□

وكتب السيد « محمود رياض » خطابا إلى « يو ثانت » جاء فيه بالنص :

« إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تتشرف بإخطار سعادتكم أنها قد قررت إنهاء وجود قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة على أراضى الجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة . وعلى هذا الأساس فإننى أطلب اتخاذ الإجراءات اللازمة لسحب هذه القوات فى أسرع وقت ممكن .

وانتهز هذه الفرصة لأعبر لسعادتكم عن عرفانى وأصدق تحياتى .

إمضـــاء

محمـــود رياض

وزير الخارجيـــة »

□

وفى نفس الوقت كان « جمال عبد الناصر » يتلقى من بلجراد ودلهى تأكيدات بأن قيادة وحداتهما العاملة ضمن قوات الطوارىء فى مصر قد تلقت بالفعل تعليمات بإبلاغ الجنرال « ريكى » « أنها تعتبر مهمتها فى مصر منتهية ، وأنها سوف تقوم بتسليم مواقعها فور أن تطلب منها القوات المصرية المتقدمة إلى سيناء ـ تسلم هذه المواقع » .

وفى ظرف ساعات كان ذلك يحدث فعلا على عدد من المواقع المتقدمة فى سيناء . وأصبح توجيه الأزمة فى نيويورك محكوما بهذا العنصر المفاجىء مهما كانت اجتهادات

وتصورات البعض فى مقر الأمم المتحدة ، وفى مقدمتهم الدكتور « رالف بانش » ، أو اجتهادات وتصورات غيره فى عواصم أخرى !

كان « يو ثانت » فى نيويورك لا يزال يحاول أن يمسك بزمام الأزمة باتزان « راهب بوذى » رغم كل الضغوط الواقعة عليه . وقد أبدى رأيه صراحة ـ وبصوت خفيض ـ فى أن الجمهورية العربية المتحدة تملك الحق القانونى فى طلب سحب قوات الطوارىء الدولية من فوق أراضيها رغم معارضة « بانش » وغيره خصوصا من ممثلى بريطانيا وكندا ، وعدد من الدول الغربية الأخرى .

وقد ذهب إليه السفير الإسرائيلى بعد ظهر يوم ١٨ مايو وسأله صراحة إذا كان ينوى الاستجابة لطلب الجمهورية العربية المتحدة ، وعن الفكرة التى شاعت فى أروقة الأمم المتحدة من أنه ينوى توجيه نداء عاجل إلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة . ورد عليه « يو ثانت » بقوله : « **إن مطلب الجمهورية العربية المتحدة من وجهة نظر قانونية بحتة يصعب رفضه ، وأما من الناحية السياسية وبمطلب الحرص على السلام فإنه فكر فى توجيه نداء إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » لكنه يساعده إلى أقصى حد أن تعلن إسرائيل استعدادها لقبول تواجد قوات الطوارىء على أراضيها طالما أنها تجد فى وجود هذه القوات ضمانا من ضمانات السلام . » ودهش السفير الإسرائيلى من هذا الرد ، وقال لـ « يو ثانت » : « إنه يعرف من زمن طويل أن إسرائيل ترفض هذه الفكرة لأن معناها أنها تعتمد فى حماية أمنها على وجود هذه القوات » . ورد عليه « يو ثانت » بهدوء : « إذن ، لماذا تطلب منى أن أفرض على مصر أن تعتمد فى حماية نفسها على وجود هذه القوات ؟ »[٦]**

□

(٦) برقية من السفير « محمد القونى » اعتمدت روايته للواقعة فيها على ما سمعه من سفير الدانمارك ، وهى البرقية رقم ٥٢٢٣ / ٢٥٨ (محفوظات وزارة الخارجية المصرية) .

ومساء يوم ١٨ مايو (بتوقيت نيويورك) كان السفير « محمد القونى » قد تلقى خطاب وزير الخارجية المصرى الموجه إلى « يو ثانت » فطلب موعدا عاجلا معه ، وفى أعقابه كتب إلى وزير الخارجية المصرى وقائع ما دار فى الاجتماع بينهما ، وكانت طبقا لبرقيته الشفرية ـ رقم ٢٦٦٩ / ١١٤ ـ كما يلى :[٧] .

« إلى السيد الوزير

☐ **أولا** : قابلت السكرتير العام بعد ظهر اليوم وكان معه بانش :

١ ـ ناوله بانش فى بداية المقابلة ما نشرته وكالات الأنباء عن إذاعة القاهرة لنص خطاب السيد وزير الخارجية إليه والبيان الذى صدر فى هذا الشأن . وقد قرأ يو ثانت الخطاب والرسالة دون تأثر أو إبداء ملاحظة ، بل كان استقباله لى طبيا .

٢ ـ سلمته رسالة السيد وزير الخارجية وأضفت « أننى أود الإشارة إلى أن قرار الجمهورية العربية المتحدة نهائى ولا يقبل أى رجعة أو تعديل ، كما لن نقبل أى تساؤل عن أسباب اتخاذ هذا القرار فهو أمر يختص بسيادتنا ، ويهمنى أن أنقل إليه صورة من الجو الذى يسود القاهرة من استياء لتفكير بعض الحكومات وتناول الصحافة والإذاعات فى بعض البلاد بما فيها مساس بمبدأ السيادة . ونحن أمام هذا التهديد وهذه النوايا لا نستطيع إلاّ التصريح بأمانة بأننا لا نقبل أى مساعى أو محاولة لتغيير هذا الموقف » . وأضفت « أننا فى العالم العربى وفى بلادنا خاصة نحترم يو ثانت ونقدره ، ولذلك نود أن يتجنب كل محاولات إقحامه فى هذه الموضوعات . وقد علمت بأن هناك اقتراحا أمامه بتوجيه نداء منه إلى السيد الرئيس . ولذلك فأجد من جانبى حرصا على هذه المكانة أن أنصح بالعدول عن ذلك . » أجاب « أنه وعد حقيقة ممثلى الدول السبع التى لها قوات أن يقوم بتوجيه هذا النداء عندما تتقدم القاهرة بالطلب الرسمى . إنما ما دام الأمر كذلك فسيعدل عنه . »

---

(٧) محفوظات وزارة الخارجية المصرية ، وتوجد نسخ من هذه البرقية الشفرية فى محفوظات قصر عابدين ، وفى القيادة العليا للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

٣ ـ سألته عما سيتخذه فى هذا الشأن ، قال « **إنه سيجيب على هذا فى خطاب ، كما سيصدر الأمر بسحب القوات** » .

٤ ـ رجوته أن يكون إخطاره للجمعية العامة بغير تعليق منه ، وسألته عما إذا كان سيقوم بتلاوته فى الجمعية العامة . قال إنه سيكون فى شكل تقرير مكتوب وأنه سيقتصر على :

أ ـ المفكرة التى سلمها لى أمس .

ب ـ طلب حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

جـ ـ إجابته على هذا الطلب .

٥ ـ قلت له « **إننا لن نقوم بعدوان ضد إسرائيل ، وإنما نحن مصممون على الاشتراك فى الدفاع عن أى دولة عربية تتعرض لعدوان منها** » .

٦ ـ سألنى بانش عن « **مقياس السرعة فى الانسحاب خاصة والأمر يحتاج إلى تدبير وسائل نقل أفراد القوة ، وكذلك التصرف فى المهمات والمعدات** » . أجبت « **أنه يحسن التفريق بين الاثنين ، فيبدأ بالترحيل فورا ، أما التصرف فى المعدات فهذا أمر يمكن تدبيره** » .

٧ ـ **لاحظ بانش (بخبث) أن خطاب السيد وزير الخارجية أعلن قبل تقديمه إلى يو ثانت . وكذلك علم من ممثلى حكومات الدول السبع أن القاهرة اتصلت بممثليهم لتخطرهم بالقرار وطلب الانسحاب قبل إبلاغه ليو ثانت . فقلت له « إن هذه المسألة هى فرق التوقيت بين البلدين » . وقد أمن على ذلك يو ثانت . »**

□

وعندما وصل الحديث إلى هذه النقطة سادت لحظة صمت بدا فيها « يو ثانت » وكأنه يفكر فى شىء يريد أن يقوله . وبالفعل قال للسفير « القونى » : « **إن فكرة طرأت له بالأمس بعد أن أطال التأمل طويلا فى الأزمة الناشئة وفى عواقبها المحتملة . فقد خطر له أن يسافر بنفسه إلى القاهرة لمقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » شخصيا مع العلم بأنه سوف يصدر الأمر بسحب القوات قبل سفره ، وبالتالى فلا يستطيع أحد أن ينسب هذه الرحلة إلى نية فى الضغط على الجمهورية العربية المتحدة ، وأنه يتمنى إذا استحسن السفير « القونى » الفكرة أن ينقلها بسرعة إلى القاهرة ويستطلع رأيها فيها . فإذا**

وافقت فإنه على استعداد للسفر بسرعة قبل أن يدعى مجلس الأمن للاجتماع ، وهو يعرف أن هناك اتصالات ومشاورات بين عدد من الدول بقصد دعوة المجلس إلى بحث الموقف . » ورد عليه السفير « القونى » بأنه « **يفهم دوافعه إلى هذا الاقتراح ، وأنه رغبة فى السرعة سوف يتصل تليفونيا بالقاهرة ويعرض عليها اقتراح السكرتير العام** » .

وخرج السفير « القونى » من مكتب « يو ثانت » ولم يجد فى الوقت متسعا لكى يذهب إلى مقر البعثة المصرية الدائمة فى الأمم المتحدة فى شارع « بارك آفينيو » وإنما أجرى اتصاله التليفونى مع السيد « محمود رياض » وزير الخارجية من مبنى الأمم المتحدة . وأحس « محمود رياض » فى القاهرة بدواعى السرعة فطلب من السفير « القونى » أن ينتظر على الخط ، ومن خط آخر فى مكتبه اتصل تليفونيا بالرئيس « جمال عبد الناصر » وأبلغه بهذه الخطوة الجديدة التى يقترحها « يو ثانت » . ووافق « جمال عبد الناصر » وعاد « محمود رياض » إلى خطه التليفونى مع السفير « القونى » فأبلغه « **أن الجمهورية العربية المتحدة ترحب بزيارة يو ثانت إليها شريطة أن يجرى الإعلان عن هذه الزيارة بعد صدور أمره بانسحاب قوات الأمم المتحدة** » .

وعاد السفير « القونى » إلى الدور السادس والثلاثين فى مبنى الأمم المتحدة حيث مكتب « يو ثانت » لكى يبلغه رد القاهرة على اقتراحه بزيارتها . وكتب السفير « القونى » برقية شفرية اعتبرها ملحقا ببرقيته الشفرية رقم ٢٦٦٩ / ١١٤(٨) مستكملا سياقها على النحو التالى :

☐ « **ثانيا** : عدت إلى مقابلة يو ثانت عقب الاتصال التليفونى مع سيادتكم وأبلغته الترحيب بزيارة القاهرة فى الوقت الذى يحدده . كما تركنا له اختيار صيغة الإعلان عن هذه الزيارة بعد أن يتم إعلان صدور أوامره بانسحاب قوات الطوارىء . أعرب يو ثانت عن شكره الجزيل ، وقال إن شرطنا مفهوم بالطبع وهو ينوى السفر إلى القاهرة يوم الاثنين بعد صدور القرار الخاص بجنوب غرب أفريقيا مباشرة . أبدى شكره عندما علم بعزمكم على إعلان بيان طيب بمناسبة رحيل القوات ، وطلب منى أن أعود إلى مقابلته مساء لتسلم رده (المكتوب) ».

☐

---

(٨) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

وأضاف السفير « القونى » ملحقا آخر لبرقيته الشفرية رقم ٢٦٦٩ / ١١٤(٩) بعد أن أتم مقابلته المسائية مع « يو ثانت » ـ قائلا ما يلى :

- « **ثالثا** : قابلت يو ثانت لثالث مرة حسب طلبه الساعة السادسة والنصف ليسلمنى رده (المكتوب) بعد اجتماعه باللجنة الاستشارية لقوة الطوارىء ، ولما أطلعنى عليه لاحظت أنه يحسن حذف الفقرة الأخيرة ، فقال إن هذه الفقرة وردت فى تقريره عن قوة الطوارىء قدمه إلى الجمعية العامة ، وقد خففه فى اجابته عما كان عليه فى تلك التقارير . إنما وجد أن واجبه أن يضمنها رده .

٢ ـ سألته عن التدابير فقال « **إن الأوامر ستصدر هذه الليلة إلى قيادة قوات الطوارىء بالانسحاب** » . وقد سأل بانش (الذى دخل مكتب يو ثانت بعد دقائق من بدء الاجتماع) « **عن جنسية الطائرات التى نفضل أن تقوم بترحيل أفراد القوات ، وذلك لأنهم فى حاجة إلى طائرات أكبر من الطائرات الحالية ولتستخدم فى مطار العريش . ومن الجائز أن لا تكون هناك رغبة فى استخدام الطائرات التابعة للحكومة الأمريكية أو الانجليزية . وإذا استأجرنا طائرات فمن الصعب فى موسم السياحة أن نحصل على طائرات من الشركة السويسرية** » . **تساءل بانش باهتمام عن** « **إمكانية استخدام شركة** TWA » . **فقلت سأستعلم من القاهرة . أما عن المهمات فقد قال إنه** « **يفضل بيعها محليا** » . **وفهمت أنهم على استعداد للتصرف فيها بأسعار معقولة** .

٣ ـ سيبعث السكرتير العام بتقريره فى هذا الموضوع إلى الجمعية العامة غدا ، وسيوزع بعد الظهر بعد ترجمته إلى اللغات الرسمية (المعمول بها فى الأمم المتحدة) .
سألت السكرتير العام عما إذا كان إخطار الجمعية العامة سيسمح

---

(٩) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

بمناقشة هذا الموضوع أمامها ، ورد بالنفى . وتدخل بانش مضيفا « **إنه (الموضوع) غير موجود على جدول أعمالها** » .

٤ ـ يقوم (يو ثانت) بإعلان سفره عندما يتأكد من ارتباطاته غدا .

☐ رابعا : أخذنى إلى ركن مكتبه وسألنى على حدة عما « **إذا كان فى إمكانه اصطحاب الدكتور بانش ، خاصة وأن بانش أبدى رغبة أثناء مقابلتى الأولى لهما صباح اليوم فى زيارة السد العالى بأسوان** » . قلت له : « **بصفة مبدئية إن هناك بعض الشك حول الدكتور بانش** » . وقال إنه « **على العكس وجده بعد التجارب «Objective» (موضوعى) ، وعلى أى حال فإنه سيعتذر لبانش بأنه لن يصحبه معه هذه المرة حتى لا تظهر الزيارة وكأنها مرتبطة (بقرار) قوات الطوارىء** » .

أرجو إخطارى إذا كان لكم رأى آخر .

☐ خامسا : قال لى يو ثانت إنه « **لاقى صعوبات فى اجتماعه بأعضاء اللجنة الاستشارية** » .

ملخص ما دار فى هذا الاجتماع مرسل فى حقيبة خاصة .

السفير

محمد عوض القونى »

وعندما عرضت هذه البرقية على الرئيس « جمال عبد الناصر » استوقفه موضوع « بانش » ، واتصل تليفونيا بالدكتور « محمود فوزى » يتشاور معه فى مجىء « بانش » إلى القاهرة فى صحبة « يو ثانت » . وكان رأى الدكتور « فوزى » أنه « يفهم بواعث السفير « القونى » على الشك فى « بانش » وإن كان لا يزال مختلفا معها بعض الشىء ، **ومع ذلك فهو لا يرى داعيا لدفع « بانش » إلى الإحساس بأن القاهرة تتخذ منه موقفا عدائيا » . ووافقه الرئيس على هذا الرأى . وصدرت برقية من الخارجية إلى السفير « محمد القونى » نصها : « لا مانع من مجىء بانش مع السكرتير العام إلى القاهرة » . ورد السفير « القونى » ببرقية شفرية رقم ٢٧٣٠ / ١٢٣[١٠] ـ جاء فيها :**

(١٠) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

« اتصلت بالسكرتير العام فشكر ولكنه اعتذر لأن الحالة تستدعى أن يبقى الدكتور بانش فى المقر الرئيسى (للأمم المتحدة) لمواجهة التطورات وإجراء الاتصالات (فى غيبة السكرتير العام) . »

وكانت الأجواء فى أروقة الأمم المتحدة حافلة بإشارات تستحق الاهتمام . وبينها مثلا أنه ظهر تباين بين موقف الحكومة الأمريكية وموقف الحكومة البريطانية فى شأن سحب قوات الطوارىء . فقد كتب السفير « القونى » يوم ١٩ مايو برقية شفرية برقم ٢٦٨٤ / ١١٦[١١] ـ ورد فيها :

« قابلت السفير جولدبرج بناء على طلبه اليوم ، وقد قال لى إن الحكومة الأمريكية لاحظت بارتياح أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لم يقع منها أى حادث يهدد السلام » . أجبته « بأنه لابد لاحظ أنه لم يصدر عن أى دولة عربية تهديد بالهجوم على إسرائيل بينما يتكرر عدوان إسرائيل على البلاد العربية مع التفاخر به . كما أنه لابد لاحظ أن مسؤولى الحكومة الإسرائيلية لا يكفون عن التهديد ، وآخره تهديد أشكول (رئيس وزراء إسرائيل) الذى يذكرنى بتهديدات هتلر » .

وقال لى جولدبرج « إن الحكومة الأمريكية لا تعتزم أن تثير موضوع شرعية القرار الذى اتخذه يو ثانت بشأن سحب قوات الطوارىء وذلك على عكس موقف انجلترا وكندا . وهذا بالرغم من ضغط الكونجرس وكثير من الهيئات عليه لطلب عقد مجلس الأمن للنظر فى الحالة فى الشرق الأوسط » .

وقد أطلعنى على صورة من البيان الذى سيدلى به بشأن سحب القوات وقال « إنه يرجو ألاّ يكون فيه استفزاز لنا » . وقلت له « إنه ليس فيه استفزاز ولكننى لا أوافق عليه »

وفى نفس اليوم بعث السفير « القونى » ببرقية شفرية أخرى برقم ٢٦٨٧ /١١٨[١٢] جاء فيها :

---

(١١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

(١٢) مجموعة وثائق وزارة الخارجية المصرية . وتوجد نسخ منها فى أرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

« قال لى السكرتير العام اليوم إن المستر جورج براون وزير خارجية بريطانيا بعث إليه أمس برسالة يعارض فيها شرعية قراره بقبول طلب مصر سحب قوات الطوارىء . وقد قال لى يو ثانت « **إن الموضوع واضح فى ذهنه وأنه تصرف وهو مستريح ومطمئن الضمير إلى شرعية قراره وسلامته** » . كذلك قال لى السكرتير العام « **إن مندوب كندا أبلغه أن حكومته تنوى طلب عقد مجلس الأمن لأنها تجد أن حالة من التوتر تجتاح منطقة الشرق الأوسط** » . »

وفى نفس هذه البرقية روى السفير « القونى » أن سفير الهند قال له « إنه يحسن الاحتفاظ بأحسن علاقات مع بانش حتى من قبيل المصلحة لأن بانش فى يده وضع كثير من التقارير وتصوير المسائل فيها كما يريد » .

ومن واشنطن كتب السفير « مصطفى كامل » برقية شفرية عاجلة برقم ٢٧٠٠ / ١٥٩[١٣] بتاريخ ١٩ مايو جاء فيها :

« اجتمعت اليوم بالسفير باتل مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط بناء على طلبه لمدة ساعة تقريبا .

☐ أولا : أوضح الآتى :

١ ـ إن حكومته تشعر بقلق بالغ تجاه التوتر الحالى بين إسرائيل والدول العربية .

٢ ـ وأن الموقف دقيق للغاية .

٣ ـ وأن حكومته توجه إلينا وإلى جميع الأطراف المعنية فى هذا الموقف (طلبا) بضبط النفس «Restraint» .

٤ ـ وأنهم اتصلوا بالحكومة الإسرائيلية أكثر من مرة فى هذا الشأن لإيضاح ما تقدم . وأن الحكومة المذكورة تؤكد أنها لا تستهدف القيام بأعمال عسكرية ضد أية دولة عربية .

٥ ـ وأضاف بأن حكومته تشعر أن الحكومات العربية بدورها لا تستهدف القيام بإجراءات عسكرية عدوانية .

٦ ـ واستطرد فقال « **إنه ما دام الحال كذلك ، فإن المسألة الهامة هى مراعاة**

---

(١٣) محفوظات وزارة الخارجية المصرية ، وتوجد نسخ من هذه البرقية الشفرية فى محفوظات قصر عابدين وفى القيادة العليا للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

الحرص التام على تجنب ما أسماه بالزلل أو عدم مراعاة الحساب الدقيق «Miscalculation» فى هذا الموقف الحساس . »

وأطال « جمال عبد الناصر » النظر فى هذه البرقية . فقد بدت له متضمنة لرسالة بين السطور لم تظهر فى نصوصها . ولم يصل إلى رأى فى شأنها يرجح معه ما إذا كانت هذه الرسالة تمثل فى بعض أجزائها رأى « لوشيوس باتل » شخصيا ، أو أنها بالكامل صادرة عن مستوى أعلى منه ![14]

---

(١٤) أشر « جمال عبد الناصر » بخط يده على هذه الرسالة بعبارة « تقرأ لهيكل ـ جمال » . واتصل بى بعد ذلك يسألنى عن انطباعى بعد أن قرئت علىّ الرسالة ، وما إذا كان إحساسى أن « باتل » يتطوع بهذا التحذير بتأثير مشاعره من وقت خدمته فى مصر ، أم أن هذه هى السياسة الأمريكية ، وهو واثق أن الاتجاهات الحقيقية للسياسة الأمريكية مختلفة عما توحى به هذه الرسالة من حرص .

الفصل الخامس

شــــرر فى الظـــلام !

فى الشهور الأولى من سنة ١٩٦٧ كان الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » غارقا إلى الركب فى جنوب شرق آسيا ـ فقد أصبح مصيره السياسى ومصير إدارته معلقا بمسار الحرب فى فيتنام . ولكن الشرق الأوسط كان فى خلفية فكره يلحّ عليه طول الوقت ، لأن مصالح ومطالب الولايات المتحدة فيه أهم وأكبر مما يمكن إهماله بالنسيان أو إزاحته بالانشغال . ومع ذلك فقد كان « ليندون جونسون » يعرف أنه قد يكون فى وسعه الاعتماد على إسرائيل بعد اتفاقه مع « ليفى أشكول » رئيس وزرائها عندما عقدا معا اجتماعهما الخطير سنة ١٩٦٤ .

وهكذا كان الرئيس « جونسون » يخوض فى نفس الوقت حربين غير شرعيتين ، إحداهما على مسرح الشرق الأقصى ، والأخرى على مسرح الشرق الأوسط . وكان على مسرح الشرق الأقصى يتصرف بطريقة ظاهرة لأنه كان يحارب بجيوشه وإن كانت إدارة الحرب موكولة إلى الحكومة الخفية فى البيت الأبيض . وأما فى الشرق الأوسط فلم تكن حربه ظاهرة ، ولم تكن له على الأرض جيوش ، وكان الموضوع كله من ناحية التخطيط والتنفيذ فى اختصاص الحكومة الخفية فى البيت الأبيض .

وكان كل من مسرح العمليات فى الشرق الأقصى وفى الشرق الأوسط مختلطا بالآخر فى تفكير « جونسون » ، وكان هذا الارتباط حقيقة تعبر عن نفسها صريحة فى بعض الأحيان ، ربما دون أن يقصد . ولأن الحرب كانت ظاهرة فى الشرق الأقصى ، فإن تطوراتها كان يمكن رصدها من خلال الوثائق الأمريكية . **وأما فى الشرق الأوسط والحرب كلها خفية غير ظاهرة فقد كانت الوثائق الأمريكية لا تفصح عن صورة الحقيقة كاملة ، فقد كان الاتفاق بين « جونسون » و« أشكول » ـ استفادة من درس تواطؤ السويس ـ أن لا تكون هناك أوراق مكتوبة ولا بصمات أصابع يمكن أن تدل على أصحابها . وبرغم ذلك فإن مجموعة الوثائق السرية للمكتب الخاص للرئيس الأمريكى ظهرت بين سطورها ـ فى كثير من الأحيان ـ إشارات تبرق فى الظلام وتفشى لمحات مما يجرى فى خفائه وغموضه :**

□ □ □ فى وثيقة من مكتب مستشار الأمن القومى للرئيس « جونسون » بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٤[1] تظهر واقعة واضحة الدلالة مؤداها أن **إسرائيل كانت تريد استبدال كمية من الدبابات من طراز « سنتوريون » بكمية من طراز أقوى وأحدث هو دبابات « تشيفتين » ، واحتاجت إسرائيل لهذه العملية إلى مبلغ يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مليون دولار . وكان « جونسون » يريد تقديم هذا المبلغ إلى إسرائيل دون أن يضطر للذهاب إلى الكونجرس لطلب الاعتماد ، وبالتالى ينكشف الموضوع . وهكذا تم الاتفاق فى اجتماع عقد فى مكتب الرئيس حضره وزير الخارجية « دين راسك » ووزير الدفاع « روبرت ماكنمارا » ومستشار الأمن القومى « ماك جورج باندى » وممثله الخاص « ماير فيلدمان » ومستشاره الشخصى لشؤون العمل السرى فى الشرق الأوسط « روبرت كومر » ـ على أن يتم توفير المبلغ لإسرائيل عن طريق اتفاق تجارى مع الحكومة البريطانية فتتساهل الحكومة الأمريكية مع بريطانيا فى حدود هذا المبلغ ، ويكون على هذه الحكومة (البريطانية) أن توفره تحت تصرف إسرائيل .**

وعندما ثارت أثناء هذا الاجتماع تعقيدات إدارية أخرى فى سبيل توفير بعض الاحتياجات العسكرية لإسرائيل ـ تسجل مذكرة الاجتماع فى الصفحة الثانية أن « ليندون جونسون » قال لمستشاريه بالحرف : « **نفذوا ما هو مطلوب ولا تعودوا إلىّ مرة أخرى بغير تنفيذه** » .

---

(١) الوثيقة المعنونة برقم « ٢٣٣٠ ـ مذكرة للملفات » ، وهى محفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » بتكساس فى المجموعة «٣٠» من هذه المكتبة .

وعندما ظهرت أثناء هذا الاجتماع ضرورة لإرسال « فيلدمان » إلى إسرائيل فى مهمة سرية كان الرئيس « جونسون » هو الذى اختار له « الغطاء العلنى » لرحلته . فقد عرض « فيلدمان » اقتراحين للتغطية :

□ أولهما أن يعلن أنه ذاهب لتوقيع اتفاق توريد أغذية بمقتضى القانون ب . ل ـ ٤٨٠ .

□ والثانى أنه ذاهب ليجىء بنسخة من تسجيل شهادة « بن جوريون » الشفوية عن عصر الرئيس « كنيدى » .

وتدخل « جونسون » بنفسه ليقول بالحرف :

ـ « خذ الغطاء الأول وهو اتفاق الأغذية ، فلا يليق أن يذهب مبعوث رئاسى فى مهمة عبر المحيط لمجرد أن يعود بشرائط تسجيل » !(٢)

□ □ □ وتكشف نفس الوثيقة الصادرة عن مكتب الرئيس للأمن القومى وبتوقيع « روبرت كومر » أيضا(٣) أن موضوع التعاون السرى الكامل مع إسرائيل طرح للبحث من زاوية آثاره السياسية على العالم العربى ، ثم صدرت بشأنه توصية تقول بالحرف فى الصفحة الثانية من الوثيقة :

« إن الشىء الوحيد الذى يجب أن نطلبه من إسرائيل هو أن لا تضطرنا أن نعلن رسميا عن سياستنا المنحازة كليا إلى جانبها . ونحن لا نطلب ذلك لمجرد أن توازن موقفنا فى الظاهر ليس مجرد ضرورة استراتيجية لإبعاد الاتحاد السوفيتى عن الشرق الأوسط ، ولا بسبب مصالحنا الاقتصادية فى بترول المنطقة . ولكننا نطلب ذلك لأنه فى مصلحة إسرائيل كما هو فى مصلحتنا . فإذا أعلنا صراحة أننا نأخذ جانب إسرائيل فإن العرب سوف يردون بتحالف مع موسكو ، وهذا يؤدى إلى خسارة لإسرائيل كما يؤدى إلى خسارة لنا . وإن سياستنا الحالية تعطى العرب الحافز كى لا يبتعدوا كثيرا عن الغرب ، وهذه مقتضيات أى منطق عادى .»

□ □ □ وتكشف وثيقة سرية أخرى على شكل مذكرة للرئيس « جونسون » بتاريخ

---

(٢) نفس الوثيقة .

(٣) نفس الوثيقة .

أول يونيو ١٩٦٤[٤] عن زاوية أخرى من زوايا التنسيق العسكرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل ـ فتقول فى البند الرابع منها :

« ٤ ـ مخاوف إسرائيل الأمنية : إن هيئة أركان الحرب المشتركة الأمريكية تتابع هذا الموضوع (تسليح مصر) . ونحن على ثقة من أن قوة الردع الإسرائيلية أكثر تفوقا مما يظهره لنا الإسرائيليون . ونحن لا نلومهم على ما يبدونه من خوف ظاهر ، ولكننا نأمل أن يستمعوا جيدا إلى نصائحنا الطيبة .»

ثم تمضى المذكرة فى البند الخامس منها فتقول :

« ٥ ـ إنهم (الإسرائيليين) يبدون قلقا شديدا من خطر الصواريخ المصرية . ونحن نتابع تفاصيل هذه المسألة ولا نعتقد أن صواريخ ناصر سوف تكون فعالة قبل سنة ١٩٧٠ . ولابد للإسرائيليين فى هذا الصدد أن يقبلوا تقديراتنا .»

□ □ □ وتكشف وثيقة أخرى بمذكرة عن حديث جرى فى مكتب الرئيس « جونسون » بتاريخ أول يونيو ١٩٦٤[٥] عبارة وردت على لسان الرئيس « ليندون جونسون » كانت شديدة الوضوح فى تعبيرها عن الارتباط بين فيتنام والشرق الأوسط فى ذهنه ـ فقد نقلت المذكرة عنه بالحرف :

« إن الرئيس واصل كلامه ليقول إنه وراء إسرائيل بالكامل «Foursquare» فى جميع المسائل المتصلة بمصالحها الأمنية الحيوية كما هو تماما فى جنوب شرق آسيا ، وسوف نكون دائما حيث تكون هناك حاجة منهم إلينا .»

ثم عادت المذكرة لتنقل عن الرئيس فى الصفحة الثامنة منها قوله :

« نعم ، نحن وراء إسرائيل بالكامل «Foursquare behind Israel» . وتلى ذلك النص ثلاث صفحات محذوفة بالكامل من المذكرة حتى بعد أن تم الحصول

---

(٤) الوثيقة المعنونة برقم « ٢٣٣١ ـ مذكرة للملفات » ، وهى محفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » بتكساس فى المجموعة «٣» من هذه المكتبة .

(٥) الوثيقة المعنونة برقم « ٢٣٣٣ ـ مذكرة للملفات » ، وهى محفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » بتكساس فى المجموعة «٣» من هذه المكتبة .

عليها بمقتضى قانون حرية المعلومات ، وكان ذلك بناء على طلب مستشار الأمن القومى فى البيت الأبيض[٦] .

□

وتتكرر الإشارات فى الوثائق الأمريكية تلمع كالشرر وسط العتمة ، حتى تجيء ظروف المنطقة الفوارة فى شهر مايو سنة ١٩٦٧ .

وفى يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ولم تكن قضية التحركات العسكرية الواسعة النطاق للجيش المصرى ردا على الحشود الإسرائيلية ضد سوريا قد ظهرت بعد ، كتب « هارولد سوندرز »[٧] وهو مسؤول وزارة الخارجية عن التنسيق مع وكالة المخابرات المركزية فى الشرق الأوسط ـ مذكرة حول فكرة طرحت فى ذلك الوقت ترى أن التوتر الزائد فى الشرق الأوسط ربما يدعو الرئيس الأمريكى إلى إرسال نائبه « هيوبرت همفرى » إلى المنطقة فى رحلة استطلاع . وكانت مذكرة « سوندرز » موجهة إلى « والت روستو » مستشار الأمن القومى للرئيس . وجاء فى هذه المذكرة بالحرف الواحد ما يلى :[٨]

« أغلب الظن أن يعترض الوزير راسك وإدارة الشرق الأدنى على ذهاب نائب الرئيس إلى إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ولاسيما فى هذا الوقت بالذات . وفى وسعى أن أتعاطف مع عدم رغبتهما حتى فى التفكير فى هذا الموضوع فى هذا الأسبوع ، ذلك أن كليهما (الوزير وإدارة الشرق الأدنى) سيحسان بأن الشهور القليلة القادمة محفوفة بمخاطر شديدة . ومنذ شهر واحد كان الوزير راسك يعتقد بأنه لا يصح أن تكون لنا اتصالات على مستوى عال مع الجمهورية العربية المتحدة حين لا يكون لدينا ما نعطبه لها ، وهو ما يصدق اليوم تماما . »

ثم يمضى « سوندرز » فى مذكرته فيقول فى الصفحة الثانية منها ما نصه : **« علينا أن نواجه الواقع وهو أن مصالح ناصر ومصالحنا متصادمة » .**

□ □ □ وبتاريخ ١٦ مايو تظهر على مكتب « والت روستو » مستشار الأمن القومى للرئيس مذكرة كتبها موفد خاص منه إلى المنطقة حذف من الوثيقة اسمه عندما تم

---

(٦) فى عهد الرئيس « ريجان » وقت محاولة الحصول عليها .

(٧) كان « هارولد سوندرز » معروفا فى وزارة الخارجية بوصف «Mr.C.I.A.» » .

(٨) وثائق مكتبة « ليندون جونسون » فى ولاية تكساس .

الحصول عليها بمقتضى قانون حرية المعلومات . وتبدأ الصفحة الأولى من الوثيقة على النحو التالى :

« مذكرة إلى والت روستو

الموضوع : مصلحة الرئيس الشخصية فى الشرق الأوسط .

١ ـ لقد توجهت إلى الشرق الأوسط ومعى السؤال : ما هى مصلحة الرئيس فى الشرق الأوسط ؟ إننى من قبل بحثت المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط جيئة وذهابا مرات عديدة . بيد أننى فى هذه المرة كنت مهتما بتحديد اهتمامات الرئيس جونسون نفسه « **بافتراض الغايات الحميمة إلى قلبه** » . وقد رجعت أحمل الخطوط التالية :

أ ـ إن الرئيس لديه أكثر من مجرد اهتمام عادى بضبط الأمور فى الشرق الأوسط لسببين خاصين :

- **على وجه الخصوص ونحن مشغولون فى فيتنام فلابد أن نعفيه من العبء السياسى وأيضا الإنسانى ـ بتوريط القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط أيضا .**
- **إن فكرة حروب التحرير الوطنية هى « تكنيك » جديد وفد إلى الشرق الأوسط وتركز على حدود إسرائيل ، وأيضا فى جنوب الجزيرة العربية (اليمن) . وعندما شغل الرئيس جونسون نفسه بمواجهة مشكلة فيتنام فقد بين أيضا أنه لن يسمح بانتشار هذا النوع من العدوان فى مناطق أخرى . وهكذا فإننا لا نستطيع أن نتصدى لإرهاب حركات التحرير فى فيتنام ونعجز عن فعل هذا فى الشرق الأوسط . »**

ثم يمضى كاتب التقرير فيقول فى الصفحة الثالثة منه :

« لقد أبلغنى السيد رياض وزير الخارجية المصرية بصراحة « أنهم يعتقدون أننا نعمل ضدهم فى كل مكان بالشرق الأوسط » . وليس باستطاعة أى قدر من المنطق والجدل أن يخترق شباك الريبة القوية التى تحاصر القادة السياسيين (فى مصر) . وسوف نضطر إلى الموافقة مع أصدقائنا الإسرائيليين وبعض أصدقائنا العرب على أن اللغة الوحيدة التى يفهمها ناصر هى الحزم الذى تسانده القوة العسكرية الواضحة والاستعداد لاستعمالها .»

ثم يمضى كاتب التقرير فيقول فى الصفحة الرابعة منه :

« لقد كان الملك فيصل قلقا لحصول ناصر على موطىء قدم فى اليمن ، وخوفه الكبير هو أن يتحرك ناصر بقواته إلى الجنوب العربى عندما ينسحب البريطانيون . وفى نظر فيصل فإن ناصر عميل للشيوعية . وهو يسعى لإسقاط أنظمة الحكم المعتدلة فى مختلف نواحى المنطقة ، كذلك يرى أن عدم تصدينا لاستيلاء ناصر المحتمل على عدن بمثابة فشل فى التصدى للزحف الشيوعى فى الشرق الأوسط . وهو فشل يدعوه إلى الشك فى مصداقية تعهدنا له بالحفاظ على سلامة مملكته . ويؤيد فيصل موقفنا فى فيتنام ، ولا يستطيع أن يفهم لماذا نتردد فى الشرق الأوسط ولا نتردد فى فيتنام . وهو يشعر بعمق أنه لا يحق لأحد أن يثق فى ناصر ، وأن علينا أن نعرف أن سياساتنا التى كانت ترمى فى وقت من الأوقات إلى مد جسور معه قد فشلت تماما .»

□

كانت مصالح « ليندون جونسون » الشخصية فى الشرق الأوسط تزداد أهميتها كل يوم مع اقتراب موعد الترشيح لحملة انتخابات الرئاسة المنتظرة سنة ١٩٦٨ . وكانت حرب فيتنام وآثارها فى الولايات المتحدة تطارده فى الكونجرس وفى المدن وفى الجامعات التى تحولت إلى مواقع للمقاومة العنيدة ضد سياساته فى فيتنام . وكان من شأن هذه الآثار أن تلقى بظلال كثيفة على احتمالات نجاح « جونسون » فى الانتخابات التى اقترب موعدها وبدأت مقدماتها فعلا ، بل وكان من المحتمل أن تلقى هذه الآثار بظلها ليس فقط على نجاحه ـ وإنما حتى على حماسة حزبه (الحزب الديمقراطى) لترشيحه للرئاسة فترة ثانية . بل لقد ترددت أحاديث في أروقة الحزب عن أفضلية اختيار نائبه « هيوبرت همفرى » !

وشأنه شأن كل رئيس أمريكى ، فإن « ليندون جونسون » كان يطمح إلى مدة رئاسة ثانية للولايات المتحدة الأمريكية . وقد راوده الأمل فى أن يستطيع جنرالاته الذين يقودون الجيش الأمريكى فى فيتنام ، ووكالة المخابرات المركزية التى تديرها هناك ـ تحقيق نتيجة يستطيع أن يقدمها للرأى العام الغاضب فى الولايات المتحدة ، وللكونجرس الذى ظهرت فيه بوادر التمرد ضد حرب فيتنام بقيادة السناتور « ويليام فولبرايت » رئيس لجنة الشؤون الخارجية . ولم يحدث شىء مما كان « ليندون جونسون » يطمح إليه ، بل وراحت المعارضة تزداد يوما بعد يوم ضد الحرب فى فيتنام . ووصل الأمر بالرئيس الأمريكى فى تلك الظروف إلى حد التفكير فى عدم ترشيح نفسه مرة أخرى للرئاسة ، ولكن الاستسلام لهذا النوع من التفكير كان بالطبع صعبا عليه إنسانيا وسياسيا . وربما من نتيجة هذه

الوساوس الداخلية أن « ليندون جونسون » راح يصدر أوامره بتكثيف التعاون مع إسرائيل آملا أن يعطيه مسرح الشرق الأوسط ما يعوضه عن المأزق الذى يواجهه فى مسرح الشرق الأقصى .

٢

وتظهر أى قراءة متأنية للوثائق السرية الأمريكية طوال سنة ١٩٦٥ و١٩٦٦ والنصف الأول من ١٩٦٧ أن مؤسسات الإدارة الأمريكية كانت توافق الرئيس بصفة عامة على الخيار الإسرائيلى الذى استقر عليه . وربما ظهرت هنا وهناك خلافات ولكنها كانت خلافات فى الظلال ، أى خلافات تتصل بالأساليب والتوقيتات أكثر مما تتصل بالاتجاه الرئيسى للسياسة . وترسم الوثائق صورة واضحة لهذه الظلال المتفاوتة وهى تبدو على النحو التالى :

١ - **البيت الأبيض** : الرئيس ومستشاروه للأمن القومى مقتنعون بالكامل بالخيار الإسرائيلى . ومن اللافت للنظر أن جميع الذين تصدروا للتعامل مع أوضاع الشرق الأوسط فى تلك الفترة الحرجة كانوا جميعا من اليهود المتعاطفين مع إسرائيل . فـ « والت روستو » المستشار الرئيسى للأمن القومى وقتها يهودى . وشقيقه « يوجين روستو » مساعد وزير الخارجية لشؤون الأمن القومى هو الآخر بالطبع يهودى . ولقد لفتت هذه الظاهرة نظر السفير « مصطفى كامل » الذى رأى أن يتحدث فيها فى مناسبة من المناسبات مع سفير الاتحاد السوفيتى فى واشنطن وهو « أناتولى دوبرينين » راجيا منه أن يثيرها بطريقة لبقة مع الرئيس « جونسون » . وكان « دوبرينين » فى ذلك الوقت دائم التردد على البيت الأبيض فى صدد البحث عن حل لمشكلة فيتنام . وحدث بالفعل أن ألمح « دوبرينين » أثناء إحدى مقابلاته مع « جونسون » إلى الحرج الذى يلاقيه السفراء العرب عموما فى التعامل مع الأخوين « روستو » . ولم يزد بأكثر من ذلك . وكان الرد الذى تلقاه وأبلغه بعد ذلك للسفير « مصطفى كامل » ولغيره من السفراء العرب هو قول الرئيس الأمريكى « **حسنا ، هم لا يستطيعون التعامل بقلب مفتوح مع الأخوين روستو ، قل لهم أن يتعاملوا ابتداء من الآن مع وكيل الخارجية كاتزنباخ وهو على اتصال يومى بالبيت الأبيض** » ـ **وكانت المشكلة أن « كاتزنباخ » يهودى أيضا .**(٩)

---

(٩) من الملاحظ أن كل مبعوثى الرؤساء الأمريكيين إلى المنطقة ، وبالذات بعد حرب ١٩٦٧ ، وحتى بعد رحلة الرئيس « السادات » الشهيرة إلى القدس ـ كانوا جميعا من اليهود .

٢ ـ **وزارة الخارجية** : كان « دين راسك » وزير الخارجية على استعداد لتفهم دواعى الخيار الإسرائيلى ، وإن لم يكن هناك حماس شديد لهذا الخيار بين بعض مساعديه . ومن الواضح من خلال عدد من التصرفات أنه لم يكن على علم بكل التفاصيل الدقيقة التى وصلت إليها عملية تنفيذ هذا الخيار . وكان رأى « دين راسك » أن الأمور يجب أن تعالج بحذر شديد وأن توضع فى الاعتبار مجموعة من العوامل ، أهمها :

أ ـ الأوضاع التى يمكن أن تنشأ فى المنطقة عموما إذا ما نشبت حرب عربية إسرائيلية وكانت إسرائيل فيها هى المعتدى بشكل سافر . وتأثير هذه الحالة على المصالح الأمريكية الحيوية فى المنطقة .

ب ـ الموقف الذى يحتمل أن يأخذه الاتحاد السوفيتى فى تأييد العرب ونتائج ذلك ليس فقط على المنطقة ، ولكن أيضا على مجمل العلاقات الأمريكية السوفيتية التى كانت فى ذلك الوقت تجتاز مرحلة دقيقة وتقترب من مفاوضات هامة بشأن تحديد أنواع من الأسلحة النووية .

جـ ـ وكان « راسك » فوق هذا كله ميالا للشك فى أن إسرائيل سوف تنتهز فرصة أى حرب فى الشرق الأوسط لكى تستولى على الضفة الغربية للأردن وتحقق حلمها التاريخى فى أرض إسرائيل . وهذا احتمال من شأنه أن يؤدى إلى زعزعة النظام فى الأردن ، فضلا عن عواقبه على بقية الأنظمة المحافظة فى المنطقة . وكان تقدير « راسك » فى هذه النقطة أن الملك « حسين » سوف يصعب عليه أن يتخذ موقف الحياد الكامل فى حالة نشوب حرب بين مصر وإسرائيل . فإذا أبدى أى قدر من التعاطف مع مصر فإن إسرائيل سوف تجد ذلك غطاء كافيا لزحفها على الضفة الغربية . وعلى فرض أن الملك « حسين » اختار موقف الحياد ، وهو صعب ، فإنه سوف يجد نفسه فى مواجهة قلاقل داخلية من شعبه مهما كانت نتيجة الصدام بين مصر وإسرائيل .

وللإنصاف فإنه لابد من الإشارة هنا إلى أنه كانت هناك فى وزارة الخارجية الأمريكية مجموعة من رؤساء الإدارات والسفراء تخشى من عواقب الخيار الإسرائيلى . وربما كان السفير « لوشيوس باتل » ، وهو وقتها وكيل وزارة الخارجية ، أظهر مؤيدى هذا الرأى .

وكانت السفارة الأمريكية فى القاهرة قد أصابها التشاؤم الكامل إلى درجة أن الوزير المفوض القائم بأعمالها قال للوزير المفوض المصرى « محمد رياض » مدير مكتب وزير الخارجية ـ فى محادثة بينهما بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٧ :(١٠)

ـ « لقد كان أملى أن أرى العلاقات بين البلدين يعود إليها النبض ، مجرد النبض ، ولكنى الآن أعرف أنه لم تعد هناك فائدة ، وأنه لم يبق أمامنا إلاّ أن نمشى من هنا ونركز جهودنا على آخرين من أصدقائنا فى المنطقة » !

٣ ـ **وزارة الدفاع** : كان وزير الدفاع « روبرت ماكنمارا » ـ رغم ضعف مركزه نسبيا بسبب العجز فى فيتنام ـ على علم بعمليات التنسيق لأن وزارته شاركت فى كثير من جوانبه ، وبينها عمليات إمداد إسرائيل بالسلاح . وبرغم ذلك فقد ظهرت خصوصا فى إدارات الأبحاث الاستراتيجية عناصر تخشى من الوصول بالتنسيق مع إسرائيل إلى مداه . وقد كانت هذه العناصر على استعداد لأن ترى الدوافع السياسية إلى هذا التنسيق ، ولكنها فى نفس الوقت كانت تخشى من أن يؤدى ذلك إلى أضرار استراتيجية بالولايات المتحدة على المدى الطويل . وكانت البحرية المهتمة طبيعيا باستراتيجيات البحر الأبيض والبحر الأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى ـ هى أكثر الجهات تخوفا من الآثار البعيدة المدى للخيار الإسرائيلى . وقد كتبت إدارة الأبحاث فى البحرية تقريرا مبكرا اعترضت فيه على قيام مجموعات من مخابرات البحرية الإسرائيلية بزيارات دورية لقطع الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض . وكانت هذه الزيارات قد جرى ترتيبها فى اجتماع حضره الرئيس « جونسون »(١١) وقال فيه « **إن إسرائيل لابد لها أن تطمئن إلى أن الأسطول السادس قريب منها باستمرار » . واقترح السفير « هاريمان » (كما توضح الصفحة السادسة من هذه الوثيقة) أنه « ربما كان مما يطمئن الإسرائيليين أن يقوموا بين وقت وآخر بزيارات للأسطول الأمريكى السادس بالبحر الأبيض وأن يتعرفوا على إمكانياته » . وجرى إقرار هذا الترتيب فعلا فى ذلك الاجتماع ، وأصبحت زيارات مجموعات المخابرات الإسرائيلية للأسطول السادس أسبوعية ، ولم تكن البحرية الأمريكية شديدة الرضا عن ذلك ، وأبدت تململها حينما صرح « ليفى أشكول »** رئيس

---

(١٠) مذكرة كتبها الوزير المفوض « محمد رياض » إلى رئيسه السيد « محمود رياض » وزير الخارجية يوم ١٤ مايو ، وهى فى محفوظات مكتب الوزير .

(١١) رجاء مراجعة نص الوثيقة رقم ٢٣٣٢ ، وهى محفوظة فى الصندوق « ١٤ س » فى مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس .

وزراء إسرائيل علنا فى شهر مايو ١٩٦٧ بما نصه « إن إسرائيل تعتبر الأسطول الأمريكى السادس بمثابة احتياطى استراتيجى لها » . وقد أدى موقف بعض عناصر البحرية الأمريكية إلى تعقيدات فى العلاقات بين إسرائيل والبحرية الأمريكية بالذات ، وهى تعقيدات ظهرت تفاصيلها فيما بعد بالكامل فى فضيحة الجاسوس الإسرائيلى « جوناثان بولارد » الذى قام بسرقة أخطر وثائق البحرية الأمريكية وسلمها لإسرائيل بدعوى « أن البحرية الأمريكية مليئة بعناصر ليست متحمسة للتعاون بقلب مفتوح مع إسرائيل ».(١٢)

٤ ـ **مجموعة المصالح الأمريكية الكبرى فى الشرق الأوسط** ، وهى تضم شركات البترول وعددا من البنوك الكبرى وشركات السلاح التى تفتحت لها أبواب المنطقة بسرعة فى تلك الظروف ، وطائفة من شخصيات المؤسسة الشرقية فى الولايات المتحدة من أمثال « روكفللر » و« ماكلوى » و« آندرسون » وغيرهم : وكان أقطاب هذه المجموعة على معرفة بالشكل العام للخيار الإسرائيلى دون دخول فى التفاصيل . وكان بينهم من تحمس لهذا الخيار ، كشركات البترول . وكان بينهم من تردد فيه . وكان التردد باديا فى مجموعة البنوك التى أبدت خشيتها من أن أى حريق فى بقعة ما فى الشرق الأوسط قد ينتشر منها إلى كل أرجاء المنطقة . وعلى أى حال فإن كل هذه العناصر جميعا كان من رأيها ما يلى :

أ ـ إن ظهور أى أثر للتواطؤ بين إسرائيل والولايات المتحدة يمكن أن يؤدى بالولايات المتحدة إلى نفس الطريق الذى سارت فيه بريطانيا من قبل فى أعقاب انكشاف تواطؤ السويس .

ب ـ إن وجود توتر فى المنطقة ليس ضررا كله ، فالتوتر المحكوم أفضل للمصالح الأمريكية من نيران الحرب ، كما أنه أفضل من أى وفاق عربى يجىء على حساب المصالح الأمريكية .

جـ ـ إن الوضع الحاصل والذى يمكن أن يتفاقم سوف يؤدى إلى « فتنمة » الحرب «Vietnamization» بمعنى تحويلها إلى حرب أهلية عربية كاملة على نمط ما يجرى بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ، شريطة ألاّ تتدخل القوات الأمريكية فيه ، وأن وضع « الفتنمة » من شأنه تحريك

---

(١٢) رجاء مراجعة كتاب الصحفى الإسرائيلى « وولف بلتزر » عن فضيحة الجاسوس الإسرائيلى « جوناثان جى . بولارد » وقد تفجرت فى الثمانينات ، وهو لا يزال مسجونا حتى الآن بسبب الحكم عليه بالسجن المؤبد .

وتنشيط مصالح كثيرة لشركات السلاح والبنوك التى سوف تستفيد يقينا من هذه الحالة .

د ـ إن حربا عربية إسرائيلية إذا وقعت سوف تكون إغراء لا يمكن مقاومته بالنسبة لإسرائيل لكى تحاول احتلال الضفة الغربية من الأردن ، وهذا من شأنه أن يأتى بنتائج لا يمكن حساب احتمالاتها . وفى كل الأحوال فإنه إذا استقر الأمر على هذا الخيار الإسرائيلى فإن الشرط الواجب توافره أن يكون هناك أساس شرعى يؤيده ، بمعنى أن لا تظهر إسرائيل على الإطلاق بمظهر المعتدى ، وإنما يكون موقفها هو موقف الدفاع عن النفس مع الضغط عليها بكل الوسائل لصدها عن الاقتراب من الضفة الغربية للأردن . وفى هذا السياق من المنطق فإن مجموعة المصالح هذه كانت متوافقة مع الهواجس السارية فى بعض أروقة وزارة الخارجية .

□ □ □ وكانت المخابرات المركزية الأمريكية وغيرها من أجهزة الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة قصة أخرى أشد ضراوة وتعقيدا .

□

عندما يعطى رئيس أى دولة فى حجم الولايات المتحدة الأمريكية ـ ضوءه الأخضر ، وبتفويض كامل لأجهزة العمل السرى بأن تنفذ سياسة معينة ، فطبيعة الأشياء أن هذه الأجهزة سوف تمشى فى هذه السياسة إلى أبعد مما طلب إليها ضمانا لأكبر قدر ممكن من النجاح .

وإذا كانت تعليمات الرئيس فى مثل هذه السياسة مما يتطابق تماما مع هوى هذه الأجهزة ومخططاتها ، فإن هذه الأجهزة سوف تمشى يقينا على الطريق إلى أبعد مما كانت تستهدفه فى البداية ، فهذه هى « ديناميكية » الأمور .

وعندما أعطى الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » تعليماته إلى الحكومة الخفية بأن قراره السياسى هو « اطلاق العنان لإسرائيل » «Unleash Israel» فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت أكثر من جاهزة لتنفيذ هذه السياسة ، كما أن رئيس قسم العمليات الخاصة فيها « جيمس آنجلتون » الشهير اعتبر التوجيهات الرئاسية الجديدة تصديقا كاملا على المنهج الذى كان ينادى به فى مواجهة « جمال عبد الناصر » منذ سنة

١٩٥٦ وقبلها . والآن كانت الفرص ملك يديه لينفذ ما كان ينادى به ويحقق نتائجه التى كان يبشر بها .

وطوال سنوات ـ كان « آنجلتون » حتى بدون تعليمات يفتح كل الأبواب الممكنة أمام إسرائيل بتأثير علاقاته القديمة بها(١٣) . وعندما تلقفت يداه هدية تعليمات « جونسون » الجديدة فإن « آنجلتون » اعتبر أن مهمته لم تعد فتح بعض الأبواب أمام إسرائيل ، وإنما فتح جميع الأبواب .

وتكشف مجموعة الوثائق التى حصل عليها الصحفى الأمريكى « ستيفن جرين » وضمنها كتابه « الانحياز » أن « آنجلتون » كان هو القوة المحركة وراء برنامج إسرائيل النووى ، وقد تولت إدارته بنفسها إرسال شحنات من اليورانيوم المخصب المسروقة من مفاعلات أمريكية بواسطة المخابرات المركزية الأمريكية ذاتها . وكذلك كان « آنجلتون » ـ كما تظهر الوثائق ـ وراء برنامج الصواريخ الإسرائيلية فى مراحله الأولى ، وكان هدفه أن تتمكن إسرائيل من سبق برنامج الصواريخ المصرى الذى كانت التقديرات الأمريكية تشير إلى أنه مع مجىء سنة ١٩٧٠ سوف يحقق نتائج ملموسة .

وربما كان أهم مجال قام فيه « آنجلتون » بمساعدة إسرائيل هو مجال معلومات المخابرات ، فقد أتاح لها كل موارد المعلومات التى كانت تحت تصرف المخابرات المركزية الأمريكية . كذلك أتاح لها إمكانية لا تعوض ، وهى إمكانية حل معظم مفاتيح الشفرة المصرية المدنية والعسكرية . كذلك كان « آنجلتون » هو الذى وفر لإسرائيل آخر إمكانيات الحرب الاليكترونية من التشويش إلى الإعاقة وإلى ما هو أكثر من ذلك بكثير !

وزاد « آنجلتون » على ذلك أنه فى وقت ما من سنة ١٩٦٧ قام فى لندن بإجراء اتصالات مع إدارة المخابرات البريطانية «M.I.6» ، ونتيجة لهذه الاتصالات **فإن إسرائيل حصلت على كل أوراق الخطة البريطانية للضرب الجوى الاستراتيجى الذى قامت به القاذفات البريطانية ضد الطيران المصرى ابتداء من مساء يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ وحتى يوم ٢ نوفمبر ، وهى الأيام الثلاثة التى شهدت محاولة تدمير الطيران المصرى وطائراته قبل نزول قوات**

---

(١٣) رجاء مراجعة صفحة ١١٤ من هذا الكتاب .

العدوان فى السويس يوم ٤ نوفمبر .(١٤)

وإضافة إلى هذا فإن « آنجلتون » أعد بالتعاون مع إسرائيل قائمة جاهزة بأسماء مائة وأربعين طيارا من الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا وعدد من الدول الأوروبية ـ يكونون جاهزين ضمن السلاح الجوى الإسرائيلى إذا ما نشأت ظروف « أرغمت » إسرائيل على شن الحرب . وقد جرت اتصالات لجس نبض هؤلاء جميعا ، وفى كثير من الأحيان تمت اتفاقات تفرض على أطرافها التأهب والاستعداد لحالات الطوارىء .

كانت الأبواب التى فتحها « آنجلتون » على مصاريعها أمام إسرائيل تحولا مخيفا فى النوايا والخطط . وربما يتذكر البعض أن الحكومة البريطانية بقيادة « مارجريت ثاتشر » تمكنت من إحراز النصر فى حرب « الفوكلاند » بقوة الأسطول البريطانى وحده منطلقا على بعد آلاف الأميال من قواعده فى بريطانيا متوجها لقتال الأرجنتين ـ وكان أهم سلاح لديه ، وهو السلاح الذى مكنه من تحقيق النصر فى هذه المهمة شبه المستحيلة ، هو اعتماده على ما قدمته له المخابرات الأمريكية بمقتضى اتفاق بين الرئيس الأمريكى « رونالد ريجان » وبين « مارجريت ثاتشر » رئيسة وزراء بريطانيا .(١٥)

والحقيقة أنه حينما يصبح أى طرف من أطراف أى حرب فى التاريخ صفحة مفتوحة أمام خصمه ، فإن هذا الطرف يفقد نصف معركته قبل إطلاق رصاصة واحدة لأن نواياه وخططه وحجم قواته واتجاهات عملها ، تصبح معروفة بالكامل قبل بدء العمليات ، ومن ثم تنقلب كل الموازين . ولعل ذلك كان السبب الذى لم تظهر ترتيبا عليه أية ظنون فى قدرة إسرائيل على أداء المهمة التى تحملت تنفيذها . وعلى كثرة ما تحتوى الوثائق الأمريكية من تقديرات احتمالات الحرب فليست هناك وثيقة أمريكية واحدة شككت فى تفوق إسرائيل أو فى تأهبها لاستعمال هذا التفوق .

---

(١٤) كان جهاز المخابرات البريطانى فى تلك الفترة غارقا فى تآمره على وزارة حزب العمال برئاسة « هارولد ويلسون » . وقد ناقشت المستر « جورج براون » وزير الخارجية البريطانى ـ فى لقاء بيننا فى فندق « كلاريدج » فى لندن سنة ١٩٧٨ ـ فى عملية حصول إسرائيل بواسطة « آنجلتون » بالترتيب مع «M.I.6» على أوراق الخطة البريطانية للضرب الجوى الاستراتيجى ضد الطيران المصرى سنة ١٩٥٦ ، وقد قال لى « جورج براون » إنه راودته شكوك بالفعل أثناء توليه وزارة الخارجية فى أن شيئا من هذا النوع حدث ، وإن كان لا يستطيع القطع فى التفاصيل .

(١٥) رجاء استذكار ما كتب عن حرب « الفوكلاند » والدور الأساسى الذى لعبته المخابرات الأمريكية فى تمكين الأسطول البريطانى من تحقيق النصر ضد الأرجنتين .

وكانت إسرائيل بالفعل مستعدة متأهبة ، وأكثر من ذلك فقد كانت تتعجل الفرص لأسباب متعددة .

كانت إسرائيل فى هذه الفترة تركز نظرها على واشنطن ، ويطمئنها ما تراه هناك مواتيا لها . والغريب أنها فى نفس الوقت لم تدر بصرها عن الاتحاد السوفيتى أيضا ، فلم تكن تريد بابا واحدا مقفلا أمامها بينما هى مقبلة على فرصة عمرها .

كانت إسرائيل تقدر أكثر من أى طرف غيرها مدى اتساع العلاقات العربية السوفيتية ، ومدى أهميتها لكل من العرب والسوفيت . ومع ذلك فإنها لم تكن مستعدة أن تسمح لعدوها بأرض محرمة عليها . وهكذا فإنها فى تلك الفترة كثفت من اتصالاتها مع الحكومة السوفيتية رغم أنها كانت على علم بحجم العداء الراسخ لها فى عدد من أجهزة صنع القرار فى الاتحاد السوفيتى ، وبالذات فى دائرتين هما دائرة المؤسسة العسكرية ومؤسسة المخابرات ـ الـ « كى . جى . بى » . فكل من هاتين المؤسستين كانت تعرف الكثير عن النشاط الخاص الذى تقوم به إسرائيل فى داخل الاتحاد السوفيتى .

كانت معظم حركات الرفض بين المثقفين واقعة تحت تأثير يهودى لا شك فيه . وكذلك كانت عمليات النشر السرى لأعمال سياسية أو أدبية رافضة للنظام السوفيتى بتحريض من عناصر يهودية أيضا . وكانت المؤسسة العسكرية السوفيتية ، وكذلك مؤسسة المخابرات أول من يستطيع تقدير ضرر هذا النشاط على الدولة السوفيتية من الداخل . وجاء وقت أصبح فيه تعبير « **منشق** » هو مرادف آخر لتعبير « **يهودى** » . وسواء كان هذا دقيقا أو لم يكن ، فإن إسرائيل حاولت ترسيخه لتزيد من أرصدتها مع اليمين الأمريكى ومؤسساته المختلفة . **وكان طبيعيا فى هذا الوقت أن تصبح عناصر الرفض فى الداخل هى أهم المجالات التى تستطيع فيها المخابرات الأمريكية أن تحصل على أدق المعلومات عما يجرى داخل الاتحاد السوفيتى . وبالفعل فإنه فى تلك السنوات حدث اختلاط كبير وتداخل بين ما هو إسرائيلى وما هو يهودى ، وبين ما هو يهودى وما هو احتجاجى ، وبين ما هو احتجاجى وما هو معلومات خارجة من الاتحاد السوفيتى تتعرض لمختلف الأحوال فيه .**

وقد حدث فى أحد اللقاءات بين الرئيس « جمال عبد الناصر » والرئيس « تيتو » أن قال الرئيس « تيتو » إن «**العرب يتركون جسم الاتحاد السوفيتى لإسرائيل ويتعاملون مع الرأس فقط** » . **وكان قصده أن التعامل مع الاتحاد السوفيتى يجرى على مستوى القيادات العربية والسوفيتية ، ولكنه لا ينزل إلى ما بعد هذه القيادات وفيه أجزاء مؤثرة حتى فى صنع القرار سواء فى الحزب وأجهزته المختلفة ، أو فى الجامعات والأكاديميات ، أو فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون .**

ولقد جربت فى بعض الأوقات محاولات لتعميق الاتصالات بين العرب والسوفيت ، ولكنها لم تنجح . فقد تركز معظمها على الاتصالات فى مجال حركة السلام وحركة التضامن الآسيوى الإفريقى ، ولكن هذه المنظمات وغيرها كانت فى معظم الأحيان تحت إشراف رسمى أو قريبة من مثل هذا الإشراف . وبالتالى فإن العلاقات العربية السوفيتية ظلت فى غالب الأحيان علاقات علوية ، فى حين أن إسرائيل كانت تحاول باستمرار أن تتسرب إلى العمق .

ولقد كان هناك عنصر يساعد إسرائيل غلى هذا التسرب إلى العمق السوفيتى . فكل المشاركين فى دائرة صنع القرار الإسرائيلى أو القريبين منها (من « بن جوريون » إلى « أشكول » إلى « رابين » ، وعشرات غيرهم) ـ من أصول روسية أو متصلة مع الروس بنسب ، رغم كل ما كانوا يدعون به من عذاب لحق بالشعب اليهودى بتأثير العداء الكامن ضد السامية فى روسيا . كان بعض هذا العداء صحيحا ، وكانت له أسبابه وجذوره الاجتماعية والتاريخية البعيدة . ومع ذلك يبقى أن الظروف التى تصنع شكل الحياة وتصوغ نمط التفكير فى بلد من البلدان ـ تؤثر بشكل أو آخر على كل الذين يعيشون فوق أرضه مهما اختلفت دياناتهم أو حتى أصولهم العرقية . وهكذا فإن دوائر صنع القرار الإسرائيلى كانت قادرة على أن تفهم صميم المجتمع الروسى الذى تعادى دولته ـ بأكثر مما كان العرب ـ وهم أصدقاء هذه الدولة ـ قادرين على النفاذ إلى الصميم !

□

وفى تلك الفترة دارت أحاديث على مستوى مجلس الوزراء الإسرائيلى وعلى مستوى القيادة العسكرية الإسرائيلية حول ضرورة بذل جهد مع الاتحاد السوفيتى مهما بدا أن هذا الجهد محاولة يائسة . وكان أبرز المعارضين لهذه المحاولة هو « وايزمان » الذى قال : **« إننا لسنا فى حاجة إلى رضاء طرف من الأطراف الدولية لكى نشن الحرب . إننا لم نجد الشجاعة سنة ١٩٤٨ لدخول الضفة الغربية وضمها إلى إسرائيل . وكانت تلك**

مأساة يجب تداركها ، وإجهاضا للحق التاريخى لابد من تصحيحه . ولا تحتاج إسرائيل لا إلى عذر ولا إلى إذن لكى تصحح خطأ وقعت فيه .»

وأما الرأى المطالب بالمحاولة مهما كان حجم النجاح الذى يمكن أن تلقاه ، فقد كان يتزعمه « ليفى أشكول » الذى كان رأيه أنه « وإن كانت حسابات موقف الاتحاد السوفيتى من المعركة القادمة فى الشرق الأوسط واقعة فى مسؤولية الولايات المتحدة وتحت ضمانها ، فإن إسرائيل مع ذلك لا ينبغى أن تتخلى عن الجبهة السوفيتية بالكامل ، خصوصا وأن الحرب ومضاعفاتها قضية لا يمكن حساب المجهول فيها بنسبة ١٠٠ ٪ » .

وفى سنة ١٩٦٦ كان « ليفى أشكول » يوجه بنفسه محاولة إسرائيل فى التقرب من الاتحاد السوفيتى . وفى تقريره السنوى عن أعمال الحكومة لهذه السنة ، كتب « ليفى أشكول » يقول بالحرف « إن إسرائيل لن تتخلى عن الأمل فى أن تكون علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى أفضل وأحسن » .

وفى جانب من هذا التوجه فإن « ليفى أشكول » كان يضع عينه ـ أيضا ـ على اليهود السوفيت واحتمال هجرتهم إلى إسرائيل . فقد كانت حساباته أن أكبر تجمعات لليهود فى العالم خارج إسرائيل هى الولايات المتحدة (يهودها أكثر من يهود إسرائيل) ، والاتحاد السوفيتى (وفيه قرابة مليون ونصف مليون من اليهود) . وكانت حساباته أن يهود أمريكا ليسوا مستعدين للهجرة إلى إسرائيل إطلاقا . وأما يهود الاتحاد السوفيتى فالأمل فى هجرتهم قائم ولابد من تشجيعه . وحدث فعلا سنة ١٩٦٦ ، ونتيجة لمحاولات « أشكول » ، أن اقتنع الاتحاد السوفيتى بفتح الباب لهجرة يهودية محدودة إلى إسرائيل . وبالفعل تظهر إحصائيات تلك السنة أن هناك ألفين من اليهود السوفيت هاجروا إلى إسرائيل .

وفى فبراير ١٩٦٧ أدلى « أبا ايبان » أمام « الكنيست » بتصريح يسترعى النظر قال فيه : « لقد تحقق نجاح كبير فى علاقات إسرائيل مع الاتحاد السوفيتى ، ومع الكتلة الشرقية كلها ، خصوصا فى المجال الثقافى » .

ثم كان لافتا للأنظار أنه فى مايو ١٩٦٧ ، وبينما أزمة الشرق الأوسط تتصاعد ـ قام « ايجال آللون » نائب رئيس الوزراء ووزير العمل ومنسق لجنة الأمن الخاصة فى مجلس الوزراء الإسرائيلى ـ بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتى . وهناك التقى بعدد كبير من القيادات ، وأجرى اتصالات واسعة مع أعداد كبيرة من « الرافضين » اليهود والمتصلين والمتأثرين بهم .

وطوال الشهور الأولى من سنة ١٩٦٧ كان التخطيط الإسرائيلي ـ مستندا إلى أغلبية تمثل ٧٥ ٪ من مقاعد الكنيست ـ على آخر درجة من الاستعداد والتأهب ينتظر عنصرين اثنين :

١ ـ فرصة سانحة تبدو شرعية وتعطى لإسرائيل مبررا واضحا للعمل .

٢ ـ موافقة أمريكية معلنة أو مضمرة تعطى لإسرائيل الضوء الأخضر على أساس فرصة لها بالفعل مثل هذه الشرعية المطلوبة وهذا المبرر للعمل .

وتظهر الوثائق الأمريكية أنه فى شهر مارس ١٩٦٧ كانت إسرائيل على وشك أن تقوم بعملية واسعة لاحتلال جنوب سوريا ، ويكون من أثر هذه العملية تفجير الموقف فى الشرق الأوسط كله . ولعل المعلومات التى تسربت عن نوايا إسرائيل فى ذلك الوقت كانت الحافز المباشر للملك « حسين » على دعوة الفريق « عبد المنعم رياض » إلى عمان فى أول مايو ١٩٦٧ ، ورسالة التحذير المبكرة التى أرسلها للقاهرة ، والتى كان شاغله الأكبر من ورائها هو مخاوفه من المطامع الاسرائيلية فى الضفة الغربية . **وقد كان تقديره للنوايا الإسرائيلية سليما ، فإسرائيل تريد أن تقدم أى ضربة لمصر هدية للرئيس الأمريكى ، وأما غنيمتها هى (إسرائيل) فقد كان الملك واثقا أنها الضفة الغربية من مملكته .**

ولم تتحقق خطة العمل الإسرائيلية فى مارس سنة ١٩٦٧ . ولكن تحركات الجيوش المصرية فى مايو سنة ١٩٦٧ ـ جاءت بفرصة أكبر .

وفى ١٧ مايو ، وبعد أن أذيع نبأ تحرك الجيوش المصرية رسميا على العالم (وكانت إسرائيل قد علمت به قبل إذاعته رسميا بوسائلها فى الرصد والمخابرات) ـ دعا « ليفى أشكول » مجلس وزرائه للاجتماع ، وانعقد المجلس فعلا مساء هذا اليوم ، واتخذ قرارا بإعلان تعبئة جزئية تحسبا للتطورات . وكانت الحقيقة أكبر من هذه المقولة ، **فإن إعلان التعبئة الجزئية كان يعنى على الفور سحب ١٠٠ ألف مجند من المزارع والمصانع واستدعائهم إلى صفوف الجيش ، وهذا العبء لا تستطيع أن تحتمله إسرائيل إلاّ إذا كان لديها تصميم على الفعل السريع .**

الفصل السادس

إلى أيـــــــــن ؟

يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ كانت واشنطن تتابع تطورات الموقف فى الشرق الأوسط والآراء فيها متضاربة والنصائح متعارضة ، والرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » يسائل نفسه ـ أغلب الظن ـ ما إذا كانت الظروف الآن مناسبة لإطلاق العنان لإسرائيل ، أم أن الظروف الموضوعية لم تتوافر بالكامل بعد .

وربما كان أكثر ما يظهر هذه الحالة فى واشنطن هو كمية المحذوفات ـ من صلب الوثائق الأمريكية بدواعى الأمن القومى حتى هذه اللحظة ورغم مرور أكثر من ثلاث وعشرين سنة .

وفى الوقت الذى كانت حدة التوتر فيه بادئة فى التصاعد فى المنطقة ، كتب « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكية مذكرة[1] إلى « جونسون » كان نصها كما يلى :

---

(١) محفوظات مكتبة « ليندون جونسون » فى ولاية تكساس ـ الوثيقة رقم ٢١٣٦ / ١٦٢ .

« سرى

مذكرة للرئيس

الموضوع : رسالة عاجلة إلى أشكول

لقد راودنا الأمل أمس فى أن يتناقص التوتر الذى نشأ فى مثلث إسرائيل ـ سوريا ـ الجمهورية العربية المتحدة فى أعقاب الاستعراض المصرى الذى يتسم بالزهو والمباهاة ، والذى تمثل فى تحريك قوات حول القاهرة فى حالة الاستعداد . بيد أننا مساء أمس علمنا نحن وإسرائيل أن المصريين قد حركوا قواتهم إلى سيناء . والآن حركوا قواتهم أمام قوة طوارىء الأمم المتحدة على الحدود بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ، ولم يبق إلاّ أن يطلبوا منها الانسحاب .

وتنبثق سياسة حافة الهاوية التى تتبعها الجمهورية العربية المتحدة من سببين :

١ ـ يعمد السوريون إلى تغذية تقارير القاهرة الخاطئة عن التعبئة الإسرائيلية لضرب سوريا . ومن المؤسف أن بعض التهديدات العامة الحربية نوعا ما من إسرائيل وعلى لسان أشكول وآخرين قد أضفت الثقة على تقارير سوريا .

و

٢ ـ ربما يشعر ناصر أن هيبته سوف تتأثر بصورة لا يمكن إصلاحها لو أنه فشل للمرة الثالثة فى مساعدة دولة عربية هاجمتها إسرائيل . وكان المعتدلون من أمثال حسين قد انتقدوه بقسوة لأنه لم يهرع إلى مساعدة الأردن فى شهر نوفمبر الفائت ، أو إلى مساعدة سوريا عندما أسقطت إسرائيل ستا من الطائرات السورية الميج فى الشهر الماضى .

وفى هذا الجو المشحون بشدة ، قد يكون من المستحيل بالنسبة لإسرائيل أن توجه ضربة انتقامية محدودة ردا على الهجوم الإرهابى المنطلق من سوريا دون أن تتعرض لعواقب وخيمة ، إذ أن السوريين قد يحاولون القيام بإجراءات أشد من ذى قبل بإطلاق الإرهابيين ، وذلك لتحقيق أحد هدفين : إما لإرغام إسرائيل على عدم التبجح وتلقى المزيد من الهجمات التخريبية الأخرى دون أن ترد عليها ، وإما أن تجر إسرائيل إلى قتال مع الجمهورية العربية المتحدة . وقد يقرر أشكول أن تحرك قوات مصر إلى الحدود بشكل ضغطا عليه .

ويوصى وزير الخارجية شخصيا ببعث هذه الرسالة وحثه على عدم إشعال هذا الفتيل بالذات .»

واللافت للنظر من مراجعة الملفات أن هذه الوثيقة ظلت على مكتب « ليندون جونسون » لمدة ٢٤ ساعة قبل أن يقرر إرسالها لـ « أشكول » استجابة لنصيحة وزير الخارجية « دين راسك » . ولعل « جونسون » فى حالة التردد النفسى التى كان فيها لم يكن مستعدا للمبادرة الفورية بتوجيه نصيحة لإسرائيل بـ « عدم إشعال هذا الفتيل بالذات » ، وغير راغب فى انتظار فتيل آخر .

□

يوم ١٨ مايو كان واضحا أن هناك إجراءات خاصة بدأ تنفيذها فى إطار مجلس الأمن القومى الأمريكى وفى إدارة أزمة الشرق الأوسط . فقد ظهر « هارولد سوندرز » (Mr. C.I.A.) مكلفا وحده بأن يكون حلقة الاتصال بين وزارة الخارجية وبين مكتب مستشار الأمن القومى فى البيت الأبيض « والت روستو » . ثم إن التقارير بدأت تحمل توقيتات أدق وبالساعة بدلا من مذكرات تشير إلى تاريخ اليوم .

ويوم ١٨ مايو كتب « سوندرز » مذكرة جاء فيها ما يلى :

« إلى والت روستو

الموضوع : الشرق الأوسط فى منتصف النهار .

١ ـ طلبت الجمهورية العربية المتحدة الآن الانسحاب الكامل لقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ـ وهذا يمثل فى جزء منه استجابة انفعالية من جانب الجمهورية العربية المتحدة لبيان السكرتير العام للأمم المتحدة الذى أدلى به أمس (ومؤداه أن عمل قوة الطوارىء وحدة واحدة لا تتجزأ) .

٢ ـ إسرائيل (فقرة طويلة محذوفة من تقرير « سوندرز ») .

٣ ـ (فقرة طويلة محذوفة من تقرير « سوندرز ») .

٤ ـ إن جولدبرج وجد يو ثانت وركبه ترتعش هذا الصباح . وبرغم أنه صرح من قبل بأن قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة تعتبر ضرورية للحفاظ على السلم فى المنطقة ، إلاّ أنه من غير المؤكد الآن أن موقفه يمكن أن يكون حازما بما يكفى لإبقاء هذه القوات فى مواقعها على الأرض .

٥ ـ سنحاول بعد ظهر اليوم عقد اجتماع رباعى [٢] مع يو ثانت . وأحد المقترحات التى تبدو جذابة ليو ثانت نفسه هو التوجه إلى إسرائيل وسوريا والجمهورية العربية المتحدة لبحث الموقف كله هناك .

٦ ـ وإننى أتساءل عما إذا كان الرئيس يستطيع أن يفعل شيئا ما لتدعيم عزيمة يو ثانت وذلك عن طريق تحميله برسالة ، أو وضع طائرة خاصة تحت تصرفه مثلما حدث عندما توجه السكرتير العام للأمم المتحدة إلى شبه القارة الهندية للتوسط هناك (بين الهند والباكستان) . وقال يو ثانت لجولدبرج إنه « سوف يفكر فى هذه المقترحات » .

٧ ـ أعتقد أنه من المستصوب توريط يو ثانت فى هذا الموضوع قدر ما نستطيع . فإذا لم يستطع أن يفعل شيئا فكرنا بعد ذلك فى (إرسال) نائب الرئيس . بيد أننا سنعرف خلال الساعات الـ ٢٤ التالية ما إذا كان السكرتير العام للأمم المتحدة لديه العمود الفقرى الكافى الذى يحتمل هذه المهمة أم لا . وإذا لم يكن الأمر كذلك فقد نفكر فى هـ . هـ . (يقصد « هيوبرت همفرى » نائب الرئيس) .

إمضـــاء

هارولد سوندرز »

وفكر « يو ثانت » فى الاقتراحات الأمريكية التى يمكن بمقتضاها أن يحمل رسالة من « جونسون » أو يسافر إلى المنطقة على طائرة أمريكية ـ ثم استمع إلى نصيحة من الدكتور « رالف بانش » تؤيد هذه المقترحات ـ ثم عاد بعد ربع ساعة قضاها وحده فى مكتبه يتأمل ، واعتذر عن القبول طالبا من « بانش » أن يتصل بـ « جولدبرج » المندوب الأمريكى الدائم ويعتذر له لأن السكرتير العام يفضل أن يسافر إلى المنطقة ممثلا للأمم المتحدة وحدها ، وبالوسائل التى توفرها الأمم المتحدة له كسكرتير عام . وهو يرى أن أى ترتيب آخر غير هذا سوف يكون من شأنه التأثير على استقلالية مهمته قبل أن تبدأ .

□

ويوم ١٩ مايو عاد « هارولد سوندرز » يكتب مذكرة لـ « والت روستو » فى البيت الأبيض ـ جاء فيها :

« الموضوع : آراء إسرائيلية عن أزمة الشرق الأوسط .

---

(٢) مندوبو الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا .

الساعة الرابعة بعد الظهر

أفراييم ايفرون (الوزير المفوض فى السفارة الإسرائيلية ، وقد عين فى ذلك الوقت منتدبا من المخابرات الإسرائيلية ومختصا بالتنسيق مع مجلس الأمن القومى) ـ جاء لمقابلتى الساعة الثالثة بعد الظهر لإجراء تبادل غير رسمى للآراء حول الموقف العربى الإسرائيلى . وقد قال لى إنه لا يتحدث معى وفقا لتعليمات . ولكنه من الواضح كان يريد التثبت تماما من أن وجهات النظر الإسرائيلية مفهومة فى البيت الأبيض عندما يفكر الرئيس فى الخطوات التالية .

١ ـ (فقرة طويلة محذوفة) ....

....

وكان ردى عليه أن الرئيس أراد أن يسترعى الانتباه إلى نقطة محددة وهى الحاجة إلى الحذر والتشاور .

٢ ـ وقد سألته إلى أين نتجه من هنا ؟

هل بمقدور إسرائيل أن تسمح لناصر بأن يتقدم عليها فى لعبة القوة التى قام بها ؟

وهل تسمح إسرائيل له بأن يبدو وكأن استعراضه للقوة قد منع إسرائيل من مهاجمة سوريا ؟

وكان رده على السؤالين بنعم بشرط عدم حدوث شيئين :

١ ـ هجوم إرهابى آخر ضد إسرائيل .

٢ ـ إعاقة مصرية للملاحة الإسرائيلية عبر خليج العقبة .

(فقرة طويلة محذوفة) ....

وعاد ايفرون يقول : « صميم المشكلة أن وجود جنود ناصر على حدود إسرائيل لن يمنعها من ضرب سوريا إذا ما تعرض الإرهابيون لإسرائيلى واحد ابتداء من الآن .

٣ ـ قال ايفرون « إن وكيلى وزارة الخارجية يوجين روستو وباتل يتشاوران معه بصراحة . ولكنه يريد معرفة ما الذى قلناه للروس لأنهم هم أنفسهم يحاولون القيام باتصالات موازية معهم . كذلك يريد أن نعرف ما الذى قلناه للمصريين .

٤ ـ وهم يعارضون عقد اجتماع لمجلس الأمن لأن العضوية فى المجلس

الآن مهيأة لصالح ناصر . وهم يحبذون ذهاب يو ثانت إلى القاهرة ويظنون أنه كان يتعين عليه أن يكون هناك اليوم فعلا .

إمضـــاء

هارولد سوندرز »

وكان باديا من سطور هذه المذكرة شيئين :

□ **أولهما** : أن إسرائيل تعتبر أن هذا الفتيل لم يعد قابلا للإطفاء ، فمجرد وصول القوات المصرية إلى خط الحدود ، مع الاستحالة الكاملة لتجميد الأحوال على الجبهة السورية في ظروف حافلة بالتوتر سوف يؤدى إلى اشتعال القتال لا محالة .

□ **ثانيـــا** : أن إسرائيل كانت تعرف مسبقا (سواء بالمعلومات أو بالاستقراء) أن موضوع خليج العقبة سوف يطرح نفسه على الفور عندما تصل طلائع القوات المصرية إلى شرم الشيخ .

□

وكان موقف الاتحاد السوفيتى الذى يشغل بال إسرائيل يشغل بال مصر أيضا . فحتى يوم ١٨ مايو لم يكن قد صدر عن الاتحاد السوفيتى أى تعليق رسمى على قرار مصر بطلب سحب قوات الطوارىء من سيناء . وأملى « جمال عبد الناصر » بنفسه برقية صباح ذلك اليوم موجهة إلى السفارة المصرية فى موسكو يطلب فيها الاتصال بالسوفيت على أعلى مستوى ممكن واستطلاع موقفهم لأن الصمت الذى التزمته موسكو كفيل بأن يؤدى إلى تشجيع الغرب وإسرائيل .

وكان الظاهر أن الاتحاد السوفيتى فى حيرة من أمره . وتظهر هذه الحيرة جلية فى برقية بعث بها الدكتور « مراد غالب » السفير المصرى فى موسكو عن تفاصيل مقابلة بينه وبين نائب وزير الخارجية السوفيتية « سيميونوف » . وقد جاء فيها بالنص :

« ١ ـ قابلت اليوم سيميونوف وتناقشت معه فى الأوضاع الموجودة حاليا فى المنطقة .

٢ ـ ذكر سيميونوف أنه كان يمثل الاتحاد السوفيتى فى حفلة العيد القومى لإسرائيل بموسكو ، وأنه تكلم مع السفير الإسرائيلى ووزير العمل الإسرائيلى الذى كان يمر بموسكو كضيف على السفارة ، وحذرهم من

أى عدوان ضد سوريا أو أى بلد عربى ، وأنهم بهذا العمل سيدفعون الاتحاد السوفيتى لكى يكون عدوا لهم .

٣ ـ أكد السفير الإسرائيلى ووزير العمل الإسرائيلى أنهم لا يجهزون أى عدوان ضد سوريا أو غيرها ، وأنهم ليسوا لعبة فى أيدى الآخرين .

٤ ـ قال سيميونوف إنه استنادا إلى تجربة ١٩٥٦ والتصريحات التى صاحبتها من جانب إسرائيل ، علينا أن نكون على حذر .

إمضـــاء

مـــراد غــالب »

وهكذا كان مؤدى ما قاله « سيميونوف » متناقضا . فقد نقل إلى السفير المصرى تطمينات إسرائيلية ، وأضاف إليها فى نفس اللحظة تحذيرات واضحة .

وفى نفس اللحظة تقريبا كانت وزارة الخارجية الأمريكية تتلقى برقية من سفيرها فى موسكو « لويلين طومسون » ، نصها كما يلى :

« من السفارة الأمريكية بموسكو

إلى وزير الخارجية ـ واشنطن

خلال مناقشة قصيرة دارت على مائدة الغداء مع دوبرينين اليوم قلت إننا نستخدم نفوذنا فى كل مكان لتهدئة الموقف . ونأمل أن يمارسوا قدرا من الضغط على سوريا يماثل ضغطنا على إسرائيل . وقد رد علىّ قائلا « أعتقد أننا نستطيع مجاراتكم » .

إمضـــاء

طومســون »

ولم تكن الولايات المتحدة تضغط على إسرائيل . ففى ذلك الوقت بعث الرئيس « جونسون » برسالة[3] إلى رئيس وزراء إسرائيل يقول فيها بالنص :

« إننى أتفق معك على أن هناك حاجة ماسة لوقف الإرهاب ولعكس اتجاه التحركات العسكرية التى شهدناها فى الأسبوع الماضى . وقد فعلنا نحن وأصدقاؤنا كل ما نستطيعه لكى نجعل هذا الرد واضحا فى كل من القاهرة

---

(٣) صورة صفحة كاملة من رسالة « جونسون » فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٦) صفحة ١٠٠٧ .

ودمشق . وكما تعرفون فقد كنا على اتصال مع الحكومة السوفيتية وتشجعنا إلى حد ما لهجة رد فعلهم إزاء مفاتحاتنا ، وإننى لعلى يقين أنهم لا يساورهم أى وهم بالنسبة لصلابة تعهدنا بمساندة التدابير المناسبة فى الأمم المتحدة أو خارجها من أجل أن نرد العدوان أو التهديد بالعدوان فى الشرق الأوسط . وكما تعرفون جيدا فإن تعهداتنا لإسرائيل معلنة ومؤكدة بواسطة الرؤساء ترومان وأيزنهاور وكنيدى وأنا شخصيا . وأيضا من قبل حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فى الإعلان الثلاثى الصادر سنة ١٩٥٠ . واستطيع أن أؤكد لكم أننى آمل أن تتصرف جميع الأطراف المعنية بحزم وفى توافق لمواجهة أية تحديات نراها مهددة للسلام . وقد اقترحنا على سفيركم أن تتشاوروا ، مثلما نفعل ، مع الحكومتين الأخريين (بريطانيا وفرنسا) بخصوص هذه التأكيدات .

وفيما يتعلق بوجود قوات الأمم المتحدة على الحدود بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة فقد اعترضنا بشدة كما تعلمون على قرار السكرتير العام بسحب قوة الطوارىء فى سيناء . وما زلنا نرى أن وجود هذه القوات فى مواقعها السابقة مهم ومستصوب .»

ثم يمضى « جونسون » فى رسالته لـ « أشكول » فيقول :

« إن السفير باربور نقل إلىّ اقتراحكم بأن أصدر بيانا علنيا من جانبى بتأييد موقف إسرائيل . وتقديركم أن مثل هذا البيان سوف يكون له أثر مهدىء . وأنا الآن أقوم بتقدير تأثير صدور مثل هذا البيان على زيارة السكرتير العام يو ثانت إلى القاهرة .»

ثم يصل « جونسون » فى رسالته لـ « أشكول » فيقول :

« إن المشكلات التى أشرتم إليها فى الرسالة التى حملها إلينا سفيرنا تشغل اهتمامنا جميعا وسوف يتم حلها .

المخلص

ليندون جونسون »

ويوم ٢٠ مايو ، وكان السكرتير العام للأمم المتحدة يستعد لبدء رحلته إلى القاهرة ، كتب السفير « محمد عوض القونى » برقية شفرية إلى وزير الخارجية قال فيها :[٤]

---

(٤) برقية برقم ٢٧٤١ / ١٢٧ من محفوظات وزارة الخارجية المصرية .

☐ « أولا – يتعرض يو ثانت إلى حملة قوية من الانتقاد من إسرائيل وبعض الدول الغربية وأنصارها بسبب قراره بسحب القوات أو التعجيل فى إصداره ، أو إصداره دون استشارة (مجلس الأمن أو الجمعية العامة) ولا زالت الحملة قائمة .

☐ ثانيا – يو ثانت رجل متواضع بسيط فى حياته . إلاّ أنه عاطفى يتأثر ويتجاوب . وهو يقدر السيد الرئيس ويحترمه كأحد الزعماء البارزين فى العالم وخاصة فى الشرق . ويستطيع الرئيس أن يأسره بتقريبه منه وبالثقة فيه .

☐ ثالثا – تنتظر الأمم المتحدة والعالم نتائج هذه الزيارة . ولذلك يحسن الاتفاق مع يو ثانت على كل المسائل بطريقة محددة .

☐ رابعا – قد يعتبر نجاحا لمهمة يو ثانت من الناحية العامة أن نجدد ونؤكد تقديرنا للأمم المتحدة والدور الذى تقوم به فى المحافظة على السلام وتحرير الشعوب والتعاون الدولى ومساعدة الدول النامية . ولابد من ملاحظة أن وفود الدول العظمى تتساءل عن نوايانا وما يكون عليه الموقف فى شرم الشيخ . وعلى ضوء ذلك تقوم بعض الدول بإعداد خططها لإثارة هذا الموضوع فى مجلس الأمن فى أية صورة .

إمضـــاء

سفير محمد عوض القونى »

وبعد ساعات قليلة ألحق السفير « القونى » برقيته رقم ٢٧٤١ / ١٢٧ ببرقية شفرية ثانية(٥) جاء فيها بالنص :

« إلى الوزير

استدعى السكرتير العام كل من سفيرى الاتحاد السوفيتى وفرنسا لمقابلته قبل سفره :

☐ **أولا – أبلغ يو ثانت السفير السوفيتى :**

أ – إنه ذاهب بناء على دعوة حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

---

(٥) محفوظات وزارة الخارجية – برقية رقم ٢٧٩٧ / ١٣١ .

ب - إن الحالة فى غاية الخطورة . وكرر ذلك مرارا فى حديثه لسببين :

- **أن جيوش الدولتين (مصر وإسرائيل) تواجه كل منهما الأخرى مباشرة .**
- **كما أن إسرائيل أبلغته أنها ستحارب فى حالة التعرض لحرية الملاحة فى العقبة .**

أشار فدرينكو (السفير السوفيتى لدى الأمم المتحدة) عليه بالاتصال بإسرائيل فهى مصدر التوتر بما قامت به وبما هددت بالقيام به . وأن على حكومة واشنطن أن تقوم بنفس المسعى ، وليس على العرب من مسؤولية . فإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة قد طلبت سحب قوات الطوارىء فهو من حقها ، ولم يكن من المعقول أن تستمر هذه القوات إلى الأبد . كما أن لها حق السيادة على المياه الإقليمية .

وأضاف أن أمريكا منشغلة الآن بفيتنام وهى تترك الشرق الأوسط لعربدة إسرائيل .

☐ **ثانيا** - قال لى سفير فرنسا بعد مقابلته ليو ثانت إن حرية الملاحة هى مصدر كل الخطر الآن . وأضاف إن الرئيس عبد الناصر بتصرفه الأخير (سحب قوات الطوارىء) قد رفع من مكانة الجمهورية العربية المتحدة وقوى من زعامته ، فهو نصر كبير لم يكلف الكثير .

أما شرم الشيخ فهو موضوع دقيق يحسن الصبر عليه وسيقوم يو ثانت بمناقشته مع المسؤولين فى الجمهورية العربية المتحدة .

قلت له إن هذه مياهنا الإقليمية ، وأنه تحت ضغط الشعب والشعوب العربية قد لا نستطيع التردد فى تطبيق نفس النظام الذى كان قائما قبل العدوان الثلاثى - رد قائلا بأن النصر الكبير الذى أحرزتموه تستطيعون به مقاومة محاولات الإحراج . كما يمكن عدم تقديم وعود إلى يو ثانت بشأن مستقبل الملاحة فى خليج العقبة . وتستمر الحالة وقتية على ما هى عليه الآن .»

وهكذا كان موضوع الملاحة في خليج العقبة قد طرح نفسه تلقائيا فى المحافل الدولية . وعلى وجه التأكيد فقد كان الأمر كذلك فى القاهرة .

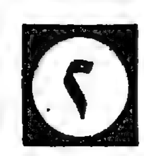

في الساعة التاسعة من مساء يوم الأحد ٢١ مايو كانت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى مدعوة للاجتماع بالرئيس « جمال عبد الناصر » فى بيته فى منشية البكرى . وقد أضيف إلى أعضاء اللجنة التنفيذية العليا عدد محدود من الوزراء وعدد آخر من الخبراء العسكريين . وكان الموضوع المطروح للمناقشة هو نفس الموضوع الذى تحولت إليه أنظار العالم : خليج العقبة .

وكانت طلائع القوات المصرية قد وصلت بالفعل إلى شرم الشيخ . وكان المشير « عبد الحكيم عامر » نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة يطلب توجيهات واضحة بشأن الموقف الذى تتخذه القوات المصرية فى شرم الشيخ إزاء الملاحة المتجهة إلى إسرائيل من مضايق تيران الحاكمة فى خليج العقبة . وفى بداية الاجتماع لخص « جمال عبد الناصر » الأسئلة المطروحة للبحث فى عدد من الأسئلة طرحها على النحو التالى :

١ ـ هل يسمح للملاحة فى الخليج أن تمر بصرف النظر عن أعلامها دون أى اعتراض من القوات المصرية ـ وإذا كان هذا هو الخيار فما هو الأساس السياسى والعملى الذى يمكن أن ينبنى عليه هذا الموقف ؟

٢ ـ هل تعود مصر إلى تطبيق قواعد التفتيش التى كانت تطبقها قبل دخول قوات الطوارىء إلى شرم الشيخ بمنطق عودة الأمور إلى ما كانت عليه وضمنها إجراءات حالة الحرب مع إسرائيل ؟ ـ وإذا كان ذلك هو القرار فما هى المخاطر التى يمكن أن تنجم عنه وما هى حساباتها ؟

٣ ـ وإذا كان هذا هو القرار ، فما هو التوقيت المناسب لإعلانه ؟

□

ودارت مناقشات واسعة اتصلت حتى ما بعد منتصف الليل بنصف ساعة . وكانت أبرز الآراء التى ظهرت خلال المناقشات :

● رأى « جمال عبد الناصر » أن القوات المصرية ليس أمامها غير تطبيق نفس الإجراءات التى كانت تطبقها قبل دخول قوات الطوارىء ، وأن أى وضع غير

ذلك سوف يكون انتقاصا من حقوق السيادة . ففارق بين أن تكون القوات المصرية غائبة عن الموقع ، وبين أن تكون حاضرة فيه . فإذا حضرت فإن العودة إلى الإجراءات السابقة تصبح شبه واجب يصعب التنصل منه ، لكنه يريد أن يربط ذلك على الفور بحساب المخاطر . فالتعرض للملاحة سوف يضاعف تماما من احتمالات الحرب المسلحة . وقد كانت احتمالات الحرب فى رأيه بعد سحب قوات الطوارىء بنسبة ٢٥ ٪ ، وهى فى تقديره سوف ترتفع إلى نسبة ٥٠ ٪ اذا ما عادت القيود القديمة على الملاحة فى الخليج إلى ما كانت عليه . وهو يرى من التقارير التى وصلته من هيئة المخابرات الحربية أن إسرائيل تنقل قواتها بسرعة فائقة من القطاع الشمالى والأوسط فيها إلى الجبهة الجنوبية . وطبقا لتقديرات المخابرات التى أطلع عليها فإنه ليست هناك قوات إسرائيلية الآن فى القطاع الأوسط (أمام الجبهة الأردنية) ـ كما أن القوات التى كانت محتشدة أمام سوريا لم يبق منها إلاّ مجموعة لا تزيد عن لواءين ، وأما الباقى كله فقد وصل إلى الجبهة المصرية أو هو فى طريقه إليها . وهنا فإن القضية تتحول إلى درجة الاستعداد المتوافرة لدى القوات المسلحة المصرية لقبول تحدى الحرب . هذا مع العلم أنه يستطيع أن يغطى بالعمل السياسى ضرورات الحقيقة إذا كانت القوات المسلحة المصرية غير جاهزة . وهو يعلم مقدما أنها سوف تكون مهمة صعبة ، لكنه يستطيع أن يتحمل نتائجها إذا كان حساب المخاطر سوف يضع على القوات المسلحة المصرية أكثر مما تحتمل .

● **وكان رأى « عبد الحكيم عامر » أنه يرجح نشوب القتال حتى لو لم تتخذ مصر أية إجراءات فى خليج العقبة . فإذا حدث اشتباك على الخطوط السورية فإن القوات المصرية سوف يكون محتما عليها أن تقوم بعمليات ضغط عسكرى على جبهتها إما للمشاركة مع سوريا أو للتخفيف عن الجبهة السورية . وإضافة إلى ذلك فهو يعرف شعور القوات المسلحة ، ويثق مقدما أنه لا يمكن ضبط أعصاب أى قوة مصرية موجودة فى شرم الشيخ إذا ما رأت أمامها علما إسرائيليا فوق سفينة إسرائيلية . وهو يتوقع أن هذه القوات ، أو حتى أحد أفرادها ، سوف تطلق النار ولو بغير أوامر فى لحظة رؤيتها للعلم الإسرائيلى . ولهذا فمن رأيه أن تأخذ مصر زمام المبادرة وتطبق إجراءاتها بحقوق السيادة على الخليج وكله واقع ضمن مياهها الإقليمية . وأما فيما يتعلق بحالة استعداد القوات فقد أكد « عبد الحكيم عامر » أن القوات المسلحة المصرية مستعدة للموقف ولديها خططها الدفاعية والتعرضية .**

● **وترددت آراء أخرى** ترى بالتوفيق بين دواعى الحذر من ناحية ومطالب السيادة المصرية من ناحية أخرى . بمعنى أن المحك الرئيسى سوف يكون فى نقطة تجنب

الاستفزازات أثناء تطبيق الإجراءات ، بحيث يكون واضحا أن الإجراءات تتم فى أضيق نطاق ممكن ، وفى نفس الوقت يبدو من خلال تطبيقها حرص مصر على مبدأ حرية البحار ، وهو المبدأ الذى يمكن أن تستند إليه إسرائيل - وأصدقاؤها - فى إيجاد شرعية قانونية لأى تصرف يقومون به ، كما أنهم سوف يتخذون وسيلة لتأليب رأى عالمى واسع ضد مصر وسياساتها ، الأمر الذى يمكن أن تستغله إسرائيل أيضا .

● **وظهر رأى لم يصمد طويلا للمناقشة وهو الاكتفاء بتلغيم خليج العقبة وإعلانه منطقة خطرة على الملاحة . وكان رأى الدكتور « محمود فوزى » أن هذا الإجراء خطر لأنه يتعرض للملاحة الدولية دون تمييز بين الأطراف ، ولمخالفته الصريحة لكل قواعد وقوانين حرية البحار . وأضاف « جمال عبد الناصر » أن « هذا الإجراء لا يقفل الملاحة عن ميناء إيلات الإسرائيلى فقط ، ولكنه يغلق أيضا ميناء العقبة الأردنى » .**

وسقط الاقتراح من المناقشة .

● **وكان هناك رأى مختلف** عبر عنه المهندس « صدقى سليمان » رئيس الوزراء ومؤداه « أن الحرب فى كل الأحوال مغامرة محفوفة بالمخاطر ، وحسابها صعب . **ولذلك فقد يكون من الأفضل العمل بكل الوسائل على تجنب رفع نسبة المخاطرة » . .**

[وكان رأيى الذى أبديته للرئيس « جمال عبد الناصر » أن قرار إغلاق خليج العقبة يرفع نسبة مخاطرة الحرب فى تقديرى إلى ١٠٠ ٪ . وقد عبرت عن هذا الرأى علنا فى أول مقال كتبته بعد القرار (يوم الجمعة ٢٦ مايو) بما نصه : « إن مبعث الخطورة فى القرار أن هذه أول مرة يتقدم فيها التحدى العربى لإسرائيل إلى محاولة تغيير أمر واقع مفروض بالقوة . ولكى يطرحوا هم وبالقوة أمرا واقعا بديلا له يتفق مع حقوقهم ومصالحهم .

وبالنسبة لإسرائيل فهذا هو أخطر العوامل فى الموقف الراهن .
أخطر العوامل : هو الأمر الواقع ومن الذى يقدر على فرضه ومن الذى يملك القوة لحمايته .

هى إذن ليست مسألة خليج العقبة ولكنها مسألة أكبر . وهى إذن فلسفة الأمن الإسرائيلى كله ، وهى الفلسفة التى ارتكز عليها الوجود الإسرائيلى كله منذ نشأ ويرتكز عليها فى المستقبل . من هنا أقول : إن إسرائيل لابد لها أن تلجأ للسلاح »]

□

وعندما انتقل المجتمعون إلى مناقشة توقيت صدور القرار بعد أن بدا أن هناك شبه إجماع يؤيد صدوره - كان رأى الرئيس « جمال عبد الناصر » : « **أنه والأمر كذلك فإن الموعد الأنسب لتوقيت صدور القرار هو أن يتم إعلانه قبل**

وصول يو ثانت إلى القاهرة ، ذلك لأن التقارير القادمة من واشنطن ونيويورك وعدد آخر من العواصم العالمية تؤكد أن يو ثانت سوف يبحث موضوع خليج العقبة فى القاهرة ويحاول الحصول منها على ضمانات بشأن حرية الملاحة فيه . فإذا رفضت مصر ذلك الطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة ، فإن تلك سوف تكون إهانة لا يستحقها بعد موقفه النزيه فى موضوع سحب قوات الطوارىء . وإذا قامت مصر بعدم إعطاء تعهد صريح للسكرتير العام بما يطلبه ، ثم اتخذت بعد مغادرته لها مثل هذا القرار فسوف يبدو ذلك أمامه وأمام غيره دليلا على سوء النية . ومن هذه الاعتبارات كلها فهو يرى أن التوقيت المناسب لإعلان هذا القرار هو الساعات القادمة قبل أن يصل يو ثانت إلى القاهرة ، بحيث يصبح القرار المصرى أمرا واقعا يناقشه السكرتير العام للأمم المتحدة مرة واحدة مع كل الحقائق الطارئة على الموقف فى المنطقة ..»
ولم يعترض أحد .

وقبل أن ينصرف المجتمعون اقترح « عبد الحكيم عامر » على الرئيس « جمال عبد الناصر » أن يكون إعلان القرار بواسطته شخصيا وفى إطار القوات المسلحة ذاتها . وقال إنه سوف يذهب فى الغد لزيارة القوات فى الجبهة ، فإذا انضم إليه الرئيس هناك فى أى موقع يختاره فستكون تلك هى المناسبة اللائقة لإعلان القرار . وكان اقتراح « عبد الحكيم عامر » المحدد بعدها أن يجرى ذلك وسط قوات شرم الشيخ نفسها . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه يرى استبعاد شرم الشيخ لأن إعلان القرار منها قد ينطبق عليه المحظور الذى يرى تجنبه وهو الاستفزاز ، وأنه يفضل بدلا من ذلك أن يتم الإعلان فى قاعدة جوية يستطيع أن يصل إليها من القاهرة بسرعة ويعود منها بسرعة ليكون بقرب التطورات . هذا فضلا عن أنه يظن أن الطيران سوف يكون عليه العبء الأكبر فى حالة نشوب المعركة .

وهكذا تم الاتفاق بين الاثنين على اللقاء عصر اليوم التالى - ٢٢ مايو - فى قاعدة « أبو صوير » الجوية . ثم طلب الرئيس « جمال عبد الناصر » من المشير « عبد الحكيم عامر » أن يبعث إليه بنص التعليمات التى ستصدر عنه إلى القوات بالإجراءات التى يتم اتخاذها فى الخليج حتى يراجعها بنفسه ، ثم أضاف إنه قد يكون من المستحسن وحدّة الموقف على وشك أن تتصاعد درجة أخرى أن تبحث هيئة أركان الحرب ضرورة دعوة الاحتياطى إلى الخدمة العاملة .

□

وصباح يوم الاثنين ٢٢ مايو صدّق الرئيس « جمال عبد الناصر » على أوامر قيادة القوات المسلحة بشأن تطبيق السياسة التى تقررت فى شأن خليج العقبة . وكان الأمر على صورة تعليمات ـ نصها كما يلى :

« الجمهورية العربية المتحدة

القيادة العليا للقوات المسلحة

٢٢ مايو ١٩٦٧

تعليمات قفل مدخل خليج العقبة

١ ـ يقفل مدخل خليج العقبة اعتبارا من باكر ٢٣ / ٥ / ١٩٦٧ أمام جميع السفن التى تحمل العلم الإسرائيلى ، وكذلك ناقلات البترول على اختلاف جنسياتها والمتجهة إلى إيلات .

٢ ـ يسمح للسفن الخارجة من الخليج على اختلاف جنسياتها بالخروج منه .

٣ ـ يقوم لنش طوربيد نهارا ، والسفينة رشيد ليلا بمعارضة السفن التى تحمل العلم الإسرائيلى وكذلك ناقلات البترول من الجنسيات المختلفة المتجهة إلى إيلات فى المنطقة جنوب خليج العقبة لتحذيرها من دخول الخليج .

٤ ـ إذا لم تستجب إحدى السفن المذكورة إلى تحذير لنش الطوربيد نهارا أو السفينة رشيد ليلا ـ يقوم لنش الطوربيد أو السفينة رشيد بإبلاغ قائد منطقة شرم الشيخ باسم السفينة وموعد وصولها إلى مضيق تيران .

٥ ـ عند وصول إحدى هذه السفن إلى مضيق تيران تقوم المدفعية بضرب طلقة إنذار أمام السفينة وتحذرها بواسطة محطة الإشارة البحرية . ويصير تكرار الضرب والتحذير أمام السفينة مرة أخرى إذا لم تستجب للطلقة الأولى .

٦ ـ إذا لم تستجب السفينة إلى طلقتى الإنذار يصير ضرب السفينة بغرض تعطيلها أولا ثم إغراقها إذا لم تمتثل بعد ذلك .

٧ ـ يصرح بالمرور للسفن التى تحرسها سفن حربية ، ولا يتم الاعتراض أو الاشتباك مع السفينة أو السفينة الحربية حتى لو كانت السفينة المحروسة ترفع العلم الإسرائيلى .

مشير

نائب القائد الأعلى

(إمضـــاء)

عبد الحكيم عامر »

وكانت التعليمات على هذا النحو تكفل قدرا كبيرا من المرونة . فقد كان التعرض للملاحة فى البحر المفتوح بمجرد التحذير ، وأما التعرض المسلح فقد كان مقصورا على منطقة المضايق ـ أى داخل المياه الإقليمية المصرية ـ كما أن أى اشتباك مع السفن الحربية كان محظورا على الإطلاق . وكان القصد الواضح هو تطبيق الإجراءات بأقل قدر من التعقيدات التى يصعب احتواء آثارها خصوصا قبل أن يصل السكرتير العام للأمم المتحدة إلى القاهرة وفى فترة وجوده فيها .

وفى نفس الوقت من صباح يوم الاثنين ٢٢ مايو ١٩٦٧ اتصل السفير السوفيتى فى القاهرة « ديمترى بوجداييف » بمكتب الرئيس « عبد الناصر » مباشرة يطلب موعدا عاجلا مع الرئيس لأن لديه رسالة عاجلة « من الحكومة السوفيتية واللجنة المركزية طلب إليه من موسكو إبلاغها فورا للرئيس » . وقال السفير لسكرتارية الرئاسة أنه جاهز هذه اللحظة للتوجه إلى مكتب الرئيس لتسليمه الرسالة . ولعل السفير السوفيتى اعترته الدهشة عندما جاءه الرد بعد دقائق بأن الرئيس سوف يستقبله فى الساعة الثامنة والنصف من المساء ـ أى بعد أكثر من اثنتى عشرة ساعة من طلبه لموعد فورى . والواقع أن « جمال عبد الناصر » فضّل أن يقابل السفير السوفيتى أيضا بعد أن يكون قد أعلن بالفعل قرار مصر الخاص بخليج العقبة .

□

وفى الساعة الثانية بعد الظهر كان « جمال عبد الناصر » يستقل طائرة عسكرية ومعه السادة « زكريا محيى الدين » و« حسين الشافعى » و« على صبرى » نواب رئيس الجمهورية[٦] . وكانت الطائرة متجهة إلى قاعدة « أبو صوير » العسكرية ، وهناك كان ينتظر وصولها المشير « عبد الحكيم عامر » والسيد « شمس بدران » وزير الحربية والفريق أول « صدقى محمود » قائد القوات الجوية والفريق أول « عبد المحسن مرتجى » قائد قوات الجبهة . وتوجه الجميع من مدرج المطار إلى استراحة الضباط حيث تجمع أكثر من مائتى

---

(٦) وكان لى الحظ أن أكون معهم على الطائرة .

طيار كانوا جميعا مشتعلين بالحماسة ومنتشين بأجواء الاستعداد للقتال . وراح « جمال عبد الناصر » يتحدث إلى الطيارين فى القاعة المشحونة بمشاعر جياشة ومتدفقة . وبدأ فشرح أسباب الأزمة المفاجئة ، وقال « **إن سببها هو التهديد الإسرائيلى ضد سوريا وقد حشدت إسرائيل فعلا أمام الجبهة السورية قوات تقدر بما بين ١١ و١٣ لواء ، وكان هدفها احتلال مواقع مشروعات الأردن وتهديد دمشق ، وكان التخطيط أن تبدأ هذه العملية يوم ١٧ مايو الحالى . ولقد قررنا أن نتحرك بسرعة ، وتحركنا فعلا يوم ١٤ مايو ثم طلبنا بعد ذلك أن تنسحب قوات الطوارىء** .» ثم حيا « يو ثانت » فقال : « **إن أمانة السكرتير العام للأمم المتحدة وصدق وعيه ونزاهته أملت عليه الموقف الصحيح ، وهو موقف نقدره له كما نقدر الجهد الذى قامت به قوات الطوارىء** » .

واستطرد « جمال عبد الناصر » فقال : « **إن هناك أطرافا فى العالم العربى تصدر الآن بيانات حماسية بتأييد مصر فيما اتخذته إزاء قوات الطوارىء . ونحن نطلب منهم خدمة واحدة وهى أن يتصلوا بصديقهم شاه إيران ليقنعوه بوقف شحن البترول الإيرانى إلى إسرائيل . فهو وحده الذى يقدم لإسرائيل ما تحتاجه من البترول وبنسبة قدرها ١٠٠ ٪ . وإذا توقف إمداد البترول الإيرانى فإن إسرائيل قد تفكر مرتين قبل أن تتحرك بالعدوان . كذلك فإنه إذا توقف البترول الإيرانى فإن ذلك سوف يعفينا من مشكلة كبيرة فى الإجراءات التى قررنا اتخاذها فى خليج العقبة مع عودة القوات المصرية إلى شرم الشيخ .** »

وكان ذلك مدخله إلى إعلان القرار الذى جاء إعلانه شحنة أخرى من المشاعر حولت الاجتماع مع الطيارين إلى نوع من أنواع العواصف الجامحة .

□

وعاد « جمال عبد الناصر » بعد اجتماعه مع الطيارين إلى الطائرة يستقلها إلى القاهرة لموعده مع السفير السوفيتى « ديمترى بوجداييف » . وبجوار مقعده فى الطائرة كان فى انتظاره ملف من برقيات التطورات التى جرت أثناء وجوده فى قاعدة « أبو صوير » .

- **برقية تقول إن قطعا من الأسطول المصرى تسبقها إحدى الغواصات مرت من خليج السويس داخلة إلى البحر الأحمر .**

- **برقية من دمشق تقول إن الاتحاد العام لنقابات العمال العرب أعلن أن العمال العرب على استعداد لنسف أنابيب وآبار البترول وتعطيل الموانى**

لقاء عبد الناصر مع الطيارين المصريين فى قاعدة أبو صوير

فى أنحاء المنطقة كلها إذا أقدمت إسرائيل على أى عدوان . ثم ذكرت البرقية أن زعماء عمال السعودية والأردن وتونس وليبيا لم يتمكنوا من حضور هذا الاجتماع فى دمشق لأن حكوماتهم منعتهم من حضوره .

● برقية تقول إن « جورج براون » وزير الخارجية البريطانى يتأهب لرحلة عاجلة إلى موسكو يبحث فيها مع الزعماء السوفيت تطورات الموقف فى الشرق الأوسط .

● برقية من نيويورك تقول إن اللجنة الأمريكية اليهودية عقدت اجتماعا طارئا أصدرت بعده قرارا ناشدت فيه الرئيس « جونسون » أن يعلن على الفور تجديد وتأكيد التزامات الولايات المتحدة إزاء إسرائيل .

● برقية من واشنطن تقول إن المتحدث الرسمى باسم البيت الأبيض أعلن أن الرئيس « جونسون » على اتصال برئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » فى شأن التطورات فى الشرق الأوسط .

● برقية من القدس المحتلة تقول إن « ليفى أشكول » رئيس الوزراء الإسرائيلى أعلن فى الكنيست أن إسرائيل اتخذت إجراءات بتعبئة قوات الاحتياط .

□

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء كان السفير السوفيتى « ديمترى بوجدانييف » يدخل مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » يحمل مظروفا فى يده . وعندما جلس كان أول ما فعله أن قدم المظروف للرئيس الذى فتحه وأخرج منه رسالة من نسختين : نسخة باللغة الروسية على الآلة الكاتبة ، ونسخة باللغة العربية مترجمة ومكتوبة بخط اليد . وركز « جمال عبد الناصر » اهتمامه على النسخة العربية بالطبع وقرأها باهتمام ، ثم وضعها على مائدة أمامه مع الظرف الذى كانت فيه وبقية ما كان يضمه من محتويات . **كانت الرسالة تحمل تأييدا كاملا من الحكومة السوفيتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى للدوافع التى حدت مصر إلى أن تطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يسحب قوات الطوارىء الدولية من أراضيها .**

كان السفير ينتظر تعليق « جمال عبد الناصر » على ما قرأ ، وكان الرئيس

يتمهل فى اختيار كلماته . ولم يستطع السفير أن ينتظر فقال مسبقا[٧] « **إن هذه أقوى رسالة تأييد يمكن أن تصدر عن الاتحاد السوفيتى إزاء موقف دولى طارىء ، فهى ليست صادرة عن الحكومة السوفيتية فقط ، وإنما هى صادرة عن اللجنة المركزية بكاملها وعن الحزب كله ، وهذا يعطيها وزنا كبيرا . وهو يأمل أن يقدر الرئيس حجم هذا التأييد وقوته** » .

وبدأ الرئيس « جمال عبد الناصر » يتكلم فقال للسفير « بوجداييف » : « **إننى أراها كذلك بالفعل ، وإن كنت أصارحك بأنها تأخرت كثيرا . فقد كنا فى الأيام الأولى للأزمة ننتظر كلمة منكم . ولم نسمعها حتى طلبناها بأنفسنا ، فقد كلفت سفيرنا فى موسكو أن يتصل بأعلى المستويات عندكم حتى نسمع صوتكم** » . وأبدى السفير نوعا من الاعتذار حين قال : « **إنه لو كان الأمر أمر بيان من الحكومة لجاء فى ساعات ، أما وهو صادر عن اللجنة المركزية أيضا وعن الحزب فإن الأمر كان يقتضى عقد اجتماع للجنة والاتصال بسكرتاريات الحزب فى كل الجمهوريات ، وهذا ما سبب التأخير** » . ورد « جمال عبد الناصر » بقوله : « **إنه لا يريد أن يقف طويلا أمام هذه التفاصيل ، خصوصا وأن الأحداث تجاوزت موضوع سحب قوات الطوارىء الآن** » . ثم قال لـ « بوجداييف » : « **إنه لم يتمكن من مقابلته على الفور كما طلب لأنه كان فى زيارة للمنطقة العسكرية الشرقية ، وأنه هناك أعلن قفل خليج العقبة** » .

وبدت الدهشة على وجه « بوجداييف » وراح يسأل عن تفاصيل القرار وعن دواعى صدوره قبل مجىء السكرتير العام للأمم المتحدة . وكان على « جمال عبد الناصر » أن يشرح له دوافع ما أدى إلى ذلك ، والسفير يسمع دون أن يعلق بكلمة مكتفيا بهز رأسه مع كل تفصيل يروى له .

□

ثم انتقل « جمال عبد الناصر » إلى ما هو أهم من وجهة نظره ، فقال للسفير بالحرف :

ـ « **إننى أريدك أن تنقل لهم فى موسكو رسالة منى بأننى أعتبر الاتحاد السوفيتى**

---

(٧) نقلا عن تفريغ لشريط تسجيل تم للمقابلة ، والشريط نفسه ضمن محفوظات قصر عابدين ، وهو يحمل على غلافه بطاقة تحدد أنها « مقابلة سيادة الرئيس مع السفير السوفيتى ديمترى بوجداييف فى الساعة الثامنة والنصف مساء يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ » .

عاملا رئيسيا مؤثرا فى كل ما يحدث فى المنطقة الآن . إن التأكيدات التى حصلنا عليها منكم فى شأن تحركات القوات الإسرائيلية كانت عنصرا هاما فى تحريك عجلة الحوادث . وعندما أكدتم لنا أن هناك أحد عشر لواء إسرائيليا قد اتخذت مواقعها أمام الخطوط السورية استعدادا لتوجيه ضربة لسوريا فإنه لم يكن فى وسعى أن أترك شيئا للمصادفات . والآن فإنى أرى أن كل حشود القوات الإسرائيلية تتجه إلى الجبهة المصرية ، بينما هى خفت كثيرا أمام الجبهة السورية . وهكذا فإن مصر أصبحت الآن هى الجبهة ، وأنا أريد أن تكون هذه الحقيقة محددة أمامهم لكى يرتبوا عليها تصرفاتهم فى الأيام القادمة .»

ورد السفير قائلا بالنص :

ـ « إن الحكومة أبلغتكم بما كان لديها من معلومات وقت إبلاغكم بها . ونحن الآن نرى أن الموقف فى الشرق الأوسط وصل إلى درجة عالية من التوتر . ومن الواضح لنا أن الإسرائيليين لم يكن فى وسعهم أن يتصرفوا على النحو الذى يتصرفون به الآن إذا لم يكونوا واثقين تماما من تأييد القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة تقودهم فى العملية . ومن المحقق لنا طبقا لتحليلاتنا أن الامبرياليين يحاولون استعادة نفوذهم ودورهم القديم فى العالم العربى . ونحن نعتقد أن إسرائيل فى هذه العملية هى الركيزة التى تستند إليها سياساتهم العدوانية ضد البلدان العربية المستقلة والمعادية للاستعمار .»

واستطرد السفير السوفيتى يقول بالنص :

ـ « إنكم يا سيادة الرئيس أنتم وبقية العالم العربى لابد أن تعرفوا أن الاتحاد السوفيتى وحكومته يقفون بحزم وراء الدول العربية المستقلة ، وأن الاتحاد السوفيتى سوف ينتهج فى الأيام القليلة القادمة خطا حازما ، وأنه إذا تطورت الأمور فى اتجاه العدوان بواسطة القوى الاستعمارية وابنها بالتبنى ـ إسرائيل ـ فإننا سنتخذ الخطوات اللازمة .»

ثم تساءل السفير :

ـ « ما الذى نستطيع أن نقوله أو نفعله أكثر من هذا فى الظروف الحالية يا سيادة الرئيس ؟ إنكم تعرفون بالطبع أننا وجهنا تحذيرا لإسرائيل ، فإذا أردتم أن نوجه إليها تحذيرا آخر بأن الاتحاد السوفيتى لن يترك أصدقاءه العرب وحدهم فى المعركة فإننا على استعداد للتفكير فى ذلك . وإن القادة السوفيت يريدون أن يعرفوا منكم ما قد يكون

فاتهم من مواقف ترونها لازمة لمساعدتكم فى الضغوط الهائلة الناشئة عن التهديد الموجه لسوريا .»

ورد عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » قائلا :

ـ « إن الموقف يتحرك بسرعة ، وليس هناك وقت أمام طرف لكى ينتظر نصائح طرف آخر . وعندما كنت قبل ساعات مع القوات فقد كان بين الأسئلة التى وجهت إلىّ من أكثر من واحد من الطيارين هو سؤال عن موقف الاتحاد السوفيتى ، وعن رد فعله إزاء التهديدات التى توجه إلينا قائلة إن الأسطول الأمريكى السادس سوف يتدخل فى أى معركة لصالح إسرائيل . وقد سألونى « ماذا سيفعل الأسطول السوفيتى إذا حدث ذلك » ؟ »

واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول :

ـ « وأنت الآن تحدثنى عن تحذير جديد يمكنكم أن توجهوه إلى إسرائيل . وإذا كان الأمر أمر تحذيرات لإسرائيل فإننا نقدر على توجيهها بأنفسنا ـ لكن هذه ليست المشكلة . المشكلة هى موقف الولايات المتحدة الأمريكية ، فهم متواطئون مع إسرائيل . فاذا كان عليكم توجيه تحذير لأحد فإن تحذيركم يجب أن يكون موجها إلى الولايات المتحدة وليس إلى إسرائيل . وهناك نقطة أحب أن أزيدها توضيحا ، وتلك هى أن التهديد لم يعد موجها إلى سوريا ، فلقد تغير الموقف . وإذا مضينا نجرى حساباته على أساس ما كان حينما تقابل أنور السادات مع الزعماء السوفيت فى موسكو فإننا نكون جميعا على خطأ كبير . ذلك أن كل المعلومات الآن تؤكد أن المواجهة إذا وقعت فسوف تقع على الجبهة المصرية لأن كل تحركات القوات الإسرائيلية هى الآن موجهة إليها وليس إلى الجبهة السورية .»

ثم قال « جمال عبد الناصر » :

ـ « ومرة أخرى فإننى لا أريدكم أن توجهوا تحذيرا إلى إسرائيل . إنكم بذلك تعطونها أهمية لا تستحقها ، وتعطونها فرصة لاستدرار العطف الذى يحظى به الصغير حينما يتعرض للتهديد من الطرف الأكبر . وهم يملكون المهارة لاستغلال هذه اللعبة بكفاءة ، ولهذا فإن تحذيركم يجب أن يتجه إلى القوى الاستعمارية التى تساند إسرائيل .»

وكان السفير السوفيتى يواصل تسجيل ما يسمعه بقلم ودفتر مذكرات اخرجهما من

جيبه عندما بدأ « جمال عبد الناصر » يتحدث عن شكل ما هو قادم فى المنطقة .

□

وفى هذه اللحظة كانت السفارة الأمريكية فى القاهرة تتلقى برقية شفرية من واشنطن نصها بالحرف :

« وزارة الخارجية
برقية عاجلة
إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة

أرجو تأييد التقرير الذى أذاعته وكالة الأنباء الفرنسية ويقول « أعلن الرئيس ناصر الليلة أن الجمهورية العربية المتحدة قد أغلقت خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية » . وعليكم أن تنقلوا إلى الحكومة قلقنا الشديد لو كان هذا التقرير صحيحا .»

وكان التقرير بالفعل صحيحا .

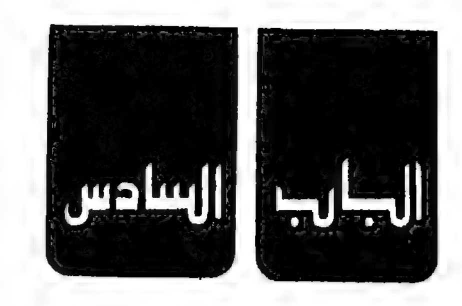

قبائل الدخان

« الحروب تدور فى مجال السياسة ، ومشاهدها الأخيرة فقط هى التى تنتقل إلى ميادين القتال ! »

الفصل الأول

يو ثانت فى القاهرة

يوم ٢١ مايو كان السكرتير العام للأمم المتحدة « يو ثانت » يجهز نفسه للسفر ويعد ملفاته للمهمة التى تنتظره للشرق الأوسط حينما اتصل به « آرثر جولدبرج » الممثل الأمريكى الدائم لدى الأمم المتحدة يطلب موعدا عاجلا لمقابلته . وبعد نصف ساعة كان « جولدبرج » يدخل مكتب السكرتير العام ، وما هى إلاّ دقائق حتى لحق به الدكتور « رالف بانش » !

وكانت لدى « جولدبرج » فيما بدا من توجيهه لدفة الحديث عدة موضوعات يريد أن يطرحها على السكرتير العام ، وأولها أن يؤكد عليه فى ضرورة الذهاب إلى دمشق وتل أبيب بعد انتهاء زيارته للقاهرة . وكان الموضوع التالى الذى طرحه « جولدبرج » هو سؤال السكرتير العام عما إذا كان مناسبا دعوة مجلس الأمن إلى اجتماع طارىء لبحث الموقف فى الشرق الأوسط ، ثم تجرى بعض المناقشات التمهيدية ثم يصدر عن المجلس قرار باعتبار جلسته مستمرة حتى عودة السكرتير العام ليقدم تقريره إليه . **وكانت وجهة نظر « جولدبرج » أن مثل هذا الإجراء قد يكون من شأنه تشكيل ضغط على الأطراف المختلفة فى الشرق الأوسط كى يأخذوا مهمة السكرتير العام بما تستحقه من جد ، باعتبار أنه فى مهمته ممثل للمجتمع الدولى كله وسلطته المتركزة فى مجلس الأمن .**

وأبدى الدكتور « بانش » استحسانا لهذا الاقتراح باعتباره « قوة ضغط » مساعدة تستطيع تسهيل مهمة السكرتير العام فى الشرق الأوسط . ولم يكن « يو ثانت » متحمسا لهذا الاقتراح وقال بصوته الخافت : « إن هذا الوضع سوف يضغط علىّ أنا قبل أن يضغط على الأطراف فى الشرق الأوسط »[1] .

وعاد « جولدبرج » إلى موضوعاته فأثار أن المصريين يتحرشون ببعض فصائل قوات الطوارىء ، وتدخل « بانش » فقال : « إن التحرش موجه بالدرجة الأولى إلى الكنديين » . وعقب « يو ثانت » بقوله : « إنه قرأ تقريرا من الجنرال « ريكى » عن هذا الموضوع ، وقد فهم منه أن سبب الاحتكاك الذى جرى بين المصريين والكنديين هو أن جنود القوة الكندية أرادوا هدم بعض مبانى الإقامة التى يسكنونها قبل تركها ، وأن المصريين حاولوا منعهم من ذلك . وقد سبق له بحث هذا الموضوع مع الدكتور « بانش » واستقر رأيهما على أن تكون هناك أولوية فى الترحيل للقوة الكندية » . ثم أضاف إنه بدا له « أن الكنديين لديهم شعور واضح بالعصبية لأنهم يتصورون أن كل فكرة قوات الطوارىء هى من اختراع وزير خارجيتهم « ليستر بيرسون » أيام أزمة السويس . »

وفجأة وبدون مقدمات كان لدى « يو ثانت » ما يسأل هو فيه « جولدبرج » . وكان سؤاله المباغت وبنفس الصوت الخفيض هو : « إنه سمع من عدد من المصادر أن هناك ترتيبات سرية معينة بين إسرائيل والولايات المتحدة ، وأن هدف هذه الترتيبات هو الإيقاع بمصر فى فخ عسكرى . وأن هذا الموضوع يقلقه بشكل عام وشكل خاص . والشكل العام فيه أنه يستدعى أشباح تواطؤ السويس ويعيدها إلى الحياة مرة أخرى . وأما الشكل الخاص فهو أنه لا يريد نفسه متورطا فى مناورات لا دخل له فيها ، ثم يجد أن مهمته فى القاهرة تخضع لمناورات لا يعرف عنها شيئا ، وذلك يسىء إلى مركزه وإلى ضميره . »

ورد « جولدبرج » بأن السكرتير العام لا ينبغى له أن يصدق مثل هذه

---

(١) برقية من السفير « محمد القونى » عن حديث له مع السفير الفرنسى بعد مقابلته لـ « يو ثانت » ، وهى ضمن محفوظات وزارة الخارجية ، ورقمها ١٦/٤٥١٢ ب .

الشائعات مهما كانت مصادرها ، وأن أروقة الأمم المتحدة تتحول فى بعض الأحيان إلى عش زنابير لا تكف عن « الزن والطنين »[٢] » .

□

وفى اليوم التالى ٢٢ مايو كان « يو ثانت » على وشك أن ينزل من مكتبه متوجها إلى المطار حينما اتصل به المندوب الأمريكى « آرثر جولدبرج » وأبلغه أنه كان يريد أن يقابله قبل سفره لكنه يعلم أنه لم يعد لدى السكرتير العام فسحة وقت تسمح بذلك . ولهذا فإنه كتب له مذكرة طويلة يرجو أن يتسع وقته لقراءتها فى الرحلة الطويلة إلى القاهرة . وعندما كان « يو ثانت » يتأهب لركوب الطائرة لحق به أحد مساعدى « جولدبرج » يحمل إليه ظرفا كبيرا من رئيسه . وعلى الطائرة كان لدى « يو ثانت » كل الوقت لقراءة محتويات المظروف العاجل الذى جاءه من « جولدبرج » .

كانت الورقة الرئيسية فى الملف خطابا من « جولدبرج » يقع فى سبع صفحات ، وقد بدأه « جولدبرج » على النحو التالى :[٣]

« عزيزى السكرتير العام

فى الوقت الذى تبدأ فيه رحلتك الهامة جدا إلى الشرق الأوسط أحب أن أنقل إليك أطيب تحيات الحكومة الأمريكية وتأييدها لجهودك فى حفظ السلام والمحافظة على تواجد فعال للأمم المتحدة فى المنطقة .

ونحن نشاركك الرأى فى أن الموقف فى الشرق الأوسط هو أشد خطورة من أى وقت آخر منذ سنة ١٩٥٦ . وإنه لمما يقلقنا بشكل خاص أنه مهما كانت نوايا الأطراف المعنية عندما بدأت الأزمة فإن أى خطأ فى الحساب ، أو أى استفزاز غير محسوب يمكن أن يدفع المنطقة الآن إلى صدام مباشر . ونعتقد أن كل الجهود يجب أن تبذل لتجنب ذلك ولنحتفظ للمنطقة فى المستقبل بالهدوء الذى ساد فيها فى السنوات العشر الماضية . والواقع أن وجود الأمم المتحدة وحضورها الفعلى على الأرض هو فى رأينا أفضل الوسائل التى يمكن بواسطتها تحقيق هذا الهدف .

ولقد أبديت لك من قبل الأسف العميق لحكومة الولايات المتحدة إزاء القرار

---

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) محفوظات مكتبة « ليندون جونسون » بولاية تكساس (ملف الشرق الأوسط سنة ١٩٦٧) الصندوق رقم ١٨ - د .

بسحب قوات الطوارىء من المنطقة . وفى حين أننا لسنا على علم بأية مشكلات مادية أو واقعية واجهتكم ، فقد كان ذلك القرار فى رأينا يستحق مشاورات أفضل نظرا لخطورة المشكلة وتأثيرها على عدد من الحكومات بما فيها حكومتنا . ونحن لم نبلغ بقرار سحبها إلاّ بعد ست عشرة ساعة من صدور القرار بذلك . »

. . . .

. . . .

ومضى « جولدبرج » فى خطابه بعد ذلك فتحدث عن ظروف عمل قوة الطوارىء ، ثم وصل إلى الجهود التى تقوم بها حكومة الولايات المتحدة فى الأزمة ، فقال بالحرف :

« لقد شرحت لك من قبل أن حكومة الولايات المتحدة تبذل كل جهودها الدبلوماسية ونفوذها مع كل حكومات المنطقة وغيرها لصالح تهدئة الأمور . ولقد شرحت لك من قبل أيضا وأكدت لك أن أية اتهامات بأن حكومة الولايات المتحدة ، أو أيا من وكالاتها داخلة فى أعمال تآمرية فى الشرق الأوسط لا أساس لها من الصحة . إن هذه الادعاءات زرعت وجرى الترويج لها لأسباب سيئة مقصودة . وإنك مخوّل بنفى هذه الادعاءات وتأكيد أن الولايات المتحدة تعارض أى عدوان أو عنف فى الشرق الأوسط بصرف النظر عن المصدر الذى تجىء منه . »

ثم انتقل « جولدبرج » إلى مناقشة طويلة لموضوع خليج العقبة والتعهدات التى أعطتها الحكومة الأمريكية للحكومة الإسرائيلية فى مارس سنة ١٩٥٧ ، وأرفق بخطابه صورة مكتوبة منها . ثم وصل فى نهاية الخطاب إلى قوله :

« إننا نتمنى لك السلامة والنجاح فى مهمتك والعودة باقتراحات إيجابية وبناءة تقدمها فى تقريرك إلى مجلس الأمن ، وهو الهيئة المختصة بمسؤولية المحافظة على السلام والأمن العالميين . وإذا لم تتمكن من إحراز تقدم مرض فى مهمتك ، فإننا نعتقد أن حالة التوتر القائمة فى المنطقة سوف تجعل من الضرورى دعوة مجلس الأمن إلى الاجتماع طبقا لنص المادة ٩٩ من الميثاق .

آرثر جولدبرج

(توقيع)

وأرفق « جولدبرج » بمذكرته الطويلة صورة مذكرة من صفحتين مؤرخة بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٧ قائلا إنها تحوى التعهدات الأمريكية لإسرائيل فى ذلك الوقت . وكانت كما يلى :

« ١ ـ نحن نعتقد أن قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة سوف تبقى في منطقة شرم الشيخ وغزة حتى تكمل مهمتها .

وهذا يعنى أن مصر ليس لها الحق منفردة فى إنهاء مهمة هذه القوات ، وأن هذه القوات يمكن سحبها فقط فى حالة ما إذا كانت الأمم المتحدة مطمئنة إلى أن ذلك يمكن أن يحدث . ومعنى ذلك أنه يجب أن تكون هناك فرصة كافية لمناقشة الموضوع فى الجمعية العامة قبل أى قرار بالانسحاب .

٢ ـ لا يجب لأية قوات مصرية أن تعود إلى منطقة شرم الشيخ حتى يتضح أن مصر لن تستعمل حق حالة الحرب ......

٣ ـ إننا نعتقد بحزم أيضا أنه لا يجب أن تعود قوات مسلحة أو شبه مسلحة مصرية إلى قطاع غزة ، وأن قوات الطوارىء يجب أن تبقى فى القطاع حتى يمكن تسوية مستقبله باتفاق بين الأطراف ......

٤ ـ وبالنسبة للإدارة المدنية لقطاع غزة فإننا نفهم أن الأمم المتحدة هى التى ستتولى وحدها إدارته بدون اشتراك أى عناصر مصرية .

٥ ـ إننا نعتقد أن أى إخلال بما سبق أعلاه من شأنه أن يهز الثقة فى الأمم المتحدة ...... »

ولم يجد « يو ثانت » فى هذه الوثيقة التى قدمها له « جولدبرج » مرفقة بخطابه الطويل ما يكفى لإقناعه أو إقناع غيره بوجود أى قيمة لها أو فعالية . ومع افتراض صحتها فلقد فات « جولدبرج » أن هذه الوثيقة التى يفترض أنها كتبت فى ١٥ مارس ١٩٥٧ لم يكن لها أى تأثير على مجرى الحوادث ، ذلك أن القوات المصرية عادت إلى غزة وكذلك الإدارة المصرية ، واستمر هذا الوضع من سنة ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٦٧ ـ عشر سنوات كاملة .

وفى نفس الوقت تقريبا بعث السفير « مصطفى كامل » من واشنطن برقية شفرية(٤) قال فيها :

□ « أولا :

١ ـ اتصل بى الساعة الثامنة والنصف مساء اليوم مدير قسم الجمهورية العربية

---

(٤) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١٦٥/٢٨٤١ .

المتحدة بالخارجية الأمريكية ، وأخبرنى أن نائب وزير الخارجية المسر روستو يطلب مقابلتى لأمر هام للغاية وعاجل جدا .

٢ ـ اجتمعت به التاسعة مساء . وجدته مجتمعا مع مساعديه السفير باتل ونائبه ديفيز وبرجس مدير قسم الجمهورية العربية المتحدة وسترنر مدير قسم العلاقات العربية ـ الإسرائيلية .

□ **ثانيا : قال :**

١ ـ إنه يأسف لاستدعائى فى هذه الساعة من الليل ، ولكن الأمر جد والأحداث تتلاحق والموقف يقتضى تبادل عاجل للرأى منعا للأحداث من أن تطغى على الرجال .

٢ ـ وأضاف إن وكالات الأنباء نقلت خبرا مؤداه أن حكومتنا قررت قفل خليج العقبة . واستطرد فقال « **إن هذا القرار لو صح يعتبر أمرا بالغ الخطورة لمعارضته لقواعد القانون الدولى الخاص بحرية المرور فى البحار ، واتفاقيات الهدنة ، والتصريحات الأمريكية فى هذا الشأن . فضلا عن أنه يخلق وضعا جديدا يزيد الموقف المتوتر الحالى خطرا كبيرا .**

٣ ـ أ ـ وأضاف إن رسالة أرسلت من الرئيس الأمريكى لسيادة الرئيس بعد ظهر اليوم تتضمن أمورا عديدة تتصل بالعلاقات بين البلدين والرغبة فى تطويعها ، بل وإرسال نائب الرئيس المستر همفرى إلى بلادنا للمساهمة فى إزالة التوتر الحالى . كما أنها تضمنت دعوة حارة من أجل السلام فى المنطقة ـ بل والسلام العالمى .

ب ـ ثم سلمنى صورة الرسالة للاطلاع عليها .

٤ ـ وأضاف بأن مذكرة شفهية « note verbal» أرسلت الآن إلى سفيرهم فى القاهرة لإبلاغها إلى حكومتنا وتتضمن وجهة نظرهم فى الموقف ، وخاصة بالنسبة للتطور الأخير الذى نقلته بعض وكالات الأنباء حول قفل خليج العقبة .

٥ ـ ثم ذكر أن الولايات المتحدة أعلنت سواء خلال حكومة الحزب الجمهورى أم الديمقراطى فى عهدى كنيدى وجونسون بأنها تلتزم بالحيلولة دون العدوان فى المنطقة وإيقافه فى حالة وقوعه سواء عن طريق الأمم المتحدة ، أم خارجها إذا تعذر على الأخيرة القيام بالإجراءات المقتضية فى هذا الشأن .

٦ ـ وذكر أنهم أبلغوا إسرائيل صراحة أنهم سيقاومون أى عمل عدوانى تقوم

به ضد أية دولة عربية . وأضاف إن رأى الحكومة الأمريكية فى هذا الشأن واضح للحكومة الإسرائيلية تمام الوضوح .

٧ ـ وأبان أنه يعود فيكرر أن الحكومة الأمريكية ملتزمة بمعارضة العدوان فى المنطقة من أية جهة كانت .

٨ ـ وأضاف إن السكرتير العام للأمم المتحدة سيكون فى القاهرة وأنه سيحاول إنقاذ السلام ، وأن الولايات المتحدة تؤيده فى مهمته وتأمل معونة القاهرة فى هذا الشأن .

٩ ـ وعاد فذكر بأنه يرجو أن تكون الأنباء التى وصلتهم حول غلق خليج العقبة غير صحيحة ، وإن كانت صحيحة فالمأمول إعادة النظر فيها . وأضاف إنه لا يستبعد انعقاد مجلس الأمن للنظر فى هذا الأمر إذا ثبتت صحته . »

□

وفى نفس الوقت أيضا كان السفير « محمد القونى » يكتب للقاهرة برقية شفرية(٥) يقول فيها :

« أذيع هنا نص تصريح للشقيرى (يقصد الأستاذ « أحمد الشقيرى » رئيس منظمة التحرير الفلسطينية) يقول فيه إن الأمم المتحدة أهدت منشآتها بغزة إلى قوات منظمة التحرير . والخبر على هذا النحو يحرج السكرتير العام . وقد عرفت أن الحكومة الأمريكية والحكومة الكندية أبلغا السكرتير العام قبل سفره مباشرة أنهم تيقنوا بوسائلهم الخاصة أن إسرائيل ستحارب فى حالة التدخل بالملاحة فى خليج العقبة . ولذلك ينتظر أن يكون هذا الموضوع الأول فى محادثات السكرتير العام .

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

وبعد أقل من ساعة واحدة عاد السفير « محمد القونى » يبعث ببرقية شفرية(٦) أخرى إلى وزارة الخارجية ، وكان نصها :

---

(٥) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١١٠/٢٧٨٩ .

(٦) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١٣٤/٢٨٥٢ .

□ « **أولا** : أوحت أمريكا وانجلترا إلى سفير الدانمارك أن يعقد اجتماعا غير رسمى لأعضاء مجلس الأمن للتشاور فى أزمة الشرق الأوسط بغرض أن تقوم الدول غير الدائمة (فى عضوية المجلس) بطلب عقد مجلس الأمن بعد أن فشلت الدول الغربية الكبرى فى إقناع يو ثانت بذلك قبل سفره . لم يشترك فى هذا الاجتماع الاتحاد السوفيتى وبلغاريا . **رأت بعض الوفود غير الدائمة أن عقد اجتماع المجلس الآن وأثناء غياب يو ثانت بالقاهرة به استفزاز للجمهورية العربية المتحدة ، وضغط على يو ثانت وإفساد لمهمته .**

لم يسفر الاجتماع فى الصباح عن نتيجة ، واقترح أن تعقد الدول الأربع الدائمة اجتماعا فى الصباح تمهيدا لاجتماع آخر بعد الظهر للجميع .

□ **ثانيا** : عقد اجتماع غير رسمى بمقر البعثة الدانماركية لأعضاء مجلس الأمن واعتذر عنه الهند والاتحاد السوفيتى وبلغاريا . لم يتفقوا على تقديم طلب لعقد مجلس الأمن .

□ **ثالثا** : تبين واضحا أن الهدف الحقيقى كان التضخيم ، إذ أفهمت إسرائيل حكومة الدانمارك كما قال لى سفيرها **أنها قررت اعتبار التعرض عملا عدوانيا ستقابله بالحرب . ولذلك كان السفير مضطربا . وظن أنه يعمل لمنع وقوع الحرب . وقد نجحت هذه المناورة الأمريكية ـ الانجليزية ـ الإسرائيلية فى دفع كندا والدانمارك إلى تقديم طلب لعقد مجلس الأمن . وتقرر** (بمساعدة بانش) **عقد المجلس الأربعاء صباحا (برقيتنا المفتوحة رقم ٦٤) .**

□ رابعا : **زارنى مندوب من البعثة السوفيتية . وطلب رأيى فيما يتبع بمجلس الأمن . واتفقنا على محاولة تأجيل عقد المجلس ، فإن انعقد عملنا على رفض طلب إدراج هذا الموضوع . فإن أدرج عملنا على تأجيل عقد الاجتماعات حتى عودة يو ثانت .**

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

□

وفى القاهرة صباح يوم ٢٣ مايو كان السفير الأمريكى الجديد المعين فى القاهرة ـ وهو المستر « ريتشارد نولتى » ـ على موعد مع السيد « محمود رياض » وزير الخارجية ليقدم له نسخة من أوراق اعتماده . ووصل السفير الأمريكى الجديد المعين إلى مكتب وزير

الخارجية ومعه المستر « دافيد نيس » الذى كان قائما بأعمال السفارة خلال خمسة شهور سابقة ، ولم يكن « نولتى » يحمل معه فقط نسخة من أوراق اعتماده ليقدمها إلى وزير الخارجية قبل أن يقدم أصلها إلى رئيس الدولة فيما بعد ـ وإنما كان يحمل أيضا خطابا موجها من الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان نص الخطاب(٧) كما يلى :

« البيت الأبيض

سرى ٢٣ مايو ١٩٦٧

صاحب السعادة جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

عزيزى الرئيس ناصر

لقد قضيت معظم الأيام الماضية أفكر فى الشرق الأوسط وفى المشاكل التى تواجهها ، وفى المشاكل التى نواجهها فى المنطقة . وكان هناك كثيرون من أصدقائنا المشتركين بما فيهم السفير باتل يؤكدون لى أنك قلق من ظواهر غير ودية تتبدى لكم من ناحيتنا تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، وهذا أمر أريدك أن تعرف مباشرة أنه أبعد ما يكون عن الحقيقة .

ولقد تابعت من بعد جهودك فى تطوير وتحديث بلادك . وأستطيع أن أحس كبرياء وطموحات شعبك ، وإصرارهم على الدخول بسرعة فى العالم الجديد ، والمشاركة على قدم المساواة فيه . وإنى آمل أن نجد وسائل عامة أو شخصية تمكننا من أن نعمل معا بشكل وثيق .

وأنا أفهم طبيعة القوى السياسية النشيطة فى منطقتكم والمطامح والتوترات والذكريات والآمال التى تتحرك عندكم .

وفى الوقت الحاضر بالطبع فإن مهمتك ومهمتى هى أن لا ننظر إلى الوراء ، وإنما نتقدم لإنقاذ الشرق الأوسط والمجتمع الإنسانى كله من حرب لا أعتقد أن أحدا يريدها . وأنا لا أعلم أية خطوات سوف يقترحها عليك

---

(٧) صورة من الصفحة الأولى لخطاب « جونسون » فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٧) صفحة ١٠١٠ ، ومن الواضح أن الذى كتب مسودته هو السفير « لوشيوس باتل » ، كما أنه كان من الواضح أيضا أنه قنبلة دخان تغطى النوايا الحقيقية .

السكرتير العام يو ثانت عندما يلتقى بك . ولكنى أدعوك إلى أن تجعل أولويتك الأولى لشعبك ولمنطقتك وللمجتمع العالمى هدف تجنب قيام أعمال عدوانية . إن الصراعات الكبرى فى عصرنا لن تجد لها حلا بواسطة الاختراق غير القانونى للحدود بالأسلحة أو الرجال - لا فى آسيا ولا فى الشرق الأوسط ولا فى أفريقيا ولا فى أمريكا اللاتينية . ولقد حدث مثل هذا النوع وأدى إلى الحرب فى آسيا وهو يهدد السلام فى أماكن أخرى .

لقد فكرت فى أن أطلب إلى نائب الرئيس همفرى أن يتوجه إلى الشرق الأوسط ، وأن يتحادث معك ومع آخرين من القادة العرب . وأيضا مع قادة إسرائيل . وإذا استطعنا اجتياز هذه الأيام بدون نشوب أعمال عدوانية - فإنى آمل أن تتم هذه الزيارة فورا بواسطة هذا الصديق الذى يحظى بثقتى .

إن كلا منا - هؤلاء الذين تقع عليهم مسؤولية قيادة أممهم - يواجه مشاكل مختلفة صنعها التاريخ والجغرافيا والمشاعر العميقة لجماهير شعبه . ومهما كانت خلافاتنا فى النظر إلى مصالح بلادكم وبلادى فإننا نشاركم فى الاهتمام باستقلال وتقدم الجمهورية العربية المتحدة والسلام فى الشرق الأوسط .

إننى أخاطبك فى هذه اللحظة الحرجة بأمل أن نشترك فى تقدير الموقف معا ونجد الإرادة والإمكانية للتصرف فى الساعات والأيام القادمة .

المخلص

ليندون جونسون »

ودارت بعد ذلك مناقشة طويلة بين السفير الأمريكى المعين ووزير الخارجية ، وكتب وزير الخارجية بما دار محضرا[٨] بعث به للرئيس « عبد الناصر » .

والغريب أنه فى الوقت الذى كان « محمود رياض » فيه يتسلم هذه الرسالة الحارة من « ليندون جونسون » ، كان مستشاره للأمن القومى « والت روستو » يكتب له مذكرة نصها بالحرف كما يلى :

---

(٨) صورة من المذكرة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٨) صفحة ١٠١٤

« يعتقد جين روستو ولوك باتل أنه من الصواب لكم لتغطية موقفكم بالنسبة للرسالة الموجهة إلى ناصر أن تفعلوا ما يلى :

ـ إبلاغ أشكول أنكم قد أرسلتم مثل هذه الرسالة .

ـ إرسال رسالة أخرى إلى رئيس وزراء سوريا الأتازى [٩] (كذا) .

وبدون هاتين الرسالتين اللتين توفران تغطية موقفكم فهما (يوجين روستو ولوشيوس باتل) يشعران أن هناك احتمالا حتى وإن كان ضئيلا فى أن يقوم ناصر بنشر رسالتكم لكى يبالغ فى تصوير أهميته الذاتية . وهكذا فالأفضل أن نبعث برسائل مماثلة إلى أشكول والأتازى لكى توضحوا أنكم لا تعتبرون ناصر «Mr. Big» « السيد الكبير » (فى المنطقة) ولكنكم تناشدون الجميع ضبط النفس .

وأنا أعتقد أن هناك بعض الحكمة فى اقتراح الأثنين .

إمضاء

والت روستو »

ولم يكن الخداع بالرياء كما يتجلى من التناقض بين رسالة « جونسون » إلى « جمال عبد الناصر » ومذكرة « روستو » إلى رئيسه مقصورا على هذه الحدود ، وإنما فكر « روستو » فى وسائل إضافية لتشتيت اهتمام القاهرة . فبدأ يفكر فى الاستعانة بـ « روبرت أندرسون »[١٠] الذى سبق لعدد من الرؤساء الأمريكيين استخدامه كرسول إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » .

وكتب « روستو » مذكرة إلى الرئيس « جونسون » قال فيها بالحرف :[١١]

« الساعة ٤٥ : ١٢ بعد الظهر .

---

(٩) كان « الأتاسى » فى ذلك الوقت رئيسا للجمهورية وليس رئيسا للوزراء كما يقول مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى .

(١٠) كان المستر « روبرت أندرسون » وزيرا للخزانة مع الرئيس « ايزنهاور » وكان هو الرسول الذى حمل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » مقترحات مقايضة السلام مع إسرائيل بعرض بناء السد العالى فى نهاية ١٩٥٥ وبداية ١٩٥٦ .

(١١) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى (محفوظات مكتبة « ليندون جونسون ») .

الرئيس

بناء على التعليمات تحدثت صباح اليوم مع روبرت أندرسون . وقد أبلغنى بما يلى :

١ ـ سيتجه إلى بيروت يوم الخميس فى مهمة .

٢ ـ ومن بيروت يتجه إلى عمان فى الأردن للاجتماع مع الملك حسين . وهو ذاهب إلى هناك لأنهم طلبوا إليه ترتيب تأجير طائرات أردنية إلى شركة أمريكية والمساعدة فى انتاج البوتاس والفوسفات فى الأردن .

٣ ـ وقد تحدث أمس مع وزير الخارجية راسك ، والذى طلب إليه أن يبلغ ناصر أنه فى بيروت . وإذا رد ناصر عليه فهذا جيد ولكنه لن يقوم بأى خطوة أكثر من إبلاغ ناصر بأنه هناك ما لم تصدر إليه تعليمات أخرى .

٤ ـ وقد سألته عن أية ملاحظات عن الوضع الراهن فقال إنه لا يعتقد أن البلدان العربية تريد الحرب . ويعتقد أننا ارتكبنا خطأ فاحشا بقطع القمح عن ناصر .

٥ ـ وعلاوة على ذلك يشعر ناصر أنه معزول عن الولايات المتحدة .

٦ ـ وتعتبر تصرفات ناصر الحالية فى رأى أندرسون إنعكاسا لأوضاع داخلية . وقد تفاقمت هذه الأوضاع نتيجة لبيانات إسرائيلية غير متبصرة . وناصر يدرك أن الشىء الوحيد الذى يعيد إلى العالم العربى الممزق صلابته هو التوحد ضد إسرائيل .

٧ ـ قدم لى أندرسون بعد ذلك اقتراحين محددين :

ـ يعتقد أنه من الحكمة إقناع الماريشال عامر ـ الرجل الثانى لناصر ـ بالحضور للولايات المتحدة ، ربما للأمم المتحدة .

ويعتقد أنكم لو تحدثتم إلى عامر ستقطعون شوطا كبيرا من أجل تسوية المشكلة ـ وفى استطاعته ترتيب ذلك لو رغبتم .

ـ ولو رغبتم فى أن يتوجه بعد عمان إلى القاهرة بافتراض أن ناصر سيستقبله فإنه على استعداد للقيام بذلك ، ولكنه لن يقوم بأى خطوة بدون تعليماتكم .

(إمضاء)

روستو »

□

وتحتوى الوثائق الأمريكية فى تلك الساعات على إشارات لها دلالاتها . فحين أحس « والت روستو » مستشار الأمن القومى للرئيس « جونسون » أن الرئيس الفرنسى الجنرال « ديجول » يحاول اتخاذ موقف مستقل فى الأزمة ، اقترح عليه أن يكتب له مباشرة خطابا يبدأ بعبارة « إن إعلان الرئيس ناصر بأنه قد أغلق خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية يضيف بعدا جديدا إلى الموقف المحفوف بالخطر فى الشرق الأوسط . وتقوم الحكومة الأمريكية بتأييد جهود السلام الحالية التى يقوم بها السكرتير العام يو ثانت ، إلاّ أنه يحتاج إلى مساندة الأعضاء البارزين الآخرين فى الأمم المتحدة . وسيكون صوت فرنسا على وجه الخصوص ذا أهمية حيوية .» وينتهى بعبارة أن « هذا هو الوقت الذى تحتاج فيه فرنسا والولايات المتحدة إلى الوقوف جنبا إلى جنب » .

ثم تكشف وثيقة أخرى أن « والت روستو » بعث إلى « جونسون » بتحليل لشخصية « جمال عبد الناصر » قائلا فى تقديمه إليه :

« الرئيس

قد تجدون هذا التحليل مثيرا للاهتمام . ويبدو منه أن ناصر ليس مجنونا كما كان يعتبره بعضنا وإنما هو ماكر . وهو فى هذه اللحظة يقامر على أن إسرائيل لن تهاجم ، وإنما سوف تذهب إلى الأمم المتحدة . »

□

وقبل ساعات قليلة من لقاء « يو ثانت » مع « جمال عبد الناصر » كان السفير « القونى » يبعث ببرقية شفرية[١٢] أخرى تلقى أضواء جديدة على الدور الغريب الذى يقوم به الدكتور « رالف بانش » جاء فيها بالنص :

« أبلغنى بانش أنه وردت إليه برقية من يو ثانت تشير أننا نوافق على عقد مجلس الأمن وعلى اشتراكنا فيه . تعارض دول الكتلة الشرقية فى عقد المجلس وفى إدراج الموضوع على جدول أعماله . تحاول الدول الإفريقية والآسيوية تأجيل المناقشة إلى ما بعد عودة يو ثانت . يصر الوفد الأمريكى على عدم التأجيل . وقد التقط السفير جولدبرج هذا الخبر الذى قيل إنه جاء من القاهرة ليقنع المطالبين بالتأجيل بأن القاهرة موافقة على عقد مجلس

---

(١٢) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١٣٥/٢٨٩١

الأمن . كذبت هذا الخبر قطعيا وقلت ، إن تعليماتى هى فقط الاشتراك فى حالة عقد مجلس الأمن » .

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

وكان « يو ثانت » أول من فوجىء فى القاهرة بدعوة مجلس الأمن إلى الانعقاد فى غيابه .

وصل « يو ثانت » إلى القاهرة فى الساعة الرابعة إلاّ ربعا بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٣ مايو ، وكان السيد « محمود رياض » وزير الخارجية فى انتظاره فى مطار القاهرة وصحبه حتى الفندق الذى سينزل فيه . وجلس معه لنصف ساعة فى صالون جناحه فى فندق هيلتون يسأله عن برنامجه والطريقة التى يريد بها تنظيم محادثاته فى القاهرة . وبدا أن « يو ثانت » لم يكن فى وضع يسمح له بتحديد برنامجه . وعلى أى حال فقد تم الاتفاق بينهما على اجتماع صباح الغد فى وزارة الخارجية ، يعقبه غداء فى نادى التحرير . وفى الساعة الثامنة مساء يكون موعده المحدد للقاء الرئيس « جمال عبد الناصر » فى بيته حيث يتناول معه طعام العشاء .

وتناول « يو ثانت » طعام العشاء فى جناحه ، وكانت لديه مجموعة برقيات وتقارير من نيويورك وغيرها تحمل إليه تفاصيل التطورات التى جدت بينما هو فى الهواء طائرا من نيويورك إلى القاهرة . وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم(١٣) التالى (الأربعاء ٢٤ مايو) وصل « يو ثانت » إلى مكتب وزير الخارجية ، ومعه الجنرال « ريكى » قائد قوات الطوارىء ، والجنرال « أودبول » رئيس مراقبى خطوط الهدنة ، والمستر « ميتشلمور »

---

(١٣) قابلت « يو ثانت » فى الساعة التاسعة صباحا وقضيت معه أكثر من نصف ساعة قبل أن يتوجه إلى وزارة الخارجيه .

رئيس هيئة إغاثة اللاجئين وكان مقرها فى غزة . وكان فى انتظاره فى مكتب وزير الخارجية ، عدا وزيرها ، الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، إلى جانب الوكيل الأول للوزارة (والمرشح لسفارة واشنطن) وقتها وهو السفير « أحمد حسن الفقى » .

وفى بداية اللقاء قال « يو ثانت » (ومن المحتمل أن البرقيات التى تسلمها من نيويورك كانت فى ذهنه) « **إنه الآن سوف يقصر زيارته على القاهرة وحدها رغم أن آخرين فى نيويورك كانوا يريدون منه أن يذهب إلى تل أبيب ودمشق أيضا ، لأن الحوادث تجرى بسرعة والسباق مع الوقت مهم فى هذه الظروف كما أن « من المحتمل أن إسرائيل ليست متحمسة كثيرا لاستقباله فيها الآن** » . »

ثم دار استعراض عام لمسار الحوادث ووجهات نظر الطرفين ، وكان الإحساس العام فى المقابلة بالطبع هو أن صميم الموضوع لن يبحث إلاّ فى اللقاء مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وهكذا فإن المحادثات كان يسودها نوع من الإحساس بضرورة انتظار الساعات القليلة القادمة .

وأثناء الغداء فى نادى التحرير تلقى « يو ثانت » برقية عاجلة من مكتبه تشير إلى أن هناك اتصالات تجرى لعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن . وقد أبدى بالإشارة ما يعنى أنه « **لا يفهم داعيا لعقد مجلس الأمن بينما هو لم يبدأ مهمته الحقيقية بعد فى القاهرة** » . وفى الساعة السادسة مساء وبينما « يو ثانت » يراجع تفاصيل الموقف مع مساعديه تلقى صورة بيانين : أحدهما صادر عن رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » ، والآخر صادر عن الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » . وكان « يو ثانت » على يقين بأن كلا من البيانين موجه إلى مهمته فى القاهرة والأجواء التى تحيط بها .

■ **وكان البيان السوفيتى** الصادر عن « أليكسى كوسجين » بالنص كما يلى : [(١٤)]

« إن الشرق الأوسط شهد فى الأسابيع الأخيرة تجمع خيوط موقف أثار مزيدا من القلق فيما يتعلق بالسلام والأمن الدوليين . فعقب العدوان المسلح الذى قامت به القوات الإسرائيلية على الأراضى السورية يوم ٧ ابريل الماضى ، واصلت الدوائر العسكرية الحاكمة فى إسرائيل تعريض الموقف العسكرى فى هذه المنطقة للخطر .

---

(١٤) برقية وكالة « تاس » السوفيتية بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٦٧ .

وقد صدرت الأوامر فعلا يوم ١٩ ابريل بتحرك قوات إسرائيلية إلى سوريا ، وتبين بجلاء أن إسرائيل لم تكن لتستطيع أن تنهج هذا المنهج ما لم تكن تحظى بالتشجيع المباشر وغير المباشر لموقفها هذا من جانب دوائر استعمارية معينة .

وكانت إسرائيل تأمل أن تأخذ سوريا على غرة وتوجه إليها ضربة على انفراد ، ولكنها أخطأت الحساب ، فقد أعلنت الجمهورية العربية تصميمها على مساعدة سوريا إذا تعرضت للعدوان . وبادرت الجمهورية العربية احتراما منها لالتزامها بالدفاع المشترك مع سوريا إلى اتخاذ الخطوات لمواجهة العدوان ، ورأت أن وجود قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة فى منطقة غزة وسيناء يكفل لإسرائيل فى هذا الموقف مميزات تمكنها من توجيه استفزازات عسكرية ضد الدول العربية ، فطلبت الجمهورية العربية من الأمم المتحدة أن تسحب هذه القوات .

وكانت الحكومة السوفيتية قد حذرت حكومة إسرائيل وقت استفزازها من أنها سوف تتحمل تبعات هذه السياسة العدوانية . والظاهر أن سياسة التعقل لم تنتصر إلى الآن فى تل أبيب ، وبالتالى فقد أصبحت إسرائيل ملومة لأنها خلقت توترا خطيرا فى الشرق الأدنى .

ويجب ألا يخامر أى إنسان الشك فى الحقيقة التالية : إن كل من يغامر بشن عدوان فى الشرق الأوسط لن يواجه فقط القوى المتحدة للدول العربية ، بل سيواجه كذلك مقاومة صلبة من جانب الاتحاد السوفيتى والدول المحبة للسلام .

إن حكومة الاتحاد السوفيتى تؤمن بأن الشعوب ليست لها أى مصلحة من وراء إشعال نار الصدام العسكرى فى الشرق الأوسط ، ولكن حفنة من احتكارات البترول الاستعمارية وصنائعها هى التى يهمها مثل هذا النزاع ، ولا يمكن أن تهتم به غير قوى الامبريالية التى تسير إسرائيل فى ركابها . »

□ **وكان نص البيان الأمريكى** الذى وزعه « ماكلوسكى » المستشار الصحفى للرئيس « جونسون » فى البيت الأبيض - كما يلى :[١٥]

« فى الأيام الأخيرة زاد التوتر مرة أخرى على طول خطوط الهدنة بين إسرائيل والدول العربية ، وهذا الموقف يسبب قلقا خطيرا للعالم كله .

---

(١٥) برقية وكالة « الأسوشياتد برس » بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٦٧ .

وإن حكومة الولايات المتحدة لتشعر بقلق عميق بصفة خاصة من جراء ثلاث نواح للمجابهة الحالية من الممكن أن تحدث انفجارا ، هى :

□ **أولا** : إننا نأسف لأن اتفاقات الهدنة العامة فشلت فى منع الأعمال شبه الحربية التى تجرى من أراضى حكومة ما ضد حكومة أخرى ، أو ضد المدنيين أو الأراضى التى تحت سيطرة حكومة أخرى

□ **ثانيا** : إننا ليفزعنا الانسحاب العاجل لقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة من قطاع غزة وسيناء بعد أكثر من عشر سنوات من الخدمة الحازمة الفعالة فى صون السلام ، وقد تم هذا الانسحاب بدون أى إجراء سواء من جانب الجمعية العامة أو من جانب مجلس الأمن . ونحن مازلنا نعتبر وجود الأمم المتحدة فى المنطقة أمرا له أهميته الأساسية وسنؤيد استمراره بكل عزم ممكن .

□ **ثالثا** : إننا نأسف لما حدث أخيرا من حشد للقوات العسكرية ، ونعتقد أن خفض هذه الحشود مسألة لها أهميتها العاجلة . إن الوضع فى المناطق الحساسة مثل قطاع غزة وخليج العقبة يعد كما أكد السكرتير العام فى تقريره إلى مجلس الأمن ، وجها له أهميته الخاصة من أوجه الموقف .

وفيما يتصل بهذه الناحية أود أن أضيف **أن ما قيل عن إغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الإسرائيلية قد أضاف بعدا جديدا وخطيرا للأزمة . إن الولايات المتحدة تعد هذا الخليج ممرا مائيا دوليا ، وتشعر بأن فرض حصار على سفن إسرائيل أمر غير مشروع ويكمن فيه احتمال لكارثة تحل بقضية السلام . إن حق المرور الحر البرىء فى هذا الممر المائى الدولى أمر له أهميته الحيوية للمجتمع الدولى .**

إن حكومة الولايات المتحدة تسعى للحصول على إيضاح لهذه النقطة . وقد طلبنا من السكرتير العام يو ثانت أن يقدر حساسية مسألة العقبة ويعطيها الأولوية العليا فى مباحثاته فى القاهرة . »

□

وفى الساعة الثامنة مساء بالضبط كانت سيارة « يو ثانت » ومعه الجنرال « ريكى » تقف أمام بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » الذى كان واقفا فى استقبال السكرتير العام

للأمم المتحدة ومعه الدكتور « محمود فوزى » والسيد « محمود رياض » . ودخل الجميع إلى قاعة الاستقبال التى تقع إلى يمين المدخل .

كان « جمال عبد الناصر » يقدر أن اجتماعه مع « يو ثانت » سوف يكون بالغ الأهمية ، ولهذا طلب تسجيل الجلسة كلها . واستنادا إلى شريط تسجيل هذه الجلسة الهامة (١٦) فقد دار الحوار على النحو التالى بالنص :

□ **يو ثانت :** بادىء ذى بدء يا سيادة الرئيس أود أن أعرب لكم عن أوفر الشكر لكم ولحكومتكم لما لقيته من حرارة استقبال ، فلقد كان الجميع متعاطفين جدا .. وكان التصفيق والهتاف فى كل مكان .

■ **محمود رياض :** حتى بينما كنا نتناول الغداء ، وحين غادرنا نادى التحرير .

□ **يو ثانت :** وفى الشوارع .. حتى أمام الفندق كان هناك جمهور .. ولقد أجريت صباح اليوم حديثا مفيدا مع الوزير . وكان الجنرال ريكى حاضرا أيضا .. فهل أبلغكم الوزير بما دار فيه ؟

■ **الرئيس عبد الناصر :** نعم ، أبلغنى قبل الغداء مباشرة .

□ **يو ثانت :** إن الصعوبة الرئيسية يا سيادة الرئيس ، تتمثل فى أن مجلس الأمن يتوقع أن أقدم له تقريرا بمجرد عودتى . ولست أدرى ما إذا كان المجلس قد اجتمع فعلا صباح اليوم .

■ **الرئيس عبد الناصر :** اجتمع فعلا زهاء الساعة السادسة .

□ **يو ثانت :** الساعة السادسة بتوقيت القاهرة ؟

■ **الرئيس عبد الناصر :** نعم ، بتوقيت القاهرة .

□ **يو ثانت :** لقد تلقيت برقية من المقر لأنهم يعتزمون الاجتماع فى الساعة العاشرة والنصف بتوقيت نيويورك ، وسوف يدور هناك جدل إجرائى ، ولا أعرف ما إذا

---

(١٦) شريط التسجيل كان موجودا فى أرشيف منشية البكرى ثم نقل إلى محفوظات قصر عابدين . وقد جرى تفريغه بواسطة سكرتارية الرئيس ، كما قام رئيس قسم الترجمة بالرئاسة بترجمته حرفيا إلى العربية وطبعت من الترجمة خمس نسخ بالعدد إحداها بقيت فى أرشيف منشية البكرى ، والثانية أرسلت إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، والثالثة إلى هيئة المخابرات العامة ، والرابعة إلى وزارة الخارجية .

كنت سأحضر هذا الاجتماع ، إذ أن موعد العاشرة والنصف يعنى الساعة الخامسة والنصف أو السادسة هنا تقريبا . وطبيعى ياسيادة الرئيس أنه ليس لديكم أية معلومات أخرى ؟

■ **الرئيس عبد الناصر** : كلا ، حيث لم أطلع إلاّ على برقية تفيد أنهم اجتمعوا منذ ثلاث دقائق ..
حسنا .. إنى أعرف أن السوفيت سوف يثيرون بعض المتاعب بصدد فورموزا وما أشبه .. ومن ثم فإن حديثهم اليوم سوف يدور حول ما يتبعونه من إجراءات .

□ **يو ثانت** : سوف أعود متعجلا خلال يوم أو يومين ، وهذا ما جعلنى أجرى نقاشا مع الوزير صباح اليوم حول جوهر ما جاء بتقريرى ، ولقد عرضت بعض الأفكار هذا الصباح غير أنه يمكننى أن أكون ذا فائدة من وجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة والأمم المتحدة على حد سواء ، لو أننى طالبت بنوع من الوقفة إلى أجل محدود ، من جانب الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل على حد سواء .

■ **الرئيس عبد الناصر** : بادىء ذى بدء أود أن أعرب لكم عن تقديرى للأمم المتحدة ، التى نؤمن بها طبعا .. لقد ساعدتنا فى سنة ١٩٥٦ خلال عهد همرشولد الذى كان موقفه طيبا جدا ، وكذلك نشكر قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ، حيث ساعدتنا إلى حد بعيد من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٧ . ولقد كان هناك تعاون كامل بين شعبنا والأمم المتحدة . وكان كل شىء يجرى بطريقة مرضية .. وأود من باب الإنصاف أن أعرب لكم عن تقديرى الشخصى للقرار الذى اتخذتموه ، وفى ظنى حقيقة أنك أسديت الكثير للأمم المتحدة وللجميع باتخاذ قراركم الحكيم بسحب قوات الطوارىء ، ولا تستشعر القلق بصدد ما تنشره الصحف الأمريكية من هجوم ، لأن الجميع سوف يدركون مستقبلا حقيقة ذلك ، إذ ماذا سوف تكون نتيجة رفض الانسحاب ؟ .. بالطبع صدام !

□ **يو ثانت** : نعم .. صدام خطير جدا .

■ **الرئيس عبد الناصر** : ولماذا ؟ .. إن ما قيل عن عمليات قوة حفظ السلام أمر شرعى . إنها بعثة حفظ السلام ، ومن ثم كيف نقاتلها ؟ .. هذا طبعا ضد السلام . ألستم تريدون وجود سلام بالمنطقة ؟ .. ومن ثم فإذا دار قتال بيننا وتصادمنا

فهذا .... إن قوة السلام بدون موافقتنا سوف تكون قوة احتلال .. وإن شعبنا ليقدر ذلك أيضا .. والعالم كله كما أظن ..

☐ **يو ثانت** : إنهم يدركونه .

■ **الرئيس عبد الناصر** : من ثم لا تكن فى قلق من الهجمات .. إن الأمريكان لا يستشعرون الرضا عليك أحيانا بسبب فيتنام .. من جهة أخرى ، نحن نريد مساعدتك إلى أقصى حد . فهناك موقف معبأ بالخطر كما أن هناك تهديدات لسوريا .. بالهجوم على سوريا .. والذهاب إلى دمشق ..

إن قواتنا عادت إلى شرم الشيخ ، وبالتالى يعود الوضع فى خليج العقبة إلى النحو الذى كان عليه .. **لقد قال جونسون أمس إن هذا الخليج ممر مائى دولى ، بينما قال دالاس فى سنة ١٩٥٧ إنه مياه إقليمية مصرية ، وأن علينا الذهاب إلى محكمة العدل الدولية .. هذا ما قاله دالاس ، وأنا أعرف جميع هذه المسائل لأنى أتابعها يوما بعد يوم .. واليوم يدلى ويلسون ببيانات .. ترى لماذا تلغى هذه الدول عقولها بسبب إسرائيل ؟ .. إن الأمر ليس مسألة إسرائيل .. إنها مسألة أنه توجد هنا دولة .. ونحن لا نتلقى الأوامر من جونسون ، أو ويلسون ، أو موسكو ، أو من أى طرف كان .. وهذا هو الذى لا يجعلهم يحبون أن نكون فى هذا الوضع .. ومن جهة أخرى ما الذى حدث ، إجراء تحول فى الشرق الأوسط برمته .. لقد كان هناك مخطط ضدنا بالتعاون مع العناصر الرجعية . ولكن هناك سباقا كبيرا فى الشرق الأوسط . فما الذى سيفعله الأمريكان ؟ .. ومن ثم فهذا هو سبب الموقف كله .. إن ما كان قبل ١٩٥٦/١٠/٢٩ ، قبل العدوان .. لم يجر عليه اعتراض أحد ، اعتدنا أن نفتش السفن الأمريكية والبريطانية وكل سفينة ، وإيقاف الإسرائيليين وغيرهم . هكذا كانت الحال حتى اليوم التاسع والعشرين ، وهذا ما نريده .. ما كان يوم ٢٩ أكتوبر طبقا لاتفاقية الهدنة ، هذا الوضع المحتم .**

☐ **يو ثانت** : نعم .. إننى طبعا أفهم وجهة نظركم .

■ **الرئيس عبد الناصر** : نعم ..

☐ **يو ثانت** : كل ما يدور بفكرى يا سيادة الرئيس هو الفترة التى يجرى فيها بحث مجلس الأمن فيما يحتمل عن بعض الطرق والوسائل التى تؤدى إلى إعادة السلام إلى المنطقة ، فى خلال أسبوعين أو .... وطبيعى أنى أظن فى التحليل الأخير أن

الجمهورية العربية المتحدة سوف تتوافر لها الشروط كما كانت قائمة حتى سنة ١٩٥٦ .. وفى ظنى أن الأمر منطقى ومعقول ، وما من أحد سوف يكابر فى هذا .

إن كل ما أريد أن أقوله هو أنه بينما ينعقد مجلس الأمن ، أو بينما يحاول المساهمة فى إيجاد حل سلمى ـ وفى هذا قد يفشل المجلس أو ينجح ، فهذا ما لا أعرفه كما لا يعرفه أحد . وقد يخرج المجلس دون أى نتيجة على نحو أو آخر ، بسبب موقف الدول العظمى بصفة خاصة .. ولكنى أود أن ألتمس منكم وأتوسل إليكم بصدد ما إذا كنتم تستطيعون فخامتكم اتخاذ موقف يتوافر به نوع من « الموراتوريوم » ، لمجرد إتاحة فرصة لمجلس الأمن للاهتداء إلى حل .

رئيس عبد الناصر : ماذا تعنى بالموراتوريوم ؟ ..

ثانت : الموراتوريوم هو تفضلكم بالامتناع مثلا عن اتخاذ تصرف أو تفتيش السفن ، وطبيعى أن هذا ينطبق على إسرائيل أيضا .. والمطلوب هو أن التأجيل سيكون لمدة أسبوعين ، أو ١٧ ، أو ١٨ يوما . ولسوف يكون هناك تاريخ محدد بطبيعة الحال ، ولسوف يوجه النداء إلى إسرائيل أيضا ، بعدم عبور الخليج .

رئيس عبد الناصر : وما الحل بالنسبة للدول الأخرى ؟

ثانت : سوف يوجه النداء للدول الأخرى أيضا بعدم حمل أية مواد حربية ، أو شيء مما لا تريدون أن تحصل عليه إسرائيل . وطبيعى أن رجائى من فخامتكم أن لا تفعلوا شيئا ، ولا توقفوا أية سفينة ، وإذا ذهبت سفينة حربية إلى هناك فطبيعى إذا كان هناك شك فى أمرها ، فإنكم قد ترغبون فى التفتيش كما كنتم تفعلون سنة ١٩٥٦ .

رئيس عبد الناصر : لقد بدأنا التفتيش اليوم .

ثانت : بدأتم التفتيش اليوم ؟ ..

رئيس عبد الناصر : لقد أبلغونى اليوم قبل مجيئك ، أنهم فتشوا سفينتين فيما أظن .

ثانت : ليست سفنا إسرائيلية ؟ ..

رئيس عبد الناصر : كلا .. **إن السفن الإسرائيلية سوف تصادر طبقا لاتفاقية الهدنة .. ذلك أنه طبقا لاتفاقية الهدنة غير مصرح لنا بالذهاب إلى مياههم**

الإقليمية ، أو أن لهم المجىء إلى مياهنا الإقليمية .. والنزاع هو حول ما إذا كانت هذه مياهنا الإقليمية .

إن هذه مياه مصر الإقليمية ، طوال حقب التاريخ منذ الأزل .

□ **يو ثانت :** نعم .. لقد أدلى جونسون بشىء ما أمس .

■ **الرئيس عبد الناصر :** لقد أدلى ببيان .. بيان طويل قال فيه إن هذا ممر مائى دولى .

□ **يو ثانت :** فهمت ..

■ **الرئيس عبد الناصر :** هل تعرف ما هو خليج العقبة ؟ .. سوف أعطيك فكرة عنه .. إن خليج العقبة عبارة عن خليج ضيق جدا بين جزيرة هناك وبين ساحل سيناء . طبيعى أنك كنت هناك ؟

□ **يو ثانت :** نعم ، مرارا كثيرة .

■ **الرئيس عبد الناصر :** والسفن .. هناك جزيرتان كبيرتان فى وسط الخليج ، بين السعودية العربية وسيناء .. جزيرتان مصريتان كانتا سعوديتين وقد تنازلت عنهما السعودية .. ثم هناك ممر ضيق جدا .. وعلى كل سفينة أن تمر خلال هذا الممر الضيق ، وأظن أن عرضه ميل واحد .. ميل واحد ، ليس أربعة أو خمسة أميال .. ميل واحد فقط .

□ **يو ثانت :** إن النزاع فى جميع البحار يدور بصدد ما يتراوح بين مائتين وثلاثمائة ميل .. وهذا ميل واحد .

□ **جنرال ريكى :** هل عرضه أقل من ثلاثة أميال ؟ ..

■ **الرئيس عبد الناصر : نعم .. ومن ثم كيف لا يكون هذا مياها إقليمية .. إن جون فوستر دالاس ولى معه تاريخ طويل ، قال إنه يجب آخر الأمر عرضه على محكمة العدل الدولية .. وقد كان هذا بيانه فى الأمم المتحدة ، وفى مجلس الأمن .. وقد طالعت جميع هذه البيانات خلال الأيام القلائل الأخيرة .**

□ **جنرال ريكى : وعلى هذا فمن الحق أيضا ستكون إسرائيل هى التى لا تحاول ...**

□ **يو ثانت :** لقد تلقيت برقية من رالف بانش تفيد أنه أجرى حديثا مع جولدبرج ، الذى قال له إن الولايات المتحدة تمارس الضغط على إسرائيل حتى لا تقتحم الحصار ،

ولكن رد فعل إسرائيل كان سلبيا .. هذا مفاد البرقية التى تلقيتها .. ومن ثم فإن ما يجول بخاطرى يا سيادة الرئيس ، هو أن لا ترسل إسرائيل أى سفن إسرائيلية عبر الخليج ، كما تمتنع الدول الأخرى عن أن تحمل سفنها مواد حربية أو أيا ما تحظرون مروره عبر الخليج .. وكذلك تمتنع الجمهورية العربية المتحدة عن إبداء أى مؤشر لحرب ، وعن أى فعل متعجل ، وعما يخل بالتوازن بينما مجلس الأمن ..... بالطبع بموعد محدد ، يسرى مثلا من ٢٦ مايو إلى ٩ أو ١٠ يونيو .. وفى ظنى أنه قد ...... فلقد حدث أيضا خلال الأزمة الكوبية أنى توجهت بالنداء إلى السادة خروشوف وكنيدى وكاسترو ، راجيا من السيد خروشوف ألاّ يرسل أى سفن حربية لمدة أسبوعين أو ثلاثة .. ومن السيد كنيدى أن يفك حصاره لمدة أسبوعين أو ثلاثة .. ومن السيد كاسترو أيضا إيقاف إنشاء مواقع صواريخ سام لمدة أسبوعين أو ثلاثة .. وهكذا أثمر الجهد ، حيث أتاح لنا مناخا مناسبا نوعا .

■ الرئيس عبد الناصر : ولكن على فرض أن الإسرائيليين بعثوا بسفنهم ، فماذا سيكون عليه موقفنا ؟

□ يو ثانت : المفترض أنهم ذوى إدراك إلى حد مناسب ، إذ أن هذا التصرف ينطوى على المجازفة .

■ **الرئيس عبد الناصر : نحن لا نستطيع مجرد النظر فى هذا ، لأننا لا نستطيع إصدار الأوامر لقواتنا ، بمشاهدة السفن الإسرائيلية مارة على مسافة ميل واحد من مواقعهم .**

□ **يو ثانت : إن هذا سيكون انتهاكا لفحوى النداء الذى أتجه به .. وطبعا أنا لا أعرف ماذا سيكون عليه رد فعل الإسرائيليين ، حيث أنى للمرة الأولى صباح اليوم أقوم بإبلاغ السيد رياض بهذه الأفكار .**

■ **الرئيس عبد الناصر : هذا معناه أننا نجمد الموقف برمته لمدة ...**

□ **يو ثانت : لمدة أسبوعين تحديدا ، أو نحو ذلك .**

■ الرئيس عبد الناصر : (باللغة العربية) ما رأيك يا دكتور فوزى ؟ ..

□ محمود فوزى : (باللغة العربية) بادىء ذى بدء ، إذا هم لم يمروا فلن تكون هناك مشكلة .. تقولون سيادتكم إننا بدأنا نفتش السفن .. وعلى هذا النحو ليس هناك ...

عبد الناصر و يو ثانت

إذا هم لم يمروا فليس هناك مشكلة .. هذا معناه خطوة أولى ، وسوف نرى ما سيكون عليه رد فعلهم .

■ **الرئيس عبد الناصر :** (باللغة العربية) أهذا هو رأيك يا رياض ؟

□ **محمود رياض :** (باللغة العربية) نعم ، إذا هم لم يمروا ..

■ **الرئيس عبد الناصر :** (باللغة العربية) **حسنا .. إذا نحن بدأنا ، فكيف نستط إيقاف التفتيش ؟ ..**

□ **محمود رياض :** (باللغة العربية) **على أساس امتناعهم عن المرور ، والأمر يتوق على إعلان القبول . إنهم لا يستطيعون .**

■ **الرئيس عبد الناصر :** (باللغة العربية) **لو كان الأمر سيقتصر علينا وعلى إسرائ سيكون أفضل (باللغة الانجليزية) لو كان الإعلان سيكون موجها ا**

ولإسرائيل ، سيكون ذلك أفضل لأننا بدأنا تفتيش السفن اليوم ، فإذا استمر هذا فسوف يكون .... نحن لن نثير متاعب لمدة هذين الأسبوعين .. سنجعلهما خاليين من المتاعب . نحن لا نستطيع القول بأننا بدأنا ثم توقفنا فيما بعد .. ولكن دع الإسرائيليين لا يمروا ، فلا تكون لدينا متاعب .. إن الإعلان سيوجه إلينا وللإسرائيليين على حد سواء .. وسيكون هذا خيرا ، وفى ظنى أننا نقبله .

□ يو ثانت : أشكركم كثيرا .. أشكركم كثيرا .

□ محمود رياض : (باللغة العربية) لا أفهم أن الأمر سيكون بيننا وبين إسرائيل ..
لقد قلتم سيادتكم إنه لن يكون هناك ذكر للأطراف الأخرى .. سوف تكون هناك مشكلة بصدد السلع الأخرى ، بمعنى أنها تمر .

■ الرئيس عبد الناصر : (باللغة العربية) كلا .. سوف لا تمر الأخرى .. أو .. ما رأيك ؟ ..

□ محمود رياض : (باللغة العربية) ناقلات البترول مثلا ..

■ الرئيس عبد الناصر : (باللغة العربية) البترول سلعة استراتيجية .

□ محمود رياض : (باللغة العربية) سوف تمر إذن إذا لم نوجه النداء إلى أطراف ثالثة .

■ الرئيس عبد الناصر : (باللغة العربية) هذا معقول لأننا عندما نوقف الناقلات ستبدأ المشكلة - إسرائيلية أو غير إسرائيلية . إننى ميال للموافقة على فكرة الموراتوريوم ولكن هل ستلتزم إسرائيل ؟

□ محمود رياض : (باللغة العربية) المفترض أنهم سوف يحترمون الإعلان .. وهذا مفترض بالنسبة لكل طرف ، فإذا حدث أن أحدا لا يحترمه فعندئذ نبطل العمل به .

■ الرئيس عبد الناصر : لا نستطيع أن نسمح بمرور البترول .

□ جنرال ريكى : البترول ، نعم .

☐ **محمود فوزى :** إنه سيكون اتفاق جنتلمان على عدم مرور أية مادة استراتيجية ، بما فى ذلك البترول .

☐ **جنرال ريكى : نعم . البترول ، لأنه مادة استراتيجية .**

☐ **محمود فوزى :** (باللغة العربية) أنا لا أرى ضررا من أن يكون النداء موجها لكل طرف .

■ **الرئيس عبد الناصر : وزير الخارجية على حق ، لأننا إذا لم نجعل النداء موجها إلى الأطراف الثالثة ، فسوف تكون هناك ناقلات بترول ، ونحن سوف نوقف الناقلات .**

☐ **يو ثانت :** هذا صحيح .

(محادثات عامة)

☐ **جنرال ريكى :** ترى يا سيدى أن السكرتير العام يقترح أنه لا يكون هناك تغيير لمواقع قواتكم .. أعنى أنها ستبقى حيث هى ، وكما تعرف عن يقين ، إن الممر ضيق بحيث يمكنكم حتى القذف بقنابل يدوية .

■ **الرئيس عبد الناصر : نحن لا نفكر فى أمر الممر ، وإنما نفكر بشأن الهجوم الإسرائيلى . فأنت كما تعرف طبعا أننا نفكر بأن الإسرائيليين سوف يفعلون شيئا .**

☐ **جنرال ريكى :** نعم .

■ **الرئيس عبد الناصر : إننا لا نستبعد الآن هجوما إسرائيليا ، متى ستشن إسرائيل الهجوم ؟ إن أول هجوم محتمل يكون شرم الشيخ ، لأن هذه هى منطقة النزاع .. ومن ثم فإن المسألة الآن لا تتعلق بالسفن . إنها أكبر من ذلك .**

☐ **جنرال ريكى :** تماما .. إن اقتراح السكرتير العام لن يفسد هذا ... وإذا حاول إسرائيلى المرور ، ففى ظنى أنه سوف يتعرض لضرب شديد من جانب رجالكم .. وسوف يكون من السخف قطعا شن هجوم .

■ **الرئيس عبد الناصر : سوف نوقف ناقلات البترول فى الدرجة الأولى .. ولن نوقف الأغذية أو أى سلع أخرى . لأن هذا ما كان عليه الموقف فيما قبل سنة ٥٦ ..**

ولسوف تكون هناك طبعا دول عربية على وجه التأكيد تقول : لماذا لا توقفون كل شيء ؟ .. لا بأس ، ولكننا لا نريد مرور أية مواد استراتيجية ، وبصفة رئيسية البترول .

□ **يو ثانت :** نعم .

■ **الرئيس عبد الناصر :** لا نستطيع السماح بهذا .

□ **جنرال ريكى :** سيدى .. هل يهمكم إيجاد أية مراقبة يدبرها السكرتير العام بالنسبة للسفن ؟ .. لأن التقارير الآن سوف تجيء من قواتكم على افتراض أنها شاهدت سفينة ما . فإذا كان هذا الاقتراح مقبولا لمدة أسبوعين ، فهو ما أبحثه الآن كتدبير عملى . فهل يهمكم هذا ؟

■ **الرئيس عبد الناصر :** سوف تكون هناك مواد .....

□ **جنرال ريكى :** فى الداخل ؟

■ **الرئيس عبد الناصر :** نعم ، فى الداخل .

□ **جنرال ريكى :** هذا ما قد لا نعرفه يا سيدى .

■ **الرئيس عبد الناصر :** سوف تكون هناك مواد داخل السفن .. فإذا ما قالوا إنهم شاهدوا سفنا ...

□ **جنرال ريكى :** هذا ممكن بالنسبة لناقلات البترول أو أى سفن حربية ، أو أى شيء محمول على ظهور السفن يمكن رؤيته بسهولة . لأن هذه الشاحنات تحمل الكثير داخل هياكلها ، ولكن طالما نحن هناك ، قد يكون من الحكمة تحرير مذكرة عن كل سفينة .. اسم السفينة ، والعلم الذى ترفعه ، وما تحمله بالضبط ، لأنكم تستطيعون فعلا إلقاء قنبلة يذوية فى قمرة (مقصورة) القبطان ، إذ هى أقرب اليكم مما مضى . وهذا أمر يمكن تدبيره بسهولة ، ولا أظن أنه يمكن تدبير أى شيء أكثر تعقيدا .

■ **الرئيس عبد الناصر :** نعم ، ولكنك تعرف أنه لا يمكن أن تكون لدينا مراقبة من الأمم المتحدة بسبب الأوضاع الحربية ، التى هى على جانب كبير من الخطورة .

□ **جنرال ريكى :** لقد فهمت حينما قلت هذا يا سيدى .

■ الرئيس عبد الناصر : إن الجيش فى انتظار الإسرائيليين هناك .. وإذا أوفدنا أحدا من الأمم المتحدة ، فإن هذا سوف يلقى معارضة كلية من الجيش .
وهذا بصراحة شعور الجميع .. ومن ثم لا نستطيع القول بأنه يمكننا .....

□ يو ثانت : نفهم هذا يا سيادة الرئيس .. يمكننى فهمه .

■ الرئيس عبد الناصر : إن الوضع خطير جدا ..

□ يو ثانت : وشرم الشيخ نقطة مهمة ..

■ الرئيس عبد الناصر : نعم ، من وجهة النظر العسكرية .

□ يو ثانت : نعم ، والخطوة التالية أمامى الآن ستكون الحصول على القبول الإسرائيلى باقتراحى الموراتوريوم ، وسأقوم الآن بإرسال برقية إلى رالف بانش بعد العشاء .

■ الرئيس عبد الناصر : لمدة أسبوعين .

□ يو ثانت : نعم ، لمدة أسبوعين ، فإذا رفضوا فسوف تكون هناك مشكلة لأنه حسبما تضمنته البرقية التى تلقيتها اليوم من رالف بانش ، أخبره جولدبرج بأن الولايات المتحدة قد طلبت فعلا من إسرائيل الامتناع عن المرور فى المضايق ، وأن رد فعلهم كان سلبيا ، ومن ثم فإننى لا أعرف ما إذا كانت الولايات المتحدة لاتزال تمارس جهدها مع إسرائيل . وعلى ذلك يمكننى انتظار ....

□ جنرال ريكى : نعم ، بطبيعة الحال .

□ يو ثانت : .... قبل أن أوجه نداء . وثمة شىء آخر مادام مجلس الأمن منعقدا .. أنا لا أعرف مواعيد الطيران : هل من سبيل يا سيدى الرئيس للاستئذان فى الرحيل صباح الجمعة فى الساعة التاسعة عن طريق روما ونيويورك .. ومادام مجلس الأمن منعقدا ، وإذا نحن أنهينا مناقشاتنا صباح غد ، لا أدرى ما إذا كانت هناك طائرات تسافر إلى روما مساء .... فى ظنى أن مهمتنا تكون قد انتهت فيما بعد اجتماع صباح الغد ، وعلى ذلك فإنه إذا كانت هناك طائرة فسوف أرحل غدا ، لأننا سنجتمع غدا لمدة ساعة أو زهائها ، حسبما يكون ذلك ملائما ، لتلخيص ما دار بيننا ، ومن ثم أريد أن أكون ليلة غد فى نيويورك حتى أستطيع المساهمة أيضا فى اجتماعات مجلس الأمن .. »

ثم تشعبت المناقشات بعد ذلك إلى كل ما يتصل بالموقف الدولى العام ، وفى موضوع من الحديث قال « يو ثانت » بالحرف الواحد للرئيس :

ـ « إن أحد جيرانى وهو المستر « هارتيك » من ولاية انديانا ، وهو عضو شيوخ ليبرالى جدا ، جاء لزيارتى قبل أن أجىء هنا مباشرة وقال لى إن الرئيس « جونسون » قرر ليس المضى فى سياسته فى فيتنام فقط ، بل التصعيد التصعيد التصعيد . وإذا كان الرأى العام ضده ، فهو لن يرشح نفسه لمدة رئاسة أخرى . لقد استقر قراره على هذا ، ولكنه يشعر أنه على صواب . وإذا كانت نسبته فى الاستفتاءات منخفضة ، فهو لا يعبأ حقا . إنه لن يرشح نفسه فى الانتخابات . هذا ما قاله لى . »

وكان الربط بين فيتنام والشرق الأوسط مازال يطرح نفسه بشدة .

□

وكان ظاهرا الآن أن « يو ثانت » ينتابه شعور بأن عليه أن يعود إلى نيويورك فى أسرع وقت ممكن . وهكذا غادر القاهرة عائدا إلى نيويورك فى اليوم التالى مباشرة . لقد أحس نتيجة لما تلقاه من البرقيات من سكرتاريته فى نيويورك (وغيرها من المصادر) أن اتجاه الحوادث يفرض عليه العودة سريعا إلى مقر منصبه .

الفصل الثانى

سباق مع العاصفة

عندما وصل « يو ثانت » إلى نيويورك عائدا من القاهرة مساء ٢٦ مايو ، كان مقر الأمم المتحدة مفتوحا لتيارات عنيفة وصامتة راحت جميعا تتصادم فى أروقته وقاعاته .

وكتب السفير « محمد القونى » برقية شفرية[١] قال فيها :

« شكرنى السكرتير العام عندما استقبلته فى المطار على كرم ضيافة وحفاوة الرئيس وحكومة الجمهورية العربية المتحدة . كان هناك جو مصطنع للتأثير على يو ثانت قبل أن يعد تقريره إلى مجلس الأمن . قابلت كل من سفيرى الهند والاتحاد السوفيتى لمقاومة هذه العوامل الضاغطة قبل أن يجتمع السكرتير العام مع ممثلى الدول الغربية . قيل لى إن السكرتير العام تحاشى تحديد مواعيد لأى مقابلات اليوم وغدا قبل إصدار تقريره ، وعكف مع رالف

(١) محفوظات وزارة الخارجية - البرقية رقم ١٤٠/٣٠٠٨ .

بانش ومساعديه على إعداده لتوزيعه ظهر الغد . سيحدد موعد اجتماع مجلس الأمن ليكون غالبا يوم الاثنين ، إلاّ إذا أصر الجانب الغربى على بعد ظهر الأحد .

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

وبعد ساعات عاد السفير « القونى » يكتب إلى القاهرة برقية شفرية[٢] كان نصها كما يلى :

☐ « **أولا** : تقرر عقد مجلس الأمن يوم الاثنين بعد الظهر . حاولت الدانمارك وكندا عقده مساء اليوم أو الأحد . عارضت فى ذلك الأغلبية من الأعضاء غير الدائمين بالمجلس الذين اجتمعوا بناء على دعوة الدانمارك . تغيب عن الاجتماع بلغاريا ومالى .

أبلغنى سفير الدانمارك أن الدكتور بانش اقترح عليه بصفته رئيس مجلس الأمن فى الشهر القادم أن يزور بموافقة المجلس القاهرة وإسرائيل وسوريا لبحث الموقف وتقديم تقرير إلى المجلس . لم يعرض بانش هذا الاقتراح على يو ثانت .

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

كانت شكوك « القونى » تتزايد كل يوم فى مواقف « بانش » ودوافعه . وقد بدا له من غير الطبيعى أن يغطى « بانش » على رحلة السكرتير العام للأمم المتحدة برحلة أخرى يقوم بها رئيس مجلس الأمن . كما بدا له مستغربا أن يفعل « بانش » ذلك من وراء ظهر « يو ثانت » ، ولكن « القونى » كان يثق فى « يو ثانت » . وعندما أصدر « يو ثانت » تقريره المرتقب بادر السفير « القونى » فبعث إلى القاهرة ببرقية شفرية[٣] قال فيها بالنص :

« بالإشارة إلى برقيتنا المفتوحة رقم ٦٨ - (برقية بعث فيها بنص تقرير يو ثانت إلى مجلس الأمن عن رحلته للقاهرة وعن الإجراءات التى ينوى اتخاذها لمواجهة الموقف

---

(٢) محفوظات وزارة الخارجية - البرقية رقم ١٤٣/٣٠٦١ .

(٣) محفوظات وزارة الخارجية - البرقية رقم ١٤٤/٣٠٦٠ .

المتفجر فى الشرق الأوسط) - ويعتبر تقرير السكرتير العام فى رأى الغالبية هنا أنه فى صالحنا . فيما يلى أهم الملاحظات :

١ ـ دفاعه عن قرار انسحاب قوات الطوارىء كان قويا مفحما إلى حد مهاجمة ناقديه ، وكذلك موقف إسرائيل من تلك القوات .

٢ ـ إبراز موقفنا بعدم المبادرة بالقيام بعمل هجومى ضد إسرائيل والتمسك فحسب بالرجوع بالموقف إلى ما كان عليه قبل عدوان سنة ١٩٥٦ .

٣ ـ أهم فقرة قد تستغل فى غير صالحنا هى الفقرة العاشرة من التقرير عن توجيه نظر حكومتنا أثناء زيارته إلى العواقب الخطيرة التى قد تنجم عن تقييد حرية الملاحة فى مضيق تيران . إنما من السهل تفسير هذا الجزء الأخير على ضوء ما جاء فى بداية هذه الفقرة بأنه إيضاح واقعى للموقف الحالى بيننا وبين إسرائيل ، إذ نتمسك بتقييد حرية الملاحة بينما تعتبر إسرائيل ذلك سببا للحرب - أى أن هناك احتمال للتصادم بيننا وبينهم .

٤ ـ أشار إلى أهمية الخلافات الأخرى التى تهدد السلام فى الشرق الأدنى .

٥ ـ صميم اقتراحات يو ثانت :
أ ـ الدعوة إلى كسب الوقت لوضع أساس لتهدئة الموقف .
ب ـ التخفيف من حدة التوتر فى المنطقة بتقوية أجهزة الهدنة .
جـ ـ ما أشار إليه فى الفقرة ١٨ والتمسك بدور الأمم المتحدة فى المستقبل .

المندوب الدائم

سفير محمد عوض القونى »

□

وكان « يو ثانت » فعلا يحاول أن يكسب وقتا ، وقد شرح وجهة نظره فى اجتماع مع ممثلى الدول الأربع دائمى العضوية فى مجلس الأمن . كذلك شرح وجهة نظره فى اجتماع مجلس الأمن نفسه ، وألحق ذلك باتصالات أجراها مع كل الأطراف ، ثم استقر رأيه على فكرة الـ « موراتوريوم » التى طرحها فى القاهرة على الرئيس « جمال

عبد الناصر » وبحثها بعد ذلك فى نيويورك مع كل الأطراف المعنية . وفى يوم ٢٧ مايو بعث السفير « القونى » ببرقية شفرية[٤] كان نصها :

« إلى السيد الرئيس

أخطرنى يو ثانت الآن أنه سوف يوجه عن طريقى رسالة إليكم ويرجو إطلاعكم شخصيا عليها ، كما يرجو أن يتلقى من سيادتكم ردا عليها فى أسرع وقت .

(إمضاء)

محمد عوض القونى »

ولم يمض بعد ذلك أكثر من نصف ساعة حتى عاد السفير « القونى » يبعث ببرقية[٥] تحمل رسالة « يو ثانت » إليه ، وكانت على شكل نداء نصه بالحرف كما يلى :

« سيادة الرئيس

إننى أعرف من محادثاتى الأخيرة معكم ومع وزير الخارجية محمود رياض ، أنكم تتفهمون تماما الدوافع التى تدعونى إلى توجيه هذا النداء الشخصى والعاجل جدا إليكم .

إنكم سوف تلاحظون أن ما أطلبه منكم ينبع فقط من رغبتى ومن مسؤوليتى العميقة التى تدعونى إلى عمل كل شىء فى استطاعتى من أجل تفادى كارثة نشوب حرب جديدة فى الشرق الأدنى .

وخلال زيارتى للقاهرة فإن موقفكم وسياستكم فى مسألة مضايق تيران قد جرى إيضاحها لى ، وأريد أن أركز على الأهمية الكبرى التى أعلقها على رد فعل إيجابى من جانبكم لمناشدتى هذه لكم ، بدون تأثير ضار على موقفكم أو سياستكم .

إننى أطلب وقتا ، ولو فسحة محدودة من الوقت ، لكى أستطيع أن أعطى فرصة للمشاورات وللجهود الدولية التى تحاول أن تبحث عن مخرج من الموقف الحرج الراهن ..

---

(٤) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١٤٨/٣١٠١

(٥) أرشيف منشية البكرى ومحفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١٤٩/٣١٠٨ ـ وتوجد نسخة منها فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٢٩)صفحة ١٠١٦ .

وأريد أن ألفت انتباهكم بصفة خاصة إلى ما قلته فى تقريرى إلى مجلس الأمن بتاريخ ٢٦ مايو . إننى أرى أن إيجاد مخرج سلمى من هذه الأزمة يتوقف على فسحة لالتقاط الأنفاس تسمح بتخفيف حدة التوتر من مستواه المتفجر الحالى .

وبناء على ذلك فإننى هنا أدعو جميع الأطراف المعنية إلى ممارسة أقصى ضبط النفس ، وإلى تجنب أى أعمال عدائية يكون من شأنها زيادة التوتر ، وهدفى من ذلك أن أعطى مجلس الأمن فرصة لعلاج المشاكل التى تنطوى عليها الأزمة ، والبحث عن حلول لها .

وإنى الآن أناشدك يا سيادة الرئيس ، كما أناشد رئيس الوزراء أشكول وكل الأطراف المعنية إلى ممارسة أقصى درجات الحذر عند هذا المنعطف الخطير .

وبالذات ، وبدون طلب أى تعهدات منكم ، أو حتى رد ، فإنى أريد أن أعرب عن الأمل فى أن تمتنعوا خلال مدة أسبوعين من لحظة استلامكم لهذه الرسالة - عن أى تدخل فى الملاحة غير الإسرائيلية التى تطلب المرور عبر مضايق تيران .

وفى هذا الخصوص فهل لى أن أخطركم ، وفى كل الأحوال ، أن لدىّ من الأسباب ما يجعلنى أفهم أنه فى الظروف العادية فإنه ليس متوقعا أن تحاول أى باخرة تحمل العلم الإسرائيلى عبور مضايق تيران خلال مدة الأسبوعين المحددين ، بل إنى أستطيع أن أؤكد لكم ، حسب أدق المعلومات لدىّ ، بأنه خلال السنتين والنصف الأخيرة وفى واقع الأمر لم تقم أى باخرة ترفع العلم الإسرائيلى بالمرور فى مضايق تيران .

وأستطيع أن أكرر لكم ، يا سيادة الرئيس ، أننى بصفة خاصة ، وكذلك المجتمع الدولى كله بصفة عامة ، سوف نقدر تقديرا كبيرا هذه المبادرة من جانبكم .

وأرجوكم أن تقبلوا يا سيادة الرئيس أصدق أمانى واحترامى الشخصى .

يو ثانت »

وقرأ « جمال عبد الناصر » نداء « يو ثانت » وأعاد قراءته عدة مرات ، ثم اتصل بالدكتور « محمود فوزى » تليفونيا ، وبعده اتصل بالمشير « عبد الحكيم عامر » وبالسيد « زكريا محيى الدين » ، وبعدها أملى رسالة إلى السفير « القونى » طلب فيها « **إبلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة بموافقته على بيانه ، وأن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر نفسها ملتزمة به منذ هذه اللحظة** » . **كان تفكيره يتفق مع « يو ثانت » فى نقطة ضرورة كسب الوقت ، وكان اعتقاده أن فترة أسبوعين (من ٢٩ مايو إلى ١٢ يونيو) ـ تعطى لأطراف الأزمة المباشرين وللعالم المشدود إليها فرصة لالتقاط الأنفاس .**

وبالإضافة إلى ذلك فلقد كانت لديه دوافع أخرى .

صباح يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ ـ غداة مقابلته لـ « يو ثانت » ـ كان « جمال عبد الناصر » يتلقى تقارير من وزارة الداخلية مؤداها أن عملية بدأت ـ بهدوء ـ لترحيل الرعايا الأمريكيين فى مصر . فقد تلقى عدد كبير منهم إخطارات من القنصليات الأمريكية تطلب إليهم فيها أن يجهزوا أنفسهم لمغادرة مصر فى ظرف أسبوع على الأكثر . ولم يكن « جمال عبد الناصر » متأكدا من دقة هذه التقارير وطلب تأكيدات إضافية لمدى صحتها .

وبعد ساعات كانت الصحف الأمريكية الصادرة صباح هذا اليوم تحمل إليه بنفسها هذا التأكيد . فقد نشرت كل من الـ « نيويورك تايمز » والـ « واشنطن بوست » صباح هذا اليوم نبأ يقول إن وزارة الخارجية الأمريكية نصحت الرعايا الأمريكيين فى كل من مصر وإسرائيل بأن يعدوا أنفسهم لمغادرتهما . وفى مساء نفس اليوم كان السفير « مصطفى كامل » يبعث إلى وزارة الخارجية ببرقية شفرية(٦) كان نصها :

☐ « أولا :

١ ـ اجتمعت اليوم بمساعد وزير الخارجية السفير باتل ثم بالسفير كوهلر نائب وزير الخارجية وذلك لمتابعة الموقف .

---

(٦) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ١٧٢/٣٠١٥ . وتوجد صورة للصفحة الأولى منها فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣٠) صفحة ١٠٢١ .

٢ ـ استعرضت معهما ما نشرته الصحف حول ترحيل الرعايا الأمريكيين ببلادنا وإسرائيل . أشرت فى هذا الشأن إلى الآتى :

أ ـ إن الوضع بالمنطقة حساس ، وأن المصلحة هى فى اتخاذ جميع الخطوات لتخفيف التوتر وتجنب ما يزيده ، وأن مثل هذا الإجراء لا يساعد فى هذا الصدد بل قد ينشر الذعر ويثير الشكوك .

ب ـ وأن اتخاذ هذا القرار فى وقت لم يقدم فيه سكرتير الأمم المتحدة تقريره قد لا يكون مناسبا من حيث الشكل والموضوع .

جـ ـ وأضفت إلى أننى أشير إلى تقاليدنا فى هذا الشأن ومن ثم تحدثت عن المعاملة الكريمة التى عومل بها رعايا بريطانيا وفرنسا خلال العدوان الثلاثى .

د ـ واستطردت فقلت إننى كممثل للجمهورية العربية المتحدة أود أن أقرر رعاية حكومتى لسلامة الأجانب فى بلادنا .

هـ ـ وأنهيت حديثى حول هذه المسألة فرجوت السفير باتل أن يرفع إلى السلطات المختصة وجهة نظرى فى هذا الشأن ، ولعلها تعيد النظر فى هذا القرار .

٣ ـ قال السفير باتل الآتى :

أ ـ إنه يود أن يؤكد أن هذا إجراء روتينى «Standard» ولا ينبع عن تقدير بأن الحرب ستقع ، ومن ثم فهو احتياط يتبع فى حالة الأزمات الدقيقة .

ب ـ وأضاف بأن هناك مسألة عملية مقتضاها أن ترحيل مئات من الرعايا يقتضى وقتا ، ومن ثم اضطروا لاتخاذ هذا القرار حتى لا يفاجأوا بالمشاكل العملية إذا اقتضى الحال ذلك .

جـ ـ وأنهى حديثه حول هذا الأمر بأن قال بأن ملاحظاتى فى هذا الشأن تستحق الدراسة من السلطات المختصة وسيفيدنى بالنتيجة .

□ ثانيا :

ولما تسائل السفيران باتل وكوهلر عن تقديرى لآخر تطورات الموقف ذكرت الآتى :

١ ـ إنه من حسن الحظ أن السلم لا يزال قائما وأن أحدا لم يبدأ الحرب .

٢ ـ وأن الرئيس عبد الناصر قد أجرى مباحثات هامة مع السكرتير العام للأمم

المتحدة ، ووعده بالتعاون معه وتسهيل مهمته فى حدود سيادتنا والاعتبارات المتعلقة بأمن بلادنا .

٣ ـ وأن المصلحة ترك الأمر للسكرتير العام للأمم المتحدة باعتباره الهيئة المختصة ، وإعطاء الفرصة لإيضاح كل لوجهة نظره ، ومحاولة إيجاد الحلول السلمية التى تتفق مع المصالح المشروعة .

٤ـ وأنه من المصلحة ألاّ تتدخل الولايات المتحدة أو تدفع بطريقة أو أخرى لتكون طرفا ثالثا فى النزاع .

. . . .

□ ثالثا :

قال كل من السفيرين :

أ ـ إنهما يشعران بارتياح لتبادل الرأى بين الرئيس عبد الناصر والسكرتير العام .

ب ـ وأنهما يأملان أن تقوم الأمم المتحدة بدور فعال عاجل لتهدئة الأزمة الحالية .

جـ ـ وأن الحكومة الأمريكية تساند السكرتير العام فى جهوده فى هذا الشأن .

السفير

مصطفى كامل »

□

كان « جمال عبد الناصر » على موعد فى القيادة العامة للقوات المسلحة لاجتماع مع هيئة القيادة العليا تحدد له الساعة الثامنة مساء .

وكانت الساعة تقترب من الحادية عشرة مساء حينما اتصل « جمال عبد الناصر » بالدكتور « محمود فوزى » فى بيته الريفى قرب « البدرشين » يسأله إذا كان قد نام . ورد الدكتور « فوزى » بأن الوقت مازال مبكرا وأنه عاكف على قراءة بعض التقارير . وسأله الرئيس « جمال عبد الناصر » إذا كان يستطيع أن يمر عليه فى بيته ، وأبدى الدكتور « فوزى » استعداده للذهاب هو إلى بيت الرئيس ، ولكن الرئيس عاجله قائلا « إنه يفضل

هو أن يذهب إليه ، وهى على أى حال « فسحة » . »[٧]

وبرغم مرح ظاهر بدا عليه وهو يدخل بيت الدكتور « فوزى » ويجلس معه فى شرفة الدور الأرضى المفتوحة على الحديقة الواسعة ـ فقد كان واضحا أن انشغاله بالتطورات الجارية يملأ كل حواسه . ولم يضيع « جمال عبد الناصر » وقتا وإنما بدأ على الفور بآخر التطورات قائلا « بأنها تثير قلقه » . ثم حدد حدثين بالذات :

□ **أولهما** : دعوة الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » إلى إنشاء قوة بحرية تشترك فيها الأساطيل الحربية لعدد من الدول البحرية فى العالم ، وفى مقدمتها الدول الغربية الثلاث ، ودول مثل إيطاليا والدانمارك والسويد (مع توجيه الدعوة للاشتراك فى هذه القوة البحرية إلى الاتحاد السوفيتى إذا أراد) **على أساس أن قيام مصر بتقييد الملاحة الإسرائيلية فى الخليج يعتبر تعرضا لمبدأ حرية البحار ، إلى جانب أن الولايات المتحدة نفسها ونيابة عن مجتمع الأمم قدمت تعهدات صريحة (وإن كانت سرية) فى هذا الشأن لإسرائيل سنة ١٩٥٧ .**

□ **وكان الحدث الثانى** الذى ركز عليه « جمال عبد الناصر » اهتمامه هو عملية ترحيل الرعايا الأمريكيين من مصر . وكان تقديره أن تلك مقدمة تعنى أن هناك شيئا وراءها . وأشار فى هذا الصدد إلى تقرير الدكتور « مصطفى كامل » من واشنطن ، ولم يكن الدكتور « فوزى » قد اطلع عليه بعد . وأعطاه « جمال عبد الناصر » ملخصا وافيا لما يحتويه .

واتصل حبل الحديث وتعددت الآراء والتحليلات ، وكان بين ما قاله الدكتور « فوزى » إنه « يسلم بأن ما يبدو من الموقف الأمريكى مزعج إلى أبعد حد . **وأن التصرفات الأمريكية فى الأزمة كلها تبدو مثل كتل الجليد أقلها ظاهر فوق السطح وأكثرها خفى تحته . وفى كل الأحوال فنحن نعلم مما هو متاح لنا أن هناك « ترتيبا » على نحو أو آخر بين الولايات المتحدة وإسرائيل . وقصارى اجتهاداتنا الآن أن نتحقق من بعد وعمق هذا الترتيب .** »

---

(٧) كان الرئيس « جمال عبد الناصر » يعرف أن الدكتور « محمود فوزى » ينام مبكرا فى العادة ، وكان يقدر أنه بذهابه إلى بيته قرب الحادية عشرة مساء قد يعطل له برنامجه الاعتيادى ، لكنه كان يشعر فى تلك الليلة أنه يريد أن يتحدث حديثا طليقا بعيدا عن الرسميات وبعيدا عن مكتبه . وقد طلب إلىّ أن أقابله فى بيت الدكتور « محمود فوزى » وكنت هناك بالفعل قبل وصول الرئيس ، وكان هو الذى يقود سيارته بنفسه وإلى جانبه السيد « محمد أحمد » رئيس السكرتارية الخاصة وقتها .

وكان بين ما ذكره « جمال عبد الناصر » خلال الحديث أنه قرأ تقريرا من مكتب المخابرات العسكرية المصرية فى غزة يتضمن معلومات منسوبة إلى الجنرال « أودبول » كبير مراقبى الهدنة (وهو يحتفظ بهيئة كبيرة من مساعديه فى غزة) - وقد نسب هذا التقرير إلى الجنرال « أودبول » أنه قال لعدد من ضباط الهدنة فى غزة أثناء اجتماع عقده معهم « **إن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - وبالذات أجهزة المخابرات - متشوقة للحرب الآن** » . ثم نسب التقرير إلى الجنرال « أودبول » أنه قال لهذه المجموعة من ضباطه « **إنه حاول إثناء إسرائيل عن إقامة عرضها العسكرى السنوى فى مناسبة ذكرى إنشاء الدولة - فى مدينة القدس باعتبار أن ذلك مخالف لأحكام الهدنة ، وأنه دهش عندما سمع من الجنرال رابين رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى « أنه لا فائدة من أى تدخل يقوم به لأنهم مصممون على أن يكون العرض هذا العام فى القدس بالذات كرمز معنوى ، سواء كانت هناك أحكام فى اتفاقيات الهدنة تمنع ذلك أو لا تمنعه** » .

ثم نسب التقرير أيضا إلى الجنرال « أودبول » قوله « **إنه لم ير إسرائيل أبدا فى مثل هذا المزاج المتحفز ، ولذلك فهو يطالب ضباطه بأن يكونوا فى الأسابيع القادمة مفتوحى العيون والآذان** » .

وانتقل الحديث فى تلك الجلسة (والوقت يتعدى منتصف الليل) إلى محاولة تحليل ما وراء الحوادث الظاهرة . وكانت جميع التصورات المحتملة مفعمة بمخاطر قادمة . وكان التقدير الأرجح يتصور ما يلى :

١ - إن الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » يحاول فى الواقع أن يقوم ببناء نوع من الشرعية السياسية والقانونية والدولية لعمل ما فى خليج العقبة . وأن هذا هو الهدف الحقيقى وراء اقتراحه الذى تجرى حوله اتصالات محمومة الآن بإنشاء قوة بحرية دولية تتولى مسؤولية تأمين حرية الملاحة فى الخليج لكل الأطراف (وفى الواقع لإسرائيل وحدها) - حتى لو اقتضى الأمر استخدام السلاح .

٢ - وأن هذه المحاولة لبناء شرعية سياسية وقانونية ودولية تقتضى وقتا فى الاتصال بالحكومات المعنية وإقناعها ، وكذلك إعداد الرأى العام العالمى لمثل هذا الأمر وتهيئة فكره واستعداده للقبول به . كما أن هذا الوقت لازم أيضا للتأكد من موقف الاتحاد السوفيتى إذا ما تم تنفيذ الفكرة .

[وكان التقدير أثناء المناقشات أن الاتحاد السوفيتى سوف يرفض ، وأن هذا لن يعطل « جونسون » عن مشروعه عندما يجىء وقته ، ولكن الذى يمكن أن يعطله فعلا هو غياب توافق

بين الدول الغربية الكبرى على هذا المشروع . وكان الواضح أن فرنسا تعارضه ، وأن الجنرال ، ديجول ، يعتبره من أوله إلى آخره مشروعا أخرق وغير قابل للتنفيذ . كذلك كانت تعارضه بعض الدول البحرية المحايدة مثل الدانمارك والسويد] .

٣ ـ وقال « جمال عبد الناصر » فى موضع قرب نهاية الحديث إنه والأمور تجرى على هذا النحو فإن السيناريو الأقرب للاحتمال فى كل الترتيب الجارى الآن هو :

□ **الخطوة الأولى : أن تحاول الولايات المتحدة فتح الخليج بالقوة بتمرير العلم الإسرائيلى فى حماية المدافع البحرية الأمريكية .**

□ **وتجىء الخطوة الثانية : وهى خطوة مصر ، فإما أن تقبل بهذه المظاهرة المسلحة وتترك الملاحة الإسرائيلية حرة ، وفى هذه الحالة فإنها تفقد مصداقيتها . وإما أن تقاوم وفى هذه الحالة تجد نفسها أمام سلاح قوى أكبر من طاقتها بكثير .**

□ وتكون الخطوة الثالثة : فى هذا التصور ـ لإسرائيل التى قد تنتهز **فرصة أى اشتباكات فى الخليج وتدخل بقواتها إلى سيناء لدعم العمل البحرى بمجهود برى يضع قواتنا بين المطرقة والسندان .**

٤ ـ وكان تعليق الدكتور « فوزى » على هذا السيناريو هو « **إنها إذن سويس بالمقلوب ، ففى السويس كان التدخل الإسرائيلى طعما لتدخل بريطانى ـ فرنسى يجىء فى أعقابه . وتفكيرهم الآن ، وعلى أساس هذا التصور الذى طرحه الرئيس ، أن القوى المشتركة البحرية للدول الكبرى سوف تلعب هى دور الطعم ويجىء فى أعقابه تدخل إسرائيل** » .

٥ ـ وكان توافق الآراء فى نهاية هذه الجلسة فى شرفة بيت الدكتور « فوزى » فى « البدرشين » أن تكون أولويات العمل السياسى المصرى هى : **كسب الوقت ـ ثم عرقلة المحاولات الأمريكية لإنشاء قوة بحرية دولية مشتركة للعمل فى الخليج ، والتركيز بصفة خاصة على فرنسا لأن موقفها فى الأيام القليلة القادمة يمكن أن يكون مؤثرا ـ وقبل كل شىء وبعده فإن الاستعداد العسكرى لملاقاة التطورات لابد له أن يحشد كل إمكانياته ووسائله .**

وكانت كل هذه التحليلات والتصورات معقولة فى ظروفها . ولعل وجه النقص الأساسى فيها ـ مرة أخرى ـ هو المقارنة بالسويس . كان ظل أزمة السويس سنة ١٩٥٦ يفرض نفسه بشدة على أزمة خليج العقبة سنة ١٩٦٧ ، وكان هناك فارق عشر سنوات بين الأزمتين ، وكانت المياه قد تدفقت كثيرا فى كل بحار العالم .

عاد « جمال عبد الناصر » إلى بيته فى الساعة الثانية وعشر دقائق بعد منتصف الليل (يوم ٢٦ مايو) . وقد رأى أن يمر بمكتبه فى الدور الأول قبل أن يصعد إلى الدور الثانى . ووجد على مكتبه مظروفا من النوع الذى يعرفه وينتظره باستمرار . فقد كانت توضع على هذا النوع من الأظرف إشارات خاصة حمراء تلفت النظر إلى أهميته عند الاطلاع ، كما أنه كان نوعا نادرا من المظروفات التى يفتحها رئيس الجمهورية بنفسه . كان المظروف من إدارة الاستطلاع اللاسلكى التابعة للمخابرات العسكرية . وكانت تلك الإدارة وتقاريرها من أهم أسرار الدولة التى يحرص عليها « جمال عبد الناصر » ويتابع بنفسه أعمالها .

.. كان « جمال عبد الناصر » بحكم تجربة طويلة سابقة يقدر أهمية المعلومات المسبقة عن نوايا العدو وخططه فى وقت أزمة معه . وكان قد اهتم مبكرا بموضوع المخابرات اللاسلكية وحل الشفرات ، وبدأ اهتمامه عمليا مباشرة بعد السويس . وفى بداية الستينات كانت مصر قادرة على التقاط معظم الإشارات اللاسلكية الطائرة فى أجواء المنطقة . وكان الجزء الأكبر منها فى ذلك الوقت مفتوحا لأن أحدا لم يكن يتحسب لامكانيات التقاط إشاراته من الجو . وقبل منتصف الستينات بدأ « **جمال عبد الناصر » يطلب عدم الاكتفاء بالتقاط الإشارات المفتوحة ، وضرورة الانتقال بعد ذلك خطوة إلى الأمام وتحقيق إمكانية النفاذ إلى أسرار الشفرات وكسر مغاليقها ، خصوصا وأن عددا كبيرا من دول المنطقة أو الدول المهتمة بها بدأت تشعر أن إمكانيات الالتقاط توافرت لدى آخرين ، ومن ثم بدأت تعمد إلى تشفير رسائلها .**

وفى سنة ١٩٦٤ كان بين أهم الموضوعات التى بحثها « جمال عبد الناصر » مع « خروشوف » أثناء زيارته لمصر إمكانية الحصول على جهاز التقاط قوى تستطيع به مصر أن تمسك بالإشارات التى تزدحم بها أجواء المنطقة ، والتى تبدو أنها برق سحاب فى الظلام يلمع ثم يختفى وتروح معه أسراره . وقد وافق « خروشوف » على الطلب ، وفى سنة ١٩٦٥ كان هناك

بالفعل جهاز كبير معقد تم فتحه وتشغيله (وظل يعمل دون كلل إلى ما بعد معركة سنة ١٩٧٣) .

كذلك وضع الاستطلاع اللاسلكى تحت الإشراف المباشر للواء « عماد محرز » مدير المخابرات العسكرية ، كما عهد بقيادة الاستطلاع اللاسلكى إلى العميد « اسماعيل شوقى » .

وفيما تبقى من سنة ١٩٦٥ وطوال سنة ١٩٦٦ كان نجاح الاستطلاع اللاسلكى جزئيا . فقد أمكن التقاط وحل شفرات كثيرة باللغة العربية ، كما أمكن التقاط وحل بعض الشفرات باللغة الانجليزية . وأما الشفرة الإسرائيلية فقد بدت مستعصية لأسباب مختلفة بينها دقة إجراءات الأمن وقلة عدد الخبراء فى اللغة العبرية . وكان هذا نقصا يجرى تعويضه ، ومع ذلك فقد تمكن الاستطلاع اللاسلكى من التقاط كثير من الإشارات البرية عن طريق أجهزة صغيرة وضعت فى العريش وغزة وأم أكتاف ، وكان فى مقدورها أن تعطى صورة تقريبية عن تحركات القوات الإسرائيلية على الجانب الآخر من الخطوط ، وإلى أبعاد تتراوح ما بين ثلاثين إلى أربعين كيلومترا . وقد كانت هذه الأجهزة هى التى استطاعت تقدير حجم الحشود الإسرائيلية التى راحت تتدفق إلى الجنوب ، كما استطاعت أن تحصل على أسماء الوحدات وعدد من أسماء القادة .

وكانت وحدة الاستطلاع اللاسلكى البحرى (وقائدها العقيد بحرى « محمود نديم ») هى التى استطاعت أن تحقق قفزة كبيرة ، فقد تمكنت من التقاط وحل عدد من شفرات الأسطول الأمريكى والأسطول البريطانى فى البحر الأبيض ابتداء من سنة ١٩٦٦ ، وحصلت نتيجة لهذا النجاح الكبير على استجابة كاملة لكل ما طلبته خصوصا من الضباط المهندسين الشبان ومن المعدات التى أمكن الحصول عليها .

ومع بداية سنة ١٩٦٧ كانت وحدة الاستطلاع البحرى من أهم مصادر المعلومات عما يجرى فى البحر الأبيض المتوسط . ومع ذلك فإن الشفرة الإسرائيلية ظلت مستعصية على هذه الوحدة ، رغم أنها تمكنت من تقدير الحجم الحقيقى للأسطول الإسرائيلى بصفة عامة عن طريق رصد الإشارات . وفى البداية فإن وحدة الاستطلاع البحرى أخطأت فى حساب وحدات هذا الأسطول لأن كل وحدة منها كانت تغير اسمها الرمزى بعد فترة زمنية معينة ، وبالتالى فإن قطعة بحرية واحدة كانت تظهر تحت أسماء مختلفة عدة مرات فى السنة . وترتب على ذلك أن العدد الذى رصدته وحدة الاستطلاع البحرى أكبر بكثير مما كان يمكن تصديقه . وبعد فترة تنبه خبراء الشفرة إلى الحقيقة واكتشفوا لغز تعاقب الأسماء على نفس الوحدات .

☐

وعندما بدأت أزمة الشرق الأوسط فى ١٤ مايو ١٩٦٧ ـ فإن « جمال عبد الناصر » طلب أن ترسل إليه كل النتائج التى تتوصل إليها وحدات الاستطلاع اللاسلكى فى أصولها الخام وقبل تحليلها . فقد كان يدرك أنه فى لحظات الأزمة يصبح عامل السرعة أهم من أى عامل آخر فى حسابات وتقديرات المواقف .

وقد كان الاستطلاع اللاسلكى هو مصدره الذى عرف منه بقرار إسرائيل اتخاذ إجراءات تعبئة جزئية يوم ١٧ مايو . وكان ذلك قبل إعلان النبأ رسميا من تل أبيب بعدة ساعات . ثم كان هو المصدر الذى عرف منه أن التعبئة الجزئية تحولت إلى تعبئة شبه كلية يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ . وكان ذلك قبل يومين من إعلان قرار إغلاق خليج العقبة .

وقد صدرت أوامر إلى وحدة الاستطلاع البحرى مع بداية الأزمة لكى تقوم بتركيز كبير على الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض المتوسط لأن تحركاته قد تكون مؤشرا هاما إلى الشكل العام للتحركات . وكان التقدير منذ البداية أن هذه المهمة لن تكون عسيرة لأن إجراءات الأمن والسيطرة على الأسطول الأمريكى كانت أضعف بكثير مما هو الحال مع الأسطول السوفيتى أو مع الأسطول الإسرائيلى ، وكلاهما كان خبراء وحدة الاستطلاع البحرى يعتبرونه طلسما يصعب النفاذ إليه بسبب شدة إجراءات الأمن والسيطرة .

وفى الأيام الأولى من الأزمة كانت وحدة الاستطلاع البحرى قد استطاعت رسم خريطة واضحة لأوضاع الأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط فى المناطق الثلاث التى كان ينتشر فيها ، وهى مناطق شرق ووسط وغرب البحر الأبيض المتوسط . وكانت منطقة الشرق تتسع من شواطىء البحر الأبيض الشرقية إلى خط يرتكز على جزيرة « كريت » . وكانت المنطقة الوسطى تمتد من جزيرة « كريت » إلى غرب جزيرة « سردينيا » . وكانت المنطقة الغربية تمتد من جزيرة « سردينيا » إلى جبل طارق . وكانت المشكلة الكبرى التى واجهها خبراء الشفرة فى وحدة الاستطلاع البحرى هى كثرة استعمال حروف الاختصار «Acronym» فى الرسائل . وعلى سبيل المثال فإنه فى بداية سنة ١٩٦٧ توقفت الوحدة طويلا أمام لغز القطع البحرية الأمريكية وحرفى «F W» . فقد التقطت إشارات عديدة من قطع بحرية تطلب الدخول إلى الموانى بسبب حاجتها إلى هذا الـ «F W» . ثم تولت إحدى القطع الأمريكية بنفسها حل اللغز أمام الخبراء ذات يوم حين أرسلت إحدى القطع

إشارة تقول فيها : « نطلب تصريحا بدخول الميناء فورا لاحتياجنا إلى «F W»» . ويبدو أن مسؤول جهاز الالتقاط على الناحية الأخرى من القاعدة البحرية كان مستجدا ، فقد بعث إلى القطعة البحرية إشارة غاضبة يقول فيها « بحق الجحيم ما هو هذا الـ «F W» ؟ » . وجاءه الرد من ضابط الإشارة على القطعة البحرية يقول له : «Fresh Water You Idiot !» ، أى « مياه عذبة أيها الغبى ! » . وفهم خبراء الشفرة المصريون أن «F W» التى حيرتهم طويلا ترمز إلى «Fresh Water» أى « مياه عذبة » .

□

وفى تلك الساعة المتأخرة من ليل ٢٦ مايو لمح « جمال عبد الناصر » مظروفا كبيرا ميزه على الفور بين كل ما كان على مكتبه من ملفات ، وحمله معه إلى الدور العلوى يقرأه قبل أن يأوى إلى فراشه .

كانت التقارير التى يحويها المظروف حافلة بالمعلومات ، وكلها تشير إلى تحركات واسعة بدا بعضها غريبا :

● كانت هناك مجموعة من الإشارات توحى بأن وحدات بحرية من خارج البحر الأبيض تنضم إلى الأسطولين الأمريكى والبريطانى فيه ، مع أن النسق الذى كان معروفا من قبل هو أنه عندما يراد تعزيز مجموعة بحرية فى منطقة معينة من البحر الأبيض ، فإن هذا التعزيز يتم من داخل مناطق هذا البحر نفسه ، وأما هذه المرة فقد كانت هناك ابتداء من يوم ٢٠ مايو وحدات من خارج البحر الأبيض تصدر إليها الأوامر بالتوجه إليه . وعلى سبيل المثال فقد كانت هناك أوامر بانضمام حاملة طائرات جديدة إلى الأسطول الأمريكى ، كما أن حاملة الطائرات البريطانية « هرمس » كانت قد صدرت إليها أوامر بالتوجه إلى البحر الأبيض لكى تحل محل حاملة طائرات أخرى كانت تعمل فيه من قبل فعلا . ولكن الحاملة التى كان يتعين عليها أن تفسح مكانها لـ « هرمس » صدرت إليها أوامر بأن تظل فى البحر الأبيض وتواصل العمل بجوار شقيقتها التى كانت فيه . وبدت الزيادة فى حاملات الطائرات فى البحر الأبيض لافتة للنظر بشكل غير طبيعى .

● وكانت هناك مجموعة إشارات أخرى متبادلة بين قاعدة « هويلس » الأمريكية فى ليبيا وقيادة الأسطول السادس وقائدها فى ذلك الوقت هو الأميرال

« مارتن » ، وكان مضمون هذه الإشارات يوحى بأن هناك مجموعة من ١٢٦ فردا من العسكريين الإسرائيليين يتدربون على مهام « من نوع ما » فى قاعدة « هويلس » ، والآن كانت الطائرات سوف تحملهم عائدين إلى قاعدة جوية فى إسرائيل .

● وكانت هناك مجموعة أخرى من الإشارات يظهر منها بجلاء ان نوعا من التنسيق الوثيق قد بدأ تطبيقه بين قيادة الأسطول البريطانى فى مالطه وقيادة الأسطول الأمريكى السادس فى نابولى .

وإلى جانب هذا وغيره فقد اطلع « جمال عبد الناصر » على تقرير كتبه رئيس وحدة الاستطلاع البحرى (العقيد بحرى « محمود نديم ») يطلب فيه التصريح بإرسال مجموعة استطلاع على ظهر قطعة بحرية مصرية كانت فى طريقها إلى البحر الأبيض ضمن برنامج رحلات مقررة لطلبة الكلية البحرية بالاسكندرية . كان رئيس وحدة الاستطلاع البحرى يشعر بأن التزاحم الطارىء فى قطع الأسطول الأمريكى والبريطانى يمكنها من استخدام موجات محدودة المدى للاتصال بغيرها من الوحدات أو بقياداتها . وبالتالى فإن التقاط إشاراتها من الاسكندرية أو القاهرة كان يزداد صعوبة مع مرور الأيام . وكان تقدير قائد الوحدة أنه إذا استطاع بواسطة رحلة بحرية بريئة أن يبعث ببعض أجهزته ورجاله عميقا فى عرض البحر ، فإن فرصته فى الحصول على صيد من المعلومات الدقيقة قد يكون مفيدا فى هذه الظروف الخطيرة .

□

وفى الصباح الباكر يوم السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧ كان « عبد الحكيم عامر » على موعد مبكر مع « جمال عبد الناصر » . وكان الرئيس يريد أن يبدى بعض الملاحظات على الاجتماع الذى حضره فى القيادة العامة للقوات المسلحة فى اليوم السابق . فقد لاحظ الرئيس « جمال عبد الناصر » فى هذا الاجتماع أن المشير « عبد الحكيم عامر » يتحدث بطريقة ظاهرة وبطريقة ضمنية عن الضربة الأولى ومن يوجهها والضربة الثانية ومن يتلقاها . وكان رأيه أن الدوران طويلا حول هذه المسألة من شأنه أن يخلق بلبلة لدى القيادات . فالحرب جهد سياسى شامل يدخل القتال كعنصر من عناصره فى وقت من الأوقات . وفى نطاق الأزمة الراهنة فإن مصر قامت بالخطوة الظاهرة الأولى فى حركة تصاعد الأزمة . وصحيح أنها تصرفت من موقف رد الفعل إزاء الحشود الإسرائيلية على سوريا ، إلاّ أن ما يحدث على الجبهة السورية من كثرة ترديده بسبب وبلا سبب

أصبح نوعا من الأزمات المزمنة لا تشد أنظار العالم ولا تثير التفاته ، والعالم بدأ يوجه انتباهه إلى المنطقة حينما بدأت مصر بتحريك قواتها إلى سيناء ، ثم ما ترتب على ذلك وتلاه من إجراءات فى خليج العقبة . وبذلك فإن العالم على اقتناع بأن مصر قامت بخطوتها الأولى . وكانت خطوة أولى مضاعفة (تحريك القوات وقفل الخليج) - وأن تقوم مصر الآن بتوجيه ضربة أولى فهذا معناه أنها تستعدى الكل عليها وتظهر أمام الجميع وكأن سياستها سلسلة متصلة من المغامرات . وفى معرض هذا الحديث قال « جمال عبد الناصر » لـ « عبد الحكيم عامر » : « بأى خطوة إضافية نقوم بها الآن فإننا نكون بمثابة من يقدم لجونسون ولإسرائيل الفرصة التى يطلبونها ، بل إن قوى كثيرة فى العالم سوف تجد مبررا لجونسون إذا هو أصدر أوامره للأسطول الأمريكى السادس ولقواعده فى ليبيا أن تبدأ العمل ضدنا . وهذا ما لا نستطيع تحمله فى وسط هذه الأزمة » . وأضاف « جمال عبد الناصر » أن « هدفه الرئيسى فى إدارة الأزمة هو أن نخرج منها بسلام ودون حرب ، ومع أن نسبة نشوب الحرب كما ذكر هو أمس فى اجتماع القيادة قد زادت عن ٦٠٪ ، فهو لا يزال واثقا أن جهود كثيرين وبينهم يو ثانت لكسب الوقت يمكن أن تؤدى إلى تخفيض نسبة المخاطرة . وأن نجىء فى هذه اللحظات ونتحدث عن ضربة أولى فهذا كلام غير مسؤول . »

ثم أشار « جمال عبد الناصر » فى حديثه مع « عبد الحكيم عامر » إلى تفاصيل سمعها فى اجتماع الأمس عن خطة تعرضية محدودة تحمل الاسم الرمزى « فجر » ، وهى موجهة إلى ميناء إيلات الإسرائيلى بهدف قطعه عما وراءه . وقال « إنه لم يشأ أن يشدد فى الاعتراض عليها فى اجتماع القيادة حتى لا يساء فهم اعتراضه . وأنه يؤثر أن يقوم عبد الحكيم عامر الآن بإلغاء الأمر الانذارى للخطة التى كان مزمعا تنفيذها خلال أيام قليلة . »

ولم يكن اقتناع « عبد الحكيم عامر » كاملا ، وإن كان قد قال فى نهاية الحديث إنه « سوف ينفذ الأوامر » .

والغريب أنه ظل طوال يوم ٢٧ مايو مترددا فى إلغاء العملية « فجر » ثم اضطر أخيرا إلى تنفيذ الأوامر .

الفصل الثالث

تحذيرات مابعد منتصف الليل

ظهر يوم السبت ٢٧ مايو بعث الدكتور « مصطفى كامل » السفير المصرى فى واشنطن برقية شفرية[1] عاجلة جاء نصها على النحو التالى :

□ « أولا:

١ ـ اتصل بى نائب وزير الخارجية (الأمريكية) يوجين روستو الساعة التاسعة والنصف مساء ، وقال إن هناك مسألة عاجلة جدا ودقيقة للغاية ولهذا يرجو مقابلتى فورا .

٢ ـ اجتمعت به الساعة العاشرة مساء . طلب من مساعديه ترك مكان الاجتماع ، واقتصرت المقابلة علينا الاثنين .

□ ثانيا : قال الآتى :

١ ـ حضر وزير خارجية إسرائيل لواشنطن وطلب اليوم مقابلة المستر راسك وزير الخارجية .

٢ ـ تحددت له ساعة معينة للاجتماع .

٣ ـ قبل الموعد المحدد بساعتين اتصلت السفارة الإسرائيلية بمكتب

---

(١) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٢٩٦٠/١٧٤٠ وتوجد صورة للصفحة الأولى من البرقية فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣١) صفحة ١٠٢٢ .

وزيرالخارجية الأمريكية وطلبت اجتماعا فوريا مع أبا ايبان . وذكرت السفارة أن هذا الأمز هام للغاية ولا يحتمل التأخير ساعتين .

٤ - **وأضاف نائب وزير الخارجية إن أبا ايبان عرض على وزير الخارجية الأمريكية برقية عاجلة وردت إليه من حكومته تفيد بأن هجوما مفاجئا بواسطة القوات المصرية والسورية غدا حالا ، وأنه قد يقع بين ساعة وأخرى .**

٥ - **أخبره المستر راسك أنه يستبعد ذلك ، ولكن أبا ايبان ألح فى تأكيد ما تقدم .**

٦ - أ - وذكر نائب وزير الخارجية أن أبا ايبان مجتمع الآن مع وزير الخارجية الأمريكية (فى انتظار انتهاء مقابلة السفير المصرى مع يوجين روستو) .

ب - ثم أضاف إنه رغم عدم تصورهم قيامنا بالهجوم على إسرائيل إلاّ أنهم لا يريدون المجازفة فى هذا الشأن .

«We don’t want to take any chance in this serious situation»

ولذلك يرجو منى أن أبعث إلى حكومتى رسالة فورية أنقل لها مناشدة الحكومة الأمريكية القوية بالتمسك بضبط النفس وتجنب أية أعمال عسكرية هجومية .

جـ - وأضاف إن هذه الأعمال التى لا يتصورون وقوعها ستؤدى لنتائج خطيرة جدا إن حدثت .

٧ - **وأضاف إنه يود أن يؤكد أن الحكومة الأمريكية من ناحيتها تبذل كل جهد من أجل منع إسرائيل من القيام بأعمال عسكرية تجاهنا .**

٨ - **وأضاف إن هذا الأمر يباشره الرئيس الأمريكى شخصيا . وأن ما أبداه لى والسابق ذكره تم بناء على تعليمات الرئيس جونسون شخصيا .**

السفير

مصطفى كامل »

وعندما اطلع « جمال عبد الناصر » على هذه البرقية راودته هواجس كثيرة ، فقد خطر له أن العملية « فجر » قد تكون هى السبب الحقيقى وراء استدعاء السفير « مصطفى كامل » إلى وزارة الخارجية الأمريكية بهذه الطريقة ، ومقابلته لـ « يوجين روستو » بينما كان « أبا ايبان » ينتظر النتيجة فى مكتب وزير الخارجية الأمريكى « راسك » . ذلك لأن

التوقيتات التى كانت محددة فى الأصل للعملية « فجر » والتى أصر هو على إلغائها صباح هذا اليوم فى لقائه مع « عبد الحكيم عامر » ـ تكاد تكون متطابقة مع الوقت الذى دعى فيه السفير المصرى فى واشنطن إلى مقابلة نائب وزير الخارجية على عجل . وكانت هواجسه تدور حول نقطتين :

● هل تسربت المعلومات عن « فجر » من مصدر فى داخل القيادة ؟
أو
● أن إسرائيل حصلت على معلومات عن هذه العملية عن طريق التقاط شفرات القوات المصرية وكسرها ؟

ورجح « جمال عبد الناصر » الاحتمال الثانى ، وكان تقديره ـ وهو تقدير أثار مخاوفه كثيرا ـ هو أنه إذا كانت لدى مصر وسائل لكسر الشفرات تعطيها ثقوبا تصل من خلالها إلى رؤية النوايا والخطط الإسرائيلية ، فمن المؤكد أن إسرائيل لديها نوافذ تطل منها على النوايا والخطط المصرية .

وهكذا اتصل بالمشير « عبد الحكيم عامر » يطلب إليه أن يمر عليه فى أى وقت يناسبه فى الساعات القادمة . وعندما جاء « عبد الحكيم عامر » أعطاه « جمال عبد الناصر » برقية السفير « مصطفى كامل » ، وصارحه بهواجسه ، **وطلب إليه أن تغير القوات المصرية شفراتها ، وأن تفعل ذلك كل ثلاثة أيام توقيا لكافة الاحتمالات . لكن الموضوع ظل يلح على خواطره طوال اليوم وحتى أوى إلى فراشه .**

□

وفى الساعة الثالثة إلاّ عشر دقائق من فجر نفس الليلة دق تليفون الطوارىء الموضوع على مائدة بجوار سريره ، وكان السكرتير المناوب القائم بالعمل ساعات الليل يقول له إن السفير السوفيتى « ديمترى بوجداييف » وصل إلى باب البيت منذ دقائق ، وأنه يلح فى مقابلة الرئيس فورا وإيقاظه إذا كان نائما لأن لديه رسالة عاجلة لا تستطيع الانتظار من رئيس الوزراء السوفيتى ، وقد كلف بإبلاغها إلى الرئيس فور وصولها وفى أى وقت .

وقام « جمال عبد الناصر » من فراشه ووضع « روب دى شامبر » على « البيجاما » التى كان نائما بها ، ووضع خفا (« شبشب ») فى قدميه ، ونزل لمقابلة السفير السوفيتى الذى كان ينتظره فى صالون الدور الأول من بيته . وأخرج « بوجداييف » من جيبه مظروفا

مطويا على صفحتين ، وراح يقرأ رسالة من « كوسيجين » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » مؤداها « أن الرئيس « جونسون » اتصل به على الخط الساخن بين البيت الأبيض والكرملين قبل ساعة وأبلغه أن القوات المصرية ترتب لهجوم على المواقع الإسرائيلية . وأن موعد هذا الهجوم وشيك . وأنه إذا حدث ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تعتبر نفسها فى حل من تعهداتها التى أعطتها للاتحاد السوفيتى بممارسة ضبط النفس ، وأنه (أى الرئيس « جونسون ») لم يشأ أن يضيع وقتا فى ساعات خطيرة يمكن أن تؤثر تأثيرا فادحا على الموقف . ولهذا فقد آثر استعمال الخط الساخن فى محاولة مخلصة منه لتدارك عواقب قد تكون جسيمة . » .

وقال الرئيس « جمال عبد الناصر » للسفير السوفيتى إن ما يقوله ليس مفاجئا ، فإن نفس الرسالة أبلغت للسفير المصرى فى واشنطن قبل ساعات بواسطة نائب وزير الخارجية الأمريكية « يوجين روستو » . ورد السفير السوفيتى « ديمترى بوجداييف » بأن هذه الرسالة تختلف فى الأهمية وإن لم تختلف فى المضمون ، فهى من « جونسون » إلى « كوسيجين » مباشرة وعلى الخط الساخن مما يجعلها جديرة بالاعتبار . »

ثم أضاف السفير السوفيتى إنه أبلغ من موسكو أيضا أن السفير السوفيتى فى تل أبيب طلب إليه أن ينقل رسالة مماثلة لرئيس الوزراء الإسرائيلى « ليفى أشكول » ، وأنه من المحتمل أن يكون السفير السوفيتى فى نفس هذه اللحظة مجتمعا برئيس الوزراء الإسرائيلى لأن الاتحاد السوفيتى رأى على طريقته أن لا يترك شيئا للمصادفات . وهو لم يتصرف كالولايات المتحدة التى قصرت تحذيرها على الطرف المصرى وحده ، وإنما رأى الاتحاد السوفيتى أن يتصل بالطرفين . ثم أردف قائلا « إن زميله فى تل أبيب سوف يكون عنيفا جدا مع أشكول » .

وعقب « جمال عبد الناصر » قائلا للسفير ما مؤداه « إنه لابد يعرف أن مصر لا تريد الحرب ولا تسعى إليها ، لكنها ستدافع عن نفسها إذا هى هوجمت . وهو واثق أن كل الأطراف الأخرى بما فيها الولايات المتحدة وإسرائيل يعرفون حقيقة أنه يريد أن يتجنب الحرب ، كما أن بقية الأطراف فى العالم تعرف أن الآخرين هم الذين يريدون الحرب ويسعون لها وليس مصر ، وأن الاتحاد السوفيتى عليه أن يحاذر حتى لا يجد نفسه منساقا وراء ألعاب الآخرين بتأثير إلحاحهم وأصواتهم العالية . » .

□

وفى الوقت نفسه ـ الثالثة صباحا بتوقيت إسرائيل ـ كان السفير السوفيتى فى تل أبيب « ديمترى شوفاكين » يتوجه إلى مقر « ليفى أشكول » ويطلب إيقاظه من النوم . وينزل إليه

« ليفى أشكول » هو الآخر بالـ « بيجاما » ليسمع منه رسالة[٢] من « أليكسى كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يقول له فيها « إن على إسرائيل أن تتجنب القيام بأى تصرفات غير محسوبة ، وأن عليها أن تجد حلولا للأزمة القائمة بغير الالتجاء إلى وسائل عسكرية » . ورد عليه « أشكول » بأن « إسرائيل لم تعلن تعبئة قواتها إلا بسبب تصرفات قامت بها مصر وسوريا ، فإذا كانت لدى كوسيجين نصائح بالتعقل فعليه أن يوجهها إلى القاهرة ودمشق وليس إلى إسرائيل » . ورد السفير السوفيتى على رئيس الوزراء الإسرائيلى قائلا « إنه يطلب تعهدا بألاّ يقوم أى طرف بما فيهم إسرائيل بإطلاق الطلقة الأولى » . ورد عليه « أشكول » بأن « الطلقة الأولى جرى إطلاقها فعلا بحصار خليج العقبة » .

منذ الساعات الأولى للأزمة انتقل زمام الأمور فى إسرائيل بسرعة ، وكأنه بترتيب سابق ، إلى الذين يعرفون خفايا الأمور . كانت القمة فى إسرائيل عند دوائر صنع القرار تحوى ثلاثة أنواع من الرجال :

١ - الذين « يعرفون » خفايا الأمور بيقين (أى حدود وحجم اتفاق سنة ١٩٦٤ بين الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » ورئيس الوزراء الإسرائيلى « ليفى أشكول ») .

٢ - والذين « يفهمون » بالشعور أو الايحاء أو الاستقراء هذه الخفايا .

٣ - والذين « لا يعرفون » أو حجبت عنهم لأسباب مختلفة خفايا ما يجرى .

وكانت العناصر التى تعرف الخفايا بيقين قد تحولت على الفور إلى مجموعة إدارة للأزمة ، وكان رئيسها هو رئيس الوزراء « ليفى أشكول » نفسه . ولعل « ليفى أشكول » كان المدنى الوحيد بينهم ، ثم إنه كان أكبرهم سنا ، فهو فى ذلك الوقت كان فى الثالثة والسبعين من عمره . وكذلك كان مزاجه أبعد ما يكون - بحكم التكوين - عن مزاج الآخرين ، فقد قضى معظم حياته العملية فى الوكالة اليهودية (قسم الهجرة) ، ثم أختير

---

(٢) صفحة ١٥٠ و١٥١ من دراسة « دونالد نيف » محرر مجلة « تايم » الأمريكية عن أزمة سنة ١٩٦٧ «Warriors for Jerusalem» .

مسؤولا قياديا فى « الهستدروت » (اتحاد نقابات عمال إسرائيل) ، ثم عين وزيرا للمالية فى الوزارات المتعاقبة التى شكلها « دافيد بن جوريون » . وعندما سقط « دافيد بن جوريون » وخرج مع أقلية صغيرة من أنصاره ليكون حزب « رافى » أصبح « ليفى أشكول » رئيسا للوزراء . وكان مزاج « ليفى أشكول » نتيجة لهذا التكوين مزاج حلول وسط ومزاج حساب أرقام . وبالتالى فإنه كان بعيدا كل البعد عن بقية دائرة صنع القرار التى شاءت له الظروف أن يكون على رأسها . **وكان مصدر قوته الفعلى أمام الباقين أنه هو الذى توصل إلى الاتفاق السرى الهام مع « جونسون » والذى بمقتضاه تصبح إسرائيل « ضابطا » لأمور الشرق الأوسط فى فترة انشغال الرئيس الأمريكى بحروب الشرق الأقصى .**

وكان الباقون فى دائرة صنع القرار على القمة الإسرائيلية جميعا من العسكريين ، كما أنهم كانوا أصغر منه بكثير ، وكان كل منهم يحلم لإسرائيل ولنفسه . وكانت بقية المجموعة ـ التى اتسعت دائرتها قليلا مع قرب التعبئة ـ تتكون من « ايجال آللون » نائب رئيس الوزراء ووزير العمل ورئيس الأركان السابق ، والجنرال « إسحق رابين » رئيس الأركان ، والجنرال « بارليف » قائد القوات البرية ، والجنرال « وايزمان » مدير العمليات ، والجنرال « موردخاى هود » قائد السلاح الجوى ، والجنرال « أهارون ياريف » مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، والجنرال « مائير آميت » رئيس « الموساد » (المخابرات العامة) والذى كان حلقة الوصل مع الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان الوحيد الذى يعرف بيقين خارج هذه الدائرة المحدودة لصنع القرار الإسرائيلى هو الوزير المفوض فى واشنطن « ابيى ايفرون » (وكان أصلا من الموساد ، وقد انتدب وزيرا مفوضا فى واشنطن كستار لعمله فى العاصمة الأمريكيه وغطاء شرعى لاتصالاته بمجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض) .

وكان بين الذين يعرفون بيقين أيضا الجنرال « موشى ديان » . ولكن « ديان » كان بعيدا عن التفاصيل المستجدة لأنه اختار أن يلقى بثقله كله مع « دافيد بن جوريون » فى حزب « رافى » رغم مكانته الكبيرة فى المؤسسة العسكرية الإسرائيلية حتى بعد انتهاء خدمته وخروجه إلى الحياة المدنية . فقد حضر « ديان » عدة اجتماعات فى البيت الأبيض خصوصا فى الفترة التى سبقت ولحقت زيارته لفيتنام . ولم يكن السر بالتالى خفيا عليه ، وإن أبعدته الظروف عن مسار التفاصيل المستجدة مع تعامل كل يوم .

وأما مجموعة الذين يفهمون بالشعور أو الايحاء أو الاستقراء ، فقد ضمت عددا من السياسيين بينهم وزير الخارجية « أبا ايبان » ، و« جولدا مائير » سكرتير حزب « الماباى » الحاكم ، و« شيمون بيريز » ، والوزراء « جاليلى » و« شابيرو » و« كارمل » ، وكذلك بعض الجنرالات وبينهم « جافيش » و« تال » و« شارون » و« يوفى » .

□

وعندما تصاعدت الأزمة بعد تحركات القوات المصرية إلى سيناء كان « أهارون ياريف » رئيس المخابرات العسكرية هو الذى اتصل بـ « إسحق رابين » رئيس الأركان يبلغه بنبأ هذه التحركات . وكان « رابين » هو الذى اتصل بعد ذلك برئيس الوزراء . ومنذ تلك اللحظة أصبح « أشكول » فى واقع الأمر أسيرا فى يد الجنرالات ، وإن ظل يحاول حتى اللحظة الأخيرة أن يؤكد سيطرته عليهم باعتباره وزيرا للدفاع أيضا (إلى جانب كونه رئيسا للوزراء) . ولقد أحس منذ اللحظات الأولى أن هذه المجموعة من الجنرالات الذين أمسكوا بزمام الحوادث فور بداية الأزمة لا يريدونه فى منصب وزير الدفاع ، ويفضلون أن يتخلى عن هذا المنصب فى وقت الأزمة الطارئة ـ أو الفرصة السانحة ـ لـ « دافيد بن جوريون » ـ مع احتفاظه بمنصب رئيس الوزراء بوصفه الطرف الإسرائيلى فى الاتفاق مع « جونسون » .

كان « رابين » قد أخطر « أشكول » بالتحركات المصرية صباح يوم ١٥ مايو وقبل ساعة واحدة من الاستعراض الرمزى للقوة الذى كان يجرى فى القدس . وقد اقترح عليه ـ بعد أن أخطره ـ أن يذهب معه بعد الاستعراض إلى اجتماع لهيئة أركان الحرب لبحث الموقف . وقد فوجىء « أشكول » بأن هيئة أركان الحرب مجتمعة فى غرفة عمليات الحرب ، وهى قاعة حصينة بالأسمنت المسلح تحت الأرض فى مجمع مبانى وزارة الدفاع . وكانت تلك إشارة واضحة أمامه إلى أن جنرالاته يعتبرون أن ساعة العمل المباشر قد حلت فعلا . وكان هذا هو الاجتماع الذى تقررت فيه التعبئة الجزئية للقوات الإسرائيلية .

وصباح يوم الثلاثاء ١٦ مايو عاد « رابين » إلى الاجتماع بـ « أشكول » وأخطره أنه قرر دعوة كل رؤساء أركان الحرب السابقين فى إسرائيل إلى الاجتماع فى إحدى القواعد الجوية بالنقب لبحث الموقف . وفى هذا الاجتماع ـ وكان « ديان » بوصفه أحد رؤساء الأركان السابقين مشتركا فيه ـ تنبأ « ديان » بأن « الخطوة التالية » لـ « ناصر » هى فى رأيه

إغلاق مضايق تيران ، وبالتالى فإن الجيش الإسرائيلى لابد أن يكون مستعدا للعمل فى وقت .(٣)

وتسجل يوميات مجلس الوزراء الإسرائيلى ، وهى التى تختص بتدوين النش اليومى الذى يجرى فى مقر رئيس الوزراء ، أنه فى يوم الأربعاء ١٧ مايو دعا « أشكول اللجنة الوزارية للدفاع إلى اجتماع عاجل ، وكان « رابين » حاضرا معه . ثم عقد بعد اجتماعا للجنة الشؤون الخارجية والأمن فى الكنيست ، وكان « رابين » حاضرا معه أيضا وبعد الظهر عادِ « رابين » إلى مكتب رئيس الوزراء ومعه مجموعة من الجنرالا (« وايزمان » و « بارليف » و« ياريف ») وقضوا مع رئيس الوزراء سبع ساعات كاه فى مكتبه .

ويوم الخميس ١٨ مايو بدأ الصباح الباكر و« أشكول » فى اجتماع مع الجنر « ياريف » ومعهما مجموعة لم يحدد سجل يوميات مجلس الوزراء أسماءهم ، من ضب الجيش والعاملين فى إدارة المخابرات العسكرية .

وصباح يوم ١٩ مايو عاد « رابين » و« ياريف » إلى مكتب رئيس الوزراء يطلبون منه أن يتدخل بنفسه لاستعجال أنواع من العتاد طلبت عل عجل من القواعد الأمريكية فى ألمانيا الغربية . وفى نفس الاجتماع عرض الاثنان على « أشكول » عدة تقارير عن النشاط العسكرى المصرى ، أولم تقرير عن قيام بعض طائرات الـ «ميج » المصرية باختراق المجال الجو الإسرائيلى فى النقب بغرض الاستطلاع . والثانى تقرير عن أن الحشو المصرية فى سيناء قد وصلت إلى أربعين ألف جندى و٥٠٠ دبابة . والتقرير الثالث عن وصول لواء من المشاه وكتيبتين من الدبابات إلى ميناء السويس قادمين جميعا من اليمن ، وأن الأوامر صدرت إليهم بالتوجه فورا لتعزيز قوات سيناء . وكان رأى « رابين » و« ياريف » أن « ناصر » بدأ يستعيد قوات الرئيسية من اليمن ، وأن ذلك من شأنه أن يهدم ركنا هاما من أركان التخطيط الإسرائيلى ، وهو شن الحرب بينما « ناصر مشغول فى جبهتين فى نفس الوقت » . وكان هذا هو الاجتماع الذى قرر فيه « أشكول » تحت إلحاح الجنرالين اتخاذ اجراءات للتعبئة العامة على نطاق أكبر .

---

(٣) الدراسة الهامة التى قام بها الدكتور« مايكل بريشر » عن عملية صنع القرار السياسى فى إسرائيل ، و دراسة مستفيضة تقع فى أكثر من ألفى صفحة «Decisions in Israel's Foreign Policy» .

وبعد ظهر يوم الخميس ١٨ مايو عقد « أشكول » اجتماعا لقيادات تحالف حزب العمل . والغريب أن « رابين » كان بين حضوره . وكان هذا هو الاجتماع الذى انحازت فيه « جولدا مائير » بالكامل إلى الجنرالات فى موقفهم بأن كل الظروف مهيأة الآن للعمل العسكرى السريع وأن هذا هو وقته الحتمى .

وطبقا لسجل يوميات رئاسة الوزارة الإسرائيلية[٤] - فإن « ليفى أشكول » بدأ نشاطه يوم الجمعة ١٩ مايو بزيارة مجاملة لرئيس الدولة « زالمان شازار » فى مقره (بيت رؤساء إسرائيل) وذلك لكى يودعه قبل سفر « شازار » لحضور معرض مونتريال فى كندا . ثم قصد من هناك إلى مكتبه في وزارة الدفاع ، وهناك كان فى انتظاره الجنرال « رابين » والجنرال « ياريف » وعدد آخر من كبار الضباط لم يقيد السجل أسماءهم ، وإن كان قد أشار إليهم بصيغة الجمع . **وكان البحث فى هذا الاجتماع متركزا على « الخطوة التالية » التى توقعتها إسرائيل وهى إغلاق مضايق تيران . وانضم « أبا ايبان » وزير الخارجية إلى هذا الاجتماع ، وشارك فيه برأى مؤداه أن الدول البحرية فى أوروبا الغربية سوف تكون حليفا طبيعيا لإسرائيل إذا ما طرأ مثل هذا الموقف .**

وصباح يوم السبت ٢٠ مايو قام « رابين » باصطحاب رئيس الوزراء « ليفى أشكول » معه إلى جولة يزوران فيها عددا من قيادات المنطقة العسكرية الجنوبية . وأثناء وجود « رابين » و « أشكول » فى قاعدة قرب « بئر سبع » اتصل الجنرال « ديان » تليفونيا بـ « رابين » يطلب منه إذنا بأن يقوم هو (أى « ديان ») وحده بزيارة المواقع الإسرائيلية أمام الخطوط المصرية . وبعد تشاور سريع مع « أشكول » قام « رابين » بإبلاغ « ديان » بموافقة رئيس الوزراء على طلبه . ومساء ذلك اليوم كان الجنرال « ديان » بالفعل مع مجموعة القوات المدرعة التى يقودها الجنرال « تال » .

وفى الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الأحد ٢١ مايو كان الجنرال « رابين » يدخل إلى مكتب رئيس الوزراء « ليفى أشكول » ، وظل معه حتى حان موعد الاجتماع الأسبوعى للوزارة . وكان « رابين » هو المتحدث الرئيسى فى الاجتماع .

□

وتسجل يوميات مقر رئاسة الوزارة فى إسرائيل أن الجنرال « رابين » اتصل فى

---

(٤) اطلع عليها الدكتور « مايكل بريشر » واعتمد عليها ونقل منها كثيرا فى دراسته الهامة عن صنع القرار الإسرائيلى . والتفاصيل الواردة هنا تعتمد بدرجة أساسية على دراسة « مايكل بريشر » .

الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم الثلاثاء ٢٣ مايو بـ « ليفى أشكول » تليفونيا ، وأيقظه من نومه ليبلغه أن ما كان منتظرا حدوثه قد وقع فعلا ، وأعلن « ناصر » فى خطاب قبل ساعات إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية . وفى الساعة الخامسة صباحا اتصل « أشكول » بوزير خارجيته « أبا ايبان » يخطره بذلك . وفى ذلك الوقت كان عدد من الجنرالات يتقدمهم « رابين » مجتمعين فعلا مع « ليفى أشكول » . وكان هؤلاء الضباط الآن يطلبون تشكيل وزارة قومية تضم أحزاب المعارضة جميعا لأن قرار الحرب يتطلب إجماعا كاملا من كل القوى السياسية . وكان التردد باديا على « أشكول » ، وقد أبدى للعسكريين أنه لا يستطيع أن يقدم على هذه الخطوة قبل التشاور مع قيادات حزبه (حزب المابای) لأن الدعوة يجب أن تصدر من سكرتارية الحزب ورئيستها فى ذلك الوقت « جولدا مائير » . والغريب أن العسكريين قاموا هم بالاتصال بـ « جولدا مائير » آخذين بذلك زمام المبادرة حتى فى الأمور الحزبية . وعندما تأكدوا من موافقة « جولدا مائير » قامت عدة طائرات عسكرية (هليكوبتر) بنقل قيادات أحزاب المعارضة من حيث كانوا فى كافة أنحاء إسرائيل إلى تل أبيب ليحضروا اجتماعا سياسيا شاملا للوزارة والمعارضة فى مكتب « ليفى أشكول » .

وفى الساعة التاسعة صباحا كانت كل قيادات إسرائيل فى قاعة واحدة ومعهم الجنرال « رابين » والجنرال « وايزمان » والجنرال « ياريف » . ولم يكد الاجتماع يبدأ حتى كان « مناحم بيجن » ـ الذى لم يكن يؤمن كثيرا بالكفاءات القيادية لـ « أشكول » فى ظروف أزمة ـ يوجه سؤالا مباشرا إلى « شيمون بيريز » يقول فيه : « هل يوافق بن جوريون ، ويقدر فى سنه الحالية على العمل كرئيس لوزارة وحدة وطنية ؟ » ـ ورد « بيريز » بأن « بن جوريون يقدر على المسؤولية بالتأكيد ، ولكنه بالتأكيد سوف تكون له فى هذه الحالة شروط . » ـ وكان هذا الحوار طعنة أحس بها « أشكول » .

وبدأ « رابين » يستعرض الاحتمالات العسكرية فقال : « إن هناك خيار عملية محدودة يتم بها احتلال شرم الشيخ وفك الحصار وتبدو للعالم ردا مباشرا ومحددا على خطوة ناصر بإغلاق الخليج . لكن القيادة العسكرية ترى أن مثل هذا التصرف خطأ عسكرى وسياسى » . ثم أضاف « رابين » : « إن هناك خيارا آخر وهو تدمير السلاح الجوى المصرى بضربة شاملة واحتلال قطاع غزة ثم الانتظار بعد ذلك ، ولكن هذا أيضا عمل ناقص من وجهة نظر سياسية وعسكرية » . ثم وصل « رابين » إلى الخيار الثالث وهو « الحرب الشاملة » .

وعند هذا الحد من المناقشة قال « أبا ايبان » : « إن هناك نقطتين رئيسيتين

لابد من استجلائهما قبل أن تذهب المناقشة إلى بعيد ، وهما :

١ ـ التثبت من الموقف الأمريكي (وكان « ايبان » واحدا من مجموعة الذين يعرفون الخفايا بالشعور أو الإيحاء أو الاستقراء) ـ وأنه مهما كانت الثقة في الموقف الأمريكي ـ والثقة متوافرة ـ فلابد والأمور تصل إلى غاياتها ـ من عملية تأكيد وتحديد .

٢ ـ حساب موقف الاتحاد السوفيتي بدقة لأن الاتحاد السوفيتي سوف يشعر بأن مسؤوليته كاملة باعتباره المصدر الذى أكد لـ « ناصر » حشود إسرائيل ضد سوريا . وبالتالى فإن شعور الاتحاد السوفيتي بأنه من عناصر التسبب في الأزمة قد لا يسمح له بالوقوف متفرجا على مضاعفاتها ..« وكان رأى « ايبان » أن التدقيق في حساب الموقف السوفيتي ينطوى على شقين : شق يتعلق بردود فعل الاتحاد السوفيتي نفسه ، وشق آخر يتعلق باستعداد الولايات المتحدة الأمريكية برد الفعل الثانى إزاء رد الفعل الأول (السوفيتي) .

وأثناء الاجتماع تلقى « ايبان » برقية من السفارة الإسرائيلية في واشنطن جاء فيها أن مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكي « جونسون » اتصل بالوزير المفوض « ايفرون » (وهو حلقة الاتصال بين المخابرات الإسرائيلية وبين الحكومة الخفية في الولايات المتحدة) وأبلغه أن الرئيس « جونسون » يطلب من إسرائيل أن لا تقوم بأى عمل عسكرى خلال الثمانى والأربعين ساعة القادمة حتى تعطيه الفرصة لإتمام اتصالات يجريها الآن مع رئيس الوزراء السوفيتي « أليكسى كوسيجين » ، كما أن هذه الفرصة تلزمه أيضا لإعداد الكونجرس والرأى العام الأمريكي للتطورات المحتملة للأزمة .

واستغل « ايبان » هذه البرقية لكى يعزز وجهة نظره ذاكرا أربعة أسباب تؤيد قبول تأجيل أى عمل عسكرى للمدة التى طلبها « جونسون » ، وقد عدها على النحو التالى :[٥]

١ ـ ضمان تدفق إمداد السلاح على إسرائيل تحت كل الظروف .

٢ ـ ضمان أن يفى « كل أصدقاء إسرائيل » بالوعود التى قطعوها على أنفسهم .

٣ ـ تحقيق تعبئة معارضة دولية واسعة ضد « ناصر » .

---

(٥) وقائع الجلسة كما أوردها « مايكل بريشر » فى دراسته الهامة عن صنع القرار الإسرائيلى .

٤ ـ تمكين إسرائيل من الاحتفاظ بثمار النصر وحتى لا تفقد شيئا منها دون إرادتها (كما حدث سنة ١٩٥٦) .

وكانت المناقشة بذلك قد انتقلت إلى الجوانب السياسية ، وعاد « مناحم بيجن » يقول : « **إن ما يواجه إسرائيل ليس ما يجرى فى الخارج فقط ، وإنما الأهم منه أن تكون إسرائيل فى الداخل قادرة على تحمل العبء** » ، **وهكذا فإن الضرورات فى رأيه تقتضى ترتيبات تضمن « التحمل الجماعى للمسؤولية »** . وأحس « أشكول » مرة أخرى بأن « مناحم بيجن » يغمزه فى قدرته على قيادة الأزمة . ورد عليه قائلا بالحرف : « **إننى أقدر أسلوب الأكتاف العريضة ، وأود أن أؤكد لكم أن التعاون بين الوزارة والقوات المسلحة يحقق هذا الغرض ، وإن كانت الأزمة تحتاج إلى الجميع** » . **ثم اقترح « أشكول » على « بيجن » أن يلقاه بعد ذلك فى اجتماع منفرد لأن لديه ما يقوله له .**

ثم عادت المناقشة بعد هذا المشهد الحساس من الحوار إلى الموقف الخارجى ، وظهر اقتراح بضرورة سفر وزير الخارجية « أبا ايبان » إلى واشنطن لمقابلة الرئيس « جونسون » وكبار مساعديه . واقترحت « جولدا مائير » أن يمر وزير الخارجية على باريس ولندن فى طريقه إلى واشنطن ، وأضافت قائلة : « إن معرفة موقف فرنسا مهمة لأن السلاح الجوى الإسرائيلى سوف يعمل ونصف قوته طائرات فرنسية » .

□

وفى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٤ مايو قام « ليفى أشكول » بتوجيه دعوة إلى « مناحم بيجن » لكى يلقاه على انفراد . وكان « بيجن » جاهزا للهجوم من أول لحظة فى الاجتماع ، فقال لـ « أشكول » إنه مازال يرى أن يعود « بن جوريون » ليرأس حكومة وحدة وطنية ، وأن يعمل معه « أشكول » نائبا لرئيس الوزراء . ورد عليه « أشكول » قائلا : « إنك تعلم صعوبة التعامل مع بن جوريون وبالذات فى وقت أزمة . ومع ذلك فإنه سيعرض اقتراح « بيجن » على زملائه فى الوزارة ، فإذا قبلوه فإنه (أى « أشكول ») سوف يستقيل من جميع مناصبه ليفسح الطريق بالكامل أمام عودة « بن جوريون » » .

ثم استطرد « أشكول » يقول لـ « مناحم بيجن » بالحرف الواحد (طبقا للوثائق التى اطلع عليها الدكتور « مايكل بريشر ») ما يلى : « لعلى أثبت لك فى يوم من الأيام حجم ما استطعت أن أفعله لتوفير كل احتياجات جيش الدفاع الإسرائيلى . أما إذا كنت خائفا من

جهلى بالشؤون العسكرية فدعنى أؤكد لك أننى تعلمت كثيرا خلال السنوات الأخيرة . **وفيما يتعلق بجونسون** (الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون ») **فصدقنى أنه ليس فى استطاعة غيرى أن يحصل منه على ما أستطيع أنا أن أحصل عليه . صدقنى أن لدىّ الأساس الحقيقى الذى يسمح لى أن أقول لك هذا وأتحمل مسؤوليته .»**

وسكت « بيجن » لبعض الوقت ، فقد أحس أن « أشكول » لديه أكثر مما يريد التصريح به فى هذه اللحظة . وبعد فترة من الصمت عاد « مناحم بيجن » يسأل « أشكول » ما إذا كان يستطيع أن يتنازل عن وزارة الدفاع ـ وليس رئاسة الوزارة ـ ورد « أشكول » على الفور قائلا : « **ولا وزارة الدفاع ، وأنا مسؤول عما أقول** » .

وصل « أبا ايبان » إلى باريس يوم ٢٤ مايو ، وكان موعده مع الرئيس الفرنسى الجنرال « ديجول » قد تحدد عند الظهر تماما فى قصر الاليزيه . وكان « ديجول » يتابع تطورات الموقف فى الشرق الأوسط بحسه التاريخى ، ومن المؤكد أنه كان يعرف مسبقا بالأهداف البعيدة المدى للسياسة الإسرائيلية ، وقد كتب هو بنفسه فى مذكراته يروى تفاصيل مقابلة له مع « دافيد بن جوريون » ، فقال بالحرف :

« إن بن جوريون أفضى إلىّ بأن إسرائيل تنوى توسيع حدودها فى أقرب فرصة ممكنة ، وقد ناشدته ألاّ يحاول ذلك وقلت له « إن فرنسا سوف تساعد إسرائيل على البقاء كما ساعدتها فى الماضى مهما كانت الظروف ، ولكنها ليست مستعدة لأن تعطيها الوسائل التى تمكنها من غزو أراضى الآخرين وضمها إليها » . »

وربما من هذه الخلفية التاريخية فإن « ديجول » لم ينتظر حتى يتخذ « أبا ايبان » مجلسه أمامه فى مكتبه بقصر الاليزيه ، وإنما بادره قائلا بصوت مرتفع : «ne faites pas la guerre»[٦] « لا تقوموا بشن الحرب » .

---

(٦) مذكرات « أبا ايبان » صفحة ٣٤١ .

وقد أفاض « أبا ايبان » فى وصف مقابلته مع « ديجول » ورواها كاملة بأدق التفاصيل قائلا(٧) : « لقد وصلت إلى قصر الاليزيه ومعى السفير ايتان (« والتر ايتان » سفير إسرائيل فى باريس وقتها) مبكرا عدة دقائق عن منتصف النهار . وعندما دخلت إلى ساحة القصر رأيت ما يقرب من عشرين سيارة متشابهة من طراز « ستروين » مرصوصة فى صف منتظم . وعرفت أن مجلس الوزراء الفرنسى مجتمع كعادته كل يوم أربعاء . وقد تساءلت فيما بينى وبين نفسى عما إذا كنت سأواجه بقرارات جرى اتخاذها فعلا قبل سماع وجهة نظرنا ، وتمنيت ألاّ يكون الحال كذلك . »

ثم استطرد « أبا ايبان » : « دخلت إلى مكتب الجنرال ديجول ومعى ايتان وكوف دى مورفيل (وزير خارجية فرنسا فى ذلك الوقت) . وبدا الجنرال « ديجول » محتفظا بوقاره الشديد . وقبل أن أجلس على مقعد أمام مكتبه الذى كان خاليا من أية أوراق أو تليفونات ، فوجئت به يقول لى بصوت عال « لا تقوموا بشن الحرب » . ولم يكن وزير خارجيته قد قدمنى إليه رسميا بالفعل . وبعد هذه الملاحظة وجه إلىّ ديجول كلمة تحية سريعة ، ثم استأنف كلامه كما كان قبلها قائلا « فى كل الأحوال لا تكونوا البادئين بإطلاق النار . إنها سوف تكون كارثة إذا بدأت إسرائيل بالهجوم . إن الأزمة يجب أن تعرض الآن على القوى الأربع الكبيرة . (وقد دعت فرنسا فعلا إلى عقد قمة تضم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا) . وأن فرنسا سوف تبذل نفوذها مع الاتحاد السوفيتى لترجح كفة السلام » . وبعد هذا المدخل أشار لى الجنرال ديجول بما يعنى أنه أصبح مستعدا لسماع ما لدىّ . وقلت له « إن إسرائيل وصلت إلى مفترق طرق فى تاريخها ، ولذلك فنحن هنا للتشاور مع فرنسا التى نعتبرها صديقنا الكبير » . ثم شرحت له أن التوتر فى المنطقة ناشىء عن ثلاثة عوامل : الإرهاب السورى ، والتهديد العسكرى المصرى ، وحصار العقبة الذى يهدد إسرائيل . ثم قلت « إن إسرائيل بدون كرامة لا تصبح إسرائيل ، وأن أمتنا تواجه خيارا صعبا » . وسألنى الجنرال ديجول « ما الذى تنوون عمله ؟» وقلت « إذا لم يكن أمامنا غير الاستسلام أو المقاومة فإننا سنقاوم . وقد اتخذنا قرارنا فعلا . ولكن ذلك ليس معناه أننا سنحارب اليوم أو غدا لأننا مازلنا نحاول استكشاف اتجاهات هؤلاء الذين وعدونا وتعهدوا لنا . ونحن نريد أن نعرف ما إذا كان علينا أن نتصرف وحدنا أو أن أمامنا فرصة للتصرف ضمن إطار دولى . وإذا كان على إسرائيل أن تقاتل وحدها فإنها واثقة من النصر ، ولكن التكلفة

---

(٧) مذكرات « أبا ايبان » صفحات ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

فى الدم سوف تكون غالية . وإذا كانت القوى العظمى على استعداد للتوفيق بين تصرفاتها وتعهداتها فإن إسرائيل سوف تنسق مقاومتها معهم ».

ومضى « أبا ايبان » يقول : « كان الجنرال ديجول يصغى إلىّ باهتمام ، وكانت ردوده علىّ مختصرة وقاطعة : إسرائيل لا ينبغى لها أن تقوم بشن الحرب . على الأقل لا تكون هى البادئة بها ولا تبادر بالطلقة الأولى . وأجبت بأن الطلقة الأولى قد جرى إطلاقها فعلا لأن حصار خليج العقبة كان عملا من أعمال الحرب . ولم يكن ديجول على استعداد لقبول تعريفى ، فإن أعمال الحرب فى رأيه كانت مرتبطة بطلقة النار الأولى . ثم راح ديجول يشرح رؤيته للأزمة قائلا :« إن الأربعة الكبار لابد أن ينسقوا مواقفهم معا وأن يجدوا حلا للأزمة ، وأن على إسرائيل أن تدرك أن دور الاتحاد السوفيتى مهم . وأنها بمقدار ما تلتصق بالغرب فى الأزمة ـ بمقدار ما تقلل من استعداد الاتحاد السوفيتى للتعاون فى حلها » . وأوضح لى ديجول أن فرنسا تؤيد حرية الملاحة فى الممرات البحرية ، ولكن ذلك يجب أن يتحقق لإسرائيل بوسائل أخرى ليس بينها الحرب . وقال لى إن إسرائيل ليست لديها بعد جذور ضاربة فى الأرض تمكنها من حل مشاكلها بنفسها ، ولذلك فليس لها أن تتصرف دون تشاور دولى ».

ولم يذكر « ايبان » فى روايته نقطة هامة فى الحديث أشار إليها « كوف دى مورفيل » وزير الخارجية الفرنسى الذى كان حاضرا فى الاجتماع ، وهى قول « ديجول » لـ « أبا ايبان » إن « إسرائيل حتى لو انتصرت عسكريا فى الحرب فإن هذا النصر سيكون عقيما لأنه لن يحقق لها السلام » .

□

وتوجه « أبا ايبان » بعد ذلك إلى لندن لمقابلة مع « هارولد ويلسون » رئيس الوزراء البريطانى . وكانت ملاحظته الأولى التى رواها فى منكراته(٨) أنه « وجد الأدوار هذه المرة عكس ما كانت عليه سنة ١٩٥٦ . ففى سنة ١٩٥٦ كانت باريس متحمسة للعمل مع إسرائيل ضد مصر حتى النهاية ، فى حين أن لندن ظلت مترددة فى هذا التعاون لأسابيع طويلة . وأما هذه المرة ـ سنة ١٩٦٧ ـ فإن لندن كانت متحمسة ، فى حين أن باريس لم تكن مستعدة على الإطلاق للتعاون مع إسرائيل !

وكان ملخص رأى « ويلسون » ـ وهو مترتب بالطبع على الاحتكاك

(٨) منكرات « أبا ايبان » صفحة ٣٤٦ .

المصرى البريطانى فى اليمن وفى الجنوب العربى والخليج - « أن إسرائيل ينبغى عليها أن تحذر من الوقوع فى فخ الاعتماد على الأمم المتحدة التى يملك الاتحاد السوفيتى داخلها حق الفيتو فى مجلس الأمن ، كما أن العالم الثالث يملك أغلبية الأصوات فى الجمعية العامة . وأن ناصر لابد أن يواجه بالقوة .» وروى « ايبان » نقلا عن « هارولد ويلسون » قوله « إن أمام إسرائيل ثلاثة خيارات : أن تستسلم - أو تحارب وحدها - أو تشترك مع أصدقائها فى جهد دولى يرغم ناصر على التراجع إلى الوراء . وأن مجلس الوزراء البريطانى كان مجتمعا صباح اليوم ، وأنه وافق بالإجماع على عدم السماح لناصر بأن يخرج منتصرا فى هذه الأزمة . وأن بريطانيا على استعداد للمشاركة بوحدات بحرية مع الولايات المتحدة ومع آخرين فى عملية منسقة لفتح خليج العقبة بالقوة المسلحة ، وفقا لاقتراح الرئيس جونسون الذى أعلن فيه بداية العمل على تشكيل قوة بحرية دولية يتقدمها الأسطول الأمريكى لاقتحام الخليج وإرغام ناصر على أن يأكل « فطيرة الفقرا »[٩] .

وقد حاول « أبا ايبان » أن يسأل « ويلسون » عن إمكانيات العمل العسكرى المباشر الذى يزداد الضغط عليه فى إسرائيل ، ولكن « ايبان » لاحظ أن « ويلسون » تجنب أن يرد على تساؤلاته بشكل صريح . وكتب « أبا ايبان » فى مذكراته أنه أعجب بالحذر الذى التزمه « ويلسون » ووجده صادرا عن شعور بالمسؤولية ، فهو لا يريد أن يحرض إسرائيل على العمل المباشر والسريع ، عالما مقدما أنه لا يستطيع نجدتها إذا تعثر عملها . وهو فى نفس الوقت لا يتطوع بنصحها بالتعقل والامتناع عن العمل فيحمل نفسه بذلك جزءا من المسؤولية الأدبية فى سكوتها عن مقاومة الخطر - على حد تعبير « أبا ايبان » .

وقد خرج « أبا ايبان » من مقر رئيس الوزراء البريطانى (رقم ١٠ داوننج ستريت) متوجها إلى المطار مباشرة فى طريقه إلى نيويورك . وقد ترك تقريره للوزير المفوض فى سفارة إسرائيل بلندن « رافيف » ليبعث به إلى الحكومة فى إسرائيل . وقد كانت الملاحظة الأخيرة فى هذا التقرير هى أن وزير الخارجية الإسرائيلية قد زاد اقتناعا

---

(٩) تعبير انجليزى شائع يقصد به إرغام طرف على ابتلاع كبريائه والقبول بما يفرضه عليه الآخرون .

بعد زيارته لباريس ولندن أن كل عناصر الموقف ـ وليس معظمها فقط ـ هى الآن فى واشنطن .

□

ووصل تقرير « أبا ايبان » إلى إسرائيل ليجد دائرة صنع القرار فيها متوترة بتفاعلات عنيفة تهزها هزا . ففى اليومين اللذين قضاهما « أبا ايبان » ما بين باريس ولندن ، كانت الساحة السياسية فى إسرائيل متصادمة بآراء وقوى تضاربت بينها السبل .

كان « أشكول » مازال ميالا لانتظار مقابلة « أبا ايبان » مع الرئيس « جونسون » . وقد شجعته برقية وصلت من الوزير المفوض فى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن « ايفرون » يقول فيها :(١٠)

« إنه مطمئن إلى أن الأمور تأخذ مجراها الصحيح من وجهة نظر إسرائيل . وأن اهتمام الولايات المتحدة بمجلس الأمن وبالجمعية العامة وبتقرير يو ثانت المنتظر عن زيارته للقاهرة هى جميعا محاولة « لاستعمال ساحة الأمم المتحدة قبل اتخاذ موقف منفرد » ، وأن الاتجاه السائد الذى أحس به من مقابلاته فى البيت الأبيض هو أن الرئيس الأمريكى فى لحظة معينة على استعداد للأمر باستخدام القوة البحرية الأمريكية وحدها إذا تعذر حشد أسطول يمثل أكبر عدد ممكن من القوى البحرية الدولية ، وإن كان واثقا أن البريطانيين على الأقل سوف يسيرون معه إلى النهاية . »

وقال « ايفرون » فى تقريره :

« إن والت روستو مستشار الأمن القومى للرئيس جونسون قال له قبل دقائق إنه « ليس لديكم أى مبرر للقلق ، بل إن فى وسعكم أن تغمضوا أعينكم وتعتمدوا على الرئيس » . وأن روستو أكد له إضافة إلى ذلك أن الرئيس جونسون أبلغ كوسيجين صراحة « أن الولايات المتحدة لديها التزامات لا تستطيع التخلى عنها إزاء إسرائيل ، وأنها سوف تتصرف منفردة إذا لم يستطع مجتمع الدول أن يصحح ما حدث فى خليج العقبة » . »

ولم يكن موقف « أشكول » ولا تطمينات « ايفرون » من واشنطن ، ولا انتظار نتائج مقابلات « أبا ايبان » فى واشنطن ـ كافيا كله لتهدئة العناصر الهائجة داخل دائرة صنع القرار

---

(١٠) دراسة الدكتور « مايكل بريشر » عن صنع القرار الإسرائيلى .

احدى حاملات الطائرات الأمريكية

فلاديمير سيميونوف

الإسرائيلى . وبدأ شبح « بن جوريون » يطل على الأزمة من بعيد حينما جاء « شيمون بيريز » بعد مقابلة مع « بن جوريون » فى « سد بوكر » - إحدى مستعمرات النقب - ينقل عنه أنه مستعد لتولى رئاسة الوزارة ، فإذا كان فى ذلك إحراج لـ « أشكول » فإن « بن جوريون » على استعداد لتأييد تولى « ديان » لرئاسة الوزارة ، فهو يثق فيه ، وكذلك يثق فيه جيش الدفاع الإسرائيلى . وقبل منتصف الليل زادت المشاعر حدة حينما عرف أن « بن جوريون » ترك المستعمرة التى كان يقيم فيها وجاء إلى تل أبيب ليكون بقرب المشاورات السياسية الدائرة .

وصباح يوم ٢٥ مايو كان « أشكول » قد آثر الهرب من جو الحمى السياسية فى القدس وتل أبيب ، وتوجه إلى الجبهة الجنوبية فى صحبة « ايجال آللون » وزير العمل ورئيس الأركان السابق . ولم يكن « رابين » معهما لأن « رابين » كان يعانى من حالة إرهاق جسمانى وعصبى شديدين ، وقيل إنه لم ينم على الإطلاق طوال عشرة أيام منذ بدأت الأزمة (وإن كان الجنرال « وايزمان » الذى زاره ليطمئن على صحته روى قصة مختلفة ، فقد قال إن « رابين » كان فى حالة انهيار عصبى تحت ضغوط متزايدة ، وأنه (« رابين ») عرض عليه (« وايزمان ») أن يتنازل له عن رئاسة الأركان لكى يقوم هو (« وايزمان ») بإدارة الحرب القادمة) .

ولم تكن زيارة « أشكول » ، ومعه « آللون » ، للجبهة الجنوبية زيارة عمل يجرى فيها تفقد مواقع القوات ، وإنما تحولت الزيارة طبقا لشهادة « ايجال آللون » إلى مواجهة بين رئيس الوزراء وبين قادة الجبهة الجنوبية الجنرالات « جافيش » و« تال » و« شارون » و« يوفى » . وكان أشدهم غلظة مع رئيس الوزراء - طبقا لرواية « آللون » - هو « شارون » الذى وضع أمام « أشكول » تقريرا عن الحشود المصرية التى تتدفق على سيناء ، وبينها الفرقة الرابعة المدرعة ، قائلا له « **إن كل ساعة من ساعات الانتظار سوف تكلف جيش الدفاع الإسرائيلى عشرات من القتلى** » . ثم سأله « **كيف يستطيع يهودى أن يحمل على ضميره عبء هذا الدم اليهودى ؟** » . وقد روى « آللون » **خلال شهادته الشفوية المسجلة لمركز تجميع التاريخ العسكرى الإسرائيلى ، أنه عاد من الجبهة الجنوبية مقتنعا بأنه إذا لم تدخل إسرائيل الحرب بسرعة فإن هناك خطر أن يستولى بعض القادة العسكريين على السلطة من زعامات مدنية يشعرون أن أيديها مرتعشة ، وأنها عاجزة عن قبول المخاطرة حتى بسبب « تقدمها فى السن » ، وكان هذا فى رأيه يمثل انحرافا كبيرا فى تاريخ إسرائيل ، ثم إنه كان تهديدا ليس له ما يبرره لأن الوزارة كانت قد قررت دخول الحرب فعلا ، وكل انتظارها حتى الآن لا يعود إلى التردد ، وإنما يعود إلى رغبتها فى**

تسهيل الأمور للرئيس الأمريكى حتى يرتب أوضاعه فى واشنطن على نحو يعطيه حرية العمل فى تحقيق التزاماته تجاه إسرائيل .

ويروى « آللون » بعد ذلك فى شهادته أن « أشكول » قال له تلميحا وهما فى طريق العودة من الجبهة الجنوبية ما مؤداه أنه يفكر فى تعيينه هو - أى « آللون » - وزيرا للدفاع بدلا منه ، فهو الأقدر على التفاهم مع الجنرالات ، وهو الأكثر خبرة بظروف القتال ، كما أنه من الناحية السياسية موضع ثقة منة ، على عكس الحال مع « بن جوريون » الذى اقترحه « مناحم بيجن » .

وحين عاد « أشكول » إلى القدس - وجد أن « الوحى » المنقول عن « بن جوريون » قد بدأ يسرى « بأن « بن جوريون » يرشح « ديان » لرئاسة الوزارة . ولم تكن تلك نهاية هموم « أشكول » فى ذلك اليوم ، فقد جاءه « وايزمان » مدير العمليات والذى كان قائما بأعمال رئيس الأركان فى غياب « رابين » ليعرض عليه بعض التقارير العسكرية الهامة بوصفه وزير الدفاع . وفوجىء « أشكول » بـ « وايزمان » يقول له قبل أن يفتح ملفاته ما نصه (طبقا لرواية « آللون ») : « **إننى فى دهشة من أمرك ، فتحت تصرفك أقوى جيش يهودى تجمع منذ أيام داوود ، وهو لا ينتظر إلاّ إشارة منك ، ومع ذلك فأنت تتردد حتى الآن فى إعطائها له . إن أمامك الفرصة لتصبح داوود آخر فى التاريخ اليهودى ، والغريب أنك تعرض عن الفرصة وكأنها لا تعنيك** » . وفقد « أشكول » أعصابه وتهدج صوته وهو يقول « **إنه مذهول لأن الجنرالات عاجزون تماما عن رؤية مقتضيات السياسة ، وأن أى عمل إسرائيلى لا يمكن تأمين نجاحه العسكرى والسياسى وتحقيق نتائجه والاحتفاظ بها إلاّ باشتراك الولايات المتحدة والرئيس جونسون شخصيا . وما يروعه هو أن الجنرالات ليسوا على استعداد لانتظار ساعات كى يحققوا حلم عمرهم الطويل** » . وهز « وايزمان » كتفيه وراح يفتح ملفاته ويعرض على « أشكول » ما جاء لعرضه عليه . وتدخل « آللون » فى الحديث قائلا « **إن الموقف فى واشنطن سوف يتضح فى ساعات قليلة وليس أيام** » .

وفى نهاية هذا اليوم المشحون بالتوتر طلب « أشكول » إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية أن تبعث للوزير فى واشنطن ببرقية تخطره فيها بأن الموقف لم يعد يقبل الانتظار ، وأنه « لم يعد مقصورا على مشكلة خليج العقبة »[11] وإنما أصبح موقف مواجهة كاملة مع مصر بحكم ديناميكية الأحداث نفسها ، وأن تلك هى الصورة الجديدة التى يجب أن تستوعبها واشنطن وأن تتصرف بمقتضاها .

(١١) مذكرات « أبا ايبان » صفحة ٣٤٩ .

الفصل الرابع

فتش عن المـرأة !

حينما وصل « أبا ايبان » إلى واشنطن كان فى استقباله السفير الإسرائيلى فى واشنطن « أفراهام هارمان » ، وقد ركب معه سيارته من المطار الدولى إلى فندق « ماى فلاور » ، وأبلغه بأن « جونسون » لن يقابله اليوم كما كان يتوقع لأنه مرتبط بزيارة رسمية ليوم واحد فى كندا ، وقد طار إليها فى الصباح الباكر وسوف يعود فى المساء . ولكن الرئيس الأمريكى قبل سفره أصدر تصريحا باسمه يعتبر أقوى ما صدر عنه فى تأييد موقف إسرائيل فى أزمة الشرق الأوسط . وهكذا كان على « أبا ايبان » أن يقضى يومه الأول فى واشنطن مكتفيا بلقاءاته فى وزارة الخارجية مع وزيرها « دين راسك » ومع كبار مساعديه . وقد ركز « راسك » فى حديثه مع « أبا ايبان » على ضرورة إعطاء الرئيس فرصة لبناء موقفه الدستورى والسياسى سواء مع الكونجرس أو مع الرأى العام الأمريكى .

وقد طالت اجتماعاتهما إلى المساء فواصلاها على مائدة عشاء فى غرفة الطعام الملحقة بمكتب الوزير . وكان معظم الحديث عن سيناريو القوة البحرية الدولية ، وعن خطة عملها فى اقتحام خليج العقبة ، فإما أن تتعرض لها مصر ويكون بعد ذلك ما يكون ، وإما

أن تتراجع مصر إلى هزيمة سياسية ساحقة تكسر هيبتها ونفوذها وتمد تأثيرها إلى قوة النظام السياسى فى القاهرة ذاتها .

وقد حدث فى هذا الاجتماع أن وجه « راسك » إلى « أبا ايبان » سؤالا عما إذا كان ينوى أن يقابل « يو ثانت » الذى يعود من رحلته إلى القاهرة فى ظرف ساعات . ورفض « أبا ايبان » . وفى صباح اليوم التالى ، وكان « أبا ايبان » يتوقع إبلاغه فى أية لحظة بموعده المنتظر مع الرئيس « جونسون » ، كرر « راسك » على التليفون نفس سؤال اليوم السابق عن « يو ثانت » ، وفى هذه المرة رد عليه « أبا ايبان » قائلا [1] : « إنه ليس لديه وقت ليو ثانت ، فهو يريد أن يفرغ من مهمته فى واشنطن باجتماعه مع الرئيس جونسون ويعود فورا إلى إسرائيل ليلحق باجتماع مجلس الوزراء الأسبوعى يوم الأحد ، وهو اجتماع يمكن أن يكون حاسما فى التاريخ اليهودى » . ثم أضاف « أبا ايبان » إنه « ليس هناك شىء ينتظره أو يعنيه فى تقرير يو ثانت » . ثم استطرد « أبا ايبان » يقول - طبقا لمذكراته[2] - « **إن هناك حصارا حول إسرائيل لابد من كسره . وأنا أشك أن هناك شيئا الآن يستطيع أن يغير نظرتنا للأمور . وبصراحة كاملة فإننى أعتقد أن العمليات العسكرية سوف تبدأ فى الأسبوع القادم .** » .

وكان رد « راسك » - طبقا لرواية « ايبان » فى مذكراته : « **إننى أفهمك** » .

وفى انتظار إبلاغه بموعده مع الرئيس « جونسون » دعى « أبا ايبان » إلى زيارة فى غرفة عمليات الشرق الأوسط فى مبنى البنتاجون[3] . وهناك انضم إلى وزير الدفاع الأمريكى « روبرت ماكنمارا » ورئيس هيئة أركان الحرب للقوات المسلحة الأمريكية المشتركة ، وهو وقتها الجنرال « ايرل هويلر » ، وكان فى صحبته السفير الإسرائيلى فى واشنطن « هارمان » والملحق العسكرى الإسرائيلى الجنرال « يوسيف جيفا » . وأما الوزير المفوض فى السفارة « ايفرون » وهو الشخص الأهم فى التمثيل الإسرائيلى كله فى واشنطن - فقد بقى فى السفارة فى واشنطن لمتابعة التطورات المستجدة مع كل دقيقة .

واكتشف « أبا ايبان » أن الفارق الوحيد بين المؤسسة العسكرية الأمريكية وبين المؤسسة العسكرية الإسرائيلية هو فارق فى حساب الساعات فقط ، بمعنى أنه فى حين

---

(١) مذكرات « ابا ايبان » صفحة ٣٥١ .

(٢) مذكرات « أبا ايبان » صفحة ٣٥١ .

(٣) وهى زيارة ليست لها سابقة ، وليست لها لاحقة فيما هو مسجل من وثائق التاريخ الأمريكى .

أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كانت تعتقد أنها لا تستطيع الانتظار ساعات فإن المؤسسة العسكرية الأمريكية كانت تعتقد أن إسرائيل تستطيع الانتظار أياما خصوصا وأنه ليس هناك ما تخشى منه ، فالتفوق مكفول لها بطريقة مؤكدة ، وليس فى وسع الطرف المصرى أن يغير الموازين فى المستقبل المنظور !

وفى غرفة العمليات فى البنتاجون ، وأثناء عملية استعراض لكل الاحتمالات قال الجنرال « ايرل هويلر » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة موجها كلامه لـ « أبا ايبان » :
« إننى لا أريدك أن تقلق من أى اعتبار .. سواء بدأوا هم (يقصد المصريين) أو بدأتم أنتم (يقصد الإسرائيليين) ـ فليس لدينا شك فى النتيجة ، فنحن نعرف حجم ماهو متاح لكم ، كما أننا نقدر كفاءتكم فى إدارته » . ثم أضاف : « حسابات المعركة كلها فى صالحكم ... هذه تقديرات جميع خبرائنا ولم يعترض منهم واحد ، فلديكم كل ما هو لازم وزيادة »[٤] !

وربما كان من أغرب التعليقات التى أبديت فى هذه النقطة هو ما ذكره « ريتشارد هيلمز » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى لقاء له مع « دونالد نيف » أن **« الإسرائيليين لم يكن لديهم عذر فى الضغط الذى مارسوه فى تلك الساعات وهم يتعجلوننا فى التحرك . ففى ذلك الوقت كانوا يطلبون ما يحتاجونه من المخازن الأمريكية ليس بالأنواع ولكن بالأرقام الكودية السرية للأسلحة . ومعنى ذلك أن كل ما كان لدينا من أسرار السلاح كان مفتوحا لهم .»[٥]**

وفى صباح يوم ٢٦ مايو لم يكن « أبا ايبان » قد تلقى بعد معلومات محددة عن موعده مع الرئيس « جونسون » ، وقد رأى إرسال « ايبى ايفرون » الوزير المفوض فى السفارة (وحلقة الاتصال المعتمدة مع الحكومة الخفية) إلى البيت الأبيض بنفسه لكى يستعجل موعد الاجتماع على أساس أن « أباايبان » يريد أن يعود فى أسرع وقت ممكن إلى إسرائيل . وذهب « ايفرون » بالفعل إلى مقابلة مع « والت روستو » مستشار الأمن القومى للرئيس ـ وطمأنه « روستو » إلى أن الرئيس سوف يقابل وزير الخارجية الإسرائيلى فى ظرف ساعة واحدة . وقام « ايفرون » فأبلغ « ايبان » بالموعد المحدد ، واستبقاه « والت روستو » لأنه أراد أن يتحدث معه فى ترتيبات الاجتماع .

---

(٤) دراسة « دونالد نيف » عن معركة سنة ١٩٦٧ ـ صفحة ١٤١ .

(٥) دراسة « دونالد نيف » عن معركة سنة ١٩٦٧ ـ صفحة ١١٠ .

كان « والت روستو » قبل دقائق قد حول إلى الرئيس الأمريكى مذكرة أخيرة قبل اجتماعه مع « ايبان » تسلمها على الفور من وزير الخارجية « دين راسك » . وفى هذه المذكرة قال « راسك » بالحرف :(٦)

« أمامك وأنت تقابل ايبان اليوم خياران :

١ - **أن تترك للإسرائيليين أن يتصرفوا بما يرونه لحماية أمنهم ، ومعنى هذا أن الوقت قد حان لتطبيق سياسة إطلاق العنان لإسرائيل (واستعمل « راسك » نفس التعبير الشهير «Unleash Israel») . وتوصية الخارجية أن الوقت ربما لم يجىء بعد لهذا .**

٢ - **أن تقنع ايبان بشكل قاطع بأن عملنا من أجل تشكيل قوة بحرية دولية تقتحم الخليج وتكسر الحصار - هى سياسة معتمدة وقابلة للتنفيذ . وتوصية الخارجية أن هذا الخيار أفضل . »**

وقد حول « روستو » هذه المذكرة إلى مكتب الرئيس وجلس مع « ايفرون » يبحثان ترتيبات مقابلة « جونسون » لوزير خارجية إسرائيل . فقد كان رأى مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى أن يحاط لقاء الرئيس مع وزير الخارجية الإسرائيلى فى هذه اللحظات الحساسة بأقل قدر ممكن من الدعاية حتى لا تثور ردود فعل مبكرة ليس لها لزوم الآن . وتساءل « روستو » وهو يتحدث مع « ايفرون » : « **هل يستطيع أبا ايبان أن يقول إنه فى مناسبة وجوده فى واشنطن مر على الرئيس لكى يقدم له تحيته واحترامه ؟» -ورد « ايفرون » بأن « أبا ايبان » لا يستطيع أن يدلى بمثل هذا التصريح للصحفيين بعد انتهاء مقابلته للرئيس « جونسون » ، ولو فعل « فإنهم سوف يذبحونه فى إسرائيل » .**

وبينما كان « ايفرون » لا يزال يتحدث مع « روستو » دق التليفون فى مكتب مستشار الأمن القومى ، وكان « جونسون » هو الذى يتحدث . وحين عرف أن « ايفرون » موجود مع « روستو » طلب إليه أن يبعث به إلى مكتبه ، فقد كان « جونسون » يريد أن يناقش مع الوزير المفوض فى السفارة الإسرائيلية ما الذى يمكن أن يبحثه مع « أبا ايبان » . **وللوهلة الأولى فقد كان ذلك تصرفا مذهلا . فليس من المعقول أن يبحث الرئيس الأمريكى بنفسه - مسبقا - مع وزير مفوض هو**

---

(٦) محفوظات مكتبة « ليندون جونسون » - وهى الوثيقة رقم س ١٥٤١٨٣ .

مرؤوس للسفير الذى هو بدوره مرؤوس لوزير الخارجية - أمورا يريد بحثها مع « أبا ايبان » . والواقع أن « جونسون » كان يريد أن يستوثق من « ايفرون » عن « مدى ما يعرفه ايبان ، وهل هو فى دائرة المعرفة اليقينية للخفايا أو أنه خارجها » . وقد لفتت هذه الواقعة بالفعل نظر « دونالد نيف » وغيره من دارسى هذه الفترة ، وتعرضوا لها بالملاحظة والاستغراب .[٧] :

كان « ليندون جونسون » مستعدا للقاء « أبا ايبان » بأكثر مما كان يتصور وزير الخارجية الإسرائيلى أو يتوقعه . والواقع أن بداية النصف الثانى من شهر مايو ١٩٦٧ كانت حافلة بعوامل تدفع « جونسون » دفعا إلى خياره الإسرائيلى فى الشرق الأوسط . وقد بدأت هذه الفترة بالنسبة له بتقرير سرى[٨] كتبه إليه الجنرال « وستمورلاند » القائد العام للقوات الأمريكية فى فيتنام يطلب فيه زيادة فى حجم قواته تصل إلى ١٦٠ ألف جندى . كانت القوات الأمريكية العاملة بالفعل تحت إمرة « وستمورلاند » قد وصلت إلى ٤٤٠ ألف جندى ، والآن عاد يطلب تعزيزا إضافيا بحجم ١٦٠ ألف جندى . كل ذلك دون أن تظهر نتائج محققة للحرب تقنع الكونجرس أو الرأى العام بمساندة موقف « جونسون » إزاءها .

كان « جونسون » أيضا قد اطلع على تقرير آخر عن عدد القتلى الأمريكيين فى فيتنام فى فترة الأسبوع الثانى من شهر مايو ، وكان عددهم ٢٩٢٩ قتيلا . وكان عدد الجرحى ضعف هؤلاء .

ومن تلك الحقائق وغيرها فقد كانت شعبية « ليندون جونسون » فى استطلاعات الرأى العام قد تدنت - طبقا لاستقصاء قامت به مؤسسة « جالوب » - إلى ٣٦٪ بهبوط قدره ٢٠٪ عن العام السابق . وعاد « جونسون » بوساوسه إلى الانتخابات المقبلة سنة ١٩٦٨ ، وجاءت المعلومات بأن الحزب الجمهورى يتجه إلى ترشيح « ريتشارد نيكسون » فى هذه

---

(٧) دراسة « دونالد نيف » عن معركة سنة ١٩٦٧ - صفحة ١٤٤ .

(٨) وثائق حرب فيتنام - وزارة الدفاع الأمريكية . تقرير كتبه الجنرال « وستمورلاند » بتاريخ ٢ مايو ١٩٦٧ ، وقام « روبرت ماكنمارا » بتحويله إلى البيت الأبيض مع توصيات أعدتها هيئة أركان الحرب المشتركة .

الانتخابات . كما أن الشواهد راحت تشير إلى أن جماعات المصالح المؤيدة لـ « نيكسون » ترتب حملة انتخابية مبكرة من طراز كفء يعتمد بالدرجة الأولى على استغلال التليفزيون الذى أصبح العدو رقم «١ » لـ « ليندون جونسون » بتأثير ما يعرضه من صور الحرب فى فيتنام . وفى أعماقه فإن « جونسون » كان يقاوم مصير أن يدخل التاريخ الأمريكى باعتباره أول رئيس للولايات المتحدة قادها إلى هزيمة سياسية وعسكرية وأمام إحدى دول العالم الثالث !

□

ولم تكن حقائق حرب فيتنام هى وحدها مصدر الضغط على الرئيس الأمريكى وتهيئته للقائه المنتظر مع وزير خارجية إسرائيل . **ففى هذا الوقت كان الحديث المكتوم فى العاصمة الأمريكية يدور حول تعلق « جونسون » الشديد بواحدة من ألمع نجوم المجتمع الأمريكى فى ذلك الوقت ، وهى السيدة « ماتيلدا كريم » ، وهى زوجة رجل أعمال اتصل به وأصبح من أقرب أصدقائه . ومن المؤكد الآن أن علاقة « جونسون » بـ « ماتيلدا » وصلت إلى الحد الذى دعا باحثا مدققا مثل « دونالد نيف » أن يقول فى صفحة ١٥٨ من دراسته عن حرب سنة ١٩٦٧ ما نصه : « إنه من سوء الحظ أن الرئيس الأمريكى أسلم نفسه لمشاعر امرأة متحيزة فى ساعات عصيبة ومعقدة بعوامل وأجواء أزمة دولية خطرة » !**

وكان أصدقاء « جونسون » ، وكذلك صفوة من معاونيه يعرفون تأثير « ماتيلدا » على « الرئيس » ، فقد كانت هى وزوجها معه على الغداء أو العشاء أكثر من مرة فى الأسبوع فى البيت الأبيض ، كما أن أجازاته بما فيها أيامه التى يقضيها فى مزرعته فى تكساس - كانت جميعها فى صحبة « ماتيلدا » ، وكان مغرما بركوب الخيل معها والذهاب إلى ضفاف نهر « بدرناليس » القريب من مزرعته ، وهناك كان يقوم بنفسه بإعداد الـ « باربكيو » (شواء اللحم) ويترك نفسه على طبيعته ويمرح كشاب فى العشرين من عمره .

وكان مكتب الاتصالات فى البيت الأبيض وكل العاملين فيه يعرفون أن تليفونات « ماتيلدا » للرئيس لا يمكن ردها أو تأجيلها مهما كانت مشاغل الرئيس . وتسجل دفاتر المحادثات التليفونية فى البيت الأبيض أن تليفونات « ماتيلدا » كان لابد من تحويلها إلى الرئيس حيث هو حتى ولو كان فى اجتماعات مجلس الأمن القومى ، كذلك كانت هى الشخص الوحيد - إلى جانب مستشاره للأمن القومى - الذى يملك إيقاظ الرئيس من نومه إذا طلبت ذلك .

وفى معظم الليالى التى كان « جونسون » غير مرتبط فيها بعشاء رسمى ، فقد كان موعده المفضل لتناول العشاء مع « ماتيلدا كريم » . وعندما تقتضيه الظروف أن يذهب إلى نيويورك فقد كان يذهب كل ليلة ليكون فى صحبة « ماتيلدا » فى الشقة الفاخرة التى تعيش فيها مع زوجها « آرثر كريم » فى « مانهاتن » !

☐

كانت « ماتيلدا » مولودة - ١٩٢٧ - من أب سويسرى اسمه « جالاند » وأم ايطالية . وهو مزيج أعطاها نوعا من الجمال والحيوية يبدو أن تأثيرهما معا منحها جاذبية لا تقاوم بشهادة الذين عرفوها عن قرب . وكانت حياتها حافلة . فقد انفصل والدها عن أمها أثناء طفولتها وألحقت هى بمدرسة داخلية كاثوليكية . ولم تقض غير سنوات فى هذه المدرسة حتى غادرتها وظهرت في روما ، ثم اختفت من روما لتظهر فى إسرائيل ملتحقة بمعهد « وايزمان » وواقعة فى غرام شاب من أعضاء جماعة « شتيرن » ضمن الحلقة التى تنتمى إليها مجموعة الشباب الذين نفذوا محاولة اغتيال اللورد « موين » وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط ومقره فى القاهرة - سنة ١٩٤٤ . ولم يكن هذا الشاب - واسمه « دافيد دانون » - ضمن الذين نفذوا محاولة الاغتيال مباشرة ، بل كان دوره فى الصفوف الخلفية من التخطيط والإعداد . وعندما تمكن البوليس المصرى من اعتقال الشابين اللذين نفذا عملية الاغتيال وحكم عليهما بالإعدام ، ونفذ الحكم فعلا فى سجن الاستئناف بالقاهرة - أصيب « دانون » بصدمة جعلته يعتزل العمل الإرهابى ويتفرغ لمهام الدعاية السياسية للقضية الصهيونية . وفى ظروف معركة « فلسطين » ١٩٤٨ عاد « دانون » إلى الخدمة فى قوات الهاجاناه ، وفى ذلك الوقت تزوج « دانون » من « ماتيلدا » التى تركت الدين الكاثوليكى ، وأصبحت يهودية ومقاتلة صهيونية متحمسة .

ومات « دانون » بعد ذلك فى ظروف غير معروفة ، وبعد سنوات قليلة ظهرت « ماتيلدا » فى نيويورك . واستقرت فى الولايات المتحدة ، وهناك تزوجت من رجل أعمال أمريكى يكبرها سنا بكثير وهو « آرثر كريم » . وتحولت المقاتلة الجميلة إلى سيدة مجتمع بدأ نجمها يلمع فى نيويورك وواشنطن . وتعرف « ليندون جونسون » على الزوجين فى الفترة التى كان فيها نائب رئيس لـ « كنيدى » . وربما كان أول ما جمعهما معا هو الحماسة الزائدة لإسرائيل . فقد كان معروفا أن « ليندون جونسون » صديق حميم لإسرائيل ، كما أن « ماتيلدا » كانت تعتبر نفسها صهيونية بالكامل . وقد روت هى مرة أن « ليندون جونسون » قال لها فى أول مرة قابلها بعد اغتيال « كنيدى » : « **إننى أعرف أنكم كنتم**

تعتبرون كنيدى صديقا لإسرائيل ، وهذا صحيح ، ولكن قولى لأصحابنا إن إسرائيل فقدت صديقا فى البيت الأبيض وربحت صديقا أفضل منه فى نفس المكان » . ولم يتضح عمق العلاقات بين « جونسون » وبين « ماتيلدا » إلاّ عندما أصبح « جونسون » رئيسا وتركزت جميع الأضواء عليه وعلى حركاته وسكناته وعلى الذين يقابلهم ويختلط بهم ، باعتبار أن الرئيس هو بؤرة الاهتمام وملتقى الأضواء فى العاصمة الأمريكية . وكانت « ماتيلدا » فى ذلك الوقت تقترب من الأربعين وقد وصل جمالها إلى ذروته ، وأكسبتها التجارب المتنوعة خبرة فى ترويض الرجال .

وفى أيام الذروة من أزمة مايو ١٩٦٧ كان كل أصدقاء إسرائيل يعرفون الطريق إلى قلب « ليندون جونسون » . وكان تركيزهم على « ماتيلدا » شديدا ، ولم تكن هى بدورها فى حاجة إلى من يقنعها . وهكذا فإنها كانت تعيش داخل صورة الأزمة دقيقة بدقيقة ، وعلى اتصال مستمر ودائم بـ « ليندون جونسون » .

وكان « جونسون » قد شرح لـ « ماتيلدا » خطته فى الأزمة وكيف أنه يريد أن يبنى موقفه على توافق عام مع الكونجرس ووسائل الإعلام والرأى العام الأمريكى ، وأن هذا يتأتى بأن يبدو أمام الجميع أنه اتخذ كل المسالك المتاحة له بالسياسة والدبلوماسية قبل أن يلجأ إلى العمل المباشر . ولعدة أيام كانت « ماتيلدا » على اقتناع بصواب رأيه ، ولكن صبرها راح ينفد بسرعة مع مرور الساعات وتزايد الإلحاح عليها إلى درجة أن « دونالد نيف » ينقل عن الذين عرفوها فى تلك الفترة أنها حذرت « جونسون » من وزير خارجيته « راسك » ومن بعض كبار المسؤولين فى وزارة الخارجية قائلة له « إن هؤلاء الناس ليست لديهم مقومات المقاتلين فى أزمة ، وأن أعصابهم مستهلكة ، وهى تخشى من أنهم يخدرون عزمه وتصميمه بكل هذا الذى يقترحونه عن ضرورة تهيئة الجو لتوافق عام » . بل إن « ماتيلدا » مست صميم حيرة « ليندون جونسون » مباشرة حين قالت له أثناء مناقشة بينهما فى حضور « ايب فورتيس » وهو أحد قضاة المحكمة العليا - ويهودى - « إنه يستطيع أن يكسب فى الشرق الأوسط كل ما خسره فى الشرق الأقصى » . وقد أضاف « بن واتنبرج » وهو رجل أعمال من أصدقاء « جونسون » و« ماتيلدا كريم » - إلى ذلك قوله موجها كلامه للرئيس : « إن الحمائم فى فيتنام صقور فى الشرق الأوسط ، وإذا استطعت أن تعطيهم ما يطلبونه فى الشرق الأوسط فسوف يعطونك ما تطلبه فى الشرق الأقصى » . وكان « واتنبرج » يشير بذلك إلى حقيقة أن عددا كبيرا من المثقفين اليهود كانوا يعارضون حرب فيتنام ذات الوقت الذى كانوا فيه يطالبون « جونسون » بشن الحرب فى الشرق الأوسط .

هكذا كان « جونسون » مستعدا لاستقبال « أبا ايبان » . كان يفهم تماما وجهة النظر الإسرائيلية ودواعى العجلة التى تدفعها . ومن ناحية أخرى كانت اتصالاته مع الكونجرس ومع الاتحاد السوفيتى مازالت مستمرة .

واستمع إلى شرح « أبا ايبان » لآخر تطورات الموقف فى هدوء . وترك له الفرصة ليقول كل ما عنده . ثم جاء عليه الدور ليتكلم ، وبدأ فقال لـ « أبا ايبان »[٩] : « **إنه يرجو أن تعطيه إسرائيل فرصة تقاس بالساعات وليس أكثر ، وأن تتصرف فى هذه الساعات بوحى من ثقة كاملة فيه » . ثم طلب إلى « ايبان » أن يتذكر الإجراءات التى قام بها فى الأيام الأخيرة لطمأنة إسرائيل إلى وسائل القوة المتاحة لها وإلى الوقوف الأمريكى إلى النهاية معها . وعدّ « جونسون » بعضا من هذه الإجراءات فذكر أنه أصدر عن البيت الأبيض عدة تصريحات كان آخرها صباح هذا اليوم بإعلان أن ما أقدمت عليه مصر غير قانونى وتعسفى ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تقبله كأمر واقع . وأضاف « جونسون » قائلا لـ « ايبان » : « إنك كدبلوماسى تستطيع أن تزن معنى هذا الكلام » . ثم استطرد « جونسون » فقال « إنه أمر بزيادات كبيرة على حجم الأسطول الأمريكى وأضاف إلى قوته فى الساعات الأخيرة اثنتين من حاملات الطائرات ، هما حاملة الطائرات « أمريكا » وحاملة الطائرات « ساراتوجا » ، وهما هناك لا تقومان بنزهة بحرية وإنما هما فى طريقهما للانضمام إلى الأسطول الأمريكى لمهام جدية تعرفها إسرائيل ولابد أن تقدرها » . ثم أضاف « جونسون » إنه « وقّع قبل يومين على أمر بإرسال آخر مجموعة كانت مطلوبة لإسرائيل من طائرات « سكاى هوك » وهى أحدث مقاتلة قاذفة فى الترسانة الجوية الأمريكية . وبالتالى فقد أصبح لدى إسرائيل أكثر من ثمانين طائرة من هذا الطراز ، وذلك إلى جانب شحنات كبيرة وافق على إرسالها بسرعة من المخزون الاستراتيجى للولايات المتحدة فى قواعدها الأوروبية .» ثم تمهل « ليندون جونسون » فى حديثه قليلا قبل أن يقول لـ « أبا ايبان » : « هناك أشياء أخرى كثيرة ، ويستطيع والت (يقصد « والت روستو » مستشاره لشؤون الأمن القومى) أن يحدثك عنها تفصيلا ، وإن كنت أظن أن جماعتكم فى استطاعتهم أن يحدثوك عنها أكثر منه . »**

ثم عاد « جونسون » يقول إنه « **لا يساوره أى تردد فيما يتعين عليه أن يفعله إزاء تعهداته لإسرائيل . فهو ملتزم بهذه التعهدات ، بل وعلى استعداد لأن يذهب إلى أبعد**

---

(٩) مذكرات « أبا ايبان » من صفحة ٣٥٣ إلى ٣٥٩ ، وأيضا دراسة « دونالد نيف » صفحة ١٤٥ .

مما تعهد به . لكنه يريد من أصدقائه فى إسرائيل أن يتفهموا موقفه الدستورى ، فهو مقتنع بضرورة أن يأخذ الكونجرس كله معه فيما يقرره . » وتوقف فى هذه اللحظة بعض الوقت ثم اعترته نوبة من الحكمة فقال لـ « ايبان » بالحرف :[١٠] « إن ما يفكر فيه الرئيس الأمريكى لا يساوى خمسة سنتات إذا لم يكن الكونجرس والرأى العام واقفين وراءه . بدون الكونجرس والرأى العام فأنا رجل من تكساس طوله ستة أقدام وأربع بوصات ، وأما بالكونجرس فأنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . »

ثم أشار « جونسون » إلى أن الكونجرس يتحرك بسرعة ليأخذ مكانه وراء إسرائيل وكذلك الرأى العام فى الولايات المتحدة ، « ولكن علينا أن نجىء إلى صفنا بالرأى العام العالمى لنضمن تأييده وعزلة الاتحاد السوفيتى - وهذا هو سبب اهتمامنا الوحيد بالمناقشات التى تجرى فى مجلس الأمن ، وتقرير يو ثانت الذى هو الآن على وشك أن يعلن .»

وأبدى « أبا ايبان » ضيقه من أى شىء يصدر عن الأمم المتحدة . وأضاف إن تجارب إسرائيل مع الأمم المتحدة سيئة جميعا ، وأسوأها هو ما جرى سنة ١٩٥٦ . ورد عليه « جونسون » قائلا : « ولكن سنة ١٩٦٧ ليست هى سنة ١٩٥٦ » .

وسأله « أبا ايبان » فى النهاية ماذا يقوله لزملائه فى مجلس الوزراء الذى سيحضر اجتماعه يوم الأحد المقبل . ورد عليه « جونسون » : « قل لهم إن إسرائيل لن تكون وحدها إلاّ إذا أرادت هى أن تكون وحدها » . وكان « أبا ايبان » يريد تعهدا محددا فسأل « جونسون » : « هل أستطيع أن أنقل للمجلس أنكم سوف تستعملون كل وسائل القوة المتاحة لكم لدعم موقفنا ؟ » - وقال له « جونسون » : « نعم » ، ثم أضاف « نعم » ثلاث مرات ، « وضع تحت كل واحدة منها خطا لمزيد من التأكيد » .

وهمّ « جونسون » بالقيام وقد انتهت المقابلة تقريبا ، ثم توقف لحظة وعاد يقول لـ « أبا ايبان » : « قل لهم إن إسرائيل تستطيع أن تعتمد علىّ . إننى لن أنكص عن وعد ولن أنسى كلمة قلتها . ولكنى لا أريد أن أترك ثغرة لاحتمال تدخل سوفيتى لأنكم سئمتم الانتظار عدة ساعات » .[١١]

---

(١٠) دراسة « دونالد نيف » - صفحة ١٤٥ .

(١١) دراسة الدكتور « مايكل بريشر » - صفحة ٣٩٢ .

وخرج « أبا ايبان » من البيت الأبيض لحديث أخير مع وزير الخارجية الأمريكى « دين راسك » ، وكان « أبا ايبان » لايزال يبدى مخاوفه مما يجرى فى الأمم المتحدة ، وكانت أكثر خشيته من تقرير « يو ثانت » الذى كان توزيعه قد بدأ على أعضاء مجلس الأمن .

بعد سفر « أبا ايبان » من واشنطن بيوم واحد ـ كتب « والت روستو » مستشار الأمن القومى مذكرة[١٢] إلى الرئيس « جونسون » يقول فيها :

« السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧

الساعة ٢٣ :٣ بعد الظهر

من والت روستو إلى الرئيس

(كان الرئيس مع بعض أصدقائه ، وبينهم « ماتيلدا كريم » وزوجها ، قد ذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى مزرعته بتكساس) .

رأيت إحاطتك بنقطتين بشأن ما تنوى السكرتارية العامة للأمم المتحدة أن تفعله :

١ ـ التثبت كأمر واقعى بأنه ليست هناك سفن ترفع العلم الإسرائيلى يتوقع مرورها فى الخليج لمدة ثلاثة أسابيع .

٢ ـ واستنادا إلى هذه المعلومات سيطلبون من الجمهورية العربية المتحدة أن تواصل جميع السفن الأخرى عبور الخليج ، باستثناء تلك التى تحمل مواد استراتيجية . ولم يتضح ما إذا كان هذا يشمل ناقلات البترول أم لا . وهناك ضغوط تبذل فى نيويورك بإتمام صفقة مع مصر تقضى بأن يسمح لجميع السفن باستثناء تلك التى ترفع علم إسرائيل بعبور الخليج دون تفتيش . وقد عارض وزير الخارجية راسك هذا الاتجاه على ضوء بياناتكم الواضحة ولقائكم مع أبا ايبان مساء أمس .

ولن تقبل إسرائيل مركز مواطن من الدرجة الثانية فى الخليج . كما أن الإسرائيليين

---

(١٢) الوثيقة رقم ٦٧٤٥٣ ـ وهى محفوظة بمكتبة « ليندون جونسون » بتكساس ، وعليها ختم يقول إنها أرسلت إلى الرئيس فى مزرعته بتكساس بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية .

يخشون أن يمتد الوقف الاختيارى (Moratorium) (طبقا لاقتراح يو ثانت) إلى أكثر من ثلاثة أسابيع ليصبح تسوية أمر واقع .

٣ - تتجه الآن سفينة أمريكية هى السفينة « جرين آيلاند » وهى محملة بأسلحة إلى الأردن ، وهى على وشك دخول الخليج الآن إلى ميناء العقبة الأردنى . وقد صدرت إليها التعليمات بأن تقف فى وسط البحر حتى تتاح لكم الفرصة لسماع توصيات وزير الخارجية ووزير الدفاع ، وكلاهما يقوم بإعداد توصياته لكم فى اللحظة الراهنة . وقد يبدو دخول هذه السفينة إلى مواقع الحصار المصرى نوعا من الاختبار بدون إعداد . كما أن حمولة السفينة كلها من الأسلحة المتوجهة للأردن ، وهذا يثير رأيا آخر يستحسن عدم الموافقة على أن تواصل السفينة رحلتها إلى ميناء العقبة . هذا مع العلم أن سفيرنا فى الأردن يوصى بأن تمضى السفينة قدما إلى هدفها بسبب الآثار النفسية المعاكسة التى يمكن أن يحس بها الأردنيون نتيجة لتوقفها . مع رجاء ملاحظة أن الإذاعات العربية تكرر الآن بصوت عال أننا حولنا اتجاه السفينة لأنها تحمل أسلحة للأردن .

إمضاء

والت روستو »

ويوم ٢٩ مايو أحال « والت روستو » مستشار الأمن القومى لـ « ليندون جونسون » إلى رئيسه (الذى كان لايزال فى مزرعته بتكساس) تقريرا [١٣] عن آخر التطورات ، وكان نصه كما يلى :

« يتطلب المخطط الحالى منا « استنفاد » الاحتمالات الممكنة فى الأمم المتحدة . ثم نصدر بعد ذلك إعلانا من قبل الدول البحرية ، ثم نقوم باختبار مباشر لحرية الملاحة فى خليج العقبة بأنفسنا . وثمة قدر ضئيل من الثقة فى أن يسفر طريق الأمم المتحدة عن حل ، وإن كان المتوقع فى أغلب الظن هو « استنفاده » من قبيل التسجيل . وهناك ضغوط شديدة من جانب أصدقائنا الذين لا يؤمنون بفاعلية الأمم المتحدة ، وكلهم يرون أننا يجب أن نتجنب طريق الأمم المتحدة بما فى ذلك عدم الإصرار على استصدار قرار من مجلس الأمن بتأكيد حق المرور البرىء (أى مرور السفن غير العسكرية) .

---

(١٣) محفوظات مكتبة « ليندون جونسون » بتكساس - الملف رقم ٢١٤٩ - الوثيقة رقم ٨٨٥٢ .

إن أى قرارات من الأمم المتحدة قد يكون لها مذاق معين داخل وخارج الأمم المتحدة ، لكنه حال أن تنطلق تحركاتنا خارج الأمم المتحدة فسيكون فى استطاعتها أن تستحوذ على كل الأضواء . هذا مع أننى بالطبع أفهم ضرورة استخدام كل آليات الأمم المتحدة ، وإن كنت قد بدأت أشعر أن إمكانياتها جميعا قد استنفدت . »

إمضاء

والت روستو »

☐

وفى الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم الأحد ٢٩ مايو ، اتصل الدكتور « رالف بانش » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة بالسفير « محمد عوض القونى » . وكتب السفير « القونى » بعد هذا الاتصال برقية شفرية[١٤] إلى القاهرة ، كان نصها :

« إلحاقا لبرقية البعثة رقم ١٤٩/٣١٠٨ بتاريخ ٥/٢٩ :

أبلغنى الدكتور بانش أن السكرتير العام قد عدل عن توجيه النداء (إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بشأن إعلان Moratorium فى الخليج لمدة أسبوعين) كما عدل عن توجيه النداء الآخر إلى أشكول . وطلب سحب الندائين لأنه لا يود أن يقوم بعمل يسىء إلى الموقف بدلا من تخفيفه . أضاف أن يو ثانت لم يصله كتابة قبل سفره من القاهرة من السيد وزير الخارجية بتأكيد ما تم الاتفاق عليه .

شكرت السكرتير العام وقدرت له هذا التصرف الأخير ، فقد جنبنا عواقب خطيرة .

إمضاء

مندوب دائم

محمد عوض القونى »

---

(١٤) محفوظات قصر عابدين ـ البرقية رقم ١٥١/٣١٤٤ . وتوجد نسخ من البرقية فى محفوظات وزارة الخارجية ، وكذلك القيادة العليا للقوات المسلحة . وهى منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣٢) صفحة ١٠٢٣ .

كان السفير « القونى » متعجلا فى إرسال هذه البرقية للقاهرة حتى لا تبنى تصرفاتها على الانطباع بأن حالة الـ Moratorium لا تزال قائمة ومنفذة . وبالتالى فإنه لم يضمن برقيته كل تفاصيل حديثه مع « بانش » متعجلا أن يصل مضمونها إلى القاهرة بأسرع ما يمكن لكى تعيد تقدير حساباتها . ثم عاد بعد ذلك فكتب برقية شفرية أخرى إلى القاهرة يقول فيها « إنه حاول أن يستوضح بانش عن الأسباب التى دعت السكرتير العام إلى تغيير رأيه فى ظرف بضع ساعات ، ولم يحصل منه على جواب شاف سوى أن بانش كرر له ما سبق أن قاله من أن السكرتير العام يسعى إلى حل أزمة ولا يريد أن يضيف إليها أزمة أخرى . وهو يشعر أن تدخله فى هذه المرحلة ليس مناسبا ، وإنما هو سيكتفى بتقريره إلى مجلس الأمن ويترك للمجلس إذا شاء أن يطلب هو أية حلول يقترحها أعضاؤه ويتوصلون إليها من خلال مناقشاتهم . »

ثم روى السفير « القونى » فى برقيته أنه أثار مع « بانش » نقطتين :

« ١ ـ أنه لم يكن هناك اتفاق على أن يقوم وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة بتبليغ « يو ثانت » كتابة قبل سفره من القاهرة بأى شىء . وأن فهم القاهرة هو أن « يو ثانت » كان فى تلك المرحلة من مهمته يحاول تنسيق أفكار وجهود الأطراف .

٢ ـ والدليل على ذلك أنه بعد عودة السكرتير العام إلى نيويورك بعث بندائه إلى كل من الرئيس « جمال عبد الناصر » وإلى رئيس الوزراء الإسرائيلى « ليفى أشكول » ، وأنه هو شخصيا (أى السفير « محمد القونى ») أبلغ « يو ثانت » بموافقة الرئيس على ندائه ولم يسمع منه سوى كلمات الشكر والتقدير . »

ثم خلص « القونى » إلى أن الموضوع بدا له مستغربا . وزاد من استغرابه أن « يو ثانت » هو الذى كان يجب عليه بروتوكوليا « أن يبلغه بنفسه أنه غير فكره وعدل عن توجيه ندائه » .

وكان واضحا من هذا كله أن الضغوط على « يو ثانت » أصبحت أكثر مما يحتمل . ولم يكن أحد يتصور فى ذلك الوقت أن مصدر هذه الضغوط المتزايدة هو مزرعة « ليندون جونسون » فى تكساس .

الفصل الخامس

موســـــــــــكو ؟ !

فى الوقت الذى سادت فيه وحدة فكر وتخطيط وعمل (وإن اختلفت التوقيتات) - بين الولايات المتحدة وإسرائيل - كانت علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتى ، وهو القوة الأعظم الثانية التى تساندها - علاقات لم يتوصل الطرفان إلى طريقة واضحة منظمة ومقتدرة لإدارتها . فبسبب مواريث حضارية وثقافية ، وبسبب علاقات قامت على الاضطرار وليس على الاختيار ، فإن الحوار بين البلدين عجز فى مرات كثيرة عن الإمساك بصلب المواقف ، وبالتالى ظلت بينه وبين الحقائق مسافة ملحوظة . ثم إن قنوات الاتصال كانت مرتبكة متأرجحة على المستوى الفردى والعام ، كما أن لغة الحوار كانت تظهر تباينات تحتاج إلى تدقيق خصوصا فى وقت أزمة .

وبصفة عامة فقد كانت القمة على الاتحاد السوفيتى ، وهى فى ذلك الوقت مكونة من ثلاثى « ليونيد بريجنيف » زعيم الحزب و « نيكولاى بادجورنى » رئيس الدولة و« اليكسى كوسيجين » رئيس الوزراء ، تتكلم ثلاث لغات مختلفة . فقد كان « بريجنيف » حماسيا وخطابيا ، وكان « كوسيجين » حذرا وإحصائيا ، وأما « بادجورنى » فقد كان شحيحا فيما يقول وحين يفرغ منه يحتاج سامعه إلى أن يستعيده فى ذاكرته من جديد ويحاول أن

يتأكد بالضبط من مضمون ما سمعه . ولم يكن اختلاف اللهجات بين الزعماء الثلاثة اختلاف ألفاظ ، وإنما كان الخلاف قادرا على إعطاء رسائل شديدة التعارض فيما تعنيه .

وكان السياسيون تحت مستوى القمة ، وبينهم الوزراء من أمثال « جروميكو » و« نوفيكوف » و« نيباروجنى » وغيرهم ، يتحدثون بطريقة لا يستطيع معها أحد أن يفرز بالضبط رأيهم الرسمى عن رأيهم الخاص . وفى الظروف الغامضة التى تحيط بطريقة العمل فى الكرملين عادة ، فإن عددا من هؤلاء الوزراء كانوا فى مرات كثيرة يبعثون بإشارات متضاربة .

وكان القادة الحزبيون ، من أمثال « سوسلوف » و« بوناماريف » و« شليبين » و« مازاروف » ، محرضين دائمين على المقاومة باسم الثورة إلى آخر الحدود . ولم يكن فى مقدور أحد من خارج كواليس الكرملين أن يحدد بالضبط مصدر ثقة هؤلاء الزعماء الحزبيين بأن عملية صنع القرار السوفيتى تلتزم باتجاهاتهم العقائدية .

وكان العسكريون السوفيت مشكلة أكثر تعقيدا . وبحكم الصلة الخاصة فى مجال السلاح بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة ، وهو المورد الرئيسى والوحيد الذى كان فى وسع مصر أن تعتمد عليه ـ فإن السياسة المصرية كانت تعطى وزنا كبيرا لما يصدر عن العسكريين من آراء ، خصوصا وأنهم حاضرون فى مقاعد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والمكتب السياسى ـ وفى هذا المجال فإن اللهجات لم تتباين فحسب ، ولكن بدا فى كثير من الأحيان أن الدوائر مغلقة . فالماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع (وهو من القوات البرية) كان متشوقا على الدوام إلى أجواء الأزمات . كما أن ماريشال الجو « رودينكو » قائد الطيران السوفيتى كان مأخوذا بالأجواء الصالحة للطيران طوال السنة فى الشرق الأوسط . وأما الأميرال « جورشيكوف » قائد الأسطول فقد كان نظره لا يتحول عن المضايق البحرية والخلجان المتصلة بالبحار الملونة الثلاثة : الأسود والأبيض والأحمر .

ولقد أضيفت إلى هذا كله لغة فريدة كانت تصدر عن الـ « كى . جى . بى » (K.G.B. ـ هيئة مراقبة أمن الدولة والحزب) . وفى ذروة الأزمة (مايو ١٩٦٧) حدث تغيير فى قيادة الـ « كى . جى . بى . » ، فانتقلت رئاستها من « سيميشاستنى » إلى « آندروبوف »(١) . ومع ذلك فقد ظلت اللغة الصادرة عن الـ « كى . جى . بى . » لغة تصادمية رغم أن كلامها كان بالهمس فى كل الظروف .

---

(١) يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ .

وهكذا فقد كانت الدولة السوفيتية ، وهى دولة يفترض أن سياستها تقوم على وحدانية كاملة فى صنع القرار والتعبير عنه - تتحدث فى واقع الأمر بلغات مختلفة تعكس سياسات مختلفة وتحليلات للحوادث تصل إلى حد التضارب مرات ، كما أنها فى مرات أخرى تلون الحوادث ذاتها بألوان صارخة فى تناقضها ! ولعل ذلك كان راجعا إلى طبيعة الصراعات التى تجرى مكتومة فى الكرملين فى تلك السنوات دون أن يكون هناك تنبه واع - بالذات فى العالم الثالث - إلى ما يعنيه ذلك فى المحصلة النهائية فى المجال السياسى والاستراتيجى ، خصوصا إذا كان على الآخرين أن يأخذوه فى حسابهم .

□

وفى الفترة التى كانت أزمة الحشود العسكرية فيها تتصاعد وتستولى على الاهتمام العالمى كله - التقى نائب رئيس الوزراء « نوفيكوف » مع السفير المصرى فى موسكو .

وكتب الدكتور « مراد غالب » بتاريخ ١٨ مايو تقريرا(٢) خاصا بخط يده عن هذه المقابلة جاء فيه بالنص :

« ١ - أبلغنى نوفيكوف أن الأحوال الجوية فى هذا العام فى منتهى السوء . وأنه لم يمر شهر مايو بهذه الحرارة والجفاف على روسيا إلاّ منذ تسعين عاما .

٢ - ذكر لى نوفيكوف أنه إذا مر شهر مايو كله بهذا الشكل - ولم يبق من الشهر إلاّ القليل فإن محصول القمح هذا العام سيكون سيئا للغاية . ففى المناطق التى يعتمد عليها السوفيت فى انتاج القمح لم ينزل قطرة واحدة من الأمطار .

٣ - أسر لى بصفة شخصية ولسيادة الرئيس فقط أنه يحذرنا منذ الآن بضرورة توجيه سياستنا نحو مصادر أخرى من القمح غير الاتحاد السوفيتى إلاّ إذا حدثت معجزة ونزلت أمطار غزيرة فى نهاية الشهر الحالى (شهر مايو) ولكن عموما يجب علينا أن نحتاط . »

وفى نفس التقرير - وبعد مشكلة نقص القمح - تعرض السفير المصرى فى موسكو للزيارة التى قام بها « ايجال آللون » وزير العمل الإسرائيلى لموسكو ، وقال :

---

(٢) محفوظات قصر عابدين .

« ١ ـ كان تواجد وزير العمل الإسرائيلى فى موسكو وبمناسبة العيد القومى لإسرائيل حادثا غريبا ، وإن فسره سيميونوف عندما قابلته بأنه تواجد « ترانزيت Transit!!! » ـ أى مجرد مرور ـ (علامات التعجب الثلاث موجودة فى الأصل) .

٢ ـ لاحظت عند مقابلة سيميونوف خروج الكثير من خبراء الشؤون العربية والإسرائيلية من مكتبه ، ثم خروجه هو شخصيا بعد مقابلتى له وذهابه إلى مكتب جروميكو .

٣ ـ أكدت لسيميونوف أننا لا نريد الحرب بطبيعة الحال ولن نعمل على إثارتها ، ولكننا لا يمكن أن نترك سوريا تضرب ويعتدى عليها من جانب إسرائيل ، وإلاّ فإن اتفاقية الدفاع المشترك بيننا تصبح أضحوكة .

٤ ـ كذلك حشدنا لقواتنا سيجعل إسرائيل تفكر مائة مرة قبل أن تبدأ أية عمليات عسكرية ضد سوريا ، وهذا هام أيضا للسلام فى المنطقة خصوصا وأن الاستعمار وإسرائيل يحللون الموقف على أساس انشغالنا فى اليمن والجنوب العربى .

٥ ـ طلبت رأى سيميونوف فى الإجراءات التى اتخذناها ، وكذلك عن أية معلومات جديدة تكون قد وصلته .

٦ ـ ذكر بأنهم يجمعون الآن المعلومات المطلوبة عن الأحوال داخل إسرائيل واستعداداتها وسيرسلونها إلى القاهرة فى أقرب فرصة .

٧ ـ أما عن رأيه فى الإجراءات التى اتخذناها فاعتذر عن إبدائه لأنه ليس هو حكومة الاتحاد السوفيتى أولا ، ولأن جميع المعلومات لم تصلهم بعد .

٨ ـ ولكنه ذكر لى فى نهاية المقابلة بأنه لم ينم طول الليل لمطالبته بوضع بحث خاص عن نوايا إسرائيل .

٩ ـ وأخيرا ، هاجم بشدة أولئك الذين يتشدقون بكلمات ثورية حامية (يقصد السوريين) ويرددون ضرورة تحويل المعركة مع إسرائيل إلى فيتنام أخرى ، ووصفهم بأنهم كالصينيين وأنهم يسيرون فى نفس مخطط احتكارات البترول الذى يرمى إلى دفع إسرائيل ضد الدول العربية لوقف إمكانيات تطور هذه البلاد فى ميدان البترول .

١٠ـ كان هجومه واضحا على السوريين وإن يكن بطريق غير مباشر . »

□

كان السفير السوفيتى بعد مقابلته للرئيس « جمال عبد الناصر » (مساء يوم ٢٢ مايو عقب عودته من قاعدة « أبو صوير » الجوية حيث أعلن إغلاق خليج العقبة ـ وهى المقابلة التى أوضح فيها الرئيس للسفير أن الاتحاد السوفيتى مسؤول عن تصعيد الأزمة بتأكيداته عن الحشود الإسرائيلية تجاه سوريا) ـ قد بعث لموسكو بتفصيلات مقابلته مع الرئيس .

ومساء يوم ٢٤ مايو بعث السفير « مراد غالب » ببرقية شفرية [٣] من موسكو قال فيها بالنص :

« أرجو إبلاغ سكرتارية الرئيس ما يلى :

١ ـ إيماء لمقابلة السيد الرئيس للسفير السوفيتى أكد لى سيميونوف (نائب وزير الخارجية السوفيتية) أن الرئيس بريجنيف شخصيا والمكتب السياسى والحكومة السوفيتية مهتمون بمحتواها اهتماما كبيرا ويعطونها أولوية وتقديرا شديداً .

٢ ـ أرجو مقابلة السفير السوفيتى فور طلبه لموعد آخر مع الرئيس للأهمية .

٣ ـ ذكر سيميونوف أن هناك بيانا سوفيتيا صدر اليوم فى « برافدا » وهو بيان قوى فى تأييدنا . وقد أخذوا فيه بعين الاعتبار والأهمية البالغة الرغبات التى أبداها الرئيس .

إمضاء

السفير مراد غالب»

وكان « جمال عبد الناصر » قد أحس أن هناك حاجة ماسة لمشاورات مباشرة مع الاتحاد السوفيتى ، كما أنه إزاء الإمدادات العسكرية المتدفقة على إسرائيل ـ أصبحت القوات المسلحة المصرية فى حاجة إلى إمدادات جديدة من السلاح تحتفظ بالتوازن العسكرى فى المنطقة . وكان قراره ، بالاتفاق مع المشير

---

(٣) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٠/٢٨٦٥ .

« عبد الحكيم عامر » ، أن يبعث بوزير الحربية فى ذلك الوقت وهو السيد « شمس بدران » على رأس وفد سياسى وعسكرى إلى موسكو يلتقى مع القيادات السياسية والعسكرية فى الاتحاد السوفيتى ، ويتعرف على وجهات نظرها الحالية وتقديراتها المستقبلية ، ثم يقدم أيضا طلبات شحن السلاح سواء فى ذلك ما كان متأخرا من صفقات سابقة أو ما استجدت الحاجة إليه بحكم التصاعد الجارى بسرعة فى المنطقة .

ويوم ٢٥ مايو وصل إلى موسكو وفد مصرى برئاسة السيد « شمس بدران » وكان معه من العسكريين الفريق « هلال عبد الله هلال » واللواء « على عبد الخبير » والعميد طيار « محمد أمين أيوب » والعقيد « عبد الستار أمين محمد » . وكان مع الوفد أيضا السفير « أحمد حسن الفقى » الوكيل الأول لوزارة الخارجية ، وانضم إلى الوفد هناك الدكتور « مراد غالب » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى موسكو .

وكان اجتماعهم الأول فى موسكو فى الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه (٢٥ مايو) ، وكان الوفد السوفيتى مكونا من الماريشال « أندريه جريتشكو » وزير الدفاع ، والماريشال « ياكوبوفسكى » النائب الأول لوزير الدفاع ، والماريشال « زخاروف » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية . وانضم إلى عضوية الوفد السوفيتى أيضا نائب وزير الخارجية السوفيتى « سيميونوف » وعدد من المستشارين السياسيين والعسكريين .

وطبقا للصفحة الثانية من محضر هذه الجلسة[٤] فإن الماريشال « جريتشكو » ـ بعد أن استمع إلى مقدمة قصيرة من السيد « شمس بدران » عرض فيها لشكره على حسن استقباله ولتقديم طلباته ـ قال لوزير الحربية المصرى ما نصه :

« إن الحكومة السوفيتية التزمت تحت كل الظروف بمساعدة الجمهورية العربية المتحدة سياسيا وماديا ومعنويا . والبيان الذى أصدرته الحكومة السوفيتية والذى نشر فى « برافدا » أمس خطوة كبيرة فى غاية الوضوح لأنه لا يترك مجالا لأية شكوك حول نوايا الاتحاد السوفيتى فى مساعدة الشعوب العربية.»

(٤) محاضر محادثات السيد « شمس بدران » فى موسكو محفوظة فى ملفات القيادة العليا للقوات المسلحة تحت رقم قيد ٤٢١/١٢٠٨ بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٩ ، وقد أرسلت نسخ من هذه المحاضر إلى رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية وهيئة المخابرات العامة .

المباحثات بين شمس بدران والماريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى

ثم قال الماريشال « جريتشكو » (نفس الصفحة من المحضر) :

« إنه يعلم أن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة هى اليوم غير ما كانت عليه منذ عشر سنوات ولا يوجد أحد يريد استفزازها أو التحرش بها . وأن الاتحاد السوفيتى يسعده أن يرى الجمهورية العربية المتحدة القوية « لأننا نحس أن لنا نصيبا فى تشكيل هذه القوة ، ليس بالسلاح فقط وإنما بالعمل والخبرة أيضا » . وأنه عندما شاهد مناوراتها خلال زيارته الأخيرة للجمهورية العربية المتحدة كان فى غاية السعادة ، ولهذا فإن أعداء الجمهورية العربية المتحدة وعملاء الاستعمار يخشون قوتها ويضعون ذيلهم بين أرجلهم اليوم مثل الكلاب المذعورة . »

ثم قال الماريشال « جريتشكو » :

« إنه يرى أن الاستعماريين لن يجرأوا على شن الحرب ، فالشعوب العربية قوية ومتحدة ومستعدة للحرب بعنف ، ومع ذلك فهو يرى من الأفضل عدم تطوير الموقف الحالى إلى اشتباك مسلح . »

وتسجل الصفحة الثالثة من محضر الجلسة قول الماريشال « جريتشكو » :

« إن بؤرة التوتر الآن هى خليج العقبة . وإسرائيل لن تجرؤ على إخراج القوات العربية منها إلاّ إذا دفعتها القوى الغربية ، وعلى الأخص الولايات المتحدة . فالولايات المتحدة يمكن أن تثير المتاعب بالنسبة لخليج العقبة . وهم قد يرسلون سفنهم وناقلاتهم ووراءها سفن حربية ويشتبكون فى معركة . ثم تهاجم القوات الإسرائيلية المواقع المصرية فى العقبة وعندئذ ينشأ موقف فى غاية الخطورة . »

وفى هذا الموضع يسجل المحضر أن السفير « أحمد حسن الفقى » الوكيل الأول لوزارة الخارجية تدخل فى الحديث قائلا :

« إنه يريد أن يوضح كمدنى أنه وأولاده على استعداد للموت دفاعا عن الوطن حتى وإن كانت الولايات المتحدة هى الطرف الآخر فى المعركة .»

وعلق وزير الدفاع السوفيتى على ذلك بقوله :

« إن الموقف فى الخليج محمل باحتمالات المتاعب ، والمهم هنا هو الاستعداد مع التخطيط حتى لا نعطى أى مبرر للتحرش . إن إسرائيل ليست هى الخطر ، بل الاستعمار وبخاصة الولايات المتحدة . وكلنا على استعداد للموت فى سبيل القضايا العادلة ، ولكن يجب أن نفكر كيف نموت فى سبيل القضية . إن الاستعمار يقاوم وسيقاوم لبعض الوقت ، وما أخشاه هو أن السوريين وهم الآن فى حالة معنوية « طائرة فى الهواء » قد يبدأون الهجوم ، وقد يترتب على هذا الموقف خسارة سياسية . »

□

كان اجتماع الوفد المصرى بالوفد العسكرى السوفيتى فى الساعة الخامسة بعد الظهر من نفس يوم وصولهم إلى موسكو - وفى الساعة العاشرة مساء وصل إلى مقر الضيافة الذى ينزل فيه الوفد المصرى - وزير الخارجية السوفيتى « أندريه جروميكو » .

وتسجل الصفحة الأولى من محضر هذا الاجتماع مع « جروميكو » ما يلى بالنص :

« ١ - استفسر وزير الخارجية السوفيتى فى البداية عن مهمة « يو ثانت » فى القاهرة . وقد أبلغه الوزير أن السكرتير العام فى مباحثاته مع المسؤولين فى القاهرة لم يخف

الضغوط التى وقعت عليه من جانب الدول الغربية وعلى الأخص الولايات المتحدة ، ثم قدم اقتراحين هما :

أ ـ يوجه نداء إلى الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل يطلب فيه من الطرفين أن يمتنعا لفترة أسبوعين أو ثلاثة عن أى نشاط فى خليج العقبة ، أى أن إسرائيل تمتنع عن الملاحة فى الخليج ، والجمهورية العربية المتحدة توقف تنفيذ إجراءاتها ، وأنه فى هذا الوقت يتم البحث لإيجاد مخرج .

ب ـ طلب الموافقة فى أن يتواجد ممثل خاص للأمم المتحدة يقيم فى غزة .

٢ ـ وقد وافقت الجمهورية العربية المتحدة على الطلب الأول ، ووافقت على الطلب الثانى بعد تعديله بأن يكون مقر الممثل هو القاهرة . وبعد الموافقة على الاقتراحين سافر السكرتير العام يوم الخميس ظهراً .

٣ ـ سأل جروميكو عما إذا كان قد تم تنفيذ هذه الاقتراحات . ورد الوزير بأن هذا هو ما تم بين حكومة الجمهورية العربية المتحدة و يو ثانت .

٤ ـ استفسر جروميكو عن الوضع الحالى فى خليج العقبة ، وقد أعلمه الوزير بأن لنا قوات فى شرم الشيخ وتعليماتها تقضى بغلق المضيق .

٥ ـ سأل جروميكو عما إذا كانت السفن الإسرائيلية تمر حاليا ، وأعلمه الوزير بأنه لم تمر أية سفينة ، وأنه سيوضح هذا الأمر فى حديثه مع رئيس الوزراء باكر ويبلغه رسالة الرئيس إليه .

٦ ـ ذكر جروميكو أنهم مرتاحون لوصول الوفد المصرى لأنه جاء فى نفس الوقت الذى اقترحنا فيه على السفير السوفيتى فى القاهرة توجيه دعوة لوفد عسكرى سوفيتى يذهب إليهم . ثم سأل جروميكو « **هل تنتظر الجمهورية العربية المتحدة اشتباكات عسكرية فى الأيام القادمة ؟ » وذكر الوزير بأن ذلك ماتتضمنة رسالة الرئيس إلى رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين .**

٧ ـ تكلم جرومنيكو عن الاجتماع الرباعى (فكرة الرئيس الفرنسى « شارل ديجول » بضرورة اجتماع مؤتمر رباعى على مستوى القمة بين القوى الأربع الكبرى) . وقال إنه حتى أمس مساء (٥/٢٤) لم يصل إلى الحكومة السوفيتية أى اقتراح . واليوم مساء (٥/٢٥) حضر إليه السفير الفرنسى واقترح أن يجتمع ممثلو الدول الأربع الكبرى فى نيويورك (الأمم المتحدة) لبحث الأمر . وقال جروميكو إن الحكومة السوفيتية ترى

أن هذه الفكرة لا قيمة لها . ثم إن اجتماع ألاتحاد السوفيتى الآن مع ممثلى الاستعمار سيعتبر من أغرب الأمور . وأضاف إنه لا يفهم لماذا طلب الفرنسيون ذلك .

٨ - ورد الوزير بأن الفرنسيين محرجون .

٩ - قال جروميكو « إن هذا صحيح » . ثم أضاف إن الفرنسيين لديهم أفكارهم ،ولكنه يحس أن هناك لعبة فى هذا الموضوع . وذكر وزير الخارجية السوفيتى أن السياسة السوفيتية نشطة جدا ، وأن المعركة الإقليمية معركة كبيرة وأنهم واثقون أننا نسير على الطريق السليم . وهم يرون أن تأييدهم للجمهورية العربية المتحدة وسوريا مكسب كبير لهم من الناحية السياسية . وأضاف إن السفير ألسوفيتى فى تل أبيب اجتمع منذ يومين مع أبا ايبان ، وأحس بقلقه وعدم رغبة إسرائيل فى صدام . وكان ايبان يتمنى لو كان من الممكن الهبوط بالتوتر الحالى .

١٠ - ذكر جروميكو أنهم تسلموا منذ يومين رسالة من جونسون إلى كوسيجين . ولكن هذه الرسالة لم تقتصر على الشرق الأوسط ، وإنما تناولت مسائل أخرى كفيتنام . وكان تعرضها لفيتنام أكثر من تعرضها للشرق الأوسط . وأضاف جروميكو أنهم يحضرون الرد على هذه الرسالة فى عبارات حاسمة . وسوف ينددون فيه بالولايات المتحدة وعميلتها إسرائيل .

١١ - قال جروميكو إن لدى الاتحاد السوفيتى قوة بحرية ضخمة فى المنطقة . وأنهم على أساس ما قدموه من معلومات للجمهورية العربية المتحدة ، وعلى أساس البيانات التى أعلنوها - يعتبرون موقفهم واضحا فى تأييد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا . وأضاف إنهم مرتاحون لأن هذه الحوادث أدت إلى وخدة فى العالم العربى . **ولو انتهت الحوادث على الوضع الحالى فإن هذا كسب سياسى كبير ضد إسرائيل التى نعلم أنها رأس حربة للاستعمار ، وأنها مثل العرائس التى يحركها الاستعمار الغربى بأصابعه . وقال « إن تضامننا معكم معروف للولايات المتحدة وغيرهم » . وخلال المباحثات مع براون وزير الخارجية البريطانى - وقد جرت قبل أيام قليلة - كان يدافع عن إسرائيل وسياستها ، وقد ضربناه على رأسه ، ولم يكن راضيا عن موقفنا .**

١٢ - قال جروميكو إنهم يعرفون أن الدول العربية ليست سبب التوتر ، وأن الجمهورية العربية المتحدة اتخذت إجراءات دفاعية ، ولم تكن تعمل على تفجير الموقف . »

وفى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالى كان الوفد المصرى برئاسة وزير الحربية على موعد مع « أليكسى كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى مكتبه . وقد دخل الوفد المصرى فوجد « كوسيجين » وبرفقته وزير الخارجية « أندريه جروميكو » ووزير الدفاع الماريشال « جريتشكو » ونائب وزير الخارجية « سيميونوف » . وكانت المقابلة طرازا آخر مختلفا مع مقابلات سابقة عليها مع الماريشال « جريتشكو » ومع « أندريه جروميكو » .

وطبقا لمحضر جلسة الاجتماع مع « كوسيجين » - فإن الصفحات الست الأولى كانت بالكامل مجموعة أسئلة مختصرة وجهها رئيس الوزراء السوفيتى منتظرا إجابات تفصيلية عليها .

كان كل ما قاله هو فى افتتاح الاجتماع : « لقد كلفت من الرفاق بريجنيف وبادجورنى ومن غيرهم أن أرحب بكم فى زيارتكم هذه لموسكو . ونحن نود أن نسمع رأيكم حول الموقف كما ترونه » . وبدأ السيد « شمس بدران » يحكى تفاصيل الأزمة ابتداء من يوم ١٣ مايو بالمعلومات التى وصلت عن السفارة فى موسكو متضمنة التحذيرات التى سمعها السيد أنور السادات والدكتور مراد غالب .

وبدأت أسئلة « كوسيجين » :

- **ما هى المسافة بين قواتكم والقوات الإسرائيلية ؟**

(إجابة)

- **هل معنى هذا أن قواتكم موزعة على طول الحدود فى خط مستمر ، أم أن هناك حشودا فى بعض المواقع ؟**

(إجابة)

- **ما عدد قوات طوارىء الأمم المتحدة ؟**

(إجابة)

- **هل وضعتم ألغاما فى الخليج ؟**

(إجابة)

- **هل معنى ذلك أن ما تردد فى ذلك الصدد كان مجرد دعاية ؟**

(إجابة)

- **هل لدى إسرائيل أسطول بحرى فى الخليج وما هو حجمه ؟**

(إجابة)

- **وإذا أدخلوا سفنهم بحماية قواتهم البحرية والجوية فماذا يكون الوضع ؟**

(إجابة)

- **وتمنعوهم أيضا من المرور فى قناة السويس ؟**

(إجابة) : لم يمروا إطلاقا من قناة السويس .

- **ماذا عن القوات الفلسطينية فى غزة ـ هل هى تحت قيادة الشقيرى ؟**

(إجابة)

- **هل يشترك الشقيرى فى إدارة العمليات ؟**

(إجابة)

- **ما هو تاريخ خطاب جونسون إلى الرئيس ناصر ـ قبل أو بعد إغلاق الخليج ؟**

(إجابة)

وفى نهاية الصفحة الثامنة من محضر الاجتماع كان يبدو أن « كوسيجين » قد اكتفى بما وجه من أسئلة ، وكان أول تعليق قاله طبقا لنص المحضر بعد ذلك : « **الموقف إذن رهيب** » . ثم مضى « كوسيجين » يقول طبقا للمحضر من أول الصفحة التاسعة منه :

« أود أن أشكركم على هذه المعلومات التفصيلية ، فهى مفيدة لنا حول الوضع القائم » .

ثم استطرد يقول :

« نحن قدرنا موقفنا منذ بدأت الحوادث ، وقلنا إننا سوف نعطى تأييدنا الكامل للجمهورية العربية المتحدة وسوريا . ولقد أصدرنا بيانا أوليا بموقفنا ، وبعد أن استمعنا إلى رأى الرئيس جمال عبد الناصر أصدرنا بيانا ثانيا أكثر قوة ، وقد أبلغنا ممثلنا فى الأمم المتحدة أن يكون على اتصال دائم بسفيركم هناك لينسق معه كل المواقف . إن التدابير التى اتخذتموها تتفق مع مصالحكم ، ونحن كأصدقاء أبلغناكم بما عندنا من معلومات عندما حشدت إسرائيل قواتها ضد سوريا . »

وعند هذه النقطة قاطعه « شمس بدران » قائلا :

« وهذا ما دفعنا إلى تحريك قواتنا » .

وعاد « كوسيجين » إلى مواصلة كلامه فقال :

« المعلومات كانت صريحة ونحن أبلغناكم بها ، وأنتم قمتم بتنفيذ ما رأيتم أنه ضرورى . واستنتاجاتنا السياسية حول الوضع فى الشرق الأوسط كما يلى : نعتقد أن هذه الحوادث تعتبر اختبارا للسياسة التى تمارسها الجمهورية العربية المتحدة والرئيس عبد الناصر . وهذه الحوادث أثبتت سلامة هذه السياسة . ولقد بات واضحا أن كل الدول العربية ، ومن ضمنها الدول العربية الرجعية لا تستطيع عمل شىء ضد مصلحة العالم العربى رغم الجهود الجبارة التى تبذلها الولايات المتحدة وإسرائيل ، وإن كان عليكم أن تأخذوا فى الاعتبار أنه ليس كل من يقول لكم إنه صديق هو صديق فعلا . والآن نتساءل كيف تتطور الحوادث : المعلومات التى وصلتنا اليوم من إسرائيل تفيد أن هناك نشاطا كبيرا يجرى فيها . هناك مؤشر عسكرى فى إسرائيل يقول إنه فى نهاية مايو من الممكن أن تبدأ العمليات العسكرية ، وأنهم يجهزون عملية لتوجيه الضربة ، وسوف يكون صعبا على العالم عندما تبدأ العمليات أن يتأكد من بدأها . وإذا كنت قد فهمت تماما فإن وجهة نظر الرئيس جمال هى أنه حتى وإن زاد التوتر على الحدود فهو لا يريده أن يؤدى إلى عمليات عسكرية . ولكن هل أنتم تريدون قفل الخليج إلى الأبد ؟ إن الحديث الذى يدور حول الخليج حديث عنيف . وعندما ترون أن الموضوع قد يؤدى إلى نشوب الحرب فهل يستمر موقفكم كما هو ؟ أريد أن أدقق ، وأرى أن الموقف كالآتى :

من الناحية السياسية انتصرتم . ومن الناحية العسكرية انتصرتم أيضا . ماذا تريدون الآن . رأيى أنه من الممكن الاكتفاء بما وصلتم إليه . انسحاب قوات الطوارىء ثم سيطرتكم على المضيق . ماذا تريدون أكثر ؟ - العدو لا يوافق على غلق الخليج ، وأكيد أنه لن يوافق مطلقا على الغلق تماما . ليس أمامكم عدو واحد بل أعداء كثيرون . ليست إسرائيل وحدها وإنما وراءها الأمريكان والانجليز . لو كانت إسرائيل وحدها ما ثارت مشكلة . هذه أفكارى ونحن نتناقش معكم كأصدقاء . ومن المحتمل أن تأتى إليكم أساطيل أجنبية ويتوتر الموقف أكثر ويهدد بحرب . ألا يكفيكم أن قوات الأمم المتحدة انسحبت من المنطقة وأصبحتم تشرفون على المضيق ؟ بالطبع سوف يبحث الموقف

القانونى للخليج . هذا ليس اقتراحى وإنما أفكارى . وهذه الأفكار أقولها بصوت عال حتى نعرف فى المستقبل كيف نتصرف . »

وكان « كوسيجين » لا يزال يواصل عرض أفكاره قائلا :

« يو ثانت قدم لكم اقتراحات ، وأنتم قبلتوها . والمهم أن يكون الطرف الآخر على علم بذلك حتى لا تتطور الأمور بصورة مختلفة . على العموم أفضل النقاش على المائدة بدلا من المعركة فى الحرب . هذا ليس اقتراحى وإنما متابعة لأفكارى . إذا قبلتم هذه الفكرة تكون أفكارنا متطابقة ، ولكن إذا كانت لديكم وجهة نظر مخالفة أرجو إبلاغنا . »

ثم انتقل « كوسيجين » إلى نقطة أخرى :

« أنتم طلبتم معلومات عن الأسطول السادس والأسطول البريطانى فى البحر الأبيض ، وسنبلغكم بهذه المعلومات . ونحن لدينا معلومات صحيحة وثابتة عن الأسطول السادس والأسطول البريطانى . »

وعاد « كوسيجين » إلى أفكاره التى كان يتحدث فيها بصوت عال ، فأضاف إليها بعض المعلومات قائلا :

« جاءتنا اليوم معلومات من إسرائيل . هناك أشخاص يريدون العمل العسكرى مهما كانت نتيجة مباحثات يو ثانت فى القاهرة . هناك دوائر عسكرية وعناصر يمينية تضغط على الحكومة . هذه الدوائر ترى أن أى تأجيل للمشكلة ليس فى مصلحة إسرائيل . هذه الدوائر العسكرية تحضر أنفسها بالاتفاق مع الولايات المتحدة . هذه الدوائر العسكرية واليمينية تريد أيضا أن يتوتر الموقف بين إسرائيل والأردن . ومعلوماتنا أن النشاط العسكرى القادم فى إسرائيل لن يشترك فيه فقط رئيس الأركان الحالى (« رابين ») بل سيدخل فيه أيضا موشى ديان . والحالة فى تل أبيب عصبية جدا ، وهم يحفرون الخنادق ويندفعون للتطوع فى المراكز المفتوحة لذلك ويعملون دعاية لتعبئة كل الناس . وصباح اليوم جاءتنى أخبار عن وجود مظاهرات عدائية أمام السفارة السوفيتية . لا بد من التصرف بفكر بارد . »

وانتقل « كوسيجين » من هذه النقطة فقال :

« لديكم طلبات عسكرية . أقترح تسليم هذه الطلبات لوزير الدفاع . سوف يبحث

هذه الطلبات ويبلغنا بالنتيجة ونجتمع غدا فى الساعة العاشرة صباحا فى مكتبى للمناقشة النهائية . »

□

وفور انتهاء الاجتماع مع « كوسيجين » توجه الفريق أول « هلال عبد الله هلال » إلى وزارة الدفاع السوفيتية حيث التقى ونائب وزير الدفاع السوفيتى وقدم إليه قائمة بالطلبات العسكرية المصرية . وكان الاتفاق بينهما على أن يكون الفريق « هلال » جاهزا فى مكتب الملحق العسكرى المصرى فى موسكو لكى يتصل به نائب وزير الدفاع السوفيتى تليفونيا إذا عنت لهم استفسارات بشأن قائمة الطلبات يريدون إجابة عليها .

ودعى المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى إلى اجتماع طارىء فى المساء وطالت مناقشاته إلى ما بعد منتصف الليل . فقد كانت قائمة الطلبات المصرية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأزمة الناشبة فى الشرق الأوسط . ومن الغريب أن الماريشال ياكوبوفسكى ، وهو النائب الأول لوزير الدفاع ، اتصل بالوفد المصرى فى مقر إقامته وبعث إليه بإشارة هامسة مؤداها « **أنه يخشى أن يكون قرار المكتب السياسى بشأن طلبات الأسلحة أقل مما هو مطلوب ومنتظر . وبالتالى فهو ينصح الوفد العسكرى أن يتصل بالقاهرة لتساعد ببعض الضغط السياسى على القيادة السوفيتية لدفعها إلى استجابة أكثر إزاء قائمة الطلبات المصرية .»**

وبالفعل اتصل السيد « شمس بدران » بالمشير « عبد الحكيم عامر » يطلب منه القيام بمسعى سياسى إضافى من القاهرة للتأثير على القرار فى موسكو . وقام الرئيس « جمال عبد الناصر » باستدعاء السفير السوفيتى إلى مقابلته فورا وأبلغه **أن الظروف لا تحتمل أنصاف حلول أو مساومات ، وأبلغه برسالة مباشرة منه ينقلها إلى « بريجنيف » .**

وتأجل الاجتماع الذى كان مقررا له الساعة العاشرة صباحا فى مكتب « كوسيجين » يوم ٢٧ مايو لمدة أربع ساعات ، ثم جرى فعلا فى الساعة الثانية بعد الظهر بتوقيت موسكو . وبدأ « كوسيجين » كلامه فى الاجتماع فقال :

« إننا فهمنا أن الرئيس ناصر ليس سعيدا بمحادثاتنا أمس ، ونحن كنا نعمل طول الليل حتى الفجر من أجل بحث طلباتكم . وقد عدلنا قرارات كنا اتخذناها بعد أن عرفنا بوجهات نظر الرئيس ناصر . ووصلنا إلى أبعد مدى يمكن أن نصل إليه .»

ثم بدأ يعرض ما توصلوا إليه فقال :

« إنه يمكن تقسيم الطلبات المصرية إلى ثلاثة أجزاء :

□ **الجـزء الأول** : عقود قديمة حان موعد تسليم بنودها ولم تسلم بعد . وقد ؤ
تنفيذها وتسليمها إليكم فورا .

□ **والجزء الثانى** : عقود كان مفروضا أن تنفذ سنة ١٩٦٨ . وقد قررنا أن
تنفيذها خلال شهرى يوليو وأغسطس القادمين .

□ **والجزء الثالث** : طلباتكم الجديدة . وهذه سوف نبحثها ونرد عليها قبل
واحد .»

ثم أضاف « كوسيجين » قائلا :

**« هناك شيء آخر قررناه فى المكتب السياسى أمس وهو يتـ
بحسابات الدفع . فقد كنا سابقا نقدم لكم الأسلحة وتدفعون ثلثى ثمنها
مقسطا على عشر سنوات بفائدة سنوية قدرها ٢٪ . وقررنا أنه بالنـ
للظروف الحالية فى المنطقة أن ينخفض السعر إلى ٥٠٪ .»**

وكانت قائمة الطلبات المصرية الجديدة تتضمن بعض الأسلحة الخفيفة المطـ
لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولم يكن « كوسيجين » مقتنعا بهذا البند ، فقد قال « **إننا لا ؤ
أن يكون لنا دور مع منظمة التحرير أو مع جيشها ، وإذا أردتم أنتم أن تعطوهم
عندكم فأنتم أحرار ، ولكن فكروا جيدا قبل القيام بمثل هذا العمل حتى لا يتسبب هو
فى قيام حرب . ستعطونهم الأسلحة وسيجلبون لكم المشاكل .» ورد عليه السيد « شـ
بدران » عند هذه النقطة قائلا « إن جيش التحرير الفلسطينى جيش نظامى وضبـ
موجودون فيه .» وكان رد « كوسيجين » قاطعا ، فقد قال طبقا للصفحة الثالثة
محضر هذه الجلسة : « نحن لا نريد بيننا وبين أحد أو منظمة علاقات من فوق رأسكـ
ونحن نقدم إليكم أسلحة المشاة وتستطيعون أن تقدموا منها إلى هذا الجيش
ترغبونه . ومن الأفضل أن تكون علاقاتنا مباشرة معكم ، وعلاقاتهم مباشرة مـ
أيضا .»**

□

وخرج الوفد المصرى من مكتب رئيس الوزراء ومعه وزير الدفاع السوفـ

الماريشال « جريتشكو » قاصدين جميعا إلى المطار ، فقد كان الاجتماع الثانى مع « كوسيجين » هو نهاية هذه المهمة فى موسكو . ومشى الماريشال « جريتشكو » مع السيد « شمس بدران » إلى قرب سلم الطائرة يودعه قبل أن يصعد إليها . وعند السلم دار بين الاثنين حوار بالغ الأهمية رأى السيد « شمس بدران » أن يسجله فى مذكرة (٥) مستقلة جاء فيها بالنص ما يلى :

« وزارة الحربية

مكتب الوزير

مذكرة : ملخص ما دار من حديث بين السيد وزير الحربية ووزير الدفاع السوفيتى أثناء حفل التوديع بمطار موسكو سعت ١٥٠٠ يوم ١٩٦٧/٥/٢٨ .

١ ـ تناول الحديث طلبات السلاح وقلت له « طالما أننا متفقين على المبدأ الذى اتفقنا عليه ، وهو القوة العسكرية القادرة لمنع العدوان فلا يهمنى الدخول فى تفاصيل طلبات التسليح ، وكل ملاحظاتنا تركتها لكم الآن ـ إن القوة هى الأساس فى الموضوع وعلى ضوء ذلك سوف تنظرون فى المذكرة (يقصد طلبات السلاح الجديدة) .

٢ ـ وبعد انتهاء الحفل توجهنا إلى الطائرة وقبل الصعود إليها انتحى بى جانبا وقال « اطمئنوا لكل طلباتكم سنعطيها لكم » . وأضاف قائلا « أريد أن أوضح لك أنه إذا دخلت أمريكا الحرب فسوف ندخلها بجانبكم ـ هل فهمت ما أعنيه ؟» واستطرد قائلا « وصلتنا معلومات اليوم أن الأسطول السادس فى البحر الأبيض أعاد إلى كريت جنود مشاة الأسطول السابق تحميلهم على ظهر مجموعة الإنزال » . ثم أضاف « إن أسطولنا فى البحر الأبيض قريب من شواطئكم الآن ، وبه من المدمرات والغواصات المسلحة بالصواريخ وبأسلحة لا تعلموها ـ هل فهمت تماما ما أعنيه ؟ » واختتم حديثه بأن قال « أريد أن أؤكد لكم أنه إذا حدث شىء واحتجتم لنا فمجرد إرسال إشارة نحضر لكم فورا فى بورسعيد أو فى أى مكان » . وانتهى الحديث وصافحته مودعا ولكنه عانقنى بحرارة .

إمضاء

شمس الدين بدران

وزير الخارجية »

---

(٥) صورة من مذكرة السيد « شمس بدران » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣٣) صفحة ١٠٢/٤

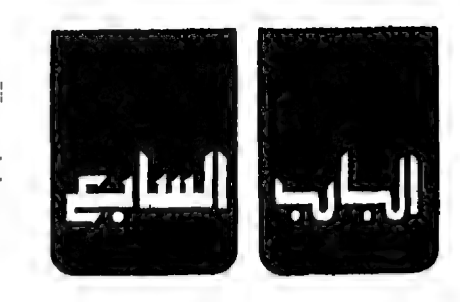

انفجار البركان

« القوة لها قوانينها .
وقانونها الأول تحقيق
أهدافها بكل ثمن ، وأى
ثمن ! »

الفصل الأول

لنبــــدأ الآن !

مساء يوم السبت ٢٧ مايو تقاطعت الطرق فى أجواء البحر الأبيض المتوسط . كان السيد « شمس بدران » عائدا بالطائرة من موسكو ، وفى نفس الوقت تقريبا كان « أبا ايبان » عائدا بالطائرة من نيويورك . ولسوء الحظ أن الفارق بين الحصيلة التى يحملها كل منهما من رحلته . كان فارقا كبيرا !

وفى الوقت الذى كان فيه « أبا ايبان » يتوجه إلى إسرائيل كانت الصورة قد أصبحت أشد اختلافا عما كانت عليه حين تركها قبل أربعة أيام . وفى واقع الأمر فإن الجيش الإسرائيلى كان يتحرك بسرعة ليأخذ فى يده زمام السلطة ، ولم يكن قد بقى عليه لإصدار البيان رقم « ١ » معلنا على العالم أن انقلابا عسكريا كاملا قد وقع فى إسرائيل إلاّ مجموعة محاذير كان الجنرالات يحاولون تجنبها إلى اللحظة الأخيرة . وقد تعرض الدكتور « بريشر » لبعض الجوانب من هذه المحاذير التى كان أبرزها ما يلى :

١ - إن « ليفى أشكول» رئيس الوزراء الحالى مازال صاحب الاتفاق الأساسى مع « جونسون » .

٢ - إنه بفضل هذا الاتفاق توفر لإسرائيل من وسائل الحرب ما لم يتوفر لها فى أى ظرف من قبل .

٣ ـ إن استلام الجيش للسلطة علنا قد يسىء إلى صورة إسرائيل سياسيا .
٤ ـ وأن هذا بدوره قد يؤدى إلى ارتباك فى خطة العمل الأمريكية .
٥ ـ إن استيلاء الجيش صراحة على السلطة سوف يكشف ساعة الصفر فى بدء المعركة ، فالجنرالات يتعين عليهم إذا أعلنوا الاستيلاء على السلطة فى البيان رقم «١» أن يعلنوا بداية الحرب فى البيان رقم «٢» ، وبالتالى تضيع المفاجأة حتى على المستوى التكتيكى .

والواقع أن كل المؤشرات راحت تتحرك بسرعة لتظهر أن استيلاء الجنرالات على السلطة السياسية فى إسرائيل أصبح قاب قوسين أو أدنى !

□

إن حقائق الأمور فى إسرائيل كانت ناطقة دائما بواقع أن الجيش الإسرائيلى ليس مجرد عامل رئيسى فى توجيه سياساتها ـ ولكنه العامل الرئيسى فى توجيه هذه السياسات . فلقد جاءت نشأة الجيش مع نشأة فكرة الدولة . وفى الوقت الذى صدر فيه وعد بلفور سنة ١٩١٧ كانت القيادة السياسية التى تمكنت من الحصول على الوعد ـ هى نفسها القيادة التى طلبت من الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى أن يضموا إلى قواتهم لواءين أطلق عليهما اسم « الفيلق اليهودى » . وحين انتهت الحرب العالمية الأولى وبدأت سياسة الاستيطان على نطاق واسع وجرى تجنيد مجموعات من الشباب لحماية المستعمرات الجديدة ، وأنشئت بالتالى قوة حرس المستعمرات « هاتشومير هاتسعير » ـ كان « الفيلق اليهودى » هو الركيزة والأساس فى الكيانات العسكرية التى بدأت تظهرفى فلسطين ليس فقط لحماية المستعمرات ـ ولكن أيضا للإرهاب والردع .

وكانت قوات « البالماخ » هى الركن الأساسى فى خطط « حماية فكرة الدولة » وتحويل أكبر عدد ممكن من « المواطنين » إلى مقاتلين فى سبيل تنفيذ الفكرة . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، ومرة أخرى ظهر فى صفوف الحلفاء « فيلق يهودى » جديد . وكان عماد هذا الفيلق هو قوات « البالماخ » . وكان النجوم الأكثر بروزا فى قيادات « البالماخ » رجال من أمثال « ايجال آللون » و« موشى ديان » و« إسحق رابين » . وكانت هذه المجموعة من القيادات وشباب الضباط الذين أحاطوا بها هى التى قادت بالفعل معركة سنة ١٩٤٨ التى خرجت بها « فكرة الدولة » إلى حيز الوجود الفعلى . وكان قادة « البالماخ » بقوة الفكرة ذاتها يحملون رسالة محددة ، فإن الفكرة فى عقيدتهم كانت غير قابلة للتجزئة ، وكانت ثورتهم شديدة حينما قامت الدولة ضمن الحدود التى قامت فيها سنة ١٩٤٨ ، مع

أن هذه الحدود كانت أوسع بكثير من قرارالتقسيم الذى صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها رقم ١٨١ . كانت عقيدتهم أن « **الوعد التاريخى** » والحق المترتب عليه يعطى للدولة اليهودية كامل أرض إسرائيل . ولم يقنعهم بقبول حدود الدولة سنة ١٩٤٨ إلاّ إصرار « بن جوريون » ، وهو الزعيم الفعلى لعملية إقامة الدولة والأب الروحى الحقيقى لعملية إنشاء « الهاجاناه » (قوات الدفاع الإسرائيلية) ، التى تحولت لتصبح جيش الدولة الإسرائيلية . وكان إصرار « بن جوريون » على القبول بخطوط سنة ١٩٤٨ هو يقينه بأنه لا الظروف الدولية ولا الظروف الإقليمية ولا الظروف العملية فى إسرائيل ذاتها تسمح فى ذلك الوقت بما هو أكثر من ذلك ، وإن ظلت مسؤولية التوسع إلى كامل حدود أرض إسرائيل معلقة « كأمانة » يجسدها بالدرجة الأولى الجيش الإسرائيلى !

وهكذا فإن الجيش الإسرائيلى لم يصبح بعد إنشاء الدولة مجرد حام لأمنها ، وإنما أصبح بعد قيامها مسؤولا مباشرا عن تحقيق ما تؤمن أنه حلمها . وكان من شأن هذا الوضع أن يزج بالجيش فى صميم العمل السياسى .

وزاد على هذا الاعتبار عنصر آخر وهو ضرورات أمن إسرائيل باعتبار أنها ـ على حد تعبير « ديان » ـ « **دولة حدود مشتعلة فى الاتجاهات الأربعة** » . ومعنى ذلك أن الجيش إلى جانب دوره فى إقامة الدولة وفى تحقيق حلمها أصبح مسؤولا عن بقائها أصلا .

وعنصر آخر لابد من أخذه فى الاعتبار وهو أن عدد سكان الدولة كان محدودا . ففى سنة ١٩٦٧ كان عدد سكان إسرائيل لا يزيد كثيرا عن مليونين ونصف مليون . وكان جيشها العامل أقل من ١٠٠ ألف . وكان الاحتياط الجاهز للتعبئة يزيد عن ربع مليون . **ومعنى ذلك أن أكثر من ربع السكان كانوا ينتمون فعلا وعملا إلى صفوف القوات المسلحة . وكان هؤلاء هم القاعدة السياسية للجنرالات باعتبارهم القادة الحقيقيين الذين تنتظر منهم وليس من غيرهم أوامر الطوارىء إذا جاءت بها تطورات الظروف .**

□

وكانت علاقة الجيش الإسرائيلى بـ « دافيد بن جوريون » علاقة وثيقة . والحاصل أنه ظل « زعيم » المؤسسة العسكرية الوحيد والمعترف به حتى بعد خروجه من رئاسة الوزارة . وتشهد تحقيقات فضيحة « لافون » أن هذا السياسى المخضرم الذى تولى وزارة الدفاع فى أعقاب خروج « بن جوريون » منها ـ قال فى التحقيقات الرسمية التى جرت

لتدقيق وقائع القضية ما نصه : « **لقد كنت أنا أجلس على مقعد وزير الدفاع ، ولكن« بن جوريون » كان هو الذى يصدر الأوامر . ولقد كنت الظل وكان هو الأصل** .»(١)

وفى انتخابات الكنيست التى جرت سنة ١٩٦٣ كان الجيش يقوم صراحة بتوجيه مجنديه وكذلك احتياطيه بإعطاء أصواتهم لحزب « بن جوريون » . واشتكت بعض الأحزاب الأخرى من هذا الوضع ، وكان دفاع قيادة الجيش عن نفسها بيانا رسميا أصدرته جاء فيه أنها« **لم تكن تريد التدخل فى الانتخابات لصالح أحد ولكنها أحست بأن عليها إصدار « دليل » للجنود الذين تكاثرت أسئلتهم عن الطريقة التى يشاركون بها فى الانتخابات العامة** .» **واضطر كبير القضاة « بيرنسون » ، وهو فى نفس الوقت رئيس المحكمة العليا الذى كلف بالإشراف على حيدة الانتخابات ، أن يكتب خطابا رسميا إلى رئيس أركان حرب الجيش يرجوه فيه أن يأمر بسحب توجيه صادر من هذه القيادة إلى الجنود فى شأن المشاركة فى الانتخابات . وجاء فى خطاب القاضى « بيرنسون » أن « هذا التوجيه الصادر عن القيادة إلى جنود قوات الدفاع يمكن أن يبدو فى نظر البعض تدخلا سافرا فى معركة سياسية »** .

وعلى أية حال فإن ما كان يملكه رئيس قضاة المحكمة العليا فى إسرائيل لم يكن يملكه غيره ، ولعله الوحيد الذى كان قادرا على رسم حدود معينة للجيش الإسرائيلى لا يتجاوزها فى ظرف معين (ظرف انتخابات عامة) . وأما بقية القيادات فى إسرائيل فقد أصبحت رغبات الجيش وإشاراته فى واقع الأمر قرارات وأوامر يصعب تجاهلها ، **حتى أن « موشى شاريت »(٢) رئيس وزراء إسرائيل كتب فى مذكراته أنه « اضطر إلى تقديم استقالته من رئاسة الوزارة لأن دافيد بن جوريون كان يضغط على الوزارة بقيادة الجيش على نحو لم يعد يحتمله »** .

وحتى عندما قرر « بن جوريون » أن يعتزل الحياة السياسية ويعيش فى مستعمرة « سد بوكر » فى وسط صحراء النقب - كان عدد من قادة الجيش الذين توالوا على مناصبه العليا طوال سنين يذهبون إليه فى منفاه الاختيارى ، ويقضون معه جزءا من عطلة نهاية الأسبوع ويتحدثون معه فى كل شىء ، بل ويطلعونه على أخطر وثائق الدولة بما فيها عقود السلاح وخطط العمليات . ولم يكن أيا من رؤساء الوزارات الذين خلفوه أو وزراء الدفاع

---

(١) تحقيقات اللجنة البرلمانية - القضائية الخاصة التى شكلت لتحقيق فضيحة « لافون » سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٦ . المجلد الثالث - صفحة ٢٥١ .

(٢) تولى رئاسة الوزارة فى إسرائيل فى الفترة ما بين ١٩٥٤/١/٢٥ و١٩٥٥/١١/٣ .

الذين جاءوا بعده - فى وضع يسمح لهم بأن يعترضوا على ما يجرى حرصا على عدم الاحتكاك بقيادة الجيش من ناحية ، واعترافا بدور « بن جوريون » فى إنشاء هذا الجيش . وكان « بن جوريون » لا يكف عن مواجهة كل ناقديه بهذا الدور .

ويلفت النظر فى هذا الصدد نص الخطاب الرسمى الذى كتبه « دافيد بن جوريون » لرئيس الدولة معتذرا عن تشكيل الوزارة سنة ١٩٦٣ . وفى هذا الخطاب عرض « بن جوريون » فى مقدمة مختصرة خدماته المستمرة للدولة الإسرائيلية فكرة وتحقيقا . ثم أضاف بالنص الفقرة التالية :

« لقد كانت أصعب وأخطر مهمة ألقيت على عاتقى هى تلك التى عهدت بها إلىّ الحكومة المؤقتة فى القانون الصادر فى ١٧ آيار سنة ٥٧٠٨ (من التقويم اليهودى وهى تصادف مايو ١٩٤٨) خاصا بإنشاء قوات دفاعية إسرائيلية برية وبحرية وجوية . ونتيجة لهذه المهمة فقد أنشىء بحق جيش حقق لشعبنا انتصارات لامثيل لها فى تاريخنا منذ أصبحنا أمة . لقد أصبحت قوات الدفاع الإسرائيلية حصن الأمة بالفعل . إنها شكلت من شباب رائد مقاتل استطاع أن يقوم ببناء الوطن ، وكان بوتقة انصهار للمنفيين التائهين ورافعة قوية للنهوض بإسرائيل ، وذراعا منفذة مخلصة للسلطة المنتخبة من الشعب صاحب السيادة . كما أنها أصبحت من أحسن الجيوش تنظيما فى معظم البلاد الديمقراطية فى العالم . وإذا كان عملى فى هذا الميدان قد كلل بالنجاح فإن الشكر فى ذلك يعود أولا وقبل كل شىء إلى القيادة الملهمة المخلصة . إلى الجنرالات ياكوف دورى ، وايجال يادين ، وموردخاى ماكليف ، وموشى ديان ، وحاييم لاسكوف ، وزفى تسور ، وإلى نائب وزير الدفاع شيمون بيريز ، وإلى القواد المخلصين للفيالق الجوية والمدرعة والمشاة والمظلات والبحرية والخدمات العسكرية ولكل مساعديهم المخلصين من جميع الرتب ، ولكل الجنود فى قوات التجنيد الإجبارى والقوات النظامية وقوات الاحتياطى وكذلك الوحدات الصغيرة الأخرى . وإنى لأتركهم وأنا أحمل لهم كل حب واحترام لأنى - لأسفى البالغ - غير مستعد فى الظروف القائمة أن أقبل مهمة تشكيل الوزارة . وهذا عائد إلى اهتمامى الأكيد بسلامة إسرائيل وشرفها . »

ولم يبق شك لدى أحد فى أن هذا الخطاب لم يكن موجها إلى رئيس الدولة ، وإنما هو موجه إلى الجيش الإسرائيلى الذى يعتبره « بن جوريون » ركيزة قوته السياسية وقاعدتها .

ومساء يوم ٢٧ مايو كانت تطورات الحوادث قد دفعت بالجيش وبـ « دافيد بن جوريون » كليهما إلى مقدمة الساحة السياسية ، وكانت حرارة الموقف ترتفع إلى درجة الحمى الساخنة ساعة بعد أخرى .

□

حتى مساء يوم السبت ٢٧ مايو كان « ليفى أشكول » يتصور أنه يستطيع أن يقود العمل السياسى فى إسرائيل بوصفه رئيسا للوزراء ، ويستطيع أن يقود العمل العسكرى بوصفه وزيرا للدفاع . وإزاء سخونة التطورات لم يشأ أن ينتظر إلى صباح الأحد ، موعد الاجتماع العادى للوزارة الإسرائيلية . وهكذا دعا الوزارة لاجتماع طارىء فى الساعة الثامنة مساء يوم السبت . وطرح « أشكول » على المجلس عددا من البرقيات وتقارير المعلومات التى وصلت إليه من واشنطن ونيويورك وغيرهما . وكان أول ما عرض له هو اقتراح « يو ثانت » بتجميد الأحوال على ما هى عليه لمدة أسبوعين (اقتراح الموراتوريوم) . وقال إنه لم يرد على السكرتير العام للأمم المتحدة ، ولا ينوى أن يرد قبل أن يسمع ما يحمله « أبا ايبان » الذى هو الآن فى طريقه عائدا من واشنطن إلى إسرائيل . ثم عرض « أشكول » بعد ذلك ما وصل إليه ـ من السفير الإسرائيلى فى واشنطن « أفراهام هارمان » ـ من رغبات الرئيس « جونسون » فى إعطائه فرصة إضافية لتأمين أى تحرك مشترك . وقد قال « أشكول » فى هذا الصدد إن « **السفير الإسرائيلى فى واشنطن سمع من الرئيس جونسون مباشرة أن الرئيس الأمريكى يريد أن يستوثق من معلومات بلغته مؤداها أن الاتحاد السوفيتى سوف يقدم المعونة لأية دولة عربية تتعرض لهجوم عسكرى** » . **وأضاف « أشكول » إن « هذه نقطة جديرة بأن توضع فى الاهتمام ، خصوصا وأنه يتذكر أن الرئيس جونسون قال له فى لقاء سابق بينهما : « إننا سوف ننفذ ما وعدناكم به أيا كان ، ولكن علينا أن ننسق خطواتنا بحيث لا نترك وراءنا ثغرة .» ثم أضاف « أشكول » إن « جونسون قال هذه العبارة وهو يضع عينيه فى عينى ، يريد أن يؤكد الرسالة بما هو أكثر من الالفاظ .»**

وتدخل « ايجال اللون » وزير العمل (والقائد السابق لقوات « البالماخ ») فى المناقشة ، وكان رأيه عدم الانتظار أكثر من ساعات . وجاء فى أقوال « آللون » طبقا لمحضر مجلس الوزراء الإسرائيلى الذى اطلع عليه الدكتور « مايكل بريشر » ونقل منه فقرات كثيرة فى دراسته ـ مايلى :

« رأى آللون أن أى مزيد من التأجيل مفعم بأخطار شديدة لأن من شأنه استنزاف قوة البلاد معنويا وماديا على حد سواء . وكانت تقديراته :

أ - إن الأمة معبأة منذ أكثر من أسبوع . وقد أبطأ سير اقتصاد البلاد . كما أن السكان المدنيين الذين استدعوا إلى الخدمة فى الجيش ينتظرون فى لهفة اتخاذ قرار . أى قرار .

ب -إن هناك إحساسا متزايدا بأن الوزارة عاجزة عن معالجة الأزمة وهذا خطر .

جـ - إن الجيش يلح فى ضرورة إعطائه الإذن بالقتال ، وقيادته تعتقد أن كل تأجيل من شأنه أن يرفع الخسائر الإسرائيلية سواء فى البشر أو فى الموارد .

د - إن المعلومات التى وصلت عن مهمة ايبان فى واشنطن حتى قبل قدومه تشير إلى أن البيت الأبيض لم يعط الضوء الأخضر لبدء المعركة فورا . وهذا يدل على أنهم ما زالوا بعيدين عن حقائق المشاعر والضرورات الضاغطة على إسرائيل .

هـ - إن ناصر منهمك فى التصعيد ، والعرب عبئوا نفسيا إلى أقصى درجة . وقد بدأت قوات عربية تصل إلى مصر وبينها قوات عراقية . وبشكل عام فإن هناك هستيريا تجتاح العالم العربى .»

وأثناء اجتماع مجلس الوزراء تلقى « أشكول » رسالة من « جولدا مائير » تقترح عليه فيها أن يعين « آللون » مساعدا خاصا لرئيس الوزراء لشئون الدفاع . وكتب « أشكول » - طبقا لروايته - على طرف الرسالة التى بعثت بها إليه « جولدا مائير » تأشيرة قال فيها إنه لا يرى الوقت مناسبا لمثل هذا الاقتراح ، وأنه سوف يتحدث معها بشأنه عقب انتهاء المجلس .

ثم تلقى « أشكول » أثناء جلسة الوزارة أيضا تقرير معلومات عن لقاء تم بين « دافيد بن جوريون » و« مناحم بيجن » اتفق فيه الاثنان معا على مطالبة « أشكول » بتعيين « ديان » وزيرا للدفاع . وكان لقاء « بن جوريون » و« بيجن » نذير شؤم لـ « أشكول » لأن معناه أن اثنين من القادة التاريخيين لإسرائيل قد تصالحا بعد خصام وقطيعة دامت عشر سنوات ، وكان صلحهم - على حد قوله - فوق جثته .

وفى الساعة العاشرة مساء والوزارة مازالت تواصل مناقشاتها أخطر « أشكول » أن

الجنرال « ديان » وصل إلى مقر المجلس ، وهو يطلب دخول قاعة الجلسة لأنه يحمل معه توصيات بالغة الأهمية من لجنة الأمن والدفاع فى الكنيست التى كانت مجتمعة بدورها فى نفس الوقت لبحث الموقف . ولم يكن هناك مفر من السماح لديان بدخول قاعة اجتماع الوزارة ، وكان ما يريد إبلاغه للوزارة هو أن « **لجنة الأمن والدفاع فى الكنيست ترى أن أى انتظار بعد ذلك هو مقامرة بأمن ومستقبل إسرائيل » . وظل « ديان » فى قاعة اجتماع المجلس إلى الساعة الثانية عشرة مساء (منتصف الليل) ، ثم غادر القاعة والوزارة مازالت تواصل اجتماعها .**

وفى الساعة الثالثة والنصف صباحا كان« أبا ايبان » قد وصل إلى القدس وعلم أن مجلس الوزراء مازال منعقدا ، وتوجه من المطار مباشرة لينضم إلى الاجتماع . ولمدة نصف ساعة راح « أبا ايبان » يروى للمجلس ما لديه ، ولم يكن فيه جديد على مجلس الوزراء الذى كان قد أحيط علما بالفعل بالنقاط الرئيسية للمباحثات التى أجراها فى واشنطن . وبعد حديث « أبا ايبان » انحصر النقاش فى الواقع بين خيارين :

- **خيار** يرى الانتظار ٤٨ ساعة قبل اتخاذ قرار نهائى ، وذلك لإعطاء الرئيس « جونسون » فرصته التى يريدها للتأكد من موقف السوفيت .
- **وخيار** آخر يرى أن الوقت لم يعد يحتمل الانتظار .

وفى الساعة الخامسة صباحا طرح « أشكول » كلا الخيارين للتصويت . وكانت الأصوات المؤيدة للخيار الأول (خيار الانتظار ٤٨ ساعة قبل اتخاذ قرار بشن الهجوم) تسعة ، هى أصوات الوزراء « آران » ـ « بارزيلاى » ـ « بنتوف » ـ « بورج » ـ « ايبان » ـ « كول » ـ « سابير » ـ « شابيرا » ـ « فرهافتى » . وفى المقابل كانت الأصوات المؤيدة لخيار العمل فورا وشن الهجوم دون انتظار تسعة ، هى أصوات « آللون » ـ « كارمل » ـ « جاليلى » ـ « جفاتى » ـ « ساسون » ـ « شابيرو » ـ « شاريف » ـ « يشعياهو » . وكانت المفاجأة أن « أشكول » أعطى صوته لصالح العمل فورا .

وقد برر هو ذلك بأنه اتخذ هذا الموقف ليجهض أى مزايدة عليه بما فى ذلك أى ضغط يستغل ما يقال عن تردده ويفرض عليه « بن جوريون » أو « ديان » . وقد قال إنه وجد المجلس منقسما إلى قسمين بالكامل (تسعة ضد تسعة) ، وبالتالى فقد كان ذلك الانقسام مبرره لطلب فض الجلسة الآن وقد بلغت الساعة الخامسة صباحا ، لكى يستريح الوزراء بعض الشيء ويعودوا إلى اجتماع آخر فى الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم ـ الأحد .

□

وفى الغالب فإن أيا من أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلى ، بما فيهم رئيسه « ليفى أشكول » ـ لم يستطع أن ينام . فقد انتهى اجتماع المجلس قرب الصباح ليجد المشاركون فيه أن هناك كثيرين فى انتظارهم يريدون أن يتحدثوا معهم ، كما أن هناك تيرات متضاربة تهز البلاد هزا عنيفا .

كان الانقسام الذى حدث فى مجلس الوزراء قد تسرب إلى المحافل السياسية فى إسرائيل ، وجرى تفسيره على الفور بأنه دليل حى على عجز الحكومة عن قيادة البلاد فى وقت أزمة . ولم يقتنع أحد بأن تصويت « أشكول » مع المطالبين بالعمل الفورى هو موقفه الحقيقى ، وإنما أخذ على أنه مناورة سياسية ضيقة أراد بها تغطية نفسه فى الساعات القادمة . وكان الجنرال « رابين » قد دعا هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى إلى اجتماع تسرب بعده عدم رضا الجنرالات عن عجز الحكومة البادى فى انقسامها (تسعة ضد تسعة) ـ وكذلك رغبتهم فى وجود حكومة قوية تستطيع حماية ظهر الجيش .

واتفق « بن جوريون » مع « مناحم بيجن » على أن يقوم « بيجن » بإبلاغ « أشكول » بأن الموقف يقتضى تشكيل حكومة قوية ، وهذا لا يتحقق إلاّ بأن تكون هذه الحكومة قومية تضم كل الأحزاب فى إسرائيل . كما أنه يتحتم أن يدخل الجنرال « ديان » هذه الوزارة وزيرا للدفاع لأنه موضع ثقة الجيش ومحل إجماعه .

وفى نفس الوقت راحت وفود ممثلة لقوى سياسية كثيرة تتدفق على عاصمة إسرائيل ، وبينها وفد من حيفا ووفد من قيادة حركة الكيبوتز (المستعمرات) ـ وكلها كانت تطلب سياسة حازمة !

وفى هذا المناخ العاصف عادت الوزارة إلى استئناف اجتماعها مرة أخرى ، وبدأته فى الساعة الرابعة بعد الظهر . ولم يكن هناك جديد يضاف إلى ما دار فى الصباح سوى أن « أبا ايبان » أضاف إلى حجج المطالبين بالانتظار ٤٨ ساعة أخرى ، حجة جديدة قال فيها « **إنه لا يعقل أن يكلف أثناء وجوده فى واشنطن يوم ٢٦ مايو بأن يذهب لمقابلة وزير الخارجية الأمريكى دين راسك بغير موعد سابق لكى يطلب منه منع هجوم مصرى وشيك ـ ثم تقوم إسرائيل بعد ذلك بثمان وأربعين ساعة بهجوم شامل تشنه بقرار منفرد منها .** »

ومن ناحيته قال « أشكول » إنه « قرر توجيه حديث على الإذاعة والتليفزيون إلى « الأمة » لكى يجعل الرأى العام فى صورة الموقف » . وبصرف النظر عن هذه الإضافات

إلى وقائع الجلسة التى انتهت عند الفجر ، فقد كان الموقف كما هو دون جديد . أى أن مجلس الوزراء كان لايزال منقسما (تسعة ضد تسعة) . وحان الموعد الذى كان على « أشكول » فيه أن يتوجه لإلقاء بيانه ، وكان القرار النهائى لـ« ليفى أشكول » هو طلبه من الوزراء أن يكونوا على استعداد فى أى وقت إذا ما تلقوا منه دعوة طارئة لاجتماع عاجل .

ووصل « ليفى أشكول » إلى دار الإذاعة الإسرائيلية فى الساعة الثامنة مساء ، أى قبل نصف ساعة من الموعد المقرر لظهوره على شاشات التليفزيون . وكان بعض الذين اطلعوا على نص الخطاب قبل إلقائه قد اقترحوا تعديلات عليه رأى « أشكول » أن يأخذ ببعضها ويضيفها إلى خطابه . وقام بعمل ذلك فعلا بمساعدة مدير مكتبه « ياف » ، ثم دخل إلى استوديو الإذاعة .

كان « أشكول » مرهقا إلى حد يفوق طاقته ويتعدى ظروف سنه . وحين بدأ يلقى خطابه كان صوته خافتا وكانت عباراته مرتبكة ، وكانت الألفاظ تتلعثم على شفتيه . وكان مؤدى ما قالة « أشكول » هو « **إن إسرائيل تحتفظ بحقها فى الدفاع عن نفسها وسوف تواصل جهودها لكسر طوق الحصار المصرى بكل الوسائل** » . وفى جميع الأحوال فإن رسالة « أشكول » لم تكن واضحة فى ظرف كان الرأى العام فيه وكذلك الجيش يريد أن يسمع كلاما قاطعا ، ويريد أن يرى فى نفس الوقت زعيما قادرا على إلهاب الحماسة وتعبئة المشاعر وتوحيد الآراء . وعندما فرغ من إلقاء خطابه لم يكن ذلك الخطاب قد حل مشكلة ، وإنما أضاف فى حد ذاته مشكلة أخرى تمثلت فى عاصفة من النقد وجهت إلى رئيس الوزراء سواء فى طريقة أدائه أو فى مضمون ما قاله . وحتى « ياف » مدير مكتبه ، لم يجد ما يعلق به على هذه الحملة سوى قوله « **إنه يعرف أن أشكول لم يكن صورة جديدة ملهمة مثل تشرشل ، ولكن لا بد من ملاحظة سن الرجل والأعباء التى يحملها على كتفيه** .»

عاد « أشكول » من استديوهات الإذاعة إلى مكتبه فى وزارة الدفاع . وهناك وجد الجنرال « رابين » رئيس أركان الحرب فى انتظاره . وسأله « رابين » عن القرار النهائى الذى اتخذته الحكومة ، وراح « أشكول » يشرح له تفاصيل مناقشات مجلس الوزراء . ولم يكن « رابين » مستعدا لسماع كل هذه التفاصيل .

وفى الغالب أنه لم يكن فيما سمعه من رئيس الوزراء جديد عليه . وكان تعليقه أن « جيش الدفاع يريد قرارا واضحا ، ولا يريد فى هذه اللحظات مجرد وجهات نظر » . وقال « أشكول » لـ « رابين » إن « العسكريين يجب أن يتفهموا ظروف القرار السياسية ، وأنا أطلب منك أن تشرحها لهم » . وكان رد « رابين » بالحرف ـ طبقا لمذكراته ـ هو قوله لـ « أشكول » : « إنك وزير الدفاع ، والمفروض أنك الجهة المكلفة بإبلاغهم قرارات السلطة السياسية ، واقتراحى عليك أن تقوم أنت بإبلاغهم ما تشاء » . ووقع « أشكول » فى الفخ الذى نصبه له « رابين » ، وقال إنه سوف يكون مستعدا للاجتماع بالجنرالات فى ظرف نصف ساعة . وبينما خرج « رابين » من مكتب « أشكول » ليدعو الجنرالات لاجتماع مع رئيس الوزراء ، اتصل « أشكول » بـ « ايجال آللون » طالبا منه أن يحضر معه اجتماعه بالجنرالات .

ولم يكن منظر أحد عشر جنرالا وهم يدخلون إلى مكتب « ليفى أشكول » منظرا مطمئنا ، فقد كانت ملامحهم جميعا مقطبة وبوادر التحفز ظاهرة على قسمات وجوههم العابسة . وأراد « أشكول » فيما يبدو أن « يتبسط » مع الجنرالات وأن يجردهم من سلاح الغضب قبل أن يبدأ فى حديثه معهم ، فقال لهم « أنتم تعرفون بالطبع أنكم تمثلون أمل إسرائيل فى هذه الساعات ، وأنا أريدكم أن تتحدثوا معى بصراحة كما لو كنتم غير عسكريين . ففى هذه الظروف التى تواجهها إسرائيل يتحتم أن يكون الحوار بيننا مفتوحا وأمينا . وقبل أن أقول لكم ما عندى فإنى أدعوكم إلى أن تقولوا لى كل شىء . » وانفتحت أبواب الجحيم . فقد كان أول المتكلمين هو الجنرال « وايزمان » رئيس هيئة العمليات . وكان وقتها يعتبر صقر الصقور[٣] .

ولم ينتظر « وايزمان » حتى يجلس على مقعده وإنما رد على « ليفى أشكول » على الفور قائلا « **إن السياسة التى تتبعونها مجلبة للكوارث**[٤] ، **وهذا هو رأينا باختصار** » . وحاول « أشكول » أن يصطنع الحلم فقال « **أظن أنه كان يجب أن أبدأ أنا أولا بشرح الموقف لكم** » . وكان رد « وايزمان » أن « **حقائق الموقف معروفة حتى**

---

(٣) يقول الذين عرفوا « وايزمان » فيما بعد من الساسة المصريين إنه تحول بعد ذلك إلى واحد من الحمائم نتيجة لإصابة ابنه الذى كان ضابطا شابا فى الجيش الإسرائيلى ـ أثناء حرب الاستنزاف بطلقة فى رأسه أصابته بنوع من الشلل الكامل .

(٤) نص كلماته وفقا لكل من تحدث إليهم الدكتور « مايكل بريشر » من المشاركين فى الاجتماع بين « ليفى أشكول » والجنرالات الإسرائيليين .

فى مقاهى شارع ديزنجوف (شارع المقاهى فى تل أبيب) ، ولا يستطيع أحد أن يضيف إليها شيئا . والحقيقة الظاهرة لكافة الناس فى الجيش وخارجه هى أن إسرائيل تواجه أخطر أزماتها وقيادة العمل السياسى فيها موكولة إلى أضعف فريق عرفته إسرائيل . والحقيقة الوحيدة المؤكدة هى أن هناك عجزا كاملا عن اتخاذ قرار . » وحين رد « أشكول » بأن « هذا القول ليس دقيقا لأن هناك قرارا بالفعل قد اتخذ والمسألة كلها مسألة ساعات ، وأعضاء الوزارة يعرفون أنهم جميعا مدعوون فى أية لحظة لإصدار الأمر ... » قاطعه « وايزمان » قائلا إن « هناك عشرات الألوف ينتظرون فى الخنادق وهم لا يطلبون إلاّ صدور الأمر لهم والأمر لا يصدر . وإسرائيل كلها وهم معها لايفهمون لماذا لا يصدر الأمر . » ثم أعاد « وايزمان » ذكر تشبيه استعمله « شارون » من قبل أثناء اجتماعه مع الجنرالات فى الجبهة الجنوبية قبل أيام قليلة وقال لـ « أشكول » إن « أقوى جيش يهودى منذ أيام الملك داوود موجود تحت إمرتك . اصدر أمرك إلى هذا الجيش بالزحف وسوف تدخل التاريخ كواحد من الفاتحين الكبار فى وقت يتعرض فيه بقاء إسرائيل نفسه للاختبار . »

□

ودخل بقية الجنرالات بعد ذلك فى مباراة لتقريع رئيس الوزراء ، والوصول بالتقريع إلى درجة الإهانة . وحين حاول « أشكول » أن يحتج قام « وايزمان » بحركة مسرحية ألهبت مشاعر زملائه ، فقد هب واقفا من مقعده وخلع وساما كان معلقا على صدر سترته العسكرية وألقاه على مكتب « أشكول » قائلا « إنه لا يعتقد أنه أو غيره يحق لهم الاحتفاظ بأى وسام إذا كان العجز عن العمل هو ردهم على الخطر » . وامتقع وجه « أشكول » وحاول « آللون » كما حاول « ياف » مدير مكتب « أشكول » تخفيف حدة التوتر المفاجىء الذى ضاعف من حدة اللقاء ، ولكن بقية الجنرالات لم يتركوا لأحد فرصة ، فقد كانوا جميعا متضامنين مع « وايزمان » . وتدخل « رابين » فقال « إنه لا يستطيع أن يضمن السيطرة على القوات إذا ما تأخر صدور الأمر لها ببدء القتال . وهو يضع هذه الحقيقة كرئيس لأركان الحرب أمام السلطة السياسية لكى تأخذها فى اعتبارها وهى تتخذ قرارها النهائى .

ولم يسكت « شارون » وإنما قال وكل عضلات وجهه تنفر بالثورة : « إننى لا أستطيع أن أسيطر على نفسى فضلا عن سيطرتى على قواتى . وإذا لم أتلق أمرا بالتحرك فإنى سوف أعتبر نفسى فى حل من التصرف ومسؤولا أمام التاريخ اليهودى وحده . »

وكانت أقسى المفاجآت على « أشكول » فى هذا الاجتماع ما عرفه أثناء المناقشات الحامية من أن **الجنرالات قرروا فى الصباح إرسال مبعوث خاص منهم إلى واشنطن لاستطلاع حقيقة رأيها . فهم لا يثقون فى دبلوماسية « أبا ايبان » من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهم يعرفون بحقيقة التزامات الولايات المتحدة ولا يفهمون سببا يدعو إلى تأجيل الوفاء بها حتى لثمان وأربعين ساعة فى انتظار التحقق من موقف البنتاجون .**

وعرف رئيس وزراء إسرائيل أن جنرالاته ـ بدون استئذانه ـ بعثوا بالجنرال « مائير آميت » مدير الموساد وقتها والمسؤول عن التنسيق مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومع « جيمس أنجلتون » بالتحديد ـ إلى واشنطن مبعوثا خاصا لهم مكلفا باستطلاع الملابسات من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإبلاغ الطرف الآخر فى الاتفاق مع إسرائيل بأن الوقت المناسب لإطلاق العنان لها « To Unleash Israel » ـ هو هذه الساعة نفسها وليست أى ساعة قادمة . وسكوتهم حتى هذه اللحظة ليس انتظارا لقرار يتخذه مجلس الوزراء ، ولكنه انتظار لإشارة من « مائير آميت » .

ثم جاءت فى النهاية طلبات الجنرالات المحددة :

١ ـ تشكيل وزارة وحدة وطنية تستطيع أن تقود البلاد .

٢ ـ تعيين الجنرال « ديان » وزيرا للدفاع ليستطيع أن يقود الجيش .

٣ ـ صدور قرار سياسى يستطيع جيش الدفاع الإسرائيلى أن يتصرف فى إطاره الدستورى والقانونى بأسرع ما يمكن قبل أن تضيع الفرصة ويصبح أمن إسرائيل مكشوفا أمام الخطر .

ولم يكن أمام « أشكول » ما يقوله سوى إنه وقد استمع إلى « آراء الجنرالات » سوف يعيد دراسة وتقييم الموقف مع زملائه فى الوزارة ومع حزبه وبالتشاور مع جميع الأحزاب . وأبدى « أشكول » ملاحظة قال فيها « **إنه يؤيد قرار الجنرالات بإرسال الجنرال مائير آميت إلى واشنطن ، ولو كانوا سألوه فى هذه المهمة لوافق عليها متحمسا ولفعل كل ما فى وسعه لتعزيزها فى واشنطن . ومع ذلك ، وبرغم تحفظه على إرسال مدير الموساد إلى واشنطن دون علمه ، فإنه سوف يبعث إلى واشنطن ما يؤكد للمعنيين أن الجنرال مائير آميت يمثل إسرائيل كلها فى زيارته لواشنطن .** »

□

وكان على « أشكول » بعد ذلك أن يواجه الطلبات المحددة للجنرالات . وفى أعماقه

فإن « أشكول » لم يكن متحمسا لتشكيل وزارة ائتلافية . فقد كان يعرف على حد تعبيره « أن المياه تجرى بالفعل فى قنواتها » وأن كل إمكانيات العمل المباشر متوافرة ، وأن قراره السياسى ببدء القتال لن يتأخر أكثر من ساعات ، وبالتالى فهو لا يعرف سببا يدعوه إلى اقتسام « المجد المنتظر » مع آخرين لم يشاركوا فى الإعداد له . وفى نفس الوقت لم يكن « أشكول » فى أعماقه مستريحا لفكرة تعيين الجنرال « ديان » وزيرا للدفاع . فلم يعد هناك الآن شىء يستطيع أن يفعله « ديان » أو غيره سوى سرقة أضواء المسرح ، وإذا كان على « أشكول » أن يترك وزارة الدفاع فقد كان رأيه لا يزال ميالا إلى « آللون » الذى أثبت ولاءه والذى كان إلى جانبه فى الظروف المعقدة لإدارة الأزمة .

وحضر « أشكول » فى اليوم التالى اجتماعا للجنة السياسية لحزب « الماباى » . وفى هذا الاجتماع صوتت اللجنة بالموافقة على اقتراح بتعيين « آللون » وزيرا للدفاع ، مع عرض منصب نائب رئيس الوزراء على الجنرال « ديان » . وحينما أبلغ « ديان » بهذا القرار رفضه مصرا على أن يكون وزيرا للدفاع ، أو رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع أيضا . وجرت محاورات ومجادلات شديدة مع « ديان » الذى أراد أن يظهر حسن نيته وعدم طمعه فى منصب سياسى فقال إنه « مستعد لأن يقبل أى قيادة عسكرية فعالة ويترك العاصمة ليذهب إلى ميدان القتال » . وأراد « أشكول » أن يضعه فى فخ اعتقد أن « ديان » نصبه لنفسه ، فطلب إعداد مشروع قرار بإعادة الجنرال « ديان » إلى الخدمة العاملة وتعيينه قائدا عاما للجبهة الجنوبية مع مصر . ثم فوجىء « أشكول » بزملاء له فى الائتلاف ، بينهم « داف جوزيف » ، وقد أصروا جميعا على أن عودة « ديان » إلى صفوف الجيش فى منصب عسكرى بعد اشتغاله الطويل بالسياسة هو خلط بين السياسة والعسكرية . وعادت الضغوط تشتد لتعيين « ديان » وزيرا للدفاع ، واضطر « أشكول » إلى الرضوخ فاتجه إلى تأليف حكومة وحدة وطنية شارك فيها « مناحم بيجن » ودخلها « ديان » وزيرا للدفاع .

وفيما بعد قال الصحفى البريطانى « جون كيمشى » فى كتابه عن سنة ١٩٦٧ مانصه :(٥)

« لقد كان الخوف من انقلاب عسكرى هو السبب الذى أرغم أشكول على القبول بديان وزيرا للدفاع . »

وكان معنى تشكيل حكومة وحدة وطنية فى إسرائيل ، وتعيين الجنرال « ديان وزيرا للدفاع - هو أن قرار بدء العمليات العسكرية قد اتخذ فعلا .

---

(٥) صفحة ١٨٣ من دراسة « دونالد نيف » عن ظروف معركة سنة ١٩٦٧ .

تشير الوثائق السرية الأمريكية إلى أن مهمة « مائير آميت » رئيس الموساد كانت عاملا رئيسيا فى كل ما جرى فى إسرائيل فى تلك الساعات بما فيه قرار بدء القتال ، وتشكيل حكومة وحدة وطنية وتعيين الجنرال « ديان » وزيرا للدفاع . لم تكن هناك إلاّ قلة فى واشنطن تعرف بوصول « مائير آميت » إلى واشنطن وبمهمته فيها . وعندما وصلت الطائرة التى كان يستقلها إلى مطار واشنطن اتجهت بعيدا إلى ممر خاص ، وتوجهت إليها سيارة تحمل رجلين اثنين هما « جيمس آنجلتون » مسؤول العمليات فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية و« ايبى ايفرون » الوزير المفوض فى السفارة ، وهو المنصب الذى أعطى له لتغطية منصبه الحقيقى باعتباره أحد كبار مسؤولى الموساد والمكلف بالتنسيق مع الحكومة الخفية التى كانت تتحكم فعلا فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت .

وتوجه « مائير آميت » إلى بيت من البيوت الحصينة التى تستعملها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (Safehouse) ، وهناك بدأ حديثه مع « جيمس آنجلتون » و « ايبى ايفرون » ، ثم انضم إليهما أربعة أشخاص آخرين يرجح أن واحدا منهم على الأقل من مسؤولى مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض ، والأرجح أن يكون واحدا من اثنين : إما « والت روستو » نفسه ، وإما « روبرت كومر » مساعده المختص بشؤون الشرق الأوسط . والحقيقة أن المعلومات عن هذا الاجتماع شحيحة ، كما أنه بطبيعة الحال لا توجد أية وثائق مسجلة أو محفوظة . وربما كانت الإشارة الصريحة الوحيدة إلى ما حدث فى هذا الاجتماع هى التقرير الأول الذى بعث به « مائير آميت » إلى إسرائيل ، وقد اطلع عليه الدكتور « بريشر » وأشار إليه فى دراسته عن عملية صنع القرار السياسى فى إسرائيل سنة ١٩٦٧ ـ وجاء فيه قول الجنرال « مائير آميت » بما نصه :

« ١ ـ فى نهاية أول يوم من محاولتى لاستطلاع الموقف فى واشنطن فهمت مما سمعت من تلميحات وحقائق متناثرة أن مشروع القوة البحرية الدولية (التى تتولى فتح مضايق ايلات بالقوة) يواجه مصاعب سياسية ليس من السهل حلها فى أيام قليلة .

٢ ـ وقد تولد لدىّ انطباع قوى بأنه إذا بدأت إسرائيل فتصرفت بمفردها فإن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتأخر طويلا فى اللحاق بها إذا اقتضى الأمر .

٣ ـ ومهما كان ما تفعله إسرائيل فإنها تستطيع أن تعتمد فى كل الأحوال على التأييد السياسى الأمريكى .

٤ ـ إن تدخلا عسكريا يقوم به الاتحاد السوفيتى أصبح فى رأى من قابلتهم أمرا مستبعدا ، وإذا حدث فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد لتحمل مسؤولية مواجهته . »

وعلى وجه اليقين فإن هذا التقرير الأولى وما تلاه بعد ذلك من تقارير « مائير آميت » ، وكانت جميعا مختصرة ـ أحدثت تغييرا فى موقف « أشكول » . فلقد أصبح الموقف الآن مرتبطا بقدرة إسرائيل على العمل ، وهو واثق أنها تملك هذه القدرة إزاء مصر . فإذا كانت الولايات المتحدة تعطيها الآن إشارة إمكانية البدء فعليها أن تبدأ خصوصا إذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لأن تتكفل هى بموقف السوفيت .

ويلفت النظر أنه فى ذلك اليوم بالتحديد سئل « دين راسك » وزير الخارجية فى مؤتمر صحفى سؤالا محددا نصه : **هل تقوم الولايات المتحدة بأية جهود لكبح جماح إسرائيل ؟ « وكان رد وزير الخارجية الأمريكى بالحرف : « لا أظن أن من شأننا كبح جماح أحد »** .(٦)

ونتيجة لتقارير « مائير آميت » أيضا التقى « أبا ايبان » مع الجنرال « رابين » والجنرال « ياريف » فى حضور المدير العام لوزارة الخارجية وأبلغهما « **أنه سحب اعتراضاته السياسية فى صدد إجراء عسكرى فورى ، حيث أن فترة الانتظار قد حققت الغرض منها ، وأنه لا شىء يكتسب من وراء مزيد من الانتظار ، وأن ما يستتبع ذلك من قرارات عن الوسائل والتوقيت ينبغى الوصول إليها الآن على الأسس العسكرية وحدها » . والغريب أن « أبا ايبان » أخطر « رابين » و « ياريف » برأيه دون أن يستشير « أشكول » رئيس الوزراء الذى عاتبه فيما بعد قائلا له : « هل كنت تستطيع أن تفعل ذلك لو كان بن جوريون رئيسا للوزراء ؟ »**

□

---

(٦) نشرة وزارة الخارجية الأمريكية عن مؤتمر صحفى لـ « دين راسك » بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٦٧ .

وعاد الجنرال « مائير آميت » إلى إسرائيل فى نفس الطائرة مع « هارمان » السفير الإسرائيلى فى واشنطن ، وحضر كلاهما اجتماعا للجنة الأمن والدفاع لمجلس الوزراء ، وهى تعتبر مجلس الوزراء المصغر المكلف ببحث القضايا الحساسة ، وشارك فى هذا الاجتماع كل من الجنرال « رابين » والجنرال « ديان » رغم أنه لم يكن قد تولى بعد رسميا منصب وزير الدفاع - وكان واضحا من بعض الإشارات التى وردت بعد ذلك فى الملخص الرسمى المختصر الذى أعد بعد اجتماع اللجنة أن « مائير آميت » استطاع تحقيق نجاح كبير فى مهمته فى واشنطن . فقد سجل هذا الملخص أن الجنرال « آميت » روى أنه قابل « آرثر جولدبرج » المندوب الأمريكى الدائم فى مجلس الأمن ، وأن جولدبرج قال له « **إن ناصر يريد تحقيق انتصار بغير حرب ، وهذه سياسته الواضحة من جميع تصرفاته ، ولايحق لنا ولا لكم أن نسمح له بذلك . وليس من الضرورى أن ننتظر موقف الآخرين (يقصد على الأرجح اتصالات إنشاء قوة بحرية) - لكى نحدد موقفنا نحن . » وكان المهم بعد هذه الملاحظة - وهو ما يعطيها دلالتها الحقيقية - أن « مائير آميت » عرض فى تقريره لبعض النقاط التى اتفق عليها مع « جولدبرج » بشأن ما يمكن أن يكون عليه موقف الولايات المتحدة إذا ما قامت إسرائيل بأخذ الأمور فى يدها .**

وكان أهم ما فى هذه النقاط :

« ١ - إن « جونسون » سوف يسعده أن تأخذ إسرائيل زمام الأمر فى يدها وتبدأ بالخطوة الأولى .

٢ - إن كثيرين يتساءلون فى واشنطن (وأولهم « آنجلتون ») ما الذى تنتظره إسرائيل أكثر مما حصلت عليه ؟ - وكان « آنجلتون » قد أخطر « آميت » - ردا على تساؤل منه - بأن وكالة المخابرات المركزية جاهزة لشحن ثلاثة أسراب من طائرات « سكاى هوك » اشترتها الوكالة من ميزانيتها وحصلت على أولوية باستلامها بتصريح استثنائى من « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع ، كما أنها - طبقا لتفاهم سابق - « جاهزة » باثنين وسبعين طيارا متطوعا جرى تدريبهم على المستوى اللازم للعمليات .

أضاف « آميت » كذلك أن الوكالة رتبت لإسرائيل سربين من طائرات « ميراج » تم تسليمهما قبل أيام عن طريق هولندا - مع ٦٢ دبابة من طراز « ليوبارد » الألمانى . وأخيرا أوضح « مائير آميت » أن كل ما طلبته إسرائيل من الذخائر نقل إليها فعلا خلال الأسبوعين السابقين على طائرات أمريكية مباشرة من قواعد فى ألمانيا الغربية .

٣ ـ رأيه الذى توصل إليه فى النهاية هو أن إسرائيل لديها كل ما تحتاج إليه . وتستطيع أن تبدأ وتستطيع أن تنتصر . وأنه بحجم الانتصار الذى تحققه ـ بحجم ما تستطيع أن تضمن من تأييد « جونسون » . وإذا كان فى مقدور انتصار كبير أن يغطى مساحة واسعة من الاهتمام الأمريكى بحيث يؤثر على فيتنام ، فإن إسرائيل تستطيع أن تضمن « جونسون » معها إلى النهاية مهما كان من شأن أهدافها المستقلة (يقصد أهداف إسرائيل فى الضفة الغربية) .

٤ ـ إن الروس ليسوا فى وضع يسمح لهم بالتدخل ضد إسرائيل ، وإذا تدخلوا بما هو أكثر من البيانات والإنذارات فإن الموقف كله سوف يختلف ، وحينئذ يصبح موقف الرئيس الأمريكى مبررا دستوريا ودوليا فى أى إجراء يتخذه .

وأخيرا كانت هناك قضية سياسية تتعلق بالإجراءات ، وهى :

٥ ـ إنه إذا انعقد مجلس الأمن لبحث الموقف فى الشرق الأوسط فى أعقاب عمل تقوم به إسرائيل ، فإن الولايات المتحدة ملتزمة بما يلى :

أ ـ لن تسمح الولايات المتحدة بأى اتهام يوجه إلى إسرائيل بأنها البادئة بالعدوان (ومعنى ذلك أنها تتعهد باستعمال حق الفيتو لمنع أية إدانة لإسرائيل) .

ب ـ إن أى قرار يصدر عن مجلس الأمن بوقف إطلاق النار بعد نشوب أية عمليات ، لايجب أن ينص كما هى العادة على عودة القوات إلى الخطوط التى كانت عندها قبل بدء العمليات .

جـ ـ إن الولايات المتحدة لا يجب أن تدخل فى مشاورات أو اتفاقات أو تنسيق للمواقف مع أى طرف من الأطراف ، لا فى نطاق الأمم المتحدة أو خارجه ، بدون علم وقبول وموافقة إسرائيل .

وقد أضاف « مائير آميت » إلى هذه النقاط المحددة ـ ونقلا عن « جولدبرج » ـ أن الرئيس الأمريكى مصمم على أن يفهم « ناصر » هذه المرة ما لم يفهمه سنة ١٩٥٦ ، وهو أن على العرب هذه المرة أن يتوجهوا إلى الولايات المتحدة وإلى إسرائيل ، وليس إلى الاتحاد السوفيتى أو الأمم المتحدة . وأن « جولدبرج » أكد له أن « جونسون » يعتقد أن مشكلة سنة ١٩٥٦ هى أن « ناصر » تصور أن الإنذار السوفيتى

هو الذى أوقف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، فى حين أن الولايات المتحدة هى التى ضغطت على حلفائها ـ وهذا لن يتكرر مرة أخرى ، وبالتالى فإن على العرب أن يعرفوا فى المستقبل » أن خيارهم الوحيد هو الاتجاه إلى واشنطن » !

ولا يظهر من ملخص التقرير أن الجنرال » مائير آميت » قابل الرئيس » جونسون » بنفسه ، وإن كان ذلك وحده لا ينفى احتمال مثل هذه المقابلة . ومع ذلك فقد كانت هناك إشارات إلى أن رئيس الموساد دخل البيت الأبيض مرة واحدة على الأقل من باب خلفى وقضى فيه بعض الوقت .

كذلك كانت هناك إشارات إلى اجتماعين شارك فيهما » آميت » ، أحدهما فى » لانجلى » (مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) ـ والثانى فى » البنتاجون » (مقر وزارة الدفاع الأمريكية وهيئة أركان الحرب المشتركة للجيش الأمريكى) .

☐

وبرغم هذه المساحة الواسعة من التفاهم والتوافق على شكل » العمل المنتظر » ـ فقد كانت هناك ثغرة مفتوحة ، وهى ثغرة الجبهة الأردنية .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تركز أهدافها على الجبهة المصرية . وكانت نظرة إسرائيل أوسع .

وكان دافع الولايات المتحدة إلى الحرص على الأردن راجعا إلى تعهداتها للملك » حسين » ، وهى تعهدات أكدتها رسائل » جونسون » المتكررة إلى جانب الاعتقاد السائد بأهمية دور الأردن كعازل بين إسرائيل ومناطق البترول العربى فى السعودية والعراق . يضاف إلى ذلك أن تعرض المملكة الهاشمية فى الأردن إلى خطر إسرائيلى داهم (أكثر من مجرد غارات واشتباكات حدود) كان مخاطرة فادحة قد تؤدى إلى عواقب يصعب تداركها بالنسبة للدول العربية التقليدية والصديقة للولايات المتحدة .

والراجح أن إسرائيل ـ خصوصا فى زيارة » مائير آميت » لواشنطن ـ كانت تتجنب أى مناقشة تفصيلية تتعلق بالأردن ، وقد ظنت أن أى مناقشة تفصيلية يحتمل أن تضع عليها قيدا يحد من حريتها فى العمل وفق ما تراه .

والحقيقة أن أى استقراء للشواهد كان محققا أن يظهر أن الهدف الإسرائيلى الرئيسى كان فى الأردن . وأن الهدف فى مصر كان مجرد مقدمة ضرورية له .

● **كان أول هذه الشواهد** هو المبالغة الإسرائيلية فى تصوير خطر الحشود المصرية فى سيناء وقرار إغلاق خليج العقبة . فالحشود المصرية لم تكن حشود أوضاع هجومية ، وكان هذا ظاهرا للإسرائيليين وللأمريكيين على السواء ، وقد تأكد منه « أبا ايبان » و « مائير آميت » أثناء اجتماعاتهما فى البنتاجون . ثم إن البواخر التى تحمل العلم الإسرائيلى والتى تعمل على خط خليج العقبة إلى ايلات لم تزد (طبقا لنصوص رسالة « يو ثانت » الشهيرة بشأن الموراتوريوم) عن باخرتين اثنتين . وليس هذا هو الضغط الذى يؤدى إلى خنق إسرائيل كما راحت تصور . ويمكن أن يكون التفسير المنطقى لهذه المبالغة الإسرائيلية هو الرغبة فى الحصول بسرعة على الضوء الأخضر للانطلاق (سياسة Unleash Israel) . وظاهر من الإشارات الواردة فى ملخص تقرير « مائير آميت » أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية غيرت رأيها الظاهر وأصبحت ترغب فى بدء الحركة قبل أن يتمكن « جونسون » من ترتيب موقفه الدستورى والسياسى مما يتيح لها مجالا أوسع للمناورة . ومن اللافت للنظر عبارة وردت فى ملخص تقرير « آميت » جاء فيها قوله لـ « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع الأمريكى « **إن إسرائيل الآن لا تمانع فى أن تبدأ هى على مسؤوليتها مادامت مطمئنة إلى أن الولايات المتحدة سوف تكون وراءها . وقد بدأت تراودها خشية أن ينقلب عليها الرأى العام الأمريكى إذا ما سقط ضحايا من الجنود الأمريكيين فى عمليات اقتحام الخليج بقوة بحرية دولية تتقدمها قطع أمريكية . فسقوط ضحايا بهذه الطريقة سوف يربط نفسه على الفور ـ ويربط إسرائيل معه ـ بسقوط ضحايا أمريكيين فى فيتنام** » . **وكان هناك فى واشنطن من استغربوا هذا التبدل فى الموقف الإسرائيلى .**

● **وكان ثانى هذه الشواهد** أن وجود مجموعة ضباط « البالماخ » القديمة ـ ممثلة فى « ديان » و « رابين » و « آللون » ـ ودورهم البارز فى الدفع إلى العمل يعنى أن هذه المجموعة عائدة بتصميم إلى تنفيذ الحلم القديم الذى أفلت أكثر من مرة من قبل فى الاستيلاء على كل أرض إسرائيل .

● **ويرتبط بذلك مباشرة شاهد ثالث** وهو اشتراك كتلة « جحل » برئاسة « مناحم بيجن » فى وزارة وحدة وطنية . فكتلة « جحل » كانت واضحة فى موقفها طول الوقت ، وكان مطلبها الدائم هو كامل أرض إسرائيل . ودخولها فى وزارة وحدة وطنية الآن بطلب وضغط من مجموعة « البالماخ » كان لا بد له أن يعنى شيئا أوسع من مجرد رد خطر ماثل على الخطوط المصرية أو فى خليج العقبة .

● **وشاهد رابع ينقله** « دونالد نيف » فى دراسته عن أزمة سنة ١٩٦٧ وهو يروى

أن الجنرال « أوزى ناركيس » والجنرال « آموس هوريف » (وكان وقتها رئيسا لمعهد « التخنيون ») قابلا « وايزمان »[٧] **وقالا له « إن أمام إسرائيل فرصة ضخمة لتنجز عملا هائلا على الجبهة الأردنية ولا يجب أن تفلت هذه الفرصة » . ثم أضاف الجنرال « آموس هوريف » قوله « إن الحل الوحيد لفتح المضايق هو تحرير القدس والضفة الغربية » .**

● **وشاهد خامس** - والرواية فيه لتقرير « دونالد نيف » أيضا - عن شهادة سمعها بنفسه من « مريام أشكول » زوجة « ليفى أشكول » التى أفضت إليه بأنها لاحظت ذات ليلة فى هذه الفترة أن زوجها « ليفى أشكول » غير قادر على النوم ، وأنه راح يتقلب فى فراشه لساعات طويلة ، ولما سألته عما به أجابها بقوله بالحرف[٨] **« إننى قلق لأننا قريبا جدا سوف نجد أنفسنا أمام أرامل وأيتام نتحمل مسؤوليتهم » . ثم أردف قائلا لزوجته « مريام » : « عزاؤنا الوحيد أننا سوف نستعيدها » . وسألته « مريام » عما يقصده بهذه التى « سوف نستعيدها » - وكان رده « القدس . سوف نأخذها كاملة » .**

كانت الضفة الغربية بما فيها القدس هى الهدف الإسرائيلى الأصيل ، ويلفت النظر أن الاسم الرمزى للهجوم الإسرائيلى على سيناء سنة ١٩٥٦ كان « قادش » ، وهو عنوان الدعاء الذى يتلى فى المعابد اليهودية لطلب السلامة . وأما الاسم الرمزى للعملية الإسرائيلية سنة ١٩٦٧ - فقد كان عبارة « ضربة صهيون » - إشارة إلى الحلم الصهيونى بأرض إسرائيل - أى بالضفة الغربية والقدس - وليس بسيناء !

---

(٧) تكررت الرواية مرة أخرى فى مذكرات « وايزمان » نفسه .
(٨) صفحة ١٩٥ من دراسة « دونالد نيف » عن أزمة سنة ١٩٦٧ .

الفصل الثانى

تفكير الملك

كان الملك « حسين » فى عمان أكثر الأطراف العربية متابعة لما يجرى فى إسرائيل . ولقد أحس مبكرا ببوادر العاصفة واتجاهاتها الحقيقية ، وأدرك - مع التطورات المتسارعة فى إسرائيل - أن مصير المملكة الهاشمية الأردنية فى مهب الريح .

وكان الملك على حق من وجهة نظر دولية عامة ، ومن وجهة نظر محلية خاصة .

والواقع أنه من ناحية دولية عامة ، كانت المواجهة بين القوتين الأعظم ، وبكل فروعها ، قد دخلت إلى مرحلة ساخنة فى الشرق الأوسط . وكانت المواجهة بين العملاقين دائرة على عدة محاور :

١ - **كان هناك محور المنافسة الاقتصادية الاجتماعية** التى احتدمت بين القوتين منذ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها - وفى هذا الوقت من سنة ١٩٦٧ كانت المنافسة لاتزال مستمرة .

٢ - **محور ضغط الولايات المتحدة على أوروبا الشرقية** ، وكانت هذه عملية تشرف عليها وتقودها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، والمسؤول عنها فى ذلك الوقت هو

« فرانك ويزنر »[1] نائب رئيس وكالة المخابرات ، وقد كان هو بنفسه الذى أدار عملية المجر سنة ١٩٥٦ . ولم تنجح عمليته لأن الاتحاد السوفيتى تدخل بدباباته فقمع المحاولة كلها ، ووضع هذا المحور من محاور المواجهة على الرف سنين طويلة .

٣ ـ **محور إرهاق الاتحاد السوفيتى عن طريق سباق السلاح** . وفى سنة ١٩٦٧ كان المسؤول عن هذا المحور هو « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع الأمريكى وواحد من أبرز دعاة استعمال سباق السلاح لإرغام الاتحاد السوفيتى على نقل أولوياته ووضع قضية التنمية فى الدرجة الثانية ، لتكون الدرجة الأولى لسباق السلاح العقيم .

٤ ـ **وكان المحور الرابع يتصل بهذا المحور الثالث وهو الاستعداد لمخاطر حرب نووية** ، مع إدراك أن هذا الاحتمال غير وارد ولايصح أن يرد على الإطلاق . ومع ذلك فقد كان للمواجهة عن طريق الحرب النووية فلاسفة يتصورون إمكانية وقوعها ، وأبرزهم فى ذلك الوقت « هنرى كيسنجر » .

٥ ـ **وأخيرا ، كان المحور الخامس من محاور المواجهة هو الصراع بين الاثنين على الصداقة والنفوذ فى العالم الثالث** . وكان هذا العالم الثالث بحكم تجربته السابقة مع الاستعمار الغربى ـ ميالا إلى التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، وبدوره كان الاتحاد السوفيتى على استعداد لمساعدة هذا العالم الثالث إلى حد كبير . وكان هذا المحور من محاور المواجهة هو المحور النابض بالحيوية والحرارة فى حقبة الخمسينات والستينات ، وقد قاده ذلك بالفعل إلى حافة صدام بين العملاقين فى أكثر من موقع تمتد من السويس إلى هافانا . فقد كانت دول العالم الثالث المصرة على الاستقلال والحالمة بالتنمية ـ على استعداد لمد يدها بالود والصداقة للاتحاد السوفيتى . وكان ذلك يثير الولايات المتحدة الأمريكية ورؤساءها المتعاقبين فترة الحرب الباردة من « ايزنهاور » إلى « جونسون » .

والآن ـ مايو ١٩٦٧ ـ كانت التطورات فى الشرق الأوسط قد أدت إلى موقف قابل للالتهاب والاشتعال . وكان « جونسون » ـ المتورط بلا حدود فى حرب فيتنام ، والذى استقر فى النهاية على استعمال سلاح « **إطلاق العنان لإسرائيل** » ـ لا يريد أن يضرب مصر فقط ، ولكنه كان يريد أيضا أن يعطى للعالم الثالث كله درسا فى عدم جدوى الاعتماد على الاتحاد السوفيتى أو التعاون معه .

□

---

(١) وهو والد السفير الأمريكى فى القاهرة « فرانك ويزنر » الذى يحمل نفس اسم والده .

كان الملك « حسين » فى عمان يتابع ما يجرى فى المنطقة . وقد قادته الظروف إلى المعسكر العربى الآخر ، الصديق للولايات المتحدة والمتخوف من حركة القومية العربية باتجاهها الاجتماعى كما تمثلها القاهرة فى ذلك الوقت . ولقد شارك بنفسه فى مراحل مختلفة من هذا الصراع فى الشرق الأوسط وعلى مقاديره .

ولقد راقب الملك ـ شأنه شأن غيره كثيرين فى المنطقة ـ وقائع الاحتكاك الشديد بين السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وحركة القومية العربية . ولم يكن الملك وآخرون غيره يتصورون أن الولايات المتحدة يمكن أن تصل فى عدائها للقاهرة إلى حد الظهور صراحة بسياسة « **إطلاق العنان لإسرائيل** » . فقد كانت هناك فى تقديرهم محاذير تحول دون ذلك وأهمها أن درس السويس كان لايزال ماثلا للعيان . لكن الملك فى فترة منتصف الستينات وما حولها بدأ يشعر أن الولايات المتحدة قد تلجأ إلى هذا السبيل كحل لا بديل له بينما هى متورطة فى فيتنام . وكان ذلك يقلق الملك كثيرا لأنه قبل أى طرف آخر فى المنطقة كان على علم بحقيقة المطامع الإسرائيلية فى مملكته ، وكان محقا فى اعتقاده أن إسرائيل إذا أخذت الضوء الأخضر بالعمل ضد مصر فإن عملها لن يقتصر على مصر وحدها ، وإنما لا بد له أن يحقق مطالبه الأصلية فى الضفة الغربية للأردن ، وهى نصف مملكته .

وكان اعتقاد الملك فى هذا الصدد قائما على عنصرين :

● **أولهما عنصر من التاريخ** : فإن الملك كان على علم بكل المحاولات التى بذلها جده الملك « عبد الله » واتصالاته مع الوكالة اليهودية ثم دولة إسرائيل (بعد سنة ١٩٤٨) ـ وكانت جميعا تؤكد أن إسرائيل لم تقبل فى أى وقت من الأوقات بضم الضفة الغربية للأردن إلى مملكة الملك « عبد الله » سنة ١٩٤٩ . ومع أنها سكتت على مضض ـ فإنها راحت تتحين أية فرصة تواتيها لتحقيق طموحها إلى كامل أرض إسرائيل . وكان معنى ذلك بالنسبة للملك أن آخر عرش للهاشميين فى أرض العرب هو الآن ـ فى الأزمة المفاجئة فى المنطقة ـ مكشوف ومعرض .

● **وكان العنصر الثانى سياسى** : فالملك ـ بحكم تجربة طويلة وحافلة ـ يملك صداقات واسعة مع جهات متعددة ومتنوعة ، بينها أجهزة من مواقع صنع القرار الأمريكى فى واشنطن . كما أن علاقات وثيقة كانت تربطه بمجموعة القوة الجديدة التى راحت تظهر فى العالم العربى من ثلاثى المخابرات والبترول وتجارة السلاح . وكان هؤلاء على صلة حميمة بالمخططات الأمريكية فى المنطقة

ونواياها الدفينة . وإلى جانب ذلك فقد كان الملك ـ بحكم وجود الإدارة الأردنية في الضفة الغربية ، وصلات الموظفين الأردنيين والفلسطينيين بالعرب المقيمين في إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨ ـ يملك مصادر للمعلومات دقيقة ومفصلة عما يجرى في إسرائيل .

ومن هذين العنصرين معا كان القلق قد بدأ يستبد بالملك . وقد بعث برسائل متوالية إلى « جونسون » ، وكان « جونسون » يرد عليه بالتطمين ، ولكن الملك لم يكن يشعر بأى نوع من الاطمئنان ، فقد كان يلمح النفوذ الإسرائيلى النافذ فى واشنطن ، ويلمح خطة إطلاق العنان لإسرائيل Unleash Israel ـ وكأنها اعتمدت . وتساوره شكوك فى قدرة الولايات المتحدة على كبح جماح إسرائيل عن مملكته ، ويقدر أنها إذا نجحت فى مصر فإن نجاحها قد يغرى أمريكا بالسكوت على المصير الذى ينتظر الأردن مهما كانت نواياها .

ولقد كان من هنا أن الملك بعث بتحذيره الشهير إلى القاهرة . وهو التحذير الذى حمله الفريق « عبد المنعم رياض » والذى لم يشعر الملك أنه ترك أثرا كان يأمل فيه على مسار الحوادث ، لأن الأزمة راحت تتصاعد بعنف وتصل إلى الذروة فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٦٧ .

□

كانت تلك أصعب فترة واجهت الملك « حسين » طول تاريخه ، ولعلها كانت أشق امتحان تعرض له . ولقد راح يحسب موقفه ، وكانت أمامه مجموعات من العوامل المحيرة والمقلقة :

١ ـ إذا نشبت الحرب بين مصر وإسرائيل ـ ومهما كانت نتيجتها ـ فإن الشعب الأردنى الفلسطينى فى مملكته لن يقبل بالسكوت ، خصوصا فى جو التعبئة النفسية التى تحكمت فى أعصاب المنطقة .

٢ ـ وإذا أمر جيشه بأن يتصدى لتحركات شعبية فى مملكته تطالبه بالانضمام إلى مصر ، فأغلب الظن أن الجيش سوف يعصى أوامره ، وهنا فإن العرش سوف يجد نفسه فى عزلة عن الشعب والجيش معا .

٣ ـ ولم يكن الملك يقدر ـ بحساباته ـ احتمال انتصار عربى فى مواجهة مسلحة مع إسرائيل ، ومعنى ذلك أنه خاسر سواء حدث انتصار عربى أو حدثت هزيمة . فالانتصار

العربى على فرض احتماله سوف يضعه فى موقف حرج ، والهزيمة سوف تضعه فى موقف أشد حرجا .

٤ - وفى كل الأحوال فإن الملك يقدر أن إسرائيل لن تفوت فرصتها فى تحقيق « **حلم كامل أرض إسرائيل** » ، وهو لا يملك وسائل للدفاع ضدها . والخطة الموجودة للدفاع عن الضفة الغربية هى كما تركها « جلوب » (باشا) وذكرها الملك بنفسه فى مذكراته ، وهى تقضى بالانسحاب من الضفة الغربية فى حالة هجوم إسرائيلى والاعتماد على الضغط الغربى فى استعادتها مرة ثانية . وهى خطة قال الملك فى مذكراته إنه لم يكن موافقا عليها (وقد عدها بين أسبابه لطرد « جلوب » من الجيش الأردنى سنة ١٩٥٥)[٢] ولكنه لم يعثر على بديل يعوضها بخطة أخرى لأن موازين القوى الحقيقية لم تكن تسمح له بغيرها .

٥ - وإذا كان الحال كذلك فإن العرش الأردنى لا يجب أن يظهر أمام الرأى العام العربى وكأنه هو الذى أضاع الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس . وإذا كان الأمل معقودا على جهود دولية تتولى هى الضغط على إسرائيل - إذن فإن الضرورات تفرض عليه أن يجد غطاء لنفسه فى الفترة الحرجة إذا ما قررت إسرائيل - ومن الراجح أنها سوف تقرر - أن تعطى لنفسها حرية الحركة فى اتجاه نهر الأردن .

وهكذا راح الملك يقدر ويفكر ، ويحسب ويعيد حساباته ، وأخيرا كان قراره واحدا من أكبر المفاجآت التى وقعت فى تلك الأيام .

كان قراره - رغم خلافات حادة وعنيفة - أن يتجاوز عن كل شىء وأن يطير إلى القاهرة للقاء مع « جمال عبد الناصر » .

ولقد كان فى واشنطن من أدركوا أن الملك يقوم بمناورة كبيرة وخطيرة لمواجهة الموقف الطارىء - وكان بينهم من فهموا ، ثم تصوروا أن فى مقدورهم احتواء ردود الفعل الإسرائيلية بمنطق أن إسرائيل بدورها سوف تفهم ، ولعلها سوف تقدر !

ولم يكن الملك من هذا الرأى ، فقد كان يعرف إسرائيل بأكثر مما تعرفها واشنطن ، وكان عليه شأن المضطر أن يركب الصعب وأن يمشى على حبل مشدود بين جبلين محاذرا من الهاوية السحيقة تحته - عارفا مقدما أنه لا يستطيع الوقوف فى مكانه ، وإنما عليه أن يتحرك مهما كانت كل الاتجاهات مظلمة !

☐

(٢) صفحة ٢٠٨ من كتاب « كينيث لاف » عن « السويس - المعركة التى حوربت مرتين ! »

مساء يوم ٢٩ مايو اتصل قائد الأركان الأردنى اللواء « عامر خماش » بالفريق « عبد المنعم رياض » يقول له « إن المشاعر فى الأردن معبأة على الآخر ، وقد قرر الملك أن يستجيب لشعبه وجيشه ، وهو يقترح الآن أن يسافر إلى القاهرة فى أسرع وقت وأن يلتقى بالرئيس جمال عبد الناصر لتنسيق المواقف » .

وأحدثت الرسالة المفاجئة دهشة عميقة فى القاهرة . فقد كانت توجهات السياسة الأردنية والإعلام الأردنى توحى بشىء آخر . وذلك أنه قبل أسبوع واحد - أى يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ - كانت الحكومة فى الأردن قد قررت قطع علاقاتها مع سوريا . وعرفت القاهرة بهذا القرار قبل إعلانه من برقية شفرية ملتقطة وجهتها وزارة الخارجية فى الأردن إلى سفارتها فى دمشق . وكان نصها كما يلى :

« من الخارجية

إلى السفارة فى دمشق

نتيجة لحادث الرمثا[٣] الإجرامى قررت الحكومة قطع العلاقات مع سوريا . تبلغ السفير السورى بذلك . أبلغكم ذلك لاتخاذ ترتيباتكم بصورة مستعجلة لتكونوا على بينة وعلى استعداد لمغادرة دمشق إلى عمان مع أعضاء سفارتكم فى الوقت الذى نعينه لكم . سنبقى على اتصال مستمر معكم لإبلاغكم التفصيلات والتعليمات الأخرى .

وزير الخارجية »

وبعدها بساعات أعلن رسميا قرار قطع العلاقات بين البلدين . ومن هنا فإن القاهرة لم تكن مستعدة لفهم التغيير المفاجىء الذى طرأ على موقف الأردن . وعقد الرئيس « جمال عبد الناصر » اجتماعا صباح يوم ٣٠ مايو لبحث رسالة اللواء « عامر خماش » إلى الفريق « عبد المنعم رياض » . وتعددت واختلفت الآراء ، وقد انقسمت بين رأى يغلب عامل الشك ، ورأى آخر تبناه « جمال عبد الناصر » ومؤداه أن الملك « حسين » لديه قدر كبير من الجرأة وهو فى وقت الأزمات يظهر شجاعته . ومن الظاهر أن ضغوط الجيش والشعب فى الأردن دفعته إلى الموقف الصحيح . وكان رأى « جمال عبد الناصر » إضافة إلى ذلك أن مجىء الملك إلى القاهرة فى ذلك الوقت دعم معنوى كبير ، إلى جانب أن الجيش الأردنى يمكن أن يكون له دور فى أية مواجهة ، خصوصا وأن إسرائيل دفعت بكل قواتها إلى الجبهة الجنوبية . كذلك كان رأى « جمال عبد الناصر » أن مجىء الملك قد يدفع الولايات المتحدة -

(٣) حادث انفجار وقع فى « الرمثا » داخل الحدود الأردنية أمام سوريا .

بحرصها على صداقته وصداقة بقية العناصر التقليدية فى العالم العربى ، وهم فى الغالب سوف يتأثرون بموقفه - إلى موقف أكثر تعقلا وحكمة فى معالجة الأزمة .

ولم يغير « جمال عبد الناصر » رأيه حتى بعد أن تلقى أثناء الاجتماع نص برقية ملتقطة على الشبكة السعودية موجهة من السفير السعودى فى عمان إلى السيد « عمر السقاف » نائب وزير الخارجية السعودى(٤) نصها كما يلى :

« من السفارة فى عمان
إلى معالى السيد عمر السقاف

أبلغنى رئيس الوزارة أن جلالة الملك حسين يسافر القاهرة اليوم . ومعلوماتهم أن هناك مؤامرة مصرية - سورية على السعودية والأردن ، وأنهم قرروا السفر لكشف النوايا الحقيقية ومعرفة المخططات .

السفير »

ولقد أمسك « جمال عبد الناصر » بالبرقية الملتقطة فى يده وطالعها عدة مرات ، وكان تعليقه أنه « **من المحتمل أنهم يريدون تغطية موقفهم إزاء السعودية » . ثم طلب إرسال نسخة من البرقية إلى الفريق « عبد المنعم رياض » للاطلاع وإبداء الرأى .**

□

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، كان الملك « حسين » فى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » فى قصر القبة ، وكان معه رئيس وزرائه السيد « سعد جمعة » واللواء « عامر خماش » قائد الأركان الأردنى ، وكان المشير « عبد الحكيم عامر » يحضر الاجتماع إلى جانب الرئيس « جمال عبد الناصر » .

وطبقا لمحضر الجلسة(٥) فقد بدأ « جمال عبد الناصر » بالحديث قائلا « **إنه استجاب لرسالة الملك بطلب اللقاء بعد أقل من ساعة من وصولها ، وأن استجابته كانت عن تقدير لديه بالحس القومى للملك حسين » . ثم استطرد « جمال عبد الناصر » قائلا « إنه قبل الحديث عن المستقبل لابد من حديث عن الماضى ، ذلك أن الأمور تفرض أن يكون**

---

(٤) كان الملك « فيصل » يحتفظ بوزارة الخارجية السعودية تحت إشرافه المباشر ، ويكلف السيد « عمر السقاف » بمسؤولية إدارة أعمالها .

(٥) المحضر الكامل للجلسة محفوظ فى ملفات قصر عابدين ، وتوجد نسخ منه فى محفوظات القيادة العليا للقوات المسلحة ووزارة الخارجية وإدارة المخابرات العامة .

هناك إخلاص كامل - لأنه ليس هناك نصف إخلاص ، ولهذا فإن تصفية الماضى ضرورية » . ثم راح يستعرض مسار العلاقات المصرية - الأردنية ابتداء من مؤتمر القمة الأول فى القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ثم قال « إنه كان يظن أن العلاقات بين البلدين قد وصلت إلى نقطة اللا عودة ، ولذلك فهو يعتبر « وجودنا اليوم معا » معجزة من الله . » ثم قال « جمال عبد الناصر » بالحرف : « لقد كنتم تطالبون من سنين بقفل خليج العقبة ، وكنتم تعرفون بلا شك أن ذلك معناه مواجهة مع إسرائيل وربما مواجهة مع أمريكا ... المواجهة مع إسرائيل قد تصل إلى الحرب ... وكنت أشعر أن أمنيتكم أن أدخل مع اليهود فى معركة وأن اليهود يضربوننا . »[٦] - ثم تطرق « جمال عبد الناصر » إلى شرح ظروف الأزمة الراهنة ابتداء من الحشود الإسرائيلية ضد سوريا ، والقرار الإسرائيلى بتوجيه ضربة قاصمة لها تصل إلى حد تهديد دمشق أو احتلالها « وكان لابد أن نتحرك ، وهذا هو الوضع الذى نواجهه الآن » .

وجاء الدور على الملك « حسين » فقال « إنه يشكر سيادة الأخ الرئيس لإتاحته الفرصة لهذا اللقاء وفى هذه الظروف . وأن دافعه إلى المجىء إلى القاهرة هو أن يكون بشخصه وبكل ما يستطيع تقديمه بجانب « سيادة الرئيس » . فهو يشعر « أن أمتنا تواجه مسؤولية مصيرية ، وشعوره تجاهها هو شعور أى عربى » . وهو يعرف يقينا أن الأردن فى خطر . كذلك فهو يعرف أن الصدام مع إسرائيل حتمى سواء أردنا استرداد الحقوق أو مقاومة التوسع ، وأنه حضر مؤتمرات القمة بحماسة وإخلاص . ولكن هناك عوامل اعترضت الطريق ، وأولها هجوم منظمة التحرير والشقيرى على الأردن وقيادته ليل نهار . »

وتدخل المشير « عبد الحكيم عامر » فى الحوار فقال « إن الوضع الحاضر هو الذى يجب أن نركز عليه ، فكل الحشود الإسرائيلية الآن أمام جبهتنا ، ولم تعد توجد أمام سوريا سوى ٣ ألوية ، ولا توجد أى قوات إسرائيلية أمام الأردن » . وتوقف « عبد الحكيم عامر » عند هذا الحد ، ثم قال إنه « مع عدم رغبته فى إثارة أى شىء عن الماضى - يجد نفسه مضطرا إلى سؤال الملك عن السبب الذى دعاه إلى تغيير موقفه ؟ » ورد الملك بأن « التزامه القومى لم يتغير ، ولكن مؤامرات القوميين العرب والبعثيين عليه هى التى كانت تسبب كل المشاكل بينه وبين القاهرة » . ثم أضاف إن « المخابرات الأردنية لديها معلومات عن وجود تحالف بين البعثيين وحزب القوميين العرب من

---

(٦) صفحة ٣ من المحضر .

جانب ، ومنظمة التحرير من جانب آخر ، وأن الشقيرى يقوم بألاعيب خطرة » . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا « إن الملك يعرف أن مصر لم تكن تريد من إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية غير إقامة كيان فلسطينى لأن إسرائيل والأمريكان معها يريدون أن تضيع قضية فلسطين » . ورد الملك « حسين » قائلا بالحرف « طيب يا سيدى ، هل إقامة كيان فلسطينى يجعلنا نحن نتخلى عن مسؤولياتنا فى الأردن ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » قائلا « أبدا ، لقد كان رأينا أن المنظمة عندما تتسلح فذلك يكون تحت إشراف الملك حسين فى الأردن كما نفعل نحن هنا فى القاهرة » . وقال الملك « حسين » إنه سبق أن اتفق مع الشقيرى على الوضع فى القرى الأمامية وتسليحها والترتيبات اللازمة ... ووقع على الاتفاق كل من الطرفين ، ولكن الشقيرى سحب اتفاقه وخلق مشاكل . »

وعادت مشاكل الماضى تفرض نفسها على الاجتماع . ولاحظ المشير « عبد الحكيم عامر »[7] أن « السعودية لم تتخذ أى موقف إيجابى فى موضوع قفل الخليج مع أن جزر تيران فى الأصل سعودية ومعارة لمصر » . ورد الملك « حسين » بأن « مشكلة السعودية كلها هى اليمن » . وتشعب الحديث حول اليمن ، وقال « جمال عبد الناصر » إنه « يريد أن يعود بالحديث إلى الأزمة الراهنة ، فهذه هى المسألة الآن ، ولابد من إيجاد موقف سياسى وموقف عسكرى يجعل الآخرين يفهمون أن الأمة العربية تستطيع مواجهة الأزمة يدا واحدة . وهو يريد من الملك أن يكون مطمئنا إلى أن مصر مستعدة للتعاون معه إلى أقصى الحدود ، وأنه شعر من خلال حديث الملك أن أكثر ما يضايقه مما هو متصل بالوضع القائم الآن هو موقف السيد أحمد الشقيرى . وهو يقترح دعوة الشقيرى للحضور الآن لتصفية الموقف . » ثم توجه « جمال عبد الناصر » إلى الملك بسؤال مباشر : « هل أطلب الشقيرى ؟ » ورد الملك « حسين » : « والله زى ما تشوفوا ياسيادة الرئيس » . وقال « جمال عبد الناصر » : « أنا قصدى تصفية موضوع الشقيرى لكى نستطيع أن نتفرغ لما بعده » . وقال الملك : « والله يا أخى آذانا كثير ، والغريب أن هذه قضيته » . وعلق « جمال عبد الناصر » قائلا « نحن نريد جمع كل القوى ولمّ الأطراف ونسيان ما مضى ، ورجائى فى ربنا فى المستقبل » .

ثم انتقل الحديث إلى احتمالات الموقف العسكرى . وكانت لدى « جمال عبد الناصر » أسئلة عن المعلومات المتوافرة لدى قائد الأركان الأردنى اللواء « عامر خماش » ، وكان

---

(٧) صفحة ١٠ من المحضر .

مهتما بالذات بأخبار عن تحركات خمسمائة دبابة ومصفحة إسرائيلية رصدت تتجه إلى المنطقة الجنوبية . ورد اللواء « خماش » قائلا « إن هذا صحيح ، وأن هناك طابورا من ناقلات الدبابات طوله ٥ أميال يتحرك فى اتجاه الجنوب » . وأضاف اللواء « خماش » إنهم يعرفون أن سبعة ألوية مدرعة تمركزت بالفعل أمام الجبهة المصرية .

ثم قال قائد الأركان الأردنى اللواء « خماش » إن « القوات الأردنية معبأة ومستعدة لأى إشارة » . وعقب الملك « حسين » قائلا « إن الماضى ذهب الآن من الصورة ، وعلينا أن نحقق أقصى ما يمكن من التعاون فى مواجهة الموقف » . وكدليل على سقوط كافة التحفظات السابقة فإن الملك أبدى استعداده لقبول دخول قوات عراقية إلى الأردن . وكان أن اتصل الرئيس « جمال عبد الناصر » أثناء الجلسة بالرئيس العراقى « عبد الرحمن عارف » وأبلغه برأى الملك . كذلك تحدث الملك بنفسه إلى الرئيس العراقى مرحبا بدخول القوات العراقية إلى أراضى الأردن . ودارت بعد ذلك مناقشات عن خطط العمليات ، وقال قائد الأركان الأردنى إن لديه أربعمائة دبابة صالحة للقتال . وأضاف « جمال عبد الناصر » ـ طبقا لمحضر الاجتماع ـ قائلا « لقد كان تقديرى الأصلى أن المعركة مع إسرائيل مؤجلة لفترة ما بين ثلاث سنوات إلى أربع سنوات ولكن الحوادث لم تترك لنا هذه الفرصة ، فلم يكن فى استطاعتى أن أترك سوريا تواجه مصيرها وحدها وألتزم أنا بالتوقيت الأصلى الذى كان فى حسابى . إن مصير سوريا يهمنا كما يهمنا مصير الأردن ، والحقيقة أن دخولكم معنا الآن يعوض كثيرا فى حساباتنا ، فلا بد أن ندرس إمكانية التكامل بين مطارات الأردن ومطارات مصر بمعنى أن تحصل طائراتنا لنفسها على مدى أوسع فى العمل وفى البقاء فوق الأهداف إذا كانت تستطيع أن تقوم من مطاراتنا فى مصر ثم تنفذ مهامها ، وبدلا من أن تعود تتوجه إلى مطاراتكم . ذلك يعطيها مدى أطول . »

كان الاجتماع قد استغرق حتى الآن ساعتين وعشر دقائق ، ودخل أحد الأمناء يحمل مذكرة للرئيس تخطره بأن السيد « أحمد الشقيرى » وصل إلى قصر القبة . وقرأ « جمال عبد الناصر » على الملك ما فى المذكرة واستأذنه فى انضمام « أحمد الشقيرى » إلى الاجتماع . ودخل « الشقيرى » وراح « جمال عبد الناصر » يحيطه علما بما جرى قبل حضوره من مناقشات ، قائلا له إن اشتراكه فى الاجتماع كان باقتراح منه (أى « جمال عبد الناصر ») وموافقة من الملك . وقال الملك « حسين » إن « لديه الكثير يقوله عن العلاقات بين الأردن والمنظمة ، ولأن الأمر يتعلق بقضية مصيرية ويتطلب التعاون الكامل فإنه (الملك « حسين ») مستعد للتضحية بكل شىء والتعاون

مع الإخوة لأن القضية ليست شخصية ». ورد « الشقيرى » بأن « هذه الساعة تاريخية ، وأنها ملائمة للتحرك نحو الهدف لأن الغرب غارق فى مشاكله .. أمريكا فى فيتنام ، وبريطانيا فى الجنوب العربى ، ودول الغرب عموما ملتهية بمصائبها . وأن جلالة الملك أشار إلى أن عنده أشياء ، والمنظمة أيضا لديها أشياء . لكننا نهدر هذا جميعا هذه الساعة من أجل فلسطين ، وليس لنا مطمع آخر ولا دور آخر سوى أن نكون جنود فى معركة التحرير مع شعبنا فى الأردن ومع جيشنا بالأردن . وأنا قلتها فى الماضى وأقولها الآن : نحن مع الملك حسين ، وعلى الدوام كنا نقول سر أمامنا ونحن وراءك فى طريق التحرير . »

ودارت أحاديث طويلة تعرضت أيضا للماضى ، ثم عادت للمستقبل ، وانتهى الاجتماع على أن السيد « أحمد الشقيرى » الذى كان ممنوعا من دخول الأردن يستطيع الآن أن يذهب فى أى وقت يشاء . وبالفعل فإنه عاد إلى الأردن على طائرة الملك « حسين » نفسها عقب اجتماعات القاهرة .

☐

وكان هناك اجتماع ثان بين الملك والرئيس . وفى هذا الاجتماع نوقشت خطط العمل والتنسيق ما بين الجبهة الأردنية والجبهة المصرية . وتساءل الملك عن الجبهة السورية ، وقام « جمال عبد الناصر » باستدعاء المشير « عبد الحكيم عامر » ليشرح للملك خطة التنسيق مع الجبهة السورية . وكان الاتصال سريعا بالسوريين قد أوضح أنهم ليسوا متحمسين لأى تعاون مع الملك « حسين » . وبعث الدكتور « نور الدين الأتاسى » ببرقية إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يبدى فيها معارضته القاطعة لإطلاع الأردنيين على « خططنا » !

والحقيقة أن قراءة محاضر اجتماعات الملك « حسين » فى القاهرة تعطى قارئها المدقق شعورا بأن هناك شيئا ما « غير منطقى » فى كل ما تسجله من وقائع . فلم يكن طبيعيا أن تنتقل العلاقات من النقيض إلى النقيض برحلة ساعة واحدة بالطائرة .

كذلك فإن المناقشات لا تحمل العمق الكافى لمواجهة مسؤوليات حرب محتملة ، وتوحى بعض المشاهد فى اللقاءات كما لو أن الملك « حسين » كان يتابع مسرحية سبق له قراءة نصها .

ولعلها دروس خبرته مع الحوادث والأيام .

ثم كانت المفاجأة الكبرى حين قال الملك إنه يريد قائدا عسكريا مصريا لقيادة العمليات على الجبهة الأردنية . وكانت دهشة « جمال عبد الناصر » شديدة ، فالأردن كان دائما حريصا على الخطوط الحساسة بالنسبة للأمور العسكرية ، خصوصا وأن إسرائيل كانت تعلن دائما أنها سوف تحارب على الجبهة الأردنية فى حالتين : الأولى ، حالة دخول قوات عربية (غير أردنية) إلى الأردن . والحالة الثانية أن يوضع الجيش الأردنى تحت قيادة عسكرية غير أردنية . ومن هنا بدا طلب الملك المفاجىء مخالفا لكل القواعد المستقرة والمعمول بها من قبل .

وبينما راح « جمال عبد الناصر » يفكر بسرعة فى هذا الاقتراح ـ التفت الملك إلى المشير « عبد الحكيم عامر » وقال له « إذا كان لى أن أبدى رأيا فإننى أقترح أن يكون القائد المصرى للجبهة الأردنية هو الفريق عبد المنعم رياض » . وأضاف الملك قائلا « إننى لا أريد أن أتدخل فى أعمال القيادة العليا فى وقت الطوارىء ، ولكن الفريق عبد المنعم رياض فى رأيى يكون اختيارا سليما لأنه معروف لنا وللجيش الأردنى ، كما أن منصبه باعتباره رئيسا لأركان حرب القيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية يجعله خبيرا بتفاصيل خطط العمليات على الجبهة الأردنية . ويضاف إلى ذلك أنه وقد تقرر أن تدور العمليات كلها تحت مسؤولية وتوجيه رئيس أركان حرب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، فإن عبد المنعم رياض سوف يكون حلقة اتصال مناسبة » !

وكان « جمال عبد الناصر » مازال يقلب الموضوع فى ذهنه بسرعة ، وقد أحس أنه لابد له أن يجيب على طلب الملك . ولعله لم يمانع فى مناقشة فرعية جرت بين الملك والمشير حول الفريق « عبد المنعم رياض » ، فقد كان فى حاجة إلى ثوان إضافية يستطيع فيها أن يصل إلى قرار . كان إحساسه بالمفاجأة مازال غالبا عليه ، وقد راودته مشاعر غامضة بأن أى قائد مصرى يذهب الآن إلى الأردن لا يستطيع النفاذ إلى سلسلة القيادة والسيطرة على القوات الأردنية . ومعنى ذلك أن قيادته سوف تكون رمزية أكثر من أى اعتبار آخر . ثم استقر فى النهاية على أنه لا يستطيع ـ منطقا أو لياقة ـ أن يعتذر عن الاستجابة لطلب الملك . وقال الملك « حسين » إنه « ما دام الرئيس قد وافق ، فهو يريد أن يأخذ الفريق عبد المنعم رياض معه على طائرته عائدا به إلى الأردن لكى يكون لديه الوقت الكافى للتعرف على أحوال القيادة وأوضاع القوات . »

فيما بعد ثار سؤال كبير لعله ظل مكتوما حتى الآن ، وهو : ما الذى كانت تعرفه الولايات المتحدة عن نية الملك فى الحضور إلى القاهرة ، وعن حضوره فعلا ، وعن محادثاته فيها ونتائجها بما فيها اختيار قائد مصرى للجبهة الأردنية ؟

وحتى الآن فإنه ليست هناك إجابة كاملة على هذا السؤال ، وإن كانت هناك إشارات عابرة قد تكون لها أهميتها .

كان للمخابرات المصرية فى ذلك الوقت مندوب ناجح فى نيويورك ، وقد استطاع هذا المندوب الذى ذهب إلى الولايات المتحدة تحت ستار أنه دارس للإدارة العليا فى جامعة كولومبيا فى نيويورك ـ أن ينفذ بوسائل متعددة إلى أحد المصادر فى البنتاجون . وكانت تقاريره من نيويورك بالغة الدقة ، فقد احتوت وثائق أصلية جرى تصويرها من الملفات السرية للبنتاجون . ومما يدل على دقة مصادره أن إدارة التحقيقات الفيدرالية (« F.B.I. ») قبضت عليه وعثرت معه على وثيقتين أصليتين ثم اتهمته بأنه على صلة بالبعثة المصرية الدائمة لدى الأمم المتحدة ، وطلبت ترحيله . وأغرب من ذلك أنها أخطرت البعثة بأنها لن تذيع شيئا للصحافة أو التليفزيون عن الموضوع رغبة منها فى عدم الإساءة أكثر إلى العلاقات المصرية ـ الأمريكية . وكان هذا أمرا مستغربا فى وقت راحت فيه الولايات المتحدة تتصيد أى مادة للهجوم على مصر .

وتكشف الملفات السرية لرئاسة الجمهورية فى مصر مجموعة من الرسائل المتعلقة بهذا الموضوع ترد كلها فى الأيام الأولى من شهر يونيو ١٩٦٧ .(٨)

---

(٨) محفوظات قصر عابدين ـ الوثيقة رقم ٣١٣خ / ٢٢١١١٥ ـ وتوجد نسخ منها فى محفوظات إدارة المخابرات العامة ووزارة الخارجية . ومجموعة الرسائل منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت أرقام (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦) ، (٣٧) صفحات ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ .

● الرسالة الأولى :

« نيويورك رقم ٣١٣ خ

قبض مندوب الـ « F.B.I. » على السيد على اسماعيل والسيدة حرمه أمس الأحد أثناء وجودهما بالعربة على الطريق من نيوجيرسى إلى نيويورك . استمر الحجز والتحقيق معهما من سعت ١١٣٠ حتى سعت ٢١٠٠ ، أى قرابة عشر ساعات .

أفرج عنهما ثم استدعى السيد على اسماعيل اليوم سعت ١٣٠٠ لمدة ساعة لمكتب الـ F.B.I. بنيويورك وسمح له بالانصراف . التفاصيل بالحقيبة .

(توقيع)
السفير/ أمين حلمى »

● الرسالة الثانية :

« نيويورك رقم ٣١٨ خ

برقية السفارة رقم ٣١٣ (٦٠٨٢) سيغادر السيد على اسماعيل الإمبابى والسيدة حرمه الولايات المتحدة يوم الاثنين القادم ، وذلك بناء على طلب سلطات الهجرة الأمريكية .

السفير
محمد عوض القونى »

● الرسالة الثالثة :

« من نيويورك رقم ٣١٩

إلى الخارجية
تلقينا الرسالة الشفوية التالية من مكتب البعثة الأمريكية لدى الأمم المتحدة :

هناك طالب مصرى (على اسماعيل) بجامعة كولومبيا ، وقد أخطرنا أنه كان على اتصال ببعثة الجمهورية العربية المتحدة فى نيويورك ، وإن كان

اسمه ليس مدرجا فى قائمة الدبلوماسيين العاملين بها . وقد تأكد لدينا أنه ضالع فى عمليات مخابرات والحصول على معلومات . وقد عثرت إدارة التحقيقات الفيدرالية (F.B.I.) على وثيقتين سريتين أمريكيتين فى حقيبة معه . وقد أخطر أمس بأن عليه مغادرة هذه البلاد فى ظرف ٢٤ ساعة . ولما كانت أول طائرة ملائمة لسفره فى يوم الأثنين القادم ، فإننا سمحنا له أن يظل هنا لعطلة نهاية الأسبوع الحالى . إن الولايات المتحدة لن تذيع أى بيانات أو معلومات أو دعاية حول هذه القضية رغبة فى تجنب مضاعفات تسىء أكثر إلى العلاقات بين البلدين . بل إننا فى هذه الحالة أيضا لن نصدر نشرة عن إبعاده . ونأمل أن تقدر البعثة المصرية هذا الموقف من جانبنا وأن تتعاون فيه .

(إمضاء)
سفير/ محمد عوض القونى »

● الرسالة الرابعة :

« نيويورك ٣٢١ خ

برقية السفارة رقم ٣١٣ وبرقية السفارة ٣١٩
تلقينا الرسالة السابقة بالتليفون من بعثة الولايات المتحدة .

□ أولا : ملاحظاتنا :

١ ـ تهدف الحكومة الأمريكية من الفقرة الأولى (من هذه الرسالة) أن تثبت قيام صلة بين البعثة وبين السيد على اسماعيل فى أعمال المخابرات التى نسبت إليه .

٢ ـ ....

٣ ـ تعد الحكومة الأمريكية فى الفقرة ـ ٣ ـ بعدم إذاعة هذا الحادث لتجنب إضافة ما يزيد العلاقات سوءا ، وترجو أن نتعاون من ناحيتنا فى تقديم المساعدات المادية التى صرح هو بأنه فى حاجة إليها (تذاكر سفر وبعض فواتير الإقامة) .

□ ثانيا : سنقوم بالرد على البعثة الأمريكية شفويا الأسبوع القادم عقب سفر السيد على اسماعيل ، ونضمنه :

١ ـ إنه لم يعمل بهذه البعثة ولم يكلف بعمل فيها .

٢ ـ إن مكتب البعثة التعليمية بواشنطن هى الجهة المختصة بتقديم المساعدات إلى الطلبة .

(إمضاء)

سفير/ محمد عوض القونى »

□

وهكذا فإن مصداقية مندوب المخابرات المصرى فى نيويورك كانت قوية . وكان الأهم من ذلك هو مصداقية الوثائق التى كان يبعث بها والتى عثر بالفعل على اثنتين منها معه لحظة احتجازه . ولم يكن هناك سبب يبرر رغبة الولايات المتحدة فى عدم استغلال القبض عليه إعلاميا ودعائيا ـ إلاّ سبب واحد هو عدم لفت الأنظار إلى أهمية ما حصل عليه ، وإبقاء أمره مكتوما وبعيدا عن الأنظار !

وكان من أهم تقارير السيد « على اسماعيل » فى هذه الفترة تقرير[٩] طلب توجيهه مباشرة إلى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان نصه بالحرف كما يلى :

« من نيويورك ١٦٧/٣٦٠٤

يرجو السيد على اسماعيل إبلاغ السيد سامى شرف ما يلى : المعلومات التالية من أحد تقارير المخا ات العسكرية الأمريكية :

١ ـ تمت مقابلة سرية بين رئيس الأركان الأردنى جنرال « كماش » حسب ما ورد اسمه فى التقرير (الاسم الصحيح بالطبع هو الجنرال « خماش ») وبين السفير الأمريكى بالأردن يوم الخميس الجارى (أول يونيو ١٩٦٧) .

---

(٩) محفوظات قصر عابدين ـ البرقية رقم ١٦٧/٣٦٠٤ ـ وتوجد نسخ منها فى محفوظات إدارة المخابرات العامة ووزارة الخارجية . وصورة التقرير منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣٨) صفحة ١٠٣٠.

وفى هذه المقابلة طلب رئيس الأركان الأردنى من السفير الأمريكى سرعة نقل الطائرات النفاثة المقاتلة "F 104". (ف ١٠٤) وعددها ٢٥ طائرة والتى سبق أن أرسلتها أمريكا للأردن . طلب نقلها بصفة مؤقتة من الأردن حتى تنتهى الأزمة الحالية بين الدول العربية وإسرائيل .

٢ ـ الباخرة الأمريكية « جرين آيلاند » « Green Island » التى كان مقررا لها أن تمر فى خليج العقبة إلى الأردن ثم حولت إلى ميناء « عصب » فى أثيوبيا صدرت لها التعليمات بعدم تفريغ شحنتها الخاصة بالأردن . وتنتظر فى أثيوبيا لحين صدور تعليمات أخرى لها .

السفير
القـونـى »

كان مؤدى الإشارات التى توحى بها هذه البرقية الأخيرة ـ وعلى ضوء ما سبقها ـ أن الولايات المتحدة كانت بشكل ما على علم بتفكير الملك « حسين » . كما أن الملك « حسين » على نحو ما كان على علم بشكل الحوادث القادمة . وكان فكره وشعوره موزعين بين عوامل مختلفة وكلها متضاربة . كان هناك يقينه بنوايا إسرائيل ، وكان هناك شكه فى قدرة الولايات المتحدة على كبح جماحها فيما يتعلق بالأردن ، وكان هناك قلقه على مستقبل الضفة الغربية ، كما كان هناك حرصه على ألاّ يظل بعيدا عن المشاعر المعبأة فى المنطقة . ومهما بدا غريبا فإن الملك الذى قرر المجىء إلى القاهرة فى تلك الساعات الحرجة وطلب قائدا مصريا يقود العمليات على الجبهة الأردنية ـ كان شاغله فى اليوم التالى لعودته لعمان أن يبعد طائراته عن قواعدها فى الأردن يوم أول يونيو ، وقبل أن تبدأ المعركة (يوم ٥ يونيو) .

إن الشواهد كلها تشير إلى أن الملك « حسين » وحده بين جميع الأطراف العربية كان يعرف عن خبايا يونيو ١٩٦٧ ما لا يعرفه غيره . وكانت تصرفاته فى الواقع سباقا مع الحوادث . وقد حاول كثيرون من الذين درسوا تلك الفترة تقدير الموقع الذى كان فيه الملك « حسين » بالضبط ، وفهم دوافع تحركاته السريعة . وربما كانت أدق دراسة فى هذا الصدد هى الدراسة التى قام بها الصحفى البريطانى « أنتونى بيرسون » ، وقد لخصها أولا فى تقرير من عشر صفحات ثم حولها إلى كتاب كامل[١٠] . ومع ذلك فإن الدراسة الأولية تظل هى الحاوية لتحليله الرئيسى لهذا الدور الهام الذى قام به الملك « حسين » فى مرحلة حرجة من التاريخ العربى . وتنبع أهمية دراسة « أنتونى بيرسون » من حقيقة أنه قضى عشر سنوات يبحث فى الملفات السرية لوزارة الدفاع الأمريكية بادئا من حادثة قيام الطائرات الإسرائيلية بضرب سفينة التجسس الأمريكية « ليبرتى » .

وفى الصفحة السابعة من هذه الدراسة يكتب « بيرسون » ما نصه : « فى سنة ١٩٦٥ عقد جيمس آنجلتون (مدير إدارة العمليات فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) عددا من اللقاءات السرية مع مسؤولين من الموساد ، وكان موضوع بحثهم هو كيف ومتى يمكن التخلص من ناصر . كان قد ظهر لهم أن من الصعب إسقاط الرئيس المصرى من داخل مصر . وقد اتفق رأيهم على أن الحل الوحيد يجب أن يجىء من خلال مواجهة عسكرية مع إسرائيل تضعه فى موقف لا يستطيع الانتصار فيه . فإذا تراجع أو هزم كانت نهايته . ثم عقدت بعد ذلك سلسلة من الاجتماعات فى تل أبيب وفى واشنطن بين ممثلين من وكالة المخابرات المركزية وعدد مختار من ضباط أركان حرب الجيش الإسرائيلى ، إلى جانب قلة قليلة من السياسيين الإسرائيليين ، وأعضاء من الدائرة الداخلية لإدارة الرئيس جونسون . وقد تقرر فى هذه الاجتماعات السعى لإثارة حرب يمكن احتواؤها بين مصر وإسرائيل بحيث لا تطال تأثيراتها خطوط إسرائيل

---

(١٠) كتاب « أنتونى بيرسون » بعنوان « مؤامرة الصمت » الصادر سنة ١٩٧٨ «Conspiracy of Silence» .

مع كل من سوريا والأردن . وقد تم ترتيب الخطة فى إسرائيل بواسطة جماعة عمل تضم ايجال آللون وزير العمل الإسرائيلى وقتها ، ومائير آميت رئيس الموساد ، وأهارون ياريف رئيس المخابرات العسكرية ، وشيمون بيريز نائب وزير الدفاع ، وعزرا وايزمان رئيس هيئة العمليات ، وموردخاى هود قائد سلاح الطيران ، ودافيد هاكوهين رئيس لجنة الشؤون الخارجية والأمن فى الكنيست ، وموشى ديان الذى أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع . وكان ضابط الاتصال الذى يمثل هذه المجموعة فى واشنطن هو ايبى ايفرون الذى كان يتعامل فى واشنطن مباشرة مع جيمس آنجلتون من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ووالت روستو مستشار الأمن القومى للرئيس جونسون ، وشقيقه يوجين روستو وكيل وزارة الخارجية .

وبشكل مبدئى فقد اتفقوا على أن سياسات عبد الناصر المتشددة مع التأييد السوفيتى المتزايد له ، وكذلك الوضع فى سوريا ـ يمكن استغلالها جميعا لإثارة رأى عام مهيأ لقبول الحرب . وفى هذا الجو يكون الجيش الإسرائيلى المتأهب للعمل على استعداد لاستغلال أى خطوة من دمشق أو من القاهرة بحيث يمكن للكنيست الإسرائيلى أن يقر شن الحرب ، على أن تكون الحرب فى إطار يمكن احتواء آثاره . وكانت خطة الاحتواء هامة ، فقد كان ضروريا استبقاء علاقات وثيقة مع العناصر العربية المعادية لناصر وبالذات الملك حسين والملك فيصل مع استغلال مشاعرهما القوية ضد حركته القومية العربية . وقد قام ضباط من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى عمان بشرح الخطة للملك تاركين له حرية أن يقرر كيف يتحرك .

إن ذلك وضع الملك حسين على الفور فى مأزق . فلقد كانت تراوده شكوك فى الدوافع الأمريكية ، وكان يشعر بحرج موقفه ، ذلك أنه إذا استمرت الحركة الناصرية فى زيادة قوتها بالتعاون مع سوريا والعراق ، فإن العرش الهاشمى فى عمان سوف يجد نفسه معرضا لضغط شديد . »

وفى الصفحة الثامنة من دراسته الأولية قال « أنتونى بيرسون » : « إن الملك مترددا اضطر للنزول على الضرورات ، وقبل تأكيدات أمريكية بأن تعاونه فى سياسة الولايات المتحدة (بعد الحرب القادمة) سوف يصد عن أراضيه مخاطر غزو إسرائيلى حتى إذا اضطر الأردن إلى الوقوف بين دول المواجهة لإسرائيل باعتبار أن ذلك موقعه الوحيد الذى يستطيع منه أن يحافظ على مملكته . وكانت معظم اتصالاته فى هذا الصدد تتم مع واشنطن عن طريق السفارة الأمريكية فى عمان . »

وفى الصفحتين التاليتين من دراسته الأولية راح « أنتونى بيرسون » يستقرىء الوثائق الأمريكية ليخلص إلى أن الجانب الأمريكى فى الخطة حاول أن يفرض على إسرائيل الالتزام بحد معين لأى عمليات تنشأ على الجبهة الأردنية نتيجة اضطرار الأردن لمسايرة الرأى العام العربى الذى زادت حماسته عن كل حد . ورغم ما أبداه الجانب الإسرائيلى فى بعض الساعات من اقتناع بخطة احتواء العمليات الأمريكية وقصرها على الجبهة المصرية أساسا ، فإن الجانب الأمريكى ظل يراوده شك فى أن إسرائيل قد لا تلتزم بالخطوط المطلوبة من الولايات المتحدة .

وقد أحست بعض دوائر وزارة الدفاع فى واشنطن أنها تحتاج إلى رقابة أمريكية منفردة على مسرح العمليات بحيث تتمكن من مراقبة وضمان خطوط الاحتواء المرسومة . وهنا كان قرار إرسال سفينة التجسس « ليبرتى » - ليس كما هو شائع للتجسس على ما يجرى فى الجبهة المصرية أو للتشويش على أجهزة رادار القوات المسلحة المصرية ، وإنما لضمان ألا تتجاوز إسرائيل فى عملياتها خطوط احتواء العمليات كما تم الاتفاق عليها .

والواقع ، وكما ظهر فيما بعد ، فإن الرئيس « ليندون جونسون » كان مخطئا فى نظريته باحتواء خطوط العمليات وقصرها على الجبهة المصرية . ذلك أنه مع وجود توافق بين المطالب الأمريكية والإسرائيلية من العمليات العسكرية ، فإن هذا التوافق لم يكن واصلا إلى درجة التطابق لأن المطلب الأكبر لإسرائيل كان هو كامل أرض إسرائيل وليس مجرد الخلاص من « جمال عبد الناصر » .

كان تقدير « جونسون » أن الخلاص من « جمال عبد الناصر » يعطى لإسرائيل نصف المكاسب ، ويعطى للولايات المتحدة نصفها الآخر . وكانت لإسرائيل حسبة أخرى مؤداها أنها تستطيع أن تحصل على ما هو أكبر من النصف ، وأكبر بكثير، إذا أضافت إلى النصف الذى يخصها من صفقة سيناء - واحدا صحيحا لها وحدها فى الضفة الغربية والقدس !

وكان شك الطرف الأمريكى فى أن هذه الحسبة تراود الطرف الإسرائيلى هو دافعه إلى مهمة « ليبرتى » التى توجهت إلى المنطقة بدون علم إسرائيل أو اتفاق معها . ثم كشفت إسرائيل حقيقة وجودها ومهمتها ، وكانت المأساة التى تعرضت لها « ليبرتى » !

الفصل الثالث

وحيدة وسط البحر

كانت مغامرة سفينة التجسس « ليبرتى » من أغرب مشاهد معارك سنة ١٩٦٧ . ويمكن أن يقال باطمئنان إن خط سير سفينة التجسس « ليبرتى » كان هو نفسه خط تصاعد الأزمة فى تلك الأيام الحافلة من أواخر شهر مايو وأوائل شهر يونيو سنة ١٩٦٧ .

كانت السفينة « ليبرتى » واحدة من سفينتين للتجسس تملكهما البحرية الأمريكية بالتعاون مع وكالة « N.S.A » « (National SecurityAgency) » وهى الوكالة المختصة بالتجسس على مواصلات واتصالات العالم . كانت « ليبرتى » واحدة ، وكانت الثانية هى سفينة التجسس « بويبلو »[١] .

وكان يطلق على هاتين السفينتين وصف « الآذان الكبيرة » (The Big Ears) ، وكانت « ليبرتى » بالذات أكثر استعدادا من شقيقتها الأخرى « بويبلو » ، فقد كانت معبأة بصفوف من العقول الالكترونية وأجهزة فك الشفرة وأجهزة التصنت وأجهزة التسجيل .

---

(١) أثارت أزمة فى كوريا الشمالية سنة ١٩٦٨ أثناء فترة عملها فى « الباسيفيك » ، وقد قام الكوريون الشماليون بأسرها عدة أيام ، مما أتاح لهم الاطلاع على بعض أسرارها .

وكان يعمل عليها ٢٧٩ رجلا ، نصفهم من البحارة الذين لا يتصل عملهم بالمهمة الحقيقية للسفينة ، ونصفهم الآخر من الخبراء فى عمليات الالتقاط والتسجيل وكسر الشفرات إلى جانب مجموعة للتحليل السريع للمعلومات . وكان هناك انفصال كامل بين قسم البحارة وقسم المخابرات . وكان محظورا على البحارة أن يدخلوا إلى منطقة الاتصالات التى كانت تعرف بأنها « **منطقة الأمن** » .

وفى هذه الفترة من خدمتها كانت « ليبرتى » تحت قيادة الكوماندور « ويليام ماكجونجيل » وهو ضابط بحرية فى الواحد والأربعين من عمره ، وكان مشهودا له بالكفاءة . وكان عمل « ويليام ماكجونجيل » محددا بقيادة السفينة ، فى حين أن مهمتها الحقيقية كانت موكولة إلى ضابط من وزارة الدفاع تساعده مجموعة عمليات من الضباط .

□

وفى منتصف شهر مايو ١٩٦٧ كانت « ليبرتى »[٢] مكلفة بالعمل قرب شواطىء نيجيريا . ففى ذلك الوقت كانت نيجيريا تعيش أزمة انفصال إقليم « بيافرا » ، وكانت الحرب الأهلية نتيجة هذا الانفصال قد حولت نيجيريا إلى حمام دم رهيب . وكانت وكالة المخابرات المركزية تؤيد حركة انفصال « بيافرا » . وكانت « ليبرتى » تتابع سير القتال كما تتابع أيضا عمليات وصول السلاح إلى الحكومة المركزية فى لاجوس .

وفى يوم ٢٣ مايو (بعد إعلان قفل خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية) تلقت « ليبرتى » أوامر بـ « التوجه بأقصى سرعة ممكنة إلى ميناء « روتا » فى أسبانيا . » وهناك كان عليها أن تعيد تزويد خزاناتها بالوقود وأن ترتب نفسها لمهمة جديدة سوف تصل أوامرها إليها فى « روتا » .

ويوم ٢٩ مايو كانت « ليبرتى » بالفعل أمام ميناء « روتا » ، وكانت ترتب نفسها لمهمة جديدة . وكان أكثر ما يلفت النظر فى عملية إعدادها للمهمة الجديدة هو أن ضابطا جديدا من ضباط وكالة الأمن القومى (« N.S.A. ») انضم إلى خبرائها باسم « آلان بلو » ، وكان طبقا لكل الشواهد خبيرا فى الشفرات الإسرائيلية .

ويوم ٢ يونيو ١٩٦٧ تلقت « ليبرتى » أوامرها بالتحرك إلى شرق البحر الأبيض

---

(٢) تحقيقات لجنة الكونجرس الخاصة التى شكلت لبحث الحادث الذى تعرضت له السفينة « ليبرتى » فى شرق البحر الأبيض المتوسط يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ وأدى إلى إصابتها ومقتل ٣٤ وجرح ١٧١ من طاقمها بعد هجوم إسرائيلى مدبر عليها .

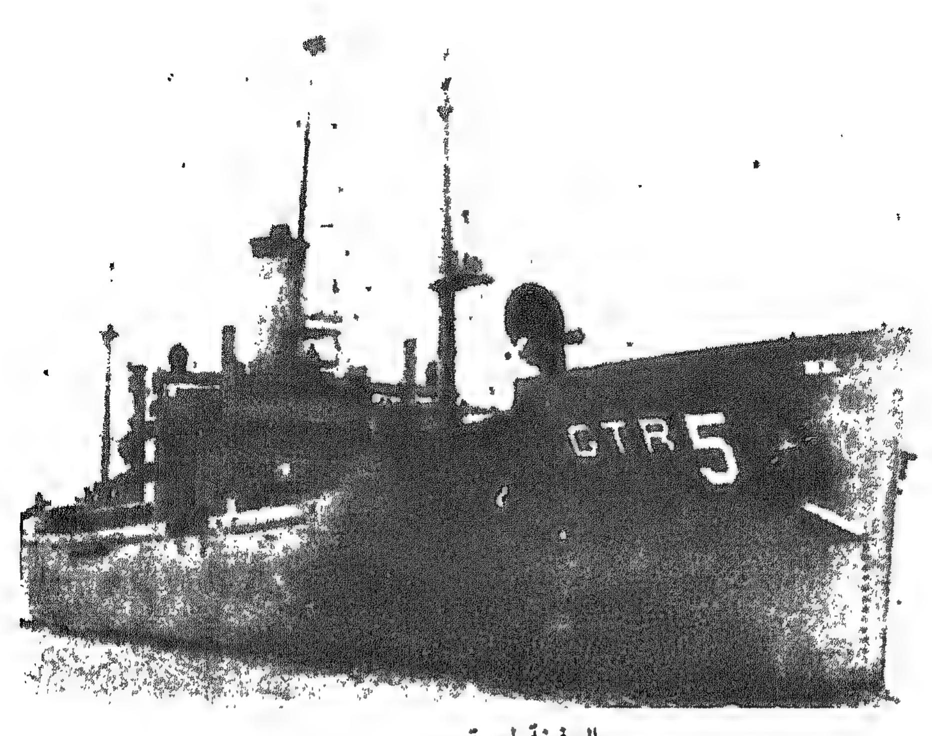

السفينة ليبرتى

المتوسط ، على أن تتخذ موقعا يمثل نقطة التقاء خط بين العريش والقدس . وتضمنت أوامر « ليبرتى » أنها سوف تكون تابعة مباشرة لقائد الأسطول السادس الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط والموجود على سفينة قيادته الرسمية ، وهى فى ذلك الوقت المدمرة « ليتل روك » .

وتوجهت « ليبرتى » إلى مهمتها المحددة فى حراسة الغواصة النووية الأمريكية « آندرو جاكسون » وهى غواصة مزودة بصواريخ نووية من طراز « بولاريس » ، وقد أمرت « آندرو جاكسون » بأن تلتزم بصمت لاسلكى كامل ولا تفتح أجهزتها للإرسال إلا إذا تلقت أوامر مباشرة من البيت الأبيض فى واشنطن(٣) .

وقبل أن يطلع فجر يوم ٥ يونيو بساعات ، كانت « ليبرتى » فى منطقة العمل المحددة لها ، وكانت قد اكتشفت فور وصولها أن الإسرائيليين يتسمعون على الشبكات المصرية - الأردنية ، كما أنها تمكنت من اختراق بعض الشفرات الإسرائيلية . والظاهر أن تلك كانت مهمتها الأساسية ، **فالشفرات المصرية كانت مخترقة بالفعل ، وأما الشفرات الإسرائيلية فقد كانت هى المهمة الجديدة العويصة . وكانت « ليبرتى » فى تلك الساعات تحصل**

---

(٣) تحقيقات لجنة الكونجرس الخاصة فى حادثة « ليبرتى » .

لنفسها على ميزة ضخمة ، فقد بدأت تطلع على أسرار الكل دون أن يكون لأحد منهم علم بأنها موجودة وبأن « آذانها الكبيرة » مفتوحة على آخرها لالتقاط كل حركة وهمسة .

كان « جونسون » يريد أن يحقق أكبر قدر من الضمان لاتفاقه الإسرائيلى ، ولا يرغب فى أن يعطى شريكه فرصة أن يتُجاوزه ويأخذ منه ما لم يحصل عليه اتفاق !

والحاصل أن المشهد كان غريبا ، وكان أقرب إلى أساليب عصابات المافيا منه إلى سياسات دول تحكم علاقاتها موازين وضوابط محددة ومتفق عليها من قبل .

وتظهر الوثائق الأمريكية أن « جونسون » كان مندفعا إلى آخر حد فيما يخص الجزء الذى يغطيه اتفاقه مع إسرائيل . فبعد أن برزت نظرية « إطلاق العنان لإسرائيل «To Unleash Israel» لتتحرك وحدها فى المرحلة الافتتاحية للعمليات ـ كان الرئيس الأمريكى نشيطا فى حركته لكى يوفر لها فى الساعات الأخيرة كل ما قد تكون فى حاجة إليه بعد أن أتمت تخطيطها النهائى لضربتها المنتظرة . وقد طلب من مستشاره للأمن القومى « والت روستو » إعداد تقييم لإمكانيات الضربة الإسرائيلية المنتظرة . وكتب « روستو » له مذكرة مختصرة(٤) تتضمن خمسة أهداف رئيسية يمكن تحقيقها :

« ١ ـ إحراج الاتحاد السوفيتى إذا ما قامت إسرائيل بدون عون أمريكى ظاهر بتوجيه ضربة شديدة إلى مصر .

٢ ـ تدمير جزء كبير من الأسلحة السوفيتية التى تلقتها مصر من الاتحاد السوفيتى عبر سنوات طويلة .

٣ ـ اختبار أنظمة السلاح الغربية ضد أنظمة السلاح السوفيتية من خلال معركة فعلية فى الشرق الأوسط .

(٤) مذكرة من « والت روستو » برقم س ـ ١١٥٤١٤ إلى الرئيس « جونسون » بتاريخ ٣ يونيو ١٩٦٧ محفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » ضمن المجلد الثالث (شرق أوسط).

٤ ـ إسقاط هيبة ناصر وربما إسقاط نظامه .

٥ ـ تمكين الإسرائيليين من الاستيلاء على أراض يستطيعون أن يضغطوا بها فى مقابل تسوية شاملة للصراع العربى الإسرائيلى . »

وفى نفس الوقت كان « ليندون جونسون » على اتصال دائم بـ « ريتشارد هيلمز » رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يطلب منه كل بضع ساعات تصورا لمسار أى معركة محتملة بين إسرائيل ومصر . وكان « ريتشارد هيلمز » دائم الرد على رئيسه بأن إسرائيل سوف تكون قادرة عن طريق ضربة جوية سريعة وكثيفة يتبعها اختراق مدرع فى سيناء صوب قناة السويس ـ على تحقيق انتصار كاسح . ولم يكن ذلك رأى « ريتشارد هيلمز » وحده ، وإنما كان رأى كل خبراء الخارجية الأمريكية الذين سمحت لهم ظروفهم بالاطلاع على سر الاتفاق مع إسرائيل .

وتضم مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس مجموعة شهادات شفوية مسجلة مع عدد من كبار المسؤولين الأمريكيين تدور حول وقائع هذه الأيام . ومن بين هؤلاء المسؤولين الأمريكيين « نيكولاس كاتزنباخ » نائب وزير الخارجية الأمريكية . وقد سئل فى هذا التسجيل للتاريخ الشفوى عن التقديرات الأمريكية للحرب ، وكان رده أنهم « **كانوا واثقين من نجاح إسرائيل فى ضربتها ثقة كاملة لأنهم كانوا فى وضع يسمح لهم بمعرفة الحقائق على الجانبين** » . وقد سئل « كاتزنباخ » : « **هل كانت لدى الولايات المتحدة خطط للطوارىء فيما لو سار القتال فى اتجاه آخر ؟** » وكان رده : « **لم يكن هناك أدنى احتمال بأن يسير القتال فى اتجاه آخر** » . ثم أضاف : « **لقد كانت معلومات المخابرات كاملة بشأن ما سوف يفعله الإسرائيليون وفى قدرتهم على فعله ، وفى خطة تنفيذهم له ، بل وفى مدة تنفيذه أيضا . وبالتالى فلم يكن هناك داع لأن نتحسب لاحتمالات أخرى .** »[٥] وبرغم ذلك فإن المؤرخ العسكرى الإسرائيلى الشهير « بارزوهار » يقول[٦] **إنه كانت هناك خطط احتياطية لمساندة أمريكية مباشرة لإسرائيل فى حالة ما إذا سارت العمليات العسكرية ضدها . ويروى أنه كانت هناك خطتان للطوارىء إحداهما تقضى بإنزال قوات مظلات كبيرة معززة بمدفعية الأسطول السادس على سواحل سيناء ،**

---

(٥) جلسة تسجيل التاريخ الشفوى لمكتبة « ليندون جونسون » التى تحتوى على شهادة « كاتزنباخ » ، وقد تم تسجيلها يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٨ ـ وملفها محفوظ فى هذه المكتبة .

(٦) كتاب « سفارات وأزمات » لـ « ميخائيل بارزوهار » .

والخطة الثانية تقضى بإرسال قوات أمريكية مباشرة إلى إسرائيل كحزام واق يمنع أى قوات معادية لها من الوصول إلى مراكز تجمعاتها السكانية .

وفى يوم ٢ يونيو تلقى « جونسون » ضمن ما كان يتلقاه عن الاحتمالات معلومات تشير إلى أن مصر تملك مخزونا كبيرا من الغازات السامة ، وأنه من الجائز أن تستعملها فى لحظة حرجة خلال المعركة مع إسرائيل . وأمر الرئيس « جونسون » بجمع جزء كبير من مخزون الجيش الأمريكى من الأقنعة الواقية من الغازات السامة لكى تشحن فورا إلى إسرائيل . وتم تنفيذ أمره فى يوم ٣ يونيو . والظاهر أن المخزون الأمريكى من الأقنعة الواقية من الغازات لم يكن كافيا ، لأن الرئيس « جونسون » تدخل بنفوذه المباشر لكى تقوم حكومة ألمانيا الغربية بتسليم عشرين ألف قناع إضافى من مخزونها لكى تشحنها الطائرات الأمريكية على الفور إلى إسرائيل !

ويوم ٣ يونيو أيضا وقع « ليندون جونسون » أمرا رئاسيا بأن تقوم القوات الجوية الأمريكية المتمركزة فى قاعدة « رامشتاين » بألمانيا الغربية بترتيب عملية استطلاع للجبهة المصرية بواسطة طائرات من طراز « رف - ٤س » . وكان الترتيب أن تتم هذه العملية بالتنسيق مع الإسرائيليين منطلقة من قاعدة جوية قرب « بئر سبع » . وبالفعل توجهت هذه الطائرات إلى المهمة التى كلفت بها ، واستطاعت كل واحدة منها أن تلتقط ما متوسطه ٥٠٠ قدم من الصور السينمائية لكل ما هو موجود أو متحرك على الجبهة المصرية . والغريب أن هذه الطائرات قامت بمهمتها من قاعدة « بئر سبع » وهى تحمل علامات إسرائيلية .(٧)

ويوم ٤ يونيو كانت هناك مجموعة إدارة أزمات قد تشكلت فى البيت الأبيض لمتابعة وتوجيه السياسة الأمريكية فى مواجهة التطورات المنتظرة فى الشرق الأوسط ، وكانت هذه المجموعة بأمانة سر « والت روستو » مستشار الأمن القومى للرئيس . وكان الرئيس جاهزا لرئاسة اجتماعاتها بنفسه عند اللزوم ، كذلك كان قد ضم إلى عضويتها وزراء الدفاع والخارجية ورئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وكان مدهشا أن يكتب « ماك جورج باندى » (مستشار الأمن القومى السابق

---

(٧) وثائق مجلس الأمن القومى - الجزء السابع - الملحق رقم (١) - وهى جميعا محفوظة فى مكتبة « ليندون جونسون » .

لـ « كنيدى » و « جونسون » ، الذى انضم إلى مجموعة إدارة الأزمة) ـ مذكرة قصيرة للرئيس يقول له فيها : « **إنك بالتأكيد لا ترغب فى مناقشة أمور حساسة فى اللجنة الخاصة لإدارة الأزمة فى حضور أى من السفراء فى وزارة الخارجية** » (أسماهم « روستو » فى مذكرته بـ « أولاد راسك ») . وأشار الرئيس « **إنه بالقطع لا يريد أحدا منهم** » ! ـ **وقد كان !**

□

كانت مقاصد « جونسون » الحقيقية واضحة كل الوضوح فى تصرفاته كما بدت فى واشنطن وفى تل أبيب . وأما إزاء القاهرة فقد كان « جونسون » لا يزال يواصل سياسة الخداع والتمويه لتغطية توجهاته الحقيقية .

وفى يوم ٣٠ مايو ـ على سبيل المثال ـ دعى السفير « مصطفى كامل » إلى وزارة الخارجية ، وبعد اجتماع مع المسؤولين عن قسم الشرق الأوسط فيها ، عاد إلى سفارته ليكتب البرقية الشفرية التالية إلى القاهرة :(٨)

« أثناء اجتماعى بالمسؤولين بقسم الشرق الأوسط مساء اليوم أشاروا مجددا للآتى :

■ أولا : ١ ـ أملهم فى أن يتفضل سيادة الرئيس بالنظر فى الإجابة على خطاب الرئيس الأمريكى إليه . (الخطاب المرسل من « جونسون » إلى « جمال عبد الناصر » فى ٢٣ مايو ١٩٦٧) .

٢ ـ أوضحوا أن الرئيس الأمريكى كان قد أرسل فى نفس اليوم الذى بعث فيه برسالة إلى سيادة الرئيس برسالة إلى كوسيجين وأنه تلقى رده عليها .

■ ثانيا : أشاروا أيضا إلى أن مستر روبرت آندرسون موجود حاليا فى بيروت فى أوتيل فاندوم ، وهو لم يتلق ردكم على اقتراح زيارته للقاهرة باعتباره مكلفا من الرئيس الأمريكى للقيام بهذه المهمة .

■ ثالثا : اتصل بى أيضا السفير باتل حول ما سبق ذكره .

---

(٨) البرقية الشفرية رقم ١٨٤/٣١٧٢ .

■ رابعا : قد ترون التفضل بالاهتمام بما تقدم .

■ خامسا : كلف وزير الخارجية السفير (« تشارلز ») يوست بالسفر إلى القاهرة (لأن السفير المعين ريتشارد نولتى لم يكن قد قدم أوراق اعتماده ، وبالتالى لم يكن قادرا على مباشرة عمله رسميا) . الهدف من إرسال يوست هو اتصاله بالسفير نولتى لتبادل الرأى حول الموقف بالنظر لخبرته فى الشؤون الدولية عامة والأمم المتحدة خاصة . ولم يطلب منه (« نولتى ») إجراء اتصالات رسمية بالسلطات المصرية .

■ سادسا : أنهى المستر رالف بانش إلى الخارجية بما اتخذتموه من إجراءات حول جيش منظمة التحرير الفلسطينى (تقرر إبعاده عن الخط الأول فى المواجهة فى قطاع غزة حتى تتحقق سيطرة كاملة على إطلاق النار) أحدث هذا ارتياحا هنا .

■ سابعا : ١ ـ علمت أن الرئيس الأمريكى أخبر أبا ايبان عندما كان هنا بأنه يهم الحكومة الأمريكية تماما ألاّ تبدأ إسرائيل بأعمال عسكرية تجاه دولة عربية .

٢ ـ وأن موضوع خليج العقبة محل اهتمام الحكومة الأمريكية ، ولكنها تنصح ألاّ تقدم إسرائيل على إرسال سفنها فى الوقت الحاضر لمحاولة المرور فى خليج تيران .

٣ ـ وأنه يمكن تناول الأمر بالطرق الدبلوماسية فى الوقت الحاضر .

السفير

مصطفى كامل »

وبدا من هذه البرقية ـ على السطح ـ أن « جونسون » حريص على تلقى رد على رسالته من « جمال عبد الناصر » ، وأنه يقوم بتعزيز بعثته الدبلوماسية فى القاهرة بإرسال السفير « تشارلز يوست » لتعزيز جهود السفير المعين « ريتشارد نولتى » ، وأنه يتعجل قيام الرئيس « جمال عبد الناصر » بتحديد موعد لمبعوثه الخاص « روبرت آندرسون » الذى ينتظر فى بيروت .

□

قرأ « جمال عبد الناصر » برقية السفير « مصطفى كامل » ووجدها متناقضة مع إشارات كثيرة لمحها أمامه . فقد تلقى قبل وصولها إليه معلومات عن البدء فى ترحيل وحدة الأبحاث الطبية التابعة للبحرية الأمريكية (NAMRO) وهى وحدة أبحاث فى طب المناطق الحارة تؤدى مهمة علمية منذ زمن طويل فى مصر - وقد تلقت الوحدة أمرا من رئاستها فى واشنطن بأن يتم الترحيل فى ظرف اثنتى عشرة ساعة !

وبدت له هذه العجلة غريبة . وقد ربطها ببرقية شفرية[٩] بعث بها الدكتور « مراد غالب » من موسكو قبل ذلك بيومين ، وكان نصها كما يلى :

« من السفارة فى موسكو

رقم ٣٢ خ

رسالة خاصة وعاجلة جدا

١ - ذكر السفير الأمريكى فى موسكو طومسون لمستشار سفارتنا أمس ٢٦ الجارى (مايو) أن الوضع فى منطقة الشرق الأوسط فى خليج العقبة فى منتهى الخطورة .

٢ - ثم عاد فى نهاية العشاء وأبلغه أنه مدعو للعشاء عندى (عند « مراد غالب ») يوم الاثنين القادم ٢٩ الجارى لوداع السفير الفنلندى ، ورجا إبلاغى بصفة سرية للغاية وشخصية أنه « من الآن حتى يوم الاثنين قد يصبح سفيركم محرجا فى رؤيتى بسفارته (السفارة المصرية) ، وأنه إذا حدث ذلك فإنه يرجو إبلاغه حتى لا يحضر إلى سفارتنا ولا يسبب حرجا لأحد . »

٣ - تساءل المستشار عن السبب الذى يدعوه إلى هذا القول خصوصا وأنه لم يحدث حتى الآن ما يمنع السفير الأمريكى من حضور العشاء فى سفارتنا .

٤ - ذكر السفير الأمريكى أنه سيحدث شيئا قد يكون غدا أو بعد غد أو يوم الاثنين ، وعموما خلال أيام قليلة - مما قد يجعل وجوده (أى السفير الأمريكى) فى سفارتنا أمرا بالغ الحرج .

السفير

مراد غالب »

---

(٩) البرقية رقم (٣٢خ) - محفوظات وزارة الخارجية - ملف سفارة موسكو - شهر مايو ١٩٦٧ . وتوجد نسخة منها فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣٩) صفحة ١٠٣١ .

وفى ذات الوقت فإن تقارير وحدة الاستطلاع اللاسلكى التى وصلت إلى مكتب « جمال عبد الناصر » كانت تتحدث عن نشاط زائد بين قاعدة « هويلس » فى ليبيا وبين إسرائيل . وطلب « جمال عبد الناصر » من السيد « محمود رياض » أن يتصل بالحكومة الليبية فى هذا الصدد . وفى اليوم التالى كان السيد « البشتى » وزير خارجية ليبيا فى طريقه إلى القاهرة يحمل رسالة من الملك « ادريس السنوسى » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » . وتسلم السيد « محمود رياض » هذه الرسالة من وزير خارجية ليبيا . ثم كتب تقريرا عن المقابلة بينهما قال فيه إنه « **لفت نظر وزير الخارجية إلى النشاط الزائد فى قاعدة هويلس ، وكذلك حركة النقل المتصاعدة بين القاعدة وإسرائيل** » . وقال « محمود رياض » فى تقريره إن وزير خارجية ليبيا ذكر له « **أنهم مسيطرون على نصف القاعدة ، وأما نصفها الآخر فهو مغلق عليهم ، وإن كانوا يحاولون أن يجعلوا الضباط الليبيين يقومون بمراقبة ما يجرى فى الناحية الأخرى إلى درجة أن هناك ضابط ليبى يجرى باستمرار وراء كل ضابط أمريكى** » . وطبقا للتقرير الذى كتبه « محمود رياض » فإنه قال لوزير خارجية ليبيا « **إنه لا يستطيع أن يقبل هذا الكلام ، وأن مصر ليس فى مقدورها أن تتجاهل أن هناك قاعدة أمريكية على أرض ليبية ، وأن ما يجرى فى هذه القاعدة وما تعتبره مصر تهديدا لسلامتها هو فى نفس الوقت فى رأى الحكومة المصرية اعتداء على السيادة الليبية لأن الأمريكان قد يستخدمون هذه القاعدة فى العدوان علينا ، ومهما قلتم لنا إن ذلك إذا وقع سيكون غصبا عنكم فإننا لا نستطيع إعفاءكم من مسؤوليته** » . وأضاف « محمود رياض » فى تقريره قائلا إنه كان هناك ضابط ليبى كبير فى صحبة وزير الخارجية أثناء المقابلة ، وأنه عند هذا الحد من المناقشة تدخل هذا الضابط الليبى وقال : « **إذا أراد الأمريكان أن يفعلوا شيئا من القاعدة فلا بد أن يمروا على جثثنا** » . واضطر « محمود رياض » - كما ذكر فى تقريره - أن يقول للضابط الليبى إنه « **مع تقديره لمشاعره ومشاعر زملائه فإننا فى ظرف لا تكفى فيه المشاعر** » . وعقب وزير خارجية ليبيا على ذلك قائلا : « **إننا رأينا فى تصرفات الأمريكان أشياء لا تعجبنا ولفتنا نظرهم ، وتلقينا منهم عهودا مؤكدة** » .

وبرغم هذه الإشارات فإن « جمال عبد الناصر » لم يجد بأسا فى الاستجابة لما سمعه الدكتور « مصطفى كامل » من وزارة الخارجية . وهكذا قرر أن يبعث إلى المستر « روبرت آندرسون » بموافقته على لقائه فى القاهرة فور وصوله إليها . كما طلب إلى كل من الدكتور « محمود فوزى » والسيد « محمود رياض » أن يقابلا السفير « تشارلز يوست » إذا ما طلب مقابلة أى منهما .

وقام كلاهما بالفعل بمقابلة السفير « تشارلز يوست » ، ولم تزد الأحاديث معه عن استعادة وقائع ما جرى منذ بدأت الأزمة ومواقف الأطراف ، ولم يستطع « يوست » أن يضيف أى جديد . وقد ذكر أنه قادم بالدرجة الأولى « ليفهم » ، ثم طلب تعزيز الحراسة على السفارة الأمريكية « لأن هناك منشورات كثيرة معادية لها توزع فى مصر » . وعلى أى حال فقد كان « جمال عبد الناصر » ينتظر أن يسمع أكثر عندما يقابل المبعوث الخاص لـ « جونسون » القادم للقائه ، وهو المستر « روبرت آندرسون » .

☐

مساء يوم ٣١ مايو استقبل « جمال عبد الناصر » المستر « روبرت آندرسون » فى بيته ، ودام لقاؤه به قرابة ساعتين . وفى الصباح طار « روبرت آندرسون » إلى لشبونة (عاصمة البرتغال) ، ومن هناك بعث إلى الرئيس « جونسون » بتقريره عن مقابلته مع « جمال عبد الناصر » . وكان نص التقرير طبقا للوثائق السرية فى مكتبة « ليندون جونسون »[١٠] كما يلى :

« من السفارة الأمريكية - لشبونة
إلى البيت الأبيض
إلى الرئيس شخصيا
من روبرت آندرسون

١ - فيما يلى موجز لحديثى مع الرئيس ناصر ، وسأحاول أن أركز على وجهات نظره ما لم أقل صراحة بشىء آخر يتعلق بما قلته أنا .

٢ - بعد تبادل بعض العبارات الودية قال ناصر إنه يتوقع هجوما إسرائيليا وشيكا بسبب ما يقرأه من تهديدات القادة الإسرائيليين السياسيين والعسكريين ، وكذلك ما تنقله إليه مخابراته عن التعبئة العامة فى إسرائيل .

. . . .
. . . .

(فقرة محذوفة) ثم مضى نص التقرير بعد ذلك :

وكمثال على ذلك فقد قال ناصر إنه كانت هناك قوة من ١٣ لواء معبأة فى مواجهة سوريا .

---

(١٠) البرقية رقم ١٢٢٩٦ - موجهة إلى البيت الأبيض - مرسلة عن طريق السفارة الأمريكية فى لشبونة .

٣ ـ وقد أوضح ناصر أنه حرك قواته فى سيناء لأنه لا يريد أن يتكرر ما حدث سنة ١٩٥٦ عندما رفض تصديق أن هجوما قد بدأ . وقال إنه شعر أنه لم يكن لديه اختيار سوى أن يعبىء قواته ويرسلها إلى سيناء ، وهذا ما فعله . ثم طلب سحب قوات الأمم المتحدة . وفى حين أنه لم يقل ذلك إلاّ أننى أعتقد أن ناصر دهش من السرعة التى جرى بها سحب قوات الأمم المتحدة لأنه قال « إن هذه القوات كانوا يمثلون قوة رمزية فقط ولم يكونوا عقبة حقيقية » .

٤ ـ وقد سألته مباشرة وعلى وجه التحديد عما إذا كان يعتزم الدخول فى عمليات عسكرية ، فقال « إنه يطلب منى أن أوضح لحكومتى أن بلاده لن تكون البادئة بأى قتال وأنه ينتظر ما سوف تفعله إسرائيل » . وقد قال لى إنه كان يشعر بالقلق طوال اليوم (الأربعاء) خشية أن يبدأ السوريون شيئا ما بدافع الغضب بسبب الاتفاق الذى عقده مع الملك حسين ، فهم لم يكونوا راضين عنه ولا عن استقباله له فى القاهرة .

٥ ـ وقد سألنى عن موقفنا مع إسرائيل ، وأوضحت له أنه إذا أحست إسرائيل أنها تقف بمفردها فقد يدفعها هذا إلى توجيه الضربة الأولى بغية الحصول على ميزة استراتيجية . وبالعكس فإنها قد تتمالك نفسها طالما شعرت أن معها أصدقاء . ولم يبد على ناصر أنه اقتنع ، ورد علىّ قائلا « إن الموقف كله مثقل بمخاطر يتعين علينا قبولها ، وأنه يعتقد أنه أصبح هدف إسرائيل الأول وأن الضربة الرئيسية للهجوم الإسرائيلى ستكون موجهة ضد مصر » .

٦ ـ (الفقرة بالكامل محذوفة حتى برغم أنه تم الحصول على الوثيقة كلها بمقتضى قانون حرية المعلومات) .

٧ ـ وبالنسبة لخليج العقبة فقد سألته على وجه التحديد ما هو نوع الملاحة التى سيسمح بها من المضايق بمقتضى مفهومه . وكان رده بالاستبعاد الذى يمثل :

١ ـ البواخر التى ترفع العلم الإسرائيلى .
٢ ـ النفط أو منتجاته المكررة المتجهة إلى إسرائيل .
٣ ـ الأسلحة لإسرائيل .

٨ ـ وسألته عما إذا كان مستعدا للنظر فى إحالة مسألة المضايق (تيران) إلى الأمم المتحدة أو إلى محكمة العدل الدولية ، وذلك بالنظر إلى أن هناك أربعة بلدان لها حدود على الخليج . ورد قائلا « إن الإسرائيليين يعاملون القرارات التى تصدرها الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية باعتبارها قصاصات ورق طالما أنها لا تناسب

مصالحهم » . وقال إنه لا يعرف الوضع فيما يتعلق بمحكمة العدل الدولية إلاّ أنه قد يبحث الأمر مع مستشاريه القانونيين . وقد عدل عن هذا الكلام قائلا « إن هذه الموضوعات تستغرق عادة سنوات طويلة قبل الوصول إلى قرار » .

٩ ـ قال ناصر « إن الأمر الآن لم يعد فى يده وحده ، فالدول العربية كلها أعلنت تضامنها مع موقفه ، وبالتالى لابد أن يكون لها رأيها فى أى موقف يتخذه » . وقد أحسست هنا أنه لم يستبعد تماما إمكانية عرض الأمر على محكمة العدل الدولية إذا ضمن أن الاجراءات يمكن أن تتم بسرعة .

١٠ ـ وقد سألته عما إذا كان مستعدا أن يقبل بإسرائيل كأمر واقع بصرف النظر عن مشاعره أو أية حجج قانونية يكون مقتنعا بها بشأن وجود إسرائيل على أرض ما يعتبره هو فلسطين . وقد أجاب ناصر بأنه يصعب عليه تصور إمكانية التوصل إلى سلام مستقر ودائم بدون حل لمشكلة فلسطين واللاجئين من شعبها . وسألته عما إذا كان من الممكن أن تحل مشكلة اللاجئين عن طريق التعويض إلى جانب عودة محدودة لبعض منهم . وكان رأيه أنه يعتقد بأن جميع اللاجئين يتوقون إلى العودة لوطنهم ، وأن دفع أى تعويضات لن يشعرهم بالرضا عن ضياع وطنهم . ثم تحدث طويلا عن تمسك الإنسان العربى بالمكان الذى ولد ونشأ فيه .

١١ ـ وقد أوضح ناصر أنه كان مستعدا لتوقيع اتفاقية مع صندوق النقد الدولى ، إلاّ أنه تلقى قبل دخولى لمقابلته تقريرا بأن الصندوق يرغب فى إعادة بحث ما كان تم التوصل إليه . وقال ناصر « إنه يشعر بالسعادة لأنه لم يوقع هذه الاتفاقية مع الصندوق ، فهم أناس غير معقولين ولا يملكون شيئا من المرونة : ثم أكد لى أنه لا يريد أن يخضع لضغط اقتصادى . وقد أوضحت له أنه لا الصندوق ولا البنوك الأمريكية تمارس أى نوع من الضغوط ، فهى تعمل طبقا لقواعد صارمة ولا تتعمد عدم المرونة فى مفاوضاتها .

١٢ ـ وقد أعرب ناصر عن رغبته فى صداقة الشعب الأمريكى والحكومة الأمريكية ، وأبدى استغرابه من تأثير الأصوات الانتخابية اليهودية فى السياسة الأمريكية رغم أن موقف أيزنهاور سنة ١٩٥٦ أثبت أن الأصوات الانتخابية لليهود ليست على هذه الدرجة من القوة .

١٣ ـ وقد تحدثنا فى موضوع إيفاد نائب الرئيس هيوبرت همفرى لمقابلته ، أو إرسال نائبه هو زكريا محيى الدين لمقابلة الرئيس جونسون . وبدا أنه كان يفضل مجىء

همفرى على أنه على استعداد لإرسال زكريا محيى الدين قائلا « إنه يأمل عن طريق الاتصال المباشر بواسطة نواب الرئيس أن نتمكن من النظر إلى المستقبل » .

١٤ ـ وقد أبدى دهشته من أن تستطيع الأقلية اليهودية فى الولايات المتحدة أن تؤثر إلى هذا الحد على السياسة الأمريكية وترغمها على التضحية بمصالحها الكبيرة فى العالم العربى . ثم قال إنه يتمتع الآن بتأييد أوسع من العالم العربى حتى من بعض أصدقائنا غير العرب مثل الباكستان . وقد أوضحت له أن الحكومة الأمريكية لا تتحرك بضغوط سياسية ولكنها تتحرك بدافع الحفاظ على السلم والسلامة الإقليميين للبلدان .

١٥ ـ وقد قال إنه مستعد لتقدير الجهود الأمريكية فى سبيل السلام إلاّ أن هذه الجهود متحيزة دائما لوجهة النظر الإسرائيلية . وقد ظل يطمئننى إلى أنه لن يبدأ حربا إلاّ أنه ليس مسؤولا عن كل المجموعات ، وأنه سوف يتدخل فقط إذا ما بدأ صراع حقيقى وليس مجرد مناوشات صغيرة . وقال إنه فى ظل الظروف الراهنة فإن الجيش الأردنى موضوع تحت تصرف القيادة العليا المصرية ، وهذا ينطبق على القوات العربية الأخرى .

١٦ـ لمعلوماتكم العامة أمضيت ثلاثة أيام فى بيروت قبل التوجه للقاهرة . وفى أثناء هذه الزيارة تقابلت مع شخصيات عربية من السعودية والكويت والعراق وأيضا مع لبنانيين . وهم أناس يتصفون بالاعتدال عموما ويميلون إلى معارضة ناصر . ولكنهم فى هذه المرة كانوا جميعا يشيدون بسياساته وبالإجراءات التى اتخذها . وفى رأيهم أن الولايات المتحدة منساقة فى سياستها وراء أقلية يهودية فيها لمصالح انتخابية . وكان تأثرى بهذا الكلام راجعا إلى نوعية الأشخاص الذين أعربوا عن هذه الآراء . ولم يكن تأثرى بهذه الآراء فى حد ذاتها .

١٧ ـ وفى أثناء محادثاتنا بدا لى ناصر مستريحا نفسيا . وكان يرتدى ملابس « سبور » (قميص وبنطلون) ، وكان يبدو واثقا من نفسه ومن معلوماته ومن قدرته العسكرية . ولم تجر مناقشة بيننا حول السوفيت . وكان تقديره طوال المناقشة أن نظامه هو المستهدف .

١٨ ـ إننى أتأهب لبعث رسالة إلى القاهرة عن طريق السفارة الأمريكية إلى ناصر . وسوف أؤكد له بناء على تعليماتكم استعدادكم لاستقبال زكريا محيى الدين الذى أرجح أن يصل إلى نيويورك يوم الأحد أو أول يوم فى الأسبوع (الاثنين) . وسأعود إلى

نيويورك بعد ظهر يوم السبت وسأكون جاهزا للحضور إلى واشنطن يوم الأحد أو بعد ذلك . ويمكن الاتصال بى عن طريق السفارة هنا اليوم أو صباح غد إذا رغبتم .

(إمضاء)
أندرسون »

□

وفى يوم ٣ يونيو ، ورغبة فى مزيد من الاستجابة لمقترحات وزارة الخارجية على السفير « مصطفى كامل » فى واشنطن - قام « جمال عبد الناصر » بالرد على خطاب الرئيس « جونسون »[١١] إليه . وقد بدأ « جمال عبد الناصر » رده على « جونسون » بالنص كما يلى :

« عزيزى الرئيس ليندون ب . جونسون

لقد رحبت بمبادأتكم فى الكتابة إلىّ حول الوضع الراهن فى الوطن العربى اعتقادا منى بأنه مهما بدت نقطة الالتقاء بيننا خارج نطاق مرئياتنا فى هذه المرحلة - فإن أية محاولة مشتركة من جانبنا لإيجاد اتصال فكرى بيننا قد تساهم على الأقل فى تبديد جزء من السحابات المصطنعة التى يراد لها أن تصور ممارسة الحق وكأنه أمر حرام ، وأن تصور حق الدفاع وكأنه عدوان . »

ثم راح « جمال عبد الناصر » بعد ذلك فى رسالته يشرح تطورات الأزمة ويركز على القضية الفلسطينية باعتبارها القضية المحورية فى صراع الشرق الأوسط . واستغرق هذا العرض ثلاث صفحات . ثم وصل فى الصفحة الرابعة ليقول للرئيس « جونسون » ما نصه :

« لقد أشرتم فى رسالتكم إلى نقطتين أولاهما ضرورة تنحية الماضى جانبا والعمل على إنقاذ الشرق الأوسط بل والعالم كله بتجنب الأعمال العسكرية . وأود أن أشير إلى أن الجمهورية العربية المتحدة تتخذ حفظ السلام العالمى هدفا لها . وأما بالنسبة لتجنب الأعمال العسكرية فيكفى هنا أن أكرر ما سبق أن أعلنته من أن قواتنا لن تبدأ بأى عدوان ، ولكنها سوف تدافع عن وطنها بكل ما تملك من قدرات وإمكانيات .

---

(١١) محفوظات قصر عابدين - ملف مراسلات مع رئيس الولايات المتحدة - يونيو ١٩٦٧ .

والثانية هى ما أشرتم إليه من أن مشاكل العصر لا يمكن حلها عن طريق اختراق الحدود بين الدول بواسطة الرجال والسلاح . وأنا أتفق معك فى هذا الرأى ، ومع ذلك فينبغى أن ننظر فى كيفية تطبيق هذا المبدأ على كل حالة . فإذا كان قصدكم هو عبور بعض أفراد شعب فلسطين لخطوط الهدنة ـ فإننى أود هنا أن أشير إلى ضرورة بحث هذا الجانب فى نطاق النظرة الشاملة لقضية شعب فلسطين . وهنا أتساءل عن مدى قدرة أية حكومة فى أن تسيطر على مشاعر أكثر من مليون فلسطينى فات عليهم ما يقرب من عشرين سنة دون أن تهتم العائلة الدولية بمساعدتهم على العودة إلى وطنهم . وإن ما يقوم به بعض أفراد الشعب الفلسطينى من عبور خطوط الهدنة هو فى الواقع مظهر من مظاهر الغضب الذى أصبح يتملك هذا الشعب إزاء الإنكار الكامل لحقوقه من جانب العائلة الدولية ، ومن جانب القوى التى تقف مع إسرائيل وتساعدها على طول الخط . »

ثم وصل « جمال عبد الناصر » فى النهاية إلى آخر فقرة فى رده على « جونسون » فقال بالنص :

« وفى الختام ، فإننى أود أن أؤكد لكم أننا سنرحب بالاستماع إلى المستر هيوبرت همفرى نائب رئيس الولايات المتحدة فى أى وقت يرى فيه زيارة الجمهورية العربية المتحدة ، كما سنعمل على إعطائه صورة الموقف كما نراها وسط الأحداث المصيرية التى تعيشها الأمة العربية فى هذه الأيام . وأنا على استعداد لإرسال السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية فى الحال إلى واشنطن للالتقاء بكم وشرح وجهة نظرنا .

(إمضـــاء)

جمال عبد الناصر »

□

والواقع أن « جمال عبد الناصر » كان راغبا فى حدوث هذا الاتصال على مستوى أعلى بين القاهرة وواشنطن . فإما أن يجىء « همفرى » إلى القاهرة ، وإما أن يذهب « زكريا محيى الدين » إلى واشنطن . وكان تفضيله للخيار الأول مرجحا ، وهو أن يجىء « همفرى » إلى القاهرة رغم معرفته بحماس « همفرى » الشديد لإسرائيل ، باعتبار أن

« همفرى » كان فى ذلك الوقت يرتب نفسه لخوض انتخابات الرئاسة عن الديمقراطيين إذا ما قرر الرئيس « جونسون » أن يمتنع عن ترشيح نفسه بسبب ورطة فيتنام .

كان السفير « تشارلز يوست » قد قال للدكتور « محمود فوزى » أثناء مقابلة بينهما لبحث هذا الموضوع أنه شخصيا يفضل مجىء « همفرى » ويرى « أن نتمسك » بذلك لأن وجوده فى القاهرة سوف يكون مانعا للإسرائيليين من الحركة طوال فترة زيارته ، وهذا يعطى لجميع الأطراف وقتا إضافيا هم فى حاجة إليه .

وبدا كلام « يوست » عندما نقله الدكتور « فوزى » لـ « جمال عبد الناصر » فى حديث تليفونى بينهما ـ كلاما منطقيا ومعقولا . ومن ناحية أخرى فقد كان تفكيره فى ذلك الوقت يتجه إلى تشكيل وزارة طوارىء فى مصر تصبح مسؤولة عن الجبهة الداخلية فى أوقات قد تفرض عليه أن يولى اهتماما أكبر للاتصالات الدولية ، ولمتابعة أى مفاجأة عسكرية . وكان تقديره أن يكلف السيد « زكريا محيى الدين » بتشكيل هذه الوزارة . وبالتالى فإنه يحتاجه فى مصر .

والذى حدث أن « روبرت آندرسون » بعث من لشبونة ببرقية يقول فيها « أن الرئيس جونسون سوف يكون على استعداد لمقابلة السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية فى واشنطن صباح يوم الثلاثاء ٦ يونيو » . وهكذا كان على « زكريا محيى الدين » أن يعد نفسه للسفر وأن يتفرغ لقراءة ملفات الأزمة .

كانت إدارة العلاقات مع الولايات المتحدة فى تلك الفترة قضية صعبة . وفى نفس الوقت فإن إدارة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى لم تكن قضية سهلة . فصباح يوم ٢٨ مايو اتصل السفير السوفيتى فى القاهرة بالمشير « عبد الحكيم عامر » لإبلاغه أن شحنات مطلوبة بسرعة من الأسلحة والذخائر سوف يتأخر وصولها لأن الحكومة اليوجوسلافية لم تعط حتى الآن إذنها بمرور الطائرات التى تحمل هذه الأسلحة والذخائر عبر أجوائها فى طريقها إلى مصر . واتصل المشير « عبد الحكيم عامر » بالرئيس « جمال عبد الناصر » يطلب رأيه . وقرر « جمال عبد الناصر » أن يعالج الموضوع بنفسه مع الرئيس « تيتو » على أساس أن

حساب الساعات الخطرة لا يسمح بمعالجة الموقف عن طريق الاتصالات والأجهزة العادية ، دبلوماسية كانت أو عسكرية . وكتب بنفسه مشروع برقية إلى السفير « حمدى أبو زيد » سفير مصر فى بلجراد ، جاء فيها بالنص :(١٢)

« إلى السفير حمدى أبو زيد

رجاء مقابلة الرئيس تيتو فورا ، وإبلاغه الرسالة التالية منى : تحياتى وتمنياتى الطيبة له - ثقتى فى تتبعه لتطورات الموقف فى المنطقة . شكرى له على الموقف الذى تقفه يوجوسلافيا رئيسا وحكومة وشعبا إزاء الجمهورية العربية المتحدة - هناك طلبات عاجلة جدا لتسليح قواتنا مطلوب نقلها جوا من موسكو إلى القاهرة . ورجائى من الرئيس تيتو أن يصدر أوامره للجهات اليوجوسلافية المعنية للسماح للطائرات السوفيتية بعبور الأجواء اليوجوسلافية - رتبنا مع الاتحاد السوفيتى أن يخطر السلطات اليوجوسلافية بالمواعيد التى سيتم فيها العبور - إفادتى فورا بنتيجة الاتصال .

(إمضـاء)
جمال عبد الناصر »

وبعد ساعات رد السفير « حمدى أبو زيد » من بلجراد ببرقية شفرية كان نصها :(١٣)

« استقبلنى الرئيس تيتو وعرضت عليه مضمون رسالتكم - وافق فورا ، وصدرت التعليمات إلى وزير الدفاع للتنفيذ فى نطاق العسكريين فقط . طلب من سكرتيره ومن المترجم اعتبار الموضوع سرى للغاية ، وطلب منى عدم التحدث عنه حاليا مع وزارة الخارجية . طلب منى إبلاغ سيادة الرئيس تحياته وتأثره وإعجابه . »

---

(١٢) ملف مجموعة شفرة رئاسة الجمهورية عن شهر مايو ١٩٦٧ - وهذه الإشارة تحمل علامة أولوية حمراء ، كما أنها مقيدة فى الملف تحت رقم ١١٩٦ .

(١٣) نفس الملف - رقم ١١٩٨ .

وبعد اطلاعه على هذه البرقية طلب « جمال عبد الناصر » من مكتبه أن يتصل بالسفير السوفيتى لإبلاغه أن أجواء يوجوسلافيا الآن مفتوحة ، وأنه لم يعد هناك مبرر للتأخير . وفى اليوم التالى طلب السفير السوفيتى فى القاهرة موعدا عاجلا مع الرئيس لإبلاغه برسالة هامة من الحكومة السوفيتية . واستقبله « جمال عبد الناصر » بالفعل فى الساعة الثامنة من مساء يوم ٣١ مايو . وكان ملخص رسالة الحكومة السوفيتية أنهم على اتصال باليوجوسلاف الذين غيروا رأيهم الآن وأصبحوا مستعدين لإعطاء الإذن للطائرات السوفيتية الحاملة للأسلحة والذخائر إلى مصر عبر أجواء يوجوسلافيا . وأنهم فهموا مغزى سرعة الاتصال الذى قام به الرئيس . والواقع أنهم كانوا فى دهشة من تلكؤ اليوجوسلاف فى إعطائهم الإذن بعبور أجوائهم . وبعد أن حصلوا على هذا الإذن فهم سيبذلون قصارى جهدهم فى الإسراع بعملية التجميع والشحن ، ويقدرون أن تتواصل هذه العملية من ٩ يونيو إلى آخر شهر أغسطس . وكان السفير السوفيتى يحمل معه قائمة بالأسلحة والذخائر التى تقرر شحنها فى هذه الفترة . وقد راح السفير يقرأ بنود القائمة و « جمال عبد الناصر » يستمع إليه ، حتى وصل بعد انتهاء القائمة إلى فقرة فى الرسالة جاء فيها بالنص :

« إن كل هذا سوف يمكنكم من تنفيذ خططكم للتسليح الإضافى ولإنشاء الوحدات العسكرية الاحتياطية ، وذلك لمجابهة تعقد مفاجىء فى الوضع أو احتمال عدوان . ونظرا لاهتمامنا بالصداقة بين بلدينا فقد وجدنا من الممكن تسليم هذه الأسلحة والمعدات الأخرى بـ ٥٠٪ من ثمنها . ذلك أننا على تمام الثقة من انتصارنا المشترك ضد الاستعمار وضد عملائه ، وكذلك لضمان حرية الدول العربية واستقلالها . »

وكان تعليق « جمال عبد الناصر » بعد أن استمع إلى الرسالة هو « **أنه يقدر تعاون الاتحاد السوفيتى فى تسليح مصر واستجابته لطلباتها ، لكنه يرى أن الجدول الزمنى الخاص بالشحن لا يأخذ فى اعتباره سرعة الأحداث . فهو ـ طبقا لما سمعه ـ يمتد على فترة تبدأ من ٩ يونيو إلى آخر أغسطس ، وهو يشك فى أن الأزمة تستطيع أن تنتظر إلى هذا الحد . ولو أنها انتظرت لكان تقديره أنه قد أمكن تفاديها واحتواؤها بالوسائل السياسية .** » ثم أضاف « **إنه فهم من كل ما أثاره الاتحاد السوفيتى حول امتناع اليوجوسلاف عن إعطاء الإذن بعبور الطائرات السوفيتية فى الأجواء اليوجوسلافية ـ**

أن المسألة ساعات . أما إذا كان حسابها بالأسابيع فإن استعمال الطائرات يصبح إسرافا لا معنى له ، والأسهل منه استخدام البواخر !! »

واستمع السفير إلى ملاحظات الرئيس ، وأخرج من جيبه ورقة ليكتب عليها بعض النقاط مما سمعه قائلا إنه سيبلغ موسكو على الفور بـ « نصائح » الرئيس .

الفصل الرابع

الدقائق قبل الأخيرة

وكانت عملية إدارة العلاقات العربية ـ العربية ، على مستوى الحكومات وعلى مستوى الجماهير ، قضية بالغة التعقيد . فمن ناحية كانت هناك الخلافات الاجتماعية والسياسية التى وصلت إلى حد الصدام المسلح فى اليمن ، ومن ناحية أخرى كانت هناك الضرورات الطارئة للأزمة والتى تعطى لكل طرف دوره وتستلزم هذا الدور كضرورة ، فقد كان الظن أن هناك مواقع مؤثرة فى الأزمة تستجيب لهذا الطرف العربى ، كما أن هناك مواقع تستجيب لغيره . وبدا هاما أن يظهر العالم العربى ـ وفى ظرف أيام قليلة ـ وكأن لديه أولوية تتعدى سواها مهما كانت دواعى الخلاف . وثبت أن مثل هذا المنطق فى الواقع العملى نوع من القفز فوق الطبائع الإنسانية وإنكار ما لا جدوى من إنكاره مهما كان مؤلما ، ذلك أن عداء ذوى القربى أشد ضراوة من أى عداء آخر ، وفضلا عن ذلك فقد كان هناك عنصر الاختراق الخارجى وهو مؤثر على كل النواحى والأطراف !

وفى نفس الوقت فإن العمل على المستوى الشعبى كان معضلة عويصة . فقد كانت تعبئة الجماهير مطلوبة للضغط فى الداخل والخارج ، ولكنه كان مهما ألاّ يفلت العيار بحيث ينقلب الضغط على طالبيه فيصبح انتظارا للمستحيل غير قابل بما دونه مما هو ممكن

التحقيق . ومشاعر الحماسة عادة هى أكثر ما يستعصى على الحساب ، ذلك أنها بطبيعتها غير قابلة للضبط ، فهى ليست مثل صنبور مياه يفتح ويقفل طبق احتياجات متغيرة . وأما مشاعر الحماسة فهى انطلاق إلى السماء ، إذا لم يواصل اندفاعه إلى أعلى سقط على الأرض ، ومع ذلك فكل صاروخ له سرعة وله مدى ، والتحكم والتوجيه مهما كانت الصعوبات هما الأساس فى كل شيء وإلاّ أصبح أى صاروخ شحنة عمياء أو طائشة !

وفى هذا المناخ المشحون كان « جمال عبد الناصر » مشغولا بجبهتين : على الناحية العربية كان هناك الملك « فيصل » . وفى الناحية الدولية كانت هناك الولايات المتحدة .

وحين بدأت محاولات دعوة الملك « فيصل » إلى أداء دور فى الأزمة ، اتصل أخوه الملك « سعود » بالسيد « أنور السادات » يقول له إنه « **يبلغ فخامة الرئيس أنه يعرف أخاه أكثر مما يعرفه جمال عبد الناصر وأن فيصل (......)** » .

وفيما يتعلق بالولايات المتحدة فقد اتصل « جمال عبد الناصر » بوزير الإرشاد القومى فى ذلك الوقت ، وهو السيد « محمد فائق » ، يبلغه أنه استمع إلى بعض الإذاعات المصرية ، وهو يريد أن يذكر الكل بملاحظة « **أننا لن نحارب أمريكا . نحن نريد إحراجها وكشفها ، ونحن نعرف أنها ضالعة فى عدائنا ولكننا من ناحيتنا لا نستطيع أن ندخل فى عداء إلى النهاية ضدها** » ![1]

□

وكان الملك « فيصل » فى تلك الأيام - الأول والثانى والثالث من يونيو ١٩٦٧ - موجودا فى لندن ، وقد غادرها مرة إلى بروكسل وإلى باريس ثم عاد إليها مسرعا بعد ذلك ، **فقد كان اهتمامه مركزا على خطة وزارة العمال للانسحاب من شرق السويس ، وكان الملك متخوفا من تنفيذ هذه الخطة متحسبا لما كان يسميه « الفراغ » الذى يمكن أن ينشأ إذا انسحبت بريطانيا من الخليج العربى ومن الجنوب العربى ، وكان تقديره أن السياسة المصرية هى القوة المرشحة لملء هذا « الفراغ »** .

وكان أسوأ ما فى الموقف أن كل الذين أحاطوا بالملك فى لندن كانوا من مجموعة القوة الجديدة فى العالم العربى ، وهى المجموعة التى تمثل تحالف البترول والمخابرات

---

(١) صيغت هذه التوجيهات بعد ذلك كتابة بنفس هذه الألفاظ تقريبا ، وتولى مكتب الرئيس للمعلومات إرسالها إلى وزير الإرشاد القومى السيد « محمد فائق » الذى كان يتولى مهمة من أدق المهام التى كلف بها وزير فى تلك الأزمة .

والسلاح ، وهى أسوأ المجموعات التى ظهرت حول دوائر صنع القرار فى العالم العربى ، فى أى فترة من فترات تاريخه . كانت مجموعة متورطة إلى النهاية ومخترقة ، وكان همها تكديس الملايين ، وكانت قد بدأت تتعلم لعبة شراء القصور والطائرات الخاصة والتنقل بها بين مغانى أوروبا وملاهيها ، بما فى ذلك أندية القمار ونوعية الرجال والنساء الذين يطوفون كالفراش حول الأضواء خصوصا إذا كان فيها بريق الذهب ووهجه .

وكان الملك ما زال يخير بريطانيا بين أحد مخرجين :

- **إما أن تؤجل تطبيق سياسة الانسحاب من شرق السويس ، وهو على استعداد لتحمل التكاليف المادية إذا كان الاقتصاد فى النفقات هو السبب .**

- **وإما أن تساعده على إنشاء تجمع يضم كل دول شبه الجزيرة العربية ، تتولى السعودية قيادته وتكون لها فيه اليد الطولى (وكان هذا بالفعل ما تحقق وإن تأجل إعلانه رسميا بضع سنين) .**

□

وكانت البرقيات الشفرية الملتقطة على الشبكة السعودية هى خير مصدر يمكن منه استطلاع تفكير الملك . وفى مساء يوم ٣٠ مايو والملك فى باريس صدرت برقية من رئيس ديوانه موجهة إلى وزير الدفاع فى الرياض تسأله عما تم بشأن إرسال شحنات من الذخائر من السعودية إلى الأردن . وردت وزارة الدفاع فى الرياض « بأن التسليم جار طبقا للمواعيد المتفق عليها » . ثم عادت الرياض تبعث إلى الملك ، وكان قد وصل إلى لندن ، ببرقية تقول فيها : « يتم اليوم تسليم دفعة جديدة من الذخائر للأردنيين وتتحرك بها ١٨ سيارة حمولة ١٠ طن للتسليم باكر » . ورد الملك من لندن ببرقية جاء فيها : « اوقفوا التسليم » . وتظهر على الشبكة السعودية بعد ذلك برقية عاجلة نصها كما يلى :

« إلى قائد منطقة تبوك

ستصلكم ١٨ سيارة حمولة ١٠ طن محملة بالذخائر للأردن عهدة الرئيس سليمان الخليفة . يوقف سيرها وتعود . »

وكانت ترجمة ذلك أن هناك رغبة فى معاقبة الأردن بمنع إمداد الذخيرة عنه بعد أن قام الملك « حسين » بزيارته للقاهرة .

ويوم ٣ يونيو ظهرت على الشبكة السعودية برقية أخرى مرسلة من تبوك إلى الرياض جاء فيها : « **صدر أمر سموكم رقم ١٥٣ بوضع سرية مشاة فى جزيرتى تيران وصنافير فى المكان الذى كان يشغله المصريين . نرجو تحضير سرية بكامل معداتها وتجهيزاتها وسياراتها . وسنقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة نحو تأمين الزوارق اللازمة لنقلها إلى الجزيرتين وتأمين الاتصال بهما وإشعارنا عند الانتهاء من التحضير . نعمدكم باللازم . رئيس الأركان** . »

وكانت جزيرتا تيران وصنافير الواقعتان عند مدخل خليج العقبة ، مملوكتين للسعودية التى تركتهما لمصر بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بهدف إحكام السيطرة على خليج العقبة . وبدت رغبة الملك « فيصل » فى احتلالهما الآن غير مفهومة للذين قرأوا برقية الشبكة السعودية . وكان رأى المشير « عبد الحكيم عامر » أنه رغم وجود قوات مصرية محدودة فى الجزيرتين طبقا لخطة الدفاع المعتمدة عن مداخل الخليج . فإنه لا يصح السماح للسعوديين الآن بالعودة لاحتلالهما لأن الأمر قد تكون فيه « لعبة » . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه لا ينبغى اعتراض السعوديين إذا أرادوا النزول فى الجزيرتين ، **فذلك يجعل السعودية شريكة « بالتضامن » فى قفل خليج العقبة إلاّ إذا إتخذت موقفا غير ذلك وأعلنته ، وهو ما يؤدى إلى إحراجها إحراجا لا تستطيع تحمله . ويبدو أن تقديرات « جمال عبد الناصر » كانت صحيحة . ففى صباح يوم ٤ يونيو ، ومن لندن ، بعث الملك ببرقية إلى وزارة الدفاع السعودية يقول فيها : « أوقفوا تيران وصنافير حتى تتجلى الأحوال » !**

☐

وتوجه السيد « زكريا محيى الدين » نائب رئيس الجمهورية(*) إلى مهمة عاجلة فى الجزائر يقابل فيها الرئيس « هوارى بومدين » ويطلعه على آخر تطورات الموقف ، ثم يطلب إليه أن يقوم بالاتصال بالملك « فيصل » لاستطلاع موقفه إزاء التطورات المتلاحقة للأزمة . وتوجه السفير الجزائرى فى لندن لمقابلة الملك ، وكتب إلى الرئيس « بومدين » برقية قال فيها « إن الملك أبلغه « **إننا حاضرون لكل ما يتفق عليه الإخوان** » . » ولم **يكن هذا الرد من جانب الملك « فيصل » محددا بما فيه الكفاية ، ولكن « زكريا محيى الدين » عاد من الجزائر ذاتها بما هو أكثر تحديدا ، فقد وجد الرئيس « بومدين » فى**

(*) استغرقت زيارته للجزائر ساعات لأنه كان ينتظر إشارة للسفر إلى واشنطن .

حالة معنوية عالية وفى رأيه « أن الأوان قد آن لضرب إسرائيل وردع خطرها » . ومع ذلك فقد كان رأيه فى المحصلة الأخيرة هو أنه لن تحدث حرب لأن الولايات المتحدة ليست فى وضع يسمح لها بالقتال فى الشرق الأوسط . وإسرائيل لن تستطيع القتال بدون أمريكا أو بدون أوامر من أمريكا مؤكدة بضمان . فإذا كانت إسرائيل وحدها هى التى ستحارب ، فهى غير قادرة على أن تقاتل فى ثلاث جبهات مرة واحدة (مصر والأردن وسوريا) . وكان الرئيس « هوارى بومدين » بعد ذلك مستعدا لإرسال أكبر جزء من الطيران الجزائرى للاشتراك فى المعركة فى حال نشوبها ، وقد قال إنهم « سوف يفكون أجنحة الطائرات المقاتلة ويحملونها فى طائرات النقل الكبيرة ، وستكون فى مصر خلال أيام » .

□

ولم تكن الأحوال فى ليبيا على مستوى الأحوال فى الجزائر ، فقد كانت المعلومات الملتقطة على الشبكات البريطانية والأمريكية فى ليبيا غير داعية للطمأنينة . وقد أوضحت هذه المعلومات أن هناك تحركات لمجموعة كتيبة من الدبابات فى منطقة « التميمى » غرب « طبرق » ، كما أن قوات أمريكية دخلت إلى ولاية « برقة » ، قادمة من طرابلس . ثم أظهرت برقية ملتقطة على الشبكة البريطانية أن القوات البريطانية فى مطار « العظم » القريب من « طبرق » قد أقامت نقطة تفتيش غرب « طبرق » يقوم عليها جنود بريطانيون بدون اشتراك أى عنصر ليبى . وقد تأيد اتجاه هذه المعلومات ببرقية من السفارة المصرية فى طرابلس تقول إن العناصر الوطنية والدينية فى ليبيا توجهت إلى الملك « ادريس السنوسى » بعريضة حملها السيد « على وريث » والشيخ « محمود صبحى » وسلماها إلى السيد « فتحى الخوجة » رئيس الديوان لتقديمها إلى الملك « ادريس السنوسى » . وفى هذه العريضة طلب مقدموها إلى الملك « السنوسى » أن يتدارك ما يجرى فى ليبيا ، وأن يأمر بفرض رقابة على القاعدة الأمريكية فى « هويلس » وغيرها من القواعد البريطانية والأمريكية فى ليبيا لأن الناس « هالهم النشاط المتزايد فى هذه القواعد » . كذلك طلبت العريضة الموجهة إلى الملك ضرورة وضع اليهود فى ليبيا تحت الحراسة ، والسماح للقوى الوطنية بالحركة والتعبير عن مساندتها لمصر . ثم طالبت العريضة بضرورة تخصيص ميزانية ضخمة توضع تحت تصرف « إخواننا الذين ينهضون بواجب الجهاد » .

□

وفى يوم ٢ يونيو اتصل السفير العراقى بوزارة الخارجية يبلغها أن رئيس وزراء العراق فى طريقه إلى القاهرة الآن لمباحثات على جانب كبير من الأهمية . وأضاف « إن الحكومة العراقية قررت توجيه الدعوة لوزراء النفط العرب أو من ينوب عنهم لاجتماع فى بغداد يعقد يوم ٤ يونيو . وأن الدعوة وجهت فعلا إلى الجزائر والكويت وليبيا والسعودية والجمهورية العربية المتحدة ، كما وجهت كذلك إلى البحرين وقطر وأبو ظبى . وأن الغرض من الاجتماع هو بحث تحريم بيع البترول أو إيصاله لأى دولة تشترك فى العدوان على الدول العربية . »

وحولت وزارة الخارجية تبليغ السفير العراقى إلى الرئاسة ، وأضافت إليه مذكرة تقترح فيها توسيع الدعوة بحيث تشمل الدول الإسلامية المنتجة للبترول . وقام مكتب الرئيس - على أثر ذلك - بإبلاغ الخارجية أن الرئيس يرى « أن توسيع دائرة الضغط بالبترول خارج العالم العربى سوف يأخذ وقتا طويلا ، ومن المؤكد أن بعض الدول الاسلامية مثل إيران لن تقبل بالمشاركة فى مثل هذا الضغط . واقتراحه المحدد هو أن تحاول الدول العربية أن تقنع الدول الاسلامية بتوجيه نداء لشاه إيران بالامتناع عن إرسال بترول بالناقلات إلى إسرائيل . فهذا الإجراء وحده يكفى ، مع العلم بأن إسرائيل تحصل من إيران على ٧٠٪ من احتياجاتها البترولية . يضاف إلى ذلك أن النقطة الحرجة فى قفل خليج العقبة هى موضوع ناقلات البترول ، فإذا تصدت مصر بالقوة لمنعها قدمت مبررا لإشعال الموقف ، فى حين أنه إذا توقفت حركة الناقلات من إيران إلى إسرائيل فإن ذلك يعالج المسألة عند المنبع ولا تكون هناك حاجة إلى التعرض لأى ناقلات . »

وحاول الملك « حسين » فعلا أن يضع هذا الرأى أمام شاه إيران ، ولكن الشاه رد عليه برسالة قال فيها : « إن إيران لا تملك أى نوع من أنواع الرقابة أو السيطرة على الناقلات التى تحمل بترولها بعد أن تخرج من الموانىء الإيرانية » !

□

ودعى السفير المصرى فى الكويت إلى مقابلة مع أميرها « صباح السالم الصباح » الذى طلب إليه أن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » شعوره بأن الموقف يزداد خطورة ، وأنه يريد أن يعرف رأى الرئيس فى اقتراح يراوده بأن تقوم الكويت بتوجيه دعوة إلى مؤتمر قمة عربى عاجل يبحث احتمالات الموقف . ورد الرئيس على الفور بأنه يرحب بالفكرة ، ويفضل أن تكون القاهرة مكان انعقاد هذا المؤتمر لأنه لا يستطيع

مغادرتها ولو ليوم واحد ، بل على العكس يحس أن التطورات تتلاحق بحساب الساعات وليس بحساب الأيام .

وفى تلك الساعات الأولى من شهر يونيو ١٩٦٧ كانت أنظار العالم متوجهة إلى القاهرة ، واهتمامه مركز على الأحداث الدائرة من حولها . وكان الجميع على اتصال بها ما بين ناصح ومحذر . ويوم ١ يونيو استدعى السفير المصرى فى باريس « عبد المنعم النجار » إلى مقابلة الرئيس « شارل ديجول » فى قصر الاليزيه ، فقد كان لدى « ديجول » ما يريد إبلاغه لـ « جمال عبد الناصر » .

كانت رسالة « ديجول » من بندين :

□ أولهما : إنه مازال يرى ضرورة عقد مؤتمر قمة رباعى . ورأيه أن ذلك هو الطريق الوحيد للسيطرة على اندفاع الحوادث . وهو يود أن يؤكد للرئيس أن « هدفه من ذلك ليس فرض وصاية على العالم لحساب الدول الأربع الكبرى ، وإنما رأيه أن عملا على مستوى القمة الدولية هو وحده الذى يستطيع أن يحرك « فرامل السيارة » المندفعة بأقصى قوتها إلى المجهول . »

□ وثانيهما : إنه يريد أن يتصل الرئيس « ناصر » بالاتحاد السوفيتى لكى يغير رأيه فى معارضة اجتماع على مستوى القمة . وفى تقديره أن موافقة الاتحاد السوفيتى على قمة رباعية سوف يكون مفيدا للطرف العربى . فليس من صالح الطرف العربى أن يجرى علاج الأزمة فى الشرق الأوسط على القمة بين القوتين الأعظم وحدهما ، لأن ذلك إذا حدث سوف يجعل علاج الأزمة مرتهنا بمجمل العلاقات بين القوتين الكبيرتين ، وبالتالى يدخلها إلى مجال المساومات والتوازنات مع مناطق أخرى للتوتر فى العالم ، وبالتالى فإنه يجعل علاجها مسألة صفقات أكثر منه أى شىء آخر .

وقد بعث السفير المصرى فى باريس برسالة الرئيس « ديجول » إلى القاهرة ، وأضاف إليها أنه بعد أن فرغ من مقابلته مع الرئيس الفرنسى تحدث بعض الوقت مع مدير مكتبه الذى شرح له تفصيلا سياسة الجنرال « ديجول » إزاء الأزمة ، فقد كان « ديجول »

يؤثر الاختصار فيما يقول ويلقى بخطوط عريضة تاركا لسامعيه أن يفسروها على النحو الذى يشاءون . وكان الدليل على ذلك أن مقابلته للسفير المصرى لم تزد مدتها عن عشر دقائق ثم كان على مدير مكتبه أن يملأ التفاصيل . وقال السفير المصرى فى تقريره « إن مدير مكتب ديجول بعد أن أفاض فى شرح أهمية عقد مؤتمر رباعى على مستوى القمة ، أضاف إلى ذلك قوله إنه يرجو من السفير المصرى تبليغ حكومته أن تولى اهتماما أكبر بأوروبا وفرنسا بالذات » . وقال له « إنهم يعرفون مدى الجهد الذى تبذلة السفارة هنا وإن كانوا يرون من الضرورى تعزيزه بجهود أخرى تصل مباشرة إلى كل فئات الرأى العام الفرنسى » . وقد اقترح عليه تنظيم حملة إعلام تواجه الحملة الاسرائيلية التى تقوم على توجيهها مجموعة من اليهود المتعاطفين مع إسرائيل ، وعلى رأسهم البارون « جى دى روتشيلد » . ثم قال مدير مكتب « ديجول » للسفير بعد ذلك « إنكم تركزون اهتمامكم على القوتين الأعظم ، وهما مؤثرتان فى العالم ولكنهما لاتحكمانه كما تتصورون . وهناك أشياء لابد أن تفعلوها بأنفسكم وليس هناك من يفعلها نيابة عنكم .» ثم اقترح عليه بالتحديد « إرسال مبعوثين مصريين إلى فرنسا للاتصال بكل القوى الشعبية بما فى ذلك الاشتراكيون بقيادة ميتران ، وحتى الحزب الشيوعى ، ولا تتصوروا أن هؤلاء سوف يأخذون الخط من موسكو » . وقال مدير مكتب « ديجول » : « إننا فى حملتنا الانتخابية للرئاسة ، ورغم كل سمعة ديجول وهيبته ، استعنا بمكتب للعلاقات العامة ، وقد تولوا هم كل شؤون الصحافة والتليفزيون والمثقفين والفنانين وغيرهم . ونفس الشىء يفعله الإسرائيليون أيضا رغم كل ما لهم هنا من قواعد . »

□

وفى نفس الوقت كان « جمال عبد الناصر » يتلقى رسالة من « هوشى منه » زعيم فيتنام الأسطورى . وقد قال « هوشى منه » فى رسالته إنه « بما يعرفه عن نوايا الولايات المتحدة وأساليب عملها ، فانه يعتقد أن الهجوم على مصر صار وشيكا ، وأن لديه ما يحمله على الاعتقاد بأن هناك صلة من نوع ما بين ما يقوم به الأمريكيون فى الشرق الأقصى وما يقومون به فى الشرق الأوسط . وأنه لهذا السبب فقد طلب إلى قوات الثورة فى فيتنام الجنوبية أن تكثف هجماتها على الأمريكيين فى الأيام القادمة بقصد إرباكهم وتشتيت جهودهم . »

□

وبعد ساعات كان « جمال عبد الناصر » يقرأ رسالة من الرئيس « تيتو » يقول فيها إن هناك معلومات وصلته عن أن الهجوم على مصر واقع فى ظرف ٢٤ ساعة . وقال الرئيس « تيتو » فى رسالته : « إن المخابرات اليوجوسلافية حصلت على بعض المعلومات التى رأى وضعها تحت نظر الرئيس لتقدير أهميتها على ضوء ما يعرفه هو (أى الرئيس « عبد الناصر ») عن مسارح العمليات المختلفة . وكانت معلومات المخابرات اليوجوسلافية تشير إلى عدة احتمالات لاتجاهات العمل الإسرائيلى :

● احتمال هجوم عام على الجبهة المصرية بقصد توجيه ضربة قوية لحشود الجيش المصرى فى سيناء .

● احتمال عملية محدودة تستهدف احتلال شرم الشيخ باعتبارها بؤرة التوتر والموقع الذى تمارس منه عملية إغلاق خليج العقبة . وميزة هذا العمل فى رأى المنادين به فى إسرائيل أنه رد مباشر فى المكان المحدد ، وبالتالى فإن الرأى العام العالمى يستطيع فهمه والتعاطف معه .

● احتمال عملية محدودة لاحتلال قطاع غزة وإخراج القوات المصرية منه وتصفية الوجود المصرى فيه ، والاحتفاظ به رهينة لإرغام مصر على رفع الحصار عن الخليج .

● احتمال عملية محدودة لاحتلال منطقة السد العالى بواسطة قوات مظلات تتمكن من السيطرة على مدينة أسوان بما فيها السد العالى وسد أسوان القديم ، وتوجيه إنذار بتدمير هذه المواقع الحيوية إذا لم تتراجع مصر عن مواقفها العدائية لإسرائيل . وتقدير المنادين بهذا الرأى فى القيادة الإسرائيلية هو أن احتلال السد العالى يمكن أن يلهب خيال الأمريكيين ، كما أنه يكشف السوفيت الذين ساعدوا مصر فى بنائه بعد أن قام الغرب بسحب عرضه بالمشاركة فى تمويله .

□

وفى الفترة ما بين ١٥ مايو إلى ٣١ مايو وصل إلى مصر ٢٠٦ صحفيين أجانب جاءوا يغطون تطورات الأزمة بالإضافة إلى المراسلين المعتمدين فيها بصفة دائمة . وما بين أول يونيو و ٢ يونيو وصل إلى القاهرة ١٢١ صحفيا أمريكيا . وكان أول طلب لمعظمهم أن تتاح لهم الفرصة للذهاب إلى الجبهة . وكان قولهم إن الإسرائيليين على الناحية

الأخرى يعطون كل التسهيلات لزملائهم العاملين على جبهتهم . وأنهم إذا لم تتح لهم إمكانية العمل بحرية على الجبهة المصرية فسوف تكون النتيجة أنهم سيذهبون إلى الناحية الأخرى للانضمام إلى زملائهم هناك لكي يتمكنوا من أداء عملهم . وهناك سوف يكون الإسرائيليون أكثر من مستعدين للترحيب بهم .

□

ومن نيويورك بعث السفير « محمد القونى » مساء يوم ١ يونيو برقية شفرية[٢] جاء فيها بالنص :

« قابلت رئيس مجلس الأمن سفير الدانمارك بناء على طلبه .

١ - قال فى حضور المستشار القانونى للأمم المتحدة إن الشعور الآن فى مجلس الأمن هو المطالبة بفترة لالتقاط الأنفاس Breathing Spell . سألنى عما إذا كنا مستعدين للتراجع عن القيود التى وضعناها فى خليج تيران . أجبته أننا مصممون .

٢ - قال إن إسرائيل تعتبر هذا عملا عدوانيا يسمح لها بعمل حربى مضاد . »

ويوم ٢ يونيو عاد السفير « محمد القونى » يبعث ببرقية شفرية[٣] جاء فيها بالنص :

« ١ - المطلوب الآن هو فترة هدوء .

٢ - انجلترا الآن أشد تطرفا ضد الجمهورية العربية المتحدة من أمريكا .

٣ - معلوماته أن تعيين الجنرال ديان (وزيرا للدفاع) لا يعنى الاندفاع إلى الحرب .

٤ - السكرتير العام للأمم المتحدة فى جانبنا بالرغم من الضغط الشديد الذى تعرض له والإهانات التى وجهت إليه خاصة من انجلترا . »

ويوم ٣ يونيو بعث السفير « محمد القونى » ببرقية شفرية[٤] جاء فيها :

« ١ - أبلغنى ممثل باكستان أن حكومته تبذل المساعى لدى حكومة إيران لحملها إلى منع تصدير البترول الايرانى إلى إسرائيل ، وهو ينصح بهذه المناسبة بتخفيف الحملة على الشاه .

---

(٢) البرقية رقم ٣٣٦٧ / ١٦٠ - محفوظات وزارة الخارجية .

(٣) البرقية رقم ٣٤٢٥ / ١٦٣ - محفوظات وزارة الخارجية .

(٤) البرقية رقم ٣٥٠٤ / ١٦٤ - محفوظات وزارة الخارجية .

٢ ـ مندوب المغرب بن هيما كان موفقا فى عرضه لوجهة النظر العربية أثناء مناقشات مجلس الأمن .
٣ ـ مندوب السعودية كان مبالغا فى التطرف فأضر بالعرب فى كل من مجلس الأمن وفى ميدان الدعاية . وكان المقصود بحديثه هو الاستهلاك المحلى فى العالم العربى .
٤ ـ الضغوط التى تمارسها أمريكا على الدول الآسيوية والإفريقية شنيعة ، وقد علمت أن أمريكا تهدد نيجيريا بالاعتراف بانفصال الإقليم الشرقى إذا لم تؤيدها فى مجلس الأمن .
٥ ـ من الواضح لى أن إسرائيل لا ترغب فى أى مناقشات تجرى فى مجلس الأمن ، ولا تريد صدور أية قرارات قد تؤثر على حريتها فى العمل المباشر .»

وفى واشنطن فى نفس اليوم كان الدكتور « مصطفى كامل » على موعد لمقابلة « دين راسك » وزير الخارجية . وبعث إلى القاهرة ببرقية شفرية(٥) جاء فيها :

« لقد سألت وزير الخارجية عن تصريح منشور فى الصحف اليوم ومنسوب إلى قائد الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض (جاء فيه أنه مستعد لحماية إسرائيل من أى هجوم عليها ، وهو ينتظر تعليمات مباشرة من الرئيس جونسون) . وأن راسك رد عليه بقوله بالحرف : «. إنه لم يقرأ تصريح قائد الأسطول السادس الذى أشرت إليه آنفا ، وعلى أى حال وما دمنا نتكلم عن التصريحات فمن الإنصاف مطالبة العرب أيضا بالكف عن التصريحات التى تزيد الموقف التهاباً » . »

ثم قال السفير « مصطفى كامل » فى برقيته « إن وزير الخارجية الأمريكية ذكر له أنهم لا يزالون يقاومون بكل الجهود للحيلولة دون أن تبدأ إسرائيل بالحرب » .

ثم نقل الدكتور « مصطفى كامل » عن « دين راسك » قوله له بالحرف « إن الموقف ملتهب وليست لكم مصلحة فى سكب مواد قابلة للاشتعال فيه ، وصحفكم تهاجم الولايات المتحدة ولابد أن تكف عن هذا الهجوم . وعندكم أيضا من يطالبون بالجهاد . وقد أصبح الموقف عندكم مماثلا فى خطورته لخطورة الوضع فى فيتنام .»

□

---

(٥) البرقية رقم ٣٣٠١ / ١٨٦ ـ محفوظات وزارة الخارجية .

ومع كل هذه النذر بهجوم إسرائيلى وشيك تقرر القيام باستطلاع جوى فوق الجبهة الجنوبية لإسرائيل . وبالفعل قامت طائرتان من طراز « ميج » بطلعة استطلاعية على جنوب إسرائيل ، وعادتا بمجموعات من الصور للمنطقة من « ايلات » إلى « بئر سبع » ، ومن « بئر سبع » إلى مطار « الخالصة » مارة فوق مستعمرة « سد بوكر » . ولم يكن هناك كثير من الصور يضاف إلى ما كان متوافرا قبلها من معلومات ، ولكن طلعة الاستكشاف نفسها أدت إلى استنتاجات خاطئة عن درجة استعداد الطيران الإسرائيلى . فقد لاحظ التوجيه الجوى أن الطائرات الاسرائيلية المطاردة لم تخرج لملاحقة طائرات الاستكشاف المصرية إلا بعد ١٤ دقيقة من قيامها باختراق المجال الجوى الإسرائيلى . كما لاحظ الطيارون أن هذه الطائرات المطاردة ، وكانت من طراز « ميراج » لم تستطع أن تحلق إلى مجال طائرات الـ « ميج » . ففى حين أن طائرات الـ « ميج » كانت تطير على ارتفاع ١٨ كيلومترا من سطح البحر فإن طائرات الـ « ميراج » لم ترتفع إلى أكثر من ١٦ كيلومترا ، أى بفارق كيلومترين بينها وبين الطائرات المصرية . كذلك لاحظ طيارا الـ « ميج » المصريان أن بطاريات الدفاع الإسرائيلية أطلقت عليهما بعض صواريخ « هوك » ، ولكن مدى هذه الصواريخ لم يصل إليهما .

وقد رأى المشير « عبد الحكيم عامر » أن يروى بنفسه للرئيس « جمال عبد الناصر » استنتاجاته واستنتاجات القيادة العامة من مهمة الاستطلاع ، وكان تعليقه « يظهر أننا بالغنا فى كفاءة الطيران الإسرائيلى » ، ثم أضاف « إن معنويات الطيارين ارتفعت للغاية بتجربة عملية الاستطلاع » . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن هناك حاجة إلى تدقيق هذه المعلومات ، وأنه يقترح أن تتصل القيادة بالملحقين العسكريين السوفيت مع رجائهم إذا أمكن فى تأكيد استنتاجات القيادة المصرية بصور مما تلتقطه الأقمار الصناعية السوفيتية ، وقال إنه يفضل فى هذه الساعات وفى هذا الموضوع أن تكون الاتصالات عسكرية لأنه يخشى أن القيام بمسعى سياسى للحصول على صور أقمار صناعية سوفيتية قد يصطدم فى موسكو بالحذر التقليدى فى الكرملين ، وهو يعرف أن العسكريين السوفيت متحمسون أكثر فى هذا المجال . ثم كان رأيه بعد ذلك أن الطلب يمكن تعزيزه إلى الماريشال « جريتشكو » عن طريق وزير الحربية « شمس بدران » إذا لم ينجح المسعى المباشر مع الملحقين العسكريين السوفيت .

كانت عقارب الساعة تواصل دورانها حول المنطقة التى تحولت إلى شحنة موقوتة حل موعد انفجارها .

صباح يوم ٢ يونيو كتب السفير « تشارلز يوست » من القاهرة تقريرا[٦] لخص فيه الموقف بقوله :

« إلى وزارة الخارجية وإلى البيت الأبيض
من تشارلز يوست

١ ـ هناك إجماع فيما بين المراقبين الذين تقابلت معهم هنا على أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى هذه المرحلة لا تستطيع ولن تخفف موقفها بشأن إغلاق مضايق تيران إلاّ نتيجة للاستعمال الطاغى للقوة العسكرية . ويبدو الرأى العام فى البلدان العربية الأخرى إجماعيا من الناحية العملية فى تأييد الجمهورية العربية المتحدة فى هذه المسألة .

٢ . . . .
. . . .

٣ ـ ونتيجة لذلك فقد استنتجت بعد تردد طويل أنه ليس هناك احتمال لنجاح تكتيك تعبئة الدول البحرية لإعادة فتح المضيق الذى يبدو أننا نحاوله حاليا . والواضح أنه ليس هناك سبيل إلاّ استعمال القوة العسكرية ، وهو أمر علينا أن نقدره لكى لا يقودنا إلى الطريق المسدود مثلما حدث للبريطانيين والفرنسيين فى عام ١٩٥٦ . »

كانت السياسة الأمريكية قد تجاوزت هذه النقطة التى استوقفت « تشارلز يوست » فى القاهرة وكتب فيها لواشنطن . ففى ذلك الوقت كانت واشنطن قد أخذت منحنى آخر فى إدارة الأزمة وقررت أن تترك لإسرائيل حرية الحركة الأولى التى يرتفع بها الستار عن مسرح العمليات فى الشرق الأوسط ، مع ضمان بأن تكون معها على الفور فى المشهد الثانى التالى للمشهد الافتتاحى .

---

(٦) البرقية رقم Z ٢١٠٣٨ ـ مودعة فى الصندوق رقم ١٦٥ A ـ مكتبة « ليندون جونسون » بولاية تكساس .

وفى يوم ٣ يونيو طلب السفير « تشارلز يوست » مقابلة السيد « محمود رياض» وزير الخارجية . وذهب لمقابلته بالفعل ليخطره أن التعليمات صدرت إليه بالعودة إلى واشنطن ، فقد انتهت مهمته فى القاهرة ، وكانت فى الحقيقة مهمة استطلاع ، ولقد أنجز ما كلف به ، والآن صدرت إليه تعليمات وزارة الخارجية بأن يعود إلى واشنطن خلال ساعات !

□

فى إسرائيل فى نفس اليوم (٣ يونيو) كان الجنرال « موشى ديان » يعقد أول اجتماع موسع له مع هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى ، وبحضور بعض القادة البارزين المسؤولين عن جبهات العمل المختلفة . كذلك حضر الاجتماع الجنرال « مائير آميت » رئيس المخابرات (الموساد) .

وبعد انتهاء الاجتماع عقد « ديان » مؤتمرا لمجموعة منتقاة من الصحفيين الإسرائيليين والمراسلين الأجانب . وكان بين الأسئلة التى وجهت إليه **سؤال عن رأيه فى فترة الوقت التى ضاعت على إسرائيل منذ أغلق خليج العقبة حتى الآن ؟ وكان رده مختصرا إذ قال : « إننى أتقبل مسؤولية الموقف كما هو » . وعاد سائله يلح عليه ليتحدث عن مضار التأخير فى العمل المباشر ؟ وأجاب « ديان » : « إن الوقت متأخر وفى نفس الوقت مبكر . هو متأخر لكى نقوم برد فعل مباشر على الحدث (إغلاق المضايق) . والوقت مبكر فى نفس الوقت لاستخلاص نتائج نهائية بشأن ما يمكن لنا أن نفعله هذه اللحظات . »**

وكان من الواضح أن « ديان » يحاول إخفاء خططه وراء اللعب بالتعبيرات . وإلى حد ما فقد نجح فى ذلك ، فقد فسر تصريحه فى القاهرة بما يؤكد برقية السفير « القونى » التى نقل فيها عن السفير الفرنسى قوله إنه « **ليس لمصر أن تستنتج من تعيين الجنرال ديان وزيرا للدفاع أنها الحرب فورا** » .

ويوم ٤ يونيو (الأحد) عقد مجلس الوزراء الإسرائيلى أخطر اجتماع عقده منذ إنشاء الدولة . وقد شارك فى الاجتماع عدد من قادة هيئة أركان الحرب ، بينهم الجنرال « رابين » والجنرال « وايزمان » والجنرال « مائير آميت » رئيس المخابرات (الموساد) . وطبقا لمحضر الاجتماع الذى اطلع عليه الدكتور « مايكل بريشر » ونقل عنه فى دراسته عن صنع القرار فى إسرائيل خلال أزمة ١٩٦٧ - فإن « ليفى أشكول » رئيس المجلس بدأ فعرض للصورة إجمالا ، ثم دعا ثلاثة من الحضور إلى الحديث ، وكانوا بالترتيب : الجنرال « ديان » وزير الدفاع - و « أبا ايبان » وزير الخارجية - و « مائير آميت » رئيس

المخابرات (الموساد) . وقد عرض « ديان » للخطط العسكرية الإسرائيلية المعدة قبل تعيينه فى منصب وزير الدفاع ، ثم أضاف إليها ما أدخله هو من تعديلات على الخطط فى اجتماعه مع هيئة أركان الحرب فى اليوم السابق .

وكان مؤدى الخطط الاستراتيجية كما عرضها « ديان » ، وكما ثبتت فى المحضر ، كما يلى :

« ١ ـ ضربة رئيسية موجهة إلى مصر .

٢ ـ موقف دفاعى بحت أمام سوريا يرد قواتها إذا تحركت .

٣ ـ امتناع عن مهاجمة الأردن إلاّ إذا بدأت هى بالهجوم (وقد طلب ديان فى هذه النقطة ألا تحدث مناقشات) .»

وبعد « ديان » جاء الدور على « ايبان » ولخص كلامه سريعا بما مؤداه بالحرف ـ طبقا للدكتور « بريشر » :

« إن الرئيس جونسون يريدنا أن نعرف أنه إذا قامت إسرائيل بالخطوة الأولى ، فإنها تستطيع بعد ذلك الاعتماد علينا إلى النهاية . »

ومع أن « أبا ايبان » استطرد بعد ذلك إلى محاولة لشرح تقديراته لسياسة الاتحاد السوفيتى ، وملخصه أن « **موقف الاتحاد السوفيتى فى الأزمة سوف يكون نشيطا سياسيا ، منضبطا عسكريا** » ـ كما تعرض « ايبان » لموقف عدد من الدول الأوروبية ، إلاّ أن مجلس الوزراء لم يكن يريد أن يسمع منه غير المقدمة التى سمعها عن موقف الرئيس « ليندون جونسون » . فقد كانت تلك هى عقدة الساعة كلها والباقى بعدها مجرد تفاصيل .

ثم جاء الدور على الجنرال « مائير آميت » الذى كان ملخص كلامه بالحرف ـ طبقا لـ « بريشر » أيضا ـ « **إن الأمريكان يتوقعون منا أن نأخذ المبادرة لحل مشاكلنا ، وكلما أسرعنا فى ذلك كانت النتائج أفضل ، ولن نكون وحدنا .** »

ودارت بعد ذلك مناقشات طويلة تركزت فى معظمها على ما بعد القتال ، واستمرت المناقشات سبع ساعات تخللتها استراحة لمدة نصف ساعة . ثم طلب الجنرال « ديان » بعد

ذلك توجيها مكتوبا من مجلس الوزراء ببدء العمل . وكان التوجيه قد كتب فعلا على الآلة الكاتبة ووقعه « أشكول » ، وكان نصه بالحرف :

« **مجلس الوزراء**

بعد الاستماع إلى تقرير عن الموقفين العسكرى والسياسى من رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الدفاع ورئيس هيئة أركان حرب الجيش ورئيس المخابرات (الموساد) . فقد تأكد لدى الحكومة أن جيوش مصر وسوريا والأردن منتشرة بهدف شن عدوان فورى متعدد الجبهات ، مهددة بذلك صميم وجود إسرائيل .

وتقرر الحكومة اتخاذ إجراء عسكرى لتحرير إسرائيل من قبضة العدوان التى تشتد تدريجيا حولها .

وقد خولت الحكومة رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع تأكيد توقيت العمل لأركان حرب الجيش العامة . ولسوف يتلقى أعضاء الوزارة المعلومات المتعلقة بالعمليات العسكرية التى ستنفذ . بأسرع ما يمكن .
وقد عهدت الحكومة إلى وزير الخارجية بمهمة استنفاد كل إمكانيات العمل السياسى لشرح قرار إسرائيل وللحصول على تأييد المجتمع الدولى له .»

وقال « ليفى أشكول » بعد أن قرأ نص القرار إنه وقع عليه ويطرحه الآن للتصويت على الوزارة ، ويطلب توقيع كل الذين يوافقون عليه إلى جانب توقيعه . وحصل القرار على الإجماع ، ووقع عليه ١٩ عضوا فى مجلس الوزراء ، ولم يختلف أو يتأخر عضو واحد .

□

فى الساعة الخامسة وخمس دقائق بعد ظهر يوم الأحد ٤ يونيو ، اتصل اللواء « حسن طلعت » مدير المباحث العامة فى القاهرة بمكتب المشير « عبد الحكيم عامر » يبلغه رسالة نصها : « **أبلغنا مكتب مباحث المطار أن قائد الطائرة العربية المسافرة إلى براغ اتصل بمطار القاهرة بعد مغادرته بقليل ، وذكر أنه رأى فى الساعة ١٦٠٠ (أى الرابعة بعد الظهر) تماما أربع قطع حربية أمريكية إحداها حاملة طائرات . وقد رصدها على مسافة ٤٠ ميل شمال بلطيم .** »

كان ذلك إنذارا مبكرا لم تتضح دلالته فى القاهرة إلاّ بعد فوات الأوان . فقد كان معناه لو أن تناوله جرى بتحليل دقيق أن حاملات الطائرات الأمريكية تقترب من إسرائيل لكى تكون متأهبة لعمل مظلة جوية فوقها تحميها فى ساعة قيام طيرانها بمهمة ما كان سرها مجهولا حتى هذه اللحظة .

ولم يكن ذلك هو الإنذار المبكر الوحيد ، ذلك أن مركز الاستطلاع اللاسلكى فى البحرية والمكلف بمتابعة حركة الأساطيل ، والمتمكن من حل شفرات بعضها وبينها مجموعة من الشفرات الأمريكية والبريطانية ، التقط فى تلك الساعات ثلاث إشارات :

- **إشارة تدل على أن باخرة إسرائيلية تحمل اسم « دولفين » وتتبع شركة « زيم » للملاحة قد صدرت إليها الأوامر وهى مازالت فى جنوب البحر الأحمر إزاء ميناء « أسمرة » بأن تتقدم وتواصل سيرها فى البحر وعبر المضيق إلى « ايلات » . وكان معنى ذلك بالتحليل الدقيق أن هناك فى إسرائيل من يتوقع ألاّ تواجه « دولفين » ـ عندما تصل إلى مداخل الخليج ـ عقبات تمنعها من المرور فيه .**
- **إشارة تقول إن المدمرة الأمريكية « فالكون » تقوم بدوريات منتظمة قرب السواحل السعودية من حذاء منطقة « جيزان » إلى مداخل ميناء « جدة » ، وكانت الأوامر الصادرة إليها أن تتابع سير الملاحة العسكرية المصرية من ميناء « الحديدة » إلى ميناء « السويس » .**
- **وكانت الاشارة الثالثة أهم فى دلالتها وأخطر . فقد كانت أمرا من قيادة الأسطول البريطانى فى مالطه نصها كما يلى :**

« إلى جميع وحدات أسطول صاحبة الجلالة البريطانية فى البحر الأبيض :

ابتداء من الساعة السادسة توقيت جرينتش صباح غد فإن جميع الوحدات البحرية البريطانية سوف تلحق بقيادة الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض المتوسط ، وتنتقل إلى هذه القيادة كل مسؤوليات قادة مالطه ».

ثم تلت ذلك إشارة من قائد الأسطول البريطانى إلى الأميرال « ويليام مارتن » قائد الأسطول الأمريكى السادس يقول له فيها بالحرف :

« بكل فخر أسلم إليك قيادة القوات البحرية لصاحبة الجلالة فى البحر الأبيض المتوسط » .

كان ذلك إجراء لم يحدث من قبل فى تاريخ الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض ، ولا حتى خلال المناورات المشتركة التى قام بها الأسطولان معا من قبل . وقد كانت العادة فى هذه المناورات المشتركة من قبل أن يكون الاتصال والتبليغ من الوحدات البريطانية إلى قيادتها فى مالطه ، ومن الوحدات الأمريكية إلى قيادتها فى نابولى . وكان معنى حدوث هذا الإجراء الاستثنائى فى هذه اللحظة الاستثنائية فى المنطقة أن هناك عملا استثنائيا على وشك الحدوث .

الفصل الخامس

٥ يونيـــــــــــــــــــــو

ما بين الساعة الثامنة وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ ، كانت معركة الستينات ضمن الصراع الهائل فى الشرق الأوسط وعليه ـ قد بدأت وانتهت بهزيمة مؤلمة لمصر وللأمة العربية كلها .

والحقيقة أن الذى يتابع مجرى الصراع فى الشرق الأوسط وعليه منذ بدأت إسرائيل تقوم بدور رئيسى فيه ، وبهدف استنزاف طاقة مصر والأمة العربية وتطويع إرادتهما ـ لا يستطيع إلاّ أن يلاحظ أنها كانت معركة متجددة تفرض نفسها على امتداد الحقب الأربع التى تلت نهاية الحرب العالمية الثانية . كان الصراع فى الشرق الأوسط وعليه قد أصبح أظهر معالم الحرب الباردة التى احتدمت مواقعها بين القوتين الأعظم اللتين استطاع تحالفهما أن يحقق النصر ضد ألمانيا النازية ، ثم أصبح خلافهما بعد النصر ـ مع استحالة الحرب بينهما فى عصر القوة النووية ـ إطارا لفترة من أخطر فترات التاريخ الإنسانى وأحفلها بالتوتر والقلق ، ثم التنفيس عن هذا التوتر والقلق بما اصطلح على تسميته بالحروب المحدودة على ساحة عريضة تمتد من شواطىء شرق آسيا على المحيط الهادى إلى شواطىء غرب أفريقيا على المحيط الأطلسى .

وفى الحروب المحدودة فى الشرق الآسيوى فإن المعارك توزعت على ساحات متفرقة من كوريا إلى فيتنام إلى الحدود الهندية الصينية ، ثم إلى الحدود الهندية الباكستانية . وأما فى الشرق الأوسط ـ وبسبب الدور الخاص لإسرائيل ـ فإن المعارك تركزت كلها فى نفس المواقع واحدة بعد واحدة . حقبة بعد حقبة :

● **فى الأربعينات كانت معركة فلسطين ١٩٤٨** ـ وبها قامت إسرائيل تنفيذا لأساطير تاريخية ومطامع دولية .

● **وفى الخمسينات كانت معركة السويس ١٩٥٦** ـ وقد انتهت باندحار العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه بريطانيا وفرنسا ـ مع إسرائيل ـ وكان اندحار هذا العدوان راجعا بالدرجة الأولى لتصادمه مع الموازين العالمية والإقليمية والوطنية فى تلك اللحظة من التاريخ .

● **وفى الستينات كانت معركة سيناء الأولى سنة ١٩٦٧** ـ وقد توقفت والجيش الإسرائيلى واقف على خط المياه عند قناة السويس بعد مشاهد دامية وملتهبة بالنار ، جاءت نتيجة مطلوبة لسنوات متعاقبة من الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أثناء حكم الرئيس « ليندون جونسون » (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨) . وكان وصول الجيش الإسرائيلى إلى خط المياه نتيجة مطلوبة وإن لم يكن نتيجة نهائية لأن المعارك ما لبثت أن استؤنفت بما عرف بعد ذلك بمعارك الاستنزاف من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٠ .

● **وفى السبعينات كانت معركة سيناء الثانية سنة ١٩٧٣** ـ وقد استطاع الجيش المصرى فيها أن يعبر بقوته إلى الضفة الشرقية من قناة السويس فى جهد بطولى عظيم .

● **وفى الثمانينات كانت معركة لبنان** الذى كان قد أصبح وحده جبهة وحيدة مفتوحة على إسرائيل التى ظنت أنه فى مقدورها ـ بالتعاون مع بعض العناصر فى التركيبة الداخلية اللبنانية المعقدة ـ أن تحكم إغلاقها . ثم اضطرت إلى انسحاب جزئى منها بعد أن أدركت أنها ليست نوع المعارك التى أعد من أجلها الجيش الإسرائيلى .

● **وعند مشارف التسعينات ومع بداياتها كانت هناك معركة الانتفاضة الفلسطينية ، وهى مازالت دائرة فى الأرض المحتلة حتى هذه اللحظة[1] .**

---

(١) بداية سنة ١٩٩٠.

صورة لمجموعة من الأسرى

وهكذا كانت حرب الشرق الأوسط حربا بالتقسيط إذا جاز التعبير . معركة كل حقبة . معركة كل عشر سنوات كأنه فعل قانون سارى المفعول .

ومع ذلك فإن معركة الستينات ـ ١٩٦٧ ـ تبقى أخطر معارك الحرب فى الشرق الأوسط وعليه ـ كما أنها أكثرها إثارة وأشدها ضراوة وأبعدها تأثيرا وأحفلها بالمفاجآت . وبالتأكيد فلقد كانت المفاجأة الكبرى والحاسمة فيها هى قصر المدة التى استغرقتها المعركة ، والتى لم تزد فى الواقع عن ثلاث ساعات ونصف الساعة . من الثامنة إلى الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ .

□

كانت هذه المدة القصيرة (ثلاث ساعات ونصف) هى لحظة الزمن التى استغرقتها الضربة الجوية الإسرائيلية والتى جاءت ضربة قاضية . ففى الساعة الثامنة بالضبط من صباح ٥ يونيو قامت موجة أولى من الطائرات الإسرائيلية عددها ١٧٤ طائرة بمجموعة من الغارات المتزامنة على كل قواعد العمق المصرى فى وادى النيل ابتداء من قاعدة « أبو صوير » على الضفة الغربية لقناة السويس ، وحتى مطار « الأقصر » فى جنوب الوادى . ثم لحقتها موجة ثانية من ١٦١ طائرة ركزت بالدرجة الأولى على المطارات

المتقدمة فى سيناء . ثم جاءت موجة ثالثة من ١٥٧ طائرة تكتسح ما بقى من حطام على المطارات والقواعد المصرية .

أى أنه بجهد ٤٩٢ طائرة مركزة فى ثلاث موجات ـ كان مصير معركة سنة ١٩٦٧ قد تقرر فعلا ، وأصبح ما تلا ذلك كله ـ حتى توقف القتال رسميا يوم ٩ يونيو ـ مجرد تفاصيل لا تغير فى الصورة النهائية للمعركة شيئا ، ولا تنقص فيها أو تزيد . ذلك أن ضربة الطيران الإسرائيلى أدت مباشرة إلى نتيجتين :

□ الأولى : أن القيادة العسكرية المصرية فقدت أعصابها وتوازنها ، وهذا هو الهدف الأول لفكرة الحرب الخاطفة « ''Blitzkrieg'' » منذ دعا إليها أساتذة الاستراتيجية الانجليز ، وفى مقدمتهم « ليدل هارت » ـ إلى أن طبقها الجنرالات الألمان من أمثال « جودريان » و« ومانشتاين » و « روميل » فى الحرب العالمية الثانية ، وخصوصا فى مراحلها الأولى حينما سقطت هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج فى ظرف ساعات ، وسقطت بولندا فى ظرف أيام ، واستسلمت فرنسا فى ظرف أسبوعين وأصبح حصنها الدفاعى الشهير خط « ماجينو » طللا من أطلال الماضى قبل أن تتاح له فرصة الحياة ولو يوما واحدا !

والواقع أن الخمائر الأولى لفكرة الحرب الخاطفة بدأت من حروب الثورة الفرنسية على لسان « دانتون » حينما لخص استراتيجية فرنسا بقوله : « السرعة ، ومزيد من السرعة ، والسرعة دائما . الجرأة ، ومزيد من الجرأة ، والجرأة دائما . » وكان ذلك ما طبقه « نابليون » بالمدفعية والخيالة قبل أن يطبقه الجنرالات الألمان بقوة الاقتحام الهائلة التى يمثلها تعاون الطيران مع المدرعات .

ولم يكن الهدف من السرعة والجرأة احتلال المواقع فحسب ـ وإنما شل تفكير القيادة على الناحية الأخرى وإرباكها وإفقادها لأعصابها وتوازنها من اللحظة الافتتاحية للمعارك .

□والنتيجة الثانية : أن الجيش المصرى أصبح فى وضع عسكرى لا يطاق ، فبدون غطاء من طائراته فوقه ، ومع سيطرة كاملة على الأجواء للعدو ، وفى صحراء مكشوفة ـ فإن القتال لا يعود قتالا ، وإنما يتحول إلى قتل مهما كانت شجاعة الرجال !

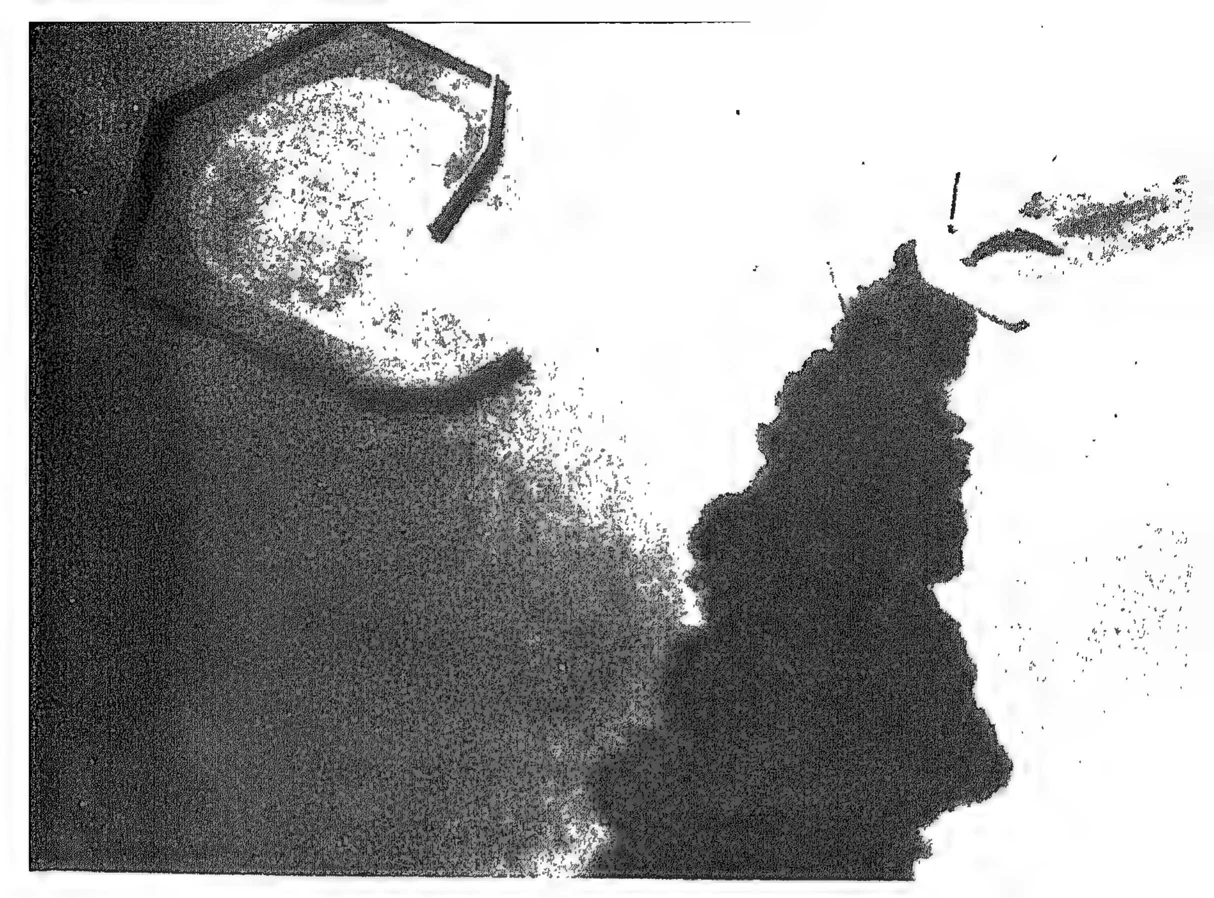

صورة لطائرة سوخوى تحترق على أرض مطار مصرى يوم ٥ يونيو

وكان هذا هو الوضع الذى دعا « عبد الحكيم عامر » إلى القرار بالانسحاب فجر يوم ٦ يونيو وهو قرار منطقى من ناحية المبدأ ، وإنما جاءت المصيبة فى طريقة اتخاذه وأسلوب تنفيذه ، ذلك أن نظرية الحرب الخاطفة كانت قد حققت أثرها على القائد العام وأفقدته أعصابه وتوازنه .

والمحزن أنه فى اليوم الأول من القتال كانت الخسائر المصرية فى كل قطاعات الاشتباك مع العدو فى حدود ٢٩٤ شهيدا ـ وبعد قرار الانسحاب يوم ٦ يونيو ومع طريقة تنفيذه حتى مساء يوم ٨ يونيو وصل عدد الشهداء إلى ٦٨١١ شهيدا .

وبالطبع فإن جزءا من هذه الخسائر كان ضروريا لحماية انسحاب القوات ، ولكن هذا الانسحاب كان فى معظمه حالة من الفوضى ، وخلال هذه الفوضى ومضاعفاتها وقعت أفدح الخسائر .

□

كانت الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧ هى نفسها خطة سنة ١٩٥٦ ـ والخطط فى العادة لا تتغير لأنها محكومة بالجغرافيا ، وإنما تتغير أساليب القتال والتحركات وملابسات الخداع والمفاجأة .. إلى آخره .

[وعلى سبيل المثال فإن خطة غزو فرنسا سنة ١٩٤٠ كانت هى نفسها خطة الجنرال « شليفن » أثناء حرب السبعين ـ لكن الطيران والدبابات كانت هى التى قامت سنة ١٩٤٠ بمهمة المدفعية والخيالة فى خطة سنة ١٨٧٠]

ولم تكن الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧ مجرد استلهام لخطة سنة ١٩٥٦ ، وإنما كانت إعادة لها بالنص ، خصوصا بعد أن تمكنت إسرائيل[٢] من الحصول على ملف عمليات الطيران البريطانى أثناء الغزو الثلاثى بواسطة « جيمس آنجلتون » (المخابرات المركزية الأمريكية) بالترتيب مع إدارة « "M. I. 6" » (المخابرات البريطانية) ـ أثناء فترة الإعداد لضربة « اصطياد الديك الرومى » !

كان « عزرا وايزمان » ـ قائد الطيران الإسرائيلى الذى انتقل ليصبح مديرا للعمليات سنة ١٩٦٧ ـ هو الذى استلم الخطة البريطانية ، وقال فى مذكراته إنه لسنوات كان يعيش مع « الخطة » (دون أن يحدد فى مذكراته مصدرها) ويحلم بها ويتمثل تفاصيلها ويدرب رجاله عليها . وقد تولى مع عدد من مساعديه مهمة ترتيبها لملاءمة الأوضاع المستجدة . ثم تسلم الخطة منه نائبه وخلفه فى قيادة الطيران الجنرال « موردخاى هود » .

كانت الخطة ببساطة هى ضرب ١١ قاعدة جوية مصرية فى نفس الوقت ، وهى : « العريش » ـ « بير جفجافة » ـ « بير تمادا » ـ « جبل لبنى » ـ « أبو صوير » ـ « كبريت » ـ « أنشاص » ـ « القاهرة » ـ « غرب القاهرة » ـ « بنى سويف » ـ « الأقصر » .

ويكون الضرب بموجتين : الأولى تركز على قواعد وادى النيل البعيدة . والثانية تركز على قواعد سيناء القريبة .

وكان الهدف الأهم هو قاعدتى « بنى سويف » و « الأقصر » ففيهما تتمركز الطائرات المصرية القاذفة ، وهى الخطر الأكبر الذى كانت تتحسب له إسرائيل .

وبعد الضربة الجوية كان على سلاح الطيران الإسرائيلى أن يكرس جهده لمعاونة القوات المدرعة الزاحفة على سيناء .

---

(٢) أنظر صفحة ٤٩٨ من هذا الكتاب .

الإسرائيلى للدور المقرر لها فيه على درجة عالية من الكفاءة - بصرف النظر عن أحكام التاريخ التى فرضت نفسها فيما بعد وأكدت للكل أن ما حققته إسرائيل ليس هو النصر الذى تنتهى معه كل الحروب ، وفى كل الأحوال فإنه ليس هو النصر الذى يستطيع أن يحقق لها السلام الإسرائيلى الدائم الذى كانت تتصوره فى متناول يدها فى تلك الأيام من سنة ١٩٦٧ .

□

وفى مقابل ذلك كان التخطيط المصرى معرضا ومكشوفا ، ومن المحقق أن مصر - سواء قدرت ذلك قيادتها السياسية أو لم تقدره - كانت فى وضع لا يسمح لها مهما فعلت بالانتصار فى معركة الستينات ، وهنا تجىء المسؤولية التى يتحملها « جمال عبد الناصر » .

ولقد يقال إن المؤامرة كانت أكبر من طاقته وأكبر من طاقة مصر ، وأنها كان يجب أن تطاله وتطالها مهما فعل أو فعلت . ولكن مثل هذا القول لا يعفيه ، وإن كان من الحق أن توضع أحداث سنة ١٩٦٧ فى سياقها التاريخى بالنسبة للعصر وظروفه وأحكامه داخل منطقة الشرق الأوسط وخارجها ، ومع ذلك فليس هناك شك فى أن « جمال عبد الناصر » مشى إلى الفخ الذى نصب « لاصطياد الديك الرومى » ووقع فيه ، وربما كان مما يحسب له بعد الوقوع فى الفخ أنه تمالك نفسه بسرعة وعاد يضع نفسه والأمة وراءه فى مرحلة الصمود وإزالة آثار العدوان .

ولم يتهرب « جمال عبد الناصر » من مسؤوليته . ففى خطابه إلى الأمة يوم ٩ يونيو قال بالنص إنه « **برغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة - فإننى على استعداد لتحمل المسؤولية كلها** » .

ومن الغريب أنه فى إدارته للأزمة وقع فى خطأ كان هو دائم التحذير منه ، فكثيرا ما كان يستشهد بمقولة شهيرة لـ « ونستون تشرشل » (الذى قاد بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية) يحذر فيها « **من خوض أى حرب جديدة بنفس أسلوب الحرب السابقة** » .

والحاصل أن « جمال عبد الناصر » وقع فى هذا الخطأ ذاته ، فقد قاد أزمة سنة ١٩٦٧ متأثرا بالمناخ الذى قاد به أزمة سنة ١٩٥٦ قبلها بأحد عشر عاما ، وكانت كل الظروف مختلفة !

لكن هناك حقيقة رئيسية لا ينبغى نسيانها وهى أن كل الخفايا التى كشفتها الوثائق فيما بعد أو طفت على السطح فى ظروف لاحقة - لم تكن ظاهرة فى وقتها تدق أجراس الخطر وتنبه وتوقظ كل صباح !

٢

كان خطؤه الأول هو أنه قاس موقف « ليندون جونسون » سنة ١٩٦٧ بموقف « أنتونى ايدن » سنة ١٩٥٦ ، وكان فى ذلك إغفال لحجم ونوع المتغيرات التى حلت على العالم مع فترة منتصف الستينات وما حولها .

كانت أمامه كل المعلومات الكافية عن تعاطف وتواطؤ « ليندون جونسون » مع إسرائيل بما فى ذلك تحذيرات متكررة عن استعداد الرئيس الأمريكى لإطلاق العنان لاسرائيل «Unleash Israel» مع التعهد بمساعدتها حتى تتمكن من « اصطياد الديك الرومى » - لكنه تصور أن الولايات المتحدة لا تستطيع مساعدة إسرائيل فى النهاية إلا على النحو الذى فعله « ايدن » سنة ١٩٥٦ وذلك بتدخل عسكرى مباشر ، وكانت حسابات « جمال عبد الناصر » تقطع بأن تكرار ذلك صعب لعدة أسباب :

١ - الخوف من رد فعل سوفيتى .
٢ - الخوف من تأثير هذا التدخل على العالم العربى كله بما فيه بلدان صديقة وحليفة للولايات المتحدة .
٣ - الخوف على مصالح أمريكية فى المنطقة .
٤ - الاتعاظ بدرس ما جرى لـ « أنتونى ايدن » بعد انكشاف مخطط التواطؤ فى السويس .

كان ذلك الحساب دقيقا فى مفهومه العام - ولكن الظروف المتغيرة كانت تعطى لـ « جونسون » فرصة أن يتدخل بكل وسائله دون أن تكون القوة الأمريكية المسلحة المباشرة بالضرورة إحدى هذه الوسائل - على الأقل فى المراحل الأولى للقتال .

كانت مستجدات العلوم والتكنولوجيا تتيح لسنة ١٩٦٧ ما لم يكن متاحا قبلها بإحدى عشرة سنة ، بل وكانت تختزل فى ساعات قليلة كل متغيرات حقبة الستينات .

وعلى سبيل المثال فقد كان يكفى إسرائيل حجم معلومات المخابرات التى يمكن أن تتيحها لها الإمكانيات الأمريكية عن مصر من جميع النواحى الاستراتيجية شاملة لما هو عسكرى واقتصادى وسياسى .

كانت الشفرات المصرية الحربية والمدنية مكسورة ومفتوحة ومقروءة للولايات المتحدة ، وبالتالى فقد كانت على علم كامل بالنوايا المصرية وبالخطط وبالتحركات وبالاتصالات ، وبكل ما يمكن أن يعتبر سرا يستحق الحرص عليه .

ولقد كانت إمكانيات الولايات المتحدة فى مجال المخابرات ـ كما سبقت الإشارة ـ هى كل ما احتاجته « مرجريت ثاتشر » أثناء عملية غزو جزر « الفوكلاند » بواسطة أسطول على بعد آلاف الأميال من قواعده ، فهذه المعلومات هى التى جعلت الأرجنتين كتابا مفتوحا أمام قوة الغزو البريطانى ضد جيش على مرمى حجر من قواعده !

وأكثر من ذلك فإن المخابرات المركزية الأمريكية كانت ـ تحت نفوذ « جيمس آنجلتون » وجماعته ـ مستعدة لأن تعطى لإسرائيل أكثر مما تقول به توجيهات الرئيس الأمريكى إلى حكومته الخفية .

ولم تكن المخابرات وحدها هى المجال الذى اقتصرت عليه الإمكانيات الأمريكية الضخمة ، وإنما كان هناك أيضا مجال إمداد السلاح (وهو مجال سبقت الإشارة إليه فى مواضع متكررة) .

وبالتوازى مع إمداد السلاح ـ بعد الإمداد بمعلومات المخابرات ـ فقد كانت الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة تقود بنفسها عمليات استهلاك السلاح المصرى فى معارك اليمن .

ولقد كان توقيت منتصف سنة ١٩٦٧ كفيلا بأن يلفت الأنظار إلى أنه التوقيت الأنسب بسبب حرب فيتنام والاشارات الظاهرة التى تربط مسرح العمليات فى الشرق الأقصى بمسرح عمليات لابد له أن ينشط فى الشرق الأوسط . كذلك كان هناك الموقف الانتخابى لـ « جونسون » سنة ١٩٦٧ وقبل أن ينقضى العام ويجىء عام يليه وهو عام ١٩٦٨ ومعه انتخابات للرئاسة يخوضها « جونسون » أو يعدل عن ترشيح نفسه فيها .

وأهم من ذلك كله فقد كان واضحا أن توقيت منتصف سنة ١٩٦٧ يمسك بـ « جمال عبد الناصر » فى آخر الظروف ملاءمة له :

● جيشه موزع على جبهتين : إحداهما فى جنوب البحر الأحمر (اليمن) ـ والثانية فى شماله (سيناء) .

● صواريخه ليست جاهزة بعد ، وهى واصلة ـ فى التقديرات الأمريكية كما بان من قبل فى الوثائق ـ إلى حل مشكلتها فى التوجيه مع سنة ١٩٧٠ .

● جبهته العربية كلها مبعثرة أو ضعيفة ، وبعض مواقعها تشهد ما يمكن اعتباره حربا أهلية عربية .

وهكذا وهكذا مما تبدى فى فصول سابقة من القصة .

□

والحقيقة أن متابعة التصرفات الأمريكية ـ بالوثائق ـ كفيلة بأن تكشف مدى الضلوع الأمريكى فى صميم العمليات العسكرية ، وإن ظل الاشتراك الأمريكى فيها طوال الوقت من نوع يختلف عن الاشتراك البريطانى (والفرنسى) فى تواطؤ سنة ١٩٥٦ !

وتظهر تقارير الاستطلاع البحرى واقعة لم يتيسر تفسيرها أو فسرت خطأ فى وقتها ، وهى اقتراب اثنتين من حاملات الطائرات الأمريكية من شواطىء إسرائيل إلى درجة أعطت الانطباع بأنهما شاركتا فى العمليات الجوية على الجبهة الأردنية . **ثم كشفت المصادر الأمريكية**(٣) **بعد ذلك عن الحقيقة ، ولم تكن الحقيقة أقل خطرا من الاشتراك فى العمليات .**

كانت خطة العمليات الإسرائيلية التى استقر عليها الرأى بعد أن تم الاتفاق فى البيت الأبيض على أن تبدأ إسرائيل أولا ثم يلحق بها « جونسون » ـ تظهر ثغرة واحدة ، وهى ثغرة الفترة ما بين الساعة الثامنة والتاسعة من صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ . كان الخوف أن يتسرب شىء (عن طريق السوفيت أو غيرهم) إلى مصر حول موعد الضربة الجوية الأولى ، ومن ثم يكون فى مقدور الطيران المصرى أن يقوم فى نفس الوقت بغارات على المطارات الإسرائيلية بقصد تدمير مدارجها ، فإذا ذهبت الطائرات الإسرائيلية إلى ضرب المطارات المصرية وجدتها خالية لأن الطيران المصرى هناك فوق إسرائيل . فإذا عادت

---

(٣) « ستيفن جرين » : « الانحياز » ، و « دونالد نيف » : « مقاتلين إلى القدس » .

الطائرات الاسرائيلية بعد غاراتها إلى مطاراتها وجدت مدارجها مضروبة فاستحال عليها النزول فى حين أن الطائرات المصرية إذا وجدت نفسها فى هذا الموقف استطاعت أن تنزل فى مطارات أردنية أو سعودية أو سودانية .

وهكذا بدا لواضعى الخطة أن ثغرة الساعة المكشوفة لابد من تغطيتها لإعطاء طمأنينة كاملة للضربة الإسرائيلية . وكانت هذه هى المهمة التى تولت تحقيقها حاملتا الطائرات « أمريكا » و « ساراتوجا » . وقد وقفت « ساراتوجا » فى مقابل ميناء أسدود الجنوبى ، ووقفت الثانية « أمريكا » فى مقابل ميناء « حيفا » شمالا ، ثم قامت أسرابهما بنشر مظلة حماية جاهزة ليس فقط لتأمين القواعد الاسرائيلية التى ذهبت طائراتها إلى الضربة الأولى ضد مصر ـ وإنما أيضا لتأمين أية أهداف داخلية فى إسرائيل قد تغير عليها فى تلك الساعة بالتحديد أية طائرات عربية .

□

وتضيف سجلات البيت الأبيض الرسمية والمودعة فى مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس ـ لمسات تفصيلية تملك قوة بيان يصعب تجاهل دلالاتها ، وإن ظلت النصوص المكتوبة عامة وبريئة فى ظاهرها .

كان جدول نشاط « ليندون جونسون » صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ـ (مع ملاحظة أن هناك فارق سبع ساعات بين توقيت واشنطن وتوقيت الشرق الأوسط ، أى أنه حين فرغت الطائرات الاسرائيلية من توجيه ضربتها الأولى كان الوقت فجرا فى واشنطن على النحو التالى :(٤):

□ **٣٠ : ٤ صباحا** اتصل « والت روستو » (مستشار الأمن القومى لـ « جونسون ») بالرئيس وطلب إيقاظه ، وتم ذلك فعلا لإبلاغه بنشوب الحرب فى الشرق الأوسط ـ وسأل الرئيس عمن بدأ بالقتال وكيف بدأ ، وطلب إلى « روستو » أن يعد له تقريرا وافيا يراه فى الصباح .

□ **٠٩ : ٥ صباحا** اتصل « دين راسك » (وزير الخارجية) بالرئيس تليفونيا فى غرفة نومه .

□ **١٥ : ٦ صباحا** اتصل « والت روستو » بالرئيس مرة ثانية .

---

(٤) سجل يوميات البيت الأبيض ، وقد وردت وقائع ٥ يونيو فيه على صفحة ٢١٢ من دراسة « دونالد نيف » .

□ ٣٥ : ٦ **صباحا** اتصل « جورج كريستيانسن » (المتحدث الرسمى) بالرئيس .

□ ٠٠ : ٧ **صباحا** الرئيس جالس فى غرفة نومه يشاهد الأخبار على التليفزيون (من ثلاثة أجهزة على القنوات الرئيسية الثلاث) .

□ ٣٠ : ٧ **صباحا** الرئيس يقوم باستعداداته الصباحية المعتادة (دش ـ حلاقة ـ ارتداء ملابس) .

□ ٥٥ : ٧ **صباحا** الرئيس يتناول إفطاره (شرائح لحم بقرى ـ عصير جريب فروت ـ شاى) .

□ ١٠ : ٨ **صباحا** الرئيس يطلب « جولدبرج » (المندوب الدائم لدى الأمم المتحدة) بالتليفون فى نيويورك .

□ ١٦ : ٨ **صباحا** الرئيس يطلب « ماكنمارا » (وزير الدفاع) بالتليفون .

□ ٢٢ : ٨ **صباحا** الرئيس يطلب « والت روستو » بالتليفون .

□ ٣٢ : ٨ **صباحا** الرئيس يطلب « والت روستو » مرة أخرى .

□ ٤٠ : ٨ **صباحا** الرئيس يخرج من البيت الأبيض فى زيارة لأسرة « كريم » .

وفى تسجيل شهادتها للتاريخ الشفوى (لعصر رئاسة « جونسون ») وهو التسجيل المحفوظ فى مكتبته فى تكساس ، تضيف السيدة « ماتيلدا كريم » لمسة معبرة حين تقول عن زيارة « جونسون » لها ذلك الصباح ما نصه بالحرف :

« جاء الرئيس مبكرا صباح يوم ٥ يونيو إلى البيت الذى كنا نقيم فيه فى واشنطن بعد عودتنا معه من تكساس . وكنت لا أزال فى فراشى حينما دخل غرفة نومى ومعه اثنان من المرافقين ، ووقف أمام سريرى وقد اعتدلت جالسة فيه ، وقال لى :

« لقد نشبت الحرب فى الشرق الأوسط وهناك من يتساءلون عمن بدأها أما أنت وأنا فنعرف تماما من بدأها » !؟»

□

وتزيد وثائق مجلس الأمن القومى فوق ذلك وثيقة معبرة كتبها « والت روستو » مستشار « جونسون » للأمن القومى ، وكان نصها كما يلى :

« البيت الأبيض

واشنطن

سرى

الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧

الساعة ٠٥ : ٩ مساء

الرئيس

رفق هذا تقرير وخريطة عن حصيلة اليوم الأول فى « صيد الديك الرومى » .

« و . و . روستو »

ولم يكن « جونسون » فى حاجة إلى من يترجم له تعبير « الديك الرومى » الذى ظهر لأول مرة فى الوثائق الأمريكية المكتوبة !

□

وفى روايته للتاريخ الشفوى المسجل فى مكتبة « ليندون جونسون » المحفوظة فى تكساس يقول « روبرت ماكلوسكى » (المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية) :

« لقد قضيت أولى ساعات الصباح يوم ٥ يونيو فى غرفة العمليات فى وزارة الخارجية ، وكنا نتابع تطورات المعارك فى الشرق الأوسط ، وكان بعضنا يطلق صيحات الاستحسان(٥) والابتهاج حينما تمر أمامنا آخر الاحصائيات عن الخسائر المصرية . وعندما زاد صياح بعضنا التفت إلينا « يوجين روستو » (مساعد الوزير وشقيق « والت روستو » مستشار الأمن القومى) وقال :

« أيها السادة .. أيها السادة .. لاتنسوا أننا فى هذا الأمر محايدون بالكلمة والفكرة والفعل » .

وضجت غرفة العمليات بالضحك . »

ويواصل « روبرت ماكلوسكى » روايته فى تسجيل التاريخ الشفوى لمكتبة « ليندون جونسون » فيقول :

« إن عبارة يوجين روستو سببت لى مشكلة ، فقد كانت لاتزال فى ذاكرتى عندما عقدت أول مؤتمر صحفى بعد نشوب القتال فى الشرق الأوسط ، وسئلت عن موقفنا منها فقلت « **إننا محايدون بالكلمة والفكرة والفعل** » .

---

(٥) صفحة ٢١٣ من دراسة « دونالد نيف » .

وسئلت : هل تعتقد أننا نستطيع الحفاظ على حيادنا ؟
وقلت : إننا سنحاول .
وسئلت : هل تعتقد أن تمويل وإمداد أحد المتحاربين يعتبر حيادا ؟
وقلت : سوف أجيب للعلم فقط وليس للإسناد إلىّ « سياسيا » ردى هو لا .
وسئلت : ماذا تعنى بـ « سياسيا »؟

وأنهيت المؤتمر الصحفى . »

ويبدو أن مجرد ورود كلمة « الحياد » (ساخرة) لم يعجب أصدقاء إسرائيل وبينهم السيدة « ماتيلدا » التى رأت أن تصريح « ماكلوسكى » قد يساء تفسيره . وهكذا شهدت قاعة المؤتمرات فى البيت الأبيض ثم فى وزارة الخارجية إيضاحات كافية .

فقد قال « كريستيانسن » المستشار الصحفى لـ « جونسون » فى مؤتمر صحفى :
- « بالطبع لسنا محايدين ، ولكننا لسنا محاربين » .(٦)

□

ولساعات بعد ذلك كان « جونسون » متفرغا لأحداث الشرق الأوسط . فقد جلس فى قاعة مجاورة لمكتبه ركبت فيها ثلاثة أجهزة تليفزيونية وجهاز تيكرز خاص يحمل تقارير الخارجية والدفاع والمخابرات المركزية رأسا إليه عن تطور العمليات .(٧)

وتناول وقت الغداء أربعة سندويتشات من الجبن ومعها قدح من البيرة .

وأوى « جونسون » إلى فراشه لينام فى الساعة الحادية عشرة والربع ، وكان ذلك يوافق الفجر بتوقيت الشرق الأوسط . والغريب أنه بعد نومه بساعة واحدة اتصلت به « ماتيلدا » وجرى توصيلها به طبقا لتعليماته المستديمة فى ذلك الوقت ، وظلت تتحدث معه لمدة ٤٢ دقيقة طبقا لسجلات البيت الأبيض !

كان « جونسون » رجلا سعيدا يومها ، فقد تحققت له أهدافه فى الشرق الأوسط وبدأ فيضها يسيل بكرم على موقفه فى الشرق الأقصى .

---

(٦) الصفحة الأولى من النشرة الصحفية الثانية صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .
(٧) سجل يوميات البيت الأبيض .

ووصلت أصداء سعادته إلى إسرائيل وأزالت ما كان باقيا لدى بعض من شك فى رد الفعل الأمريكى من ضربة إسرائيل الجاهزة فى اتجاه الضفة الغربية والقدس . **وفى هذه اللحظة أصبح « دافيد بن جوريون » مطمئنا إلى أن « أمريكا معنا » وأنها « الفرصة المناسبة لنأخذ القدس حتى ولو غضب بعضهم فى واشنطن واتهمونا بأننا خالفنا الاتفاق . لا تحق لهم كلمة عتاب واحدة إلى إسرائيل . فنحن أعطيناهم بانتصارنا ضد مصر ما يتعدى هذا الاتفاق »** .[٨] .

وكان وزير الداخلية الإسرائيلى « شابيرا » قد أصبح من مؤيدى الاندفاع إلى القدس بعد أن ظل متخوفا عدة ساعات ، فقد كان رأيه : « **إذا دخلنا القدس فنحن لا نستطيع الخروج منها حتى لو غضبت أمريكا خوفا على مصالحها مع العرب ... حتى لو حاربتنا أمريكا . لهذا فإننا يجب أن نكون متأكدين مما نفعله . إذا قررنا أن نفعل فلابد أن نعرف أنه ليس هناك سبيل للرجوع** » .

والآن رأى « شابيرا » ـ أن إسرائيل تستطيع « الدخول » ـ مطمئنة إلى أنه ليس فى مقدور أحد أن يفرض عليها « الخروج » !

واجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى برئاسة « ليفى أشكول » فى مبنى الكنيست ، وكان قراره بالإجماع « **القدس غدا** » . وكان الرأى السائد ـ طبقا لرواية « ليفى أشكول» نفسه : « **لقد كنا مقتنعين بأنه مهما كانت التعهدات التى أعطتها واشنطن لحسين أو آخرين من شيوخ المنطقة ، فإنه لا ليندون جونسون ولا أى رئيس أمريكى يملك أن يقف ـ بعد كل ما فعلناه لهم ـ وينازعنا حقوقنا فى القدس ، أو يطلب منا فى يوم من الأيام رصيفا واحدا من أرصفتها** » ![٩]

وعلى أى حال فإن مجلس الوزراء كلف « مائير آميت » (الموساد) بالتعاون مع « أهارون ياريف » (المخابرات العسكرية) و « حاييم هرتزوج » (المخابرات) ـ بوضع تصور « لإخراج » عملية الاستيلاء على الضفة الغربية والقدس .

---

(٨) مذكرات « دافيد بن جوريون » .

(٩) « ليفى أشكول » فى محاضر لجنة الأمن القومى والدفاع فى الكنيست ـ طبقا لـ « مايكل بريشر » الذى اطلع عليها .

٣

وفى حساب موقف الاتحاد السوفيتى كان هناك خطأ آخر عندما جرى قياس أحداث سنة ١٩٦٧ بمقياس سنة ١٩٥٦ .

كان موقف الاتحاد السوفيتى قد تغير كثيرا فى أيام ثلاثى « بريجنيف » و« كوسيجين » و « بادجورنى » سنة ١٩٦٧ ـ عما كان عليه فى أيام « خروشوف » سنة ١٩٥٦ ، ولم يكن التغيير بالطبع راجعا إلى مجرد اختلاف أمزجة الزعماء أو عددهم (واحد منفرد أو ثلاثة قد يختلفون) ـ وإنما كان التغيير راجعا إلى عوامل موضوعية داخل الاتحاد السوفيتى وفى استراتيجيته السياسية والعسكرية ، وفى علاقته بالولايات المتحدة الأمريكية . والشاهد أن تلك كانت هى الفترة التى ظهرت فيها عوامل الأزمة الحقيقية للاتحاد السوفيتى ، وتنافرت الآراء بشأنها داخل الحزب ، وتعارضت آراء الحزب مع رؤى العسكريين وماريشالات الاتحاد السوفيتى .

وكانت أبرز ملامح الأزمة باختصار شديد :

- أن الاتحاد السوفيتى بدأ يشعر بالإرهاق من سباق السلاح الذى يستنزفه .
- وهذا الاستنزاف يؤثر على الموارد المخصصة للانتاج ، وخصوصا فى مجال السلع الاستهلاكية ، مما أثر على مستويات المعيشة .
- وأن ذلك الوضع أعطى حافزا جديدا لعناصر الرفض ، خصوصا بين المثقفين فى الاتحاد السوفيتى ، وقد استطاع الغرب استغلال هؤلاء إلى درجة جعلت الفكرة التى كانت قادرة يوما على مهاجمة الرأسمالية فى معاقلها ـ مضطرة إلى الدفاع عن نفسها فى عقر دارها .
- وفى نفس الوقت فإن التمرد على الأوضاع الراهنة يرفع رأسه تحديا فى المعسكر الشرقى ، وحتى فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى نفسها ، فالامبراطورية مازالت باقية فى عصر تنفك فيه كل الامبراطوريات .
- والبيروقراطية فى الحزب والدولة تعارض أى تغيير .
- والقوات المسلحة تشعر أن مسؤولياتها تتزايد فى الحفاظ على الامبراطورية

فضلا عن طموحات تراودها فى مواجهة القوة الأعظم الأخرى .

وعلى وجه اليقين فقد كان الاتحاد السوفيتى - بمصالحه الحيوية وسياساته النشيطة - صديقا ، لكن هناك من تصوروا أن الاتحاد السوفيتى تحت التزام لا يقبل الشك أو المناقشة بالوقوف مع العرب إلى النهاية . ولقد كان هناك من بنوا حساباتهم فى الأزمة على أنه إذا وصلت الأمور إلى نقطة معينة فسوف يكون كافيا أن يوجه الاتحاد السوفيتى إنذارا للمعتدين ، ولا يكون أمام هؤلاء إلاّ وقف عدوانهم والتراجع عنه .

وظهر يوم ٥ يونيو ، وعندما ظهرت الآثار المدمرة للضربة الجوية الاسرائيلية ، كان السؤال الذى يتردد أكثر من غيره فى مكاتب مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية هو : أين السوفيت ؟

☐

وكان هذا السؤال بالضبط هو ذاته الموضوع الذى تحملت الولايات المتحدة مسؤوليته كاملة أمام اسرائيل .

وفور بدء العمليات كان كل هم السياسة الأمريكية أن « السوفيت » هم حيث يراد لهم أن يكونوا من وجهة النظر الأمريكية . على الأقل حتى تمر الساعات الحرجة الأولى ويكون مسار المعركة قد وصل إلى نقطة اللا عودة مهما فعلت الأطراف الدولية خارج ميادين القتال .

وكان « دين راسك » وزير الخارجية قد عرض على « جونسون » حينما اتصل به فى الصباح الباكر (بتوقيت واشنطن) نص برقية منه توضع على الخط الأحمر الساخن بين البيت الأبيض فى واشنطن والكرملين فى موسكو ، وكان نصها بالحرف كما يلى :

« إلى رئيس الوزراء أليكسى كوسيجين - من الرئيس ليندون جونسون

إننا تلقينا بقلق شديد تقارير عن نشوب القتال فى الشرق الأوسط ، ونحن نشعر أن هناك أهمية قصوى فى أن ينجح مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فى وقف القتال بأسرع ما يمكن ، ونحن على استعداد للتعاون مع كل أعضاء المجلس لتحقيق هذه النتيجة .

ليندون جونسون »

آثار المعركة ومخلفات الجنود المصريين .

ورد « كوسيجين » لافتا نظر « جونسون » إلى خطورة الأوضاع ، وأنه لابد أن يتصرف مجلس الأمن على الفور ، أو تتصرف القوتان الأعظم بالتنسيق بينهما بما يكفل وقف القتال فورا .

وفى حين كان « يو ثانت » يوجه الدعوة إلى اجتماع عاجل لمجلس الأمن ، كان المندوب الأمريكى يتلقى تعليماته ليس من واشنطن فقط ، وإنما من تل أبيب أيضا ـ فقد قام « ليفى أشكول » بتكليف رئيس القضاة فى إسرائيل وهو القاضى « أجرانات » والمعروف بصداقته الحميمة مع « آرثر جولدبرج » ـ بأن يتصل مباشرة بالمندوب الأمريكى الدائم فى

الأمم المتحدة وينقل إليه رسالة شخصية من رئيس الوزراء الإسرائيلى . وكان نص الرسالة :

« ١ - إن أشكول يأمل فى فهمك العميق لضرورات الموقف الذى تواجهه إسرائيل .

٢ - إن أشكول يأمل ألاّ تقوم بأى عمل من شأنه حد حرية إسرائيل فى التصرف . »

وكان المندوب السوفيتى الدائم لدى الأمم المتحدة السفير « فيدرنكو » يبحث فى هذه اللحظات عن نظيره الأمريكى « آرثر جولدبرج » . وقبل أن يرد « جولدبرج » على سؤال « فيدرنكو » عنه ، اتصل بالمندوب الإسرائيلى الدائم لدى الأمم المتحدة « جدعون رافائيل » ، وكانت نصيحة الإسرائيلى للأمريكى أن يحاول قدر ما هو ممكن تأخير لقائه مع السوفيت ، إلى درجة أنه نصحه بالاختفاء فى أى مكان لمدة ساعة أو ساعتين فحتى الدقائق لها قيمة الآن .

وكان « والت روستو » يكتب منكرة عاجلة إلى « جونسون » يقول له فيها :(١٠) :

« إلى الرئيس

إننا نحتاج الآن إلى كل أعصابنا . ذلك أنه بمقدار ما يسؤ موقف المصريين عسكريا بمقدار ما يسؤ موقف السوفيت سياسيا .»

وكتب « ريتشارد هيلمز » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقديرا للموقف بعد انتهاء اليوم الأول من القتال جاء فيه بالنص :

« إن الأهداف الرئيسية لاسرائيل من الحرب هى :

١ - تدمير المركز الرئيسى للقوة العربية للدول ذات التوجه الراديكالى - أى نظام ناصر .

٢ - تدمير أكبر كمية من السلاح السوفيتى ، وهذا معناه تصفية النظم الراديكالية الأخرى فى المنطقة .

٣ - إن الحكومة الإسرائيلية تأمل أنه إذا تحقق ذلك فإن ميزانا جديدا للقوة

---

(١٠) محفوظات مكتبة « ليندون جونسون » . وقد رفضت الحكومة الأمريكية إذاعة نصها كاملا طبقا لقانون حرية المعلومات ، ولكن « دونالد نيف » اطلع عليها دون أن يحصل على صورة منها ، وقد نقل عبارات منها بنصوصها وأوردها فى دراسته - صفحة ٢٣٠ .

يعتمد على تركيا وإيران وإسرائيل سوف تكون له الغلبة فى الشرق الأوسط .

٤ ـ لهذا فإن الحكومة الإسرائيلية ترى أن تواصل القتال لتحقيق هذه الأهداف ، وخاصة فى سوريا التى لابد من تصفيتها كدولة حديثة .

٥ ـ يبدو أن الحكومة الإسرائيلية لن تغفر لحسين رحلته للقاهرة .»

وكان مغزى هذا التقرير أن الآلة الحربية الإسرائيلية لن تتوقف حتى بعد النجاح فى تحقيق هدفها الذى تحقق فعلا فى مصر ـ وأن لدى إسرائيل هدفا أهم بكثير من مصر ، وهو الاستيلاء على بقية ما تعتبره أرض إسرائيل ، بل إن تحقيق الهدف فى مصر يستمد قيمته الحقيقية من أنه يفتح الطريق إلى الضفة الغربية والقدس !

□

وكان السؤال الذى مازال يلح فى مبنى القيادة العامة المصرية هو : « أين الاتحاد السوفيتى ؟ »

وصباح يوم ٦ يونيو دعا المشير « عبد الحكيم عامر » السفير السوفيتى فى مصر « ديمترى بوجدابيف » إلى مقابلة عاجلة ، وبدا فيها أن القائد العام المصرى فقد أعصابه إلى درجة أنه راح يتساءل عما إذا كان ما يراه أمام عينيه نتيجة لتواطؤ أمريكى ـ سوفيتى .

وحاول التخفيف من الصدمة التى لمسها على تقاطيع السفير السوفيتى ، فقال له : « **إنه ليس هو القائل بذلك ، ولكنه ينقل إليه رأيا عاما بين الضباط** » .

ثم تساءل « عبد الحكيم عامر » :

ـ « أين الوعود التى أعطاها الماريشال جريتشكو لوزير الحربية شمس بدران . إن الأمريكان تدخلوا فى المعركة فعلا إلى جانب إسرائيل » .

وسأله « بوجدابيف » ما إذا كان « **يقصد إلى القول بأن هناك قوات أمريكية مشتركة فى المعارك ؟» ورد المشير بالإيجاب . وقال السفير السوفيتى « إنه لو حصل على مثل هذه المعلومات مؤكدة وموثقة فإنه سوف يبعثها على الفور إلى موسكو واثقا أنهم سيقدرون خطورتها ويتصرفون على أساسها » .**

واحتدت المناقشة بين المشير والسفير حين قال « عبد الحكيم عامر » ما مؤداه :

ـ « إن الأمريكان أعطوا لإسرائيل أحسن ما عندهم من سلاح وأنتم رحتم

تؤخرون فى طلباتنا ، وعندما تستجيبون لا تعطوننا ما يوازى السلاح الأمريكى الذى تحصل عليه إسرائيل . »

وقال السفير السوفيتى إنه « ليس خبيرا فى السلاح ، ولكنه يعرف أن السلاح السوفيتى يحارب بكفاءة فى فيتنام ، وهناك يتفوق على السلاح الذى تستعمله القوات الأمريكية ذاتها » .

وارتفعت درجة حرارة الحديث ، ثم هدأت بعض الشيء عندما انتقل الاثنان إلى النشاط الدولى الجارى فى مجلس الأمن ، وقال السفير السوفيتى « إن هناك قرارا مطروحا بوقف القتال فورا ، ولكن المشكلة التى تعترضه هى أن الأمريكان يصممون على أن يقتصر مشروع القرار على وقف إطلاق النار فقط دون نص صريح على ضرورة عودة القوات المتحاربة إلى المواقع التى كانت عندها قبل بداية القتال » .

ثم توجه السفير السوفيتى بسؤال مباشر إلى « عبد الحكيم عامر » : « هل مثل هذا القرار مقبول منكم ؟ » وكانت أعصاب « عبد الحكيم عامر » مشدودة على آخرها ورد قائلا « المهم إيقاف القتال » !

□

وعرف « جمال عبد الناصر » بما حدث بين المشير والسفير ، ودعا « بوجداييف » إلى مقابلته فى نفس اليوم ، وقابله فعلا وطلب إليه نقل رسالة منه إلى « كوسيجين » . وكانت الرسالة كما يلى :(١١)

١ - إن الجمهورية العربية المتحدة ، وهو شخصيا ، يقدرون كل الجهود التى قام ويقوم بها الاتحاد السوفيتى .
٢ - إن الجمهورية العربية المتحدة تواجه لحظة استثنائية فى تاريخها . وهى لحظة يمكن أن تؤثر على المنطقة كلها . وفى مثل هذه اللحظات الاستثنائية فإن الصداقات الحقيقية تظهر معدنها وجوهرها ، فتلك هى اللحظات التى لا تنسى .

---

(١١) الجلسة مسجلة وقد جرى تفريغ وقائعها وأرسلت نسخ منها إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الخارجية - والتسجيل محفوظ ضمن وثائق قصر عابدين .

٣ - إنه من الواضح لديه أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت بكل ثقلها وراء إسرائيل ، وأن هناك شواهد قاطعة بأن الأسطول الأمريكى السادس وكذلك القواعد الأمريكية القريبة فى المنطقة - قامت بجهد كبير فى العمليات ، وعلى أى حال فإن مجرى الحوادث كما يعرفه الاتحاد السوفيتى ، مثلما يعرفه هو ، يؤكد أن إسرائيل تنفذ خطة أمريكية إسرائيلية .

٤ - إن الموقف البرى للقوات المسلحة المصرية لايزال حتى هذه اللحظة متماسكا ، ولكن هذا التماسك لا يمكن الاحتفاظ به إلى وقت طويل نظرا لتأثير الضربة الجوية على إمكانيات توفير غطاء جوى مناسب للقوات ، وإلاّ فإنها تترك غنيمة سهلة للإسرائيليين حتى إذا جرى انسحاب من سيناء .

٥ - إن أى قرار بوقف إطلاق النار فى ظل الموازين الراهنة سوف يكون انتصارا مدويا لإسرائيل .

٦ - إن الخسارة فى الطائرات المصرية لم يصحبها لحسن الحظ خسائر موازية فى الطيارين ، فقد ضربت معظم الطائرات على الأرض ، والآن فإن هناك حاجة سريعة إلى طائرات تعوض ما ضاع فى الضربة الأولى ، وبها يستطيع الطيران المصرى فى ظرف ثمان وأربعين ساعة على الأكثر أن يستعيد إمكانية عودته إلى الظهور فى سماء المعركة والتأثير على مجراها بهدف تحديد حجم الخسائر .

٧ - وإنه ينتظر ردا سريعا على ما طلبه ، ويتوقع أن يستعمل السفير السوفيتى كل وسائله فى الإسراع بنقل الرسالة إلى كوسيجين وإلى القيادة فى الاتحاد السوفيتى على الفور .»

وكانت المفاجأة الأولى التى تلقاها « جمال عبد الناصر » بعد ساعات هى أن السفير السوفيتى اتصل بمكتبه ناقلا رسالة مؤداها[١٢] « أن القيادة السوفيتية وافقت على إمداد مصر بأعداد كبيرة من الطائرات سوف تتقرر أنواعها خلال الساعات القادمة .

ولكن القيادة السوفيتية - رغبة منها فى تجنب استفزاز الولايات المتحدة إلى

---

١٢) مذكرة بالرسالة بخط السيد « سامى شرف » محفوظة فى ملف وقائع يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ ، والملف بأكمله من محفوظات قصر عابدين .

ردود فعل يصعب حساب احتمالاتها - تفضل أن تبعث بهذه الطائرات داخل الصناديق إلى الجزائر . ومن هناك تتولى الجزائر شحنها إلى مصر سواء بالصناديق أو بتركيبها وإرسالها إلى مصر طائرة . »

وكان معنى ذلك ضياع أسبوع على الأقل .

وكان الموقف على جبهة القتال يتغير مع كل دقيقة !

□

ثم تلقى « جمال عبد الناصر » مفاجأة ثانية ، فقد طلب السفير السوفيتى مقابلته فى اليوم التالى ٧ يونيو . وأبلغ السفير أن الرئيس ينتظره على الفور . وجاء السفير ليقول إنه مكلف من رئيس الوزراء « كوسيجين » أن يحمل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » رسالة عاجلة من الرئيس « ليندون جونسون » .

واستبدت الدهشة بالرئيس « جمال عبد الناصر » وسأل السفير السوفيتى : « من الرئيس جونسون ؟ »

ورد السفير السوفيتى بالإيجاب ، ثم راح يشرح أن الرئيس « جونسون » بعث على الخط الساخن برسالة عاجلة إلى رئيس الوزراء « كوسيجين » برجاء إبلاغها للرئيس « جمال عبد الناصر » ، وكان نصها :(١٣)

« إلى الرئيس أليكسى كوسيجين

لقد قامت اثنتان من طائراتنا من حاملة الطائرات انتربيد باختراق المجال الجوى للجمهورية العربية المتحدة اضطرارا للقيام بمهمة عاجلة لا شأن لها بالقتال الدائر ين مصر وإسرائيل .

ولأننا نخشى أن تسىء الجمهورية العربية المتحدة فهم الضرورات التى أوجبت ذلك ، ونظرا لأننا نعرف شكوكهم العميقة فى الولايات المتحدة ونواياها وسياساتها ، فقد رأينا أن نرجوكم أن تنقلوا إليهم تأكيداتنا الصادقة بأن ظهور طائرتين أمريكيتين فى الأجواء المصرية كان عملا بريئا لا علاقة

---

(١٣) الجلسة مسجلة ، وصورة رسالة « جونسون » مع تسجيل الجلسة محفوظة فى أرشيف قصر عابدين .

له بالقتال الدائر بينهم وبين إسرائيل ، وهو القتال الذى نبذل جهودنا الحثيثة بالاشتراك معكم على احتوائه وحصر آثاره .

المخلص

ليندون جونسون »

واستمع « جمال عبد الناصر » إلى الرسالة . ثم استلم نصا مترجما لها ، وكان تعقيبه للسفير :

« هذه الرسالة ليست موجهة لى . هذه رسالة موجهة إلى كوسيجين ، وهدفها كما هو ظاهر أمامى تثبيت موقفكم أنتم ، وليس لها علاقة بى » .

ثم قال « جمال عبد الناصر » إنه « تلقى بالفعل تقارير عن مرور طائرات أمريكية . أكثر من طائرتين فى أجواء الجمهورية العربية المتحدة ، وكان يفكر فى الاتصال بالسفير لإبلاغه ، ولكن السفير سبق فى الاتصال . »

والمدهش فيما بعد أن « دونالد نيف » تعرض فى دراسته عن معارك سنة ١٩٦٧ لقصة ظهور طائرات أمريكية فوق مصر أثناء المعارك فى سيناء (صفحة ٢١٩) ـ وقال بالنص :

« لقد ثبت بالتأكيد أن طائرات تحمل علامات أمريكية ظهرت فوق مناطق العمليات أثناء مراحل القتال المختلفة ، وقد تعرض لها تقرير صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بإشارة واضحة . »

ثم قال « دونالد نيف :

« إن هناك واحدا من تفسيرين لظهور هذه الطائرات :

- إما أنها طائرات طلتها إسرائيل بعلامات أمريكية للتأثير النفسى على مصر بأن الولايات المتحدة داخلة فى المعركة ضدها بكامل قوتها مباشرة .
- وإما أنها طائرات أمريكية مما تسلمته إسرائيل قبل المعركة ولم تسمح ظروف العجلة بإعادة طلائها ورسم العلامات الإسرائيلية عليها ! »

وكانت الصورة شديدة الوضوح ، فمصر لم تقع فقط فى فخ إسرائيلى ـ أمريكى ،

الفصل الخامس

سر « ليبرتى » !

١

عندما بدأت العمليات العسكرية فى الساعة الثامنة (بتوقيت الشرق الأوسط) من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ، لم تكن الصورة الحقيقية كاملة لدى أى طرف من الأطراف ، وهذا هو الشيء الطبيعى بالنسبة لأى منظور إنسانى - فكل طرف له زاوية فى الرؤية ومساحة وأفق .

- ومن الواجب الاعتراف بأن إسرائيل كانت هى الطرف الذى يطل على أكثر من زاوية ، ويرى أكبر مساحة ، ويتابع أوسع أفق .

كانت تعرف مطالبها . وكانت تعرف الموقف الأمريكى . وكانت تعرف ما يكفيها عن مصر . وكانت تعرف أولويات مطالبها : الأردن أولا ثم مصر . رغم أن بداية العمليات سوف تكون فى مواجهة مصر لتثبيت الموقف الأمريكى من ناحية ، ولإزالة خطر التهديد المصرى من ناحية أخرى . وفى اجتماع الجنرال « موشى ديان » مع هيئة أركان الحرب الإسرائيلية مساء يوم الأحد ٤ يونيو كان كلامه واضحا بأن « مصر هى العدو الأساسى من ناحية الخطر على إسرائيل بصرف النظر عن مطالبنا الحيوية على غيرها من الجبهات ، وإذا فرغنا من الجبهة المصرية فالباقى كله سهل

غيرها من الجبهات ، وإذا فرغنا من الجبهة المصرية فالباقى كله سهل حتى وإن كان هو ما نريده أصلا وما أردناه دائما منذ بدأ حلم الدولة !»[1]

ولقد كان الموقف السوفيتى هو المجال الوحيد الذى بدت إسرائيل غير متأكدة منه ، وعلى أى حال فقد كانت تلك هى النقطة الرئيسية التى تعتمد فيها خطتها للعمليات على الولايات المتحدة اعتمادا كاملا .

● وكان الملك « حسين » هو الطرف الثانى - بعد إسرائيل - فى اتساع زوايا الرؤية والمساحة والأفق ، فقد كانت خبرته تؤهله لمعرفة مقدرة إسرائيل العسكرية تجاه العرب مجتمعين ، خصوصا إذا كان هناك ضوء أخضر - وتنسيق وتعاون - مع الولايات المتحدة على مستوى البيت الأبيض بتوجيه والتزام من الرئيس الأمريكى نفسه .

كان الملك أيضا يعرف أولويات إسرائيل ، فهو يدرك من تجربة أسرته وتجربته الشخصية أن الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس هى الهدف الاسرائيلى الحقيقي ، وكان الملك يخشى أن نشوب أى معركة فى الشرق الأوسط قد يعطى إسرائيل الفرصة التى تنتظرها . ولعله لم يكن يتصور أن تقبل مصر تحدى القتال ، ولقد شارك مع غيره من الأصدقاء فى المنطقة (وبالذات السعودية) فى سياسة إرهاق وإحراج الحركة العربية الثورية - لأسباب سياسية واجتماعية . لكنه استبعد فى تقديراته أن تصل الأمور إلى حد الحرب . كان مقصودا بسياسة الارهاق والإحراج الوصول إلى درجة معينة فى الصراع العربى - العربى تؤدى إلى حصار الحركة العربية الثورية إلى آخر كل ما يمكن أن يصل إليه الحصار - ولكن الوصول إلى حد الحرب كان قضية أخرى ، لأنه أدرك بذكاء لا شك فيه أنه - قبل أى طرف آخر - قد يدفع الثمن .

وعندما وجد الملك أن خطر القتال محتمل وحقيقى ، لم يتردد فى تحذير القاهرة مبكرا عن طريق رسالة مع الفريق « عبد المنعم رياض » .

وعندما عرف الملك أن « الفأس وقعت فى الرأس » - كما يقولون - قام بزيارته المفاجئة إلى القاهرة - على الأقل حتى يضمن تغطية العواقب ويؤمن موقفه .

وكان الملك على نحو غامض يسمع التطمينات الأمريكية ويتمنى لو كان فى مقدوره تصديقها . لكنه كان يلمس أكثر من غيره مدى النفوذ الاسرائيلى فى واشنطن ، خصوصا

---

(١) دراسة الدكتور « مايكل بريشر » .

عندما تتلاقى الأهداف والخطط ، ويشعر على حد تعبيره « أن إسرائيل (فى واشنطن) تستطيع ببساطة أن تخرج سليمة حتى من جريمة قتل Get Away With Murder » .

كان الملك يتمنى لو كان فى استطاعته تصديق التطمينات الأمريكية التى ظلت تصل إليه حتى بعد زيارته للقاهرة . فقد أبدى له السفير الأمريكى فى عمان وهو وقتها السفير « فيندلى بيرنز » أن الرئيس « جونسون » مع استغرابه لذهابه إلى القاهرة « مستعد أن يتفهم دوافعه وضروراته ، وأولها تقديره لمشاعر جيشه وشعبه فى حالة ما إذا نشب القتال فى الشرق الأوسط وظل هو بعيدا عن المعركة » .

وكان أصعب ما فى الأمر شعور الملك ـ الذى أصبح شبه يقين ـ بأن إسرائيل لن تترك الفرصة تمر ، وأنه بمقدار نجاحها إزاء مصر بمقدار ما تستطيع أن « تخرج سليمة من جريمة قتل فى الأردن » !

وهو فى كل الأحوال لا يريد ولا يستطيع أن يتحمل مسؤولية الجريمة الإسرائيلية وحده وبدون غطاء عربى أكبر .

● **وكانت الولايات المتحدة** ـ البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية وغيرهما من أجهزة الحكومة الخفية ، وكذلك وزارة الدفاع ، وعدد من مجموعات المصالح فى الشرق الأوسط ـ هى الطرف الثالث ـ بعد إسرائيل والملك « حسين » ـ فى اتساع الرؤية والمساحة والأفق .

كانت تعرف حجم القدرة الإسرائيلية ، كما أنها أيضا كانت تعرف معظم الحقائق عن الأوضاع المصرية إن لم تكن كلها ، وهذا أسوأ وضع يمكن أن يقع لطرف محارب . فحين يكون عدوه على علم كامل بنواياه وإمكانياته وخططه فإن هذا الطرف يفقد حريته فى الحركة وفى المناورة أيضا ، ذلك أن ثلاثة أرباع الحرب ونصف السياسة على الأقل نجاح فى الإخفاء وفى المفاجأة !

وعلى وجه الترجيح فإن الولايات المتحدة كانت تعرف أيضا كثيرا من حقائق ما يجرى فى الكرملين ، وعلى أساس هذه المعرفة فإنها لم تتردد فى إعطاء إسرائيل كل ضمان بأنها قادرة على حمايتها من أى رد فعل سوفيتى إذا هى أخذت المبادأة فى يدها أثناء المرحلة الافتتاحية من القتال وتصرفت . **وإلى جانب ذلك فإنها كانت تعرف أن الاتحاد السوفيتى مقيد فى حركته فى المنطقة ، فهو غير راغب ، ولا مستعد للدخول فى حرب عالمية ـ نووية ـ بسبب الشرق الأوسط . كما أن قدراته فى التدخل المحدود أقل بكثير من قوة الولايات المتحدة المتواجدة بكثافة فى قواعد كثيرة محيطة بمسرح العمليات**

المحتمل . فلديها قواعدها فى جنوب أوروبا وفى شمال أفريقيا ـ بما فيها ليبيا ـ وفى شبه الجزيرة العربية ـ هذا إلى جانب أن الأسطول السادس الأمريكى فى البحر الأبيض كان قد زاد قوته إلى أكثر من الضعف بعد أن بدأت الأزمة .

وهكذا فقد كان فى مقدور الولايات المتحدة أن تعطى الضوء الأخضر لإسرائيل فيما يتعلق بمصر ، واثقة أن المخاطرة مأمونة فى النهاية حتى وإن طرأت أثناء مسار الأزمة لحظات قلق أو توتر .

وفيما يتعلق بالأردن فإن البيت الأبيض كان يضع الضوء الأحمر أمام إسرائيل حتى لا تتجاوز الحدود بما يحرج موقف الولايات المتحدة أمام أصدقائها التقليديين فى الشرق الأوسط ، وهم الذين يملكون ـ رسميا على الأقل ـ كل المصالح الأمريكية الكبرى ـ اقتصادية ومالية واستراتيجية .

وهناك دلائل على أن الضوء الأمريكى الأحمر بتحذير إسرائيل من أى عمل تجاه الأردن تحول إلى ضوء « برتقالى » بعد أن قام الملك « حسين » بزيارته المفاجئة للقاهرة . كان مرجحا أن تبدأ اشتباكات على الجبهة الأردنية ، وكان من الطبيعى أن تضرب إسرائيل فى هذا الاتجاه ، ولكن أى ضربة لها لابد أن تظل فى حدود لا تتجاوزها ، وعلى حد تعبير « والت روستو » فلم يكن هناك « ضرر من أن تقوم إسرائيل بإعطاء درس للملك حسين » ولكنه يجب أن يظل درسا بغير أن يتحول « الدرس » إلى عملية « قتل » للمملكة الهاشمية الأردنية !

ومع ذلك فقد كانت فى دوائر صنع القرار الأمريكى مجموعات تخشى أن تتجاوز إسرائيل حدود « الدرس » ، وبين هذه الدوائر كانت وزارة الدفاع ووزارة الخارجية ومصالح البترول .

وكان ذلك هو وحده السبب الذى دعا إلى إرسال باخرة التجسس الأمريكية « ليبرتى » لكى يكون فى الإمكان معرفة دقائق ما يجرى على الجبهة الأردنية من مصدر مباشر لا يعتمد على رواية إسرائيلية لأى جهاز من أجهزةالاتصال التابعة لإدارة المخابرات المركزية أو مجلس الأمن القومى ، وقد كانت هذه الأجهزة جميعا موجودة ونشيطة تلك الساعات فى إسرائيل .

□

والحاصل أن أى دراسة دقيقة لقصة باخرة التجسس الأمريكية « ليبرتى » ـ من خلال القليل الذى تقوله الوثائق الأمريكية التى أمكن الحصول عليها ، وكذلك من خلال وقائع تحقيق اللجنة الرئاسية الخاصة ، ومن التحقيق الثانى الذى قامت به لجنة خاصة من الكونجرس ـ تكشف جميعا من حقائق مهمة باخرة التجسس الأمريكية ما يلقى ضوءا كافيا على كل خطط سنة ١٩٦٧ .

وبادىء ذى بدء فإنه لابد من التوقف ـ بالاستبعاد ـ أمام احتمالين :

- **أولهما احتمال شاع وراج فى أعقاب عمليات سنة ١٩٦٧ ومؤداه أن « ليبرتى » كانت تتجسس على تحركات الجيش المصرى فى سيناء ، وأنها قامت بعمليات التشويش على أجهزة الدفاع الجوى المصرية مما جعل مصر مكشوفة بالكامل أمام ضربة الطيران الإسرائيلى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ .**

وهناك أربعة أسباب رئيسية لاستبعاد هذا الاحتمال :

١ ـ إن الباخرة « ليبرتى » كما هو واضح من مواصفاتها التى نوقشت فى لجان التحقيق المختلفة ـ لم تكن تحمل أية أجهزة للتشويش الرادارى أو غيره ، فليست تلك هى مهمتها . **وإنما مهمتها التى جهزت لها هى الحصول على المعلومات عن طريق كسر الشفرات وتحليلها ، ومتابعة تطورات القتال وإرسالها الى قاعدة « فورت ميد » مباشرة فى الولايات المتحدة دون مرور بقيادة الأسطول الأمريكى السادس أو قائده الأميرال « ويليام مارتن » المعقود له لواء القيادة على ظهر المدمرة « ليتل روك » .**

٢ ـ إن إسرائيل كانت تملك ما تريد من أجهزة التشويش الرادارى ، ولم يكن فى استطاعتها أن تقبل بمخاطرة القتال إلاّ وهذه الأجهزة الحيوية تحت تصرفها مباشرة ، وإلاّ فإن عليها أن تستأذن الولايات المتحدة قبل كل عملية ، فى حين أن حركة ميدان القتال لا تتحمل ذلك حتى من ناحية الوقت .

٣ ـ إن التحقيقات المصرية[٢] التى جرت فى الكارثة التى حلت بالطيران المصرى قاطعة فى أنه كانت هناك فجوة رادارية بارتفاع خمسمائة متر لا تغطيها الدفاعات المصرية ، وكانت هذه الفجوة بالضبط هى التى جاءت منها الضربة الإسرائيلية ، فقد كانت

---

(٢) أهمها تحقيق رسمى كبير قامت به لجنة خاصة رأسها اللواء « حسن مطاوع » ، وتضمنها تقرير يحمل عنوان « تحقيق فى أوضاع القوات الجوية المصرية قبل النكسة » ، وهو يعتبر من أخطر وثائق معركة ١٩٦٧ .

جميع طائراتها مندفعة إلى أهدافها فى العمق المصرى أو فى سيناء على ارتفاع لا يزيد فى معظم الأحيان عن مائة متر ، وهو ارتفاع أقل بكثير من مساحة الفجوة المكشوفة .

٤ ـ يجىء بعد ذلك سبب رابع وحاسم وهو واضح فى سجلات « ليبرتى » التى شملتها تحقيقات اللجنة الخاصة للكونجرس ، وهو أن « ليبرتى » التى صدرت إليها الأوامر يوم ٢ يونيو بأن تتحرك من ميناء « روتا » الأسبانى بأقصى سرعة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط ـ **وصلت إلى الموقع المحدد لها ظهر (الساعة ١٢ وعشر دقائق ظهرا بالضبط) يوم الاثنين ٥ يونيو ، وفى ذلك الوقت كانت ضربة الطيران الإسرائيلى قد تمت وانتهت وحققت جميع أهدافها ، وبذلك حسمت المعركة مع مصر ، وبالتالى لم يعد هناك داع للتشويش الرادارى على الدفاع الجوى المصرى على فرض أن « ليبرتى » كانت لديها وسائله !**

وربما تضاف إلى هذا كله حقيقة أخرى مما أظهره تحقيق لجنة الكونجرس الخاصة ـ من باب الاستبعاد لاحتمالات أخرى ـ **وهى أن « ليبرتى » لم تلتقط أى رسالة عن تحركات الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض ، فقد كانت هذه المهمة قائمة من قبل وكان هناك من هو مكلف بها طول الوقت فى قيادة الأسطول الأمريكى السادس .**

وإذن فإن « ليبرتى » كانت لديها مهمة لا تتصل بمصر ، ولاتتصل بالاتحاد السوفيتى ، وإنما تتصل بطرف آخر لم تكن الولايات المتحدة جاهزة من قبل لمتابعة شفراته ولا كانت راغبة فى ذلك ، **وهكذا فإن القرائن تشير إلى إسرائيل باعتبارها الطرف الآخر فى قتال الشرق الأوسط الذى طرأت حاجة مفاجئة تقتضى متابعة تصرفاته لكى لا يخرج عن « السيناريو » المقرر للحوادث ، وهذا الطرف لا يمكن أن يكون غير إسرائيل ـ وهذا ما دعا إلى ترتيبات خاصة لم تكن مقررة من قبل أو معمولا بها كقاعدة فى الحصول على المعلومات !**

وزيادة على ذلك فإن وقائع لجنة التحقيق الخاصة للكونجرس لا تترك لأحد مجالا للشك فى أن تلك بالفعل هى الحقيقة ، **لأن تقرير هذه اللجنة يقول إن معظم البرقيات التى التقطتها « ليبرتى » كانت « تتعلق بتحركات القوات الإسرائيلية على الجبهة الأردنية بالتحديد » ، بل إن الكوماندور « ماكجونجيل » قائد « ليبرتى » يقول فى صفحة ٤١ من تقرير اللجنة الفرعية الخاصة المنبثقة عن لجنة الكونجرس ما نصه :**

« إننى لم أكن على اتصال مباشرة بالمهمة السرية التى كنا نقوم بها . فقد كنت مسؤولا عن قيادة ليبرتى نفسها ، وأما قسم العمليات الخاصة فيها فقد

كان مسؤولية غيرى . ولكنى فهمت بوضوح أن التعليمات كانت « تطلب منه أن يراقب بعيون مفتوحة تحرك وتقدم القوات الإسرائيلية على الجبهة الأردنية فى الضفة الغربية أو فى اتجاه المدينة القديمة فى القدس » !

□

ثم تتوالى الإشارات بعد ذلك فى تحقيقات لجنة الكونجرس حاملة دلالاتها ، وأهمها أنه بعد ساعة واحدة من بدء مهمتها كانت « ليبرتى » قد اكتشفت حقيقة غريبة مؤداها أن إسرائيل تتدخل لـ « طبخ » الرسائل الشفرية المتبادلة بين القاهرة وعمان . تعترض البرقيات وتحول معانيها فى لحظات وتعيد إرسالها على نفس الترددات المتفق عليها بين مصر والأردن بما يعطيها معنى مختلف اختلافا كليا عما قصد إليه مرسلوها ، وبما يضلل المرسل إليهم بحيث يتصرفون بالضبط كما تريد إسرائيل[٣] .

وعلى سبيل المثال فقد كانت هناك رسالة شفرية من القيادة فى القاهرة إلى القيادة فى عمان تقول[٤] « إن الجيش المصرى فى سيناء يواجه موقفا عسكريا صعبا لا يستطيع معه أن يقدم أى مساعدات لها قيمة للجبهة الأردنية ، وأن الطيران المصرى بدوره تعرض لضربة إسرائيلية تعوق قدرته على الوصول بأى تأثير إلى الجبهة الأردنية » .

وإذا المحطات الإسرائيلية التى اعترضت هذه الرسالة تعيد صياغتها بحيث يصبح مؤدى هذه الرسالة « إن الموقف العسكرى فى سيناء جيد للغاية ، وأن ضربة الطيران الإسرائيلى ضد مصر فشلت وخسرت فيها إسرائيل ثلاثة أرباع قوتها الجوية ، وأن هناك الآن ثلاثمائة طائرة مصرية جاهزة للعمل وتقديم المساعدات الجوية اللازمة للجبهة الأردنية » .

وفى البداية بدت هذه الـ « طبخة » غريبة على الجالسين فى غرفة عمليات « ليبرتى » ، ثم تنبهوا بسرعة إلى أن هذا الـ « طبخ » قصد مقصود « مطلوب منه إغراء الأردن على التورط فى توسيع القتال على جبهته بما يعطى لإسرائيل عذرا فى التقدم أسرع وأجرأ فى الضفة الغربية » .

---

(٣) كانت هذه هى الخطة التى وضعها « أميت » و « ياريف » و « هرتزوج » لإخراج « العمل الإسرائيلى ضد الضفة الغربية والقدس » (رجاء مراجعة صفحة ٧٢٣ من هذا الكتاب)

(٤) صفحة ٣١ من دراسة « أنتونى بيرسون » عن وقائع مغامرة باخرة التجسس « ليبرتى » .

وفى ساعات كانت « ليبرتى » قد تأكدت من معلوماتها وتحليلاتها عن طريق متابعة برقيات وإشارات متعددة ، وبعثت إلى « فورت ميد » بما توصلت إليه ، وثارت فى وزارة الدفاع فى واشنطن شكوك بأن ما كان يتخوف منه الملك « حسين » وما صارح به الرئيس « جونسون » مرات ، وما أعطاه الرئيس للملك من تطمينات ـ كله يحتاج إلى إعادة نظر .

وبعد ظهر يوم ٥ يونيو كلف رئيس هيئة الاتصال العسكرى الأمريكى فى تل أبيب أن يقابل وزير الدفاع « موشى ديان » ، وأن يقابل مدير الموساد « مائير آميت » ، وأن ينقل إليهما شكوك واشنطن دون اطلاع أى منهما على المصدر .

ويقول « ديان » فى مذكراته « **إن إسرائيل لم يكن لديها علم حتى هذه اللحظة بوجود « ليبرتى » فى المنطقة .** »

وعلى أى حال فقد أدرك المخططون فى إسرائيل أن الولايات المتحدة أعطت نفسها وسائل للمعلومات من وراء ظهر إسرائيل .

وهكذا بدأ البحث عن هذه الوسائل .

□

ويقول الكوماندور « ماكجونجيل »(٥) قائد « ليبرتى » إن المسؤول عن فرقة العمليات السرية فى باخرته جاءه مساء ٥ يونيو وقال له بطريقة مبهمة « **إن لديه أسبابا للقلق على سلامة الباخرة ، وهو لا يعرف مدى قدرة الباخرة على الدفاع عن نفسها** » . **وأضاف « ماكجونجيل » أن هذه الملاحظة أقلقته ، وقرر بعدها أن يبعث برسالة مباشرة إلى الأميرال « ويليام مارتن » قائد الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض طالبا منه حماية خاصة لباخرته « باعتبار أنها تقوم بمهمة حساسة فى منطقة حرب » .**

وفى الصباح رد عليه الأميرال « مارتن » قائلا له « إن قراره فى شأن طلبه هو أنه ليس فى حاجة إلى حماية ، فالعلامات الأمريكية على باخرته واضحة ومنطقة عملها خارج المياه الإقليمية لأى بلد فى المنطقة ، كما أن الولايات المتحدة ليست مشتركة فى العمليات . »

وحين أدلى الأميرال « مارتن » بشهادته أمام لجنة تحقيق الكونجرس ، وسئل عن

---

(٥) صفحة ٢٤ من تحقيق اللجنة الفرعية للكونجرس .

هذا الرد ، كان قوله « **إن ليبرتى لم تكن حتى هذه اللحظة من اختصاص الأسطول السادس ، وإنما كانت تؤدى مهمتها تحت إدارة ومسؤولية سلطة أخرى أعلى** » .

ولم تلبث تطورات الساعات اللاحقة أن أظهرت أن إسرائيل بدأت تتنبه إلى وجود « ليبرتى » وإلى حقيقة مهمتها . والمذهل أن هيئة أركان الحرب المشتركة رأت أنه من الضرورى تنبيه « ليبرتى » إلى احتمالات الخطر الذى تواجهه ، وبالفعل فإن عددا من التوجيهات صدرت بتحذيرها ، ولكن أيا من هذه التحذيرات لم يصل إليها . وأشار تقرير لجنة الكونجرس الخاصة إلى هذا القصور وغزاه بالنص إلى « **اعتقاد سائد بوجود تفاهم بين إدارة « جونسون » وبين حكومة إسرائيل على نطاق الحرب وعلى تعهد بعدم التوسع الإقليمى !** »

وخلال ساعات كان « ديان » مكلفا بإعداد طريقة لمواجهة خطر « ليبرتى » . كما أن الحكومة الإسرائيلية قررت إيفاد « أبا ايبان » إلى أمريكا على وجه السرعة . ولم يكن هناك ما يقتضى ذهابه إلى درجة أن « آرثر جولدبرج » المندوب الأمريكى الدائم فى الأمم المتحدة قال له ـ طبقا لما رواه « دونالد نيف » ـ عندما قابله : « **أبا لقد قمنا بكل شىء قبل أن تجىء ، وما كان لك أن تحرم الحكومة فى تل أبيب من مشورتك فى هذا الوقت بالذات** » .

ومن المرجح أن « أبا ايبان » كان ذاهبا إلى واشنطن مكلفا باحتواء أزمة على وشك أن تواجه العلاقات بين واشنطن وتل أبيب ، فقد كانت إسرائيل تتأهب لتجاوز حدود الاتفاق الأصلى بينها وبين الرئيس « جونسون » ، فهى الآن لم تعد تريد « اصطياد الديك الرومى » فقط وإنما كانت تريد لنفسها حلمها الأول والأصلى وهو أرض إسرائيل بما فيها القدس كاملة ، وكان ذلك خارج الصفقة ... ثم إنها كانت فى سبيل تحقيق هذا الهدف على استعداد لأن تتحدى . فقد أعطت لغيرها ما أراده وأصبح من حقها عليه أن يتركها تأخذ لنفسها ما تريد . وإذا اعترضها ـ ولو بالقول ـ فإنها على استعداد لأن تتصرف وحدها معتمدة على رصيد هائل أعطته مقدما على الجبهة المصرية !

٢

مساء يوم ٦ يونيو كان هناك سباق مع الزمن فى واشنطن وفى عمان . ففى واشنطن كتب « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكية رسالة عاجلة إلى « ليندون جونسون » يقول فيها :(٦)

« لقد كنا مقتنعين فى البداية أن إسرائيل لا تسعى وراء توسع إقليمى ، والآن فإن مستشارىّ ـ وأنا أشاركهم نفس الرأى ـ يعتقدون أن إسرائيل تسعى وراء أرض جديدة ، وسوف يحرجنا إلى أبعد مدى ـ كما تعرف أكثر منا جميعا ـ أن تمتد مطالبها إلى الأردن . »

واتصل « ليندون جونسون » ـ طبقا لسجلات البيت الأبيض وشهادات التاريخ الشفوى لعصره ـ تليفونيا بمستشاره للأمن القومى « والت روستو » طالبا منه « إيجاد وسيلة لكى تلتزم إسرائيل بالحدود التى يمكن أن نقبلها لعملياتها » .

وعاد « روستو » يتصل بوزير الخارجية « راسك » ليستطلع رأيه . وكان رد « راسك » أنه « تصرف فعلا وبعث إلى السفير الأمريكى فى عمان يطلب إليه أن يعلن الملك حسين فورا قبوله لقرار وقف إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن بصرف النظر عن واقع أن هذا القرار لا يتضمن بندا ينص على انسحاب القوات المتحاربة إلى المواقع التى كانت فيها عند بدء القتال . »

وأضاف « راسك » إنه تلقى من السفير « بيرنز » فى عمان ردا مشجعا . وبالفعل فإن الملك « حسين » كان قد اتصل بالرئيس « جمال عبد الناصر » فى القاهرة ، وسأله « عما يفعله إزاء الضغوط العسكرية الشديدة التى يواجهها فى الضفة » ـ وقد وافقه « جمال عبد الناصر » على أن من حقه القبول فورا بوقف إطلاق النار حتى يوقف التقدم الإسرائيلى عن التوغل فى الضفة الغربية .

كانت لحظة توافق غريب بين القاهرة وعمان وواشنطن لتعطيل إسرائيل عن احتلال الضفة الغربية والقدس ، وكان تصور الجميع أنه بمجرد أن يعلن الملك قبوله وقف إطلاق النار طبقا لقرار مجلس الأمن فإن الزحف الإسرائيلى لابد له أن يتوقف !

---

(٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ومكتبة « ليندون جونسون » بتكساس .

وكان ذلك تفاؤلا فى غير موضعه ، وكان الوقوع فيه يعنى أنه لا عمان ولا القاهرة - ولا واشنطن أيضا لديها تقدير كاف لحجم مطامع إسرائيل مهما كانت الخطط والخطوط المتفق عليها فى البداية !

□

وصباح يوم ٧ يونيو كان السفير الأمريكى فى عمان يكتب إلى « دين راسك » وزير الخارجية برقية مليئة بالمرارة يقول فيها بالنص :(٧)

« رغم قبول الحكومة الأردنية لقرار مجلس الأمن الصادر أمس بوقف إطلاق النار فإن الجيش الإسرائيلى يواصل عملياته بكل شدة وقسوة .

إن الحكومة الإسرائيلية عرفت بكل الوسائل المباشرة أن حكومة الأردن قبلت وقف إطلاق النار ، فإذاعة عمان تكرر خبر القبول كل نصف ساعة ، وقد صدرت التعليمات إلى المندوب الأردنى فى نيويورك محمد الفرا بأن يعلن هذا القرار فى مجلس الأمن ، وأن يذيعه فى مؤتمر صحفى ، وأن يتحدث عنه بلا انقطاع ، ومع ذلك فعمليات الجيش الإسرائيلى مستمرة .

وأقترح باحترام أن يقوم الرئيس جونسون بالاتصال تليفونيا ، وبأسرع ما يمكن برئيس الوزراء ليفى أشكول والحصول منه على رد واف .

إننى أقدر أن جيش الدفاع الإسرائيلى يريد إلحاق الدمار الكامل بالجيش الأردنى ، واعتقادى أن مثل ذلك الهدف - إذا تحقق - سوف تكون له آثار مدمرة على النظام الأردنى وعلى استقرار المنطقة ككل . وإنى لشديد القلق أن تنشأ حالة من الاضطراب تؤدى إلى تعريض الرعايا الأمريكيين فى المملكة إلى مخاطر شديدة . »

وكان السكرتير العام للأمم المتحدة « يو ثانت » قد أضاف صوته إلى أصوات آخرين فى المطالبة باستجابة إسرائيلية لقرار الأردن بقبول وقف إطلاق النار ، فقد بعث بتقرير إلى مجلس الأمن قال فيه(٨) **« إننى قمت شخصيا بإبلاغ الحكومة الإسرائيلية بتأكيد قرار**

---

(٧) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ومجموعة مكتبة « ليندون جونسون » (الصندوق رقم ٤ د) .

(٨) مطبوعات الأمم المتحدة يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ .

الحكومة الأردنية بوقف إطلاق النار ، وكان ذلك بناء على إلحاح رسمى قدمه وزير الخارجية الأردنية السيد أحمد طوقان . إن الجنرال أودبول كبير مراقبى الهدنة لم يتلق ردا إيجابيا من الحكومة الإسرائيلية التى أقدمت على ما هو أخطر ، إذ أمرت قواتها المسلحة بأن تحتل مقر لجنة الهدنة الاسرائيلية الأردنية » !

أكثر من ذلك فإن الحكومة البريطانية بدأت تشعر بالقلق ، وكتب « جورج براون » وزير الخارجية البريطانى رسالة إلى نظيره الأمريكى جاء فيها بالنص :

« إننى فى دهشة من استمرار الجيش الاسرائيلى فى عملياته رغم قبول حسين بقرار وقف إطلاق النار ، والنتيجة الوحيدة لذلك فى رأينا هى احتمال أن يفقد الملك عرشه وجيشه ، وأن تعم الأردن فوضى شاملة تفسح السبيل لظهور متطرفين موالين لناصر .

وأنا لا أتصور أن يكون الاسرائيليون على هذه الدرجة من قصر النظر بحيث يقلبون موازين المنطقة لمجرد التوسع بضعة كيلومترات قليلة ! »

□

وإزاء هذا الضغط المتزايد وقف « أبا ايبان » أمام مجلس الأمن مساء يوم ٧ يونيو يعطى وجهة نظر إسرائيل قائلا :(٩)

« إن المجلس لابد له أن يتنبه إلى أن الحكومة الأردنية قبلت وقف إطلاق النار ، ولكن الحكومة المصرية لم تقبل هذا القرار حتى الآن . والمجلس يعرف أن جيوش البلدين تقودهما قيادة موحدة ، ولذلك فلا يمكن فصل القبول الأردنى عن الرفض المصرى لوقف إطلاق النار . »

ثم ذهب « أبا ايبان » إلى مقابلة مع « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكية ليقول له إن « معلوماته المباشرة من إسرائيل هى أن القوات الأردنية مازالت تقاتل ، وأن القبول المعلن بوقف إطلاق النار هو خدعة مصرية ـ أردنية لا ينبغى لها أن تؤثر على الهدف الأمريكى ـ الإسرائيلى » .

وكان رد « راسك » (طبقا لتسجيلات التاريخ الشفوى) : « إن الولايات المتحدة واثقة من أن كل القوات الأردنية توقفت عن إطلاق النار ، وأن المعارك التى مازالت

---

(٩) محضر مجلس الأمن عن الجلسة المسائية للمجلس يوم ٧ يونيو .

تحدث فى الأردن ناشئة من الجيش الإسرائيلى الذى يتقدم ، وأن جماعات من المدنيين الفلسطينيين يحاولون وقف تقدمه . »

ورد « ايبان » بأن « **معلوماته من تل أبيب مختلفة » .**

وقال « راسك » إن « **الحكومة الأمريكية لديها ما يثبت الحقائق ويؤكدها ، وأن ايبان يستطيع أن يستوثق أكثر من والت روستو ! »**

وكتب « أبا ايبان » إلى تل أبيب . والغريب أن القرار الإسرائيلى بعد ذلك كان أقرب إلى الجريمة منه إلى السياسة ، فكما يفعل المجرم حين يريد إخفاء الأدلة التى تثبت التهمة عليه ـ كذلك فعلت حكومة إسرائيل . وكان قرار وزير الدفاع « ديان » ومجموعة المؤسسات العسكرية ومؤسسة المخابرات التى أمسكت فى يدها بالقرار الاسرائيلى فى تلك الظروف ـ هو : إغراق « ليبرتى » **بكل ما عليها ومن عليها !**

والغريب أن وكالة الأمن القومى « N. S. A. » عرفت مساء يوم ٧ يونيو أن إسرائيل تحضر لهجوم على « ليبرتى » ، وكان كل ما اتخذته من إجراءات هو الاتصال بـ « ليبرتى » لكى تغير مجراها الملاحى وتبتعد عن الشواطىء الإسرائيلية ، وأن تقترب الغواصة النووية الأمريكية « آندرو جاكسون » إلى موقعها لكى تتولى حراستها .

وتلاحقت الحوادث ، وكان سياقها طبقا لسجلات « ليبرتى » على النحو التالى :

يوم ٨ يونيو(١٠)

- ☐ **٨ : ٥٠ صباحا** : وصلت السفينة إلى نقطة ٢٨ ميلا شمال غرب تل أبيب . ظهرت طائرة حربية نفاثة لم يتحدد طرازها وإن تم رصد خط سيرها .
- ☐ ١٠ : ٥٦ : اثنتان من الطائرات الحربية النفاثة تحلقان حول « ليبرتى » من على بعد ميلين وعلى ارتفاع ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف قدم .
- ☐ ١١ : ٢٦ : عادت الطائرتان الحربيتان النفاثتان ومعهما ثالثة بمحرك ، ولم يتيسر تحديد علاماتها . دارت حول « ليبرتى » لمدة خمس

---

(١٠) تقرير لجنة التحقيق البرلمانية الخاصة بشأن حادث الباخرة ليبرتى (الملحق رقم ٦) .

دقائق ثم ابتعدت فى اتجاه شرق - جنوب .
رفع درجة الاستعداد إلى اللون الأحمر (الخطر) .
طلب الماجور « بلو » (ممثل وكالة الأمن القومى .N.S.A) من الكوماندور « ماكجونجيل » وقف كل الاتصالات بين « ليبرتى » و « آندرو جاكسون » حتى يتم التأكد من أنه ليس هناك تدخل فى الاتصالات من الخارج .

☐ ١ : ٥٢ : الطائرات النفاثة تدور محلقة مرة أخرى حول « ليبرتى » .
رسالة مشتركة من الكوماندور « ماكجونجيل » والماجور « بلو » إلى وكالة الأمن القومى .N.S.A بطلب تعليمات جديدة . استكمال مهمة المتابعة أو العدول عنها للالتحاق بالأسطول السادس لأن مهمة « ليبرتى » قد انكشفت .
(لا رد على هذه الرسالة)

☐ ١ : ٥٤ : صواريخ وقذائف تصيب « ليبرتى » . ثلاث طائرات فى تشكيل مثلث تهاجم . أمكن تمييز الطائرات . الطائرات « ميراج » . ثلاث هجمات بالميراج .
أمر من الكوماندور « ماكجونجيل » برسالة عاجلة إلى قيادة الأسطول السادس بأن « ليبرتى » معرضة لهجوم بواسطة طائرات « ميراج » لم تتحدد جنسيتها - الهجوم يتكرر ثلاث مرات .
أمر من الكوماندور « ماكجونجيل » بإرسال استغاثة مكشوفة « ماى داى » .
أصيبت أجهزة الإرسال .

☐ ٢ : ٢٤ : ثلاثة قوارب طوربيد .M.T.B تقترب من اتجاه جنوب شرق ثم تغيره إلى شمال بسرعة قدرت بـ ٣٠ عقدة . أمر الكوماندور « ماكجونجيل » باستخدام المدافع الرشاشة لـ « ليبرتى » ضدها . أفاد مسؤول المدافع « براون » أن القوارب إسرائيلية .
قوارب الطوربيد الإسرائيلية تعرف أنها تهاجم باخرة أمريكية وتحاول قتل مواطنين أمريكيين . أمر من الكوماندور « ماكجونجيل » باستخدام مصابيح الاشارة لتنبيه القوارب

الإسرائيلية إلى جنسية « ليبرتى » . القوارب تـواصل انقضاضها .

□ ٢ : ٣٥ : قوارب الطوربيد تقترب جدا . العلم الإسرائيلى ظاهر فوقها . تطلق طوربيدات . مركز الاتصالات على« ليبرتى » يصاب من أول هجوم . معظم المعدات مدمرة . الكابتن « بلو » (مندوب وكالة الأمن القومى .N.S.A) يسقط قتيلا . « ليبرتى » هدف سهل . بطـة جالسة علـى المـاء .

□ ٢ : ٥١ : قوارب الطوربيد تبتعد . طائرتان إسرائيليتان من طراز « ميراج » تظهران ثم تعودان .

□ ٣ : ٠٠ : الموقف فظيع : ٣١ قتيلا ـ ٥٤ جريحا . ليست هناك معجزة تنقذ « ليبرتى » .

□

كان ذلك مستعصيا على التصديق ، وأكثر منه فقد حدث فى الساعة ٠٥ : ٢ بعد بدء الهجوم الجوى على « ليبرتى » أن تلقت حاملة الطائرات « ساراتوجا » إشارتها بالاستغاثة .

وقرر قائد « ساراتوجا » نجدتها ، وأصدر أمرا إلى مجموعة من طائرات حاملته بالانطلاق نحو موقعها ، وعلى الفور صدر أمر مناقض من الأميرال « لورانس جيز » قائد المجموعة البحرية ٦٠ والتى تتبعها « ساراتوجا » بالغاء الأمر الأول واستعادة طائرات « ساراتوجا » إلى مهبطها على الحاملة !

ومن المفارقات المذهلة أن مركز الاستطلاع اللاسلكى للبحرية المصرية كان يتابع الحادثة دقيقة بدقيقة ، وكان خبراؤه فى حالة عجز كامل عن فهم ما يحدث .

وكان ما حدث بعد ذلك أشد استعصاء على الفهم . ففى الساعة الرابعة وأربع عشرة دقيقة بعث مكتب الاتصال التابع لوزارة الدفاع الأمريكية فى تل أبيب برسالة مباشرة إلى مجلس الأمن القومى جاء فيها بالنص :

« اتصل بنا الآن مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى . أبلغ أن طائرات إسرائيلية ،

وكذا قوارب طوربيد هاجمت بطريق الخطأ سفينة أمريكية فى الموقع ١٢٠٠٢ / ٠٨ ويرجح أنها سفينة تابعة للبحرية .

وقد طلبوا منا أن نبعث إليكم بخالص أسفهم واعتذارهم ، ويرجون إخطارهم بما إذا كانت هناك قطع أخرى تابعة للبحرية الأمريكية فى المنطقة .»

وفى نفس الوقت وطبقا لسجلات «ليبرتى» حامت حولها طائرة « هليكوبتر » إسرائيلية وحاولت أن تقترب من سطحها ، وبلغ الغضب بالأحياء من بحارة وضباط « ليبرتى » إلى حد أن وجهوا إليها نيران أسلحتهم الصغيرة . ومع ذلك حلقت الهليكوبتر الاسرائيلية على ارتفاع عال فوق « ليبرتى » وأسقطت ثقلا من الرصاص معه رسالة مكتوبة من الكوماندور « ارنست كاستيل » الملحق البحرى الأمريكى فى تل أبيب تقول بالنص : « **هل لديكم أية خسائر ؟** » !

وبلغ الغضب بالكوماندور « ماكجونجيل » قائد « ليبرتى » - طبقا لشهادته - إلى درجة أنه لوّح بإشارة بذيئة وصرخ بأعلى صوته بسباب أكثر بذائة ، ثم بصق على الأرض .

ولمدة ست عشرة ساعة لم تأت نجدة أمريكية من الجو أو البحر - لمساعدة « ليبرتى » فى محنتها . وأسوأ من ذلك جاءت حاملة صواريخ سوفيتية فى منتصف الليل ، ووقفت بقرب « ليبرتى » وأفصحت عن شخصيتها بأضواء الـ « مورس » وسألت قائدها :

- « **هل تحتاجون إلى أى مساعدة ؟** »

وكان الجواب من « ليبرتى » :

- « **لا ... وشكرا** » .

وردت حاملة الصواريخ السوفيتية :

- « **سوف نقف بالقرب منكم فى حالة ما إذا احتجتم إلى شىء حتى تجيئكم النجدة** » !

وكانت « ليبرتى » واقفة فى عرض البحر والظلام مروعة بالهجوم عليها وبقتلاها وجرحاها لا تملك وسيلة للاتصال ببقية أسطولها ، وقد ظهر فيما بعد أن محطات التشويش الإسرائيلية استطاعت شل فاعلية سبع قنوات للاتصال ، ولم تنج إلا قناة واحدة ثامنة لم تستطع محطات التشويش الإسرائيلية أن تعثر عليها !

٣

وفى الوقت الذى أمكن فيه انقاذ « ليبرتى » وكل ما عليها من أسرار تكشف الحقائق كاملة وقاطعة ـ كان القتال فى الشرق الأوسط قد انتهى ، وكانت نهايته انتصارا لإسرائيل وانتصارا لـ « ليندون جونسون » أيضا .

ولم تعد للوثائق التى تحملها « ليبرتى » ابتداء مما كشفته من أسرار مطامع إسرائيل من وراء ظهر حليفها الكبير ـ وعن جرائم إسرائيل حتى فى حق حليفها الكبير ـ ذات فائدة لأحد إلاّ للسجلات وللتاريخ إذا عاد يوما باحثا عن الصدق .

كانت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة قد عبأت الرأى العام الأمريكى إلى درجة الهستيريا حماسة لإسرائيل وإعجابا بها ، وكان الوهج ينعكس على الرجل الجالس فى البيت الأبيض والذى راح يفكر مرة أخرى فى فرصه الانتخابية سنة ١٩٦٨ ، فقد أصبحت هذه فرصته لمدة رئاسة ثانية بعد أن كادت فيتنام تحرمه منها .

وبرغم ذلك فقد راحت إسرائيل تجند كل أصدقائها فى واشنطن ، وأولهم السيدة « ماتيلدا كريم » التى ذهبت إليه بغير موعد فى البيت الأبيض تقول له (طبقا لشهادتها هى نفسها فى تسجيل التاريخ الشفوى) « **إن إسرائيل انتصرت فى الحرب فلا تحرمها من حقها فى صياغة السلام الذى تنشده** » . **وطمأنها « جونسون » إلى أنه « سوف يرى بنفسه أن كل شىء سوف يتم لصالح إسرائيل ، وأنه لن ينسى ما قاموا به فى سبيل هدف مشترك » .**

☐

وكانت الطريقة التى عولجت بها مأساة « ليبرتى » مهزلة من مهازل السياسة !(١١)

☐ كان أول بيان صدر فى الولايات المتحدة عن الحادث صادرا عن مساعد وزير الدفاع للشؤون العامة ، وهو « فيليب جولدنج » ، وقد جاء نصه على النحو التالى :

---

(١١) « ستيفن جرين » : « الانحياز » ـ صفحات ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

« إن الحكومة الإسرائيلية قامت بإخطار حكومة الولايات المتحدة بأن قواتها هاجمت بطريق الخطأ قطعة بحرية أمريكية صغيرة فى شرق البحر الأبيض . وقد قدمت الحكومة الإسرائيلية أسفها العميق واعتذارها لشعب الولايات المتحدة ، وأبدت استعدادها لتحمل التعويضات عن الباخرة وعن أى إصابات تكون قد لحقت بطاقمها » !

□ وفى جلسة مجلس النواب التى تصادف عقدها ظهر يوم ٨ يونيو بتوقيت واشنطن ، وكانت الحقائق كلها قد ذاعت ، وقف عضو المجلس « رومان بوسينسكى » يقول بالحرف :

« سيدى الرئيس

بقلب مثقل علمت قبل قليل بالحادث المؤسف الذى وقع فى البحر الأبيض حينما قامت قوات إسرائيلية بمهاجمة سفينة أمريكية بطريق الخطأ . إن مثل هذه الأخطاء تقع كثيرا فى المعارك المسلحة ، وقد حدث مثلها كثير فى فيتنام .

وإنى لآمل ألاّ يكون من شأن هذا الخطأ إحداث تأثير على العلاقات التقليدية بين الولايات المتحدة وشعب إسرائيل . إن الحكومة الإسرائيلية اعتذرت فعلا ... »

□ وفى نفس اللحظة ، وفى قاعة مجلس الشيوخ كان السناتور « جافيتس » يتحدث قائلا :

« سيدى الرئيس

لابد أن أسجل أنها شهادة عظيمة لشجاعة القوات الإسرائيلية . إننا سمعنا اليوم متحدثين كثيرين ـ عضوا بعد عضو ـ يبدون أسفهم للحادث الذى وقع لسفينة أمريكية صغيرة . لكنهم جميعا لم ينسوا فى أحاديثهم أن يشيروا إلى حقيقة أن القوات الإسرائيلية كان لها عذرها فى هذا الخطأ لأنها طوال أسابيع كانت تواجه حالة توتر لا تحتمل » .

□ وكانت وسائل الإعلام تتسابق مع النواب والشيوخ فى تقديم المبررات للتصرف الإسرائيلى لدرجة أنه مضت سنوات كثيرة قبل أن يقترب صحفى أمريكى واحد من تحقيق تفاصيل ما حدث لـ « ليبرتى » .

وقد اكتفوا جميعا فى ذلك الوقت بتصريح رسمى لوزير الدفاع الأمريكى « روبرت ماكنمارا » قال فيه :

« لا يمكن الخوض فى تفاصيل هذا الموضوع قبل أن تتمكن اللجنة الخاصة التى شكلتها وزارة الدفاع من إتمام تحقيقاتها » .

□ وكانت لجنة التحقيق العسكرية برئاسة الأميرال « ايزاك كين » أكثر حرصا على إخفاء الحقائق منها على إظهارها ، وقد أصدر الأميرال « كين » تعليمات إلى كافة أفراد من بقوا أحياء من طاقم « ليبرتى » - نصها :

« مطلوب منكم جميعا أن تمتنعوا عن الإجابة على أى سؤال يوجه إلى أى منكم بشأن تفاصيل ما حدث . وإذا حاول أحد أن يلح عليكم فيكفى أن تقولوا له « **إن ما جرى كان حادثة وقعت بطريق الخطأ وأن إسرائيل اعتذرت عنها** » . وليس لكم أن تقولوا أكثر من ذلك . وعليكم أن تحيلوا سائليكم إلى رئاساتكم ، أو إلى الأميرال كين !! »

□

وكان بعض حلفاء الولايات المتحدة بالذات فى حلف الأطلنطى فى دهشة مما يجرى . وكتب السفير الأمريكى فى باريس برقية شفرية برقم ٢٠٣١٧ وفيها ما يلى :

« من السفارة الأمريكية فى باريس
إلى الخارجية فى واشنطن
ولعناية وكيل الوزارة « يوجين روستو »
الموضوع : الهجوم الإسرائيلى على « ليبرتى »
الإشارة : برقية الوزارة رقم ٢١١٦٧٢ ، وبصورة خاصة الفقرة ٥ من برقية الوزارة رقم ٢١٢١٣٩

١ - أثار عدد من وزراء الخارجية المجتمعين فى لوكسمبرج أسئلة حول سبق معرفة إسرائيل بأن السفينة ليبرتى تابعة للولايات المتحدة الأمريكية . وهناك فضول شديد داخل حلف شمال الأطلنطى . وإننى لأقدر إرشادكم لى حول المدى الذى أستطيع فيه أن أشبع هذا الفضول ومتى ؟

٢ - وبصورة خاصة لعل من الواجب إبلاغ مجلس حلف شمال الأطلنطى بالنتائج التى انتهى إليها مجلس التحقيق قبل أن يصل إلى وسائل الإعلام إذا سمح الجدول الزمنى بذلك .

(إمضاء)
كليفلاند »

وتلقى السفير الأمريكى فى باريس ردا من الخارجية جاء فيه بالنص :

« إن الولايات المتحدة تنظر بجدية شديدة إلى الهجوم على السفينة ليبرتى . ومع أن الرئيس جونسون قال إن اعتراف الإسرائيليين بالحادث واعتذارهم عنه هو لمصلحتهم ، فإن الحادث وقع فعلا وهو شىء يؤسف له كثيرا ، ولكننا لا نرى أن هناك ما يقتضينا أن نعطى خلفية أكثر تفصيلا عنه .»

ونزل ستار من الصمت الكامل حتى عندما كتبت وكالة الأمن القومى .N.S.A تقريرا قالت فيه صراحة **« إن لديها معلومات تؤكد أن الأمر بضرب ليبرتى صدر عن موشى ديان شخصيا ، وأن الجنرال ياريف عارضه فى ذلك واستعمل فى معارضته عبارة « إن هذه عملية قتل محض » ، ولكن ديان أصر على أمره .»**[١٢]

□

وكان الملك « حسين » فى عمان يتابع ما يجرى ويشعر أنه طعن فى ظهره ، وقد نقل السفير الأمريكى فى عمان عنه برقية إلى واشنطن يوم ٩ يونيو : **« إن الملك فى حالة صدمة إلى درجة أن بعض المحيطين به يقولون إنه يفكر جديا فى التنازل عن العرش » !**

□

وبلغت المهزلة - فى أعقاب المأساة - ذروتها حين طلب السفير السوفيتى فى القاهرة يوم ٨ يونيو موعدا عاجلا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ليقدم إليه رسالة بعث بها إليه رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » ، وكان نصها كما يلى :[١٣]

« السيد الرئيس

تلقينا الآن من رئيس الولايات المتحدة رسالة طلب إلينا تبليغها إليكم ، ونصها كالآتى :

---

(١٢) أشار « دونالد نيف » إلى هذا التقرير فى صفحة ٢٦٥ .

(١٣) محضر الجلسة مسجل وقد جرى تفريغه . والتسجيل والتفريغ كلاهما ضمن محفوظات قصر عابدين .

إلى الرئيس كوسيجين

رجاء التفضل بإبلاغ الرئيس ناصر أن قوات إسرائيلية هاجمت بطريق الخطأ سفينة أمريكية فى شرق البحر الأبيض . وقد قدموا إلينا اعتذارهم عن الحادث .»

وفرغ « جمال عبد الناصر » من قراءة الرسالة وهو يحاول بكل جهد أن يتمالك أعصابه ، واكتفى بأن قال للسفير :

ـ « إنه يعتقد أن لديه كلاما كثيرا يريد أن يقوله للزعماء السوفيت ، وهو يريد أن يقوله بصراحة وأمانة كاملة .... »

وقال له السفير :

ـ « إنه يقدر ذلك ويتفهمه ، ويعتقد أن المرحلة القادمة تحتاج إلى حديث مفصل وطويل . »

ثم أضاف :

ـ « ربما يتذكر الرئيس أن الدعوة موجهة إليه لزيارة موسكو فى احتفالات العيد الخمسين للثورة السوفيتية ، وإلى جانب أية اتصالات قد تتم من الآن وحتى وقتها بين القيادتين فى القاهرة وموسكو ـ فإن احتفالات العيد الخمسين للثورة السوفيتية قد تكون فرصة ملائمة للقاء القادة السوفيت ومصارحتهم بكل ما يريد الرئيس . »

ورد عليه « جمال عبد الناصر » بقوله :

ـ « إنه ليس فى وضع يسمح له بالتفكير فى العيد الخمسين للثورة السوفيتية ، وأنه لا يفكر الآن فى الأعياد ولديه فى كل قرية مصرية مأتم . »

وأدرك السفير السوفيتى أنه تورط فى الإشارة إلى احتفالات العيد الخمسين للثورة ، فأضاف :

ـ « إنه يتفهم جيدا مشاعر الرئيس فى هذه اللحظة . »

وقال « جمال عبد الناصر » :

ـ « إنها ليست قضية مشاعر وإنما قضية حقائق ، وسوف تكون كارثة إذا لم يفهم قادة الاتحاد السوفيتى أنهم بهزيمة العرب هُزموا هم الآخرون .

وأنا أول من يعرف اختلاف نوعية العلاقة بيننا وبينكم عنها بين الولايات المتحدة وإسرائيل . لكننا قدرنا أن معركتنا ضد الاستعمار فى هذه المنطقة تهمكم ، وأنه إذا استطاع الأمريكان أن يكسبوا هنا فلن يكون أمام الاتحاد السوفيتى إلاّ أن يتراجع بالكامل إلى داخل حدوده معزولا عن آسيا وأفريقيا . »

ثم أضاف :

ـ « إذا لم تدركوا حقائق ما جرى هنا فإن شعوب الأمة العربية سوف تضعكم فى سلة واحدة مع الأمريكان ومع جونسون ! »

ثم عقب بكلمة أخيرة قال فيها :

ـ « إنه كان يتمنى ألاّ تصل إليه هذه الرسالة من جونسون عن طريق كوسيجين . كان يجب أن تروا أنهم يضحكون عليكم وعلينا . ولكنهم يريدون وضعكم فى هذا الموضع وأنتم تقبلون .ومع ذلك فنحن لا نلقى عليكم بالمسؤولية ، وإنما نتحملها وحدنا ! »

٤

ولقد كانت الوقفة شبه الحازمة الوحيدة للاتحاد السوفيتى خلال أيام المعارك هى وقفته مع سوريا صباح يوم الجمعة ٩ يونيو ، وكان القتال قد توقف عمليا على كل الجبهات .

وليس هناك مفر من الاعتراف بأن المعلومات والوثائق المتاحة حتى الآن لما كان يجرى على الجبهة السورية طوال أيام القتال ـ لا ترسم صورة دقيقة أو واضحة لما حدث فعلا .

والشاهد أنه طوال أيام القتال لم يحدث نشاط ينكر على الجبهة التى بدأت الأزمة بسبب الحشود الاسرائيلية عليها . وعندما تعقدت الأزمة بعد حشود الجيش المصرى فى سيناء وإغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ـ فإن الاهتمام كله ، بما فى ذلك تركيز القوات الاسرائيلية ، تحول إلى الجنوب تجاه سيناء ، ثم تحول فى مرحلة لاحقة إلى الشرق فى اتجاه الضفة الغربية للأردن والقدس .

وتلفت النظر مجموعة ظواهر لابد من دراستها بتأن عندما تتاح الظروف :

١ ـ إن عناصر فى القيادة السورية ـ فى ذلك الوقت ـ سارعت بعد أن تعقدت الأزمة إلى مقولة « إنه لم تكن هناك حشود على الجبهة السورية ، وأنهم لا يعرفون من أين جاء الاتحاد السوفيتى ، ومصر بعده ، بمعلوماتهم عن هذه الحشود ـ هذا بينما البيانات والتصريحات السورية والإسرائيلية ،

بما فى ذلك تبليغات رسمية سورية إلى الأمم المتحدة ، تقول بوجود هذه الحشود وتحدد حجمها .

٢ ـ إن رسالة الملك « حسين » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بواسطة الفريق « عبد المنعم رياض » (فى أول مايو ١٩٦٧) كانت تشير إلى ضلوع عناصر فى القيادة السورية مع المخطط الذى وضع لنصب الكمين لمصر ، ويضاف إلى هذا أن بعض عمليات التصحيح التى جرت فى سوريا فيما بعد أشارت بطريقة غامضة إلى ارتباطات معينة بين عناصر نافذة فى السلطة وبين « جهات استعمارية معروفة » !

٣ ـ إن المخطط الأصلى الذى جرى الاتفاق عليه بين الولايات المتحدة وإسرائيل كان يقصر العمليات العسكرية على الجبهة المصرية وحدها ، وكانت الجبهة الأردنية موضع تعهد إسرائيلى واضح للولايات المتحدة ـ رغم أن إسرائيل أخلت فيما بعد بهذا التعهد ، وكانت منذ البداية (على نحو ما سبق عرضه) مصممة على عدم الوفاء به ، فقد كانت « أرض إسرائيل » والقدس جائزتها الحقيقية فى الحرب ، وكانت تعرف مقدما وباستمرار أنها لا تستطيع التوسع بضم أراض مصرية لأنه لامصلحة لها فى المدى البعيد أن تظل على اشتباك مستمر مع أكبر الدول العربية وأكثر شعوبها تعدادا ، وأقواها من ناحية عناصر القوة الحقيقية . أى أن احتلالها لأراض مصرية مهما طال كان وسيلة للضغط السياسى لفرض الصلح أكثر منه طريقا إلى التوسع .

وأما فيما يتعلق بسوريا فقد كان التفاهم واضحا من الوثائق طوال المراحل على أن الجبهة السورية ليست مقصودة بشىء ، وأنه إذا تمت تصفية الأوضاع فى مصر فإن سوريا سوف تكون عاجزة بالكامل ، وقد يؤدى هذا العجز الكامل إلى فرصة مواتية لإعادة ترتيب الأوضاع فيها .

□

وهكذا فإنه حتى يوم ٨ يونيو لم يكن على الجبهة السورية نشاط يذكر رغم أن أصداء المعارك التي كانت تدور على الجبهة الأردنية كانت مسموعة بوضوح فى المناطق السورية المتاخمة لحدودها مع الأردن . **وكانت هناك أحاديث عن « معارك عنيفة » مع القوات**

القوات والدبابات الاسرائيلية قبل تحركها صوب سوريا

الإسرائيلية ، ولكن هذه المعارك اقتصرت على البيانات العسكرية الحماسية ، ولم تظهر آثارها على أرض المعركة إلاّ فى حدود ضيقة جدا !

وفيما بعد قال الرئيس السورى الدكتور « نور الدين الأتاسى » إنهم « **كانوا يعدون لهجوم كبير على الجليل (شمال إسرائيل) ـ ولكن وقف إطلاق النار فاجأهم واضطروا فى اللحظة الأخيرة إلى إلغائه رغم اعتقادهم بإمكانية نجاحه لأن القوات الإسرائيلية كانت مرهقة بين معاركها فى سيناء وفى الضفة الغربية .** »

ولقد حدث فى نهاية يوم الخميس ٨ يونيو أن الرئيس « جمال عبد الناصر » وجد. أن واجبه يفرض عليه تحذير السوريين ، وهكذا بعث ببرقية إلى الدكتور « نور الدين الأتاسى » جاء فيها :

« إننا هزمنا فى هذه الجولة ، والواجب يحتم على فى هذه الأوقات الحزينة أن أرجوكم فى قبول وقف إطلاق النار على الجبهة السورية ، فقد قررنا فى

مصر قبوله بعد الخسائر التى لحقت بنا ، وإنى أفعل ذلك بحس المسؤولية القومية وبقلب مثقل بالهموم . ودافعى إلى هذا الطلب هو الحرص على سلامة الجيش السورى ، وعلينا أن ندخر ما تبقى من قوانا لمرحلة أخرى .

جمال عبد الناصر »

□

ويروى الجنرال « إسحق رابين » (رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى وقتها) فى مذكراته قصة قرار الهجوم على سوريا واحتلال مرتفعات الجولان على النحو التالى :

« ومساء يوم الخميس ٨ يونيو كنا فى هيئة أركان الحرب ، وبحضور وزير الدفاع الجنرال ديان ، قد ناقشنا ما إذا كان مناسبا أن ننتهز الفرصة السانحة ونصفى الموقف مع سوريا ، ولكن الجنرال ديان عارض فى ذلك معارضة شديدة ، وتقرر الأخذ برأيه .

وعلى هذا الأساس كانت المعارك فى رأينا قد انتهت على كل جبهات القتال ، وتقرر أن تقبل إسرائيل قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، واستأذنت أن أذهب لأنام بعض الوقت ، فلم أكن قد نلت أى قسط من الراحة فى الواقع منذ إغلاق خليج العقبة .

وفى الساعة السابعة صباحا دق التليفون بجوار فراشى ، وكان المتحدث هو عزرا وايزمان رئيس هيئة العمليات ، وإذا به يخطرنى أن الجنرال ديان جاء إلى مقر رئاسة أركان الحرب فى الساعة السادسة صباحا واتصل تليفونيا بـ « دادو » (الجنرال « دافيد اليعازار » قائد الجبهة الشمالية) وأصدر إليه الأمر بالتقدم إلى مرتفعات الجولان فورا .

وهرعت إلى مقر رئاسة أركان الحرب ، ولم أستطع أن أحصل من وزير الدفاع على تفسير للأسباب التى رأى بناء عليها أن يغير رأيه من النقيض إلى النقيض فى ظرف ساعات من الليل ، وكان وايزمان يشاركنى دهشتى . »

وأما الجنرال « ديان » نفسه فقد كتب في مذكراته « قصة حياتى » :

« إن السوريين قاموا فى الأيام السابقة من القتال بهجوم لم ينجح ضد مستعمرة واحدة ، ثم لجأوا إلى إطلاق مدافعهم على إحدى مستعمرات الجيش . وعندما درست الموقف بعد قبولنا لوقف إطلاق النار ، وجدت أنه

قد يكون من الملائم لنا ألاّ نترك الجيش السورى مصدر إزعاج لا مبرر له بعد أن انتهت مصادر التهديد على الجبهة الجنوبية ، وبعد وصولنا إلى القدس ، ولهذا قررت أن الفرصة لا يجب أن تضيع فى شكليات قرار وقف إطلاق النار ، وهذا ما دعانى إلى تغيير رأيى . »

وأما « ليندون جونسون » فقد كتب فى مذكراته بعنوان « مركز مراقبة » :

« إننا لم نكن نعلم بنوايا إسرائيل فى شأن سوريا » .

□

والذى حدث بعد ذلك هو أن الكرملين أحس بالاستفزاز الشديد من استئناف العمليات خرقا لقرار وقف إطلاق النار الذى أصبح مقبولا من جميع الأطراف . وبعث « كوسيجين » عن طريق الخط الساخن برسالة عنيفة إلى « جونسون » يقول فيها :

« إن الاتحاد السوفيتى على استعداد بالتعاون مع الولايات المتحدة أو وحده أن يفرض إقرار وقف إطلاق النار .»

وعندما وصلت هذه الرسالة إلى واشنطن كان هناك إحساس بأن زمام الأمور ـ وقد كان محكوما حتى هذه اللحظة ـ بدأ يفلت ، فهناك الآن لهجة جديدة تماما فى خطاب الكرملين ، ولابد من أخذها فى الحساب .

ويروى « والت روستو » (فى تسجيل للتاريخ الشفوى عن عصر « ليندون جونسون ») أنه « **حمل رسالة كوسيجين إلى جونسون شاعرا بقلق شديد ، ثم أنه ناولها للرئيس الذى كان جالسا فى مكتبه البيضاوى فى البيت الأبيض قائلا له : « إن لديك رسالة شديدة من كوسيجين ، وكلامهم الآن غاضب وقد تترتب على ذلك عواقب ، ولابد أن نجد ردا مناسبا على رسالتهم » .**

وقرأ جونسون البرقية بعناية ثم قال لروستو دون تردد : « **إننى جاهز** » .
ثم كان سؤاله التالى : « **أين الأسطول الأمريكى السادس الآن ؟** »
وجرى اتصال بوزير الدفاع روبرت ماكنمارا للسؤال عن مواقع الأسطول السادس فى البحر الأبيض ، وأصدر جونسون بنفسه أمرا بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية :

« على الأسطول السادس أن يتوجه بكامل قوته إلى شواطىء إسرائيل » .

ثم التفت الىّ (إلى « والت روستو ») وقال :

« لا حاجة بنا إلى الرد بسرعة على كوسيجين . سوف يرصدون تحركات الأسطول السادس وسيعرفون منه ردى قبل أن تصل إليهم رسالة مكتوبة منى » ! »

□

وفى ساعات كانت إسرائيل قد تمكنت من احتلال مرتفعات الجولان ، وكانت كل خرائط الدفاعات السرية عنها قد وصلت إليها عن طريق جاسوسها الشهير « إيلى كوهين » .

وحين كتب « جونسون » ردا على « كوسيجين » كان احتلال مرتفعات الجولان حقيقة واقعة .

وكان إطلاق النار قد توقف لأسبابه الطبيعية !

الفصل الأول

الموازين المختلة !

١

فى اللحظة التى سكتت فيها المدافع وانجلى الدخان فوق هضبة الجولان بعد أن أتمت إسرائيل احتلالها فى ساعات ، كان واضحا أن عنصرا أهم من كل ما حدث على مسارح القتال فى الشرق الأوسط ـ قد برز وتأكد ، وهو أن تغييرا فى موازين القوة العالمية قد حدث فعلا . ذلك أنه حين آثر « ليندون جونسون » أن يكون رده على رسالة « كوسيجين » الغاضبة (صباح الجمعة ٩ يونيو) ـ هو أمره إلى الأسطول الأمريكى السادس بكامل قوته أن يتوجه إلى شواطىء إسرائيل ، فإن كفة الميزان مالت ورجحت فى ناحية معينة . إن القيادة السوفيتية فى الكرملين عرفت برد « جونسون » قبل أن تصلها رسالة مكتوبة منه . وقد عرفت بهذه الرسالة وتقبلت نتائجها العملية المتمثلة فى إتمام احتلال الجولان ، ثم لم يكن لديها ما تفعله سوى محاولة تبريد الأزمة على أساس الأمر الواقع

وبصرف النظر عما حدث على ساحة الشرق الأوسط فى حد ذاته ـ فإن معناه على الساحة العالمية كان فادحا ومؤداه أن « التوازن الدقيق والحرج بين القوتين الأعظم قد انتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى . فإن قوة من القوتين اللتين كان التوازن قلقا

بينهما ـ أعطت لنفسها حق المبادأة والتصرف بجرأة تصل إلى حد المغامرة ، ولم يكن أمام القوة الأخرى غير الحيطة والحذر وممارسة ضبط النفس !

□

كان الشرق الأوسط أكثر من غيره من مسارح الصراع العالمى ، هو المسرح الذى مارس فيه الاتحاد السوفيتى دور القوة الأعظم فى مواجهة الولايات المتحدة ابتداء من خريف سنة ١٩٥٥ حين عقد صفقة السلاح الأولى مع مصر متحديا بذلك أوضاع النفوذ التقليدى للغرب ، ثم وصل فى ممارسة هذا الدور إلى الذروة بموقفه فى أزمة السويس سنة ١٩٥٦ ، ثم كان بعد ذلك أن مد الاتحاد السوفيتى دوره وراء الشرق الأوسط إلى أفريقيا . كانت موسكو فى تلك الفترة قد قفزت فوق الحواجز والموانع التى كانت ترغمها على الوقوف أمام الحزام الشمالى لهذه المنطقة (فى تركيا وإيران) ونفذت إلى العمق بصداقة مستجدة ونشيطة مع مصر وسوريا والعراق ـ ثم واصلت قفزتها وراء الشرق الأوسط إلى أفريقيا تتحدى الغرب فى قلعته السوداء التى كانت كنوزها حكرا مقصورا عليه خصوصا فى فترة كانت رياح التغيير فيها تهب على أفريقيا .

ولكن الاندفاع السوفيتى ما لبث أن توقف فى الشرق الأوسط عندما اصطدم بالنزعات الاستقلالية لحركة القومية العربية ـ فإذا السنوات الأخيرة من الخمسينات والأولى من الستينات تشهد صراعا عنيفا بين موسكو من ناحية ، والقاهرة ـ عاصمة القومية العربية فى ذلك الوقت ـ من ناحية أخرى . وقد دار الصراع بينهما على بغداد أولا بعد ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ ، ثم على دمشق ثانيا بعد الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ . كانت الحركة القومية العربية ترحب بأن يكون للاتحاد السوفيتى دور يوازن الدور الأمريكى فى المنطقة وفى العالم ، ولكنها لم تكن على استعداد لأن تسمح لهذا الدور بأن يتحول إلى أكثر من ذلك على الأقل فى المجال العربى حدودا وتأثيرا .

وتمادى الطرفان (موسكو والقاهرة) فى صراع مرير استغرق سنوات١٩٥٩، ١٩٦٠ و١٩٦١ ـ ثم حاولا احتواءه بكل الوسائل بينهما حين تأكد لهما أن المستفيد منه فى النهاية هو طرف آخر غيرهما يرقب ما يجرى سعيدا ومرتاحا . وكانت زيارة « خروشوف » لمصر فى مايو سنة ١٩٦٤ فى مناسبة إتمام بناء المرحلة الأولى من السد العالى أبرز محاولاتهما لاحتواء الأزمة بينهما ، ولكن هذه المحاولة لم تصل إلى هدفها المرجو بسبب سقوط « خروشوف » فى أكتوبر ١٩٦٤ ـ بعد زيارته بخمسة شهور ـ وكان سقوطه نتيجة تفاقم الأزمة الداخلية للاتحاد السوفيتى وللتجربة الشيوعية نفسها .

وأفسح « خروشوف » مكانه لقيادة ثلاثية حاولت إعادة ترتيب البيت السوفيتى من الداخل ، لكن هذه القيادة ما لبثت أن أدركت أن أزمة البيت السوفيتى أكبر بكثير من أن تواجه بحلول إدارية ، بل لعل هذه الحلول الإدارية كانت أشبه ما تكون بعلاج حالة تسمم بمزيد من السم ، فأزمة الاتحاد السوفيتى فى صميمها (كما سلف القول) ـ كانت عند الأساس وابتداء من لحظة التجربة اللينينية التى رأى فيها « لينين » ـ على عكس مقولة « ماركس » ـ أن الشيوعية يمكن أن تقوم وتنجح فى بلد متخلف . كان « ماركس » يرى الشيوعية لاحقة لمرحلة من النمو الرأسمالى لأن هذه المرحلة وحدها هى التى تعطى للطبقة العاملة دورها وحجمها الذى تستطيع منه أن تقود المجتمع . وكان رأى « لينين » أن هذه المرحلة الرأسمالية يمكن القفز فوقها بواسطة التزام الحزب والدولة ، وكانت تلك هى نقطة التحول فى الثورة التى وجدت نفسها أسيرة بيروقراطية الحزب والدولة نائبة عن البروليتاريا والجماهير . وهكذا فإن محاولة القيادة الثلاثية الجديدة لعلاج أزمة الاتحاد السوفيتى عن طريق الإدارة ـ وليس طريق المراجعة الشاملة ـ ما لبثت أن توقفت وبدأت بعدها فترة الركود العظيم ـ على حد تعبير « جورباتشوف » (فيما بعد) .

وخلال سنة ١٩٦٥ وسنة ١٩٦٦ ـ لم تكن القيادة الجديدة فى الاتحاد السوفيتى قد تعرضت لأى اختبار له قيمة على مستوى العالم . كانت خلال هاتين السنتين تقوم بتسيير الأمور وتحاذر قدر استطاعتها أن تتورط فيما هو أكثر . وحين وقعت أزمة الشرق الأوسط فى صيف سنة ١٩٦٧ وجدت هذه القيادة نفسها فى مأزق ، فأزمتها الداخلية تحتم عليها أن تتصرف بحذر ، وفى نفس الوقت فإن أمامها رئيسا أمريكيا رأى أنه يستطيع أن يغامر خصوصا إذا كان يستطيع أن يغطى جزءا من مغامرته وراء طرف محلى بدلا من المغامرة بالكامل ومباشرة . وبصرف النظر عن كل الاعتبارات فإن الاتحاد السوفيتى لم يكن خلال يونيو ١٩٦٧ ـ فى وضع يسمح له بمجاراة لعبة الرئيس الأمريكى .

☐

وعندما سكتت المدافع وانجلى الدخان فوق هضبة الجولان كان الرئيس اليوجوسلافى « جوزيب بروز تيتو » أول من لمح التغيير الكبير الذى حدث على القمة الدولية وأدرك معناه ، واتصل بالزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف » يطلب اجتماعا سريعا على مستوى القمة للأحزاب والحكومات الشيوعية الحاكمة فى أوروبا الشرقية . وبالفعل تم عقد هذا الاجتماع سرا فى موسكو ـ بعد توقف معارك الشرق الأوسط بساعات قليلة ، ثم أعلن عنه بعد انتهاء جلساته يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ .

كان هذا الاجتماع علامة بارزة فى الموقف الدولى كله ، فإن الرئيس « تيتو » وهو صاحب الدعوة إليه ، أخذ الكلمة فى الجلسة الأولى باقتراح من « بريجنيف » لأن « صديقنا الرفيق تيتو صاحب فكرة الاجتماع ، فهو الأقدر منا جميعا على أن يشرح لنا فكرته مع أننا جميعا وافقناه عليها قلبيا » .

وبدأ الماريشال « تيتو » حديثه ، أو بتعبير أدق هجومه ، قائلا[1] :

« إن الذى دعاه إلى الإلحاح على هذا الاجتماع هو أن ما حدث فى الشرق الأوسط يمكن أن تكون له آثار على الموازين العالمية كلها ، فمجرد أن تعطى الولايات المتحدة نفسها حق أن تتقدم لضرب إحدى الدول الطليعية فى حركة التحرر الوطنى ثم لا يكون أمام الاتحاد السوفيتى سوى أن يدين العدوان ـ فهذه بداية لها ما بعدها .

اليوم تضرب حركة التحرر الوطنى فى الشرق الأوسط . وغدا دول أوروبا الشرقية . وبعد غد يصل الخطر إلى الاتحاد السوفيتى ذاته الذى سوف يجد نفسه محاصرا ومعزولا .»

ثم مضى « تيتو » ـ وكأنه يقرأ المستقبل ـ يقول :

« إن الاتحاد السوفيتى لم يتمكن حتى الآن من حل مشكلة القوميات فيه ، ونحن نعرف وأنتم تعرفون أن هناك نشاطا معاديا يتحرك فى الجمهوريات الجنوبية كأذربيجان وكازاخستان وجورجيا وغيرها ، وأيضا فى الجمهوريات الشمالية كأستونيا ولاتفيا ولتوانيا .»

ثم تساءل « تيتو » :

« إننى أريد أن أعرف أين هو الخط الذى لابد أن تقفوا عنده وتعرفوا أن لا تراجع بعده ...»

وترك « بريجنيف » الكلام لـ « كوسيجين » الذى بدأ يقول « **إن الاتحاد السوفيتى لم تكن لديه وسيلة للتدخل** » ، وراح يعد الأسباب على النحو التالى :

---

(١) رسالة من الماريشال « تيتو » سلمها السفير اليوجوسلافى فى القاهرة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ١٤ يونيو ، وهى ضمن محفوظات قصر عابدين فى ملف يحمل رقم « ٧ » مراسلات الرئيس « تيتو » سنة ١٩٦٧ .

١ ـ إن الاتحاد السوفيتى فوجىء بسرعة تطور الحوادث رغم أنه يعترف بأنه كان أول من رصد الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية . وعندما أحس بتسارع حركة الأزمة فإنه حاول أن يحذر مصر من الاندفاع فى تصعيدها ، ولكن الحوادث كانت أسرع من الجميع .

٢ ـ إن الولايات المتحدة كانت لها وسائلها فى التدخل ، فإسرائيل عملت بالتعاون الوثيق معها ، وهذا أمر لا نشك فيه . وكذلك كانت للولايات المتحدة قواعدها القريبة من مسرح العمليات ، سواء فى ذلك قواعدها فى ليبيا أو فى شبه الجزيرة العربية أو فى إيران . كما أن القواعد الأمريكية فى أوروبا الغربية كانت قريبة من المسرح .

٣ ـ إن الأسطول الأمريكى السادس كانت له حرية فى الحركة لم تتوافر للأسطول السوفيتى ، فالأسطول الأمريكى كان يعمل معتمدا على قواعده فى كل جنوب أوروبا (ايطاليا واليونان وغيرهما) ، إضافة إلى جزر البحر الأبيض القريبة (مثل رودس ومالطة) ـ فى حين أن الأسطول السوفيتى كان مثل « البراميل العائمة فى البحر » لا يستند إلى أى قاعدة .

٤ ـ إن حلفاء الولايات المتحدة كانوا على استعداد لإعطائها كل التسهيلات لتمارس دورها ، ولم تكن إسرائيل وحدها هى الحليف المتطوع بهذه التسهيلات ، وإنما كان هناك غيرها بما فيهم أطراف من العرب أنفسهم ـ وفى ذات الوقت فإن « أصدقاءنا من العرب » كانوا شديدى الحساسية إزاء أية تسهيلات يقدمونها لنا .

٥ ـ إن الخلاف الصينى السوفيتى أحدث شرخا كبيرا فى العالم الشيوعى وفرض على الاتحاد السوفيتى أعباء لا تحتمل ، والصينيون يكتفون بإطلاق الشعارات الثورية بينما هم يتبعون سياسة مصلحة وطنية ضيقة حتى فى حرب فيتنام ، بينما العبء كله واقع على الاتحاد السوفيتى .

٦ ـ وليس عبء فيتنام فقط هو الواقع على الاتحاد السوفيتى ، وإنما هو مرهق بمساعدات للشعوب الصديقة ، وفى المقدمة منها مصر والهند .

٧ ـ إن الاتحاد السوفيتى فى السنوات الثلاث الأخيرة ركز على الصواريخ ، فى حين أن الولايات المتحدة بسبب ضرورات حرب فيتنام استطاعت

أن تعطى نفسها مرونة فى الحركة عن طريق تطوير قواتها التقليدية .

٨ - **وبالتالى فإن الاتحاد السوفيتى لم يكن لديه فى اللحظات الحاسمة من أزمة الشرق الأوسط إلاّ أن يهدد بحرب نووية لوقف العدوان ، « ولا أحد منا أو منكم يريد أن يتحمل مسؤولية حرب نووية » .**

وطالت المناقشات دون الوصول إلى نتائج حاسمة ، ثم تقررت مجموعة من الإجراءات أهمها ضرورة أن يتخذ المعسكر الشرقى موقفا حازما فى إطار « الحقائق الموضوعية » التى انتهت إليها معارك الشرق الأوسط ، وهكذا تقرر :

- **أن تقطع دول المعسكر الشيوعى جميعا علاقاتها مع إسرائيل (ولم تلتزم رومانيا وحدها بهذا القرار) .**
- **وأن يعاد تسليح جيوش الدول العربية التى تعرضت أكثر من غيرها للعدوان (وهى مصر وسوريا) .**
- **وأن تقدم دول المعسكر الاشتراكى أكبر قدر من المساعدة الاقتصادية لمصر وسوريا .**
- **ثم أن يبذل الاتحاد السوفيتى ومعه كل دول المعسكر الاشتراكى قصارى جهدهم فى عمل سياسى ودبلوماسى يستهدف تحقيق انسحاب إسرائيلى سريع من الأراضى العربية المحتلة .**
- **أن يسافر رئيس الوزراء « كوسيجين » لإعلان موقف الاتحاد السوفيتى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولمقابلة الرئيس الأمريكى « جونسون » والبحث معه فى حل للأزمة . وأن يسافر الرئيس « بادجورنى » رئيس الدولة السوفيتى إلى القاهرة لإظهار التأييد لها .**

وعلى نحو ما فقد أحس الرئيس « تيتو » أن القادة السوفيت لديهم إلى جانب هذا كله أسباب داخلية تفرض عليهم أقصى درجات الحذر ، وقد فسرها وقتها فى رسالته بقوله :

« إنهم صرفوا مبالغ طائلة فى استيراد سلع استهلاكية كثيرة ، وهم يهتمون كثيرا باحتفالاتهم القادمة بالعيد الخمسين لثورة أكتوبر ويريدون عرض منجزاتهم على شعوبهم بشعار « **أن نصف قرن من العناء وصل فى النهاية إلى حقبة من الرخاء والسلام** » . **وآخر ما يريدونه فى هذا الظرف أن يجدوا أزمة دولية طارئة تلقى ظلالها على الصورة كما يريدونها** .»

ولم يكن من شأن ذلك كله أن يتلافى ما حدث فعلا ، وأهمه أن موازين القوى العالمية

رجحت كفتها لصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى الوقت الراهن على الأقل ـ ولسنوات قادمة .

□

وفى نفس الوقت كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تقومان بأهم وأخطر محادثات بينهما ، وهى محادثات ربطت بين الاثنتين ومن وقتها ، ومازالت تربط بينهما إلى الآن .

كان « أبا ايبان » قد خف إلى السفر إلى واشنطن يوم ٧ يونيو ، وكانت مهمته الرئيسية استيعاب أثر قيام إسرائيل باحتلال الضفة الغربية للأردن والقدس « **مخالفة بذلك حدود العمليات** » كما تم الاتفاق عليها بين الطرفين قبل بدئها .

ثم لم يلبث « مائير آميت » مدير الموساد أن لحق بـ « أبا ايبان » فى واشنطن ، وهناك أحاط بهما كل أقطاب اليهود فى السياسة الأمريكية ، ومعظمهم من أصدقاء الرئيس « جونسون » نفسه . ولم تكن هناك مشكلة فى العلاقات بين الطرفين يصعب تجاوزها بما فى ذلك مخالفة إسرائيل لحدود العمليات كما اتفق عليها . **والحقيقة أن جو الحماسة العارمة الذى أحدثه الانتصار الإسرائيلى فى أمريكا ، مضافا إلى التحول الذى لا يمكن إنكاره فى موازين القوى الدولية لصالح الولايات المتحدة ، ثم ازدياد شعبية الرئيس « جونسون » تبعا لذلك ـ استطاعت جميعا أن تأخذ الولايات المتحدة وإسرائيل إلى توافق سياسى كامل حكم العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ومازال يحكمها حتى هذه الساعة** . وكان « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل مصيبا إلى أبعد حد حين قال فى تصريح له يوم ١٢ يونيو ١٩٦٧ ـ طبقا لنشرة صحفية صادرة عن رئاسة الوزراء فى إسرائيل فى ذات اليوم ـ ما نصه :

« لقد كان هناك من ينظرون إلينا كتابع صغير للولايات المتحدة . وهؤلاء اضطروا إلى تغيير تفكيرهم الآن ، فقد وجدوا أن إسرائيل أصبحت لأول مرة شريكا كاملا للولايات المتحدة . وشريكا متكافئا . وشريكا كبيرا أيضا ! »

□

وتستوقف النظر فى هذا الصدد وثيقتان أمكن الحصول عليهما بمقتضى قانون حرية المعلومات ، وأهميتهما أن كل واحدة منهما مسودة محضر اجتماع للجنة الخاصة بمتابعة أزمة الشرق الأوسط المتفرعة عن مجلس الأمن القومى الأمريكى . ومما يعطى لهاتين

الوثيقتين قيمتهما أنهما مكتوبتان بخط اليد ، والأرجح أنه خط السفير « هارولد سوندرز » (المعروف فى وزارة الخارجية بأنه مستر C.I.A.) والذى كان يتولى سكرتارية هذه اللجنة الخاصة .

ويلاحظ أن الوثيقتين مكتوبتان بأسلوب النقط المختصرة التى تكاد تكون رمزا ، ومع ذلك فإن التدقيق فى الكلمات والإشارات كفيل بأن يفصح عن الكثير .

وتبدأ الوثيقة الأولى كما يلى :(٢)

« اجتماع اللجنة الخاصة لمجلس الأمن القومى
الساعة ٦:٣٠ مساء ١٤ يونيو
قاعة اجتماع الوزارة

الحاضرون (وكانت أسماؤهم صفا مستطيلا على الجانب الأيمن للوثيقة)

نائب الرئيس (هيوبرت همفرى) ـ مكنمارا (وزير الدفاع) ـ فاولنر ـ كاتزنباخ (مساعد وزير الخارجية) ـ فانس ـ هويلر (رئيس أركان الحرب) ـ هيلمز (رئيس المخابرات المركزية) ـ كليفورد ـ والت روستو (مستشار الأمن القومى) ـ ماك جورج باندى ـ السفير طومسون (السفير الأمريكى فى موسكو) باتل (وكيل الخارجية) ـ سيسكو (مساعد وزير الخارجية) ـ هارى ماكفرسون .

وزير الخارجية راسك والسفير جولدبرج (المندوب الدائم فى الأمم المتحدة) وصلا حوالى الساعة ٧ مساء .

جورج كريستيانسن وصل الساعة ٧:٠٨

الرئيس وصل فى الساعة ٧:٣٨

(ثم يبدأ صلب الوثيقة)
سياسة إمدادات السلاح الأمريكى

الفقرة ١ ـ ليست هناك مشكلة (والظاهر أن هذا القرار بأنه ليست هناك مشكلة يتعلق

---

(٢) الصورة الأصلية للمحضر منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤٠) صفحة ١٠٣٢

بإمداد إسرائيل ذلك أن وقائع اليوم التالى تلقى ضوءا على هذه العبارة المقتضبة ، **فقد أعلن رسميا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعهدت بأن ترسل فورا إلى إسرائيل ما يعوض كل خسائرها فى المعركة من المعدات والذخائر . وكانت إسرائيل قد فقدت ٣٧ طائرة على الجبهة المصرية ، وتسلمت بدلا منها على الفور ٦٢ طائرة) .**

الفقرة ٢ ـ موافقة ـ الأردن ـ لن تكون هناك مشكلة بشأن طائرة « ف ـ ١٠٤ » قبل الخريف .

الفقرة ٣ ـ موافقة .

الفقرة ٤ ـ الصحافة ؟ توجيه سياسى نحن نعيد مراجعة الموقف ولكن المراجعة على ضوء هذه السياسة .»

تمضى الوثيقة وتظهر فيها عبارة تقول :

« لابد من تجنب أى موقف يظهر وكأن فيه رجوعا عن اتفاقنا ـ أية اتفاقات ؟ ومع من ؟ »

(وتشير هذه العبارة إلى أن الولايات المتحدة كانت بصدد إعادة النظر فى كل تعهداتها السابقة فى المنطقة لأنها أمام وضع مستجد تماما) .

☐ **ثم تجىء عبارة ثانية تقول :**

« هل نخلع الآن من اتفاقيات سنة ١٩٤٩ (اتفاقيات الهدنة ـ والاتفاق مع الأردن بشأن قبول الولايات المتحدة لقيام المملكة الهاشمية الأردنية بضم الضفة الغربية إليها) .»

☐ **ثم عبارة تقول :**

- **سيسكو** : المادة ١٢ من اتفاقيات الهدنة تدعو إلى المفاوضات .
- **كاتزنباخ** : نخلع (من الاتفاقيات) ولكن لا نعلن أن هذه ليست ... »

☐ **ثم عبارة تقول :**

« توزيع نص خطاب السفير جولدبرج فى ١٣ يونيو (تحدث فيه عن ضرورة أن توقع الدول العربية على اتفاق سلام مع إسرائيل) .»

☐ **ثم عبارة تقول :**

« لا يجب أن يكون هناك فى الخطوط شىء يعوق إسرائيل إذا قررت .

☐ راسك :

حق تقرير المصير للضفة الغربية ؟ احتفاظ إسرائيل بالأرض قد يخلق حالة عدم استقرار فى المنطقة إلى نهاية القرن العشرين .

لابد من قبول إسرائيل .

ماكنمارا يعتقد أن مجرد القبول لا يكفى وحده .»

ثم عبارة تقول :

☐ « **جولدبرج**

١ ـ إسرائيل مستعدة لإعطاء قطعة صغيرة دولية للديانات المختلفة فى القدس .
٢ ـ سوريا هى أكثر ما يهم الاتحاد السوفيتى .»

ثم عبارة تقول :

☐ « **والت روستو :**

استعمال مرتفعات الجولان ورقة مساومة مع الاتحاد السوفيتى على سباق السلاح .»

(ومؤدى العبارة أن الولايات المتحدة تتصرف فى الأرض المحتلة باعتبارها شريكا رئيسيا فى كل شىء ، بل وكأنها صاحب الأمر الحقيقى) .

ثم عبارة تقول :

☐ « طومسون (السفير الأمريكى فى موسكو)

الاتحاد السوفيتى سوف يقبل إسرائيل ، فتح العقبة ، القدس ولكن لا يقبل بقية الأراضى ...»

(ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة لها رأى مختلف بالنسبة لبقية الأراضى!)

وفى نهاية الصفحة الثانية من الوثيقة الأولى تجىء عبارة :

☐ كاتزنباخ :

هل يستمر حظر سفر الأمريكيين إلى المنطقة ؟ ـ يمكن أن نفتح الباب الآن للسعودية والكويت والمغرب وتونس ولبنان وإسرائيل .

☐ **الرئيس :**

ليس الآن !»

ثم تجيء الوثيقة الثانية وهى أيضا بخط اليد مسودة لاجتماع للجنة الخاصة المتفرعة عن مجلس الأمن القومى ، وبدورها تحتوى هذه الوثيقة على إشارات مهمة أبرزها إشارة إلى رد على الفاتيكان فى شأن احتلال إسرائيل للقدس . ورد على الملك « ادريس السنوسى » بشأن مخاوفه من الأوضاع فى قاعدة « هويلس » . ثم بشأن احتواء أثر حادث ضرب الباخرة « ليبرتى » .

وأخيرا تجيء إشارة لها معناها ـ فى الربط الأمريكى بين مسرح عمليات الشرق الأوسط ومسرح عمليات الشرق الأقصى ! ـ وهى عبارة تقول :

« جدة ـ على سولومون أن يتحدث مع أرامكو بشأن الوقود اللازم لتموين فيتنام .»

☐

كانت العلاقات من الأصل قوية ، وأضافت إليها الظروف قوة أكثر ، ثم أوصلتها تجربة عميقة إلى درجة التوحد الكامل أو قريبا منه !

٢

وفى المقابل كانت العلاقات بين القاهرة وموسكو معوقة . كان الحال على العكس تماما مما كان بين واشنطن وتل أبيب ، فهناك التقى الطرفان على هدف واحد ، وفكر يحوطه إطار مشترك ، وداخل حدود قدرة محسوبة استطاعت تحقيق ما استهدفته . وأما ما بين القاهرة وموسكو فقد كانت الأهداف مختلفة ، والأطر متضاربة ، والعلاقة بين القدرة والمطلوب منها مسافة واسعة .

ولعل سياق البرقيات الواردة من سفارة مصر فى موسكو فى ذلك الوقت أن يظهر حجم التباعد بين الكلمة والفعل فى العلاقات العربية السوفيتية فى ذلك الوقت ، كما يظهر قصور المواقف عن الإحاطة بأبعاد الأحوال المستجدة .

- يوم ١٠ يونيو كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية [٣] إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

---

(٣) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٨١٤ / ٣٩ ـ وتوجد نسخة منها فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤١) صفحة ١٠٣٧

« ١ ـ إيماء لبرقيتنا المفتوحة اليوم ١٠ الجارى رقم ١٩٥ . أشعر بأن الاتحاد السوفيتى بدأ الخطوات العملية للتدخل ضد إسرائيل .

٢ ـ أذاعت مكبرات الصوت فى شوارع موسكو بيان الحكومات الشيوعية الأوروبية ، وكذلك بيان قطع العلاقات مع إسرائيل ، وهو ما لا يحدث إلاّ فى الأحداث الكبرى .

٣ ـ بدأت المظاهرات السوفيتية ضد السفارة الأمريكية وغيرها من السفارات ، وبدأت تعبئة الشعب السوفيتى للأحداث .

السفير

مراد غالب »

● ويوم ١٢ يونيو كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية (٤) إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

« ١ ـ أبلغنى اليوم نائب وزير الخارجية سولداتوف رغبة الاتحاد السوفيتى فى الدعوة لعقد جلسة غير عادية للجمعية العامة للأمم المتحدة(٥) للنظر فى الموقف الراهن فى الشرق الأوسط .

٢ ـ إن الغرض من هذه الجلسة إعادة القوات الإسرائيلية المعتدية إلى خطوط الهدنة ، وتصفية جميع آثار العدوان الإسرائيلى على الدول العربية .

٣ ـ يرجو من حكومة الجمهورية العربية المتحدة الموافقة على هذا الاقتراح ، والتعاون مع ممثلى الدول المختلفة وممثلى الدول الاشتراكية لإقناع دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بالموافقة أيضا .

٤ ـ أكد سولداتوف رغبة السوفيت الأكيدة فى ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى استولت عليها ، وضرورة التنديد بإسرائيل كمعتدية وأنهم سيعملوا كل ما فى وسعهم لذلك .

السفير

مراد غالب »

---

(٤) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٨٨٨ / ٤٤ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

(٥) كانت وجهة نظر الاتحاد السوفيتى فى دعوة الجمعية العامة هى تفادى الفيتو الذى تملك الولايات المتحدة حقه فى مجلس الأمن .

● وفى نفس اليوم ١٢ يونيو كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية[٦] إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

« إلى سكرتارية الرئيس للمعلومات (رسالة خاصة)

١ ـ يشعر السوفيت بالحرج والمرارة من بعض التصريحات والتعليقات التى ترمى إلى إلصاق تهم معينة بهم والتلميح إلى اشتراكهم فى مؤامرة ضد الدول العربية .

٢ ـ لا تزال المعركة أساسا ضد الاستعمار الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا نزال فى حاجة ماسة إلى تأييد الاتحاد السوفيتى .

٣ ـ ومع اعترافى بوجود مكان للمشاعر فى هذه الظروف العصيبة فإنى أوصى بضرورة سلوك مسلك موضوعى فى هذه الأيام . ولا شك أنه من الأهمية بمكان التعاون مع الاتحاد السوفيتى تعاونا تاما . وأنقل لكم تأكيدهم بأنهم جادون الآن فى مساعدتنا لحل المشكلة ، وسيعملون كل ما يمكنهم عمله لتصفية آثار العدوان الإسرائيلى .

السفير

مراد غالب »

وهكذا فإن الذى بدأ بالتعبئة انتهى بالعتاب ، والذى بدأ بالحماسة انتهى بالمرارة .

● وفى ١٤ يونيو كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية[٧] إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

«١ ـ قابلنى سفير كوريا فى موسكو وذكر بأن الذى يقول إن الذى انتصر عليكم فى المعركة هى إسرائيل هو مخطىء وبعيد عن الحقيقة .

٢ ـ قد حاربتم أداة الحرب الأمريكية بكامل عتادها وأجهزتها التكنولوجية الحديثة ، وإن أمريكا قد جربت ذلك من قبل .

٣ ـ يوصى بضرورة الإبقاء على وحدة العرب وتقويتها والاعتماد على النفس

---

(٦) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٦٧ خ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

(٧) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٩٥٦ / ٤٦ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

فى المقام الأول فى هذه المعركة وعلى الأصدقاء بطبيعة الحال .

السفير

مراد غالب »

● وفى نفس اليوم (١٤ يونيو) كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية(٨) إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

« ١ ـ قابلنى السفير الهندى أمس ١٣ الجارى ، وأبلغنى بمقابلته لكوسيجين لإبلاغه برسالة أنديرا .

٢ ـ طلبت أنديرا اتخاذ الخطوات الإيجابية وبسرعة لإعادة القوات الإسرائيلية المعتدية إلى خطوط الهدنة ، وأن الهند تقف بقوة بجانب الجمهورية العربية المتحدة .

٣ ـ ذكر السفير أن كوسيجين أكد التزامهم بقرارات الدول الشيوعية فى موسكو وضرورة اتخاذ الخطوات الكفيلة بإرجاع إسرائيل إلى ما كانت عليه قبل العدوان .

٤ ـ ذكر السفير الهندى أن على السوفيت أن يعوضوا الوقت الذى ضاع فى أول العدوان بموقف حازم قوى .

السفير

مراد غالب »

● وفى يوم ١٤ يونيو أيضا كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية(٩) إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

« ١ ـ قابلت جروميكو اليوم بناء على رغبته وتناولت المقابلة الموضوعات الآتية :

أ ـ دعوة الجمعية (العامة) للانعقاد .

ب ـ اجتماع زعماء الدول الشيوعية الأوروبية الأخير فى موسكو .

جـ ـ زيارة بومدين للاتحاد السوفيتى .

---

(٨) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٩٦٢ / ٤٧ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

(٩) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٤٨ خ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

٢ ـ ذكر جروميكو أن يو ثانت تناقش مع مستشاريه وهم من الغرب (يقصد الدكتور رالف بانش) وأنه يعارض دعوة الجمعية بدعوى أنها تتعارض قانونا مع ميثاق الأمم المتحدة طالما كان مجلس الأمن منعقدا . ولكن جروميكو ذكر بأنه لا يوجد تناقض طالما أن الجمعية تناقش المشكلة فقط ولن تصدر توصيات .

٣ ـ طلب جروميكو أن ترسل الدول العربية جميعها خطابات عاجلة ليو ثانت تطلب منه عقد جلسة طارئة وعاجلة للجمعية العامة .

٤ ـ أكد جروميكو التزام جميع الدول الاشتراكية بقرارات اجتماعهم فى موسكو ، وأبدى أسفه الشديد لموقف رومانيا التى رفضت الاعتراف بأن إسرائيل هى البادية بالعدوان .

٥ ـ أما عن زيارة بومدين فقد ذكر أن الرئيس الجزائرى لم يقدم برنامجا محددا (Concrete) بخصوص حل المشكلة والخطوات الواجب اتخاذها .

٦ ـ طلب جروميكو معرفة رأينا فى موضوع استخدام إسرائيل لخليج العقبة وقناة السويس ، وذكر أن هذه المشاكل لابد ستطرح على المنظمات الدولية ، ومن المفيد البدء فى مناقشتها فيما بيننا الآن ، ولابد للسوفيت أن يعرفوا موقفنا بالضبط حتى ينسقوا معنا الجهود التى تخدم مصالحنا .

٧ ـ أشار إلى أن الولايات المتحدة حلت جميع شفرات الدول العربية ، وأن هذا قد تأكد لهم .

٨ ـ أشار مرة أخرى إلى ضرورة البدء فى مناقشة خليج العقبة وقناة السويس لأنه مرتبط بانسحاب القوات الإسرائيلية . كذلك احتمال عودة تواجد الأمم المتحدة فى المنطقة وأية اقتراحات أو أى برنامج مفصل لحل المشكلة من ناحيتنا .

٩ ـ هاجم الصينيين واتهمهم بالتخريب . دعانى القائم بالأعمال الصينى فى موسكو على العشاء . توجيهاتكم بخصوص القبول أو الاعتذار ، وأنا أميل إلى الاعتذار .

السفير

مراد غالب »

● وفى يوم ١٤ يونيو أيضا كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية[١٠] إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

« ١ ـ زارنى اليوم ١٤ الجارى السفير الجزائرى ، وأطلعنى على المباحثات التى جرت بين بومدين والقادة السوفيت بريجنيف وكوسيجين وبادجورنى .

٢ ـ أفضل عدم إرسالها بالشفرة الآن والاكتفاء بالاتصالات المباشرة بين القاهرة والجزائر . عموما أكد السوفيت موقفهم من ضرورة جلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضى العربية التى احتلتها والعودة إلى خطوط الهدنة .

٣ ـ كذلك أفهمت جروميكو أن مشكلة قناة السويس وخليج العقبة ليست مشكلة الجمهورية العربية المتحدة فقط ، ولكنها مشكلة العرب جميعا وعليهم أن يقولوا كلمتهم بشأنها ولن ننفرد نحن بقرار بشأنها .

السفير

مراد غالب »

□

وكانت زيارة الرئيس « بومدين » إلى موسكو بالفعل أدق وأصعب من أن توضع فى برقية شفرية يمكن كسر رموزها . كان الرئيس « هوارى بومدين » قد توجه إلى موسكو فور انتهاء العمليات بناء على اقتراح من الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان الهدف من رحلته أن يستطلع نوايا السوفيت فى المرحلة القادمة . ووصل « بومدين » إلى موسكو فى حالة نفسية سيئة . وفى لقائه الأول مع القادة السوفيت فى الكرملين بعد ظهر يوم ١٢ يونيو ، بدأ « بومدين » حديثه بأن قال لـ « بريجنيف » إنه[١١] « **يأسف لأنه طلب من سفير الجزائر فى موسكو إبلاغ السلطات السوفيتية أنه لا يريد حفلات تكريم على غداء أو عشاء** » . وكان الرئيس الجزائرى قد شعر بالاستفزاز عندما أطلعه سفير الجزائر على برنامج أعد لزيارته السريعة لموسكو يبدأ بحفل عشاء لتكريمه . وطلب « بومدين » من

---

(١٠) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٩٦٣ / ٤٩ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

(١١) محضر اجتماعات الرئيس « بومدين » مع القيادة السوفيتية . وقد سجله الرئيس الجزائرى فى موسكو وأرسله إلى القاهرة مع مبعوث خاص ـ وهو محفوظ ضمن وثائق قصر عابدين فى ملف منفرد يحمل عنوانه وتاريخ وإشارة (   ) بخط الرئيس « جمال عبد الناصر » إشارة إلى أنه قرأه .

بومدين فى حديث مع كوسيجين وبادجورنى

سفيره أن يبلغ السوفيت باعتذاره عن قبول أية مناسبات اجتماعية ، وقد وجد ضروريا أن يبدأ حديثه مع « بريجنيف » بتأكيد هذا الاعتذار وبشرح وجهة نظره فيه . ولم يلبث أن انفعل وهو يتحدث ، وقال للقادة السوفيت بضيق لم يستطع أن يخفيه « إنه لم يجىء هنا لكى يتغدى أو يتعشى وإنما هو يريد أن يفهم » . ورد عليه « بريجنيف » قائلا « إنه وزملاءه يفضلون أن يسمعوا منه أولا رؤوس المسائل التى يريد أن يتحدث فيها » .

ويبدو أن الرئيس « بومدين » لم يكن ينتظر أكثر من هذه الدعوة للكلام ، فقد انطلق يقول إنه « ليس لديه رؤوس موضوعات ، وإنما لديه موضوع واحد يتمثل فى سؤال يريد أن يطرحه ويريد أن يسمع جوابا قاطعا عليه ». وكان القادة السوفيت يركزون انتباههم على ما يريد الرئيس الجزائرى أن يقوله لهم . وجاء السؤال الواحد لـ « بومدين » فى قوله « إنه يريد أن يعرف ما هى حدود الوفاق بينكم وبين الأمريكيين » . وبدا أن الزعماء السوفيت لم يتفهموا المطلوب من السؤال بدقة ، واستطرد « بومدين » يقول : « إننا نراه وفاقا من جانب واحد . أنتم تتصرفون بأقصى درجات الضعف ، والآخرون يتصرفون بأقصى درجات القوة . »

وقاطعه « كوسيجين » قائلا « إن الاتحاد السوفيتى لا يتصرف بضعف » . ورد « بومدين » قائلا : « بل إنكم تتصرفون بمنتهى الضعف . إذا كنتم تتصورون أننى جئت إلى هنا لكى أجاملكم فإنى لن أفعل ذلك . لقد جئت لأحدثكم بالحقيقة . والحقيقة أننا لسنا وحدنا الذين هزمنا ، وإنما أنتم هزمتم فى نفس الوقت معنا ـ بل قبلنا . وإذا كنتم لا ترون أن ميزان القوى العالمية قد تحول لصالح الناحية الأخرى فهذه مصيبة . وإن كنتم ترون ذلك ولا تفعلون شيئا فهذه مصيبة أكبر . وأنتم أكثر من غيركم تعرفون مدى الدور الذى قام به الأمريكيون مع إسرائيل ، وما كانت لتقدم عليه وحدها لولا هذا الدور . وتعرفون أيضا أكثر من غيركم ما الذى يعنيه ضرب القوى التحررية العربية فى التوازن الدولى القائم ، كما أنكم تعرفون أن جزءا كبيرا مما تحملناه كان مقصودا به وجودكم ونفوذكم المعنوى فى المنطقة . وقد تركتم ما حدث يحدث رغم أنكم أول من حذر منه دون أن يصدر عنكم أى رد فعل إلاّ بالبيانات والمقالات .»

ومرة أخرى كان « كوسيجين » هو الذى رد على « بومدين » ، فقال له « هل تريدنا أن ندخل فى حرب نووية ؟ وهل تقدرون ما هو معنى الحرب النووية واحتمالاتها ؟ » ورد « بومدين » قائلا « إن هذا كلام كان ينبغى أن تفكروا فيه قبل الأحداث وليس بأثر رجعى بعدها » . وتدخل « بريجنيف » فى الحديث فقال مناديا « بومدين » بـ « الرفيق » : « إن الاتحاد السوفيتى لم يكتف بالبيانات والمقالات ، وإنما قدم لأصدقائه العرب ما يحتاجون إليه من سلاح ، ولكنهم لم يحسنوا استعماله » .

وفقد « بومدين » أعصابه وقال لـ « بريجنيف » : « ليكن . نحن لا نحسن غير أن نسوق الجمال ولا نعرف كيف نقود الطائرات الحديثة . فتعالوا أنتم وأرونا ما تستطيعون عمله » . ثم أضاف إن « معلوماته كلها تؤكد أن السلاح الإسرائيلى كان متفوقا فى الكم والعدد » . وقال « كوسيجين » : « إننا حاولنا أن نستجيب لطلباتكم وقدمناها لكم بأسعار مريحة ، بل إنكم لم تسددوا حتى ربع تكاليف ما حصلتم عليه » .

واستبد الغضب بـ « بومدين » وقال إنه « كان يتخوف من مثل هذه الملاحظة ، واستعد لها بأن طلب من وزير المالية الجزائرى أن يعد له تحويلا لصالح وزارة الدفاع السوفيتية بمبلغ ١٠٠ مليون دولار » . ثم أخرج

« بومدين » الصك بمبلغ ١٠٠ مليون دولار ، وكان يحتفظ به فى ملف أمامه وضعه على المائدة . واحمر وجه « كوسيجين » وقال لـ « بومدين » : « إننى لست تاجر سلاح حتى تعاملنى بالشيكات » . ورد « بومدين » بأنه لم يبدأ وإنما « كوسيجين » هو الذى تحدث عن نصف الثمن وربع الثمن . وتكهرب جو الاجتماع واقترح « بريجنيف » رفع الجلسة لاستراحة قصيرة ، وبعدها يستأنفون النقاش .

□

وانتهت مباحثات « بومدين » فى موسكو بنوع من شبه التفاهم على أن رئيس الدولة السوفيتى « نيكولاى بادجورنى » سوف يسافر إلى القاهرة للقاء مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ، وهناك سوف يقوم بتسوية الأمور وتنسيق المواقف .

وتقرر سفر الرئيس « نيكولاى بادجورنى » إلى مصر فور مغادرة الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » لموسكو . ونظرا لأهمية متابعة الأوضاع فى الاتحاد السوفيتى فقد رئى خلافا للبروتوكول المرعى أن يظل السفير المصرى فى موسكو فى موقعه ، ولا يعود إلى بلاده فى صحبة رئيس الدولة التى يمثل بلاده فيها .

ومن موسكو كتب السفير « مراد غالب » برقية شفرية[١٢] إلى القاهرة جاء فيها بالنص :

« ١ ـ غادر بادجورنى موسكو اليوم الرابعة بعد الظهر ، وكان فى وداعه بريجنيف وجميع أعضاء المكتب السياسى بما فيهم شيليست الذى حضر من أوكرانيا وكذلك جميع أمناء اللجنة المركزية . سيبيت بادجورنى الليلة فى بلجراد للقاء الرئيس تيتو ويصلكم غدا .

٢ ـ علمت أن مودعين لبادجورنى حضروا مباشرة من اجتماع للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى . واستمر الاجتماع بعد سفر بادجورنى .

السفير

مراد غالب »

---

(١٢) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٤٣٠٨ / ٥٣ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

وعلى الطائرة المصرية المسافرة فى ذلك اليوم من موسكو إلى القاهرة بعث « مراد غالب » بتقرير مكتوب(١٣) أراد للقاهرة أن تطلع عليه قبل أن يصل الرئيس السوفيتى إليها . وجاء فى التقرير ، وهو موجه إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » عن طريق سكرتارية المعلومات ما يلى :

« سفارة الجمهورية العربية المتحدة ـ موسكو

سرى جدا

التطورات الأخيرة فى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى

١ ـ بدأت الاندفاعات الأولى لتفسير موقف القوات المسلحة المصرية من جانب الاتحاد السوفيتى فى الهدوء وأصبحت الآن أكثر موضوعية ، وإن كانت لا تزال تنتقد سلوك قواتنا خاصة القوات الجوية ، وتحملها مسؤوليات كثيرة وإن اعترفت فى النهاية بأن القوى المعتدية كانت متفوقة تفوقا واضحا . وكل ما كان يرجوه السوفيت هو الصمود فى المعركة مدة أكبر لو أن القوات الجوية كانت مهيأة حقيقة لمهمتها الحيوية الحاسمة فى الحرب الحديثة .

٢ ـ كذلك ظهرت أخيرا عدة نظريات فى تفسير الأحداث الأخيرة فى الشرق الأوسط ، وأهمها فى نظرى ما كتبه الجنرال جلوب قائد القوات الأردنية البريطانى سابقا ، فقد نشر كتيبا من ٤٠ صفحة تقريبا يؤكد أن الاتحاد السوفيتى هو الذى خطط للأحداث الأخيرة فى المنطقة ، وهو الذى دفع الأحداث لتسير فيما سارت إليه من اصطدام مسلح بين العرب وإسرائيل ، وكان السوفيت متأكدين من إسراع أمريكا لمساعدة إسرائيل بشكل سافر مدبر .

٣ ـ يقول جلوب إن العرب قد يستاءون من موقف السوفيت لعدم مساعدتهم المساعدة التى توازى مساعدة أمريكا لإسرائيل ، ولكنهم ـ وبعد فترة وجيزة ـ لن يجدوا أمامهم سوى الاتحاد السوفيتى فيعودون مرة ثانية إلى التعاون معهم . ونظرا لاندفاع أمريكا فى عدائها للعرب خوفا على أصوات اليهود ، فالنتيجة النهائية ستكون ضياع المنطقة كلها بل والعالم العربى كله ونهائيا فى أحضان السوفيت .

---

(١٣) توجد صورة من الصفحة الأولى لتقرير السفير مراد غالب فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤٢) صفحة ١٠٣٨

٤ ـ **نظرية جلوب هذه تسيطر على عقلية عدد كبير من إخواننا العسكريين المصريين الذين يدرسون هنا فى موسكو ويرددون محتواها بثقة تامة حتى قبل أن تظهر نظرية جلوب هذه ، بل وقال لى بعضهم يوم ٨ يونيو إن الاتحاد السوفيتى يريد أن يتركنا حتى نغرق تماما ، ثم يأتى لكى يرفع رأسنا بضعة سنتيمترات لكى نتنفس ولكن لا لكى نقف على أقدامنا تماما .**

٥ ـ علمت من مصادر سوفيتية وثيقة ـ كوليوف ـ وهو نائب رئيس اللجنة الاقتصادية العليا ـ أن اجتماع اللجنة المركزية الأخير قبل سفر بادجورنى كان فى صالحنا ١٠٠ ٪ فقد خطب فيه بريجنيف وكان خطابه مطولا ، واستعرض فيه الأحداث فى منطقة الشرق الأوسط ، وشرح بالتفصيل كيف خطط الأمريكان لهذا العدوان من مدة ، وكيف ساعدوا إسرائيل ومدوها بكافة الوسائل لكى تنتصر انتصارا سريعا على العرب .

٦ ـ أكد بريجنيف أن الهدف الأساسى من الخطة هو القضاء على الأنظمة التقدمية فى العالم العربى وتثبيت أقدام الاستعمار وإرجاعه إلى المنطقة .

٧ ـ أكد لى المصدر أنه مدح كثيرا فى سيادة الرئيس ، ووصفه بأنه زعيم وقائد تقدمى يريد لشعبه أن يتقدم فى الطريق اللارأسمالى ويسعى إلى بناء المجتمع المصرى لكى يسير فى الطريق الاشتراكى . ثم استطرد بريجنيف فى خطابه يؤكد موقف الحزب الشيوعى السوفيتى الواضح والمؤيد للجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر ولسوريا والجزائر .

٨ ـ ذكر لى كوليوف أنه بعد انتهاء بريجنيف من خطابه بدأت مناقشة وأسئلة حامية ، وصاح فيه بعض أعضاء اللجنة المركزية مركزين على النقاط التالية :

أ ـ أين كان الاتحاد السوفيتى إذا كان تقديره لدوافع العدوان وأغراضه من القضاء على الأنظمة التقدمية صحيحا ـ أين كان الاتحاد السوفيتى إذن أثناء التجهيز لهذا العدوان وأثناء بدايته ؟

ب ـ ما هو تفسير بريجنيف لفترة الـ Indecision (التردد) ـ والميوعة التى سادت الجو فى الأيام الأولى للمعركة ، ووقوف الاتحاد السوفيتى موقفا مائعا أمام الغرب .

جـ - التأكد من عدم تكرار العدوان الإسرائيلى ، وضرورة تقديم كافة المساعدات للدول العربية لتصفية آثار العدوان وتقوية الجبهة التقدمية العربية .

٩ - إن ما ذكره كوليوف عن الخطاب الذى ألقاه بريجنيف وما صاحبه من مناقشات يتعارض تماما مع نظرية جلوب ، أو ما يفكر فيه بعض الإخوان العسكريين المصريين هنا فى موسكو . فالواقع أن الاتحاد السوفيتى مر بفترة Indecision (تردد) وقد شعرت بها تماما شخصيا ، ولا أعتقد أنها كانت تمثيلية .

١٠ - هناك محاولات جدية ومستمرة حتى الآن لتفسير موقف قواتنا المسلحة على أساس طبقى ، وأن ضباطنا وخصوصا الكبار منهم لا يؤمنوا ولن يؤمنوا يوما بالاشتراكية وأنهم تعودوا على العيشة السهلة البرجوازية ، واندفعوا كلية نحو مكاسب مادية . ولكى يصبح لدينا قوات مسلحة حقيقية علينا أن ندفع بالشبان من الفلاحين والعمال إلى المراكز القيادية .

١١ - كذلك روج السوفيت إشاعات كثيرة عن وجود خيانات داخل القوات المسلحة ، ووجود عملاء لـ .C.I.A (المخابرات المركزية الأمريكية) وبالتالى إسرائيل . ومن أهم القادة الذين ركزوا عليهم هو الفريق أول صدقى محمود الذى ادعوا أنه هرب إلى أمريكا .

١٢ - كلك اشتكى السوفيت من أن الأسلحة التى وصلت أخيرا إلى الجمهورية العربية المتحدة معروفة بالتفصيل نوعا وكما لدى المخابرات الغربية ، وأن لديهم معلومات دقيقة وأرقام تكاد تكون مطابقة للواقع .

١٣ - تطالب الجهات الحزبية السوفيتية وفى الدول الاشتراكية بمحاكمة الضباط المصريين المسؤولين عن الهزيمة وضربهم بالرصاص . كما تطالب بإنشاء تنظيم حزبى داخل الجيش يخضع للقيادة العليا للاتحاد الاشتراكى .

١٤ - كذلك يتكلم الكثيرون عن ضرورة تلقين قواتنا المسلحة كيف تموت فى سبيل هدف واضح ومبادىء واضحة . وضرورة الانتباه إلى أهمية التدريب المستمر والقاسى على المعارك الحربية ، وأهمية وجود الضباط

بين جنودهم يعلموهم ويرعون مشاكلهم حتى الشخصية منها ولا يشعروهم بأنهم طبقة أعلى منهم .

١٥ ـ كذلك لاحظنا خصوصا فى أول المعارك أن هناك اتجاها سوفيتيا إلى الإقلال من قيمة القوات المسلحة ، بل ومحاولة تحقيرها يقابلها محاولة لإعلاء شأن الجماهير الشعبية ودورها والاتحاد الاشتراكى ودوره ، **وبدا ولا يزال يبدو و كأنه خطة منظمة تستهدف إضعاف الجيش والتخلص من بعض العناصر المعادية للسوفيت حتى لا تستطيع القوات المسلحة أن تلعب دورا سياسيا . وبذلك يتخلص المخطط الشيوعى من قوة يعتبرها رجعية .**

. . . .

. . . .

[مجموعة نقاط أشار فيها السفير المصرى فى موسكو إلى اتصالات له مع عدد من زملائه من السفراء المعتمدين فى موسكو وبينهم عدد من سفراء الدول الإفريقية] .

٢١ ـ لاحظت نغمة جديدة تسرى بينهم (بين سفراء الدول الإفريقية) وأعتقد أنه موحى بها من السوفيت . وهى أن سياسة عدم الانحياز أصبحت عتيقة وبالية لا تستطيع أن تقف على قدميها أمام الاستعمار الأمريكى ، وعلى الدول النامية أن تتخذ مواقف واضحة بين المعسكرات المختلفة بما يتلائم مع اتجاهاتها .

٢٢ ـ أسير الآن على خطة عدم الإشارة إلى موقف السوفيت من تعطيل تسليحنا قبل العدوان ، ولا إلى الموقف المائع أثناء المعركة. كذلك أتفادى الخوض فى أية نظريات تستهدف إظهار أية مؤامرة أمريكية ـ سوفيتية ، أو مؤامرة سوفيتية منفصلة ، وأركز فقط على الصداقة السوفيتية ودور الاتحاد السوفيتى فى تدعيم حركات التحرر .

. . . .

. . . .

السفير

مراد غالب »

☐

كان مفروضا أن تؤدى زيارة « بادجورنى » للقاهرة إلى تأكيد الموقف السوفيتى المعادى للعدوان ، وإنهاء كل أسباب سوء الفهم التى تراكمت منذ بدأت المعارك حتى توقفت . ومع ذلك فإن زيارة « بادجورنى » بدأت بسوء فهم ، ففى نفس يوم وصوله إلى القاهرة بعث السفير « مراد غالب » من موسكو ببرقية شفرية(١٤) قال فيها :

« أرجو إبلاغ ما يلى إلى سكرتير الرئيس للمعلومات :

١ ـ قابلت اليوم كوزينتسوف نائب أول وزير الخارجية وأطلعنى على قرارات اللجنة المركزية التى انتهت أعمالها اليوم . وسيطلعكم عليها بادجورنى أثناء المحادثات . ولم أر داعيا لإرسالها لكم .

٢ ـ أشار كوزينتسوف إلى نشر خبر زيارة بادجورنى فى القاهرة وما سببه من حرج كبير ليس فقط بالنسبة لقادة الاتحاد السوفيتى ، ولكن حتى بين الجهات العليا . فكان من المفروض ألاّ يذاع الخبر وتبقى الزيارة سرية حتى يتم الاتفاق على إذاعتها . ولكن إسراع القاهرة لإذاعة النبأ ، وإعادة الإذاعات الأجنبية نشره على العالم وعلى الشعب السوفيتى دون أن تشير إليه وسائل الإعلام السوفيتية ، بل ودون أن يعلمه الكثيرون من كبار السوفيت سبب الكثير من الحرج .

٣ ـ كذلك أذاعت القاهرة من جانب واحد خبر وجود الماريشال زخاروف (رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية) فى الجمهورية العربية المتحدة ولم يكن هناك اتفاق على ذلك . بل قد يكون من المصلحة عدم إذاعة الخبر إطلاقا فى هذا الوقت ولو أن من المحتمل أن تعلمه المخابرات الغربية . إلاّ أنه كان من الأحسن ترك الدوائر الغربية تخمن سبب زيارته .

٤ ـ ذكر أن العالم يركز اهتمامه وأنظاره على علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتى فى الوقت الحاضر . وعلى هذا فمن الواجب التفاهم التام على نشر أية أخبار خاصة باتصالاتنا وما الذى ينشر ومتى !

السفير

مراد غالب »

---

(١٤) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٤٣٦٨ / ٦٢ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

بدأت زيارة « بادجورنى » بسوء فهم وانتهت بما هو أسوأ ، إذ وصلت فى بعض مراحل محادثاته فى القاهرة إلى سوء الظن . وكان الذى حدث هو أن « بادجورنى »(١٥) فى اجتماعه الأول مع الرئيس « جمال عبد الناصر » بدأ بنوع من الشكوى من الأسلوب الذى اتبعه الرئيس « بومدين » أثناء محادثاته فى موسكو قائلا « إنه جاء لخدمة وتدعيم هدف علاقات وثيقة بين السوفيت وأصدقائهم العرب لأن بعض العرب يوشكون بعصبيتهم أن يحققوا ما فشلت فيه القوى الاستعمارية » ثم استطرد « بأن الاستعماريين حاولوا ويحاولون باستمرار إيقاع سوء الظن بين الطرفين ولم ينجحوا رغم محاولاتهم المستمرة سنين طويلة ، ولكن الآن فإن بعض العرب يوشكون على إعطاء الاستعماريين مطالبهم كهدية مجانية » . ولم يجد « جمال عبد الناصر » أن هذا المدخل مناسب لبداية الحديث . وكان قوله إنه « عرف بالطريقة الغاضبة التى تصرف بها الرئيس بومدين فى موسكو ، وهو يريد أن يضيف للأمانة أن المشاعر التى عبر عنها بومدين فى موسكو هى مشاعر كثيرين فى العالم العربى . ولو أن الاتحاد السوفيتى دقق جيدا فيما تعنيه هذه المشاعر لعرف أنها دليل ثقة كانت معلقة على صداقته ، ونتيجة رغبة فى إعادة تأكيدها على أساس جديد » .

وتراجع « بادجورنى » عن نقطة البداية التى كان قد اختارها لحديثه . وراح يستعرض تطورات موقف الاتحاد السوفيتى منذ أن بدأت صداقته للعرب حتى جاءت الأزمة الأخيرة . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن « العودة إلى التاريخ الطويل للعلاقات العربية السوفيتية لا جدوى منها الآن ، وإنما المهم الآن مواجهة الموقف الطارىء كما هو بكافة مسؤولياته » .

وكان تقدير « جمال عبد الناصر » لهذا الموقف الراهن ومسؤولياته كما يلى :

« ١ ـ إن العرب ومصر بالذات تلقوا هزيمة لا شك فيها . وبصرف النظر عن المسؤولية فى هذه الهزيمة فإن العرب مصممون على تصفية آثارها مهما كان الثمن .

٢ ـ إن حالة وقف إطلاق النار فى رأيه لا يجب أن تستمر أكثر من ستة شهور على أكثر تقدير لأن استمرار هدوء الجبهات مع استمرار احتلال

---

(١٥) محاضر اجتماعات الرئيس « جمال عبد الناصر » والرئيس « نيكولاى بادجورنى » ابتداء من الصفحة الثالثة ، وهذه المحاضر مودعة فى محفوظات قصر عابدين .

الأراضى من شأنه أن يحدث تآكلا فى الروح المعنوية للأمة ، وهذا فى تقديره هو العنصر الأساسى فى الصمود العربى .

٣ ـ إنه والحال كذلك فإن جهدا خارقا فى إعادة التسليح والتدريب يجب أن يبذل فى هذه الفترة . ومصر شعبا وحكومة ، وغير مصر من شعوب الأمة العربية أيضا على استعداد لكل تكاليف وتضحيات هذه الضرورة .

٤ ـ إن الاتحاد السوفيتى له فى هذه المسؤولية دور كبير . وهو « لا يريد تحميل الاتحاد السوفيتى شيئا من تبعات ما حدث فى الماضى ، ولكنه يتوقع أن يكون الاتحاد السوفيتى مستعدا لتحمل نصيبه من تبعات المستقبل . وهو لا يريد ولا يستطيع أن يفرض على الاتحاد السوفيتى ما يجب أن يتحمله ، ويفضل أن يسمع من الاتحاد السوفيتى ما هو مستعد لتحمله .»

وانتقل زمام الحديث إلى « بادجورنى » الذى أشار إلى أن الاتحاد السوفيتى يقدر تقديرا عاليا صداقته مع « جمال عبد الناصر » والشعب المصرى وكل المواطنين العرب . وأن اللجنة المركزية قد ناقشت هذا الموضوع وقررت بالفعل وخولته إبلاغ « صديقنا الرئيس ناصر » أنهم سيؤيدونهم ضد الاستعماريين إلى أقصى الحدود . ثم قال « بادجورنى » إن « هناك نقطة سياسية لابد أن نتفق عليها من البداية ، ونحن طرحناها على الرئيس بومدين فى الجلسة الثانية معه بعد أن هدأت أعصابه . وهذه النقطة هى « **ما هى الشروط التى يمكن أن نتفق عليها مع الآخرين ـ هل أنتم مستعدون لفتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية وكذلك قناة السويس ، والسماح للأمم المتحدة بأن تتواجد مرة أخرى فى سيناء ؟ ثم ما هو الموقف من القدس ؟** » . » وكان رأى « **جمال عبد الناصر** » **أن هذه كلها قضايا من الخطأ طرحها للمناقشة الآن وإلاّ كنا نبدأ من أشد البدايات عرضة للانزلاق والسقوط . وكان رأيه بعد ذلك ، أن النقطة التى يجب التركيز عليها الآن وليس على غيرها هى استعادة القدرة القتالية للعرب . فبدون توافر هذه القدرة القتالية واختبارها فى ميدان القتال فعلا يصبح أى حديث فى التنازلات السياسية مجرد جوائز لمكافأة العدوان ، وهو شىء يستحيل قبوله سياسيا أو منطقيا .»**

ولبعض الوقت دار النقاش حول حجم الإمداد العسكرى من المعدات والذخائر المطلوبة للجمهورية العربية المتحدة . وبدون مقدمات انتقل « بادجورنى » إلى موضوع الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض المتوسط قائلا « **إن الأسطول الأمريكى السادس الذى**

لعب دورا أساسيا فى المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته . فى حين أن الأسطول السوفيتى كان تائها فى البحر مثل البراميل العائمة الشاردة إلى درجة أن بحارته لا يجدون أرضا ثابتة يستريحون عليها فى أجازاتهم ، وإنما على كل بحار منهم أن يقضى خدمة ستة شهور متواصلة فوق الموج حتى تتاح لوحدته فرصة العودة للراحة فى أحد موانى البحر الأسود .» وقال « جمال عبد الناصر » إنه « إذا كانت هذه هى المشكلة فنحن نرحب بهم فى أجازاتهم فى موانينا من الاسكندرية إلى بورسعيد » . ورد « بادجورنى » على الفور قائلا « لا داعى لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية ، وهذا قد يسبب مشكلة » . واستغرب « جمال عبد الناصر » هذه الملاحظة .

ومضى « بادجورنى » يقول « إنه يفضل أن تكون أجازات الأسطول السوفيتى فى الاسكندرية وفى مرسى مطروح إلى الغرب ، ولكن لأن القوات فى هذه الأماكن يجب أن تكون جاهزة فى أى وقت فمن الضرورى أن يكون هناك مركز اتصال بها على الأرض فى الاسكندرية أو فى مرسى مطروح ، وهذا يستتبع وجود هيئة للاتصال تملك وسائل كافية للاتصال مع قياداتها ، ولذلك فقد يكون من المستحسن أن يخصص لهيئة الاتصال مكان خاص تعمل منه بحرية بالتنسيق مع قيادة الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض . وحتى تكون هيئة الاتصال هذه فى مأمن فربما كان من الممكن البحث فى إعطائها الحق فى أن ترفع العلم السوفيتى على مقرها .»

وتدخل الماريشال « زخاروف » (رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية الذى كان يحضر الاجتماع) يزكى هذا الطلب قائلا « إن هذا سوف يكون تعبيرا عن الوحدة الرفاقية بين القوات المسلحة المصرية وبين القوات المسلحة السوفيتية » .

وجاء الدور على « جمال عبد الناصر » ليبدى رأيه فيما سمع ، فقال « إن ما سمعه من الرئيس بادجورنى ، ومن الماريشال زخاروف له فى رأيه معنى واحد وهو أن الاتحاد السوفيتى يطلب قاعدة بحرية فى مصر ، وهذا مخالف لمبادئها ، ومع ذلك فهو مستعد للموافقة عليه إذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن يتحمل مسؤوليات قتالية فى المعركة القادمة » . ثم استطرد « جمال عبد الناصر » قائلا إنه يريد أن يسمى الأشياء بأسمائها ولا يسمح لنفسه فى هذه اللحظات بأن يلف ويدور حول الشكليات ، وأنه يستطيع أن يقنع الشعب المصرى بقبول قاعدة بحرية سوفيتية على الأرض

المصرية إذا كان الاتحاد السوفيتى مستعدا لتحمل مسؤوليات قتالية . ففى هذه الحالة تكون هذه القاعدة خدمة للمعركة ، وفى غيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية . والذى فهمه هو أن الاتحاد السوفيتى لا يريد أن يتحمل مسؤوليات قتالية باعتبار أن ذلك سوف يؤدى حتما إلى مواجهة مع الأمريكيين . وإذا كان بادجورنى قد خشى من نزول بحارة الأسطول فى بورسعيد للأجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسرائيلية ، فإنه لا يتصور أن يكونوا مستعدين بقاعدة فى الاسكندرية لمهام قتالية مع مصر . ثم أضاف إنه لو كان مستعدا للعمل فى خدمة استراتيجيات قوى عظمى لما كان هناك داع لكل هذا العناء الذى تحمله الشعب المصرى . ورتب « جمال عبد الناصر » على ذلك رفضا قاطعا للطلب السوفيتى قائلا بالحرف : « أجازات للبحارة على الرحب والسعة ، وأما مواقع مستديمة على البر وهيئات اتصال وأعلام فهذا ما لا يستطيع قبوله ، بل إن معناه بطريقة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه ، وهو أن يظهروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السوفيتى . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » طبقا لمحضر الاجتماع الرسمى (صفحة ٤١) ما نصه :

« لقد بقيت فى هذا الموقع خمسة عشر عاما حتى الآن ، ودعوتى الرئيسية هى رفض القواعد العسكرية الأجنبية على الأرض العربية . بل ونحن الآن نضغط على ملك ليبيا من أجل إزالة القاعدة الأمريكية فى بلاده . ولا أتصور أن أجىء أنا فى هذه اللحظة وأقبل عكس ما ناديت به طول عمرى ، وضد ما ألح به على الآخرين . »

ثم أثيرت فى المحادثات بعد ذلك مسألة رغبة مصر فى الاستعانة بأكبر عدد من الخبراء السوفيت فى مرحلة إعادة بناء القوات المسلحة ، وطرأت مسألة دفع مرتباتهم ، وإذا « بادجورنى » يلح على أن يكون الدفع بالعملة الصعبة فى الوقت الذى كان « جمال عبد الناصر » يرى فيه أن يتحمل الاتحاد السوفيتى كل مرتبات خبرائه . ولم يجادل « جمال عبد الناصر » طويلا فى هذه النقطة ، ولم ير ذلك حقا ثابتا له بعد أن رفض رفضا قاطعا طلب السوفيت للحصول على قاعدة لأسطولهم .

كانت المحادثات معقدة ، ثم أمكن تلطيف أجوائها قرب النهاية . ولكن الضرر كان قد وقع فعلا ، وأضيف سوء الظن فى نهاية الزيارة إلى سوء الفهم الذى حدث مع بدايتها .

٣

كان « جمال عبد الناصر » محقا فى تقديره الذى أبداه لـ « بادجورنى » فى أول حديثه معه بأنه فى ظل الأوضاع التى أسفرت عنها المعارك فإن الموقف كله سائر إلى التآكل ما لم يثبت العرب قدرتهم على العودة إلى ميدان القتال بأسرع ما يمكن . وفى باريس مثلا كان الرئيس « ديجول » قد حدد موقف فرنسا المبدئى من أول لحظة بأنه ضد الطرف البادى بإطلاق النار .

وفى يوم ٦ يونيو بعث سفير الجمهورية العربية المتحدة فى باريس (السفير « عبدالمنعم النجار ») ببرقية شفرية(١٦) إلى القاهرة نصها كما يلى :

« قابل سفير الجزائر الرئيس ديجول أمس . أبلغه وجهة نظر الجزائر فى قضية فلسطين واشتراك الجزائر بقواتها المسلحة فى الحرب الدائرة ، وذلك بناء على تكليف من الرئيس بومدين . أشار ديجول بضرورة حل المشكلة جذريا مع مراعاة حقوق اللاجئين . يعتبر أن إسرائيل هى المعتدية وسوف يمتنع عن تقديم أية معونة لها تمشيا مع ما أعلنته فرنسا من قبل . يعتقد (الرئيس ديجول) أن الأمريكان فى المؤامرة «Dans Le Jeu.». وموقف فرنسا (فى رأيه) على الحياد وبعيدة فى الوقت الحاضر حتى لا تزج فى المشكلة ، ولكنها ستكون أكثر إيجابية فى الاشتراك فى حل جذرى عادل مستقبلا .»

وبعد عدة أيام عاد السفير « عبد المنعم النجار » يبعث إلى القاهرة ببرقية شفرية(١٧) أخرى عن مقابلة تمت بين الرئيس « ديجول » وبين وزير الخارجية الجزائرى السيد « عبد العزيز بوتفليقة » ، وفى هذه المقابلة قال الرئيس « ديجول » بالحرف : « **إن ما وقع فى الشرق الأوسط له علاقة مباشرة بحرب فيتنام** » .

---

(١٦) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٣٨٠٤ / ٧٢ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة ، وهى منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤٣) صفحة ١٠٣٩

(١٧) محفوظات قصر عابدين وأرشيف وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٤٤٤١/ ٩٢ .

وبإشارة الجنرال « ديجول » السابقة إلى أن الأمريكيين داخلون فى اللعبة ، ثم بإشارته اللاحقة إلى صلة مباشرة بين ما وقع فى الشرق الأوسط وتورط « جونسون » - كان رجل الدولة الفرنسى الكبير قد وضع يده على الحقيقة كاملة فى شأن العاصفة التى هبت وانفجرت فى الشرق الأوسط .

ومع ذلك فإنه حتى الجنرال « ديجول » كان لزاما عليه أن يراعى الحقائق المستجدة فى الموقف .

ويوم ١٧ يونيو ١٩٦٧ عاد السفير « عبد المنعم النجار » يبعث من باريس ببرقية شفرية (١٨) يقول فيها :

« أخطرنى السفير السوفيتى زورين بما يأتى :

١ - لمسوا أثناء المناقشات التى دارت أمس بين كوسيجين وديجول أن الثانى أصبح مترددا فى تحديد موقف نهائى لفرنسا . وعلى الرغم من أنه يسلم بأن إسرائيل قد بدأت بالعدوان ، وأنها يجب أن تجلو عن الأراضى التى تحتلها فإنه يرى أن يتم ذلك فى نطاق تسوية شاملة للمشكلة .

٢ - أوضح السوفيت إصرارهم على دفع العدوان وضرورة سحب القوات الإسرائيلية كبداية أساسية لحل القضية ، وأن عدم توضيح موقف فرنسا إزاء ذلك يعتبر انضماما لوجهة النظر الأمريكية .

٣ - نفى ديجول ذلك بشدة ، ولكنهم أحسوا أنه بدأ يشعر بوجوب اتخاذ موقف أوضح .

٤ - يشعرون أن فرنسا واقعة تحت تأثير أمريكا من الداخل والخارج . وأنه يجب مواجهته بضغط متزايد من الاتحاد السوفيتى ، وذلك سبب توقف كوسيجين بباريس ، ومن البلاد العربية التى وضح لهم اهتمام ديجول بمصالح فرنسا بها - خاصة عن طريق الجزائر بالنسبة للبترول - والجمهورية العربية المتحدة معنويا ، وعن طريق تعبئة العالم الثالث والجمعية العامة مما ينعكس أثره على موقف فرنسا .

٥ - ألمح الفرنسيون إلى إمكان النظر فى انسحاب القوات الإسرائيلية من

---

(١٨) محفوظات وزارة الخارجية - البرقية رقم ٤٢٠٥ / ٨٤ - وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

جزء من الأراضى المحتلة كحل وسط للموقف الحالى ، وقد عارض السوفيت هذا الاحتمال بشدة وأكدوا إصرارهم على عدم مكافأة المعتدى .

السفير

عبد المنعم النجار »

وبعد أيام عاد السفير « عبد المنعم النجار » يبعث إلى القاهرة ببرقية شفرية(١٩) جاء فيها :

« إشارة إلى برقيات الوزارة الرمزية رقم ١٥٦ / ٢٨٩٠ و١٥٧ / ٢٩٠٤ قام الوزير المفوض بالسفارة بمقابلة مدير إدارة الشرق الأوسط بالخارجية الفرنسية ، وسأله عما تردد من تسليم فرنسا لعدد من طائرات (الميراج ـ ٤) لإسرائيل . ونفى مدير الشرق الأوسط ذلك تماما . وسأله الوزير المفوض عن باقى الأسلحة ، وأجاب مدير إدارة الشرق الأوسط بأن الحظر بالنسبة للأسلحة بما فيها الطائرات وقطع الغيار قائم وفعال ولا يحدث تهريب من فرنسا . أما بالنسبة لوصولها لإسرائيل عن طريق دولة ثالثة فإن الأمر غير مستبعد بالنسبة لقطع الغيار ، إذ أن رقابة فرنسا على بيعها من قبل دولة ثالثة صعبة التحقيق .

ذكر الوزير المفوض لمدير إدارة الشرق الأوسط أن معلوماتنا تفيد أن نسبة مبيعات فرنسا من قطع الغيار قد تضاعفت أخيرا بصورة غير طبيعية ، وقد وعد بمحاولة التأكد من هذا الموضوع . وذكر أن الدول التى يمكن بواسطتها التهريب إلى إسرائيل هى سويسرا وهولندا وجنوب أفريقيا وأستراليا .

السفير

عبد المنعم النجار »

□

---

(١٩) محفوظات وزارة الخارجية ـ البرقية رقم ٥٤٩٥ / ١١٨ ـ وتوجد نسخ منها بأرشيف قصر عابدين ، وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة المخابرات العامة .

كان رئيس الوزراء السوفيتي « أليكسي كوسيجين » قد مر بباريس والتقى بالرئيس « شارل ديجول » في طريقه إلى نيويورك لحضور الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة التي بدأت أعمالها يوم ١٧ يونيو ١٩٦٧ . ويوم ١٩ يونيو وقف « كوسيجين » أمام الجمعية العامة يقول « **إن عدم انسحاب إسرائيل يهدد بتجدد القتال وذلك قد يؤدي إلى حرب نووية** » . ثم أضاف « كوسيجين » **إن الولايات المتحدة « هي المسؤولة عن الحرب ، وهي التي شجعت إسرائيل على العدوان وقدمت لها مختلف أدواته بما فيها مساعدات محددة من الأسطول الأمريكي السادس** » .

وفي يوم ٢٣ يونيو التقى « كوسيجين » مع الرئيس الأمريكي « ليندون جونسون » . وقد وقع بينهما خلاف شبه عبثي حول مكان الاجتماع ، فقد رأى « كوسيجين » أن يكون الاجتماع بين الاثنين في الأمم المتحدة ، ورفض « جونسون » مقترحا أن يكون الاجتماع في واشنطن ، ورفض « كوسيجين » . ثم اقترح « جونسون » عقد الاجتماع في كامب دافيد ، ورد « كوسيجين » بأن كامب دافيد لا يختلف عن البيت الأبيض في واشنطن .

ثم استقر الرأي أخيرا على أن يكون الاجتماع في قرية « جلاسبورو » بولاية نيو جيرسي ، وهي منتصف الطريق تماما بين نيويورك وواشنطن . وبذلك يكون كل منهما قد خطا نصف المسافة إلى الآخر !

وكانت تلك كلها محاولات في الأشكال أكثر منها اقترابا إلى صميم القضايا . وفي هذا الاجتماع الذي كان مفروضا أن يعقد لبحث أزمة الشرق الأوسط استطاع « جونسون » تحقيق أهدافه كما رسمها « والت روستو » في اجتماع مجلس الأمن القومي (الذي سبقت الإشارة إليه وإلى وثائقه) ـ ذلك أنه لوح لـ « كوسيجين » بصفقة في مشكلة سباق السلاح ، وهي المشكلة التي كانت تلح عليه أكثر من غيرها ، **فإذا أزمة الشرق الأوسط تعود إلى المكانة الثانية في ترتيب أولويات العلاقات بينهما . وبعد خمس ساعات ونصف من الاجتماع معا في مكتب رئيس كلية « جلاسبورو » خرج الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء السوفيتي وقد ابتعد شبح الحرب النووية التي أشار إليها « كوسيجين » في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .**

كانت المواقف تتآكل ، وكان على القاهرة أن تقوم بعملية مراجعة كاملة ومن الأساس .

الفصل الثانى

البحث عن الحقيقة ؟

١

وكان لابد أن تكون أول خطوة فى المراجعة هى المعرفة اليقينية لما جرى ؟ وكيف جرى ؟ ولماذا جرى ؟ وكانت هناك حقيقة أولية تفرض نفسها على أى محاولة للمراجعة ، وهى أن الحرب مع إسرائيل كان يجب أن تكون حرب الأمة العربية كلها وليس حرب جزء منها فقط . فجذور فكرة إسرائيل فى قلب المشكلة اليهودية العالمية ، وكذلك طبيعة علاقة إسرائيل مع الغرب ـ كانت تجعل الحرب معها أكبر من طاقة طرف عربى بمفرده .

ولكن الأمة لم تكن مستعدة ولا كانت فى وضع يسمح لها بالاستعداد ، فقد كانت لا تزال تعيش قضية الفراغ الناشىء عن انهيار نظام الخلافة العثمانية . ذلك أن نظام الخلافة كان هو النظام الذى رتبت عليه الأمة العربية اعتبار أمنها طوال ما يقرب من خمسة قرون . وحين وصل هذا النظام بعد حقب طويلة من الضعف والتردى ـ إلى حالة الانهيار الكامل فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، حاول الاستعمار الغربى لفترة من الزمن أن يملأ الفراغ الأمنى ، ولكن هذه المحاولة لم تتحول إلى نظام لأن العصر الامبراطورى بأسره كان فى طريقه إلى زوال . وهكذا انفسح المجال لقوى محلية تجرب ملء الفراغ وتدعى كل منها حقا فى قيادة نظام عربى جديد .

وبصفة عامة فقد كانت هناك منافسة شديدة بين ما يمكن تسميته إجمالا بـ « الصحارى » وبين « الوديان » . كانت « الصحارى » هى القبائل التقليدية القديمة ، وكانت « الوديان » (النيل والفرات والواحات الخضراء بينهما فى الشام » هى الغواصم الحضرية العربية التى برز دورها فى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين :

□ **وعلى ناحية الصحارى** كانت هناك الدعوات المتصارعة بين الأسرة الهاشمية وبين الأسرة السعودية . وفى فترة الثورة العربية الأولى تحالفت المدن العربية (وبالذات دمشق) مع الهاشميين فى الدعوة إلى دولة عربية كبرى تحل محل دولة الخلافة . ولأسباب عديدة لم ينجح هذا التحالف فى إقامة ولة الهاشمية الكبرى لأن الحلف بين الاثنين كان حلفا تجاوزته الطموحات ، ذلك أن مدن كانت تريد الدولة العربية الكبرى ولا يهمها العرش ، فى حين أن الهاشميين كا يريدون العكس . وبرغم ذلك فإن آمال الخلافة ظلت تراودهم بعد سقوط الخلافة العثم رسميا ، إلى درجة أن الملك « عبدالله » أقام فى عمان يوم ١١ مارس ١٩٢٤ ــ وبعد لان « أتاتورك » فى أنقرة عن إلغاء الخلافة ــ حفلا دينيا لمبايعة والده « الشريف حسين » بخلافة المسلمين ، وكان إعلان البيعة بالنص كما يلى :

« لما كان الإمامة الكبرى والخلافة العظمى نظام عقد الأمة وسند قوام الأمة ، وكان أمر صيرورتها وكيفيتها وما جرى فيها مدونا ومنقولا .. فإقدام حكومة أنقرة على ذلك المقام المكرم كيفما كان شكله جعل أولى الرأى والحل والعقد من علماء الدين المبين فى الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى وما جاورهما من البلدان .. يفاجئوننا ويلزموننا بيعتهم بالإمامة الكبرى والخلافة العظمى حرصا على إقامة شعائر الدين وصيانة الشرع المبين لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا إمام .

وعليه لما كانت المملكة الهاشمية والقطعة المباركة الحجازية مهد الإسلام ومحل ظهوره ومطلع نوره والعمل فيها باحكام كتاب الله وسنة رسوله .. وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع والمبايع له انطباقا لا يتصور حصوله فى أى مملكة أخرى .. كان حقا علينا إجابة ذلك الطلب الدينى المشروع » !

أكثر من ذلك فإن الخليفة الهاشمى الجديد وقع مرسوما بمنح معاش استثنائى لأسرة الخليفة العثمانى الذى شرده قرار « كمال أتاتورك » ـ بإلغاء الخلافة !

ومع تبعثر قوى الثورة العربية الأولى تمكن السعوديون من طرد الأسرة الهاشمية

من معقلها فى الحجاز ، وتزايدت آمالهم فى أن يكون إرث الخلافة لهم ، وكان ذلك فى الواقع طموح الملك « عبدالعزيز آل سعود » .

□ **وعلى ناحية المدن** فإن القاهرة التى زاد إشعاعها الحضارى بحركة النهضة فى أوائل القرن العشرين ـ راحت تشد أنظار بقية الأمة العربية . وراح حلم الخلافة يراود السلطان « فؤاد » (الملك « فؤاد » فيما بعد) ووجد من مشايخ الأزهر من يزين له هذا الحلم . لكن قوة الاندفاع إلى العصر الحديث فى مصر أبقت على قوة الإشعاع الحضارى وزادت منه وصرفته بعيدا عن فكرة الخلافة ، واستطاعت توجيهه بتضافر قوى التأثير والنفوذ فى معظم المدن العربية وأوصلته إلى فكرة الجامعة العربية .

ولم يتوقف الصراع بين الهاشميين والسعوديين حتى بعد قيام الجامعة العربية . وجاء وقت تحالفت فيه مصر مع السعوديين ضد الهاشميين ، ثم خسر الهاشميون آخر مواقعهم الكبيرة بعد ثورة سنة ١٩٥٨ فى العراق . وتركزت المنافسة فى العالم العربى بين الصحارى والوديان ، لبعض الوقت بين القاهرة والرياض . وكانت تلك فترة النصف الثانى من الخمسينات والنصف الأول من الستينات .

كانت مصر تؤسس دعوتها فى العالم العربى على فكرة القومية العربية ، وعمادها فى ذلك مؤسسات الجامعة العربية إلى جانب تيار شعبى جارف جذبته زعامة « جمال عبد الناصر » .

وفى مواجهة ذلك كانت الأسرة الحاكمة فى السعودية تؤسس دعوتها على تصور لحلف إسلامى تسنده إمكانيات المملكة المالية الضخمة ، وتشجعه القوى الخارجية التى تخشى من نفوذ وانتشار حركة القومية العربية . وكانت تلك محاولة لإقامة شكل جديد من أشكال الخلافة ، وهو ما تأكد بعد ذلك حينما اختار ملك السعودية لنفسه لقب « **خادم الحرمين الشريفين** » . وكانت لهذا اللقب قصة طويلة تؤكد ارتباطه بفكرة الخلافة ، ذلك أنه فى القرن الثالث عشر وعندما اجتاح التتار بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله ـ كان الظن أن الخلافة انتهت . لكن سلاطين المماليك فى مصر أرادوا إضفاء الشرعية على حكمهم ومن ثم قرر « الظاهر بيبرس » (أحد المماليك العظام) أن يستعين بمن يستطيع العثور عليه من سلالة الخلفاء ، ووجد بغيته فى رجل استطاع أن يثبت نسبه إلى آخر الخلفاء (الخليفة المستعصم بالله) ومن ثم بايعه فى القاهرة تحت اسم « الخليفة المستنصر بالله » . وبعد البيعة قام الخليفة الجديد بتقليد « الظاهر بيبرس » سلطنة البلاد الإسلامية . وظل أمر الخلافة على هذا النحو حتى جاء الغزو العثمانى ودخل السلطان « سليم » إلى القاهرة منتصرا على السلطان « الغورى » وعلى صديقه الخليفة المتوكل .

وكانت فكرة الخلافة قد راودت السلطان « سليم » بعد سيطرة جيوشه على معظم العالم العربى . وقد وجد إن أسرته التى دان لها حكم العالم الإسلامى أحق بالخلافة من غيرها ، ولكن مشكلتها أنها لا تستطيع أن تنسب نفسها إلى رسول الله . وهكذا رأى السلطان « سليم » أن يكون نسبه إلى الحرمين الشريفين واختار أن يكون لقب الخليفة هو « خادم الحرمين الشريفين »(١) . وظل هذا اللقب مع أسرته حتى انتهوا وانتهت معهم الخلافة وظهر الفراغ . وفى الصراع بين الهاشميين والسعوديين كان فى استطاعة « الشريف حسين » وأولاده أن ينسبوا أنفسهم إلى الرسول ، وكان على السعوديين عندما واتتهم الظروف أن يختاروا البديل العثمانى ، وهو خدمة « **الحرمين الشريفين** » نسبا وقربى .

كانت الصحارى قادرة ذات يوم على تجديد قوة الدولة العربية ، فقد كانت مع بدء رسالة الإسلام هى القاعدة الأساسية التى انطلق منها الفتح . وبعده لفترة طويلة ظلت رصيد « العصبية » و« الشوكة » على حد تعبير المفكر الإسلامى الأعظم « عبد الرحمن بن خلدون » ـ **لكنها لم تعد كذلك خصوصا مع عصر البترول ، فقد أصابها داء « الترف » قبل أن يقتحم محاربوها المدن يجددون شباب الدول أو يقيمون دولا جديدة !**

□

ولم يدم التحالف بين القاهرة والرياض طويلا ، فباختفاء العرش الهاشمى فى بغداد (١٩٥٨) أصبحت المواجهة بين العاصمتين وما تمثله كل منهما مواجهة سافرة . وفى جزء منها فإن تلك كانت طبائع التطور فى أمة تخطو من العصر القبلى إلى ما بعده ، ومن أفكار وقيم سلفية إلى أفكار وقيم تتصل بالحقائق المتطورة فى العصر وفى العالم . وقد بدأ الصراع بين العاصمتين خفيا فى فترة من الفترات . وفى فترة لاحقة تحول الصراع إلى حرب باردة ، وفى مرحلة أخيرة فى الستينات تحول إلى حرب ساخنة وشبه مباشرة فى اليمن . وفى غمرة هذا الصراع انقضت أزمة سنة ١٩٦٧ .

ويمكن أن يقال بشكل عام أن تجمع الصحارى فى العالم العربى فوجىء بنتيجتها ، كما فوجىء مجتمع المدن والريف المحبط بها . وكان مبعث مفاجأة تجمع الصحارى هو نفس السبب الذى تخوف منه البعض فى الولايات المتحدة ذاتها ، وهو اتساع مسرح العمليات . فدخول إسرائيل إلى الضفة الغربية والقدس كان طارئا لم يتأهب له أحد من

---

(١) « ابن اياس » ـ ودائرة معارف الإسلام الشهيرة ـ المجلد الرابع صفحة ٨٩٩ .

الطرفين ، فكلاهما رأى احتمال حرب بين مصر وإسرائيل ، ولكن كليهما لم يتوقع أن تخرج إسرائيل عن الخطوط المرسومة وتقوم بتوسيع مسرح العمليات إلى الحد الذى وصلت إليه . وفى حين أن الولايات المتحدة الأمريكية تمكنت بسرعة من استيعاب الوضع الطارىء وإعادة ترتيب سياستها على أساس المستجدات الطارئة ـ **فإن تجمع الصحارى وقف حائرا أمام النتيجة التى انتهى إليها القتال . ولعله أحس بالحرج الشديد ، كما أحس بالخطر الداهم لأن الحليف الرئيسى وهو الولايات المتحدة أصبح فى مقدوره أن يستغنى عن كل الأطراف العربية باستعمال إسرائيل كسلاح ردع نهائى يسوق أمامه جميع العرب على اختلاف توجهاتهم السياسية والاجتماعية إلى حيث تريدهم الولايات المتحدة . كان تحول إسرائيل بنتيجة معركة ١٩٦٧ من مجرد أداة من أدوات الولايات المتحدة فى المنطقة إلى شريك كامل لها ـ واقعا لابد للكل أن يخشوه ويحسبوا له كل حساب .**

□

وفى أيام احتدام المعركة ، وبالتحديد مساء يوم ٧ يونيو كان « جمال عبد الناصر » يدرك على نحو غامض غير قادر وقتها على الإلمام بكل الحقائق الخفية ـ أن الظروف فى العالم العربى تغيرت على نحو جذرى عما كانت عليه قبل أن يبدأ القتال .

وصباح يوم ٨ يونيو كتب « جمال عبد الناصر » خطابا موجها إلى الملك « فيصل » جاء فيه بالنص :

« الأخ الملك فيصل آل سعود(٢)

تحية عربية مخلصة

إن مقتضيات الموقف وتطوراته تقتضى فى تقديرى أن ينجلى الآن موقف عربى موحد قاطع وحاسم . وفى رأيى أن مثل هذا الموقف سوف يكون له أثره الكبير على المعركة المقدسة التى تخوضها شعوبنا وقواتنا المسلحة الآن . وأقترح الصيغة التالية للبيان الموحد مع العلم أننى سوف أبعث به أيضا إلى جميع ملوك ورؤساء الدول العربية لكى يصدر باسمهم جميعا .

نص البيان المقترح :

---

(٢) تم توجيه الخطاب أيضا إلى كل ملوك ورؤساء الدول العربية ـ وتوجد نسخ منه فى ملفات المراسلات العربية مع كل الملوك والرؤساء العرب ومجملها فى محفوظات قصر عابدين .

إن ملوك ورؤساء الدول العربية بعد اتصالات ومشاورات بينهم ، ومدفوعين بوعى كامل لمسؤوليتهم التاريخية ، وعارفين بخطورة تحدى المصير الذى تواجهه الأمة العربية هذه الساعات قد اتفقوا على أن يعلنوا مايلى :

١ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية يجدون الآن أنه ليس هناك بديل عن وقفة موحدة وحاسمة ضد العدوان الإسرائيلى المدعم بقوى الاستعمار .

٢ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية مقتنعون تماما بأن إسرائيل لم تكن لتستطيع الإقدام على ما أقدمت عليه بغير عون عسكرى مركز ومستمر من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرهما من الدول الضالعة معهما .

٣ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية فى الوقت الذى يصممون فيه على الوقفة الحازمة ضد العدوان الإسرائيلى ، يؤكدون أن هذا الموقف لا تتحقق فاعليته الكاملة بغير اتخاذ نفس الموقف إزاء القوى الاستعمارية الأجنبية التى تدعمه ، وبغير تقدير عملى وإيجابى لموقف القوى التى شجبت العدوان أو التى أثبتت أنها تستطيع أن تنظر إلى الأمور بنظرة موضوعية مستقلة .

٤ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية مصممون على أنه لن تكون لأى دولة من الدول المدعمة للعدوان الإسرائيلى موقع قدم فى أى وطن من أوطان الأمة العربية ، وفى أى مجال من المجالات ما لم تصحح هذه الدولة موقفها فورا .

٥ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية يعتبرون أن الوقفة الجبارة لشعوب الأمة العربية قد أذابت نهائيا وإلى الأبد أية أسباب للخلافات العربية .

٦ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية مقتنعون بأن نظاما عاما جديدا يجب أن ينشأ فى الوطن العربى كله قائما على وحدة المصير التى تأكدت بالدم فى ميادين القتال التى تحارب عليها كل الشعوب العربية الآن . ويرون أن ينعقد مؤتمر قمة عربى فى أقرب فرصة بعد انتهاء هذه المعركة المصيرية لوضع إطار النظام العربى المقترح قائما على التعاون الصادق ، وعلى الثقة المتبادلة ، وعلى إنكار الذات ، وعلى

أمانى الشعوب العربية الباقية والخالدة بعد أى فرد وفوق أى منصب .

٧ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية وهم يعرفون أنهم يواجهون موقفا كبيرا ومسؤولية ضخمة يعلنون أن جميع الموارد العربية وكل الإمكانات والطاقات سوف تخصص كلها لخدمة معركة المصير دون قيود أو حدود . وهم يعتبرون أن القوى التى ناصبت الأمة العربية العداء وسهلت للعدوان الإسرائيلى يجب أن تتحمل بتكاليفه .

٨ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية يقررون الآن ، ولكى تكون وجهة نظرهم واضحة أمام جميع الأطراف ، أن يتوجه الملك حسين ملك الأردن متحدثا باسمهم جميعا وفى أسرع وقت إلى مقابلة مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن يتوجه الرئيس هوارى بومدين باسمهم جميعا وفى أسرع وقت إلى مقابلة مع رئيس حكومة الاتحاد السوفيتى - لشرح الظروف والعواقب التى يمكن أن تترتب على استمرار العدوان الإسرائيلى المدعم بالقوى الأجنبية ، ومضاعفات ذلك على السلام العالمى كله .

٩ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية يتوجهون الآن بالنداء إلى كل الشعوب الحرة والصديقة والمؤمنة بسلام يقوم على العدل أن يرفعوا أصواتهم عالية لنصرة الحق العربى ، وأن يقدموا للجهد العربى الباسل كل ما فى طاقتهم من عون .

١٠ - إن ملوك ورؤساء الدول العربية قد أصدروا أوامرهم إلى كل سفرائهم فى جميع العواصم أن يطلبوا مقابلة رؤساء الدول أو الحكومات المعتمدين لديهم ، وأن ينقلوا إليهم كلمة عربية واحدة بحقيقة الموقف وأبعاد المعركة . وهم لا يطلبون إلى أحد أن يختار بينهم وبين أى طرف آخر . ولكنهم يعتقدون بصدق أن الاختيار المطروح هو اختيار بين الحرية وبين السيطرة الأجنبية وقواعدها العدوانية .

(إمضـاء)
جمال عبد الناصر »

كانت الكلمات حارة والمشاعر دافقة ، ولكن الواقع كان يفرض حقائقه فوق كل الاعتبارات .

والحاصل أن البند الوحيد الذى جرت الاستجابة إليه من بنود هذه الرسالة هو سفر

الرئيس « بومدين » فعلا إلى الاتحاد السوفيتى ، وسفر الملك « حسين » بعده بأيام قليلة إلى واشنطن . كما أن الأحاديث بدأت تتردد عن ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى فى وقت قريب . وأما ما عدا ذلك فإن الظروف كانت قد سبقته بكثير ، وحتى من قبل أن تسبقه الظروف فإن الأمة التى كانت منهمكة فى حروبها الأهلية ـ خفية أو باردة أو ساخنة ـ لم تكن مستعدة لمواجهة عدوها ، بل إنها لم تكن متفقة فيما بينها على إجابة للسؤال البدهى الذى يواجه كل المحاربين وهو « من العدو ؟ »

٢

كان هناك جانب فى القضية أعمق بكثير وأبعد فى التاريخ من مشكلة الإجابة على سؤال « من هو العدو ؟ » ـ وهو أن الأمة العربية كانت معزولة بالكامل عن فكرة الحرب فى حد ذاتها . ورغم أن موقع هذه الأمة على خريطة العالم هو موقع قاعدى « «Pivotal» فى وسط القارات والبحار وعند نقاط التقائها وافتراقها وهو ما يفرض عليها أن تكون طرفا رئيسيا فى الصراعات الدائرة حولها ، إلاّ أن المنطقة لسوء الحظ تحولت من طرف فى الصراعات إلى مجرد ساحة لها بين متصارعين من خارجها . والواقع أنه منذ نهايات العصر الفرعونى فإن المنطقة خضعت باستمرار لقوة إمبراطورية دخيلة ، أو لغزاة ومغامرين جاءوا إليها من بعيد وتولوا هم إدارة الصراعات فيها لحساب مصالحهم أو مطامعهم . وهكذا تعاقب الفرس واليونان والبطالسة والرومان فى السيطرة على مقادير المنطقة . ثم جاء الفتح العربى ، ولقرن من الزمان تأسست الامبراطورية الإسلامية الكبرى . ثم مالت الشمس إلى الغروب مع سيطرة القواد الأتراك على الدولة العباسية . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحرب اختصاص الأمراء الأتراك والأمراء المماليك ثم الأمراء العثمانيين . وفى هذا كله لم يكن للأمة دور فى قصة الحرب فيما عدا فصل عابر فترة الحروب الصليبية.

فى هذه العصور كلها كانت الأمة العربية تعرف فكرة التمرد وفكرة العصيان وفكرة الثورة ، وقد مارستها جميعا بالفعل فى لحظات مختلفة من حياتها . لكن الحرب ظلت فكرة بعيدة تائهة فى الماضى السحيق متصلة بحماسة الشعراء أكثر من اتصالها بالدفاع عن الأوطان أو بناء الامبراطوريات .

وبدأت الأحوال تتغير على نحو ما بعد صدمة اللقاء بين فرسان المماليك بجيادهم المطهمة بالفضة وسيوفهم المطعمة بالذهب ، وبين جيوش « نابليون » وتنظيمها العصرى ومدافعها المحشوة بالبارود الثقيل . فقد كان ذلك اللقاء صدمة للشرق كله ، وكانت يقظته هى عصر « محمد على » الذى ولى الحكم فى مصر مدركا أهمية موقعها وضرورة قيام جيش قوى فى هذا الموقع يدافع عنه أو ينطلق منه . ولكن « محمد على » لم يكن مؤمنا بمقدرة العنصر العربى على استيعاب فكرة الحرب ، ورغم أنه جند فى جيشه ألوفا من أبناء الفلاحين إلاّ أنه كان يعتقد أن هؤلاء الفلاحين قادرون على الاحتمال ، وأن هذه هى ميزتهم الكبرى فى مخططاته . وكانت كلمته المأثورة عندما يحدثه أحد عن جيشه القوى وعن انتصاراته هى « **أن الضباط هم الذين يكسبون الحروب وليسوا الجنود** » . **وكان ضباط « محمد على » كلهم من الأتراك ، ثم أن مقولته عن أن « الضباط هم الذين يكسبون المعارك وليسوا الجنود » كانت منطقا يحتمل الصحة فى زمن « محمد على » . وربما أن « محمد على » لم يدرك تماما أن الثورة الفرنسية غيرت فكرة الحرب حين نقلت مسؤوليتها إلى الشعوب قبل الضباط . ولعله أيضا لم يكن راغبا فى الإقرار بهذا التغيير الجديد الذى طرأ على مفهوم الحرب لأنه كان يعطى الشعوب أكثر مما يظنه « محمد على » حقا لها .**

كانت فكرة الحرب قد تغيرت منذ الثورة الفرنسية والإعلان الذى صدر فى باريس يوم ٢٣ أغسطس ١٧٩٣ ، والذى جاء فى مادته الأولى ما يلى :

« منذ هذه اللحظة وحتى يتم طرد أعدائنا من أرض الجمهورية فإن كل الفرنسيين مجندون للخدمة فى جيوش الجمهورية . إن الشباب سوف يذهبون إلى ميدان القتال ، والرجال المتزوجون سوف يتفرغون لصناعة السلاح والذخيرة ونقلها ، والنساء سوف يعملن فى صنع الخيام والملابس والخدمة فى المستشفيات ، والأطفال سوف يكون عليهم تشجيع الجنود وتحميسهم إلى القتال ضد الملوك . »

ولقد كانت نتيجة تجربة « محمد على » أن الجيش المصرى بضباطه الأتراك جرى تسريحه بعد معاهدة سنة ١٨٤٠ ، كما أن المفهوم الشعبى الحديث للحرب لم يجد لنفسه سبيلا لا فى مصر ولا فى غيرها من البلاد العربية .

وخلال حقب متواصلة كانت قضية الأمن الوطنى القومى والعربى من اختصاص دولة حامية (بريطانيا مثلا خصوصا فى نقطة القلب من العالم العربى وهى مصر

وفلسطين) . وعندما تغيب قضية الأمن الوطنى والقومى من خيال وفكر وعقل الشعوب فإن فكرة الحرب تصبح فكرة ضبابية غامضة وغير محددة . ولقد لعب العنصر البشرى المصرى دورا هاما فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولكنه فى الغالب الأعم كان دور النقل والمواصلات والخدمات المختلفة ، وعلى طريقة السخرة أكثر مما هو على طريقة التجنيد أو التعبئة .

وفى الوقت الذى كان فيه المشروع الصهيونى فى إسرائيل حريصا خلال الحرب العالمية الأولى والثانية على أن يتواجد فى ميادين القتال بألوية مسلحة تشارك فى العمليات وتكتسب خبرتها ، فإن العالم العربى كان يرى فى هذه الحروب ، وبخاصة فى الحرب العالمية الثانية صراعا « **لا ناقة له فيه ولا جمل » ـ على حد التعبير الشهير للشيخ « مصطفى المراغى » شيخ الأزهر المقرب من الملك « فاروق » فى ذلك الوقت . وحتى التعبير « بلا ناقة ولا جمل » كان فى ألفاظه يحمل تصورا للحرب لا يختلف كثيرا عن غارات القبائل واقتتال بدو الصحراء .**

ولقد طرحت قضية تجنيب مصر ويلات الحرب ، وهى السياسة المصرية المعتمدة فى ذلك الوقت ، نتيجة لمجموعة من الأسباب المتعددة :

□ منها أن الحكومة البريطانية نفسها لم تكن راغبة فعلا فى دخول مصر الحرب رسميا ، وإنما كانت تفضل أن يكون موقف مصر موقفا غير محدد لا يدفع الألمان للإغارة عليها وهى أهم قاعدة للحلفاء فى الشرق الأوسط فى ذلك الوقت .

□ وبينها أن القصر الملكى والجماعات المحيطة به كانت تراهن على أن ألمانيا الهتلرية هى الطرف المنتصر فى الحرب لا محالة . وفى غيبة ضغط بريطانى حقيقى عليهم لإعلان الحرب بدا لهم أن إعلان سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب سياسة تكسب وقتا فى انتظار تطورات الحرب ، كما أنها تكسب رضا جماهير تتصور أن صراع المقادير الدائرة على أرضها مشكلة لا تخصها .

□ وكانت هناك أسباب مختلفة أخرى .

وللإنصاف فإن سياسيا مصريا واحدا (وهو الدكتور « أحمد ماهر » رئيس الحزب السعدى فى ذلك الوقت) كان من رأيه اشتراك مصر فى الحرب حتى يتمرس جيشها على أساليب القتال ويتمكن شعبها من استيعاب فكرة الحرب . لكن دعوته لم تلق غير الإعراض ، لأن الصراع بين الامبراطورية البريطانية المحتلة لمصر وألمانيا النازية

المطالبة بإعادة تقسيم المستعمرات بدا لجماهير الشعب المصرى ، ولغيرها من جماهير الأمة العربية صراعا بين شيطان تعرفه وشيطان آخر لم تختبر شروره .

ثم كان أن فوجئت الأمة العربية بضرورات تفرض عليها القتال فى فلسطين سنة ١٩٤٨ . وشاركت جيوش دول عربية فى القتال دون تقاليد عميقة الجذور لفكرة الحرب ، ودون استيعاب لتطور هذه الفكرة فى العصر الحديث ، ودون نظرية للأمن الوطنى أو القومى . بل الأغرب من ذلك أن الدول العربية التى تقدمت للمسؤوليات الأولى فى ميادين القتال كانت هى نفسها دولا ترزح تحت الاحتلال الأجنبى فى عقر دارها نفسه . فقد كان الاحتلال البريطانى على سبيل المثال قائما فى مصر وفى الأردن وفى العراق ، كما أن النفوذ الغربى وبطريقة أقوى من الاحتلال الظاهر كان قائما فى بقية أراضى الدول العربية التى تنادت إلى القتال فى فلسطين .

والمحصلة أنه حتى منتصف القرن العشرين لم يكن العرب قد تعرفوا بعد على فكرة الحرب وعلى دورها فى صهر وصب وصياغة معادن الأمم . كان العالم قد عاش تجربة حربين عالميتين ، وكان الشرق الأوسط فى قلب الحربين معا ، لكن أهله ظلوا بعيدين عما كان يجرى على أرضهم .

لم يختبروا عمق العلاقة بين الأوطان والرجال والسلاح . ولا نبل الشعب القابل للتعبئة والمنتظر للقرار والمندفع إلى الخدمة تجنيدا أو تطوعا بشرف المواطنة . ولا أحسوا بتلك الكبرياء الحزينة لآلاف الشباب الذاهبين إلى ميادين القتال فى وضح النهار . ولا استشعروا ذلك الشجن الفرح للعائدين من ميادين القتال ، وفى خيالهم صور رفاقهم الذين سقطوا هناك ، وأمام عيونهم أحباب لهم فى الوطن ينتظرونهم بسعادة مفعمة بالاعتزاز .

لم يعرفوا تلك الحياة الشاقة والمجيدة التى تخلقها رفقة السلاح حيث يتقدم رجل إلى مواقع الخطر أو ينسحب إلى حصون الأمان فى حماية رجل آخر لن يتركه لينجو بنفسه لأن الكل واثق أنه قدر ومصير واحد .

□

ويمكن أن يقال على نحو أو آخر أن نتائج معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ والتحدى الإسرائيلى الذى ظهر فيها وظهر أكثر بعدها ، كان هو الذى دفع الأمة العربية بعد غياب طويل ـ قرونا كاملة ـ إلى محاولة التعرف لأول مرة على فكرة الحرب . وكانت المحاولة بدائية ، وكانت طبائع الأمور لا تسمح بأكثر من ذلك فى تلك الأوقات .

وحين قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر نتيجة مباشرة لصدمة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فقد كان أول أهدافها إقامة جيش وطنى قوى ـ لكن العداوة المريرة التى حاصرت هذه الثورة من كل جانب كانت تستهدف أول ما تستهدف منعها من تحقيق هذا الهدف بالذات . فتحقيق هذا الهدف بالذات كان من شأنه أن يقلب الموازين الفاعلة فى المنطقة طوال قرون ممتدة ، لأنه فى حالة نجاحه كان كفيلا بأن يجعل شعوب المنطقة نفسها طرفا ـ على الأقل ـ فى الصراع على أقدار ومصير موقع من أهم مواقع العالم .

ولأن ثورة ٢٣ يوليو بدأت بطلائع من القوات المسلحة فإن محظور « **عسكرة المجتمع** » كان هاجسا يؤرقها باستمرار . وفى كل الأحوال فإنها بما طرحته من المبادىء وما نفذته من السياسات تحولت إلى حركة جماهيرية شعبية أبعد ما تكون عن « العسكرة » ، إلى درجة أنها كانت تعرض عامدة عن مظاهر القوة العسكرية خائفة أن تتهم بـ « عسكرة المجتمع » . ولقد اهتدى النظام الثورى الجديد إلى نظرية سليمة للأمن الوطنى والقومى ، لكن هذه النظرية على نحو أو آخر بقيت معلقة بشكل رومانسى على حماسة الجماهير وقوة اندفاعها . ولم يكن ذلك فى حد ذاته كافيا ، فقد ظلت فكرة الحرب ضبابية كما كانت ، فى حين أن أعرق الديمقراطيات كانت تؤمن بمقولة « جيفرسون » بأن « **الحرب تبدأ فى فكر الشعوب** » وبأن « **الحرب هى ثمن الحرية وليست عبئا عليها** » وبأن « **الحق بدون القوة أعزل بمقدار ما أن القوة بدون الحق عقيمة** » .

ولقد كانت قصة الأمة مع الحرب منذ تجربة فلسطين قصة غريبة . والذى يراجع التواريخ بدقة سوف يكتشف أن الأمة حاربت عشرة أيام مرة كل عشرة سنوات . فى سنة ١٩٤٨ حرب لمدة عشرة أيام ثم وقف لإطلاق النار . وفى سنة ١٩٥٦ حرب لمدة عشرة أيام ثم وقف لإطلاق النار (هذا مع اختلاف النتائج بعد القتال سنة ١٩٥٦ اختلافا كاملا عن نتائج القتال سنة ١٩٤٨) . وفى سنة ١٩٦٧ تكرر الشىء ذاته (مع اختلاف النتائج بعد القتال أيضا سنة ١٩٦٧ اختلافا كاملا عن نتائج القتال سنة ١٩٥٦) . ولم يكن ذلك أسلوبا فى إدارة الصراع يؤكد أن الأمة استوعبت فكرة الحرب أو أهلت نفسها لما هو حيوى لضروراتها ومسؤولياتها .

والغريب أنه حتى القيادات السياسية التى كان من واجبها ترسيخ فكرة الحرب فى أعماق إرادة الأمة كانت تتعامل مع داعى القتال وكأنه عورة يستحسن إخفاؤها . وكان هذا بالطبيعة معاديا لضرورة من أهم ضرورات الحرب وهى التعبئة . ومن اللافت للنظر أنه عندما بدأت التحركات العسكرية فى مصر بعد التهديد الماثل على سوريا فى مايو سنة

١٩٦٧ ، كان أول هم للقيادة العسكرية هو أن لا يكون من شأن هذه التحركات التأثير بأى شكل على الحياة العادية للمدنيين .(٣)

وأغرب من ذلك فقد جرى تحقيق رسمى مع رئيس مجلس إدارة شركة مصر للطيران يوم ٣ يونيو ١٩٦٧ لأنه أصدر أمرا إلى طائرات الشركة بأن تبيت فى مطارات خارج مصر حتى لا تتعرض لاحتمال ضربة جوية إسرائيلية كان الكل يتوقعها فى ذلك الوقت . وكان منطق الذين أمروا بالتحقيق هو أن مثل هذا الأمر بمبيت طائرات شركة مصر للطيران فى مطارات خارج مصر فى تلك الأوقات ـ من شأنه أن يثير دواعى للذعر حينما يتسرب هذا القرار ـ وكان حتما أن يتسرب خارج إطار الشركة .

بل إن لجنة الاتحاد الاشتراكى فى بورسعيد تعرضت لتحقيق مماثل لأنها بدأت تنظم لعمليات تهجير من المدينة استعدادا لاحتمال نشوب العمليات . وكان منطق الذين أمروا بالتحقيق هو نفس المنطق ، وهو أن الحديث عن أى خطة للتهجير من شأنه ـ هو الآخر ـ أن يثير ذعرا لا لزوم له الآن بين الناس .

وهكذا فإنه فى مرحلة مصيرية فى تاريخ العالم العربى كانت فكرة الحرب تتمثل فى عنصرين : قوات تتحرك على طرق الصحراء المكشوفة ، وأغانى حماسية تملأ الأجواء المفتوحة . ولم يكن ذلك كله كافيا للتعبير عن استعداد أمة بأسرها لخوض الحرب ، مستوعبة فكرتها مؤمنة بضرورتها ، مقبلة عليها جاهزة لتضحياتها . وربما كان ما يرمز لذلك كله أنه لا يوجد فى مصر مثلا ـ وربما إلى هذه اللحظة ـ نصب تذكارى يخلد بطريقة حية ومجسدة معركة من معاركها أو وقفة من وقفاتها مع فكرة الحرب . وحتى معركة اليمن التى أثبتت ، وسوف تثبت كل الظروف أنها كانت نقطة التحول فى شبه الجزيرة العربية كلها ـ ظلت تعامل فى القاهرة وكأنها سوءة يستحسن أن تجد طريقها إلى النسيان .

---

(٣) رجاء مراجعة قرار القائد العام للقوات المسلحة المنشورة فى صفحة ٤٥٥ من هذا الكتاب

٣

ولقد سادت أثناء عملية المراجعة ـ بعد الصدمة ـ مقولات ودعاوى جرى قبول بعضها دون فحص وتمحيص . ومن بينها على سبيل المثال أن الهزيمة العسكرية كانت فى حقيقة أمرها انعكاسا لخلل اجتماعى استفحلت مضاعفاته وراء جبهة القتال ، وكانت هى السبب فى أن القوات المسلحة لم تحسن أداء واجبها تحت ظروف المعركة . وكان بعض ذلك نتيجة لخلط بين أسباب القوة العسكرية وبين المستوى المثالى المطلوب اجتماعيا للشعب المقاتل . كانت تلك النظرة فى جانب منها خلطا بين السلاح والأخلاق ، بينما تشهد وقائع التاريخ على أن قوة السلاح ليست بالضرورة تعبيرا أخلاقيا .

وعلى سبيل المثال فإن الجيش السوفيتى الذى حقق أعظم انتصارات الحرب العالمية الثانية خاض تلك الحرب الوطنية الكبرى وجبهته الداخلية محكومة بكل ما نعرفه الآن من فظائع عهد « ستالين » ، كما أن النظام الشيوعى من الأصل كان ملحدا . وقبل ذلك فليس هناك من يستطيع أن يدعى أن جيوش الاستعمار التى قامت بإخضاع معظم شعوب العالم الثالث ، فعلت ذلك مسلحة بموقف أخلاقى أو دينى نبيل . بل إن العدو الذى كنا نحاربه ـ ومازلنا ـ وهو إسرائيل لا يعتبر مثالا يحتذى لا من ناحية التماسك الاجتماعى ولا من ناحية الأخلاق ، بل ولا حتى من ناحية الانضباط ، **وإنما هو تفوق فى قوة وإدارة النيران يصنع أثره فى مواجهات يستطيع فيها الذكاء أن يقود معركة النيران بصرف النظر عن أية اعتبارات مثالية أخرى ، ويستطيع بالتالى أن يصنع أثره المرحلى بصرف النظر عن مسيرة التاريخ الطويلة !**

ويمكن أن يقال بدون تحيز أو تجن أن الجيوش العربية سنة ١٩٦٧ لم تكن مستعدة لصراع النيران ولا لإدارته بالذكاء الكافى والخبرة المكتسبة . ولقد قيل مثلا فى بعض تفسيرات الهزيمة العسكرية أن ضباط قاعدة « أنشاص » الجوية كانوا ليلة المعركة منشغلين فى حفلة ساهرة استمرت إلى ما بعد منتصف الليل . وفضلا عن أن هذه الحفلة لم تقع فى حقيقة الأمر ليلة بدء المعارك وإنما سبقتها بليال ـ فإن ذلك لم يكن قادرا وحده على إحداث كارثة الطيران صباح يوم ٥ يونيو . وهناك من المعلومات ما يظهر أن وحدات القوات المسلحة الإسرائيلية كانت بدورها قبل المعارك ، وفى فترة الترقب والانتظار التى سبقت نشوب القتال شاركت أيضا فى ليال ساهرة دامت إلى قرب

الصباح ولم يؤثر ذلك على مقدرتها القتالية . وقيل فى مثال آخر إن سبب الهزيمة هو أن الجيش المصرى كان تحت قيادة ضابط برتبة صاغ (« عبد الحكيم عامر ») ترقى سياسيا إلى رتبة اللواء ، وهو تبسيط للأمور ينسى أن الجيش الإسرائيلى بدوره كان تحت قيادة جاويش ترقى سياسيا إلى رتبة الجنرال (« موشى ديان ») . والواقع أن الحقيقة كانت أكثر تعقيدا من كل هذه المقولات .

□

وفى البداية فإن الجيوش العربية جيوش جديدة النشأة يعود تاريخها فى الواقع إلى فترة الثلاثينات من هذا القرن العشرين . فقد نشأت جميعا كجيوش فى أعقاب عمليات الاستقلال الصورى التى حصلت عليها بعض الدول العربية باتفاقيات عرجاء مع القوى الاستعمارية المحتلة . ففى هذه الفترة ظهر الجيش المصرى والجيش العراقى والجيش السورى . ونشأت كلها تحت قيادات أجنبية من ضباط يمثلون قوى الاحتلال قبل تمثيلهم للوطن الذى يتولون قيادة جيوشه ، بل ودونما أى قدر من الولاء له . بل إن أحدها وهو الجيش الأردنى ، شارك فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ تحت قيادة جنرال بريطانى هو السير « باجوت جلوب باشا » القائد العام للفيلق الأردنى . **فإذا أخذ فى الاعتبار أن الأردن كانت له القيادة العليا على جميع جيوش الدول العربية فى حرب فلسطين ، أمكن ببساطة تصور أن الجيوش العربية كلها كانت فى هذه الحرب على نحو أو آخر مكشوفة بالكامل أمام قائد الجيش الأردنى وهو جنرال بريطانى . وحتى بعد أن ارتخت قبضة القوات الأجنبية عن مختلف الجيوش العربية فإن هذه الجيوش اعتبرت جيشا خاصا للملوك . بل إن القائد العام للجيش المصرى سنة ١٩٥٠ وهو الفريق أول « محمد حيدر » (باشا) أصدر قرارا شهيرا غير بموجبه شعار الجيش المصرى ، فبدلا من الشعار القديم وهو : « الله ـ الوطن ـ الملك » ـ أعيد الترتيب فى الشعار الجديد فأصبح : « الله ـ الملك ـ الوطن » .**

وربما كان ضروريا أن يضاف إلى ذلك اعتبار آخر يتعلق بالجنود فضلا عن الضباط ، ذلك أنه قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر فإن جنود الجيش جميعا كانوا من طبقات يمكن أن يقال بأمانة إنه لم تكن لها مصلحة فى الوطن ، لأن الوطن ـ بالحق ـ لم يشملها برعايته . كانت ضمن الوطن بمجرد الوجود ، ولكنها لم تكن فى داخله بحق المواطنة وما يعطيه بالنسبة للمواطنين . وكان الذين يملكون حق المواطنة هم القادرون الذين يستطيعون أن يعفوا أنفسهم من خدمة العلم ببدل نقدى يدفعونه ويعفيهم من حمل السلاح . ثم تغير هذا الوضع بعد الثورة وإن ظلت رواسبه ممتدة . ولقد بدأ هذا الحال يتغير تدريجيا .

والواقع أن آثار هذا التغيير لم تأخذ بعدها الحقيقى إلاّ بعد سنة ١٩٦٧ ، **وحين أصبحت صفوف القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ تضم أكثر من ١٢٦ ألفا من خريجى الجامعات والمعاهد العليا .**

ومع ذلك فإن قيام الثورة أدى إلى نوع آخر من المشاكل بالنسبة للقوات المسلحة .

□

وعندما بدأت فترة الفوران فى العالم العربى بعد معركة فلسطين ١٩٤٨ ، فإن أهم الجيوش العربية ، وهى جيوش مصر وسوريا والعراق ، وجدت نفسها تعيش تجربة انفجارات من الداخل بالانقلابات ، سواء منها ما تحول إلى ثورة (كما جرى فى مصر) أو ما كان الانقلاب فيه بداية حلقات متصلة لسلسلة من الانقلابات كما حدث فى سوريا .

وكانت نتيجة هذه الانفجارات أن « الانتظام » الهش الذى ساد لبعض الوقت فى الجيوش الملكية ـ انفكت أركانه . فمن ناحية تبين أن أكثر الضباط حيوية فيه قد تسربوا من سلك العسكرية إلى تيارات السياسة ، ومن ناحية أخرى فإن عمليات التطهير المختلفة سواء كانت تطهيرا حقيقيا أو طلبا للتأمين أخرجت من صفوف القوات المسلحة أعدادا كبيرة من الضباط . وفى الواقع فإن أعدادا من الذين بقوا كانوا من هؤلاء الذين نظروا إلى العسكرية كوظيفة يحرصون عليها بصرف النظر عما يجرى حولها أو حولهم . ومن ناحية ثالثة فإن مواقع القوة فى الجيوش انتقلت بطبيعة الأمور المستجدة إلى عناصر أخرى لم تكن هى عناصر التسلسل القيادى الصحيح فى الجيوش .

واللافت للنظر أن أى تحليل سريع لنوعية ضباط القيادة العليا كان كفيلا بأن يظهر عدة ملاحظات هامة بينها **أن عددا مؤثرا من الضباط الذين بقوا فى القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية كانوا من الضباط المرشحين للخدمة فى الحرس الملكى ..كما أنه كان بينهم من ينتمون طبقيا إلى فئات لا تستطيع حتى بأفكارها وتطلعاتها أن تنسجم مع النظام الجديد فى مصر خصوصا عندما برزت توجهاته الاجتماعية بعد معركة السويس سنة ١٩٥٦ .**

وربما كان أكبر شاهد على ذلك ما اتجه إليه عدد كبير منهم بعد الهزيمة ، فقد اختفى معظمهم من صفوف القوات المسلحة ليظهر فى

مكاتب الاستيراد والتصدير ، أو فى تجارة السلاح عندما تفتحت أبوابها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أو فى أنشطة اجتماعية أخرى أشد ما تكون بعدا عن التربية والتقاليد العسكرية . ولقد كان أحسنهم بعض الذين ادعوا أنهم كانوا هناك ولكنهم لم يروا شيئا ولم يسمعوا بشىء ، ولم يخطرهم أحد بما دار ويدور رغم أنهم كانوا فى مواقع القيادة العليا !

ولقد كان دافع كثيرين منهم فى واقع الأمر هو الإحساس بأن الجيش الذى أصبح بعد الثورة واحدا من أهم أعمدة النظام ، يعطى لكبار قادته نوعا من الوجاهة الاجتماعية والتواجد فى إطار السلطة بكل ما يؤدى ذلك إليه من هيبة ونفوذ .

□

ثم تعرضت معظم جيوش الدول العربية ، وبالذات فى مصر وسوريا والعراق ، إلى هزة عنيفة حتى فى مجال التخصص الذى تعمل فيه ، ومن وجهة نظر الاحتراف العسكرى البحت . كان تعليمهم وتدريبهم وسلاحهم فى الأساس كله غربيا (كان بينهم عدد من خريجى كلية « ساند هيرست » العسكرية الانجليزية) . وبعد كسر احتكار السلاح فقد فوجئوا بأن عليهم أن يتعلموا من جديد عقائد عسكرية شرقية ، ومدارس فى التدريب وأنظمة من السلاح (ذهب كثيرون منهم لتلقى العلم من جديد فى كلية « فرونز » الروسية) ـ وكان ذلك الوضع الجديد مفاجئا تماما ومتعارضا مع تكوينهم الأصلى ، ولقد حاولوا أن يجاروا فيه ويسايروا ، لكن التناقض بين عوالم مختلفة ظل عنصر حيرة وتردد يحكم أداءهم باستمرار . ثم أضافت الظروف إلى ذلك أعباء مرهقة وصلت إلى بنيان الجيوش ذاته . ففى حالة الجيش المصرى مثلا ـ فإن هذا الجيش وجد نفسه بعد الوحدة مع سوريا يندمج مع جيش آخر ، ويصبح هو الجيش الثانى للجمهورية العربية المتحدة بعد جيشها الأول فى سوريا .

ثم انقضت محنة الانفصال فإذا الجيش المصرى يحاول أن يلملم أطرافه من جديد وأن يعود وحده جيشا مستقلا ، وأكثر من ذلك أن يتحمل بمفرده مسؤولية المواجهة المحتملة مع إسرائيل . وفى هذه الفترة شهدت القوات المسلحة المصرية توسعا كبيرا فى الحجم وفى نوعية السلاح ، وكان نوعا من التوسع فرضته الاحتياجات دون أن تلاحقه الكفاءات . والحقيقة أنه كان يمكن فى ذلك الوقت العثور على ضابط مصرى يستطيع قيادة كتيبة أو قيادة لواء . وأما قيادة الفرق ، أو قيادة الجيوش فقد كانت حتى هذه الفترة أملا معلقا فى المستقبل خصوصا عندما تصل دفعات الضباط الشبان الذين

تخرجوا من الكلية الحربية بعد سنة ١٩٤٨ (عندما بدأت فكرة الحرب تطرح نفسها جديا على المجتمعات العربية) إلى مواقع القيادة العليا فى قواتها المسلحة . وفى هذه اللحظة نزلت على الجيش المصرى مسؤولية اليمن ، ووجد الجيش المصرى نفسه طرفا فى معركة لم يتهيأ لها ، ولم يتمكن من تطوير الأساليب الملائمة لخوض عملياتها . وربما كان ذلك صعبا عليه ، فتلك مهمة أثبتت التجارب أنها صعبة على أكبر الجيوش وأقواها بدليل تجربة الجيش الأمريكى فى فيتنام ، والجيش السوفيتى فى أفغانستان ، بل والجيش الإسرائيلى فى مواجهة الانتفاضة . ومع أن هناك فارقا أخلاقيا فادحا بين مسرح اليمن ، ومسارح غيره من العمليات مثل فيتنام أو أفغانستان أو الضفة الغربية وغزة ـ فإن القتال يظل هو القتال ، والتلاؤم مع الطوارىء يظل أمرا واردا .

وبالنسبة للجيش المصرى فإن حرب اليمن كانت تجربة قاسية . ولم تقتصر قسوتها على مجرد توزيع قوته على مسرحين للعمليات تفصل ما بين أحدهما والآخر مسافة تزيد على ألفى كيلومتر ، وإنما الأقسى من توزيع القوات على مسرحين أن المسرح الساخن فى البداية ، وهو اليمن ، قد أعطى للقوات المسلحة دروسا خاطئة تضرها أكثر مما تفيدها فى العمل على المسرح الآخر الذى كان ساكنا ثم اشتعل بالنار فجأة .

وأضيف إلى قسوة درس اليمن عبء جديد ، فمع ازدياد حدة المعركة على الشرق الأوسط وعلى مقاديره ، ولجوء الولايات المتحدة الأمريكية عند منتصف الستينات وما حولها إلى سياسات الحصار الاقتصادى والحرب النفسية ومحاولات الانقلاب من الداخل ـ رأى « جمال عبد الناصر » أنه قد يكون من الملائم إبراز التماسك العضوى بين القوات المسلحة وفكر الثورة . وهكذا دخلت القوات المسلحة طرفا فى الصدام مع الإخوان سنة ١٩٦٥ ، فقد تولت أجهزتها مسؤولية التحقيق فى حوادث سنة ١٩٦٥ ، كما دخلت طرفا فى مشكلة تصفية الإقطاع فى أواخر سنة ١٩٦٦ وأوائل سنة ١٩٦٧ . وكان ذلك خطأ سياسيا وعسكريا عكس نتائجه على الدور القتالى للقوات المسلحة .

وعندما نشبت أزمة الشرق الأوسط بسبب الحشود على سوريا فى مايو ١٩٦٧ ـ وجدت القوات المسلحة نفسها فى الصف الأول من المواجهة . والغريب أن عددا من قيادات هذه القوات كان ظنه أن هذه الأزمة الطارئة لن تلبث أن تهدأ نيرانها بدون لجوء إلى القوة كما حدث فى أزمات سابقة . بل إن بعض هذه القيادات راح فيما بعد وفى فترة المراجعة يدافع عن أدائه تحت ظروف العمليات بمقولة « إنهم تصرفوا وهم يتصورون أنها مناورة

سياسية تتم باستخدام الحشد العسكرى وسيلة للتأثير النفسى أكثر منه استعدادا لاحتمالات القتال . وكان ذلك تصورا منافيا للواقع طبقا لما تقول به الوثائق الرسمية ، وأولها تقرير لجنة التحقيق التى رأسها الفريق « عبد المنعم رياض » (الذى أصبح رئيسا لهيئة أركان الحرب بعد المعركة) ، **وساعده فى إعداد هذا التقرير اللواء « مصطفى الجمل » (رئيس هيئة البحوث العسكرية) .**

ويظهر هذا التقرير أنه فى فترة تصاعد الأزمة عقد الرئيس « جمال عبد الناصر » خمسة اجتماعات مع القيادة العليا للقوات المسلحة :

- **فى صفحة ١٩٢ من هذا التقرير** يرد بالنص ما يلى :

« مساء يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ :

حضر السيد رئيس الجمهورية مؤتمرا لقادة القوات المسلحة ورؤساء الهيئات والإدارات فى الساعة ٣٠ : ٢٠ بالمقر العام للقيادة بالقاهرة ، وأكد فيه « **احتمال وقوع الحرب مع إسرائيل بنسبة ٦٠ ٪ ترجيحا لوقوعها** ، وأن العدو سيحاول أن يفتح خليج العقبة للملاحة بالقوة أو يهاجم القطاع الخاضع للإدارة المصرية بفلسطين (غزة) ردا على إغلاق مصر لخليج العقبة فى وجهه ، وأنه يلزم أن تتخذ الإجراءات لزيادة تأمين شرم الشيخ وعدم السماح بسقوط غزة فى يد العدو لما يترتب على ذلك من تأثير سيىء على الروح المعنوية والهيبة العربية .»

- **وفى صفحة ٢٠٧ من هذا التقرير** يرد بالنص ما يلى :

« يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ :

عقد الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعا فى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة ، وشرح آخر تطورات الموقف السياسى .»

- **وفى صفحة ٢١٢ من هذا التقرير** ورد بالنص ما يلى :

« فى الساعة ٢١٠٠ من مساء ٢٩ مايو حضر الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعا فى مقر القيادة العليا ، وقدر رئيس الجمهورية احتمالات بدء إسرائيل للحرب بنسبة ٨٠ ٪ ترجيحا لذلك .»

[ومن المفارقات أن ترجيح « جمال عبد الناصر » لقيام الحرب بنسبة ٨٠ ٪ فى ذلك الاجتماع كان مخالفا لتقرير أعدته إدارة المخابرات الحربية بالقوات المسلحة جاء فيه طبقا لتقرير اللجنة ، وفى صفحة ٢١٢ منه أيضا ما نصه :

« أفادت إدارة المخابرات الحربية فى ملخص المخابرات رقم ١٦ بأن إسرائيل قد أتمت استعدادها العسكرى ، إلا أن مظاهر القلق والشك مازالت تساور المسؤولين فيها بما لا يدع فى إمكانهم اتخاذ قرارات حاسمة فى الوقت الحاضر ، خاصة بعد أن فشلت جهودهم السياسية فى تحقيق أهدافهم للحصول على ضمان بالمساندة العسكرية الغربية المباشرة .»]

وفى صفحة ٢١٧ من هذا التقرير ورد بالنص ما يلى :

« عقد الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعا مع القيادة العليا للقوات المسلحة لدراسة التقديرات والمواقف المترتبة على إتمام الحشد العسكرى وقفل الملاحة فى خليج العقبة فى وجه إسرائيل ، وتعزيز الدفاع عن القطاع الخاضع للإدارة المصرية بفلسطين ، **وقد حدد رئيس الجمهورية احتمال بدء إسرائيل الحرب بنسبة ٩٠ ٪ ترجيحا لذلك .»**

- **وفى صفحة ٢٣٤ من هذا التقرير** ورد بالنص ما يلى :

« وفى مساء ٢ يونيو اجتمعت القيادة السياسية العسكرية بمقر القيادة العليا للقوات المسلحة لاستعراض الموقفين السياسى والعسكرى واتخاذ القرارات المناسبة . **وحدد رئيس الجمهورية أن احتمال قيام إسرائيل بالحرب أصبح ١٠٠ ٪ ، وأكد ضرورة الاستعداد لتلقى الضربة الجوية الأولى المنتظر أن توجهها إسرائيل ضد مصر خلال يومين معتمدة على المفاجأة** والمرونة لحسم المعركة بسرعة لصالحها . واستمع كل من نائب القائد الأعلى ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وقائد القوات البرية وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة إلى هذه التوجيهات .»

وقد صيغت هذه العبارة على هذا النحو لأن الرئيس « جمال عبد الناصر » تثبت من كل واحد من هؤلاء على حدة وأمام الجميع من فهمه لتوجيهاته ـ وقد فعل ذلك لأن تقرير المخابرات العسكرية الذى عرض فى نفس يوم الاجتماع كان مختلفا عن تقديره . وفى هذا يمضى تقرير لجنة التحقيق ليقول فى نفس الصفحة ما نصه :

« ورغم تأكيد رئيس الجمهورية ببدء إسرائيل الحرب فى ظرف يومين ، جاء ملخص المخابرات رقم ٢٠ عن يوم ٢ يونيو يرجح أن إسرائيل لن تقدم على عمل عسكرى تعرضى ، وأن الصلابة العربية الراهنة ستجبر العدو بلا شك على أن يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع شرارة الحرب فى المنطقة .»

وقد كان ذلك الاجتماع الخامس والأخير الذى حضره « جمال عبد الناصر » مساء يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ مع القيادة العليا للقوات المسلحة هو الاجتماع الذى دارت فيه المناقشة

الشهيرة بينه وبين الفريق أول « صدقى محمود » قائد القوات الجوية . فبعد أن استمع الفريق أول « صدقى محمود » إلى ما قاله الرئيس « جمال عبد الناصر » عن ضرورة الاستعداد لتلقى الضربة الأولى ، طرح على الفور فكرة أن يسمح للقوات الجوية المصرية بأن تقوم هى نفسها بالضربة الأولى ، وكان رد « جمال عبد الناصر » عليه مركزا فى نقطتين :

● الأولى : أن الطيران المصرى لا يملك القوة ولا الخطة التى تسمح له بضربة أولى مؤثرة .

● والثانية : أن قيام مصر بالضربة الأولى خطر سياسى فادح ، لأنها سوف تعطى بذلك الذريعة التى تنتظرها الولايات المتحدة لكى تشارك بنفسها فى القتال من أول لحظة فيه ، وبطريقة سافرة لا يستطيع طرف فى العالم أن يلومها عليها لأن مصر تكون هى التى بدأت بإطلاق النار .

وكان رد الفريق « صدقى محمود » أننا إذا تلقينا نحن الضربة الأولى فإن خسائرنا قد تكون كبيرة . ثم أضاف قائلاً باللغة الانجليزية «We may be crippled» أى أننا قد نصاب بالعجز . ولفتت هذه العبارة نظر « جمال عبد الناصر » الذى سأل قائد الطيران عما يعنيه بذلك . ورد الفريق « صدقى محمود » قائلا إنه يعنى أن قيام إسرائيل بالضربة الأولى قد يكلفنا الكثير . وسأله « جمال عبد الناصر » عن تقديره للخسائر فى هذه الحالة ، ورد الفريق « صدقى محمود » قائلا إنه « يتوقع خسائر ما بين ١٥ و٢٠ ٪ من قوة الطيران المصرى » . وطلب منه « جمال عبد الناصر » إيضاح الأسباب التى تدعوه إلى هذا التقدير ، وكان رد الفريق « صدقى محمود » بأن « كل مطارات سيناء واقعة فى مدى عمل قواتها الجوية ، وهذه هى المنطقة التى يخشى على خسائره فيها خصوصا وأن مطاراتها هى مجال الحشد الرئيسى للمقاتلات المصرية التى كانت مستعدة لتوجيه الضربة الأولى لإسرائيل ». وكان تعليق « جمال عبد الناصر » أنه « إذا كنا قد استبعدنا إمكانية قيامنا بالضربة الأولى لأسباب سياسية وعسكرية ، فليس هناك ما يدعو إلى هذا الحشد من المقاتلات فى المطارات المتقدمة من سيناء والواقعة فى مجال عمل طيران العدو ، وأن الأولى من ذلك سحبها إلى مطارات الدلتا والصعيد لتكون مستعدة هناك للضربة الثانية بعد توقى واستيعاب الضربة الإسرائيلية الأولى » .

ويبدو أن « جمال عبد الناصر » كان حريصا على أن يستوثق من فهمه

ومن فهم الآخرين ، فسأل عن مدى تعرض مطارات الدلتا والصعيد لغارات إسرائيلية . وكان رد الفريق « صدقى محمود » ، وأيده فى ذلك الفريق « جمال عفيفى » قائد الدفاع الجوى ، أن « مطارات الدلتا والصعيد بعيدة تماما عن مجال الطيران الإسرائيلى ، وأن إسرائيل لا تملك للعمل على هذا المجال البعيد إلاّ الطائرات من طراز « فيتور » وهى لا تملك غير ست عشرة منها لا تستطيع استعمالها كلها ضد مصر ولا استعمالها مرة واحدة فى ضربة أولى .» وكان تقدير كل من قائد الطيران وقائد الدفاع الجوى أن قوة الضربة الأولى الموجهة إلى مصر سوف تكون فى حدود ٧٠ طائرة ، لأن الطيران الإسرائيلى سوف يكون عليه أن يوزع قوته على ثلاث جبهات (فى مصر والأردن وسوريا) لأنه لا يستطيع أن يطمئن إلى تركيز قوته كلها فى ضربة أولى ضد مصر وحدها تاركا مواقعه مكشوفة أمام أى احتمال من الأردن أو من سوريا .

وكان القرار الذى اتخذ بعد هذه المناقشات هو تخفيف تركيز الطائرات المصرية فى مطارات سيناء المكشوفة ، والعودة بالقوة الأساسية منها إلى مطارات الدلتا والصعيد ، مع تكثيف الدفاعات الجوية عن القواعد المتقدمة فى سيناء ، وذلك لتقليل خسائر الضربة الأولى لأقصى حد ممكن ، وتعظيم خسائر القوات الإسرائيلية المغيرة فى الضربة الأولى إلى أقصى حد ممكن أيضا .

الفصل الثالث

عناصر مأساة إغريقية !

١

كانت أزمة الشرق الأوسط الجديدة التى اندلعت فى المنطقة فجأة فى منتصف شهر مايو ١٩٦٧ فرصة استقبلها « عبد الحكيم عامر » بسعادة وفرح . قبل الأزمة كان موقفه مهتزا بسبب ما تكشف من علاقته بالسيدة « برلنتى عبد الحميد » ، وهى واقعة كادت تطيح به تماما لولا ملابسات سبق شرحها(١) أعطته فسحة من الوقت ريثما تبتعد ظلالها . وبمجىء هذه الأزمة ، وبالدور المركزى فيها للقوات المسلحة ، فإن « عبد الحكيم عامر » وجد نفسه على غير انتظار فى وسط المسرح السياسى العربى وليس قريبا من باب الخروج كما كان يتحسب . وإلى جانب ذلك فإن « عبد الحكيم عامر » كان من غلاة الدعاة لسحب قوات الطوارىء الدولية التى يستغل وجودها على الخطوط المصرية مع إسرائيل كمادة للدعاية ضد الجمهورية العربية المتحدة وجيشها فى الحرب النفسية الضارية المستعرة فى العالم العربى ضد الجمهورية العربية المتحدة .

---

(١) رجاء مراجعة صفحة ٣٩٤ من هذا الكتاب .

ولقد تصور « عبد الحكيم عامر » أن قرار إغلاق خليج العقبة هو على نحو أو آخر تأكيد لوجهة نظر سبق أن أبداها وألح عليها . كما أنه تصور أيضا أن وقوفه وسط مسرح الحوادث كفيل بأن يغطى نقطة ضعفه الإنسانى التى دفعته وهو القائد العام للقوات المسلحة المصرية إلى زواج سرى لا يتفق مع مكانته ، وكان الأولى به إذا كان يريده لهذه الدرجة أن يعلنه للناس ويتحمل مسؤوليته . وربما أضيف إلى ذلك أيضا عامل من عوامل الضعف الإنسانى ، ذلك أن « عبد الحكيم عامر » كان يواجه أكبر امتحان فى حياته فى ظل علاقة جديدة مع سيدة ملكت عليه قلبه ، وظن أن بمقدوره أن يثبت نفسه أمامها كرجل قادر أكثر منه رجلا ضعيفا يخفى زواجه منها لأنه لا يستطيع أن يتحمل مسؤوليته علنا أمام الناس .

□

كانت تلك كلها مكونات مأساة إنسانية أكثر منها حالة قائد متأهب لخوض معركة مصير ، خصوصا إذا أضيفت إليها عوامل القصور الذاتى فى شخصيته التى كانت بالدرجة الأولى شخصية « ابن عمدة ريفى » وجد نفسه دون استعداد فى بؤرة أضواء المدينة وقرب القمة من نخبتها الحاكمة . ولم يكن « جمال عبد الناصر » مخطئا عندما قال له أكثر من مرة إنه يجب أن يتصرف بمنطق قائد عام وليس بمنطق « شيخ غفر » ، مشيرا بذلك إلى استعداده لحماية رجاله مهما بدا للآخرين من أخطائهم . وفى الواقع فإن هذا السلوك تجلى فى واقع أن « عبد الحكيم عامر » اعترض باستمرار على تغيير رجاله من القيادة العليا للقوات المسلحة رغم ضرورات التجديد الحيوية ، ورغم الإلحاح المتكرر عليه بأن تغيير قيادات القوات المسلحة يجب أن تكون له قواعد حاكمة لاتستثنى منها أحدا . وكانت النتيجة أن مجموعة القواد الذين أحاطوا بـ « عبد الحكيم عامر » منذ معركة السويس سنة ١٩٥٦ كانوا لا يزالون من حوله عندما جاءت معركة سنة ١٩٦٧ .

كان هؤلاء بطول بقائهم فى مناصبهم قد فقدوا القدرة على رؤية أى جديد فى مجال عملهم ، وفى الحقيقة فإنهم تحولوا إلى جزء من الإدارة . وعندما أضيف إليهم تعيين السيد « شمس بدران » كوزير للحربية فإن صورة الإدارة اختلطت بصورة الأمن .

ثم اكتملت مجموعة المشير بعدد آخر من الضباط الذين شدهم إليه منطق « شراء الولاءات بمنح الامتيازات » . وانضم إلى المجموعة عدد من شباب ضباط المكاتب والحراسة والذين أتاحت لهم الظروف فرصة الاتصال المباشر بنائب القائد الأعلى ، ووجدوا فى هذا الاتصال المباشر مجلبة للمنافع ووسيلة للنفوذ .

ورغم أن القوات المسلحة كانت تموج بعناصر جديدة من تلك التى تخرجت والتحقت بسلك الخدمة بعد معركة سنة ١٩٤٨ ـ إلاّ أن القيادة العليا ظلت طول هذه الفترة فى يد ضباط من مرحلة سابقة تخطتها الظروف رغم المزايا الشخصية المتوافرة لعدد منهم . ولقد كانت ميزتهم الكبيرة فى المحصلة النهائية أنهم كانوا جميعا من رجال المشير بالمعنى العام ، حتى وإن لم يكونوا من خاصته القريبة من حياته الشخصية والإنسانية .

□

وفى ظروف الأزمة فإن « عبد الحكيم عامر » بسبب كل هذه الظروف وغيرها ـ كان نموذجا حيا لحالة معروفة فى علم النفس ، وهى الحالة التى تسمى بحالة « المزاج الدورى » «Manic-depressive» ، وعوارضها أنه كان سريع الانتقال من حالة النشوة الشديدة إلى حالة الاكتئاب والإحباط الشديد ، وهى حالة يعتبر عدد من كبار الاخصائيين النفسيين(٢) أنها شائعة بين المصريين . وفى الأيام الحاسمة (من ١٥ مايو إلى ٥ يونيو) كان الكثير من تصرفات « عبد الحكيم عامر » تعبيرا بالفعل عن هذه الحالة ، ففى بعض اللحظات كان الفرح يستبد به ، وفى لحظات أخرى كان يبدو شاردا وغارقا فى نوبات من الصمت العميق بعد نوبات لم يكن يكف فيها عن التباهى .

وفى مساء يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ، وبعد الجلسة التى حضرها « جمال عبد الناصر » والتى أبدى فيها تقديره بأن الهجوم الإسرائيلى واقع فى ظرف يومين ، وأنه سيبدأ بضربة جوية كبيرة ـ كان « عبد الحكيم عامر » فى حالة نشوة إلى درجة أن تعقيبه فى نهاية الاجتماع كان بقوله « **إنه لا يتمنى أن يكون فى وضع موشى ديان الذى لابد أن يكون الآن حائرا فيما يمكن أن يفعله إزاء قوة الاستعداد المصرى !!** » **ومع ذلك فإنه بعد يومين اثنين كان فى حالة شديدة من الهستيريا ، فقد راح فى البداية يحاول إخفاء آثار ضربة الطيران الإسرائيلى ، ثم راح يلقى بالمسؤوليات على الذين منعوه من توجيه الضربة الأولى إلى إسرائيل . وفى نفس الوقت كان يوجه معظم سخطه إلى الاتحاد السوفيتى الذى لم يسمح له بنفس حجم القوة التى سمحت بها الولايات المتحدة لإسرائيل ومكنتها من توجيه ضربة أولى كاسحة .**

وتضاربت تصرفاته فى لحظات الأزمة ، ففى الوقت الذى أصدر فيه بالفعل أمره ببدء الانسحاب من سيناء فجر يوم ٦ يونيو ، كان لايزال مصابا بحمى الأعداد الكبيرة ، وهى حمى تصيب بعض القواد حين يتصورون أن مهمتهم هى شحن أكبر عدد ممكن من

---

(٢) بينهم الأستاذ الدكتور « أحمد عكاشة » .

الرجال إلى جبهة القتال دون تنسيق حتى فى فكرهم بين حجم الأعداد وإمكانية تنظيمها ، وبين اتساع هذا الحجم وإمكانية إدارته . وكانت أولى نتائج هذا الشحن للأعداد إلى سيناء أن منطق التخطيط فقد توازنه ، خصوصا عندما توالت التغييرات والتعديلات على الخطط المقررة سلفا لمواجهة الاحتمالات .

ويوم ٨ يونيو ١٩٦٧ كان لايزال مصرا على أن بعض قواته تحارب بالفعل داخل إسرائيل بالقرب من ايلات . وفى مساء نفس اليوم أعلن وسط مجموعة من قواده عزمه على الانتحار[٣] ، وقام يحمل مسدسه متوجها إلى حمام ملحق بمكتبه مصمما على إنهاء حياته بيده فيه . وعندما تكالب عليه عدد من رجاله ينزعون من يده المسدس ارتمى على مقعده ، ووضع رأسه بين كفيه ومال على مكتبه لمدة دقائق ساد فيها قاعة مكتبه صمت رهيب وحزين ، فى حين ذهب السيد « شمس بدران » إلى التليفون يتصل بالرئيس « جمال عبد الناصر » قائلا له « إن المشير مصمم على الانتحار » . وذهب « جمال عبد الناصر » إلى مركز القيادة العليا يقول لـ « عبد الحكيم عامر » بصوت مجروح « إنه يرجوه ألا يضيف الفضيحة إلى المصيبة » . وانفجر « عبد الحكيم عامر » منهارا بالكامل يوزع المسؤوليات على كل الناس ناسيا نفسه .

ويمكن القول دون تجنٍ إن « عبد الحكيم عامر » لم يكن صالحا لتولى قيادة القوات المسلحة فى ظروف الصراع الضخم الدولى والإقليمى الذى كانت مصر تخوضه فى تلك السنوات . كما أن ظروفه الشخصية وما نتج عنها من أحوال نفسية أدت إلى تلاشى ما بقى من صلاحيته للقيادة . وليس هناك شك فى أن هذه كانت واحدة من المسؤوليات الكبرى التى يتحملها « جمال عبد الناصر » من وجهة النظر السياسية . والغريب أنه فى بعض اللحظات كان « جمال عبد الناصر » يظن أن « عبد الحكيم عامر » سوف يعطى كل ما عنده فى هذه المعركة لأنه فيها يدافع عن نفسه كما يدافع عن بلده . وكانت المشكلة أن « عبد الحكيم عامر » ـ بصرف النظر عن بعض الجوانب الإنسانية فى شخصيته ـ لم يكن لديه كثير يعطيه فى الدفاع عن أى شىء . والشاهد أن ضربة الطيران التى فاجأته أصابته بحالة من الضياع الكامل منذ أول ساعة فى المعركة .

وربما كان من المناسب إضافة أن بعض الأوضاع فى القوات المسلحة لم تكن فى

---

(٣) كانت فكرة الانتحار تعاود « عبد الحكيم عامر » فى اللحظات الحرجة من حياته ، والغريب أنه سنة ١٩٥٦ أعد « خاتما » فيه مخبأ يضع فيه جرعة من السم حتى ينتحر به إذا حدث ودخل الانجليز إلى القاهرة خلال عمليات العدوان !

ذلك الوقت ظاهرة بالكامل ، فقد كانت قيادة القوات المسلحة تمارس عملها فى غيبة من أى جهاز رقابى حتى من المخابرات العامة التى كان رئيسها السيد « صلاح نصر » من رجال المشير وأصفيائه (فهو الذى قدم إليه أول مرة السيدة « برلنتى عبد الحميد » وعرفه عليها ، وكان فيما هو شائع أحد شهود زواجهما) . وأما أجهزة الداخلية المختلفة ، وحتى الأجهزة الشعبية (مثل الاتحاد الاشتراكى) فإنها كانت تتحرج من دواعى حساسيات شديدة قبل أن تتقدم بأى تقرير عن واقع الحال فى القيادة العليا للقوات المسلحة !

٢

لقد كانت ضربة الطيران الإسرائيلى هى العنصر الحاسم فى المعركة منذ ساعاتها الأولى . وتكشف وثائق التحقيق فى هذه الكارثة عن أخطاء فادحة كان لابد أن تؤدى إليها :

□ كان الخطأ الأكبر خطأ مخابرات ، فقد كانت التقديرات عن حجم القوات الإسرائيلية وعن مدى عملها قاصرة على نحو مخيف .

وقد ورد فى أقوال الفريق أول « محمد صدقى محمود » (فى صفحة ٣١ من تقرير لجنة التحقيق) ما يلى بالحرف(٤) :

« لقد كان تقديرنا لقوة العدو الجوية وقدرة جهاز الدفاع الجوى - على صد الضربة الجوية المفاجئة كالآتى :

١ - بالنسبة لقوة إسرائيل المعلومة لدينا والمفروض أن تعمل على ثلاث جبهات كان المتوقع أن تكون الضربة الأولى موجهة ضد مطارات سيناء . وكان جهاز الدفاع الجوى بما فيه من مصاعب يمكنه أن يتعامل بالمدفعية المضادة للطائرات من مطارات سيناء ، وبالمقاتلات من قواعد القناة فى حالة مهاجمة مطارات سيناء .

٢ - إن تقدير قوة إسرائيل الجوية كان بحوالى ٢٥٠ طائرة ، منها ٢٥٪ عدم صلاحية و٢٥٪ للدفاع الجوى ، فيتبقى ما مقداره ١٣٠ طائرة لمواجهة

(٤) النص الكامل والحرفى لتقرير لجنة التحقيق فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤٤) صفحة ١٠٤٠ .

الثلاث دول (مصر والأردن وسوريا) . وكان التقدير أن حوالى ٣٠٪ سوف تخصص أمام جبهات سوريا والأردن ، وأن المنتظر استخدامه أمام الجمهورية العربية المتحدة هو ٨٠ ـ ٩٠ طائرة تستخدم فى أنساق ، وأن النسق الأول من هذا العدد ليس أكثر من ٥٠ ـ ٦٠ طائرة . ومن هنا كان التقدير على أساس أن الهجوم الذى ستوجهه إسرائيل ضد الجمهورية العربية المتحدة لا يمكن أن يكون ذا تأثير إلاّ ضد مطارات سيناء وحدها . وبذلك يمكنه التعامل مع هذه الأعداد بواسطة القواعد الجوية فى القناة والمنطقة المركزية .

٣ ـ لو كانت قوة إسرائيل فقط هى التى ستهاجمنا ، فرغم عدم وجود إنذار للطيران المنخفض كان من الممكن التعامل مع طائرات الهجمة الأولى بالمدفعية المضادة للطائرات التى كانت فى حالة استعداد كامل وحرة ، ولا تقيد إلاّ بأوامر من قائد القاعدة الجوية أو غرفة العمليات حسب تحركات طائراتنا .

٤ ـ إن جهاز الدفاع الجوى يستطيع أن يقوم بصد الضربة المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط وإمكانيات إسرائيل حسب المعلومات المتوفرة لدى القوات الجوية . وكان فعلا فى مقدور القوات الجوية صد الضربة الجوية المفاجئة لو كانت إسرائيل وحدها ، بالرغم من المصاعب الموجودة فى جهاز الدفاع الجوى ، وأن تقدير الخسائر المتوقعة كان من ١٥ ـ ٢٠٪ تحدثها إسرائيل وبعدها يستطيع التعامل مع إسرائيل . وأن قبوله للضربة الأولى من قوة إسرائيل فقط كان سيسبب للقوات الجوية بعض النقص فى القوة ، ولكن لا يقعدها تماما عن العمل .

٥ ـ إن السبب الرئيسى لنكسة القوات الجوية هو أنها هوجمت فعلا بإمكانيات علمية وفنية وأسلحة جديدة تستخدم لأول مرة ، وبأعداد كبيرة من الطائرات تفوق ما تملكه إسرائيل بكثير جدا ، علاوة على المساعدات الفنية من استطلاع اليكترونى وتشويش على شبكات الاتصال والتداخل الرادارى ، وهذا لا يتأتى إلاّ بتدخل أمريكا والأسطول السادس وما يملكه من إمكانيات . »

□ **وكان الخطأ الثانى ، بعد الخطأ فى حساب قوة العدو من الطائرات ، هو الخطأ فى المدى** . فقد كانت التوقعات كلها تقصر حدود تأثير الضربة الإسرائيلية الجوية الأولى

على مطارات سيناء . ولم تتنبه المخابرات إلى تطور بالغ الأهمية طرأ على قوة الطيران الإسرائيلى فى الشهور القليلة السابقة على المعركة . **فقد أمكن للولايات المتحدة تزويد الطيران الإسرائيلى بخزانات إضافية للوقود تحملها الطائرات المغيرة وتستعمل وقودها فى رحلتها ذهابا إلى أهدافها فى أقصى العمق المصرى ، وهناك وبعد أن تفرغ من مهام الضرب تقذف بهذه الخزانات الإضافية فى الجو ، ثم تستعمل وقودها الأصلى فى رحلة العودة إلى قواعدها . وقد كان هذا التطور هو المسؤول عن بلاغات كثيرة وصلت إلى القيادة عن خسائر الطيران الإسرائيلى . فقد أخطأت نقط المراقبة وهى ترصد عمليات الطيران المعادى ، فتصورت أن الخزانات الإضافية الساقطة من الجو إلى الأرض هى أجزاء من طائرات طالها الدفاع الجوى المصرى** . وفى الوقت الذى كانت فيه القيادة تذيع بيانات عن أعداد الطائرات الإسرائيلية التى شوهدت تهوى إلى الأرض ، فإن ما شوهد ورصد كان فى الواقع خزانات وقود جرى استهلاكه ولم تعد هناك حاجة لبقاء خزاناته ثقلا إضافيا معلقا بالطائرات الإسرائيلية فى رحلة العودة إلى قواعدها !

[كان ما فقدته إسرائيل على الجبهة المصرية فعلا هو ٣٧ طائرة ، فى حين أن البلاغات الرسمية وصلت بهذا العدد من الطائرات إلى ١٤٢]

وقد سببت هذه البيانات نوعا من فقدان الثقة فى البيانات الرسمية المصرية منذ الساعات الأولى لبدء العمليات . ولم يتنبه أحد فى ذلك الوقت المبكر إلى هذا الفارق بين خزانات الوقود الإضافية وبين الطائرات . وجرى الخلط بين الاثنين ، وكانت النتيجة ضررا معنويا بالغا أصاب نفسية الجماهير التى كانت تتابع المعارك بحماسة ، ثم تصورت أنه قد جرى التغرير بها .

□ **وكان الخطأ الثالث ، وهو مترتب على ما سبق ، هو الظن بأنه فى إمكان القوات الجوية المصرية أن تستوعب الضربة الأولى وأن ترد عليها بضربة ثانية .** وبسبب النجاح الساحق الذى حققته الضربة الإسرائيلية الأولى فإن فكرة القيام بضربة ثانية لم تعد واردة من الأساس . ذلك أن سلاح الطيران المصرى فقد قرابة ٧٥٪ من قوته فى الضربة الأولى . والغريب أن ما حدث فى الاجتماع الأخير الذى حضره « جمال عبد الناصر » فى القيادة العليا للقوات المسلحة ، والذى جرى فيه الحديث عن الضربة الأولى والضربة الثانية ، والذى انتهى الرأى فيه إلى سحب أكبر عدد من المقاتلات من مطارات سيناء ـ لم ينفذ . وكان العذر الذى قدم بعد الكارثة لعدم تنفيذه هو أن سحب أعداد كبيرة من الطائرات من الخطوط الأولى للمواجهة كان يمكن أن يؤثر على الروح المعنوية للقوات فى سيناء .

☐ **وكان الخطأ الرابع ـ وهو أيضا خطأ مخابرات ـ أن مصر لم تعرف أن إسرائيل حصلت من بريطانيا قبل المعركة بسنوات على الخطط التفصيلية لعمليات الطيران البريطانى سنة ١٩٥٦** ، وأن ذلك تم بترتيب خاص بين « جيمس آنجلتون » مدير العمليات فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبين هيئة M.I.6 (المخابرات البريطانية) ، ومن ثم اتخذت من هذه الخطط السابقة نموذجا تؤسس عليه الخطط اللاحقة . ولو أن أحدا فى مصر عرف بذلك ـ قبل فوات الأوان ـ لوقع التنبه إلى أن إسرائيل تفكر وتخطط لضربة واسعة المدى من نوع ما قام به الطيران البريطانى سنة ١٩٥٦ ـ ولما ظلت الأفكار فى القيادة العليا المصرية حبيسة لتصوراتها عن حدود الضربة الجوية الأولى وأنها سوف تكون مقصورة على حدود مطارات وقواعد سيناء .

☐ **وكان الخطأ الخامس أن أحدا لم يقدر حق التقدير حجم المعلومات المتاحة التى وضعت تحت تصرف الطيران الإسرائيلى** . وفى الصفحة ٤٢ من تقرير لجنة التحقيق فيما جرى للقوات الجوية صباح ٥ يونيو ورد بالنص ما يلى :

« كان الملاحظ دقة المعلومات المتوافرة لدى طيارى العدو عن مطاراتنا ، وهى معلومات توضح شكل هذه المطارات وأبعادها وأماكنها ، وكذا مواقع الصواريخ الموجهة مضادة للطائرات ومناطق تدميرها على الارتفاعات المنخفضة ، ومواصفات أغلب محطات الرادار وأشكالها ، ومواصفات طائراتنا وخصائصها الفنية وكيفية التعامل معها ـ ولهذا كان الاستطلاع بالنسبة للعدو مكتملا ويفوق امكانياته لأن العدو لا يوجد لديه استطلاع اليكترونى ، وأن (طائرات) « الفيتور » (التى استعملها فى استطلاعه) لا يمكن أن تعطى الصورة الكاملة والمعلومات الدقيقة التى شوهدت على خريطة أحد قادة الأسراب الذى سقطت طائرته يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ . ويقصد بذلك أن العدو قد حصل على دعم كبير خارجى فى ناحية الاستطلاع . »

☐ **وكان هناك خطأ سادس من المستغرب وقوعه أصلا** . فقد كان يوم الاثنين ٥ يونيو هو اليوم الذى قدره « **جمال عبد الناصر » لبدء إسرائيل بالقتال مفتتحة عملياتها بضربة جوية . ومع ذلك فقد صدرت أوامر صباح هذا اليوم بتقييد نيران المدفعية المضادة للطائرات فوق عدد من القواعد . ويشير تقرير لجنة التحقيق إلى هذه الحقيقة الغريبة فى صفحة ٤٧ منه بما يلى :**

« كانت نيران المدفعية المضادة للطائرات والمخصصة للدفاع عن القواعد الجوية وقت بدء العدوان مقيدة للأسباب الآتية :

١ ـ بالنسبة لمطارات سيناء :

- **مطار « السر »** : بسبب وصول طائرة مواصلات تحمل معدات وأكياس خيش للمطار .

- **مطار « تمادا »** : بسبب انتظار طائرة السيد المشير وجميع قادة التشكيلات عن المحاور على طائرات هليوكوبتر ليكونوا فى انتظار السيد المشير .

[كان المشير « عبد الحكيم عامر » قد قرر أن يذهب إلى الجبهة بنفسه فى هذا اليوم ، وأن يعمل من مركز القيادة الأمامى . ولهذا قصد بطائرة إلى مطار « تمادا » وجاء قادة القوات من جميع محاور الجبهة لاستقباله فى المطار ومصاحبته إلى مركز القيادة الأمامى . وقد وصلت طائرته إلى مطار « تمادا » وكان واقعا تحت الضرب بالفعل واضطرت طائرته للعودة إلى القاهرة بقرار منه ، وحين نزل فى المطار كان مطار القاهرة بدوره قد ضرب ، ولم يستطع المشير أن يخرج منه إلى مقر القيادة العامة فى القاهرة إلاّ بعد العثور على سيارة تاكسى حملته وبعض مرافقيه من المطار إلى هناك] .

- قاعدة « المليز » : بسبب الطائرات التى تنقل المياه والألغام إلى موقع « أم حزم » .

٢ ـ بالنسبة لمطارات القناة :

- **مطار « فايد »** : بسبب الطائرات المقلة للوفد العراقى والصحفيين .

[كان السيد « طاهر يحيى » رئيس وزراء العراق ومعه وفد رسمى عراقى ، ومجموعة من الصحفيين فى رحلة ليوم واحد إلى الجبهة] .

- **مطار « كبريت »** : بسبب وجود طائرة تنقل رشاشات وذخيرة إلى المطار لتدعيم الدفاع الجوى عنه .

- **قاعدة « أبو صوير » الجوية** : كانت النيران مقيدة فيها بسبب انتظار مرور طائرة المشير بالقرب منها .

٣ ـ بالنسبة لمطارات المنطقة المركزية الجوية :

- **مطار غرب القاهرة** : بسبب طلعات التدريب التى تقوم بها الدفعة الـ ١٨ على طائرات « ميج ١٧ » .

- **مطار « بنى سويف »** : بسبب عدد خمس طائرات من طراز « تى . يو . ١٦ » ـ تقوم بطلعة تدريب (يقودها العقيد طيار « محمد حسنى مبارك ») . »

٣

كانت الأيام الخمسة من الاثنين ٥ يونيو إلى الجمعة ٩ يونيو ، هى أسوأ الأيام فى حياة « جمال عبد الناصر » وأكثرها عذابا . كانت أيام محنة حقيقية لرجل تحمل بتبعات مشروع عربى كبير . وكانت بعض الساعات خلال هذه الأيام أشبه ما تكون بكوابيس مطبقة على عمر بأكمله ، وقد انقضت عليه وقائع ما جرى وكأنها صواعق من نار وظلام .

كان « جمال عبد الناصر » فى الأساس لا يؤمن بالحرب إلاّ كملجأ أخير ليس منه بد ، وفى هذه الحالة فإن حسابات الحرب يجب أن تكون دقيقة . وكثيرا ما كان يلح ـ فى تحليلاته للمواقف السياسية ـ على ضرورة تجنب المآزق التى يمكن أن تقود إلى الحرب . وكان يردد دائما أنه يلح على ذلك لأن خلفيته عسكرية وهو يعرف معنى الحرب.وكان كثير الاستشهاد بمقولة مأثورة تقول « **إن فى مقدور أى سياسى أن يبدأ حربا ، ولكن مشكلته الكبرى سوف تكون كيفية إنهائها** » . **وأكثر من ذلك فقد كان رأية أن نشوب القتال ينقل مصائر الأمور من أيدى الساسة الذين يديرونها إلى أيدى جنرالات لا يرون ما هو أبعد من حدود ما هو ظاهر أمامهم . وبالتالى فإن أى نظام يترك آماله فى أيدى الجنرالات يوقع نفسه فى مأزق التخلى عن القرار إلى قيادة أخرى** . ذلك لأن النتائج التى تسفر عنها المعارك تكون فى العادة هى نقطة البداية فى مراحل سياسية جديدة قد تختلف تماما عما كان قبلها . وربما من هنا كان حرصه الشديد فى الفترة من سنة ١٩٦٤ عندما بدأ يشعر أن الخطط ترسم لاصطياده عسكريا .

وعندما بدأت أزمة الشرق الأوسط بالحشود الإسرائيلية على سوريا ، وقرر هو أن يواجهها بحشد عسكرى مصرى فى سيناء ، فإنه ظل حريصا طول الوقت على ألاّ يغلق بابا ولا يترك فرصة تضيع . ولقد كان من هنا حذره الشديد فى خطى سحب قوات الطوارىء من سيناء ، وفى استعداده للاستجابة لـ « يو ثانت » فى كل ما يقترحه ولا يكون متعارضا مع مبدأ يؤمن به .

ولقد كثف كمية هائلة من العمل السياسى فى تلك الساعات حتى لا تصل الأزمة إلى نقطة الصدام . وكان تقديره أنه إذا استطاع أن يكسب وقتا ، وإذا أفلتت من إسرائيل فرصة الرد المباشر على خطوة إغلاق خليج العقبة ، فإن الصدام يمكن تفاديه. وعندما بدا له من

سير الحوادث أن احتمالات الصدام تتزايد من ٤٠ إلى ٦٠ إلى ٨٠ إلى ١٠٠٪ يوم ٢ يونيو ، فإنه لم يكن يعد نفسه لنصر عظيم . كان كل ما يريده معركة دفاعية تمتد أياما وتبدو فيها وحدة العالم العربى وتضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، وينعكس أثر ذلك على الرأى العام العالمى ممثلا فى الأمم المتحدة مع ظهور أعراض أزمة فى العلاقات بين القوتين الأعظم ، وساعتها يمكن الوصول إلى وقف لإطلاق النار ويبدأ البحث عن مخرج فى الأزمة . **ولابد من القول إن « جمال عبد الناصر » فى هذا التصور لمسار الحوادث كان لايزال محكوما بتجربته فى السويس ، فى حين أن الأمور هذه المرة كانت تندفع فى مسار مختلف .**

□

كان تقديره أن القوات المسلحة المصرية فى أوضاع تستطيع فيها أن تواجه معركة دفاعية على أساس الخطة الاستراتيجية التى تحمل الاسم الرمزى « قاهر » ، وهى خطة تم وضعها واعتمادها فى أواخر سنة ١٩٦٦ . وكانت هذه الخطة تحدد للقوات المسلحة المصرية على الجبهة الشرقية مهمة محددة بالتوجيه الاستراتيجى التالى نصه :

« تركيز المجهود الرئيسى للقوات المسلحة المصرية للدفاع عن سيناء بغرض التشبث بنطاقات دفاعية وتكتيكية وتعبوية فيها ، تقع على امتداد الاتجاهات التعبوية التى تؤدى من النقب إلى قناة السويس ، وإيقاع أشد الخسائر بالعدو المهاجم مع تحمل بعض الخسائر فى القوات المدافعة ، وذلك أثناء القيام برفع درجات الاستعداد والفتح التعبوى لباقى القوات ، ثم خلق الظروف المناسبة للتحول إلى الهجوم العام ودفع الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية لنقل المعركة إلى أرض العدو والاستيلاء على المناطق الحيوية بها طبقا لما يمليه الموقف عندئذ . »

ويضيف تقرير القيادة العليا للقوات المسلحة إلى هذا التوجيه الاستراتيجى تفصيلا ملحقا به جاء فيه بالنص :

« إن الخطة تقوم على فكرة دفاعية تربط كلا من القوات البرية والجوية والبحرية بقيود التسليم للعدو بالمبادأة وقبول تلقى الضربة الأولى ، وركزت على ضرورة تخفيف آثارها وتقليل الخسائر المترتبة عليها ، ثم العمل على امتصاص الصدمة وإحباط القوة الدافعة لها توطئة لانتزاع المبادأة التعبوية والتحول للهجوم العام . »

ولم يكن « جمال عبد الناصر » يطلب حين أصبح احتمال القتال حتميا أكثر من

تنفيذ الجزء الأول من التوجيه الاستراتيجى ـ أى الدفاع ـ أما انتزاع المبادأة والتحول إلى الهجوم فقد كان خارج نطاق أحلامه . وظلت تلك خطوط تفكيره حتى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ثم جاءت القارعة !

□

فى الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ، توجه « جمال عبد الناصر » بنفسه إلى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة فى مدينة نصر . وكان ذهابه إلى القيادة خروجا على اتجاه أراد أن يلزم نفسه به طوال فترة المعارك ، وهو أن يترك للقيادة العليا فى جو العمليات فرصة إدارة عملياتها دون أى تدخل أو ضغط سياسى . كان رأيه من تجربة سنة ١٩٥٦ أن أسوأ ما يمكن أن يضغط على قيادة عسكرية فى وقت المعارك أن تجد نفسها طوال الوقت مضطرة إلى مراعاة اعتبارات خارجة عن ضرورات القتال المباشر . وكان يعتقد أنه طالما أن الاتصال قائم عن طريق ضباط الارتباط بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية ، فمن الأفضل ترك الحرية للعسكريين يواجهون مهامهم تحت مسؤوليتهم وبالطريقة التى يرونها . كان للسياسة فى تقديره أن تتدخل فى رسم الاستراتيجية وفى تقرير مطالبها ، وأما حين يتحول الأمر إلى حوار بالنيران فإن تدخل السياسيين ، بل وحتى ظهورهم فى أجواء القيادة العسكرية يصبح عنصر إقلاق معنوى يحسن تفاديه .

لكنه مع الساعة التاسعة والنصف من صباح ٥ يونيو بدأ يشعر بالقلق . فلقد عرف بالطبع أن إسرائيل وجهت ضربتها الجوية المنتظرة ، ولكنه لم يستطع تقدير مدى نجاحها . وبدت له التقارير التى يتلقاها مرتبكة ومشوشة . وحاول الاتصال بقائد الدفاع الجوى ولم يجده فى قيادته ، ثم عرف أن المشير « عبد الحكيم عامر » قطع رحلته إلى الجبهة وعاد إلى قيادته . وطمأنه هذا لبضع دقائق ، ورأى أن يترك له فرصة الإمساك بزمام الموقف من مقر قيادته قبل أن يتصل به . ثم عاد القلق إليه عندما مرت الدقائق والقائد العام لم يتصل به ، وهكذا قرر أن يذهب بنفسه إلى مقر القيادة معتزما ألاّ يطول بقاؤه فيها بأكثر من الوقت اللازم له ليعرف آخر التطورات وليعطى كامل تأييده المعنوى ، ثم يعود هو إلى مكتبه ليقود من هناك معركته السياسية على المستوى الداخلى والعربى والدولى .

لكنه عندما وصل إلى القيادة أحس بالشؤم من النظرة الأولى . فقد بدا له أن عبد الحكيم عامر » يحاول قدر ما يستطيع ألاّ يلتقى نظره بنظره (أى بنظر « جمال

عبد الناصر ») . وأحس « جمال عبد الناصر » أن « عبد الحكيم عامر » يحاول إخفاء شيء . ووجه إليه سؤالا مباشرا عما تلقاه من حجم خسائر الضربة الإسرائيلية الأولى ، وكان رد « عبد الحكيم عامر » متهربا لأنه ركز إجابته بالحديث عن خسائر الطائرات الإسرائيلية بسبب الدفاعات الجوية المصرية . وراح « جمال عبد الناصر » يلح على معرفة خسائر الضربة الإسرائيلية ، وأبدى ملاحظة مؤداها أن حصر الخسائر الإسرائيلية مسألة هامة ولكنها تالية فى أهميتها لحصر الخسائر المصرية . ورد « عبد الحكيم عامر » بما مؤداه أنه ينتظر خلال دقائق معلومات كاملة عن الخسائر المصرية ، فمكتبه على اتصال بكل القيادات والقواعد ، وهو يتلقى بيانات عن « الصورة » يجرى تجميعها الآن .

كانت التقديرات التى ذكرها « عبد الحكيم عامر » لخسائر الطيران الإسرائيلى أكبر مما توقعه « جمال عبد الناصر » ، وبدت له هذه الأرقام مسرفة فى مبالغاتها . وأبدى ملاحظة بهذا المعنى لـ « عبد الحكيم عامر » . ومرة أخرى كان « عبد الحكيم عامر » يتجنب أن يواجه « جمال عبد الناصر » فى عينيه . وقام « جمال عبد الناصر » فدخل إلى غرفة ملحقة بمكتب المشير ، ومن هناك اتصل تليفونيا بالسيد « شعراوى جمعة » وزير الداخلية يسأله عن معلومات الداخلية عن سقوط طائرات إسرائيلية . وكانت بعض المحافظات قد أبلغت عن سقوط طائرات إسرائيلية والقبض على طيارين إسرائيليين أملاه « شعراوى جمعة » أسماء ثلاثة منهم ، كما أن مؤدى المعلومات كان يشير إلى سقوط حطام طائرات كثيرة (ظهر فيما بعد أن أغلبها خزانات وقود ألقتها الطائرات الإسرائيلية تخفيفا لحمولتها بعد قيامها بضرب أهدافها) ـ وبدا لـ « جمال عبد الناصر » أن معلومات الداخلية تؤيد إلى حد ما ما سمعه من تقديرات « عبد الحكيم عامر » . وعاد إلى مكتب القائد العام أكثر تفاؤلا ، لكن هاجسه مع ذلك ظل معلقا بحجم الخسائر المصرية من الطائرات نتيجة للضربة الإسرائيلية .

ولم يكن « جمال عبد الناصر » يريد أن يبقى فى مقر القيادة طويلا تنفيذا لتوجهه المبدئى الأصلى ـ لكنه مع ذلك لم يكن قادرا على مغادرة مقر القيادة دون أن يعرف حجم الخسائر المصرية بطريقة مؤكدة . كما أنه أراد أن يستوثق من الاستعداد لتوجيه الضربة الثانية . وبشكل ما أحس « جمال عبد الناصر » من مجمل الاتصالات التى كان يجريها « عبد الحكيم عامر » أمامه أن الأمور تحمل فى طياتها أكثر مما يبدو على السطح . وبدت له الأجواء فى القيادة شديدة الارتباك بأكثر مما هو منتظر . فبعض الارتباك فى مثل هذه الظروف ضرورى ، ولكن ما رآه أمامه كان أقرب إلى حالة من الفوضى منه إلى

مجرد ارتباك عابر لا يدوم إلاّ بمقدار ما يلزم لأصحابه حتى يستعيدوا سيطرتهم على أعصابهم وعلى الحوادث . ومع أنه حاول أن يتشاغل بالحديث مع بعض القواد الذين تصادف وجودهم فى مكتب القائد العام ، إلاّ أنه وجد نفسه يلح على « عبد الحكيم عامر » أكثر من مرة فى طلب المعلومات الكاملة عن حجم الخسائر المصرية . وفى حوالى الساعة الواحدة والنصف دخل السيد « شمس بدران » وزير الحربية إلى مكتب المشير « عبد الحكيم عامر » وناوله ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة ، ونظر اليها « عبد الحكيم عامر » ثم مد يده بها إلى « جمال عبد الناصر » متفاديا مرة أخرى أن تلتقى نظراتهما . وقرأ « جمال عبد الناصر » الكشف وأحس على الفور بهول الكارثة ، كما أدرك أنه لن تكون هناك ضربة ثانية أو ثالثة . وأهم من ذلك فإن القوات البرية المقاتلة فى الصحراء المكشوفة سوف يكون عليها فى الساعات القادمة أن تواجه تركيز الطيران الإسرائيلى فوقها دون أن يكون فى مقدورها الاعتماد على غطاء جوى توفره لها قواتها الجوية .

وبينما « جمال عبد الناصر » يحاول التفكير فى هول ما قرأ من أرقام ، كان « عبد الحكيم عامر » على استعداد لأن ينفجر ، وقد بدأ يقول إنه لا يجد تفسيرا لما جرى سوى أن الطيران الأمريكى بنفسه اشترك فى الضربة الإسرائيلية . فتقديره لعدد الطائرات المغيرة يصل بها إلى أكثر من ألف طائرة . وبدا على « جمال عبد الناصر » أنه لا يصدق هذه الأرقام ، ولكن « عبد الحكيم عامر » راح يلح على صدق ما يقول طالبا من « جمال عبد الناصر » أن يعلن أن الولايات المتحدة هى التى ضربت بقواتها طيران الجمهورية العربية المتحدة . وكان رد « جمال عبد الناصر » أنه لا يستطيع أن يقول ذلك إلاّ إذا كان ثابتا له ، وهو لا يثبت فى رأيه إلا إذا رأى بنفسه حطام طائرة أمريكية أو طيارين أسرى أمريكيين . وكان قوله لـ « عبد الحكيم عامر » بما مؤداه : « **إنك تذكر لى أرقاما مهولة عن خسائر الطائرات المغيرة ، فهل يعقل ألاّ يكون بينها طائرة أمريكية إذا كان الأمريكان هم الذين قاموا بالمجهود الرئيسى فى الضربة ؟** »

ثم بدأت تلح على « جمال عبد الناصر » صورة القوات البرية التى تحارب فى سيناء دون غطاء جوى . وكان رد « عبد الحكيم عامر » على هذه النقطة هو أنها « **لا تقلقه لأن الخسائر التى لحقت بالطائرات الإسرائيلية المغيرة سوف تحد من نشاطها فوق القوات البرية** » . ولم يكن هذا الرد مقنعا ، وكان تعليق « جمال عبد الناصر » عليه بما مؤداه أنه « **إذا كانت القوات المعادية المغيرة هى فى حدود ألف طائرة كما يذكر « عبد الحكيم عامر » ، وكانت خسائرها حتى على النحو الذى يقول به الآن ، فإن قوة الطيران الباقية**

لدى العدو قادرة على إلحاق كارثة أخرى بالقوات البرية فى سيناء لا تقل عن الكارثة التى لحقت بالقوات الجوية فى قواعدها ومطاراتها . »

وأحس « جمال عبد الناصر » أنه يوشك أن يفقد أعصابه فى وقت لا تحتمل فيه الظروف ضياع الأعصاب . وترك مكتب « عبد الحكيم عامر » عائدا إلى مكتبه والفكرة التى تشغل ذهنه هى إعفاء « عبد الحكيم عامر » من مهامه وتعيين قائد عام جديد بدلا منه . وكانت هذه الفكرة ملحة عليه طوال المسافة من القيادة إلى مكتبه . ولكنه غير رأيه قبل أن ينزل من السيارة ، فقد بدا له أن تغيير القيادة الآن لا يحل المشكلة . فكل كبار قادة الجيش مسؤولين عن الموقف الراهن بنفس مقدار مسؤولية « عبد الحكيم عامر » ويصعب أن يكون بينهم من هو فى هذه اللحظة أكبر من الموقف . وكذلك بدا لـ « جمال عبد الناصر » أن تغيير « عبد الحكيم عامر » فى هذا الوقت معناه إعلان الهزيمة بعد نصف يوم من القتال . وهذا يؤثر تأثيرا مدمرا على القوات المكشوفة والمعرضة فى سيناء . وقد أصبحت هذه القوات شاغله الشاغل .

ومن مكتبه عاد يتصل تليفونيا بـ « عبد الحكيم عامر » وبعدد من كبار القادة طالبا بذل أقصى جهد لتحقيق صمود وسلامة قوات سيناء ، مشيرا إلى أنه سوف يحاول بكل الوسائل السياسية تغطية وتدارك الموقف الخطير الذى نشأ بعد الضربة الإسرائيلية .

□

ومضت الساعات عصيبة رهيبة ، و « جمال عبد الناصر » يحاول تحريك الموقف العربى والموقف الدولى إلى أقصى الحدود . كانت تلك عملية قدر لها أياما بغير ضغط ضربة جوية قاصمة ، وكان عليه الآن أن ينفذها فعلا فى ظرف ساعات وفى ظل الكارثة التى حلت بالقوات الجوية ، وهى كارثة لم تعد سرا على أحد فى العالم الخارجى أو فى العالم العربى . فقد بدأت آلة الدعاية الأمريكية الرهيبة ، ومعها آلة الدعاية الإسرائيلية وهى لا تقل كفاءة عنها ـ تعملان معا بهمة ونشاط على إلحاق أكبر الأضرار المعنوية بالأمة العربية كلها . وبدا الصلف الأمريكى فى عنفوانه من خلال لقاء تم بين السفير « محمد القونى » فى نيويورك وبين المندوب الأمريكى الدائم لدى الأمم المتحدة « آرثر جولدبرج » . وفى هذا اللقاء وطبقا لما جاء فى برقية للسفير « القونى » ، قال « جولدبرج » له « **إن المعارك لن تتوقف على الجبهة المصرية إلاّ عندما تعلن مصر سحبها واعتذارها عن معلومات خرجت منها باتهام الولايات المتحدة بأنها شاركت عمليا فى ضرب الطيران المصرى » .**

وروى السفير « القونى » فى برقيته(٥) أنه قال لـ « جولدبرج » : « **إننا قد نكون على استعداد لأن نفهم هذا الموقف العدائى منكم تجاهنا ، ولكننا لا نفهم موقفكم إزاء ما يجرى لجيش الأردن** » . وكان رد « جولدبرج »عليه بصلف هو قوله بالحرف : « **إن حسين (يقصد الملك « حسين ») أخل بالعقد الذى حصل بموجبه على سلاح منا . وقد كان لابد لنا أن نسترد منه ما أعطيناه من سلاح . وبالطرق الطبيعية فقد كان مستحيلا أن نطالبه برد السلاح ، وهكذا لم يبق أمامنا غير السماح بتدميره .** »

□

وركز « جمال عبد الناصر » لبعض الوقت على استعداده لقبول قرار من مجلس الأمن شريطة أن ينص القرار على ضرورة عودة القوات المتحاربة إلى المواقع التى كانت عندها قبل بدء القتال . وتمسك السوفيت فى مجلس الأمن ، وفى اتصالاتهم المباشرة على الخط الساخن مع الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » - بهذا المطلب ، ولكن « جونسون » وإسرائيل كانا قد بحثا هذا الاحتمال فى اتفاقيتهما المبكرة واستبعداه تماما من حسابهما .

وكان الموقف يسوء ساعة بعد ساعة على الجبهة ، فقد تحول قرار الانسحاب الذى أصدره « عبد الحكيم عامر » فى الساعة السادسة وعشر دقائق من صباح يوم ٦ يونيو - من عملية انسحاب إلى زحام مجنون على النجاة لا تنظمه خطة ولا يتحكم فيه قائد . بل إن عددا من القواد كانوا قد نجوا بأنفسهم قبل أن يطمئنوا إلى سلامة قواتهم . **ومع ذلك فقد كانت فى بعض زوايا الصورة الكئيبة العامة بقع مضيئة بدماء رجال وأبطال راحوا يواصلون القتال والصمود فى مواقف ومواقع كان القتال والصمود فيها ضربا من المستحيلات . بل إنه حتى صباح يوم الخميس ٨ يونيو كانت هناك قوات مصرية تشن هجمات ضارية على أجنحة ومؤخرة القوات الإسرائيلية الزاحفة .**

وفى نهاية ساعات مأساوية وحزينة لم يكن أمام « جمال عبد الناصر » غير أن يتصل بالسيد « محمود رياض »وزير الخارجية يطلب إليه أن يتصل بالسفير « القونى » بنيويورك ليبلغه أن الجمهورية العربية المتحدة توافق على وقف إطلاق النار بدون أن تربط هذه الموافقة بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التى كانت فيها قبل أن ينشب القتال . وكانت تلك هى اللحظة التى اتصل فيها السيد « شمس بدران » بالرئيس « جمال عبد الناصر » يرجوه فى المجىء إلى مقر القيادة العليا لأن « المشير

---

(٥) برقية السفير « القونى » برقم ٢١٣٧ بتاريخ ٧ يونيو ١٩٦٧ - وهى ضمن محفوظات وزارة الخارجية .

مصمم على الانتحار » . وذهب « جمال عبد الناصر » لكى يرجو « عبد الحكيم عامر » فى صوت مجروح « ألا يضيف الفضيحة إلى المصيبة » .

□

كان المشهد الذى وجده « جمال عبد الناصر » فى مكتب « عبد الحكيم عامر » حينما دخل إليه أشبه ما يكون بمشهد منتزع من إحدى قصص « كافكا » الروائى التشيكى المشهور بكآبة صوره وسوادها وثقلها إلى درجة الكابوس الجاثم .

كان واضحا أن « عبد الحكيم عامر » قد ضيع أعصابه تماما ، وراحت أحواله النفسية تتأرجح من النقيض إلى النقيض ، فقد راح يتحدث عن خيانات حوله ، ثم يقفز إلى الاعتراف بمسؤوليته ، ثم ينتقل مرة ثالثة إلى أن الموقف ليس ميئوسا منه بعد وأنه يفكر فى خطة جديدة لمواصلة القتال ، ثم يعاوده خاطر الانتحار ويروح يلوم الذين منعوه من تنفيذ محاولته .

كان « جمال عبد الناصر » قد توصل إلى اقتناع مؤداه أن النظام كله قد « انتهى » . وهكذا فإن أول ما قاله لـ « عبد الحكيم عامر » بعد ملاحظته الأولى عن الفضيحة والمصيبة هو قوله « إن أى نظام يعجز عن حماية حدود وطنه يفقد شرعيته . وإنه مهما كانت أحزاننا الآن فإن علينا أن نعرف أن دورنا قد انتهى نهاية مأساوية ، ولم يبق أمامنا إلا مهمة أخيرة هى ترتيب « أوضاع البلد » بما يمكن معه تحقيق انتقال إلى ظروف تختلف اختلافا بيّنا عما هى الآن » . واعترت « عبد الحكيم عامر » نوبة هياج فراح يقول « إن كل شىء لم يضع بعد » . وسأله « جمال عبد الناصر » بأسى : « ما الذى بقى لم يضع ؟ » ورد « عبد الحكيم عامر » : « المقاومة الشعبية » . ثم راح يتحدث عن توزيع السلاح على الشعب لكى يقاوم ، وأنه سبق أن سلم المقاومة الشعبية آلافا من البنادق ، وهناك آلاف أخرى يمكن تسليمها لها وهى تحت قيادة « زكريا محيى الدين » . وانضم إليه « شمس بدران » فى الدعوة إلى المقاومة الشعبية ، وكان « زكريا محيى الدين » . الذى دخل القاعة فى ذلك الوقت يسمع ما يجرى مذهولا . وفى هذه اللحظة دخل أحد ضباط الارتباط بتقرير من الجبهة ، وتوجه « جمال عبد الناصر » بسؤال إلى « شمس بدران » قال فيه : « ما هو الموقف فى بور فؤاد ؟ » ولم تكن لدى أحد إجابة محددة ، والتفت « جمال عبد الناصر » الى السيد « زكريا محيى الدين » وطلب إليه أن تقوم المقاومة الشعبية بتعزيز الموقف فى بور فؤاد بكل ثمن .

وكان « عبد الحكيم عامر » يتابع كل ذلك وعيناه مليئتان بنوع مخيف من الفراغ ،

والتفت إليه « جمال عبد الناصر » وطلب إليه أن يصحبه إلى الغرفة الملحقة بمكتبه لكى يتحدثا للمرة الأخيرة حديث رجال يقدرون مسؤولية الظروف .

وفى هذا اللقاء المنفرد المتوتر بين الاثنين قال « جمال عبد الناصر » لـ « عبد الحكيم عامر » إنه أصبح مقتنعا بضرورة اعتزاله للحياة العامة . فقد انتهى دوره وانتهت فى رأيه ثورة ٢٣ يوليو . وما بقى منها من مبادىء أو منجزات أصبح فى أيدى الناس ، وليس لنا أن نعطل طريقهم فى تدبير أمورهم على النحو الذى يرونه عندما تخف حدة الظرف العصيب الذى تواجهه الأمة الآن . ثم استدرك بملاحظة بدا أن تفكيره انتقل إليها وهى مشاعر القوات العائدة من سيناء بعد توقف القتال ، واحتمال وقوع مشاكل بينها وبين جماهير الشعب التى انقضت عليها نتائج المعارك بطريقة قد تكون قابلة للاشتعال والانفجار .

ثم كان اقتراح « جمال عبد الناصر » بعد ذلك أنه سوف يقدم استقالته للأمة ، وسوف يقترح فى نفس الوقت أن يكون السيد « شمس بدران » رئيسا مؤقتا للجمهورية ريثما يمكن ترتيب الأمور . وكان ظنه فى هذا الوقت أن وجود « شمس بدران » على رأس الدولة وهو وزير الحربية قد يكون عاملا قادرا على تفادى احتمال التصادم بين الجيش والجماهير .

وبدا « عبد الحكيم عامر » موافقا على هذا الاقتراح . ثم انضم إلى الاثنين كل من السيد « زكريا محيى الدين » والسيد « أنور السادات » والسيد « شمس بدران . »

□

[فى الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الخميس ٨ يونيو اتصل بى الرئيس « جمال عبد الناصر » بالتليفون فى مكتبى بالأهرام وكنت أتابع منه مجرى الحوادث فى مصر وأصداءها خارجها . وبدا صوته لأول وهلة على التليفون مثقلا بهموم الدنيا كلها . وقد سألنى ما الذى أقترح عمله ، وكان رأيى أنه لم يبق أمامه غير الاستقالة . وكان رده بالحرف : « غريبة .. هذا ما فكرت فيه تماما » . وكان ردى أنه ليس هناك خيار آخر . وكان تعليقه بالموافقة .

وانتقل بالحديث إلى بعض التفاصيل مما جرى قبل دقائق فى مكتب « عبد الحكيم عامر » ابتداء من اعتزامه الانتحار إلى الاتفاق على اختيار السيد « شمس بدران »

رئيسا مؤقتا للجمهورية بعد إعلان استقالته . وكان كل تفصيل من تفصيلات ما جرى جرحا يصيب القلب والعقل معا !

ثم سألنى فى نهاية الحديث عما إذا كنت أستطيع ـ وكجهد أخير ـ أن أكتب له خطاب استقالته للأمه بحيث يلقيه فى اليوم التالى (الجمعة ٩ يونيو) . وقلت « إننى سوف أسهر عليه طول الليل ، وهى مهمة لم أكن أتمنى فى حياتى أن يعهد بها إلىّ ، ولكنى أقبلها عارفا بمسؤولية الظروف » . ودار حوارنا لبعض الوقت عن النقاط الرئيسية فى خطابه المطلوب ، ثم اتفقنا على أن يكون لقاؤنا فى بيته فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى .]

الفصل الرابع

يوم طويل ... طويل !

١

[سوف أستأذن فى هذا الفصل من الكتاب أن أخرج على مألوف ما اتبعته طوال سياقه من إخراج شخصى ودوزى بالكامل من صورة الحوادث - وأروى قصة هذا الفصل بصيغة المتكلم . ذلك لأن الظروف قضت أن أكون الشخص الوحيد الذى عاش مع « جمال عبد الناصر » وقائع هذا اليوم - الجمعة ٩ يونيو - من الساعة السابعة إلاّ عشر دقائق صباحا وحتى الساعة السادسة مساء . وهذه حقيقة يعرفها ويسلم بها كل الذين كانوا على صلة بوقائع تلك الفترة . وبالتالى ، فقد ظننت أن الرواية قد تستقيم أكثر إذا عرضت مباشرة . وفى عرضها فإننى أعتمد على مجموعة من ست وعشرين صفحة دونتها فى أوراقى عن وقائع ذلك اليوم]

□

فى الساعة السادسة والنصف صباحا توجهت إلى بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » ومعى مشروع الخطاب الذى طلب منى إعداده متضمنا إعلان استقالته للأمه . وكان قد

كلفنى بهذه المهمة فى حديثه التليفونى مساء يوم الخميس . كانت تلك تجربة فى الكتابة من أقسى ما عانيت فى حياتى . وقد ظللت معها ليلة كاملة دون نوم تحت وطأة هم الكلمات ، وقبلها هموم الحوادث . وعندما ركبت السيارة فى الطريق إلى بيت « جمال عبد الناصر » كان معى ملف فيه مشروع الخطاب الذى أرهقتنى سطوره أكثر من أى شىء آخر كتبته من قبل . وظننت أننى حفظت العبارات والألفاظ من كثرة ما راجعتها وغيرت فيها وبدلت . وتركتها بجانبى ، وأمسكت بنسخة من عدد « الأهرام » الصادر فى ذلك اليوم والذى لم أكن قد شاركت فى إعداده لأنى كنت مأخوذا بالكامل بعيدا عنه . كانت عناوين الصفحة الأولى تتحدث عن معارك رهيبة بالمدرعات فى سيناء ، تلحق بها عناوين أخرى تتحدث عن « مدد الطائرات الذى لا ينقطع عن العدو » ، وعن بيان للملك « حسين » يقول فيه « إن العدو كان معززا بقوات جوية تخرج عن نطاق إمكانياته » ، وعن « اتصالات مستمرة طوال يوم أمس بين كل الملوك والرؤساء العرب للوصول إلى موقف موحد يساعد على دعم معركة الأمة العربية . »

وبدت لى هذه العناوين كلها وغيرها بقايا مرحلة مضت وتوشك أن تلحقها اليوم مرحلة لا أظنها خطرت ببال أحد . فمحتويات الخطاب الملقى بجانبى على مقعد السيارة كفيلة بأن تفتح عالما آخر مجهولا وموحشا توشك الأمة العربية أن تخطو إلى عتباته . وتركت عدد « الأهرام » ورحت اتطلع الى شوارع القاهرة والسيارة تمرق فيها فى هذه الساعة المبكرة من الصباح . كانت العاصمة مازالت شبه نائمة ، وبدت لى رقيقة وجميلة وحزينة لا تعرف ما تخبئه لها المقادير . لقد عاشت أياما مرهقة شدت أعصابها على الآخر ، وهى الآن مقبلة على يوم لم تتهيأ له ، وهو يوم قد يكون فاصلا فى حياتها ، ومصائرها بعده معلقة بميزان دقيق .

ولأن الطريق كان خاليا ، فقد وجدت سيارتى أمام بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » فى الساعة السابعة إلاّ عشر دقائق . وعرفت أنه فى غرفة مكتبه منذ ساعات ، وتوجهت إليه مباشرة وكان ممسكا بسماعة تليفون يناقش طرفا آخر . ووقفت أمامه لثوان ، وعرفت من مسار الحديث أن الطرف الآخر هو « عبد الحكيم عامر » . ثم فهمت بعد لحظات من متابعة النقاش أن « عبد الحكيم عامر » يبلغه بأن القوات الإسرائيلية تضغط بالغارات الجوية على القوات غربى القناة ، وأن هناك معلومات عن جسور منقولة على حاملات ضخمة ، وكل التقديرات ترجح أنها محاولة إسرائيلية لعبور القناة إلى الضفة الغربية . كان « جمال عبد الناصر » يناقش هذه المعلومات . وبدا لى الموضوع من أساسه فى حاجة إلى تدقيق . ويظهر أننى هززت رأسى بإشارة تحمل هذا المعنى . وقال « جمال عبد الناصر »

لـ « عبد الحكيم عامر » على التليفون إننى واقف أمامه ولدىّ ماأريد أن أقوله . وأزاح سماعة التليفون و « عبد الحكيم عامر » معه على الناحية الأخرى من الخط ، وتطلع نحوى منتظرا ما أقول . وأبديت رأيا مفاده أننى أستبعد تماما أن تكون هذه المعلومات صحيحة ، أو أن تكون التقديرات المبنية عليها دقيقة . وأضفت أن إسرائيل حققت أكثر مما تريد ، وعبورها للضفة الغربية من قناة السويس فوق ما تحتمله الموازين الدولية ، وأيضا فوق ما تحتمله قواتها المشدودة الآن على آخرها . فقد وصلت هذه القوات بعد زحف طويل إلى الضفة الشرقية ، وعبورها إلى الضفة الغربية معناه أن تجد نفسها داخلة فى نوع من المعارك ليست مستعدة له خصوصا بعد زحفها الطويل ، وهو معارك المدن . فالجيش الإسرائيلى لا يستطيع أن يواجه عملا أو حركة وسط التجمعات السكانية فى منطقة القناة لأن ذلك سوف يعرضه إلى ما كان يتجنبه باستمرار . قلت ذلك باختصار ، وأعاد « جمال عبد الناصر » سماعة التليفون إلى وضع الحديث الطبيعى وقال لـ « عبد الحكيم عامر » : « إن هيكل له رأى وتقدير مختلف ... » ثم لخص له وجهة نظرى وطلب إليه أن يظل على اتصال به إذا ما جد جديد .

□

وترك « جمال عبد الناصر » كرسى مكتبه ، وجلس فى مواجهتى على مقعد آخر فى الناحية الأخرى من مكتبه . ولأول مرة كان فى استطاعتى أن أرى ملامح وجهه . لقد كانت آخر مرة رأيته فيها قبل ذلك منذ ثمان وأربعين ساعة ، وإن كانت اتصالات التليفون بيننا لم تنقطع . وهو الآن بعد ٤٨ ساعة فقط يبدو وكأنه أضاف إلى عمره عشر سنوات على الأقل . كان مرهقا بشكل يصعب وصفه . وكانت فى عينيه سحابة حزن لم أرها من قبل رغم أننى رأيته كثيرا فى خضم أزمات عاتية سبقت .

وكانت ملاحظته الأولى بعد أن جلس هى ملاحظة « أن عبد الحكيم عامر ضيع أعصابه تماما » . ثم تنهد وقال « وقد ضيع جيشه من قبلها » . ثم استدرك قائلا « ولكننى المسؤول . لا أستطيع أن ألوم أحدا إلاّ نفسى . والواقع أننى غاضب من نفسى بأكثر مما يتصور أحد » . ثم تردد قبل أن تغلبه مشاعره ، وانتقل إلى موضوع آخر فسألنى عما فعلت . وأخرجت مشروع الخطاب من الظرف الذى وضعته فيه ، وقلت له « إننى أعددت مشروعا ، ولكن لدىّ ملاحظة قبل أن أقرأه عليك » . وكانت ملاحظتى هى أنه قال لى بالأمس ، ونحن نتحدث عن تفاصيل النقاط التى يشملها الخطاب ، أنه قرر أن يكون السيد « شمس بدران » هو رئيس الجمهورية المؤقت بعد استقالته هو . وأضفت « إننى

حاولت أن أقنع نفسى بكتابة اسمه فى سياق الخطاب ولم أستطع رغم كل المحاولات » . وسألنى بصوت متعب عن السبب . وقلت « إننى أنا الذى أريد أن أسأله عن السبب ، لماذا شمس بدران ؟ » وكان رده أنه شرح لى السبب بالأمس وهو أنه يخشى من احتكاك بين الجيش العائد جريحا من سيناء والجماهير الغاضبة بمفاجأة الهزيمة هنا « فى البلد » . وقلت له إننى لم أفهم هذه النقطة ، وما فهمته منها أقنعنى بعكسها ، وظل صامتا ينتظر منى إيضاحا لرأيى ، واستطردت أقول « أولا ، إن شمس بدران أحد المسؤولين عما جرى . وثانيا فإن هذه المجموعة من أولها إلى آخرها لم يعد لها أى رصيد من ثقة الناس ، ثم أن هناك فى الأمر - وهذا هو السبب الثالث - محظورا لايجب السماح بوقوعه ولا حتى بسوء الفهم . ذلك أن معنى تعيين وزير الحربية ، وهو مسؤول ولو جزئيا عن الهزيمة ، بحجة تجنب احتمال صدام بين الجيش والشعب - يعنى فى المحصلة النهائية رخصة للقادة المهزومين بحق لهم فوق مشاعر الناس . فالشعب سوف يغضب بلا جدال ، وهؤلاء القادة المهزومين ليس عندهم ما يدافعون به عن أنفسهم غير السلطة . فإذا أصبح الرجل الذى كان وزيرا للحربية قبل الهزيمة رئيسا للجمهورية بعدها - إذن فالصدام قادم لا محالة ، ولا أظن أن ظروف البلد تحتمله الآن أو غدا . »

وأحسست أن ما قلت لمس وترا حساسا فى فكره ، فقد كان تعليق « جمال عبد الناصر » عليه بعد لحظات من التأمل « أن ذلك آخر ما يفكر فيه » . وعاد مرة أخرى إلى تأمله الصامت ، ثم استطرد : « ولكنى اتفقت مع عبد الحكيم عامر على هذا الموضوع أمس » . وكان ردى هو أنه « إذا أذن لى فإنه هو وعبد الحكيم بالأمس كانا يفكران فى غرفة مغلقة وفى إطار علاقة محدودة ، بينما الأمور الآن أكبر بكثير من هذا الحيز وهذه الحدود ، فهو الآن مصير بلد بجيشه وشعبه » . ثم واصلت كلامى قائلا « إنه وقد قرر الاستقالة ، وهو قرار سليم لا بديل له ، فإن المنطق الطبيعى بعده أن تعود الأمور بالكامل للناس ، فيكون هناك رئيس مؤقت مقبول منهم يشرف على لمّ أجزاء الموقف وشظاياه ، ثم يُجْرى بعد ذلك استفتاء عام للناس على أساس جديد ودستور جديد ، وبرنامج يلبى مطالب مرحلة مختلفة . »

واستوقفه تعبير « شظايا » وأمن عليه قائلا « إن مرحلة لمّ الشظايا المتناثرة هى الموضوع الذى يضغط على أعصابه الآن ضغطا هائلا ، فما جرى جرى ، والمهم الآن إعادة نوع من التماسك إلى « البلد » . » ثم انتقل ليقول : « إننى أتمنى أن يكون تحليلك لنوايا إسرائيل صحيحا لأنى أريد أن يكون فى استطاعتى تثبيت وقف إطلاق النار قبل أن يسمع الناس هذا الكلام » . قالها وأشار بيده إلى مشروع الخطاب الذى كانت أوراقه

أمامنا على المائدة . ثم سألنى « إذا لم يكن شمس بدران فمن ؟ » وفكرت ثوان ثم سألته « من هو الأقدم بين الأعضاء الباقين من مجلس قيادة الثورة ؟ » وفكر لحظة ثم رد : « زكريا محيى الدين . »

□

وأبديت ما يفيد معنى الارتياح ، وقال هو « إن زكريا رجل عاقل ، وهو ذكى » . ثم سكت ثانية وراح لبعض الوقت مع تأملاته . ولم أشأ مقاطعته . وعاد هو للحديث وكأنه يخاطب نفسه قائلا : « إن زكريا فيه ميزات كبيرة ، والمشكلة ماذا يكون رد الفعل عند القوات المسلحة وعند الاتحاد الاشتراكى ؟ » وعقبت قائلا « إن أكثر ما يهم القوات المسلحة أن تجد فى القيادة السياسية الآن رجلا عاقلا وذكيا ، وأما الاتحاد الاشتراكى فأسباب خلافى الطويل معه فى شأنه لم تتغير . ولا زلت حتى الآن غير مؤمن بفاعليته . »

وعاد مرة أخرى كمن يفكر بصوت عال يقول وكأنه مازال يخاطب نفسه : « إن زكريا يمكن أن يكون مقبولا دوليا ، وهو بالتأكيد قادر على الحوار مع الأمريكيين ، وهى ضرورة حتمية الآن . السوفيت قد لا يعجبهم اختياره بانطباعاتهم السطحية عنه . » ثم مضى يقول : « لاحظ أن موضوع السوفيت موضوع هام جدا ، فالأمور كما هى الآن لا يمكن أن تقود إلى شىء ، ولا يمكن أن يجىء شىء يمكن قبوله إلاّ بعد قتال يحصل فيه تصحيح الموازين كما هى أمامنا الآن . إذا كنا سنقبل بما هو قائم الآن فليس أمامنا إلاّ الاستسلام . وإذا كنا نريد حلا حقيقيا فلن نستطيع الوصول إليه قبل معركة أخرى . وهنا أهمية السوفيت . »

كان لا يزال يواصل كلامه لنفسه ، كما أحسست ، قائلا : « قد يظهر لك أننى أتكلم بالخيال ، ففى هذه الصورة التى نراها أمامنا الآن لا يمكن أن يتحدث عن القتال شخص عاقل . ومع ذلك فأنا لا أرى أن أمامنا خيارا آخر . نحتاج إلى وقت . نحتاج إلى وقت قد يطول . ولكن لابد لنا أن نعرف أن البديل الوحيد للاستسلام هو العودة مرة أخرى إلى ميدان القتال . أنا لا أستبعد أن نحاول سياسيا بكل ما نستطيع ، ولكننى لا أرى أملا تحققه السياسة إذا لم تكن معتمدة على واقع آخر غير واقعنا اليوم . »

ثم عاد يناقش فكرة اختيار « زكريا محيى الدين » وأحسست أنه يقترب منها أكثر . . ثم طلب إلىّ أن أعيد عرض أسبابى فى الاعتراض على « شمس بدران » وفى الارتياح

إلى « زكريا محيى الدين » ، وأن أحاول تفصيلها أكثر مما ذكرته فى المرة الأولى . وفعلت ذلك ، ورحت أتحدث لعدة دقائق بغير مقاطعة من جانبه .

ثم سأل « هل أتحدث مع زكريا ؟ » ورد بنفسه على سؤاله قائلا « لا ، فلو تحدثت إليه فمن المؤكد أنه سيعتذر » .

واستطرد « الحقيقة أنه حمل ثقيل ... وكئيب أيضا . والرجل لا ذنب له فيه ... »

□

وكان واضحا أن اقتناعه باختيار « زكريا محيى الدين » يتزايد لحظة بعد أخرى . وطلب أن أقرأ عليه نص ما أعددت . وكان يصغى صامتا حتى وصلت فى سياق مشروع الخطاب إلى عبارة جاء فيها بالنص « وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة ، فإننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسؤولية ... » وعندها قاطعنى قائلا « إنه يعترض على هذه الجملة لأنه يتحمل المسؤولية كاملة ، ولا يرى مجالا لتجزئتها بأن يتحمل « نصيبا منها » بينما هو يرى أنه يتحمل المسؤولية كلها . » ولم أختلف معه فيما قال ، وأعدت صياغة العبارة على الفور فجعلتها كالآتى : « وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة فإننى على استعداد لتحمل المسؤولية كلها » . وكان تعليقه على هذه الصياغة الجديدة « أن تلك هى الحقيقة ، وهذا أدق وأكرم . »

ونظر فى ساعته ، وكانت الساعة قد أصبحت الثامنة والثلث . وأبدى أنه يقدر لإلقاء خطابه الساعة السادسة أو السابعة بعد الظهر . واقترح أن أذهب بمشروع الخطاب إلى مكتب السيد « سامى شرف » على الناحية الأخرى من الشارع فى مقابلة بيته لكى « يبدأوا » فى طبعه على الآلة الكاتبة حتى نستطيع أن نراجعه فى صورته النهائية مرة ومرات قبل إعلانه . وقال لى إنه سوف يظل فى المكتب ، وهو يريدنى أن أعود إليه بعد أن أعطى مشروع الخطاب للسيد « سامى شرف » وأتأكد من « أنهم » استطاعوا فك رموز خطى . وكان دائما مصرا على استحالة فك هذه الرموز قائلا إنه يعرف من السيد « سامى شرف » أن فى مكتبه الآن خبيرا متخصصا فى حل طلاسمه . وحملت مشروع الخطاب وسرت على قدمى فى اتجاه باب البيت ، وعبرت الشارع إلى مكتب السيد « سامى شرف » .

كان « سامى شرف » فى حالة من العصبية البالغة . ويبدو أنه لم يكن فى صورة آخر التطورات . وعندما أعطيته نص مشروع الخطاب راح يقلب صفحاته بسرعة

يستقرىء ما يستطيع استقراءه من السطور والكلمات . ووصل عند الفقرة التى يعلن فيها « جمال عبد الناصر » قراره بـ « التنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى » . وأصابته حالة من الهستيريا . فراح يصرخ بصوت عال بأن « هذا مستحيل ... ثم أنه حرام .. والله حرام ... وأنها مصيبة لا تقل عن المصيبة العسكرية » . وبينما هو فى حالة الهياج التى انتابته دق جرس التليفون الذى يصل بينه وبين « جمال عبد الناصر » . فقد خطر للرئيس فيما يبدو أن يطلب منه شيئا . ويظهر أن « جمال عبد الناصر » فوجىء بحالة الهياج التى أصابت « سامى شرف » فطلب إليه أن يعطينى سماعة التليفون . وسألنى « جمال عبد الناصر » عن هذا الصراخ الذى سمعه ، وشرحت له بسرعة رد فعل « سامى شرف » وكان تعليقه عليها أنه « لا يريد أعصابا فلتانه الآن » . وقلت له إننى سوف أتأكد من أن كل شىء يسير على ما يرام ، ثم أعود إليه فى المكتب بأسرع ما يمكن . واحتاجت تهدئة أعصاب « سامى شرف » إلى وقت حتى اقتنع بأن يطلب الموظف المختص فى مكتبه بقراءة خطى ويعطيه مشروع الخطاب ، ويطلب إليه أن يجىء بآلته الكاتبة وأن يجلس أمامه فى حجرته ويطبع ما هو مطلوب منه حفاظا على السرية الكاملة .

وجاء الموظف المختص ، وهو السيد « عبد الرحمن سالم » ، ووقفت بجانبه حتى يقرأ نص الخطاب قبل أن يبدأ فى طباعته ، فإذا ما استعصت عليه قراءة كلمة ساعدته على فك رموزها . وعندما وصل السيد « عبد الرحمن سالم » إلى النقطة التى أثارت غضب السيد « سامى شرف » قبله ، لم ينفعل بالغضب وإنما انفعل بالبكاء ، فإذا هو يجهش به ودموعه تتساقط على الورق .

وعاد الهياج العصبى مرة أخرى إلى « سامى شرف » الذى قام من وراء مكتبه وهجم على السيد « عبد الرحمن سالم » محاولا ضربه قائلا له بأعلى صوت : « كيف تطاوعك نفسك على أن تكتب هذا الكلام ؟! » وفوجئت بالسيد « عبد الرحمن سالم » المستسلم تماما للبكاء يقول إنه « لا يقدر ولا يستطيع أن يكتب هذا الكلام » . واندفع خارجا من المكتب .

ووجدتنى مضطرا إلى أن أقوم بمحاولة لتهدئة السيد « سامى شرف » نفسه . وكان مدخلى إليها من النقطة الحساسة التى أعرف أنها تؤثر عليه أكثر من غيرها وهى الولاء . وهكذا رحت أقول له : « سامى .. إن الرجل فى محنة وليس أمامه إلاّ ما اختاره . ونحن نملك إحدى وسيلتين : إما أن نسهل له قراره ونساعده على اجتياز المحنة بأقل قدر من الخسائر ، وإما أن نضغط عليه وندفع بأعصابه إلى حد الانهيار - وهو شىء

لا يليق بتاريخه ولا بالمكانة التى أعطتها له الأمة ، وأعرف أن ذلك آخر ما يمكن أن يكون فى قصدك الآن . » وكانت عدوى البكاء قد انتقلت إلى السيد « سامى شرف » .

وقضيت فى مكتب « سامى شرف » قرابة الساعة حتى تأكدت من أن السيد « عبد الرحمن سالم » قد استطاع أخيرا أن يمسك بنص مشروع الخطاب ، وأن يجلس أمام آلته الكاتبة ويبدأ فى طبعه .

□

وبينما أنا أتهيأ للعودة لمكتب « جمال عبد الناصر » كان هو يدق التليفون فى استعجالى ، وقلت إننى فى الطريق . ومرة أخرى عبرت الشارع عائدا من باب البيت إلى مكتب « جمال عبد الناصر » . وكانت آخر الأخبار لديه أن وقف إطلاق النار يتماسك ، وأن المعلومات التى أبلغت إليه عن خطة إسرائيلية لعبور قناة السويس إلى الغرب لم تكن دقيقة . والواقع أن الدولة كانت تبدو فى تلك الساعات الحرجة وكأنها كيان أصيب بالشلل . واستأذنت « جمال عبد الناصر » فى أن أتصل من عنده بمكتبى فى « الأهرام » لأعرف آخر ما حملته وكالات الأنباء . وكانت أهم الأخبار فيما تلقيته هى أصداء موقف سوفيتى قوى تجاه عملية اليوم الأخير ضد سوريا . وكان تعليق « جمال عبد الناصر » على ما سمعه منى عن موقف السوفيت هو قوله بمرارة « **لقد تأخروا كثيرا لكى يظهروا هذا الحزم ويعلنوه** » ! ثم أضاف « **وعلى أى حال فأنا لا أستطيع أن ألومهم** » . ثم أردف بها قوله « **إننى لا أستطيع أن أتصور ما سيفعله الناس . والله لو أنهم أخذونى إلى ميدان التحرير وشنقونى فيه لما اعترضت عليهم .. لهم الحق** » . وأبديت ملاحظة مؤداها « **أنه ليست هناك ضرورة لأن يدفع مشاعره إلى هذه الدرجة . فما حدث له شىء حدث من قبل كثيرا فى التاريخ ، واعتقادى أن البلد واجه نكسه ، ولكنه قادر على القيام منها بقواه الذاتية ، فهى أمة أصيلة وقلبها عامر بموارد إنسانية قد لا نستطيع اكتشافها فى الأوقات العادية ولكن المحن وحدها تبرز معدن الأمم** » . وهز رأسه بما يعنى فهمه

فإنه فى أعماق قلبه يشعر بعتب شديد على السوفيت . لكن هذا أيضا شعور خاطىء ، ففى السياسة لا يوجد مجال للعتاب . وإذا كان ضروريا أن نعود مرة أخرى إلى ميدان القتال فإن صفحة جديدة لا بد من فتحها مع السوفيت ، لأننا سوف نكون فى حاجة إليهم لإعادة بناء قوتنا مرة أخرى . »

وسكت قليلا ثم عاد يستعرض تفاصيل الأزمة منذ بدايتها والعوامل التى حكمت إدارته لها . وكان تقديره « أنهم » تمكنوا من « اصطيادنا » ، وأن « جونسون » حقق ما كان يريد ، ولكن هذا لن ينفعه لأن العالم العربى كله سوف يستطيع فى يوم آخر أن يستعيد الأمور فى يده .

ثم كرر تعبير « الاصطياد » مضيفا إليه هذه المرة أن « الصورة كانت واضحة ومع ذلك فإننا لم نستطع تجنب الفخ ، وكان تجنبه صعبا ، فلو أننا لم نتحرك لتأييد سوريا لانفرط العالم العربى باليأس وتراجعت الفكرة كلها . »

ثم هز رأسه غير مصدق وقائلا « إنه حتى هذه اللحظة لا يستطيع أن يتصور أن « الجيش راح بهذه الطريقة من يد « عبد الحكيم » . »

وكان واضحا أن بعض مشاهد الأزمة مازالت تحيره ولم يصل فى شأنها إلى جواب . وكان من بين هذه المشاهد اقتراح « يو ثانت » بشأن إعلان « موراتوريوم » على كل التصرفات فى خليج العقبة لمدة أسبوعين ، وما الذى حدث بشأن هذه الفكرة بالضبط فى واشنطن .

كذلك كانت حيرته بادية تجاه ما حدث بالضبط على الجبهة الأردنية وعلى الجبهة السورية ، وفى مواقف عدد من الأطراف العربية الأخرى ، وفى المقدمة منهم الملك « فيصل » . ويظهر أن حديث الألغاز قاده مرة أخرى إلى « زكريا محيى الدين » فقال إنه « يتمنى أن يستطيع زكريا حل كل هذه الألغاز بخبرته كمدير مخابرات ووزير داخلية سابق » . ثم راح يحلل المسؤوليات والخيارات التى تنتظر « زكريا محيى الدين » ، فقال « إن أمامنا أربعة خيارات نظرية : إما أن نتفق مع اليهود وهذا مستحيل ، أو نتفق مع الأمريكان وهذا أيضا مستحيل لأنهم لا يضمرون لنا خيرا والفخ الذى نصبوه لنا سوف يساعدهم أكثر على الشر نحونا ، وإما أن نتفق مع السوفيت وهذا بدوره مستحيل أيضا ، لأن علاقتنا مع السوفيت تعاون ولا يمكن دفعها إلى ما هو أبعد وإلاّ أصبحنا مثل دول أوروبا الشرقية . وهذا يدخلنا فى الاستقطاب الدولى . يبقى الحل الرابع وهو أن نتفق مع أنفسنا ، وهذا هو الممكن الوحيد رغم أننى أجد الطريق إليه صعبا . » ثم

أضاف « إن زكريا « نبيه » ومناور من الدرجة الأولى ، وسوف يستطيع مواجهة الضرورات . »

ثم انتقل ليلاحظ أنه لم يتصور فى يوم من الأيام أن « زكريا محيى الدين » هو الذى سيخلفه . وكان يتصور باستمرار أن يخلفه « عبد الحكيم عامر » ، فقد كان « أول عضو تمكنت من ضمه إلى تنظيم الضباط الأحرار ، وفى السودان كان معى ليل نهار ، وبعد الثورة تركت له التنظيم فى القوات المسلحة . قربه منى كان مشكلة المشاكل فى مجلس الثورة . كانت « الخناقة » فى المجلس باستمرار على موقع الرجل الثانى ، وقد وقفت معه معتقدا بأن معدن « فلاح الصعيد » فيه سليم ، وأنه يمكن أن يكون المؤتمن على الثورة . »

ثم استطرد وكلامه مازال عن « عبد الحكيم عامر » : « إنه تغير ، وكان لازما أن أرى أنه تغير كثيرا بعد « سوريا » ... عندما رجع بعد الانفصال كان مكسورا وأراد أن يعوض ، وتسامحت معه كثيرا لأنى قدرت أنه يريد أن يعوض . يظهر أننى أخطأت . التسامح معه أضره أكثر مما أفاده أو أفاد البلد . تغير أكثر فى السنة الأخيرة ، وكنت ألاحظ ولا أربط بشكل كاف . لاحظت أن قمصانه وربطات عنقه تحسنت فجأة ، وملابسه كلها . ولفتت نظرى مرات كلمات غريبة على قاموسه يرددها . ونغمة يسار بالألفاظ تزيد أكثر على لسانه . وكان يجب أن أعرف أن مؤثرات أخرى دخلت حياته ولم تتركه كما كنت أعرف .

ظننته الضعف الإنسانى لرجل خام واجه الغواية لأول مرة . ولكنه كان الغرق ! »

واستأذنته فى دقائق أذهب فيها إلى مكتب « سامى شرف » لأرى إلى أى مدى وصلوا فى كتابة خطابه .

□

وعدت إليه بعد قرابة نصف ساعة بنسخة كاملة من الخطاب ، وراحت عيناه تجريان على سطورها فى صمت .

ثم طرأ له خاطر عبر عنه بقوله « إنه يتصور أن الناس بعد مفاجأة استقالته سوف يطلبون معرفة الحقيقة فيما حدث ، وهو حقهم ، ولست أعرف السبيل إلى تحقيق هذا الطلب ، فهو ضرورى لمستقبل العمل ، ولكنى أخشى أن يتصور أحد أننى بأى شىء أقوله أحاول إشراك غيرى فى المسؤولية ، والله يعلم أننى لا أفكر فى شىء من ذلك ، فأنا نازل عند حكمة الله فى قضائه ، ولكن الحقيقة يجب أن تكون واضحة للناس . »

وأكمل خاطره قائلا : « وزكريا أيضا له الحق فى أن يعرف أشياء كثيرة ما دام كتب عليه أن « يشيل » العبء . هناك أشياء كثيرة يعرفها ، وهناك أشياء لا بد له أن يعرفها ، وهو ليس متأكدا كيف ومتى تتاح له هذه الفرصة . »

ثم طلب « جمال عبد الناصر » منى أن أقرأ عليه نص الخطاب بصوت مسموع حتى يتعود عليه ولا ينفعل أثناء إلقائه . وقرأته عليه ، وحاول أن يقيس الفترة اللازمة لإلقائه ، وقدرها بثلث ساعة . وكان ظنه أنها فترة طويلة مؤلمة عليه وعلى الناس . وكان تعليقى أنه يصعب اختصار شيء منها ، وأنها فى ظنى أقصر ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الظرف .

وطرأ على باله « أن عبد الحكيم عامر عندما يسمع الخطاب سوف يفاجأ باسم زكريا محيى الدين فى الوقت الذى كان يتوقع فيه اسم شمس بدران . وسوف يكون أول ما يخطر على باله بالحالة النفسية التى هو عليها الآن أننى خدعته وكنت أعرف طول الوقت أننى اخترت زكريا محيى الدين ولكننى ذكرت اسم شمس بدران لكى أخدره . »

ثم قال « إنه مقتنع أكثر باختيار زكريا محيى الدين ، وأنه يتمنى أن يتصرف عبدالحكيم للمرة الأخيرة كرجل مسؤول وأن لا يخلق المشاكل لزكريا بأى حماقات من « شلته » . وإذا حدث ذلك فسوف يتصدى هو له حتى ولو كان ذلك آخر ما يفعله فى هذه الدنيا ، لأن الرجل الذى سيحمل هذه « الشيلة » ليس فى حاجة إلى مشاكل جديدة توضع أمامه . »

وانتقل إلى محاولة لتصور الأوضاع فى المرحلة المقبلة ، وكان تقديره أن الظروف سوف تستوجب مؤتمر قمة عربيا ، وأن الكل يجب أن يشارك فى المرحلة المقبلة .

وأضاف « **كانت حجتهم دائما هى جمال عبد الناصر ... هو الذى يثير المتاعب لهم ولأصدقائهم . جونسون كان يقول ذلك . وفيصل كان يقولها أيضا . وكثيرون قالوها . سوف تبطل هذه الحجة وعلى الكل أن يواجه الحقيقة ، فإما أننا أمة واحدة ، وإما أننا نتحدث عن وهم . إما أن تقدر هذه الأمة فى يوم من الأيام على تحقيق ما تريد ، وإما أن تقبل بالاستسلام لإسرائيل ومن وراءها .** »

□

كانت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، وأحسست أنه ربما يريد أن يستريح بعض الوقت قبل أن يحين موعد إلقاء خطابه . واستأذنته أن أنصرف ، وطلب أن أبقى معه إذا .

لم يكن لدىّ شيء عاجل . وأنكرت عليه أن يخطر بباله أن هناك شيئا آخر يعادل فى أهميته أن أكون معه فى هذه الساعة . وبدا عليه التأثر ثم تمالك نفسه بسرعة قائلا إنه يريد أن يتجنب أى انفعال عاطفى زائد قبل أن يظهر أمام الناس .

وعدنا إلى الحديث عن الناس ، وعن آمال هذا الجيل ومعاركه ومقاديره .

وعندما بلغت الساعة الخامسة وخمس دقائق نظر فى ساعته وسألنى فجأة : « ألاّ تريد أن تجيء معى إلى القبة وتحضر إلقاء الخطاب ؟ » وقلت له إننى أرجوه أن يعفينى من هذه التجربة ، فهى أكثر مما أستطيع احتماله ، وكل ما أدعو الله به أن يوفقه فى هذا الموقف الذى سيقف فيه أمام الأمة ...

وفاضت مشاعره وقال إننى كنت معه أكثر من أخ ، وهو لا يعلم هذه اللحظة ماذا سوف يحدث غدا ، وإذا كنا سنلتقى مرة أخرى فى يوم من الأيام أو أنه اللقاء الأخير .

ثم تحدث بطريقة حميمة عن الصداقة التى جمعت بيننا وقال فى النهاية « إن علىّ أن أعرف إلى آخر العمر أن لى أخا ... »

وقاطعته قائلا « إننا بهذا النوع من الحديث نقع فيما كنا ننهى أنفسنا عنه ونسلمها للانفعالات قبل أن يلقى خطابه ، وأننى فى كل الأحوال سعيد بما أديته إلى جانبه من دور ، وقد خدمت فيه بلدى بآخر ما أستطيع من جهد » . وقال كلمات رقيقة أخرى ، ثم قطع كلامه فجأة وقال : « إن خدمتك للبلد لم تنته بعد . مازالت أمامك خدمة أخرى أرجو أن تؤديها » . ونظرت إليه متسائلا وقال : « إنه بعد أن يعود من إلقاء خطابه سوف يدخل إلى غرفته ويعزل نفسه تماما عن الناس والعالم . وهو يعرف أنه قد تثور مشاكل ومضاعفات ، وكل ما يطلبه منى أن أكون هذه الليلة مسؤولا عن أى شيء يذاع أو يقال باسمه أو نيابة عنه حتى يتمكن زكريا غدا من حلف اليمين أمام مجلس الأمة ويتسلم مسؤوليته . إننى سوف أعطى التعليمات بذلك إلى شعراوى جمعة وإلى سامى شرف وإلى محمد فائق حتى لا تذاع أو تقال كلمة إلاّ بعد الرجوع إليك . »

ثم أضاف « جمال عبد الناصر » قائلا : « أنت تعرف كل تفاصيل الأوضاع وتتفهم دواعيها ، ثم أنك تستطيع أن تقف فى وجه الكل ... المهم ألا تقال كلمة طائشة ، أو يفلت شيء يصعب تداركه ... »

ثم كان سؤاله الأخير عن علاقتى بـ « زكريا محيى الدين » قائلا إنه يعرف أنها طيبة . وقلت له « إننى لا أنوى أن أكرر دورى بجانبه مع أى رجل آخر ، ولكنى سأقبل

تكليفه عارفا بدقة الظروف حتى يتمكن زكريا محيى الدين من تسلم مسؤولياته . »

ونهضت من مقعدى ونهض .

ومد يده مسلما ومددت يدى .

ولمحت دمعة فى عينيه لأول مرة فى حياتى . واستدرت خارجا من غرفة مكتبه ، فلم أكن أريده أن يرى دمعة أخرى فى عينى !

وخرجت من بيته إلى بيتى مع أن نيتى كانت أن أشاهد خطابه على التليفزيون فى « الأهرام » . وفى منتصف الطريق كان رأيى قد استقر على أننى فى حاجة لأن أكون وحدى أثناء متابعتى لخطابه . وفى الساعة السابعة إلاّ خمس دقائق كنت جالسا أمام جهاز تليفزيون ، وكانت الإذاعة على وشك أن تنتقل إلى قصر القبة والمواد المذاعة كلها فى التمهيد للخطاب مارشات حماسية كنت أول من يعلم أنها متناقضة تماما مع الرسالة التى يحملها الخطاب .

وظهرت صورته على الشاشة وراح يقرأ ، وكنت أكثر من غيرى أشعر بمدى الجهد الذى يبذله لكى يظل مسيطرا على الموقف . وكادت سيطرته أن تفلت منه للحظة عندما وصل إلى الفقرة التى يعلن فيها تنحيه . ثم فرغ من الخطاب واختفت صورته من الشاشة ، ولأول مرة بدأت تصوراتى تذهب إلى ما يحتمل أن يحدث بعد انفجار النبأ . ولم تمض غير دقائق حتى جاءت الإجابة عما كنت أتساءل فيه ، فإذا أنا أسمع أصواتا فى الشارع لا أتبين مصدرها . ثم أقترب من نافذة تطل على كوبرى الجلاء فأجد ألوفا من الناس يجرون عليه ولا يعرفون إلى أين ، ولكنهم ذاهبون بأقصى سرعة ، وصراخهم متصاعد ينادى بما لم أستطع تمييزه من مكانى . ورحت أدير جهاز راديو على بعض محطات الإذاعة أحاول التقاط ما عساه أن يكون للنبأ من صدى فى العالم الخارجى . وكانت بعض المحطات تقطع إرسالها وتذيع النبأ .

واتصلت بـ « الأهرام » أسأل عن برقيات وكالات الأنباء وما حملته أو جاءت به مما أعلنه « جمال عبد الناصر » قبل دقائق فى قصر القبة . وأحسست بالمفاجأة الضخمة التى وقعت على كل الرؤوس من هؤلاء الذين تحدثت إليهم فى « الأهرام » . **ثم قيل لى إن**

جماهير كبيرة من الناس تتدفق على مبنى « الأهرام » (وكان وقتها وسط المدينة فى شارع الساحة) وأن هتافهم الملح هو كلمة واحدة « ناصر . »

وفى هذه اللحظة دق جرس تليفون آخر كان موصولا بالشبكة الخاصة للرئاسة . وكان المتحدث هو السيد « شعراوى جمعة » وزير الداخلية ، وكان انفعاله على الآخر وهو يصرخ فى التليفون متسائلا عن هذا الذى حدث ، ثم قائلا إنه ليس فى مقدوره **ولا فى مقدور غيره أن يمسك بزمام الأمن فى البلد لأن كل المعلومات التى وصلت إليه فى نصف الساعة التى مضت منذ ألقى الرئيس خطابه تقول بأن طوفانا من البشر يتدفق إلى الشوارع مناديا باسم « عبد الناصر » ومطالبا ببقائه . ثم قال لى إن « سامى شرف » أبلغه الآن فقط أن أوامر الرئيس قاطعة فى أن لا تقال أو تذاع أى كلمة بدون الرجوع « إليك » . وقد عرف من « سامى شرف » أن الرئيس لا يريد أى اتصال مباشر به . وهو على اقتناع كامل بأن الموقف قد يفلت فى الشارع أى لحظة** . وسألنى عما يمكن عمله ، وكان رأيى أن عليه أن يبقى فى مكتبه وأن يحاول قدر ما يستطيع ، فهى ساعات اختبار لنا جميعا . ولم يكن على استعداد لأن يسمع شيئا ، وإنما قال لى بسرعة إنه فى طريقه إلى بيت الرئيس ليستطلع رأيه فيما يجرى .

وبعد قليل اتصل بى السيد « زكريا محيى الدين » ، وكانت دهشته بالغة . وكانت أول عبارة صدرت عنه هى سؤاله عن هذا الذى فعلناه به ، وهل هذا معقول ؟ وأنه عرف أن مظاهرات فى الشوارع تهتف ضده وتطالبه بألا يقبل ما كلف به ، وإلاّ فهو أمام الناس خائن . ثم قال لى أيضا إن « سامى شرف » أبلغه بأن الرئيس ترك فى يدى مسؤولية ما يمكن أن يقال أو يذاع . وهو يطلب على الفور إذاعة بيان بأنه اعتذر عما كلف به وأنه مستعد لمواصلة دوره فى الخدمة العامة تحت قيادة « جمال عبد الناصر » ، وهو ما يطالب به الناس جميعا . وقلت له إننى أتفهم منطقه وأقدر حرج موقفه ، ولكن قرار « جمال عبد الناصر » كان واضحا ، ولا أظن أن فى إمكان أحد أن يفعل شيئا قبل الصباح . **وخرج عن هدوئه الطبيعى وقال لى « بهذا الشكل لن يطلع صباح »** . ثم راح يحدثنى عما يجرى فى الشوارع ، ليس فى القاهرة فقط وإنما فى كل مكان فى مصر . وكنت بنفسى قادرا على رؤية مدى الصدق فى قوله من نظرة واحدة عبر النافذة إلى كوبرى الجلاء . فقد أصبحت الجماهيرعليه كتلة واحدة متدفقة هادرة زاحفة لا تعرف إلى أين . ولكن صراخها كان يمكن تمييزه الآن بصيحة « ناصر . وبدوره قال لى السيد « زكريا محيى الدين » إنه فى طريقه إلى بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » ليطلب منه تغيير قراره .

وعاد « الأهرام » يتصل بى لإبلاغى أن ما يحدث فى القاهرة متكرر فى كل

عاصمة عربية ، وأن وكالات الأنباء تنقل صورا رهيبة عن بحور من البشر تتدفق إلى الشوارع مطالبة ببقاء « جمال عبد الناصر » ، كما أن صوت الرصاص بدأ يلعلع فى بيروت .

وكان السيد « شعراوى جمعة » مرة أخرى على الخط الآخر يقول لى إنه ذهب إلى بيت الرئيس ، وأن هناك حصارا بشريا مخيفا حول البيت ، وكل الأخبار لديه أن القاهرة معرضة لحريق أسوأ من حريق سنة ١٩٥٢ ما لم تصدر كلمة عن « جمال عبد الناصر » تطمئن الناس وتهدىء مشاعرهم .

ثم اتصل بى السيد « محمد فائق » وزير الإرشاد القومى وقتها يقول لى إن المشير « عبد الحكيم عامر » اتصل به صاخبا ومهتاجا وقائلا إن لديه بيانا يريده أن يذاع على الناس ، وأنه رد عليه بعدم استطاعته إذاعة شىء إلاّ بعد الاتفاق معى . ثم قال إنه يرجح أن المشير سوف يتصل بى الآن ، ولابد لى أن ألاحظ أن أعصابه فى آخر درجة من الهياج . ثم قال لى إنه كاد يضرب فى طريقه إلى بيت « جمال عبد الناصر » لأن بعض الناس أخطأوا وتصوروه « زكريا محيى الدين » .

وصدق ما توقعه السيد « محمد فائق » ، فلم أكد أضع سماعة التليفون بعد حديثى معه إلاّ والمشير « عبد الحكيم عامر » على الخط مهتاجا بطريقة لا يبين منها كلام مفهوم . وحاولت تهدئته قدر ما أستطيع بأن طلبت منه أن يبعث إلىّ بالبيان الذى يريد إذاعته ، مع رجائى له بأن يكون ما فيه مساويا لحرج الموقف كله .

ولم تمض دقيقة حتى دوت صفارات الإنذار مؤذنة بغارة جوية على القاهرة . وحاولت أن أتصل بالسيد « شعراوى جمعة » فى مكتب السيد « سامى شرف » وكانت جميع الخطوط مشغولة بلا توقف . ودق جرس التليفون وكان المتحدث هو « عبد الحكيم عامر » مرة أخرى يقول إنه يفضل إملائى البيان بدلا من إرساله اختصارا للوقت . وكان البيان الذى يريد إذاعته هو إعلان بأنه قدم استقالته من جميع مناصبه ابتداء من الساعة السابعة والنصف مساء ، وأن استقالته قبلت . وسألته : « من قبلها ؟ » واستغرب السؤال . وقلت له إن « الرجل الذى كان فى اختصاصه قبول الاستقالة أعلن على الناس استقالته فى الساعة السابعة ، ولم يعد فى إمكانه أن يقبل شيئا أو يرفضه » . وفوجىء المشير وقال إنه سوف يعود إلى الاتصال بى بعد دقائق . وعاد ، وكان اقتراحه أن يصدر إعلان عنه بـ « أنه ابتداء من الساعة السابعة والنصف تخلى عن كل مسؤولياته » . ورجوته فى صياغة ما يريده وإرساله مباشرة إلى الإذاعة اختصاراً

للوقت ، وأننى سوف أتصل بالسيد « محمد فائق » . والواقع أن هدفى كله فى تلك الساعة كان كسب الوقت بأقل قدر ممكن من دواعى التفجير . وكان غضبه قد بدأ يتزايد ولكنى أشهد أن كلمة خارجة لم تصدر عنه ، ورجوته أن يراعى أن أعصاب الجميع مشدودة على الآخر وإذا أفلتت منا أعصابنا فإن أحدا منا لايستطيع أن يضمن كيف يجىء الصباح علينا .

وعدت أحاول الاتصال بالسيد « شعراوى جمعة » وإذا بى أجده على الخط الآخر يطلبنى والصورة لدية عن الجماهير الزاحفة فى اتجاه بيت « جمال عبد الناصر » قد أصبحت مقلقة رغم الإنذار بوقوع غارة . وسألته عن هذا الإنذار ، وكان رده أن الدفاع المدنى رصد طائرات معادية فى اتجاه منطقة القناطر الخيرية ، وكان ذلك يدعو إلى قلق كبير . وما هى إلاّ دقائق حتى أعلنت قيادة الجيش الإسرائيلى أنه لم تكن لها « هذا المساء » طائرات على الإطلاق فى العمق المصرى . وعدت أتصل بـ « شعراوى جمعة » . وقد أحسست من لهجته بشعور غامض جعلنى أتساءل بعد المكالمة ما إذا كانت هناك غارة حقيقية ، أو أن صفارات الإنذار كانت وسيلة فكر فيها أحد لإقناع الناس بإخلاء الشوارع . وبدا لى أنه حتى إذا كان ذلك هو القصد فإن النجاح لم يكن حليفه ، لأن الجماهير الزاحفة فى الشوارع كانت فى انفجار مشاعرها أقوى من أية قنابل يمكن أن تلقيها الطائرات .

واتصل بى السيد « أنور السادات » رئيس مجلس الأمة الذى حاصره أعضاء المجلس فى مظاهرة امتزج فيها الأسى والغضب طالبين منه أن يفعل شيئا لتدارك الأوضاع الخطيرة فى كل مكان . وقد حاول عدد منهم أن يذهبوا معه إلى بيت الرئيس أيضا ولم يتمكنوا من الوصول إليه ، وعاد « أنور السادات » إلى المجلس مصرا على ضرورة أن يصدر بيان يقول للناس على الأقل بأن الرئيس سوف يعاود التفكير فى الأمر . وقلت له « إنه ليس فى استطاعتى كتابة هذا البيان أو طلب إذاعته » . وكان عدد كبير من نواب مجلس الأمة قد دخلوا قاعة المجلس ، واعتبروا أنفسهم اجتماعا شرعيا فيه باسم الشعب ملحين على مطلب عودة « جمال عبد الناصر » . وكانت تلك بالضبط هى الصيحة العامة من المحيط إلى الخليج وورائهما طبقا لما كانت تنقله وكالات الأنباء على خط طويل ممتد من أقاصى آسيا حتى المغرب الأقصى .

وكان الليل على وشك أن ينتصف . ودق جرس التليفون ، وكان « جمال عبد الناصر » هو المتكلم . وكان سؤاله بصوت مثقل هو « ما الذى حدث ؟ » . كانت الدولة كلها قد انتقلت إلى مكتب « سامى شرف » المواجه لبيته ، وكان بحر الجماهير

الزاحفة قد أحاط بهذا البيت من كل جانب ، وكانت خشية المسؤولين بدون استثناء أنه إذا طلع الصباح بدون رد على المشاعر الجامحة فإن الموقف سوف يفلت تماما وسوف تكون العواقب خارج تصور أى إنسان . وهكذا اقتحمت باب بيت « جمال عبد الناصر » مجموعة من المتحسبين لطلوع الصباح ، وصعد بعضهم إلى غرفته ودخلها عدد منهم يضعون أمامه صورة الموقف . ولم يصدق ما سمعه . واتصل بى يسألنى عما يجرى . ورويت له صورة مصر والعالم العربى كما كانت بادية لى لحظتها . وكان سؤاله المتكرر « ليه ؟ » وراح يردد ها مستغربا .

□

كان الموقف يتفاقم مع كل دقيقة كأنه كتلة من النار تتحرك وتشعل الحرائق فى طريقها أينما حلت . ونزل « جمال عبد الناصر » من غرفته إلى مكتبه ، وطالب المحيطين به أن يتركوه يقدر الموقف بنفسه . وراح يطالع بعض التقارير وبرقيات وكالات الأنباء . كان أول ما قرأه برقية من وكالة « يونايتد برس » عن مشاعر الصدمة التى أصابت وفود دول آسيا وأفريقيا فى الأمم المتحدة عندما وصلها النبأ ، وكيف أن بعض المندوبين العرب والأفارقة راحو يجهشون بالبكاء علنا فى أروقة الأمم المتحدة وقاعاتها . ثم قرأ بيانا صادرا عن الجنرال « ديجول » فى باريس يقول فيه « **إنه يتمنى أن يتمكن الرئيس جمال عبد الناصر بشجاعته ووطنيته من الاستجابة لمشاعر أمته التى تطالبه بالبقاء فى موقعه** » . ثم كان هناك فيض من برقيات وكالات الأنباء يحكى عن الجماهير الصارخة الباكية فى كل مدن وقرى العالم العربى . **وكانت بينها برقية تصف حالة الرئيس « شارل حلو » رئيس لبنان عندما تلقى النبأ وأجهش بالبكاء فى وسط مكتبه بالقصر الجمهورى فى بعبدا . وقيل له إن الرئيس « عبد الرحمن عارف » على التليفون من بغداد يطلب أن يتحدث إليه . ولم يستطع أن يرد المكالمة ، وإذا بـ « عبد الرحمن عارف » يقول له وهو يبكى على التليفون : « إننى أناشدك باسم الشعب العراقى وباسم العروبة أن تبقى » .**

وكانت هناك برقيات عديدة بأن كثيرين فى عواصم مختلفة فى العالم العربى حاولوا الانتحار ، وبالفعل توفى بعضهم .

ثم اتصل السيد « اسماعيل الأزهرى » رئيس السودان بالتليفون وتحدث إليه هو ورئيس وزرائه السيد « محمد أحمد محجوب » يبلغانه أن الخرطوم سوف تحترق إذا لم يعدل عن قراره .

ثم بدأت التقارير ترد من كافة أنحاء مصر بأن جماهير لا تحصى ولا تعد أوقفت قطارات السكك الحديدية واستولت على أكثر من مائة وعشرين قطارا ، كما استولت على كل سيارة عثرت عليها ، وأن زحف هذا كله متجه للقاهرة . وكان تعليق وزارة الداخلية على هذه التقارير هو أن الأمن في الصباح سوف يفلت بالكامل إذا لم يطرأ جديد .

وكانت الأخبار من جبهة القتال صورة أخرى من مشاعر الجماهير وراءها ، فقد كان الضباط والجنود في حالة من الأسى الغالب على مشاعرهم وأعصابهم تضيف إلى المحنة التي واجهوها بالنار صدمة أخرى لا تكفي فيها الدموع . وقد اختلط الجنود بالناس في شوارع بور سعيد والإسماعيلية والسويس ، وأحدث اختلاطهم معا حركة وشعورا - شحنة كهرباء يمكن أن تؤدي إلى ما لا يمكن تقدير عواقبه !

واتصل بي « جمال عبد الناصر » تليفونيا والسؤال مازال ملحا عليه وكأنه لا يجد غير كلمة « **ليه ؟** » وتكرارها يعبر بها عن دهشته . وكنت قد تلقيت قبلها بقليل نص قرار اتخذه أعضاء مجلس الأمة الذين تحصنوا في قاعة مجلسهم . وقد قرأت عليه مطلعه ورفض أن أكمل له الباقي . وكان مطلع القرار يقول إنه « باسم تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية الذين انتخبونا - وما انتخبونا إلاّ لأنك قائدنا وقائدهم . باسم الملايين الذين أشعلت لهم بقيادتك أول قبس من نور على طريق حياتهم يوم ٢٣ يوليو . باسمهم نقول لا لا . أنت قائدنا ورئيس جمهوريتنا . وأثبت في حياتك كلها أنك قادر على حمل مسؤوليتنا جميعا . مسؤولية شعب أراد الحياة وأراد الحرية وأراد الكرامة وأراد العزة . إن شعبنا اليوم أحوج إلى قيادتك مما كان في أي وقت مضى . وليست نكسة اليوم إلاّ ثمنا يتأتى على الأحرار أن يدفعوه . »

طلب مني « جمال عبد الناصر » أن أتوقف عن قراءة بيان مجلس الأمة ثم سألني عن رأيي ، وقلت له « **إن الرأي في هذه الساعة له** » . **وكان تقديره أنه لا يستطيع أن يعود عن قراره ، فإن هناك ظروفا موضوعية لابد من مراعاتها قبل هذه المشاعر التي ربما خلقتها المفاجأة . وكان رأيي أنه في كل الأحوال لابد أن تصدر عنه كلمة تهدئ خواطر الناس دون أن تقيده بشيء . وكان بين ما قاله إنه على استعداد أن يذهب غدا إلى مجلس الأمة وأن يقدم إلى الأمة تقريرا بما حدث ، ويكون ذلك محققا لهدفين : هدف إقناعها بقراره ، وهدف وضع الحقيقة أمامها كما كان يتمنى أثناء حديثنا أمس . ورجوته أن يعطيني عشر دقائق أعد فيها بيانا يذاع على الناس يرفع عنهم ضغط المفاجأة وفي نفس الوقت يستبقي كل الخيارات مفتوحة حتى الصباح . ووافق .**

وبعد دقائق اتصلت به تليفونيا مقترحا نص بيان منه يقول : « **إن المشاعر التى أبدتها جماهير الشعب منذ أذعت عليها هذا المساء بيانى عن تطورات الموقف قد هزتنى من الأعماق . وسوف أذهب غدا بمشيئة الله وإذنه إلى مجلس الأمة أناقش معه وأمام جماهير شعبنا قرارى الذى أعلنته فى البيان . وإذا كان لى أن أطلب شيئا فى هذه اللحظات من جماهير شعبنا الصابر المناضل فهو أن أناشدهم الانتظار حتى الصباح . إن كل واحد منكم الآن يجب أن يكون فى موقعه ، فهناك مهام كثيرة تتصل بواجبات أكبر وأقدس من أى شىء آخر ولها الأولوية على ما عداها من الاعتبارات . إننى أناشدكم جميعا من أجل الوطن ومن أجلى أن يكون كل منكم الآن حيث ينبغى له أن يكون .** »

وأقر نصه دون تعديل ، وطلب إلىّ إملاءه على السيد « محمد فائق » وزير الإرشاد القومى لكى يذاع بسرعة على الناس . وفعلت .

□

واتصل بى « جمال عبد الناصر » فى الساعة الثانية عشرة والنصف يقول إنه يشعر بتعب لم يشعر به من قبل ، وأنه يحس بحاجة شديدة إلى أن يغمض عينيه وينام . وأنه بالفعل سوف يبلع قرصا منوما ويحاول . ولم تنجح محاولته فيما يبدو لأنه عاد للاتصال بى فى الساعة الخامسة والربع قائلا إن القرص المنوم أضر به أكثر مما نفعه ، فقد أصابه بعوارض النوم وفى نفس الوقت فإن فكره كله يقظان . **وسألنى متى أستطيع أن أذهب للقائه ؟ وقلت « على الفور إذا أردت » . ونزلت بالفعل من بيتى ، وكانت كل الطرق فى تلك الساعة من الصباح مسدودة وبخاصة فى ميدان التحرير . وتمكنت من الوصول إلى « الأهرام » بصعوبة بالغة ، واتصلت به أقول إننى سوف أتأخر رغم إرادتى لأن الطرق كلها مغلقة . ولم يكن قادرا حتى هذه اللحظة أن يستفيق من دهشته . وكان تعليقه بصوت تشيع فيه حيرة كاملة « إن هذا الشعب غريب . تصورت أنه سينصب لى مشنقة فى ميدان التحرير ، فإذا تصرفه على عكس ذلك تماما » . وقال لى « إنه قد يكون من الأفضل أن أظل فى مكتبى حيث يستطيع الاتصال بى فى أى وقت يشاء بدلا من أن أتوه فى وسط الزحام فلا أصل إلى بيته ولا أبقى حيث يستطيع أن يتصل بى » . ثم أضاف إنه « سوف ينزل الآن إلى المكتب حيث تنتظره رسائل وأوراق تراكمت فى الساعات الأخيرة » .**

كان مكتبه مزدحما بمجموعة من الرسائل التى حولها مكتبه إليه تقديرا لأهميتها . وكانت بينها ثلاث رسائل بالذات استلفتت اهتمامه : **أولها رسالة من « يو ثانت »** السكرتير العام للأمم المتحدة أبلغها للسفير « محمد القونى » وطلب منه أن يجد وسيلة ليبعث بها على الفور إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » . واختار السفير «القونى» اختصارا للإجراءات أن يمليها تليفونيا من نيويورك على السيد « سامى شرف » وكان نصها كما يلى :

« أبلغنى المستر يو ثانت الرسالة التالية ، برجاء إبلاغها إلى السيد الرئيس على الفور :

« إن السكرتير العام وسيادتكم تعرفون مشاعره نحوكم يخشى أن تكونوا قد اتخذتم قراركم الذى أعلن من القاهرة الآن بدافع الكبرياء وحده . وهو يريد أن تتذكروا حكمة بوذية تقول « إن العظمة الحقيقية هى فى المقدرة على احتمال المكاره » . وهو يرجوكم أن تعيدوا النظر فى قراركم وإلاّ فإنكم بذلك تكونون قد لعبتم دون أن تقصدوا ذلك لعبة الآخرين . »

وأضاف السفير « القونى » إلى رسالة « يو ثانت » كلمة من عنده طلب إلحاقها برسالة « يو ثانت » ومؤداها أن انسحاب الرئيس من الميدان الآن معناه أنه يعطى لـ « جونسون » ولإسرائيل ما طلبوه تماما . وهو بهذا يضم صوته إلى صوت السكرتير العام للأمم المتحدة .

وبعد رسالة « يو ثانت » كانت هناك رسالة عاجلة من باريس بعث بها السفير « عبد المنعم النجار » برقم ١٣٦/٤٣٣٣ جاء فيها بالنص :

« اتصل بى مدير مكتب الرئيس ديجول طالبا إبلاغ رسالة عاجلة منه إلى الرئيس جمال عبد الناصر علما بأن هناك رسالة مكتوبة سوف تسلم إلىّ فى الاليزيه اليوم .

ورسالة الرئيس ديجول كما يلى :

« إلى الرئيس جمال عبد الناصر

إن النصر والهزيمة فى المعارك عوارض عابرة فى تاريخ الأمم . وما يهم هو الإرادة . وفرنسا فى وقت من الأوقات كما تتذكر كان نصفها تحت الاحتلال المباشر للنازى ، ونصفها الآخر خاضعا لحكومة عميلة . ولكن فرنسا لم تفقد إرادتها وظلت طول الوقت تسير واثقة وراء قيادتها المعبرة عن إرادتها . إن الشجاعة الحقيقية هى فى مواجهة المحن ، وأما الأوقات

السعيدة فإنها لا تستدعى هذه الشجاعة . إن سلام العالم العربى يقتضى جهودك ، وأنا أول من يتفق معك على أن الأمر الواقع الذى قام عندكم الآن لا يعطى أساسا صحيحا لمثل هذا السلام .

ديجول »

وكانت هناك رسالة ثالثة أكثر أهمية مما سبق كله لأن تأثيرها على مجرى الحوادث يمكن أن يكون مباشرا . وكانت هذه الرسالة من « بريجنيف » و« كوسيجين » و« بادجورنى » معا . وقد أملاها السفير السوفيتى من سفارته على أول مسؤول مصرى استطاع أن يتصل به وسط زحام الناس فى الشوارع ووسط انشغال كل خطوط التليفون ، وكان هذا المسؤول هو السفير « محمد رياض » مدير مكتب وزير الخارجية . وكان نصها كما يلى بالحرف :

« صديقنا العزيز ،

إننا لندرك خطورة الوضع الذى نشأ عندكم فى البلاد نتيجة للعدوان الإسرائيلى ومؤامرات الدول الاستعمارية . وفى هذه اللحظة العسيرة والمسؤولة ، وبناء على اقتناعنا العميق فإننا مقتنعون بأنه لا يجب عليكم أن تتركوا بلادكم دون قيادتكم .

الصديق العزيز ناصر ،

إنكم تتمتعون بسمعة صخمة فى العالم العربى . وإن الشعوب العربية كلها تثق فيكم ، وأصدقاؤكم يحترمون نضالكم ويحترمون شخصكم . وإنكم باستمراركم فى منصبكم رئيسا تستطيعون العمل ، ويجب أن تعملوا كل الممكن من أجل المحافظة على ثورتكم وشعبكم . إن العالم العربى والقوى التقدمية فى العالم العربى كله سوف لا يفهمون ولا يوافقون على تنحيكم عن قيادة البلاد فى هذه اللحظة العصيبة والمسؤولة ، ونحن مستعدون لبحث كل الخطوات المشتركة لحل جميع المشاكل الاقتصادية والعسكرية فى أى وقت ترونه .

مع احترامنا العميق .

إمضاء

بريجنيف

كوسيجين

بادجورنى »

وبينما « جمال عبد الناصر » يقرأ هذه الرسائل ويحاول استيعاب مضمونها ، اتصل به الرئيس « بومدين » تليفونيا يقول له « **إنك طلبت منى أن أذهب إلى موسكو وأنا أستعد للذهاب هناك فى ظرف ساعات . لكن خروجك من قيادة مصر لا يجعل لذهابى أى قيمة لأنه سيعطى للجميع الإشارة الخاطئة بأن اليأس أصابنا .** »

□

واتصل بى الرئيس « جمال عبد الناصر » فى الساعة الثامنة وخمس دقائق ، وكان أول ماقاله إنه « **لأول مرة فى حياته يشعر بالعجز عن اتخاذ قرار . وهو يستعد الآن للذهاب إلى مجلس الأمة وليس فى ذهنه أى شىء محدد عما يمكن أن يقوله هناك .** وقد اتصل به قبل قليل أنور السادات قائلا له إن المجلس ينتظره ، لكنه يطلب أن يقوم الحرس الجمهورى بإفساح الطريق لموكبه لأن البوليس عاجز عن ذلك حتى الآن ، ولابد من تعزيز قوته بشكل يسمح له بتحقيق هذا الغرض . » وطلب إلىّ الرئيس « جمال عبد الناصر » أن أفكر فى نصف الساعة القادمة فى إطار ما يمكن أن يقوله للمجلس . وكان تقديره أن إعداد خطاب مكتوب فى هذا الوقت القصير عملية شبه مستحيلة ، لكنه يريد على الأقل إطارا يحدد خطوط ما يقول وإلاّ وجد الموقف يشده إلى بعيد . وقلت له إنه « **فى تحديد أى إطار لابد من اتفاق على مضمون ، وفيما قلته لى فإننى لا أجد قرارا محددا يمكن أن يلتف حوله إطار** » . وكان رده بالنص : « **والله ما أنا عارف** » . وكان واضحا أنه يواجه محنة نفسية أمسكت بكل أعصابه .

واتصل بى السيد « أنور السادات » من مجلس الأمة يسألنى إذا كان الرئيس قد أبلغنى بشىء ، فقد حاول الاتصال به ثم عرف أنه على الخط معى . وهو يشعر بتخوف شديد لأن المجلس محاصر بالناس ، والبوليس عاجز بالكامل ، وهو لم يتلق ردا من الرئيس على اقتراحه بأن يتولى الحرس الجمهورى المساعدة فى السيطرة على الوضع خارج المجلس .

كانت عقارب الساعة تتحرك ، ولم تصبها حالة التوقف التى أصابت عقول ومشاعر البشر فى موقف أفلتت عناصره من كل الأيدى . وعندما قاربت الساعة العاشرة كان باديا أن القاهرة فى حالة غليان ، وأن الطرق إلى مجلس الأمة كلها مغلقة ولا سيطرة عليها لأحد ، مع أن الجماهير المحتشدة فيها حريصة كل الحرص على أن تعتبر نفسها مسؤولة عن الأمن فى أوقات شعرت فيها هذه الجماهير بأن مسؤولية المصائر فى يدها هى وليست فى يد غيرها . وبدا أن نزول الحرس الجمهورى ووصوله إلى مجلس الأمة مسألة مشكوك

فى إمكانية تنفيذها ، كما أنها يمكن أن تؤدى إلى تعقيدات ينبغى أن يظل الحرس الجمهورى بعيدا عنها . وبالتالى فقد بدأ يتضح أن ذهاب « جمال عبد الناصر » نفسه إلى مجلس الأمة مطلب يصعب بلوغه أو يستحيل .

وكانت تليفونات السيد « أنور السادات » لا تنقطع ، يستعجل ويلح فى عمل أى شىء . واتصلت بالرئيس « جمال عبد الناصر » الذى كان قد عرف بدوره أن الطرق إلى مجلس الأمة مغلقة أمامه بالكامل ، وأن أى محاولة لاختراقها وسط الزحام لن يكتب لها النجاح كما أنها قد تثير حالة من الفوضى يتعذر علاجها . وكان تقدير السيد « شعراوى جمعة » وزير الداخلية أنه من الضرورى البحث عن حل يواجه الضرورات ويتجنب المخاطر . ولم يكن لديه حل لهذه المعضلة الأمنية التى طرحها . وكانت هذه المعضلة هى صورة الموقف كما وجدته عندما اتصلت هذه المرة بـ « جمال عبد الناصر » .

وكان اقتراحى عليه وأنا أسمعها منه هو أنه بالأمس وجه رسالة إلى الشعب وقبلها الشعب منه وانتظر ، وربما يستطيع اليوم أن يفعل نفس الشىء مع مجلس الأمة فيبعث إليه برسالة تتضمن رأيه مادام ذهابه إليه مستحيلا بواقع الظروف . وقبل الفكرة على الفور باعتبارها مخرجا عمليا ، وفى إحساسى أنه قبلها فورا إلى جانب ذلك لسبب عاطفى وهو أنه لم يشعر بقدرته على المواجهة المباشرة مع هذه العواطف الجياشة المتدفقة عليه سواء من مجلس الأمة ، أو من جموع الأمة ذاتها وقواها وقياداتها والعالم .

ورحنا نتحاور فيما عساه يقوله فى رسالته بعد أن اتفقنا على مبدأ الرسالة . وكان تقديره أنه لا يستطيع أن يصم أذنيه عن كل هذا الذى فوجىء به من العواطف والنداءات التى يحمل بعضها ما هو أكثر من العواطف . ولكنه فى نفس الوقت ليس قابلا لفكرة العدول عن قراره .

ومرة أخرى اقترحت عليه أن يعطينى ربع ساعة أجرى فيها صياغة شىء قريب مما كنا نتحاور فيه . وعدت إلى الاتصال به أقترح عليه النص التالى لمشروع رسالة موجهة منه إلى رئيس مجلس الأمة :

« السيد رئيس مجلس الأمة ،

لقد كنت أتمنى لو ساعدتنى الأمة على تنفيذ القرار الذى اتخذته بأن أتنحى . ويعلم الله أننى لم أصدر فى اتخاذ هذا القرار عن أى سبب غير تقديرى للمسؤوليه وتجاوبا مع ضميرى وما أتصور أنه واجبى . وإنى لأعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدىّ حتى الحياة إلى آخر نفس فيها .

إن أحدا لا يستطيع ولا يقدر أن يتصور مشاعرى فى هذه الظروف إزاء الموقف المذهل الذى اتخذته جماهير شعبنا وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها بإصرارها على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن . ولا أعرف كيف أفى بهذا الحق ، ولا كيف أعبر عن عرفانى تجاهه .

إن الكلمات تضيع منى وسط زحام من المشاعر يملك علىّ كل جوارحى . وأقول لكم بأمانه - وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أننى مقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى . وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لا يرد ، ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى فى مكانى وفى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان . على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام .

وإنى لأشعر أن النكسة لابد أن تضيف إلى تجربتنا عمقا جديدا . ولابد أن تدفعنا إلى نظرة شاملة فاحصة وأمينة على عملنا . على كثير من جوانب عملنا . وأول ما ينبغى أن نؤكده بفهم واعتزاز ، وهو واضح من الآن أمام عيوننا ، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد إلى الأبد .

والآن أيها الأخوة المواطنون فى كل مكان .. أيديكم معى ولنبدأ مهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه . »

ودار بيننا على التليفون حوار حول بعض العبارات المقترحة فى مشروع الرسالة . وكان أكثر توقفه أمام النص القائل ببقائه حتى إزالة آثار العدوان ، فهذه فترة قد تطول . وأفصح عن خاطر ورد على باله وهو أن يتمكن من ترتيب بعض الأمور بسرعة ، ثم يكون خطابه فى عيد الثورة القادم - ٢٣ يوليو ١٩٦٧ (أى بعد شهر تقريبا) - هو المناسبة التى يختارها للوداع . وكان رأيى أن المهام التى يتحتم عليه أن يقوم بها - طالما أن الظروف فرضت عليه أن يعدل عن قراره بالتنحى الفورى - سوف تقتضى ما هو أطول من فسحة شهر . ومن الإنصاف للمسؤولية التى لم يعد أمامه مفر من العودة لحملها أن يعطى لنفسه فرصة مفتوحة . وارتضى وجهة نظرى ثم طلب إلىّ أن أقوم بإملاء مشروع الرسالة على السيد « أنور السادات » رئيس مجلس الأمة لكى يقوم بإبلاغها إلى المجلس .

وكان رد الفعل فى المجلس حماسيا . ومن سوء الحظ أن بعضا من الذين كتبوا عن رد فعل المجلس - بأثر رجعى وبعد الحدث بسنوات - أخطأوا فى تقدير سبب حماسة

المجلس ، فقد صوروها كما لو أن المجلس قام بمظاهرة فرح بالهزيمة . وكان ذلك التصوير ظالما لأن حماسة المجلس كانت موجهة فى واقع الأمر إلى استجابة « جمال عبد الناصر » لطلبه ولطلب جموع الشعب والأمة ، وعودته لقيادة معركة المواجهة على أساس جديد . والحقيقة أن أى مشهد من المشاهد المتصلة فى سير الحوادث لا يتضح معناه إذا حذفت منه صورة واحدة ـ ذلك لأن سياقه المنطقى فى هذه الحالة يضيع .

الفصل الخامس

ثم ماذا ؟

بعد انتهاء جلسة مجلس الأمة ، وبعد إعلان عودة « جمال عبد الناصر » عن قراره بالتنحي وقبوله بالبقاء حتى تتم إزالة آثار العدوان ثم يكون الاحتكام للشعب ووضع الأمور كلها فى يده - ساد فى مصر والمنطقة العربية كلها نوع من الهدوء أقرب ما يكون إلى الجو الذى يعقب إعصارا عاتيا مدمرا ضرب الكل بمخاطره الداهمة ثم مر مخلفا وراءه صدمته وخسائره وضحاياه . وبعد أن تأكد الناس أن بؤرة الإعصار تحركت بعيدا عنهم ، واكتشفوا أنهم مازالوا أحياء بعده ارتخت أعصابهم فجأة واستسلموا على نحو أو آخر لحالة تشبه الدوار ، ربما إلى حد الإغماء .

وكان « جمال عبد الناصر » نفسه فى حالة قريبة من حالة كل الناس وأسوأ منها . فقد كان شاعرا بمسؤوليته ، كما أنه أيضا كان قد أصيب بارتفاع فى درجة حرارته لم يستطع الأطباء تحديد سببه (كانت حرارته ٣٨,٥ مئوية) . وكان إحساسه لبعض الوقت أنه عاجز عن التفكير ، وقصارى ما استطاع أن يتوصل إليه هو أنه اتصل بالفريق أول « محمد فوزى » رئيس هيئة أركان الحرب وطلب إليه أن يعتبر نفسه مسؤولا عن أوضاع القوات

المسلحة للساعات القادمة ، وأن يحاول قدر ما يستطيع أن يقوم بحصر لأوضاع القوات سواء فى شرق قناة السويس (سيناء) أو فى غربها ، وأن يمر عليه فى الصباح الباكر . كان فكره ـ رغم كل مصاعب التفكير فى تلك اللحظات ـ قد اتجه إلى تعيين الفريق « محمد فوزى » قائدا عاما للقوات المسلحة .

وكان ما تبقى من تفكيره مازال مشغولا بالسؤال الذى ألح عليه منذ أحس برفض جماهير الأمة كلها لإعلان تنحيه ، وهو السؤال بـ « **لماذا ؟** » ـ وقد توصل إلى إجابة معقولة ـ وتكاد تكون دقيقة له .[1]

وكانت إجابته على هذا السؤال فى إطار ما يلى :

١ ـ إن الناس مازالوا يثقون فيه ، ولعلهم قدروا أن حساباته صدقت مرات ومن الطبيعى ألا تصدق مرات أخرى . وهم لهذا السبب على استعداد لإعطائه الفرصة يصحح ما جرى .

٢ ـ إن الحس التاريخى للناس جعلهم يضعون الكارثة فى حجم أقل من حجم إرادتهم ، ويطلبون منه استمرار النضال حاسبين أن موارد الأمة قادرة على التحمل .

٣ ـ إن الناس يشعرون أيضا أنه هو شخصيا بما يمثله من توجهات وسياسات ـ هدف مستهدف من كل أعدائهم . وإذا كان ذلك فهم لا يريدون أن يحققوا لهؤلاء الأعداء مطلبهم المستهدف .

٤ ـ إن الناس لا يعرفون أحدا غيره ، وبالتالى فهم يطلبونه لاستمرار التعبير عن إرادتهم .

٥ ـ إنه أمامهم مسؤول ، ولابد أن يبقى لكى يصحح آثار ما جرى .

وقد طرح « جمال عبد الناصر » كل هذه الاعتبارات معا ، وأضاف إليها بواقعية شديدة قوله « **إنه عندما يزول أثر الصدمة فإنه يقدر أن الناس سوف يحاسبونه على ما جرى ، وهو على استعداد لهذا الحساب . ولكن المهم أن الموقف لابد من تصحيحه قبل أن تجىء لحظة الحساب بحيث تكون معالم طريق المستقبل قد تحددت على الأقل أمامهم . وفى هذا الوقت سوف يكون راضيا بما يرتضيه الناس ، عارفا أن الأمور بدأت تجد طريقها السليم نحو تصحيح ما جرى .** »

---

(١) قضيت طوال يوم ١١ يونيو مع « جمال عبد الناصر » وقد دونت كل ما سمعت ورأيت فى دفتر مذكراتى عن الوقائع ، وأنا أعتمد عليها بالدرجة الأولى فى هذا الفصل وما يليه .

وكان ذلك كله معقولا وواقعيا أيضا .

□

صباح يوم الأحد ١١ يونيو ، كان « جمال عبد الناصر » شخصا آخر كأنما هو إنسان ولد من جديد . كان الشعور بالصدمة قد خف عنه ، وكانت مشاعر الناس التى أحاطت به قد أعطته قوة بدت مذهلة فى ذلك الصباح ، كما أن إحساسه بالمسؤولية التى علقها الناس فى عنقه زوده بدافع هائل جدد حيويته مرة واحدة . صباح ذلك اليوم عادت إليه مرة أخرى مشيته المشهورة التى كانت تشبه حركة فهد يتحرك واثقا من نفسه وقد تنبهت كل حواسه وملكاته . وقد عادت إليه كل كفاءات ضابط ممتاز من ضباط أركان الحرب القادرين على النفاذ إلى عمق الأمور والتخطيط لها . وقد نزل إلى مكتبه مع ساعات الفجر الأولى وراح يضع أفكاره على ورق . وقد كتبها بخطه وبأسلوب أشبه ما يكون بأسلوب العمليات العسكرية .

وقد حدد أولوياته فى هذه الأوراق التى كتبها على النحو التالى :

١ ـ عملية إعادة التنظيم .

٢ ـ عملية إنقاذ ما تبقى من الأوضاع فى سيناء .

٣ ـ عملية مواجهة الحقيقة سواء فى ذلك ضرورة دراسة وقائع ما جرى ، أو ضرورة مصارحة الناس بأكبر قدر ممكن منه حتى يكونوا على بينة من كل الظروف .

٤ ـ عملية إعادة تقييم الموقف حتى يمكن رسم سياسات جديدة على أساسها .

٥ ـ عملية التشاور مع الأطراف المعنية باستمرار النضال فى العالم العربى .

٦ ـ عملية إعادة البناء والتخطيط للجهد المستقبلى .

كان ذهنه صافيا ومرتبا إلى درجة تبعث على الدهشة ، خصوصا بالمقارنة بما كان عليه فى اليوم السابق .

[وحين أبديت ملاحظة بسعادتى إلى ما أرى وأسمع كان رده بأننى لا أقدر أن الناس قد أسروه إلى الأبد ، وأنه إذا أعطاهم حياته ذاتها إزاء كل ما أعطوه له أول أمس وأمس ـ فحياته ذاتها قليل . واختلج صوته بنبرة تأثر كان مازال تحت السطح يملك عليه مشاعره .]

□

وكان ينتظر أن يمر عليه الفريق أول « محمد فوزى » . وقد توصل إلى ضرورة تغيير قيادة القوات المسلحة بالكامل . وكان بعض القادة قد قدموا إليه استقالاتهم فى نفس الوقت الذى سمعوا فيه بأن المشير « عبد الحكيم عامر » قد أعلن اعتزاله لجميع مناصبه . وقد اعتبر هذه الاستقالات تسهيلا لمهمته .

وكان اتجاهه لا يزال إلى استبقاء الفريق أول « محمد فوزى » وترقيته قائداً عاماً للقوات المسلحة ، رغم أن الفريق « محمد فوزى » كان يشغل وقت الكارثة منصب رئيس هيئة أركان الحرب . وكان « جمال عبد الناصر » يعرف أن الفريق « فوزى » على خلاف مع بعض « رجال المشير » . وإلى جانب ذلك فقد كان تقديره أن هناك ضرورة بشكل ما لوجود رابطة تصل بين ما كان فى القوات المسلحة وبين التغييرات الجديدة التى أزمع إجراءها . كذلك كان تقديره أنه فى المرحلة المقبلة فإن كفاءات الفريق أول « محمد فوزى » فى الضبط والربط مطلوبة بعد حالة التسيب التى شاعت فى القوات المسلحة . وأخيرا ، فقد كان رأيه أنه من الضرورى أن يكون على رأس القوات المسلحة فى الظروف الجديدة قائد يعرفه شخصيا . وكان ذلك متوافرا فى الفريق « فوزى » الذى قام « جمال عبد الناصر » بالتدريس له فى كلية أركان الحرب .

والحقيقة أن تفكير « جمال عبد الناصر » فى الفريق « فوزى » فى تلك اللحظات لم يكن يمتد إلى احتمالات المعركة التى يراها قادمة لا محالة . ولعل توجهه إزاء هذه المعركة كان يحوم أكثر حول الفريق « عبد المنعم رياض » الذى انتوى تعيينه رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة . وكان الفريق « عبد المنعم رياض » لا يزال فى الأردن ، وقد بعث إليه « جمال عبد الناصر » فى هذا الصباح برقية طلب إليه فيها أن يفرغ من مسؤولياته المتبقية هناك ويعود فورا إلى القاهرة .

وعلى أى حال فإن « جمال عبد الناصر » رد نفسه عن التفكير كثيرا فى المعركة الحتمية القادمة ، فقد بدت احتمالاتها أمامه فى تلك الظروف معلقة بتوقيتات مازالت بعيدة فى المستقبل وباشتراطات لابد من توافرها . وأما الآن فإن الواقع لابد أن يفرض أحكامه ويشد إليه أى تفكير أو تخطيط . وكان الواقع أمامه فادحا ، وقد راح يستعرضه فى مجالات متعددة وإن كانت متشابكة إحداها بالأخرى . وفى تلك اللحظات من الصباح الباكر يوم ١١ يونيو كانت صور الواقع هى التى تفرض أحكامها قبل أية مطالب أو أمانى بعيدة فى المستقبل :

● **كانت هناك صورة ميدان القتال فى سيناء** ، وقد أحس أن ما يجرى فيها الآن هو عملية قتل هدفها تحطيم كل ما يمكن تحطيمه من معنويات الجيش وسلاحه . (وقد

أثرت فيه إلى آخر حد صورة لجندى مصرى تائه على رمال الصحراء فى سيناء . وكانت هذه الصورة - فى الواقع - مجموعة صور التقطت لهذا الجندى من طائرة هليكوبتر حلقت على ارتفاع قريب فوقه ، وراحت تلاحقه جاريا فى البداية ثم مترنحا من الإعياء ثم واقعا على الأرض . وقد نشرت مجلة « لايف » الأمريكية هذه المجموعة من الصور فى عدد خاص أصدرته عن « حرب الأيام الستة » احتفالا بالنصر الإسرائيلى . وقد اعتبر « جمال عبد الناصر » أن ملاحقة هذا الجندى بهذه الطريقة ليس فنا من فنون الصحافة ، وإنما هو جريمة قتل عمد تستهدف التشفى لا أكثر ولا أقل .)

● **وكانت هناك صورة خلفية ميدان القتال على الضفة الغربية من قناة السويس** ، وقد تحولت إلى مراكز تجميع للقوات العائدة من سيناء فى حالة من الفوضى الشديدة فقدت معها سلاحها وروحها المعنوية أيضا . وكانت الأحوال فى هذه المراكز فوضى كاملة ، فبعد الانهيار الذى حدث فى قيادة القوات ، وبعد اختفاء كثير من قياداتها بالاعتزال أو بالاستقالة (أو بالهرب أحيانا) - أصبحت أحوال هذه القوات متروكة بلا توجيه يضبط حركتها ، وبغير يد تمسك بمصائرها . وقد أصبح كل فرد مسؤولا عن نفسه فقط ، وكانت هذه أسوأ حال يمكن أن تنتهى إليها أمور جيش خصوصا تحت ضغوط عدو شرس يقصد عامدا أن يلقن هذه القوات درسا لا تتمالك نفسها بعده . (وكان إحساس « جمال عبد الناصر » أن هذه خطة إسرائيلية أمريكية تستكمل أغراضها ، وتريد أن تترك فى معنويات الجيش جرحا غائرا لا يندمل ، تذكرها آلامه بأن عودتها إلى ميدان القتال فى يوم من الأيام أمر لا ينبغى التفكير فيه .)

● **وكانت هناك صورة القيادة العامة للقوات المسلحة فارغة من أى مسؤول قادر على اتخاذ أى قرار** . فالذين كانوا فيها فقدوا أعصابهم ، ثم كانت مسؤوليتهم التالية أنهم تركوا مواقعهم وخلفوا وراءهم حالة من الفراغ أصبح فيها ما تبقى من القوات المسلحة جيوبا متناثرة ومتباعدة لا يربطها رابط خصوصا أثناء عملية انسحاب تتم تحت ظروف سيطرة جوية كاملة للعدو .

● **وترتبط بهذه الصورة صورة « عبد الحكيم عامر » نفسه الذى كان يتولى قيادة هذه القوات وقد انهار بالكامل بعد الضربة الجوية ، ثم تخبط لعدة أيام خطيرة ، ثم قرر اعتزال مناصبه ، ثم اختفى الآن فجأة وإن ظهرت تحركات من بعض رجاله تشير إلى نوايا غير واضحة وتصرفات غير مسؤولة فى وقت لا يحتمل على الإطلاق أى قدر من اللا مسؤولية .**

● وكانت هناك صورة بلد بأكمله مكشوف من الجو فى وقت كان فيه قرار وقف اطلاق النار لايزال قلقا . وأى خطأ فى الحساب قد يدفع الاسرائيلين ومن يحرضونهم الى تصعيد أكثر لعلهم كانوا يريدونه لكى يستكملوا مابدأوه .

● وكانت هناك صورة الوضع الاقتصادى واحتمالاته بعد خسائر المعركة وبعد أن تقرر إغلاق قناة السويس ، وضاع دخلها الذى كان مقدرا له فى تلك السنة أن يزيد على ١٢٥ مليون جنيه استرلينى . (وكان « جمال عبد الناصر » يرى فى تلك اللحظة المبكرة أن المجال الاقتصادى سوف يكون فى المرحلة المقبلة أهم مجالات التأثير والضغط . وكان حسابه أن الاقتصاد سوف يكون عليه حتى فى ظروف المعركة وفى ظلها أن يكفى احتياجات التموين مع المحافظة على ثبات الأسعار فى نفس الوقت ، وإعادة بناء القوات المسلحة مع الاستمرار فى استكمال عدد من المشروعات الكبرى وفى مقدمتها مشروع السد العالى ، وإلاّ فمعنى ذلك أن العدوان يكون قد حقق أهدافه .)

● كانت هناك أيضا صورة شماتة الآخرين ، وقد صورتها فيما بعد برقية بعث بها السفير « محمد القونى » بمعلومات وصلته عن لقاء بين عدد من السفراء العرب فى واشنطن وبين الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » ، ذلك أن وزارة الخارجية الأمريكية أحست بالقلق الشديد الذى يساور بعض السفراء العرب الذين بقوا فى واشنطن بعد قطع العلاقات بين عدد من الدول العربية وبين الولايات المتحدة الأمريكية . وفوجىء السفراء العرب الحاضرون بأن الرئيس الأمريكى قرر أن يقضى معهم بعض الوقت فى قاعة الاستقبال بمبنى وزارة الخارجية الأمريكية ، واعتبروها مفاجأة سارة لأنها تتيح لهم فرصة التحدث معه والتعبير له عن مشاعرهم . وقد استبدت بهم الدهشة حين دخل « جونسون » إليهم وهو يمسك بوثاق من الجلد يقود به كلبه الذى يسابقه إلى الدخول . ثم جلس ، وكانت بداية حديثه - لذهولهم - موجهة إلى كلبه ، واسمه على نفس اسم فصيلته « بيجل » - قائلا له بالحرف تقريبا :

« اسمع يا بيجل .. حكاية رجل شرير تخانق مع جاره الطيب متصورا أن هذا الجار الطيب لا يستطيع الرد عليه . ولكن الجار الطيب يا بيجل استجمع كل قواه ولكم جاره الشرير لكمة قوية طرحته على الأرض .

له حق يا بيجل ، أليس كذلك ؟
لماذا يحق لأصحاب هذا الرجل الشرير أن يشتكوا للآخرين ؟ ...
ماهو رأيك يا بيجل ؟ »

جونسون وكلبه المدلل

وكاد يغمى على بعض السفراء العرب المدعوين . بل وكاد يغمى على بعض السفراء الأمريكيين الحاضرين ، وإن تكلف بعضهم ابتسامات مغتصبة . ثم قام الرئيس « جونسون » . و« بيجل » لا يزال يسابقه . (وكان « بيجل » هدية من السيدة « ماتيلدا كريم » ، وكان الكلب الأثير إلى « جونسون » ضمن أربعة كلاب يحتفظ بها من فصيلة « بيجل ») . .

وفى الساعة الثامنة صباحا (يوم ١١ يونيو) كان الفريق أول « محمد فوزى » جالسا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان المطروح للبحث بطبيعة الأمور هو العمليتين المتشابكتين : عملية إعادة التنظيم ، وعملية إنقاذ ما تبقى من الأوضاع فى سيناء .

كانت الصورة التى استطاع الفريق « فوزى » تجميعها طوال الليل صورة كالحة وكئيبة .

كانت الأرقام تشير إلى سقوط حوالى ثلاثمائة شهيد فى كل العمليات التى قامت بها القوات الإسرائيلية جوا وبرا حتى صدور قرار الانسحاب . وبعد صدور هذا القرار فإن هناك ١٦ ألف ضابط وجندى لا يعرف مصيرهم فى سيناء . ومن المؤكد أن كثيرين منهم تاهوا فى الصحراء ، وبعضهم قد بدأ يجد طريقه إلى مراكز التجمع المصرية غرب القناة فى ظروف مرهقة ومؤلمة . وكان بعض العائدين جرحى ، وكانوا يتحدثون عن رفاق لهم تركوهم هناك على الرمال ودماؤهم تنزف وهم أشد ما يكونون حاجة إلى إنقاذ . وكان شعور هؤلاء العائدين ، كما هو شعور الذين سبقوهم إلى مراكز التجمع غرب القناة - هو الشعور ليس بالصدمة فقط ، وإنما فوق ذلك الشعور بأن هناك من تخلى عنهم فى وقت الشدة .

وبالتوازى مع ذلك فقد كانت التقديرات الأولية التى يحملها الفريق « فوزى » معه ذلك الصباح عن الخسائر فى المعدات تشير إلى خسارة حوالى ٩٠٠ مدفع و٧٠٠ دبابة وثمانية آلاف سيارة من كل الأنواع .

وكانت القوة الوحيدة التى مازالت متماسكة هى قوة الأسطول البحرى ، وإن كان الآن يواجه مشكلة نتيجة لانقسام قواته بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، وهو انقسام تشتد مخاطره باستيلاء إسرائيل على شبه جزيرة سيناء .

وأما السلاح الجوى فإنه الآن أصبح أفضل قليلا مما كان عليه الوضع عقب الضربة الجوية مباشرة . ذلك أنه بين إحدى عشرة قاعدة ومطارا تركزت عليها الضربة الإسرائيلية تمكن المهندسون والعمال المصريون بإصرار وبسالة نادرة من إعادة سبع منها إلى حالة

من الصلاحية تكفى لإعادة تشغيلها . كما أن الخمس والثلاثين طائرة التى تبقت بعد الضربة الجوية الإسرائيلية (والتى ضاع فيها مرة واحدة قرابة ١٧٠ طائرة) ـ قد أضيف إليها مساء أمس ٤٦ طائرة بعث بها السوفيت على عجل ، ومن الممكن تشغيلها فورا ، خصوصا وأن ضرب الطائرات على الأرض أفاد فى ناحية منه لأنه حفظ العدد الأكبر من الطيارين المصريين . وبالتالى فإن هناك ٨٥ طائرة جاهزة للعمل ، كما أن هناك ٢١٦ طيارا لا ينتظرون غير وصول طائرات جديدة لكى يحلقوا مرة أخرى فى الأجواء .

وأضاف الفريق « فوزى » إلى هذه الصورة أنه حين تولى مسؤولية القيادة العامة مساء أمس بعد تكليف الرئيس له بذلك ـ فإنه أحس أن بعض رجال المشير يقومون بمناورات أثارت ريبته . وقد أمر بتأمين القيادة ، ولم يجد لتحقيق هذه المهمة غير سبع سيارات مصفحة . وكان توصيف الفريق « فوزى » لمناورات هؤلاء الذين أسماهم بـ « رجال المشير » هو أنهم يطالبون بعودة المشير إلى القيادة ، ويحاولون تصوير ذلك على أنه بطلب من الجيش يتساوى مع عودة « جمال عبد الناصر » إلى الرئاسة بطلب من الشعب .

وسأل « جمال عبد الناصر » عن حجم القوات فى العمق على المنطقة الممتدة من طريق السويس إلى القاهرة . وكان رد الفريق « فوزى » أن هذا الخط توجد عليه ستون دبابة فقط من طراز « ت ـ ٥٤ » .

كانت الصورة كالحة وكئيبة ، ومع ذلك لم تكن هناك بداية غير البدء منها .

□

ووقع « جمال عبد الناصر » قرارا بقبول استقالة كل من الفريق أول « سليمان عزت » (قائد البحرية) والفريق أول « محمد صدقى محمود » (قائد الطيران) والفرقاء الأول « أحمد حليم امام » و« هلال عبد الله هلال » و« عبد المحسن كامل مرتجى » و« جمال عفيفى » والفريق « أنور القاضى » . ثم وقع قرارا بإحالة اللواءات « عبد الرحمن فهمى » و« عثمان نصار » و« حمزة البسيونى » واللواء طيار « إسماعيل لبيب » إلى التقاعد . ثم وقع قرارا ثالثا بتعيين القيادة العليا الجديدة للقوات المسلحة على النحو التالى :

- □ **الفريق أول « محمد فوزى »** ـ قائدا عاما للقوات المسلحة .
- □ **والفريق « عبد المنعم رياض »** ـ رئيسا لهيئة أركان الحرب .
- □ **والفريق طيار « مدكور أبو العز »** ـ قائداً للقوات الجوية .
- □ **والفريق « صلاح الدين محسن »** ـ مساعداً للقائد العام للقوات المسلحة .
- □ **واللواء بحرى « فؤاد محمد ذكرى »** ـ قائدا للقوات البحرية .

وتم ذلك كله فى حضور الفريق « فوزى » وبالتشاور معه . ثم بدأ يناقش مع الفريق « فوزى » تصوراته للمهام المباشرة التى يجب تحقيقها . وكانت تقديراته كما يلى :

١ - إن الأولوية الأولى يجب أن تعطى لإعادة تجميع وتنظيم القوات المتواجدة غرب القناة . وكان رأيه أنه يمكن بوجود قائد كفء ومتمالك لأعصابه إعادة تنظيم فرقتين كاملتين على الفور ، وأنه سوف يبذل كل جهده لإعادة كل قوات اليمن ولكن فى إطار حل مقبول للنزاع هناك لأنه لا يتصور بعد كل ما بذل من جهد أن تتخلى مصر عن مهمتها القومية والحضارية فى اليمن فجأة . وهو يظن أنه فى مؤتمر قمة عربى يعقد قريبا - قادر على تحقيق هذا الهدف . وإذا تم ذلك فإن هناك فرقتين فى اليمن يمكن استعادتهما وإلحاقهما بقوات الجبهة ، وبذلك تصبح قوات الجبهة مكونة من أربع فرق ، وهذا حجم كاف من القوات مؤقتا . وهو إلى جانب ذلك يتوقع فى ظرف أسبوعين أن تصل شحنات من الأسلحة السوفيتية تعوض جزئيا ما وقع من خسائر ، وبالتالى تسمح بإعادة تسليح هذه الفرق ، مشيرا إلى أن الفرقتين المنتظر عودتهما من اليمن سوف تعودان بسلاحهما ، كما أنهما سوف تعودان بروح معنوية أعلى بحكم عدم تعرضهما لمأساة ما وقع فى سيناء . ومع تدريب جاد وتسليح جديد فإنه يتوقع فى شهور قليلة أن تكون جبهة القتال قادرة على احتمال عبء الدفاع . وبعدها ، وعلى ضوء تطورات أخرى يصبح التفكير ممكنا فى تصورات جديدة لعمل القوات . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » قوة الحرس الجمهورى إلى قوات الجبهة ليكون منها تدعيما إضافيا لقدرتها فى الظروف الطارئة . ثم قال « جمال عبد الناصر » إنه استدعى الفريق « مدكور أبو العز » من أسوان حيث كان يعمل محافظا لها ، وسوف يقابله بنفسه بعد قليل لكى يتحدث معه فى شؤون القوات الجوية . وأحس « جمال عبد الناصر » أن الفريق « فوزى » قد تكون لدية ملاحظة على تعيين الفريق « مدكور أبو العز » قائداً للطيران ، وكان تعليقه أنه يعرف أن مدكور أبو العز ابتعد سنوات طويلة عن سلاح الطيران ، ولكنه يريد ضابطا كبيرا معروفا بين الطيارين لكى يستطيع أن يرفع روحهم المعنوية فى أسرع وقت ممكن ، وأن يفرض برنامجا شاقا للتدريب ويقنعهم بتحمل الجهد المطلوب له .

وسأل الفريق « فوزى » عن الموقف إزاء مناورات من أسماهم « رجال المشير » . وكان رد « جمال عبد الناصر » أنه يطلب الحزم دون أن يؤدى ذلك إلى أى صدام بين القوات ، فهذا هو المحظور الواجب تجنبه بأى ثمن فى هذه الظروف .

ثم انتقل « جمال عبد الناصر » إلى نقطة أخرى قال فيها : « إن هناك أخبارا متسربة عن نوايا إسرائيلية لعبور قناة السويس من الشرق ، واحتلال عشرة كيلومترات على شاطئها

الآخر . والأقوال أن مثل ذلك يمكّن إسرائيل من فتح قناة السويس للملاحة البحرية . وهو شخصيا قد أصبح ميالا إلى استبعاد هذا الاحتمال لأن إسرائيل فى هذه الحالة سوف تسمح لقواتها بأن تكون على مقربة من مواقع التجمع السكانى فى منطقة القناة ، وهذا يفرض عليها الاحتفاظ بنسبة عالية من حالة التعبئة ، وهو ما لا تستطيع احتماله . فضلا عن أنه يكشف قواتها أمام عمليات مقاومة شعبية مسلحة من المدنيين ، وهو ما تجنبته طوال معاركها مع العرب . ومع ذلك فهو يرى أنه لا يجب السماح لإسرائيل ـ تحت أى ظرف ـ بتحقيق هذا الهدف . وكان تقديره أن الأخبار المتسربة حول هذا الموضوع تستهدف فى حقيقة الأمر الضغط على مصر لفتح قناة السويس نظرا لاحتياج العالم لها . وهو يعتقد أن استمرار إغلاق القناة نقطة ضغط لصالح مصر ، ومن الضرورى الاحتفاظ بها كذلك وإلاّ فلو أن مصر فتحتها فى ظروف الأمر الواقع ـ فهى إذن لا تتخلى عن ورقة ضغط فى يدها فقط ، وإنما لن يكون فى مقدورها فى هذه الحالة أن تمنع إسرائيل من استعمالها بحكم وجودها على الضفة الشرقية من القناة . ومعنى ذلك أننا نحقق لها أحد أهداف العدوان متبرعين تحت ضغوط حملة نفسية .

ومن هذه النقطة انتقل « جمال عبد الناصر » إلى أهمية تجنب الاستفزاز بأى ثمن . ذلك أن إسرائيل تريد بكل الوسائل أن تكسر وقف إطلاق النار ، وهدفها من ذلك أن تواصل غاراتها الجوية على منشآت مصر الاقتصادية والصناعية . وقد أقنعتها وقفة الشعب يومى ٩ و١٠ يونيو أن هناك إرادة مصرية وعربية مصممة على عدم الاستسلام ، وليس أحب إليها الآن من فرصة تمكنها من تدمير منشآت حيوية ومؤسسات صناعية واقتصادية ضخمة بناها الشعب بجهده وعرقه ، متصورة أن فى ذلك عقابا على وقفته ، فضلا عن رغبتها فى إصابة حياته بشلل كامل يمنعه من الوقوف صامدا والعودة ذات يوم إلى ميدان القتال .

وكان تشديده قاطعا مرة أخرى على ضرورة تجنب الاستفزاز إلى درجة أنه طلب من الفريق « فوزى » أن يصدر أمرا يقضى بمحاكمة أى جندى يطلق النار بدون أوامر صادرة عن ضرورة ملحة لإطلاق النار . وقد علق على هذا بنفسه قائلا بمرارة « **ربما كان هذا أغرب ما يطلبه أحد من قوات بلده المسلحة ، لكن الضرورات لها أحكامها .** »

وروى له الفريق « فوزى » أن أحد ضباط المواقع الأمامية على الضفة الغربية من قناة السويس كان يحاول تحصين موقع قوته وإذا بضابط إسرائيلى من الناحية الأخرى يبعث إليه مع أحد البدو برسالة يقول له فيها إنه يراقب ما تقوم به سريته ، وهو ينصحه بالإقلاع عنه لأنه جهد لا فائدة منه لأنه سوف ينتظره حتى يكمل تحصيناته ثم يطلب من الطيران الإسرائيلى أن يبعث بإحدى طائراته لتقوم بدك هذه التحصينات التى يحاول إقامتها . وكان

تعليق « جمال عبد الناصر » هو قوله « **علينا أن نتحمل مثل هذا وغيره دون أن نفقد تصميمنا على الهدف .** »

وكانت آخر نقطة أشار إليها « جمال عبد الناصر » هى قوله إنه « يعرف أن الجيش سوف يكون معرضا من الداخل لحملة شديدة عليه تقوم بها بعض العناصر المعادية بعد أن يفيق الكل من الصدمة . وهو يقدر بداية أنها حملة ظالمة . فالجيش أدى واجبه وليس له ذنب فيما جرى . ومع ذلك فهو يطلب الالتفات إلى التعبئة المعنوية بقصد تحصين القوات ضد أى مؤثرات على روحها المعنوية ، وهو يقدر أن هذه المشكلة سوف تكون صعبة خصوصا مع الحماقات التى يمكن أن يقوم بها من يسمونهم « رجال المشير . »

□

وفيما بقى من صباح ذلك اليوم كرس « جمال عبد الناصر » جهده للعملية الثانية ، وهى عملية إنقاذ ما تبقى من الأوضاع فى سيناء . وقد اتصل بكل من الدكتور « محمود فوزى » والسيد « محمود رياض » وزير الخارجية طالبا تركيز كل الجهد الدبلوماسى فى الساعات القادمة فى الضغط على الأمم المتحدة ، وعلى الصليب الأحمر فى سبيل العثور على الضباط والجنود الشاردين فى سيناء والذين هم الآن فى حاجة إلى عملية إنقاذ واسعة النطاق سواء فيما يتعلق بإعادتهم سالمين إلى مراكز التجمع ، أو إسعافهم بما يحتاجون إليه من مساعدات طبية .

وفى الوقت الذى كان فيه الدكتور « محمود فوزى » والسيد « محمود رياض » يتصلان بنيويورك وجنيف وواشنطن . كان « جمال عبد الناصر » يطلب مساعدة الاتحاد السوفيتى ويوجوسلافيا والهند وفرنسا لكى يضموا جهودهم إلى محاولات الإنقاذ فى سيناء .

وكان يدرك أن الضغوط على الساحة الدولية لابد أن تصحبها محاولات للعمل المباشر . وهكذا عاود الاتصال بالفريق « فوزى » طالبا من المخابرات العسكرية أن تبعث بدوريات تتسلل إلى داخل سيناء وتحاول الاتصال بروساء القبائل وتجنيد جهدهم ورجالهم فى عمليات البحث والإنقاذ . كذلك اتصل بنفسه بمحافظ بورسعيد ومحافظ السويس يطلب إليهما تجنيد جميع الصيادين الذين يعرفون مداخل ومخارج سواحل سيناء حتى يشاركوا فى هذا الجهد . وكان أغرب ما ذكره محافظ بورسعيد أن مئات ممن يعرف أنهم يعملون بالتهريب وما يشبهه تقدموا إليه طالبين التطوع دون أية مكافآت للمشاركة فى عمليات الإنقاذ . وبالفعل فلم يرفض تطوع أحد بما فى ذلك عدد من المحكوم عليهم قضائيا فى سجون محافظات القناة .

وكانت نتيجة هذا الجهد المكثف أن أمكن فى بحر أسبوع استعادة ما يقرب من ثمانية آلاف ضابط وجندى من فيافى الصحراء . كما أن معلومات بدأت تصل مؤكدة بأن أعدادا أخرى من الشاردين هم الآن فى حماية قبائل سيناء متخفين فى بعض نجوعها ينتظرون فرصة مواتية ليبدأوا رحلة العودة .

□

وفى وسط هذه الشواغل كلها والهموم جاء إلى بيت « جمال عبد الناصر » على غير موعد السيد « صلاح نصر » مدير المخابرات العامة(٢) . وعندما قابله « جمال عبد الناصر » بدأ « صلاح نصر » فأبدى دهشته من أن الرئيس لم يطلب استدعاءه لكى يسمع ما لديه من معلومات المخابرات العامة خلال الظروف الأخيرة . وكان رد « جمال عبد الناصر » عليه مباشرة هو قوله « إنه كان مشغولا بالبحث عن حلول لمأزق صعب يواجهه « البلد » ، وهو ليس متأكدا من أن « صلاح نصر » جزء من الحل أو هو جزء من المصيبة » . وظهرت تعبيرات القلق على وجه « صلاح نصر » وراح يقسم أنه حاول بكل جهده أن يساعد على حل مشاكل كثيرة بدون أن يزعج الرئيس بها . وسأله « جمال عبد الناصر » عن هذه المشاكل التى حلها . وكان رده « أنه كان طول الوقت يخشى من انفلات « عبد الحكيم عامر » إلى تصرفات لا تحمد عواقبها » . ولم يسكت « جمال عبد الناصر » وإنما راح يقول لـ « صلاح نصر » إنه هو شخصيا أحد المسؤولين عما جرى لـ « عبد الحكيم عامر » . ولعله يلاحظ أنه (« جمال عبد الناصر ») لم يقابله منذ شهور ، وكان ينوى عزله من منصبه لولا الظروف الخارجية التى طرأت فجأة . ثم قال له : « إن عبد الحكيم عامر كان « قطة مغمضة » حتى تولى هو (« صلاح نصر ») فتح عينيه على ما لم يكن يجوز له أن يتورط فيه . » وراح « صلاح نصر » يقسم بأغلظ الايمان أنه لم يكن له ذنب فيما تورط فيه « عبد الحكيم عامر » . وأنه يعترف بحقيقة أنه هو الذى قدم السيدة « برلنتى عبد الحميد » إلى المشير ، ولكنه لم يكن يتصور أن تصل الأمور إلى الحد الذى بلغته . وسأله « جمال عبد الناصر » عن السبب الذى دعاه ـ وهو مدير المخابرات العامة فضلا عن علاقته المباشرة به ـ إلى إخفاء ما جرى عنه فى وقته . وقال « صلاح نصر » إنه تصور أن المشير سوف يفوق بعد وقت قصير ثم ينتهى الأمر وينسى الموضوع كله . ولكن ما توقعه لم يحدث وغاص المشير فى ورطته إلى « شوشته » .

---

(٢) كنت مع الرئيس « جمال عبد الناصر » فى مكتبه حينما وصل السيد « صلاح نصر » يطلب مقابلته ، والتقيت « صلاح نصر » داخلا إلى المكتب وأنا أخرج منه ذاهبا إلى مقابلة مع الدكتور « محمود فوزى » الذى كان قد تقرر سفره إلى الأمم المتحدة . وقد عدت بعد ساعة ونصف الساعة وكان « صلاح نصر » قد انصرف ، وسمعت من الرئيس « جمال عبد الناصر » تفاصيل ما دار بينهما .

وربما كان أهم ما قاله « صلاح نصر » فى هذا الصدد هو أن « عبد الحكيم عامر » كان تحت ضغط عنيف فى الظروف التى بدأت فيها الأزمة . ذلك أن السيدة « برلنتى عبد الحميد » التى أنجبت منه مولودا راحت تطالبه بأن يعلن زواجه منها لكى تجعل « وضعها فى المجتمع محتملا » . ويظهر أنها صارحته (ومن وجهة نظرها فقد كان يمكن فهم إلحاحها) - بأنها على استعداد لأن تذهب إلى أسرته وتشرح موقفها وتطلب قبولها فى الأسرة بحق الشريعة التى لا تحول بينها وبين هذا الطلب .

ثم كان آخر ما قاله « صلاح نصر » إنه « يتوسل إلى الرئيس » أن يبذل جهدا ، وأن يضغط على نفسه لمحاولة لمّ عبد الحكيم عامر لأنه فى حالة نفسية صعبة يمكن معها أن يؤذى نفسه وأن يؤذى الوضع العام . ثم توجه بسؤال مباشر إلى الرئيس بما إذا كان ينوى إجراء تغييرات فى القيادة العليا للقوات المسلحة . ورد عليه « جمال عبد الناصر » بأن هذه التغييرات صدرت فعلا . وضرب « صلاح نصر » بكفه على جبهته تعبيرا عن التخوف ، ثم سأل « جمال عبد الناصر » عما إذا كان يستطيع أن يجد وسيلة يخطر بها « عبد الحكيم عامر » بما أجراه من تغييرات فى القيادة العليا قبل أن يسمعها من الإذاعة أو يقرأها فى الصحف ، وإلاّ فإن « آخر برج فى عقله سوف يطير . » وسأله « جمال عبد الناصر » عن مكان وجود « عبد الحكيم عامر » الآن . وأقسم « صلاح نصر » أنه لا يعرف ، لكنه قال إن معلوماته هى أن « عبد الحكيم عامر » ومعه « شمس بدران » على اتصال بعدد من « رجال المشير » وأن هناك عملية تحريض واسعة النطاق لعدد من الضباط كى يطالبوا بعودة المشير كما عاد الرئيس . وأن آخر معلوماته قبل أن يغادر مكتبه منذ ساعة هى أن عددا من هؤلاء قد وصلوا إلى بيت المشير « عبد الحكيم عامر » فى الجيزة ، ووقفوا على الرصيف المقابل له وبعض الجنود يهتفون « **مكتوب على قلوبنا .. عامر محبوبنا** » !

وقبل أن يخرج من باب الغرفة التى جرت فيها المقابلة التفت « صلاح نصر » إلى الرئيس وقال له « **هل تريد سيادتك أن أقدم استقالتى ؟** » ورد عليه « **جمال عبد الناصر** » **بأنه سوف يبلغه بقراره فى الوقت المناسب .**

بعد أن خرج « صلاح نصر » كان « جمال عبد الناصر » يبدى استغرابه من أن يظل بعض الناس « حتى هذه اللحظة يحصرون تفكيرهم فى هذه الحدود » -

مع تسليمه بأن « عبد الحكيم عامر » فى هذه الحالة من العصبية والضياع يستطيع أن يؤذى نفسه ويؤذى الوضع العام دون تقدير للعواقب . وكان قوله « إنه غاضب من روحه أشد الغضب ومخاصم لها ، ولن يغفر لنفسه أنه سكت على وضع لم يكن يحق له أن يسكت عليه منذ شهر مارس الماضى وحين عرف لأول مرة بما تورط فيه عبد الحكيم عامر . »

ثم راح يستذكر « أنه آثر السكوت بسبب مشكلة تدريس المادية الجدلية لإحدى البعثات العسكرية للاتحاد السوفيتى عندما اقترن ذلك بواقعة قيام منظمة الشباب بتدريب على مواجهة احتمال قيام القوات المسلحة بانقلاب . وأنه تصرف بحساسية زائدة فى حين أنه كان ينبغى عليه أن يحسم موقف « عبد الحكيم عامر » فى تلك اللحظة بغير انتظار دقيقة واحدة . »

ثم انتقل « جمال عبد الناصر » ليقول « إن حقائق الموقف الواضحة أمامه تؤكد له أن الضربة كانت قادمة . وهذه ليست مسألة استنتاج وإنما مسألة معلومات كانت متوافرة أمامنا . فجونسون كان مصمما على إطلاق العنان لإسرائيل فى المنطقة ، وكان مستعدا لمساعدتها إلى آخر الحدود لكى تسوى له أمور الشرق الأوسط فى الوقت الذى كانت أمريكا فيه منشغلة بحرب فيتنام فى الشرق الأقصى . ونحن لم نكن فى جهل من نواياهم ولا فى جهل من سياساتهم . **فهم لم يكونوا على استعداد للسماح لمصر بأى تقدم فى مجال الفضاء أو مجال الذرة ، ولا بالاندفاع فى طريق التنمية الصناعية والتحول الاجتماعى ، ولا فى العمل من أجل الوحدة العربية ، ولا فى النضال من أجل استعادة فلسطين . كانوا وراءنا وكنا نعرف أنهم وراءنا . وبرغم كل الجهود التى بذلناها لتفادى الصدام المسلح فقد كانوا مصممين على أن يلحقوا بنا ويطولونا . »**

ثم كان قوله « إن كل النظم فى العالم العربى تقريبا قبلت شروط السلامة الأمريكية ، فرضوا بقيام إسرائيل وعدم التحرك لأمل الوحدة العربية والسكوت على ضياع فلسطين والبقاء بعيدا عن تكاليف العصر وتحدياته . إلاّ نحن ركبتنا « العنجهية » واندفعنا وراء أهداف يظهر أنها كانت فوق طاقتنا . . . . »

ثم يواصل كلامه : « **إننا تصرفنا ونحن نتصور أننا أمة عربية واحدة ، وهذا لم يكن دقيقا . الحقيقة أننا مشروع أمة . . . مشروع تحت التنفيذ ، ولكنه لم يتحقق فعلا ، ونحن خلطنا بين الآمال والحقائق . »**

ثم ينتقل إلى نقطة كان ظاهرا أنها تحيره ، وهى : « أن أمريكا لم تراع أصدقاءها العرب ووضعت كل ما لديها وراء إسرائيل بغير تحرج . »

ثم يذكره ذلك بشىء آخر وهو « أن الاتحاد السوفيتى تصرف فى الأزمة كلها من موقع العجز . »

ثم يستخلص من هذا كله قوله : « لكننا لا نستطيع أن نلوم غير أنفسنا . حساباتنا كانت لابد مختلة . »

□

بعد أيام قليلة ـ وبالتحديد يوم الأربعاء ١٤ يونيو ـ كانت هذه الهواجس ما زالت معه ، وكان يتحدث فيها مع الفريق « عبد المنعم رياض » الذى عاد مسرعا من عمان ليتسلم مسؤولياته الجديدة كرئيس لهيئة أركان الحرب . ودعاه « جمال عبد الناصر » إلى مقابلته ، وكان طبيعيا أن يبدأ بسؤاله عن تجربته فى عمان ، وكان رد « عبد المنعم رياض » أنه « يستجمع الآن أوراقه وأفكاره ويحاول كتابة تقرير عن هذه التجربة لأن وقائعها جرت بسرعة غريبة تحتاج إلى تأمل ودراسة من بعيد . » ورد « جمال عبد الناصر » بأن « ما حدث عندنا هو الآخر لابد له من تأمل ودراسة ، وهو لا يريد أن يشغل بال القيادة الجديدة بالنظر إلى الماضى ، ولكنه فكر فى أن يعهد إلى اللواء « حسن البدرى » وهو المؤرخ الرسمى للجيش المصرى أن يتوافر على دراسة ما وقع كله ثم يعد تقريرا بما حدث نناقشه جميعا لكى نستطيع فهم ما جرى ونستفيد منه . » ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يقول إنه طلب « أن توضع كل الأوراق والوثائق تحت تصرف اللواء حسن البدرى لعله يستطيع أن يعطينى إجابة دقيقة على سؤال يعذبنى وهو : ما هى حقيقة ما جرى ؟ »

ثم يواصل كلامه لـ « عبد المنعم رياض » فيقول : « إنه طلب أيضا أن توضع تحت تصرف اللواء البدرى كل المعلومات المتاحة فى الخارج عن المعركة . ففى هذه المرة تكلم الإسرائيليون كما لم يتكلموا فى حياتهم . فكل القادة السياسيين والعسكريين لم يصدقوا أنفسهم بالنصر الذى تحقق لهم ، وراح كل منهم يتحدث بغير تحرز فى مؤتمرات وأحاديث صحفية . وهو يعتقد أنهم قالوا مبكرا كلاما كثيرا يحتوى على معلومات غزيرة لم يكن هذا أوان إذاعتها . والسبب فى رأيه أن الإسرائيليين يظنون أن هذه حربهم الأخيرة مع العرب ، فالنصر الذى حققوه فيها كان أكثر مما حلموا به ، وتصوروها آخر الحروب ، وبالتالى لم يغلقوا أفواههم على سر . وقد تابع هو بعض الأحاديث والمؤتمرات الصحفية وطلب

الحصول على نسخ صوتية ومصورة إذا أمكن من كل ما قاله القادة العسكريون أو السياسيون الإسرائيليون . وهو يتوقع أن تصل إليه مواد كثيرة من هذا كله خلال أيام ، وبعضها سوف يستمع إليه شخصيا معكم (يقصد القيادة الجديدة) . »

وقال له « عبد المنعم رياض » ، وربما أنه كان يحاول أن يخفف عنه ، « إن أى حساب للحروب يجب أن يأخذ فى اعتباره احتمالات النصر واحتمالات الهزيمة . » وكان تعليق « جمال عبد الناصر » أنه « **فى حساباته كلها للموقف لم يتوقع نصرا عسكريا ، لكنه كان يتصور أن من حق البلد أن تنتظر معركة دفاعية يمكن أثناءها تحريك كل عوامل السياسة على المستوى العربى والدولى . ولكن المفاجأة التى تلقاها فى اليوم الأول من نشوب القتال كانت أكثر مما يستطيع احتماله أو فهمه** . » وقال له « عبد المنعم رياض » إن « ذلك يحدث لأكبر الدول ، فأمريكا نفسها تلقت مفاجأة شديدة فى « بيرل هاربور » عندما فقدت كل أساطيلها البحرية فى المحيط الهادى بضربة مفاجئة قامت بها اليابان . وفرنسا نفسها فوجئت بالحرب الخاطفة التى شنها « هتلر » وسقطت باريس بعد أسبوع من بداية اختراق الجبهة الفرنسية . » **ووافقه « جمال عبد الناصر » مسلما بأن « العنصر الحاسم فى المعارك هو إرادة الشعوب ، ومع ذلك فالجانب العسكرى فيما وقع ما زال يطرح عليه تساؤلات كثيرة ، وهو يريد أولا أن يطمئن إلى أنه ليست هناك خيانة . » وكان « عبد المنعم رياض » شديد الوثوق فى تأكيده بأنه يستبعد فكرة الخيانة تماما . وقال له « جمال عبد الناصر » إنه « يستبعدها أيضا ، وإن كان ما حدث يصعب تفسيره بالعقل . »**

ثم بدأ « جمال عبد الناصر » يشرح لـ « عبد المنعم رياض » تصوراته لعمل المرحلة القادمة ، بما فى ذلك الجانب السياسى . وفجأة قال « عبد المنعم رياض » لـ « جمال عبد الناصر » ما نصه تقريبا : « **سيادة الرئيس . . أريد أن آخذ منك وعدا الآن أن لا تقبل بحل سياسى لهذه المشكلة قبل أن ندخل معركة حتى لو عرضوا عليك استعادة كل الأراضى المحتلة ، فلابد أن ترفض حتى تتيح لنا الفرصة للقتال . » ثم استطرد « عبد المنعم رياض » قائلا : « إن ما فعلته سيادتك فى معركة السويس أضرنا ، فحين استطعت تحقيق جلاء كل القوات المعتدية بدون الحاجة إلى قتال سادت تصورات خاطئة لدينا جميعا بالاتكال على العمل السياسى ـ حتى عندما كنا نقاتل كنا نقاتل تحت ظن أن العمل السياسى فى النهاية هو الذى سيحقق لنا ما نريد . » وكانت هذه أول مرة لاحت فيها ابتسامة وإن كانت حزينة على شفتى « جمال عبد الناصر » منذ بدأت الأزمة ، وقال لـ « عبد المنعم رياض » إنه « إذا عرضت عليه استعادة كل الأراضى المحتلة بدون قتال**

فإنه يخشى أنه سيخيب أمل عبد المنعم رياض ويقبل بغير تردد . » ثم استطرد « إن سياسته دائما كانت ألاّ يعتمد على القوات المسلحة إلاّ كملجأ أخير وعند الضرورة القصوى . ذلك لأنه يعتقد حتى بخبرته كعسكرى قديم أنه حين تنتقل الأمور من يد السياسة إلى يد السلاح فإن المخاطرة تكون كبيرة ، والكلمة الفاصلة تصبح معرضة لظروف تقبل كل الاحتمالات . » ثم قال لـ « عبد المنعم رياض » : « ولكن فى المرة القادمة لك أن تطمئن ، فإن أحدا لن يعرض علينا عودة أراضينا بدون قتال . وهذه حقيقة أريدك أن تكون متأكدا منها من أول لحظة . وهذه المرة لا يمكن تحقيق أى نتيجة سياسية بدون عمل عسكرى . »

ثم قال « جمال عبد الناصر » لـ « عبد المنعم رياض » إن « تصوره هو أن ثلاثة أرباع القدرة السياسية التى حققتها الثورة ضاع فى معركة سيناء التى مضت . وقد استطاعت وقفة الشعب والأمة يومى ٩ و ١٠ يونيو بالإصرار على رفض الهزيمة أن تستعيد ٢٥٪ مما ضاع . ولكن الباقى وهو النصف بالضبط لا يمكن أن يعود إلاّ بمعركة ، وهذه حقيقة يجب أن تكون مفهومة للقيادة الجديدة . » وعقب « عبد المنعم رياض » بقوله « إنه يفهم ذلك تماما ، وأنه أكثر من ذلك يعتقد أن القتال لن يستعيد الأرض وحدها وإنما سوف يرسخ قيما ومعانى أكبر من الأرض . وإننا إذا لم نحارب فإن خشيته هو أنه حتى المستوى الأخلاقى للناس جميعا سوف يتدهور . بل سوف يتدهور سلوكهم فى حياتهم اليومية . »

وقبل أن تنتهى المقابلة بدا أن عند « عبد المنعم رياض » مشكلة يتحرج قبل أن يتكلم فيها . وأحس « جمال عبد الناصر » بما يعتريه فسأله إذا كان هناك شىء آخر يريد أن يقوله . وأثار « عبد المنعم رياض » مترددا موضوع « **رجال المشير** » ، وقال إنه هو شخصيا يحب « عبد الحكيم عامر » وقد صدمه ما عرفه حتى الآن ، ولكنه يريد أن يلفت نظر الرئيس إلى ضرورة علاج هذا الموقف « بحكمته . » فهناك من يمكن أن يقال إنهم « رجال المشير » وهو يحتفظ برأيه فى هؤلاء ، لكن هناك اعتبارا آخر وهو أن « عبد الحكيم عامر » قضى على رأس القوات المسلحة أكثر من اثنى عشر عاما ، وفى هذه الفترة الطويلة من الخدمة تكونت بالطبع مصالح وولاءات إلى حد أن البعض يمكن أن يخلط بحسن نية بين الرجل والمؤسسة خصوصا فى ظروف يحس فيها الجيش بجرح فى كرامته وعجز فى قدرته . وهذا يمكن أن يؤدى بدوره إلى مضاعفات نحن فى غنى عنها . »

□

ولم تكن مشكلة « عبد الحكيم عامر » غائبة عن « جمال عبد الناصر . » فقد كان يتابع بعض تصرفاته وانعكاساتها ويساوره القلق . وكان أكثر ما يقلقه أن « عبد الحكيم عامر » نفسه اختفى من كل مكان كما لو أن الأرض انشقت وابتلعته . فلم يكن فى بيته ولم يكن فى أى بيت آخر ، ولا فى أى استراحة من استراحات الدولة التى كان ينزل فيها أحيانا فى الاسكندرية أو فى مرسى مطروح ، ولا فى بلدته بأسطال (محافظة المنيا) .

[وأمكن العثور على « عبد الحكيم عامر » يوم الخميس ١٥ يونيو بمحض مصادفة . والواقع أنه فى الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق من ظهر ذلك اليوم كان « جمال عبد الناصر » يتحدث معى على التليفون المباشر . وفجأة دق جرس تليفون آخر بجانبى . ودهشت ، فقد كانت العادة ألاّ تحوّل إلىّ أية مكالمات تليفونية إذا كان الرئيس معى على الخط . ورفعت سماعة التليفون وكانت السيدة « نوال المحلاوى » وهى مديرة مكتبى فى ذلك الوقت تقول لى « إن المشير عبد الحكيم عامر بنفسه على التليفون ، وبمتابعتها للظروف فقد تصورت أننى قد أحب أن أتلقى هذه المكالمة . » وكان تقديرها صحيحا . وقلت للرئيس « إن المشير على التليفون الآخر . » وطلب إلىّ أن أتكلم معه وأن أفعل كل ما فى وسعى لكى أقنعه بالذهاب إليه .

وبدأ « عبد الحكيم عامر » يقول لى ما بدا أنه رسالة يطلب منى نقلها إلى الرئيس « جمال عبد الناصر . » وقلت له على الفور « إننى لا أتصور يوما يكون هو فى حاجة إلى رسول بينه وبين جمال عبد الناصر . » ثم اقترحت عليه أن ألقاه بدل أن نتحادث عبر أسلاك التليفون . وبعد تردد لم يستغرق أكثر من لحظة أعطانى عنوان البيت الذى هو فيه الآن قائلا إنه بيت إحدى قريبات العقيد « عصام خليل »[٣] فى الزمالك . وتوجهت مسرعا إليه هناك ، وكان إحساسى الأول بعد أن سمعته أنه لا يعرف بالضبط ما يفعله ، وإنما هو منساق لانفعالات إنسانية وعامة تدفعه أمامها بغير خطة محددة يسعى لتنفيذها . وبعد حوار دام نصف ساعة تقريبا اقتنع بأن يذهب لمقابلة « جمال عبد الناصر » شريطة أن أحضر لقاءهما معا . وحاولت إقناعه بالعدول عن هذا الشرط ، وبدا لى مصمما عليه وكأنه يتحسب ويتهيب من المقابلة وحده . واستأذنته أن أتصل بالرئيس من عنده لأبلغه أننا فى الطريق إليه .

كانت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عندما وصلنا إلى بيت الرئيس ودخلنا للقائه فى حجرة مكتبه . وعدت فقلت « **إننى أتمنى أن يحدث اللقاء بينهما وحدهما وألاّ يحضره طرف ثالث أيا كان .** » **وقال « عبد الحكيم عامر » معاتبا « إن ذلك ليس ما اتفقنا**

---

(٣) أحد مديرى مكتبه ، وكان مسؤولا عن مخابرات القوات المسلحة فى أوروبا الغربية .

نقل رفات المشير من مقبرة الشهيد

عليه . » وأضاف الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى ذلك قوله لى « وأنا أيضا أريدك أن تحضر . »

وفى البداية أحسست بالشعور الذى يوصف عادة بأنه التواجد بين المطرقة والسندان . فقد كان اللقاء فى حد ذاته محرجا ومزعجا بعد كل ما جرى ووقع من أحداث ، وفى لحظة من اللحظات لم أستطع أن أتصور كيف يمكن أن يبدأ الحوار بين الاثنين ، وكنت قد اعتزمت أن أتركه حوارا ثنائيا لا أتدخل فيه بحرف واحد .

وبدأ « جمال عبد الناصر » بسؤال وجهه لـ « عبد الحكيم عامر » تساءل فيه « عن

الرئيس عبد الناصر يستمع إلى سليمان عزت وبينهما المشير عبد الحكيم عامر

هذا الذى يحدث ؟ » ورد « عبد الحكيم عامر » بسرعة قائلا « ممن ؟ » ورد عليه « جمال عبد الناصر » : « منك أنت . » وقال « عبد الحكيم عامر » وهو يرخى جفونه : « منى أنا ؟ ماذا فعلت ؟ إنك أنت الذى تملك التصرف ، وأنت الذى تفعل كل شىء . »

ودار النقاش بين الاثنين متوترا ومتشددا .

كان مؤدى ما قاله « جمال عبد الناصر » :

● **إنه لا يريد أن يتكلم عما جرى بالأمس . وعلى أية حال فقد جرى والحساب عنه ليس أوانه الآن ، وإن كان ضروريا دراسته واستكشاف حقائقه بغرض الاستفادة من الدروس ، والباقى له وقته .**

● **إنه فى دهشة من أن بعض العناصر المحسوبة على المشير لا يكفيها ما حدث وإنما تقوم بأعمال طائشة .**

● **إن هؤلاء يظنون أنهم يخدمون « عبد الحكيم عامر » والحقيقة أنهم يخدمون أنفسهم ويضرون « عبد الحكيم » .**

● **وإن استمرار هذا « الفلتان » من جانب هذا البعض سوف يؤثر على روح الجيش ، وهو لن يسمح بذلك ، ومعنى هذا أنه سيضطر لاتخاذ إجراءات لا يريد اتخاذها لأن هناك مسؤوليات تتعدى كل الناس .**

وكان مؤدى ما قاله « عبد الحكيم عامر » :

● **إنه فوجىء ـ على عكس ما قيل له ـ بأن « زكريا محيى الدين » وليس « شمس بدران » هو الذى أصبح رئيسا للجمهورية بعد التنحى .**

● **وأنه فوجىء بالعدول عن التنحى ، ولم يؤخذ رأيه فى شىء يتعلق بموقفه هو .**

• وأنه فوجىء بتغيير القيادة العليا كلها ، وتعيين قيادة غيرها وإحالة مائة ضابط إلى الاستيداع دون أن يسأله أحد .

• وأنه يبلغه كلام كثير عن أن الاتحاد الاشتراكى يقوم بحملة ضده بغرض « تلبيسه » بالمسؤولية عما جرى . »

ووصل الحديث إلى نقطة قال فيها « جمال عبد الناصر » : « إن الموضوع ليس موضوع أنا وأنت ، وإنما هو مستقبل البلد الذى هو فى أيدينا الآن » . وفوجئت بأكثر مما تصورت عندما قال « جمال عبد الناصر » لـ « عبد الحكيم عامر » إنه يعرض عليه الاستمرار فى العمل السياسى بدون أى دور فى القوات المسلحة . وكان رد « عبد الحكيم عامر » أن « ذلك سوف يبدو أمام الناس نوعا من العقاب له . فهو إما أن يعود كما كان سياسيا وعسكريا ، وإما أن يبقى خارج كل شىء » . وعندما استحكم الخلاف بينهما حول هذه النقطة فاجأنى « جمال عبد الناصر » مرة أخرى بأن احتكم إلىّ وطلب منى إبداء رأيى ، وكان فى لهجته ما أوحى إلىّ بأنه يتوقع منى موافقته على رأيه . وعلى نحو ما أحسست بأن شيئا فى داخلى هو الذى يبدى الرأى فى هذه اللحظة الحرجة ، فقلت « الحقيقة إننى مع المشير فى أنه لا يستطيع قبول مسؤولية سياسية ، وبالتالى ففى رأيى أنه قد يكون من الأفضل له وللوضع كله أن يظل الآن فى الخارج تماما » . وكان هذا أقصى ما أستطيع التعبير به عن رأيى فى أن « عبد الحكيم عامر » لم يعد له مكان فى أى شىء ، وهذا هو واجب الإنصاف لكل الأطراف ولكل الحقائق أيضا .

ويبدو أن « جمال عبد الناصر » لم يعجبه ما قلت ، ولم يستطع أن يخفى مشاعره فقال لى على الفور بضيق ظاهر : « **إنك خذلتنى** » . وكان تعليقى أن خذلانى له فى هذا الموقف مشكلة نستطيع أن نبحثها فيما بعد .

وكان أغرب ما فى هذه المقابلة المزعجة والمحرجة أن « عبد الحكيم عامر » قال إن لديه خطة للعمل العسكرى فى المرحلة القادمة . وكانت الفكرة فى خطته هى إنشاء مجموعات تدخل إلى منطقة جنوب سيناء وتقوم من هناك بشن غارات على الخطوط الإسرائيلية ، ثم تتمكن مع الوقت من إقامة قاعدة ثابتة للعمليات عندما يتسع نطاقها !

وخرج « عبد الحكيم عامر » ، وبقيت مع « جمال عبد الناصر » بطلب منه ، ويبدو أنه كان يريد أن يسألنى عن استنتاجاتى من متابعتى للحوار الذى دار بينهما . وكان أول تعليق له بعد أن قمت بتوصيل المشير إلى سيارته التى كان يقودها العقيد « عصام خليل »

هو أن عاتبنى على أننى « خذلته » عندما احتكم إلىّ فى خلافه مع المشير . وقلت له ما أعتقد أنه تعبير أمين عن وجهة نظرى . وكانت وجهة نظره هو « **أنه يريد احتواء مشكلة قابلة للانفجار ، خصوصا وهو يعرف أن هناك كثيرين من المغامرين لا يترددون فى استغلال نقاط ضعف « عبد الحكيم عامر » !**

ولم يكن هذا اللقاء بين الاثنين نهاية لمشكلة « عبد الحكيم عامر » فى تلك الظروف المفعمة بالمخاطر . وإنما كان مشهدا واحدا من مشاهد مأساة كبرى كان القدر ينسج خطوطها فى تلك اللحظات بصرف النظر عن إرادات البشر !]

الفصل السادس

البحث عن غد

فى النصف الأخير من شهر يونيو كانت المحاولات كلها جارية لتثبيت الأوضاع ، واستكشاف التداعيات المترتبة على الإعصار الذى هب على الشرق الأوسط وترك صورته بعد هبوبه أشد ما تكون اختلافا عما كانت عليه قبل الهبوب . ولم تكن هذه الجهود للتثبيت والاستكشاف مقصورة على مصر وحدها ، وإنما كانت جارية على اتساع المنطقة والعالم . كانت تلك هى الفترة التى شهدت مناقشات مجلس الأمن ومحاولاته المتكررة للوصول إلى قرار يتدارك الواقع الطارىء فى الشرق الأوسط قبل أن يتمكن من ترسيخ أقدامه فى مواقع العدوان . وكان باديا أن كل المحاولات لن يكتب لها النجاح لأن ما وقع كان نتيجة مخطط طويل ودقيق أعد له أصحابه بعناية وكفاءة ، ولم يكونوا على استعداد للتخلى عن ثماره المرجوة بعد أن أصبحت فى أيديهم .

ولعل الولايات المتحدة كانت أكثر تصميما على ألاّ يتم إحراز أى تقدم فى إطار الأمم المتحدة ، وأنه إذا كان هناك شىء يمكن لها تقديمه فخارج إطار الأمم المتحدة ، وتحت إشرافها هى وبغير مشاركة من طرف آخر ، وبدون شروط من الآخرين على أساس أن

المفاتيح كلها فى يدها وفى يد الشريك المتكافىء الجديد الذى وفى بكل تعهداته لها وأكثر ـ وهو إسرائيل . وكان التعبير العملى عن ذلك هو الموقف الذى اتخذه « جونسون » فى محادثات « جلاسبورو » التى تمت بينه وبين رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين »[1] . وفى الواقع فإن « جونسون » تمكن فى محادثات « جلاسبورو » من الالتفاف حول « كوسيجين » والتلويح له بصفقة فى مجال سباق السلاح تخفف من حزمه فى مجال الشرق الأوسط . وكان انعكاس ذلك واضحا على الموقف الإسرائيلى الذى اطمأن إلى أن الاتحاد السوفيتى « **أعيد توجيهه** » إلى مجال آخر . **وهكذا وقف « موشى ديان » يوم ١٦ يونيو يدلى بتصريحه المشهور الذى قال فيه إنه جالس على الضفة الشرقية من قناة السويس فى انتظار أن يدق جرس التليفون حاملا إليه طلبا من الجانب الآخر من القناة يقول له إنهم على استعداد للجلوس معه على مائدة مفاوضات لبحث شروط الصلح .**

وكان الملك « حسين » قد اتصل بالرئيس « جمال عبد الناصر » يقول له إنه يفكر فى الذهاب لأمريكا لرئاسة وفد الأردن بنفسه إلى الأمم المتحدة ، وأنه يفكر فى إضافة زيارة لواشنطن إلى برنامجه فى أمريكا . **وشجعه « جمال عبد الناصر » على السفر ، وحرضه على الذهاب إلى واشنطن قائلا له إنه يرجوه فى مقابلة « جونسون » والتحدث إليه بما يراه مناسبا إذا كان هناك أمل بأى شكل من الأشكال فى الوصول إلى أى ترتيبات بشأن الضفة الغربية قبل أن يتمكن الاحتلال الإسرائيلى من تدعيم مواقعه فيها . وأضاف « جمال عبد الناصر » قوله للملك بأنه يتعهد له بأن يضع كل نفوذه السياسى وراءه فى أى شىء يتوصل إليه للمحافظة على عروبة الضفة الغربية . وأنه على استعداد لأن يخرج بنفسه علنا للدفاع عن أى اتفاق يصل إليه ـ مع أمريكا ـ ويكون من شأنه إبعاد مطامع إسرائيل عن الضفة الغربية . وحتى إذا اضطر إلى إعطاء قواعد للولايات المتحدة فى الأردن ، فهو لن يتردد فى تأييد موقف الملك فى ذلك إذا كان فيه ضمان لإبعاد إسرائيل عن الضفة الغربية .**

وسافر الملك بالفعل إلى نيويورك وقام ببعض النشاط فى الأمم المتحدة ، ولكن مقصده الحقيقى كان واشنطن . وهناك اجتمع يوم ٢٨ يونيو لمدة ساعتين مع الرئيس « ليندون جونسون » . وكان رأى الرئيس الأمريكى خلال هذا الاجتماع هو إصراره على أنه لابد من الوصول إلى تسوية عامة عن طريق مفاوضات مباشرة مع إسرائيل تصل إلى صلح نهائى يحل مشكلة الشرق الأوسط من أساسها .

---

(١) رجاء مراجعة صفحة ٧٩٥ من هذا الكتاب .

وعاد الملك إلى نيويورك ، وهناك تولى « والت روستو » مستشار الرئيس للأمن القومى ترتيب عدد من الاجتماعات السرية جرت فى فندق « والدروف أستوريا » وشاركت إسرائيل ممثلة فى « أبا ايبان » وأحد العسكريين الإسرائيليين فى المشاورات التى جرت فى دهاليز هذا الفندق الشهير الذى حفلت غرفه وقاعاته بأسرار دولية أثرت فى أركان العالم الأربعة . وقد بدا للملك فى بعض اللحظات أن هناك أساسا لتسوية مع الأردن ، وبالفعل فقد وضعت بعض النقاط على ورق ولكنها كانت عائمة بطريقة لا تلزم أحدا أو تقيده ، ولعل الهدف منها فى ظروفها كان مجرد كسب الوقت والتلويح لمجرد التخدير بأن كل الأبواب ليست مغلقة .

وفى تلك الفترة قام « جمال عبد الناصر » بإعادة تشكيل الوزارة ، وصدرت بالفعل مراسم تشكيل جديد يوم ١٩ يونيو . وكانت الفكرة الأساسية وراء التشكيل الجديد أن تكون هناك إدارة داخلية قوية تستطيع أن تتحمل مسؤولية إعادة ضبط الأمور حتى يكون الاطمئنان كاملا على تحقيق ضرورات العمل الداخلى بما يمكن من خدمة أهداف المعركة التى بدت حتمية ، والتى بات مؤكدا أن الإعداد لها سيستغرق معظم وقت « جمال عبد الناصر » وجهده وأعصابه .

وكان « جمال عبد الناصر » قد توصل إلى النتيجة التى صاغها فى شعاره المشهور الذى أعلنه فى ذلك الوقت وهو أن « **ما ضاع بالقوة لا يمكن أن يسترد بغيرها** » .

□

وكانت عملية البحث عن الحقيقة قد بدأت تفرض نفسها ، وكان « جمال عبد الناصر » على يقين ثابت بأن معرفة الحقيقة كاملة هى نقطة البداية الوحيدة والصحيحة قبل أية خطوة على طريق المستقبل .

وكان اللواء « حسن البدرى » ـ المؤرخ الرسمى للجيش المصرى ـ قد بدأ بالفعل محاولته للتقصى والتحرى . وتعاون معه الفريق « عبد المنعم رياض » إلى أبعد مدى بأن وضع تحت تصرفه كل ما كان لدى القيادة العليا من خطط العمليات قبل بدء الأزمة وبعدها . وطلب اللواء « البدرى » أكبر عدد ممكن من تقارير خبرة القتال . ودعى أكبر عدد ممكن من القادة إلى كتابة تقاريرهم عن خبرتهم فى ظروف المعركة مصحوبة بالدروس المستفادة من تجاربهم . واتصل « جمال عبد الناصر » بالسيد « أمين هويدى » الذى عين وزيرا للدولة فى وزارة ١٩ يونيو ١٩٦٧ وطلب إليه أن يطلب من الفريق « عبد المحسن مرتجى » أن

يكتب تقريرا شاملا عن خبرته أثناء العمليات . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن بين كل الذين يعتبرون من « رجال المشير » - فإن الفريق « مرتجى » كان هو الوحيد الذى يمكن له أن يناقش « عبد الحكيم عامر » فى رأى يبديه ، فى حين كان الآخرون يوافقون بغير مناقشة . وبالفعل كتب الفريق أول « مرتجى » تقريرا ضافيا شاء أن يطلق عليه الاسم الرمزى : « **أمانة** » . وكان هذا التقرير أول ما قرأه « جمال عبد الناصر » بنفسه ضمن محاولته للبحث عن الحقيقة .

وكان أصعب جزء فى عملية البحث عن الحقيقة هو سلسلة من الجلسات المسائية حضرها « جمال عبد الناصر » فى مقر القيادة العامة ، وشارك فيها الفريق « فوزى » والفريق « عبد المنعم رياض » واللواء « حسن البدرى » . وقد خصصت جميعا لسماع تسجيلات القادة الإسرائيليين . كانت المؤتمرات الصحفية(*) بل وعدد من الأحاديث الخاصة للقادة العسكريين والسياسيين فى إسرائيل قد جرى تسجيلها علنا أو بوسائل خاصة وأرسلت إلى القاهرة . وكان المشهد الغريب هو قاعة الاجتماعات الملحقة بمكتب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، أو فى مكتب « جمال عبد الناصر » أحيانا ، وقد وضع على مائدة الاجتماع جهاز تسجيل وأدير عليه شريط بحديث مع قائد سياسى أو عسكرى من قادة العدو . كان الجو مشحونا بالصمت والترقب - والأسى أحيانا - بينما الشريط يدور على الجهاز ويسمع منه صوت « ديان » و « رابين » و « شارون » و « أشكول » و « ايبان » و « آللون » وغيرهم وغيرهم يتحدثون عما جرى كما رأوه ، أحيانا بالحقائق وأحيانا أخرى بالمبالغات . وفى كل الأحوال فقد كان كل حرف يخرج منهم صادرا عن جهاز التسجيل موضع متابعة دقيقة ويقظى . وفى كثير من الأحيان كانت هذه الجلسات لسماع الشرائط تستمر أربع وخمس ساعات ، وتعقبها مناقشات مفتوحة تحاول فحص ما فيها وتحليله وفرزه .

[حضرت بعض هذه الجلسات وكان تعليقى أنها نوع من « التعذيب الصينى » ، وربما كان الأفضل والأفيد تفريغ الشرائط وقراءة ما فيها مكتوبا . وكان رأى « جمال عبد الناصر » مختلفا باعتقاد أنه بسماع الأصوات ذاتها يكون التدقيق أسلم فى حين أن قراءة الأقوال مكتوبة على أوراق لا يحقق هذه الفائدة تماماً .]

---

* باللغة الانجليزية أو مصحوبة بترجمة انجليزية .

وجاء الدور على عملية التشاور مع الأطراف المعنية بالأزمة وأولهم الأطراف العربية . وكان بادياً أن هناك مؤتمر قمة على الطريق ، فقد كان السودان وعدد آخر من الأقطار العربية يلحون على أن الظروف كلها تدعو إلى مؤتمر عربى على مستوى القمة تلبية للنداء الذى وجهه « جمال عبد الناصر » إلى الملوك والرؤساء العرب يوم ٧ يونيو . وكانت هناك حاجة إلى مشاورات تمهيدية بين الأطراف الذين شاركوا فعلاً فى القتال أو كانوا قريبين منه - وذلك قبل أن تبدأ اجتماعات القمة التى يشارك فيها الجميع .

وفى الأسبوع الأول من شهر يوليو تم الاتفاق على إجراء مجموعة من المشاورات فى القاهرة تشارك فيها الجمهورية العربية المتحدة بالطبع ، وسوريا والأردن والجزائر والعراق .

وكان أول القادمين لهذه المشاورات هو الرئيس « هوارى بومدين » الذى وصل بالفعل إلى القاهرة ، وبدأ أول اجتماع له مع « جمال عبد الناصر » فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ١٠ يوليو ١٩٦٧ .[٢] وطبقاً للمحضر الرسمى المفرغ عن شريط تسجيل لهذه الجلسة فإن الصفحة الأولى منه حوت مكان الاجتماع وتوقيته ، وأسماء المشاركين فيه من الجانبين . وكان ذلك كله على النحو التالى :

« مباحثات ج . ع . م . / الجزائر
القبة فى ١٠ / ٧ / ١٩٦٧
من الساعة ٥٢ : ١٠ إلى ٥٠ : ١٣

وفد ج . ع . م . :

السيد الرئيس - السيد زكريا محيى الدين - السيد حسين الشافعى - السيد على صبرى - السيد صدقى سليمان - السيد محمود رياض .

---

(٢) جرى تسجيل جلسات هذه المشاورات العربية بالكامل . والحقيقة أن محاضرها تعتبر من أهم المراجع فى معرفة الحقائق كما بدت أمام صناع القرار العربى فى ذلك الوقت .

الوفد الجزائرى :

السيد الرئيس هوارى بومدين - السيد طاهر الزبيرى - السيد شريف بلقاسم - السيد الأخضر الابراهيمى - النقيب جلول الخطيب - السيد مولود قاسم . »

وفى الصفحة الثانية من المحضر يبدأ الرئيس « جمال عبد الناصر » بالترحيب بالرئيس « بومدين » وبالتعبير له عن الشعور بالعرفان للجهد الذى بذله وقت الأزمة ووقت المعركة وكذلك رحلته إلى موسكو عقب انتهاء القتال . ورد الرئيس « **بومدين** » **قائلاً إن ما قام به هو جزء من الواجب ، فما يصيب الجمهورية العربية المتحدة يصيب الجزائر . والقيادة والشعب فى الجزائر يدركان تماما أن من يبدأ بمصر سوف يستدير على الجزائر - وهذه طبائع الأمور .**

ثم توجه « بومدين » فى الصفحة الثالثة من المحضر بسؤال للرئيس « جمال عبد الناصر » **يسأل فيه عما حدث** . وفى نفس هذه الصفحة من المحضر يبدأ « جمال عبد الناصر » بعرض رؤيته فيما حدث فيقول بالنص : « **الحقيقة التى لا أستطيع إخفاؤها عن الإخوان هى أننى حتى هذه اللحظة غير قادر بالضبط على فهم ما حصل وكيف حصل ، ونحن نقوم بدراسات مكثفة لمعرفة الحقيقة . واعتقادى المبدئى الآن أن هناك عوامل أساسية أثرت وأوصلت إلى هذه النتيجة :**

■ **العامل الأول هو الثقة فى النفس أكثر من اللازم** ، بل وصل الأمر إلى حد التبجح بهذه الثقة . وقد رحنا نتكلم ونتكلم حتى صدقنا أننا نستطيع أن نتصدى لإسرائيل ولأمريكا .

■ **والعامل الثانى هو أن الجيش لم يكن بالكفاءة التى كنا نقدرها** . وأنا أقول لكم هذا الكلام بصراحة . والذى أضر بكفاءة الجيش هو فكرة الأمن أو تصور فكرة الأمن . فتحت اسم الأمن كان يجرى تنظيم الجيش وتوزيع الناس على محلاتهم . وباسم الأمن جلس ناس فى غير مقاعدهم والمثل الظاهر هو الطيران . ومع الأسف فنحن لم نستفد من دروس ١٩٥٦ ولا من دروس الانفصال . وعلى هذا بقى صدقى محمود قائداً للطيران ١١ سنة بعد السويس .

■ **والعامل الثالث هو اتجاهنا إلى عدم أخذ الأمور بجدية** نتيجة نقص المعلومات ، ونتيجة التراخى فى تنفيذ ما يترتب على هذه المعلومات . وأنا شخصياً حذرت صدقى محمود وقلت له فى آخر اجتماع حضرته فى هيئة أركان الحرب إن الهجوم سيحصل

يوم الاثنين ، وأن الضربة الأولى ستكون ضد الطيران . وأنا لم أكن فى هذا متنبىء ، وإنما كنت حاسب الحساب ومقدر أن ذلك سيحدث . فى البداية قلت الحرب بنسبة ٥٠ ٪ . ثم قلت إن النسبة أصبحت ٨٠ ٪ ، ثم وصلت إلى يقين أن الحرب واقعة بنسبة ١٠٠ ٪ . وأنت تتذكر (موجها كلامه للرئيس « بومدين » فى نهاية صفحة ٤ من المحضر) أن الأخ زكريا حينما زاركم فى الجزائر قبل المعركة بيومين نقل لكم اعتقادى بأن الحرب قائمة بنسبة ١٠٠ ٪ . »

وفى هذه النقطة فى الحديث تدخل السيد « زكريا محيى الدين » وقال : « **أنا بالفعل نقلت هذه المعلومات إلى الرئيس بومدين » . وأمن الرئيس « بومدين » على ما قاله السيد « زكريا محيى الدين » .**

وتسجل الصفحة الخامسة من المحضر أن الرئيس « جمال عبد الناصر » عاد يستكمل كلامه قائلاً : « **أنا تكلمت معهم يوم الجمعة ٢ يونيو على أساس أن الضربة قادمة يوم الاثنين ٥ يونيو . يوم السبت قام الطيران بعمل مظلة جوية للإنذار المبكر والاشتباك ، ويوم الأحد حدث نفس الشىء وخرجت مظلة جوية . يوم الاثنين لم تكن هناك مظلة جوية وفوجئنا بالطائرات الإسرائيلية فوق مطاراتنا دون أن يشعر بها أحد ، وهذا موضوع نحقق فيه . كنت أعتقد أن خطتنا للدفاع الجوى مضبوطة ، وقد رأيتها على الورق ، وجاء نائب قائد الدفاع الجوى السوفيتى وقابلنى ومعه صدقى محمود قبل الأزمة بوقت طويل . وقال لى نائب قائد الدفاع الجوى السوفيتى إن خطة الدفاع التى رآها على الورق وعلى الطبيعة معقولة جداً ، وأنه وخبراءه لاحظوا وجود ثغرات فيها ، وقد أخطر بذلك صدقى محمود ، وتم الاتفاق على عمليات تكملة ، ولكن هذا لم يحدث كما يظهر لى الآن ، فدفاعنا الجوى أصيب بالشلل . وهذا موضوع نحقق فيه الآن .**

■ ■ **والعامل الرابع هو أن القيادة العسكرية عندنا لم تكن مستعدة لتصديق المعلومات التى تجىء لها** . كان لديهم تصور محدد ، ولم يكونوا مستعدين لقبول أى شىء يختلف عن هذا التصور . وعلى سبيل المثال فالروس أبلغونا يوم الخميس (١ يونيو - وهذا الكلام وارد فى الصفحة السابعة من المحضر) عن حجم قوات اليهود من المدرعات وقالوا إنها ٩ لواءات . وكانت القيادة عندنا مصممة على أن اليهود ليس عندهم إلاّ خمسة لواءات . وقد ناقشنا هذا الكلام فى اجتماع يوم الجمعة ٢ يونيو . وقلت لهم على أى أساس تقولون إن إسرائيل لديها ٥ لواءات بينما الروس ولديهم كل إمكانيات المعلومات يقولون إن لديها تسعة . وكان الرد الذى كرره عبد الحكيم عامر وعدد من القادة هو أن معلومات السوفيت

مبالغ فيها ، وهم يهولون فى الموضوع لكى يخيفونا ويجعلونا نتردد ولا ندخل معركة . وأيضاً قالوا إن الروس فيما يظهر لهم حسبوا الدبابات الإسرائيلية القديمة من طراز « شيرمان » وهى لم تعد صالحة للعمل وبالتالى لا تدخل فى الحساب . وكان هذا كله من ضمن عوارض الثقة بالنفس أكثر من اللازم مما يجعلك تقلل من قوة العدو لكى تزيد من قوتك .

■ **والعامل الخامس ، وهذا هو الذى يذهلنى حتى الآن ، هو أن القيادة العامة بعد ضربة الطيران أصبحت مثل « واحد حصل له انفجار فى المخ وأصاب بالشلل جسمه كله » .**

■ **والعامل السادس هو أن الخطط التى كانت معدة كانت محكومة أيضاً بالثقة بالنفس** . وقد دهشت من أنه لم تكن هناك دفاعات فى الخطة وراء العريش . ولذلك فإنه حينما حدث الارتباك و « الانفجار فى المخ » وتمكنت القوات الإسرائيلية من دخول العريش لم يحدث قتال وراءها فى القطاع الشمالى ، وإنما اندفعت المدرعات الإسرائيلية على طريق أسفلتى جديد كنا بنيناه بين العريش والقنطرة حتى وصلت دون قتال إلى شاطىء قناة السويس .

■ **والعامل السابع هو الخلط بين الوهم والواقع (صفحة ١١ من المحضر) . فأنا قلت للقيادة العامة من البداية إننا سندخل معركة دفاعية ، وهى معركة تتفق مع خططنا التى كانت موجودة مع إمكانياتنا المتوافرة . ولا أعرف من أين ركبتهم حكاية أنهم لازم يبدأوا بالهجوم** بينما هو فىَ رأيى مستحيل من الناحية السياسية . وعبد الحكيم قال لى وهو يناقشنى فى هذا الموضوع إنه إذا كان هدفى من تحركات القوات المصرية بعد الحشود على سوريا هو نجدة سوريا بالفعل فمعنى ذلك أننا لا بد أن نهجم وإلاّ فنحن لا ننجدها . وحاولت أن أشرح له أن مجرد حشد قواتنا سيفرض على إسرائيل أن تستعد لنوايانا وتحوّل حشودها من الشمال إلى الجنوب . وهذا هو المطلوب للتخفيف عن سوريا . وأما موضوع أن يتحول هذا إلى هجوم فهذا له حسابات أخرى . والغريب أنهم ظلوا مع ذلك يتوهمون إمكانية الهجوم . وجرت تحركات كثيرة خلافاً للخطة الأصلية على أساس إمكانية الهجوم . وكانوا يتصورون أن يقوموا بالهجوم من الجنوب فى اتجاه ايلات . وعندما هاجم الإسرائيليون من الشمال نسوا القوات التى حشدوها للهجوم فى الجنوب . وقبل هذا كله لم تكن عندنا خطط حقيقية للهجوم . نحن استطلعنا الجبهة الجنوبية لإسرائيل ، ولكننا لم نكن نعرف ما فيه الكفاية عن الجبهة الوسطى أو الجبهة الشمالية . وبالتالى فالهجوم لا تتوفر لدينا إمكانياته المادية فضلاً عن المخاطر السياسية التى تلحق بنا

إذا حاولناه . معنى ذلك أننا نعطى أمريكا دعوة مفتوحة بضربنا بكل وسائلها . ولا يستطيع أحد أن يفتح فمه . »

وخلص « جمال عبد الناصر » فى صفحة ١٥ من المحضر إلى أن يقول : « **قراءتى للموقف أنه لم تحدث فى الواقع حرب ، حدث قتال عنيف جداً فى مناطق متفرقة وحصلت بطولات هائلة فى الحقيقة . ومات واستشهد وضحى ناس أثبتوا أنهم رجال . وفعلوا ذلك وفوقهم قيادة لا تقود لأنها فقدت أعصابها إلى درجة أنهم أخطرونى أن اليهود ينزلون بالباراشوت على الناحية الغربية فى القناة فى حين كانت الحقيقة أن اليهود كانوا يلقون بتموين وذخائر بالباراشوت للقوات التى وصلت إلى ضفة القناة الشرقية أسرع مما كانت تتوقعه القيادة الإسرائيلية . وفقدان الأعصاب هذا جعل الأوامر متضاربة . وقد عرضت علىّ عندما بدأ التحقيق مجموعات أوامر صادرة فى نفس الوقت ، بعضها يأمر بالانسحاب إلى خط الدفاع الثانى ، وبعضها يطلب الانسحاب إلى غرب القناة . وكان معنى هذا فوضى فى الانسحاب ، وعملية الانسحاب هى أصعب العمليات فى الحرب .**

فى النهاية وجدت أمامى كارثة لا بد أن أوقفها عند حد ، وكان قبولى لوقف إطلاق النار . ولم أفكر لحظة فى استعمال أسلحة غير تقليدية كالصواريخ أو الغازات لأنه لم يكن لاستعمالها من نتيجة سوى أننى « أزود » الاستفزاز وأعرض مرافقنا المائية والصناعية لضربات انتقامية عقابية . وعلى أى حال فالصواريخ لم تكن مستعدة بأجهزة التوجيه ، والغازات كان يمكن أن تثير علينا الدنيا بدون فائدة لأن الفرصة راحت . إلاّ إذا كنا نريد مجرد الانتقام وفش الغليل . »

ثم قال « جمال عبد الناصر » (فى صفحة ١٧ من المحضر) : « **يوجد عامل أهم ، وكان يجب أن أضعه « نمرة واحد » ولكنى تحرجت حتى لا يظهر وكأنى ألتمس الأعذار لنفسى أو لغيرى ، وهو أن الأمريكان كانوا مصممين على ضربنا مهما فعلنا . هم حاولوا معنا بكل الوسائل أن نتوب عن العمل القومى وعن التصنيع وعن التحديث ونحن رفضنا ، واعتبروها مهمتهم أن يؤدبونا ، ونحن بتصرفاتنا جعلنا المهمة أسهل لهم بدلاً من أن نجعلها أصعب . الأسباب التى عرضتها كلها هى ما سهل عليهم مهمة كانوا مصممين عليها . »**

ثم وصل « جمال عبد الناصر » (فى صفحة ١٨ من المحضر » إلى موقف الاتحاد السوفيتى وقال : « **أنا تعاملت سنين طويلة مع الاتحاد السوفيتى ولم أرهم على هذا النحو من التردد والضياع . والحقيقة أننى مندهش ، ويمكن من أهم أخطاءنا ـ وهذه أتحملها أنا ـ أننا لم نحسب حسابا دقيقا للتغيير الذى حدث فى الميزان الدولى . فالروس فى حالة انكماش ، والأمريكان فى حالة انفلات . وقبل أيام تخانقت مع الماريشال « زخاروف » رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية . هو الآن عندنا فى مصر ، وأنا طلبت منه أن يبقى وقلت له « إنى لا أسمح له بالسفر من مصر إلاّ بعد أن يقدم لى تقريرا عن الموقف فى الجبهة ، وعما سيفعلوه لتعويض احتياجاتنا » . قبل أيام جاءنى بصور التقطتها الأقمار الصناعية لمطارات سيناء ، وقلت له « الآن تجىء لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود ؟ » وسألته « لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة ؟ »**

وأنا طلبت السفير السوفيتى ثانى يوم القتال وطلبت منه ١٠٠ طائرة ، ولم يستجيبوا إلاّ بعد أن عدلت عن الاستقالة فأرسلوا لى رسالة يقولوا فيها إنهم سوف يبعثوا لنا بكل شىء طلبناه . وأنا عندما تنحيت فإنى لم أكن مدفوعا بالعواطف وحدها ، وإنما كانت عندى اعتبارات عملية ، وجزء منها متعلق بموقف الروس ، فكانوا أمامى غير مستعدين للحركة . وأنت بنفسك (موجها كلامه للرئيس « بومدين » فى صفحة ١٨ من المحضر) رأيتهم فى موسكو . » وقاطعه « بومدين » عند هذه النقطة وقال له : « **أنا قلت لبريجنيف أنتم الآن تتبعون سياسة عدم الانحياز بيننا وبين الاستعمار الأمريكى** » .

وواصل « جمال عبد الناصر » كلامه قائلاً : « **وقد قلت إن بين أهداف الأمريكان أن يخلصوا من النظام ويخلصوا منى . فأنا قلت فى فكرى إننى أسهل لهم الخلاص منى إذا كانوا يعتبرونه هدفاً ، واخترت زكريا محيى الدين وهو جزء من النظام ، وربما يستطيع أن يتفاهم معهم .** »

وانتقل « جمال عبد الناصر » (فى صفحة ١٩ من المحضر) ليقول : « **جاءنا بادجورنى وكان حديثنا معه مثبط للهمم ، فهم حتى الآن لم يقدروا أن ضرب الدول غير المنحازة هو خطوة فى سياسة الأمريكان للانفراد بالسيطرة على العالم . وإذا وقعنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم وسيصل إلى بقية العالم الثالث ثم ينتقل إلى دول أوروبا الشرقية ، ثم يدخلوا عليهم فى بلادهم ذاتها . وأنا قلت هذا الكلام لبادجورنى صراحة . وقد طلب منى ما اعتبرته تحالفا عسكريا بيننا وبين السوفيت . وقلت له إننى مستعد أن أقبله إذا كانوا سيحاربون معنا مثلما فعل الأمريكان مع إسرائيل . أما إذا كانوا**

يريدون أن يتجنبوا صداما مباشرا مع الأمريكان فنحن نفهم وجهة نظرهم ، ولكن عليهم أن يساعدونا بأكثر مما يفعلون دون أن يطلبوا منا أى شىء يمس موقفنا غير المنحاز .

بعد زيارة بادجورنى أرسلوا لى الماريشال باتيسكى قائد قوات الدفاع الجوى السوفيتى . وقد بعثت معه رسالة إلى الماريشال جريتشكو وزير الدفاع وقلت له فيها : « **اسمعوا .. إذا استسلمنا نحن للأمريكان فإن العالم الثالث سيذهب كله للأمريكان . وسوف تخسروا الحرب الباردة حتى وإن كان لديكم مليون قنبلة ذرية ، وهى لن تستعمل** » (صفحة ٢٢ من المحضر) . »

□

وانتقل « جمال عبد الناصر » إلى الجانب السياسى (فى صفحة ٢٦ من المحضر) فأشار إلى النشاط الذى يجرى فى الأمم المتحدة وقال لـ « بومدين » : « **إن هناك الآن فى الأمم المتحدة اتصالات ، والأمريكان يطالبوننا بتنازلات . والغريب أن الذى يضغط علينا فى قبول هذه التنازلات هو وزير الخارجية السوفيتى جروميكو ، وليس وزير الخارجية الأمريكى راسك . وفى كل هذا فأنا لا أريد أن أفقد أعصابى . موقف الروس بالنسبة لنا موقف أساسى ، فإذا لم نحصل منهم على احتياجاتنا من السلاح فمعنى هذا أنه لن تكون هناك معركة . وأنا أقول علينا أن نتحمل ظروفهم وتفكيرهم ولا نيأس من إخراجهم من حالة الجمود التى تقيدهم الآن . لكن ذلك سوف يتطلب وقتا وجهدا ، ولهذا فإن الاتفاق على خطة عمل سياسى مسألة فى منتهى الأهمية . لا بد أن تساعدونا جميعا فى الضغط على السوفيت . كل من يستطيع الضغط على السوفيت لا بد له أن يضغط : نحن والجزائر والعراق وسوريا ، والدول غير المنحازة يوغوسلافيا والهند وغيرهم ، وكل دول آسيا وأفريقيا . وأيضاً لا بد من ضغط على الأمريكان . ولهذا فأنا أريد مؤتمر قمة عربى لكى يتحرك إخواننا فى السعودية وغيرها ويضعوا علاقتهم بالأمريكان موضع اختبار ، ليس من أجلى ولكن من أجل الضفة الغربية ووراء الملك حسين . وأنا أعتبر أنه ليس هناك محظور فى العمل السياسى إلاّ الاستسلام . وعلى أى حال فنحن نحتاج إلى فترة ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات لكى نعود إلى معركة كبيرة . كما لا بد سمعت (موجها كلامه للرئيس « بومدين » فى صفحة ٢٨ من المحضر) نحن لا نريد أن تبرد الأحوال على خطوطنا مع إسرائيل . بعد وقف إطلاق النار مباشرة كنت أريد تثبيت وقف إطلاق النار . وبعد أن تأكدنا من أن هذا حدث لم يعد لدينا مانع من قبول اشتباكات محدودة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف عند**

القوات وتطعيمها بالنار . ومن أيام ونحن نقاتل فى منطقة رأس العش على الضفة الشرقية من القناة . فقد اكتشف اليهود أن لنا قوات على هذه الضفة فى بور فؤاد وحاولوا تصفيتها وحدثت اشتباكات كانت قواتنا فيها فى حالة معنوية ممتازة .

لكننا نحتاج كما قلت إلى فترة سنتين أو ثلاثة قبل أن نكون مستعدين لمعركة واسعة النطاق لإزالة آثار العدوان . وهذه الفترة لا يمكن أن تمر ساكتة . وإنما لا بد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا وأولهم الاتحاد السوفيتى أننا فعلنا كل شىء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية . ورأيى أن هذا لن يأتى بنتيجة ، فمن الطبيعى أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغيرها . . »

فى صفحة ٣٧ من محضر الاجتماع الذى تم بين « جمال عبد الناصر » و « هوارى بومدين » يوم ١٠ يوليو ١٩٦٧ - بدأ الرئيس « بومدين » يتكلم . وكان الموضوع الذى اختار أن يبدأ منه لافتا للنظر ، فقد بدأ موجها حديثه إلى « سيادة الأخ الرئيس » - ثم قائلا : « أنت لديك ألغازا لم تستطع أن تحلها ، وأنا أيضا لدىّ لغز أبحث عن حل له . وأعتقد من وجهة نظرى أن بحثه ضرورى . هذا اللغز هو الملك حسين . نحن كلنا نعلم بأن الأردن ظل حتى يونيو ١٩٦٧ يتبع خطا سياسيا معينا . وفجأة وجدنا الأردن يأخذ خطا سياسيا مختلفا ، وأنا لا أعرف ما الذى حصل ليسبب هذا التغيير ، وأريد أن أعرف معلوماتكم عنه . »

ويظهر أن « جمال عبد الناصر » لم يلمح منذ البداية مقصد الرئيس « بومدين » . وهكذا كان رده (فى صفحة ٣٨ من المحضر) أنه يمكن أن يكون الملك جاء وفى ظنه أنه سيلحق بالموكب ، وتصور كما تصور غيره أننا فى الطريق إلى انتصار كبير . ولكن الظروف خيبت حساباته كما خيبت حساباتنا جميعا . ولم يكن أمامه إلاّ أن يحاول بكل ما يستطيع مع الأمريكان . وأنا اتصلت به بعد أن أعلنا نحن قطع العلاقات مع الأمريكان نتيجة لما ثبت من اشتراكهم عمليا فى العدوان علينا . وقد طلبنا من الدول العربية أن تفعل مثلنا . ومع ذلك فأنا اتصلت بالملك حسين بنفسى وقلت له إننى أستثنيه من هذا الطلب بسبب أوضاعه الخاصة . وقلت له « إنك لن تستطيع أن تستعيد الضفة الغربية إلاّ إذا

وافقت أمريكا على ذلك » . وقلت له أيضا إن الضفة الغربية تختلف عن سيناء اختلافا كليا ، لأن اليهود مهما بقوا فى سيناء سنة أو اثنين أو ثلاثة يعرفون أنهم لن يستطيعوا البقاء فيها إلى الأبد لأنهم بالدرجة الأولى يريدون إخراج مصر من صراع المصير العربى . وبالتالى فهم لا يريدون اشتباكا دائما مع مصر ، وإنما هدفهم باستمرار صلح منفرد معها . وكذلك فإنه ليس فى سيناء إلاّ عدد قليل من الناس . وهؤلاء الناس معظمهم من البدو ولديهم فرصة الحركة دون البقاء فى مواقع ثابتة رهائن للاحتلال . ومعنى ذلك أننى أستطيع أن أصبر على سيناء حتى أستعد . وأما الضفة الغربية فوضعها مختلف . سيناء بالنسبة لنا مصيبة وأما الضفة الغربية فهى مأساة . ولذلك قلت للملك حسين أن يذهب لجونسون ويقابله ، ويستجديه إذا أدى الأمر إذا كان ذلك يمكن أن يؤدى إلى خروج إسرائيل من الضفة الغربية مهما كان الثمن الذى ندفعه فى ذلك . »

وفى صفحة ٤١ من المحضر ، وجد « بومدين » أن « جمال عبد الناصر » لم يجبه على سؤاله بالضبط ، فعاد يقول : « **هو المشكلة ليست ما يتعلق بالماضى وإنما ما يتعلق بالمستقبل . وأنا أتفق مع ما قاله الأخ الرئيس فى أننا يجب أن نعمل على أساس أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغيرها . ولهذا كان سؤالى عن التغيير المفاجىء الذى حدث فى موقف الأردن وهو يمثل لغزا لى . وسؤالى هو فى الواقع عن انعكاسات هذا الأمر على المستقبل . إذا كنا سوف نقاتل ، وليس هناك بديل من أن نقاتل ، فلابد من الآن أن نعرف بالضبط من هم معنا فى الخط لأنه فى القتال يستحيل أن يكون هناك ناس على خطين . »**

وساد قاعة الاجتماع صمت دام لحظة بدت طويلة ، وقطعها « جمال عبد الناصر » بقوله (فى صفحة ٤١ من المحضر) : « **بالنسبة لما حدث فهناك بالفعل تغيير مفاجىء فى موقف الأردن . وأنا كنت آخذه ببساطة ، ويبدو أن الأخ بومدين لديه وجهة نظر أخرى .**

وبالنسبة للحاضر فأنا أرى أن الملك حسين يواجه مشكلة صعبة فقد فيها نصف مملكته ، ويتحتم علينا جميعا أن نقف معه .

وأما بالنسبة للمستقبل فأنا لا أستطيع أن أضمن شيئا . »

وكان تعليق « بومدين » (فى السطر الأخير من صفحة ٤١ فى المحضر) **هو قوله**

« إن حل هذا اللغز ـ لغز التناقض المفاجيء فى موقف الأردن ـ يكشف لنا أشياء كثيرة بالنسبة للمستقبل . »

ولفترة من الوقت راح الرئيس « بومدين » يتحدث عما جرى فى الجزائر منذ بدأت الأزمة ، وحماسة الجماهير ، وصدمتها المفاجئة ، وبكاؤها فى الشوارع بعد إعلان تنحى « جمال عبد الناصر » . ثم أضاف إن « مصر هى الدولة القاعدة فى المنطقة ، وأن ثورة ١٩٥٢ هى الثورة القائدة تاريخيا فيها » . **ثم عاد مرة أخرى إلى لغز الأردن فسأل عن حجم المعارك التى دارت على الجبهة الأردنية .**

□

كان إلحاح الرئيس « بومدين » على الأردن مثيرا لاهتمام « جمال عبد الناصر » . وأثناء خروجه من جلسة المحادثات الأولى مع « بومدين » التفت إلى السيد « سامى شرف » وسأله عما إذا كان الفريق « عبد المنعم رياض » قد عاد من مهمته فى موسكو ؟ ورد « سامى شرف » بأن الفريق « عبد المنعم رياض » ينتظر وصوله اليوم من هناك . وقال « جمال عبد الناصر » : « ينزل من الطائرة ويجيء إلىّ فى البيت على الفور » .

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٠ يوليو كان الفريق « عبد المنعم رياض » فى بيت « جمال عبد الناصر » وهو يتصور أن الرئيس سوف يسأله عما حققته رحلته السرية إلى موسكو ، وعن نتائج محادثاته مع الماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع السوفيتى . **وفوجيء « عبد المنعم رياض » بالرئيس يسأله عن « ما حدث على مسرح العمليات فى الأردن » . وكان رده « إنه لم يتوقع أن يسأله الرئيس فى هذا الأمر ، وهو فى الحقيقة لم يتمكن بعد من كتابة تقريره عن الفترة التى قضاها فى الأردن أثناء العمليات ، فمنذ عاد من هناك وتسلم مهامه كرئيس لهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية وجد نفسه مستغرقا بالكامل فى مهام إعادة التنظيم » . ثم قال الفريق « رياض » إنه تسلم تقريرا من اللواء طيار « مصطفى الحناوى » الذى كان معه فى هذه المهمة ، وهو على استعداد لأن يبعث به إلى الرئيس بسرعة ، كما أنه يظن أن فى استطاعته الفراغ من تقريره هو فى ظرف يومين على الأكثر .**

وراح « جمال عبد الناصر » يسأله عما جرى هناك . وبدأ الفريق « رياض »

يرد[٣] والحيرة بادية فى نبرات صوته . وقد بدأ أولا فقال إن هناك مقدمة تمهيدية يريد أن يضعها لإنصاف كل الأطراف وحتى تكون المسائل كلها على بينة ونور . وكانت هذه المقدمة قوله : « إنه يريد أن يكون واضحا أمام الرئيس أن الأردن لم يرتب نفسه فى أى وقت من الأوقات على احتمال الدخول فى حرب مع إسرائيل . فدخوله فى مثل هذه الحرب وحده ، أو بالاشتراك مع أطراف عربية أخرى كان باستمرار خارج الحسابات السياسية الأردنية . وواجب العدل يقتضى أن يبدأ أى تقييم سياسى أو عسكرى يتصل بالأردن بالاعتراف بهذه الحقيقة وبأن هذه الحقيقة لها ما يبررها عمليا . »

ثم مضى الفريق « رياض » بعد هذه المقدمة يقول إنه « تعرف على هذه الحقيقة أثناء عمله فى هيئة أركان حرب القوات العربية المشتركة (التى أنشئت بقرار من مؤتمر القمة العربى الأول فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤) . فقد أحس باستمرار أن الأردن ضد دخول أى قوات عربية إلى أراضيه ، وضد الاشتراك فى أى خطط عربية لأن الاعتقاد السائد هو أن الغرب والولايات المتحدة بالذات - هو الضمان الحقيقى للأردن ضد مطامع إسرائيل فيه . »

ثم قال إن « الأردن حاول أن يستفيد من اشتراكه فى العمل العربى العام لمصالح تعود عليه هو بالذات ، مثل تحسين الطرق والمطارات وغير ذلك من أغراض . وكانت حكومات الأردن المتعاقبة تتملص دائما من أى ارتباطات محددة ، وكانت طلباتها عند اللزوم نوعا من التعجيز يبدو أحيانا فى منتهى الغرابة إلى درجة أن قيادة الجيش الأردنى طلبت فى إحدى المرات اعتمادا لبند شراء قبعات بيضاء عالية ومنشاة لطباخى الجيش الأردنى كأنما هؤلاء لابد أن يكونوا « آخر ألسطة » عندما تنشب المعارك . »

وابتسم « جمال عبد الناصر » لهذه المفارقة ، وقال ضاحكا لـ « عبد المنعم رياض » إنه « ربما يتذكر كلمة مأثورة عن « نابليون » قال فيها « إن الجيوش تزحف على بطونها وليس فقط بخيولها » . »

استطرد « عبد المنعم رياض » يقول إنه كان أكثر الناس اندهاشا عندما عرف أن

---

(٣) مقابلة الرئيس مع الفريق « عبد المنعم رياض » تم تسجيلها طبقا لقاعدة وضعت تلك الأيام ، وهى تسجيل جميع المقابلات بدون استثناء . فقد رئى أن أهمية الظروف تستدعى وجود سجل كامل للوقائع يمكن الرجوع إليه لتحقيق أقصى قدر ممكن من كفاءة الدقة والمتابعة . وتسجيلات هذه المرحلة كلها تضمها مجموعة تحتوى على أكثر من ٦٠٠ ساعة مسجلة . وقد نقلت جميعها إلى محفوظات قصر عابدين ضمن أرشيف منشية البكرى .

الاختيار وقع عليه ليذهب مع الملك « حسين » إلى الأردن يوم ٣٠ مايو الماضى ، لما جاء الملك « حسين » إلى القاهرة والتقى بالرئيس « جمال عبد الناصر » وقرر دخول المعركة .
وقال « عبد المنعم رياض » إنه بعد أن وصل إلى عمان فوجىء بأشياء كثيرة . وكان أول ما فوجىء به هو طريقة توزيع القوات الأردنية على الجبهة ، فطول الجبهة الأردنية مع إسرائيل كان ٦٥٠ كيلومترا وحجم القوات الأردنية لم يكن يقل عن ١١ لواء وهى قوة لا يستهان بها . ولكن ما أدهشه هو أن هذه القوات كانت موزعة على الخطوط على شكل سرايا مبعثرة دون أن تتجمع لتكون منها قوة ضاربة حقيقية . وقد قام بنفسه غداة يوم وصوله بجولة بالهليكوبتر على مواقع القوات ، وكانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لرؤية أوضاعها على الطبيعة . وقد عاد من هذه الرحلة قلقا إلى أبعد حد . فبعثرة القوات بهذه الطريقة لا تصلح لدفاع ولا لهجوم ، ومن الضرورى تجميعها كقوة ضاربة مؤثرة لأى حالة من الحالتين .

وكانت المفاجأة الثانية التى تلقاها هى أن اللواء طيار « مصطفى الحناوى » الذى كان حلقة الوصل بينه وبين الطيران الأردنى أبلغه يوم ٢ يونيو أن المدربين الأمريكان الذين جاءوا مع الطائرات من طراز « ستار فايتر » الأمريكى الذى حصل عليه الأردن ، طاروا بها فجأة إلى بيروت ومن هناك إلى تركيا عن طريق قبرص .

وكانت هناك مفاجأة أخرى تمثلت فى الطريقة التى استقبلت بها قوة مكونة من ٨٠٠ مقاتل من مقاتلى قوات الصاعقة المصرية الذين وصلوا إلى الأردن فى مهمة سرية كانت تقتضيهم التسلل وراء الخطوط الإسرائيلية وإلحاق أكبر قدر ممكن من الأضرار بخطوط مواصلاتها واتصالاتها . ولكن الذى حدث أن هذه القوة استقبلت استقبالا رسميا فى مطار عمان .

ثم أضاف الفريق « رياض » إلى ذلك إن اللواء « الحناوى » جاء إليه بعد أن قام باستطلاع نظام الدفاع الجوى الأردنى ووجده غير صالح بالمرة لأى مهمة من المهام الموكولة إليه . ثم قال له إنه وجد ١٢ طائرة « هوكر هنتر » قديمة ولكنها كانت معرضة فى المطارات ، وقد تصور أنها يمكن أن تكون غنيمة جاهزة للإسرائيليين يدمرونها ، واقترح إرسالها إلى أى مطار بعيد فى العراق حتى لا تكون عرضة للتدمير ، ولكن طلبه رفض لأن ذلك قد يفسر أمام الرأى العام الأردنى والعربى بأنه نوع من الهروب . واحتد اللواء « مصطفى الحناوى » أثناء المناقشة مع قائد أردنى زميل له ، وقال له « قل لى ، هل نحن داخلين فى حرب ، أم هى حملة علاقات عامة ؟ » .

ثم وصل الفريق « عبد المنعم رياض » إلى أيام العمليات وبعد نشوب القتال ، وقال إنه كان يعمل من مقر القيادة العامة ، ومن هناك كانت أوامره تصدر إلى الوحدات المختلفة على شكل إشارات . ثم تجيئه من الوحدات إشارات ترد عليها . وقد كان يلاحظ أن إشاراته تصل بسرعة خارقة ، والردود عليها تجيء بسرعة خارقة أيضا ، إلى درجة أنه شك فى بعض الأحيان بأن أوامره يجرى تنفيذها . وراوده الإحساس بعد ذلك بأن المعركة كما بدت له كانت « غير طبيعية » . ولم تكن لديه الفرصة لرؤية شيء على الطبيعة حتى صدر قرار الانسحاب . وبعد صدوره بأربع وعشرين ساعة طلب إليه اللواء « عامر خماش » أن يوقع على ورقة تتضمن أمر الانسحاب من الضفة الغربية . وقال الفريق « رياض » إنه تردد قبل توقيع الأمر ، وهو يعترف بأنه أصدر بالفعل أمرا بالانسحاب بناء على طلب أردنى استند على ما كان أمامه من إشارات ، ولكنه لم يكن فى مركز يسمح له برؤية أى شيء على الطبيعة أو التحقق منه .

وفى نهاية المطاف لم يجد أمامه غير أن يوقع ، وهو حتى هذه اللحظة لا يستطيع أن يجد وسيلة يستوثق بها من حقائق ما جرى ، واعتقاده أن ذلك هو السبب الحقيقى الذى جعله يتردد حتى الآن فى كتابة تقريره الرسمى عن تجربته فى الأردن .

ولاحظ الفريق « رياض » أن الرئيس « جمال عبد الناصر » يسمعه باهتمام دون أن يبدى رأيا . وتوقف عن الحديث ، وقال للرئيس إنه مستعد لأن يجيب على أية أسئلة محددة وبطريقة أكثر تفصيلا . وفوجيء بأن « جمال عبد الناصر » رد عليه بأن ما سمعه يكفيه فى الوقت الحاضر ، وأنه على أى حال سوف ينتظر تقريره الكامل .

□

كان الاجتماع الثانى بين « جمال عبد الناصر » و « هوارى بومدين » فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التالى ١١ يوليو ١٩٦٧ . وقد بدأه « جمال عبد الناصر » (فى الصفحة الثالثة من محضر هذا الاجتماع) بقوله : « **إن الأخ بومدين بالأمس كان شديد التركيز على الوضع فى الأردن . وأنا الآن على استعداد لأن أسلم معه أن هناك ما يمكن أن يكون ألغازا فى موقف الأردن ، ولكن هذه الألغاز لا تغير من حقائق الموقف شيئا . فالحقائق تقول لنا إن الضفة الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلى ، وأن بقاءها على هذا الوضع لمدة طويلة يمثل خطرا شديدا ، وهذا هو ما يتعين علينا أن نجد له حلا سواء كانت هناك ألغاز أو لم تكن . إن الملك حسين اجتهد ، وسواء كان**

اجتهاده صحيحا أو خطأ فهذه قضية يمكن بحثها تاريخيا . ولكن واقع الأحوال فى الضفة الغربية هو ما يتحتم علينا جميعا مواجهته . »

ولم يكن « بومدين » على استعداد للتسليم بهذا المنطق ، وكان رده (فى صفحة ٤ من محضر الجلسة) : « إننى أرجو أن يسمح لى الأخ الرئيس بأن أقول له إننى مختلف معه . فأنا واثق أن مصر سوف تستطيع بقوتها تحرير سيناء ، ويمكن أن أتصور أن سوريا سوف تستطيع ذلك فيما يتعلق بالجولان . وكل من سيناء والجولان كما قال الأخ الرئيس نفسه مسائل مقدور عليها ، والمشكلة هى الضفة الغربية . وإذا كنا نقول الآن ونحن على حق إن معركة تحرير فلسطين ذاتها هى معركة مؤجلة لسنوات طويلة جدا ، إذن فإن موضوع الأردن سوف يطرح نفسه علينا . فالأردن هو نقطة الضعف الأساسية فى الموقف العربى كله . ومن هنا فأنا ألح على سؤالى : هل المياه فى الأردن صافية أو غير صافية ؟ - هل الخط الذى سار عليه الأردن قبل يونيو تغير أو أنه مازال نفس الخط القديم ؟ ورأيى - وأرجوك أن تقبله منى - أنه لا يمكن التوفيق بين صراع مع أمريكا وتعاون مع ناس محكوم عليهم أن يتعاونوا مع أمريكا . هذه مسألة مهمة . »

وتسجل الصفحة العاشرة من محضر الجلسة رد « جمال عبد الناصر » على الرئيس « بومدين » ، فقد قال طبقا للمحضر : « أرجوك يا أخ بومدين أن تعرف أننى لا أدافع عن أحد فى الأردن ، ولكنى أفكر وأتكلم من زاوية استعادة الضفة الغربية . أنا لا أدافع عن سياسة حكومة الأردن ولكن عن الضفة الغربية . » وقاطعه الرئيس « بومدين » قائلا له إن أمامه تصريحات من المغرب ، وهو يسأل إذا كانت قد وصلت إليه . وراح « بومدين » يقرأ التصريحات القادمة من المغرب ويعلق عليها بقوله : « الآن بدأوا يتحدثون عن الحلف الاسلامى ، فهل هذا معقول وسط ما نحن فيه ؟ »

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى موضوع الأردن فقال للرئيس « بومدين » (فى صفحة ٢٢ من المحضر) : « إن الملك حسين قادم الآن إلى هنا ، فماذا ترى أن أقول له ؟ هل أقول له اذهب وناضل ؟ وبماذا سيناضل وهو ليس على علاقة بالاتحاد السوفيتى لكى يحصل على سلاح ، وليست لديه إمكانيات دولة خصوصا بعد ضياع الضفة الغربية . رأيى أنه لابد أن نعطيه رخصة بأن يبذل كل ما يستطيع مع الأمريكان . ولابد أن نترك له حرية مطلقة فى العمل إذا كان يستطيع أن يستعيد الضفة الغربية . »

وبدا الانفعال على « بومدين » وقال لـ « جمال عبد الناصر » : « مشكلتنا نحن العرب

أننا لم نتعلم كيف نموت » . وفى هذه اللحظة وكانت الساعة الثانية عشرة والثلث تماما ، دخل رئيس تشريفات الرئاسة ليقول إن الملك « حسين » والوفد الأردنى المرافق له قد وصلوا إلى قصر القبة . وقام الرئيس « جمال عبد الناصر » لاستقبال الملك ، وقبل أن يقوم نظر إلى الرئيس « بومدين » وتوجه إليه بإشارة مؤداها أن « يترفق بالناس ولا يتسبب فى أزمة » .

□

وانضم الملك « حسين » إلى اجتماع « عبد الناصر » و « بومدين » ، وكان معه وفد أردنى يضم الأمير « الحسن » والسيد « بهجت التلهونى » واللواء « عامر خماش » والسيد « زيد الرفاعى » والسيد « حسن ابراهيم » .

وتسجل الصفحة الأولى من محضر الجلسة الجديدة التى أصبحت ثلاثية بعد أن كانت ثنائية ، أن الرئيس « جمال عبد الناصر » بعد أن رحب بالملك « حسين » دعاه إلى إبداء رأيه . وقد بدأ الملك قائلا « **إن الفرصة أتيحت له للقاء أخيه سيادة الأخ الرئيس جمال قبل المعركة التى دخلناها يدا واحدة وقلبا واحدا . وأعتز جدا أن أجد أننى وإخوانى هنا فى الجمهورية العربية المتحدة مثلما أنتم دائما قمة فى الصمود والثبات والعزم والتصميم على مواجهة التحدى الكبير . وأنا أعتز أيضا أن تتاح لى فرصة الاجتماع بأخى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ونتحدث صراحة فى كل الأمور : فى الموقف فى المنطقة ، والتحدى الذى تجابهه الأمة العربية . وإذا كانت النكبة قد حلت بنا جميعا والصدمة أصابتنا فى وطننا الكبير ، فأنا لا زلت أعتقد بأنه من أهم أسباب الوضع فى عالمنا العربى ، والوضع الذى ساد فترة طويلة من الزمن وحتى بأيام قبل المعركة وبعد المعركة - هو أن أمتنا ليست معبأة بالشكل الصحيح ولا هى بمستوى الأحداث . طاقات وإمكانيات هائلة موجودة ، ولكن التنسيق غير موجود . وإذا كان هناك ما أتألم من أجله أكثر من أى شىء آخر فهو أننى شخصيا ما ذهبت مع الذين ذهبوا فى سبيل أمتهم .** »

ومضى الملك فى حديثه على هذا النحو إلى الصفحة الخامسة من محضر الجلسة ثم توصل إلى ضرورة عقد مؤتمر قمة « لوضع الكل أمام مسؤولياتهم » .

وتسجل الصفحة الخامسة من المحضر أن الرئيس « جمال عبد الناصر » تدخل فى الحديث قائلا إنه « **بالنسبة لاجتماع مؤتمر القمة فنحن نعتقد أن مثل هذا المؤتمر لن**

يصل إلى أى شيء ، وحتى بالنسبة لوضع كل الناس أمام مسؤولياتهم فنحن نعتقد أن بعض الناس قد لا يروا مسؤولياتهم حتى إن وضعت أمامهم . ومع ذلك فنحن على استعداد لحضور مؤتمر قمة . ولكن السؤال الذى يواجهنا قبل غيره هو : ما العمل ؟ من الواضح أمامنا أننا أخذنا ضربة أمريكية إسرائيلية مشتركة بدأ التجهيز لها من مدة طويلة . والملك حسين نفسه حذرنا منها مبكرا . ونحن لا نجد أمامنا إلاّ حلين : أن نستسلم للأمريكان أو نناضل . وقد وصلنا إلى أن الاستسلام مستحيل والنضال قدرنا . وأنا قلت هذا الكلام أمس وأعيده الآن أمام الإخوان . النضال عملية صعبة جدا ، ونحن متحملون لمسؤولياته كلها . ولكن الذى يقلقنا هو وضع الأردن . هل يستطيع الأردن أن يناضل لاستعادة الضفة الغربية بالسلاح ؟ أنا أخشى أن مثل ذلك مستحيل فى الظروف الحالية . وأنا أقول هذا لكى أرضى ذمتى أمام التاريخ والواجب . نحن فى مصر سوف نقاتل . وفى سوريا قد يقاتلون . ولكن المشكلة الحقيقية هى الضفة الغربية . ففى حين أننا نستطيع الانتظار حتى نستعد ، فإن الأردن لا يستطيع ولابد له أن يطرق كل أبواب الحلول السياسية . ومن واجبى أن أقول للملك حسين أمام الكل إننا سنظل فى حالة اشتباك مع أمريكا ، لكن أقول للملك حسين وأتحمل مسؤولية ما أقول إن عليه أن يحاول بكل الوسائل مع أمريكا . إن هذا هو رأيى الشخصى ، وإخوانى هنا لا يوافقوننى عليه ، ولكنى أقوله بأمانة لأن مستقبل الضفة الغربية يقلقنى . إذا كانت هناك وسيلة فإنى أرجوك ألاّ تقفل أى باب مع الأمريكان . »

وفى هذه اللحظة جاء رئيس التشريفات يقول إن السيد « اسماعيل الأزهرى » رئيس السودان على التليفون يريد أن يتحدث مع الرئيس « بومدين » . وقال له الرئيس « جمال عبد الناصر » (طبقا لصفحة ٢٢ من المحضر) : « تفضل يا أخ بومدين - يظهر أن اسماعيل الأزهرى مصمم على مؤتمر قمة . هو اتصل بى أمس بالتليفون يقول لى « شد حيلك مع الأخ بومدين ليوافق على مؤتمر قمة » . وقلت له الأخ بومدين موجود فى قصر القبة على بعد كيلومتر واحد وسوف أحولك إليه . ويظهر أنهم لم يتمكنوا من تحويله ، وها هو الآن يطلبك . »

وخرج الرئيس « بومدين » (طبقا لما سجله المحضر) وعاد إلى القاعة فى ظرف ثلاث دقائق . وسأله « جمال عبد الناصر » (طبقا للمحضر) : « **هل تعطل الخط ؟** » وقال « بومدين » : « **لا ، تحدثت معه** » . وقال « جمال عبد الناصر » : « **مكالمة سريعة جدا . المهم ماذا قلت له ؟** » ورد « بومدين » قائلا : « **قلت له إننى سأرد عليه فى القريب العاجل من الجزائر** » . وجلس « بومدين » **وكان لديه سؤال يوجهه إلى الملك**

« حسين » . وكان سؤاله عن معلومات الملك عما حدث على الجبهة السورية هو وتابعه .

وبدأ الملك « حسين » يحكى قصة الجبهة السورية كما تبدت أمامه ، فقال ا الصفحة ٢٣ من المحضر ما يلى :

« أنا كان عندى شك فى أن قضية الفدائيين فى أساسها أول ما بدأ مفتعلة . وكان العدو يحاول خلق جو معين حولها . وبعد ذلك فى مرحلة لا كبير من إخواننا تحمسوا وبدأوا يشتغلوا . ولكن هذا الشغل لم يكن فعالا لنتائج . المعركة فى حد ذاتها كانت حتمية . عدونا لن يسمح لنا بدرجة من القو بها . وسوف يختلق أو يوجد أسباب دائما ليقدم على عمل يجهض به استعدادنا كنا نحاول بشتى الطرق والأساليب ألاّ نعطيه الفرصة للقيام بعمل . وفى نفس كان رأينا الاستمرار فى التنسيق وفى التعاون مع إخواننا مع تفويت الفر أعدائنا .

وتطورت الأمور على الجبهة السورية ، ووقعت اشتباكات وانطلقت تد وتهديدات من إسرائيل بأنها سوف تتحرك وتهجم وتحتل . ولم يكن أمام إخواننا إلاّ اتخاذ الموقف الذى اتخذوه . وفى هذه اللحظة انتهى رأينا إلى أن هناك معر الأبواب . وما كان أمامنا إلاّ أن نعمل أقصى ما يمكننا للتنسيق بسرعة ونستعد . الحال زالت كل الاعتبارات والحساسيات ، وكان المجال مفتوحا لكل القوات العر تدخل وتساعدنا . فعلا هناك قوات من الجمهورية العربية المتحدة وصلت . ووص قوات عراقية . ويوم ٤ يونيو بالذات قيل لى من الإخوان العسكريين على أعلى ممن كانوا مسؤولين عندنا بأن الإخوان فى الشمال فى سوريا عندهم قوات أكثر مما تتطلبه جبهتهم . كانت جبهتهم وهى الحصينة طبيعيا لا تحتمل فى الد أكثر من ٥ ألوية . وكان عندهم أكثر من ذلك بكثير . وسألنى إخواننا هل عن من دخول هذه القوات إلى الأردن ؟ وقلنا ليس عندنا مانع ، وكل واحد منا كا بأننا على أبواب معركة عسكرية قبل استكمال استعدادنا .

قبل المعركة بليلة واحدة نبهنا على ضرورة الاستعداد وعلى أن يكون جاهز . وكنا متوقعين أن يتم اتصال من إخواننا السوريين بنا خصوصا بالنسبا الجوى بالذات . واتصلنا نحن بهم ، وكان الجواب أنهم ليسوا جاهزين . وصعقت . وواصلنا الاتصال بهم ، وأجرينا عدة ترتيبات ، ولم يحدث شىء .

أن نقنعهم بأن يقوموا بأى عمل حتى يخففوا عنا الضغط . ويحزننى أن كل نشاطهم فى المعركة كان عبارة عن إطلاق مدفعية وإصدار بيانات لم تكن صحيحة على الإطلاق . وبالتالى وقع ما وقع . وكنا نعرف تفكيرهم السابق وهو أنهم ليسوا على استعداد للتنسيق معنا لأن سلاحنا أمريكى وسلاحهم سوفيتى . وكنا نرى هذا رأيا عجيبا ، وبصرف النظر فإن سلاحهم ـ سواء كان سوفيتيا أو أمريكيا ـ لم يحارب فى المعركة .

وفشلت كل محاولاتنا لإقناعهم بالعمل . وحاول الفريق « عبد المنعم رياض » بنفسه فى أكثر من مناسبة ، ولم يفعلوا شيئا حتى تمكن الإسرائيليون من مفاجأتهم بالصعود إلى المرتفعات واحتلالها . نحن نقول ذلك ليس لكى نلوم أحد ، ولكن لكى نتذكر فى المستقبل ونحاول أن نجد حلا بشكل من الأشكال . »

□

وسافر الملك « حسين » من القاهرة ومعه تفويض بأن يحاول كل ما يستطيع مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وبوعد أيضا ببذل أقصى الجهود لعقد مؤتمر قمة عربى يمكن من خلاله « **وضع الناسَ أمام مسؤولياتهم » وتعويض الأردن على الأقل بما يكفيه إزاء ضياع موارده من الضفة الغربية ومن المعونة الأمريكية التى كان حجمها فى ذلك الوقت ٥٠ مليون دولار سنويا . ولم يكن الرئيس « بومدين » شريكا فى ذلك لأنه كان لا يزال عند وجهة نظره ، وإن لم يصرح بها فى حضور الملك « حسين » حتى لا يسبب أزمة .**

وانضم الرئيس « عبد الرحمن عارف » إلى « جمال عبد الناصر » و « بومدين » . وكان الجديد الذى يحمله الرئيس « عبد الرحمن عارف » معه هو رسالة تلقاها من الملك « حسين » يطلب إليه سرعة سحب القوات العراقية من الأردن « **وذلك لأن الظرف قد تغير » .**

وكان تعليق الرئيس « بومدين » على ما سمع هو أنه « **لا يفهم معنى الرسالة ولا يجد أن الظرف تغير ، وكان يمكن أن يفهمها لو أن الأردن وجد سبيله إلى حل يكفل خروج اليهود من الضفة الغربية » .**

وقال « جمال عبد الناصر » (طبقا لصفحة ٦٥ من المحضر) : « **هل أبدوا لكم أى أسباب لهذا التصرف ؟ »**

ورد الرئيس « عارف » بقوله : « **سمعنا همسا نقلا عن المخابرات الأردنية أنهم نقلوا للملك أن الجيش العراقى فى الأردن يريد أن « يسوى انقلاب » ، وهو كلام غير معقول ، وبالتأكيد إشاعة إسرائيلية أو عناصر فى الأردن متواطئة » .**

والتفت « بومدين » إلى « جمال عبد الناصر » يقول له : « **إننى أتمنى أن يوافقنى الأخ الرئيس على أنه لا فائدة من العمل من خلال مؤتمرات قمة » .**

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا إنه « مهما كان فلابد أن نحتمل ولا نترك بابا ينقفل » !

ثم انضم الرئيس السورى « نور الدين الأتاسى » وكان يحمل مشروعا لإقامة وحدة بين الدول العربية الواقفة فى خط المواجهة . وكان رأى « جمال عبد الناصر » و « بومدين » معا أن الوقت هو وقت استعداد لمعركة وليس وقت مناقشة صيغ قانونية لإقامة وحدة من أى نوع .

كان العالم العربى فى مأزق . وصل إليه الكل وأحاط بهم . وقد دخلوا إليه من أبواب مختلفة ، ومن مواقع متباعدة ، وبنوايا متباينة . ولكنهم وبصرف النظر عن أى شىء - وجدوا أنفسهم فى نفس المكان أو قريبا منه . فى المأزق . وكانت أولى محاولاتهم التعرف على طبيعة الأرض تحت أقدامهم ومن حولهم ، ومحاولة دراسة منافذها ومخارجها !

الفصل السابع

أقــوى من اليــأس

استمرت المشاورات العربية فى القاهرة من يوم ١٠ يوليو حتى يوم ١٩ يوليو . ولم يكن « جمال عبد الناصر » يتعجل نهايتها بل كان يحاول من خلالها أن يتوصل إلى بناء موقف عربى متكامل يحتفظ لنفسه بالمرونة الكافية ، وفى ذات الوقت يبلور قدرا من الإرادة العربية لم يكن هناك غنى عنه لمواجهة المأزق .

وقد بدا ظاهرا أمامه من خلال المناقشات أن الرئيس « بومدين » لن يحضر مؤتمر قمة عربى . وكذلك بدا أن سوريا قد تتخذ ذات الموقف . ولم يكن يريد ممارسة أى ضغط من أى نوع على الاثنين لكى يحضرا ، ولعله لم يشأ أن يبدد شيئا من رصيده الأدبى فى ضغوط قد لا تكون ضرورية فى تلك الظروف . كان المهم بالنسبة له ، كما شرح فى بداية الجلسة التى عقدت بينه وبين الرئيس « هوارى بومدين » والرئيس « عبد الرحمن عارف » والرئيس « نور الدين الأتاسى » بتاريخ ١٣ يوليو ـ أن تتوافر الشروط التالية :

١ ـ أن يتحقق وقوف الأمة العربية كلها فى خطوط المعركة .

٢ ـ أن الذين يستطيعون العمل من خلال جهد عربى موحد لهم هذا الحق . كما أن الذين لا يثقون فى إمكانية العمل العربى الموحد لشكوك تراودهم إزاء

أطراف عربية أخرى - فإن لهم هذا الحق أيضا بشرط أن تصب جهودهم جميع
فى النهاية فى وعاء المعركة .
٣ - أن الملك « حسين » لابد له أن يحاول سياسيا بكل الوسائل أن يبحث
عن حل سريع إذا استطاع لدفع الخطر المحيق بالضفة الغربية .
٤ - أن يتمكن العرب جميعا من إقامة توازن دولى حول الأزمة يمكّن من
اتخاذ قرار دولى محدد يرتكز عليه العمل العربى فى المجال السياسى :
٥ - أن توافر هذه الظروف جميعا هو الذى يعطى العرب الوقت والفرص
لإعداد أنفسهم لاستعمال جميع أسلحتهم فى معركة ليس هناك مفر منها .

وبعد أن عرض « جمال عبد الناصر » لهذه النقاط وآخرها استعمال جميع الأسلح
العربية فى خدمة المعركة ، قال الرئيس « عبد الرحمن عارف » إن لديه موضوعا يري
إثارته ، وهو موضوع البترول . وقال الرئيس « عارف » (طبقا لما جاء فى صفحة ٢
من محضر الجلسة) : « إن العراق قبل المعركة بأيام دعا إلى مؤتمر لوزراء النف
والاقتصاد العرب ، وكان هدف العراق أن يدخل سلاح النفط وسلاح الفوائض المالية العربي
للتأثير فى صالح المعركة . وقد دارت مناقشات حامية تحمس فيها البعض لوقف ضخ
النفط ، ولسحب الودائع من الفوائض العربية من بنوك الدول التى تساند العدوان . و
تصدر عن هذا الاجتماع قرارات ملزمة خصوصا وأن المعركة بدأت بالفعل أثناء وجو
الوزراء فى بغداد . ومع بدئها صدرت تصريحات حماسية من كل النواحى ، ولكن أحد
لم ينفذ ما تحمس له باستثناء العراق والجزائر على حد علمى . ولم تكد المعركة تتوقف
حتى عاد الضخ أكثر مما كان ، وظلت العراق والجزائر ملتزمتين بحظر تصدير النفط
وهو الأمر الذى أثار أزمة فى الغرب ، لكنه فى نفس الوقت أدى إلى مشاكل بالنسبة
للبلدين . فالنفط يمثل بالنسبة للعراق ٨٥٪ من دخله ...... » .

وتدخل « جمال عبد الناصر » فى المناقشة عند هذا الحد ، وقال (طبقا لصفحة ٤
من المحضر) : « إننى أرجو أن تسمحوا لى أن أتكلم نيابة عن العراق ، فهذه ليست
قضية العراق ، وإنما قضيتنا جميعا . ونحن لا نريد أن نتخذ مواقف تؤدى بنا إلى عقا
أنفسنا . فإذا كانت مواقفنا سوف تؤدى فى النهاية إلى عقاب العراق وإلى عقا
الجزائر ، فنحن بهذا الشكل نكون عاقبنا أنفسنا . »

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يقول (فى صفحة ٨٥ من المحضر) : « إن
أريد أن أضع الحقيقة « على بلاطة » مثلما نقول فى مصر . هناك أزمة بترول موجو
فى أوروبا ، ولكن هذه الأزمة ليست نتيجة لوقف الضخ من أى بلد ، وإنما هى نتي

لإغلاق قناة السويس . فهذا الإغلاق أدى إلى تأخير ٢٠ يوما بالنسبة لعملية الشحن ، كما أن أجور النقل زادت بنسبة كبيرة ، وكذلك رسوم التأمين . وهذا هو سبب الأزمة الحقيقى . الواقع أن الضخ زاد بشدة من ليبيا والسعودية والخليج وإيران . وإذن فليس هناك نقص فى البترول ، وإنما هناك تعطيل فى النقل وزيادة فى التكاليف . ولهذا فإن استمرار العراق والجزائر فى وقف الضخ يصبح عقابا لنا وليس عقابا لأعدائنا . وينبغى البحث عن وسيلة أخرى يستطيع بها البترول أن يؤثر فى المعركة تأثيرا عمليا . »

وقال الرئيس « عارف » إنه « بين الاقتراحات التى نوقشت فى بغداد كان هناك اقتراح بإنشاء صندوق توضع فيه نسبة معينة تخصص لدعم المعركة » . وراح الرئيس « عبد الرحمن عارف » يشرح فكرة الصندوق ، ولكن الرئيس « بومدين » مرة أخرى قاطعه قائلا (طبقا لصفحة ٩٠ من المحضر) : « إنه لا يعتقد أن هذه الفكرة ممكنة . وسوف يستغل بعض الناس هذا الصندوق لكى يقولوا إنهم يخدمون المعركة وهم فى الحقيقة لا يخدمونها . إننا أقسمنا أن لا نغالط شعوبنا . لكنا الآن نمشى فى عملية « تغليط » ولابد من وقف هذا « التغليط » لأنه فى رأيى اتضح أنه ليس هناك تضامن . بعض الناس يقولوا بالتضامن تغطية لمواقفهم ، بينما الواقع أننا كنا وحدنا فى المعركة قبل ٥ يونيو ، وفى ٥ يونيو ، وبعد ٥ يونيو . وأعتقد أننا لابد أن نطرح موضوع البترول بوضوح ولننسف كل بئر وكل أنبوب ، وليذهب البترول كله إلى جهنم إذا كنا فى النهاية سوف نعطيه للأمريكان . »

وكان رأى « جمال عبد الناصر » إنه « بعواطفه مستعد لقبول هذا المنطق ولكنه بعقله لا يقبله . فنحن لا نستطيع أن ننسف كل بئر وكل أنبوب ثم نقف فى الانتظار وسط هذا الحريق الكبير . نحن مطالبون بأن نستعد ونعود لميدان القتال لنحارب ، وهذا يقتضى منا وقتا نستعد فيه وتكاليف ندفعها . »

وتدخل الرئيس « عبد الرحمن عارف » يسأل : « هل ندعو لمؤتمر ثان لوزراء النفط والاقتصاد لنبحث فى أسلوب جديد ؟ » وكان « جمال عبد الناصر » موافقا على هذه الفكرة قبل انعقاد مؤتمر على مستوى القمة ـ وكان الرئيس « بومدين » معترضا عليه .

□

وقال « جمال عبد الناصر » إنه يريد أن ينقل المناقشات إلى موضوع آخر يراه أهم

من موضوع البترول وهو موضوع موقف الاتحاد السوفيتي ، ثم قال : « إذا كنا سوف نتحدث عن ضرورة العودة إلى ميدان القتال وضرورة إقامة توازن دولي حول الأزمة التي نواجهها ، فإن موقف الاتحاد السوفيتي يصبح مسألة مركزية في الصورة كلها . فنحن لن نحارب بدون سلاح ، ولن يكون لنا مصدر للحصول على سلاح غير الاتحاد السوفيتي . ثم أن ظهور وتأكيد موقف الاتحاد السوفيتي إلى جانبنا هو الذي ممكن أن يخلق التوازن الدولي المطلوب للخروج من المشكلة . »

واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول : « والصعوبة التي نواجهها كما رأينا من اتصالاتنا معهم في الأيام الأخيرة أن لهم مصالح في المنطقة يريدون المحافظة عليها ، ويريدون زيادتها في نفس الوقت باستغلال الظروف الطارئة . وأيضا هم في موقف متخلف عن موقف أمريكا . وواضح لنا أن حرصهم شديد ولا يريدون بأي شكل أن يتورطوا . ونحن لا نريدهم أن يتورطوا ولكن نريدهم أن يقفوا وأن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا ، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت كلها في « حضن الأمريكان » فهم أيضا سوف يخسروا موقفهم العالمي كله . »

ثم قال « جمال عبد الناصر » إنه « تلقى قبل أن يجيء إلى الاجتماع رسالة من تيتو ، **وفهم من هذه الرسالة أن هناك ثورة كبيرة داخل الاتحاد السوفيتي وفي أوروبا الشرقية لأن كثيرين يتهمون القيادة السوفيتية بالتخاذل والتردد إزاء الأمريكان . وقد عرف من رسالة تيتو أن زعماء الدول والأحزاب الشيوعية عقدوا اجتماعا ثانيا على مستوى القمة في بودابست ، وأنه في هذا الاجتماع الذي تركز على أحداث الشرق الأوسط تعرض بريجنيف وكوسيجين وبادجورني لحملة شديدة من معظم الزعماء الشيوعيين الآخرين تتهمهم بالاستسلام للأمريكان وتنتقد مسلك كوسيجين في اجتماع جلاسبورو مع جونسون ، وأنه هناك لعب به جونسون بطريقة تؤدي إلى انكشاف موقف المعسكر الشرقي بأكمله . »**

وقال « جمال عبد الناصر » إنه « فكر في اقتراح يريد أن يعرضه « على الإخوان » . واقتراحه هو أن يتوجه الرئيس بومدين مرة أخرى ومعه الرئيس عبد الرحمن عارف إلى موسكو لمقابلة الزعماء السوفيت والطرق على الحديد وهو ساخن . فقد يكونوا الآن في موقف أكثر تقبلا لوجهة نظرنا لأننا في الواقع أشد ما نكون حاجة إلى أسلحة جديدة ومتطورة . »

□

ويوم ١٧ يوليو طار الرئيس « بومدين » والرئيس « عارف » من مطار القاهرة فى طائرة واحدة إلى موسكو . وتوقفا فى الطريق بمطار بلجراد حيث تولى الرئيس « تيتو » إعطاءهما صورة عن وقائع مؤتمر بودابست . ثم واصل الاثنان سفرهما إلى موسكو فاجتمعا بالقيادة السياسية والعسكرية ، وعادا إلى القاهرة مساء اليوم التالى ١٨ يوليو . والتقيا بـ « جمال عبد النّاصر » لاطلاعه على ما توصلا إليه من نتائج .

وقد بدأ الرئيس « بومدين » فقال « **إنهم عرفوا من الرئيس تيتو أن هناك بالفعل انقساما كبيرا فى الكتلة الشرقية . بل إن هناك انقساما كبيرا داخل القيادة السوفيتية نفسها ، فإن شلييين (عضو المكتب السياسى) قاد حملة عنيفة ضد سياسة بريجنيف وكوسيجين وبادجورنى ، وسانده فيها عدد من القادة العسكريين فى الاتحاد السوفيتى . » ثم قال « بومدين » إن « الرئيس تيتو نصحنا بأن نتكلم بشدة مع القيادة السوفيتية دون أن نيأس من ردود فعلهم المباشرة ، فهم سوف يدرسون ما نقوله لهم ويبحثونه مع رفاقهم « بعد أن نمشى » ، وسوف يتفهمون ما قلناه ولكن ببطء ، وهذه عادتهم . ثم قال لنا تيتو إنه لا ينبغى لنا أن ننسى أن الروس لم يدخلوا منذ قرون معارك بالمبادأة ، وأنه تاريخيا لم تدخل روسيا إلاّ حروبا دفاعية . ولذلك فهم دائما يترددون قبل أن يخرجوا من خنادقهم . ولكن عليكم أنتم العرب بمساعدة أصدقائكم أن تخرجوهم من هذه الخنادق ، وأن تطمئنوهم إلى أنكم لن تتهوروا بحيث تعرضوهم لخطر حرب نووية ، فهذا هو الكابوس الذى يقلق منامهم . »**

وقال الرئيس « بومدين » إنه « هو والرئيس عارف بدأوا اجتماعهم مع بريجنيف بأن قالوا له إنهم يريدون مناقشة صريحة بحيث يتمكن الطرف العربى المصمم على تحرير أراضيه من بناء موقفه السياسى والعسكرى . وهم لا يتحدثون عن الموقف العسكرى لمجرد الحرب ، وإنما هم يعتقدون أن الموقف العسكرى مقدمة لا يمكن تجاوزها لبناء موقف سياسى يمكن من الوصول إلى حل . »

ثم قال « بومدين » إنه « بعد هذه المقدمة وجه لبريجنيف سؤالا قال فيه إنه « يريد أن يسأل الرفيق بريجنيف عن الطرف الذى هُزم يوم ٥ يونيو » . وتردد بريجنيف فى الإجابة على السؤال . والغالب أنه احتار فيه . » وقال « بومدين » (طبقا لصفحة ٥٣ من محضر الجلسة الأخيرة من مشاورات القاهرة) :

« إننى قلت له إننى سأجاوب عنه هذا السؤال . وجاوبت . قلت له نحن هزمنا بالجملة . هزمنا هزيمة جماعية نحن وأنتم معنا . لا تقل لى إننا نحن المسؤولون ، لا أريد أن أسمع هذا الكلام . وأود أن أطرح عليك فرضية أخرى :

لو أن إسرائيل كانت هى فى موقف العرب الآن بعد المعركة ، هل تعتقد أن أمريكا كانت ستتصرف كما يتصرف الاتحاد السوفيتى الآن ؟ - هل تتصور أنهم كانوا سيذهبون إلى الأمم المتحدة ويخطبوا فى الجمعية العامة وفى مجلس الأمن ويشغلوا أنفسهم بصياغة قرارات ؟ - أم أنهم كانوا سيتصرفون على نحو آخر ؟ »

وفى صفحة ٥٤ من المحضر كان الرئيس « بومدين » لا يزال يتحدث عن حواره مع « بريجنيف » و « كوسيجين » و « بادجورنى » فى حضور الماريشال « جريتشكو » ، فقال : « أنا التفت إلى جريتشكو وهو جالس بكل ملابسه العسكرية و « كوم » من النياشين فوقها ، وقلت له يا رفيقنا الماريشال حدثنا عن تأثير معركة سيناء على البحر الأبيض المتوسط . نحن أخطأنا - أنتم أخطأتم - هذه مسألة للتاريخ . الآن البحر الأبيض فى خطر . إذا كان الأسطول الأمريكى السادس يستطيع أن يفعل ما فعل فى مصر فما الذى يمنعه أن يكرر نفس الشيء باكر أو بعد باكر مع الجزائر ؟ أنا لست فى حاجة إلى أن ألفت نظرك إلى أن الذى يملك البحر الأبيض بمفرده اليوم سوف ينفرد غدا بالسيادة على أوروبا والشرق الأوسط كله وآسيا وأفريقيا أيضا . التاريخ يعلمنا أن البحر الأبيض هو مفتاح القوة العالمية . وفى هذا الموضع دخل كوسيجين « على الخط » وقال عبارة فيها اسم « إسرائيل » . ولم أنتظر الترجمة وإنما قلت له : لا تذكر لى اسم إسرائيل . فإسرائيل دورها ثانوى فى كل ما حدث ، وسوف أقول لك التعبير الذى جاءنى مكتوبا من الجنرال ديجول وهو قوله بالحرف « المعركة أمريكية والأداء إسرائيلى » . ومرة أخرى أنا لا أبحث فيما جرى ، وإنما أقول لكم بأمانة إنكم بهذه الطريقة سوف تجدون أنفسكم قرب باب الخروج من العالم الثالث كله . أنتم قبل ذلك رجعتم خطوة للوراء فى كوبا ، ورجعتم خطوة للوراء فى سان دومينجو ، ورجعتم خطوة للوراء فى الكونجو ورجعتم خطوة للوراء فى فيتنام ، واليوم حسى يقول لى إنكم ماشيين خطوة للوراء فى الشرق الأوسط ، وهذه هى أهم بقعة فى العالم ، وخطوة فيها للوراء وتخرجون من العالم الثالث كله . »

وقال « بومدين » إن « جروميكو كان قد دخل إلى القاعة أثناء كلامى ، وجلس إلى المائدة ووجدته يتدخل فى الحديث ويقول لى « نحن طلبنا من أصدقائنا العرب أن يعطونا موقفا سياسيا يحددون لنا فيه ما يمكنهم القبول به ، وحتى الآن لم نتلق جوابا على سؤالنا » . وقلت له أنت تريد منى أن أعطيك صيغة تنازلات تنقذ بها وجهك أمام العالم حتى تقول إننى رضيت بهذا وأنك بنيت موقفك عليه . تريد أن تنقذ سمعتك الدبلوماسية على حسابى . يا رفيق

جروميكو إذا كان لابد أن نساوم فلماذا معكم ؟ نساوم أحسن مع الأمريكان . وإذا لم يكن هناك حل غير المساومة على الحقوق ، فلماذا يقبلها جمال عبد الناصر على تاريخه . يمشى إلى بيته أحسن ويترك المجال لمن يستطيع أن يساوم مع الأمريكان . »

ثم قال الرئيس « بومدين » إنه « أكمل محادثاته فى موسكو ولم ينتظر منهم جوابا . فقد خشى إذا ألح عليهم فى جواب سريع ألاّ يكونوا مستعدين بعد ويكون ردهم سلبيا . ولذلك أخذ بنصيحة تيتو ولم يضغط أن ينتظر طلب رد عاجل ، وإنما قال إنه ينصح بدعوة بعض القياديين السياسيين والعسكريين من الاتحاد السوفيتى بعد فترة لمواصلة الضغط عليهم بعد إعطائهم فرصة يستوعبون فيها الحقائق الجديدة . »

ومن موسكو كتب الدكتور « مراد غالب » السفير المصرى لدى الاتحاد السوفيتى ـ بعد انتهاء زيارة الرئيس « هوارى بومدين » والرئيس « عبد الرحمن عارف » ـ تقريرا بخط يده يقول فيه ما يلى :

« تدور فى موسكو الآن مناقشات واسعة النطاق حول المد الأمريكى الواضح والذى فاز فى عدة معارك فى السنتين الأخيرتين على وجه الخصوص . وتتركز هذه المناقشات على الكيفية التى يمكن بها وقف هذا المد الاستعمارى وأين ومتى . وقد وصلت المناقشات إلى مستقبل فيتنام وكوبا والدول المتحررة فى أفريقيا التى تتعرض اليوم لتهديد علنى من جانب الولايات المتحدة بعد كل ما جرى فى الشرق الأوسط ، وتراجع الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى أمام المد الأمريكى تحت ستار خطر الحرب النووية العالمية والإضرار بالتعايش السلمى . وقد وصلت المناقشات إلى الخطة الأمريكية واستراتيجيتها وتكتيكها واعتمادها فى الوقت الحاضر على عنصرين أساسيين :

أ ـ **التلويح بالحرب النووية العالمية** واقتناعهم (الولايات المتحدة الأمريكية) بخوف الاتحاد السوفيتى حتى بمجرد التهديد بها ، وشعورهم بأنه يتفادى مواجهة الولايات المتحدة ، ويتراجع أمام هذه المواجهة بسلسلة من قبول الأمر الواقع أو البحث عن حلول وسط .

ب ـ **بنائها (الولايات المتحدة الأمريكية) لأداة حرب ذات كفاءة عالية تكنولوجية مخصصة للحروب المحلية** . وطالما كانت الحرب النووية أصبحت مستبعدة فهناك إذن إمكانيات الحروب المحلية التى بنت لها الولايات المتحدة استعدادات هائل وحصلت بها على مكاسب مستمرة وفى ميادين مختلفة فى السنتين الأخيرتين .

وقد اتضح أن العدوان الإسرائيلى يخضع لهذا التحليل وينسجم تماما مع الخطة الأمريكية العالمية وحروبها المحلية ، كما أن موقف الاتحاد السوفيتى يخضع للأسف للموقف العام الذى يقفه الاتحاد السوفيتى من تفادى المواجهه والبحث عن حلول وسط ، أو الخضوع للأمر الواقع طالما لا يملك الآن أد الحرب المحلية واستعداداتها على المستوى العالمى .

ولكن من الخطأ تصوير موقف الاتحاد السوفيتى على أنه تراجع أمام المواجهه الأمريكية دون قيد أو شرط . كما أنه من الخطأ أيضا القول بأن الاتحاد السوفيت لا يدرى أين ومتى يقف أمام المواجهة الأمريكية . فالحقيقة أنه ـ ورغم بحثه عن حلو وسط ـ يقف الآن مدافعا عن النظم التقدمية فى العالم العربى ، وعندما واصل التهد الاستعمارى عدوانه لكى يقضى على هذه النظم انبرى له الاتحاد السوفيتى وأوق العدوان .

كذلك تعتبر جهود الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية فى تعويضنا بالأسلحة والمع والمساعدات الاقتصادية ، الخ دليلا على إصراره فى تحدى المواجهة الأمريكية وقرا بأنه آن الأوان للوقوف أمام هذه المواجهة . ولكن يجب ألا يبعدنا هذا الشعور عن الوا والحقيقة ، وهو أن الاتحاد السوفيتى لا يتراجع كلية أمام المواجهة الأمريكية ولكنه لا يق أمامها بصلابة كافية لإرغامها على الانسحاب . ولا يزال يتراجع تراجعا محسوبا المحافظة على أقل خسائر ممكنة وأحسن حل وسط ممكن .

هناك حديثان جريا بينى وبين مازاروف نائب أول رئيس وزراء الاتحاد السوف وعضو المكتب السياسى للجنة المركزية . والثانى جرى بين السفير الجزائرى هنا و الصحفيين الفرنسيين الذين رافقوا بومبيدو (رئيس وزراء فرنسا وقتها) فى زيا لموسكو منذ أيام .

وسأبدأ بحديث الصحفيين ، فقد سألوا السفير الجزائرى عن رأيه فى اجت جلاسبورو ، وعما إذا كان قد سمع عن اتفاق بين كوسيجين وجونسون بخصوص مشكلة الشرق الأوسط . **وأجاب السفير الجزائرى بأن الاجتماع لم يسفر عن**

اتفاقات . وهنا أكد الصحفيون الفرنسيون أنهم قد سمعوا الآتى :

أ - إن هناك اتفاقا قد حدث بين الاثنين لحل القضية .

ب - إن ملخص الاتفاق هو أن على جونسون أن يعمل لكى تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية .... وعلى كوسيجين أن يعمل على إقناع العرب بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف بوجودها .

أما عن حديثى مع مازاروف فقد انصب على التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى . وقد ذكر مازاروف أن الصعوبة الحقيقية فى رفع مستوى هذا التعاون إلى درجة تسمح للاتحاد السوفيتى بالوصول فعلا إلى حد الاشتراك فى الدفاع ، هو عدم وجود حدود مشتركة بين الدولتين . **وتقديرى (تقدير السفير « مراد غالب ») أن مبعث ذلك هو أن الاتحاد السوفيتى لا يملك وسائل مواجهة الولايات المتحدة على الصعيد العالمى وتقديم المساعدة العسكرية بالسرعة والحجم والنوع اللازمين إذا ما تعرض أصدقاؤه لعدوان من قبل الولايات المتحدة مباشرة أو عن طريق إسرائيل .**

وأشعر أنه توجد الآن ظاهرة وأصوات إيجابية أخذت ترتفع فى الاتحاد السوفيتى وغيره من دول المعسكر الشرقى لدراسة مشكلة إيقاف المد الأمريكى ورده على أعقابه فى المستقبل القريب ، وأعتقد أن النية جادة فعلا الآن لعمل خطة وتجهيزات عسكرية وتكنولوجية لهذا الغرض لأنهم شعروا أن الموقف أصبح خطيرا . »

وبعد قليل عاد الدكتور « مراد غالب » يبعث بتقرير جديد من موسكو قال فيه :

« دعيت مالك نائب وزير الخارجية ، وأوليانوفسكى نائب رئيس لجنة العلاقات الخارجية باللجنة المركزية ، وتشيبورنى مدير إدارة الشرق الأوسط بوزارة الخارجية على عشاء بالسفارة يوم الاثنين الماضى ٢١ الجارى . وقد بدأت حديثى معهم بالإشارة إلى محاولاتهم فى مرحلة سابقة لدفعنا نحو تدعيم النظام الموجود فى سوريا رغم أننا قلنا لهم وكررنا أن هؤلاء لا يمثلون إلاّ أقلية . ثم عادوا فجأة الآن يحذروننا منهم ويقولون إنهم متطرفون وغير واعين .

ثم انتقلت فحدثتهم عن تصرفاتهم خلال المعارك ، وقلت لهم إن من يحذرنى من توجيه ضربة لعدوى مسؤول أن يمنع عدوى من توجيه ضربة لى . وهذه مسؤولية لا يستطيعون التملص منها . وقد سألتهم أن يردوا علىّ بأمانة عن معلوماتهم عن خفايا الهجوم الإسرائيلى يوم ٥ يونيو ، وبدا عليهم الحرج الشديد من هذا السؤال ولم يجاوبوا عليه حتى الآن . وشرحت لهم موقفهم المؤسف من

التسليح قبل العدوان ، وحبسهم قطع الغيار عنا خصوصا قطع غيار الطائرات ، وتلكؤهم فى تنفيذ المطلوب ، ومحاولتهم المتعمدة لإضعاف تسليحنا وتثبيتنا فى سياسة دفاعية ضعيفة . كذلك تناولت طلبنا للطائرات أثناء المعركة .

وقلت إننى لا أعود إلى الماضى فى حد ذاته ، ولكنى أعود إليه لأن بعض مظاهره مازالت مستمرة . وانتهزت الفرصة وأثرت موضوع الخبراء العسكريين ومطالبتنا بمبلغ ٢٠ مليون روبل - أى ٨ مليون جنيه . وقد اندهشوا كثيرا من ضخامة المبلغ ولم يصدقوه ، فلما أكدت لهم ذلك قال أوليانوفسكى « **لابد وأن يكون المبلغ هو ٢ مليون روبل » - أى ٨٠٠ ألف جنيه - ووعدوا بمكالمتى تليفونيا فى اليوم التالى ، ولكنهم لم يردوا .**

وتناولت أيضا موضوع المساعدات الاقتصادية ، وبينت لهم تفاهتها وبعدها عن لفظ مساعدات . فالكميات قليلة جدا ، وشروط الدفع خلال سنتين فقط وليس بعد سنتين - بينما رومانيا أعطتنا ثلثين كمية القمح التى أعطاها السوفيت والدفع خلال خمس سنوات .

وقد تطرقوا أثناء الحديث للموقف الداخلى لدينا . وكان تركيزهم على شخصين بالذات تركيزا عنيفا ، وهما :

أ - السيد المشير عبد الحكيم عامر ومن حوله من الضباط السابقين .
ب - السيد محمد حسنين هيكل . وكان استياؤهم من مقالاته لا حدود له . ولم يعجبهم الحوار المفتوح عن المعركة الذى بدأه فى « الأهرام » وتساءلوا عن رضاء السيد الرئيس عن هجومه المستمر على الاتحاد الاشتراكى فى مقالاته ، فأبلغتهم بأن سيادة الرئيس يترك الحرية المطلقة لظهور جميع الآراء والاتجاهات والاستفادة منها - ورأى الشعب فيها ، الخ .

وقبل قيامهم أشرت إلى نقص الأسلحة كما وكيفا التى أمدونا بها أخيرا . وتساءلت عما إذا كان هذا يدخل فى إطار ما تنادى به الولايات المتحدة من ضرورة تحديد أو حظر تسليح المنطقة . وهنا انفجر مالك يدافع عن الاتحاد السوفيتى « المسكين » « المفترى عليه » الذى يتهم بالتآمر مع الولايات المتحدة - وتساءل عما إذا كان كوبرى التسليح الجوى بين موسكو والقاهرة بعد العدوان مباشرة يدخل ضمن الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية أيضا .

وأخيرا اتفقنا على أهمية المصارحة والمكاشفة ومزيد من الثقة بين

الطرفين وأهميتها فى هذه المرحلة ، وأهمية اللقاءات على أعلى المستويات فى تدعيم الصداقة والتعاون الحقيقى بين البلدين . »

□

وكان « جمال عبد الناصر » يشعر من هذا كله أن الاتحاد السوفيتى بدأ يفكر جديا فى خطورة الموقف فى الشرق الأوسط . وطرح للبحث إمكانية دعوة « بريجنيف » إلى زيارة مصر ، أو إمكانية ذهابه هو بنفسه إلى موسكو بقصد تحديد وتثبيت وتطوير موقف الاتحاد السوفيتى . وكان تقديره أنه لا يجب الإقدام على أى خطوة من هاتين الخطوتين قبل انعقاد مؤتمر قمة عربى لكى يكون لقاؤه مع القادة السوفيت تاليا لترتيب موقف عربى موحد ، وهذا يعطيه بالتأكيد قوة أكبر .

لم يكن السوفيت وحدهم هم الذين اعتراهم القلق بشأن موقف المشير « عبد الحكيم عامر » . فالحقيقة أن المشير لم يكن قادرا على ضبط أعصابه أو تصرفاته عندما وجد نفسه بعيدا عن أى سلطة ، وأكثر من ذلك معرضا فى موقفه ومكشوفا بسبب ظروفه الخاصة . كما أن عددا من الضباط الذين أحيلوا للاستيداع نتيجة لظهور قصورهم الفادح فى ظروف المعركة ، تصوروا أنهم يستطيعون الاعتماد عليه فى حمايتهم واستعادة مواقعهم السابقة . وهكذا فإنهم بدل أن يذهبوا إلى بيوتهم ساكتين فى انتظار نتائج التحقيقات الجارية فى القوات المسلحة ، ذهبوا إلى بيته وأقاموا فيه . ويوما بعد يوم أصبح بيت المشير فى الجيزة حصنا خارجا على السلطة فى الوطن .

وخلال الأسبوع الثانى من أغسطس ١٩٦٧ حضر « جمال عبد الناصر » مؤتمرا عسكريا لهيئة أركان الحرب لبحث الأوضاع على الجبهة . وكان مؤدى ما سمعه هناك أن هذه الأوضاع تماسكت ، وأن خطط « القيادة والسيطرة » تؤدى دورها ، كما أن عمليات التدريب ماضية بجهد خارق للعادة يستميت فيه الضباط من كل الرتب وكذلك مئات الألوف من الجنود .

وأثناء خروج « جمال عبد الناصر » من أحد اجتماعات المؤتمر وهو يشعر لأول مرة بنوع من الارتياح ، اقترب منه الفريق « عبد المنعم رياض » وقال له إنه « يريد أن يلقاه على انفراد لخمس دقائق ، ويطلب تحديد موعد له » . ورد « جمال عبد الناصر » على الفريق « رياض » مقترحا عليه أن « يدعوه الآن على فنجان قهوة فى مكتبه ويتحدثان فيما يراه » . وبالفعل استأذن « جمال عبد الناصر » من الذين كانوا محيطين به مودعين أثناء خروجه من القيادة ، وذهب مع الفريق « عبد المنعم رياض » إلى مكتبه .

وعندما دخل الاثنان مكتب رئيس هيئة أركان الحرب كان التحرج واضحا على ملامح « عبد المنعم رياض » ، وقال للرئيس وصوته يختلج « إنه فوجىء بدعوته للحديث بهذه السرعة ، وهو لا يعرف ماذا يقول أو كيف يقوله » . وأخيرا غالب تردده وقال : « **إن موضوع المشير يثير قلقه ، فقد أصبح بيت الجيزة مشكلة صعبة على الجميع . فالمشير هناك يحيط به عدد من الضباط المحالين للاستيداع والمطلوبين للتحقيق ، وهم يقومون بعملية « شوشرة » كبيرة تؤثر على الضبط والربط فى القوات المسلحة ، خصوصا وأن هناك من يتوهمون أن المشير سوف يعود مرة أخرى إلى قيادة الجيش . وهو (أى الفريق « رياض ») أول من يعرف حساسية هذا الموضوع . وقد منع نفسه أكثر من مرة من إثارته . والموضوع المستجد الآن أن لجان التحقيق أوشكت على الانتهاء من تقريرها المبدئى بشأن ما جرى فى القوات المسلحة قبل وبعد الضربة الجوية . ومن المؤكد أن هذا التقرير سوف يمس كثيرين ويستدعى سماع أقوالهم وإحالة بعضهم إلى المحاكمة العسكرية . وقد فكر فى زيارة المشير عبد الحكيم عامر بنفسه والتحدث إليه كعسكرى لعسكرى A Soldier To A Soldier**» .

واستمع « جمال عبد الناصر » إلى كل ما قاله الفريق « عبد المنعم رياض » ثم قرر أنه هو الذى سيذهب بنفسه لزيارة « عبد الحكيم عامر » فى بيته ، وهو الذى سيتحدث إليه . وكان هناك من عارضوا ذهاب « جمال عبد الناصر » إلى بيت « عبد الحكيم عامر » على أساس أن هناك عناصر فيه لا تضمن تصرفاتها ، كما أن البيت مزدحم بأنواع كثيرة من الأسلحة والذخائر إلى درجة جعلت من بدرومه ترسانة سلاح . ورغم هذه المعارضة اتصل « جمال عبد الناصر » بالمشير قائلا له إنه سيمر عليه فى بيته .

وبالفعل ذهب إلى زيارته (١) وحاول أن يبصره بعواقب تصرفات غير

---

(١) طلب منى الرئيس « جمال عبد الناصر » أن أذهب معه فى هذه الزيارة . وكان رأيه أننى حضرت لقاءهما الأول بعد المعركة ، كما أننى كنت قد ذهبت مرة إلى مقابلة المشير فى قريته « أسطال » عندما ذهب إليها وأقام فيها بعض الوقت فى أواخر شهر يوليو .

مسؤولة يقوم بها هو ، كما يقوم بها بعض المحيطين به والمتحصنين فى بيته . وكان رد « عبد الحكيم عامر » أنه « لم يبدأ بغلط ولكن الآخرين هم الذين غلطوا . فهناك قوات بوليس تحيط ببيته وسيارات تراقب الداخلين والخارجين منه كما أنه شعر أن تليفوناته تحت الرقابة ، كما أن هناك ملاحقة لناس لا ذنب لهم إلاّ أنهم محسوبين عليه » . وقال « جمال عبد الناصر » إنه « ليس مستعدا أن ينكر أن شيئا من ذلك حدث ، فهناك أجهزة فى الدولة مهمتها أن تتابع أية أعمال يمكن أن يكون لها أثر سلبى على البلد فى ظروف من نوع ما نعيش فيه الآن . وهو على أى حال مستعد لبحث أية إجراءات تضايق المشير إذا كان على استعداد لأن يتعهد له بطريقة قاطعة بأن يكون مسؤولا عن الضبط والربط فى بيته ، وأن يطلب إلى هؤلاء الذين اعتصموا فيه أن يخرجوا إلى بيوتهم ، وأن ينصح المطلوبين للتحقيق بأن يقدموا أنفسهم إلى الجهات التى تطلبهم . »

وغضب « عبد الحكيم عامر » معتبرا أن ما طلب منه ماس برجولته . وبعد ربع ساعة من الحديث بدا أن الزيارة من أساسها لم تكن فكرة صائبة لأن واقع الأمور تجاوزها . وقبل أن يخرج « جمال عبد الناصر » قال لـ « عبد الحكيم عامر » إنه « **يريده أن يفكر مرة أخرى على مهل ، فالبلد ليس ملكا لجمال عبد الناصر ولا لعبد الحكيم عامر . ويكفى ما جرى ، وليس هناك داع لأن نجعل أنفسنا « فرجة » أمام الناس .** »

□

وفى ذلك الوقت كان اللواء « حسن البدرى » قد أعد تقريرا أوليا بدراسة لأوضاع القيادة العسكرية فى ظروف الحرب . وقد بدأه بقوله « **إن كثيرين من الذين وضعوا فى مراكز القيادة العليا كانوا فى الواقع « جنودا من الشيكولاته » [٢] (يقصد أن يقول إنهم مثل تماثيل الجنود المصنوعة من حلوى السكر) ولم يكونوا صالحين للقيادة .** » **وربما كان من أبرز ما يلفت النظر فى تقرير اللواء « البدرى » هو ما توصل إليه من أن إسرائيل استطاعت أن تضع فى أرض المعركة عددا من القوات أكبر من مجموع ما وضعته الدول العربية كلها . فقد استطاعت التعبئة العامة بنصف مليون جندى[٣] ، فى حين أن العرب على جميع الجبهات لم يعبئوا أكثر من ٣٥٠ ألفا من المقاتلين .**

---

(٢) تعبير «chocolate soldier» تعبير انجليزى مشهور ، ولعل اللواء « حسن البدرى » تذكره من أيام دراسته العسكرية فى بريطانيا .

(٣) كان ذلك ما جعل « جمال عبد الناصر » يقرر استراتيجية « جيش المليون » وكان هذا هدفا قارب التحقيق فعلا قبل ١٩٧٣ .

وفى نفس الوقت كانت بعض لجان التحقيق وخصوصا فى الطيران قد أعدت تقديراتها المبدئية عن سلوك قيادة الطيران فى ظروف المعركة . وكان باديا أن الظروف سوف تفرض إجراءات يتزايد ضغطها على أعصاب « عبد الحكيم عامر » . وطلب « جمال عبد الناصر » من السيد « أنور السادات » أن يذهب ومعه وزير الداخلية السيد « شعراوى جمعة » إلى مقابلة المشير ، وإحاطته علما بما سوف يتخذ من إجراءات قبل أن يفاجأ بها ويستغلها أحد فى دفعه إلى ما يصعب تداركه .

وذهب الاثنان فعلا إلى مقابلة المشير فى بيته ، وعاد « أنور السادات » إلى « جمال عبد الناصر » يقول له **إن المشير هاج وماج وحذر من أى مساس برجاله ، وأنه أصبح واثقا الآن من أن مؤامرة ضده تستهدف وضع المسؤولية كلها عليه » . وذكر « أنور السادات » أنه قال للمشير « إن الموضوع ليس موضوع مسؤولية على أحد ، فإن جمال عبد الناصر أعلن أمام كل الناس أنه هو المسؤول عن كل ما جرى ، ولا يعقل أن يقول لهم هذا بالأمس ثم يجىء اليوم ليقول لهم إنها مسؤولية عبد الحكيم عامر . وأن الرسالة التى حملها له جمال عبد الناصر لينقلها إلى المشير هى فقط كلمة « اتق الله فى البلد » . »**

والحقيقة أن « عبد الحكيم عامر » ـ بظروفه العامة والخاصة ـ لم يعد فى وضع يسمح له بسماع أى نصيحة . كما أن عملية تحريضه كانت تتزايد وتشحنه مستخدمة فى ذلك جراح كبريائه ، وجراح إحساسه بالإحباط ، وظروف تكوينه النفسى ، بل إنه حتى مزاياه الإنسانية والعاطفية أصبحت فريسة لهؤلاء المستغلين .

ويوم ١٩ أغسطس تلقى « جمال عبد الناصر » تقرير معلومات من المخابرات العسكرية أثار قلقه . فقد كان التقرير يقول إن بعض المحيطين بـ « عبد الحكيم عامر » قد رسموا خطة لذهابه إلى الجبهة . وهناك يتخذ طريقه إلى مقر المنطقة الشرقية ويعلن عودته إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، ويتفاوض مع « جمال عبد الناصر » من موقع قوة على ترتيبات جديدة « تحفظ حقه » . وكان رأى هؤلاء أن وجود المشير فى بيته فى الجيزة يجعله فى الواقع أسيرا لأجهزة الأمن مهما فعل ، وأما إذا استطاع أن يضع نفسه وسط القوات المسلحة فإنه سيكون فى مركز قوته الطبيعى . وكان التقرير يقول إن « عبد الحكيم عامر » فى البداية كان مترددا ، ثم بدأ يميل إلى الاقتناع ، وإن لم يصل بعد إلى رأى قاطع !

ثم بدأت التقارير توحي بما يفيد أن « عبد الحكيم عامر » أصبح ميالا للفكرة إذا استطاع بعض أنصاره أن يجسوا له النبض بين قوات الجبهة . **كما أن السيد « شمس بدران » الذى أقام هو الآخر فى بيت المشير فى تلك الظروف أكد له أن « جمال عبد الناصر » سوف يقبل شروطه لعدة أسباب من بينها أن الرئيس سوف يكون حريصا على المحافظة على وحدة الجيش فى حالة الحرب ، ثم أنه بمعرفته به « يعرف تخوفه الدائم من سفك الدماء » ، وأيضا لأنه سيضطر إلى المحافظة على المظاهر بأى ثمن بينما هو يستعد لحضور مؤتمر قمة عربى أعلن عنه فى الخرطوم . بل إن أحد الآراء المقترحة على المشير ـ والتى ورد ذكرها فى تقرير المعلومات ـ استحسن أن يكون توقيت ذهاب المشير إلى الجبهة بحيث يتوافق مع وجود « جمال عبد الناصر » فى الخرطوم .**

ويوم ٢٤ أغسطس دعا « جمال عبد الناصر » كل الباقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وهم السادة « زكريا محيى الدين » و « أنور السادات » و « حسين الشافعى » وطرح عليهم ـ بوصفهم أصدقاء ورفاق مسيرة ـ ما وصله من معلومات . **واستقر رأى الجميع على أن هذا الموقف أصبح خطرا على سلامة الجيش والوطن ، وأنه من الضرورى منع « عبد الحكيم عامر » من التورط فى أكثر مما تورط فيه .**

□

وبعد ظهر يوم ٢٦ أغسطس اتصل « جمال عبد الناصر » بالمشير « عبد الحكيم عامر » ودعاه إلى مقابلته فى بيته . ومن الصعب معرفة ما دار فى رأس « عبد الحكيم عامر » ، وبينه وبين الذين كانوا يعتصمون فى بيته ، من آراء وتصورات . والأرجح أنهم ظنوا أن « جمال عبد الناصر » بدأ يشعر بضغوطهم ، ومن ثم فقد أصبح الآن على استعداد لعقد صفقة . وهكذا ذهب المشير إلى بيت « جمال عبد الناصر » ومعه أربعة من ضباط الصاعقة السابقين يتولون حراسته .

ودخل « عبد الحكيم عامر » إلى صالون البيت ووجد « جمال عبد الناصر » ومعه السادة « زكريا محيى الدين » و « أنور السادات » و « حسين الشافعى » . وبدا عليه أنه فوجىء بوجود هؤلاء جميعا . فقد كان فيما يبدو يتصور حديثا منفردا ، ولكنه الآن وجد شهودا . وكان تعليقه الأول أن قال محاولا الابتسام « **هل هى محاكمة والاّ ايه ؟ » ـ ولم يشاركه أحد فى ابتسامته ، وأحس أن الجو جاد بأكثر مما قدر . وطلب إليه ، جمال**

عبد الناصر » أن يجلس ، وجلس . وراح « جمال عبد الناصر » يصارحه بكل ما بدا منه من تصرفات .

□

وفى نفس الوقت الذى كان فيه هذا المشهد المثير يقع فى بيت « جمال عبد الناصر » ، كان هناك مشهد آخر لا يقل عنه إثارة يقع فى بيت « عبد الحكيم عامر » فى الجيزة . فقد وصل إلى هناك الفريق أول « محمد فوزى » والفريق « عبد المنعم رياض » ومعهما عدد من السيارات المصفحة ، ثم بعث الفريق « فوزى » بأحد ضباطه إلى داخل بيت المشير يطلب من كل من فيه إلقاء سلاحهم وتسليمه لأن لديه أوامر بذلك ، وسوف يقوم بتنفيذها مهما اقتضى الأمر ، وعليهم مراعاة الانضباط العسكرى ودواعى الوطنية ، وضرورات سلامة أسرة المشير التى مازال بعض أفرادها يسكنون فى البيت .

ومضت دقائق من التوتر العنيف ، وعندما اقتربت المصفحات من البيت متخذة وضعا هجوميا ، أثر كل من فيه الاستسلام . ودخل الفريق أول « محمد فوزى » والفريق « عبد المنعم رياض » وأشرفا على جمع السلاح من بدروم البيت وعلى استسلام ٦١ فردا من المسلحين المقيمين فيه . والغريب أنه كان بين سلاحهم خمسة من مدافع « آر . بى . جى » . المضادة للدبابات ، و ٢٤٠ قطعة سلاح من مختلف الأنواع ، و ١١ صندوقا من القنابل اليدوية المتفجرة والحارقة ، و ٢٧ صندوق ذخيرة .

وكان أعجب ما جرى العثور عليه فى بيت المشير مشروع البيان الذى كان يعتزم إلقاءه عن طريق محطة إذاعة تابعة للقوات المسلحة فى الاسماعيلية . وكان البيان مكتوبا على الورق الرسمى للمشير - وعلى الأرجح بخط يده - ومكونا من خمس صفحات ، وهو يبدأ بعبارة « عبد الحكيم عامر يتحدث إليكم » [٤] . ولوحظ أن هناك شطبا على الكلمتين الثالثة والرابعة فى العبارة ، ولكن قراءتها ممكنة خصوصا من ظهر الورقة !

□

لم يستطع « عبد الحكيم عامر » أن يتمالك أعصابه ليسمع ما يقال له حتى النهاية . وهكذا انتفض قائلا إنه « لو كان يعرف أن الأمر بهذا الشكل لما جاء » . ثم قال إنه ذاهب إلى بيته . واتجه بالفعل إلى باب الصالون الذى دار فيه الاجتماع ، وفتح الباب ،

---

(٤) صورة البيان بخط يد المشير منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٤٥) صفحة ١٠٨١

الباب ، وفوجىء بوجود مجموعة من ضباط الحراسة المسلحين . فتراجع عن الباب قائلا « كده » ، ثم ما معناه « أنها إذن مؤامرة لقتله » . وفى هذه اللحظة قام « جمال عبد الناصر » قائلا له « إنه قرر تحديد إقامته فى بيته ، وقد جرى الآن تنظيف هذا البيت وخرج منه كل المحرضين وكل المتربصين بالسلاح ، كما أن السلاح تم نقله خارج البيت » .

وانهار « عبد الحكيم عامر » وجلس على مقعد فى الوقت الذى غادر فيه « جمال عبد الناصر » القاعة تاركا الجميع فيها . والحقيقة أن المشهد كان عنيفا لدرجة خشى معها أن تتأثر أعصابه لأن « عبد الحكيم عامر » بدأ يصرخ ثم يبكى ثم يحاول أن يجرى ، ثم يعود مرة أخرى إلى حيث كان . وحاول من غرفة الصالون أن ينادى حراسه بصوت عال ، ولم يجبه أحد لأن الأربعة كانوا قد جردوا من سلاحهم ووضعوا تحت التحفظ .

وكان أكثر ضيق « جمال عبد الناصر » أنه اضطر إلى هذه الإجراءات فى بيته ، وقد اختار ذلك لأن أى خيار آخر كان يمكن أن يؤدى إلى مضاعفات غير مقبولة .

وعندما أحس « عبد الحكيم عامر » أنه لم تعد هناك فائدة بدأ يستسلم . ثم راح يتحدث بنوع من الهدوء المشوب بالذهول قائلا إنه « ليس فى يده الآن شىء » . ولوهلة بدا التفاهم معه ممكنا ، وبدأ السيد « زكريا محيى الدين » يحدثه « بالعقل » فى عواقب تصرفاته . وكان يبدى الاستماع . وطال حديث الكل إليه لأكثر من ساعة ، ثم طلب أن يذهب إلى الحمام . وذهب إلى الحمام بالفعل ومعه السيد « أنور السادات » . وغاب فى الحمام دقيقتين ، ثم خرج وفى عينيه نظرة غريبة ، ثم مشى مع « أنور السادات » عائدين إلى الصالون حيث كان ينتظرهما السيدان « زكريا محيى الدين » و « حسين الشافعى » ، ثم قال للكل : « بلغوا الرئيس جمال أننى « حليت له » مشكلة عبد الحكيم عامر . » ثم فاجأهم بقوله « إنه ابتلع سما وأنه سوف يموت فى ظرف دقائق » . وارتمى على أحد المقاعد وكأنه ينتظر سريان مفعول السم . وهجم عليه السيد « أنور السادات » يحاول استخراج شىء من فمه كان يبدو أنه يلوكه . وسارع السيد « زكريا محيى الدين » لطلب أطباء الرئاسة الذين جاءوا مسرعين . وسمع الرئيس « جمال عبد الناصر » وهو فى الدور العلوى من بيته بما يجرى فى الدور الأول . ونزل مسرعا إلى حيث كان الجميع ، وسمع بما جرى بينما كان ثلاثة من الأطباء قد أخذوا المشير إلى الحمام لمحاولة إسعافه بغسيل للبطن إذا اقتضى الأمر .

ولم يلحظ الأطباء أى عرض من أعراض السموم ، ومع ذلك فقد بقوا مع « عبد الحكيم عامر » يساعدونه بالأدوية حتى مرت ساعات تأكد فيها أن أحواله الصحية طيبة . وكان ترجيحهم أن كلامه عن سموم تناولها كان نوعا من محاولة التأثير النفسى على الآخرين أكثر من أى شىء آخر . (٥)

بعد ذلك تقرر إعداد بيان رسمى بوقائع ما جرى وما دعى إليه ، جاء فيه :

« اتخذت مجموعة من الإجراءات بينها تحديد إقامة المشير عبد الحكيم عامر فى بيته ، والتحفظ على السيد شمس بدران وزير الحربية السابق ، وكذلك التحفظ على بعض المحيطين بالمشير عبد الحكيم عامر وبينهم عدد من العسكريين والمدنيين فى وقائع نسبت إليهم . وقد جرت التطورات على النحو التالى :

١ ـ بعد النكسة التى واجهها العمل العربى تحمل الرئيس جمال عبد الناصر أمام الجماهير وباعتباره المسؤول الأول تبعات كل ما وقع . وأعلن قراره بالتنحى عن رئاسة الجمهورية وعن كل عمل سياسى . وكان ذلك بتاريخ ٩ يونيو الماضى . ولكن جماهير الشعب وجماهير الأمة العربية وقفت موقفا قاطعا وطلبت من الرئيس جمال عبد الناصر أن يبقى فى موضع المسؤولية ، وأن يواصل قيادة العمل لإزالة آثار العدوان .

٢ ـ اعتبر الرئيس جمال عبد الناصر بمقتضى هذه المسؤولية أن ضرورات المصلحة الوطنية والقومية تتطلب إجراء تغييرات فى قيادة القوات المسلحة . وفى هذه الفترة ورعاية للمشير عبد الحكيم عامر فإن الرئيس جمال عبد الناصر عرض عليه أن يبقى فى السلطة كنائب أول لرئيس الجمهورية ، ولكن المشير عبد الحكيم عامر لم يقبل هذا العرض ، وطلب أن يبقى أيضا قائدا للقوات المسلحة ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر كان من رأيه أنه من الضرورى أن تترك القيادة الفعلية للجيش لعناصر جديدة أتيحت لها الفرصة لتحصيل العلوم العسكرية المتقدمة ،

---

(٥) من سوء الحظ أن المشير « عبد الحكيم عامر » تمكن بعد ذلك من تنفيذ تهديده بالانتحار يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ ، وكان فى استراحة فى منطقة الأهرام نقل إليها من بيته بعد أن تبين أن تحديد إقامته فيه لم يمنعه من مواصلة تحركاته واتصالاته رغم أنها أصبحت أكثر صعوبة .

والواقع أن انتحار المشير « عبد الحكيم عامر » فعلا قصة مثيرة تستحق الإفاضة والتفصيل ، ولكن هذا الكتاب يتعرض بالدرجة الأولى للصراع على الشرق الأوسط وفيه وما يمسه بطريق مباشر أو غير مباشر . وربما يحين دور الكلام تفصيلا عن وقائع انتحار المشير عند الكتابة عن السياسة الداخلية فى مصر خلال تلك السنوات الحافلة .

ولكن المشير عبد الحكيم عامر بقى مصرا على أن يتولى كل السلطات التى كان يتولاها قبل النكسة .

٣ ـ وعندما صدر القرار بإحالة عدد من القادة السابقين إلى التقاعد وتعيين قيادات جديدة ، فإن المشير عبد الحكيم عامر لم يتقبل هذه الإجراءات باعتبارها أمرا تحتمه المصلحة الوطنية والقومية ومقدرة القوات المسلحة فى وقت عصيب تتطلب فيه الأمة العربية من كل فرد من أفرادها أن يؤدى واجبه إلى أقصى طاقته سواء كان داخل القوات المسلحة أو خارجها .

٤ ـ ثم تعقدت الأمور أكثر عندما تقرر التحقيق مع بعض القادة العسكريين ، خصوصا فى القوات الجوية لتحديد مسؤولياتهم باعتبار أن ما حدث من قيادة القوات الجوية كان بين أبرز الأسباب فى وقوع النكسة على النحو الذى وقعت به ، وذلك برغم أن قيادة القوات الجوية فى ذلك الوقت تلقت التنبيه تلو التنبيه بأن العدو على وشك القيام بضربته ، وأن ضربته الأولى سوف تكون موجهة إلى القوات الجوية .

٥ ـ وقد حدث أن بعض الضباط الذين طلب التحفظ عليهم فى تلك الظروف ذهبوا إلى بيت المشير عبد الحكيم عامر ، وبقوا فيه برغم قرارات صادرة بالتحفظ عليهم .

٦ ـ وساعد على تأزيم الجو أن بعض العناصر الانتهازية التى ثبت فسادها بدأت تؤدى دورا خطيرا فى تغذية فتنة كان يمكن أن تضر بالوطن فى ظرف مؤلم بالنسبة للجميع .

٧ ـ وكان من الظواهر المؤسفة فى ذلك الوقت أن بدأ بيت المشير عبد الحكيم عامر يتحول إلى ترسانة سلاح ، كما أن بعض المحيطين به أنشأوا حرسا خاصا جاءوا بأفراده من مزرعة أحد أشقاء المشير عبد الحكيم عامر ، الأمر الذى بدا معه وكأن هناك مركزا وسط العاصمة خارجا على سلطة الدولة .

٨ ـ وفى ذلك الوقت وجد الرئيس جمال عبد الناصر من واجبه أن يشرح خطورة الموقف للمشير عبد الحكيم عامر مؤكدا على أن سلامة الوطن والقوات المسلحة لها الأولوية على أى اعتبار آخر ، ولهذا الغرض ذهب الرئيس جمال عبد الناصر بنفسه إلى مقابلة المشير عبد الحكيم عامر فى بيته ، كما أنه دعاه أكثر من مرة إلى لقائه وتحدث إليه فى خطورة ما يجرى وعواقبه .

٩ ـ وتوافرت بعد ذلك معلومات مؤكدة تشير إلى أن المشير عبد الحكيم عامر وبعض المحيطين به يقومون بنشاط مؤثر على صالح الشعب والدولة والقوات

المسلحة ، إلى درجة أن عددا من الضباط الذين جرى الاتصال بهم وجدوا لزاما عليهم إبلاغ السلطات الرسمية المسؤولة به .

١٠ ـ وحيال ذلك كله ، وبعد انتظار طويل ومرهق للأعصاب فلقد كان لا بد من وضع حد حاسم لهذا الموقف ، ولذلك فإن الرئيس جمال عبد الناصر دعا المشير عبد الحكيم عامر إلى مقابلته وواجهه بكل الوقائع ، وبينها ما أبلغ عنه ضباط من القوات المسلحة ، وكانت هذه المواجهة أمام السيد زكريا محيى الدين نائب الرئيس والسيد حسين الشافعى والسيد أنور السادات ـ كما شرح له خطورة مثل هذه التصرفات على الموقف كله ـ وأبلغه بأنه قرر آسفا وحزينا تحديد إقامته ، كما أنه أمر بالقبض على المطلوبين للتحفظ ممن كان يحميهم وأمر بمصادرة كل السلاح المكدس فى بيته ، كما أنه أمر بالتحقيق فى الوقائع المتصلة بهذا كله .

وبعد إتمام هذه الإجراءات كلها اتسع نطاق التحقيق ، وتأكد من الوثائق والاعترافات أن المشير عبد الحكيم عامر وبعض المحيطين به وضعوا خطة تحقق له العودة إلى قيادة القوات المسلحة ، وكانت الخطة تتسم بالمغامرة وتشكل أضرارا خطيرة كان يمكن أن تحدث آثارا بعيدة على الوضع العام كله .

وكان ملخص الخطة ـ التى كان مقررا تنفيذها يوم ٢٧ أغسطس الأخير ـ أن يذهب المشير عبد الحكيم عامر والسيد شمس بدران ومعهم بعض المحيطين بالمشير إلى مقر القيادة الشرقية وهناك يتولى ـ بمساعدتهم وتحت تظاهر أن قرارا رسميا صدر بإعادة تعيينه ـ قيادة هذه القوات ، ومن هذا الموقع يبعث إلى الرئيس جمال عبد الناصر بمجموعة من المطالب بينها أن يثبت تعيينه نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة ، وأن يوقف التحقيقات التى تجرى لتحديد مسؤولية بعض القادة السابقين . »

□

ووصل إلى بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » كل من الفريق أول « محمد فوزى » والفريق « عبد المنعم رياض » للإبلاغ بإتمام المهمة التى قاما بها فى بيت المشير . وطلب « جمال عبد الناصر » إلى الفريق « عبد المنعم رياض » وهو يعرف عواطفه الودية تجاه المشير أن يصحبه بنفسه إلى بيته ، وأن يتأكد من إجابة أية طلبات يمكن أن تخطر له أو للأسرة . وسار « عبد الحكيم عامر » ساكتا بجانب « عبد المنعم رياض » متوجهين إلى سيارة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة . وكان « جمال عبد الناصر » يتابع المشهد والدموع تجول فى عينيه ، وإحساسه أن مثل هذه المشاهد تحدث فى المآسى الإغريقية

وعلى المسارح وليس فى الحياة العادية للناس سياسيين كانوا أو غير سياسيين . وكان المشهد بالفعل مؤلما وحزينا .

وفى السيارة - وطبقا لما رواه الفريق « عبد المنعم رياض » - ظل المشير ساكتا معظم الطريق من بيت « جمال عبد الناصر » إلى بيته . ثم نظر فجأة إلى الفريق « عبد المنعم رياض » وسأله بصوت كسير : « **هل يرضيك ما حدث ؟ » ورد عليه « عبد المنعم رياض » وهو يغالب تأثره قائلا : « سيادة المشير ، اتركنا نحارب » .**

بعد أيام كان « جمال عبد الناصر » يستقل الطائرة فى طريقه إلى مؤتمر القمة فى الخرطوم . وكان رؤساء الدول العربية كلهم على موعد هناك إلاّ قلة قليلة منهم أبرزهم الرئيس « بومدين » الذى لم يكن بعد مقتنعا بسياسة مؤتمرات القمة . ومع ذلك فإن مؤتمر الخرطوم حقق نجاحا له قيمته فى ظروفه . وربما كان أهم ما حدث فى المؤتمر هو الاستقبال الذى لقيه « جمال عبد الناصر » فى الخرطوم . فقد كان كثيرون فى المنطقة والعالم يتابعونه باعتباره أول اختبار عملى للعلاقة بينه وبين جماهير الأمة العربية خارج مصر . أى خارج سلطة دولته .

وقد حدث بينما طائرة « جمال عبد الناصر » تقترب من أجواء الخرطوم أن قائد الطائرة كان على اتصال مع المطار ، وقيل له إن الطائرة المقلة للملك « فيصل » ملك السعودية أمامه ، ولكن تعليمات صدرت بأن تنزل طائرته هو - أى الطائرة المقلة للرئيس « جمال عبد الناصر » - أولا . وحين أبلغت هذه المعلومات لـ « جمال عبد الناصر » طلب إلى ضابط الاتصال بالطائرة أن يبلغ مطار الخرطوم أنه ما دامت طائرة الملك « فيصل » قد وصلت قبل طائرته فمن الأفضل السماح لها بالهبوط أولا . وعاد برج مراقبة مطار الخرطوم يقول إن الطريق مفتوح لنزول طائرة الرئيس « جمال عبد الناصر » أولا .

وبالفعل نزلت طائرة الرئيس « جمال عبد الناصر » أولا وتمت مراسم استقباله بينما طائرة الملك « فيصل » تتأهب للهبوط على مدرج المطار . ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن كلا من السيد « اسماعيل الأزهرى » ورئيس وزرائه السيد « محمد أحمد محجوب » يرجوانه فى الانتظار حتى تهبط طائرة الملك « فيصل » ويقوما باستقباله ، ثم يركب الاثنان

(« عبد الناصر » و « فيصل ») معا فى موكب واحد عبر شوارع الخرطوم . وكان تعد
السيد « محمد أحمد محجوب » أن « الجماهير السودانية سوف يطمئنها أن ترى «
الناصر » و « فيصل » فى سيارة واحدة ، كما أن ذلك سوف يثير حماسة شديدة ف
الجماهير تجعل الاستقبال لائقا . »

وفكر « جمال عبد الناصر » على عجل ، ثم اعتذر عن هذا الاقترا
وكان رأيه الذى أبداه بسرعة :

« إنه يعتذر عن هذا الترتيب .

**فهو لا يريد أن يكون أول لقاء له مع الملك « فيصل » . بعد كل
جرى ـ على قارعة الطريق ، حتى وإن كان هذا الطريق مطار الخرطوم**

**ثم إنه لا يستطيع أن يجلس فى الانتظار حتى يفرغ « الأزهرى »
« محجوب » من استقبال الملك « فيصل » . ولو أن الأمور كانت طبيعية ،
لو كان الاستقبال فى القاهرة ، لذهب بنفسه إلى سلم طائرة الملك « فيصل
وشارك فى استقباله .**

**إضافة إلى ذلك فإن هناك كلاما كثيرا يريد أن يقوله للملك « فيصل
وكلاما كثيرا يريد أن يسمعه منه قبل أن يظهرا سويا أمام الناس و« كأن ش
لم يكن » .**

**وأخيرا فإذا كان الأمر متعلقا بحسن الاستقبال فإنه يفضل أن يواجه جماهير شع
السودان لأول مرة « بعد كل ما جرى » وحده ، وأن يتحمل مسئولية الطريقة التى تب
بها هذه الجماهير مشاعرها مهما كانت ! »**

وكان الإلحاح لا يزال مستمرا عليه وطائرة الملك « فيصل » تلمس أرض المطار
وكان إصراره على رأيه قاطعا . وحين أبدى له « الأزهرى » أنه قد لا يستطيع أن ير
لضرورات البروتوكول ، كان رد « جمال عبد الناصر » أنه « يتفهم ، ويرجو الرئ
الأزهرى أن ينتظر فى المطار لاستقبال الملك فيصل ، وأن يظل معه رئيس وزرائه . و
يظن أن أى واحد من « الإخوة الوزراء » يكفى لمرافقته من المطار إلى محل إقامته

واتجه إلى باب الخروج من المطار ، وركب سيارته ، وتحرك موكبه إلى شوا
الخرطوم .

وكانت شوارع الخرطوم شلالا هادرا متدفقا من البشر فى انتظار رجل واحد

استقبال حاشد وحافل لعبد الناصر فى الخرطوم

كانت مظاهرة لم يشهد العالم العربى فى تاريخه مشهدا يماثلها فى صدقه وحرارته وعفويته وروح العزيمة والإصرار المتجسدة فيه ، فقد كانت كتل الناس تتحرك مع الموكب فى شوارع الخرطوم كأنها جبل بركانى ملتهب يتحرك فى صورة أسطورية لم تخطر بخيال شاعر .

كان جبل الجماهير يناديه بصوت واحد يردد اسمه ويعاهده على السير وراءه إلى ساحات النصر .

وكان الأغرب من هذا أنه حين مر موكب الملك « فيصل » بعده ، ومعه السيد « اسماعيل الأزهرى » والسيد « محمد أحمد محجوب » ، كانت الجماهير قد سارت هادرة وراء موكب « جمال عبد الناصر » إلى الفندق الذى نزل فيه . وحين لحقه موكب الملك « فيصل » كانت صيحة الناس له واحدة : « وراء جمال يا فيصل » .

كان هذا الاستقبال هو حدث المؤتمر . وهو حدث العالم العربى وقتها . كما أنه كان الحدث الإعلامى الأول فى العالم ، فإذا صور الاستقبال هى الصفحة الأولى فى كل جرائد أوروبا وأمريكا ، وإذا نفس الصورة هى غلاف كل مجلة صدرت فيما بعد ذلك الأسبوع ، حتى أن مجلة « نيوزويك » الأمريكية كتبت تحت صورة الغلاف ما معناه « إنها أول مرة يقابل فيها المهزوم بأكاليل الغار من جماهير أمته » .

كان استقبال الخرطوم هو الحدث الأكبر فى المؤتمر كله بدلالته ومعناه . وقد سيطر هذا الحدث على جو المؤتمر وعلى مسار مناقشاته ووقائعه . فقد أعطى لـ « جمال عبد الناصر » موقعا سياسيا محصنا فى مقابل موقع عسكرى معرض .

ولقد كان هذا الموقع السياسى هو الذى مكن « جمال عبد الناصر » من إبداء المرونة التى مارسها فى المؤتمر ، فقد وقف فى وجه الذين طالبوا بقطع البترول وسحب الأرصدة العربية من البنوك الغربية ، وكان منطقه أن تنفيذ مثل هذه المطالب مستحيل عمليا خصوصا بعد توقف القتال لفترة ، كما أنه على استعداد لتفهم وجهة نظر الملك « فيصل » فى أن إعادة التسليح سوف تحتاج إلى موارد ، فإذا توقف ضخ البترول تأثر بالضرورة شراء السلاح . وكان ذلك هو المنطق الذى أدى بدوره إلى إمكان إنشاء صندوق عربى لدعم مالى تحصل عليه الدول التى واجهت العدوان .

كذلك فإنه فى مناقشات المؤتمر تمكن « جمال عبد الناصر » من تحويل التفويض الذى سبق له أن أعطاه للملك « حسين » بالبحث عن حل سياسى للضفة الغربية للأردن بالاتصال مباشرة مع الأمريكان - إلى تفويض عربى أوسع .

وكانت هناك أحاديث عن الموقف الأمريكى ، وقال الملك « فيصل » متوجها للرئيس « جمال عبد الناصر » :

- « فخامة الرئيس .. أرجوك أن تتدخل للتخفيف عنى . ففى كل مرة يتحدث فيها واحد من الإخوان عن موقف الأمريكان أجد الكل ينظر نحوى كأنما أنا وكيلهم هنا ! »

وفى هذه الأجواء أمكن لـ « جمال عبد الناصر » وللملك « فيصل » أن يتوصلا إلى حل لمشكلة اليمن يحقق عودة فرقتين مصريتين كانتا هناك إلى مكانهما الطبيعى فى ميدان القتال .

□

وبعد عودة « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة بفترة قصيرة ، كان على موعد مع الماريشال « زخاروف » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية . وقد طلب

« زخاروف » مقابلته وجاء ليقول له إنه « **يسعده أن يبلغ الرئيس أنه هو ومجموعة الخبراء والمستشارين الذين كانوا يعملون معه فى مصر طوال الشهور الثلاثة السابقة قد وصلوا إلى تقدير موقف يؤكد أن الخط الدفاعى للقوات المسلحة المصرية غرب قناة السويس قد أصبح كاملا ومن الصعب اختراقه** . »

وكان سؤال « جمال عبد الناصر » التالى بعد الاطمئنان على سلامة الخط الدفاعى هو التساؤل عن التصورات والاحتمالات الممكنة لما بعد المرحلة الدفاعية .

ويوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ كان الفريق « عبد المنعم رياض » ومعه الجنرال « لاشينكو كبير الخبراء السوفيت الملحقين بهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى مكتب « جمال عبد الناصر » ومعهما الخطوط الأولى **لفكرة عملية هجومية لعبور قناة السويس بمجموعة جيش مكون من خمس فرق تتحرك فى اتجاه الطرق الثلاثة الرئيسية فى صحراء سيناء وتتمسك هناك برؤوس جسور تقاتل منها .**

لم تكن هذه الفكرة خطة بعد ، ولكنها كانت تصورا عاما يمكن تطويره إلى خطة .

كانت الفكرة مجرد شعاع ضوء وسط جو قاتم ، وكان لابد لها من عمل وجهد ووقت وتهيئة واستعداد .

ولكن الأمة كلها ، شعبا وجيشا ، كانت بعزمها وتصميمها وراء استراتيجية المراحل الثلاث التى أعلنها « جمال عبد الناصر » ، وهى : الصمود ، ثم الردع ، ثم التحرير .

كانت الأمة قد بدأت فى استيعاب « فكرة الحرب » - وكانت مجتمعاتها تعيد ترتيب أوضاعها لتحمل « مطالب » هذه الفكرة - وكان هناك من يقلقهم هذا الطور المستجد على تركيب الأمة وتجربتها وضميرها وإمكانياتها !

□

ويوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تمكن قاربان من قوارب الصواريخ المصرية من ضرب المدمرة الإسرائيلية « ايلات » بواسطة صاروخ من طراز « ستايكس » ، وقد أصاب المدمرة بضربة مباشرة أدت إلى إغراقها فى ظرف دقائق بكل من كان عليها من طاقمها العسكرى . وكانت تلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ السلاح فى العالم ، فقد بدأ بها عصر جديد دخلت به الحروب إلى عصر الصواريخ .

□

وفى أعقاب إغراق المدمرة « ايلات » قامت إسرائيل بإرسال غواصة جديدة حصلت عليها من بريطانيا ـ وهى الغواصة « داكار » ـ إلى ميناء الاسكندرية فى مهمة سرية تستهدف استكشاف القاعدة الرئيسية لقوارب الصواريخ . وحدثت واقعة من أغرب وقائع الحرب ، فقد استطاعت أجهزة الاستكشاف المصرى أن تشعر بموقع الغواصة ، ومن ثم بدأ حصارها بالمدمرات وبقذائف الأعماق . وأكدت كل التقارير أن الغواصة الإسرائيلية فشلت فى محاولتها للهرب ، وأنها أصيبت وتعطلت بين صخور البحر فى الأعماق على بعد ما بين ١٦ و ١٨ كيلومترا من ميناء الاسكندرية . وقدمت البحرية شواهد على بقع من الزيت طفت على سطح الماء ، وكان رأيها إذاعة الخبر . لكن « جمال عبد الناصر » كان مازال « معقدا » من البيانات التى لا يسندها دليل مادى ، وقد طلب إلى البحرية أن تحاول العثور على أجزاء من الغواصة قبل أى إعلان رسمى بإغراقها .

[ومن مفارقات الظروف أنه فى سنة ١٩٨٩ ـ أقرت إسرائيل لأول مرة بإغراق الغواصة « داكار » قرب المياه الإقليمية المصرية ، وطلبت تصريحا رسميا لها بالبحث عنها لاستخراج جثث الضباط والبحارة الذين تحولت غواصتهم إلى مقبرة لهم لأكثر من عشرين سنة . وأقرت إسرائيل أيضا أن عدد هؤلاء الضباط والبحارة هو ٧٨ ضابطا وبحارا . وبالفعل وافقت السلطات الرسمية فى مصر (ضمن ترتيبات ظروف السلام) على التصريح بهذا البحث .

وجاءت قطع بحرية إسرائيلية ومعها خبراء وأجهزة رصد حديثة . وشاركت بعض وحدات الأسطول السادس الأمريكى بمعداتها فى العملية التى مازالت جارية حتى لحظة كتابة هذه السطور !]

□

كان « جمال عبد الناصر » قد بدأ يطمئن إلى حد ما أن الأمور بصفة عامة تتجه نحو مجراها الصحيح ، وهكذا بدأ يفكر فى المرحلة المقبلة مباشرة ، وقد اعتبر أن أمامه جبهتين للعمل .

الجبهة الأولى سياسية ، والجبهة الثانية عسكرية :

■ **كانت الجبهة السياسية فى تقديره دولية بالدرجة الأولى** . وقد ظن بعد مؤتمر الخرطوم أن الحوادث فى العالم العربى « متماسكة » على نحو أو آخر . ذلك أن أطرافا عربية كثيرة هالها ما انتهت إليه الحوادث (من تجاوز إسرائيل لخطوط العمليات كما كانت مرسومة) مما أدى إلى استيلاء إسرائيل على الضفة الغربية والقدس ، وهو وضع

جعل العالم العربى كله ـ الصحارى والوديان ـ فى مأزق يطال الجميع ولا ينجو منه أحد . كذلك كان تصوره (مهما كان التصور محزنا) أن ما جرى فى ٥ يونيو أراح بعض الأطراف فى العالم العربى إلى أن قوة مصر التى كانوا يتصورونها تهديدا لهم وخطرا عليهم ـ لم تعد الآن كذلك . فالخطر فى هذه الفترة لم يعد خطر الأفكار الجديدة ، وإنما اتضح للجميع أن الخطر الإسرائيلى أقرب إليهم مما كانوا يتصورون ، ومهما اختلفت الاجتهادات الاجتماعية بين قوى متناقضة فإن إعادة بناء قوة مصر يمكن أن تمثل فى هذا الوقت حماية للكل بلا استثناء . ومن ناحية أخرى فقد كان يدرك أنه فى تلك اللحظات لا يملك وسائل للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن وسيلته الممكنة للضغط هى تقريب دول البترول قدر ما هو ممكن من ساحة الصراع . وإذا كان هذا هو الحال فإن هذه العملية ينبغى أن تتم بطريقة تدريجية وهادئة بحيث لا تثير مخاوف هذه الدول البترولية قبل الوقت المناسب ، وقبل أن يترسخ لديها الشعور بأن المعركة فى جزء منها هى الدفاع عنها فى ذاتها .

ونتيجة لهذه الاعتبارات مجتمعة فإن المجال الدولى للعمل السياسى طرح نفسه باعتباره مجال التأثير المطلوب قبل غيره . .

وفى هذا المجال كانت رؤيته للإمكانيات المتاحة واضحة ، وكانت خطوطها العريضة على النحو التالى :

١ ـ إن قضيته بالدرجة الأولى هى مع الولايات المتحدة الأمريكية لأنها الطرف الرئيسى فى المعركة كلها ، وبالذات الجزء الخاص بمصر ، وهو الجزء الذى فتح الباب على مصراعيه على جميع الجبهات . ومع أن الجيش الإسرائيلى هو الذى يحتل سيناء ـ فإن إسرائيل ليست هى الطرف الذى يمكن بحث القضية معه . ثم إنه فى كل الأحوال ليس مستعدا لبحث شىء مع إسرائيل ، وفضلاً عن قناعاته الثابتة فقد كانت مقررات الخرطوم بأن « لا تفاوض ولا اتفاق ولا صلح مع إسرائيل » قائمة وتوقيعه عليها أول التوقيعات .

٢ ـ وإذا كانت الولايات المتحدة هى الطرف الذى لابد من بحث القضية معه ، فإنه هو (« جمال عبد الناصر ») ليس فى الموضع الملائم للبحث مع الولايات المتحدة . فأى حديث سياسى يجب أن يكون مستندا إلى توازن قوة ، وفى توازن القوى السائد أمامه فإن الموازين مائلة بشدة إلى الناحية الأمريكية .

وبهذا المنطق فإنه كان مستعدا أن ينقل البحث السياسى من المستوى

الإقليمى حيث الموازين تميل إلى ناحية أمريكا - إلى المستوى الدولى حيث يستطيع الاتحاد السوفيتى (ومعه أطراف دولية أخرى إذا أمكن) تحقيق شكل من أشكال توازن القوة مع الولايات المتحدة .

٣ - ولقد كان على ثقة كاملة بأن الولايات المتحدة لن تعطى شيئا بغير ضغط لا تملك مصر - هذه اللحظة - وسائله . وهكذا كان شاغله فى ذلك الوقت أن يحرك الاتحاد السوفيتى إلى البحث مع الولايات المتحدة . وكان هدفه الحقيقى من ذلك أن يعرف الاتحاد السوفيتى مباشرة أن الولايات المتحدة لن تعطى شيئا بغير ضغط مؤثر يقوم به هو (الاتحاد السوفيتى) نفسه ، أو يعطى وسائله لأصدقائه من العرب ، ومن ثم يقتنع عمليا بالشعار الذى رفعه « جمال عبد الناصر » وهو « أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغيرها » .

■ ■ **وعلى الجبهة العسكرية** كانت الأمور مربوطة ربطا محكما بالجبهة السياسية . ومن منظوره فقد كان « جمال عبد الناصر » يرى أن الدول العربية البترولية سوف تكثف مساعداتها للمقاتلين بمقدار ما تكتشف أن مساعيها السياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية سائرة فى طريق مسدود . وهو نفس ما كان ينطبق على الاتحاد السوفيتى .

وفى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٧ كتب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى الزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف » رسالة جاء فى الصفحة الثانية منها ما يلى بالنص : (٦)

« نحن نوافق معكم على أهمية بذل جهد سياسى لحل أزمة الشرق الأوسط ، كما أننا نشارككم الاعتقاد فى أنه إذا كان هناك مخرج سياسى من هذه الأزمة فإن الإصرار على العمل العسكرى يصبح نوعا من الحماقة يصعب تبريره للعالم ولأصدقائنا فيه ، بل وحتى أيضا لشعبنا نفسه .

وإذن فنحن بالفعل مع أهمية استكشاف كل إمكانيات العمل السياسى . ولكننى لا أستطيع أن أخفى عليك تشاؤمى بشأن الفرص المتاحة لمثل هذا الحل ، لأن الإدارة الأمريكية الحالية ، وقد تحقق لها ما سعت من أجله دائما فى عدائها للثورة العربية - سوف تقف حجر عثرة فى طريق أى حل سلمى إلاّ إذا كان هذا الحل استسلاما كاملا لمطالبها . وأخشى أن أقول لكم إن أول مطالبها هو إخراج الاتحاد السوفيتى نفسه من الشرق الأوسط .

ومع ذلك فأنا لا أريد فى هذه الأوقات العصيبة أن أترك المجال لشكوكى

---

(٦) محفوظات قصر عابدين - ملف المراسلات مع القادة السوفيت - المجلد رقم ٩ .

أو لتشاؤمى - ولهذا فإننى أرحب كل الترحيب بأن يقوم الاتحاد السوفيتى بالاتصال مع الولايات المتحدة ، وأن يبحث معها على الأقل خطوط الحل السياسى الذى تتصوره ، وليس عندى فى هذا الصدد إلاّ شرطين اثنين لا ثالث لهما :

□ **أولهما** : ألا يطلب منا أحد أن نتفاوض مع إسرائيل بينما هى تحتل أراضينا ، لأن ذلك يعنى الإذعان لشروطها مقدما برهن الأراضى التى تحتلها .

□ **وثانيهما** : ألا يطلب منا أحد أن نتنازل عن أرض عربية ، لأن ذلك يعنى أن العدوان حقق أهدافه .

إننى أعتقد أنكم توافقوننى على أن هذين الشرطين ضروريان ، وأنه بدونهما معا يستحيل على أى طرف عربى أن يقبل تسوية للأزمة يستطيع أن يدافع عنها أمام جماهيره وأمام ضميره ... »

□

وفى مساء يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧ كان « جمال عبد الناصر » يناقش مع الفريق أول « محمد فوزى » ومع الفريق « عبد المنعم رياض » ومع اللواء « محمد صادق » مدير المخابرات العسكرية - احتمالات تنشيط الموقف العسكرى على الجبهة ، وكان رأيه أن ذلك ضرورى لعدة أسباب عرضها على النحو التالى :

١ - إن تسخين جبهة القتال ضرورى حتى لا يتصور أحد - وبالذات إسرائيل - أن خطوط وقف إطلاق النار قد تجمدت لتصبح خطوط هدنة أخرى .

٢ - إن تنشيط العمل العسكرى ضرورى لإقناع العالم بأن أزمة الشرق الأوسط أزمة ساخنة لا تستطيع أن تنتظر المناورات الدولية .

٣ - إن ذلك التنشيط للجبهة - من ناحية أخرى - سوف يشد مشاعر الشعوب العربية - وبينها الشعب المصرى - إلى جبهة القتال ليكون تذكرة دائمة بأن المعركة مستمرة .

٤ - إن العمل العسكرى حتى ولو كان محدودا سوف يكون بمثابة تطعيم جديد بالنار للقوات المصرية يكسر حاجز الرهبة لديها بعد تجربة يونيو المريرة .

٥ - إن ذلك فى النهاية من شأنه إعادة بناء صورة الجيش المصرى أمام الأمة العربية والعالم ، وقد كان تشويه صورة الجيش من أهم أغراض السياسة الأمريكية ، والعسكرية الإسرائيلية ، وبالتالى فإن صورة الجيش المقاتل يجب أن تحل فى الأذهان محل صورة الجيش المنسحب .

وكانت تلك كلها ملامح من صورة ما أطلق عليه بعد ذلك وصف حرب الاستنزاف التى كانت مرحلة ضرورية فى التمهيد لفكرة العبور التى وضعت خطوطها الأولى من قبل .

□

وكانت حقبة الستينات ـ بكل ما جرى وما ظهر فيها من متغيرات ـ تنزلق نحو الغروب لتفسح مجالا لحقب أخرى يصل بها القرن العشرون ، وهو أخطر القرون فى تاريخ الإنسانية ـ إلى دنيا مختلفة !

الملحق الوثائقي

الوثيقة رقم (١)

صورة من الصفحة الأولى من خطاب « كوسيجين » إلى « جمال عبد الناصر » بعد عودته من زيارته الأولى إلى مصر .

نفس الوثيقة (عربى) : النص العربى الكامل لرسالة « كوسيجين » ، وقد قام بترجمته السفير المصرى فى موسكو .

Москва, "31" мая 1966 г.

Уважаемый Президент и дорогой друг,

Хочу сообщить Вам, что Советская правительственная делегация, посетившая в мае вашу страну с официальным государственным визитом, докладывала о своей поездке и беседах с Вами и другими руководителями Объединенной Арабской Республики и Арабского социалистического союза Центральному Комитету Коммунистической партии Советского Союза и Советскому правительству. Мои товарищи просили передать Вам, Правительству Объединенной Арабской Республики и руководству Арабского социалистического союза их глубокую благодарность за сердечный прием, оказанный делегации и мне лично.

Они с удовлетворением отметили, что вся обстановка приема советской делегации, откровенные беседы по многим вопросам отношений между нашими странами и партиями, а также по международным проблемам явились яркой демонстрацией нашей крепнущей дружбы и братства, нашего единения, проникнутого общностью целей и идеалов борьбы против сил колониализма, империализма, за свободу, независимость и социальный прогресс. Они с удовлетворением отметили также положительные отклики в странах Азии и Африки на переговоры, которые имели место между нами. Все говорит о том, что проведенная нами совместная работа была плодотворной и весьма полезной.

Я передал моим товарищам о приглашении, сделанном Вами Генеральному секретарю ЦК КПСС Л.И.Брежневу посетить Объединенную Арабскую Республику. Леонид Ильич просил передать Вам его благодарность и сказать, что он с удовольствием принимает это приглашение. Срок поездки в Объединенную Арабскую Республику он хотел бы уточнить несколько позднее, учитывая при этом соображения, высказанные Вами.

Его Превосходительству
господину Гамаль Абдель Насеру,
Президенту Объединенной Арабской
Республики
г.Каир

صاحب الفخامة السيد جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة
القـاهرة

موسكو فى ٣١ مايو ١٩٦٦

صديقى العزيز الرئيس المحترم

أود أن أبلغكم أن الوفد الحكومى السوفيتى الذى قام معى بالزيارة الرسمية الحكومية قد قدم تقريرا عن زيارته ومحادثاته معكم ومع غيركم من قادة الجمهورية العربية المتحدة ، والاتحاد الاشتراكى العربى إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، والحكومة السوفيتية .

وقد طلب منى رفاقى أن أبلغكم ، وأبلغ حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وقادة الاتحاد الاشتراكى العربى شكرهم العميق على الاستقبال القلبى الذى استقبلتم به الوفد وأنا شخصيا .

وقد لاحظوا بكل ارتياح أن الجو الذى دارت فيه جميع لقاءات الوفد ، والمحادثات الصريحة للمسائل الكثيرة التى تخص العلاقات بين بلدينا وحزبينا ، وكذلك المشاكل الدولية ، يكشف بوضوح عن عرض مشرق لصداقتنا وأخوتنا التى تزداد قوة ، عن وحدتنا التى هى من وحى هدفنا المشترك ، ومثلنا لمحاربة القوى الاستعمارية والامبريالية من أجل الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعى .

كذلك لاحظوا بارتياح الاستجابة الموضوعية فى دول آسيا وأفريقيا للمحادثات التى دارت بيننا .

لقد قال الجميع أن سير عملنا المشترك كان مثمرا ومفيدا كلية .

ولقد أبلغت رفاقى بدعوتكم للسكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى « ليونيد اليتش بريجنيف » لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، وقد طلب منى ليونيد اليتش أن أبلغكم شكره وتقبله بكل سرور لهذه الدعوة ، وأنه يرغب فى أن يحدد موعد هذه الزيارة بعد فترة من الوقت ، وأنه سيبلغكم بالموعد مع مراعاة جميع الاعتبارات .

(كذلك نظر فى الموضوع الذى ذكرتموه بخصوص الرغبة فى تأجيل أقساط قرض تسليح الجمهورية العربية المتحدة ، وقد قررت رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، والحكومة السوفيتية - استنادا إلى الرغبة التى أبديتموها - الموافقة على تأجيل أقساط التسليح لسنوات ١٩٦٧ - ١٩٧٠ إلى سنوات ١٩٧١ - ١٩٧٤ والتى تبلغ قيمتها ١٥٤,٤ مليون روبل بما فى ذلك الأرباح المستحقة عليها .

وبالنسبة إلى تأجيل هذه الأقساط وتمشيا مع متطلبات اقتصادنا القومى والاعتبارات التى أعربتم عنها ، قد يكون من المستحسن أن تعيد منظمات التجارة الخارجية لكل من البلدين النظر فى موضوع زيادة حجم توريد المنتجات السوفيتية المصدرة إلى الجمهورية العربية المتحدة خلال سنوات ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، والتى يهم الجمهورية العربية المتحدة الحصول عليها حتى يمكن موازنة صادرات الجمهورية العربية المتحدة خلال هذه السنين ، والتى ينص عليها الاتفاق التجارى بين البلدين .

وقد درست رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، والحكومة السوفيتية بكل انتباه الاعتبارات والاقتراحات التى ذكرتموها وذكرها رفاقكم ، وكذلك بعض المسائل الأخرى التى كانت موضوع تبادل الآراء فيما بيننا أثناء اقامتى فى الجمهورية العربية المتحدة . وبهذا الخصوص قد اتخذنا الاجراءات العملية التى تحقق وتضع موضع التنفيذ ما اتفقنا عليه . وبخصوص المسائل التى تتطلب دراسة خاصة ودقيقة أو تتطلب موافقات سيجرى بشأنها اتصال بين ممثلينا وما يقابلهم من منظمات فى الجمهورية العربية المتحدة .

وترحب القيادة السوفيتية بمشروع الزيارات الذى تكلمنا عنه أثناء اقامة الوفد السوفيتى فى الجمهورية العربية المتحدة ، والخاص بزيارة النائب الأول لرئيس الجمهورية المشير عبد الحكيم عامر فى سبتمبر هذا العام ، وزيارة رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة زكريا محيى الدين فى مايو عام ١٩٦٧ .

وقد تقبل الجميع بارتياح عظيم موافقتكم على زيارة الاتحاد السوفيتى زيارة حكومية ، وكذلك للراحة والاستجمام مع عائلتكم فى خريف العام القادم .

وفى نفس الوقت أود أن أبلغكم أننا نوافق على استقبال محافظين من الجمهورية العربية المتحدة كضيوف علينا فى الوقت والأسماء التى تقترحونها وسنضع تحت تصرفهم امكانية الزيارات داخل بلادنا ، والراحة والاستجمام مع زوجاتهم .

وعندما يصلنا ردكم بخصوص هذا الموضوع سنوجه لهم الدعوة وسنكون سعداء لاستقبالهم عندنا .

واننى أرسل تحياتى القلبية وأحسن تمنياتى لكم ولعائلتكم وكذلك لزملائكم المشير عامر ، ورئيس الوزراء زكريا محيى الدين ، وسكرتير عام الاتحاد الاشتراكى العربى على صبرى ، ونائب رئيس الجمهورية الشافعى ، وزملائكم الآخرين .

مع احتراماتى الخالصة ،،،

أ . كوسيجين

٣١ / ٥ / ١٩٦٦

الوثيقة رقم ٢

النص الرسمى لرد الرئيس « جمال عبد الناصر » على رسالة « كوسيجين » إليه . (بعد زيارة رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى إلى مصر) .

الصديق العزيز الرئيس اليكسى كوسيجين

رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى

لقد كان لرسالتكم الرقيقة أجمل الوقع عندى وعند زملائى أعضاء الحكومة ، واسمحوا لى أن أقدم باسمهم وباسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباسمى أعمق الشكر لكم وللسادة رفاقكم أعضاء اللجنة المركزية ورئاستها ، ذلك أننا نقدر لكم جميعا استجابتكم للرغبات التى أبديناها فى مباحثاتكم معنا بالقاهرة .

والحقيقة أنه ـ كما سبق وذكرت لكم ـ أننا عندما كنا ندرس متطلبات هذه المرحلة التى تمر بها الجمهورية العربية المتحدة ، كنا نقدر تمام التقدير الظروف والأعباء التى يتحملها الإتحاد السوفييتى ، ولكننا كنا نقدر فى نفس الوقت أبعاد المعركة التى فرضها علينا مخطط الاستعمار والرجعية ، والأعباء التى ألقتها هذه المعركة على كاهل شعبنا ، والمسئوليات الضخمة التى تتحملها قبل شعوب المنطقة التى آمنت بالمبادئ التى رفعناها وحاربنا من أجلها . .

ولقد كنا على تمام الثقة من استجابتكم تفهما منكم لظروفنا ، لأننا نعتبر أن وراء هذه الاستجابة انتصارا كبيرا للصداقة الحقة ، التى ربطت بين شعب الجمهورية العربية المتحدة وشعوب الاتحاد السوفييتى ، بل اننى أجد فى موقفكم وموقف رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى تدعيما قويا لروح

(يتبع)

الكفاح من أجل الحرية والسلام ، ودعامة واسعة للنضال ضد الاستعمار بكافـــة ألوانـه .

وانـه ليسرني أن أقرر بما يحس بـه الجميع هنا من ان زيارتكم لبلدنـــا والتقائكم بشعب الجمهورية العربية المتحدة ، قد عمّق جوانب التفاهم بيننـــا وأتـاح لكم أن تلمسوا عن قـرب طبيعة تجربتنـا الثوريـة وعظـم الدور الـــذى يخوضـه شعبنا من أجل بناء نفسه ومن أجل الحريـة والكرامـة والعدل والسلام .

وانـه ليسعدني أن برنامج الزيارات الذى استعرضناه فى مباحثاتنا قـد لاقى قبولا من رئاسة اللجنة المركزيـة لحزبكم ، لأننى أثـق فى أن تعـدد اللقاءات على المستويات المختلفة سوف يعمق مجالات التعاون بين شعبينا مـن أجل خيرهمـا ، ومن أجل السلام العالمـى الذى نعمل جميعا على تدعيمه .

وانى اذ أعبر باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباســم الاتحـاد الاشتراكي العربي وباسمي عـن ترحيبنا القلبى بزيارة الصديق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزيـة للحزب الشيوعي السوفييتي ، فانى أتطلع الى لقائـى القادم بكم وبالأصدقاء زملائكم فى زيارتي الآتيـة الى الاتحاد السوفييتى وكلي ثقـة وأمل فى المستقبل الذى يمتد أمامنا بالصداقة والتعاون ، وبمزيـد من العمل من أجل تقدم شعوبنا ومن أجل رفاهية البشرية جمعـاء وأمنهـا وسلامتهـا .

مع تحياتي الصادقة اليكم والى الأصدقاء رفاقكم فى رئاسة اللجنة المركزيـة للحزب الشيوعي السوفييتي ، أبعث اليكم بتمنياتي الشخصية ولشعوب الاتحـاد السوفييتي العظيمـة بكل التمنيات من شعب الجمهورية العربية المتحدة .

القاهرة فى ٣ يوليه ١٩٦٦

[illegible]

جمال عبد الناصر

الوثيقة رقم (٣)

صورة للصفحة الاولى من التقرير المطول الذى بعث به السفير المصرى فى موسكو بخطه إلى سكرتارية الرئيس للمعلومات عن ردود فعل زيارة « كوسيجين » لمصر ، ثم التقرير كاملا .

AMBASSADE
DE LA REPUBLIQUE ARABE UNIE
MOSCOU

١

موسكو ٣ يونيو ١٩٦٦

الأخ العزيز سامي

أهديك تحياتي وأشواقي وأرجو أن
تكون والعائلة في أتم صحة .

أولاً : أرسل لك رفق هذا الخطاب رسالة إلى
سيادة الرئيس من "كوسيجين" رئيس وزراء الاتحاد
السوفيتي وقد قمت بترجمتها شخصيا ترجمة حرفية
وهي لا تخرج عن مضمون البرقية التي أرسلتها لكم
عن موضوع المواد الدهنية النباتية والحيوانية وقد
كلمني فيه "كوسيجين" أثناء المقابلة وذكر بأن تبادل
هذه المواد مع منسوجات وملابس جاهزة رجالي
وحريمي وقمصان وخردوات الخ .. سيزيد من قوة
العمالة عندنا ويحل بعض مشاكلنا .

ثانيا : إن النتيجة الطيبة التي حصلنا عليها بعد زيارة
"كوسيجين" يرجع الفضل فيها أولاً وآخراً

« سـفارة
الجمهورية العربية المتحدة
موسـكو

موسكو ٣ يونيو ١٩٦٦

الأخ العزيز سامى

أهديك تحياتى وأشواقى وأرجو أن تكون والعائلة فى أتم صحة .

أولا : أرسل لك رفق هذا الخطاب رسالة إلى سيادة الرئيس من « كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى وقد قمت بترجمتها شخصيا ترجمة حرفية وهى لا تخرج عن موضوع البرقية التى أرسلتها لكم عدا موضوع المواد الدهنية النباتية والحيوانية وقد كلمنى فيه « كوسيجين » أثناء المقابلة وذكر بأ تبادل هذه المواد مع منسوجات وملابس جاهزة رجالى وحريمى وقمصان وخردوات الخ . . . سيزيد من قوة العمالة عندنا ويحل بعض مشاكلنا .

ثانيا : أن النتيجة الطيبة التى حصلنا عليها بعد زيارة « كوسيجين » يرجع الفضل فيها أولا وأخيرا إلى سيادة الرئيس ودوره العظيم كزعيم حركة التحرير فى العالم العربى وأبرز قادتها فى العالم الآسيوى الأفريقى ولولاه - كما ذكر السوفيت - لما بقيت سوريا والجزائر واليمن والعراق دولا متحررة مستقلة ولانهارت تحت ضغط الاستعمار وسيطرته .

ثالثا : ان شرح سيادة الرئيس للمشاكل ووضعه الأمور فى إطارها الحقيقى وتوضيح مشكلة اليمن والنزاع المصرى السعودى فى إطار الاستراتيجية البريطانية والغربية فى شبه الجزيرة العربية ، وأن المشكلة أساسا هى حركة تحرير عامة تشمل شبه الجزيرة بأكملها من ناحية واستراتيجية غربية تسعى إلى استمرار سيطرتها واستنزافها لموارد العرب وثرواتهم ، كان هذا الشرح العظيم عاملا مباشرا فى موافقة القادة السوفيت على مطالبنا كاملة .

رابعا : قابلت « سيميونوف » بعد مقابلتى لكوسيجين ورجانى ألا ننشر شيئا عن تأجيل أقساط التسليح فى صحافتنا أو اذاعتنا حتى لا نحرج الاتحاد السوفيتى بمطالبة دول أخرى بنفس الميزات التى حصلنا عليها ولكنه ذكر بأنه من الممكن ذكر حصولنا على تسهيلات اقتصادية خلال الخمس سنوات القادمة تتيح لنا المزيد من التطور وتدعيم اقتصادنا .

خامسا : أرجو دراسة مطالبنا من الاتحاد السوفيتى الصناعية منها والتى تتعلق بالمواد الخام والوسيطة دراسة دقيقة وافية مع الاسراع فى ارسال وفد لإعادة النظر فى تعديل الاتفاق التجارى بما يتمشى مع تأجيل أقساط التسليح خلال سنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

سادسا : شكرت « كوسيجين » على خطابه الرقيق لسيادة الرئيس وعلى مساعدات الاتحاد السوفيتى ولكنى أرجو لو أن سيادة الرئيس يرد على خطاب « كوسيجين » ويسلمه للسفير السوفيتى فى القاهرة فى وقت قريب فهم ينتظرون رد الفعل لهذا الخطاب .

سابعا : بالنسبة لزيارة « بريجنيف » فأعتقد أنها ستتم فى « فبراير » كما حدد سيادة الرئيس وقد أورى « كوسيجين » موافقتهم على هذا التاريخ وطلب تحديد الموعد فى المستقبل هو احتياط لجميع الاحتمالات الدولية وغيرها .

ثامنا : لا يزال « شيلبين » من أهم المتحمسين لتأييدنا وقد كسبنا « كوسيجين » لصفنا وأنا واثق أننا سنكسب « بريجنيف » وكل من سيزورنا .

تاسعا : أشعر بأننا سنحصل على قمح من الاتحاد السوفيتى إذا جاء محصولهم هذا العام طيبا وهم يلمحون إلى ذلك بقولهم « لى » بأننى أصبحت مثلهم اهتم اهتماما بالغا بالمطر والأحوال الجوية فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى وتأثير ذلك على الزراعة !! هذا علاوة على الحديث الذى دار معهم فى القاهرة .

عاشرا : لا يزال الاهتمام بسوريا على أشده ولم يقل نتيجة لخروج خالد بكداش من سوريا بل يقول البعض بأنها خطة مرسومة لكى يخفف الغرب الضغط على الحكومة السورية الحالية .

عموما المشاعر والحماس فى صفنا ولم تكن علاقة الاتحاد السوفيتى معنا أحسن مما هى عليه الآن .

أعود وأكرر أن هذا بفضل سيادة الرئيس وأعماله وتاريخه وكياسته فى معاملة كوسيجين وحرمه واعتراف السوفيت بدوره التاريخى فى حركة التحرير فى الدول العربية وآسيا وأفريقيا .

وأخيرا أدعو لكم بدوام النجاح والرفعة وإلى اللقاء

والسلام عليكم ورحمة الله .

مراد غالب

سفير ج . ع . م - موسكو »

الوثيقة رقم (٤)

برقية مستخرجة من الملفات السرية لوزارة الخارجية الأمريكية - طبقا لقانون حرية المعلومات ، وهى مرسلة من السفير الأمريكى فى القاهرة عن مقابلته للرئيس « جمال عبد الناصر » يوم أول فبراير سنة ١٩٦٥ . وإلى جانبها الصفحة الأولى من أصل هذه البرقية .

INCOMING TELEGRAM Department of State

SECRET

Control: 957
Rec'd: February 1, 1965
9:26 p.m.

FROM: Cairo

034

ACTION: Secstate 2671, Priority

DATE: February 1, 4 p.m. (SECTION ONE OF THREE)

SANITIZED
Authority State 11-24-80 ltr NL
By DLH NARS, Date 4-15

DEPARTMENT PASS AS NECESSARY

I have just returned from approximately one hour meeting President Nasser. I thanked him warmly for receiving me on the night before the major holiday of the year and told him that I was grateful for an opportunity to have a talk since I had recently returned from Washington. I made small talk about the inauguration, snow, et cetera, mentioned that I had talked with a great many people both in the Executive Branch and the Congress including Secretary Rusk. I stated my principal meeting with President Johnson had unfortunately not developed due to his illness although it had been carefully scheduled for my last day in Washington. I stated that I had since received instructions and wanted to make several comments based on my talks and the instruction I had received from Washington. I then spoke as follows:

Our President and indeed everyone I talked with are very hopeful of maintaining good relations with the United Arab Republic if possible. We have a deep interest in a strong, independent, and prosperous Egypt. We also share major interests in the independence and strengthening of the Near Eastern States. We will continue to work for constructive relations with all these States and for impartiality in our policy and actions in the Middle Eastern area. The President respects the dignity of other nations and insists that US policy reflect this as well as the dignity of our own country.

At this point the President interrupted me and referred to the December 23 speech in a slightly embarrassed manner. He

../seemed

، وزارة الخارجية

رقم ٩٥٧

من : القاهرة تسلمت : أول فبراير ١٩٦٥

الساعة ٢٦ : ٩ مساء

التصرف : وزير الخارجية ٢٦٧١ - أولوية ٣٤ .

التاريخ : أول فبراير الساعة ٤ مساء (القسم الأول من ثلاثة أقسام)

للوزارة تعميمها حسب الضرورة .

عدت توا من اجتماع لمدة حوالى ساعة مع الرئيس ناصر . وقد شكرته شكرا حارا لأنه استقبلنى فى المساء قبل العطلة الكبيرة فى السنة ، وقلت له إننى ممتن للفرصة التى أتيحت لإجراء حديث لأننى عدت أخيرا من واشنطن . وتحدثت قليلا عن تنصيب (الرئيس) والثلج وما إلى ذلك ، وذكرت أننى تحدثت مع عدد كبير من الأشخاص فى كل من الفرع التنفيذى والكونجرس ، بما فى ذلك الوزير راسك . وقلت له إن مقابلتى الرئيسية مع الرئيس جونسون لم تتم مع الأسف بسبب مرضه ، وإن كان الموعد حدد بعناية ليكون فى آخر يوم لى فى واشنطن . وقلت إننى منذ ذلك الوقت تلقيت تعليمات ورغبت فى إجراء عدد من التعليقات بناء على أحاديثى والتعليمات التى تلقيتها من واشنطن . وتكلمت بعد ذلك على النحو التالى :

إن رئيسنا بل جميع الذين تحدثت معهم يحدوهم أمل كبير فى المحافظة على علاقات طيبة مع الجمهورية العربية المتحدة إن أمكن . ولدينا اهتمام عميق بأن تكون مصر قوية مستقلة مزدهرة ، كما أننا نشترك فى الاهتمام الكبير باستقلال دول الشرق الأدنى وتعزيزها . وسنواصل العمل فى سبيل إقامة علاقات بناءة مع جميع هذه الدول ، وفى أن تكون سياستنا وتصرفاتنا فى منطقة الشرق الأوسط غير متحيزة . والرئيس يحترم كرامة الأمم الأخرى ويصر على أن يتراءى ذلك فى سياسة الولايات المتحدة ، وكذلك كرامة بلادنا الخاصة .

وعند هذه النقطة قاطعنى الرئيس ناصر مشيرا إلى خطبة ٢٣ ديسمبر بشىء قليل من الحرج ، فقد لاح أنه يريد إبعاد هذه الخطبة من علاقتنا ولكن دون الإقرار بخطأ . وقال إنه لم يكن هناك أى أمر شخصى مقصود ، وأن التقرير الذى تلقاه عن محادثات استينو أشار إلى أن المعونة ترتهن بتصرفات مصر وسلوكها . فقلت إن شيئا من هذا القبيل لم يكن مقصودا ، واقترحت أن نضع وراء ظهورنا عددا من الأحداث التى جرت فى الماضى ونتطلع إلى المستقبل بأمل ، فقال إننا سنفعل ذلك ، ولكن علينا معالجة الحادثة . وتحدث بعد ذلك لا عن الخطبة بل عن المعونة ، معربا عن العرفان لها وعن الأمل فى أن تستمر ولكن تحت الشرط المعبر عنه وهو أن الجمهورية العربية المتحدة مستقلة فى تصرفاتها .

....

بـاتـل ،

الوثيقة رقم (٥)

الرسالة التى بعث بها الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ١٨ مارس ١٩٦٥ وهى بتوقيعه (مستخرجة من محفوظات وثائق عصر الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » بمقتضى قانون حرية المعلومات) . وقد ركز فيها على سباق السلاح .

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON
March 18, 1965

SECRET

Dear Mr. President:

Since my message to you last December 12 I have looked forward to a further exchange of views between us. Now, unfortunately, new tensions have developed in the Near East. I have been deeply concerned by developments in the direct relations of the United States and the United Arab Republic which have put strains on the friendship I hope for between our two governments and peoples. As the proud leader of an important people, you will, I know, share my view that the best way to deal with difficulties of this kind is to discuss them man to man, with full respect for each other's rights and responsibilities.

I have therefore asked Ambassador Battle to seek an appointment with you to bring this personal message and to discuss with you the issues of current importance in the Near East that concern us both.

The problem which needs this kind of discussion today is that of the best way of dealing temperately and responsibly with the growing arms race in the Middle East. As you know, the United States Government has consistently sought to find ways and means of turning that arms race downward. We are convinced that it does not serve the real interest of any people in the area. At the same time, we have obligations and interests which require us to take account of the pressures that are generated by very heavy arms supply from other countries.

SECRET

SECRET

It is in this context that I have asked Ambassador Battle to discuss our present position with you. That position has been established within the framework of our traditional policy of restraint with regard to arms sales. The principles of that policy are two:

First, we shall, to the greatest extent possible, continue to avoid selling arms to the principal parties to the Arab-Israel dispute.

Second, in no case will we sell arms that will give one side a military advantage over the other. This is the policy we have followed and will continue to follow.

You and I carry heavy responsibilities. I am convinced that by serious efforts on both sides, we can do much to improve understanding between our Governments. I can assure you that on my side I will do my full part to maintain and to increase relations of mutual respect between our two countries. The interests of our peoples will thrive in strength and understanding, not in weakness and frustration.

Sincerely,

His Excellency Gamal Abdel Nasser
President of the United Arab Republic

SECRET

البيت الأبيض
واشنطن
١٨ مارس ١٩٦٥

سـرى

عزيزى السيد الرئيس :

منذ رسالتى إليكم بتاريخ ١٢ ديسمبر الماضى تطلعت إلى مزيد من تبادل وجهات النظر بيننا . ومما يؤسف له الآن أن توترات جديدة قد نشأت فى الشرق الأدنى . وقد أقلقتنى بعمق التطورات التى حدثت فى العلاقات المباشرة للولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة والتى وضعت ضغوطا على الصداقة التى أرجوها بين حكومتينا وشعبينا . وبوصفكم زعيما ذا كبرياء لشعب هام ، فالذى أعرفه أنكم تشاطروننى رأيى وهو أن أفضل سبيل لمعالجة الصعوبات التى من هذا النوع هو أن نناقشها كرجل أمام رجل ، مع الاحترام الكامل لحقوق كل منا ومسؤولياته .

لهذا رجوت السفير باتل أن يطلب موعدا لمقابلتكم لكى يقدم هذه الرسالة الشخصية وليبحث معكم القضايا التى تهم كلينا والتى لها أهمية حالية فى الشرق الأدنى .

والمشكلة التى تحتاج إلى هذا النوع من المناقشة اليوم هى الأسلوب الأفضل لمعالجة موضوع سباق التسلح المتنامى فى الشرق الأوسط باعتدال ومسؤولية . وكما تعرفون ، لقد اجتهدت حكومة الولايات المتحدة باستمرار فى البحث عن الطرق والأساليب التى من شأنها تحويل إتجاه سباق التسلح إلى أسفل . ونحن واثقون من أنه لا يخدم المصالح الحقيقية لأى شعب فى المنطقة . وفى الوقت عينه فإن لدينا التزامات ومصالح تحتاج منا إلى أن ندخل فى حسابنا الضغوط التى يولدها التزود بالأسلحة الثقيلة جدا من بلدان أخرى .

وإنه لفى هذا الإطار نفسه أن رجوت السفير باتل بحث وضعنا الحالى معكم . وقد استقر هذا الوضع داخل إطار سياستنا التقليدية الخاصة بضبط النفس فيما يتعلق بمبيعات السلاح . والمبادىء التى تمثلها هذه السياسة هى مبدآن :

أولا - إننا سنستمر إلى أكبر حد ممكن فى تفادى بيع الأسلحة إلى الأطراف الرئيسية فى النزاع العربى - الإسرائيلى .

ثانيا : إننا لن نبيع الأسلحة بحال إلى طرف يصبح له مزية عسكرية على الطرف الآخر . هذه هى السياسة التى إتبعناها والتى سنواصل إتباعها .

وأنتم وأنا نحمل مسؤوليات ثقيلة . وإنى لواثق منه أننا نستطيع بجهود حادة من الناحيتين أن نعمل الشىء الكثير لتحسين التفاهم بين حكومتينا . وفى وسعى أن أؤكد لكم أننى من ناحيتى سأقوم بدورى كاملا فى الحفاظ على علاقات الاحترام المتبادل وزيادتها فيما بين بلدينا . إن مصالح شعبينا تزدهر بالقوة والتفاهم لا بالضعف والتفسخ .

المخلص

لندون ب . جونسون

صاحب الفخامة جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

سـرى

الوثيقـة رقم (٦)

صورة للصفحة الأولى من نص المذكرة الشفوية التى قدمها السفير « لوشيوس باتل » من الرئيس « ليندون جونسون » ، وقد كانت الرسالة المكتوبة مجرد غطاء لها (وقد تم الحصول على هذه الوثيقة من الملفات السرية لوزارة الخارجية الأمريكية بمقتضى قانون حرية المعلومات - وتلاحظ نبرة التهديد الواردة فيها والتى لم تظهر فى الرسالة المكتوبة) .

وتلى صورة الصفحة الأولى - النصوص الكاملة للمذكرة الشفوية المرسلة من الرئيس « ليندون جونسون » .

1. The President of the United States has been increasingly concerned by the strains that have developed in relations between the United States and other Western countries and the Near East. Of particular concern has been the recent divergence of U.S. and U.A.R. policies. Deterioration of Western relations with the area has coincided with a heightening of tensions growing out of the Arab-Israel dispute. The threat of hostilities over the Jordan Waters and activities of the Unified Arab Command have brought to the fore the continuing arms rivalry in the Middle East. Resulting tensions have perhaps inevitably increased doubts and suspicions about attitudes and policies of outside states towards states of the Near East. The President of the United States has asked me to discuss in detail his concerns, to clarify policies of the United States and to express the strong hope that the various matters of difference between the United States and the United Arab Republic can be discussed frankly, particularly those problems in the area of arms and their control.

١ - إن رئيس الولايات المتحدة قد تزايد قلقه بإزاء الضغوط التى تطورت فى العلاقات بين الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الغربية والشرق الأوسط . وبصورة خاصة أقلقه التناقض الأخير بين سياسات الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة . وقد اتفق أن حدث تدهور فى علاقات الغرب مع المنطقة مع تزايد التوترات الناشئة عن النزاع العربى - الإسرائيلى . فخطر التنازع على مياه الأردن وأنشطة القيادة العربية الموحدة قد دفعا إلى المقدمة موضوع التنافس المستمر على السلاح فى الشرق الأوسط . ولعله لم يكن هناك مفر من أن تؤدى التوترات الناشئة إلى زيادة الشكوك والريب حول مواقف وسياسات الدول الخارجية تجاه دول الشرق الأدنى . وقد طلب إلىّ رئيس الولايات المتحدة أن أبحث بالتفصيل دواعى قلقه ، وأن أوضح سياسات الولايات المتحدة ، وأن أعرب عن الأمل الوطيد فى إمكان مناقشة الأمور المتباينة المختلف عليها بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة بصراحة ، ولا سيما المشكلات المتعلقة بمجال الأسلحة والتحكم فيها .

٢ - كان رد الفعل من جانب الإسرائيليين شديداً إزاء ما بدا لهم بأنه جوانب للحقد والضغينة فى المشروعات العربية لتحويل المياه ، وفى النغمة الملتهبة الحربية للبيانات العربية ، وفى تكديس القيادة العربية الموحدة للسلاح ، ثم فى إلغاء شحنات الأسلحة الألمانية . وكجزء من الجهد المستمر الذى تبذله الولايات المتحدة للحد من التوترات ، قام الرئيس جونسون بإيفاد السيد المحترم أفريل هاريمان والسيد روبرت كومر إلى إسرائيل لتهدئة الإسرائيليين والتحدث معهم صراحة عما يزعجهم . وقد تناول السيد هاريمان والسيد كومر جميع جوانب الوضع الحالى فى الشرق الأدنى ، واستعرضا سياسات الولايات المتحدة فى أحاديثهم مع الزعماء الإسرائيليين . وأوضح السيد هاريمان والسيد كومر أن معارضة الولايات المتحدة للعدوان من جانب أى دولة فى الشرق الأدنى ضد أى دولة أخرى إنما تنطبق على إسرائيل بنفس القدر الذى تنطبق به على العرب . وأكد للإسرائيليين أن للولايات المتحدة مصالح مستمرة فى حل منازعات المنطقة حلا سلميا .

٣ - أدت هذه المحادثات إلى التخفيف من حدة الموقف ، وإن كانت المشكلات الأساسية باقية ومازالت تمثل سببا محتملا للحرب . ويبدو من العرب أنهم قلقون من أن تضرب إسرائيل ضربة عسكرية خارج حدودها . ولكن إسرائيل بدورها منزعجة من البيانات المعزوة إلى بعض الزعماء العرب والتى تعرب عن النية فى محو إسرائيل ذات يوم . والولايات المتحدة تقلقها الحجج التى تسوقها إسرائيل بأنها قد تضطر إلى التصرف لتحول دون أن يؤدى تدفق الأسلحة السوفييتية إلى جعل اليد العليا للعرب فى خاتمة المطاف . ويستند الإسرائيليون فى حججهم إلى تكديس القيادة العربية الموحدة للسلاح وإلى البيانات العربية المتعلقة بنيات تحويل المياه . وتلقاء هذه الضغوط ، فإننا نحس بدورنا بأن الإسرائيليين قد يرون ذات يوم أنهم مضطرون إلى التحول عن البرنامج النووى السلمى إلى برنامج للأسلحة .

٤ - انصرفت جهود الولايات المتحدة إلى محاولة التأكد من ضبط النفس الإسرائيلى من خلال :

أ - التشاور لإيجاد حل سلمى لمسألة المياه .

ب - إعادة طمأنة الإسرائيليين بمعارضة الولايات المتحدة للعدوان واستخدام السلاح .

جـ - تحذيرهم من أى تصرفات نابعة عن اليأس .

وتحقيقا لهذه الأهداف ، ومحافظة على جو يتأتى فيه (التوصل إلى) حلول سلمية أعدنا طمأنة الإسرائيليين إلى أنه إزاء موافقتنا على أن هناك خللا خطيرا فى الميزان لا يستطاع تصحيحه بأسلحة من مصادر أخرى ، فإن الولايات المتحدة - استثناء من سياستها المعلنة حاليا ستقدم أسلحة محدودة ولكن فى نطاق ضيق .

٥ - ومن المهم تأمل هذا التطور فى منظوره الخاص . فلقد كانت الولايات المتحدة محجمة عن أن تصبح موردا مباشرا للمعدات العسكرية إلى أى طرف من الأطراف الرئيسية فى النزاع العربى - الإسرائيلى . ونحن عارفون بأن كل جانب قد استطاع الحصول على أسلحة من مصادر أخرى . ونحن ندرك جيدا أن كل جانب ، بوصفه دولة ذات سيادة يعد نفسه أفضل من يحكم على ما يحتاج إليه للدفاع . وقد إتخذنا فى علاقاتنا مع كل من إسرائيل والعرب جميع الخطوات الممكنة لوقف المنافسات العسكرية التى تمثل قهرا للذات ، مع ما يترتب على ذلك من إضاعة لأموال تدعو إليها الحاجة لتحسين أحوال الشعب ورفاهيته . ولكن ضبطنا للنفس لم يقابله ضبط مماثل من جانب الاتحاد السوفييتى وادّعى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية أنه إذ يورّد كميات هائلة من الأسلحة إلى دول المنطقة إنما يعمل للسلام . وفى الوقت عينه فإن السوفييت ، على ما يبدو ، يعتقدون أن من مصلحتهم التوسل بالنزاع العربى - الإسرائيلى لبذر بذور الشقاق .

٦ - نحن نعتبر أن التنافس على الأسلحة هو قهر للذات لأن فى وسع كل جانب أن يتوازى فى خاتمة المطاف مع ما يحصل عليه الطرف الآخر من أسلحة ، ولكن هذا إنما يكون دائما على حساب المخاطرة بالتحريض على السبق بالهجوم وبتكلفة يؤسف لها على حساب التقدم والتنمية الاقتصادية . فهناك إذن خطر من أن يظفر جانب بمزية عسكرية لها من حيث كبر حجمها ما يحدو بطرف إلى شن اعتداء يسبق به - ولا سيما إذا بدا أن مزاياه هو آخذة فى الضمور . ومن هنا فإن مفتاح السلام المهتز فى الشرق الأدنى قد لايكمن إلا فى منع أسباب الخلل فى الميزان بالنسبة لفئات من الأسلحة ربما أفضت إلى السبق بتوجيه ضربة . وهذا لا يعنى أن من حق الأطراف الخارجية تنظيم الأسلحة فى غياب إتفاق فيما بين الدول المعنية ، سواء أكان ذلك مضمرا أو خلاف ذلك . ولا يعنى هذا إلا أنه قد يكون من المصلحة الدولية العامة الموافقة على بعض طلبات السلاح منعا للصراعات .

٧ – وعليه ، فإذا أبى طرفان الاهتداء إلى توفيق سلمى ، أو إلى ترتيب نوع من التخفيف من سباق التسلح ، فلا بديل أمام المجتمع الدولى إلا بيع السلاح تصحيحا للخلل فى الميزان ، وبالتالى صيانة للسلم . وبالمراعاة لهذا المبدأ باعت حكومة الولايات المتحدة صواريخ هوك لتبديد مخاوف الإسرائيليين من قاذفات الجمهورية العربية المتحدة . ولهذا السبب عينه فستكون حكومة الولايات المتحدة مستعدة الآن لبيع أنواع وكميات محدودة من الأسلحة المطلوبة لإسرائيل لأغراض دفاعهم إذا ما تأكدت من ضبط النفس الإسرائيلى . ولم يجر هذا الاستثناء من السياسة المستقرة للولايات المتحدة باستخفاف ، إذ قد وضح لحكومة إسرائيل – كما رجانى الرئيس جونسون توضيح هذا الأمر للرئيس ناصر – بأننا إذا كنا لم نجر هذا الإستثناء باستخفاف فى الماضى فلسنا نعتزم القيام به فى المستقبل .

٨ – إن حاجة الولايات المتحدة إلى بيع الأسلحة إلى إسرائيل إنما يحكمها طبعا ما يفعله العرب . ولابد من إدراك أن العرب إذا جعلوا من بيع الأسلحة المحدودة من جانب الولايات المتحدة إلى إسرائيل قضية كبرى ، فربما أثار هذا رد فعل شعبيا فى الولايات المتحدة يضر بضبط النفس الذى تتذرع به حكومة الولايات المتحدة حتى الآن ، وبنهجها فى التعامل بالعدل والإنصاف إزاء المشكلة العربية الإسرائيلية . إن حكومة الولايات المتحدة درجت دائما على مقاومة الذهاب إلى الحد الذى تلح عليها إسرائيل فى الذهاب إليه . فإذا ضخم العرب المشكلة ، قللوا مما يحفز الولايات المتحدة على تقييد مبيعات السلاح إلى إسرائيل ، وفرضوا الاستقطاب على الوضع فى الشرق الأوسط وهو الأمر الذى تسعى حكومة الولايات المتحدة إلى اجتنابه . وإن قيام العرب بضبط النفس إزاء ما حصلوا هم أنفسهم عليه (من أسلحة) وإزاء ما حصلت عليه إسرائيل من الدول الغربية من شأنه أن يسهل جهود الغرب للتذرع بضبط نفس مماثل . ومن الأهمية بمكان إدراك أن عدم التحيز وضبط النفس ما فتئا يمثلان أساس سياسة الولايات المتحدة فى شأن الأسلحة . وأى مبيعات للأسلحة من جانب الولايات المتحدة إلى الدول العربية أو إلى إسرائيل ستكون فى الحد الأدنى الذى تمليه الظروف .

٩ – وفى هذا المقام ، يهم الرئيس جونسون أن يعرّف الرئيس عبد الناصر أننا قد وافقنا على بيع أسلحة معينة إلى الأردن . فقد درسنا الطلب الأردنى بدقة على مدى بضعة أشهر ومع أن العرب قد لا يقدرون هذا الخطر ، فإن البديل وهو وجود أسلحة سوفييتية فى الأردن معناه أن يكون للسوفييت وجودا ونفوذا فى منطقة كانت ممتنعة عليهم فى الماضى . ومن شأن المخاطر الناجمة عن ذلك بالنسبة لاستقرار الشرق الأدنى بأسره أن تهدد مصالح العرب وكذلك المصالح الخارجية . ومن هنا قررت الولايات المتحدة بيع أسلحة إلى الأردن للحيلولة دون استغلال السوفييت للموقف .

١٠ – إن حكومة الولايات المتحدة تتمسك بصلابة بالمعتقدات الأخرى المتعلقة بسياستها العربية ـ الإسرائيلية والتى تعود بجدواها على الجانبين . وستواصل حكومة الولايات المتحدة

الضغط على إسرائيل حتى لا تتجه إتجاها نوويا . وكما هو معروف ، لقد أماطت صحافة الولايات المتحدة اللثام عن رحلة أخيرة قام بها أمريكيون إلى ديمونة . وحكومة الولايات المتحدة مصرة أيضا على معارضة العدوان من أى جهة وعلى المضى فى سعيها للتقليل من خطر الحرب . ولهذه الاعتبارات أهمية في نظرنا أكبر من أهمية مبيعات السلاح المحدودة .

١١ - والواقع أنه بالنظر إلى العلاقة الخاصة التى قامت مع الجمهورية العربية المتحدة ، فإننا كبيرو الأمل جدا فى أن يكون مازال مستطاعا لحكومتينا أن تهتدى إلى سبيل لعكس إتجاه التصاعد الحلزونى للسلاح . ولقد اغتبطنا بالدلائل التى تومىء إلى أن زعماء الجمهورية العربية المتحدة يشاطروننا إعتقادنا بأن النزاع العربى الإسرائيلى لن تحله قوة السلاح . وفى مواجهة الرأى العام العالمى وإلتزام الولايات المتحدة بمعارضة العدوان ، فلن يستطيع هذا الطرف أو ذاك أن يحقق أبدا القدرة العسكرية التى تمكنه من فرض حل على الآخر . وبناء على ذلك ، فإن خير ما يأمله العرب للإقلال من نزيف السلاح إنما يتمثل فى أن ينبذوا استحداث فئات معينة من الأسلحة فى مقابل قيام إسرائيل بنبذ مماثل .

١٢ - كما يتعين على الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة أن يعملا معا للاهتداء إلى سبيل يحول دون قيام أزمة حول مياه الأردن . ولعل أكبر خطر مباشر يهدد السلام هو الإجراء الذى يفكر فيه لبنان لتحويل الروافد إلى سوريا . ويتمثل أشد عناصر الحرج فى هذا المشروع فى أن العرب يصورونه باعتباره سبيلا لحرمان إسرائيل من المياه . وفى اعتقادنا أن من الممكن إزالة التوتر والإقلال من ضخامة الإجراء الإسرائيلى المضاد إذا ما صور العرب مشروعهم فى ضوء أدعى إلى الإيجابية مشيرين إلى أن الغرض منه هو ضمان حصول مستخدمى المياه من العرب على هذه المياه التى هم لها مستحقون بناء على القوانين والاستخدامات النهرية المقبولة على النطاق الدولى . وكما تعرفون ، فإن حكومة الولايات المتحدة تعتقد بأن الحصص التى وضعها جونستن تتفق مع هذه المعايير . والذى نعرفه أنه لا العرب ولا إسرائيل يشيرون علنا إلى خطة جونستن ، ولكننا نتساءل عما إذا كانت هناك صيغة أخرى يستطاع وضعها بحيث تشجع الطرفين على التزام حصصهما المشروعة .

١٣ - إننا لنرحب بآراء الرئيس ناصر والجمهورية العربية المتحدة حول الكيفية التى يمكن بها نزع الفتيل من الصراع العربى - الإسرائيلى ، ونحن على استعداد للتعاون بأى كيفية نستطيعها خدمة للمصالح المشتركة بين العرب والولايات المتحدة .

١٤ - إن الرئيس جونسون مدرك لحساسية هذه الموضوعات ، وهو يأمل فى النظر إلى آرائه الصريحة بنفس الروح التى قدمت بها . وإننا لنسعى إلى تقليب الرأى معا فى محاولة لمنع إندلاع النيران التى تستطيع الانتشار إلى أبعد بكثير من حدود الشرق الأدنى .

الوثيقة رقم ⑦

صورة من خطاب بعث به السفير الأمريكى فى القاهرة ، لوشيوس باتل ، إلى ، محمد حسنين هيكل ، عن المساعدات الأمريكية لمصر فى فترة الستينات وحجمها . كما تظهر بجانب الوثيقة ترجمة حرفية لها ، إلى جانب جدول بتفصيلات المساعدات بعث به ، باتل ، إلى ، هيكل ، لتوضيح وجهة نظره .

EMBASSY
OF THE
UNITED STATES OF AMERICA

Cairo, United Arab Republic,
November 23, 1965.

Dear Mohamed:

In accordance with our conversation this morning, I am enclosing a summary of the terms of U.S. loans made to the United Arab Republic. As I told you, the paper was prepared for my use as a result of the confusion on interest rates that we charge. You will note that most of the loans are for very small rates of interest and for very long periods -- the majority under one percent and with very attractive grace periods.

I thought that the paper might interest you and perhaps we can discuss it one day.

Best regards,

Sincerely,

Lucius D. Battle
American Ambassador

Enclosure:

As stated.

Mr. Mohamed Hassanein Heikal,
Editor-in-Chief,
Al-Ahram,
Cairo, United Arab Republic.

TERMS OF US LOANS TO THE UAR

	Interest Rate	Grace Period Principal	Period Loan
Dollar Loans Repayable in Local Currency			
(Local Currency not to be used for exports from the UAR except by agreement with GUAR.)			
Bagasse - $6,700,000	5 3/4%	4 Years	14 Years
Edfina - $200,000	5 3/4%	3½ Years	12 Years
Industrial Bank - $2,500,000	5 %	1 Year	10½ Years
Commodity Assistance '55 - $7,500,000	4 %	4 Years	40 Years
Dollar Loans Repayable in Dollars			
Grain Storage - $17,000,000	3/4%	9½ Years	40 Years
Rakta - $5,700,000	3/4%	9½ Years	40 Years
Commodity Assistance Loan 27 - $30,000,000	2½ %	2½ Years	10 Years
Cairo West - $30,600,000	3/4%	9½ Years	40 Years
Misrayon - $3,000,000	3/4%	9½ Years	40 Years
Local Currency Loans			
PL 480 Loans (1955-1962)	4 %	4 Years	30 Years
PL 480 Loan (Multi-Year)	3/4%	3 Years	30 Years

AID - Industry/Transportation Division
November 23, 1965

سـفارة
الولايات المتحدة الأمريكية

القاهرة - الجمهورية العربية المتحدة
نوفمبر ٢٣ ، ١٩٦٥

عزيزى محمد ،

وفقالما اتفقنا عليه أثناء محادثتنا هذا الصباح أرفق لك مع هذا ملخصا بشروط القروض الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة . وكما قلت لك فإن هذه الورقة جرى إعدادها لاستعمالى نتيجة للارتباك الحاصل بشأن نسب الفوائد التى تحتسبها . وكما سوف تلاحظ فإن معظم القروض هى بنسب فائدة قليلة ولمدد طويلة ، ومعظمها أقل من ١٪ وبفترات سماح مغرية . ولقد فكرت أن هذه الورقة قد تكون مفيدة لك ، وربما ترى أن تناقشها فى يوم من الأيام .

مع أطيب تحيـاتى .

المخلص
(لـوك)
لوشيوس باتـل
السفير الأمريكى

مرفق : طبقا لما ورد فى الأصل
إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل
رئيس تحرير الأهـرام
القاهرة ـ الجمهورية العربية المتحدة

صورة للنص مذكرة كتبها ، بنيامين ريد ، مساعد مستشار الآمن القومى عن مسار معزكة القمح ، ويلاحظ بالوثيقة أنها تتعرض أيضا لمبيعات القمح السوفيتى إلى مصر . وإلى جانب صورة الوثيقة التى تم الحصول على نسخة منها بمقتضى قانون حرية المعلومات - ترجمة لنصها الكامل .

DEPARTMENT OF STATE
WASHINGTON

RECEIVED
McGEORGE BUNDY'S OFFICE

10415

July 2, 1965

CONFIDENTIAL

1965 JUL 2 PM 6 45

MEMORANDUM FOR MR. McGEORGE BUNDY
THE WHITE HOUSE

Subject: U.A.R. Reaction to Resumption of U.S. PL-480 Sales

Ambassador Mostafa Kamel conveyed the official thanks and appreciation of the U.A.R. to the Secretary on June 23 for the resumption of sales of $37 million worth of agricultural commodities under our multi-year PL-480 agreement with the U.A.R. Minister of Economy Kaissouni expressed tremendous pleasure when informed of the news by Ambassador Battle and undertook to convey it at once to President Nasser.

Following the announcement of additional U.A.R. wheat purchases from the USSR, Mexico, and Australia, the U.A.R. press published articles critical of elements in the U.S. which opposed sales of foodstuffs to the U.A.R. It accused them of trying to starve the Egyptian people into submission to U.S. policies. At the same time U.A.R. propaganda media hailed the Soviet wheat sale as an open-hearted, disinterested gesture devoid of political strings.

We believe the inconsistency between the officially expressed U.A.R. attitude and the reaction of the press reflects momentary irritation among high U.A.R. Government officials at the strains imposed by delay in resumption of PL-480 sales and their inability to react to it. The Soviet Union seized this opportunity to exploit U.A.R. frustrations and increase its prestige. The novelty of Soviet wheat sales accounted in part for the enthusiastic popular reaction to their disclosure. Despite the emotional outburst against U.S. pressure, we believe the U.A.R. is genuinely concerned about the U.S. attitude toward Soviet wheat sales. To mitigate a possible adverse U.S. reaction, a high level U.A.R. official informed Ambassador Battle in confidence and in advance of the announcement of the Soviet wheat sale that President Nasser had decided he could expect no more wheat from the U.S. and had taken advantage of Deputy Premier Novikov's visit to Cairo to ask for Soviet help.

While Soviet wheat sales have resulted in public criticism of the U.S., they have helped ease the U.A.R. food supply problem and permit more time to consider our next steps with the U.A.R. We agree with [Amb]assador Battle that we should avoid public comment and adopt a posture [of] dignified detachment. Meanwhile we have informed Ambassador Kamel [pri]vately that anti-U.S. propaganda could jeopardize any possible future [arr]angements for food sales.

Benjamin H. Read
Executive Secretary

CONFIDENTIAL
GROUP 3
Downgraded at 12 year intervals;
not automatically declassified

وزارة الخـارجية
واشنطن

مذكرة إلى السيد ماك جورج بندى
البيت الأبيض

٢ يوليو ١١٩٦٥

الموضوع : رد الفعل فى الجمهورية العربية المتحدة لاستئناف الولايات المتحدة المبيعات بمقتضى القانون ٤٨٠

قام السفير مصطفى كامل فى ٢٣ يونيو بإبلاغ الوزير بصفة رسمية شكر الجمهورية العربية المتحدة وامتنانها لاستئناف بيع السلع الزراعية فى حدود مبلغ ٣٧ مليون دولار بمقتضى اتفاقنا مع الجمهورية العربية المتحدة ، والذى يُنفذ على عدة سنوات وفقا لأحكام القانون ٤٨٠ . وأعرب وزير الاقتصاد القيسونى عن سروره البالغ عندما أبلغه السفير باتل بالخبر ، وتعهد بإبلاغه على الفور إلى الرئيس عبد الناصر .

وكانت الصحف فى الجمهورية العربية المتحدة قد نشرت – بعد الاعلان عن شراء كميات إضافية من القمح من الاتحاد السوفييتى والمكسيك وأستراليا – انتقادات للعناصر فى الولايات المتحدة التى تعارض بيع المواد الغذائية للجمهورية العربية المتحدة ، واتهمتهم بمحاولة تجويع الشعب المصرى حتى يخضع للسياسات الأمريكية . وكانت وسائل الدعاية فى الجمهورية العربية المتحدة ترحب فى نفس الوقت بمشتريات القمح السوفييتى على أنها بادرة إنسانية منزهة عن الغرض وغير مرتبطة بأى قيود سياسية .

وفى اعتقادنا أن الاختلاف بين الموقف الذى أعربت عنه الجمهورية العربية المتحدة رسميا ، وموقف الصحافة يعبر عن الانزعاج المؤقت الذى شعر به المسئولون الكبار فى حكومة الجمهورية العربية المتحدة للضغوط التى تعرضوا لها بسبب التأخير فى استئناف المبيعات بمقتضى القانون ٤٨٠ وعدم قدرتهم إلى الرد عليها . وقد انتهز الاتحاد السوفييتى هذه الفرصة واستغل ما تشعر به الجمهورية العربية المتحدة من إحباط لدعم مكانته . ولما كان بيع القمح السوفييتى أمرا جديدا ، كان لذلك أثره فى رد الفعل الشعبى الحماسى للاعلان عنه . ورغم الانفجار العاطفى فى مواجهة الضغط الأمريكى ، ففى اعتقادنا أن الجمهورية العربية المتحدة تشعر بقلق حقيقى من موقف الولايات المتحدة من مبيعات القمح السوفييتى . وللتخفيف من رد الفعل الأمريكى المضاد المحتمل ، قام أحد كبار المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة بإبلاغ السفير باتل سرا ، وقبل الاعلان عن صفقة القمح السوفييتى

أن الرئيس عبد الناصر كان يعتقد أنه لن يتلقى أى شحنات قمح إضافية من الولايات المتحدة ، وأنه اغتنم فرصة زيارة نوفيكوف نائب رئيس الوزراء السوفييتى للقاهرة ليطلب منه المساعدة .

وإذا كانت صفقة القمح السوفييتى قد أدت إلى انتقادات علنية للولايات المتحدة ، فقد ساعدت على تخفيف مشكلة الإمدادات الغذائية فى الجمهورية العربية المتحدة ، وسمحت بمزيد من الوقت للتفكير فى خطواتنا التالية فى الجمهورية العربية المتحدة . ونحن نتفق مع السفير باتل فى أننا يجب أن نتجنب التعليق العلنى على الأمر ، وأن نأخذ بموقف اللامبالاة واحترام النفس . وقد قمنا فى الوقت ذاته بإبلاغ السفير كامل ، بصورة شخصية أن الدعاية المعادية للولايات المتحدة يمكن أن تعرقل أى ترتيبات تتعلق بصفقات الأغذية فى المستقبل .

(توقيـع)

بنيامين ريد

السكرتير التنفيذى

الوثيقة رقم ٩

صورة من نص الخطاب الذى بعث به الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى الملوك والرؤساء العرب يشرح فيه تطور الأوضاع فى اليمن ومحاولاته مع الملك « فيصل » للوصول إلى حلول سلمية ومرضية لها .

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

تحية أخوية عربية ، طيبة وصادقة وبعد

فلقد وجدت أنه من المناسب أن أكتب إليكم فى هذه المرحلة ، لاحيطكم علما بالتطورات الأخيرة فى العلاقات ما بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية .

وفى الحقيقة ، فإن عدة أسباب تدفعنى إلى ذلك :

أولا - الرغبة المخلصة فى صيانة روح مؤتمرات القمة العربى ، والحرص الأكيد على إبقاء ودعم فاعلية العمل الجماعى العربى الذى التقت عنده هذه المؤتمرات .

ثانيا - الحرص على معنى التضامن العربى عموما فى وقت وضح أمامنا جميعا أن أعداء الأمة العربية يرتبون مخططاتهم ضدها دائما على أساس فرقتها واختلاف كلمتها .

ثالثا - التقدير للظروف الدقيقة المحيطة بالقضايا العربية ، وهى ظروف يتزايد اقتناعنا معها كل يوم بأن الأمة العربية على وشك أن تواجه تحديات خطيرة بالغة فى خطورتها .

ولعلكم تذكرون يا عزيزى الرئيس أنه عندما انعقد مؤتمر القمة العربى ، بناء على دعوة كان لى شرف توجيهها لبحث أخطار التهديد الصهيونى المتزايد ، فلقد كان موضع التسليم منا - وبغير إستثناء - أن تصفية الجو العربى هى مقدمة لابد منها قبل أى عمل مشترك ، كما انها ضمانة ضرورية لجدية هذا العمل وتأثيره فى خدمة النضال العربى .

وفيما يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة ، فلقد كان ظاهرا أمام الكل سواء حول مائدة المؤتمر الأول أو فى الدائرة الأوسع من الرأى العام العربى - أننا على استعداد لفتح صفحة جديدة ، وانه مع تسليمنا بوجود نظرات مختلفة إلى عدد من القضايا السياسية والاجتماعية ، فإننا كنا على استعداد لأن نركز النظر على الخطر المتزايد وحده وبغير التفات جانبى لأى شىء آخر غيره .

واننا لنحمد الله أن محاولات تصفية الجو العربى لقيت نجاحا كبير الأثر وعظيم الفائدة فى عدد من المجالات ، سواء منها ما كانت الجمهورية العربية المتحدة طرفا مباشرا فيه أو كانت فيه طرفا غير مباشر بحكم الاخوة العربية ووشائجها .

لكن ذلك – لسوء الحظ – لم يتحقق فى مجال العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية ، برغم جهود متواصلة من جانبنا ومخلصة .

ولست فى حاجة إلى أن أعود سنوات إلى الوراء لأتقصى أسباب سوء التفاهم الذى حل بالعلاقات ما بين القاهرة والرياض ، تلك قصة طويلة ، وهى مؤلمة فى بعض فصولها ومحزنة ، ومع ذلك فلقد دخلنا مؤتمر القمة العربى الأول فى يناير سنة ١٩٦٤ موطدين العزم على أن قضية المصير العربى الشامل أولى بالاعتبار ، وأن كل شىء إلى جوارها يهون .

وفى مؤتمر القمة العربى الأول ، فلقد كان الموضوع الذى طرح نفسه فى كل محاولات تصفية الجو بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية هو موضوع اليمن .

ان ثورة وطنية قامت فى اليمن بإرادة شعبه وبحوافز التقدم الغلابة خلاصا من حكم لم يسجل التاريخ الإنسانى مثيلا له فى ظلمه وظلامه . وكان تأييد الشعب اليمنى لثورته كاسحا فى تعبيره عن نفسه .

ومع ان نجاح الثورة اليمنية كان فى أى مقياس كسبا ضخما للأمة العربية وللإنسان العربى ، فإن المملكة العربية السعودية اتخذت من هذه الثورة ، ومن قيام الجمهورية العربية اليمنية نتيجة لها موقفا عدائيا ، مكابرا فى عدائه وعنيدا ، ومن ثم بدأت الجمهورية العربية اليمنية تواجه غارات مسلحة على حدودها تتجمع لتشكل محاولة غزو عسكرى تقف وراءه المملكة العربية السعودية بكل مواردها المالية .

ولقد طلبت حكومة الثورة اليمنية عون الجمهورية العربية المتحدة فى مواجهة العدوان على الأرض اليمنية وعلى الإرادة اليمنية ، ولم يكن أمام الجمهورية العربية المتحدة غير أن تستجيب .

وهكذا فان المسألة تحولت فى جانب من جوانبها إلى مواجهة بالتصادم بين الجمهورية العربية المتحدة وبين المملكة العربية السعودية .

وتفاصيل ما حدث بعد ذلك معروفة مشهورة ، لا تحتاج منى إلى إعادة بيان ، حتى كان مؤتمر القمة العربى الأول .

ولقد كانت أمامكم يدنا الممدودة بالرغبة فى التفاهم الحق على أساس المبدأ .

وتذكرون أننا لم نستطع أن نصل فى الأمر يومها إلى نتيجة قاطعة ، لأن المملكة العربية السعودية كانت تشهد فى ذلك الوقت صراعا على السلطة بين الملك السابق سعود وبين الأمير فيصل ولى عهده الذى أخذ الملك منه فيما بعد .

ولقد كان ظاهرا منذ بدء الصراع على السلطة أن كفة الميزان تميل إلى صالح الأمير فيصل . ولما كان الملك سعود هو الذى حضر اجتماع القمة الأول ، بينما تخلف عنه الأمير

فيصل ، فإن اتصالاتنا فى تلك الظروف لم تصل إلى تحقيق ما كنا وكنتم تتطلعون إليه حرصا وإيثارا .

ثم كان بعد ذلك أن عقد مؤتمر القمة العربى الثانى بالاسكندرية فى الخامس من شهر سبتمبر ١٩٦٤ ، وكان الأمير فيصل هو الذى رأس وفد المملكة العربية السعودية إليه ، بل انه فى ذلك الوقت – كما تذكرون – رأس دورة ذلك المؤتمر الكبير الثانى .

ولقد وجد الأمير فيصل خلال أيام مؤتمر الاسكندرية ، نفس يدنا الممدودة بالرغبة فى التفاهم – كما وجدها سلفه قبله أيام المؤتمر الأول .

وفى ذلك الوقت تقدم عدد من الاخوة الملوك والرؤساء ، يرون – والحق معهم – أن هذه الفرصة لابد لها أن تعوّض الفرصة التى ضاعت فى المؤتمر الأول ، وتحقق ما ينبغى تحقيقه من تصفية الجو بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة .

ولقد تفضل الرئيسان عبد السلام محمد عارف ، وأحمد بن بيلا ، بأخذ الموقف فى أيديهما ، استكمالا لجهود واعية وأمينة بدآها بالفعل منذ أيام مؤتمر القمة الأول وبعده ، وتجلت فى اتصالات قاما بها مع الملك سعود ، ثم حاولا تدعيمها باتصالات مع الأمير فيصل بواسطة مبعوثين لهما ذهبا بالفعل إلى الرياض .

وفى خلال أيام مؤتمر الاسكندرية ، فلعلكم تذكرون أننى لم أدخر جهدا فى سبيل أن أضع موقفنا على حقيقته أمام وفد المملكة العربية السعودية .

ولقد تصورنا أننا على أبواب اتفاق فى وجهات النظر ، حينما توصلنا عن طريق محادثات مباشرة بين الأمير فيصل وبينى إلى عدة نقط جرى الاتفاق عليها واقرارها والتزام جميع الأطراف بها بشهادة الرئيسين عبد السلام محمد عارف ، وأحمد بن بيلا ، وكان – فضلا واخوة – على اتصال دائم بعملنا ، وعلم بنتائجه .

ولم يكن للجمهورية العربية المتحدة خلال هذه المحادثات من شرط إلا التأكد من عدم تعرض الجمهورية العربية اليمنية لغارات من خارج حدودها ولعمليات تسلل بالسلاح وبالذهب تسعى إلى الفتنة داخل الحدود ، ولقد كان ذلك من ناحيتنا حرصا مشددا على إرادة شعبية يمنية تجلت بالثورة ، ثم تكريما لدم مصرى زكى أريق مشاركة فى الدفاع عنها بغير مطمع أو هوى .

ولقد بدا لنا ان وفد المملكة العربية السعودية وصل إلى اتفاق معنا ، بل أن ذلك تأكد لنا بعهود صريحة وقاطعة .

وانطلاقا من هذا الاتفاق ، فلقد سرنا إلى خطوات محددة تستهدف تكتيل جميع الجهود فى اليمن نحو عملية مواجهة المستقبل بما فيه من ضرورات البناء ، وعقد مؤتمر فى

اركويت ، وكان من المقرر عقد مؤتمر ثان داخل حدود الجمهورية اليمنية لاستكمال ما بدأ ، ولكن العراقيل بدأت توضع فى طريق هذا المؤتمر ، وبالتالى فى طريق بناء اليمن الحر الساعى إلى التقدم والازدهار .

وفى الشهور الأخيرة بدأت تطورات الحوادث تطالعنا بمضاعفات لا يمكن قبولها أو السكوت عنها .

كانت الوقائع تتوالى كل يوم تثبت أن المملكة العربية السعودية مازالت مصرة ملحة على العمل عداءا وحربا ضد الجمهورية العربية اليمنية ، وذلك عن طريق حشد المغيرين واستئجار المرتزقة وبينهم عدد من فلول الفرقة الأجنبية الفرنسية ، والتهديد بالسلاح والغواية بالذهب .

ولم يعد فى ذلك كله سر يخفى ، فانه حتى الصحف الموالية للغرب تنشر كل يوم تحقيقات ضافية لعمليات الحشد وأسماء المرتزقة الأجانب وصورهم والمعلومات المثيرة عن تحالف السلاح والذهب ضد الإرادة الشعبية اليمنية .

وإزاء هذا كله ، فلقد بعثت بالمشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، فى مهمة لدراسة مضاعفات الموقف وتقصى الحقيقة فيه .

ولقد أكد المشير عبد الحكيم عامر بعد عودته ، ما كان ذائعا قبل رحلته الأخيرة إلى اليمن ، من أن هناك جبهتين تناصبان ثورة اليمن عداءا نشيطا وعدوانيا ، وهما السلطات الاستعمارية البريطانية فى الجنوب المحتل ، والمملكة العربية السعودية ، عن طريق الحدود الشمالية والشرقية لليمن .

وفيما يتعلق بالدور الذى تقوم به السلطات الاستعمارية البريطانية ، فإن الموقف مفهوم وطبيعى ، ولكنه بالنسبة للدور الذى تقوم به المملكة العربية السعودية ليس مفهوما ولا طبيعيا ، خصوصا بعد جهود الاسكندرية وما تلاها إلى مؤتمر « اركويت » .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة ، بالتزامها المعنوى والمادى للثورة اليمنية ، وبتقديسها لكرامة الدم الذى أريق ، يمنيا ومصريا ، دفاعا عنها ، تجد نفسها ملزمة بمواجهة الأمر على حقيقته ، وبصرف النظر عن نواياها الطيبة ، فلقد وجدت أنه من الضرورى أن أضع أمامكم صورة للموقف وتطوراته .

وإذا كان لى أن أضيف شيئا آخرا ، فهو أن أعيد تحديد موقف الجمهورية العربية المتحدة ، وألخصه فيما يلى :

أولا - ان الجمهورية العربية المتحدة مازالت تمد يدها طلبا لتفاهم حق على أساس المبدأ ، وهى تفعل ذلك عن تقدير لمطالب النضال العربى كله ، خصوصا فى مرحلته الدقيقة الراهنة .

ثانيا – ان الجمهورية العربية المتحدة لا يدفعها إلى كل ما بذلته من جهد فى اليمن ، مغنم أو مطمع ، وإنما تحركت استجابة لنداء قومى ، بل ان الجمهورية العربية المتحدة تعتقد بشرف وإيمان أن الرسالة التى قامت بها قواتها المسلحة فى اليمن ، هى رسالة إنسانية ساعدت فى أن تزيل عارا كان يلحق الإنسانية كلها من وصمة التخلف المروع الذى كان مقضيا به على شعب اليمن ، وحاول هذا الشعب بإرادته ، أن يخلص نفسه من اغلاله وقيوده .

ثالثا – ان الجمهورية العربية المتحدة ، فى إيمانها بدورها القومى والإنسانى فى اليمن ، مازالت مصممة بغير حد إلى الوقوف بجانب الجمهورية العربية اليمنية ، باعتبارها الإرادة الحرة للشعب اليمنى ، وهى فى غير تجاوز قادرة على حمل مسئوليات ذلك كله والوفاء به .

عـزيـزى

لقد وجدت أن الواجب والمسئولية وحق الاخوة جميعا تحتم علىّ أن أضع هذه الصورة تحت أنظاركم .

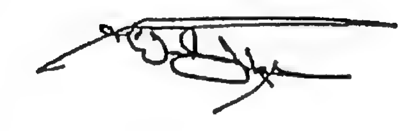

الوثيقة رقم (١٠)

صورة من مذكرة قائد الأسطول الأمريكى فى البحر الأحمر بالاعتذار عن خطأ المدمرة « كورى » . وتوجد إلى جوار الصورة ترجمة لنص اعتذار القائد الأمريكى .

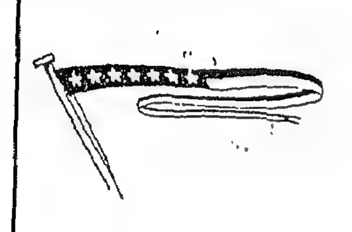

22 August 1965

For: The Commander in Chief, United Arab Republic Navy

From: Commanding Officer, USS CORRY (DD-817)

I deeply regret that the USS CORRY was not notified of the expected arrival of the President of the United Arab Republic or the Commander in Chief, United Arab Republic Navy.

Please accept my personal apology for any misunderstanding regarding lack of proper honors.

I respectfully request permission to call on you at your convenience.

Very respectfully,

J. E. Lowell

J. E. LOWELL
Commander, U.S. Navy

« إلى القائد العام لأسطول الجمهورية العربية المتحدة
من ضابط القيادة للسفينة البحرية الأمريكية كورى (د . د . ٨١٧)

إننى أقدم لكم أسفى العميق على أن السفينة البحرية الأمريكية كورى لم يجر إخطارها بالوصول المتوقع لرئيس الجمهورية العربية المتحدة أو للقائد العام لأسطولها .

أرجو قبول اعتذارى الشخصى عن أى سوء فهم نشأ من تجاهل مراسم الشرف المرعية .

وأرجو بكل احترام أن تأذنوا لى بزيارتكم فى أى وقت ملائم لكم .

مع كل الاحترام .

ج . ا . لويل
كوماندور البحرية الأمريكية »

الوثيقة رقم (١٢)

صورة الصفحة الأولى من التقرير الذى قدمه الفريق « على على عامر » إلى الملوك والرؤساء العرب فى قمة الدار البيضاء ، والنص الكامل للتقرير منشور فى صلب الكتاب صفحة (   ) .

سري للغاية وشخصي لأصحاب الجلالة والفخامة

ملوك ورؤساء الدول العربية

قرارات مؤتمر الملوك والرؤساء الثالث المنعقد في الدار البيضاء في سبتمبر ١٩٦٥

بما يختص بالشئون العسكرية

اطلع المجلس على تقرير القائد العام للقيادة العربية الموحدة وتقديره للموقف منذ اجتماعات مؤتمر الملوك والرؤساء الثاني المنعقد بالاسكندرية في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤ وقرارات مجلس رؤساء الحكومات الأول والثاني المنعقدين في يناير (كانون الثاني) ومايو (آيار) ١٩٦٥ وقد قرر المجلس بعد دراسته لمجالات نشاطه ودفاعا عن مصير الأمة العربية ما قدراً الخطر من كسب الرأي العام العالمي وتعبئة الرأي العام العربي والإسلامي ما يلي :

أولا : التصميم على ضرورة معركة تحرير فلسطين مستهدفين بعد الله مع حشد طاقاتنا وإمكانياتنا مهما كلفنا ذلك ومهما كانت التضحيات

ثانيا : الموافقة على الخطوط العريضة لتقدير الموقف الذي قدمه القائد العام للقيادة العربية الموحدة .

ثالثا : التعهد بتوفير ما طلبه سيادة القائد العام للقيادة العربية الموحدة من مطالب ضرورية لبناء المعركة وتحمل المسئوليات مع الدول الأعضاء كل حسب طاقته بنسبة لما هو وارد في المرفق (أ)

رابعا : ينبغي على وزراء المالية للدول العربية لوضع نظام مالي يشرح طريقة دفع الاشتراكات ومواعيد إيداعها وطريقة الصرف ونظام المحاسبة والمراجعة

صورة من خطاب الرئيس الأمريكى «جونسون» إلى الرئيس «عبد الناصر» عن لقائه مع السيد «أنور السادات» أثناء زيارته لواشنطن. وإلى جواره ترجمة له باللغة العربية.

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

March 4, 1966

Dear Mr. President:

Thank you for the message which was delivered to me by Mr. Anwar al-Sadat on February 23. It was a pleasure to meet with him and useful to talk over matters of mutual concern. I was particularly gratified to learn from Mr. Sadat details of your Government's efforts to speed economic progress and social justice in Egypt.

It was also reassuring to hear of your continuing efforts to reach a practicable solution to the Yemen problem. I strongly hope that continued diplomatic talks between your country and the Kingdom of Saudi Arabia, possibly at a high level, will make it possible to reach a mutually satisfactory understanding.

I also hope that the visit of Mr. Sadat will have contributed to a better mutual understanding between the leaders of our two countries, and that it will serve as the basis for a continued improvement in relations between the United States and the United Arab Republic.

Sincerely,

[signature]

His Excellency
Gamal Abdel Nasser
President of the United Arab Republic
Cairo

« البيت الأبيض واشنطون ٤ مارس ١٩٦٦

عـزيـزى السيد الرئيس

أشكرك على الرسالة التى نقلها إلىّ السيد أنور السادات يوم ٢٣ فبراير ، لقد كانت متعة أن ألتقى به ، ومفيدا أن أتحدث معه فى مسائل تتعلق باهتمامنا المشترك . ولقد سعدت بوجه خاص حين علمت من السيد السادات بعض التفاصيل عن جهود حكومتكم فى دفع التقدم الاقتصادى والعدل الاجتماعى فى مصر .

كذلك كان مطمئنا لى أن أسمع منه عن جهودكم فى الوصول إلى حل عملى لمشكلة اليمن ، وإنى شديد الأمل أن تتصل المحادثات الدبلوماسية بين بلدكم وبين المملكة العربية السعودية وعلى أعلى مستوى إذا كان ذلك ممكنا ، فهذا هو الذى يجعل من الممكن التوصل إلى تفاهم مشترك ومرض .

كما أننى امل أيضاً فى أن زيارة السيد السادات قد تكون ساهمت فى التفاهم بين قادة بلدينا ، وأنها يمكن أن تخدم رغبتنا فى تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة .

المخلص

ليندون جونسون »

الوثيقة رقم (١٤)

صورة من نص الخطاب الذى بعث به الرئيس ، جمال عبد الناصر ، إلى الرئيس الجزائرى ، هوارى بومدين ، فى أعقاب قيامه بالانقلاب على سلفه الرئيس ، أحمد بن بيللا ، ، وقد حرص فيه على شرح موقف مصر بعد التغيير الذى وقع فى الجزائر ، كما حرص فيه أيضا على شرح قرار تأجيل مؤتمر قمة الدول الآسيوية الأفريقية الذى كان مقررا عقده فى الجزائر .

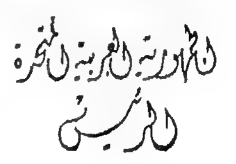

عـزيزى الأخ بومدين

لقد وجدت برغم زحام الحوادث ، وتقديرى لمشاغلك العديدة ، أنه من الضرورى أن أكتب إليك موضحا ومؤكدا بعض النقط التى أرى أن عرضها الآن لازما ، لكى تظل الأمور فى مكانها السليم وبمعاييرها الصحيحة ، الشىء الذى نحرص عليه كل الحرص ، إيمانا لا يتزعزع ، مهما كانت التطورات بصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ، البلدين والشعبين والثورتين ، وثيقة وعميقة .

١ - عقب التطورات التى جرت فى الجزائر صباح يوم السبت ١٩ يونيه ١٩٦٥ ، والتى تلقيت وجهة نظركم فيها عن طريق رسالة من السيد عبد العزيز بوتفليقه وزير الخارجية ، أبلغها إلىّ سفير الجمهورية العربية المتحدة فى الجزائر ، فلقد بادرت بالرد سريعا شارحا وجهة نظرى فى عدد من المسائل ، بينها مفاجأتنا بما حدث وبتوقيته ومخاوفنا من تأثيره على وحدة القوى الثورية الجزائرية ، وعلى احتمالات انعقاد المؤتمر الآسيوى الأفريقى فى مكانه وزمانه ، ثم أخيرا قلقنا على السلامة الشخصية للأخ أحمد بن بيلا .

ولقد أحسست بتلقيكم الحسن لهذه الرسالة ، أن تقديركم لدوافعنا كان مرهفا وصادقا ، ويعلم الله أن الشىء الذى نتمسك به قبل أى شىء آخر هو سلامة الثورة الجزائرية ، وقدرتها على الفعل وعلى الاشعاع وطنيا ، وعربيا ، وأفريقيا ، وعالميا .

وهذه الثورة - ككل حركات التاريخ الكبرى - لم تكن ، ولا يمكن أن تكون مجد فرد أو مجموعة أفراد ، وإنما هى تضحيات شعب ، ونضال أمة ، ودماء مليون شهيد .

ولأن ثمنها كان غاليا ، فلقد كان الحرص عليها أغلى من جانب كل الذين يعرفون قيمتها ، ويرون جوهرها الصافى الأصيل .

٢ – لقد نقل إلىّ أخى المشير عبد الحكيم عامر ، بعد زيارته التى تمت للجزائر – بقبولكم وترحيبكم الكريم – صورة كاملة لما رأى وسمع ، ولقد قدرت كل التقدير ، وكذلك اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى والحكومة ، روح الاخوة التى تعاملتم بها مع المشير عبد الحكيم عامر مكاشفة وأمانة .

ولقد كان هدفنا – قبل أى هدف آخر – وبصرف النظر عن جميع الاعتبارات ، أن ندرس خير السبل التى تستطيع بها الجمهورية العربية المتحدة أن تكون بها عونا وسندا للجزائر وشعبها وثورتها فى لحظة من اللحظات العصيبة التى لا يخلو منها طريق شعب من الشعوب ، بينما هو يحاول أن يبنى نفسه وقوته ، بعد عهد طويل من القهر الاستعمارى والسيطرة المستغلة .

٣ – فى الليلة التى سافر فيها عبد الحكيم عامر إلى الجزائر ، فانى أمام ضيف الجمهورية العربية المتحدة ، الرئيس شواين لاى ، قلت : « أن شعب الجمهورية العربية المتحدة يثق فى ثورة المليون شهيد فى الجزائر ، هذه الثورة التى احتضنت المؤتمر الآسيوى الأفريقى الثانى واستضافته فى بيتها ، ثقة بغير حدود ، ويدرك شعبنا أنه مهما كانت الصعاب ، فإن صلابة الثورة الجزائرية الأصيلة أثبتت دائما قدرتها على الصمود ، وعلى التأثير الدافع لحركة التحرير الوطنى فى مضمونها السياسى والاجتماعى ...

ثم قلت . . « ان المؤتمر الآسيوى الأفريقى الثانى لابد أن ينجح ، ولابد أن يحقق المهمة التى نذر لها نفسه ، وأن يفى بالآمال التى تعلقها عليه شعوب كثيرة تتطلع إلى عالم من السلام الحقيقى ، تتمكن فى حمايته من ممارسة تطورها السياسى والاجتماعى والثقافى ، بغير تهديدات سياسات القوة وسيطرة الاحتكار الاستعمارى .

وغداة عودته من الجزائر ، وأمام الرئيس شواين لاى ، كررت هذه المعانى مؤكدا ومعززا عقد المؤتمر الآسيوى الأفريقى فى مكانه المقرر وزمانه المحدد على أرض الشعب الجزائرى البطل ... أرض ثورة المليون شهيد ، ولقد أضفت قولى .. « أن قوى عديدة كانت تريد لهذا المؤتمر أن يتعثر فى طريقه ، كما أن مضاعفات مفاجئة فى الجزائر كان من المحتمل أن تخلق نوعا من التردد والتساؤل .. وإذ يحصل اتفاقنا والتقاؤنا على ضرورة فتح الطريق رحبا وعريضا ، وتعلن حكومة الجزائر فى نفس الوقت تمسكها بعقد المؤتمر فى زمانه ومكانه .. فان تلك كلها بوادر مشجعة ينبغى أن يعززها عملنا وتصميمنا واتصالاتنا على أوسع نطاق بكل الذين يهمهم ويعنيهم أمر المؤتمر الكبير المنتظر » .

٤ – فى نفس هذه الليلة استقبلت السيد عبد العزيز بوتفليقه ، ولقد تحدثنا طويلا وصريحا معا ، ولقد كان فهمنا عنه أن الحكومة الجزائرية لا تستبعد – بالنسبة لظروفها – احتمال تأجيل المؤتمر ، ولقد سمع منا ، ونقل إليكم بالتأكيد ، ان رأينا فى هذا الموضوع هو

أن موقفنا الذى لا يمكن أن يكون لنا موقف غيره ، هو الاستجابة لأي اتجاه تقرره الحكومة الجزائرية ، ليس فقط باعتبارها أدرى الأطراف بكل الظروف ، ولكن أيضا عن رغبة فى مساندتها بكل الوسائل عبر مرحلة دقيقة وحرجة .

ولقد سافر السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة مزودا من الحكومة بتعليمات تكلفه بأن يكون صوته فى كل مسألة مطروحة للبحث ، فى نفس الصف مع الرأى الجزائرى .

٥ – ولقد كان واضحا أن هناك تيارا قويا ، آسيويا وأفريقيا ، يرى تأجيل المؤتمر ، ولم يعد من المستطاع تجاهل هذا الرأى ، وإلا فقد المؤتمر حجمه ووزنه ، وبالتالى تأثرت هيبته ، ولقد كان سبيلنا إلى المطالبين بالتأجيل هو محاولة الاتصال والإقناع ، ولقد كتبت بنفسى إلى عدد كبير من رؤساء الدول الآسيوية والافريقية ، ألح عليهم بضرورة الحضور ، وبعد ما فهمناه من السيد عبد العزيز بوتفليقه ، فلقد أصبح الموضوع مثار حيرة وتساؤل ، ثم زادت التعقيدات بما نقلته وكالات الأنباء العالمية من الجزائر من أخبار مشوشة ، الأمر الذى يحتم تفهما أكثر بالنسبة للتيار المطالب بتأجيل المؤتمر .

ولقد حرصنا فى ذلك الوقت ، خلال كل اتصال قمنا به ، على أهمية الفصل بين احتمال التأجيل ، وبين تطورات الموقف الداخلى فى الجزائر ، وذلك حتى لا يكون من شأن قرار التأجيل – إذا فرضته الظروف – أن يحدث أية مضاعفات ضارة على سمعة الجزائر أو هيبتها .

٦ – لقد فهمت من رسائل عديدة نقلت إلىّ من الجزائر ، بعدم ارتياح بعض الاخوة فى الحكومة الجزائرية لموقف بعض وسائل الاعلام فى الجمهورية العربية المتحدة ، وإنى لأرجوك أن تناشدهم جميعا تقدير المشاعر والاعتبارات التى تعكس نفسها فيما تعبر به بعض وسائل الاعلام ، وأؤكد لك ، وأرجوك أن تنقل لهم هذا التأكيد ، ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة تبذل جهد طاقتها ، لتهدئة خواطر كثيرة فاجأتها تطورات الحوادث فى الجزائر .

ان تنحية الاخ أحمد بن بيلا ، كانت صدمة عاطفية للجماهير العربية على اتساع العالم العربى كله ، وليس ذلك بالأمر المستغرب لمكانه فى الثورة الجزائرية ، ولمكان الثورة الجزائرية فى النضال العربى ، ولست أخفى عليك أن يوم تنحية بن بيلا كان يوم حزن عميق فى الجمهورية العربية المتحدة .

ومن المتناقضات أنه فى الوقت الذى كنا نسمع فيه بعدم ارتياح بعض الإخوة فى الحكومة الجزائرية لموقف وسائل الاعلام المصرية ، كانت هناك أصوات أخرى ، بل ومظاهرات ضدنا ، تتهمنا بأننا تنكرنا له وتخلينا .

٧ - ان قوى كثيرة تحاول استغلال هذا الموقف المعقد والمتشابك ، وتحاول الاساءة إلى العلاقات بين الشعب المصرى والشعب الجزائرى ، وتزرع بذور الشك فى النوايا بينهما ، وذلك أمر نريد تجنبه ، مهما كان الثمن ، ونعتقد أن ذلك - إذا نجحنا فيه - يكون نصرا محققا لقوى الثورة العربية والتقدم العربى ، ولكن ذلك يقتضى من الجانبين جهدا متواصلا ، واتصالا مستمرا ، وتقديرا لاعتبارات نفسية لها تفاعلاتها الطبيعية .

وانى لأؤكد لك - مهما كان ويكون - اننى سأعطى كل ما استطيع لصيانة العلاقات المصرية الجزائرية ولتدعيمها ، ثقة فى وحدة نضال ومصير تجمع الشعبين فى خدمة أمتهما العربية ، ولتحقيق أمانيها التاريخية النبيلة .

وتقبل أيها الأخ العزيز صادق التحية والود .

الوثيقة رقم (١٥)

صورة من الصفحة الأولى من خطاب « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل - إلى الرئيس الأمريكى « دوايت أيزنهاور » . وتشرح هذه الرسالة أكثر من أى وثيقة غيرها سياسة إسرائيل فى إنشاء طوق إقليمى يحيط بالعالم العربى من أطرافه وتكون إسرائيل هى مركزه ، وتوجد بجوار الصفحة الأولى من أصل هذه الرسالة ترجمة كاملة لنصها .

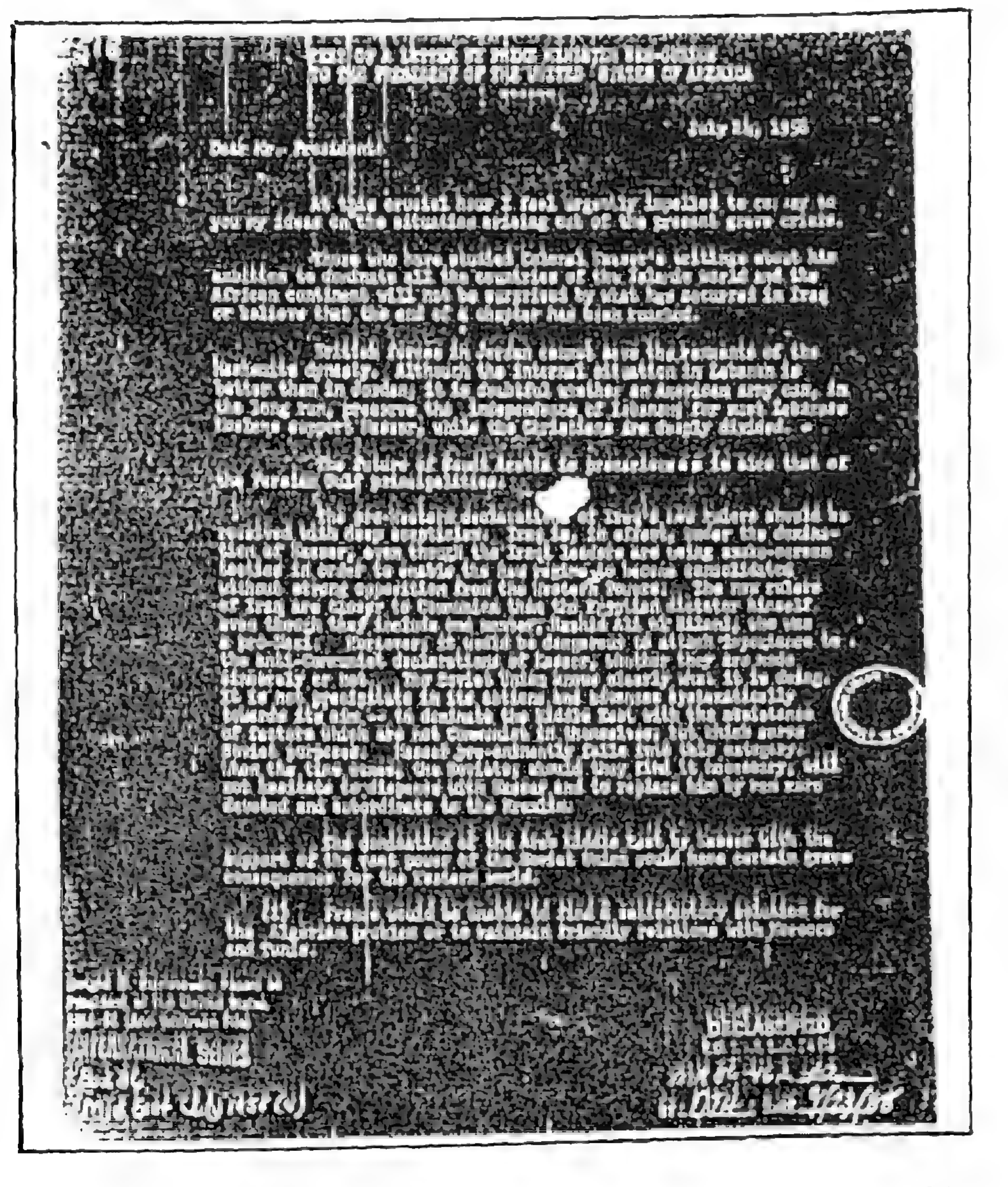

نص خطاب من رئيس الوزراء بن غوريون
إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

٢٤ يوليو ١٩٥٨

عـزيزى السيد الرئيس

فى هذه الساعة العصيبة ، أرانى بالحاح مدفوعا إلى أن أنقل إليكم أفكارى بشأن الوضع الناشىء عن الأزمة الخطيرة الحالية .

الذين درسوا كتابات الكولونل ناصر حول مطمحه فى السيطرة على جميع بلدان العالم الاسلامى والقارة الافريقية ، لن يدهشهم ما حدث فى العراق أو يعتقدوا بأن نهاية مرحلة قد تم بلوغها .

ولا يسع القوات البريطانية فى الأردن إنقاذ فلول الأسرة الهاشمية . ولئن كان الوضع الداخلى فى لبنان خيرا منه فى الأردن ، فمن المشكوك فيه ما إذا كان جيش أمريكى قادرا - فى المدى الطويل - على صيانة استقلال لبنان ، لأن معظم المسلمين اللبنانيين يؤيدون ناصر ، فى حين أن المسيحيين منقسمون انقساما عميقا .

وأما مستقبل المملكة العربية السعودية فهو رهن محفوف بالمخاطر كما هو الحال بالنسبة لامارات الخليج الفارسى .

وينبغى أن تؤخذ التصريحات الموالية للغرب من جانب حكام العراق الجدد بارتياب عميق . فواقع الأمر أن العراق هو تحت سيطرة ناصر ، حتى وان توسل الزعماء العراقيون بتكتيكات ستارة الدخان رغبة فى تمكين النظام الجديد من أن يغدو معززا دون معارضة شديدة من قوى الغرب . وحكام العراق الجدد أقرب للشيوعية من الدكتاتور المصرى نفسه ، برغم أنهم يضمون عضوا كان ممالئا للنازى هو رشيد عالى الكيلانى . يضاف إلى هذا أنه سيكون من الخطورة ايلاء أهمية لتصريحات ناصر المعادية للشيوعية ، سواء أأفضى بها صادقا أم لا . والاتحاد السوفييتى يعرف بوضوح ما الذى يعمله ، وهو فى تصرفاته غير متهوّر ويتقدم بانتظام صوب هدفه - ألا وهو السيطرة على الشرق الأوسط بمعاونة عناصر غير شيوعية فى حد ذاتها ، ولكنها تخدم أغراض السوفييت . وناصر يندرج بتفوق ضمن هذه الفئة . ومتى حان الحين ، فان السوفييت لن يترددوا ، ان وجدوا هذا ضروريا ، فى التخلص من ناصر ، وأن يستبدلوا به رجالا أكثر منه ولاء وتبعية للكرملن .

ان سيطرة ناصر على الشرق الأوسط العربى بتأييد من القوة الهائلة للاتحاد السوفييتى ستكون له بالنسبة للعالم العربى عواقب خطيرة معينة :

(١) فلن تستطيع فرنسا الاهتداء إلى حل مرض للمشكلة الجزائرية أو الابقاء على علاقات ودية مع المغرب وتونس .

(٢) ولن تقوم لليبيا المستقلة قيامة لمدة طويلة ، وسيتم تقويض مركز بريطانيا العظمى والولايات المتحدة فى ذلك البلد .

(٣) ويحتمل قيام انقلاب ممالىء للشيوعيين فى ايران ، وسيكون لكل من ناصر وخروشوف مصلحة فى مثل هذا التطور .

(٤) وسيتم تحويل السودان إلى أملاك مصرية تحت السيطرة المقنعة للاتحاد السوفييتى .

(٥) وسيتم تقويض استقلال اثيوبيا . وحتى فى هذا الوقت ، فان ناصر يثير بنشاط قلاقل وتذمرا فى ارتيريا وجيبوتى وفى كل من الصـومالين وبين السكان المسلمين فى أثيوبيا نفسها .

(٦) وسيمضى ناصر قدما بمساعدة السوفييت فى طموحه وسياسته للسيطرة على « أفريقيا السوداء » بأسرها .

ولا حاجة بى إلى الافاضة فى ما ينطوى عليه هذا الاتجاه من التطورات بالنسبة لإسرائيل وتركيا . أما وقد راقبنا هذا الخطر وهو يتطور عددا من السنين ، وأما وقد رأينا فشل محاولات تحقيق سلام بين إسرائيل ومصر ، كما حاولتم أن تقوموا بذلك من عامين مضيا يا سيادة الرئيس ، فقد شرعنا نعزز الروابط مع أربعة بلدان مجاورة تقع على المحيط الخارجى للشرق الأوسط - إيران والسودان واثيوبيا وتركيا - بهدف اقامة سد منيع ضد السيل الناصرى السوفييتى الجارف . وفى وسعى أن أسجل بارتياح أن الخطوات الأولى التى اتخذت فى هذا الاتجاه كانت خطوات ناجحة . فقد أنشأنا علاقات من الثقة والصداقة المتبادلة مع حكومة ايران ، ومع رئيس وزراء السودان وأقرب معاونيه ، ومع امبراطور أثيوبيا . ومؤخرا تنامت روابطنا بصورة حميمة جدا مع حكومة تركيا فى قنوات سرية ، هذا عدا علاقاتنا الدبلوماسية النظامية وما وراءها .

وهدفنا المتوخى هو انشاء مجموعة من البلدان ، ليس من الضرورى أن تكون داخلة فى حلف رسمى ومعلن ، وتكون قادرة ، بفضل المساعدة المتبادلة والجهود المشتركة فى المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها ، على الوقوف صامدة ضد التوسع السوفييتى من خلال ناصر ، بل لعلها تكون قادرة على انقاذ حرية لبنان ، وربما حرية سورية أيضا مع الوقت . وتضم هذه المجموعة أمة واحدة تتكلم بالعربية (السودان) وأمتين مسلمتين غير عربيتين (إيران وتركيا) وأمة مسيحية (أثيوبيا) ودولة إسرائيل . ولئن كنت آمل ألا ينفك بذل كل جهد للحد من تقدم ناصر فى العالم العربى ، فمن الضرورى والممكن بصورة حيوية تعزيز الحرية والمساعدة المتبادلة فى هذا النطاق الخارجى للشرق الأوسط .

ومن الضرورى فى ثلاثة من البلدان (ايران والسودان واثيوبيا) اتخاذ إجراءات فعالة ومباشرة ضد التخريب من الداخل والخارج . وفى هذا السبيل ، فمن المحتم تنظيم خدمات أمنية داخلية فعالة وقوة ضاربة عسكرية أو بوليسية قادرة على احباط أى محاولة مفاجئة لاحداث انقلاب ، سواء أكان منظما من الداخل أو من الخارج .

ولا أريد أن أبالغ فى قدرتنا ، فلدى المام تام بحدودنا المادية والبشرية وسواها ، ولاسيما صغر مساحتنا وسكاننا . وفى وسعى مع ذلك أن أقول أن فى امكاننا المساعدة على اقامة مثل هذه الخدمات فى تلك البلدان . ففى كل منها توّجس معين من « الهيمنة » من جانب الدول العظمى ، وهو توّجس لا يستشعر نحونا بالنظر إلى حجمنا ووضعنا . ولدى حكام هذه البلدان الثلاثة ثقة كاملة فينا ، وفى وسعنا أن نضطلع بالمهمة التى أوضحتها لأنها - فى قرارة يقينى - ضرورة حيوية لنا ، كما أنها مصدر قوة ملموسة للغرب فى هذا الجزء من العالم . ويستطيع جيشنا أن يعمل بوصفه مدرسة فعالة للقوات العسكرية النامية لهذه البلدان . ويستطيع معلمونا فى أفانين المخابرات أن يؤدوا غرضا مماثلا . ولا تقل عن هذا أهمية مؤسساتنا العلمية والخاصة بالبحوث وخبراؤنا فى هذا ولاسيما فى ميدان التنمية الزراعية والتعليم الشعبى ، وهؤلاء يستطيعون أن يجلبوا لهذه الأراضى فوائد جزيلة فى سبيل صيانة استقلالها وتقدمها الاقتصادى .

وان انشاء خط أنابيب عريض من ايلات إلى البحر المتوسط محل خط الأنابيب الضيق الحالى يستطيع إلى حد كبير أن يعمل كبديل لقناة السويس فى نقل البترول من الشرق إلى الغرب وبهذه الكيفية يمكن الانتقاص من قوة ناصر فى الابتزاز ومن احتمالات السيطرة السوفييتية على المنطقة .

وازاء الأوضاع التى نواجهها اليوم ، فمن الضرورة الملحة إعطاء إسرائيل أمنا كاملا من حيث سلامة حدودها وسيادتها وقدرتها على الدفاع عن النفس .

ولست أتكلم عن رؤيا بعيدة الشطط . فالمراحل الأولى لهذه الخطة قد صارت فعلا فى حيز الانجاز . ولكن هناك أمرين ضروريين : تأييد الولايات المتحدة - سياسيا وماليا وأدبيا ، وغرس شعور فى ايران وتركيا والسودان واثيوبيا بأن جهودنا فى هذا الاتجاه تتمتع بتأييد الولايات المتحدة .

ولما كان من المستحيل التفرقة بين مصير الشرق الأوسط وشعوبه ومستقبل العالم ، فيهمنى أن أضيف بضع عبارات عن الاتحاد السوفييتى . فى رأيى أن الاتحاد السوفييتى لن يتردد فى استخدام القوة حيثما تبين جدواها ، دون المخاطرة بضرر يعود عليه . وفى الوقت عينه أعتقد بأنه بلا مصلحة فى قيام حرب عالمية ، وأنه واثق من قدرته على تحقيق أهدافه بدونها . وهو ، فوق كل شىء ، يحترم القوة العسكرية للولايات المتحدة . والاتحاد السوفييتى

يسعى إلى إقرار سيطرته عن طريق التخريب الداخلى حيثما كان ذلك ممكنا - ومما يؤسف له أن هناك فرصا لذلك فى جميع بلدان آسيا وأفريقيا تقريبا . وسيسعى فى سبيل تقسيم العالم الغربى بتضخيم الخلافات الصغيرة والمؤقتة الموجودة فيما بين البلدان الحرة . وسيسعى بصورة مؤقتة إلى تحقيق تقارب مع جماعات الرأى المترددة أو غير الملتزمة فى الغرب رغبة فى الوصول إلى تفتيت الأسرة الغربية ، والأقوال السوفييتية بشأن التعايش هى جميعها أقوال تكتيكية خالصة لا تردد إلا بقصد تضليل السذج والأبرياء فى العالمين الغربى والمحايد . فالسوفييت مقتنعون بأن البلدان الرأسمالية مكتوب عليها جميعا أن تنهار ، وهم من ناحيتهم يبذلون كل ما هو مستطاع لتقريب (يوم) هذا الانهيار . وسواء انعقد مؤتمر للقمة أو لم ينعقد ، فمبادىء السوفييت لن تتغير بأى مقدار يسير . وربما كانت هناك أوقات تتغير فيها نغمة التصريحات المرددة علنا تغيرا مؤقتا ، ولكن نظام العمل السوفييتى لن يطرأ عليه أى تغيير . ولا يسع شيئا أن يتيح الأسباب لانقاذ حرية الجنس البشرى واستقلال أمم الغرب ، إلا تعزيز القوة غير الشيوعية فى الوحدة الكاملة والشجاعة والولاء ، رغبة فى مقاومة كل تخريب ومداهنات وتهديدات ، وكذلك لمقاومة القوة العسكرية الشيوعية . ولا يسع إلا المساعدة البناءة للتنمية الاقتصادية للأمم الآسيوية والافريقية والنهوض بالتعاون فيما بينها ، أن تنقذها من الهيمنة من جانب السوفييت ، سواء بوسائل مباشرة أو غير مباشرة .

وباعتبارى ابنا لأمة تعيش فى الشرق الأوسط .، فقد أفضت فى الحديث أساسا عما ينبغى عمله فى هذه المنطقة . وما من أمة تقوم بانقاذها قوة جيش أجنبى وحدها . ان الخلاص الأساسى لكل أمة يكمن فى تمكينها من الوقوف على قدميها وتشجيعها على ذلك ؛ كما يكمن فى علاقات من المساعدة المتبادلة مع جيرانها وأصدقائها ، وهو هو ما نحاول أن نعمله بالنسبة للبلدان التى أشرت إليها . وانى لأتحدث عن مجموعة من خمس أمم تقع على المحيط الخارجى للشرق الأوسط ، وستشكل ايران وتركيا وإسرائيل ذراعها الشمالية ، والسودان وأثيوبيا ذراعها الجنوبية . وفى وسع هذه المجموعة أن تحتوى توسّع ناصر مع ما يترتب على ذلك من اقامة هيمنة سوفييتية . وسيكون من المستطاع اذن ، بمعونتكم يا سيادة الرئيس ، انقاذ الحرية فى هذا الجزء الحرج من الشرق الأوسط وحتى فيما بين بعض البلدان المتكلمة بالعربية فى شمال أفريقيا . ومع تأمين أجنحة المنطقة ، سيصبح من السهل تطوير مقاومة التغلغل الناصرى والسوفييتى فى بقية مناطق العالم العربى .

واننى لأقدر تقديرا عميقا يا سيادة الرئيس فرصة الوقوف على رد فعلكم بازاء ما دونته هنا . والتشاور بصورة عاجلة مع الولايات المتحدة حول هذه الأمور .

المخلص لكم جدا

ديفيد بن غوريون

6. Iraq's close relations with Egypt since the coup of November 1963, and the presence of Egyptian troops in Iraq, have convinced the Shah that the Iraqi Government is a tool of Nasir and that the web of Arab nationalism is tightening around Iran.

1.3(a)(2)(4)

S

In addition, actual border incidents between Iranian and Iraqi troops in the course of the Kurdish rebellion have added fuel to the fire in the Shah's mind. There have also been reports of arms shipments from Iraq to dissidents among the Qashqai and Baluchi tribes. The Shah's predilection to believe the worst of Nasir leads him to put all available facts, rumors, intelligence reports, and suspicions into a pattern which proves to him that Nasir is out to overthrow his government.

« إن علاقات العراق الوثيقة بمصر زادت فى الفترة الأخيرة ، كما أن وجود مجموعة عسكرية مصرية فى العراق قد أدى إلى اقتناع الشاه بأن الحكومة العراقية هى أداة فى يد ناصر ، وأن شبكة القومية العربية تضيق من حول إيران » .

الوثيقة رقم ١٧

ورقة بخط الرئيس « جمال عبد الناصر » كتب عليها ملخص المعلومات التى أبلغها إليه السفير السوفيتى فى القاهرة على أثر معلومات تقدم بها شاه إيران إلى الاتحاد السوفيتى مؤداها أن مصر ترتب مؤامرة ضده .

1) Bachgbe Hussein
el-Labana
2/ X Hasan Buzgas
3/ adel Mystafa
al Sirki

الهدف

١ الاتصال مع [illegible] زاده
كباشي
٢ [illegible]
[illegible]
٣ المعلومات ملفقة للشاه
[illegible]

[illegible]
الغرض [illegible]
[illegible] افغانستان NS
[illegible]

الوثيقة رقم (١٨)

صورة خطاب بعث به الملك « حسين » للرئيس « جمال عبد الناصر » وهو يركز على شكوى الملك من منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها فى ذلك الوقت السيد « أحمد الشقيرى » .

سيادة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله

أخــي الاعــز :

احييكم تحيــة قلبية صادقــة ، واتمنى لكم مزيــدا من السعادة والتوفيــق وارجــو ان يلقاكم كتابــي هذا وانتم في اتــم صحة وإكمــال عافية وبعــد ، لقد كنت اود ان احضــر شخصيا للاجتماع بكم استئنافا لاحاديثنا الاخويــة في القضــايا القومية التي تهم امتنــا ووطننا العربي الكبير ، وآمل ان يتحقق ذلك في القريب العاجل ان شــاء الله .

اظــن ان سيادتكم قد سمعتم بالحمــلات المتجنيــة المتواليــة التي شنها ويشنهــا السيد احمد الشــقيرى ورهطه من وراء مذيــاع فلســطين في القاهرة على الاردن قبل ان يجــف الحبــر الذى كتبت به مقــررات مؤتمر القمة الثالــث الذى كان لحنكة ودرايــة سيادتكم فــي ادارة دفته وتوجيــه جلساته ابلغ الاثــر في نجاحه العظيــم وفي الكثيــر الغالي الذى اقره في ســبيل دعــم التضامن العربي واستكمال المخطط القومي لاستعادة حقنا المغتصب في فلســطين .

والحجة التي يتــذرع بها السيد الشقيرى في مهاتراته هي ان الاردن يعيــق عمــل المنظمة ولا يسمح لها بحرية العمل . . حرية العمل في بفهومه كما تكشفت بجلاء ووضوح انمــا تستهدف سلخ المواطن الاردني الفلسطيني في غرب نهر الاردن عن اخيه المواطن الاردني الفلسطيني في شرقه واثارة ما دفن من الحزازات المستترة والفتن النائمة ، وتفتيت وحدة الشعب والجيش وبالتالــي تمزيــق الحشد وتعطيل الجهد الراميين الى مزيــد من الاستعداد والتجمع خاصــة من النواحــي العسكرية وفق قرارات مؤتمــر القمة واوامر القيادة العربيــة الموحدة وفي الاردن الذى يشكل قــلب العمل العربي من اجل استعادة الحق العربي في فلســطين بعد الوصول الى مركز القــــوة القمين بايقاف الخطر الصهيوني المهدد لمستقبل الامة في وطنها الكبير ومصيرها عند حده .

وتعلمــون سيادتكم ان مؤتمر القمة الثالــث قد اقــرّ بالاجماع وفي جــو من الحمــاس والانفعال الصادق قــرار دعم التضــامن العربي ، القاضي بتنقية المناخ العربــي من الشوائــب المعطلة للمسيرة القومية ووضع حد حاسم للمهاترات والاتهامات التي لا يفيــد منها غير الاعــداء ،

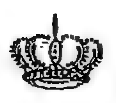

(٢)

والانصراف في نسق من الانسجام والتكافل الى حركة البناء والتجمع والجهد المشترك لتوفير المزيد من الطاقات والقدرات العربية وحشدها ، استعدادا لمعركة الثأر .

وقد أحزننا ان يتجاهل السيد احمد الشقيري ومذياعه الذى يبث من ارض الكنانة الشقيقة ، كل هذه البداهة ، وكل هذه الاتجاهات والمقررات وان يذهب مذاهبه المشبوهة في التهجم على بعض الدول العربية خاصا المملكة الاردنية الهاشمية بالجزء الاكبر من الحملة الظالمة المباشرة التي لايمكن الاستمرار في تجاهلها وقد بلغت بنا الحساسية مبلغها بعد كل هذه السنين فأصبحنا لا نطيق ان يقابل صمودنا وعزمنا على الذود بأرواحنا من حقوق امتنا في العيش بأمن وطمأنينة واستعادة مافقد منها في فلسطين قلب وطننا الكبير بكل هذا النكران والجحود بدل العرفان والتقدير ، والتي لايمكن تفسيرها الا برد الاتهام الى اعوان الشقيرى الذين زيّنوا له مثل هذا السلوك وفي مثل هذه الظروف التي نحن أحوج مانكون فيها الى وحدة الصفوف المنسجمة مع وحدة الاهداف .

ولست أشك في ان سيادتكم تعلمون ان الحكومة الاردنية لم تأل جهدا في بذل كل مساعدة ممكنة للمنظمة ، على أساس ان الاردن هو فلسطين وهو مكان التجمع والحشد وان ابناء فلسطين في الاردن يشاركون اخوانهم مشاركة ملتحمة لايمكن فصمها في القوات المسلحة والحكومة وفي كافة المرافق والمنشآت والهيئات الشعبية ، وان كل تدريب أو توعية أو تنظيم اذا جازت التسميات من شأنها تمزيق هذه المشاركة ، لايمكن ان يقصد بها الا تفتيت وحدة مكينة باركها الله وأيدها الشعب وصهرتها التجارب والمحن وامتزج الغزيز من دم ابنائها في الخنادق على خط الفداء والنار ، لم يفرق رصاص الاعداء بين شرقي منهم وغربي ، لاجيء ومقيم .. وحدة تفرض على الجميع المصلحة القومية والمستقبل العربي تجاه الصهيونية ورأس جسرها في قلب بلادنا مثلما تفرض علينا في الاردن مقاومة كل اتجاه لمسّها من قريب او بعيد بنفس الضراوة التي نقاوم بها لسنوات طويلة خلت وحتى يومنا هذا الصهيونية التي من أغلى اهدافها احداث البلبلة والتصدع هنا في الاردن كخطوة اولى لتحقيق المزيد من مخططات التمدد والتوسع في الوطن العربي .

(٣)

ولو كان السيد الشقيرى ، يبتغي وجه الله ومصلحة الوطن ويريد حقا ان يسهم في العمل لاجل فلسطين بامانة واخلاص اذن لوجد ابواب الاردن التي كانت بحرارة وصدق مفتحة له ولغيره للمشاركة الصحيحة في دعم الوحدة القائمة والحفاظ على الحشد الموحد ، وكل ما يستطيع ان يقدمه من جهد مادى ومعنوى في هذا السبيل ما كان ليقابل منا ومن غيرنا الا بالشكر والتقدير وعرفان الجميل . اما وقد اتضح الغرض من حملاته واذا بها استشراف مخططات اخرى من شأنها ان تورث امتنا كوارث جديدة وتهدم وحدة الصف التي تعتبر مقدسة في نظرنا ولا اخالها الا كذلك في نظر سيادتكم ، فذلك ما لا يمكن القبول به لانه تفريط بالامانة واستهانة بالمسؤولية وخروج على الاجماع العربي والخطة العربية ، واخشى ما اخشاه ان توصد تصرفات الشقيرى ومن لف لفه الباب نهائيا امام كل مجال للتعاون معه ما لم يعد الى رشده ويسلك الطريق السوى المستقيم الواضح المعالم خدمة لفلسطين ولاهداف امتنا الواحدة .

اننا — يا أخي الرئيس — لا نرغب في الدخول مع السيد الشقيرى في معارك جانبية وفي مهاترات غوغائية اذ اننا نعز وقتنا ان يهدر في غير حركة البناء والانشاء والاستعداد للمعركة الفاصلة مع الاعداء ، ونكرم انفسنا ان تنزل الى درك النداءات والهتافات التي انطلقت وتنطلق من حشود الشقيرى موجهة الى شخصنا والى بلدنا ، في الوقت الذى كنا نعتقد ان عهد هذه الغوغائية قد انطوى الى غير رجعة وفي الوقت الذى نغلي فيه اى بلد عربي أن تكون ارضه العزيزة منطلقا لمثل ذلك الحقد ومثل تلك التخرصات والاكاذيب !!

وانني حرصا على اطلاع سيادتكم على حقيقة موقفنا من كافة القضايا التي اثارها الشقيرى ، يسرني ان اقدم لكم طي رسالتي هذه نص الخطاب الذى فهت به امام ممثلي السلطتين التشريعية والتنفيذية لدى عودتي من المؤتمر العتيد الذى اتاح لي شرف لقائكم والتحدث اليكم والاستئناس بسديد رأيكم وعميق تفهمكم للامور ، وما احسه دائما حين التقي بكم من قدسية روابط الاخوة والمحبة بين شخصينا وبين بلدينا وفي سبيل المصلحة المشتركة والمسيرة القومية ان شاء الله .

(٤)

وانه ليسعدني ان اترك بين يديكم دقائق الموقف برمته ، وكلي ثقة بانكم ستتولون بحسن رعايتكم وعنايتكم وحرصكم على المصلحة القومية ، هذا الموضوع ، بما يحقق رتق الفتق وتقويم الاعوجاج تمشيا مع ميثاق دعم التضامن العربي وتمكينا للخطة العربية الموحدة .
ويقينا منا بان كرامة هذا القطر من وطنكم العربي الكبير هي جزء من كرامتكم في ذلك القطر الكبير من وطننا الذى تتولون قيادته نحو غد افضل مثلما تتولون خدمة المجموع وخدمة اهدافنا الواحدة ، ولست في حاجة للقول بان كرامتي وانا اتشرف بخدمة بلدى هذا الصابر المرابط وكرامة العاملين معي هنا ، هي جزء من كرامتكم ايضا .
وكرامة الامة العربية بمجموعها ممثلة في قادتها ومؤتمرات قمتها هي من الاهمية بحيث لا يجوز السماح بتعريضها لمثل تخرصات الشقيرى ومهاتراته في وقت يمنعنا حرصنا الاكيد على المصلحة العربية المشتركة مثلا ان نبين بجلاء ووضوح حقيقة موقفنا من امر دخول القوات ، ذلك الموقف الذى في طليعة اسبابه التخطيط العربي ذاته واستهدافه عدم تمكين اعدائنا من فرض المعركة علينا قبل اوانها حين يعتبرون دخول القوات سببا يبرر قيامهم باعمالهم العسكرية عالميا ، وفي وقت لم نتمكن نحن جميعا خلاله من توفير قوات الدعم الجوية والارضية الكافية التي طلب توفرها القائد العام والتي تكفي حسب تقدير قيادته الموحدة لاحباط الهجوم الاسرائيلي المتوقع .
والذنب في هذا ليس ذنبنا وحدنا اذا جاز ان يوصف بانه ذنب كما يحاول الشقيرى ان يوهم الناس ، ونحن لم نقصر في تجنيد كافة امكاناتنا لفلسطين وللعرب اجمعين .
وسكوتنا عن الرد على السيد الشقيرى اذن يمليه حرصنا على سرية ما دار في مؤتمر الدار البيضاء وحفاظنا على وحدة الصف والمصلحة المشتركة التي تفرض علينا عدم كشف الضعف الواقع ، مع الاسف حتى الآن ، لاعدائنا جميعا .

وتفضلوا — يا سيادة الاخ — بقبول فائق الاحترام ووافر التحيات والتمنيات .

اخوكم

عمان في ٢٣ جمادى الثاني سنة ١٣٨٥ هجرية
الموافق ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٦٥ ميلادية

الوثيقة رقم (١٩)

صورة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » فى الرد على شكوى الملك « حسين » .

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك حسين بن طلال

ملك المملكة الأردنية الهاشمية

العزيز

يسرني أن أبعث اليكم بتحياتي الطيبة مقرونة بتمنياتي الأخوية ، وأرجوها لكم [illegible] الصحة والسعادة ودوام التـ[illegible] [illegible] وبعد ،

[illegible] ام الشد[illegible] [illegible] الـ[illegible] تعبير صادق عن روح [illegible]

والصراحة ، التي أملاها حرصكم على ما بين البلدين الشقيقين من روابط الصداقة .

ولقد درست ما تضمنته الرسالة بشأن ما ذكرتم جلالتكم عما تردده الإذاعة فلسطين من القاهرة ، التى تشرف عليها وتديرها منظمة التحرير الفلسطينية ؛

وانى لعلى ثقة أن جلالتكم تعلمون أن هذه الاذاعة ، وإن بثت برامجها من القاهرة ، الا أنها تعتبر اذاعة مستقلة فى الواقع ، لا تتبع أية هيئة أو جهاز رسمى أو حكومى للجمهورية العربية المتحدة ، ولهذا ليس لنا اشراف أو توجيه بأية صورة على ما يذاع منها .

ومع ذلك ، وتقديرا لما جاء فى رسالتكم ، وتدعيما لما بين البلدين الشقيقين من الود ، فقد اتخذنا من جانبنا اجراء خاصا ، نعتقد أنه يسير عادى ، وفى حدود أقصى ما يمكن أن نتخذه فى هذا الشأن ، وهو ألا يذاع شيء من اذاعة فلسطين دون أن يسجل مسبقا ، حرصا على حصر المسئولية

(يتبع)

اذا ما أذيع شئ يعتبر تجنيا على أية جهة أو أى شخصية أو خروجا على روح التضامن العربى والاخوة العربية .

كذلك لقد صدرت التعليمات الى حاكم قطاع غزة ، للعمل على تأجيل زيارة السيد احمد الشقيرى المرتقبة للقطاع ، الى أن تسوى الأمور وتهدأ الأحوال .

وتجدون جلالتكم أن القاهرة من جانبها تبذل أقصى جهودها لتضمن التزام كافة الأطراف بما اتفق عليه الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة العربى الثالث .

ويطيب لى أن أنوه بالصراحة التى اتسمت بها رسالتكم ، وما ظهر فيها من حرص على تبادل الرأى فيما يمس القضايا العربية ، وما قد يشوب جو الصفاء والنقاء بين البلاد الشقيقة .

ويسعدنى أن يبقى هذا النهج على الدوام ، حتى تحقق لأمتنا العربية ما تصبو اليه من عزة وكرامة ورفعة .

وانتى اذ أشكر جلالتكم على رسالتكم القيمة ، أرجو أن تتقبلوا فائق التحية ومشاعر المودة .

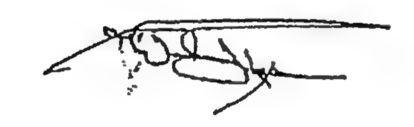

صورة من الخطاب الذى بعث به الملك « سعود » من أثينا إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يطلب فيه حق الإقامة فى مصر .

أثينا [illegible] ١٩٦٦م

فخامة الأخ جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أرجو أن تكونوا سيادة الأخ في أتم الصحة والعافية وبعد

يعلم الأخ الرئيس أنه منذ خروجنا من وطننا العزيز كنا نود

الاستيطان في بلد إسلامي عربي [illegible] أرضنا

المقدسة وتربية أبنائنا تربية إسلامية عربية

صحيحة ولما أن الظروف لم تسمح لنا بذلك [illegible]

[illegible] الجميع لذلك [illegible] وقد رأينا الإقامة

بوطننا الثاني بين إخواننا في الإسلام والعروبة في الجمهورية

العربية المتحدة [illegible] لكن هذا

عرض علينا [illegible] سيادة الأخ [illegible] في تلبية هذه

الرغبة راجيا الله [illegible] أن يوفقنا لما فيه

خدمة الإسلام والمسلمين [illegible] للقضية العربية

المقدسة [illegible] والسلام .

أخوكم [illegible]

الوثيقة رقم (٢١)

وثيقة من أهم وثائق الفارة السابقة مباشرة على معركة ١٩٦٧ ، وهى البرقية الشفرية التى بعث بها الرئيس « ليندون جونسون » إلى السفارة الأمريكية فى عمان لتقوم بتسليمها للملك « حسين » - وهى الوثيقة التى يعترف فيها « جونسون » بأنه يفهم أسباب قلق الملك « حسين » من مطامع إسرائيل فى الضفة الغربية . وهناك ترجمة لنص هذه البرقية ، وهى تستحق أن تقرأ بعناية .

ACTION: Amembassy AMMAN IMMEDIATE
INFO: [illegible] TEL AVIV

Please deliver following letter to King Hussein from President Johnson:

Your Majesty:

[illegible] of sympathy [illegible] comfort when lives have been needlessly destroyed

[illegible] want to convey to Your Majesty [illegible] of the [illegible]

[illegible] the military action by Israel in the Hebron area [illegible]

[illegible] in this country generally. My disapproval of this action has been

made known to the Government of Israel in the strongest terms. [illegible]

of condemnation of this action by the Security Council and [illegible]

Goldberg's statement during the Security Council hearings [illegible] the

depth of my feelings and those of our country.

This action has placed Your Majesty in a difficult position. I am certain

that with your demonstrated courage, wisdom and moderation, your diffi-

culties will be overcome. For our part, I assure you that this Government

[illegible] its interest in the peace and security of Jordan and in the

economic progress and well-being of its people. I have ordered an urgent

review of [illegible] which the United States Government could take [illegible]

[illegible] 11/23/66 [illegible] 2107 [illegible]

White House [illegible]

تلغراف صادر – وزارة الخارجية

إلى : السفارة الأمريكية بعمان – فورا

ابلاغ : تل أبيب

برقية الوزارة رقم ٩٠٦٠٣

الرجاء تسليم الرسالة التالية إلى الملك حسين من الرئيس جونسون :

« يا صاحب الجلالة :

« ما أتفه عبارات المواساة فى العزاء حين تهلك الأرواح دون ضرورة . على أنه يهمنى أن أزجى إلى جلالتكم شعورا بالأسى بالنسبة للعمل العسكرى من جانب إسرائيل فى منطقة الخليل وشعورا بالقلق أثاره هذا العمل فى هذه البلاد عامة . وأبلغنا اعتراضنا على هذا العمل إلى حكومة إسرائيل بعبارات شديدة اللهجة . وقد أيدنا استنكار مجلس الأمن لهذا العمل ، والبيان الذى ألقاه السفير جولدبرج أثناء جلسات مجلس الأمن يوضح عمق شعورى وشعور بلادنا .

« إن هذا العمل قد وضع جلالتكم فى موقف صعب . وإنى لواثق من أنه بفضل ما هو مشهود لكم به من شجاعة وحكمة واعتدال ستذللون الصعاب التى تواجهكم . ومن ناحيتنا أؤكد لكم أن هذه الحكومة باقية على اهتمامها بسلام الأردن وأمنه وبالتقدم الاقتصادى لشعبه ورفاهيته . وقد أمرت بإجراء مراجعة عاجلة للتدابير التى تستطيع حكومة الولايات المتحدة اتخاذها إزاء هذه المصاعب . وسنظل على اتصال بحكومتكم حول هذا الأمر .

« وأخيرا ، أبلغنى السفير بيرنز قلق جلالتكم لأن سياسات إسرائيل قد تغيرت ، ولأن اسرائيل تعتزم الآن احتلال أرض فى الضفة الغربية لنهر الأردن .

« ولئن كان فى وسعى أن أفهم أسباب هذا القلق ، فإن لدينا من الأسباب الوجيهة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن من غير المحتمل إلى حد كبير أن تقع الأحداث التى تخشونها فعلا . وفى هذا المقام فإن معارضة حكومتى لاستخدام القوة فى تعديل خطوط الهدنة أو الحدود فى الشرق الأدنى قد تم توضيحها توضيحا لا يحتمل الخطأ لجميع الأطراف المعنية .

« وان الاحتجاجات الخاصة القوية التى قمنا بها فى إسرائيل وكذلك بياناتنا العلنية الصريحة تبين بوضوح أن إسرائيل إذا اتخذت السياسات التى تخشونها فسيكون لذلك أخطر العواقب . ولا يخامرنى أى شك بأن موقفنا مفهوم تماما للإسرائيليين ومقدر منهم .

المخلص

لندون ب . جونسون

الوثيقة رقم (٢٢)

صورة الصفحة الأولى من خطاب إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط السيد « على صبرى » فى فترة وزارة السيد « زكريا محيى الدين » .

الاتحاد الاشتراكى العربى
الأمين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

بمناسبة اجتماع اللجنة التنفيذية العليا مساء اليوم أرجو إثارة الموضوعات الآتية :-

١- موضوع الاتفاق الأخير الذى وقع بالأحرف الأولى فى إيطاليا والخاص بتسوية التزاماتنا قبل شركة " إيتال كونسالت " على أساس سعر الصرف الجديد للجنيه المصرى. هذا المطلب الذى رفضناه منذ سنتين لأنه غير مطابق للعقد ولم تستطع الشركة فى معارضة هذا الرفض . بل أن الشركة كانت والمفاوضات تسير مستمرة إلى المزيد من النشاط فى استصلاح أراضى جديدة على مياه السد العالى مما يدل على أنها ليست خاسرة فى الصفقة . (ابن الحسن أبو النور يعلم التفاصيل) إلا أن القرار اتخذ بواسطة القيسونى مع حامد إبراهيم الذى رأس الوفد وهذا ليس من سلطته . مع تكتم الخبر عن اللجنة العليا حيث أن هناك قرار سابق من مجلس الوزراء برفض مثل هذا الاتفاق .

٢- موضوع تسوية متطلبات شركة " أينى " الإيطالية للبترول والذى رفضه مصطفى خليل ولكن أمكن القيسونى بضغط عليه لقبوله مماثل للموضوع السابق وفيه خسارة كبيرة .

٣- موضوع تعويض شركة شل والذى أعد له القيسونى اتفاقاً يقضى بأن يسمح باستخدام رسوم المرور فى القناة لتسوية التعويض ، وقواعد الشروط بحيث يفقد خصم شركة شل من تغطية نظرياً بطريقة إجبارية لا تمثل الواقع -

الوثيقة رقم (٢٣)

صورة من مذكرة كتبها السيد « سامى شرف »
عن لقاء بينه وبين السيد « صلاح نصر » .

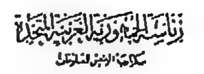

افندم ،

طلبني السيد صلاح نصر لمقابلة أمس في منزله وعندما قابلته
قال لي انه "زعلان مني" فلما استفسرت عن
السبب قال :
"انني مكلف بعض الصحفيين من أخبار اليوم وروز اليوسف
تتبع أخباره"
فنفيت له هذا الكلام بصفة قاطعة وقلت له انني من
ناحية المبدأ انا لا أتصل بصحفيين وما اللازم [illegible] لتتبع
أخباره ونحن علاقتنا منذ مدة [illegible] ونبادره [illegible] سيادة
الرئيس سليمة وطيبة جدا ولا يشوبها شائبة ثم اضفت
انني بصفة شخصية كلما زاد اتصالي به ازداد احترامي له
وتقديري له وقد قضينا مدة من التعاون الملموس
بيننا أكثر من شهر
ثم ختمت ردي بأني رغم هذا في اتم استعداد
لمواجهة بأي كلام منسوب الى أو وقائع تثبت هذه
الاشاعات أو نقل الكلام وستعد للتحقيق .
وقلت له أنه هناك جهات تحاول [illegible] بغرض
الايقاع بيننا وبين سيادته وبين كبار المسؤولين [illegible] .
وانه يجب أن نعرف هذه الجهات من اصحابها .

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

فذكرت له أنه كما تعاهدنا اذا كان هناك أى شئ اسمه
حبس يحدث بينى وبينه سيلجأ به لتكون الأمور واضحة .

ثم بدا عليه بعد ذلك مباشرة انفعال غريب و بدت الدموع
فى عينيه وقال أنه مخلص لسيادتكم وانه لا يريد شئ و
لا يطمع فى منصب وأنه فكر فى الاستقالة وانه يطلب مقابلة
سيادتكم لذلك وذكر كلاما فى هذا المعنى ما يبدو
منه أنه فى حالة عصبية متعبة .
فقلت له اننى متأكد من تقدير سيادة الرئيس له كشخص
وكمسئول وانه لا استقالة فى هذه المرحلة تعتبر عمل سلبى
لا يجوز أن يتقدم به حتى التفكير فيه وانها فترة حرجة
تستوجب تضافر جهودنا وبذل أرواحنا فى سبيل
البلد وكرامة أهداف رئيسنا ورسالته .

وفى نهاية المقابلة رجوته أن ينتهج الموضوع الذى استدعانى
من أجله مع استعداده الكامل للتنفيذ ولمواجهة أى شخص -
أو أى شئ قد يقدمونه بعد هذه الترتيبات هذه .

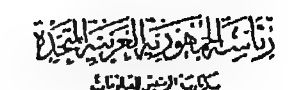

تعليق

صدقاً حين أقسم بشرفي وبالله العظيم وبحياة سيادتكم

انني لم ولن أتحدث عن تعليق في سبيل إخبار أحد

مسئول عن تدبير ما ولم أكلف انسان بأي شيء

يتعلق بسيادته بل اني من أشد من أقدره واحترمه

ومن ناحية أخرى فأنا لست بالسذاجة التي تدفعني الى

محاولة القيام بمثل هذه الأعمال ما لم أكلف بذلك من

التكليف من سيادتكم شخصياً .

اقتراح

آسف لإزعاج سيادتكم بمثل هذه الأمور ولكن

تقديري ان التبليغ عن مثل هذه المواضيع واجب .

أوامر سيادتكم

سامي

٦٥/٥/١٧

الوثيقة رقم (٢٤)

صورة من تقرير الفريق ، على على عامر ، القائد العام لجيوش الدول العربية الموحدة ، الذى قدمه إلى مجلس الدفاع العربى المشترك فى جلسة ١١ مارس ١٩٦٧ .

سرى للغاية

تقرير القائد العام للقيادة العربية الموحدة
المرفوع لمجلس الدفاع المشترك فى اجتماعه
بتاريخ ١١ مارس (آذار) ١٩٦٧

ايماء الى قرارات مجلسكم الموقر الصادر فى اجتماعه فى شهر ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٦ أرفع تقريرى هـذا متضمنا الاحداث والوقائع التى جرت خـلال الفترة التى مضت منذ ذلك الحين موضحا اقتراحاتى ووجهـة نظرى فيها ، راجيا من مجلسكم الموقـر اتخاذ ما يراه حسما للأمور .

اولا : فبالاشارة الى القرار رقم (٥) والخاص بتسديد الالتزامات المالية المقررة فى مؤتمرات القمة المتتابعة .. لم تبادر أى دولـة بسداد المبالغ المتأخرة عليها .

ثانيا : وفيما يختص بالقرار رقم (٧) القاضى بصرف مبالغ من الاحتياطى والاموال المتوفرة لـدى القيادة بصفة سـلفة للدول المستفيدة وجيش التحرير الفلسطينى ــ فقد تم تنفيذ ذلك طبقا لنص هـذا القرار .

ثالثا : اما فيما يختص بالقرار رقم (٨) والخاص بدعم الجبهة الاردنية بدخول القوات العراقيـة والسعودية اليها فقد قامت هـذه القيادة بالتخطيط لتنفيذ هذه العملية ودعت الى مؤتمـر عقد بمقرهـا حضره السادة رؤساء اركان جيوش الدول المعنية لتنفيذ هذه العمليـة للتنسيق واصدار التعليمات النهائية .

وقد تقدم السيد رئيس هيئة أركان الجيش العربى الاردنى بوجهة نظر حكومته بهذا الخصوص وطلب ابلاغها الى السيد الامين العام لجامعة الدول العربية وتتلخص فى الآتـى :-

١ ــ ان الحكومة الاردنية ملتزمة بتنفيذ ما يخصها من قرارات مجلس الدفاع المشترك المشار اليها .

٢ ــ ان الحكومة الاردنية ترى ان تقوم كافة الدول العربية بتنفيذ التزاماتها الواردة فى هـذه القرارات وبخاصة ما يتعلق منها بالقرار الصادر فى الفترة الخامسة والخاص بسداد الالتزامات

سرى للغاية

المالـيــة المقررة فى مؤتمرات الملوك والرؤساء وانها تعتبر هـذه القرارات متكاملة وملزمــة قانونا لكافــة الدول العربية التى اصدرت هذه القرارات بالاجمــاع ٠

٣ ــ إنه اذا لم تنفذ باقى الدول العربية فوراً التزاماتها الواردة فى هذه القرارات فان الاردن بالتالى فى حــل من القيام بما يخصه من الالتزامات الواردة فيها ٠

٤ ــ إن الوضع المالى سيئ للغايــة فى المملكة الاردنية الهاشمية وانه سيترتب على عدم تسديد الدول العربية لالتزاماتها المالية اضطرار الحكومة الاردنية الى تسريح التشكيلات التى انشئت بناء على هذه القرارات كما انها ستضطر الى الغاء الكثير من تعاقداتها الخاصــة بالاسـلحة وذلك تحت ضغط الدول الموردة التى تصر على سداد ثمن هذه الاسلحة كشرط للتسليم ٠ وبذا يعود الموقف العسكرى فى المملكة الاردنية الهاشمية الى الوضع المتدهــور الذى كان عليه قبل انعقاد مؤتمر القمــة الاول ٠

وازاء ذلك فقد اضطررت الى ارجـاء اتخاذ الخطوات المؤديــة الى تنفيذ هذا القــرار ٠ اذ لم تقم اى دولــة بسداد التزاماتها الى الآن كما سبق أن اسلفت ٠

وانى أرى من واجــبى ان أوضح بعض الحقائق عما تطور اليه الموقف العربى حاليا تاركــا لمجلسكم الموقر اتخاذ ما يراه من قرارات لمعالجـته :

اولا : إنه قد أصبح من الواضح ان الموقف السياسى الحالى فى المحيط العربى يقف حائلا دون تنفيذ القرارات الصادرة من مجلسكم الموقر والتى تعالج الموقف العسكرى تجاه اســرائيل ٠ ولما كانت هــذه القرارات قد صدرت بناء على توصيات هذه القيادة ضمانا لتنفيذ مخططاتها لقد أصبح تنفيذ هذه المخططات أمراً مشكوكا فيه ٠

ثانيا : ان توقف الدول الممولة عن سداد التزاماتها المالية يؤدى بالوضع العسكرى الى موقف متدهور وخطير فمن المعروف أن الطاقات العسكرية الاسرائيلية تستمد موارد انشائها وبقائها مـــن العالم الصهيونى الخارجى ٠ فهى طاقات مستوردة للعدوان على العالم العربى ومـــن البديهى عندئذ انه لمواجهة هذا الموقف يلزم دعم طاقات الدول العربية المحيطة باسرائيل

من جاراتها العربية والا لما وجدت في مواردها الاقتصادية ما يكفي لانشاء الامكانيات العسكرية لمواجهة العدوان وهو الوضع الذى كان قائما قبل انعقاد مؤتمرات القمة وانشاء هذه القيادة •

وقد سارت برامج تعزيز القوى العسكرية في هذه الدول سيرا حسنا وفي زمن قصير قاربت فيه من الوصول الى مرحلة الكفاية في الدفاع عن أراضيها • والان وقد توقفت الدول العربية عن تمويل هذه العملية فاني أخشى ان يعود الوضع القهقرى الى ما كان عليه مما يؤدى الى تعرض الارض العربية في الدول المحيطة باسرائيل الى الضياع ـ وكنت أود أن يبقى هذا الموضوع خارج أي نزاع سياسي سيما وانه يتعلق بتمكين الدول العربية من الدفاع المشروع عن نفسها ضد العدو الغاصب الذى يستمد أسباب قوته من معونات تأتيه من الخارج •

ثالثا : ان استمرار الوضع على هذا الحال سيؤدى بالدول المعرضة للعدوان الى اختصار قواتها العسكرية الى الحد الذى تسمح به طاقاتها المحلية الاقتصادية مما هو دون الحد الادنى الذى ترى هذه القيادة انه يكفل الدفاع عنها ، وبلا سيطرة منا على ذلك •

رابعا : انه بناء على ذلك فان هذه القيادة ترى ان واجب الامانة يقتضي ان تبلغ مجلسكم الموقر ان استمرار هذه الاوضاع لا يمكننا من تنفيذ المهمة التي قررها مجلس الملوك والرؤساء في اجتماعه الثاني في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤ وهي تعزيز الدفاع العربي على وجه يؤمن للدول التي تجرى فيها روافد نهر الاردن حرية العمل العربي في الارض العربية كهدف أولى عاجل ثم تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيوني كهدف قومي نهائي •

خامسا : ان الظروف التي أنشئت فيها هذه القيادة وكلفت فيها بالمهمة المذكورة عاليه قد تغيرت تغيرا جذريا لا يخفى على مجلسكم الموقر وهذا ما يدعونا الى اعادة النظر في الموقف تجاه هذه القيادة والمهمة الموكلة اليها •

فاما أن نعتبر أن الظروف الحالية المحيطة بالعالم العربي ظروفا مرحلية بإنتهـــــه — كما نرجو جميعا — وعليه يعاد تكييف المهمة المكلفة بها هذه القيادة في بعـــــض الفترة المرحلية على ضوء واقعنا الحاضر وما يسمح به من امكانيات عملية ، على أن تعتبر هذه المهمة مؤقتة تزول بزوال الظروف الراهنـــــة .

او اذا رأى مجلسكم الموقـــر ان الظروف الراهنة في الموقف العربي قد يمتد بها المدى طويلا فاني أرى انسب من الامانة أن نصارح أمتنا العربية بذلك والا نبقي هذه القيــادة بلا عمل جدي طويلا ، فتكون واقعا مخيبا للآمال ، خير منه ان تكون املا مرتقبا يـــوم أن توحد السياسة العربية صفوفها .

والرأي لمجلسكم الموقـــــر .

١٩٦٧/٤/٨

فريق اول علي علي عامـــــر

القائد العام للقيادة العربية الموحدة

لجيوش الـــــدول العربية

[توقيع]

الوثيقة رقم (٢٥)

صورة من أصل قرار رفع درجة استعداد القوات المسلحة وتحريك جزء من تشكيلاتها إلى سيناء ، وهو صادر بتاريخ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويحمل تصحيحات وإضافات بخط المشير « عبد الحكيم عامر » .

سـري للغايه

قرارات نائب القائد الاعلى

بتاريخ ١٥ مای ١٩٦٧

عـــــــام :

١ ـ اصدر السيد المشير نائب القائد الاعلى للقوات المسلحه القرارات التاليــــه :ـ

أ ـ ترفع درجة الاستعداد للقوات المسلحه الى درجة الاستعداد الكامل للقتال اعتبارا من سعت ١٤٣٠   ١٤ مای ٦٧

ب ـ تتحرك التشكيلات والوحدات المقرره فى خطط العمليـــــات من اماكن ايواءها الحاليه الى مناطق تمركزها المحدده .

جـ ـ تكون القوات المسلحه مستعده استعدادا كاملا لتنفيذ جميــع مهام القتال على جبهة اسرائيل فى ضوء تطورات الموقف .

الموقف السياسى والعسكـــــرى :

٢ ـ تشير المعلومات من المصادر المختلفه الى ان اسرائيل قد بدأت فـــى حشد قواتها امام الجبهة السوريه .

٣ ـ نوايا اسرائيل العدوانيه تكشفت فى تصريحات اشكول رئيس الوزراء الاسرائيلى واسحاق رابين رئيس الاركان الاسرائيلى .. بغزو سوريا ..

٤ ـ تتمشى نوايا اسرائيل واجراءات حشد قواتها مع مخططاتها التوسعيه فـــى المنطقه العربيه اعتمادا على اوضاع وسياسة الحكومات الرجعيه بضــــرب سوريا / [illegible] ـ وهى دوله عربيه متحرره ـ كمرحلة من مراحل المخطط الصهيونى الاستعمارى فى المنطقه العربيه إذا [illegible] [illegible] الدول العربية المتحررة [illegible] [illegible] تقدم على غزو سوريا

سرى للغايـه

– ٢ –

٥ – ان اعتبارات الامن القومى ج ٠ ع ٠ م يحتم عدم السماح للمخططات الصهيونيه بأى توسع على حساب اى دوله عربيه ٠٠

٦ – ان ج ٠ ع ٠ م لاتسمح بأى عمليات عسكريه اسرائيليه تستهدف احتلال الضفــه الغربيه لنهر الاردن او على اى بقعة عربيه فى الوطن العربى

٧ – ان تكاتف القوى العربيه التقدميه فى تنسيق دفاعها المشترك ضد اى عدوان اسرائيلى كما جاء فى اتفاقية الدفاع المشترك/ لهو ضمان لامن وسلامة واستقلال الدول التقدميه ٠

٨ – [handwritten insertion]

٨ – ينبغى ان يكون واضحا ان دور ج ٠ ع ٠ م الرئيسى فى مساندة المعارك المصيريه فى العالم العربى انما ينبع اصلا من مصالحها القوميه وامنهـــا الذى يتأثر ويؤثر فى كل المحيط العربى

٩ – ان ج ٠ ع ٠ م لحريصه كل الحرص ٠٠ ويقظه لكافة تطورات الاحـــداث السياسيه والعسكريه لتحديد الزمان والمكان المناسبين للعمليات العسكريـــه الناجحة ٠٠ اى انها لن تسمح لنفسها بالقيام بعمليات عسكريه الا علـــى اساس التقدير الكامل لكافة الاحتمالات محافظة منها على امنها وسلامتها ٠

١٠– اذا حاولت القوى الاستعماريه التى تحرك اسرائيل وترسم لها دورهـــا العدوانى فى العالم العربى ٠٠ ان تتخذ من اسرائيل مخلبا للقـــط فى توسيع وتعميق العمليات الحربيه – كما حدث فى عدوان ٥٦ – فــان المعسكر الشرقى لن يقف بمعزل عن الاحداث وتطوراتها ويترك القـــوى الغربيه الاستعماريه للتصرف بحرية فى المنطقه العربيه ٠

[handwritten note, item ١١]

الوثيقة رقم (٢٦)

صورة صفحة من رسالة شفرية بعث بها الرئيس « جونسون » إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى « ليفى أشكول » يوم ٢١ مايو ١٩٦٧ (وقد جرى الحصول على صورة منها بمقتضى قانون حرية المعلومات) .

...of telegram to Ambassy TEL AVIV

SECRET

Classification

past week. We and our friends have done all we can to make this ply clear in both Cairo and Damascus.

As you know, we have also been in touch with the Soviet Government and are somewhat encouraged by the tone of their reaction to our approaches. I am confident they are under no illusion about the firmness of our commitment to support appropriate measures in the United Nations or outside to counter aggression or the threat of aggression in the Middle East. As you so well know, this commitment was made publicly by Presidents Truman, Eisenhower, and Kennedy, as well as myself, and by the British, French and United States governments in their Tripartite Declaration in 1950. I can assure you that I hope all parties concerned will act firmly and in unison to meet any challenges to the peace. We have suggested to your Ambassador that you consult, as we are doing, with the other two governments with respect to these assurances.

So far as a United Nations presence on the boundary between Israel and the United Arab Republic is concerned, we strongly objected, as you know, to the Secretary General's decision with regard to the status of the UNEF in Sinai. We continue to regard a United Nations presence in the area as important and desirable.

٢١ مايو ١٩٦٧
برقية من وزارة الخارجية
إلى : السفارة الأمريكية - تل أبيب - أولوية
- لا يوزع

نرجو تسليم الرد التالى من رئيس الجمهورية على رسالة رئيس الوزراء أشكول المؤرخة فى ١٨ مايو (تل أبيب ٣٦٤٨)

عزيزى السيد رئيس الوزراء :

أشكرك على ردك الفورى المفصل على رسالتى بتاريخ ١٨ مايو .

لقد أبلغنى السفير باربور بتأكيداتكم التى بعثتم بها عن طريق مستر بيتان أمس بأن التدابير التى تتخذها حكومتكم هى تدابير احتياطية فى طبيعتها ، وأنكم ستواصلون عمل كل ما تستطيعونه لاجتناب زيادة تدهور الموقف الخطير الراهن على حدودكم . ومع استمراركم فى إظهار الأعصاب الهادئة بقدر استطاعتكم ، أعتقد أنكم تسهمون إسهاما كبيرا فى اجتناب نشوب الأعمال العسكرية .

وإننى لأتفق تماما على أنه من أجل عودة الهدوء ، هناك حاجة ماسة لوقف الإرهاب وعكس اتجاه التحركات العسكرية من النوع الذى شهدناه فى الأسبوع الماضى . لقد فعلنا نحن وأصدقاؤنا كل ما نستطيعه لكى نجعل هذا الرد واضحا فى كل من القاهرة ودمشق .

وكما تعرفون ، لقد كنا أيضا على اتصال مع الحكومة السوفيتية ، وتشجعنا إلى حد ما لهجة رد فعلهم إزاء مفاتحاتنا . وإننى لعلى يقين أنه لا يساورهم أى وهم بالنسبة لصلابة تعهدنا بمساندة التدابير المناسبة فى الأمم المتحدة ، أو خارجها من أجل أن نرد العدوان أو التهديد بالعدوان فى الشرق الأوسط . وكما تعرفون جيدا ، فإن تعهدنا قد أعلن على الملأ من قبل الرؤساء : ترومان ، وأيزنهاور ، وكنيدى ، وأنا نفسى ، وأيضا من قبل الحكومات : البريطانية ، والفرنسية ، والأمريكية فى إعلانها الثلاثى الصادر عام ١٩٥٠ . وأستطيع أن أؤكد لكم أننى آمل أن تتصرف جميع الأطراف المعنية بحزم ، وفى توافق ، وذلك لمواجهة أية تحديات للسلم ، ولقد اقترحنا على سفيركم أن تتشاوروا ، مثلما نفعل ، مع الحكومتين الأخريين بخصوص هذه التأكيدات .

وفيما يتعلق بوجود الأمم المتحدة على الحدود بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ، فقد اعترضنا بشدة - كما تعلمون - على قرار السكرتير العام بالنسبة لمركز قوة الطوارىء فى سيناء . ومازلنا نرى أن وجود الأمم المتحدة فى المنطقة مهم ومستصوب .

وإننى أفكر جديا فيما قد نتخذه من خطوات أخرى لتهدئة الموقف ، وإننى أولى اعتبارا

عاجلا للغاية لاقتراحكم المقدم للسفير باربور ، والذى يرى أن إصدار بيان علنى من جانبى سيكون له تأثير مهدئ . وعند اتخاذى لهذا القرار أقوم بتقدير ما يمكن أن ينشأ من آثار عن إصدار بيان من هذا القبيل الآن على زيارة السكرتير العام يو ثانت للقاهرة . وإننى متأكد أنكم توافقون على أنه ينبغى عدم الإدلاء بشىء ، أو فعل شىء فى الوقت الراهن ، من شأنه أن يعقد ، أو يصرف الانتباه عن الجهود التى يبذلها السكرتير العام . وفى نفس الوقت ، فإن المشكلات التى تناولتها فى رسالتكم لى تشغل اهتمام كبار المسئولين فى هذه الحكومة ، وسوف تبقى كذلك إلى أن يتم حلها .

مع تحياتى الشخصية لكم .

المخلص

ليندون جونسون

انتهى

الوثيقة رقم (٢٧)

الصفحة الأولى من صورة خطاب الرئيس « جونسون » إلى الرئيس « عبد الناصر » بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وهى مرفقة طى خطاب من السيد « ريتشارد نولتى » السفير الأمريكى المعين وقتها ، موجه إلى وزير الخارجية المصرى . وتوجد ترجمة لنص الخطاب باللغة العربية .

EMBASSY
OF THE
UNITED STATES OF AMERICA

Cairo, United Arab Republic

SECRET

May 23, 1967

His Excellency
Mahmoud Riad
Minister of Foreign Affairs
Cairo

Dear Mr. Minister:

President Johnson has requested that the attached message to His Excellency the President of the United Arab Republic be delivered as soon as possible.

Sincerely,

Richard H. Nolte

Richard H. Nolte

SECRET

SECRET

May 23, 1967

His Excellency
Gamal Abdul Nasser
President of the United Arab Republic

Dear President Nasser:

I have spent much of these past days thinking of the Middle East, of the problems you face, and the problems we face in that area.

Various of our common friends, including Ambassador Battle, have told me of your concern that the United States may have indicated an unfriendliness toward the United Arab Republic. This, I would wish you to know directly, is far from the truth.

I have watched from a distance your efforts to develop and modernize your country. I understand, I think, the pride and the aspirations of your people -- their insistence that they enter as soon as possible the modern world and take their full part in it. I hope that we can find public as well as private ways to work more closely together.

I also understand the political forces at work in your region, the ambitions and tensions, the memories and the hopes.

Right now, of course, your task and mine is not to look back, but to rescue the Middle East -- and the whole human community -- from a war I believe no one wants. I do not know what steps Secretary General U Thant will be proposing to you, but I do urge you to set as your first duty to your own people, to your region, and to the world community this transcendent objective: the avoidance of hostilities.

SECRET

« البيت الأبيض
سرى ٢٣ مايو ١٩٦٧
صاحب السعادة جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

عزيزى الرئيس ناصر

لقد قضيت معظم الأيام الماضية أفكر فى الشرق الأوسط وفى المشاكل التى تواجهها ؛ وفى المشاكل التى تواجهها فى المنطقة . وكان هناك كثيرون من أصدقائنا المشتركين بما فيهم السفير باتل يؤكدون لى أنك قلق من ظواهر غير ودية تتبدى لكم من ناحيتنا تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، وهذا أمر أريدك أن تعرف مباشرة أنه أبعد ما يكون عن الحقيقة .

ولقد تابعت من بعد جهودك فى تطوير وتحديث بلادك . وأستطيع أن أحس كبرياء وطموحات شعبك ، وإصرارهم على الدخول بسرعة فى العالم الجديد ، والمشاركة على قدم المساواة فيه . وإنى آمل أن نجد وسائل عامة أو شخصية تمكننا من أن نعمل معا بشكل وثيق .

وأنا أفهم طبيعة القوى السياسية النشيطة فى منطقتكم والمطامح والتوترات والذكريات والآمال التى تتحرك عندكم .

وفى الوقت الحاضر بالطبع فإن مهمتك ومهمتى هى أن لا ننظر إلى الوراء ، وإنما نتقدم لإنقاذ الشرق الأوسط والمجتمع الانسانى كله من حرب لا أعتقد أن أحدا يريدها . وأنا لا أعلم أية خطوات سوف يقترحها عليك السكرتير العام يو ثانت عندما يلتقى بك . ولكنى أدعوك إلى أن تجعل أولويتك الأولى لشعبك ولمنطقتك وللمجتمع العالمى هدف تجنب قيام أعمال عدوانية . إن الصراعات الكبرى فى عصرنا لن تجد لها حلا بواسطة الاختراق غير القانونى للحدود بالأسلحة أو الرجال - لا فى آسيا ولا فى الشرق الأوسط ولا فى أفريقيا ولا فى أمريكا اللاتينية . ولقد حدث مثل هذا النوع وأدى إلى الحرب فى آسيا وهو يهدد السلام فى أماكن أخرى .

لقد فكرت فى أن أطلب إلى نائب الرئيس همفرى أن يتوجه إلى الشرق الأوسط ، وأن يتحادث معك ومع آخرين من القادة العرب ، وأيضا مع قادة إسرائيل . وإذا استطعنا اجتياز هذه الأيام بدون نشوب أعمال عدوانية - فإنى آمل أن تتم هذه الزيارة فورا بواسطة هذا الصديق الذى يحظى بثقتى .

إن كلا منا - هؤلاء الذين تقع عليهم مسئولية قيادة أممهم - يواجه مشاكل مختلفة صنعها التاريخ والجغرافيا والمشاعر العميقة لجماهير شعبه . ومهما كانت خلافاتنا فى النظر إلى

مصالح بلادكم وبلادى فإننا نشارككم فى الاهتمام باستقلال وتقدم الجمهورية العربية المتحدة والسلام فى الشرق الأوسط .

إننى أخاطبك فى هذه اللحظة الحرجة بأمل أن نشترك فى تقدير الموقف معا ونجد الإرادة والإمكانية للتصرف فى الساعات والأيام القادمة .

المخلص

ليندون جونسون »

الوثيقة رقم (٢٨)

صورة من المذكرة التى قدمها ، والت روستو ، مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى عن ضرورة إرسال خطابات منه إلى كل من رئيس سوريا ورئيس وزراء إسرائيل حتى لا يتصور ، جمال عبد الناصر ، أنه وحده ، السيد الكبير ، فى المنطقة . ويلاحظ أن أصل المذكرة يحتوى على خطأين ، فقد ذكر اسم ، الأتاسى ، وكأنه ، الأتازى ، ، كما ذكر منصبه على أنه رئيس وزراء سوريا فى حين أنه كان رئيس الدولة .

الوسيد (٤١٦)

THE WHITE HOUSE

WASHINGTON

~~SECRET~~

Monday, May 22, 1967 -- 9:40 p.m.

Mr. President:

Gene and Luke Battle believe that it would be wise for you to cover your flanks on the message to Nasser by:

-- informing Eshkol that you have sent such a letter;

-- sending one also to Prime Minister Atazi of Syria.

Without these two flanking messages they feel there is a small chance that Nasser -- to blow up his importance -- might release your message; and, in that case, it would be better if we had parallel messages to Eshkol and Atazi to demonstrate that you were not regarding him as Mr. Big, but appealing to all hands for restraint.

There is some wisdom in this, I believe.

Walt Rostow

DECLASSIFIED
Authority NLJ 88-163
By [illegible], NARS, Date 2-24-89

2139

، يعتقد جين روستو و لوك باتل أنه من الصواب لكم لتغطية موقفكم بالنسبة للرسالة الموجهة إلى ناصر أن تفعلوا ما يلى :

- إبلاغ أشكول أنكم قد أرسلتم مثل هذه الرسالة .
- إرسال رسالة أخرى إلى رئيس وزراء سوريا الأتازى (كذا) .

وبدون هاتين الرسالتين اللتين توفران تغطية موقفكم فهما (يوجين روستو و لوشيوس باتل) يشعران أن هناك احتمالا حتى وإن كان ضئيلا فى أن يقوم ناصر بنشر رسالتكم لكى يبالغ فى تصوير أهميته الذاتية . وهكذا فالأفضل أن نبعث برسائل مماثلة إلى أشكول والأتازى لكى توضحوا أنكم لا تعتبرون ناصر «Mr. Big» ، السيد الكبير ، ولكنكم تناشدون الجميع ضبط النفس .

وأنا أعتقد أن هناك بعض الحكمة فى اقتراح الاثنين .

إمضاء

والت روستو :

الوثيقة رقم (٢٩)

صورة البرقية التى بعث بها السفير « محمد القونى » من نيويورك بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٦٧ والتى تحمل نداء « يو ثانت » بشأن « الموراتوريوم » - أى وقف تصرفات جميع الأطراف لفترة معينة . كما توجد ترجمة عربية لنص البرقية .

وزارة الخارجية
الادارة العامة للبرقيات
ادارة الرمـوز

برقيـة واردة

رقم الوارد العام ٣١٠٨

من نيويورك — برقم ١٤٩

ارسلت فى : ٦٧/٥/٢٩ الساعة ١٢٣٩
وردت فى : ٦٧/٥/٢٩ الساعة ١٤٢٢

الحاقا ببرقية الوفد رقم ١٤٨ (٣١٠١) بتاريخ ٥/٢٩

MR. PRESIDENT

I KNOW FROM MY RECENT TALKS WITH YOU AND FOREIGN MINISTER RIAD THAT YOU WILL BE FULLY UNDERSTANDING OF MY MOTIVATION IN MAKING THIS DIRECT, PERSONAL AND MOST URGENT APPEAL TO YOU. YOU WILL NOTE THAT WHAT I NOW (REQUEST) YOU TO DO SPRINGS (SOLELY) FROM MY DESIRE, AND FROM THE SOLEMN OBLIGATION I FEEL, TO DO EVERY THING THAT I POSSIBLY CAN TO AVERT THE CATASTROPHE OF A NEW WAR IN THE NEAR EAST. DURING MY VISIT TO CAIRO YOUR POSITION AND POLICY WITH REGARD TO THE STRAIT OF TIRAN WAS MADE FULLY CLEAR TO ME. I WISH TO EMPHASIZE THAT A FAVOURABLE (كلمة ساقطة) BY YOU TO MY PRESENT APPEAL WOULD BE WITHOUT PREJUDICE TO THAT POSITION AND POLICY. I AM SEEKING TIME - EVEN A SHORT PERIOD OF TIME - IN ORDER TO PROVIDE A REASONABLE OPPORTUNITY FOR CONSULTATIONS AND OTHER INTERNATIONAL EFFORTS TO FIND A WAY OUT OF THE EXISTING CRITICAL SITUATION.

I WISH ESPECIALLY TO CALL TO YOUR ATTENTION WHAT I SAID IN MY REPORT TO THE SECURITY COUNCIL OF 26 MAY 67.

ـــــرى للـ ايـــة

- 2 -

IN MY VIEW, A PEACEFUL OUTCOME TO THE PRESENT CRISIS WILL DEPEND UPON A BREATHING SPELL WHICH WILL ALLOW TENSION TO SUBSIDE FROM ITS PRESENT EXPLOSIVE LEVEL. I THEREFORE URGE ALL THE PARTIES CONCERNED TO EXERCISE SPECIAL RESTRAINT, TO FOREGO BELLIGERENCE AND TO AVOIDE ALL OTHER ACTIONS WHICH COULD INCREASE TENSION, TO ALLOW THE COUNCIL TO DEAL WITH THE UNDERLYING CAUSES OF THE PRESENT CRISIS AND TO SEEK SOLUTIONS.

I NOW APPEAL TO YOU, MR PRESIDENT, AS I am APPEALING TO PRIME MINISTER ESHKOL AND TO ALL CONCERNED, TO EXERCISE THE UTMOST RESTRAINT AT THIS CRITICAL JUNCTURE. IN PARTICULAR, WITHOUT ASKING ANY COMMITMENT FROM YOU OR INDEED ANY REPLY, MAY I EXPRESS THE HOPE THAT FOR THE NEXT TOW WEEKS FROM YOUR RECEIPT OF THIS MESSAGE, THERE WILL BE NO INTERFERENCE WITH NON-ISRAEL SHIPPING SEEKING PASSAGE THROUGH THE STRAIT OF TIRAN. IN THIS REGARD, I SHOULD ADVISE YOU THAT IN ANY CASE IT IS MY UNDERSTANDING THAT IN THE NORMAL COURSE OF THINGS, NO FLAGSHIP OF ISRAEL IS EXPECTED TO SEEK PASSAGE THROUGH THE STRAIT OF TIRAN IN THE NEXT FORTNIGHT. INDEED, ACCORDING TO THE BEST INFORMATION AVAILABLE TO ME, NO SHIP FLYING THE FLAG OF ISRAEL HAS IN FACT SOUGHT PASSAGE THROUGH THE STRAIT OF TIRAN DURING THE (LAST) TWO AND A HALF YEARS.

سري للغاية

وزارة الخارجية
الادارة العامة للأبحاث
ادارة الرموز

برقية رمزية واردة

رقم الوارد العام

-3-

I CAN ASSURE YOUR EXCELLENCY, THAT I PERSONALLY, AND THE INTERNATIONAL COMMUNITY GENERALLY WOULD GREATLY APPRECIATE SUCH A GESTURE BY YOU.

PLEAS BE ASSURED OF MY BEST WISHES AND PERSONAL REGARDS.

U THANT

المندوب الدائم
السفير / محمد عوض القوني

١/ ٢٥	رئاسة / مكاتب / ابحاث
٢٦	السيد فتحي الديب
٢٧	الادارة العربية
٢٨	ادارة شئون السودان
٢٩	ادارة امريكا الشمالية
٣٠/ ٣٢	ادارة الرموز

« سيادة الرئيس

اننى أعرف من محادثاتى الأخيرة معكم ومع وزير الخارجية محمود رياض ، أنكم تتفهمون تماما الدوافع التى تدعونى الى توجيه هذا النداء الشخصى والعاجل جدا اليكم .

انكم سوف تلاحظون أن ما أطلبه منكم ينبع فقط من رغبتى ومن مسؤوليتى العميقة التى تدعونى الى عمل كل شىء فى استطاعتى من أجل تفادى كارثة نشوب حرب جديدة فى الشرق الأدنى .

وخلال زيارتى للقاهرة فان موقفكم وسياستكم فى مسألة مضايق تيران قد جرى ايضاحها لى ، وأريد أن أركز على الأهمية الكبرى التى أعلقها على رد فعل ايجابى من جانبكم لمناشدتى هذه لكم ، بدون تأثير ضار على موقفكم أو سياستكم .

اننى أطلب وقتا ، ولو فسحة محدودة من الوقت ، لكى أستطيع أن أعطى فرصة للمشاورات وللجهود الدولية التى تحاول أن تبحث عن مخرج من الموقف الحرج الراهن ..

وأريد أن ألفت انتباهكم بصفة خاصة الى ما قلته فى تقريرى الى مجلس الأمن بتاريخ ٢٦ مايو . اننى أرى أن ايجاد مخرج سلمى من هذه الأزمة يتوقف على فسحة لالتقاط الأنفاس تسمح بتخفيف حدة التوتر من مستواه المتفجر الحالى .

وبناء على ذلك فاننى هنا أدعو جميع الأطراف المعنية الى ممارسة أقصى ضبط النفس ، والى تجنب أى أعمال عدائية يكون من شأنها زيادة التوتر ، وهدفى من ذلك أن أعطى مجلس الأمن فرصة لعلاج المشاكل التى تنطوى عليها الأزمة ، والبحث عن حلول لها .

وانى الآن أناشدك يا سيادة الرئيس ، كما أناشد رئيس الوزراء أشكول وكل الأطراف المعنية الى ممارسة أقصى درجات الحذر عند هذا المنعطف الخطير .

وبالذات ، وبدون طلب أى تعهدات منكم ، أو حتى رد ، فانى أريد أن أعرب عن الأمل فى أن تمتنعوا خلال مدة أسبوعين من لحظة استلامكم لهذه الرسالة - عن أى تدخل فى الملاحة غير الإسرائيلية التى تطلب المرور عبر مضايق تيران .

وفى هذا الخصوص فهل لى أن أخطركم ، وفى كل الأحوال ، أن لدىّ من الأسباب ما يجعلنى أفهم أنه فى الظروف العادية فانه ليس متوقعا أن تحاول أى باخرة تحمل العلم الاسرائيلى عبور مضايق تيران خلال مدة الأسبوعين المحددين ، بل انى أستطيع أن أؤكد لكم ، حسب أدق المعلومات لدىّ ، بأنه خلال السنتين والنصف الأخيرتين وفى واقع الأمر لم تقم أى باخرة ترفع العلم الإسرائيلى بالمرور فى مضايق تيران .

وأستطيع أن أكرر لكم ، يا سيادة الرئيس ، أننى بصفة خاصة ، وكذلك المجتمع الدولى كله بصفة عامة ، سوف نقدر تقديرا كبيرا هذه المبادرة من جانبكم .

وأرجوكم أن تقبلوا يا سيادة الرئيس أصدق أمانى واحترامى الشخصى .

يو ثانت ،

الوثيقة رقم (٣٠)

صورة من الصفحة الأولى لبرقية للسفير « مصطفى كامل » تدور حول ترحيل الرعايا الأمريكيين من مصر ابتداء من يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ .

وزارة الخارجية
الادارة العامة للمحفوظات
ادارة الرموز
سري

برقيـــة رمزيـــة واردة

رقم الوارد العام

من واشنطن

برقم ٣٠١٥ / ١٧٢

أرسلت في : ١٩٦٧/٥/٢٥ . الساعة : ٣٠٠٠
وردت في : ١٩٦٧/٥/٢٧ الساعة : ١١٫٢٠

أولا :

١) اجتمعت اليوم بمساعد وزير الخارجية السفير باتل ثم بالسفير كوهلر نائب وزير الخارجية وذلك لمتابعة الموقف .

٢) استعرضت معهما ما نشرته الصحف حول ترحيل الرعايا الأمريكية من بلادنا وإسرائيل وأشرت في هذا الشأن الى الآتي :

أ ـ أن الوضع بالمنطقة حساس وأن المصلحة هي في اتخاذ جميع الخطوات لتخفيف التوتر وتجنب ما يزيده ، وأن مثل هذا الاجراء لا يساعد في هذا الصدد بمثل قد ينشر الذعر ويثير الشكوك .

ب ـ وأن اتخاذ هذا القرار في وقت لم يقدم سكرتير الأمم المتحدة تقريره قد لا يكون مناسبا من حيث الشكل والموضوع .

جـ ـ وأوضحت أنني أشير الى تقاليدنا في هذا الشأن ومن ثم تخوفت من المعاملة الكريمة التي عومل بها رعايا بريطانيا وفرنسا خلال العدوان الثلاثي .

د ـ واستطردت فقلت أنني كممثل للجمهورية العربية المتحدة أؤكد أن أثرو رعاية حكومة لسلامة الأجانب في بلادنا .

هـ ـ وأنهيت حديثي حول هذه المسألة برجوت السفير باتل أن يرفع الى السلطات المختصة وجهة نظري في هذا الشأن ولعلها تعيد النظر في هذا القرار .

٣) قال السفير باتل الآتـــي :

أ ـ انه يود أن يؤكد أن هذا الاجراء روتيني STANDARD ولا ينبع عن تقديره بأن الحرب ستقع ومن ثم فهو احتياط يتبع في حالة الأزمات الدقيقة .

ب ـ وأضاف بأن هناك مسألة عملية مقتضاها أن ترحيل مئات من الرعايا يقتضي وقتا ومن ثم اضطروا لاتخاذ هذا القرار حتى لا يفاجئوا بالمشاكل العملية اذا اقتضى الحال ذلك .

جـ ـ وأنهى حديثه حول هذا الأمر بأن قال بأن ملاحظاتي في هذا الشأن تستحق الدراسة (من) السلطات المختصة وسيفيدني بالنتيجة .

سري للغاية

الوثيقة رقم (٣١)

صورة من برقية السفير « مصطفى كامل » من واشنطن عن استدعائه ليلا إلى وزارة الخارجية الأمريكية لتبليغه رسالة عن احتمالات هجوم مصرى تتوقعه إسرائيل .

وزارة الخارجية
الادارة العامة للأبحاث
ادارة الرمــز

برقيــة رمزيـــة واردة

رقم الادارة العصائر [illegible]

من واشنطن (الولايات المتحدة الامريكية) برقم ٢٦٦٠ / ١٧٤

أرسلت فــــــى : ٢٦ / ٥ / ١٩٦٧ الساعة : ٠٣ / ٠
وردت فـــــى : ٢٦ / ٥ / ١٩٦٧ الساعة : ٢٥ / ٤

أولا :

١) اتصل بى نائب وزير الخارجية E. ROSTOW الساعة التاسعة والنصف مساء وقال أن هناك مسألة عاجلة جدا ودقيقة للغاية ولهذا يرجو مقابلتى فورا .

٢) اجتمعت به الساعة العاشرة مساء . طالب من مساعد به ترك مكان الاجتماع والتمست المقابلة علينا الاثنين .

ثانيا :

قال الآتـــــــى :-

١) حضر وزير خارجية اسرائيل لواشنطن وطلب اليوم مقابلة المستر رسك وزير الخارجية .

٢) تحددت له ساعة معينة للاجتماع .

٣) قبل الموعد المحدد بساعتين اتصلت السفارة الاسرائيلية بمكتب وزير الخارجية الامريكية وطلبت اجتماع فورى مع أبا ايبان وذكرت السفارة أن هذا الأمر هام للغاية ولا يحتمل التأخير ساعتين .

٤) وأضاف نائب وزير الخارجية أن أبا ايبان عرض على وزير الخارجية الامريكية برقية عاجلة وردت اليه من حكومته تفيد بأن هجوما مفاجئا بواسطة القوات المصرية والسورية وشيكا حالا وأنه قد يقع بين ساعة وأخرى .

٥) أخبره المستر رسك أنه يستبعد ذلك ولكن أبا ايبان الح فى تأكيد ما تقدم .

٦) ا — وذكر نائب وزير الخارجية ان أبا ايبان مجتمع الآن مع وزير الخارجية الأمريكية .

ب — ثم أضاف أنه رغم عدم تصورهم قيامنا بهجوم على اسرائيل الا أنهم لا يريدون المجازفة فى هذا الشأن ' WE DON'T WANT TO TAKE ANY CHANCE IN THIS SERIOUS' SITUATION

ولذلك يرجو منى أن أبعث الى حكومتى رسالة فورية أنقل لها مناشدة الحكومة الامريكية القوية بالتمسك بضبط النفس وتجنب أية أعمال عسكرية هجومية .

سرى للغايـــة

الوثيقة رقم (٣٢)

صورة من برقية السفير «محمد القوني» تحمل تبليغ الدكتور «رالف بانش» له بأن السكرتير العام عدل عن توجيه ندائه إلى الأطراف بشأن «الموراتوريوم».

وزارة الخارجية
الادارة العامة للأبحاث
ادارة الرمز

برقية رمزية واردة

رقم الوارد العام
٣١٤٤

من نيويورك (ملونة أمم)

برقم ١٥١

أرسلت في ١٩٦٧/٥/٢٩ الساعة ٢١٢٠
وردت في ١٩٦٧/٥/٢٦ الساعة ٢٢٣٠

الحاقا ابرقية البعثة رقم ١٤٩ (٣١٠٨) بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٩.

أبلغني الدكتور بانش بأن السكرتير العام قد عدل عن توجيه النداء كما عدل عن توجيه الآخر الى أشكول وطلب سحبهما فهو لا يريد أن يقوم بعمل يسيء الى الموقف بدلا من تخفيفه . أضاف أن أوثانت لم يصله (كتابة) قبل سفره من القاهرة من السيد وزير الخارجية ما تم الاتفاق عليه .

وبالطبع السكرتير العام رغدوت له هذا التصرف الأخير فقد جنبنا مواقف محرجة .

المندوب الدائم
(السفير / محمد عوض القوني)

٢٥/١	رئاسة / مكاتب الأبحاث
٢٦	السيد / فتحي الديب
٢٧	الادارة الحربية
٢٨	ادارة شئون فلسطين
٢٩	ادارة أمريكا الشمالية
٣٠	ادارة الهيئات
٣٢/٣١	ادارة الرمز

مصدري الأ أبيـــة

الوثيقة رقم (٣٣)

صورة لمذكرة السيد « شمس بدران » وزير الحربية وقتها عن الحديث الذى دار بينه وبين نظيره السوفيتى الماريشال « جريتشكو » عند سلم الطائرة يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ .

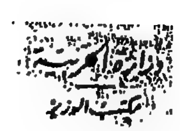

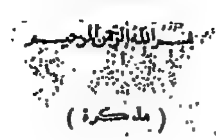

(مذكرة)

ملخص

مادار من حديث بين السيد وزير الحربيه ووزير الدفاع السوفيتى
أثناء حفل التوديع بمطار موسكو سعت ١٥٠٠ يوم ١٩٦٧/٥/٢٨

١ ـ تناول الحديث طلبات السلاح وقلت له " طالما أننا متفقين على المبدأ الذى اتفقنا عليه وهو القوه العسكريه القادره لمنع العدوان فلا يهمنى الدخول فى تفاصيل طلبات التسليح وكل ملاحظاتنا تركتها لكم الآن فان القضيه هى الاساس فى الموضوع وعلى ضوء ذلك سوف تنظرون فى المذكره " وأمن على هذا الكلام :

٢ ـ وبعد انتهاء الحفل توجهنا الى الطائره وقبل الصعود اليها انتحى بى جانبا وقال " اطمئنوا لكل طلباتكم سنعطيها لكم " وأضاف قائلا أريد أن أوضح لك أنه اذا دخلت أمريكا الحرب فاننا سوف ندخلها بجانبكم ... هل فهمت ما أعنيه " واستطرد قائلا وصلتنا معلومات اليوم أن الاسطول السادس فى البحر الابيض أعاد الى كريت جنود مشاة الاسطول السابق تحميلهم على ظهر مجموعة الانزال ثم أضاف ان أسطولنا فى البحر الابيض قريب من شواطئكم . الآن ومعه من المدمرات والغواصات المسلحه بالصواريخ وأسلحه لا تعلموها ... هل فهمت تماما ما أعنيه ـ واختتم حديثه بأن قال أريد أن أؤكد لكم إنه اذا حدث شىء واحتجتم لنا فمجرد ارسال اشاره تحضر لكم فورا فى بورسعيد أو فى أى مكان وانتهى الحديث وصافحته مودعا ولكنه عانقنى بحراره .

شمس الدين بدران

(وزير الحربيــــــة)

تحريرا فى ١٩٦٧/٥/٢٩

الوثائق أرقام ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧

مجموعة من أربع برقيات شفرية وردت من البعثة الدائمة للجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة بشأن ضبط مندوب مخابرات مصرى فى واشنطن استطاع الحصول على وثائق سرية من داخل « البنتاجون » مباشرة ، وقد عثر على بعضها فى حقيبته عندما قام مكتب التحقيقات الفيدرالى بالقبض عليه وتقرر ترحيله .

سرى جداً

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

صورة رقم (   )
٢٢١١١٥

(٢١٢) خ

نيويورك

لهن مندوب الـ F.B.I على السيد / على اسماعيل الاماريس والسيدة حرمه أمس الأحد ، أثناء وجودهما بالعربة على الطريق بين ليدبرس الى نيويورك .

استمر الحجز والتحليل معهما من ساعة ١١٢٠ حتى ساعة ١١٠٠ .

أفرج عنهما ثم استدعى السيد / على اسماعيل اليوم ساعة ١٢٠٠ لمقابلة بمكتب F.B.I بنيويورك ، وسمح له بالانصراف .

التفاصيل بالحقيبة .

السفير
(أمين حلمى)

التاريخ ١٩٦٢/٨/٢٢
١٢٠٠
ع

سرى جداً

الوثيقة رقم (٣٥)

سري جداً

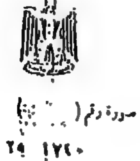

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

صورة رقم ( )
١٢٤٠ ٢٩

نيويورك (الأمم المتحدة) ٣١٨ (غ)

برقية السفارة رقم ٣١٢ (٦٠٨١) بتاريخ ١٩٦٢/٨/٢٢ ، سيغادر السيد علي اسماعيل الاعياس والسيدة حرمه الولايات المتحدة يوم الاثنين القادم ، وذلك بناء على طلب سلطات الجمهورية الأمريكية .

السفير
محمد عوض القوني

—

١٩٦٢/٨/٢٥
١٢٣٥
ل

سري جداً

الوثيقة رقم (٣٦)

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

برقيـــة

من : نيويــورك	السلكي بالخارجيـــة
رقم : ٣١١	تاريخ : ٢٦/٨/١٩٦٧

THIS IS AN EGYPTIAN STUDENT "ELEMBABI " AT COLUMBIA , WE UNDERSTAND THAT HE MAY ALSO HAVE BEEN OCCAISIONALLY EMPLOYED PART TIME AT THE "U A R " MISSION THOUGH HE IS NOT ON DIPLOMATIC LIST AND ESSENTIALLY A STUDENT. IT HAS BEEN ESTABLISHED THAT HE HAS BEEN ENGAGED IN INTELLIGENCE ACQUISTION ACTIVITIES THE "F B I" HAS FOUND TWO SECRET AMERICAN DOCUMENTS IN HIS ATTACHED CASE. HE WAS NOTIFIED YESTERDAY TO LEAVE THE COUNTRY WITHIN THE NEXT 24 HOURS. THE FIRST CONVENIENT FLIGHT IS NEXT MONDAY AUGUST 28 SO WE HAVE INDEED TO LET HIM WAIT OVER THE WEEK END.

THE " U S A " WILL NOT RELEASE ANY INFORMATION PUBLICITY ON THIS CASE WE WISH TO AVOID THIS ADDITIONAL IRRITANT IN OUR RELATION SO WILL NOT MAKE THE USUAL PRESS RELEASE. WE TRUST THE " U A R " MISSION WILL COOPERATE IN ASSISTING IN THIS MANS DEPARTURE. HE SAID SOMETHING ABOUT NEEDING FINENCIAL ASSISTANCE. AND WE ASSUME HE WILL BE IN TOUCH WITH THE " U A R " MISSION.

AMBASSADOR
MOHAMED AWAD ELKONEY

26/8/1967
M.

"من نيويورك رقم ٣١٩

الى الخارجية

تلقينا الرسالة الشفوية التالية من مكتب البعثة الامريكية لدى الامم المتحدة :

هناك طالب مصرى (على اسماعيل) بجامعة كولومبيا وقد أخطرنا أنه كان على اتصال ببعثة الجمهورية العربية المتحدة فى نيويورك وان كان اسمه ليس مدرجا فى قائمة الدبلوماسيين العاملين بها . وقد تأكد لدينا أنه ضالع فى عمليات مخابرات والحصول على معلومات . وقد عثرت ادارة التحقيقات الفيدرالية (F.B.I.) على وثيقتين سريتين أمريكيتين فى حقيبة معه . وقد أخطر أمس بأن عليه مغادرة هذه البلاد فى ظرف ٢٤ ساعة ولما كانت أول طائرة ملائمة لسفره فى يوم الاثنين القادم ، فاننا سمحنا له أن يظل هنا لعطلة نهاية الاسبوع الحالى . ان الولايات المتحدة لن تذيع أى بيانات أو معلومات أو دعاية حول هذه القضية رغبة فى تجنب مضاعفات تسئ أكثر الى العلاقات بين البلدين .. بل اننا فى هذه الحالة أيضا لن نصدر نشرة عن ابعاده . ونأمل أن تقدر البعثة المصرية هذا الموقف من جانبنا وأن تتعاون فيه .

(امضاء)

سفير/ محمد عوض القونى "

الوثيقة رقم
(٣٧)

سري جدا

برقيــة رمزية

من	نيو يورك (الامم المتحدة)	رقم البرقية ٣٢١ (غ)	مجموعة الوقت والتاريخ ٢٦١٤٥٠
إلى	للتنفيذ		
	للعلم		

برقية السفارة ٣١٣ بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٢ وبرقية السفارة ٣١٩ بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٦ —

تلقينا هذه الرسالة شفويا بالتليفون من بعثة الولايات المتحدة .

أولا ملاحظاتنا :

١ — تهدف الحكومة الامريكية من الفقرة الاولى أن تنفي قيام صلة بين البعثة وبين السيد علي اسماعيل في أعمال المخابرات التي نسبت اليه ،

٢ — الفقرة الثانية من الرسالة . كان في الامكان اخطار السفارة الهندية التي ترعى مصالحنا هنا بما تم بشأن أحد رعايا الجمهورية العربية المتحدة دون الحاجة لاخطار البعثة .

٣ — تعد الحكومة الامريكية في الفقرة الثالثة بعدم اذاعة هذا الحادث لتجنب اثارة ما يزيد العلاقات سوءا وترجو أن نتعاون من ناحيتنا في تقديم المساعدات المادية التي صرح هو بأنه في حاجة اليها .

ثانيا ستقوم بالرد على البعثة الامريكية شفويا الاسبوع القادم عقب سفر السيد علي اسماعيل ونضمنه :

١ — انه ليس يعمل بهذه البعثة ولم يكلف بعمل فيها .

٢ — ان مكتب البعثة التعليمية بواشنطن هي الجهة المختصة بتقديم المساعدات المطلوبة .

(يتبع)

سري جدا

صورة لنص برقية من أهم البرقيات التى حصل عليها مندوب المخابرات المصرى فى واشنطن ، ولدواعى السرعة فقد جرى إرسالها عن طريق البعثة المصرية الدائمة لدى الأمم المتحدة وبتوقيع السفير ، محمد عوض القونى ، .

وزارة الخارجية
الادارة العامة للمواصلات
ادارة الرموز

برقية رمزيــــــة واردة — رقم الوارد العام

٣٦٠٤

من نيويورك — برقـــم ١٦٧

أرسلت فــــــــــى : ١٩٦٧/٦/٦ — الساعة : ١٨٣٥
وردت فـــــــــى : ١٩٦٧/٦/٦ — الساعة : ١٩٤٠

يرجو السيد علي اسماعيل ابلاغ السيد سامي شرف ما يلي :-

المعلومات التالية من احد تقارير المخابرات العسكرية الامريكية .

١) تمت مقابلة سرية بين رئيس الاركان الاردني "جنرال كماش" حسبما ورد اسمه في التقرير وبين السفير الامريكي في الاردن يوم الخميس ١ الجاري في عمان . وفي هذه المقابلة طلب رئيس الاركان الاردني من السفير الامريكي سرعة نقل الطائرات النفاثة المقاتلة "F 104" وعددها ٢٥ طائرة والتي سبق أن أرسلتهـــا أمريكا للأردن . طلب نقلها بصفة مؤقتة من الاردن حتى تنتهي الازمة الحالية بين الدول العربية واسرائيل .

٢) الباخرة الامريكية (Groon Island) التي كان مقررا لها ان تبحر في خليج العقبة الى الاردن ثم حولت الى "ASSAB" في أثيوبيا صدرت لهـــا التعليمات بعدم تفريغ شحنتها الخاصة بالاردن وتنتظر في اثيوبيا لحين صدور تعليمـــات أخرى لها .

السفير
القونـــــــى

١/٢ الرئاســــــــة
٣ القيادة العامــــة
٤ المخابرات الحربيــة
٥ المخابرات العامــة
٦ السيد الوزيـــــر
٦/٧ ادارة الرمــــوز

ل/م

سري للغاية

الوثيقة رقم (٣٩)

صورة برقية من السفارة المصرية فى موسكو عن لقاء بين السفير الأمريكى ومستشار السفارة ، وهو اللقاء الذى بدا منه أن السفير الأمريكى يتوقع شيئا فى خلال أيام .

سرى جدا

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

برقية رمزية

من موسكو (الاتحاد السوفيتى)	رقم البرقية ٣٠٢ (خ)	مجموعة الوقت والتاريخ ٢٧١١٢٠
الى — التنفيذ / العلم	تم الحل ١٩٦٧/٥/٢٨	

رسالة خاصة وعاجلة جدا

١ - ذكر السفير الامريكى فى موسكو طومسون لمستشار سفارتنا امس ٢٦ الجارى ان الوضع فى منطقة الشرق الاوسط فى خليج العقبة فى منتهى الخطورة

٢ - ثم عاد فى نهاية العشاء وأبلغه انه مدعو للعشاء عندى يوم الاثنين القادم ٢٩ الجارى لوداع السفير (الكندى) وربما أبلغكم بصفة سرية للغاية وشخصية انه من الآن حتى يوم الاثنين قد يصبح سفيركم محرجا فى رؤيتى بسفارته ، وانه اذا حدث ذلك فانه يرجو ابلاغه حتى لا يحضر الى سفارتنا ولا يسبب حرجا لأحد .

٣ - تساءل المستشار عن السبب الذى يدعو الى هذا القول خصوصا وانه لم يحدث حتى الآن ما يمنع السفير الامريكى من حضور العشاء فى سفارتنا .

٤ - ذكر السفير الامريكى انه سيحدث شيئا قد يكون غدا أو بعد غد أو يوم الاثنين وعموما فى خلال ايام قليلة مما قد يجعل من وجوده فى سفارتنا أمرا بالغ الحرج .

السفير
(مراد غالب)

التاريخ ١٩٦٧/٥/٢٧
١٤٤٥

سرى جدا

الوثيقة رقم (٤٠)

صورة مسودات لمحاضر مجلس الأمن القومى الأمريكى بحضور الرئيس ، ليندون جونسون ، وذلك فى أعقاب معارك ١٩٦٧ مباشرة . وقد أمكن الحصول على هذه المسودات بمقتضى قانون حرية المعلومات . وتوجد ترجمة باللغة العربية عليها تعليق ، وذلك مع النصوص الأصلية للمسودات .

Document # 163

103 (TMT please type those points)

NSC SPECIAL COMMITTEE
6:30 p.m., Wed., 14 June, Cabinet Room

Vice President
McNamara
[illegible]
Fort[illegible]
Vance
Wheeler
Helms
Clifford
W. W. Rostow
McGB
E. V. Rostow
Amb. Thompson
Battle
Fisco
Harry McPherson
Harold Saunders

Secretary Rusk
Gen. Amb. Goldberg came in about [illegible] pm
George Christian came in at [illegible] pm
President came in at 7:?? pm

1. Draft statement: U.S. Arms supply policy

para 1. no problem

para 2. approved: Jordan. F-104's not a problem until fall

para 3. approved

para 4. Policy guidance / Press?: we are reviewing / But review against this policy.

xx [illegible] Israel [illegible] A-4 [illegible] [illegible] Hawks batteries [illegible]

Press guidance

Must avoid any position that looks as if we are reneging on any agreement.

[Get redraft of earlier order that reflects these points.]

Should we withdraw from 1949 agreements?

(Exec.-Art. [illegible] of GAA calls for [illegible])

[illegible]

(x) Circulate full text of Ambassador Goldberg's statement of 13 June.

[illegible]

Rusk: 1. Nothing in lines jeopardize Israel if they are peace-[illegible]

2. Self-determination: West Bank.

- Israel's keeping territory would create a [illegible] for the rest of the [illegible].

3. Israel must be accepted.

- McN. doesn't think recognition alone enough

Goldberg: 1. Israelis willing to create internat'l religious area [illegible] in Jerusalem.

2. Syria wants greatest USSR [illegible]

USSR: the Syrian heights to bargain on armistice area

Jerusalem

Thompson: USSR would accept Israel, open Aqaba — but not territory they wouldn't.

Clifford: If Kosygin comes, you shld go. If not, far from clear.

Tents for Jordan

— Through UNWRA — working for refugees and [illegible] residents on both sides.

~~Red Cross~~

(X) President approved.

(Fed UNRWA 656-3998)

Water bags

(X) If Red Cross agrees, we wld go ahead

Katz: Tourist ban — SA, Kuw, Mor, Tun, Leb, Israel

(X) Pres: Not now.

« اجتماع اللجنة الخاصة لمجلس الأمن القومى
الساعة ٣٠ : ٦ مساء ١٤ يونيو
قاعة اجتماع الوزارة

الحاضرون (وكانت أسماؤهم صفا مستطيلا على الجانب الأيمن للوثيقة)

نائب الرئيس (هيوبرت همفرى) - ماكنمارا (وزير الدفاع) - فاولنر - كاتزنباخ (مساعد وزير الخارجية) - فانس - هويلر (رئيس أركان الحرب) - هيلمز (رئيس المخابرات المركزية) - كليفورد - والت روستو (مستشار الأمن القومى) - ماك جورج باندى - السفير طومسون (السفير الأمريكى فى موسكو) باتل (وكيل الخارجية) - سيسكو (مساعد وزير الخارجية) - هارى ماكفرسون .

وزير الخارجية راسك والسفير جولدبرج (المندوب الدائم فى الأمم المتحدة) وصلا حوالى الساعة ٧ مساء .

جورج كريستيانسن وصل الساعة ٠٨ : ٧

الرئيس وصل فى الساعة ٣٨ : ٧

سياسة إمدادات السلاح الأمريكى

الفقرة ١ - ليست هناك مشكلة (والظاهر أن هذا القرار بأنه ليست هناك مشكلة يتعلق بإمداد إسرائيل ذلك أن وقائع اليوم التالى تلقى ضوءا على هذه العبارة المقتضبة ، فقد أعلن رسميا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعهدت بأن ترسل فورا إلى إسرائيل ما يعوض كل خسائرها فى المعركة من المعدات والذخائر . وكانت إسرائيل قد فقدت ٣٧ طائرة على الجبهة المصرية ، وتسلمت بدلا منها على الفور ٦٢ طائرة) .
الفقرة ٢ - موافقة - الأردن - لن تكون هناك مشكلة بشأن طائرة « ف - ١٠٤ » قبل الخريف .
الفقرة ٣ - موافقة .
الفقرة ٤ - الصحافة ؟ توجيه سياسى نحن نعيد مراجعة الموقف ولكن المراجعة على ضوء هذه السياسة . »
تمضى الوثيقة وتظهر فيها عبارة تقول :

« لا بد من تجنب أى موقف يظهر وكأن فيه رجوعا عن اتفاقنا ـ أية اتفاقات ؟ ومع من ؟ »

(وتشير هذه العبارة إلى أن الولايات المتحدة كانت بصدد إعادة النظر فى كل تعهداتها السابقة فى المنطقة لأنها أمام وضع مستجد تماما) .

ثم تجىء عبارة ثانية تقول :

« هل نخلع الآن من اتفاقيات سنة ١٩٤٩ (اتفاقيات الهدنة ـ والاتفاق مع الأردن بشأن قبول الولايات المتحدة لقيام المملكة الهاشمية الأردنية بضم الضفة الغربية إليها) . »

ثم عبارة تقول :

« ● سيسكو : المادة ١٢ من اتفاقيات الهدنة تدعو إلى المفاوضات .
● كاتزنباخ : نخلع (من الاتفاقيات) ولكن لا نعلن أن هذه ليست ... »

ثم عبارة تقول :

« توزيع نص خطاب السفير جولدبرج فى ١٣ يونيو (تحدث فيه عن ضرورة أن توقع الدول العربية على اتفاق سلام مع إسرائيل) . »

ثم عبارة تقول :

« لا يجب أن يكون هناك فى الخطوط شىء يعوق إسرائيل إذا قررت .

راسك :

حق تقرير المصير للضفة الغربية ؟ احتفاظ إسرائيل بالأرض قد يخلق حالة عدم استقرار فى المنطقة إلى نهاية القرن العشرين .

لا بد من قبول اسرائيل .

ماكنمارا يعتقد أن مجرد القبول لا يكفى وحده . »

ثم عبارة تقول :

« جولدبرج

١ ـ إسرائيل مستعدة لإعطاء قطعة صغيرة دولية للديانات المختلفة فى القدس .

٢ ـ سوريا هى أكثر ما يهم الاتحاد السوفيتى . »

ثم عبارة تقول :

« والت روستو :

استعمال مرتفعات الجولان ورقة مساومة مع الاتحاد السوفيتى على سباق السلاح . »

(ومؤدى العبارة أن الولايات المتحدة تتصرف فى الأرض المحتلة باعتبارها شريكا رئيسيا فى كل شىء ، بل وكأنها صاحب الأمر الحقيقى) .

ثم عبارة تقول :

« طومسون (السفير الأمريكى فى موسكو)

الاتحاد السوفيتى سوف يقبل إسرائيل ، فتح العقبة ، القدس ولكن لا يقبل بقية الأراضى ... »

(ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة لها رأى مختلف بالنسبة لبقية الأراضى !)

وفى نهاية الصفحة الثانية من الوثيقة الأولى تجىء عبارة :

« كاتزنباخ :

هل يستمر حظر سفر الأمريكيين إلى المنطقة ؟ - يمكن أن نفتح الباب الان للسعودية والكويت والمغرب وتونس ولبنان وإسرائيل .

الرئيس :

ليس الآن ! »

الوثيقة رقم (٤١)

صورة برقية من السفير المصرى فى موسكو عن استعدادات الاتحاد السوفيتى للتدخل فى المعارك .

وزارة الخارجية
الادارة العامة للرئاسات
ادارة الرمـــــز

برقيــــة رمزيــــة واردة

رقم الوارد العام

من موســــكو (الاتحاد السوفيتى)

برقم ٢٨ / ٢٩

أرسلت فى ١٠/٦/١٩٦٧ الســـــاعة ١٧٣٠
وردت فى ١٠/٦/١٩٦٧ الســـــاعة ١٧٤٥

١ ـ الحاقاً لبرقيتنا المتوجة اليوم ١٠ الجارى رقم ١٩٥ . أشعر بان الاتحاد السوفييتى بدأ التحركات العملية للتدخل ضد اسرائيل .

٢ ـ اذاعت مكبرات الصوت فى شوارع موسكو بيان الحكومات الاشتراكية الاوروبية وكذلــك بيان قطع العلاقات مع اسرائيل وهو ما لا يحدث الا فى الأحداث الكبرى .

٣ ـ بدأت المظاهرات السوفيتية ضد السفارة الامريكية وغيرها من السفارات وبدأت تعبئة الشعب السوفيتى للأحـــداث .

السفير
مراد غالـــــب

١ / ٢٥ رئاسة / مكاتب / ابحاث
٢٦ السيد فتحى الديب
٢٧ الادارة العربيــــة
٢٨ ادارة شئون فلسطين
٢٩ ادارة شرق اوربـــا
٣٠ ادارة الهيئــــات
٣١ / ٣٢ ادارة الرمـــــز

حمدى /

الوثيقة رقم (٤٢)

الصفحة الأولى من تقرير بخط الدكتور « مراد غالب » كتبه عن أوضاع العلاقات المصرية السوفيتية فى أعقاب توقف المعارك .

REPUBLIQUE ARABE UNIE
MOSCOU

سري للغاية

الموضوع الوضع في العلاقات بين ج.ع.م. والاتحاد السوفيتي :

١- أن الاندفاعات الأولى لتفسير هزيمة قواتنا المسلحة من جانب الخبراء السوفيت في الحدود واضحة لأنها لم تكن موضوعية وأنهم كانوا لا يزالون ينتقدون سلوك قواتنا خاصة الطيران: الجوية وتحملوها مسئوليات كثيرة وأن الهزيمة في النكسة بأن القوى المعنوية كانت منخفضة نفسيا وأصلا وكل ما كان يرجعه السوفييت عن الصمود في المعركة مدة أطول لو أن القوات الجوية كانت مسيطرة حقيقة لأنها الحجر الحاسم في الحرب الحديثة.

٢- كذلك ظهرت أخيرا عدة نظريات في تفسير الأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط وأطرافها في نظرهم - ما كتبه الجنرال جلوب "Glub" قائد القوات الأردنية البريطاني سابقا حيث كتب كتيبا من أربعين صفحة تقريبا يؤكد أن الاتحاد السوفيتي هو الذي خطط للأحداث الأخيرة في المنطقة رغم [illegible] دفع الأحداث لتسير فيما بعد [illegible]

الوثيقة رقم (٤٣)

صورة من برقية بعث بها السيد « عبد المنعم النجار » السفير المصرى فى باريس عن مقابلة مع الرئيس الفرنسى الجنرال « ديجول » قام بها سفير الجزائر فى باريس ، وأهم ما فى البرقية قول الرئيس الفرنسى للسفير الجزائرى إنه يعتقد أن « الأمريكان فى اللعبة » .

[illegible]

وزارة الخارجية
الادارة العامة [illegible]
ادارة الرمز

برقية رمزية واردة

رقم الوارد العام
٢٨٠٠١

من باريس (فرنسا)　　　　برقم ٢٢

أرسلت فى ١٩٦٧/٦/٩　　　　الساعة ١٤١٠
وردت فى ١٩٦٧/٦/٩　　　　الساعة ٢٣٢٠

قابل سفير الجزائر الرئيس ديجول أمس ، أبلغه وجهة نظر الجزائر فى قضية فلسطين واشتراك الجزائر بقواتها المسلحة فى الحرب الدائرة وذلك بناء على تكليف من الرئيس بومدين .

أصر ديجول بضرورة حل المشكلة جذريا مع مراعاة حقوق اللاجئين . يعتبر أن اسرائيل هى المعتدية وسوف يمتنع عن تقديم أى معونة تمشيا مع ما أعلنته فرنسا من قبل .

يعتقد أن الأمريكان فى المؤامرة　　DANS LE JEU

موقف فرنسا على الحياد وحيدة فى الوقت الحاضر حتى لا [illegible] فى المشكلة ولكنها ستكون أكثر ايجابية فى الاشتراك فى حل جذرى متبادل مستقبلا .

السفير
(عبد المنعم النجار)

٢٥/١　رئاسة/سكاتير/أبحاث
٢٤　السيد فتحى الديب
٢٧　الادارة العربية
٢٨　ادارة غرب أوروبا
٢٦　ادارة شرق أوروبا
٣٠　ادارة أمريكا الشمالية
٣١　ادارة الهيئات
٣٤　ادارة شئون فلسطين
٣٥/٣٣　ادارة الرمز

جاب الله

الوثيقة رقم (٤٤)

صورة كاملة للنص الحرفى لتقرير لجنة التحقيق العسكرية العليا التى شكلت برئاسة اللواء « حسن مطاوع » لبحث أوضاع الطيران المصرى وما أدى إلى كارثة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

الباب الأول

أولا : موقف القوات الجوية والدفاع الجوى قبل العدوان ومدى اعدادها للعمليات .

قامت اللجنة بدراسة موقف القوات الجوية والدفاع الجوى من منذ عام ١٩٥٦ وبحث الاجراءات التى اتخذت لاعداد القوات الجوية للمعركة كالاتى : -

١ - موضوع اعداد الدشم والملاجىء الخراسانية بالقواعد الجوية .

أ - اتضح للجنة أن هناك محاولات بذلت لانشاء الدشم بالقواعد الجوية منذ العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وبيانها كالاتى : -

(١) فى عام ١٩٥٧ تم تنفيذ دشمه فى مطار الماظه كعينة وتم تجربتها وثبت فشلها فى تحقيق الغرض منها .

(٢) فى نفس العام ١٩٥٧ تم تنفيذ هانجر فى مديرية التحرير يتسع لتخزين عدد ١٢ طائرة مقاتلة ولم يعمم فى القواعد لفداحة التكاليف (٢٤٠٠٠ جنيه) للهانجر رغم استخدام جميع امكانيات التنفيذ من مديرية التحرير بالمجان) وعدم توفر المرونة الكافية لطول فترة اخراج الطائرات منه .

(٣) طلب من الاتحاد السوفيتى أن يقدم توصيات فى هذه الناحية وأرسلت بعثه لانشاء المطارات لبحث هذا الموضوع بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتى ولكن لم يمكن الوصول إلى نتيجة لان الاسلوب الروسى يعتمد أساسا على البيئات الطبيعية والاشجار والاخفاء والتمويه

(٤) قامت إدارة إنشاء المبانى والمطارات بتصميم دشمه على حرف U فوق سطح الأرض وكذا دشمه نصفها تحت سطح الأرض والنصف فوق سطح الأرض وقد أنشىء بعض هذه الدشم فى القوات الجوية الآتية : -

عدد ٢ دشمة فى غرب القاهره

عدد ٦ دشمه فى أبو صير

وقد اتضح للقوات الجوية أن هذا التصميم لا يوفر الوقاية وخاصة ضد الضرب بالصواريخ والرشاشات .

(٥) كما ورد بأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود بأنه كان هناك مشروع تقدم به مهندس يدعى طاهر واشترك فيه الدكتور أحمد محرم الوزير السابق والدكتور عزيز باخوم أساتذه بكلية الهندسة وكان الغرض عمل ما يشبه هناجر تحت الأرض لايواء نصف قوة القاعدة تقريبا من المقاتلات والمقاتلات القاذفه واشترك كذلك الدكتور سعد الدين لتصميم طريقة لعمل مصاعد أتوماتيكية لاخراج الطائرات للاستغناء عن الطرق الطويلة المؤدية للهناجر وكان هذا المشروع يعتبر مثالى ولكنه باهظ التكاليف ولم يمكن تنفيذه لعدم توفر الاعتمادات المالية .

(٦) طلبت القوات الجوية من إدارة المهندسين للقوات المسلحة تصميم نماذج من الدشم للمقاتلات والمقاتلات القاذفه فى القاعدة الجوية بغرب القاهره فى عام ١٩٦٦ بحيث تحقق الوقاية جزئيا ضد الهجوم المباشر بالصواريخ والرشاشات مع تغطيتها بالشباك المموهه لكى يجعل تمييزها صعبا وقد اختبرت صلاحية هذه النماذج فى منتصف عام ١٩٦٦ بحضور رئيس أركان حرب القوات المسلحة وكانت ناجحة من ناحية عدم كشفها من الجو ولا توفر سوى الوقاية الجانبية فقط وكانت تكاليف الدشمه الواحدة ٥٠٠٠ جنيه ـ وقد طلبت القوات الجوية من رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة إعطاء الأمر لإدارة المهندسين بتنفيذ عدد ١٢ دشمه من هذا النوع بكل مطار من مطارات سينا والقناه وقد وعد رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة بمحاولة تدبير المبالغ اللازمة للتنفيذ وتكليف مهندسى القوات المسلحة بالتنفيذ وذلك كما ورد بأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود واللواء طيار إسماعيل لبيب

ب ـ إلا أنه ورد بأقوال الفريق أول محمد فوزى أن الاتفاق كان على أساس أن تقوم القوات الجوية بتشوين الخامات اللازمة لهذه الدشم فى محلات إقامتها فقط وتقوم كتائب المهندسين العسكريين بالتشغيل والانشاء وكان هذا هو الاتفاق الذى تم شفويا واعتقد أنه وضعت وثيقة بهذا ولم ينفذ شىء من هذا القبيل لعدم إمكان القوات الجوية تنفيذ الشطرة الأولى من الإتفاق وكان هذا راجع لان توفير ميزانيات الخامات من مسئولية القوات الجوية وأن قائد القوات الجوية له السلطة فى إعطاء أولويات بالنسبة للميزانيات الفرعية داخل ميزانية القوات الجوية (الباب الثالث) وليس لأحد فى القوات المسلحة لا رئاسة هيئة أركان حرب

ولا القيادة العليا يمكنها تحويل ميزانيات منها لصالح القوات الجوية وكل المجهود الذى وعدت بتوفيره هو تخصيص كتائب إنشاءات من وحدات المهندسين لصالح إتمام هذه العملية .

٢ ـ موضوع إنشاء ممرات الهبوط التبادلية لاستخدامها فى حالة الاضطرار وفى حالة الانتشار .

أ ـ قامت القوات الجوية والدفاع الجوى منذ العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ بإنشاء المطارات والقواعد الجوية الآتية : ـ

(١) قاعدة بنى سويف الجوية

(٢) قاعدة الغردقة الجوية (كانت قبل ذلك أرض ممهدة)

(٣) ممر السر

(٤) ممر تمادا

(٥) ممر المليز

(٦) ممر المنصورة

(٧) ممر قويسنا

(٨) ممر التحرير

(٩) ممر رأس بناس

(١٠) ممر المنيا

(١١) ممر دراو

ب ـ فكرت القوات الجوية فى عمل ممرات ممهده إضافية فى أرض المطارات موازية ومجاورة للممرات الرئيسية يقوم بتنفيذها كتيبة إنشاء المطارات بالقوات الجوية ولكن وجد أن هذه الممرات لا تصلح لاستخدام الطائرات ذات الضغط العالى فى الإطارات مثل الميج ٢١ والميج ١٩ والطائرات سوخوى والقاذفات ت ى ١٦ وقد رأت إدارة إنشاء المطارات عمل دكة فارتفعت تكاليفها بدرجة كبيرة جدا ولم يمكن تنفيذها بسبب عدم إعتماد المبالغ اللازمة لتنفيذها فى الميزانية واكتفى بعمل تمهيد للأرض وطبيعى كان هذا غير عملى للإستخدام وذلك حسب ما ورد بأقوال اللواء طيار إسماعيل لبيب .

٣ ـ موضوع الإخفاء والتمويه .

أ ـ أرسلت القوات الجوية الرائد مهندس محمد سعيد صالح من إدارة إنشاء المطارات بالقوات الجوية فى بعثة للاتحاد السوفيتى لدراسة الإخفاء والتمويه فى المدة من ١ / ٣ / ٦٤ ـ ١٧ / ٨ / ١٩٦٤ .

ب ـ تم تنفيذ مشروع الإخفاء والتمويه للكتيبة الأولى والثانية رادار فى سيناء والقناه ولم ينجح هذا المشروع كما يجب نظرا لصعوبة إخفاء كباين الإرسال والاستقبال لأجهزة الرادار وأن العروض المقدمة لهذا الغرض كانت باهظة التكاليف .

ولم يتم الإخفاء والتمويه لباقى وحدات الرادار حيث كانت الأولولية فقط لمواقع الرادار فى سيناء والقناه .

جـ ـ فى ٢٠ / ٣ / ١٩٦٥ تم عمل تجربة لإخفاء الطائرات المقاتلة بقاعدة الماظه وكانت درجة نجاح هذه التجربة ٧٠ ٪ بالنسبة للمستوى الذى تم التصوير عليه وعلى ضوء هذه التجربة تم طلب شباك تمويه وشمعات تغطية ولكن لم تمون المخازن بالكميات المطلوبة لهذا الغرض .

د ـ فى ٢٩ / ٣ / ١٩٦٥ وضع مشروع لإخفاء وتمويه القواعد الجوية وسرايا الرادار وأرسل هذا المشروع إلى رئيس هيئة إمداد وتموين القوات الجوية بكتاب إدارة إنشاء المطارات رقم بدون / ٦٥ / ١٣٤٩ بتاريخ ٢٩ / ٣ / ١٩٦٥ ولم يتخذ حيال هذا المشروع أى إجراء إيجابى .

هـ ـ فى ابريل ١٩٦٥ تم تشكيل سرية الإخفاء والتمويه وكانت عديمة الفائدة لأنه ينقصها المهارات والمهن الفنية والمعدات .

و ـ تم دراسة مشروع لإخفاء طائرة مقاتلة فى المناطق الصحراوية وتعثر المشروع بسبب عدم إمكان تدبير الخامات اللازمة للتشغيل .

ز ـ على ضوء التجربة التى أجريت فى منتصف عام ١٩٦٦ تشكلت لجنة برئاسة العقيد طيار يوسف ظيفل وقامت بالمرور على القواعد الجوية ووضعت مشروع كامل موضحا به التكاليف ومدة الإنشاء حسب الإمكانيات الممكن توفيرها ولكن لم يتم حيال هذا المشروع قرار نهائى بسبب اتجاه التفكير إلى إنشاء دشم للوقاية من أسلحة التدمير الشامل بناء على توجيهات رئيس أركان القوات الجوية وفعلاً تمت الدراسة على ضوء التوجيه الجديد ورفعت قرارات اللجنة إلى رئيس أركان القوات الجوية فى أوائل ١٩٦٧ .

حـ ـ طلبت شعبة عمليات الدفاع الجوى خطة لإخفاء غرفة عمليات انشاص وتم دراسة الخطة وبدء فى تنفيذها ولكن لم يتيسر ذلك بالكامل لقلة الإمكانيات اللازمة .

ط ـ فى يوم ٢٨ / ٥ / ٦٧ وضعت خطة عاجلة لإخفاء وتمويه القواعد الجوية ومحطات الرادار والمعدات وذلك بناء على أوامر من رئيس هيئة إمداد وتموين القوات الجوية تنفيذا لتعليمات قائد القوات الجوية وكانت الخطة مقسمة إلى ثلاثة مراحل : ـ

(١) المرحلة الأولى تنفذ فورا .

(٢) المرحلة الثانية تنفذ خلال عشرة أيام .

(٣) المرحلة الثالثة تستكمل تدريجيا حسب الإمكانيات .

كما كان هناك مشروع بمعاينة وتحديد أماكن تخزين وقود ميدانية لمنطقة تمادا والسر وتمت المعاينة بالإشتراك مع إدارة الوقود للقوات المسلحة وكان المطلوب إتخاذ إجراءات إخفاءها بعد إتمام إنشاءها ورسمها ولكن العمليات العدوانية بدأت قبل إتمام التنفيذ .

ى ـ إتضح للجنة أن القوات الجوية لم تنظر لموضوع الإخفاء والتمويه بجدية إلا إبتداء من عام ١٩٦٤ وبالرغم من المحاولات التى بذلت بعد هذا التاريخ والسابق ذكرها عاليه فإن العمليات بدأت والقواعد الجوية والمعدات الفنية بدون أى نوع من الإخفاء والتمويه إلا الضئيل .

٤ ـ موقف عناصر الدفاع الجوى .

أ ـ كانت نواحى النقص التى تعانى منها القوات الجوية والدفاع الجوى تتمثل فى الآتى : ـ

(١) عدم وجود تغطية رادارية واطيه فالأجهزة الموجودة حاليا لا يمكنها أن تغطى إرتفاعات أقل من ٥٠٠ متر .

(٢) عدم وجود نقط مراقبة جوية بالنظر يعتمد عليها لكشف الطائرات التى تطير على إرتفاعات منخفضة جدا .

(٣) عدم وجود استطلاع إلكترونى الذى يعتبر حيوى فى الحصول على المعلومات اللازمة للقوات الجوية والدفاع الجوى .

(٤) عدم وجود حاسب إلكترونى لتوجيه المقاتلات الذى أصبح من الوسائل الأساسية لتوجيه المقاتلات الحديثة .

(٥) عدم كفاية الدفاعات م ط ضد الطيران المنخفض جدا وخاصة من القواعد الجوية .

(٦) المقاتلات المستخدمة فى الدفاع الجوى بتسليحها الحالى وهو ٢ صاروخ K-13 الذى يعتبر السلاح الرئيسى للميج ٢١ ذو كفاءة محدودة على الارتفاعات المنخفضة حيث أن هذا الصاروخ لا يمكن إطلاقه على أكثر من ٢ حمل (2 G) وهذا لا يتناسب مع طبيعة المعركة الجوية التى لا يقل الإحتمال فيها عادة عن ٦ حمل (6 G) كما أن هذا الصاروخ يخضع فى عمله لقيود الأشعة تحت الحمراء التى تحد من عمله على الارتفاعات المنخفضة حيث تكثر مصادر الحرارة سواء من الأرض أو الحرائق علاوة على تأثير حرارة الشمس هذا بالإضافة إلى أن الميج ٢١ النهارية لا يتوفر بها سوى مدفع واحد عيار ٣٠ مم لا يوجد معه سوى ٦٠ طلقة تستغرق ١,٥ ثانية فى الاطلاق وهذا لا يحقق الفرصة الكافية فى الاشتباكات .

أما بالنسبة للميج ٢١ الليلية فلا يتوفر بها سوى ٢ صاروخ K- 13 فقط هذا بالإضافة إلى أن الأنواع الأخرى من المقاتلات القاذفة مثل الميج ١٥ ، ١٧ ، ١٩ التى كانت مستخدمة فى الدفاع الجوى أيضا أقل كفاءة من طائرات العدو مثل الميراج وسوبر مستير وهوكر هنتر ٩ وسكاى هوك .

(٧) إستكمال المواصلات المطلوبة لعناصر الدفاع الجوى وخاصة المطلوب منها لتحقيق تنظيم التعاون والمراقبة الجوية بالنظر .

ب - تقدمت قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى بطلباتها إلى الجانب السوفيتى ابتداء من عام ١٩٦٣ وكانت هذه الطلبات تتضمن الآتى : -

(١) رادار التغطية المنخفضة .

(٢) طائرات استطلاع إلكترونى .

(٣) حاسب إلكترونى لتوجية المقاتلات .

(٤) أجهزة الإجراءات المضادة الإلكترونية .

(٥) الصواريخ الموجهة من الأرض للجو ذات الوقود الجاف التى تعمل على الإرتفاعات المنخفضة جدا .

(٦) الرشاشات ٢٣ مم المزدوجة التى تعمل بالرادار .

(٧) مقاتلات جميع الأجواء الأحدث من الميج ٢١ لتلافى العيوب الموجودة فى النوع المتيسر لدى القوات الجوية .

(٨) القاذفات المقاتلة .

ج - تمت إتفاقية التسليح عام ١٩٦٤ ولم يستجب الجانب السوفيتى إلى كثير من هذه الطلبات ولم يوافق إلا على الطلبات الآتية : -

(١) رادار التغطية المنخفضة ب - ١٥ وكان المتفق عليه توريد من ٤ - ٦ أجهزة خلال عام ١٩٦٦ والباقى خلال عام ١٩٦٧ ولكن هذه الأجهزة وردت فى فبراير ١٩٦٧ ولم يصل خبراء التدريب إلا فى نهاية أبريل ٦٧ أى قبل إعلان الطوارىء مباشرة هذا علما بأنه اتضح أخيرا أن هذه الأجهزة لا تحقق مطالب الكشف الرادارى على الارتفاعات المنخفضة جدا على الوجه الأكل .

(٢) الميج ٢١ ليلية بدلا من المقاتلات فى جميع الأجواء .

(٣) التعاقد على ٤٠ طائرة سوخوى ٧ (مقاتلات قاذفة) .

د - فى نوفمبر ١٩٦٥ عند ذهاب السيد الرئيس فى زيارة رسمية للاتحاد السوفيتى أعيدت الطلبات مرة أخرى وقد وافق الجانب السوفيتى على الطلبات الآتية : -

(١) مقاتلات جميع الأجواء بما فى ذلك الصواريخ الخاصة بها .

(٢) عدد ٥ وحدات حاسب إلكترونى لتوجية المقاتلات .

(٣) أجهزة الرادار الخاصة بالحاسب الالكترونى

(٤) الرشاشات ٢٣ مم بدون رادارات إدارة نيران .

(٥) صفقة أخرى من القاذفات المقاتلة سوخوى ٧ .

وكان الاتفاق مع الجانب السوفيتى أن يورد جزء من أجهزة PRV- 11 خلال عام ١٩٦٦ حيث أنه يعمل مع جهاز رادار ب - ٣٠ فيزيد الدقة فى توجيه المقاتلات .

هـ حضرت لجنة من الخبراء السوفيت لدراسة موقف الدفاع الجوى فى الجمهورية العربية المتحدة فى أوائل عام ١٩٦٧ برئاسة الجنرال بودجورنى حيث أفاد بأن هناك عدد ٨ أجهزة PRV- 11 بميناء أوديسا جاهزين للشحن علما بأن خبراء التدريب على هذه الأجهزة وصلوا فى يناير ٦٧ أى قبل وصول الأجهزة التى لم تصل بعد حتى بدء العمليات .

و - وعند سفر وزير الحربية شمس بدران إلى موسكو خلال مايو ٦٧ تكرر طلب هذه الأجهزة مرة أخرى على أن ترد بأطقم روسية لتشغيلها والطائرات وكذلك الوضع بالنسبة لطلب أطقم روسية لتشغيل رادار ب - ١٥ وطائرات الاستطلاع الالكترونية

بالأطقم الروسية والصواريخ الموجهة من الأرض للجو على الارتفاعات المنخفضة جدا ولكن لم يرد شيء .

ز ـ كانت المواصلات المتيسرة تشمل الأنواع الثلاثة (خطية ـ لاسلكية ـ متعدد القنوات) ولكن قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى تقدمت بطلباتها فى سبتمبر عام ١٩٦٦ بمشروع للمواصلات الخطية قدرت تكاليفه بأكثر من ٦ مليون جنيه لمجابهة المطالب الآتية : ـ

(١) المواصلات اللازمة للمطارات المقترح إنشاءها فى السنوات القادمة .

(٢) تغيير بعض مواقع الصواريخ فقد كانت هناك فكرة لنقل بعض مواقع اللواء ٩٢ صواريخ إلى شرق القناة وكذا نقل مواقع اللواء ٩٥ صواريخ من وسط الدلتا إلى شمال الدلتا .

(٣) نقل مراكز عمليات اللواء ٩٣ صواريخ واللواء ٩٧ صواريخ من مكانها الحالى إلى أماكن منتخبة لها .

(٤) زيادة سعة الخطوط بالنسبة لمحطات الرادار والمطارات القائمة فى ذلك الوقت وأيضا لتحقيق التعاون بين لواءات الصواريخ والقواعد الجوية ووحدات الرادار .

ولم تتم الموافقة على هذا المشروع .

ح ـ المراقبة الجوية بالنظر .

---

(١) ألغيت المراقبة الجوية بالنظر فى عام ١٩٥٨ وحوالى ١٩٦٤ بدأ التفكير مرة ثانية فى إعادة المراقبة الجوية بالنظر وأعيد تسليم المعدات التليفونية إلى الحدود والسواحل .

(٢) كان أفراد نقط المراقبة الجوية بالنظر التى كانت متيسرة قبل بدء العمليات على الحدود الشرقية وعلى الساحل الشمالى من وحدات الحدود والسواحل وكانوا مكلفين بالمراقبة الجوية بالنظر إلى جانب عملهم الأصلى وكانت هناك صعوبة فى تدريب هؤلاء الأفراد لأنهم دائمى التغيير من نقطة لأخرى حسب طبيعة عملهم الأصلى الأمر الذى كان دائما مثار شكوى بسبب أنه مهما أعطيت فرق تدريبية على أعمال المراقبة بالنظر فإن عملية الغيار تهدم النظام من أساسه .

(٣) أعدت شعبة الدفاع الجوى مشروعا كاملا بمطالب وحدات الدفاع الجوى من ٦٧ حتى عام ١٩٧٠ ومن ضمن المشروع مطالب من بينها مشروع

شراء أجهزة شبكة المراقبة الجوية بالنظر تبلغ تكاليفه الكلية ١٦٥٠٠٠ جنيه على أن ينفذ على ٣ مراحل على النحو الآتى : -

مرحلة أولى عام ٦٧ / ٦٨ ١٥٠٠٠ جنيه دفعة مقدمة من المشروع الكامل

مرحلة ثانية عام ٦٨ / ٦٩ ٧٥٠٠٠

مرحلة ثالثة عام ٦٩ / ٧٠ ٧٥٠٠٠

وقد ووفق على هذا المشروع وأدرج فعلا تكاليف المرحلة الأولى البالغة ١٥٠٠٠ جنيه بميزانية عام ٦٧ / ٦٨ (إعتماد الدفاع الجوى) .

من واقع تقرير الشئون المالية والإدارية بالقوات الجوية .

(٤) كانت المعلومات من النقط تصل متأخرة جدا ولا يعتمد عليها بسبب النقص فى تدريب الأفراد وقلة الإشراف وإحكام الرقابة على شبكة المراقبة الجوية بالنظر .

ط - الصواريخ والمدفعية م ط .

(١) فى بدء عام ١٩٦٢ بدأ تشكيل وتدريب وحدات الصواريخ الموجهة م ط بواسطة الخبراء وفى أواخر عام ١٩٦٣ تم تشكيل عدد ١٣ كتيبة نيران ، وعدد ٤ كتائب فنية وأعقبها تدريب لواء آخر ثم أتبع ذلك عقد تكميلى بعدد ١٠ كتائب نيران عدا الكتائب الفنية وبذلك حدث توسع كبير على حساب المدفعية م ط مما أثر على كفاءة المدفعية م ط بسبب انخفاض مستوى الأفراد .

(٢) الإمكانيات المتيسرة من المدفعية م ط لم تمكن من تركيز الدفاعات م ط من القواعد الجوية فقد كان الدفاع م . ط عن القواعد الجوية يتراوح بين فوج م ط خفيف من ٤ سرايا ٥٧ مم وسرية رشاشات أو فوج م ط خفيف مدعم فى بعض القواعد الجوية الهامة وفى بعض القواعد كان أقل من هذا العدد بكثير مما لا يحقق أى نوع من الدفاع م ط المعقول .

(٣) كانت القواعد الجوية تفتقر إلى عنصر الرشاشات بالاعداد الكافية التى تحقق الدفاع ضد الطيران المنخفض جدا وقد طلبت القوات الجوية الرشاشات ٢٣ مم من الجانب السوفيتى ولكنها لم تصل حتى يوم بدء العدوان .

٥ ـ تدريب عناصر الدفاع الجوى .

أ ـ المشروعات التى أجريت فى العام التدريبى ٦٦ / ٦٧ .

(١) اطلعت اللجنة على التعليمات التنفيذية للتدريب على القتال وخطة التدريب التعبوى والتكتيكى عن العام التدريبى ٦٦ / ٦٧ لتشكيلات ووحدات الدفاع الجوى وموضح بها إجراء مشروعات تدريب تعبوى لاختبار جهاز الدفاع الجوى على مستوى شعبة عمليات الدفاع الجوى بأهداف حقيقية أثناء العام التدريبى بواقع مشروع كل ثلاثة شهور وكذا إجراء مشروعات هيكلية بأهداف حقيقية لاختبار مناطق الدفاع الجوى تقوم بإجراءها مناطق الدفاع الجوى .

(٢) كانت المشروعات تهدف إلى التدريب على صد هجوم الطائرات المنفردة والمجموعات من طائرات العدو من اتجاهات وارتفاعات مختلفة وكانت الارتفاعات التى أجريت عليها هذه المشروعات تبدأ من ١٠٠٠ متر ، ٢٠٠٠ ، ٥٠٠٠ متر ، ٨٠٠٠ ، ١٠,٠٠٠ متر ، ١٢,٠٠٠ متر وعلى أهداف حقيقية ت ى ـ ١٦ وال ٢٨ وميج ٢١ ، ١٧ لتمثل الأهداف المعادية .

(٣) من أقوال اللواء طيار إسماعيل التلتى قائد المنطقة المركزية الجوية أن الطلعات التدريبية التى كانت تجرى لتدريب أفراد الرادار أثبت أنه لم يمكن تحقيق الكشف الرادارى على الارتفاعات المنخفضة .

(٤) ومن واقع تحليل نتائج هذه المشروعات بمعرفة شعبة عمليات الدفاع الجوى كان الواضح أمام اللجنة الآتى : ـ

- الكشف الرادارى سىء خاصة فى استمرار تتبع الأهداف وتحديد ارتفاعها وتمييزها .
- الأهداف كانت ترصد على خرائط الموقف العام بتأخير ٦ دقائق .
- الالتقاط بالرادار لم ينجح على الارتفاعات المنخفضة التى كانت على ١٠٠٠ متر .
- معظم أفراد الأطقم تنقصهم المعرفة الكاملة لواجباتهم الوظيفية .
- تحديد الارتفاع بواسطة أطقم الرادار سىء وغير دقيق وكان متوسط الفرق يتراوح بين ٣ كم ، ٥ كم وقد زاد عن ذلك فى بعض الحالات .
- بعض عمليات الاعتراض لم تنجح .

- عمليات تنسيق التعاون بين المقاتلات والصواريخ لم تتم بسبب عدم توفر المواصلات بين هذه العناصر .

(٥) مرفق صورة من تحليل آخر مشروع دفاع جوى بأهداف حقيقية الذى تم فى ٤ / ٤ / ١٩٦٧ .

ب - مستوى التدريب لبعض عناصر الدفاع الجوى .

اطلعت اللجنة على نتائج التفتيش التى قامت باجراءها لجنة من هيئة التفتيش والتدريب للقوات المسلحة لاختبار الاستعداد للقتال وتقرير الكفاءة القتالية فى مارس / أبريل ١٩٦٧ واتضح الآتى :-

(١) قاعدة العريش الجوية .

تم التفتيش على قاعدة العريش الجوية بالنسبة لحالة الاستعداد للقتال للواء الثانى مقاتلات وتخصص للقاعدة عدد ٣ عمليات اعتراض ضد أهداف على ارتفاعات مختلفة ٥٠٠ متر ، ١٠٠٠ متر ، ٥٠٠٠ متر ولم تنجح القاعدة فى اعتراض أى من هذه العمليات كما هو موضح بتقرير هيئة التفتيش والتدريب المرفق .

(٢) اللواء ٩٤ صواريخ .

تم التفتيش على اللواء لاختبار حالة الاستعداد والكفاءة القتالية وقد تخصص له ٣ أهداف حقيقية وأعطى للواء مهمة تدمير هذه الأهداف على خطوط سير محدده ولم ينجح اللواء فى تنفيذ المهمة التى أعطيت له بالكامل حيث أنه قد تم تنفيذ جزء من المهمة فقط .

(٣) الفوج م ط .

تم التفتيش على الفوج م ط بأسوان لاختبار كفاءته القتالية وكان مستواه ضعيفا .

جـ - أتضح للجنة أنه رغم تصور قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى لشكل الضربة الجوية المفاجأة إلا أنها لم تقم بإجراء أى مشروع لتدريب كافية عناصر الدفاع الجوى على صد هذا النوع من الهجوم وكذا تدريب أطقم مراكز العمليات على المستويات المختلفة على التصرف الواجب إتباعه فى حالة حدوث الضربة الجوية المفاجئة .

٦ - الأوامر والتعليمات التى تنظم العمل فى مراكز العمليات والقواعد الجوية .

أ - اطلعت اللجنة على التعليمات والأوامر التى أصدرتها قيادة القوات الجوية لتنظيم العمل فى مراكز العمليات الرئيسى والقطاع والقواعد الجوية وتشمل الآتى : -

(١) تكوين وواجبات الطاقم الكامل بمركز العمليات الرئيسى صادر فى ١٠ مايو ٦٥ .

(٢) تكوين طاقم العمليات الكامل لمركز عمليات القطاع صادر فى ١٥ / ٦ / ٦٥ .

(٣) الأوامر المستديمة لحالات الاستعداد وتنظيم خدمة العمليات لعناصر الدفاع الجوى فى الجمهورية العربية المتحدة يعمل به إعتبارا من ١٧ / ٣ / ٦٥ .

(٤) تنظيم المواصلات بمركز العمليات الرئيسى يعمل به إعتبارا من ١٠ / ٦ / ٦٥ .

(٥) تكوين مركز العمليات الكامل لمركز عمليات القواعد الجوية صادر فى ١٥ / ٣ / ٦٥ .

(٦) تكوين طاقم العمليات المخفض فى الخدمة لمراكز عمليات القطاعات ١ / ١ / ٦٥ .

(٧) تجهيز وتنظيم طاقم العمل فى مراكز توجيه المقاتلات بالقوات الجوية والدفاع الجوى .

(٨) نماذج الأوامر والتعليمات التى يقوم القطاع بعملها فى خطة الدفاع الجوى .

(٩) مشروع خطة التعاون بين عناصر ووسائل الدفاع الجوى للمنطقتين الشرقية والغربية .

(١٠) خطة التعاون بين المقاتلات والصواريخ والمدفعية م ط .

(١١) تعليمات تنظيم وتنفيذ تنسيق التعاون بين المقاتلات والصواريخ والمدفعية م ط فى ١٥ / ٣ / ١٩٦٥ .

ب - اتضح اللجنة الآتى : -

(١) لم يوضح بأى تعليمات الضربة الجوية المفاجئة وواجبات الأفراد فى التصرف حيالها .

(٢) تحديد العلاقات ليست واضحة وخاصة بين قائد القاعدة الجوية وقائد اللواء الجوى .

(٣) تحديد العلاقة بين قائد القطاع الفرعى (دن سينا) وبين قائد المنطقة الشرقية الجوية مما تسبب عنه وجود مشاكل فى القيادة والسيطرة .

(٤) بعض التعليمات وخاصة ما يتعلق بتنظيم التعاون كانت شبه محاضرة نظرية يصعب تطبيقها من الناحية العملية .

الأسباب التى بنى عليها المجلس قراره

ثبت للمجلس بعد الاطلاع على أقوال المسئولين فى القوات الجوية والدفاع الجوى وعلى الأوامر والتعليمات والوثائق وبعد الاتصال بالمسئولين عن الميزانية فى القوات المسلحة والقوات الجوية الآتى : -

١ - بالرغم من جميع المحاولات السابق ذكرها بخصوص إنشاء الدشم الخراسانية إلا أن القوات الجوية عندما أعلنت حالة الطوارىء يوم ١٤ / ٥ / ٦٧ لم يكن لديها سوى دراوى ببعض القواعد الجوية بعضها كان منشأ والبعض الآخر كان جارى إنشاؤه بشكاير الرمل قبل بدء العدوان بحوالى ٣ أيام وذلك واجهت القوات الجوية العدوان يوم ٥ / ٦ بدون دشم خراسانية توفر الوقاية الكافية للطائرات ضد تأثير الضربة الجوية المفاجئة .

٢ - بالرغم من إنشاء عدد ١١ ممر وقاعدة جوية فى الفترة من عام ١٩٥٦ حتى بدء إعلان حالة الطوارىء يوم ١٤ / ٥ / ٦٧ علاوة على القواعد الجوية التى كانت موجودة قبل عام ١٩٥٦ إلا أن هذا العدد لم يكن يتناسب مع حجم القوات الجوية الذى تضاعف بعد عمليات ١٩٥٦ مع عدم الاهتمام بإنشاء ممرات الهبوط التبادلية لاستخدامها فى الحالات الاضطرارية عند تدمير الممرات والقواعد الأساسية وكذا فى الانتشار ومفاجئة العدو عند قيامه بتوجيه ضربة جوية مفاجئة للقوات الجوية .

٣ - اتضح للجنة أن القوات الجوية لم تنظر لموضوع الإخفاء والتمويه بجدية إلا إبتداء من عام ١٩٦٤ وبالرغم من المحاولات التى بدأت فى صورة مشروعات بعد هذا التاريخ فإن العمليات بدأت والقواعد الجوية والمعدات الفنية بدون أى نوع من الإخفاء والتمويه .

٤ ـ هناك ثغرة فى الكشف الرادارى على الارتفاعات المنخفضة جدا أقل من ٥٠٠ متر واتجهت القوات الجوية نحو الحصول على رادارا مثل ب ـ ١٥ لتغطية هذه الثغرة وقد ثبت للقوات الجوية فيما بعد أن هذه الأجهزة لا تحقق هذا الغرض على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تهتم القوات الجوية بنقط المراقبة الجوية بالنظر وتحسين وسائل الاتصال والتدريب لكى تكون ذات فاعلية فى الإنذار الجوى عن الأهداف التى تطير على ارتفاعات منخفضة جدا ولم يبدأ التفكير فى إعادة استخدامها بعد إلغاءها فى عام ١٩٥٨ إلا فى وقت متأخر من منذ عام ١٩٦٤ ولم تكن هناك جدية وإعطاءها الأهمية إذ أنها الوسيلة الفعالة المتيسرة للإنذار الضربة الجوية المفاجئة بدليل أنه بعد العمليات مباشرة وبنفس المواصلات التى كانت قائمة مع إدخال بعض التحسينات عليها وحسن الاستخدام والإشراف أمكن توصيل البلاغ إلى الجيوش فى فترة من ١ ـ ١,٥ دقيقة كما ظهر بتقرير اللواء حسن كامل

٥ ـ لم يكن هناك توازن فى أسلحة الدفاع م ط بجهاز الدفاع الجوى فالصواريخ والمدفعية م ط المتوسطة (وهى أسلحة الاشتباك ضد الأهداف الجوية التى تطير على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة وعالية) كانت تشكل أعلى نسبة فى جهاز الدفاع الجوى بينما أسلحة الاشتباك ضد الطيران المنخفض جدا على الإرتفاعات أقل من ٥٠٠ متر كانت نسبتها أقل ومستوى تدريبها ضعيف .

وبذلك لم تكن هناك سياسة مرسومة نحو خلق جهاز دفاع جوى متوازن فى أسلحته ومتكامل لكى يكون قادر على صد الهجمات الجوية المعادية وخاصة الضربة الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية بصفة خاصة غير كافية فأقصى دفاع م ط عن القاعدة كان بفوج واحد ٥٧ مم فقط بينما تحتاج القاعدة الجوية كحد أدنى لتوفير الحماية لها بعدد لا يقل عن ٢ فوج (مدافع خفيفة ورشاشات) .

٦ ـ ولو أن شبكات المواصلات المتيسرة فى القوات الجوية والدفاع الجوى كانت تشمل اللاسلكى والخطى ومتعدد القنوات إلا أن الاستخدام وتدريب الأفراد لا يحقق نجاح المواصلات فى القيادة والسيطرة وبلاغات الإنذار بصورة تجعلها فعالة فورية ومستجيبه .

٧ ـ اتضح للجنة أنه رغم تصور قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى لشكل الضربة الجوية المفاجئة على الوجه السليم إلا أنها لم تقم بإجراء أى مشروع لتدريب كافة عناصر الدفاع الجوى على صد هذا النوع من الهجوم وكذا تدريب أطقم

مراكز العمليات على المستويات المختلفة على التصرف الواجب اتباعه فى حالة حدوث الضربة الجوية المفاجئة .

كما أن مستوى التدريب الذى وصلت إليه القوات الجوية والدفاع الجوى من نتائج تحليل المشروعات وكذا التفتيشات التى أجريت كان دون المستوى الذى يؤهلها للإشتراك بكفاءة فى العمليات الهجومية أو فى عمليات الدفاع الجوى وتأكيدا لذلك فقد فشلت أجهزة الدفاع الجوى فى صد واعتراض العدو من الطائرات المعادية التى أخترقت النطاق الجوى للجمهورية العربية المتحدة .

٨ ـ لم تتخذ خطوات إيجابية لتأهيل الأفراد الرئيسيين فى مراكز العمليات وإعدادهم لتنفيذ واجباتهم فى معركة الدفاع الجوى .

٩ ـ اتضح للجنة بعد الاتصال بالمسئولين عن شئون الميزانية بالقوات المسلحة وبالمسئولين عن الشئون المالية والإدارية بالقوات الجوية الآتى : ـ

(أ) أنه بعد اعتماد الميزانية يمكن للقوات الجوية فى حالة طلب تنفيذ بعض المشروعات ذات الأهمية التقدم للجهات المختصة بطلب تجاوز إعتماداتها مقابل وفر فى الاعتمادات الأخرى أو أن تقوم بنفسها بإعادة توزيع إعتمادات الأعمال الجديدة بما يتراءى لها .

(ب) حدثت تجاوزات فى اعتمادات القوات الجوية فى كثير من السنوات الأخيرة وتم تسوية هذه التجاوزات بمعرفة الجهات المختصة .

(جـ) لو أن أجهزة قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى أصرت على عمل الدشم الخراسانية والممرات الفرعية وأعطتها العناية اللازمة والإصرار الكافى لكان من الممكن تدبيرها ولتو على مراحل سنويا من منذ عام ١٩٥٦ .

قرار اللجنة

يرى المجلس أنه لم تكن هناك جدية فى إعداد القوات الجوية والدفاع الجوى للعمليات والقتال وأنه منذ عام ١٩٥٦ حتى بدء العمليات فى ٥ يونية ١٩٦٧ لم يمكن خلق جهاز دفاع جوى متكامل وقادر على الدفاع الجوى عن الجمهورية العربية المتحدة بكفاءة ضد العدو رغم الإمكانيات التى أعطيت للقوات الجوية للإعداد وللقيام بمهامها على الوجه الأكمل وذلك بأنه كان هناك تقصير فى إعداد الدشم الخراسانية والاهتمام بالإخفاء والتمويه لتوفير الحماية للطائرات رغم أن ذلك كان ممكنا على مدى ١١ عاما تقريبا وكذا التقصير فى إنشاء ممرات الهبوط التبادلية وإنشاء شبكة مراقبة جوية بالنظر يعتمد عليها وضعف مستوى التدريب فى مراكز العمليات بالمناطق والقواعد الجوية وكل هذه من الإجراءات التى تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة .

الباب الثانى

موقف استعداد القوات الجوية والدفاع الجوى من وقت إعلان الطوارىء

حتى يوم وقوع العدوان يوم ٥ / ٦ / ١٩٦٧

١ ـ التخطيط لعمليات الدفاع الجوى

أ ـ ورد بأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود بالنسبة لتقدير قوة العدو الجوية وقدرة جهاز الدفاع الجوى بما فيه من مصاعب على صد الضربة الجوية المفاجئة الآتى : ـ

(١) بالنسبة لقوة إسرائيل المعلومة لدينا والمفروض أن تعمل على ٣ جبهات ج . ع . م والأردن وسوريا أنه كان يتوقع أن تكون الضربة الأولى موجهة ضد مطارات سينا وأن جهاز الدفاع الجوى بما فيه من مصاعب كان يمكنه أن يتعامل بالمدفعية م / ط من مطارات سينا وبالمقاتلات من قواعد القناة فى حالة مهاجمة مطارات سينا .

٢ ـ أنه قدر قوة إسرائيل الجوية بحوالى ٢٥٠ طائرة منها ٢٥ ٪ عدم صلاحية ، ٢٥ ٪ للدفاع الجوى فيتبقى ما مقداره ١٣٠ طائرة لمواجهة الثلاث دول وكان فى تقديره أن حوالى ٣٠ ٪ تخصص أمام جبهات سوريا والأردن وأن المنتظر إستخدامه أمام ج ع م هو ٨٠ ـ ٩٠ طائرة تستخدم فى أنساقه وأن النسق الأول من هذا العدد ليس أكثر من ٥٠ ـ ٦٠ طائرة .

ومن هنا جاء تقديره على أساس أن الهجوم الذى ستوجهه إسرائيل ضد ج ع م لا يمكن أن يكون ذا تأثير إلا ضد مطارات سينا وحدها فقط وبذلك يمكنه التعامل مع هذه الأعداد بواسطة القواعد الجوية فى القناة والمنطقة المركزية .

(٣) لو كانت قوة إسرائيل فقط التى ستهاجمنا فرغم عدم وجود إنذار للطيران المنخفض كان من الممكن التعامل مع طائرات الهجمة الأولى بالمدفعية م ط التى كانت فى حالة إستعداد كامل وحرة ولا تقيد إلا بأوامر من قائد القاعدة الجوية أو غرفة العمليات حسب تحركات طائراتنا .

(٤) إن جهاز الدفاع الجوى يستطيع أن يقوم بصد الضربة المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط وبإمكانيات إسرائيل حسب المعلومات المتوفرة لدى

القوات الجوية وكان فعلا فى مقدور القوات الجوية صد الضربة الجوية المفاجئة لو كانت إسرائيل وحدها بالرغم من المصاعب الموجودة فى جهاز الدفاع الجوى وأن تقديره للخسائر المتوقعة من ١٥ ٪ - ٢٠ ٪ تحدثها إسرائيل وبعدها يستطيع التعامل مع إسرائيل وأن قبوله للضربة الأولى من قوة إسرائيل فقط كان سيسبب للقوات الجوية بعض النقص فى القوة ولكن لا يقعدها تماما عن العمل .

(٥) أوضح أن السبب الرئيسى لنكسة القوات الجوية هو أنه هوجم فعلا بإمكانيات علمية وفنية وأسلحة جديدة تستخدم لأول مرة وبأعداد كبيرة من الطائرات تفوق ما تملكه إسرائيل بكثير جدا علاوة على المساعدات الفنية من استطلاع إلكترونى وتشويش على شبكات الاتصال والتداخل الرادارى وهذا لا يتأتى إلا بتدخل أمريكا والأسطول السادس وما يملكه من إمكانيات .

ب - ورد بأقوال اللواء طيار إسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى بخصوص التخطيط لعمليات الدفاع الجوى الآتى : -

(١) قدرت الطائرات المعادية حسب معلومات المخابرات الحربية بعدد ٢٥٥ طائرة الصالح منها حوالى ٢١٥ - ٢٢٠ طائرة وتخصص من هذا العدد حوالى ٤٨ طائرة للدفاع الجوى المحلى فى إسرائيل وتجميد جبهتى الأردن وسوريا وبذلك يكون العدد الحقيقى فى مواجهة ج . ع . م حوالى ١٧٢ طائرة وكان هذا مبنى على تقدير الموقف السابق والذى سبق مناقشته مع لجنة الجنرال بودجورنـــى .

(٢) عند عرضه الخطة على رئيس أركان القوات الجوية وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى أوضح أن الحد الأدنى للكشف الرادارى هو ٥٠٠ متر وأن طائرات العدو تستطيع مهاجمة مطارات سينا وبعض مطارات القناه على ارتفاع أقل من ذلك وكان ظاهرا بوضوح الثغرة فى الكشف الرادارى تحت ٥٠٠ متر حيث أن مواصفات جميع الأجهزة الرادارية المتيسرة لدى القوات الجوية والدفاع الجوى لا تحقق كشف رادارى أقل من هذا الإرتفاع ولذلك كان التركيز فى الطلبات من الجانب السوفيتى على رادارات الكشف الواطى .

(٣) من تقديرات الموقف وعلى أساس معلومات القوات الجوية عن طائرات إسرائيل فقط وعددها وقدراتها وأن القوة التى سوف تتمكن من القيام بالمبادأة سيكون لها حتما التفوق الجوى فوق أرض المعركة بسينا ومن هذه الخلاصة كان التصميم منذ اللحظة الأولى التى أعلنت فيها حالة

الطوارىء أن تكون المبادأة من جانبنا وقد كان القرار مؤيدا لذلك ,وتم, تمركز القوات الجوية والدفاع الجوى بما يحقق تنفيذ الخطة الهجومية فهد ـ ١ واستمر هذا الوضع حتى يوم ٤ / ٦ / ١٩٦٧ أى أن التمركز كان فى أوضاع هجومية وكان هذا للأسباب الآتية : ـ

ـ عدم توفر إنذار على أقل من ٥٠٠ متر .

ـ الاعداد المتوفرة لدينا من الطائرات والطيارين ووسائل الدفاع الجوى الأخرى ومعلومات المخابرات عن الطائرات المعادية والتى كانت تبين أن العدو ليس لديه طائرات تستطيع الوصول إلى المنطقة المركزية الجوية على ارتفاع أقل من ٥٠٠ متر فيما عدا الطائرات الفوتور التى قدر الصالح منها بحوالى ١٦ طائرة .

وعلم من قائد القوات الجوية بأنه فى المؤتمر الذى عقد فى أواخر شهر مايو ١٩٦٧ تم توضيح أن الوسيلة الفعالة لتفادى الهجوم المفاجىء هو القيام بالمبادأة على المطارات المعادية وأنه أخذ وعد من السيد / المشير بذلك كما أضاف بأنه فى مؤتمر عرض الخطة على السيد المشير تم التأكيد على أن تكون المبادأة من جانبنا أولا وكذا عمل دشم عاجلة لحماية الطائرات فى مطارات سينا

(٤) فى أواخر شهر مايو ٦٧ عقب مؤتمر عقد بالقيادة العامة للقوات المسلحة أفاد الفريق أول محمد صدقى محمود بأنه نظرا للظروف السياسية لن نقوم بالمبادأة وأنه بسؤاله عن مقدار الخسائر التى سوف تلحقنا أجاب أنها ستكون من حوالى ٢٠ ٪ ـ ٢٥٠ ٪ وأن هذه الخسائر قد قبلت ولهذا وضعت خطة أخرى لمواجهة التحول إلى الأوضاع الدفاعية وتتضمن أساسا سحب طائرات ووحدات مدفعية م . ط وتخفيف وحدات رادار من سينا وتصدق على هذه الخطة من رئيس الأركان وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى ولكن لا تصدر إلا بأوامر فى حينه حتى لا تنخفض الروح ـ المعنوية لأفراد القوات الجوية والدفاع الجوى وأضاف فى أقواله أنه عندما صدرت إليه الأوامر فى شهر يونية باتخاذ الأوضاع الدفاعية كانت أوامر قائد القوات الجوية تقضى بأن يكتفى بتخفيض الطائرات فقط فى كل من العريش والسر وبير تمادا وباقى الأوضاع تظل كما هى فيما عدا مطار كبريت صدرت الأوامر بتدعيمه بثلاث سرايا رشاشات .

وقد سرد فى أقواله بأنه حتى لو كانت نفذت خطة سحب الطائرات فإن هذا لا يغير من النتيجة فى شىء نظرا لمدى الطائرات المعادية التى فوجئنا بها على غير المعلومات التى كانت لدينا .

جـ ـ أطلعت اللجنة على تقارير المخابرات الحربية الآتية : -

(١) تنظيم وحجم وأوضاع القوات الجوية والدفاع الجوى فى إسرائيل برقم ط / ٤ / ١٠١ / ٥٤٠ / ٢٣٩٦ بتاريخ ٢٢ / ٩ / ٦٦ والمرسل إلى القوات الجوية والدفاع الجوى .

(٢) كتاب المخابرات الحربية رقم ط / ٤ / ١٠١ / ٥٥١ / ٢٨٦٤ بتاريخ ٢٥ / ٧ / ١٩٦٧ .

(٣) ملخص مخابرات رقم ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ الذى يوضح نشاط القوات المعادية والمرسلة إلى القوات الجوية والدفاع الجوى .

(٤) التقارير وملخص المخابرات الخاص بالتدعيم الأجنبى والمرسلة إلى القوات الجوية والدفاع الجوى .

(٥) ملخص المخابرات الخاص باستطلاع جوى معادى ومرسل إلى القوات الجوية والدفاع الجوى .

د ـ أقوال العقيد طيار على منصور رئيس فرع الاستطلاع بقيادة القوات الجوية والدفاع الجوى تفيد بالاتى : -

(١) أن إسرائيل بطائراتها وتسليحها ومداها يمكنها من ضرب جميع مطارات ج . ع . م فى وقت واحد إذا تمكنت من الحصول على المعلومات الوثيقة عن التغطية الرادارية واستغلال الثغرات فى هذه التغطية ونقط الضعف للوصول إلى أهدافها والحصول على المفاجئة .

(٢) لديه المعلومات عن صفقة ٥٠ طائرة سكاى هوك وطلب من رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى ورئيس شعبة العمليات الجوية وضعها فى الاعتبار عند تقدير الموقف .

(٣) أن المعلومات عن طائرات العدو وتسليحها والتحليل النوعى قد أرسله إلى جميع المختصين .

د ـ اطلعت اللجنة على خطة الدفاع الجوى عن الجمهورية العربية المتحدة فى ١٦ مايو ٦٧ والموقعة من الفريق أول محمد صدقى محمود والفريق أول جمال الدين عفيفى فى ١٩ / ٥ / ٦٧ والمصدق عليها من نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة واطلعت اللجنة على قرار قائد القوات الجوية والدفاع الجوى فهد ـ ١ والموقعه من الفريق أول جمال الدين عفيفى واللواء طيار إسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى والمصدق عليها من قائد القوات الجوية والدفاع الجوى فى ١٩ / ٥ / ١٩٦٧ .

واتضح للجنة الآتى : ـ

(١) عند إعداد خطة الدفاع الجوى عن الجمهورية بعد إعلان الطوارىء فى ١٤ / ٥ / ٦٧ لم تكن هناك دراسة وبحث مبنى على تقدير موقف سليم فقد كانت الخطة طبق الأصل من الخطة السابق وضعها فى سبتمبر ٦٦ ما عدا إعادة التمركز لقواتنا ولم تكن هناك دراسة لأى عوامل جديدة تغير من الموقف الذى كان فى منتصف عام ١٩٦٦ (كما هو وارد بأقوال العقيد شاكر عبد المنعم) .

(٢) لم تبنى الخطة على آخر موقف للقوات الجوية للعدو فقد كانت الاعداد التى وردت بالخطة أنها ٢٢٦ طائرة بينما الاعداد التى وردت بتقارير المخابرات الحربية والتى أرسلت للقوات الجوية قدرت بعدد ٣٧٦ طائرة بما فيها الفوجا ماجستر وعددها ١٠٠ طائرة فلو استبعدت أصبح الباقى ٢٧٦ طائرة وبذلك حدث الخطأ فى بناء الخطة بفارق ٥٠ طائرة ومن الواضح أنه ورد بخطة الدفاع الجوى للعملية فهد ـ ١ عدد ٥٠ طائرة سكاى هوك دخلت فى الاعتبار عند التقدير بينما فى خطة الدفاع الجوى توضح بالملحق أ عدم دخولها فى التقدير .

(٣) بينت الخطة على التغطية الرادارية من ارتفاع ٥٠٠ متر فما فوق ولم يدخل فى الخطة أى اعتبار للإجراءات التى تتخذ لمواجهة الضربة الجوية المفاجئة على الارتفاعات المنخفضة وتقليل آثارها .

(٤) استبعدت الخطة احتمال قيام العدو بضرب جميع القواعد الجوية فى سينا والقناه والمنطقة المركزية فى وقت واحد علما بأن مدى طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع قواعدنا الجوية على الارتفاعات المنخفضة جدا وهذا ما يتمشى مع أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

(٥) من مقارنة القوات الجوية المعادية مع قواتنا الجوية حسب ما جاء فى الخطة أن نسبة التفوق هى ١ : ١,٣ لصالح قواتنا الجوية وهذا يغاير الحقيقة فبالدراسة حسب ما ورد بتقرير المخابرات الحربية يتضح أن عدد الطائرات لدى العدو بعد استبعاد الفوجا ماجستر هو ٢٧٦ طائرة وأن طائراتنا من المقاتلات والمقاتلات القاذفة هو عدد ١٧٧ طائرة فتكون النسبة ١ : ١,٥ لصالح العدو بصرف النظر عن نسبة الصلاحية فى كلا الجانبين كما هو موضح بالكشف المرفق .

(٦) كانت القوات الجوية تعلم جيدا أنه ليس لديها تغطية رادارية على الارتفاعات المنخفضة جدا أقل من ٥٠٠ متر وأنه فى حالة الضربة الجوية المفاجئة من ارتفاعات منخفضة جدا لن يكون هناك انذار عنها ولذلك فانه

على أحسن الظروف والأحوال عند تقدير احتمال قيام العدو بضربة جوية مفاجئة نجد أن القوات الجوية لن يمكنها استخدام سوى طائرات حالات الاستعداد الأولى وعددها حسب الواقع ٣٤ طائرة وطائرات حالات الاستعداد الثانية وعددها ٣٢ طائرة وبذلك يكون جملة ما يمكن استخدامه لصد الضربة الجوية المفاجئة هو ٦٦ طائرة (على افتراض إمكان إقلاعها جميعا من قواعدها قبل مهاجمتها فعلا علما بأن هذا سيكون متعذر بالنسبة لبعض القواعد التى تفاجأ .

بمقارنة هذا العدد مع قوات العدو الجوية التى يمكن استخدامها فى الضربة الجوية المفاجئة بعد عمل حساب نسبة الصلاحية واحتفاظ إسرائيل بعدد ٤٠ طائرة لأغراض الدفاع الجوى كما جاء فى الخطة والأخذ بالمبدأ السليم لتصور الضربة الجوية المفاجئة فإن النسبة تكون ١٨١ : ٦٦ أى أن النسبة ٣ لصالح العدو : ١ لصالحنا على افتراض إمكان إقلاع جميع طائرات حالات الاستعداد الأولى والثانية من قواعدها قبل مهاجمتها فعلا وهذا كان متعذرا بالنسبة لسينا .

أى أن العدو كان متفوق على قواتنا بنسبة ٣ : ١ .

ولو أدخلنا فى الاعتبار الإمكانيات التدميرية للمدفعية م ط الخفيفة المتيسرة لوجدنا أن قدراتها التدميرية محدودة وبذلك لن يتغير من الأمر شىء يذكر وأنه لا زال العدو متفوقا .

الدفاع م ط عن القواعد الجوية .

أ ـ اطلعت اللجنة على التعليمات التى أصدرتها شعبة عمليات الدفاع الجوى الخاصة بتوزيع المدفعية م ط على القواعد الجوية ابتداء من وقت إعلان الطوارىء ووجدت الآتى : ـ

(١) تعليمات عمليات ٦١ / ٦٧ بتاريخ ١٥ / ٥ / ٦٧ بتوزيع الفوج ٧٢ مدفعية عيار ٥٧ مم لتعزيز الدفاع م ط عن سرايا الرادار فى سينا بواقع سرية لكل من العريش ونخل وبير العبد وطلعه البدن وبذلك تشتت كيان هذا الفوج ولم يستفاد به فى وقاية قاعدة جوية .

(٢) تعليمات عمليات ١٤ / ٦٧ بتاريخ ٢١ / ٥ تقضى بتحرك الفوج ٧٧ مدفعية عيار ٥٧ مم من انشاص إلى الغردقة وترتب على ذلك : ـ

ـ أن أصبحت قاعدة انشاص مدافع عنها بعدد ٢ سرية ٨٥ مم (لا تصلح

للاشتباك مع الطيران المنخفض) وعدد ٢ سرية ٥٧ مم وبدون أى رشاشات وهى السلاح الملائم للدفاع ضد الطيران المنخفض .

ـ أصبحت قاعدة غرب القاهرة مدافع عنها بعدد ٢ سرية ٨٥ مم (لا تصلح للدفاع ضد الطيران المنخفض) وعدد ٢ سرية ٥٧ مم وسرية رشاشات .

(٣) تعليمات قتال ٢ / ٦٧ فى ٢٧ / ٥ / ٦٧ تقضى بنقل الفوج ٨١ تسليح ٥٧ مم من قاعدة كبريت إلى مطار تمادا وبذلك أصبحت كبريت بدون دفاعات .

(٤) صدرت تعليمات قتال دفاع جوى رقم ٤ / ٦٧ فى ٢٨ / ٥ / ٦٧ بتعيين عدد ٢ سرية رشاشات ٢٠ مم من القوات الجوية للدفاع عن مطار كبريت .

(٥) صدرت تعليمات دفاع جوى رقم ٢٥ فى ٣ / ٦ / ٦٧ بتوزيع عدد ٦ سرايا ١٤,٥ مم فردى ، ٨ سرايا ٢٠ مم بلغارى تشكلت جميعها بصفة عاجلة بواسطة المدفعية من ضباط من خريجى الكلية الحربية وصف وعساكر من الاحتياط وجميعهم لم يكن لهم المام باستخدام هذه الرشاشات هذا بالإضافة إلى أن ذخيرتها محدودة وبدأ تحرك هذه السرايا بالبر والجو إلى مطارات تمادا وكبريت والسر يوم ٤ / ٦ وبعضها صباح يوم ٥ / ٦ التى ضربت فى الجو فوق قاعدة كبريت .

ب ـ الأفواج والسرايا كانت تعانى نقصا شديدا فى الحملة مما أدى إلى فقدان المدافع والمعدات عند صدور أمر الانسحاب للأفواج التى كانت تدافع عن القواعد الجوية مثل المليز .

جـ ـ الملحق ، لا ، لا يبين الدفاعات م . ط عن القواعد الجوية ويتضح منه الآتى : ـ

(١) أن أغلب القواعد الجوية مدافع عنها بفوج م ط خفيف مكون من ٤ سرايا ٥٧ مم وسرية رشاشات وهذا الدفاع يعتبر ضعيف جدا عند استخدامه فى صد الضربة الجوية المفاجئة على الارتفاعات المنخفضة جدا .

(٢) أن قاعدة كبريت كانت بدون دفاعات م ط سوى ٢ سرية رشاشات ٢٠ مم وبدون غرفة عمليات .

(٣) أن قاعدة انشاص الجوية كانت بدون رشاشات كما أن سرايا ٨٥ مم إشتباكها محدود ضد الطيران المنخفض جدا .

(٤) أن قاعدة غرب القاهرة الجوية كان بها ٢ سرية ٨٥ مم .

٣ ـ قدرة وإمكانيات جهاز الدفاع الجوى .

أ ـ ورد بأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود أن جهاز الدفاع الجوى يستطيع أن يقوم بصد الضربة الجوية المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط وبإمكانيات إسرائيل حسب المعلومات المتوفرة لدينا .

وكان فعلا فى مقدور القوات الجوية صد الضربة المفاجئة لو كانت إسرائيل وحدها بالرغم من المصاعب الموجودة فى جهاز الدفاع الجوى وأن تقديره للخسائر المتوقعة من ١٥ ٪ ـ ٢٠ ٪ تحدثها إسرائيل وبعدها تستطيع قواتنا الجوية التعامل مع إسرائيل . وقرر في أقواله أنه من الممكن التعامل مع قوة إسرائيل الجوية وأن قبوله الضربة الأولى من قوة إسرائيل فقط كان سيسبب لقواتنا الجوية نقص فى القوة ولكن لا يقعدنا تماما عن العمل فى اليوم الأول .

وقال أنه بديهى لو أستكمل النقص فى وسائل الدفاع الجوى وخصوصا المعدات والرادارات لعناصر الدفاع الجوى كان يكون الموقف أحسن بكثير وأنه قدر الخسائر التى يحدثها العدو فى قواتنا الجوية بمقدار ٢٠ ٪ نظرا لقلة المدفعية م ط عن القواعد الجوية ولو كان الدفاع م ط عن القواعد الجوية مستكملا وأن مشروع الدشم مستكملا أيضا لكانت الخسائر تقل عن ذلك بكثير .

ب ـ الواقع أن هناك مصاعب تجعل جهاز الدفاع الجوى غير قادر على تلقى الضربة الجوية المفاجئة وأن نسبة الخسائر ستكون كبيرة فى قواتنا الجوية للأسباب الآتية : ـ

(١) التفوق العددى والنوعى لقوة إسرائيل الجوية .

(٢) عدم وجود جهاز دفاع جوى متكامل .

(٣) عدم كفاية الدفاعات م ط عن القواعد الجوية .

(٤) عدم وجود دشم خراسانية وإخفاء وتمويه .

(٥) عدم وجود ممرات بالعدد الذى يتناسب مع حجم قواتنا الجوية .

(٦) ضعف مستوى التدريب لعناصر الدفاع الجوى .

(٧) عدم وجود إنذار على الارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر سواء بأجهزة رادار للكشف المنخفض أو بالتعاون مع طائرات استطلاع إلكترونى أو بالمراقبة الجوية بالنظر أو بجميع هذه الوسائل معا .

٤ ـ تخطيط العمليات الهجومية .

أ ـ أن تصور القيام بالضربة المضادة بعد تلقى الضربة الجوية المفاجئة التى يقوم بها العدو هو تصور خاطىء لأن جهاز الدفاع الجوى لا يستطيع أن يقوم بصد الضربة الجوية المفاجئة بخسائر من ١٥ ٪ ـ ٢٠ ٪ ثم تتحول بعد ذلك قواتنا الجوية إلى القيام بالضربة الجوية المضادة لأن الخسائر ستكون أعلى من ذلك بكثير لعدم وجود دشم وإخفاء وتمويه وانتشار ودفاعات م ط قوية وإنذار جوى على الارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر وقد أثبتت العمليات ـ أن العدو قام بتدمير ٧٥ ٪ من قواتنا الجوية الضاربة (قاذفات ومقاتلات ومقاتلات قاذفة) فى اليوم الأول .

وأن قبول فكرة القيام بالعمليات الهجومية (الضربة الجوية المضادة) بعد تحمل هذه النسبة العالية من الخسائر سوف يتعذر تنفيذها .

ب ـ ورد بالبند ثالثا ـ فقرة ١٤ فى خطة فهد ـ ١ بأن نسبة الخسائر المتوقعة فى الطائرات الإسرائيلية فى حالة قيامنا بالعمليات الهجومية قدرت بحوالى ١٠ ٪ وهذه النسبة ضئيلة وبذلك كان يمكن للعدو بالقوة الباقية من قواته وهى ٩٠ ٪ أن يحدث خسائر فادحة فى قواتنا الجوية .

جـ ـ اتضح أن الخطة تعتمد على استخدام القاذفات نهارا وعلى ذلك فأنه لم يكن ممكنا حراسة تلك القاذفات أثناء عملياتها نهارا لأن مدى المقاتلات المتوفرة لدينا لا يسمح بذلك وهذا يخالف أسس الاستخدام للقاذفات .

د ـ اتضح للجنة أن طائرات الضربة المضادة لم تكن مؤمنة على الأرض فى قاعدة أبو صوير الجوية حيث كان بها ٣٠ طائرة اليوشن ٢٨ اكتظت بها القاعدة ولم يكن هناك مجال لانتشارها وتمويهها وقد تم تدميرها فى أول ضربة .

هـ ـ النقص الواضح فى المعلومات عن الأهداف المعادية لدى الطيارين الذين سيقومون تنفيذ الخطة الهجومية وأن المعلومات التى كانت متيسرة تعتبر قليلة جدا ومما لا شك فيه فان هذا سيؤثر على تقليل نسبة الخسائر التى قدرت فى خطة فهد ـ ١ نسبة الـ ١٠ ٪ التى كان من المفروض احداثها فى القوات الجوية المعادية بل أنه كان من المشكوك فيه أن تصل طائرات العمليات إلى أهدافها أو أن تعود بعد ضربها لأهدافها وكانت النتيجة المنتظرة غير مؤثرة وغير مجدية للأسباب الآتية : ـ

(١) وجود طائرات استطلاع إلكترونى لدى إسرائيل للتوجيه والكشف الرادارى

والإنذار من الأهداف على كافة الارتفاعات وخاصة الارتفاعات المنخفضة جدا - وقد ثبت من تحليل نتائج الرادار أن هناك طائرات تعمل كمظلات على الساحل وعلى الحدود وهى فى الواقع يدخل ضمنها طائرات استطلاع إلكترونى .

(٢) وجود وسائل دفاع م ط قوية ومتكاملة .

(٣) تفوق عددى ونوعى فى الطائرات التى ستواجهها طائراتنا القائمة بالعمليات الهجومية .

(٤) وجود جهاز دفاع جوى متكامل يحوى شبكة مراقبة جوية بالنظر يعتمد عليها .

و - تبين أن الدشم التى كانت موجودة فى القواعد الجوية فى سينا لحماية بعض الطائرات لم تكن تفى بالغرض منها وكان معلوما أنه لا يمكن توفير إنذار مبكر يسمح بإقلاع الطائرات فى الوقت المناسب وكان تمركزها فى هذه الأماكن مجازفة غير مقبولة لأن هذه القوات - بهذه الطريقة ستكون معرضة للتدمير فى أول ضربة وهى تمثل ٣٠ ٪ من القوة الضاربة .

ز - لم يؤخذ فى الاعتبار أن جميع مطارات الجمهورية فى مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى احتياطات لتأمين طائرات الضربة المضادة وتبين الخطأ الجسيم فى تكديس طائرات الضربة المضادة فى قاعدة أبوصوير الأمر الذى ترتب عليه تدميرها جميعا بضربة واحدة فى أول هجمة ولم ينجو منها طائرة واحدة ولم يعاد تمركزها لتتناسب مع الوضع الجديد بمجرد قبول فكرة تلقى الضربة الأولى .

٥ - إستعداد القوات الجوية من وقت إعلان الطوارىء يوم ١٤ / ٥ / ٦٧ حتى بدء العدوان .

أ - الاستطلاع الجوى .

من ملخص أقوال الفريق أول محمد صدقى محمود والفريق أول جمال عفيفى واللواء طيار إسماعيل لبيب إتضح الآتى : -

(١) لا توجد طائرات استطلاع متخصصة لهذا الواجب وسبق طلب هذا النوع من طائرات الاستطلاع الالكترونى من الجانب السوفيتى ولم يجاب الطلب .

(٢) أن المعلومات التى كانت لدى القوات الجوية عن العدو ضعيفة جدا .

(٣) لم يكن هناك نشاط للاستطلاع الجوى إلا بعد رفع حالات الاستعداد يوم ١٤ مايو وذلك تطبيقا للتعليمات التى كانت موجودة لدى القوات الجوية وهى عدم اختراق أى طائرة للحدود الإسرائيلية إلا بتصديق من السيد المشير شخصيا .

(٤) تم تنفيذ عدة طلعات استطلاع أغلبها باستخدام الميج ٢١ على ارتفاعات عالية جدا لتلافى التعرض لدفاعات العدو ولكنها لم تحقق أى فائدة تذكر لأن التصوير على الارتفاعات العالية كان غير مجدى .

(٥) كان الملاحظ دقة المعلومات المتوفرة لدى طيارى العدو عن مطاراتنا توضح شكلها وأبعادها وأماكنها كذا مواقع الصواريخ الموجهة م ط ومناطق تدميرها على الارتفاعات المنخفضة ومواصفات أغلب محطات الرادار وأشكالها ومواصفات طائراتنا وخصائصها الفنية وكيفية التعامل معها . ولهذا كان الاستطلاع بالنسبة للعدو مكتملا ويفوق إمكانياته لأن العدو لا يوجد لديه استطلاع إلكترونى وأن الفوتور لا يمكن أن تعطى الصورة الكاملة والمعلومات الدقيقة التى شوهدت على خريطة أحد قادة الأسراب الذى سقطت طائرته فى الاعتداء يوم ٥ / ٦ / ١٩٦٧ ويقصد بذلك أن العدو قد حصل على دعم كبير خارجى فى ناحية الاستطلاع .

ب - المظلات الجوية :

(١) ملخص أقوال الفريق أول محمد صدقى محمود واللواء طيار إسماعيل لبيب تفيد بالآتى : -

- أن الخطة كانت تقضى بشغل مناطق المظلات حسب موقف العمليات وحسب ما يتراءى لقادة المناطق مع التقيد بوجود المظلة فى فترتين أولها من أول ضوء ولمدة ساعة والثانية قبل آخر ضوء بمدة ساعة . وفى أثناء النهار حسب المواعيد التى يحددها قائد المنطقة بالتناوب بين اللواءات الجوية مع الاستفادة بها فى تدريب الطيارين وعلى أن تشغل منطقتى مظلة البردويل وشمال نخل بصفة مستمرة بالتناوب بين اللواءات المختلفة (فايد والمليز وأبو صوير) .

- فى يوم ٥ / ٦ كانت الأوامر تقضى بتكثيف المظلات فى الفترة ما بين سعت ٩٠٠ وسعت ١٤٠٠ بغرض زيادة ضمان عدم تداخل العدو أثناء زيارة السيد المشير للجبهة وهذه المظلات لا تتعارض أو تتداخل مع

المظلات الواردة فى الخطة الواردة فى أوامر القتال وخطط المناطق الخاصة بالعمليات .

(٢) اطلعت اللجنة على خطة الدفاع الجوى وأمر قتال دفاع جوى رقم ٣ / ١٩٦٧ الصادر من شعبة الدفاع الجوى فى ٢٧ / ٥ / ٦٧ ووجدت به كشف مكان المظلة والوحدة المكلفة بها وقوة المظلة وارتفاعها ومدة المظلة فى الجو ونقطة التوجيه ولكن لم يتضح للجنة التوقيتات التى تخرج فيها المظلات .

(٣) اطلعت اللجنة على أمر عمليات رقم ١٣ / ٦٧ بتاريخ ٢١ / ٥ / ٦٧ الخاص بتنسيق عمل المظلات الجوية فى المنطقة الشرقية الجوية ابتداء من يوم ٢١ / ٥ / ٦٧ فى أوقات متفرقة مع الاستفادة من هذه الطلعات كتدريب للطيارين .

(٤) اطلعت اللجنة على دفتر أحوال المقاتلات لقاعدة أبو صوير الجوية ووجدت أمر إقلاع مظلة جوية سعت ٦٢٢ ووقت العودة إلى القاعدة سعت ٧١٣ .

(٥) بعد الاجتماع الذى حضره السيد الرئيس مساء يوم ٢ / ٦ بالقيادة العامة للقوات المسلحة الذى ذكر فيه أن إسرائيل ستقوم بضربتها فى فترة قصيرة خلال يومين أو أكثر لم يتخذ قائد القوات الجوية قرار بتكثيف المظلات الجوية على الحدود وعلى الساحل شمال سينا لمجابهة مشكلة الكشف الرادارى على الارتفاعات المنخفضة جدا حتى لا تتعرض القواعد الجوية للضربة الجوية المفاجئة .

جـ ــــ حالات الاستعداد لعناصر الدفاع الجوى .

(١) اطلعت اللجنة على توجيهات عمليات نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة رقم ٣ / ٦٧ عن الاستعداد العالى للقتال للقوات المسلحة الصادرة من هيئة العمليات برقم ٠١٠١٠٠١ / ٢٢٢ بتاريخ ٢٧ / ٣ / ٦٧ وقد ورد بالبند ٢٨ فى إجراءات التحويل إلى حالة الاستعداد الكامل للقتال لكى تتمكن القوات الجوية والدفاع الجوى من صد الهجمات المنتظرة وتوجيه الضربات المضادة يجب أن تكون أوضاع الاستعداد للقتال كالآتى : ـ

ـ يجب أن تحتل جميع مراكز عمليات القوات الجوية والدفاع الجوى على جميع المستويات بالأطقم الكاملة .

ـ أوضاع الاستعداد للمقاتلات التى فى الحالة الأولى والطيارين مربوطين فى طائراتهم وكذلك أوضاع الحالة الثانية .

- أوضاع الاستعداد لكتائب الصواريخ والمدفعية م ط .

(٢) بالنسبة لمراكز العمليات .

- فى مركز العمليات الرئيسى بالجيوشى اطلعت اللجنة على التعليمات التى أصدرتها قادة القوات الجوية والدفاع الجوى بشأن تكوين وواجبات الطاقم الكامل بمركز العمليات الرئيسى الصادرة من شعبة الدفاع الجوى بتاريخ ١٠ مايو ١٩٦٥ ويشتمل تكوين الطاقم الكامل من الأفراد الرئيسين الآتيين : -

- قائد القوات الجوية والدفاع الجوى .
- رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى .
- رئيس شعبة العمليات الجوية .
- رئيس شعبة الدفاع الجوى .

بالإضافة إلى باقى أفراد الطاقم الكامل .

كما اطلعت اللجنة على تعليمات قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى بخصوص تعيين ضابط عظيم الجيوشى .

- تم تدعيم مراكز عمليات المناطق وخاصة المنطقة الشرقية الجوية بالأفراد لتكوين طاقمين عمليات يتناوبون الخدمة .

- اطلعت اللجنة على التعليمات الصادرة بخصوص الأطقم الكاملة فى مراكز عمليات فى القواعد الجوية .

(٣) بالنسبة للمدفعية م ط

- اطلعت اللجنة على تعليمات قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى التى تقضى بوضع ٥٠ ٪ من عدد السرايا فى الأفواج التى تدافع عن القواعد الجوية بالمنطقة الشرقية الجوية فى حالة الاستعداد الأولى على أن يتم عمل خدمة لهذه السرايا بالدور بمعرفة كل فوج .

- لم يكن هناك تعليمات للمنطقة المركزية الجوية فكانت الأفواج التى تدافع عن القواعد الجوية فى حالة الاستعداد الثانية ترفع إلى الحالة الأولى عند وصول الإنذار بذلك من مراكز العمليات .

(٤) لم يتخذ قائد القوات الجوية بعد عودته من المؤتمر الذى عقد فى القيادة العامة للقوات المسلحة مساء يوم ٢ / ٦ أى إجراءات نحو إصدار التعليمات باحتلال جميع مراكز العمليات بالأطقم الكاملة بما فى ذلك المركز

الرئيسى الذى كان يوم ٥ / ٦ قاصرا على ضابط عظيم بينما رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات ورئيس فرع الاستطلاع كانوا بمكاتب القوات الجوية وكان رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى بمطار ألماظة فى طريقه إلى المليز ولم تكن أغلب مراكز العمليات فى القواعد الجوية فى حالة استعداد بالأطقم الكاملة .

د ــ تقييد نيران المدفعية م ط . كانت نيران المدفعية م ط . المخصصة للدفاع عن القواعد الجوية وقت بدء العدوان مقيدة للأسباب الآتية :-.

(١) بالنسبة لمطارات سينا .

- مطار السر بسبب وصول طائرة مواصلات تحمل معدات وأكياس خيش للمطار .

- مطار تمادا بسبب انتظار طائرة السيد المشير وجميع قادة التشكيلات من المحاور على طائرات هليكوبتر ليكونوا فى انتظار السيد المشير .

- قاعدة المليز بسبب الطائرات التى تنقل المياه والألغام إلى أم حزم .

(٢) بالنسبة لمطارات القناه .

- مطار فايد بسبب الطائرات المقلة للوفد العراقى والصحفيين .

- مطار كبريت كان بدون دفاعات م ط عدا سرية رشاشات م ط وكان هناك طائرة تنقل رشاشات وذخيرة إلى المطارات لتدعيم الدفاع الجوى عن القاعدة الجوية .

- قاعدة أبو صوير الجوية كانت مقيد بسبب انتظار مرور طائرة السيد المشير بالقرب منها .

(٣) بالنسبة لمطارات المنطقة المركزية الجوية .

- مطار غرب القاهرة بسبب طلعات التدريب التى تقوم بها وحدة تدريب الدفعة ١٨ على طائرات ميج ١٧ .

- مطار بنى سويف بسبب عدد ٥ طائرات ت ى - ١٦ طلعة تدريب .

هـ ــ كثرة تغيير القيادات والأسراب وقادة بعض وحدات الرادار .

تبين للجنة من أقوال العقيد طيار عبد العزيز بدر والرائد طيار فايز الملاح ومن أقوال الفريق أول محمد صدقى محمود والفريق أول جمال الدين

عفيفى أنه قد تم إعادة تنظيم وتشكيل الأسراب منذ إعلان الطوارىء فى ١٤ / ٥ / ٦٧ الأمر الذى نتج عنه أن الأسراب فى داخليتها لم تكن متجانسة ومتفاهمة فى عملها مما تسبب عن ذلك ضعف السيطرة على التشكيلات هذا بالنسبة للأسراب أما القواعد الجوية فقد تعين لقاعدة غرب القاهرة قائد غير مؤهل لقيادة قاعدة وكذلك الوضع بالنسبة لوحدات الرادار فقد تم تعيين قائد للكتيبة الأولى رادار وقادة لسرايا الرادار بالكتيبة وجميعهم من المدفعية وليس لديهم أى دراية بأجهزة الرادار المسلحة بها الكتيبة الأولى رادار وكان هذا التغيير قبل بدء العمليات بحوالى أسبوع .

و ــ عدم وجود تنسيق فى العمل بين أجهزة قيادة القوات الجوية .

اتضح من أقوال الفريق أول جمال الدين عفيفى رئيس أركان القوات الجوية أنه لم يتخذ أى ترتيبات بخصوص طائرات السوخوى التى كان يجرى تركيبها بقاعدة غرب القاهرة والتى كانت مكدسة فى تلك القاعدة منذ بدء الطوارىء يوم ١٤ / ٥ / ٦٧ .

ز ـ خطة إعداد الأفراد المستدعين ومدرسى كلية الطيران لشغل وظائفهم التى سيعملون عليها وقت العمليات .

(١) لم يكن هناك تخطيط لإعداد الأفراد الذين سينتفع بهم فى تدعيم مراكز العمليات وقت العمليات وإشراكهم فى المشروعات لكى يكونوا ملمين بواجباتهم وفعلا بدأت العمليات وكانت مراكز العمليات بالمنطقة المركزية الجوية والشرقية الجوية وكذا بعض القواعد الجوية مدعمة بأفراد لم يسبق لهم العمل بها وغير ملمين بنظام العمل فى هذه المراكز وقد اتضح ذلك من واقع أقوال اللواء إسماعيل التلنى قائد المنطقة المركزية الجوية وشكوى اللواء عبد الحميد الدغيدى قائد المنطقة الشرقية الجوية من هذا الوضع .

(٢) ضباط كلية الطيران المدرسين لم يقوموا بالطيران على الطائرات التى سيقاتلون بها منذ سنين طويلة مضت كما أنهم لم يدربوا على ضرب الصواريخ .

(٣) الضباط المستدعين لم يحرزوا أى نجاح فى شغل الوظائف المستدعين لها .

(٤) مجموعات المعاونة لم تدرب على واجباتها .

ولذلك كان استخدام هؤلاء الأفراد أثناء العمليات إرتجاليا مما كان له أسوأ الأثر ولم يحقق أى فائدة .

ح - موقف الاستعداد فى المنطقة الشرقية الجوية التى تمثل النسق الأول للقوات الجوية .

(١) التمركز الخاطىء للطائرات فى بعض القواعد الجوية بتلك المنطقة وبالذات قاعدة أبو صوير الجوية حيث كان بها وقت العمليات حوالى ٥٠ طائرة بدون وسائل تأمين لهذا العدد الكبير علاوة على أن عملية الانتشار فى داخل القاعدة محدودة .

(٢) عدم تجهيز غرفة عمليات قاعدة كبريت الجوية .

(٣) إحتلال قاعدة كبريت علما بأنه لم يكن بها دفاعات م ط .

(٤) كان الطيارين فى قاعدة كبريت فى حالة الاستعداد الثانية رغم إشتراكهم فى خطة الدفاع الجوى .

(٥) عدم احتلال مراكز عمليات القواعد الجوية فى كبريت وفايد وأبو صوير والعريش بالأطقم الكاملة والإشراف على التنفيذ من قيادة المنطقة .

(٦) عدم تدريب الأفراد وتفهمهم لواجباتهم عند وقوع الهجوم الجوي المفاجىء على القواعد الجوية من ارتفاعات منخفضة جدا .

(٧) عدم وجود تنسيق تعاون بين المقاتلات والصواريخ الأمر الذى نتج عنه ضرب طائراتنا بواسطة صواريخنا أثناء العمليات .

ز - مستوى التدريب والاستعداد للقتال .

من واقع أقوال العقيد طيار أ .ح علوى الغمرى رئيس فرع التدريب التعبوى بالقوات الجوية أنه لم يتم تدريب أو اختبار تشكيلات العمليات منذ عام ١٩٦٣ وبالتالى فإن كفاءة وحدات وتشكيلات القوات الجوية كانت غير معلومة للجميع وعلى كافة المستويات ولم تتضح صورة كفاءة القوات الجوية فى العمليات وعلى ذلك لم يمكن تحديد الكفاءة القتالية لتشكيلات القوات الجوية .

٦ ـ درجة التأهب والتيقظ لملاقاة هجوم العدو المنتظر .

(أ) من واقع التحقيق وأقوال الأفراد المسئولين بالقوات الجوية والدفاع الجوى اتضح أن هجوم العدو بقواته الجوية صباح يوم ٥ / ٦ كان مفاجأة تامة لجميع عناصر الدفاع الجوى عن ج . ع . م التى لم تكن فى أعلى درجات التأهب والتيقظ لملاقاته رغم أنه قد أمكن معرفة التوقيت التقريبى لبدء هجوم العدو والتنبؤ به على الوجه السليم حسب ما أوضحه السيد الرئيس فى الاجتماع الذى تم مساء يوم الجمعة ٢ / ٦ / ٦٧ بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة بحضور قائد القوات الجوية والدفاع الجوى الذى ناقش فيه بدء الحرب بمعرفة إسرائيل ضد ج . ع .م وقيامها بالضربة الجوية الأولى ومناقشة قائد القوات الجوية فى احتمالات الخسائر الناتجة من هذه الضربة فى قواتنا الجوية وتأكيده ضرورة الاستعداد لمقابلة الضربة الجوية الأولى التى ستوجهها إسرائيل خلال يومين ضد ج . ع م . م معتمدة على المفاجئة والمرونة وحسم المعركة بسرعة وأن هذا الاحتمال قد أصبح ١٠٠ ٪ وذلك بناء على الشواهد التى ذكرت فى تقدير الموقف السياسى والعسكرى واستكمال إسرائيل للتعبئة والتجهيز وتحركاتها الابتدائية على طول الجبهة وأكد السيد الرئيس على ثلاث نقط : ـ

١ ـ أن إسرائيل سوف تبدأ عدوانها بالضربة الجوية .

٢ ـ أن إسرائيل سوف تبدأ عدوانها خلال يومين .

٣ ـ أن إسرائيل سوف تعتمد على المفاجأة والمرونة وأن معركتها قصيرة .

(ب) إعترف الفريق أول محمد صدقى محمود فى أقواله صراحة بما هو موضح عاليه فيما يخص هذا الاجتماع وقد ذكر سيادته أن الإجراءات التى اتخذها حسب ما جاء بأقواله : ـ

(١) أخطر معاونيه صباح يوم ٣ / ٦ / ٦٧ بأننا سنتلقى الضربة الأولى وكان قد أبلغه الفريق أول جمال الدين عفيفى بأن السيد المشير اتصل به حوالى سعت ١٣٠ . يوم ٣ / ٦ / ٦٧ وطلب منه تخفيف القواعد الجوية الأمامية فى العريش والسر وتمادا وأنه فعلا أصدر الأوامر بالتخفيف لكى تنفذ يوم ٣ / ٦ .

(٢) أخطر معاونيه أيضا بالتأكيد من أن درجات الاستعداد كما يجب أن تكون وعلى اعتبار أن درجات الاستعداد كانت قبل هذا الاجتماع ١٠٠ ٪ بالنسبة للقوات الجوية والدفاع الجوى وكان يقصد بدرجات الاستعداد أن شبكات

الرادار تعمل بالكامل والمدفعية والصواريخ محتلة مواقعها ١٠٠ ٪ وأسراب المقاتلات ٤ طائرات بكل سرب طياريها فى الحالة الأولى ، ٤ طائرات فى الحالة الثانية وكانت هناك الأوامر بعمل مظلات فى أوقات مختلفة فى سينا والقناه والغردقة اعتيارا من أول ضوء وآخر ضوء وفى خلال النهار حسب الظروف الحرجة التى تواجه قادة المناطق .

جـ ـ إتضح للجنة من نتيجة التحقيقات التى تمت أنه وقت بدء العدوان كانت هناك الملاحظات الآتية : ـ

(١) إستمرار التدريب فى قاعدة بنى سويف وغرب القاهرة وكبريت .

(٢) إستمرار تحركات طائرات المواصلات بشكل زائد تلبية لمطالب القوات البرية والجوية وزيارة السيد المشير للجبهة ونقل قادة التشكيلات من المحاور بالطائرات وزيارة الوفد العراقى والصحفيين مما أدى إلى تقييد نيران المدفعية م ط فى معظم القواعد الجوية العاملة .

(٣) عدم إحتلال مركز العمليات الرئيسى بالجيوشى بالطاقم الكامل المنصوص عنه فى ـ التعليمات وكانت هذه الفترة الحرجة أدعى إلى وجود رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات ورئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى للإشراف والتأكد من أن حالات الاستعداد منفذه وأن مراكز العمليات محتلة بالأطقم الكاملة وأن الجميع على أهبة الاستعداد .

(٤) عدم شغل مناطق الحدود الشرقية والساحل الشمالى لسينا وكذا مناطق بعض القواعد الجوية فى منطقة القناه والمنطقة المركزية الجوية بالمظلات الجوية بأقصى طاقة ممكنة طوال الفترة الحرجة لمحاولة تقليل ثغرة عدم الكشف الواطى .

(٥) عدم إخطار جميع الأجهزة وتشكيلات ووحدات عناصر الدفاع الجوى بهذا التحذير الأمر الذى جعل هذه العناصر بالرغم من وجودها فى حالة الاستعداد الكامل على غير علم بأن هجوم العدو المفاجىء قد أصبح وشيك الوقوع حتى يكونوا على أعلى درجات التيقظ والانتباهْ وهو أمر بالغ الحيوية لنجاحها فى تحقيق مهمتها فى صد الضربة المفاجئة .

وقد اتضح للجنة من التحقيقات أن عدم تبليغ القواعد الجوية بهذا التحذير أدى إلى عدم المام القادة بالموقف الحقيقى وترتب على ذلك .

(أ) عدم إحتلال أغلب مراكز العمليات فى القواعد الجوية بالطاقم الكامل .

(ب) إقامة حفلة ساهرة فى قاعدة انشاص الجوية .

(جـ) وجود قائد قاعدة العريش فى الطريق إلى رفح وقت بدء العدوان مع اللواء كامل خليل عفت رئيس إمدادات وتموين المنطقة الشرقية الجوية لحصر متروكات البوليس الدولى .

(٦) عدم القيام بطلعات استطلاع جوى لمحاولة معرفة نوايا العدو وتمركز قواته الجوية فى الفترة الحرجة السابقة للعدوان مباشرة .

(د) ورد بأقوال اللواء طيار إسماعيل لبيب بأنه فى أواخر شهر مايو (على ما يذكر) الاسم الكودى « شامل » لمواجهة الأوضاع الدفاعية وتتضمن أساسا سحب الطائرات ميج ١٧ من العريش إلى فايد وسحب الطائرات ميج ١٩ من المليز إلى المنصورة وسحب طائرات الميج ٢١ من فايد إلى غرب القاهرة وسحب طائرات السر وتمادا إلى كبريت وكذا سحب وحدات المدفعية م ط من تمادا والسر إلى كبريت والمنصورة وتخفيف مواقع رادار سينا وتصدق على الخطة من رئيس الأركان وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى وصدرت إليه الأوامر بعدم إصدارها إلا بأوامر فى حينه حتى لا تنخفض الروح المعنوية لأفراد القوات الجوية والدفاع الجوى .

وفى أوائل شهر يونية عندما صدرت الأوامر باتخاذ الأوضاع الدفاعية سأل عن الموقف بخصوص تنفيذ الخطة « شامل » ولكن كانت الأوامر من قائد القوات الجوية بأنه يكتفى بتخفيض الطائرات فقط فى كل من العريش والسر وتمادا وباقى الأوضاع تظل كما هى عليه فيما عدا كبريت صدرت الأوامر بتدعيمها بثلاث سرايا رشاشات ويعتقد أنه فى رأيه لو كانت نفذت الخطة « شامل » فإن النتيجة لن تتغير لأن مدى الطائرات المعادية الذى فوجئنا به كان على غير المعلومات التى كانت لدينا .

اللجنة لم يمكنها العثور على الخطة « شامل » والاطلاع عليها[1] ولكنها ناقشت رئيس شعبة العمليات فى موضوع إعادة التمركز واتضح للجنة أنه فى يوم ٣ / ٦ / ٦٧ قامت شعبة العمليات بالاشتراك مع شعبة عمليات الدفاع الجوى واشترك رئيس فرع المعلومات والاستطلاع بالقوات الجوية لوضع تقدير موقف عن صد ضربة قوية مفاجئة والتحول إلى تنفيذ الخطة فهد ـ ١ وسلمت إلى اللواء إسماعيل لبيب لعرضها على قائد القوات الجوية والدفاع الجوى ولكن لم يعلم رئيس شعبة العمليات نتيجة العرض .

وبناء على ذلك اتضح للجنة أن قائد القوات الجوية والدفاع الجوى لم يتخذ إجراءات نحو إعادة النظر فورا فى تمركز وأوضاع القوات الجوية على ضوء التوجيهات التى استلمها لاتخاذ الأوضاع الدفاعية السليمة التى تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة .

ملحوظة : تبين للجنة أن الخطة « شامل » ليست خطة بالمعنى المفهوم ولكنها تعليمات بإعادة التمركز تنفذ صدور الكلمة الكودية « شامل » .

الأسباب التى بنى عليها المجلس قراره .

بعد الاطلاع على الخطط والوثائق وأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى واللواء طيار إسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى واللواء طيار محمود بركة رئيس شعبة العمليات والعقيد طيار محمود شاكر عبد المنعم والعقيد طيار حازم خلوصى من شعبة عمليات الدفاع الجوى ثبت للجنة الآتى : -

أولاً : أن جهاز الدفاع الجوى بحالته قبل بدء العمليات كان غير قادر على صد الضربة الجوية المفاجئة لإسرائيل وليس كما جاء بأقوال قائد القوات الجوية والدفاع الجوى الذى قرر أنه فى مقدور القوات الجوية صد الضربة المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط بالرغم من المصاعب الموجودة فى جهاز الدفاع الجوى وأن تقديره للخسائر المتوقعة من ١٥ ٪ - ٢٠ ٪ تحدثها إسرائيل وبعدها تستطيع قواتنا التعامل مع إسرائيل وحقيقة الأمر أن جهاز الدفاع الجوى لم يكن قادرا على تلقى الضربة المفاجئة وصدها للأسباب الآتية : -

١ - الخطأ فى التخطيط لعمليات الدفاع الجوى .

أ - لم تبنى الخطة على آخر موقف لقوة العدو الجوية فقد كانت الاعداد مختلفة والغريب أن خطة الدفاع الجوى إستبعدت عدد ٥٠ طائرة سكاى هوك للعدو بينما خطة الدفاع الجوى الموضوعة لتنفيذ العمليات الهجومية (خطة فهد - ١) أدخلت فى اعتبارها هذا العدد رغم أن الخطتين تم عرضهما بواسطة رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى على رئيس الأركان وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى وتوقيعها منهما بتاريخ ١٩ / ٥ / ٦٧ كما هو مبين فى هذه الخطط .

ب - لم يدخل فى الخطة أى اعتبار للضربة الجوية المفاجئة من ارتفاعات منخفضة جدا وكان التخطيط مبنى على أساس الهجوم الجوى للعدو سيتم على ارتفاعات ٥٠٠ متر فما فوق رغم تصور أسلوب الهجوم المتبع فى الضربة الجوية المفاجئة لدى جميع المسئولين عن وضع الخطط .

وبذلك أغفل هذا الاحتمال فى التقدير ولم يدخل فى الاعتبار الإجراءات اللازمة لمواجهة الضربة الجوية المفاجئة وتقليل آثارها .

جـ - الخطأ فى تقدير إمكانيات العدو وقدرته على ضرب جميع قواعد القناه والمنطقة المركزية فى وقت واحد علما بأن مدى طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

د - الخطأ فى مقارنة القوات الجوية .

كان هناك تفوق عددى ونوعى لقوة إسرائيل الجوية كالآتى : -

(١) جاء فى الخطة أن نسبة التفوق هى ١ : ١,٣ لصالح قواتنا الجوية بينما الحقيقة أن النسبة هى ١ : ١,٥ لصالح إسرائيل أى أن التفوق لصالح إسرائيل وليس لصالحنا ولم يبرز ذلك فى الخطة .

(٢) أغفل فى التقدير احتمال قيام العدو بضربة جوية مفاجئة على الارتفاعات المنخفضة جدا وهذا كان من أكثر لعوامل إحتمالا لأن العدو سوف يستغل الثغرة الموجودة لدينا فى التغطية الرادارية وعدم كفاية الدفاعات م ط على هذه الارتفاعات وبذلك نجد أن مقارنة القوات تتأثر بهذا العامل لأنه على أحسن الظروف والأحوال لن يمكن لقواتنا الجوية استخدام سوى طائرات حالات الاستعداد الأولى والثانية وعددها ٦٦ طائرة من واقع يوميات الاستعداد هذا على افتراض إقلاعها جميعها من قواعدها قبل مهاجمتها وبذلك تكون النسبة ١ : ٣ لصالح العدو أى أن العدو كان متفوقا على قواتنا الجوية وقد أغفل ذلك فى الخطة .

هـ - لم يؤخذ فى الاعتبار أن جميع مطارات الجمهورية فى مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى احتياطات لتأمين الضربة المضادة .

٢ - عدم كفاية الدفاعات م ط وخاصة عن القواعد الجوية .

أ - أغلب القواعد الجوية مدافع عنها بواسطة فوج م ط خفيف من ٤ سرايا ٥٧ مم وسرية رشاشات للقاعدة الجوية الواجب وهذا الدفاع يعتبر ضعيف جدا عند استخدامه فى صد الضربة الجوية المفاجئة على الارتفاعات المنخفضة جدا .

ب - ترك قاعدة كبريت بدون دفاعات م ط بينما كان يوجد فوج ٥٧ مم تم توزيعه على سرايا الرادار فى سينا بواقع سرية ٥٧ مم لكل سرية رادار والتى كان يدافع عنها بسرية رشاشات .

جـ - قاعدة انشاص كانت بدون رشاشات م ط ولم يكن بها سوى ٢ سرية ٥٧

مم ، ٢ سرية ٨٥ وهو عيار غير ملائم للاشتباك ضد طائرات ذات سرعات عالية وعلى ارتفاع ٣٠ متر وكذلك الحالة بالنسبة لقاعدة غرب القاهرة .

د - لم يكن هناك توازن فى أسلحة الدفاع م ط بمعنى عدم كفاية أسلحة الاشتباك ضد الطيران المنخفض جدا ، ولم تعط العناية الواجبة للرشاشات م ط إلا فى وقت متأخر جدا حال دون إيجاد وحدات وأفراد مدربة جيدا على استخدام هذا السلاح فى التعامل مع الطائرات المغيرة على ارتفاعات منخفضة .

٣ - عدم وجود تغطية رادارية على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تكن هناك شبكة مراقبة جوية بالنظر ذات كفاءة ويمكن الاعتماد عليها فى التبليغ فورا وبدون تأخير إلى مراكز العمليات عن أى اختراقات لنطاقنا الجوى على الارتفاعات المنخفضة جدا ، وهى الوسيلة الفعالة الوحيدة لتغطية ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض بسبب عدم وجود الأجهزة الالكترونية المناسبة .

٤ - عدم وجود دشم خراسانية تحت الأرض لتوفير الوقاية للطائرات وكذا لم يكن هناك إخفاء وتمويه فى القواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى الأخرى بصورة فعالة وإيجابية .

٥ - عدم وجود ممرات هبوط تبادلية بالعدد الذى يتناسب مع حجم قواتنا الجوية ويسمح بتمركزها منتشرة فى أوضاع تقلل من تأثير الضربة الجوية المفاجئة وتجعلها قادرة بعد ذلك على القيام بالضربة المضادة .

٦ - ضعف مستوى التدريب لجميع عناصر الدفاع الجوى وقد أثبتت ذلك المشروعات التعبوية التى أجريت وتقارير التفتيش التى قامت بها هيئة التفتيش والتدريب للقوات المسلحة فى أبريل ٦٧ كما ثبت من واقع الأقوال عدم تفهم الأفراد لواجباتهم وخاصة فى جميع مراكز العمليات - ولم تكن هناك مشروعات بأهداف حقيقية تمثل الضربة الجوية المفاجئة على القواعد الجوية من ارتفاعات منخفضة جدا لتدريب الأفراد على أسلوب التصرف وكذا ملاقاة نواحى النقص وابتكار الوسائل التى تحقق التبليغ الفورى عند وقوع هجوم على القواعد الجوية - جميع هذه الأسباب السابق ذكرها كانت لا تمكن القوات الجوية من صد الضربة الجوية المفاجئة التى تقوم بها إسرائيل بنسبة خسائر من ١٥ ٪ - ٢٠ ٪ تحدثها إسرائيل فى قواتنا الجوية ولهذا كان التقدير خاطىء وكان يجب توضيح هذه الحقيقة بالتفصيل عند عرض الخطة على الضابط المصدق وخاصة تفوق العدو على قواتنا الجوية وعدم توفر الوسائل التى تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة على الارتفاعات المنخفضة جدا وتوضيح عدم قدرة قواتنا الجوية

بحالتها الحاضرة على تلقى الضربة الجوية المفاجئة وأن قبولها حتى من قوة إسرائيل فقط سيسبب خسائر فادحة بها .

ثانيا: ثبت للجنة أن القوات الجوية بحالتها قبل بدء العمليات كانت فى موقف يجعلها غير قادرة على تلقى الضربة من إسرائيل وحدها ثم القيام بالضربة المضادة وليس كما جاء بأقوال الفريق أول محمد صدقى محمود وما ورد بخطة فهد - ١ للأسباب الآتية : -

١ - الخطأ في تصور القيام بالضربة المضادة بعد تلقى الضربة الجوية المفاجأة وتعليق آمال كبيرة على قدرة جهاز الدفاع الجوى فى صد هذه الضربة بنسبة خسائر من ١٥ ٪ - ٢٠ ٪ تتحول بعدها قواتنا الجوية إلى القيام بالعمليات الهجومية وهذا يغاير الحقيقة لأن الخسائر المتوقعة ستكون عالية لعدم وجود دشم وإخفاء وتمويه ودفاعات م ط قوية وعدم وجود شبكة مراقبة جوية بالنظر فعالة ويعتمد عليها وقد أثبتت العمليات يوم ٥ يونية صحة ذلك فقد قام العدو بتدمير ما يقرب ٧٥ ٪ من قواتنا الجوية فى الساعات الأولى .

٢ - عدم وجود معلومات تفصيلية عن العدو وتسليحه وتمركزه فى المطارات والدفاعات م ط لدى العدو سوف لا يحقق النسبة المطلوبة من الخسائر من غاراتنا على قوات العدو الجوية بالدرجة التى تقعدها عن العمل .

٣ - إستخدام القاذفات نهارا سوف لا يكون ممكنا بدون حراسة لأن مدى المقاتلات لا يسمح بذلك .

٤ - لم يؤخذ فى الاعتبار أن جميع مطاراتنا فى مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى احتياطات لتأمين طائرات الضربة المضادة وتبين الخطأ فى تكديس طائرات الضربة المضادة فى قاعدة أبو صوير الأمر الذى ترتب عليه تدميرها جميعا بضربة واحدة فى أول هجمة ولم يعاد تمركزها لتتناسب مع الأوضاع الدفاعية .

٥ - كانت تمركز الطائرات (التى تمثل حوالى ٣٠ ٪ من القوة الضاربة)فى سينا مجازفة لأنها ستكون معرضة للتدمير فى أول ضربة بسبب عدم وجود وسائل إنذار كافية تسمح بإقلاع الطائرات فى الوقت المناسب لهذه الأسباب كانت فكرة قبول تلقى الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بالضربة المضادة غير سليمة ولم تبنى على تقدير صحيح .

ثالثا: اتضح للجنة أن التصميم على المبادأة من جانبنا وقيام قواتنا الجوية بالضربة الأولى كانت نتائجها مشكوك فيها وغير مضمونة للأسباب الآتية : -

١ ـ النقص فى المعلومات التفصيلية عن تمركز القوات الجوية للعدو وعدد طائراته فى كل قاعدة وتسليحه ودفاعاته م ط والدشم وتأمين وصول هذه المعلومات حتى قبل بدء هجومنا .

٢ ـ مدى إمكانيات العدو سواء مباشرة أو غير مباشرة على معرفة وقت هجومنا بوسائل الاستطلاع الالكترونى فى اللحظة المناسبة وبذلك تضيع ميزة المفاجأة .

٣ ـ واضح من خطة الدفاع الجوى لعملية فهد ـ ١ (البند ثالثا ـ فقرة (١٤) أن نسبة الخسائر فى الطائرات الإسرائيلية فى حالة قيامنا بالعمليات الهجومية قدرت ـ بحوالى ١٠ ٪ وهذه النسبة ضئيلة وبذلك كان يمكن للعدو بالقوة الباقية من قواته الجوية وهى ٩٠ ٪ أن يحدث خسائر فادحة فى قواتنا الجوية عند قيام العدو بالضربة المضادة .

٤ ـ أن فكرة نقل المعركة الجوية إلى أرض العدو كانت ستكلفنا فقد الطيارين والطائرات بدون تحقيق الهدف وإحراز نجاح معقول لأن أساس النجاح فى المعركة مبنى على مقدار المعلومات التى لدينا عن العدو وهذا كان غير متوفر لدى القوات الجوية بالقدر الذى يسمح بإحراز النجاح مثل ما كان لدى العدو من معلومات كاملة عن قواعدنا وعناصر دفاعنا الجوى اتضح ذلك عندما حصلنا على خريطة عن ج . ع . م مع أحد قادة الأسراب الذى سقطت طائرته فى القتال يوم ٥ يونية وواضح عليها المعلومات التفصيلية والتلقين الكامل الذى كانت من نتائجه النجاح الذى أحرزه العدو فى الساعة الأولى من المعركة .

رابعا: اتضح للجنة أن عناصر الدفاع الجوى لم تكن فى أقصى درجات التيقظ والانتباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ولم يستفيد قائد القوات الجوية من التحذير وتوقع الهجوم فى خلال فترة زمنية محددة يومين أو أكثر الذى تلقاه من السيد الرئيس فى الاجتماع الذى عقد بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ٢ / ٦ / ١٩٦٧ ولم يتخذ الإجراءات التى ينبغى إجراءها فى مثل هذا الموقف كإخطار كافة الأجهزة والتشكيلات والوحدات والقواعد واحتلال الأطقم الكاملة فى جميع مراكز العمليات وتكثيف المظلات الجوية خاصة على الحدود الشرقية والساحل الشمالى لسينا وزيادة نشاط الاستطلاع الجوى .

خامسا : اتضح للجنة أن قائد القوات الجوية بمجرد قبوله تلقى الضربة الجوية من إسرائيل ثم التحول إلى العمليات الهجومية للقيام بالضربة الجوية المضادة وذلك بعد الاجتماع الذى حضره السيد الرئيس بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم

٢ / ٦ / ٦٧ لم يتخذ إجراءات سريعة نحو إعادة النظر فورا فى تمركز القوات الجوية على ضوء هذه التوجيهات لاتخاذ الأوضاع الدفاعية السليمة التى تمكنها من تلقى الضربة الأولى بأقل خسائر وبقيت أوضاع التمركز كما هى واكتفى بتخفيف مطارات العريش والسر وتمادا بسحب ٦ طائرات من كل مطار وتمركزها فى كبريت التى كانت بدون دفاعات م ط وبدون غرفة عمليات وحتى كانت النية متجهة إلى إعادة تمركزها ثانية فى القواعد التى سحبت منها محافظة على الروح المعنوية للطيارين وبقيت قاعدة أبو صوير كما هى مكدسة بعدد ٣٠ طائرة اليوشن ٢٨ معرضة للتدمير من أول ضربة علما بأن تنفيذ خطة فهد ـ ١ كانت متعذرة بعد تلقى الضربة .

القـــــرار

١ ـ يرى المجلس أن جهاز الدفاع الجوى لم يكن قادرا ولا مستعدا لتلقى الضربة الجوية المفاجئة وصدها على عكس ما جاء فى قرار قائد القوات الجوية والدفاع الجوى الذى يتضح منه أن فى مقدور القوات الجوية صد الضربة الجوية المفاجئة برغم المصاعب الموجودة والمعروفة فى جهاز الدفاع الجوى وقيادة القوات الجوية .

٢ ـ الخطأ فى التخطيط لعمليات الدفاع الجوى : ـ

أ ـ الخطأ فى تقدير قوة العدو حسب المعلومات المتوفرة فعلا مما ترتب عليه استخلاص نتائج غير صحيحة فى مقارنة القوات وبالتالى أدى إلى خطة غير واقعية .

ب ـ عدم إدخال أى اعتبار للضربة الجوية المفاجئة من الارتفاعات المنخفضة جدا رغم علم كافة المسئولين من أن هذا هو الأسلوب المنتظر لهجوم العدو وأنه يمثل أشد الخطر الذى تتعرض له القوات الجوية فى الجمهورية العربية المتحدة .

جـ ـ الخطأ فى تقدير مدى عمل القوات الجوية المعادية الأمر الذى استبعد معه إمكان قيامه بضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية فى وقت واحد بينما مدى عمل طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع قواعدنا الجوية على الارتفاعات المنخفضة جدا وهذا ما يتمشى مع تصور أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

٣ ـ تقدير تأثير الدفاع عن القواعد الجوية بالمدفعية الميسورة والأنواع الموجودة منها بأكثر من حقيقة وكفاءته القتالية بسبب ما اتضح للمجلس من أن عدد

المواسير والرشاشات م ط المتوفرة للدفاع عن القواعد الجوية يقل كثيرا عن الحد الأدنى اللازم لتوفير وقاية معقولة لها .

٤ ـ عدم اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سد ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض على الارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر وإيجاد جهاز يعتمد عليه للإنذار الجوى بالنسبة للطيران المنخفض .

٥ ـ الخطأ فى تصور إمكان تلقى الضربة الجوية المفاجئة للعدو وصدها بنسبة خسائر قليلة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ ٪ رغم نواحى النقص الواضحة فى استعداد جهاز واستكمال إجراءات الوقاية فى القواعد الجوية تقوم على أثرها القوات الجوية فورا بالضربة المضادة .

٦ ـ يقرر المجلس النقص الواضح فى المعلومات التفصيلية اللازمة عن العدو وتسليحه وتمركزه فى القواعد الجوية والدفاعات م ط لديه ونواياه وتدريبه ونواحى النقص فى معداته وأجهزته ومدى المعلومات المتوفرة لديه عن قواتنا وتمركزها والتوقيت الدقيق والأسلوب التفصيلى المنتظر لعدوانه الأمر الذى يعد حيويا وضروريا لنجاح القوات الجوية والدفاع الجوى فى تحقيق مهامها .

٧ ـ يقرر المجلس أنه قد اتضح له أن التخطيط الموضوع للمبادأة من جانب القوات الجوية كانت نتائجه مشكوكا فيها وغير مضمونة للأسباب الموضحة فى الباب الثانى .

٨ ـ يقرر المجلس أن عناصر الدفاع الجوى جميعها لم تكن وقت بدء العدوان فى أقصى درجات التيقظ والانتباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ، الأمر الذى جعل الضربة المفاجئة مذهلة وشل تفكير الجميع .

٩ ـ يقرر المجلس أن مستوى التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات بين القوات الجوية والبرية والبحرية كان ضعيفا الأمر الذى ساعد على إتمام المفاجأة التى أحرزها العدو رغم وجود شواهد برية بنشاط العدو البرى مما يوحى بأن هجومه المنتظر قد أصبح وشيك الوقوع وكان يؤدى هذا إلى إنذار القوات الجوية فى الوقت المناسب ليقظتها واتخاذ الإجراءات اللازمة لملاقاة ضربته الجوية المنتظرة ، وكذلك عدم وضوح الموقف البرى لدى القوات الجوية لاتخاذ القرارات السليمة لإنقاذ وسحب القواعد الأمامية المعرضة والأجهزة والمعدات الفنية فى الوقت المناسب .

١٠ ـ يقرر المجلس أن القوات الجوية لم تتخذ الإجراءات السريعة لإعادة تمركز قواتها واتخاذ الأوضاع السليمة التى تتناسب مع المهمة الجديدة بتلقى الضربة الأولى عقب المؤتمر الذى تم فى القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ٢ / ٦ / ١٩٦٧ .

الوثيقة رقم ٤٥

صورة من الصفحة الأولى من مشروع البيان الذى أعده المشير ، عبد الحكيم عامر ، لكى يذيعه من الاسماعيلية فى حالة نجاح الخطة التى كانت مرسومة لتهريبه إلى مواقع القوات هناك . والنص الكامل للبيان منشور بجانبها بهدف تدقيق مواقف ودعاوى كل الأطراف .

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب نائب أول رئيس الجمهورية
نائب القائد الأعلى

عبد الحكيم عامر [illegible]

إن الأحداث المتلاحقة التي مر بها الشعب المصري العريق منذ منتصف مايو
جعلت بعضهم أقسى [illegible] الضباط من أبناء الوطن [illegible] الوضع
بين الشك في الحقائق [illegible] وأحياناً [illegible] وساعدت في الوصول
إلى هذه المرحلة غموض الرؤية أمامهم والمراهقة الفكرية التي يستشري
بعضها في أوساط الجبهة ومخاوف من المسئوليات الجديدة التي [illegible] والقيادات
المتواجدة [illegible] والتي تشجع [illegible] روح التردد الذي يساورهم وأمام
العدو من الجبانة.

(١)
إن المرحلة التي يجتازها شعبنا العربي تتطلب منا أن نتقدم بتوضيح
الأمور لرفع كل ستار الكتمان عن الوطنية فليس من حق أحد في هذه
المرحلة أن يخدع الجماهير . وإنما تقتضي الأمانة الوطنية بأن تكون
لدى الجماهير صاحبة الحق صورة كاملة لكل الأحداث التي تمس
[illegible] 25 حتى تاريخه .. حتى لا تتعرض مصالح في [illegible]
والتضليل والتردد فليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ ثقته من
[illegible] وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .. وحتى لا تبقى الجماهير
أسيرة الإرهاب المعنوي الذي [illegible] في التجربة والخطأ على
طول [illegible] الأجيال ومن أسلحته تقتل في النفس روح [illegible].

. إن تقييم الأحداث تقييماً صحيحاً وعلمياً يعيد الجماهير الثقة فتنطلق
وتعيدها إلى طريق الكفاح دائماً وباطمئنان كامل وتقدير جميع المسئوليات
[illegible] للأمام . ولنبدأ العمل على أسس صحيحة ومبادئ راسخة
نابعة من هذا الشعب في اشتراكه اشتراكاً كلياً وبدون قيود في
الأحداث الجارية واتخاذ القرارات السليمة التي تتطلبها
طبيعة هذه المرحلة.

. وسأبدأ البدء بالكلام عن تدخل السياسة وتأثيرها على الحركة العسكرية
يوم ٥ يونيو وكيف دفعنا إلى المعركة !!

مكتب نائب أول رئيس الجمهورية بسم الله الرحمن الرحيم
ونائب القائد الأعلى

عبد الحكيم عامر (يتحدث إليكم) [وهذه العبارة الأخيرة بين القوسين مشطوبة فى الوثيقة ، وإن كان يمكن تمييزها من الظهر]

إن الأحداث المتلاحقة التى يمر بها الشعب المصرى الكريم منذ شهر مايو جعلته يعيش أقسى مراحل كفاحه الطويل على أبواب الإطاحة بمكاسبه الثورية بين الأمل فى الحفاظ عليها واليأس من بلوغ ذلك ، وساعده فى الوصول إلى هذه المرحلة غموض الرؤية أمامة والمراهقة الفكرية التى يعيشها نتيجة إخفاء الحقيقة وضياعها بين التفسيرات العديدة التى تقدم إليه ، والكلمات المحفوظة عالية الرنين والتى تشيع فيه روح التردد الذى يصاحب دائما البعد عن الحقائق .

إن المرحلة التى يعيشها شعبنا الكريم توجب علىّ أن أتقدم بتوضيح الأمور لرفع كابوس الكتمان عن المواطنين . فليس من حق أحد فى هذه المرحلة أن يخدع الجماهير ، وانما تقتضى الأمانة الثورية أن تكون لدى الجماهير صاحبة الحق صورة كاملة لكل الأحداث التى تمس حقها فى كفاحها وفى ثورتها .. حتى لا تعيش حياتها فى فراغ الخداع والتضليل والتردد ، فليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ ، وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .. وحتى لا تعيش الجماهير أسيرة الإرهاب المعنوى الذى يعرقل حقها فى التجربة والخطأ على طريق كفاحها الطويل ، وعلى أساس من ثقتها فى نفسها وفى قدراتها ..

إن تقييم الأحداث تقييما حقيقيا وصريحا يعيد للجماهير الثقة في نفسها ويعيدها إلى طريق الكفاح والجهاد باطمئنان كامل وتقدير عميق لمسئولياتها بلوغا لآمالها .. ولتبدأ العمل على أسس صحيحة ومبادىء راسخة نابعة عن حق الشعب فى إشراكه إشراكا كليا وبدون قيود فى الأحداث القادمة واتخاذ القرارات السليمة التى تستلزمها طبيعة هذه المرحلة .

وسأبدأ اليوم بالكلام عن تدخل السياسة وتأثيرها على المعركة العسكرية يوم ٥ يونيو ، وكيف دفعنا إلى المعركة :

ويلزمنى الآن أن أرتب الحوادث على ضوء تقديرى لها ومتطورا مع النتائج التى ترتبت على هذه الحوادث :

- التهديد بغزو سوريا :

– يوم ١٣ مايو وردت معلومات من الاتحاد السوفيتى إلى رئاسة الجمهورية عن طريق سفيرنا بها تفيد بأن إسرائيل حشدت حشودا ضخمة أمام الجبهة السورية بغرض الهجوم عليها والاستيلاء على دمشق بغرض تغيير نظام الحكم التقدمى بها .

- كما أكدت هذه المعلومات للسيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة الذى كان يزور موسكو فى مطلع شهر يونيو وطلب منه إبلاغ هذه المعلومات إلى القاهرة ، ثم تأكيدها فور وصوله .

- كما حددت معلومات الاتحاد السوفيتى موعدا للهجوم الإسرائيلى على سوريا ما بين ١٧ / ٥ إلى ٢١ / ٥ / ١٩٦٧ .

● ما ترتب على تبليغات الاتحاد السوفيتى :

- بناء على هذا التبليغ المؤكد طلبنى الرئيس جمال عبد الناصر وأخطرنى بمضمون هذه المعلومات ، وأشار إلىّ أن الاتحاد السوفيتى يرى أن نتخذ الخطوات الوقائية من جانبنا لإيقاف إسرائيل عن تنفيذ نواياها ضد سوريا مع تجنب العمليات الحربية بقدر الإمكان .

- وتقرر فى هذا الاجتماع البدء فورا فى حشد جزء من قواتنا المسلحة إلى سيناء تنفيذا لإحدى خططنا الدفاعية السابق التصديق على العمل بها هذا العام ، وذلك لضيق الوقت المتيسر بين ١٤ / ٥ يوم الاجتماع و ١٧ / ٥ اليوم المتوقع لبدء الهجوم الإسرائيلى ..

ثم التفكير فورا فيما يتخذ لتحقيق الهدف الذى استحدث نتيجة المعلومات السوفيتية .

وقد بدأت القوات المسلحة بتنفيذ المرحلة الأولى للعملية ، واتخذت أماكنها بأسرع وأدق وأنجح ما تكون عليه القوات من نظام وتدريب .

● بعض الملاحظات الهامة :

- إرتباط القوات المسلحة بالهدف السياسى

وأريد هنا أن يعلم الجميع بأن لكل دولة إستراتيجيتها السياسية التى يتحدد معها واجب القوات المسلحة لفترة معينة . فإما أن يكون واجبها عمليات هجومية أو عمليات دفاعية وذلك حتى يمكن إعداد القوات المسلحة مسبقا للتحضير لأسلوبها القتالى المحدد وما يتطلبه من إعداد وتجهيز للقوات والجبهات . وقد كان واجب القوات المسلحة هذا العام هى الخطة الدفاعية فى شبه جزيرة سيناء وذلك بالنسبة لأفرع القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية .

- فكرة الخطة على ضوء الهدف السياسى

كان الهدف السياسى لعملية الحشد العسكرى فى البداية هو تشتيت القوات الإسرائيلية ، وسحب جزء كبير من حشودها من الجبهة السورية ، وهذا لا يتحقق باتخاذ أوضاع دفاعية صرفة لأن العمليات الدفاعية لا إجبار فيها لتحرك العدو ، ولذا كانت العمليات الهجومية واجبة

التفكير من جانبنا لإجبار العدو لمقاتلة قواتنا فى الزمان والمكان الذى نختاره حتى نحقق مفاجأة العدو ويكون لدينا حرية المناورة والعمل بقواتنا .

ـ الخطة العسكرية

وقد اختبرت أنسب الخطط الهجومية لتحقيق هذا الهدف ، واختير لها اسم العملية « فجر » التى تحقق عزل النقب الجنوبى مع تثبيت الجبهة الوسطى أمام العوجة . وفى نفس الوقت تقوم بتدمير العدو المتاخم للحدود بين العريش ورفح حتى نجذب جزء من قواته لتخفيف الضغط عن قواتنا المهاجمة حتى يتم الاستيلاء على الخط المحدد والاتصال بالحدود الأردنية .

كما تقوم قوات الصاعقة بتدمير القوات والمنشآت الإسرائيلية بمنطقة ميناء ايلات . كما تدفع قوات صاعقة أخرى داخل إسرائيل من الحدود الأردنية للقيام بعمليات الإغارات للإزعاج .

واختير لتنفيذ هذه الخطة ما يناسبها من الخطط الجوية والبحرية لتحقيق الحماية وسرعة النصر .

● تفقد القوات المتحركة :

ـ وتوجهت يوم ٢١ / ٥ إلى سيناء حيث تفقدت القوات واطمأننت إلى تمام استعدادها وقدرتها على القتال بروح عالية .

● مؤتمر القادة :

ـ وأصدرت توجيهاتى للقيادات ذات الاختصاص لتنفيذ الخطة « فجر » ، وبدأت فعلا هذه القيادات فى التحضير لهذه العملية .

وحددت يوم ٢٥ / ٥ للاستماع إلى قرار قائد المنطقة الشرقية بحضور قائد قائد الجبهة وقادة الأسلحة .

كما أخطرت الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الميعاد .

● عرض قرار قائد المنطقة الشرقية :

ـ يوم ٢٤ / ٥ حضر قائد المنطقة الشرقية وتواجد قائد الجبهة وقائد القوات الجوية والبحرية ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وكبار ضباط هيئة العمليات الحربية .

وقد حضر الرئيس جمال عبد الناصر ويصحبته السيد / زكريا محيى الدين .

ـ بدأ قائد المنطقة الشرقية فى عرض قراره .

ـ ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لم يصدق على القرار لاعتبارين هما :

● لم يقتنع الرئيس بتصورنا لأعمال العدو المنتظرة واستبعد هجومهم على الجبهة المصرية . بل كان توقعه أنه ليس أمام إسرائيل إلا مهاجمة قطاع غزة وفصله والمساومة به على فتح خليج العقبة .

● لا يمكن السماح للقوات المصرية أو العربية بالبدء بالعمليات الهجومية إلا إذا بدأت إسرائيل .

وذلك تنفيذا للوعود التى أعطاها الرئيس جمال عبد الناصر للجهات السياسية وما أوضحه للصحافة العالمية .

ـ وبناء على هذين العاملين أصدر الرئيس « جمال عبد الناصر » بصفته رئيسا للجمهورية وقائدا أعلى للقوات المسلحة توجيها كما يلى :

« على القوات العربية اتخاذ الأوضاع الدفاعية وعدم القيام بأى أعمال تعرضية ما لم يبدأ العدو بعمليات داخل الحدود العربية ، ولفت النظر إلى وجوب تقوية دفاعات غزة والتركيز ومنع سقوط منطقة رفح » .

● تعليق :

ـ ولن أتعرض للتعليق على هذا التوجيه . وأرجىء ذلك للحديث عن المعركة من الناحية الحربية .

ـ ولكن كل ما أود ذكره هنا ـ حتى لا يغفله التاريخ ـ أن كل ما توقعناه فى دراستنا لأعمال العدو جاءت مطابقة تماما لما قام به العدو فى هجومه على قواتنا يوم ٥ / ٦ .

● ما ترتب على توجيه السيد / الرئيس :

ـ ونتيجة لما ذكر اضطررنا لاتخاذ الأوضاع الدفاعية انتظارا للهجوم الإسرائيلى ، وزادت أعباء الدفاع عما كان مخططا . وزادت تحركات الوحدات وتغيرت واجباتها السابق تدريبها عليها .

(ولن أطيل فى هذه النقطة لأنها تتعلق أساسا بالمعركة من ناحيتها الحربية)

● الإجتماع الثانى للرئيس بالقادة :

ـ طلب الرئيس جمال عبد الناصر الاجتماع بقادة القوات المسلحة . وذلك بمناسبة تعيين

موشى ديان وزيرا للحربية فى الحكومة الإسرائيلية .

- وأوضح رئيس الجمهورية والقائد الأعلى بأن تعيين موشى ديان يؤكد قيام إسرائيل بالهجوم . وأن الحرب مؤكدة .

- ناقش الرئيس القادة فى الموقف . وطلب الفريق أول صدقى محمود الكلمة * قائلا « إذا أخذ العدو الضربة الأولى منا فستكون ضربته معجزة Crypling لطائراتنا . ولذا أرجو أن نعطى فرصة الضربة الأولى وتكون من جانبنا .

- ولكن الرئيس جمال عبد الناصر رفض أن نقوم بالضربة الأولى قائلا أن الوضع السياسى لا يمكنا من ذلك .

● التدخل السياسى لخداعنا :

- لم تكتف العوامل السياسية بالتداخل فى أعمالنا العسكرية لتغيير سياستنا القتالية يوم ٢٤ / ٦ ولكن توالت الأحداث وسيطر النفوذ السياسى بألاعيبه وخداعه واشتركت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الوصول إلى ما أخرجنا عن تحقيق أهدافنا .

وفيما يلى بعض ما حدث :

● أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الاتحاد السوفيتى بأنها تطلب من الرئيس جمال عبد الناصر ضبط النفس وعدم البدء فى العدوان . وخصوصا وأن إسرائيل لن تبدأ بالعدوان .

● قابل السفير الروسى الرئيس جمال عبد الناصر الساعة ٣,٣٠ يوم ٢٧ / ٥ وأبلغه أن الولايات المتحدة الأمريكية علمت بأن ج . ع . م . ستقوم بالهجوم على إسرائيل وأنهم ينصحون بعدم البدء بالعدوان . وينصح الاتحاد السوفيتى هو الآخر بذلك ولا سيما أن إسرائيل لن تعتدى .

● قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة السيد / زكريا محيى الدين لزيارتها للتفاهم بشأن الموقف فى الشرق الأوسط ، وحدد لذلك يوم ٧ / ٦ / ١٩٦٧ أى بعد بدء العدوان بثمان وأربعين ساعة .

* الخطوط تحت السطور وضعها المشير « عامر » وقد كتب كلمة Crippling بخطأ فى هجائها الإنجليزى (ومعناها « العجز ») .

● موقف الاتحاد السوفيتى :

- ثبت أن المعلومات التى أرسلت من الاتحاد السوفيتى يوم ١٣ / ٥ عن الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا لم تؤكد من الجانب السورى . بل لقد دهش السوريون لاتخاذ هذه الإجراءات التى لا داعى لها ، وذلك كما جاء فى المعلومات التى أدلى بها أحمد سويدان وزير الدفاع السورى للفريق أول محمد فوزى أثناء زيارته لسوريا . وقد ذكر له الوزير السورى أنه لا حشود إسرائيلية على حدود سوريا .

- ونتيجة لذلك كلف وزير الحربية فى ج . ع . م . أثناء زيارته للاتحاد السوفيتى يوم ٢٥ / ٥ بتأكيد معلومات الحشود أمام الجبهة السورية . وبحث الغرض من إعطاء هذه المعلومات .

- وقد ذكر له اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى أن المعلومات التى أرسلناها لكم دقيقة وصحيحة ولا تقبل أى شك .

- كلف الوزير شمس بدران بشرح الموقف السياسى الخاص بـ ج . ع . م . للاتحاد السوفيتى ومعرفة موقفهم بالنسبة لنا فى الظروف التى تمر بها البلاد من أزمة الشرق الأوسط .

- وقد قال كوسيجين فى هذا المجال اكتفوا بما كسبتم سياسيا ولا تطوروا المعركة عسكريا وهذه نصيحتى .

- كما أوضح وزير الحربية السوفيتى أنه اجتمع بكوسيجين وجردنيف * وأنهم سوف يدخلون الحرب معنا إذا كان هناك حرب .

وأن الأسطول السوفيتى يوجد الآن فى البحر الأبيض المتوسط قرب شواطئكم وبه مدمرات والغواصات مسلحة بالصواريخ وأسلحة لا تعلموها .

واختتم وزير الحربية السوفيتى حديثه قائلا .. أريد أن أؤكد لكم أنه إذا حدث شىء واحتجتم لنا .. فبمجرد إرسال إشارة لنا نحضر لكم فورا فى بورسعيد أو فى أى مكان .

- كلف الوزير شمس بدران بدراسة الحصول على أسلحة عاجلة مضادة للطائرات مع باقى الأسلحة التى سبق التعاقد عليها ، ومنها طائرات مقاتلة .

- ووافقت السلطات السوفيتية على جميع الطلبات ووعدوا بشحنها فورا وبالطائرات

* هكذا كتب المشير « عامر » اسم المسؤول السوفيتى الذى قابله « شمس بدران » بعد « كوسيجين » وليس من السهل التعرف على من كان يقصده . وقد كان يمكن تصور المكتوب خطأ فى اسم « بريجنيف » ولكن « شمس بدران » لم يقابل « بريجنيف » أثناء هذه الزيارة .

عن طريق مرور طائراتها فى المجال الجوى ليوغوسلافيا ، وطلبوا من ج . ع . م . أن تتصل بالرئيس تيتو للسماح لطائراتهم بالمرور . وفعلا تم الاتصال بالرئيس تيتو ووافق على طلب ج . ع . م . بمرور أى أعداد من الطائرات السوفيتية وفى أى وقت .

ـ ولم تصل الطائرات السوفيتية فى الأوقات المحددة .

واستدعينا السفير السوفيتى فذكر لنا أن يوغوسلافيا لم تعط الإذن بعد لمرور الطائرات . وأعدنا الاتصال بالرئيس تيتو فما كان منه إلا أن اجتمع بوزير الدفاع اليوغوسلافى بحضور السفير المصرى والسفير السوفيتى ، وقرر وزير الدفاع فى هذا الاجتماع أنه أصدر تعليماته بالإذن بمرور الطائرات وبمجرد تصديق الرئيس تيتو مباشرة .

ـ طلبنا من الاتحاد السوفيتى ما لديه من معلومات عن قوة إسرائيل نظرا لعلمنا بما لديهم من أقمار صناعية ومقدرة الأسطول السوفيتى من معرفة ما وصلهم من إمدادات ومعرفة نشاطهم الجوى وحشودهم البرية .

ـ فما كان من الملحق العسكرى السوفيتى إلا أن ذكر عدد الدبابات التى لدى إسرائيل ولم تفرق عن معلوماتنا كثيرا . ولم يذكر شيئا فيما عدا ذلك مما يفيدنا فى مقاتلة العدو الذى قام بمفاجأتنا .

ـ أثناء المعركة وفى يوم ٦ / ٦ تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجلس الأمن بمشروع إيقاف إطلاق النار كما طلب الاتحاد السوفيتى وأضاف سحب القوات الإسرائيلية . ووافق مجلس الأمن على المشروع الأمريكى وكانت قواتنا ما زالت فى النطاق الثانى وبعض وحدات النطاق الأول متمسكة بمواقعها .

ـ قابلنى السفير السوفيتى وطلب منى الموافقة على إيقاف القتال والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى خليج العقبة دون حمل أعلام الدولة على السفن :

ـ وما كان إلا أن أخبرت السفير السوفيتى بأننا نوافق على وقف إطلاق النار ، وانما نريد ضمان الحكومة السوفيتية بأن ينفذ القرار فى ميعاده فورا ولا سيما وأن قرار مجلس الأمن صدر بالإجماع . ورجوته الرد بضمان حكومته قبل صباح الباكر . ولكن السفير ذهب ولم يعد . واتصلت بالسفير ولكن كان جوابه عن عدم الرد فى الميعاد أن حكومته لم ترد عليه .

ـ ونتيجة لكل ذلك .. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القتال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال .

● موقف الولايات المتحدة الأمريكية :

- زودت أمريكا إسرائيل بكل المعلومات التفصيلية عن كل حشودنا ومواقعنا الدفاعية مستغلين أقمارهم الصناعية وبالإستكشاف الجوى ورادارات الأسطول السادس بالبحر الأبيض المتوسط .

- قاموا بحماية إسرائيل جويا أثناء قيام قواتهم الجوية بضرب المطارات العربية وأثناء هجومهم البرى .

- استغلوا وجود الأسطول السادس بالبحر الأبيض واعتبر احتياطى إستراتيجى للدولة الإسرائيلية .

- إلتقاط الإشارات الشفرية العربية وحلها أولاً بأول وإرسالها إلى القوات الإسرائيلية المهاجمة والتداخل بالشوشرة على المحطات اللاسلكية العربية وإيقاف الاتصال بين الوحدات العربية أثناء المعركة مما ساعد على شل إدارة المعارك فى أكثر المناطق الدفاعية .

- مساعدة إسرائيل فى المحافل الدولية والوقوف بجوارها ضد العرب وتكتيل الدول المشتركة فى هيئة الأمم المتحدة للتصويت فى صالح إسرائيل وضد أى مشروع آخر يقدم من أى جانب .

● وأخيرا فإنى حاولت عدم التعرض للنواحى العسكرية البحتة إلا بما يجعل الموضوع السياسى مفهوما . وأعدكم بإذن الله أن أشرح بالتفصيل ظروف المعركة وكيف دارت ، وكيف قضى على مطاراتنا فى الساعات الأولى من المعركة ، وكيف أدى جنودنا البواسل دورهم فى المعركة بإيمان وشرف الرجال واستشهد منهم الكثيرين وكتبوا بدمائهم صفحات مشرفة للقوات المسلحة فى تاريخها المشرف منذ قامت بدورها الخالد من أجل هذا الوطن ولمجد هذا الوطن ..

وعلى سبيل المثال فقد استشهد قائد الفرقة الموجودة فى رفح فى أولى ساعات المعركة وكذلك استشهد مساعده وهما برتبة اللواء . هذا بخلاف قادة الألوية اللذين استشهدوا أو جرحوا .. وكثيرون غيرهم قدموا صفحات الفخار تضحية وبذلا فى معركة سيطر فيها العدو بطيرانه وصمدت قواتنا بشرف وكرامة وأدت واجبها الذى كلفت به خير أداء .

والله الموفق .

رقم الإيداع

١٩٩٠ / ٥٠٦٣

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام

التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء ـ القاهرة

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

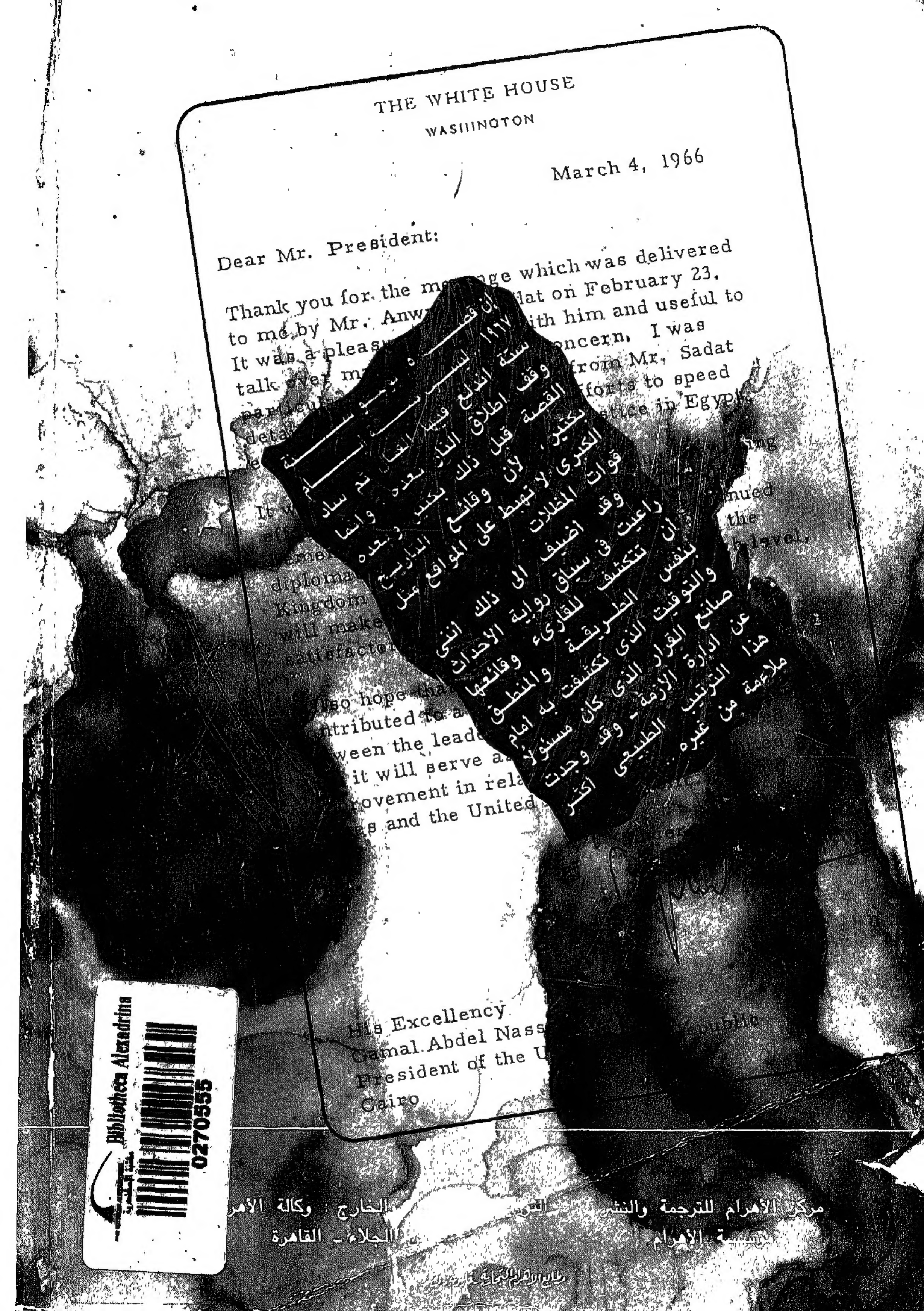

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

March 4, 1966

Dear Mr. President:

Thank you for the me... ge which was delivered to me by Mr. Anw... dat on February 23. It was a pleas... ith him and useful to talk over m... oncern. I was particul... from Mr. Sadat detai... fforts to speed ... stice in Egypt ...

It w... ... nued ... the ... level, diploma... Kingdom ... will make ... satisfacto...

...lso hope tha... ...ntributed to a... ...ween the leade... ...it will serve a... ...ovement in rela... ...s and the United ...

His Excellency
Gamal Abdel Nass...
President of the U...
Cairo

مركز الأهرام للترجمة والنشر ... الخارج : وكالة الأهر...
مؤسسة الأهرام ... الجلاء ـ القاهرة
مطابع الأهرام التجارية